T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAĞIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 152

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وكفى عبده ١١٧٥

٢٠٦

غاية الاماني في تفسير الكلام الرباني با خط نسخ
مجدول وزيري قطعه سطر اوتوز
طقوز جلد واحد
م

RAĞIP P
Ka. N
205

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المتوحد بالاعجاز في النظام ۞ المتفرد بالازلية وقدم الكلام المقدس عن التشبيه في
الاساليب الاحكام المنزه عن التشريك في الشرايع والاحكام انزل على عبده كتابا محكما اياته من لدن حكيم
خبير ونزله منجما كما الحوادث انه بعباده لخبير بصير ۞ عرفت في بحار اساليبه بنو قحطان وبكت عما بديه
زعماء معد وعدنان تعالى عن معارضة البشر كلام مبدا الاشياء ومنشي القدر والصلوة على صفوة قصي ۞
ومضر سيد الرسل افضل اهل المدر والوبر وعلى اله وصحبه الاخيار ۞ سيما الذين هاجروا والذين تبوؤا الدار
وبعد فان من صرف نقد عمره في درك المعارف وسهر غايصا على فرايد العوارف وحاز قصب السبق في مضمار السعادة
وفاز بالرقيب والمعلى يوم الوفادة والعلم باسرار كلام الله من بينها نار على علم بل شمس طالعة من افق
الحكم ۞ نعم هو الكاشف عن جمال مراد الله لثامه ۞ الرافع عن كنوز فوايده ختامه من عد من
حزبه واعوانه وجال في حلبة رهانه وميدانه ۞ لا ريب انه في اسعد طالع مولود وفي ام الكتاب باسمه
محمود الكلام في اطرايه ليس له امد ۞ ولذا كانت التفاسير بلا عدد ۞ خاض بحار حقايقه ذو الجد
من الاوايل ۞ وغاص في لجة او لو الجد من الاواخر فزانوا جيد الدهر بالدرر الفرايد وناطوا على
جبينه غرر الفوايد ۞ فاحببت ان اكون من اسرتهم واحشر في زمرتهم وان لم اكن من
عدتهم ۞ ومعدودا من جملتهم فوجهت ركاب العزم نحو ذلك الطلب لا زير عسى ان لي بكنا
عزيز ۞ اميط عن جماله ما اعتراه من غلس الظلام ممن زاغ عن منهج الحق لتضليل الانام ۞ فاني بلجي وهو
باسم ابلج واذهب بالباطل وهو نادم لجلج ۞ اذكر لاستيفا معانيه السبع المتواترة واحذف منها الشواذ
النادرة وسميته حاضعا لله غاية الاماني ۞ في تفسير الكلام الرباني وهو بعناية الله طبق المسمى
كذلك والالقاب تنزل من السما ۞ واذا برز كالبدر في التمام ۞ والقى عن وجهه اللثام يهدي الى ذكر
المعارف ومعدن العوارف الذوارف ۞ من نصب لاهل الفضل ميزان الفضايل ۞ ليجازي طبقها
جزل العواصل الاسد الكرار ۞ والمرزن للمدار ابي الفتح فاتح القسطنطينية ناصر دين الله
الناصر من الدوحة العثمانية السلطان ابن السلطان محمد خان بن مراد خان ۞ بن عثمان
۞ ملكه الله ببسيط الارض ومهد له من الطول الى العرض والله تعالى اسال ان يجعله
خالصا لوجهه الكريم ۞ ونجاة لي من عذابه الاليم انه جواد كريم سورة الفاتحة مكية وقيل نزلت

الازيز صوت الرعد استعار للعالم المتبع منه

نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة واسد من قال مدنية تسمى الوافية والشافية وسورة الشفا والدعا والحمد والشكر
والوجه في الكل واضح وام القران لاشتمالها على اصول ما فصل في القران وسورة الكنز لذلك وسورة الصلوة
اذ بها تكون مجزية او فاضلة والمثاني لانها تثنى في كل ركعة او لنزولها مرتين سبع ايات بالاتفاق الا ان
منهم من عد صراط الذين انعمت عليهم اية دون البسملة ومنهم من عكس بسم الله الرحمن الرحيم
اختلف في كونها من القران في اوايل السور فذهب ابن مسعود ومالك رضي الله عنهما وهو المشهور من
مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى وان لم يوجد له نص الى انها ليست من القران وعليه قراء المدينة والشام
والبصرة وذهب الزهري وسعيد بن جبير والشافعي وابن كثير من مكة وعاصم والكسائي من كوفة رحمهم الله الى
انها اية من كل سورة والدليل عليه كتبها في المصاحف بلا مخالف مع انها جردت عن الشكل والنقط لئلا يكون
ما بين دفتي المصحف سوى القران على ما نقل عن محمد بن الحسن حين سئل عنها فقال ما بين دفتي المصحف قران ولتواتر
كونها قرانا عند ابن كثير وعاصم والكسائي ولقول ابن عباس رضي الله عنه من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة
اية ومن لم يثبتها قرانا فانما يكتبها تيمنا لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدا باسم الله فهو ابتر ولما
كان وضع الحروف الجارة لايصال معاني الافعال الى الاسما فلا بد للباء من فعل يتعلق به ثم ذلك
المطلق يتعين بالقراين كالفعل المبدو به مثل القراءة هنا وكذلك كل فعل شرع فيه كالاكل والشرب
والعمل بموجب الخبر حاصل لوجود معنى الابتداء في ضمن تلك الخاصة وهو غرض الشارع اذ لا تقييد بلفظ
الابتدا والباء الة ووسيلة فالابتداء باسمه تعالى والحاق الاسم لتناول المضاف ساير اسمائه صريحا وان دل
عليها الاسم الجامع التزاما وللفرق بين اليمين والتيمن اذ الاول بالمعنى والثاني باللفظ والاولى تقدير ما يقدر
مؤخرا لافادة الحصر لانه رد على المشرك باسم اللات والعزى كما في اياك نعبد وانما قدم في اقرا باسم ربك لكونها
اول سورة فالامر بالقراءة اهم ولكون المخاطبين لا يتوهم في حقهم الاشراك ثم هذا انما يتاتى اذا لم تكن السورة
مصدرة بالبسملة والا فالكلام فيه كساير السور كانه قيل باسم الله اقرا ثم قال باسم ربك الذي
خلق اقرا اما تكرير للتقرير لانه اول تعليم او باسم ربك اقرا كيفما قرات ابتداء او اثناء ولذلك شرعت
في الاجزاء والابعاض والباء للاستعانة او المصاحبة كانه قيل مستعينا بالله اقرا او قيل للالة لان اعتقاد الموحد
ان الفعل بدونه لا يتاتى بل يكون خداجا كما ان الكتبة لا تكون بدون القلم والاول ادوره في الكلام العرب
واحسن تحاشيا عن اطلاق لفظ الالة على اسمه تعالى ولانه لا معنى لكون اسم الله الة الاستعانة ثم هذا ونظائره
مقول على السنة العباد تعليما وارشادا والاصل في بناء حروف المعاني السكون كقد وبل ثم الفتح لانه اخو السكون
حقة واوثر الكسر في الباء المفردة وهي تناسب العدم وليكون المؤثر على وفق الاثر والاسم احد الاسماء العشرة
التي بنت العرب اوايلها على السكون استعمالا وان كانت متحركة تقديرا لقولهم اصل اسم سمو والهمزة في وضعها
كذلك طلب الخفة والنفس ولاجتلاب الهمزة ليس لان الابتداء بالساكن محال بل لان فيه لكنة وبشاعة
ولان الحرف الاول كالاس للبناء فاريد احكامه وعكسه الوقف لان اخر الكلمة محل الاطلاق والراحة وخصاص الهمزة
لانه حرف شديد من اقصى الحلق اجدر بالجيران ومنهم من حرك الساكن كسرا او ضما على الاصل او ليدل على الواو
المحذوفة وجاء مقصورا كهدى قال والله اسماك سما مباركا اثرك الله به ايثاركا وهو ناقص واوي حذف
منه الواو كما حذف اللام في يد ودم دل عليه تصاريفه كاسماء وسمي وسميت ومعناه الرفعة لانه تنويه
بالمسمى واشادة لذكره وقيل من الوسم وهي العلامة وحذفت الالف منه في الكتابة لكثرة الدور وهو
القياس ثبوتها الا ان وضع الكلمة على حكم الابتداء ولذلك ثبت في اقرا باسم ربك مع انهم طولوا الباء
ليكون كالعوض والله اصله الاه عرف ثم او غير اعتباطا دل عليه وجوب الادغام والتعويض ولذلك
قطع همزته في النداء وقيل قياسا ووجوب الادغام والتعويض من خواصه وهو من الاعلام الغالبة بعد
الادغام تقديرا وقبله تحقيقا عرفي خلافا للبلخي جامد عند سيبويه واحد قولي الخليل واليه ذهب
الشافعي في طايفة وجزم المتاخرون باشتقاقه من اله الرجل فزع اليه فعال بمعنى مفعول او من وله
لجه ابدلت الواو همزة او من لاه احتجب وكما تاهت البرية في كنه ذاته كذلك في اسمه لئلا يشبهه شيء ذاتا
وصفة واسما تعالى وتقدس وتفخيم لامه اذا لم يكن قبله كسرة سنة العرب كابرا عن كابر لكونه ادل على التعظيم

الاسم وهو الاسم الاعظم عند المحققين ولكن شرط الاستغراق في بحر الاخلاص ورقق مكسورا لبروق على المسامع والرحمن والرحيم صفتان مشبهتان من رحم بعد نقله الى فعل بضم العين لان الصفة المشبهة لاتشتق الا من فعل لازم وهذا مطرد في باب المدح مثل رفيع الدرجات وبديع السموات وفي الرحمن من المبالغة ليس في الرحيم لان زيادة المباني لزيادة المعاني وهي اما في الكم كقوله يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة او الكيف كما في رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما واشتقاقهما من الرحمة بمعنى الرقة والعطف وهي من اوصاف الاجسام اريد لازمها وهو الانعام او ارادته وهو مطرد في كثير من صفاته تعالى ومنه قيل اذا لم تصح البدايات فعليك بالنهايات و لاختصاصه به تعالى حرم وجدان مؤنث فيرجع الى اخواته في منع الصرف وهي كل فعلان من فعل بكسر العين فان قلت قد جاء رحمن اليمامة لمسيلمة الكذاب قال شاعرهم وانت غيث الورى لازلت رحمانا قلت خروج عن اللغة تعنتا في الكفر ولم يسلك به سنن الترقي كما في شجاع باسل وجواد فياض ايثارا للطريقة التتميم لانها اقضى بحق المقام وافضى الى المرام اذ الملحوظ في مقام الكبرياء جلائل النعم ثم اشير بالرحيم الى ان الكل منه وان عنايته شاملة لذرات الوجود منه بيانا للجليل والحقير كما روي انه تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ارفع الى كل حاجة حتى الملح الذي تجعله في عجينك **الحمد لله** هو الثناء والنداء على الجميل الاختياري والمدح على الجميل مطلقا وقيل يترادفهما والشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لسانا او جنانا او اركانا قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والثناء اشيع شعبه لاعرابه عن الخفايا والخبايا وعدم احتمال الغير كما في اداب الجوارح واليه اشار بقوله الحمد راس الشكر لم يشكر الله من لم يحمده وهو من المصادر التي حذف ناصبها سماعا اذا استعمل باللام والعدول الى الرفع لقصد دوام الثبوت بمعونة المقام كما في ساير الجمل الاسمية ولا يتاتى ذلك مع النصب لانه بتقدير الفعل الدال على الحدوث ولذلك عدل الخليل الى سلام في جواب قالوا سلاما ليكون احسن تحية واللام للاشارة الى الماهية كما في ارسلها العراك وهذه الاشارة تفارق بينها وبين النكرة والمعنى ان هذا الجنس مختص به تعالى لايتجاوزه فان قلت اختصاص الجنس اوجب انحصار الافراد فما بالهم ينكرون الاستغراق اشد انكار قلت انكار الاستغراق لان يكون معنى اللام وضعا لا يرى الى اطباقهم عليه في ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا فان قلت فقد صح في المقام الاستغراق ايضا فلم اوثر الجنس قلت الحصر في الجنس مستفاد من جوهر اللفظ على طريقة البرهان من غير معونة المقام بخلاف المثال المشتمل على الاستثناء المقتضي لشمول الافراد صريحا وهذا كالبسملة مقول على السنة العباد **رب العالمين** الرب مصدر وصف به للمبالغة او صفة بعد تنزيل فعله منزلة اللازم والتربية ايصال الشيء الى كماله والله تعالى هو الرؤوف الموصل الى كل كمال فلذلك لا يطلق على غيره الا مضافا والعالم ما يعلم به الشيء كالخاتم غلب فيما يعلم به الصانع وجمع لئلا يتبادر العالم للشاهد او افراد نوع او جنس والعدد المشترك وبالواو وبالنون للتغليب وقيل المراد الثقلان والملائكة وقيل افراد الانسان اذ في كل فرد ما تفرق في العالمين مع بدايع لحزي قال وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر **الرحمن الرحيم** سبق الكلام فيهما **مالك يوم الدين** مثل يا سارق الليلة اهل الدار اضيف اسم الفاعل الى الظرف اتساعا والمعنى مالك الامور في يوم الدين وانما وقع صفة المعرفة لان الاضافة فيه حقيقية اما لقصد الاستمرار اذ بيده الامور في الازمان او لتنزيل ما سيكون منزلة الكائن لتحقق وقوعه لا محالة كقوله ونادى اصحاب الجنة وقرا الحرميان وابن عامر وابو عمرو وحمزة ملك مقصورا وهو الاحسن لكونه للثبوت وللاضافة الى يوم الدين والجزاء شان الملوك ولعموم ما تحت حيطته والكلام في اللغة ولا يقدح الاختصاص الشرعي وللاتفاق على ملك الناس موافق الفاتحة للخاتمة ولان اهل الحرمين اعلى سندا وافصح لغة وعليه الرسم وكثرة الثواب بزيادة الحروف معارض بقوة المعنى والدين الجزاء كما تدين تدان او الطاعة او الشريعة فيقدر

فيقدر مضاف والصفات المذكورة جارية مدحا والة على علية انحصار المحامد مع الوعد والوعيد في الاول صريحا وفي الثاني رمزا اشارة الى سبق رحمته غضبه ليكون العبد بين الخوف والرجاء بجناحيه وقد استوفى فيهما ما يتعلق بالمبدا والمعاد فقابل **اياك نعبد واياك نستعين** ايا هو الضمير واللواحق كالكاف والهاء والياء لبيان المراد به وعن الزجاج ان ايا اسم مضاف والمضمر ما بعده لقولهم اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب ورد بان المثال شاذ لا يعول عليه وعن الخليل ان ايا مضمر اضيف الى اللواحق ولم يوافقه احد لان الضمير لا يضاف والمثال المذكور فيه ما فيه لا يتم دليلا والكوفية على ان المجموع ضمير ورد بان الاختلاف باللواحق غير معهود في الضماير والعبادة اقصى غاية الخضوع ولذلك اختصت بمن هو في اعلى مراتب العلو ومنه طريق معبد اي مذلل وقدمت على الاستعانة لان الوسائل امام المطالب واطلقت الاستعانة لتناول كل مستعان فيه والاوفق ان يكون الاستعانة في العبادة لان اياك نعبد بيان للحمد وقوله اهدنا الصراط المستقيم بيان اياك نستعين كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط فيتسق النظام غاية الاتساق فان قلت كيف يستقيم ان يكون اياك نعبد بيانا للحمد وشرط البيان مساواته للمبين قلت الاعتراف باللسان لما كان ابلغ من ساير انواع العبادات ولذلك جعله الشارع راس الشكر جعل عين العبادة التي هي اقصى غاية الخضوع واريد بالحمد صرف العبد ما انعم الله عليه الى ما خلق لاجله على ما هو اللايق بالمقام وما اشير اليه بيان المعنى اللغوي وقدم المفعول للتخصيص ولما كان الحصر المستفاد منه بطريق الفحوى دون الاسناد لا لاشتباه على اقوام واخرج الكلام من الغيبة الى الخطاب تفننا فان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اخر كان انشط للسامع وادعى الى الاصغاء ولذلك اكثر منه البلغاء في اشعارهم وخطبهم وكما يباهون في قرى الاشباح بالجمع بين لون ولون فهم في قرى الارواح ادعى في الاتيان بفن وفن هذا وقد يختص موقعه بنكتة شريفة كما في اياك نعبد وذلك انه لما ذكر الحمد بطريق الحصر لمستحقه الحقيقي الدال عليه الاسم الاعظم توجهت النفس اليه توجها تاما فلما اجريت عليه تلك الصفات الدالة على استحقاقه مفصلا ازداد المحرك شيئا فشيئا الى ان قال مالك يوم الدين بيده ازمة الامور تم التحرك اذا قبلت اليه بغاية الخضوع ونهاية الاستكانة واستغرقت في المقام الذي اشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه وهو اخر مقام السالكين **اهدنا الصراط المستقيم** الهدى متعد ولازم ويتعدى الى الثاني بنفسه وباللام وبالى الاولى لغة الحجاز وليس من قبيل وعلى القاضي واختار موسى قومه وهدايته تعالى نوعان الدلالة الى الموصل وخلق الاهتداء واليهما اشار بقوله والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء وتفسيرها بافاضة القوى تسامح ثم من حصر المحامد فيه تعالى وعرفه بتلك الصفات التي اجراها عليه مهتد بلا ريب فطلب الهداية منه طلب للزيادة او الثبات وصيغة افعل دعاء مع الخضوع امر مع الاستعلاء التماس مع التساوي والصراط المستقيم هو الاسلام لانه الموصل الى السعادة الابدية بلا اعوجاج ولا انحراف واصله السين من سرط الطعام اذا ابتلعه لانها تبلع السابلة او العكس كما سميت لقما لذلك وبه قرا ابن كثير في رواية قنبل والجمهور بالصاد مبدلا من السين لمناسبة الطاء في الاستعلاء والاطباق والانتقال الى الطاء انتقال من التسفل الى العلو وهي لغة فيه قريش وعليه رسم المصحف وحمزة ثم الصاد زايا حيث وقع في القران في رواية خلف ووافقه خلاد في الاول دون الثاني هنا ومعنى اشمام الحرف بالخرج مزجه به شيوعا ليكون حرفا بين حرفين وفي ذلك رعاية الجانبين **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الاول بدل الكل وفائدته التوكيد لانه ذكر الشيء مرتين مع تكرير العامل وبه يمتاز عن التوكيد وعطف البيان وفيه ايضاح بعد الاجمال وشهادة على طريق المسلمين بالاستقامة على اكد وجه والنعمة فعلة من التنعم وهي اللين والمراد بها المنعم به وهو الاسلام والمنعم عليه هو المؤمنون كافة وقيل الانبياء وعن ابن عباس رضي الله عنه قوم موسى قبل التبديل وقيل الذين اشير اليهم بقوله اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا خلاف في المنعم به ولذلك اطلق ولان من فاز بها لم تفته نعمة وقرا حمزة عليهم بضم الهاء وكذا اليهم ولديهم حيث وقع وهي لغة الحجاز وهي

الاصل قبل الاتصال وكسرها الباقون لمجانسة الباء وضم الميم موصولا بالواو ابن كثير وقالون
في وجه حيث وقع رعاية للاصل لان اصل هم همو واسكنه الباقون تخفيفا وعليه رسم المصحف
والضمير المجرور في محل النصب على المفعولية غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت عليهم
او صفة لان الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه مثله ولقد امر على اللئيم يسبني او لان غير تعرف
بالاضافة الى ماله ضد معين كما في عليك بالحركة غير السكون والمجرور في محل الرفع لقيامه مقام
الفاعل وكل من مات كافرا ضالا مغضوب عليه وقيل المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم
النصارى لقوله في حق اليهود غضب الله عليهم وفي حق النصارى ضلوا واضلوا والوجه هو الاول
لظهور العموم ولمجيء هذا الوعيد لغير الطائفتين ولو صح رفعه الى رسول الله لكان منه اشارة
الى رسوخ هولاء في الغضب واولئك في الضلال لا الاختصاص وقيل القاضي يتجه ان يقال المغضوب
عليهم هم العصاة لقوله في حق القاتل وغضب الله عليه قلت دعوى كون كل عاص مغضوبا عليه
باطل لان الغضب منه تعالى اما انتقام او ارادته وهي معفية اليه وكون كل من عصى كذلك ممنوع
والاستدلال بالغضب في اية القتل غير ناهض لانه مصروف عن ظاهره في مقام الترهيب كالخلود
والمقرون به اتفاقا ولئن اجرى على ظاهره لم يلحق به كل ما يوجب العصيان لظهور الفارق ولا الضالين
الضلال عدم الاهتداء وسلوك غير الطريق ولا هذه مذكرة تفيد استقلال نفي ما دخلت
عليه مبالغة كما في قوله لا بارد ولا كريم ودفع وهم كون المنفي هو المجموع وتكون بعد او تقدم
نفي صريح او غير صريح كغير والدليل على ان غير في معنى لا جواز قولك انا زيدا غير ضارب كقولك
انا زيدا لا ضارب ولا يجوز انا زيدا مثل ضارب لان معمول المضاف اليه لا يتقدم المضاف
امين ليس من القران اتفاقا وانما ختم السورة به لانها دعاء وسن ختم الدعاء به لما روى ابو داود
ان امين يحفظ الدعاء من الخيبة كما يحفظ الختم الكتاب عن اطلاع الغير عليه وعنه صلى الله عليه وسلم
ان جبرائيل عليه السلام علمني امين عند ختم الفاتحة وهو اسم استجب وما يراد فه وعن الزجاج اسم
المصدر كالاستجابة ويشكل عليه بناؤه وفيه لغتان المد والقصر وتشديده خطا يجهر له الامام والماموم
عند الشافعي في الجهرية لكونه تابعا للقراة ولما روى انه كان يجهر به من خلفه حتى ان يسجد للجهر وعن
ابي حنيفة رحمه الله يخفيها الامام والماموم لانه دعاء وما روى من الجهر محمول على التعليم روى البخاري
عن ابي سعيد بن المعلى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاعلمنك اعظم سورة في القران فاتحة
الكتاب هي السبع المثاني والقران الذي اوتيته وروى مسلم والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا وعنده جبرائيل اذ سمع نقيضا فوقه فرفع جبرئيل راسه
وبصره الى السما فقال هذا باب فتح لم يفتح قط فنزل منه ملك لم ينزل قط فاتى رسول الله وقال ابشر بنورين
اوتيتهما لم يؤتهما نبي فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرا حرفا الا اوتيته وعن حذيفة ابن اليمان
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبعث العذاب على قوم حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم
في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيرفع عنهم العذاب اربعين سنة سورة البقرة مدنية انها مائتان وثمانون
وسبع بسم الله الرحمن الرحيم حروف الهجا اسماء البسائط في مباني الكلم وذلك لان دلالة الالف
على اوسط حروف قال وكان كدلالة الاسد على الحيوان المعروف بلا تفاوت فيما يرجع الى نفس الدلالة
ولاعتوار خواص الاسم من الاضافة والتعريف وغيرهما عليه وقد نص عليه امام اهل العربية خليل
بن احمد وما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه من قرا حرفا من كتاب الله نعم فله حسنة والحسنة بعشرة
امثالها ولا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف لم يرد مصطلح النحو فانه عرف حادث ولما كانت
مركبة راعوا في وضعها لطيفة بان جعلوا المسمى صدر الاسم ليكون اول ما يقرع الاسماع الا الالف فانهم
استعاروا الهمزة مكان مسماها لئلا يقع الابتدا بالساكن وسكون اخرها وقف كسائر الاسما اذا عددت
نحو دار ثوب بساط فاذا وليها العامل ظهر الاعراب لان قابلية المحل يحتاج الى المؤثر والدليل على ان سكون
اعجازها وقف وليس بسكون بناء يجمع فيها بين الساكنين والاما قال لا قط الا في تشهد صلوتي بها

لحذي بها حذو كيف واين وكونها مقصورة حالة الهجا فاذا اركبها الاعراب مدت كقوله لولا التشهد
لم يسمع له لاء فان حالة الهجا خلفه بالاخف لكثرة الدور وهي في اوايل السور اعلام منقولة لما نص عليه
سيبويه وهي على نوعين نوع لا يتاتى فيه الا الحكاية نحو الم وكهيعص واخر يتاتى فيه الاعراب والحكاية
وهذا اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او عدة اسماء على وزنه المفرد كحم ويس فانها على وزن
قابيل وكذا طس ميم لو فتح النون وضم اليه الميم كان مثل دار الجرد والحكاية لخفتها تلائم قبل النقل
ولا بنائها عن الاصل المنقول منه اكثر وقد اعربها العنترة في قوله تذكر في حميم والرمح شاجر ومنعه
الصرف للعلمية والتانيث والحكاية نقل القول محفوظا صورته الاولى كقولك قرات الحمد لله
وسورة انزلناها قال وجدنا في كتاب بني تميم احق الخيل بالركض المعار وفي الاتيان بها محكية
اشارة الى ان مسمياتها وهي السور مركبة من مدلولاتها ففيه نوع ايقاظ ولذلك لو سمي رجل
بها لم تصح الحكاية لفوات الاشارة المذكورة وانما كتبت على صور مسمياتها والقياس صورها
مثل صاد ونون لان خط المصحف خارج عن القياس قال درستويه خطان لا يقاسان خط المصحف
وخط العروض قال قلت خط العروض اذا خالف القياس له وجه وهو ان اهله لحظوا في الاوزان الحروف
الملفوظة دون المكتوبة فكتبوا ما يدخل في الوزن على صورته كالتنوين على صورة النون
والاشباع بعد الضمة واوا والكسرة ياء فما وجه مخالفة خط المصحف والعدول لا بد له من
حكمة لا سيما وقد وقع ذلك باتفاق خير القرون قلت كل كلمة خالفوا فيها القياس له فايدة
ذكرت في علم الرسم واعظم الفوايد اجمالا ان يكون محجوبا عن العدو كاهل الكتاب وليكون
طريق اخذ القران السماع من افواه الرجال كما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا وقيل كتبت كذلك اختصارا لعدم اللبس اذ الاطالة في التلفظ بها غير متهجات والضم
الى ذلك جري العادة بالتلفظ بالاسم وكتابة المسمى والقران المجيد يلايمه الاختصار وقد قرا
صاد وقاف بالاعراب فتحا وكسرا اما الفتح فعلى انه النصب باذكر وعدم التنوين لامتناع الصرف
او مجرورة باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وهذا وجه قول ابن عباس رضي الله عنه اقسم الله
تعالى بهذه الحروف واما نصبها بحذف الجار واعمال القسم فلا لان بعدها مجرور
وهو القران والقلم وهما معطوفان فان قلت يجعل الواو للقسم دون العطف قلت نص
الخليل على كونه مستكرها لاستلزامه الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد واما الكسر فللحذاء
في الهرب عن التقاء الساكنين وقيل هي حروف مقطعة بنمط التعديد في اوايل السور وردت ايقاظا
لمن تحدى بالقران وذلك ان كلام العرب مؤلف من هذه الحروف فكانه قيل هذه الحروف مواد
كلامكم في الاشعار والخطبة والمحاورة فان لم يكن ما اتى به محمد من عند الله فهلا ما تون بمثله ولو كان
بمقدار ثلث ايات وقيل كانت العرب في التلفظ بمسميات الحروف الواقعة في مباني الكلمات
متساوية الاقدام واما التلفظ لحروف الهجا على نمط التعديد كان مخصوصا بمن قرا وخط
وخالط الكتاب قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب
المبطلون فكان تصدير السور بها ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع اعراب تقدمة
للاعجاز وطليعة له هذا وقد روعي في وقوعها على الوجه الواقع في اوايل السور ومن ذكر الحروف
المخصوصة دون الجمع او ما عداها وما لواحظ في ذلك مما يتعلق بمخارج الحروف وصفاتها
ما يدهش الفطن المتبحر وتنقسم الى ثنائي وثلاثي والثلاثي الى ساكن الوسط او متحركه فالاول مثل
ر وحا لا مد فيه زايدا على مقدار الالف والثاني ما كان فيه بعد حرف المد ساكن نحو ميم
وسين وصاد وقاف يمد للسبعة زايد على حرف المد حركه حاجزة بين الساكنين ولذلك يسمى مد
الحجز والعدل وليس في الفواتح حرف اللين سوى العين ولهم فيه وجهان المد لما ذكر في حرف المد
والقصر لقصور حرف اللين لعدم مجانسة حركة ما قبله واذا كانت على نمط التعديد او كانت
اسماء السور لخبار احرف المبتدا منها او منصوبة باذكر او قسما محذوف الجواب فالوقف عليها

تام لاستقلالها ومن شرط في التام استقلال ما بعده ايضا يلزمه ان لا يكون الوقف
على اواخر السور تاما واما اعرابها فان كانت مقطعات على نمط التعديد فلا يتصور الاعراب
واما اذا جعلت اسماء السور فهي مرفوعة على الابتداء ان صح ان يكون ما بعدها خبرا او على
الخبرية عن مبتداء محذوف او منصوبة باذكر او مجرورة باضمار حرف القسم كما تقدم **ذلك الكتاب**
المشار اليه ما دل عليه الم وهي السورة والقران فالاشارة اليه بذلك الموضوع للبعيد
لان الكلام بعد التكلم في حكم المتباعد قال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك
ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حكم المتباعد فان قلت قيل وصوله ذلك
على حاله قلت لما كان مقطوعا بوصوله جعل كانه واصل وكثيرا ما مؤلف المتكلم كلاما بلا
خط فيه حين تاليفه وصوله الى المخاطب به وقيل ذلك اشارة الى الكتاب الموعود في
التورية والانجيل او الى الموعود بقوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فان قلت فعلى الاول
المشار اليه مؤنث فما وجه تذكر المشار به قلت ان كان ما بعده خبرا اجرى حكمه على
المبتدا في التذكر لكونهما متحدين ذاتا كما اجرى عليه في التانيث في قوله من كانت امك
وان كان وصفا فليكون الاشارة اليه صريحا كقولك هند ذلك الانسان قال النابغة
نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري والكتاب لغة الجمع مصدر كتب
وشرعا هو المنزل للاعجاز بسورة منه يطلق على الكل والبعض وهو المراد لا حاجة فلا وجه
لما قيل اطلق على المنظوم قبل ان يكتب لانه مما يكتب ويراد به القران وان كان اشهر منه وكل
منهما يطلق على القديم ايضا وفي تاليف ذلك الكتاب اذا جعل اسم السورة وجوه ان يكون
الم مبتداء ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتداء الاول والمعنى ان هذا هو الكتاب الكامل
كقولك زيد هو الرجل قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون ذلك خبرا و
الكتاب صفة ومعناه الم هو ذلك الكتاب الموعود على ان اللام للعهد اذ لا فايدة في
الاخبار عن السورة بصدق جنس الكتاب عليها ويجوز ان يكون ذلك بدلا وان يكون
خبر مبتداء اي هذه الم وان جعلت حروف التعديد فذلك مبتداء وما بعده
خبره او خبر مبتداء محذوف اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب او مبتدأ و
الكتاب صفة **لا ريب فيه** هو الخبر والريب لغة القلق والاضطراب ومنه ريب الدهر
لنوايبه مصدر رابه بني اذا حصل فيك الريب اطلق على الشك اطلاق المسبب لان الشك
مما يقلق النفس ويزعجها ونفي جنس الريب عنه وكم مرتاب شقي فيه لانه لسطوع برهانه
بحيث لا يتصور فيه الريب وان يثبت بذيل غبار منه فالمنفي هو كونه بتلك الصفة وكونه
مظنة له لقولكن يكابرك بعد ظهور الحق من غير امكان شبهة هذا مما لا شك فيه وان كان المخاطب
منكرا منفكا عن الشك وهذا التقرير حسنة ايضا مما لا شك فيه وانما جرى الكلام على ظاهره ولم يقدم
الظرف كما في لا فيها غول لان الحصر هناك مقصود لانها في مقابلة خمور الدنيا ولو قدم هنا لدل ان في
كتاب آخر ريبا والقران يذكر في مقابلة الكتب السماوية وفساده لايح مع انه لو خلا عن هذا فليس بغرض
بل الغرض انه ليس بمحل الريب وقيل فائدة الفاضل معناه لا ريب فيه للمتقين على ان هدى حال من الضمير
المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي وضعفه لايح لفوات المبالغة المقصودة في مقام نفي الريب
هدى للمتقين هدى مصدر كالبشرى وزنه فعل لان الزنة على الاصول وكونه هدى للمتقين والمتقي
لا يكون الا مهتديا يراد به التثبت او الزيادة وكلاهما هدى او اريد بهم المشارفون للتقوى عبر عنهم
بالمتقين لانه احصر وليكون صدرا ولي الزهراوين اسم خواص اوليائه تعالى وكونه هدى لا ينقض ان يكون
جميع ابعاضه كذلك ككونه معجزا وعربيا ونحو ذلك والقول بان المحل والمتشابه لم ينفك عن بيان
تعيين المراد منه غير ظاهر لا سيما عند من يقول بوجوب الوقف على الا الله والمتقي شرعا من اتى
بالفرايض واجتنب الكباير ولم يصر على الصغاير من الوقاية وهي فرط الصيانة ولها ثلث مراتب الاولى

الاولى التوقي من الشرك والثاني ما اشير اليه آنفا والثالث ربط السر على الله والتبرؤ عن كل شيء
سواه وقد اشار اليها في قوله ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما
اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا ومحل هدى للمتقين
الرفع على خبرية محذوف او خبر آخر لذلك او مبتداء والظرف المتقدم خبره ويجوز نصب على الحال
والعامل فيه الظرف او معنى الاشارة والذي هو اشد توغلا في البلاغة وارسخ قدما ان يكتفى ربط
عقليه بين الجمل المذكورة فيقال الم جملة مستقلة حرف منها المبتداء او طايفة من حروف الهجاء وفيها
تنبيه على ان الكلام المتحدى به اما على الثاني فظاهر واما على الاول فلان العلم لا ثاني لمح المعنى
الاصلي وذلك الكتاب جملة ثانية تدل على المتحدى به هو الكتاب الكامل وفيه تقرير لجهة التحدي
وشد من اعضاده ولا ريب فيه جملة ثالثة تشهد بكماله اذ لا كمال فوق حق اليقين قيل لبعض العلماء
فيم لذتك قال في حجة تبختر اتضاحا وشبهة تتضاءل افتضاحا او تاكيد لذلك الكتاب لانه اخبر عنه
بانه الكتاب الكامل كان مظنة ان يتوهم انه مبالغ في مقام المدح وليس الامر محمولا على الحقيقة
ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فتقرر انه يقين لا يحوم حوله شك وحق لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه **الذين يؤمنون بالغيب** موصول بالمتقين صفة مجرورة او نصبا او رفعا على المدح
فهو في حكم التابع لاتصاله معنى او مقطوع مبتداء خبره اولئك على هدى فعلى الاول الوقف
على المتقين حسن غير تام ثم ان جعلت صفة فاما كاشفة وقد اشار بذكر الايمان والصلوة والزكوة
الى فعل جميع الطاعات وترك ساير المعاصي بالطف وجه وذلك ان الايمان اس لا يقوم شيء بدونه
والصلوة عماد الدين التي تنهى عن الفحشاء والمنكر والصدقة بذل شقيق الروح وسماها الشارع
برهانا او فيطرة الاسلام فذكر الثلث ينطوي على ذكر ساير العبادات وترك السيئات كما هو
اللايق ببلاغة القران ورموزه مع ما في ذلك من الاشارة الى مرتبة الصلوة والزكاة بين ساير الفروع
وهذا ما يقال ان الثلثة كناية عن فعل الطاعات وترك السيئات او مادحة كصفات الله الجارية عليه اجلالا له
او مقيدة ومناط الفرق ان المتقي ان حمل على المعنى الشرعي فالوصف كاشف ان كان المخاطب لم يعرف
مفهوم الموصوف مفصلا والا فمادحة وان حمل على من اجتنب الكباير فالوصف مخصص والايمان
افعال من الامن يقال آمنته وامنته غيري فاستعمل في التصديق اما مجازا لان من صدق الشخص
آمنه التكذيب او حقيقة فيه ايضا وهذا هو الظاهر واستعماله بالباء لتضمين معنى الاعتراف والاقرار
وقد تعدى باللام لتضمنه معنى الاذعان وقد يكون همزته للصيرورة كما حكى عن ابي زيد ما آمنت ان اجد
صحابة اي صرت ذا امن ويجوز ان يكون الجار والمجرور في محل النصب حالا اي غائبين عن المؤمن به فالغيب على هذا بمعنى الخفاء وعلى الاول
بمعنى الغايب اما تسمية بالمصدر كرجل عدل واما فعل كقيل مخفف والمراد منه ما لا يهتدي فيه ابتداء
الا علم علام الغيوب والانبياء والمؤمنون انما يعلمون منه ما اعلمهم او نصب لهم عليه دليلا
عقليا او سمعيا كالصانع وصفاته والنبوات وقيل المراد بالغيب القلب اي يؤمنون بقلوبهم
تعريضا بالمنافقين الذين يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فالباء آلة كما في كتبت بالقلم فان
قلت ما الايمان المنجي عند الله قلت هو التصديق بما علم مجيء الرسول به ضرورة وزادت الحنفية
الاقرار ركنا زايدا يسقط بالاكراه والخوارج والمعتزلة الاعمال وان كان بين معتقد الفريقين فرق
واما المحدثون فهم براء من مذهب هولاء وانما غير الاعمال في كمال الايمان كيف لا وهم الذين
يرون ان من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق ويخرج من النار من كان في قلبه مثقال
ذرة من الايمان وابدل ورش عن نافع والسوسي عن ابي عمرو الهمزة واوا حيث وقع في القران وكذا
حمزة في الوقف **ويقيمون الصلوة** القيام لغة الانتصاب والاقامة افعال منه يقال اقمت العود
اذا سويته وازلت اعوجاجه فاستعيرت لتعديل اركانها وحفظها عن الخلل في سننها وآدابها
بعد ما صارت حقيقة في تعديل الاجسام وقيل حقيقة في الاعيان والمعاني ايضا لغة او يديمونها
من قام السوق اذا نفق لانها اذا دوم عليها كانت كالشيء المرغوب النافق الذي يتنافس فيه

المحصلون او يصلحون شانها بتحصيل ما يتوقف عليه من القوام وهو ما يقوم به الشي يقال فلان
قدام اهله اى قايم بامرهم يصلح شانهم او يتشمرون لادائها بلا فتور من قام بالامر اذا تشمر له
ومنه قامت الحرب على الساق وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد والصلوة فعلة من صلى اذا دعا قال
الاعشى وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم والمراد بها الاركان المخصوصة سميت بها لاشتمالها
على الدعاء كما سميت سجدة لاشتمالها على التسبيح بوضع موضع المصدر يقال صلى صلوة ولم يستعمل مصدره
وقيل من الصلاة لان المصلي يحرك صلويه والصلوان المرتفعان في جانبي منبت الذنب ثم قيل
صلى اذا دعا تشبيها له بالمصلي في تخشعه وليس بوجه لان الاشتقاق مما ليس يحدث قليل
ولان الصلوة في اشعار الجاهلية بمعنى الدعاء شايعة ولم يكن لهم علم بالاركان المخصوصة فانى لهم
التجوز بما لا علم لهم به وانما كتبت بالواو للاشعار بالاصل كهدى وسعى بالياء وقيل كتبت بالواو
على لفظ المفخم وليس بشيء لعلي الفاضل اذا لم يقرا به احد فكيف يوضع الرسم باتفاق الصحابة على شي لا وجود
له واما تغليظ ورش لام ليس لامالة الالف نحو مخرج الواو بل لان الصاد من الحروف المستعلية
فغلظ اللام لتقارب الصاد كما في ظلموا وطال **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق لغة كل ما ينتفع به
الحيوان حراما كان او حلالا لقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا و
لقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وما في الآية يراد به الحلال بقرينة المدح على التقى
والمراد منه الزكوة المفروضة لكونه قرين الصلوة او ما يعمها وساير الانفاق في سبيل الله كقوله
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله سرا وعلانية وهذا اوفق بمقام المدح والتقديم للاهتمام و
قيل للتخصيص بخصوص بعض ما رزقناهم دون الكل تحاشيا عن رذيلة الاسراف قلت لا اسراف في الخير
كما لا اشرف في الشر ويدل عليه قوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة في مقام المدح
وقوله والذين لا يجدون الا جهدهم وفي الحديث افضل الصدقة جهد المقل وقصة الصديق
في التجرد وايثار الكل متواترة فان قلت فما فايدة من اذا قلت فايدتها ان انفاق البعض كاف في نيل
رتبة المتقين ويدل دلالة ظاهرة على ان انفاق الكل نور على نور ولا اولى حمله على ما يشمل المعارف ايضا
كانه قيل من كل ما منحوا يبذلون وفي الحديث ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه **والذين يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك** هم اهل الكتاب الذين امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كعبد الله
بن سلام واضرابه عطف على الذين يؤمنون بالغيب فيشملهم صفة التقوى ان لم يكن الموصول
الاول مقطوعا او هم الاولون والعطف باعتبار تغاير الصفات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث
الكتيبة في المزدحم والايمان بالغيب وان شمل الايمان بالكتب المنزلة الا انه افرد اشعارا بمكانه ولذلك
اعيد الموصول ولم يكتف بذكر الصلة مبالغة كان الموصوف بها مغاير للموصوف بما تقدم وهذا
الوجه اوجه لان الايمان بالكل مشترك بين الكل ولا دلالة في الافراد بالذكر على الايمان به منفردا
كفاك شاهدا قوله قولوا امنا بالله ثم قال وما اوتي موسى وعيسى ولان الصفات السابقة شاملة
للزمرتين فلا وجه لتخصيصها بطايفة ولان ما ياتي في بناء يوقنون عليهم انما يحسن موقعهم على هذا الوجه
والا لاوهم خروج الاولين وفي ما انزل تغليب للموجود على المترقب لان الايمان بالكل واجب والانزال
نقل الشي من علو الى سفل وهو على الاعراض محال فهو وصف تبعت حامله ومبلغه واذا وقع حرف
المد الهمزة بعده يزاد في مده للسبعة اذا كانتا في كلمة كجاء وشاء لان الهمزة حرف قوي وحرف
المد ضعيف بناء في مده ليقاوم القوي ويجانس المجاور واذا كانتا في كلمتين فلهم فيه خلاف
لعروض الاتصال **وبالاخرة هم يوقنون** تانيث الاخر اسم فاعل من اخر بمعنى تاخر من الصفات
الغالبة على تلك الدار كالدنيا على هذه ثم جرتا مجرى الاسماء حتى ترك ذكر موصوفها والايقان
واليقين اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه فلا يوصف به العلم القديم ولا الضرورى
فلا يقال ايقنت ان الواحد نصف الاثنين كذا قيل ويشكل بقوله لترونها عين اليقين فان
المشاهدة اعلى مراتب اليقين وفي بناء يوقنون على الضمير اشارة الى ان ما عليه اهل الكتاب جهل

جهل محض كان معتقدهم خيالي باطل وكذا في تقديم بالاخرة ونقل ورش حركة الهمزة الى اللام
وكذا كل همزة قطع ينقل حركتها الى الساكن قبلها وحمزة في الوقف وجهان النقل وعدمه وجه
النقل ارادة التخفيف لان سكون ما قبلها منع التسهيل ولا يجوز الحذف راسا لعدم ما يدل عليه
اولئك على هدى من ربهم جر الذين يؤمنون بالغيب وما عطف ان كان مستانفا جوابا لمن
يقول ما للمتقين اختصوا بالهدى بين الانام فدل بالاوصاف المذكورة على انهم احقاء بذلك الاختصاص
وان جعل موصولا والذين يؤمنون بما انزل اليك كلاما مستانفا غير معطوف على الموصول
الاول ولا على المتقين فاولئك على هدى خبر عنه وان جعل موصولا بالمتقين لفظا او معنى
وعطف عليه والذين يؤمنون بما انزل اليك فالاستيناف واقع على اولئك وليس بوجه لانه
بعد ذكر اختصاص المتقين بالهدى واجراء الصفات التي اهلتهم لذلك لا وجه للسؤال عن
موجبه الا على تقدير غفلة السائل فاشير باولئك الى تلك الصفات التي لو تاملها اغنته
عن السؤال وضم الى الهدى نتيجتها وهي الفلاح تحاشيا عن وصمة التكرار فان قلت صفة التقوى
كافية في علية الاختصاص فما ورد ته على الثاني وارد على الاول قلت ليس المجمل كالمفصل فاذا فصلت
صفات المتقين وخصت لم يبق للسؤال مجال واعلم ان الموصول الثاني اذا جعل مستانفا ولم يجر
على المتقين انما يحسن اذا قصد به التعريض باهل الكتاب الذين يزعمون انهم على هدى وليسوا
منه في شيء اذا لم يقصد ذلك فحق الموصول الثاني ان يكون جاريا على ما جرى عليه
الاول لعدم فايدة العدول لاتحادهما ذاتا فان قلت فاجعل الثاني مخالفا للاول ذاتا وقد
استقام الكلام بلا تعريض قلت اذا كان مغايرا للاول ذاتا فالوجه عطفه على الاول
ليشملهما صفة التقوى وان جعل مستانفا فالوجه قصد التعريض ايضا لئلا يوهم انتفاء
الحكم عن الموصول الاول وانما عدل عن الضمير الى اسم الاشارة لدلالته على ان ما يرد بعده
فالمشار اليهم احقاء به لتلك الصفات السابقة وفي اسم الاشارة يلاحظ المشار اليه مع
الصفات المميزة له دون الضمير فان قلت قد ذكروا في اياك نعبد ان العدول من الغيبة الى الخطاب
لكونه ادل على التميز الذي لا يحق العبادة بدونه فقد دل على ان الصفات المميزة يعتبر في الضماير
ايضا قلت المراد كمال التمايز الا تراهم يقولون جعل المسند اليه اسم الاشارة ليفيد اكمل تميز
ولذلك يؤثر البلغاء قال حاتم الطائي لما استوفى ماثر ممدوحه فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه
والاستعلاء في على تمثيل تمكنهم من الهدى من غير مانع ولا مزاحم من الشبه والشكوك باعتلاء
الراكب مركوبه فجرت الاستعارة اولا في مطلق الاعتلاء ثم في معنى على تبعا وذلك لان معنى الحروف
غير مستقل بالمفهومية فلا تصلح ان يكون مشبها ومشبها بها اصالة وكذلك الافعال لاشتمال
معانيها على النسب فيقع التشبيه في المصادر ثم يسري الى الافعال تبعا والتنكير في هدى للتعظيم
اى هدى واي هدى واتفق السبعة على ادغام النون الساكنة في الراء واللام بلا غنة اما
الادغام فلتلاحق المخرج واما عدم الغنة فللمبالغة في التخفيف ونقلها عن ابن عامر وعاصم سهو
واولئك هم المفلحون كرر اسم الاشارة دلالة على انهم مستبدون بكل من الهدى والفلاح
على حيالها وادخل العاطف لاختلاف الجملتين مفهوما وقصدا لان الغرض في الاول
اثبات الهدى لمن اشير اليه في الدنيا لتلك الصفات والغرض من الثاني الفوز في
الاخرة من اجل الهدى بخلاف قوله اولئك هم الغافلون بعد قوله اولئك كالانعام
فانهما وان اختلفا ذاتا ومفهوما فقد اتحدتا غرضا وقصدا لان الغرض من تشبيه الكفرة
بالانعام ليس الا الحكم عليهم بالغفلة المتناهية فالثانية مؤكدة للاولى او بيان فلا مجال للعاطف
ومن قال انهما متحدان مفهوما فقد التبس عليه وفايدة ضمير الفصل تاكيد الحصر المستفاد من
تعريف الخبر وتمييزه اياه عن الصفة وقد يقال انه مبتدا وما بعده خبره ومعنى التعريف
في المفلحون اما العهد وذلك انك احطت علما بان طايفة من الناس يفلحون فكانه

قيل ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم مفلحون كما اذا بلغك ان انسانا من اهل بلدك قد تاب
فقلت من التايب قيل زيد التايب على ما اختاره سيبويه فى من ابوك من كون من مبتداء والمعنى
ازيد ابوك ام عمرو وكانه قيل المتقون هم المفلحون ام غيرهم فالمطلوب الحكم بالمفلحون على احدى
تلك الخصوصيات واما الجنس على معنى ان صفة الفلاح اذا حصلت وقامت بطايفة فالمتقون
هم هم لا يعدونهم وهذا المعنى من فروع الجنس وابلغ شعبة لدعوى الاتحاد بخلاف الحصر لانتفاء
هذه الدعوى فيه ولدقة مسلكه يحتاج الى تامل وافر والفلاح الشق ولذلك سمى الحارث فلاحا
المراد به الفوز لان من فاز ببغيته كانه انفتح فى وجهه كل باب خير وكل ما وافقه فى الفاء والعين دال
على معناه كفلق وفلذ وقد شيد شان المتقين بما لا مزيد عليه من طرق شتى ذكر اسم الاشارة
وتكريره وتعريف المفلحين وتوسط الفصل ترغيب للسامع فى انتهاج منهجهم لينال ما نالوا وفقنا
الله بفضله وكرمه ان الذين كفروا سنة الله تعالى فى كتابه العزيز ارداف قصة الابرار بالكفار و
بالعكس واتباع الوعد بالوعيد اذ بضدها تتبين الاشياء ولم تعطف الثانية على الاولى لتباينهما
غرضا واسلوبا لان الاولى مسوقة لوصف الكتاب بكمال الهداية وانه الموعود المتحدى بالجملة
والثانية لبيان حال الكفرة واصرارهم بحيث لا يجدى فيهم الايات والنذر والحكم فى الاولى على
الكتاب وفى الثانية على الكفار ولا يتفاوت هذا باجراء الموصول على المتقين واستينافه لان
الكلام المبنى على السوال الناشى من الاول متصل به معنى ولا يكون الموصول الثانى مبتدا مخبرا عنه
باولئك لان ذلك الوجه انما يحسن اذا قصد به التعريض بمن لم يومن بالقران من اهل الكتاب
وزعمهم انهم مومنون عند الله ولا مدخل لقصة الكفار فى ذلك الغرض والموصول كاللام
فى العهدية والجنس وفروعه يجوز ان يراد به ناس معدودون معروفون بالنفاق كعبد الله اذ
ابى واضرابه والجنس شامل لهم ولغيرهم والاخبار بالاصرار تخصصه بالبعض والكفر لغة الستر
وشرعا انكار شىء اعتبر وجوده فى الايمان وشد الزنار والقاء المصحف فى القاذورات انما
عد كفرا لكونه دليلا على خبث الباطن والنزاع بين اهل الحق والاعتزال انما هو فى اثبات
الكلام القديم القايم بذاته تعالى مع الاتفاق على حدوث اللفظ فلا وجه للرد عليهم بان ذلك
مقتضى التعلق وهو لا يستلزم حدوث الكلام سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم
السواء لغة العدل وعدم رجحان احد الطرفين قال تعالى فانبذ اليهم على سواء اسم للمصدر
يوصف به كقوله فى اربعة ايام سواء وما فى الاية اما خبر عما بعده مقدم عليه وعدم
التثنية لكونه مصدرا او خبر عما قبله مسند الى ما بعده اى مستوى عليهم انذارك وعدمه
والاول هو الوجه لان الغرض من الوصف بالمصادر المبالغة فى شان محالها كانها صارت
عين ما قام بها وانما صح وقوع الفعل مخبرا عنه لان الجملة فى معنى المصدر المضاف الى الفاعل
ميلا الى جانب المعنى كما فى لا تاكل السمك وتشرب اللبن والهمزة وام جردتا عن الاستفهام لمطلق
الاستواء لان اللفظ الحامل لمعنيين قد يجرد لاحدهما قال سيبويه جرى على حرف الاستفهام ما
جرى على حرف النداء فى قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة لانه جرد عن قصد الاقبال لمجرد
الاختصاص فان قلت اذا جردتا لمعنى الاستواء يؤول المعنى الى ان المستويين سواء قلت لا ضير
اذ المعنى المتساويان وقوعا سواء فى عدم النفع وانما قال سواء عليهم دون عليك كما فى قوله
سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون لان الانذار واجب عليه ينال به المثوبة العظمى فلا
بالنسبة اليه والانذار الابلاغ مع التخويف واقتصر عليه لانه الاهم سهل نافع وابن كثير وابو عمرو
الهمزة الثانية بين بين هنا وحيث وقع همزتا القطع متلاصقتين ووافقهم ابن عامر فى رواية هشام
فى المفتوحة وابدلها ورش فى رواية المصريين عنه الفا وما للتخفيف لان همزة القطع فى غاية
الشدة وفى بين بين قسط من الحركة قال قطرب هى لغة قريش وان لم تكن قياسية لكنها
اكثرت حتى اطردت والعجب من القاضى ممن زعم انه ناقل القراات ثم يطعن فى المتواتر بما

بما يحمله لا يؤمنون خبر ان ان قدر سواء خبرا مقدما ليكون الجملة اعتراضا وان جعل اسم فاعل لما بعده
فاعله تعين ان يكون لا يؤمنون بيانا او تاكيدا وهذا اوجه لان الاخبار بتساوى الانذار وعدمه
اقوى فى افادة الغرض المسوق له الكلام وهو بيان تمردهم فى الكفر فالشان ان يجعل عمدة لا ان الاعتراض
فى صورة المستغنى عنه ومنه ظهر ان الابدال ساقط لان المبدل اولى بالمقصود والشرط عكسه واما
جعله خبرا بعد خبر او حالا موكدة مما لا يخفى متانته وما علم الله تعالى عدم وقوعه او اخبر به ليس
التكليف به محالا بل النزاع فيما لا يكون متعلق القدرة الحادثة وان كان ممكنا واما المحال لذاته
لم يقل به احد وان جاز عقلا عند من لم يوجب لفعله غرضا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى
ابصارهم غشاوة استيناف دال على علة استواء الانذار وعدم الختم والكتم اخوان ولا ختم
ولا تغشية حقيقة بل المعنى على تشبيه احداث هيئة فى القلوب والاسماع مانعة من خلوص
الحق وقبوله بضرب الخاتم على الاوانى استعارة محسوس لمعقول بجامع عقلى هو الاشتمال على منع
القابل عما من شانه ان يقبله فسرت الاستعارة فى الفعل تبعا او تشبيه صورة منتزعة من
القلب والحالة الحادثة فيه المانعة من الانتفاع بالامور الدينية بصورة منتزعة من الشىء والختم
الوارد عليه المانع من الانتفاع بما فيه والالفاظ المنوية فى التمثيل كافية وان لم يستقم تقديرها
وقس حال الابصار مع الغطاء على القلوب والاسماع مع الختم وهذه الاشياء ونظايرها كاينة بخلق
الله وارادته اذ لا فتح لصنعه يخلق ما يشاء ويحكم ما يريد ومن لم يجوز ذلك اول فى مثلها تاويلات
الاول جعل اسناد الختم اليه تعالى كناية عن رسوخ بنو القلوب والاسماع وفرط التمكن حتى
كانه امر خلقى الثانى تمثيل قلوبهم بقلوب ختم الله عليها كقلوب البهايم او قلوب مقدرة ختم
عليها فالاسناد حقيقى ان كان الختم مجازا والتمثيل فى المجموع كما فى قولك اراك ايها المعنى
تقدم رجلا وتوخر اخرى الثالث ان هذه الاشياء من الشيطان والاسناد اليه تعالى اسناد
الى السبب لانه باقداره المسند ايضا مجاز كقوله اذا رد عافى القدر من يستعيرها الرابع ان الختم
مستعار لترك القسر والالجاء لانه لازمه وفيه اشارة الى تناهى طغيانهم وان لا سبيل الى ايمانهم الا القسر لولا ابتناء
التكليف على الاختيار الخامس ان هذا حكاية ما كانوا يقولون قلوبنا فى اكنة وفى اذاننا وقر ورد عليهم
زعمهم الباطل وانما ادخل السمع تحت الختم دون الغشاوة لقوله ختم على سمعه وقلبه ولان
ادراك كل منهما لا يختص بجهة والختم يمنع الوصول من الجهات والقلب هو العضو الصنوبرى ويطلق
على العقل كقوله لمن كان له قلب والسمع والبصر الجارحتان المعروفتان ويطلقان على الادراك بهما وعلى
نفس القوة المدركة وافراد السمع لانه مصدر فى الاصل واعادة الجار للدلالة على الاستقلال لمبالغة
وتنكير غشاوة للتنويع اى نوع غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامى عن ايات الله او التعظيم وارتفاعها على الابتداء عند سيبويه والفاعلية عند الاخفش وربما ايد بالعطف على الفعلية ولم يمنع ابا عمرو والكسائى
امالة الف ابصارهم الصاد المطبقة المستعلية لان فى الراء من صفات القوة ما يقاوم ذلك
وقيل لما فى الراء من التكرير وليس بشىء لان قولهم الراء حرف مكرر ليس معناه ان اللفظ يقع
مكررا بل معناه ان اللافظ يلصق لسانه بالحنك الاعلى لئلا يقع لحن بارتعاد ذلك فيحدث راءات
كذا عن امام النحو خليل بن احمد ولهم عذاب عظيم العذاب كالنكال وزنا ومعنى ومنه اعذب
عن الشىء نكل عنه وفى حديث على لما ارسل سرية اعذبوا عن ذكر النساء ومنه وصف الشراب بالعذوبة
لانه يقمع العطش كما يسمى قراحا لانه نقرة اى نكره والعظيم ما الاجانبه يستعمل فى الجثث والمعانى وكان
الحقير دون الصغير يكون العظيم فوق الكبير بحكم العادة لان الاشرف يقابل الاخس والحديث الالهى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى يدل على خلافه لان الرداء اشرف حالا من الازار ومن الناس من
يقول امنا بالله وباليوم الاخر هولاء المنافقون اهل الدرك الاسفل وهم اقبح الكفرة
ولذلك عطف قصتهم هو السكاكى لم يذكر هذا النوع من العطف منه على قصة الاحسين وفصل صفاتهم
الذميمة فى ثلاث عشرة اية وعطف القصة على القصة يكفيه التناسب فى الغرض ومن لم يهتد اليه

اشكل عليه مواضع من التنزيل واصل ناس لانهم يونسون اي يبصرون كما سموا بشرا لذلك يدل عليه
اناس واناس حذفت همزته تخفيفا وقيل من النوس وهو الاضطراب بدليل نويس الجواب انه تغيير النسب
كانيس ووزنه فعال لان الزنة في المحذوف والمبدل على الاصول لينتج به الى معرفة حصول الصيغ وبعكس
في القلبة لانه على اصله ولذلك يقال اصل ايس عمل واللام فيه للجنس وفايدة الاخبار بان ممن يقول كذا
من الناس التعجيب من شانهم وان تلك الصفات تنافي الانسانية ويجوز ان يكون مضمون الجار والمجرور
مبتدا كقوله الكاسي فمنهم لبوث لا ترام وبعضهم مما قمشت وضم حبل الحاطب او للتعدي ومن المصرين طائفة
كذا ولا ينافي ما ذكر من تثنية الكلام بالماحضين لان المنافقين لما افردوا باحوال واحكام كان المقصود
من ذلك الحكم المشترك بيان حال الماحضين ثم على الاول من موصوفة لان الجنس لا توقيت فيه فكذا
في ابعاضه وعلى الثاني موصولة وبالوجهين ورد التنزيل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
ومنهم الذين يؤذون النبي واليوم الآخر هو الابد الذي لا امد له او من وقت النشور الى ان يدخل
فريق في الجنة وفريق في السعير لانه آخر الاوقات المحدودة وذكره مع الله تعالى للدلالة على انهم امنوا
بالمبدا والمعاد واحاطوا بقطريه واما ل ابو عمرو الف الناس لكثرة الدور وما هم بمؤمنين والكسائي
رد لدعواهم على ابلغ وجه لان كونهم في عداد المؤمنين من لوازم ايمانهم فاخراجهم عن زمرتهم
نفي لايمانهم على طريق البرهان ولذلك زيدت الباء وقد دلت الآية على ان الايمان ليس مجرد القول
مع ابطال الكفر وفيه بطلان مذهب الكرامية يخادعون الله والذين امنوا الخدع ان توهم
غيرك خلاف ما تريد به لتوقعه في المكروه من حيث لا يدري ومنه ضب خادع اذا قبل الى الحارش
ثم خرج من نافقائه وفي الحديث يكون في آخر الزمان سنون خداعة اي يكون ذات انظار بلا
ربع ومعنى مخادعة المنافقين علام الغيوب ومخادعته اياهم ان من الجانبين معاملة شبيهة
بالخداع لان اظهارهم الايمان مع ابطان الكفر واجراء الله تعالى عليهم احكام المؤمنين وهم اهل
الدرك الاسفل وكذلك امتثال الرسول المؤمنين باجراء الاحكام عليهم صورته صورة
الخداع فيخادعون استعارة او لجهلهم بالله وصفاته اعتقدوا جواز ذلك فهو ترجمة معتقدهم
او ذكر الله توطئة تنبيها على قوة اختصاص المؤمنين به وقربهم منه حتى ان الفعل المتعلق بهم
يصح تعلقه به كقولك اعجبني زيد وكرمه مثل والله ورسوله احق ان يرضوه او نسب اليه تعالى
ما هو لرسوله على نمط المجاز العقلي لانه الناطق عنه ومبلغ احكامه او يخادعون بمعنى يخدعون
اخرج الى زنة المفاعل مبالغة لان الفاعل اذا قابله مقاوم توفرت دواعيه شوقا الى الغلبة كان لهم
في الخداع اغراض سلامتهم من القتل والاسر ونيل ما يناله المؤمنون من الغنائم واطلاعهم على
عورات المؤمنين واذاعة اسرارهم والقاء الاكاذيب المرجفة فقط بانتوهم ان نعير لا التلازم نفي
العلم بخلاف العكس منه ولذلك سماهم المرجفين في المدينة وما يخدعون الا انفسهم لان ضرر خداعهم
لا يتعداها ولا يحيق المكر السيء الا باهله او يخادعون انفسهم بالاباطيل الاماني وتمنيهم هي
ايضا امثالها فيخدع كل منهما للاخر ويحمله على ارتكاب اسبابها فان قلت النفس ذات الشيء
وحقيقته وحقيقة الخداع تقتضي فاعلين مختارين قلت يكفي في تصوير ذلك التغاير اعتبارا
ولو توهما او فاعل بمعنى فعل والاخراج الى المفاعلة لتلك المبالغة ويؤيده قراءة الكوفيين
وابن عامر يخدعون مقصودا وعليه الرسم ويطلق النفس على الروح وعلى القلب والدم والماء مجازا
وما يشعرون ان ضرر الخداع لا يتخطاهم والشعور علم يكتسب بالمشاعر والحواس الظاهرة
وفيه اشارة الى انهم اضل سبيلا من الانعام في قلوبهم مرض مستانف لبيان موجب
خداعهم وما هم فيه من النفاق ويجوز ان يكون تقريرا لعدم شعورهم الاولى لان لا يشعرون
سبيله الاعراض والمرض حقيقة فيما يعرض البدن ويخرجه عن الاعتدال وكان بهم الرياسة وفوات
اكل الرشى امرض قلوبهم او اريد به الاعراض النفسانية كالغل والحسد وساير الاخلاق المتولدة
من الكفر وسوء العقيدة فانها آفة في الادراك فزادهم الله مرضا بنصر رسوله وتسلطه في البلا

في البلاد وكثرة الفتوح او بانزال الآيات والسور فانهم ازدادوا كفرا بزيادة ما كفروا به
كما ازداد به المؤمنون ايمانا واسناده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا اسناد الى السبب
وعطف الفعلية على الاسمية للدلالة على ان ذلك المرض لم يزل غضا طريا وانه تسبب لازدياد
مرضهم المحقق اذ لولا تدنس الفطرة لازدادوا بزيادة امداد الاسلام ونزول الآيات شفاء وقد
ظهر ان حمله على الاخبار دون الدعاء هو الوجه ولهم عذاب اليم مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع
فهو وجيع وصف به العذاب مبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع وكقولك الم اليم ووجع وجيع بما
كانوا يكذبون بسبب كذبهم والتمام كان للدلالة على الاستمرار في الماضي والكذب هو الاخبار عن
الشيء بخلاف ما هو عليه وقبحه ليس ذاتيا فيحسن اذا كان فيه نجاة مظلوم وخص بالذكر من بين جهات
استحقاقهم تخييلا للحوق العذاب لاجله تنفيرا عنه وقرأ غير الكوفيين مشددا اي يكذبون الرسول ولم
يؤمنوا به ويجوز ان يكون مبالغة في الكذب كصدق في صدق او كثرة الفاعل كموت الابل فيرجع الى قراءة التخفيف
سوى ما يفيده من المبالغة او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم نظر وراءه كانه يكذب رايه لان المنافق
حاير متردد قال الله تعالى مذبذبين بين ذلك والمختار هو التشديد على كل وجه واذا قيل لهم لا
تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول امنا والاول اوجه لقربه ولافادته تسبب الفساد للعذاب
ويخلو عن تخلل البيان والاستيناف بين اجزاء الصلة او الصفة وان لم يكن اجنبيا وقد يؤيد الثاني بكون
الآيات على نمط التعديد قصدا الى اتصافهم بكل منها استقلالا ولئلا يفوت المبالغة في التنفير عن
الكذب بمشاركة غيره في التسبب للعذاب واما عطفه على ومن الناس يستلزم خروج هذه الصفة وما
بعدها من قصة المنافقين اذ على ذلك التقدير لا يحسن عود الضمير اليهم والافساد جعل الشيء فاسدا
اي خارجا عن اعتداله وانما جعلوا مفسدين ما في الارض لانهم كانوا يمالئون الكفار ويمالئونهم على
المسلمين ويحرفون الكلم من بعد مواضعه وذلك مما يهيج الحروب والفتن فيه فساد الدنيا والدين و
جعل ما كانوا فيه عين الفساد كانه قيل لا تاتوا بالفساد والقائل رسول الله او المؤمنون اذ لم يقع الله معهم
كلام ابتداء قالوا انما نحن مصلحون اي حالنا مقصور على الاصلاح لا يشوبه شيء من الافساد وانما
لادعائهم ان اصلاحهم بين مكشوف الا انهم هم المفسدون حرف تنبيه على تحقيق ما بعده وقيل مركب
من همزة الانكار ولا النافية فهي من مقدمات اليمين وطلائعه كان واللام يتلقى بهما القسم رد دعويهم ابلغ
رد بان حصر حالهم في الافساد ولا حظ لهم في الاصلاح قلبا لدعواهم وتوسط ضمير الفصل لتوكيد الحصر المستفاد
من تعريف الخبر والاوجه حمل اللام على الاتحاد والضمير لتوكيد نسبة الاتحاد كما في هم المفلحون ولكن لا يشعرون
سبق تحقيقه واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس سلكوا معهم سلوك المرشد مع الطالب المسترشد وانما كان
الوجه لان المقام مقام المبالغة ودعوى الاتحاد اقوى من دعوى القصر منه سد نهوهم عن الفساد وارتكاب الرذائل ثم
امروهم بالاتصاف بالايمان الذي هو اساس الحسنات تحلية بعد التخلية اللام للعهد والناس رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم لانهم مقابلوهم في الايمان وعبد الله بن سلام واشباعه
لانهم مع تلك المقابلة غائظون لهم بالايمان حاضرون في الاذهان او للجنس اي الكاملون في الانسانية
كان من عداهم ليس بانسان كما في ذلك الكتاب وقوله اذ الناس ناس والزمان زمان واسناد الفعل
الى الجملة في قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا وقوله واذا قيل لهم امنوا والاسناد من خواص الاسم
لان اقسام الكلم متساوية الاقدام في الاسناد الى لفظها وما اختص به الاسم هو الاسناد الى معناه نحو
قام زيد فالمسند اليه من اللفظ باعتبار المعنى وانما لم يتعرض النحاة لبيان هذا القسم من الاسناد لانه يعلم
حاله بالمقايسة او لان ماله ذلك لان قولك ضرب فعل ماض واذا قيل لهم لا تفسدوا واي هذا القول
قالوا انؤمن كما امن السفهاء السفه الخفة في الرأي واللام للعهد اشير به الى الناس السبق ذكرهم
او للجنس ويدخل فيهم المجازى ذكرهم لانهم اعرق الناس في السفه عندهم اما لدنس فطرتهم
برد الحس قبحا كالمريض المختل ذائقته يجد الحلو مرا او قالوه تجلدا وعدم مبالاة بمن فارقهم من
شيعتهم وما في الموصوفين مصدرية او كافة الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون لاعتقادهم

الباطل حقا مع جلاء برهانه وانما فصل الاول بنفي الشعور وهذه بنفي العلم لان امر الديانة يحتاج
الى تامل في تمييز الحق عن الباطل ولا كذلك الافساد في الارض وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا
ليس من التكرار في شيء لان قوله ومن الناس من يقول آمنا لبيان معتقدهم وادعائهم حيازة الايمان
من الجهات وما هم منه في شيء وهذا لبيان سلوكهم مع المؤمنين ولو لم يكن الغرض ذلك لم يلزم التكرار
ايضا لان المعنى ومن الناس من يتلفظ بالايمان نفاقا للخداع ثم اشار الى ان ذلك عند لقاء المؤمنين
للحاجة استهزاء وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ من خلوت بفلان واليه اذا انفردت به ومنه خلاك الذم اي
مضى وانفرد او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء شياطينهم شطارهم
الذين ماثلوا الشياطين في التمرد والشيطان فعلان من شطن اي بعد لبعده عن الخير والصلاح او من
شاط اي بطل فالنون زائدة قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ قلبا واعتقادا اثر وفي مخاطبة اخوانهم الاسمية مؤكدة
بان لانهم في ذلك على صدق رغبة ونشاط وكمال ارحية وهو رائج منهم ومع المؤمنين الفعلية
لانهم لم يكونوا سابقا موسومين بذلك فلم يروج منهم لو ادعوا غير احداث الايمان ولم يكن
ايضا صادرا عن ارحية كما ترى من يتكلم بكلام تكلفا إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ تاكيد لانا معكم
لان الاستهزاء بالاسلام دفع له على ابلغ وجه ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته وازالة ما عسى
يتوهم من تجوز وقيل انا معكم قلوبا يلزمه ان قولنا آمنا عند لقاء المؤمنين ليس على حقيقة
فقولهم انما نحن مستهزئون توكيد لذلك اللازم والاول اوجه لان التاكيد يكون للكلام
لا للوازمه او بدل لانه اوفى بالمقصود وهو التصلب في الباطل او استئناف لظهور ورود السؤال
كانه قيل كيف تكونون معنا مع قولكم للمؤمنين آمنا والاستهزاء الاستخفاف من الهزء
وهو القتل سريعا اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ الاستهزاء من باب التخريب والعبث ولا يليق ذلك بالحكيم
فالمراد منه انزال الهوان وتحقير شانهم لان ذلك غاية فعل المستهزئ وغرضه الذي يرمي
اليه اهل النفاق والعلاقة الشبه الصوري والعدول عن الحقيقة للاشارة الى ان مداهنتهم
حقيق بان يسخر منها الساخرون وانما لم يعطف لان ما حكي عنهم من شناعة ما ارتكبوه
مما يحرك كل سامع ان يقول من هذا شانه ما مصير امره وجد ربائهم الله لا اله على ان المؤمنين
عنده بمكان وهو الذي يتولى مجازاة اعدائهم مع الاشارة الى ان استهزاء المنافقين مضمحل في جنب
استهزائه لصدوره عمن يضمحل كل شيء تحت قدرته ومن قال سمي جزاء الاستهزاء استهزاء لكونه
مماثلا له في القدر ثم قال لا يؤبه باستهزائهم في مقابلة ما يفعل الله بهم فقد تناقض كلامه
واختار المضارع للدلالة على تجدد الفعل واستمراره وكذا كانت نكايات الله ولا يزال الذين كفروا
يصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ مد الجيش
وامده اذا زاده وليس من المد في العمر لانه تعدى باللام والحذف والايصال خلاف الاصل
وما روي عن ابن كثير يمدهم بضم الياء يدل عليه والطغيان مصدر طغى تجاوز عن الحد واضافه
اليهم كاضافة الحسن الى زيد في قولك اعجبني حسن زيد فلا يدل على انه ليس بخلق الله وارادته
واشار طريق الابهام والتعبير لا له على اضافة كثرة الاسباب والعمه في البصيرة كالعمى في البصر
أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى تعليل لاستحقاقهم الاستهزاء الابلغ والمد في الطغيان
او اعتراض مقرر لمدهم في الطغيان ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى استبدالها به على سبيل
الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه قوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا
والمراد بالهدى تمكنهم منه او ان التكليف وتيسر الاسباب او الفطرة التي فطروا عليها لانها
اساس الهدى والضلال الجور عن القصد استعير للذهاب عن الصواب في الدين فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ
اي خسروا في ذلك الاستبدال لان راس مالهم الذي هو الهدى استبدلوا به ما يضاده وهو
الضلال الخاسر ولم ينالوا ما نال ولان من لم يسلم له راس ماله لا يوصف بالربح ولما استعار
الاشتراء للاستبدال المذكور رشحه بذكر الربح تزيينا للاستعارة لان مبناها على تناسي التشبيه وذكر روادف

روادف المشبه به وتوابعه ليشد من اعضاده الا ترى الى قوله ولما رايت النسر عز ابن داية و
عشش في وكريه جاش له صدري لما استعار لفظ النسر للشيب وابن داية للشباب كيف رشحه
بذكر التعشيش والوكر فان قلت نفي الربح عن التجارة حقيقة الا ترى انك لو قلت ما ربحت
التجارة بل التاجر لم يكن منك مجاز وكذا قولك ما صام النهار فما وجه قول من يقول ان
الاسناد فيه مجاز قلت جعل عدم الربح كناية عن الخسران وان كان اعم منه نصر بحاله تفا
مقصود التجارة وهو الربح مع حصول ضده بخلاف ما لو قيل خسرت تجارتهم وكذا كل فعل نفي
عن غير فاعله كقولك ما صام النهار وما نام الليل ان جرى على ظاهره كان حقيقة وان اول
بفعل آخر ثابت للفاعل كافطر وسهر كان مجازا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ليس المراد منه عدم الاهتداء في
الدين ليكون تكرارا بل تقرير للترشيح وتشييد لاركانه بان هؤلاء الذين خسروا في التجارة لم يكونوا
داخلين في زمرة البصراء بالامور ويجوز عطفه على اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
من تمام التعليل مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا المثل في الاصل بمعنى النظير نقل الى قول
مثل مضربه بمورده ولا يضرب مثلا الا ما فيه غرابة ثم استعير لكل شان فيه غرابة وللامثال في كشف الحقائق
واظهار الخفايا شان لاراءته المعقول في صورة المحسوس والمتخيل متحققا ولذلك كثر في كلام الله وكلام
الحكماء والبلغاء والجملة مقررة لقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة او الجملة قصة المنافقين والذي وضع
موضع الذين لكثرة وقوعه لكونه وصلة الى وصف كل معرفة واستطالته بالصلة ولان الذين ليس جمعا
لحقيقته بل زيد الياء والنون للدلالة على الزيادة الا يرى الى وجودهما في الرفع او قصد جنس المستوقد
او بعد والفوج ونحوه على ان التشبيه ليس للذوات حتى يشكل واشتقاق النار من نار ينور اذا تحرك واضطرب
وهو هذا الجسم اللطيف المعروف والنور ضوءها فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ عطف على استوقد والاضاءة
فرط الانارة متعد والموصول مفعوله او لازم مسند الى ما والتانيث لان ما حوله اماكن او مسند الى
ضمير النار وما مزيدة وحوله ظرف لغو او موصوله مع صلتها مفعول فيه والاول اوجه لان الثاني يقتضي
ذكره في لان حذفه عن لفظ مكان لكثرته ولا كثرة في الموصول فان قلت اذا كان الفعل لازما مسندا
الى ضمير النار يلزم وجود حول المستوقد حتى يتصور اضاءتها فيها قلت النار وان لم توجد فقد وجد
ضوءها فالاسناد الى النار اسناد الى السبب كما في بنى الامير المدينة وتاليف الحول للدوران والاطافة
ومنه الحول للعام وحال الشيء واستحال وحال الانسان لعوارضه ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ جواب لما جمع الضمير
مع توحيده في استوقد وحوله بالنظر الى اللفظ والمعنى والغرض تصوير حال المنافق فلا وجه لما يقال ان
المستوقد لم يفعل ما يستحق به اذهاب نوره وقيل مستانف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم
حال المستوقد والجواب محذوف اي حمدت نارهم او طفئت حذف ايجازا او مبالغة في سوء حال المستوقد
بالابهام لكونه منفصلا بصلته لو ذكر الجواز والضمير للمنافقين في هذا الوجه والاول اوجه لان ذهاب النور بدل
الملائم مع الاستيقاد ولان المبالغة في المشبه به يستلزم المبالغة في المشبه ضمنا ولان كونه من تمة التمثيل
الاول يوجب مطابقة التمثيل الثاني لاشتماله على مبالغة مع ان الاستيناف لا وجه لان نسب تماثلهما
لهم قد علم ما سبق وقيل بدل من جملة التمثيل على وجه البيان اشارة الى ان المبدل منه ليس في حكم
السقوط وفيه فوات المبالغة في حذف الجواب لاستدعائه ان يكون اوفى من المبدل منه وانما وصف
النار بالاضاءة اولا لما تقرر ان الباطل له ضوء ثم يضمحل كنار العرفج ويحتمل ان يراد النار المجازية كالفتنة وعدوا
الاسلام والوصف بالاضاءة ترشيح للمجاز وايثار الباء على الهمزة لدلالتها على المصاحبة والتصوق وما
يمسكه الله فلا مرسل له وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ ترك الشيء طرحه يتعدى الى مفعول واحد وقد يضمن معنى التصيير
فالى مفعولين كقول عنترة العبسي فتركته جزر السباع ينشنه ومنه في الاية لان اصله هم في ظلمات والظلمة
عدم النور وقيل عرض نطاده واصلها المنع من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد
البصر وتمنع وهذا ما يعتقده الجمهور فلا يراد ان العدم لا يكون مانعا ظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق
وظلمة يوم القيامة وظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب او ظلمة شديدة كانها ظلمات كما في الحديث الظلم

ظلمات يوم القيمة وان عاد الضمير الى المستوقد فالظلمات ظلمة الليل منضما الى ظلمة الغمام وتطبيقه **لا يبصرون**
اى ليس لهم ابصار راسا فلا يقدر له مفعول لفوات المبالغة واعلم ان الاية يجوز ان يكون تمثيله
تشبيها مفرقا وذلك ان المستوقد سعى فى ايقاد النار وكدح فى احيائها وحصل على طرف من الاضاءة
المطلوبة ثم انطفات وزالت بالكلية سريعا فبقى حايرا فى ظلمات كالاعمى وكذلك المنافق اظهر كلمة
الايمان وحصل بها منافع الامن والامان فقهره الله بالموت وصيره الى ظلمات متراكمة فان
لوحظ فى كل واحد من الجانبين هيأة وحدانية ملتئمة من تلك المعانى تشارك الاخرى فى هيأة
منتزعة منهما لحصول تباشير المقصود وقوة الرجا والوقوع فى حيرة الحرمان والخيبة كان
تمثيلا وان قصد تشبيه كل واحد من تلك المعانى بما يناظره كان تشبيها مفرقا والاول اوجه
لما فى تشبيه الهيأت من جزالة المعنى والخلو عن التكلف فى تطلب وجه الشبه فى كل متناظرين
لاسيما اذا كان ذكر المشبهات مطويا ولان لفظ المثل يتبادر منه القصة الغريبة كالمثل السابر
وهى الهيأة المركبة دون كل واحد **صم بكم عمى** ترقى فى بيان حال المنافق التمثيل المذكور
الى ما لا ابيان فوقه فى الخزى اعطا للمقام حقه وسواء جعل ذهب الله بنورهم جواب لما اولا فا
لمبتدا المقدر ضمير المنافقين كانت حواسهم سليمة ولكن حيث لم يصغوا الى الحق ولم ينطقوا به
ولم ينظروا فى الافاق والانفس كانهم فاقدوها وتقديم الصمم على البكم بين لان تلقى الايات
من الشارع مقدم على ذكرها والنطق بها واما تاخير العمى فلا يشمل لعمى القلب وهو معقول
صرف ما سبق التاخر الا يرى الى قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما
لما اريد به رؤية البصر كيف قدم دلالة على ان المحشور اشد ما عليه فقد البصر ثم البكم لئلا
يتحير بمغيث وهو من التشبيه البليغ الذى حمل فيه المشبه به على المشبه مع حذف الاداة ووجه
الشبه وليس من الاستعارة فى شئ لان شرطها كون الكلام خاليا عن ذكر المستعار له لفظا
او تقديرا وبحيث يجوز ان يراد بالمشبه به معناه الحقيقى لولا القرينة وذلك لان مبنى
الاستعارة على تناسى التشبيه ولاجل ذلك كانت المرشحة اقوى اقسام الاستعارة فان قلت
قد ذكروا ان قول الشاعر قد زر ازراره على القمر من الاستعارة مع ان الضمير المجرور عايد الى المشبه
قلت المراد من طى المشبه ان لا يذكر على وجه الحمل فلا يأبى ذكره على وجه آخر لانه لا يقدح فى التناسى
المطلوب **فهم لا يرجعون** نتيجة قوله صم بكم عمى وذلك لان فاقد الحواس لا يتصور منه رجوع
او كصيب من السماء او فى الاصل للتساوى فى الشك ثم اتسع فيه فاطلق للتساوى من غير
شك نحو جالس الحسن او ابن سيرين وهو عطف على كمثل الذى استوقد نارا اى كمثل ذوى صيب
لقوله ويجعلون اصابعهم فى آذانهم والمعنى قصة المنافقين شبيهة بهاتين القصتين بايتهما شبهت
فقد اصبت وكذا ان جمعت والصيب فيعل من صاب المطر نزل وقيل هو السحاب قال الشماخ واسحم
وان صادق الرعد صيب ولما بالغ فيه مادة وبناء وتنكيرا والا على التهويل كتنكير النار فى التمثيل
الاول ايده بتعريف السماء الدال على العموم وشمول الافاق لان كل افق يسمى سماء قال ومن بعد
ارض بيننا وسماء اى قطع ارض وقطعة سماء اذ لا يتصور ان يكون بينه وبين الحبيبة بعد
فلذلك ذكرهما اذ لا ذكرتهما جميع الارض والسماء وان اريد به السحاب فالمراد انه مطبق اخذ
بافاق السماء **فيه ظلمات** اى فى الصيب فان اريد به المطر فالظلمات ظلمة تكاثفه وتتابع
قطره واظلال غمامه وظلمة الليل او السحاب فظلمة سحمته وتطبيقه وظلمة الليل وارتفاع بالظرف
لاعتماده على الموصوف **ورعد وبرق** الرعد صوت شديد يحصل من اصطكاك اجرام السحاب
يتولد منها باذن الله نار لامعة هى البرق لبريقه ووقوع المطر ظرفا لهما لوجود الملابسة لكونهما
فى اعلاه ومصبه كقولك زيد فى البلد وان كان فى طرف وسمى منه لا ظرفيه الحقيقية وهى كون
الشئ مكانا لآخر غير مراده وان كان الظرف السحاب لانهما عرضان والتمكن من خواص الاجسام
وانما لم يجمعا لانهما مصدران فى الاصل وجاءت منكرات على قياس تنكير النار والصيب اى ظلمات

١٠

اى ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف **يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق**
كلام مستانف كانه قيل كيف حالهم مع ذلك الرعد والبرق فقال يجعلون اصابعهم
فى آذانهم والمجعول فى الآذان وان كان رؤس الاصابع الا ان فى اطلاق الكل وارادة الجزء
من المبالغة الدالة على انهم لو قدروا على ادخالها بكمالها لفعلوا والصاعقة قطعة نار فى غاية
الحدة تنفصل من السحاب اذا اصطكت اجرامه لا تمر بشئ الا احرقته ولذلك اشتق لها هذا الاسم
من الصعق وهو الهلاك كقوله وخر موسى صعقا ومن فيه ابتدائية فيها معنى العلية **حذر الموت**
علة ليجعل المعلل وكلاهما باعث غير غرض والموت عرض يضاد الحيوة لقوله خلق الموت والحيوة
وقيل عدم الموت والخلق بمعنى التقدير على ان عدام الملكات مجعولة عند المحققين **والله
محيط بالكافرين** اعتراض دال على ان الحذر غير نافع ووضع الكافرين موضع الضمير ليظهر
استحقاقهم شدة الامر على طريقة قوله اصابت حرث قوم ظلموا والمراد بالكافرين المنافقون
وانما وسطت حالهم بين احوال المشبه به والقياس تقديمها او تاخيرها اشارة الى شدة
الاتصال بين المشبه والمشبه به ودلالة على فرط الاهتمام بشان المشبه والاحاطة مجاز عن
شمول قدرته وعدم الفوات على نمط الاستعارة التبعية او شبه حالهم معه بحال المحاط
على انها تمثيلية ولا يتصور اجتماعهما لتنافى اللوازم لاستلزام التبعية البساطة والتمثيل التركب
يكاد البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه قيل فما حالهم مع الرعد وصواعقه فما حالهم مع البرق
والخطف الاخذ بالسرعة **كلما اضاء لهم مشوا فيه** استيناف ثالث جواب لمن يقول كيف يصنعون فى تارتى
خفوق البرق وخفيه وفيه بيان شدة الحال على المنافقين وتحيرهم بطريق التشبيه فاذا خفق البرق
مشوا خطوات يسيرة مع خوف خطف الابصار **واذا اظلم عليهم قاموا** واذا خفى وفتر لمعانه وقفوا
وانما اتى بكلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام لان الاضاءة مطلوبة لهم وهممهم معقودة بها ولا كذلك
الاظلام والمشى يقابله الوقوف وانما قابله بالقيام للدلالة على انهم حال فتور البرق قيام ينتظرون
الخفوق واظلم جاء متعديا ولازما نقله الليث واللزوم اكثر استعمالا **ولو شاء الله لذهب
بسمعهم وابصارهم** عطف على مجموع الجمل الاستينافية لان المعنى لو شاء الله ان يذهب اسماعهم
بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وكلمة لو لمجرد ربط الجزاء بالشرط من غير دلالة على انتفاء
احدهما لانتفاء الآخر فهى بمنزلة ان ويجوز ان يكون على اصلها دالة على ان الرعد والبرق بلغا مبلغا
لم يحتاجا فى ازالة الحواس الا على مجرد تعلق المشيئة ومفعول المشيئة كثر حذفه لدلالة الجواب عليه
اذا كان مستغربا غير مالوف كقوله ولو شئت ان ابكى دما لبكيته فلم يكتف بحذفه لعدم القرينة لاحتمال ضد
المقصود واعلم ان هذا التشبيه ابلغ من الاول لانه ادل على فرط الحيرة ونهاية شدة الامر
لذلك اخره تدرجا وهو كالاول يحتمل التفريق بان يشبه دين الاسلام الذى به الحيوة الابدية بالصيب
ولما كان على وجه الخداع اوجب الهلاك كما اوجب الصيب وان كان رحمة هلاك هؤلاء المستحقين
وشبه الكفار بالظلمات لان الظلمة سبب حيرة ذوى الصيب كما ان شبه اهل حيرتهم وزيادة
ضلالهم وكل واحد من الرعد والبرق شبه به وعد المؤمنين ووعيد المنافقين وما يصيب الكفار
من الافزاع والبلايا من جهة اهل الاسلام بالصواعق ونفاقهم حذرا من نكايات المؤمنين واطلاعهم
عليهم بجعل الاصابع فى الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدرالله شيئا واما قوله
يكاد البرق يخطف ابصارهم وما بعده من تتمة الرعد والبرق زيادة فى تصويرهما واطنابا فى
شرح الوعيد لان الكلام بالانشاد فيه هذا والقول الحق والمذهب الجزل كما اشير اليه سابقا
جعله من التشبيه المركب فانك اذا تصورت حال اخذته السماء فى ليلة تكاثف ظلمتها بتراكم السحب
وانساجها وقطراتها الرعود الهائلة والبروق الخاطفة والصواعق المخيفة وهم فى ذلك يزاولون غمرات
الموت حصل فى نفسك حالة تعرفك حال المنافقين على وجه يتقاصر عنه تشبيه تلك المفردات
بمقابلاتها بحيث لا يبقى لك مجال الريب **ان الله على كل شئ قدير** دليل على انه لو شاء لذهب

من الاهون الى الاغلظ

بهم لانه شي من الاشيا داخل تحت هذا العموم والشي وما يراد فه اعم وجودا من كل اعم كما ان
لفظ الله اشد خصوصا من كل خاص والمعدوم ليس شي بمعنى انه لا تقرر له ولا ثبوت بدون الوجود
والمعتزلة قالوا به في المعدوم الممكن ولغة يطلق على كل ما امكن ان يخبر عنه ويتصور حتى المحال وهذا هو
المناسب للمقام ويخرج عنه المحال بقرينة العقل كخروج الواجب عن قوله والله خالق كل شي ولا حاجه
الى ان يقال كل ما شاء الله فهو موجود في الجملة لانه قيل تعلق القدرة والمشيه وحين التعلق ليس بموجود
ولا بشي وبعده لا تعلق للقدرة والمشية والقدرة حقيقة يقتضي الممكن من الايجاد وليست نفس التمكن ولا نفي
العجز عنه والقادر هو الذي ان شا فعل وان لم يشا لم يفعل والقدير كامل القدرة المبالغ نهاية القوة
ولذلك لم يوصف به غير الله يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ لما ذكر الفرق وعقايدهم ونتايج اعمالهم
ورغب ورهب بما لا مزيد عليه اقبل عليهم مخاطبا ليزيل مرارة التكليف بلذة الخطاب كما هو داب
السيد الرؤف وباحرف ينادي به البعيد ونداء الله به عباده وهو اقرب من حبل الوريد لاظهار الكبريا
وبعد مقام الربوبية ونداء العبد به مولاه لاستقصار نفسه عن مقام القرب واي اسم مبهم جعل وصله
الى نداء ذي اللام لعدم جواز اجتماع اداتي التعريف والحقهما الها عوضا عن المضاف اليه لكونه
اي لازم الاضافة ونداء الله رسله وساير عباده بهذا لان اوامره وتوابعها امور عظام من حقها ان
يقبل عليها المنادي بشراشره والنداء على هذا الوجه مستقل باوجه من التاكيد تكرير الذكر والايضاح
وبعد الابهام وكون اللفظ موضوعا للبعيد والحاق حرف التنبيه والناس اسم جمع للجموع واسما وها
المحلاة للعموم حيث لا عهد علم ذلك من موارد الاستعمال فيعم الموجود وقت النزول لشرايط التكليف
ومن سيوجد لبقاء شرعه الى اخر الدهر وعموم مقتضى خطابه وما روي عن علقمة والحسن ان يا ايها
الناس مكي لم يصح نقله مع الاتفاق على ان السورة مدنية ولو صح لم يقدح في عمومه والعبادة المامور
بها اعم من فعل القلب والجوارح فيتعين بحسب المخاطب كما تقول لجماعة احدهم لا يصلي والاخر لا يصوم
والثالث لا يحج اعبدوا الله وان خصت بفعل الجوارح فالمؤمن مامور بزيادتها والكافر بايقاع الشرط
اولا ثم بالمشروط ثانيا لان الامر بالشي امر بما لا يتم الا به كالمامور بالصلوة فانه مامور بالوضوء
وايثار الرب بين اسماء الحسنى للدلالة على ان الامر بالعبادة تربية وايصال الى الكمال وان كان
شاقا على النفس وقيل لان الموجب للعبادة هي التربية الَّذِي خَلَقَكُمْ صفة مادحة لانه الرب المتفق
على الوصف بين الفريقين وكذا ان خص الخطاب بالمشركين لانه رب الارباب ويجوز ان يكون مخصصه
لاطلاقهم الرب على الهتهم والخلق هو الايجاد على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وَالَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ من الامم وفيه تغليب لانه موضوع لجمع الذكور العقلا لتناوله غير الاناث فضلا عما يتقدمه
بالذات او بالزمان ولو جعل متناولا لا لغير العقلا ايضا تغليبا فلا معنى للتقدم ذاتا وقراءة زيد بن
علي من قبلكم على ان من موصوله فيكون تاكيدا بالمرادف او موصوف خبر مبتدا والجملة صلة الذين لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ لعل موضوع الانشا توقع مرغوب ويسمى ترجيا او مرهوب ويسمى اشفاقا وكل منهما اما راجع الى
المتكلم وهو الاصل لان المعاني قايمة به او المخاطب لانه متلبس بالكلام تلبسا تاما وقد يرجع الى غير
هما فمن الاول لعل زيدا يكرمني ومن الثاني فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ومن الثالث قوله
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي بلغت من الحرص على ايمانهم مبلغا يرجون ان تترك بعض
ما يوحى اليك وقد جاءت في كلامه تعالى للاطماع على داب الملوك في المواعيد المقطوع بانجازها من
الاقتصار على لعل وعسى دلالة على انه لا فرق بين الجزم وغيره في كلامهم مع الايما الى انه لا ينبغي الاتكال بل
على العباد الاجتهاد وما في الاية ليس من تلك المعاني في شي لان الرجاء من علام الغيوب المطلع على عواقب الامور
محال وكذا من المخاطبين لان حال خلقهم لا شعور لهم بالتقوى ولا مجال للاشفاق وكذا للاطماع
لان التقوى من افعالهم شاقة عليهم فهي مجاز عن الطلب لانه لا يستلزم حصول المطلوب او عن
ترتب الغاية على ما هي ثمرة له لان تعليل افعاله بالحكم والمصالح بمعنى انها نهاية كمالية افضى اليها فعل
الحكيم تعالى هو الحق الذي لا مرية فيه وانما المنفي عن فعله هو الغرض الباعث الذي لولاه لم يقدم

لم يقدم على الفعل على ان طايفة من الاصحاب قد جوزت ذلك فان قلت بلا حمل على ترجي العباد متعلقا
باعبدوا اي اعبدوه راجين وصولكم الى التقوى التي هي اعلى مراتب العبادة او بخلقكم على انه حال مقدرة
اي خلقكم مقدرا رجاءكم للتقوى كما في قوله وبشرناه باسحق نبيا اي مقدرا نبوته قلت لان تعلقه باعبدوا
يستلزم توسط الحال من فاعله بين وصفي مفعوله فان الذي جعل لكم الارض فراشا صفة لربكم معنى
وان رفع او نصب على المدح واما تقدير الرجاء حين الخلق ففيه ان المقدر اذ ذاك هو التقوى لقوله وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولان كثيرا من الناس لا يخطرون التقوى بالبال فضلا عن رجائها فكيف
تقيد الخلق بتقدير الرجاء والاية دلت على ان الطريق الى معرفته تعالى هو النظر في الانفس والافاق وان
العبد وان بلغ نهاية الامر وهي التقوى لا يستحق اجرا على مولاه لان النعم السابقة تفوق عمله فهو عاجز عن
شكر بعضها بل التوفيق للشكر نعمة اخرى يقتضي شكرا اخر وهلم جرا اذا كان شكري نعمة الله نعمة مجددة
كيف السبيل الى الشكر الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا اشار الى بعض اصول النعم وقدم الارض لان وجود
الممكن بدون المكان بديهي الاحالة وجعل يكون بمعنى صار وبمعنى خلق نحو جعل الظلمات والنور وبمعنى
صير كما في الاية ومعنى الفراش كونها لينة مبسوطة تصلح للقعود والنوم عليها وكونها ان تثبت لا ينافي
الفراش لانها لعظم جرمها الجوانب البارزة لا تخرجها عن الكرية وَالسَّمَاءَ بِنَاءً قبة مضروبة عليكم اسم
جنس يقع على الواحد والمتعدد وقيل جمع سماءة والبنا مصدر سمي به المبني قبة او بيتا او خباء ومنه
بنى على امراته لانهم كانوا اذا اعرسوا بنوا عليها قبة وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
رِزْقًا لَكُمْ ايجاد الاشيا بقدرته تعالى لكن جرت عادته بربط بعض الاشيا باسبابها من ذلك جعل
الماء سببا لما يخرج من الارض من الثمار والحبوب وساير انواع النبات كقوله فاخرجنا به انواعا من نبات
شتى بان اودع في الماء قوة فاعله وفي الارض قوة قابله وله تعالى في ذلك الجعل ونقل الاشيا في
الاطوار مدرجا لها من حال الى حال حكم وعبر للنظار بعين الاعتبار والاستبصار ومن تبعيضية لشهادة
النظاير فاخرجنا به من كل الثمرات فاخرجنا به ثمرات ولان المكتنفين به منكران وهما الماء والرزق
ولانه الواقع اذ لم يخرج بالماء المنزل كل الثمرات وكم من ثمرة بعد في خبر الامكان وكذا المنزل بعض الماء
فالمعنى اخرج لكم شيئا من الثمرات لاجل ان يرزقكم فرزقا مفعول مطلق لاخرج لانه بمعنى رزق ولكم
ظرف لغو ويجوز ان يكون بمعنى المرزوق نصبا على الحال وان يكون بيانا فرزقا مفعول به لاخرج على
ان المراد به العين ولكم ظرف مستقر صفة ومن الثمرات بيان له مقدم فصار حالا اي اخرج مرزوقا
لكم هو الثمرات ولا فرق بين جمع القلة والكثرة اذا عرفا في مقام الاستغراق على انهما يتناوبان
كما في كم تركوا من جنات وثلثة قروء ولا سيما والثمرة اريد بها الكثرة لا الوحدة كقولك ادركت ثمرة
بستان فلان فيكون ابلغ ولا اقل من المادة فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا متعلق باعبدوا لان العبادة
شاملة للتوحيد كانه قال امركم بالعبادة فلا تشركوا به شيئا لان اصل العبادة واساسها
هو التوحيد وقيل نهي معطوف على الامر ويرد عليه ان الاولى الواو بدل الفا كقوله واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا وقيل نصب بتقدير ان وليس بشي لان شرط كون الاول سببا للثاني والعبادة
لا يكون سببا للتوحيد الذي هو اساسها او نصب بلعل انتصاب اطلع به في قوله لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانما يصح باعتبار صورة لعل لانه مجاز عن الطلب كما صح نظيره
في ليت بدون التمني كقولك لمن تمكث به ليتك تحدثني فيفرح شمي وهذا معنى حسن الاشمال على التنبيه
على تقصيرهم وان المطلوب منهم في صورة المرجو المتمنى او بالذي جعل اذا قدرته خبر مبتدا كانه قيل
هو الذي حفظكم دلايل التوحيد فلا تشركوا به واما اذا نصبت على الاختصاص فلا اذ لا معنى
لقولك اعني الذي جعل كذا وكذا فلا تشركوا به وكذا ان جعل وصفا والند هو المثل المخالف
المنادي من ند البعير اذا شرد فهو كالضد لفظا ومعنى والمشركون لم يدعوا في الاوثان الا
ستقلال بالالوهية بل كان زعمهم انها شفعاؤهم عند الله ولكن لما سموها الهة وعظموها بالتقرب
اليها وتعفير الجباه لها واثبتوا لها الضر والنفع اشبهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة

بالذات لها خواص الالوهية فتهكم بهم وشنع عليهم بانهم اثبتوا لمن لا ند له اندادا وفي ذلك قال موحد
الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا انقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل البصير **وانتم تعلمون** حال من فاعل فلا تجعلوا والمفعول متروك نسيا اي
والحال انكم من اهل العلم والمعرفة لا يبلغ عنادكم او تجدوف اي وانتم تعلمون ان هذه الجمادات لا تماثله
ولا تصلح للالوهية والاول ابلغ دلالة على الوجهين الغرض منه التوبيخ لا تقييد الحكم فان العالم والجاهل
سواء في توجه التكليف هذا وفي ايات الافاق اشارة الى تفصيل ما اجمل من خلق الانسان في خلقكم
فان الارض مثال للبدن والسما للنفس والماء للعقل والثمرات للفضائل النظرية العملية الحاصلة من استعمال
العقل الحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية ولما قرر له الصانع والتوحيد بايات الافاق
والنفس على وجه دلت على ثبوت صفات الكمال ونعوت الجلال افاض الى تقرير اثبات نبوة رسوله ومبلغ
احكامه الداعي الى توحيده بقوله **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة** معجزاته وان
فاتها الاحصاء كثرة الا ان القران اعظم معجزاته لكونه باقيا على وجه الدهر الى اخر الزمان مع انبائه
عما كان وما يكون وهو ادفع للريب واوحض للشبه لانه لسان من تحدى به فارشدهم الى كيفية تعرفهم
حاله هو من عند الله كما يدعيه او من عند نفسه كما يزعمون بان يجربوا قواهم في الاتيان بمقدار قصر سورة
منه لانهم اهل جلدة المتكلمين بلغته فاذا عجزوا عن اخرهم ظهر انهم كابروا وخالفوا مقتضى العقل كما
جحدوا التوحيد هوى وعنادا وانما اثر التنزيل على الانزال لانه منشأ قدحهم ومحل ارتيابهم حيث
جاء على نمط خطبهم ورسائلهم واشعارهم وقالوا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فقيل لهم ان
ارتبتم فاتوا بافل نجم منه فانه ايسر عليكم فالذي انحدوع ريبة قادحة جعل ذريعة الى كونه حقا
لا يحوم حول حماه شك وفيه غاية الالزام والتبكيت والسورة طائفة من القران تعلقت باسم خاص هو علم
بها كسورة الفاتحة والاخلاص ولا يرد اية الكرسي والمداينة لانه مجرد اضافة فلم يبلغ حد العلمية ماخوذة
من سور البلد لانها طائفة محوزة على حيالها كالبلد المسور او من السورة بمعنى الرتبة كما في قوله
النابغة ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار فانها منازل ومراتب للقارى ولانها
في نفسها منازل ومراتب في الطول والعرض والقصر والاحكام بعضها فوق بعض في رتبة قل هو الله
احد من تبت ونظائرها وقيل من السور مهموزا وهو بقية الشيء وليس بقوي لفظا اذا لم يقرا به ولان
فضلة الشيء وبقيته ينبي عن القلة والحقارة وذهاب الاكثر ولا ذهاب ههنا لشيء والحكمة في تفصيل
القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتنشط القارى والرغبة فيه وتسهيل الحفظ فانه
اذا ختم سورة تنفس لذلك كالمسافر اذا قطع مرحلة او ميلا او فرسخا الى غير ذلك من الفوايد
من مثله صفة سورة والضمير لما نزلنا ومن بيانية لان السورة المفروضة التي بها تعلق الامر
التعجيزي مثل المنزل في حسن النظم وغرابة البيان وقيل تبعيضية وفيها ايهام ان للمنزل مثلا عجزوا
عن الاتيان ببعضه او لعبدنا فمن ابتدائية لان السورة المفروضة مبتداه ناشئة من مثل العبد وعلى
هذا يجوز ان يكون الجار متعلقا بفاتوا لان للعبد مثلا في البشرية والعربية والامية فيجوز قصد التعجيز
باعتبار المأتي به وهي السورة من مثله الموجود واما اذا اعاد الضمير الى المنزل فيبادر منه ان له مثلا محققا
والعجز انما هو عن الاتيان بشيء منه هذا والاوجه والضمير الى المنزل لموافقة النظائر فاتوا بسورة
مثله فاتوا بعشر سور مثله ولانه الذي سيق له الكلام واقتضاه المقام لغرض الارتياب فيه وذكر
العبد واقع بالعرض ولان في عوده الى العبد ترك التصريح بان السورة المأتي بها يجب ان يكون مماثلة
للمنزل نظما واسلوبا ولان العجز العفير اذ خوطبوا بالاتيان بمقدار اقصر سورة كان ابلغ في التحدي
من ان يقال لهم ليأت واحد منكم بنحو ما اتى به هذا الواحد وهو الذي يلايم قوله **وادعوا شهداءكم من دون الله**
دون ظرف مكان مثل عند وفيه معنى القرب والدنو لتوافقهما في الحروف
الاصول تقول دون زيد اي مكان منه فاستعير لتفاوت الرتب ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد
والجار متعلق بادعوا او بشهداءكم فان تعلق بالثاني فالمراد بالشهداء الاصنام اي ادعوا الاصنام

الاصنام التي اتخذتموها الهة تشهد لكم يوم القيمة او ادعوا التي تشهد لكم يوم القيمة بين يدي الله
بانكم على الحق كقول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي قدامها ومن في الاول لابتدائية فان الابتدا
ابتداء من التجاوز والمجرور في محل النصب على الحال وفي الثاني تبعيضية لان الفعل واقع في بعض جهة القدام

من دون

كقولك حيث من خلفك والظرف لغو وعلى الوجهين تهكم بهم حيث امروا بان يستظهروا في معارضة
القران الذي اخرس كل منطيق بالجماد او شهداءكم من دون الله اولياءه المؤمنين وهم دونكم ووجوه المشاهد
وفرسان البلاغة يريد ان امر الاعجاز في الظهور بلغ مبلغا لا يرضى هولاء المعروفون بالمجاهدة والذب
عنكم في المهمات لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد واستقامة المحال الجلي احالته فالجار والمجرور في
محل الحال ومن ابتدائية ايضا وان تعلق بالدعاء فالمعنى ادعوا اولياءكم وهم زعماء القوم متجاوزين
اولياء الله فانهم يشهدون عليكم لا لكم ومن الابتدا والظرف مستقر او ادعوا شهداءكم من الناس
في تصحيح دعواكم كما هو المتعارف في اثبات الحقوق عند الحكام ولا تقصروا على قولكم الله يعلم الله يشهد انا
لصادقون كما هو ديدن المبطل في الدعاوى قيل لرجل من العرب كيف تسبك قال علوي الحمد لله
فقيل له قولك الحمد لله ريبة في نسبك او ادعوا من حضركم من الانس والجن ليأتوا بمثله متجاوزين الله
فانه بمن حضركم وهو اقرب من حبل الوريد لا تستعينوا به فانه المنفرد بالقدرة على الاتيان بمثله
وهذا ارجح الوجوه الذي يشهد له قوله لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ومن في هذين الوجهين ايضا ابتدائية والجار اما بمن والظرف
مستقر وقد يقال من في الوجوه كلها بمعنى في كما في ساير الظروف اللازمة التي يكون منصوبة
على الظرفية **ان كنتم صادقين** في انه كلام البشر جوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق
الاخبار عن الشيء على ما هو عليه **فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس
والحجارة** اي ان جربتم قواكم واستبان لكم العجز فاتركوا العناد فعبر عن الاتيان بالفعل تعبيرا عن اللازم
بالملزوم على طريقة الكناية ايثارا للايجاز الذي هو حلية القران كما اذا عدد عليك حاجتك جملة من الافعال

رد على الكشاف
والقاضي

مستكثرة يقول في جوابه نعم ما فعلت وكذا عن ترك العناد باتقاء النار لان من اتقى النار ترك العناد
فهو من لوازمه وروادفه وكان الظاهر اذا لانه كلام الله ابتدا وعدم الاتيان مقطوع به وانما اثر ان اما سوقا
للكلام حسب حسبانهم قبل التامل واعتزازهم بما كانوا فيه من الفصاحة والبلاغة على طريقة التهكم كما تقول
المدل بقوته لمن دونه ان غلبتك ماذا تقول ولن كلمة مقتضية لنفي المستقبل مع التاكيد وعن الخليل ان اصلها
لا ان وعن الفراء لا ابدلت الالف نونا والواو اعتراضية والجملة الاعتراضية لا محل لها من الاعراب لعدم وقوعها
موقعا يستحق الاعراب وهو موقع المفرد وفي الاية دليلان لاثبات النبوة ظهور كون المتحدى به
معجزا والاخبار بالغيب اذ لو عارضوا لنقل لتوفر الدواعي واذا عجز الذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا
فمن بعدهم اعجز بلا ريب والمخاطب شرط ان يكون عالما بمضمون الصلة والصفة ولذلك اشتهر ان الصفات
قبل العلم بها اخبار كما ان الاخبار بها بعد العلم بها اوصاف فالمخاطب بهذه النار المشركون وقد
سمعوا من رسول الله او اهل الكتاب نارا موصوفا او من اية التحريم ان تقدم نزولها والمخاطب باية التحريم
المؤمنون وقد علموا الوصف بالسماع من رسول الله والتنكير تارة والتعريف اخرى يغني فلا وجه للقول
بان اية التحريم مكية لاتفاق الثقات على انها مدنية من غير استثناء شيء منها والوقود ما يوقد به
وانما قرن بين الناس والحجارة جمعا بين العابد والمعبود لقوله انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم زيادة في تحسيرهم لانهم كانوا يعبدونها لدفع العذاب **اعدت للكافرين**
هيئت وجعلت لهم عدة صلة بعد صلة بلا عاطف على قياس الاخبار والصفات او حال من النار

الاول مختار الكشاف والثاني للمفتاح
والثالث للايضاح

بتقدير قد او استيناف وفيه دلالة على ان النار مخلوقة وانها بالاصالة للكفار **وبشر الذين
امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار** عقب ذكر الاشقياء وما
اعد لهم بذكر السعداء وما لهم من النعم والالاء كما اشير اليه سابقا من جريان سنته تعالى
المقارنة بين الاضداد والمقابلات تنشيطا لاكتساب ما يزلف وتثبيطا عن الاقدام على ما يتلف

وهو من عطف القصة على القصة فالتناسب في الغرضين بالتصديه وهما عقاب الكفار وثواب المؤمنين
كاف في حسنه وقيل عطف على فاتقوا النار وفيه ان التقدير اذا فانلم تفعلوا انتم ايها الكفار فبشر انت
يا فلان ولا ارتباط بينهما لان عطف الامر المخاطب على الامر لمخاطب اخر انما صرح فيه بالندا وقيل
عطف على قل مقدرا قبل يا ايها الناس اي قل كذا وكذا وبشر وفيه ان قوله وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا لا يصلح ان يكون مقولا للعبد الا باجرائه على طريقة كلام الامر وفيه تكلف
وقيل عطف على مقدر بعد اعدت اي فانذر الذين كفروا بحسن اذ اهلك النار وبشر الذين
امنوا والاول هو الوجه والبشارة هو الخبر السار لانه يظهر به السرور على البشرة ولذلك
لو قال من بشرني من عبدي بقدوم زيد فهو حر فبشروه مرتبا لم يعتق الا الاول بخلاف ما اذا قيل
من اخبرني فانهم يعتقون والخطاب لرسول الله او لعالم كل عصر او لكل من يتأتى منه البشارة
وهذا ابلغ عطف الصالحات على الايمان دل على عدم دخولها فيه وانما رتب الثواب عليهما فللترغيب
في الاعمال الصالحة الا ترى كيف رتب على مجرد الايمان في قوله وبشر الذين امنوا ان لهم قدم
صدق وقوله وبشر المؤمنين واستغراق الجمع كالمفرد في تناول كل فرد فرد ولا يلزم منه ان يأتي
كل احد بكل العبادات بل يختلف باختلاف احوال المكلفين من الغنى والفقر والاقامة والسفر ففيه شائبة
توزيع والعمل الصالح ما ورد عليه الثنا من الشارع يخرج المباح وان كان حسنا شرعا والجنة اسم لدار الثواب
سميت لذلك لاستتار ارضها بالاشجار او لاستتار ما فيها من النعيم وهي اسم للقدر المشترك لها مراتب
متفاوتة بقدر الاستحقاقات فلكل طبقة من العاملين جنات واقعة في مرتبة واحدة فالتنكير للتنويع
واعلى المراتب الفردوس وفي الحديث اذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة نسأل الله ان
يجعلنا من سكانه بفضله واحسانه ومعنى جري الانهار تحتها جريها تحت اشجارها النابتة على شطوطها
كما هو المتعارف في بساتين الدنيا والنهر بسكون الهاء والفتح اكثر المجرى الواسع فوق الجدول ودون
البحر واسناد الجري الذي هو للماء اليها مجاز واللام فيه للجنس من غير نظر الى عموم او خصوص كما في اهلك
الناس الدينار والدرهم او بدل الاضافة او للعهد تقديرا او تحقيقا ان سبق نزول قوله وانهار من ماء
غير اسن وهذا احسن لان الاصل لاسيما اذا لم يكن قصد الاستغراق **كلما رزقوا منها من ثمرة**
رزقا صفة ثانية لجنات بدون العاطف او استئناف لانه لما ذكر ان لهم جنات لم يخل خلد السامع
من ان يقع فيه التردد في حال تلك الثمار وهل تشبه ثمار الدنيا ام لا وهذا هو الوجه لما علم من فوايد
الاستيناف ولاستقلاله بالفايدة ولان الاعتراض في قوله واتوا به متشابها على هذا وقع
لانه يؤكد ما سبق له الكلام بخلاف ما اذا كان وصفا ثانيا ومن في الموضعين للابتداء والمعنى
ان الفعل المطلق وهو الرزق جعل مبتدأ من الجنات وبعد تقييده بالابتداء منها جعل
مبتدأ من الثمرة والمراد بها النوع لا الفرد اذ لا معنى لابتداء الرزق من البستان من تفاحة واحدة
لانه يوجب ان يكون المرزوق قطعة منها ليكون من للابتداء وكلا الظرفين لغو ويجوز ان يكون
من ثمرة بيانا فالظرف الاول لغو والثاني مستقر وقع حالا من رزقا فانه مفعول ثان لرزقوا في
الوجهين وعلى هذا يجوز حمل الثمرة على النوع والفرد ولان كل فرد مرزوق **قالوا هذا الذي رزقنا**
من قبل اي في الدنيا وحذف اداة التشبيه لاستحكام التشبيه كقولك زيد اسد ويجوز ان
يكون اشارة الى النوع دون الحاضر كقولك مشيرا الى الماء الجاري هذا الماء لا ينقطع **واتوا به**
متشابها معترضا ان جوز الاعتراض في اخر الكلام والا فتذييل والتشابه يقتضي التعدد فالضمير
راجع الى جنس المرزوق الشامل للنوعين كانه قيل اتوا به متشابها نوعاه النوع الذي في الدنيا
والنوع الذي في الاخرة ولا يلزم منه ان يكون الاتيان بهما في الاخرة بل الاتيان بالاخير
كاف في ذلك نظرا الى اتمام الاتيان به ويجوز ان يكون الضمير للرزق والمعنى اتوا بمرزوق الجنة
متشابه الافراد والاول هو الوجه الملائم لاعجاز التنزيل لاشتماله على بدايع نكت بقاء كلما على
عمومها اذ في الوجه الثاني يخص بما عدا المرة الاولى وبقاء قبل على اطلاقه ولان الابتهاج

الابتهاج والاغتباط انما يحصل اذا كان التشابه بين ثمار الدنيا وثمار الجنة ولان التشابه في الحقايق
مع اختلاف الصفات تم في باب التشابه ولان عدم الاستيناف متعين في الوجه الثاني فيفوت تلك
الفوايد وهذه عدة فوايد يكفي كل واحدة لاولوية الاول **ولهم فيها ازواج مطهرة** الزوج
قرين الشيء من جنسه يشمل الذكر والانثى والتطهير يشمل الاجناس والادناس الطبيعية بحسب العرف بل
هو في تطهير الاخلاق عن الرذايل اشهر واشارة على الطاهرات لدلالته على ان مطهرا طهرهن وليس
ذلك الا الله ففيه من الفخامة ما ترى تايدا **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة** لما ذكر الكتاب
ومن انتفع به ومن لم ينتفع اردفه باثبات وجود الصانع وحقية الكتاب ونبوة من اتى به لئلا يكون الكلام
خطابيا ورتب عليه وعيد المنكر ووعد المقر **هم فيها خالدون** هذا رأس النعم ونهاية
السعادة لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته باذكار الموت والهرم والخلد هو البقاء مع الدوام
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وتقديم الظرف للاختصاص والتقييد بالابد في موقع توكيد كساير
التاكيدات واستبعاد بقاء البدن مؤبدا قصور والله على كل شيء قدير مع ان احوال تلك الدار غريبا
سيه **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة** لما ذكر الكتاب ومن انتفع به ومن لم ينتفع
ومن اردفه باثبات وجود الصانع وحقية الكتاب ونبوة من اتى به لئلا يكون الكلام خطابيا ورتب عليه
وعيد المنكر ووعد المقر اراحة عن طريق المسترشد ما عسى ان يعتريه من شبه المنكرين وساقه مساق
امر واضح البطلان عند كل ذي بصيرة في صورة من الصور ليكون منا داله ومقياسا لساير الشبه وفيه
تحقيق لما تقدم من انه هدى للمتقين دون غيرهم وانما قطع عما تقدمه لانه باب براسه وكانت شبهة
هولاء السفهاء انهم قالوا كيف يكون كلام الله وفيه ذكر الذباب والعنكبوت ابن مقام الربوبية
عن حقارة هذه الاشياء دعمت بصيرتهم عن ان الضارب للمثل غرضه الذي يرتب به ايضاح المعنى
المشبه وارادة المعقول في صورة المحسوس كشفا عن حقيقة الحال فهو ينسج على منوال ذلك الغرض
ولا عليه من كون الممثل به جليلا او حقيرا ولما كانت الجمادات التي يتخذونها اندادا من دون الله
لا يتوهم منها اصابة نفع ولا دفع ضر فهل يوجد في الاذهان شيء اليق بضرب المثل به في شانها الحري
واولى من بيت العنكبوت في الوهن والضعف وعدم مقاومة الذباب والحياء امر وجداني يغني
عن التعريف من حيث الماهية كساير الوجدانيات ويدل عليه بانه تغير وانكسار يعتري الانسان
خوف الملام لئلا يلتبس ببعض الوجدانيات فلا يرد انه قد يكون الاحتشام ممن يستحيي منه ولما
كان محالا على الله اريد به لازمه وهو الترك او جاء على طريقة التمثيل كما تقدم في الرحمة والغضب وما
في الاية من قبيل لا تاخذه سنة ولا نوم ولم يلد ولم يولد فلا يحتاج الى التاويل وانما يحتاج اليه
ما في الحديث ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد اليه يديه ان يردهما صفرا ان يضرب اما مجرور المحل
باضمار من او منصوب بافضاء الفعل والضرب لغة هو الاعتماد والمولم وضرب المثل اعتماده من ضرب
اللبن ومن الله تعالى صنعه وايجاده وما ابهامية تفيد توكيد ما افاده تنكير ما قبلها كانه قيل مثلا
اي مثل كان نص في الحقارة او صلة للتاكيد نفسه لا للشيوع كما في فبما نقضهم وفبما رحمة كانه قيل
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا البتة وانتصاب مثلا وبعوضة على المفعولية لما في الضرب من
معنى الجعل والتصيير وقدم الثاني على الاول اهتماما او اشتقاق البعوض وهو القطع كالبضع لانها
يقطع الجلد **فما فوقها** اي في الحقارة والقلة وقد ضرب رسول الله جناحها مثلا للدنيا او في العظم
والجرم كالذباب والعنكبوت لانهما سبب النزول والاول هو الوجه لانه المعنى الذي سيق له
الكلام المفيد للمبالغة في الرد وفي احتمال المعنيين حديث عايشة الذي رواه مسلم ما من مسلم يشاك
شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة **فاما الذين امنوا** اما حرف وضع
للتفصيل فقد يكون لمجمل سابق كقولك جاء القوم اما العلماء فكذا واما الزهاد فكذا وقد لا يذكر
القسيم ويكتفى بما يقوم مقامه اشارة الى ان ما دخلت عليه هو المقصود الذي سيق له
الكلام كقوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ مع قوله والراسخون لان الغرض ذم الزايغين وقد يكون

تفصيلا لما في الذهن مع سبق ما يدل عليه نوحا كما في الاية فان قوله ان الله لا يستحيي دل على ان
ثم من داخل شبهة او بدونه كما في صدر الكتب والرسايل وفايدتها التوكيد لما في التفصيل بعد
الاجمال من الدلالة على الاعتناء بشان المذكور بعدها ولما دلت على ان المذكور بعدها هو المختار
والمقصود من بين الاشياء لا محالة كيف كان ولم يكن للشرط معنى غير ربط امر باخر قيل
انه حرف فيه معنى الشرط ولما لزمت طريقة واحدة التزم حذف الفعل كما التزم حذف متعلق
الظرف في نحو زيد في الدار وقدم جزء مما في خبرها تعويضا عن المحذوف وشبها على ان النوع
المراد تفصيل جنسه من مصدر او ظرف او ذات او غير ذلك وما قال سيبويه اما زيد فمنطلق مهما
يكن من شيء ايضاح لمعنى التفصيل واشارة الى وجه كونها حرفا فيه معنى الشرط فلا يتوهم
منه كونها اسما عنده ليحتاج الى المحالات **فيعلمون انه الحق من ربهم** اي الثابت الذي لا يجوز
انكاره لما تقدم من فوايده والضمير للمثل او لان يضرب **واما الذين كفروا فيقولون**
ماذا اراد الله بهذا مثلا كان الظاهر فلا يعلمون ليطابق قرينه والعدول الى المنزل ايثار
للكناية ليكون برهانا على جهلهم ولما في ماذا من التعجب وفي هذا من الاسترذال كما في قول عايشة
عجبا لابن عمرو هذا حين افتى بنقض الضفاير للنساء في الغسل وفي ماذا وجهان ان يكون ما استفهامية
وذا بمعنى الذي وما بعده صلة والمجموع خبرها وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب
المحل على المفعولية والاحسن في الجواب على الاول الرفع وعلى الثاني النصب وجوز العكس اذا اتفق
السايل والمجيب في الفعل وكان السؤال في المتعلق ففي مثل قوله ماذا انزل ربكم قالوا اساطير
الاولين تعين الرفع وهذا بحسب الاصل لان ما في الاية ليس على معنى الاستفهام وارادة الله تعالى
صفة حقيقية ترجح احد طرفي المقدور وتخصصه بوجه وتفسيرها بالترجيح ان كان مع ميل الى التفصيل
يقتضي اجبارا ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله ناقة الله لكم اية **يضل به كثيرا ويهدي به**
كثيرا استيناف جار مجرى الاعتراض تتميما للبيان او عطف بيان يقرر ان كلا من الفريقين
موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا هدى كان الجهل بحسن موقعه ضلالا وقيل جواب
ماذا والعدول الى الفعل للدلالة على التجدد والحدوث وفيه ان الاستفهام ليس على اصله ليقتضي
الجواب وكثرة المؤمنين بالذات وفي انفسهم وان قلوا في مقابلة الضالين فان كلا من القلة والكثرة
تعتبر بالذات وبالاضافة وان قلوا كانهم كثيرون كيفا فلم ار امثال الرجال تفاوتت لدى المجد حتى عد
الف بواحد والاستدلال على قلتهم بقوله وقليل من عبادي الشكور غير سديد لان المراد به البالغ
في الشكر غاية وما في الاية مجرد الايمان بما انزل لقوله فاما الذين امنوا **وما يضل به الا**
الفاسقين الخارجين عن الايمان لانصراف المطلق الى الكامل بقرينة المقام والفسق لغة الخروج
ومن ارتكب كبيرة مجمعا عليها فهو فاسق يقطع بدخول الجنة لقوله يخرج من النار من كان في قلبه
وزن ذرة من ايمان ومن قال مرتكب الكبيرة كافر او خارج عن الايمان غير داخل في الكفر فقد
ضل عن سواء السبيل بقدحه فيما تواتر عن خاتم الرسل وخرق اجماع خير القرون والله يقول الحق
وهو يهدي السبيل **الذين ينقضون عهد الله** صفة الفاسقين والنقض فك التركيب وتحليل
اجزائه واكثر ما يستعمل في طاقات الحبل واستعماله في العهد على طريقة الاستعارة بان شبه العهد الذي
هو سبب الوصل بين الجسمين واوقع النقض الذي من روادف الحبل عليه فالاستعارة في العهد مكنية
وفي النقض تصريحية تخييلية لانه شبه ابطال العهد بتاليف الجسم واطلق اسم المشبه به على المشبه وهي
قرينة استعارة الحبل للعهد وبه ظهر ان قرينة المكنية لا يلزم ان تكون تخييلية كما في اظفار المنية
ويد الشمال ولله مع عباده ثلث عهود الاول عهده في عالم الذر على كافة الخلق حيث اشهدهم على
انفسهم الست بربكم قالوا بلى والثاني على الانبياء ان يبلغوا انباءه الى عباده واذ اخذنا من
من النبيين ميثاقهم والثالث على العلماء الذين هم ورثة الانبياء واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه وقد يطلق على الامان والايمان والذمة والحفاظ وما

فائدة القاضي

رد على الكشاف والقاضي

وما في الاية هو الاول او الثالث والناقض احبار اهل الكتاب حيث كتموا نعت محمد وحرفوا الكلم من
بعد مواضعه وكذا من زاغ في اتباع المتشابه من غيرنا وقيل دون الثاني لان النقض من الانبياء محال **من بعد**
ميثاقه مفعال بمعنى ما يوثق به من الوثاقة وهي الابرام والاحكام اما من الله بالايات والكتب او منهم
بالالتزام والقبول ويجوز ان يكون مصدرا والضمير على الوجهين للعهد ومن ابتدائية وقد يستعمل
بمعنى العهد كقوله وينقضون الميثاق واذ اخذ الله ميثاق النبيين **ويقطعون ما امر الله به**
ان يوصل يشمل كل قطيعة لا يرضاها الله من قطع الارحام ولا موالاة المؤمنين والفرق بين الانبياء
ولا تكرار لان الاول في العقايد وهذا في الافعال والفروع والامر هو القول الجازم ويجمع على اوامر
وصيغته من نحو افعل حقيقة في طلب الفعل استعلاء وقد يطلق على المامور به تسمية للمفعول به باسم
المصدر فانه مما يؤمر به وشانا لانه شان من الشؤون اي مقصود **ويفسدون في الارض** بما امكنهم لا
سيما صدهم المسترشدين عن الايمان **اولئك هم الخاسرون** لاستبدالهم الضلال بالهدى
والنقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعذاب بالمغفرة واتبعهم في ذلك ضعفاؤهم فاولئك
الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة **كيف تكفرون بالله** كيف يطلق في السؤال
عن الاحوال كلها ولما كان الاستفهام للانكار والتعجب والمقام مبالغة افاد العموم كانه
قال لا يجوز ان يكون لكفركم حال توجد فيه وانكار احوال الشيء كلها انكار له بطريق البرهان
اذ لا يعقل وجوده الا على حال من الاحوال **وكنتم امواتا** ترابا ونطفا في اصلاب الاباء
وعلقا ومضغا في ارحام الامهات والموت لا يقتضي سبق الحيوة بل هو عدم الحيوة مطلقا كقوله
فسقناه الى بلد ميت او كنتم كالاموات في عدم الروح والاحساس **فاحياكم** عطفه
بالفاء لعدم التراخي بين الموت واعطاء الحيوة بخلاف الاماتة بعدها والاحياء بعد تلك
الاماتة **ثم يميتكم ثم يحييكم** في القبر او وقت النشور او اعم منهما فان العقل لا يدل على العموم وضعا
ولا على المرة والعبرة اول منازل الاخرة فبين الاحياء بين شدة ارتباط والواقع حالا ليس الجمل
على حدتها حتى يقال كيف صح وقوع الماضي حالا ولا القصة من حيث هي حتى يقال بعضها ماض وبعضها مستقبل
بل العلم بمضمون القصة كانه قيل كيف يتصور منكم الكفر وانتم عالمون باول هذه القصة واخرها والاحياء
ثانيا وان لم تعرفه بعضهم جعلوا عالمين به للدلايل القاطعة **ثم اليه ترجعون** للمجازاة وما عد عليهم
من الايات مع كونها دلايل وايات وجود الصانع من اوايل النعم واعظمها فهي صارف قوي عن الكفر
من الوجهين والحيوة صفة يتبعها الحس والارادة ولا يشترط فيها وجود البنية وحيوة الله صفة حقيقية
توجب صحة العلم والقدرة وتفسيرها بصحة الاتصاف بهما تسامح وانما التفت الى الخطاب لانه ابلغ في التقريع
وحمله على خطاب المؤمنين خاصة بعيد عن المقام وكيف سابع هذه المبالغة مع من مدح انفا بقوله
فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم بعد تصدير السورة باوصافهم الكاملة والحكم المرتب
عليها وهو كونهم على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون وليس المساق للامتنان حتى يكون
تعديد تلك الالاء امتنانا **هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا** اي انواع ما يحتاجون اليه
من اجزاء الارض من المعادن وما عليها من الموجودات قبل وجودكم وهي مع كونها نعما دنيوية
يحصل من النظر فيها معرفة المبتدا والمعاد وما فيها من الانس واللذة يذكر بنعيم الاخرة وما فيها
من الهموم والوحشة واسبابها كانها الموذح عذاب الاخرة **ثم استوى الى السماء** الاستواء اشتق
من السواء وهو وسط الشيء وحاقه والمراد انه بعد تمام خلق الارض وما فيها قصد ايجاد السموات
من غير ان يحدث شيئا اخر يقال استوى الى كذا كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا لا يلوي
الى غيره وثم على اصلها من التراخي زمانا كقوله في سورة السجدة خلق الارض في يومين وجعل
فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام ثم استوى الى
السماء فقضيهن سبع سموات في يومين ومن غفل عن هذا التفصيل جعل ثم للتراخي رتبة
ونقضي عن الاشكال بان خلق الارض مقدم على خلق السماء ودحوها متاخر لقوله والارض بعد

فائدة القاضي

فائدة القاضي

ذلك دحاها وقيل الدحو متاخر عن خلق السما لا عن التسويه وليس ببعيد لان قوله بعد
ذلك دحاها اشارة الى السابق وهو رفع السمك والتسويه فان قلت فما وجه قوله والارض بعد
ذلك دحاها قلت وجه النصب بنحو تدبرا وتذكرا واذكر الارض بعد ذلك لم شرع فى تفصيل
احوالها استانفا بقوله دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم ولانعامكم
وفيه اشارة الى ان ايات الارض قاصرة عن عجايب ملكوت السموات ومابرهى من اتحاد الجواهر
النورية والنظر بعين الجلال المنظر بالرحمة والجمال ودنوها وامتياز لطيفها عن كثيفها وصعود
المادة الدخانية وبقاء الكثيف ان صح فكل ذلك سابق على الايام الستة فسويهن سبع
سموات خلقهن سويات لاعوج فيها ولا فطور والضمير للسماء لانه جنس وقيل جمع سماة
اومبهم وسبع سموات تفسيره وهذا اوجه لما فيه من الايهام والتفسير كقولك ربه
رجلا ويا لها قصة على ان الجمعية لم تثبت وفى عود ضمير جمع المونث الى الجنس تكلف وهو بكل
شيء عليم اعتراض او تذييل بقرر ما سبق اى لاجل كونه عالما بالاشيا كلها ودبر امر الكاينات
من الارض والسموات على احسن نظام ومن كان علمه وقدرته بهذا الكمال استبعاد الاعادة
منه غاية الجهل ونهاية الضلال واسكن ابو عمرو وقالون والكسائى ها هو وهى بعد الواو والفا
واللام لتنزلها منزلة الجزء بواسطة الاتصال فصار المذكر كعضد والمونث ككتف واذ قال ربك
للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ذكرهم باجل ما انعم عليهم وهو تكريم آدم باسجاد
سكان ملكوته له من الملأ الاعلى والكروبيين فان شرف الاباء سار فى الذرية وكذلك لم يكن
العلوية كفوا لعزها واذ اسم بمعنى الوقت الماضى يضاف الى الجمل بعدها ولذلك بنى وانتصابه ماذكر
كانه قال اشكر النعم السابقة واذكر وقت هذه التى لا نعمة فوقها لتعرف قدر ما انعم الله عليك
والغرض الحث على القيام بشكرها ومن جعله لازم الظرفية قدر الحادث كانه قيل اذكر الحادث
فى ذلك الوقت ويجوز انتصابه بقالوا وتعين ان يكون عطف قصة على قصة مبتداة من قوله
كيف تكفرون او من قوله ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا والملائكة جمع ملاك كالشمائل
جمع شمال قال ولست بانسى ولكن بملاك تنزل من جو السما يصوب من الالوك وهى الرسالة
لكونهم رسل الله الى البشر فى تنفيذ اوامره وفى الفا والعين قلب مكانى والميم زايدة على انه موضع
الرسالة او مصدر بمعنى المفعول وقيل لاك لغة اصلية فان ثبت فهو اولى لسلامته من القلب
وقيل من ملك والهمزة زايدة لدوران م ل ك مع القوة والشدة كالملك والمالك وتلك
الطريق بالحركات الثلث معظم وهذا المعنى ظاهر فى الملائكة كلهم وكفاك كونهم يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وكونهم وسايط فى عجايب ما تظهر فى العالم السفلى والتاكيد معنى
الجميع كالصياقلة وجاعل من جعل الذى يتعدى الى مفعولين وهما فى الارض خليفة من يخلف غيره
والتاء للمبالغة والمراد ذرية آدم لقوله هو الذى جعلكم خلائف الارض ولانه لو اريد هو
لم يكن لقول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وجه وانما افرد باعتباره لانه الاصل
الجامع كما يستغنى بذكر ابى القبيلة كهاشم ومضر والمراد الخلافة فى الحكم والانبيا خلفاء الله على عباده
يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض ومن يسير بسيرهم فهم خلفا الرسل قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء عرفوا ذلك من الطبيعة البشرية لانه اخبرهم بتفصيل
كيفية خلقه من تراب ثم من طين منتن ثم يصير كالفخار فيجتمع فيه العناصر الاربعة المتنافرة الطباع
او من اللوح او قاسوهم على من سكن قبلهم من الجن او من لفظ الخليفة ان اريد به الخليفة
فى الحكم لاقتضائه تقدم الظلم والتعدى السفك والسفح اخوان وهو الصب بكثرة
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك الواو للحال والبا لاستدامة الصحبة والمعية والتسبيح
تبعيد الله عن كل ما لا يليق بجلاله والجمع بينه وبين التقديس للمبالغة وقيل التسبيح فى الاعمال
والطاعات والتقديس فى المعارف والاعتقادات وقيل لوحظ فى الاول حال العارف

العارف لانه اصله من سبح الفرس اذا ابعد فى الجرى وفى الثانى حال المعروف لان القدس هو
الطهر ولاح منه ان الثانى ابلغ لان منشاه الذات ولما قابلوا نهاية الافساد وهو السفك بنهاية
الاصلاح وهو التقديس نشا منهم التعجب الذى بعثهم على السوال عن الحكمة الخفية قال انى اعلم ما
لا تعلمون من المصلحة الراجحة وسيفصل بعضها وانما شاورهم ليكون المشاورة سنة بين عباده
لانها فعل علام الغيوب ولئلا تعتريهم الشبهة ولتعلموا ان الحكمة يقتضى ايجاد ما يغلب خيره فان
ترك الخير الكثير للشر القليل خارج عن الحكمة وقد استبان ان سوالهم كان سوال استعلام لا غيبة
وحسد واعجاب منهم لانهم معصومون عن الذنب راسا لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما
يؤمرون وعلم آدم الاسماء كلها آدم كآزر وتارح اسما عجمية واشتقاقه من الادمة
بمعنى اشتقاق العجمى من المصدر العربى غير سديد ودعوى جريان الاشتقاق فى ساير اللغات او
توافق اللغتين بعيدة والتعليم كان بعد السجود لقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له
ساجدين وانما قدم لشدة ارتباطه برد دعوى الملائكة وعدم علمهم بما احاط به علما والمعنى
علمه اسماء المسميات وحقايقها ومنافعها وخواصها اذ لا فضل يعتد به فى العلم بمجرد الالفاظ
واللغات ولذلك قدر بعضهم حذف المضاف اى علمه مسميات الالفاظ وفيه ان التعليم والانباء
لا يتعلق الا بالاسماء ولا يتوجه على الاول لان تلك الاحوال والخواص لها اسما ثم عرضهم على
الملائكة اى المسميات غلب العقلاء فقال انبئونى باسماء هؤلاء امر تعجيز ان كنتم
صادقين ان هذه الطايفة وجه الحكمة فى خلقهم غير جلى اى ما كان يزعم ان القيام بمعرفة الله
وطاعته على اكمل الاحوال من الجهات كلها من شانه وبه غنية عن غيره ينبغى ان لا يخفى عليه مثل
هذه الاشيا فحين خفى عليكم ذلك وعلمه آدم تبين لكم انه لم يكن مقصورا على الافساد كما ظننتم
بل كان مشرفا بشرف العلم محيطا باسماء الاشيا ومسمياتها وخواصها ومنافعها التى عليها مدار
امر الخلافة واساس بناء العدل والحكم بين الناس فقد ظهرت الحكمة فى استخلافه واستحقاقه
وقيل ان كنتم صادقين فى زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم وان استخلافهم وهذه صفتهم لا
يليق بالحكيم ويرد عليه ان الملائكة لم يزعم ولم يعتقد ذلك وغاية الامر انهم استكشفوا الغيب واردوا
الاطلاع على خصوص الحكمة وان علموا انه تعالى شانه لا يخلو فعله عن حكمة بل حكم وكيف يخفى مثله على الكروبيين
بل على سيدهم وامام الملأ الاعلى جبريل عليه السلام وهو الذى علم سيد الانام فان قلت اذا كان السوال
عن الحكمة ولم يكن منهم زعم الاولوية فلم هذا التوبيخ والتعجيز وهلا اخبرهم بالحكمة اذ سالوا عنها قلت لما
قال لهم انى جاعل فى الارض خليفة كان حال قربهم منه وعلمهم بغوامض دقايق حكمه يقتضى ان يقولوا لكل
الشان الاعلى وما تعلق به ارادتك هو الصواب وعين الكمال ولما لم يسلكوا ذلك المسلك ولجاووا
بما افاد الاستغراب والاستعجاب اجراهم مجرى الزاعم لبعد مقامهم عن مثل هذا الجواب الا ترى ان النبى
المار على قرية وهى خاوية على عروشها لما قال انى يحيى هذه الله بعد موتها متعجبا كيف اماته الله مائة
عام ثم بعثه لبعد حاله عن مقام التعجب ولولا ذلك التعجب لاراه الله احياء واحد من تلك الاموات
كما اراه ابرهيم حيث قال رب ارنى كيف تحيى الموتى قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف
بالعجز ودليل لما قلنا ان ذلك لم يكن اعتراضا بل استعلاما وصدروا الكلام بسبحان الذى هو من مفاتح
التوبة وطلايعها كقول موسى سبحانك تبت اليك وقول يونس سبحانك انى كنت من الظالمين
دلالة على ان ما كان منهم من عدم التفويض ذنب يحتاج الى التوبة على ما هو طريق المقربين من عد
حلاق الاولى جريمة وسبحان علم للتسبيح البليغ وقيل ذلك فى غير حال الاضافة والحق انها لا تنافى
فى العلمية كحاتم طى وعنترة عبس انك انت العليم الكامل العلم شامله والتاكيد بان وانت دفع
لما سبق منهم من مخايل الريب الحكيم المتقن فى صنعه الذى لا يفعل الا ما فيه حكمة وان خفيت
على اللبيب الالمعى قال يا آدم انبئهم باسمائهم اى اعلمهم فلما انباهم باسمائهم اعاد المظهر
لتوقع عليه لفظ الانباء صريحا قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض ما خفى

قائله القاضي

قائله ابن الحاجب

عليكم من امورها استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون الا انه ابسط واشرح وان كان ما لا تعلمون اشمل لشموله جميع معلوماته فليس الثاني دليلا على الاول **واعلم ما تبدون** ما ابديتم من قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها وايثار المضارع استحضار صورة فعلهم حال المعاتبة **وما تكتمون** قبل المشاورة ظانين ان الله لا يخلق افضل منكم خلقا وذلك لما راوا افساد سكان الارض قبل آدم على ما روى ابن عباس ان اول من سكن الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فارسل الله عليهم ابليس مع طايفة من الملائكة فقتلوهم وطردوا البقية الى الجزاير واطراف الجبال وقيل ما اظهروا من الطاعة وما ابطن ابليس من عدمها وقد تبين ان شرف الانسان انما هو بالعلم وحيث عري عنه الحق بالبهائم بل هو ادنى واضل وان ساير الكمالات والاعمال بدونه في حيز العدم الا ترى ان الهدهد مع اجرامه واستحقاقه العقوبة وهو طير ضعيف لا معوان له ولا ظهير كيف استظهر بمسئلة جزئية وقال احطت بما لم تحط به يخاطب به سليمان الذي علم منطق الطير واوتي العلم من كل شيء ودل ظاهر الاية على ما قاله الاشعري ان اللغات توقيفية وتاويل التعليم بالاقدار والتمكين خلاف الظاهر وعلى ان علم الملائكة تقبل الزيادة وليس في الاية ما يدل على قصور الملائكة عن رتبة الخلافة وان التركيب يفيد ما لا يفيده الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات كيف وله تعالى ان يوجد في الجزء الذي لا يتجزى الحيوة وما يتبعها من الكمالات على ان الملائكة اجسام نورانية لطيفة قابلة للتشكل باي شكل ارادت ومن سير سير جبرئيل مع رسول الله في تعليم الحروب والارشاد في الجزئيات لا سيما تعليمه لنوح في اختراع السفينة لم يرتب في ذلك وما كان الله ليعجزه من شيء وما يمكن تعلمهم الاسماء من آدم لما انباءهم فان قلت اذا كانت الملائكة بهذه المثابة فما وجه تفضيل الانسان عليهم كما هو الحق قلت وجه ذلك ان امالة القوى الشهوانية والغضبية التي هي حزب الشيطان وكبح عنان النفس عن اتباع الهوى الذي هو مقتضاها جبلة وتسخيرها وتهذيبها بحيث يصير مطواعة لجند الرحمن وهي القوة العقلية من خواص الانسان فاذا انضم الى شرف العلم كان نورا على نور يهدي الله لنوره من يشاء **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** السجود لغة الخضوع والانحطاط قال ترى الاكم فيها سجدا للحوافر واسجد اي طاطا قال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا وهو المراد بما في الاية وتخصيصه بوضع الجبهة عرف حادث ويجوز ان يكون مرادا واختلاف الاحوال باختلاف الاوقات والشرايع في امثاله لا يلزم اتفاقها وعليه تحمل سجدة اخوة يوسف ان صح انه كان بوضع الجبهة او المسجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم جعل قبلة كالبيت تشريفا له ولما كان تحسن الاشياء شرعا فالاوجه كلها حسنة وقد سبق ان السجود كان سابقا على التعليم واللام فيه كاللام في اقم الصلوة لدلوك الشمس والقول بان الانسان اسجد لما في العلم الروحاني والجسماني يتوقف على وجود المجرد ولم يقل به اهل الحق **فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر** امتنع الطاعة وطلب العلو وتعدى عن قدره وقد صرح بالعلة في قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والاستثناء متصل والمانع وهو عدم دخوله في الملائكة مرتفع بالتغليب ويدل عليه قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك ولو لم يكن مامورا به لم يكن للذكر الاباء والاستكبار وجه وفيه دلالة على ان المامور جميع الملائكة كما دل على ذلك تعريف الجمع ونص عليه كلهم اجمعون **وكان من الكافرين** في علم الله اشارة الى الموجب اذ لا يمكن بغير معلومه ولا يستلزم تكليف المحال لوجود الاختيار او صار من الكافرين لاستقباحه ما استحسنه الله مع لان ترك المامور به لا يوجب الكفر ثم ترتب قوله ففسق على قوله كان من الجن صريح في انه لم يكن ملكا وانما كان جنيا مغمورا بينهم وليس من الملائكة وان اطلق عليهم لفظ الجن لاستتارهم قال تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا كيف والملائكة عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون لا يعصون الله ما امرهم فالقول بان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود وان من الملائكة من ليس بمعصوم وتجويز ان لا يخالف الملائكة بالذات الشياطين وان خالفوهم بالعوارض والصفات ليس بشيء لا نقلا ولا عقلا بل يخالف للنصوص وما هو

وما هو مذكور في الفطر السليمة ونسبته الى ابن عباس اعظم واطم بل المروي عنه والله اعلم بصحته ان طايفة من الملائكة يقال لهم الجن وابليس كان منهم رواه ابن جرير وفي الاية دليل على ان الامر للوجوب والفورية علمت من فاء فقعوا وان السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه وايمان الموافاة على ما نقل عن الاشعري تابع لتلك السعادة السابقة **وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة** السكنى من السكون بمعنى اتخاذ المسكن لاستلزامه اللبث لا بمعنى ترك الحركة ولذلك ذكره بدون في واكد المستكن بانت ليلا يلزم العطف على المستكن بلا فصل وانما استقام بصيغة فعل تغليبا وايثاره على اسكنا مع اختصاره اشعار بالاصالة والتبعية والزوج قرين الشيء من جنسه يشمل الذكر والانثى وقد يلحق التاء والجنة دار الثواب وقد تواترت بذلك الاخبار وصرح موسى في مناظرته بذلك حيث قال اهبطت الناس من الجنة بخطيتك وفي حديث الشفاعة قال آدم كيف يرجون الشفاعة بمن كان سبب اخراجكم من الجنة وفي لفظ الهبوط ايضا دلالة صريحة والقول بانها كانت بستانا في الارض فلسطين او بين فارس وكرمان من موضوعات القدرية النافين لخلق الجنة **وكلا منها رغدا** اكلا واسعا **حيث شئتما** في اي مكان **ولا تقربا هذه الشجرة** هي الحنطة وقيل الكرمة وقيل التينة او شجرة غير معروفة من اكل منها احدث والاول هو المشهور والتاء للوحدة نوعا او شخصا وهذا اولى مبالغة في ازاحة العلم وعلى التقديرين اللام للجنس لان الجاري على المبهم هو اسم الجنس المعرف تعريفه البتة وقد بالغ في النهي عن الاكل باقحام لفظ القرب لان من رعى حول الحمى يوشك ان يواقعه **فتكونا من الظالمين** لانفسكما بالاخراج من النعيم المقيم وتعريضا للآفات عطف على النهي او نصب على الجواب وعلى الوجهين الفاء للسببية **فازلهما الشيطان عنها** اصدر الشيطان زلتهما عن الشجرة كقوله وما فعلته عن امري اي صادرا عنه والحاصل حملهما على الزلة بسببها او عن الجنة بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها من زل رجله اذا زالت عن مكانها **فاخرجهما مما كانا فيه** من النعيم لا من الجنة لان الازلال اخراج مع الاتباع فلا يعطف عليه مطلقا بالفاء او على الاول لجعل الضمير للشجرة الاول جاز الوجهان وقراء حمزة فازالهما من الازالة والاول ابلغ لدلالته على المزاولة والاحتيال وعليه الرسم قيل توسل الى اغوائهما بعد خروجه بان ناديهما من وراء الباب وقيل دخل في فم الحية فدخلت به وقيل لم يكن ممنوعا من الدخول للوسوسة بل تكرمة قلت كل هذا رجم بالغيب ولا دليل عليه والايات دلت على تراخي القول عن الاباء والثانية على عدم تراخي كان قبل خروجه وهي قوله الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فوسوس اليه الشيطان فان الفاء الاولى دلت على عدم تراخي الوسوسة عن القول وكذا لفظ هذا يدل على حضوره حين هذا القول لهما وقوله انظرني الى يوم يبعثون اذ لو كان الامر بالخروج قبل الاغواء لم يكن لهذا القول وجه لانه في الجنة لا موت ولا بعث واصرح منه قوله لازينن لهم في الارض **وقلنا اهبطوا** خطاب لآدم وحواء والجمع بادخال الذرية لانهما الاصل فكانهما الجنس والدليل عليه قوله في سورة طه اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولان القصة واحدة والتعادي بين الذرية لا بينهما وبين ابليس وكذا قوله فمن تبع هداي الى آخره فانه بيان لجزاء الفريقين ولا ذكر لابليس **ولكم في الارض مستقر** مكان استقرار او استقرار **ومتاع** منفعة وتمتع يقال متع النهار اذا طال وقد اشتهر استعماله في نفع يشارف الزوال كمتاع المسافر ولذلك يستعمل في معرض التحقير **الى حين** الى يوم القيمة والموت ابتداؤه لان من مات فقد قامت قيامته او لادخال مقدمة الشيء فيه او لاشتفاعه بالقبر لانه مسكنه **فتلقى آدم من ربه كلمات** استقبلها والتلقي التعرض للقاء فاطلق على الاستقبال لدلالته على انه تلقاها بالاجلال والاكرام كما تتلقى الاعزة وقراء ابن كثير برفع كلمات اي وصلت اليه والاول هو الاصل واحسن والجار والمجرور حال من كلمات في الوجهين والكلمات ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعن ابن مسعود احب الكلام الى الله ما قال ابونا آدم سبحانك اللهم وبحمدك تبارك

اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك **فتاب عليه** رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء

في اكثر الاحكام وقد روى الحاكم عن ابن عباس ان آدم لما اصاب الخطيئة قال يا رب الم تخلقني
بيدك قال بلى قال وكتبت على هذا قال بلى قال ان تبت هل انت راجعي الى الجنة قال بلى وبالفاء دل على
ان التلقي كان توبة من آدم والتوبة من العبد الرجوع الى الطاعة بالاقلاع عن المعصية والعزم على
ان لا يعود ويلزمه الندم على الماضي ومن الله تعالى الرجوع اليه بالغفران ومحو الذنب عن ديوان
الحفظة **انه هو التواب** شديد العناية بقبول توبة العبد لو استغرق في المعاصي دهره ثم اقلع
قبل ان يغرغر ولو بلمحة كان كيوم ولدته امه ولذلك اكثر بوجوها **الرحيم** حيث لم يقتصر على التجاوز بل يحده
حسنا ويجعل مكان سيئاته حسنات **قلنا اهبطوا منها جميعا** المسرفيه تكرار لان الاول لبيان
حال آدم ولذلك فرع عليه حديث التلقي وقبول التوبة وذكر الذرية بالتبع وفي الثاني بالعكس
ولذلك اكده بقوله جميعا وفصل بعله حال الفريقين واستانفه الكلام ولم يربطه بالاول وقيل
كرر تاكيدا وقيل الاول من الجنة الى السماء والثاني منه الى الارض والوجه هو الاول ونصب
جميعا على الحال ولا دلالة فيه على اجتماع في الزمان **فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي**
الشرط الثاني مع جوابه جواب للاول كقولك ان اكرمتني فان قدرت على المجازاة فعلت
والاتيان بحرف الشك واتيان الرسل كائن لا محال لانه قد روعد ووعده لا يخلف للايذان
بان الارسال والانزال تفضل منه وللتنبيه على ان ما اوتي آدم من الهدى وعلم الاسماء كاف
لذريته فان اتى بشيء اخر فذاك والا فقد كفى ذلك مع انه جبر ما فات بما ونون التاكيد ووضع
الهدى ثانيا للتشريف فهو عين الاول لانها نكرة اعيدت وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
معرفا وقيل الثاني اعم فيشمل ما اقتضاه العقل فان اراد به اقتضاء العقل استقلالا من دون
ارسال وانزال فلم يقل به وان اراد ما يرجع اليه فلا عموم اذ لا حكم قبل البعث والنسيان معفو
فكيف سمي عصيانا وغواية قلت عوتب على ترك التحفظ وفرط الاختلاط والاغترار بقول العدو
فلا خوف عليهم فضلا عن ان تحل بهم مكروه **ولا هم يحزنون** على فوات محبوب **والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** عطف على من
تبع اي ولم تبع والعدول الى المنزل للتعبير عن الكفر والتكذيب والايات الاحكام المنزل ومفهوم
الاية ان من لم يكذب بايات الله لا يخلد فان قلت ما وقع من آدم لم يكن الا نسيانا في الفروع
مع قرب العهد بالتحذير منه والتصريح بعداوة والانبياء والرسل يواخذون بالذرات وآدم اول
الناس وقد وتم فشدد عليه تربيبا لاولاده ولطفا بهم ولله مع عباده لا سيما مع رسله شان
ليس لغيره فلا يجترئ احد على ان يقول عصى آدم فتاب الله عليه او غوى واذنب فان اذنبت فلي
فيه اسوة فان هذه جريمة **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** خصهم من بين
المخاطبين لانهم اهل العلم واولى بان يكونوا اتباع رسول الله شكر النعمة اللاحقة والسابقة
على اسلافهم من الانجاء واغراق العدو وقبول التوبة فان النعم على الاباء واصله بالابناء
واسرائيل لقب يعقوب معناه بالعبرية صفوة الله او عبد الله وفي كونه عبد الله تشريف له
والذكر اعم من اللسان لان المراد منه الشكر **واوفوا بعهدي اوف بعهدكم** العهد
هنا الذمة والحفاظ ولا يكون له الا بين اثنين فالمعنى اوفوا بما عاهدتموني عليه والطاعة
واتباع محمد اوفي بما عاهدتكم عليه من الثواب ورفع الاصار والاغلال كما اشار الى
الاول بقوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل ووعد عليهم الايمان والاعمال ثم قال
لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات والى الثاني بقوله الذين يتبعون الرسول النبي
الامي وعد عليهم امورا ثم قال ويضع عنهم اصرهم والاغلال فالعهد مضاف الى
المفعول في الاول والثاني اذ لا معنى لقولك اوف بعهد غيرك لما كان المعاهد عليه
جملة فالقائم بكلها هي الاستقامة المامور بها في قوله واستقم كما امرت وادناها التصديق

فائدة القاضي

رد على القاضي

التصديق بالقلب والاقرار باللسان **واياي فارهبون** هو اوكد من اياك نعبد في الاختصاص
لان الاختصاص نفي واثبات فاذا تكرر الاثبات تاكد الاختصاص على ان اللاحق يمكن اعتباره على وجه
الاختصاص لكونه مفسر الما فيها الاختصاص لا سيما اذا قدر الشرط العام اي مهما يكن من شيء فاياي
ارهبوا فارهبون صار اوكد من وجه آخر الواو للعطف والفاء الجزائية اخرت الى المفسر بعد حذف
المفسر ولا تمنع عمل الفعل المشغول بالضمير فيما قبله كقوله وربك فكبر بل الله فاعبد **وامنوا بما انزلت
مصدقا لما معكم** اذ لا وجه للكفر به والحال انه مصدق لشرعكم والمراد به التصديق في كونه
من عند الله فلا يقدح في ذلك نسخ بعض فروعه واليه يشير حديث رواه مسلم الانبياء بنو العلات
الاب واحد والامهات شتى **ولا تكونوا اول كافر به** اول افعل تفضيل بدليل اولى واولين اصله
دل ابدلت الهمزة واوا ثم ادغمت فاذا اضيف الى نكرة يجب مطابقة موصوفه لما اضيف اليه فا
لتقدير اول فوج او فوم اي كل واحد والكلام تعريض باهل الكتاب بانهم كانوا احقاء بان يكونوا
اول مؤمن به لما عندهم من اسباب الاولية من كمال معرفتهم به يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وكانوا
يستفتحون به على الذين كفروا فلا يرد ان المشركين اول كافر به ولان الكفر مطلقا منهي فما كان
فما وجه التقييد بالاولية وقيل اريد الاولية مع العلم او اول كافر من اهل الكتاب او مثل اول كافر
او اول كافر بالتورية على ان الضمير في به لما معكم فان الكفر بالقران كفر بها كالعكس ايضا لوجوب الايمان
بكل الكتب وقد دل اعجازه على انه كلام الله وهم يعلمون ولذلك وبخهم بقوله وانتم تعلمون فلا وجه
لما يقال انما يلزم من الكفر بالقران الكفر بما معهم ان لو كان كفرهم به انه كذب كله واما اذ كفروا بكونه
كلام الله واعتقدوا ان فيه الصادق والكاذب فلا **ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا** لا تستبدلوا
بالايمان الرياسة والرشا وعبر عن المشتري بلفظ الثمن الذي هو المشترى به تعريفا لهم وتجهيلا
حيث جعلوا ما حقه ان يكون وسيلة مبذولا في نيل المطالب مطلوبا حتى بذلوا فيه الاعز الاشرف
واياي فاتقون بامتثال الاوامر واجتناب المناهي فصل الاولى بالرهبة وهذه بالتقوى لان الاتقاء
هو التحفظ وفرط الصيانة ولا ريب في كونه مسبوقا بالرهبة ولذلك عقب الاول ذكر النعمة والوفاء والثاني
الايمان بالمنزل لان التقوى نتيجة وغايته وقيل لان الاولى نعم العالم والمقلد والثانية تخص اهل
العلم فامروا بالتقوى الذي هو منتهى السلوك وفيه ان المخاطب واحد في الانسانات كلها والاينفك
الضمائر **ولا تلبسوا الحق بالباطل** اي لا تخلطن بان تكتبوا في التورية ما ليس منه او لا تجعلوا
الحق ملتبسا على الناس بسبب الباطل فالباء على الاول لصلة وعلى الثاني للاستعانة والاول اظهر لان الصلة
من تمام الفعل واكثر ولان مال الثاني الى الاول لوجود الخلط لا محالة **وتكتموا الحق** جزم داخل تحت
حكم النهي ومعنى كتمان الحق محوه عن التورية او تحريف الكلم عن مواضعها كان في التورية نعت رسول الله
ربعة ابيض فبدلوه بقصر اسمر او منصوب باضمار ان والواو للجمع اي لا تجمعوا بين اللبس والكتمان لا على
معنى ان المذموم هو الجمع بل بغيا عليهم الجمع بين امرين كل منهما مستقل بالقبح والشناعة ولذلك اعاد
الحق **وانتم تعلمون** زيادة للتقبيح لان الجاهل ربما يعذر **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** صلوة
المسلمين وزكوتهم اللام للعهد او الجنس على ما عدا صلوة المسلمين وزكوتهم ليس بصلوة وزكوة
واركعوا مع الراكعين لان صلوة اليهود لا ركوع لها او صلوا مع المصلين جماعة فانها تفضل
صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة ولا دليل فيه على وجوبها لانه نهي عما كانوا معتادين به من الانفراد فيكفي
كونها سنة مؤكدة في الاية دليل على ان الكفار يخاطبون بالفروع وقيل الركوع الانقياد والخضوع
فيكون تعميما **اتامرون الناس بالبر** الهمزة للتقرير مع الانكار والتعجب ومعنى التقرير الالجاء الى الاقرار
لان الامر بلغ في الانكشاف مبلغا لا يمكن المخاطب انكاره وقد يجتمع مع التحقيق كما في الاية ويوجد كل منهما
بدون الاخر والبر الخير الواسع من البر وهو الفضاء ومنه قول المجيب صدقت وبررت اي اتيت بخير واسع
في صدقك حيث دعوت كل سامع الى الفلاح **وتنسون انفسكم** تتركونها عن البر كالشيء المنسي
عن ابن عباس كان احبار اليهود يامرون من نصحوه باتباع رسول الله وقيل كانوا يامرون بالصدقة

رد على القاضي

ولا يصدقون وفي معناه قوله تعالى يقولون ما لا تفعلون روى البخاري ومسلم عن ابي وائل ان
رسول الله قال يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه فيطيف به اهل
النار فيقولون يا فلان الم تكن تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت امركم ولا افعل وانهاكم
وافعل ولقد احسن من قال لما قبح الزهيد من عالم يزهد الناس ولا يزهد لو كان في تزهيده صادقا اضحى
واسى بيته المسجد **وانتم تتلون الكتاب** تبكيت لهم **افلا تعقلون** ما تتلونه فتعرفوا وخامة عاقبة ما انتم
فيه **واستعينوا بالصبر والصلوة** لما كلفوا ترك ما الفوه من الرياسة ودين الاباء وكان ذلك شاقا عليهم
ارشدوا الى ما يسهل عليهم ذلك وهو المصير على تكاليف الصلوة والقيام بها على الوجه الاكمل مراعى
فيها الاركان والشرايط والسنن والاداب فان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر واستعينوا عن النوايب
بالصبر والصلوة بالجمع بينهما وعن حذيفة ان رسول الله كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وقيل الصوم
والصلوة لان في الصوم حبس النفس عن المفطرات وهذا اوجه لان في الصوم جلاء النفس وقطع الشهوات
التي هي جنود الشيطان وفي الصلوة مناجات الحق وفيضان الانوار وهي جامعة لانواع العبادات
البدنية جنانا ولسانا واركانا ولذلك كانت عماد الدين **وانها لكبيرة الا على الخاشعين**
الضمير للصلوة ان قيد الصبر بالصبر عليها لانها المقصود والمذكور لفظا وان فسر بمعنى اخر فالضمير
للاستعانة ليكون اشمل والخشوع الانقياد واصل الانحطاط يقال مكان خاشع ولذلك يوصف به
الجوارح كما يوصف القلب بالخضوع ويتقاربان **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم** اللقاء مجاز
عن الرؤية او الثواب والظن على اصله من الطمع والتوقع اذ لا قطع بذلك او عن مطلق الجزاء فالظن
بمعنى اليقين لانه مقطوع به يؤيده قوله **وانهم اليه راجعون** الا ان يقدر له عامل اي ويعلمون
وهو خلاف الظاهر والظن بمعنى اليقين كثير قال فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي
المسرود وراى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها وانما خفت عليهم لعلمهم بما ادخر الله لهم
وفي المثل من ايقن بالخلف جاد بالعطية ومن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن ذلك قال قدوة
المتقين جعلت قرة عيني في الصلوة وارحنا يا بلال بها **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم** كرر للتقرير والنعمة وتفصيل اضافها ولذلك اعاد النداء **واني فضلتكم على العالمين**
على عالمي زمانهم حملا على الموجود بالفعل كانوا اشرف القبائل كالعلوية في زماننا او على الجم الغفير
يقال اذا رايت فلانا فقد رايت العالم قال لو زرته لدايت الناس في رجل فلا دلالة فيه على تفضيلهم على
الملائكة ولا على امة اخرى فضلا عن خير الامم **واتقوا يوما** اي ما فيه من الحساب والعذاب **لا تجزي نفس
عن نفس شيئا** لا تقضي ومنه الجزية وحديث جذعة ابن نيار لا تجزي عن احد بعدك والتنكير
في الاسماء الثلثة في سياق النفي للعموم اي نفس ما عن اي نفس كانت شيئا ما او ادنى جزاء على انه مصدر والجملة
صفة يوما حذف منه العايد اما مع الجار ابتداء على ما اثره سيبويه او تدريجا بحذف الجار اولا والضمير
ثانيا بعد ايصاله كما ذهب اليه المبرد والكسائي والشايع حذف العايد من الصلة ثم من الصفة ثم من الخبر
ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فداء اصله المساواة اطلق على الفداء لانه يساوي
المفدى بالقيمة من غير الجنس وبالكسر منه والضمير للنفس الثانية او للاولى ويؤيد الاول **ولا هم
ينصرون** فان ضميرهم للنفوس المجزي عنها والتذكير باعتبار الاشخاص وللقول ولا يقبل منها عدل
ولا تنفعها شفاعة وللقول ولا تنفعهم شفاعة الشافعين سد عليهم طرق دفع العذاب لانه اما ان يكون
مجانا او بعوض او بشفاعة او بقوة ناصر ولا دلالة فيه على عدم الشفاعة لاهل الكباير لانه عام مخصوص
بالايات والاحاديث او مقيد بمواطن او بما قبل الاذن وقرا ابو عمرو وابن كثير تقبل بتاء التانيث والتذكير
احسن لوجود الفاصل **واذ نجيناكم من ال فرعون** من قبيل عطف جبريل وميكائيل على الملائكة واصل
ال اهل بدليل تصغيره على اهيل وخص بالاناسي دون الاماكن وذوي الاخطار منهم دينا كان هرون
او دنيا كال فرعون وعن الكسائي اصله اول ونقل عن اعرابي فصيح اويل في تصغيره وقيل الال القرابة تابعها
والاهل اعم ولذلك اوثر في الصلوة الال وفرعون لقب من تملك مصر كقيصر لملك الروم وتبع لمن تملك

لمن تملك اليمن وكان اسمه مصعب بن ريان او وليد بن مصعب **يسومونكم سوء العذاب** يكلفونكم
من سام المشتري السلعة اذا طلبها والسوء مصدر ساء واصل العذاب السوء لم قدم واضيف والمعنى
اسوء العذاب لان العذاب كله سيء والجملة حال من الضمير او من ال فرعون او منهما لوجود ضمير كل
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم او استيناف وعطف في سورة ابرهيم
لكونه اشد العذاب فامتاز امتياز جبريل وميكائيل وكان سبب ذبح الابناء قول الكهنة سيولد من بني
اسرائيل مولود يكون زوال ملكه على يديه وقد عمى قلبه لان قول الكهنة ان كان حقا فلا بد من وقوعه
وان كان باطلا فلا اي شيء يقتل الاطفال **وفي ذلكم بلاء من ربكم** محنة والاشارة الى صنيعهم او نعمة والاشارة
الى الانجاء والاختبار بالشر للصبر وبالخير للشكر وهذا اليق بقوله من ربكم واوفق لتعداد النعم **عظيم**
صفة بلاء **واذ فرقنا بكم البحر** فلقناه لاجل انجائكم الباء للسببية او ملتبسا بكم فالباء للمصاحبة كقوله
الطب تدوس بنا الجماجم والتربيا **فانجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون** تشاهدون ذلك لا تشكون
فيه منتدون مسرورون وستاتي القصة مستوفاة **واذ واعدنا موسى اربعين ليلة** لما دخل بنو اسرائيل
مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب وعد الله موسى ان يؤتيه كتابا وضرب له ميقاتا ذا
القعدة وعشر ذي الحجة وذكر الليالي لانها غرر الشهور حين برء الهلال واسباب اربعين على الظرفية اما على
قول ابن عباس كله في اربعين يوما وليلة فواضح ومن خص بالاول وبالاخر فكذا لانه من باب رايته سنة
كذا اكتفى فيه وقوع الفعل في جزء ومن قال بعده فللاتصال وعدم التراخي والمفعول به محذوف وهو
المشترك بين الطرفين اي واعدنا موسى الوحي واعدنا والمجيء والاولى ان يجري اربعين مجرى المفعول به وفيه
مبالغة بجعل ميقات الوعد موعودا وقرا ابو عمرو وعدنا بغير الف وعليه الرسم والمعنى ظاهر ويمكن ان
يحمل قراءة الجمهور عليه وايثار المفاعلة للمبالغة **ثم اتخذتم العجل من بعده** اي الها من بعد ذهاب
موسى **وانتم ظالمون** باتخاذ العجل الها **ثم عفونا عنكم من بعد ذلك** الامر العظيم العفو المحو من عفا
الشيء عفاء درس وهلك ابلغ من الغفران وافراد الخطاب باعتبار كل احد **لعلكم تشكرون** لكي
تشكرون او ليكونوا في صورة من يرجى منه الشكر **واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان** اي الكتاب
الجامع بين كونه كتابا منزلا وبين كونه فرقانا كقوله ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا والتعريف
فيه دون ضياء وذكرا لكونه معهودا كالاعدام دونهما او البرهان الفارق بين المحق والمبطل من ساير
معجزاته او الشرع الفارق بين المعروف والمنكر او البصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان
يوم التقى الجمعان ليوم بدر **لعلكم تهتدون** بالتامل في الكتاب والتفكر في ايات الله **واذ قال موسى
لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم** فان قلت اليس قد تقدم ذكر اتخاذ العجل وان الله عفا عنهم قلت
اعاده مفصلا حثا للموجودين على اتباع النبي الامي الذي وضع عنهم تلك الاصار التي كانت على ابائهم
واكتفى في التوبة بالندم **فتوبوا الى باريكم** اي اذا قد ظلمتم فتوبوا الفاء للسببية واثار البارئ دون
ساير الاسماء الحسنى للتنبيه على عباوتهم حيث اثروا على خالق الاشياء بريئة من الخلل والتفاوت العجل الذي
هو ابلد الحيوانات **فاقتلوا انفسكم** بايديكم وهو البخع او من لم تعبد العجل عابديه والتعبير بالانفس لما بينهما
من التعلق في القرابة والاتحاد في الاعتقاد وتفسير القتل بقطع الشهوات كما قيل من لم يقتل النفس لم يحيها
غير مستقيم لكون القتل مرادا قطعا عن ابن عباس احتبى الذين عبدوا العجل بافنية دورهم وقام الذين لم
تعبدوا واخذوا الخناجر في ايديهم وكان الوالد يرى ولده وذو القرابة قريبه فيشق عليه فالقى الله عليهم
ظلمة شديدة فدعا موسى وهرون فانكشف عن سبعين الف قتيل **ذلكم خير لكم عند باريكم** لكونه وصلة
الى الحيوة الابدية ووسيلة الى رضوان الله واسكن ابو عمرو همزة باريكم لثقل توالي ثلث حركات وروى عنه
الدوري الاختلاس اكتفاء به من السكون **فتاب عليكم** من قول موسى جواب شرط محذوف اي ان تفعلوا
فقد تاب عليكم او من كلامه تعالى عطف على محذوف اي ففعلتم فتاب عليكم ففيه التفات من الغيبة وهو
لفظ القوم الى الخطاب ومن التكلم الى الغيبة في فتاب **انه هو التواب** الذي يكثر توفيق التوبة او قبولها **الرحيم**
الذي يبدل مكان السيئة الحسنة **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة** في اشارة دلالة

رد على القاضي

لان تعود بكثرة ... النفس ... بعد ذلك شأن
كان ... مبلغه

على مراجعات بينه وبينهم لانها لا يقع جوابا ابتداء والجهر مستعار للرؤية عيانا لانه من خواص الصوت
ولبس فيه دلالة على عدم جواز الرؤية ولا ان كفرهم كان بسبب طلبها الا ترى ان موسى قد سالها
وانما كفروا بتعنتهم وعدم الاعتداد بسائر معجزاته وهذا ظاهر لمن كان له قلب او القى السمع فاخذتكم
الصاعقة الرجفة وكان فيها موتكم او نار فيها وانتم تنظرون ما اصابكم واثره لا تشكرون
فيه ثم بعثناكم من بعد موتكم يوما وليلة لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه سابقا
هؤلاء هم السبعون الذين اختارهم موسى لميقات ربه فلما سمعوا كلامه طلبوا الرؤية عيانا وهذه
القصص قد بسطت في ساير السور واشير اليها هنا موجزة لان سوقها لتعداد النعم على المخاطبين
وآبائهم وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى لما ذكر ما دفع عنهم من النقم
شرع يفضل ما اولاهم من النعم والغمام السحاب الابيض سمي به لانه يغم السماء وبوادية والمن الترنجبين
كان ينزل عليهم على حفة الثلج بين الطلوعين والسلوى السمان وهو نوع من الطير دون الحمامة
وكانوا مامورين بان ياخذوا قدر كفايتهم ولا مدخروا فادخروا فدود وخبث فنتن اللحم وقد روى البخاري
انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم كلوا من طيبات ما رزقناكم خنز اللحم انتن
على ارادة القول وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بتعريضها للسخط واذ قلنا ادخلوا
هذه القرية هي بيت المقدس وقيل اريحا والاول هو الصواب فكلوا منها حيث شئتم رغدا
واسعا صفة مصدر او في موضع الحال من الواو وادخلوا الباب اي باب المسجد الاقصى وهو
المسمى الان بباب حطة سجدا على هيئة الراكعين تواضعا لله وشكرا على نجاتهم من التيه وقهر عدوهم
وهم الجبارون الذين قاتلهم يوشع بعد موت موسى وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك حطة فعلة
كالجلسة والركبة والمراد حطة الاوزار لقوله نغفر لكم خطاياكم جزم على الجواب وقرا نافع بالياء وابن
عامر بالتاء على بناء المفعول والمختار قراءة الباقين بالنون للاصالة وفخامة المعنى ولقوله
وسنزيد المحسنين عطف على غفران الخطايا بانواع المزايا واخرجه عن الجواب الى الاخبار للدلالة على
الوقوع لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم قالوا مكان حطة حمراء في شعرة فان قلت لم يحك
تبديل الفعل فانه روي انهم دخلوا زحفا على اسناههم معنى رؤوسهم قلت اكتفى بالقول فانه اظهر
في المخالفة ولانه ربما يتوهم ان الدخول على ذلك الوجه كان لعذر فانزلنا على الذين ظلموا رجزا
من السماء عذابا وهو الطاعون مات منهم في ساعة سبعون الفا بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم
عن طاعة الله وهذه الاية ابلغ من اية الاعراف من وجوه اخراج سنزيد عن الجواب وتكرير الظلم والجمع
بينه وبين الفسق وتبديل الانزال بالارسال وذلك لان هذه خطاب معهم وتلك اخبار عنهم ولان
هذه نزلت بعد تلك فلا بد من زيادة فائدة واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه
فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد لانه كان حجرا معهودا على هيئة راس الانسان
او راس ثور نزل به آدم مع العصا من الجنة فتوارثه الانبياء فدفعه اليه شعيب مع العصا او للجنس اي
حجر كان وهذا ابلغ في الاعجاز فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا اي فان ضربت او فضرب
والفاء على الوجهين فصيحة لانها تنبئ عن محذوف اشارة الى ان السبب الاصيل في ذلك
هو امر الله وارادته لا فعل موسى والوجه هو الثاني لقلة التقدير ولان الفاء الجزائية لا تصح
بدون قد واضمارها ضعيف قد علم كل اناس مشربهم اي كل سبط عرف العين المختصة
لئلا يقع تنازع كلوا واشربوا على ارادة من رزق الله المن والسلوى والماء واضافه
الرزق اليه لكونه حاصلا من غير كد منهم ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تعتدوا
حال كونكم مفسدين وانما قيده لانه ربما كان على وجه الجواز كمقابلة المعتدي بمثل فعل وقيل
الحال مؤكدة ومن عرف الله بصفات الكمال لا يستغرب امثال هذه الامور هذا ونبوع الماء
من بين اصابع رسول الله اعجب وابدع من الحجر لانه متعارف في الاحجار وصخور الجبال واذ قلتم
يا موسى لن نصبر على طعام واحد اراد المن والسلوى ووحدته باعتبار عدم تبدله

تبدله كما يقال ما يده الامير طعام واحد يريدون على نمط وان اشتملت على الوان فادع لنا ربك
يخرج لنا مما تنبت الارض الاسناد مجازي من بقلها الخضر والمراد اطايبه وقثائها وفومها
وعدسها وبصلها من قبيل عطف جبرئيل على الملائكة وقيل الفوم الحنطة لقول العرب
فوموا لنا اي اخبزوا والاول وفق البصل ويؤيده قراءة ابن مسعود بالثاء وثومها وانتم اناس
لئام الاصول طعامكم الفوم والحوقل اراد الثوم والبصل كانوا فلاحة كادين مالت نفوسهم
الى ما الفوه قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير يريد به المن والسلوى الباء داخلة
على المبدل المتروك اهبطوا مصرا هي البلدة المعروفة والصرف لسكون الوسط او اعتبار
البلد والمكان وان كان اصل مصرايم عجميا فلعدم التانيث او عدم الاعتداد بالعجمة لوجود
التعريب والصرف والاولى ان يراد مصر من الامصار لان ما طلبوه ليس منحصرا في تلك البلدة
والتيه مشرف على ساير البلاد فيكون منه الهبوط اليها كلها فان لكم ما سالتم
اي ذلك الادنى وضربت عليهم الذلة والمسكنة جعلت محيطة بهم احاطة القبة بداخلها
او الصقت بهم وعلى الصاق الطين بالحائط وعلى الوجهين استعارة مكنية ولا ينافي كون الكلام
كناية عن كونهم اذلاء صاغرين ولا يرى اليهود الا اذلاء مساكين اما حقيقة او تكلفا خيفة
يضاعف الجزية وفي المثل فلان اذل من اليهودي وباءوا بغضب من الله اي رجعوا من
سفرهم الذي كانوا فيه حال كونهم مصاحبين لغضب الله او صاروا احقاء من قولك باء فلان بفلان
اذا ساواه ذلك اشارة الى جميع ما حل بهم بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون
النبيين بغير الحق اللام للجنس والمعنى انه باطل عندهم ايضا كما في الواقع فهو كقوله بغير حق في آل
عمران والاولى ان يكون اللام للعهد وهو ما يعتقدون ويدينون به وتنكيره في آل عمران للعموم واتيان
المضارع لاستحضار تلك الصورة الشنيعة والاشارة الى انهم ساعون في قتل محمد وقرا نافع النبيئين
بالهمز ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كرر الاشارة دلالة على ان لهم غير الكفر بايات الله
وقتل الانبياء معاصي اخر واعتداء في الحدود يكفي حالها للذلة وبواء الغضب فكيف والاجتماع كان
او اشارة الى الكفر والقتل بيانا لسبب السبب وهو التمرن على العصيان والاعتداء ويجوز ان يكون
الباء بمعنى مع فيكون كالاول اي ذلك الكفر والقتل مع العصيان والاعتداء والاول سبب كامل
فكيف وقد ضم اليه الثاني والاشارة الى اثنين بلفظ المفرد شائع بتاويل المذكور ان الذين
امنوا بالسنتهم دون قلوبهم والذين هادوا اي دخلوا في اليهودية سموا بذلك اما لانهم
هادوا اي تابوا من عبادة العجل او لقولهم انا هدنا اليك او معرب يهودا اكبر اولاد يعقوب
تسمية باسم ابي القبيلة والنصارى جمع نصران كندامى في ندمان والياء في نصراني للمبالغة كما
في احمري ودواري سموا بذلك لنصرهم المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يسمى نصران او ناصرة
سموا بها او اخذ اسمهم من اسمها والصابئين قوم من النصارى مالوا عن دينهم الى عبادة
الملائكة من صبا يهمزون اذا مال وقرا نافع بالياء وترك الهمز اكتفاء بدلالة الكسرة قبل
الياء عليه وقيل صبا يصبو لغة والهمز هي الفصحى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا
اي منهم فلهم اجرهم عند ربهم خبر من ان جعل مبتدا والجملة خبر ان وان جعل من
بدلا من الذين فخبر ان ودخول الفاء لتضمن الموصول معنى الشرط وفيه الزام لسيبويه حيث
منع دخول الفاء بعد دخول ان ولا خوف عليهم من ارتكاب ما سلف ولا هم يحزنون
على فات بل ينالون اجرا كاملا والكلام من حيث ضرب الذلة الى هنا مستطرد لبيان
انهم لما اثروا الاتهاد باستبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير كان ذلك اول ذل اصابهم لم يبين
ان من كان نجحه في تلك الرتبة غير بديع منه الكفر بايات الله وقتل الانبياء ثم ضم اليهم اضرابهم ممن تمرن
على الكفر وان من اخلص في ايمانه فاز بما فاز به المخلص وباء بالرضوان بدل بواء الغضب ترغيبا في الايمان
واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حين

عصيتم روي ان موسى لما جاءهم بالتورية شق عليهم ما فيه من التكاليف فابوا قبولها فامر جبرئيل بقلع الطور
ورفع فوقهم كانه ظلة وقرا اليهم شيئا فشيئا حتى وقع احد حاجبي راسهم الى الارض وهم ينظرون باحدى
العينين الى الجبل فلما سجدوا ارفع الله عنهم فهم الى الان يسجدون على حرف الراس لانها سجدة رفع الله
بها العذاب خذوا ما آتيناكم بقوة باجتهاد وجد واذكروا ما فيه احفظوا احكامه او ادرسوه فيشمل
ذكر القلب واللسان لعلكم تتقون لكي تتقوا او تكونون في صورة من يرجى منه التقوى ثم
توليتم من بعد ذلك اعرضتم بعد ذلك الميثاق فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق
اسلافكم للتوبة لان المخاطبين لم يؤمنوا لقوله فقطعوا ان يؤمنوا لكم لكنتم من الخاسرين بعض
الكاملين في الخسران ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة والسبت الراحة
والقطع ومنه سبت اليهود لكفهم عن الاعمال او لقطعهم ذلك اليوم عن غيره بالحكم وهو جرم
الصيد فيه كان اهل ايلة على شاطئ البحر فابتلاهم الله بحرمة الصيد في يوم السبت فكانت الحيتان
تاتيهم يوم سبتهم شرعا مخرجة خراطيمها ويوم لا يسبتون لا يرون منها واحدا فاحتالوا في صيدها
بان اتخذوا على الشاطئ حياضا وشرعوا اليها الجداول ليدخلها الحيتان يوم السبت فيصطادوها
يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اذلاء من الخسوء وهو الصغار والامر للتسخير
والمراد سرعة التكوين اذ لا قدرة لهم على الصيرورة قيل صار شيوخهم خنازير وشبابهم قردة
وعن مجاهد مسخ قلوبهم دون صورهم وهو خلاف الاجماع مع انه لا يلائم مقام الترهيب
فجعلناها اي المسخة نكالا ردعا لما بين يديها وما خلفها من الامم وكان امر المسخ في كتب
الاولين فاعتبروا بها ودخول الفاء باعتبار الفريق اللاحق او من قرب من اهل عصر المسخ
ومن بعد لانبياء الذين قرب من اصيف الله استعيرت الجهتان للزمان واللام على الوجهين
صلة وايثار ما على من لتحقير الشان لصدور الكلام عن مقام الكبرياء واظهار السخط او لما تقدم
من ذنوبهم وما تاخر والنكال بمعنى العقوبة واللام للتعليل فان قلت بعد المسخ لم يبقوا مكلفين
حتى يتصور منهم ذنب قلت يحمل على ما سنوه من الصيد وساير المعاصي كما في قوله ونكتب ما قدموا
اثارهم وقوله بما قدم واخر وموعظة للمتقين لكل متق حضرها او سمع واذ قال موسى لقومه
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول القصة واذ قتلتم نفسا وانما قدمت هذه الاية ليتصل نظم مساوي
بهم من نسبة النبي الى الهزء وترك الامتثال لسرعة والاشتغال بما لا يعني من الاستقصاء في السؤال كان
شيخ موسر في بني اسرائيل وله ابن فقتله بنو عمه ليرثوا الشيخ وقيل كان الشيخ عقيما وله بنو اخ فقتلوه مستعجلين
اخذ ماله وطرحوه على باب المدينة ثم جاءوا يطالبون بدمه فرفعوا القصة الى موسى فامرهم ان يذبحوا
بقرة ويضربوا الميت ببعضها ليحيى الميت ويخبر بالقاتل قالوا اتتخذنا هزوا مكان هزء او نفس هزء لبعد
حيوة الميت من نحو عظم رميم وقرا حمزة بسكون الزاء وهي لغة تميم واسد وابدل حفص الهمزة واوا
استثقالا للهمزة بعد الضمتين وكذا حمزة وقفا قال اعوذ بالله ان اكون من
الجاهلين لان الهزء في مقام الارشاد لا سيما من المرسل بتبليغ الاحكام جهل ولذلك استعاذ
بالله قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ما صفتها المميزة لكون حقيقتها معلومة كقولك
ما زيد فيجاب بعاصل ونحوه وقيل اقيمت ما مقام كيف وايا ما الى ان هذه البقرة كانها نوع
خارج عن حقيقة البقر قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية الفارض من الفرض
وهو القطع لانها قطعت العمر وبلغت اخره وتركيب البكر للاولية ومنه الباكورة لاول الثمر
عوان بين ذلك بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين وايثاره على
التثنية لقصد الاختصار كما جعلوا فعل ما ساغ من افعال جمة والذي حسن ان اسماء الاشارة والموصولات
ليست على قانون ساير الاسماء في الجمع والتانيث بل وضعت صيغا مخصوصة فلذلك سهل الامر
فيها وقد يقع مثله في الضمير ايضا كقوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق
حيث لم يقل كانها عن ابن عباس مرفوعا لو ما شددوا لشدد الله عليهم ولو ذبحوا ادنى بقرة لاجزأتهم

٢٠

اجزأتهم ويم الله لو لم يستثنوا ما بينت لهم اخر الابد وقيل بل كانت معينة وتاخير البيان عن وقت الخطاب
جائز وفيه انه تاخير عن وقت الحاجة الخطاب فافعلوا ما تؤمرون اي تؤمرون به كقولك امرتك
الخير فان فاتحذف الجار قد شاع فيه حتى لحق بالمتعدي قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه
يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع شدة الصفرة كالحلوك للسواد والقنو للحمرة ووصفه
اللون حقيقة والملون بسببه مثله حسن الوجه ومؤدب الغلام وعن الحسن سوداء شديدة السواد على
ان الفقوع يرشح والسواد الخاص جالب للسرور كسواد الحدق تسر الناظرين السرور لذة القلب
عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول ومزيد استكشاف ان البقر تشابه علينا اعتذار عن
التكرير وتعليل للاستكشاف فان البقرة بتلك الصفة كثيرة عن عمر بن عبد العزيز انه قال لبعض
عماله اذا كتبت اليك ان اعط فلانا شاة فلا تراجعني اضائن ام ماعز لاني اذا قلت لك ضائن
قلت اذكر ام انثى واذا قلت ذلك قلت اسود ام ابيض وانا ان شاء الله لمهتدون الى المطلوب
قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث الذلول ضد الصعب من الذل بكسر الذال
صفة بقرة ولا الثانية موكدة الاولى والمعنى بقرة غير مذللة بالحراث والسقي مسلمة سلمها الله من
العيوب كلها او اهلها من العمل لا شية فيها لا لون فيها يخالف صفرتها حتى القرن والظلف
يقال وشاه وشيا اذا خلط لونه لونا اخر قالوا الان جئت بالحق بالوصف المطلوب فذبحوها
الفاء فصيحة اي فحصلوها فذبحوها وما كادوا يفعلون في هذه الحالة ايضا لكثرة تعنتهم وثقلهم
او لخوف الفضيحة او لغلاء الثمن روي انهم طلبوها اربعين سنة فلم يجدوها ثم ظفروا بها عند ارملة
لها يتيم وكان ابوه من الصالحين فلما دناه الموت كانت عجلة فذهب بها الى غيضة وسيبها وقال
يا رب هذه امانة عندك لهذا اليتيم فرباها الله تعالى احسن تربية وادنى الامانة فيها حتى اشتروها
بملء مسكها ذهبا وكان ثمن البقرة ثلاثة دراهم واذ قتلتم نفسا نسب الفعل الى الكل لوجوده
بينهم فادارأتم فيها مجاز عن الاختصام او كناية عنه لانه من روادفه او حقيقة والمعنى
دفع بعضكم قتلها الى بعض او دفع كل منكم الاخر من البراءة الى التهمة والله مخرج ما كنتم تكتمون
لا محالة ولذلك اوثر الاسمية وانما عمل مخرج لانه حكاية المستقبل الماضي كما عمل باسط ذراعيه
لكونه حكاية حال ماضية والجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه فقلنا اضربوه
ببعضها الضمير للنفس والتذكير باعتبار الشخص والمراد اي بعض كان قيل ضربوه باللسان
وقيل بالاذن وقيل بالفخذ اليمنى وقيل غير ذلك والله اعلم والمعنى فضربوه فحيي فحذف المعطوف
والمعطوف عليه لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى عليه مع الاشارة الى الاحياء كان بمحض قدرته
وارادته تعالى من دون تاثير للضرب ويريكم اياته لعلكم تعقلون خطاب لمن حضر القتيل او
لمنكري البعث في زمان رسول الله وهذا اوجه لعدم احتياجه الى تقدير القول ولانهم الذين
عدلوا عن مقتضى العقل فيقع لعلكم تعقلون في حاق موقعه ولان ارادة الاحياء لهم قد وجد ابلغ
من هذا القول ثم بعثناكم من بعد موتكم وافراد الخطاب في ذلك ايماء الى ان الاحياء امر عظيم
يخاطب به كل من يتاتى له الخطاب وكان الله قادرا على الاحياء ابتداء وانما اجرى الامر على النمط
المحكي لما في ذلك من بدايع الحكم بركة بر الوالدين وحسن اثر التوكل وان من وقع في شبهة ينبغي
ان يتقرب الى الله ويوثر الاحسن ويغالي في الثمن روي ان عمر قرب بدنة بثلث مائة دينار ومن
لطايف اشاراته ان من اراد الحيوة الحقيقية يجب عليه ان يقتل نفسه الجاهلة الطالبة للنماء والعلف الشبيهة
بالبقرة حين تجاوزت حد الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر فهي حينئذ كاملة القوى محبة بجمالها لتحيى بعد ذلك
حيوة طيبة ثم قست قلوبكم من بعد ذلك اشارة الى جميع ما عد من الايات وثم لاستبعاد
القسوة بعدها لوجود الاسباب المذهبة لها كقوله ثم انتم تمترون والقسوة الغلظ مع الصلابة
مثل بها حال القلوب في عدم الاعتبار والاتعاظ ولذلك رتب عليه قوله فهي كالحجارة لان هذا التشبيه

متفرع على عرفان حالها او اشد قسوة عطف على الكاف اما بتقدير مضاف اى مثل اشد من الحجارة
كالحديد مثلا او بدونه على معنى انها كالحجارة او هى اشد منها والمعنى ان من عرف حالها فهو
مخير فى احد التشبيهين او احد الامرين ولا شك من المتكلم ولا من السامع وانما او ثر اشد قسوة
وان صح بناء اسم التفضيل من القسوة وهو اخصر لانه ادل على الزيادة جوهرا وهيئة اعتبارا
الزيادة اولم يرد تفضيل القلوب فى القسوة على الحجارة بل اشتراك القسوتين فى الشدة ثم
تفضيل قسوة القلوب فى الشدة ولا تفاوت فى الحاصل لان قولك فلان اكثر علما من فلان
التفضيل راجع الى العلم الا ان لفظ اشد اشهر استعمالا فى التوصل وان من الحجارة لما يتفجر منه
الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله عطف على جملة فهى كالحجارة و
تعليل للتفضيل وتقدير له معنى والتفجر التفتح والجرى بكثرة والخشية محمولة على الحقيقة لان المزاج
ليس شرطا فى الحيوة وتسليم الحجر حديث مشهور وقيل مجاز عن الانقياد اطلاقا لاسم الملزوم
على لازمه وهى متعلقة بالافعال السابقة كلها وما الله بغافل عما تعملون قراءة ابن كثير بياء
الغيب والخطاب اشد وعيدا افتطمعون ان يؤمنوا لكم الخطاب لرسول الله والمؤمنين
والهمزة للانكار واستبعاد الايمان منهم وقد كان فريق منهم اى من اليهود يسمعون
كلام الله اى التورية ثم يحرفونه كتحريفهم نعت رسول الله واية الرجم وفى لفظ السماع اشارة
الى عدم حظهم من معناه من بعد ما عقلوه فهموا مراد الله منه وهم يعلمون ان التحريف
كفر وضلال واذا كان علماؤهم كذلك مما ظنك بالجهال السفلة منهم وقيل هؤلاء السبعون
المختارون لما سمعوا كلام الله لموسى بالامر والنهى قالوا لقومهم سمعنا يقول فى اخر كلامه
ان استطعتم فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا واذا لقوا الذين امنوا اى منافقوهم حذف
المضاف لوجود القرينة قالوا امنا احدثنا الايمان واذا خلا بعضهم بعض اليهود
الى بعض متحدثا اليه قالوا غير المنافقين لهم على وجه العتاب اتحدثونهم اى المؤمنين
بما فتح الله عليكم بينه لكم يقال فتح على كذا اذا وقفه عليه ويجوز ان يكون فاعل قالوا
المنافقون اظهارا للتصلب وانكارا عليهم ان يصدر منهم فى المستقبل وهم مع المؤمنين
منافقون حقا ومع اخوانهم فى صورتهم ليحاجوكم به اى بما فى كتابكم عند ربكم جعلوا
محاجتهم بما فى كتابه محاجة عند الله لان حاصل قولهم فى كتاب الله كذا عند الله كذا لان
المراد حكمه ومبنى الكلام على الاحتجاج فى الدنيا لانهم يعلمون انهم يوم القيمة محجوجون
سواء ابدوا ام اخفوا افلا تعقلون من تمام كلامهم ولحتما لكونه كلام الله مع
المؤمنين متصلا بقوله افتطمعون بعيد لكون رسول الله مخاطبا به اولا يعلمون ان الله
يعلم ما يسرون وما يعلنون ولا يخفى عليه خافية الضمير للقايل والمقول له ومنهم
اميون لا يعلمون الكتاب الا امانى جمع امنية من منى الشىء قدره والمعنى جهلة لا
يعلمون شيئا من الكتاب لكن يعتقدون من عند انفسهم ان الله يغفر لهم وان اباهم
الانبياء تشفع لهم وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وغير ذلك من الاكاذيب
والاستثناء منقطع لان تلك الاباطيل والمحرف الذى يلقفوه من علمائهم ليس من الكتاب
والعلم فى شىء وان هم الا يظنون فى امر دينهم الظن بازاء العلم يطلق على كل
رأى وان كان جازما كاعتقاد المقلد سوى بين العلم والمقلد فى الضلال ليشار
الى ان العالم لكونه قدوة فى الاضلال له مزيد العذاب بقوله فويل للذين
يكتبون الكتاب بايديهم الويل الهلاك مصدر ولم يستعمل وقيل واد او جبل
فى جهنم وصح الابتداء به لكونه دعاء مثل سلام وذكر اليد للتوكيد ودفع المجاز كقولك
رأيته بعينى ثم يقولون هذا من عند الله للتراخى رتبة لان القول اشد جرما من
الكتبة ليشتروا به ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو بقاء الرياسة واكل الرشى فويل لهم

وخطاب افلا تعقلون بعيد
مقام منه

فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون اى لكتبهم وكسبهم او للذى كتبوه ويكسبونه
والاول احسن لفظا ومعنى كرر الويل بازاء كل فعل مبالغة واتى المضارع فى الكسب لكونه ممتدا دون
الكتب وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة نوع اخر من اكاذيبهم اى اياما قليلة قيل سبعة
مقدار بقاء الدنيا سبعة الاف سنة بزعمهم فى مقابلة كل الف يوم وقيل اربعين ايام عبادة العجل قل
اتخذتم عند الله عهدا او عدا موثقا فلن يخلف الله عهده لا محالة لاستحالة الخلف فى وعده
الفاء جواب شرط مقدر اى ان اتخذتم وقراءة ابن كثير وحفص بالاظهار على الاصل والباقون بالادغام
لقرب الدال من التاء ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة للهمزة ومعنى الاستفهام التقرير
لعلم المستفهم وهو رسول الله بوقوع الشق الاخر وهو الافتراء وفى الكلام تهكم بهم او منقطعة والاستفهام
فى اتخذتم للانكار وفى ام للتحقيق او الحمل على الاقرار والتقريع بلى اثبات لما نفوه من العذاب الدائم
من كسب سيئة الكسب تحصيل الشىء بالاختيار فان كان فيه زيادة نفع تسمى اكتسابا واحاطت به
خطيئته بحيث لم يوجد له حسنة قط اذ معناها الاحاطة والخطيئة اسم للذنب من خطئ بالكسر خطأ و
خطاء سواء كان بالقصد او بالعرض لقوله ان قتلهم كان خطأ كبيرا وقراءة نافع خطيئاته بالجمع
والافراد اولى لان المحيط هو الكفر حقيقة فاولئك اصحاب النار الملازمون لها هم فيها خالدون
لا غيرهم من اصحاب الكبائر وتفسير الخلود باللبث الطويل غير واف بالمقصود مع الايهام المخل
والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت سنة تعالى
فى كتابه بان يشفع الوعد بالوعيد ترغيبا وترهيبا لترجى ثوابه وتخشى عقابه وبضدها تتبين الاشياء
واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله لما طال الخطاب عدل الى الغيبة تفننا ومذكرا بان
الخطاب مع بنى اسرائيل ولا يعبدون اخبار فى معنى النهى بدليل قولوا وهذا ابلغ من صريح النهى كانه
سارع الى الامتثال وانت يخبر عنه ولا بد من تقدير القول اى قايلين او قولنا على انه بدل من الميثاق
او جواب لاخذنا ميثاقهم لان القول الجازم المنسوب جار مجرى القسم كقوله وقضينا الى بنى اسرائيل
فى الكتاب لتفسدن فى الارض ويجوز ان يكون فى تاويل المصدر بان يحذف كقوله تسمع بالمعيدى
وقوله الا ايها الزاجرى احضر الوغى وقراءة ابن كثير وحمزة والكسائى لا يعبدون بياء الغيبة وبالوالدين
احسانا يحسنون او احسنوا جزاء للتربية وذى القربى واليتامى والمساكين اليتيم لغة الافراد و
تخصيصه بالصغير عرف الشرع والمسكنة من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا
وقراءة حمزة والكسائى حسنا بفتح الحاء والسين على الوصف والاول ابلغ لكونه وصفا بالمصدر
والقول الحسن اظهار نعته صلى الله عليه وسلم وعن الثورى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ما كان عليهم فى شرع موسى ثم توليتم التفات من الغيبة
خوطب الحاضرون او غلبوا لان بنى اسرائيل طريق الغيبة الا قليلا منكم هم الذين اقاموا
اليهودية ومن اسلم منهم بعد النسخ وانتم معرضون جملة معترضة اى وانتم قوم عادتكم الاعراض
التولى والاعراض مترادفان وقيل التولى ان يرجع عودا على بدئه والاعراض ان يأخذ عن المنهج
فى العرض فهو اسوء حالا من المتولى وفى الجمع غاية الذم واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون
دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم نزل قتل الغير واخراجه منزلة قتل نفسه واخراجه
لاتصال دينا ونسبا والزيب القصاص عليه واشتراك العار والصغار بين والحرج ثم اقررتم
وانتم تشهدون اى اقر اسلافكم وشهدوا على انفسهم والاسناد الى الحاضرين لكونهم على
طريقتهم او انها المخاطبون مقرون بذلك على اسلافكم وانما ذكرت الشهادة بعد الاقرار
مبالغة كما فى قولك فلان مقر بكذا شاهد على نفسه ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد
اخذ الميثاق والمعنى ثم انتم الموصوفون بنقض تلك الصفة وبهذا الاعتبار صح الحمل كما تقول
فلان غير الذى كنت تعرفه وقيل هؤلاء اسم موصول تقتلون انفسكم اشارة الى نقض
لا تسفكون وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اشارة الى نقض لا يخرجون انفسكم

ردّ على القاضي

تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان تتعاونون من الظهر لانه مناط القوة وقرا الكوفيون
بحذف التاء المضارعة تخفيفا وفى ذكر العدوان بعد الاثم ترقى لانه ظلم الغير وان ياتوكم اسارى
تفادوهم كان بين الاوس والخزرج محاربات وكانت قريظة من اليهود حلفاء الاوس والنضير حلفاء
خزرج وقيل بنو قينقاع كانوا حلفاء الاوس وقريظة والنضير للخزرج فكان اذا اسر منهم احد فادوه وجمعوا
من اليهود وكلهم وكان الله قد اخذ عليهم فى التورية الميثاق بوفاء الاسير وترك القتل والاخراج
والمظاهرة فاعرضوا عن الكل الا الفداء وقرا حمزة اسرى وهو قياس جمع فعيل كقتلى وجرحى والبا قون اسارى
على انه جمع الجمع او جمع آخر كهدامى فى جمع قديم وعن ابى عمرو اسرى عند الاخذ واسارى بعد الاستمرار وقرا
ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وحمزة تفدوهم وهو الاصل لان الفادى معطى الفداء وعليه الرسم فيحمل قراءة
المد عليه وقيل فداه اذا اخلصه بالمال وفاداه خلصه بالاسير وهو محرم عليكم اخراجهم الضمير
للشان او مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه يخرجون من المصدر والمذكور بيان له ولم
يتعرض للقتل للعلم به من حال الاخراج افتؤمنون ببعض الكتاب بالفداء وتكفرون ببعض
ما عداه من القتل والاخراج فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا الخزى
ذل يستحى منه كالقتل والاسر وضرب الجزية ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب اى اشد
انواع عذاب الاخرة وما الله بغافل عما تعملون تاكيد للوعيد وقرا نافع وابن كثير وابو بكر
بياء الغيبة والخطاب ابلغ ترهيبا اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اثروها على
الاخرة حين استبدلوها بها فلا يخفف عنهم العذاب فى الدنيا والاخرة ولا هم ينصرون
بدفع وقهر من احد ولقد اتينا موسى الكتاب التورية بعد اغراق فرعون وقفينا من بعده
بالرسل اى ارسلنا على اثره رسلا كثيرة كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى سبعين الفا وقيل اربعة
الاف يقال قفيته فلانا اذا اتبعته وقفيته بفلان اتبعته اياه فالباء داخلة على التابع ماخوذ من
القفا كذنبته من الذنب واتينا عيسى ابن مريم البينات افرده بالذكر وان كان من
بنى اسرائيل لانه صاحب شرع لفظ سريانى اصله ايشوع وكذا مريم معناه الخادم وقيل العابد
او التى يجب مجالسة الرجال وكانه من قتل المفازة للمهلكة والتسليم للدبغ وقيل عربى وزنه مفعل
او فعيل لبس من اوزانه والبينات معجزاته الواضحة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وايدناه
بروح القدس جبرئيل او روحه اى الروح المقدسة مراضا فالموصوف الى ما اسو منه
الوصف مبالغة فى ثبوته كقولهم حاتم الجود وقرا ابن كثير باسكان دال القدس
حيث وقع افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا يحبه يقال هوى بالكسر اذا احب
وبالفتح سقط والهمزة للتوبيخ والتعجب من ترتب هذا الفعل على ما سبق والفاء عاطفة للشرطية
على الفعلية قبلها اعنى ولقد اتينا موسى ويجوز ان يكون عطفا على مقدر كانه قال ولقد
اتينا موسى الكتاب وارسلنا بعده رسلا كراما فجحدتم وعصيتم افعلتم ذلك فكلما
جاءكم رسول استكبرتم عن الايمان به ففريقا كذبتم كموسى وعيسى وفريقا
تقتلون كزكريا ويحيى وايثار المضارع اما للاستحضار تلك الصورة القطيعة او للدلالة
على انهم كانوا ساعين فى قتل محمد ولذلك سحروه وسموه يوم خيبر وعن عايشة ان رسول الله
قال فى مرضه الذى توفى فيه لا زالت اكلة خيبر تعادنى فهذا اوان قطعت ابهرى وقالوا قلوبنا
غلف ذات غلاف لا يصل اليها ما يقول محمد مستعار من الاغلف الذى لم يختن او هو
مخفف غلف جمع غلاف كفرش فى فراش اى اوعية للعلوم فلا حاجة لنا بعلم محمد
بل لعنهم الله بكفرهم طردهم من رحمته بسبب صرفهم القدرة والارادة من الطاعة
الى ايثار الكفر فافسدوا الفطرة او هم خلقة ملعونون من ابن لهم الاستغناء عنك فقليلا
ما يؤمنون ما مزيدة لتاكيد معنى القلة وهو ايمانهم ببعض ما فى التورية ولا ايجال للمصدق
ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم لعدم الاعتداد بذلك الايمان وقيل لانه من صفات

من صفات الاحسان ولما جاءهم كتاب من عند الله اى القران مصدق لما معهم من الكتاب
ولا يخالفه فى الاصول وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون به على المشركين ويقو
لون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى اخر الزمان ويقولون للمشركين قد اظل زمان نبى يخرج فاذا خرج
نقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل كانوا يفتحون على المشركين ويعرفونهم قرب زمانه والسين للمبالغة كما فى
استعجب او يسال بعضهم بعضا وانما صح وقوع الجملة حالا عما قبله لما بين الكتاب والتى من الاتصال وجواب
لما محذوف لدلالة جواب الثانى عليه او هو الثانى تكرير الاول والفاء للدلالة على ان مجيه كان لاعقب الاستفتاح
به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا فلعنة الله على الكافرين اى عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر
للدلالة على ان اللعنة انما لحقتهم لكفرهم فاللام للعهد او للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا بئسما اشتروا
به انفسهم ما نكرة موصوفة تمييز فاعل بئس والمخصوص ان يكفروا بما انزل الله والعدول بالمضارع عما
استحضار للصورة كما فى نظايره واشتروا معناه باعوا او اشتروا او اظانين خلاصها لكونهم موقنين بلا كهما
لا يشكون فضلا عن الظن بوقوع النقيض بغيا علة اشتروا لا ان يكفروا لان المعنى المسوق له الكلام
ذمهم على ايثار الكفر على الايمان معللا بالحسد لازم الكفر المعلل والفصل ليس باجنبى لان المخصوص فاعل
معنى والصفة والموصوف كشئ واحد ان ينزل الله اى حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذى هو الوحى
على من يشاء من عباده واقتضت حكمته ارساله وقرا ابن كثير وابو عمرو ان ينزل الله مخففا فباؤا
بغضب عطف على اشتروا والجار والمجرور فى محل النصب على الحال على غضب صفة اى فصاروا احقاء بترادف
الغضب للكفر والحسد او لكفرهم بعيسى ومحمد وللكافرين عذاب مهين لاستكبارهم عن اتباع الحق
وقيل العذاب المهين للكافر لان عذاب المؤمن طهرة لذنوبه قلت لا ينافى لقوله انك من تدخل النار فقد اخزيته
واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله كله قالوا نؤمن بما انزل علينا وحده ويكفرون
بما وراءه عطف على قالوا والعدول اما للتصوير او للدلالة على استمرار كفرهم الى زمان الاخبار او حال ان
جوزكون المضارع المثبت حالا مع الواو والوراء مصدر فى الاصل مشترك بين الخلف والقدام لان التوارى
يقع بكل منهما وهو الحق الضمير لما مصدقا لما معهم حال موكدة ردا لقولهم لان الكفر باحد الكتب كفر بما عداه
فهم كافرون بالتورية قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين بالتورية اذ ليس فيها جواز قتل مؤمن فضلا
عن نبى والحاضرون وان يقتلوا الا انهم على دين ابائهم معتقدون جوابا فالهم اسند فعلهم اليهم ولقد جاءكم
موسى بالبينات المعجزات الظاهرة هى ايات التسع ثم اتخذتم العجل الها من بعده وانتم ظالمون
اى وانتم قوم دابكم الظلم فلا يبعد منكم عبادة العجل اعتراض او حال والغرض منه التوبيخ اذ عبادة العجل لا يكون
الا ظلما واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا كرر رفع الطور لما نيط به من الزيادة
او لان الاول يذكر للنعم وهذا احتجاج عليهم فى رد دعوى الايمان قالوا سمعنا وعصينا تفصيل لما اجمل
هناك من قوله ثم توليتم وانتم معرضون واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم يقال سيف اشرب سما ولون
اشرب حمرة والمعنى جعلوا اشاربين حب العجل نافذا فى اعماقهم نفوذ الماء فيما يتغلغل وذكر القلب لبيان المحل
بعد الاسناد الى العجل كقوله انما ياكلون فى بطونهم نارا دفى فى الابهام والتفسير والتمكن المستفاد من
الظروف وجعل العجل هو المشرب دون حبه ما لا يخفى من الفخامة قل بئسما يامركم به ايمانكم بالتورية لانه
ليس فى التورية عبادة العجل وفى اسناد الامر الى ايمانهم واضافته اليهم تهكم استهزاء او دلالة على ان
ايمانا يدعو الى عبادة العجل انما يليق بهم ان كنتم مؤمنين قدحا وتعديرا قل ان كانت لكم الدار
الاخرة عند الله كما تدعون لن يدخل الجنة الا من كان هودا خالصة نصب على الحال من الدار والا لم
يجوز الحال عن اسم كان فعن المستكن فى لكم من دون الناس كلهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
فى دعواكم لان من ايقن ان الجنة له ما ذا توقفه فى دار البلايا والافات ولن يتمنوه ابدا بما قدمت
ايديهم من الكفر والمعاصى عن رسول الله لو تمنوا الشرق كل يهودى بريقه ولم يبق على وجه الارض
يهودى وانما اسند فعل الجنة الى اليد لانها جناح الانسان ومحل اثار قدرته وبها اكثر اعماله والله عليم
بالظالمين اى بهم وضعا لهم بالظلم فى الافراء على الله ودعوى ما ليس لهم عنده ولتجدنهم

بالطاء المهملة اشرف منه

جعل القاضي بغيا علة للكفر دون الاشتراء وانسلك
الفاضل جعله علة الاشتراء الوجه والقاضي
فيه الاول لو اجاب عن الاشكال
منه رحمه الله

احرص الناس على حيوة اى حيوة متطاولة ولذلك نكره فانى لهم بمنى الموت ومن الذين اشركوا
عطف على احرص الناس معنى لان تقديره احرص من الناس وانما افرد المشركين بالذكر لانهم لا يقولون
بالمعاد فهم فى غاية الحرص على الحيوة فاذا ازداد حرص اليهود الذين يزعمون ان لهم الجنة من دون الناس فقد
ظهر انكم كاذبون فى ذلك الزعم احقا باعظم التوبيخ ويجوز ان يكون ومن الذين اشركوا كلاما مبتدأ على ان
المراد بهم اليهود لقولهم عزير ابن الله والمعنى ومن هولاء اليهود اناس يود احدهم وعلى الاول استيناف
لبيان زيادة حرصهم لو يعمر الف سنة لو مصدرية مفعول ليود وللتمنى حكاية لودادتهم وكان
القياس لو اعمر وانما عدل عنه لئلا يلتبس فى مثل ود زيد لو افعل بتمنى فعل الحاكى وما هو بمزحزحه من العذاب
ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل لمزحزحه من العذاب تعميره او لما دل عليه ان يعمر من مصدره
وان يعمر بدل منه او مبهم فسره ان يعمر والزحزحة التبعيد والله بصير بما يعملون وعيد لهم قل
من كان عدوا لجبريل كانت اليهود تزعم ان جبريل عدوهم لانه ملك العذاب اهلك الامم السالفة وان
ميكائيل صديقهم لانه موكل بالامطار والخصب روى الشعبى ان عمر بن الخطاب كان كثيرا ما يدخل مدراس
اليهود ويستمع الى التورية فرأى اليهود ان دخوله لميله الى اليهودية فقالوا يوما وقد طمعنا فيك يا ابن الخطاب
فقال والله ما ازددت بدخولى عليكم الا بصيرة فى امر محمد ثم سالوه عن الملك الذى يجيء بالوحى على محمد
فقال جبريل فقالوا ذاك عدونا لو كان ميكائيل لامنا به فقال عمر كيف منزلتهما عند الله قالوا جبرئيل
عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال عمر ان كان الامر كما يقولون فهما ليسا بعدوين
ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله فجاء عمر الى رسول الله وقد سبقه جبريل بالوحى قرأ حمزة
والكسائى جبرئيل كسلسبيل وابن كثير كذلك الا انه حذف الهمزة وابو بكر كذلك الا انه حذف الياء دون
الهمزة والباقون بكسر الجيم والراء وحذف الهمزة على وزن قنديل وهو المختار لانه لغة الحجاز فانه نزله على
قلبك الضمير للقران وانما سبق له ذكر كانه علم لفرط شهرته لا يذهب الوهم الى غيره جعل تفهيم جبريل
اياه تنزيلا على قلبه مجازا وفى على دلالة على ان المنزل اخذ بمجامع قلبه باذن الله بارادته وتيسيره
مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من المفعول وجزاء الشرط محذوف مسبب عن
المذكور اى من كان عدوا لجبريل فلا وجه لعداوته لانه الذى نزل القران المصدق لكتابه فهو حقيق بان يصادق
ولا يعادى او من كان عدوا له فلعداوته وجه لانه اتى بما يكرهه ويزيل رياسته وقيل التقدير من كان عدوا
لجبريل فليمت كمدا فانه نزل القران على قلبك من كان عدوا لله وملائكته وكتبه ورسله وجبريل
وميكائيل فان الله عدو للكافرين اى لهم والاظهار للدلالة على علة المعاداة وافراد الملكين لمزيتهما كانهما
غير داخلين فى الملائكة وفى الكلام دلالة على ان عداوة كل واحد مما ذكر كفر لارتباط الجزاء به لا بالمجموع
وقرأ ابو عمرو وحفص ميكال بحذف الهمزة والياء ونافع بحذف الياء والباقون باثباتهما والكل لغات ولقد
انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون نزل فى ابن صوريا قال لرسول الله ما جئتنا باية
نعرفها واللام فى الفاسقون للجنس اى الكاملون فى الفسق والاولى ان يكون للعهد مشارا بها الى اليهود
ليقع الحصر موقعه لان الكلام فى عد كفراتهم المتناهية ولا دلالة لوصف بالتمرد والبغى بحالهم او كلما
عاهدوا عهدا الواو للعطف على محذوف اى اكفروا بالايات البينات وكلما عاهدوا واذ لا محل للعطف
على الكلام السابق نبذه فريق منهم نقضه والنبذ طرح الشيء من غير مبالاة وقيده بفريق لان بعضهم
لم ينقضه ودل بكلما على تكرر منهم كثيرا اخرها نقض قريظة عهد رسول الله يوم الاحزاب بل اكثرهم
لا يؤمنون بالتورية لا يعدون نقض العهد ذنبا وفيه دلالة على ان الموفين بالعهد هم الاقلون
ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله وراء ظهورهم كناية عن الاعراض بالمرة وعدم الاعتداد باحكامه عن الثورى ادرجوه
فى الحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولا حرموا حرامه وقيل كتاب الله هو القران والنبذ يقتضى
سابقة الاخذ فالمراد الاعراض عنه بعد الزامه اياهم ولزومهم القبول كانهم لا يعلمون لا يشكون
فى كونه كتاب الله ولكن شبهوا بمن لا يعلم لسلوكهم منهج من يجهل او كانهم لا يعلمون انهم عالمون

عالمون من غير شك وهذا ادل على رصانة علمهم المستفاد من الذين اوتوا الكتاب واتبعوا ما تتلو الشياطين
على ملك سليمان عطف على نبذ اى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا كتب السحر التى كانت
الشياطين يقرأونها على عهد سليمن وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا
اكاذيب ويلقونها الى الكهنة فدونوها فى الكتب وفشا ذلك فى زمن سليمن فنسبوه اليه وقالوا انما
سخر الجن بهذا قال ابن عباس فجمع سليمان تلك الكتب ودفنها تحت كرسيه وكان الامر على ذلك حتى
مات سليمان والعلماء العارفون حال سليمان فتمثل شيطان فى صورة انسان واتى اليهود فقال هلا ادلكم
على كنز علم سليمان فاتى موضع الكرسى وقال احفروا هذا الموضع فحفروه فوجدوا ما دفنه فاخرجوا و
اعتقدوا انه علم سليمان وفشا فيهم ان سليمان كان ساحرا فرد الله عليهم بقوله وما كفر سليمان
بعمل السحر وانما يكفر الساحر اذا اعتقد تاثيره استقلالا او انضم اليه ما هو كفر كعبادة الكوكب
والا فهو من اكبر الكبائر واما تعلمه فكذلك الا اذا دعت اليه حاجة بان فشا فى ناحية واريد تمييز
فساده ورد الخلق الى الحق كتعلم الفلسفة للذب عن الدين ودفع الشبه ولكن الشياطين كفروا
باعتقاد السحر وعمله للاغواء والسحر لغة الصرف حكاه الازهرى عن الفراء ويونس ولا يظهر الا على يد
فاسق شرير بمزاولة قول او فعل محرم كما ان الكرامة لا تظهر الا على يد مؤمن متق وقرأ حمزة والكسائى
وابن عامر ولكن مخففا والمعنى واحد يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا وما انزل على
الملكين عطف على السحر كانه نوع اقوى وقيل ما نافية عطف على ما كفر تكذيب لليهود فى
هذه القصة والملكان جبريل وميكائيل وعلى هذا هاروت وماروت بدل بعض من الشياطين
ورده قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ مثله لا يقوله الشيطان المغوى ببابل ظرف او حال هاروت — ردّ على الشيخ
وماروت بدل او عطف بيان بهما ما كان انزل ابتلاء للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر وما
يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة ابتلاء واختبار فلا تكفر بتعلمه واعتقاد حقيقته
فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم
بضارين به من احد الا باذن الله بارادته وتيسيره والسحر سبب من الاسباب ويتعلمون
ما يضرهم لان علمه يجر الى العمل لان مجرد علمه لا يترتب عليه فائدة ولا ينفعهم بوجه وما
كان ضررا محضا لا يقربه عاقل ولقد علموا اى اليهود لمن اشتراه استبدل السحر بكتاب الله
ماله فى الاخرة من خلاق من نصيب من الخلاقة وهى الملاوة يقال للمرأة الرتقاء الخلقاء
اللام جواب القسم والثانية ابتدائية تعلق العلم عن العمل ولبئس ما شروا به انفسهم عطف
على جملة القسم وجوابه او على الجواب وعطف الانشاء على الاخبار شائع كثير لو كانوا يعلمون
اثبت لهم اولا العلم على طريق التوكيد ثم نفاه عنهم لعدم جريهم على موجب العلم ومقتضاه
دلالة على ان من لم يعمل بعلمه كمن لا يعلم فان العلم بالقبح للارتداع عن القبيح فحيث لا ارتداع
لا نفع فيه كالمعدوم وقيل المثبت اولا العقل الغريزى والعلم الاجمالى بقبح الفعل وفيه ان الكلام مع علماء
اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون مع رصانة علمهم بما فيه ولو انهم امنوا
بمحمد وما انزل عليه واتقوا التحريف واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير اى لاثابهم الله مثوبة
والعدول الى الجملة للدلالة على ثبات المثوبة لهم واستمرارها على تقدير الايمان والتقوى
وفى ذكر من عند الله خير تحسير لهم وترغيب لغيرهم فى الايمان والتقوى لو كانوا يعقلون بتقدم تحقيقه — ردّ على القاضى
ويجوز حمله على التمنى فى الموضعين والمعنى انهم على حال يتلهف الناظر فيها عليهم يا ايها الذين
امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا نوع اخر من كفر اليهود وخداعهم وذلك ان المؤمنين
كانوا فى مجلس التخاطب مع رسول الله يقولون راعنا يا رسول الله حتى نفهم ما نقوله وكان راعنا
كلمة سبة بالعبرانية فشرعوا يخاطبونه به رسول الله فامر المسلمون ان يقولوا ما يؤدى معناه وهو انظرنا من
من النظر بمعنى الانتظار وروى ان سعد بن معاذ قال لهم عليكم لعنة الله لئن سمعتها من احد
منكم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت واسمعوا كلامه باذان واعية حتى لا تحتاجوا

الى ملك الكلام او بدلها او سماع طاعة على انه تعريض باليهود او اسمعوا ما نهيتم عنه وامرتم به بجد حتى لا تعودوا
الى مثل فهو تاكيد للاول والاول املاء فايدة وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل
الكتاب ولا المشركين الود محبة الشيء مع التمني ان ينزل عليكم من خير من ربكم من الوحي
من الاولى للبيان والثانية لتاكيد الاستغراق والثالثة للابتداء والله يختص برحمته بوحيه ونبوته من يشاء لا يختص بها
واقتضت حكمته والله ذو الفضل العظيم حيث يخص فردا من البشر من بني نوعه بالرسالة التي لا رتبة فوقها
بعد الوهيته ولذلك خاطب سيد الرسل مرة بقوله وكان فضل الله عليك كبيرا واخرى بقوله وكان فضل
الله عليك عظيما ما ننسخ من آية او ننسها من مطاعن اليهود ايضا القدح في رسالته بالنسخ كان يقولون
يامر كم اليوم بحكم وغدا بما يناقضه والنسخ لغة الازالة والنقل يقال نسخت الشمس الظل ونسخت الكتاب
ومنه التناسخ ومناسخة المواريث في الشرع بيان انتهاء حكم شرعي باخر يعارضه وقيل رفع حكم شرعي والمراد
رفع نقله والمال واحد والنسخ قد يكون للفظ والحكم وهو كثير وكذا نسخ الحكم وحده واما نسخ اللفظ
دون المعنى فقليل ومنه الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله قال عمر لولا ان
يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لاثبتها في المصحف ليلا يقول احد انا لم نجد الرجم في كتاب الله الا انا قد
قرأناها ورجم رسول الله وقرأ ابن عامر ننسخ بضم النون وكسر السين والنسي التاخير في الانزال او الاذهاب عن القلوب
وقرأ الكوفيون ونافع وابن عامر بضم النون وكسر السين من الانساء وهو الاذهاب عن القلب او الامر
بترك قراءتها نأت بخير منها للمكلف اما في الدنيا ان كان البدل اخف ويدخل فيه النسخ لا الى بدل او في
الاخرى ان كان اثقل او مثلها اما في الثقل او في الثواب ويشمل النسخ بالوحي المتلو وغيره ونعم النسخ
والانساء اذ لا امتناع في الاتيان بعد انساء حكم بما يكون اخف او اكثر ثوابا وقيل الخير في النسخ والمثل
في النسي على طريقة اللف الم تعلم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على النسخ والاتيان بالبدل
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يوضح للاول او جار مجرى تعليله وما لكم من دون
الله من ولي يتولى اموركم ولا نصير يدفع عنكم ان اراد بكم سوء وفيه دلالة على انه المؤثر في
الكائنات من غير واسطة ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام متصلة لان قوله
الم تعلم الى اخره حمل على الثقة معادلة له كانه قيل اتشعرون به بعد العلم بما يوجب الوثوق ام لا وتقترحون
كما اقترحت اسلاف اليهود وفيه حمل على الوثوق على ابلغ وجه كقوله فهل انتم منتهون بعد بيان مفاسد
الخمر ويجوز ان يكون منقطعة بان نزلهم منزلة من يريد السؤال بعد بيان الصارف عنه فانكر عليهم والظاهر
ان المخاطبين المؤمنون كما في قوله يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ولذلك ذيل بقوله ومن يتبدل
الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل دلالة على اقتراح الايات من شيم الكفار مبالغة في المنع فلا يحوم
حول خواطرهم وقيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوه ان ينزل عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين
حين قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من
بعد ايمانكم كفارا نوع اخر من قبائح اليهود بعد وقعة احد دعا احبار
اليهود عمارا وحذيفة الى دينهم حملهم على ذلك ما وقع في المسلمين من بعض الانكسار حسدا
من عند انفسهم اي كاينا ناشيا من اصل نفوسهم ويجوز ان يكون متعلقا بود على معنى
انهم ودوا ذلك من قبل انفسهم لا ميلا مع الحق والاول هو الوجه لانه اقرب ولان ما لا يكون الا
اليه ولان قوله من بعد ما تبين لهم الحق معنى عنه فاعفوا تجاوزوا من عفا الرسم اذا ذهب
اثره واصفحوا اعرضوا ولا تثربوا من صفح الوجه وهو جانبه لان المعرض يبدي او لا جانبه فهو ابلغ
من العفو حتى يأتي الله بامره هو قتل قريظة واجلاء النضير ان الله على كل شيء قدير
فهو قادر على الانتقام منهم ولكن اقتضت حكمته التاخير واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
عطف على فاعفوا امرهم بالتقرب اليه ليكون وسيلة الى دفع مكايدهم وما تقدموا لانفسكم
من خير اي حركان بعم بعد التخصيص تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه
منه شيء وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اي قالت اليهود لن يدخل الجنة

الجنة الا من كان يهوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا واتما بين القولين
ثقة بان السامع يرد الى كل قائل قوله لامن الالباس لان كل فرقة تضلل الاخرى وافراد الاسم وجمع الخبر
باعتبار لفظ من ومعناه تلك امانيهم اشارة الى الجميع ما تقدم من قوله ما يود الذين كفروا الى
ما في الاية قل هاتوا برهانكم على ما تدعون متصل بقوله لن يدخل الجنة وما بينهما اعتراض وهات اسم
فعل معناه احضر ان كنتم صادقين في جعل الصدق بمنزلة الملزوم لاقامة البرهان دلالة على ان ما لا
دليل عليه لا ثبوت له فان قلت الدليل ملزوم وانتفاؤه لا يوجب انتفاء المدلول لجواز وجود ملزوم
اخر قلت مبنى الكلام على انتفاء الملزومات كلها وعدم جواز التقليد في العقايد بلى اثبات لما نفوه
ثم ابتداء بقوله من اسلم وجهه لله اي ذاته وهو محسن مخلص في ايمانه اي من اتصف بهذه
الاوصاف كائنا من كان على طريق كلام المنصف فله اجره عند ربه كاملا من غير نقص ويجوز ان
يكون من اسلم جواب سؤال كانه قيل من يدخلها فقيل من اسلم وقوله فله اجره تتميم زيادة دخول
الجنة ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون من وقوع مكروه او فوات مطلوب وقالت اليهود
ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اي شيء يعتد به في امر الدين
لما فرغ من قدحهم في الاسلام شرع في قدحهم فيما بينهم والظاهر ان المراد نقل مقالتهم وقيل
تناظروا عند رسول الله لما تقدم وفد نجران وهم يتلون الكتاب الواو للحال والمراد جنس الكتاب كذلك قال الذين
لا يعلمون الجهلة من المشركين والمعطلة مثل قولهم صفة مصدر اي قولا مثل قولهم والكاف في كذلك في
محل الحال اي قالت الجهلة مثل ما سمعت من هؤلاء على ذلك النمط فلفظ المثل دل على التماثل في المودى
والكاف على التوافق في الصفة ويجوز ان يكون الكاف مقحمة فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون بان يكذبهم ويدخلهم النار ويوفيهم ما يستحقونه من العذاب فان الحكم بين
الخصمين لا يقتضي ان يكون احدهما محقا ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها
اسمه اي لا اظلم وان يذكر ثاني مفعولي منع او مفعول له اي كراهة ان يذكر وحذف ثاني
مفعولي منع لشيوع في الدخول والعبادة ونحوهما فان قلت كم من ذنب اعظم من المنع المذكور لا سيما
الشرك بالله قلت اذا كان الباعث على المنع كراهة الذكر يكون المانع كافرا لا محالة والاية واردة
لبيان زيادة شناعة حال اهل الكتاب بانهم مع كونهم مؤمنين لساير الاديان مانعون المساجد عن
ذكر الله وهم يستغرقون في الصلاة لقوله وفعلا واعتقادا نزلت في الروم حربوا المسجد الاقصى وحرقوا
التورية وقيل في المشركين لما صدوا رسول الله عام وسعى في خرابها بتعطيلها عن الذكر وبخرب
بنائها وانما اثر الجمع والمنع من احد المسجدين لاستواء ساير المساجد في ذلك الحكم لان السبب
لا يخصص اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما كان اللائق بحالهم ان يدخلوا
المساجد الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم لولا ظلمهم وعتوهم او ما كان لهم في حكم الله
المسطور في اللوح الا ذلك فقيه وعد للمسلمين بالنصر وقد وقع ذلك بحمد الله ما دعى رسول الله
بعد نزول قوله انما المشركون نجس لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان و
استخلص الفاروق بيت المقدس من ايدي الروم اولا وصلاح الدين يوسف ثانيا في خلافة الناصر لدين
الله واختلف الائمة في جواز دخول الكافر المسجد جوزه ابو حنيفة ومنعه مالك وفرق الشافعي بين المسجد
الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي بالقتل والسبي وضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب
عظيم لا يحيط بكنهه علم البشر ولله المشرق والمغرب خلقا وملكا استطرد عند ذكر المساجد
وتمهيد لنفي الولد لان يكون الجهات مقدسا عنها والولد من جنس الموالد فيستحيل ان يماثله فاينما
تولوا فثم وجه الله الوجه والجهة كالوزن والزنة مصدران نقلا الى الاسم والعرب تقول للوجه
للقصد قال رب العباد اليه الوجه والعمل والمعنى ففي اي مكان فعلتم التولية نحو القبلة فهي الجهة التي ارادها
وارتضاها ولا يختص عبادته بالمساجد على ما رواه البخاري في خواص جعلت لي الارض مسجدا فاي
رجل ادركه الصلوة فليصل حيث كان وعن جابر نزلت في سرية صلوا في ظلمة الليل ثم تبينوا خطاهم

وقيل نزلت في المسافر يصلي النافلة حيث توجهت وقيل نزلت لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القبلة ... المقدس مدة في المدينة وفيه توطئة لنسخ القبلة وعن ابن عباس وهو اول ما نسخ في القران القبلة والله واسع رحمته حيث سهل عليكم امر القبلة عليم بالمصالح وقالوا اتخذ الله ولدا اي اهل الكتاب والمشركون قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله والمشركون الملائكة بنات الله وقرأ ابن عامر قالوا بدون الواو وعليه رسم مصحف الشام على انه مستانف كانه قيل ما لعظم جبل مقرباتهم او امتد فقيل بل قالوا اعظم من ذلك واعظم اوتم للاعتراض زيادة لافراطهم في الظلم سبحانه تنزيه له عما نسبوا اليه بل له ما في السموات والارض خلقا وملكا ومن جملته العزير والمسيح والملائكة كل له قانتون منقادون ومنافاة لا يجانس المكون فكيف يكون ولدا وانما غلب غير اولي العقل ولا يجوز تحقيرا لشانهم لاقتضاء المقام ذلك كما عبر عن الملائكة باسم الجن في مثله والاولى العقل ثانيا اشارة الى ان الجمادات في الانقياد لمشيته كانها عقلاء مميزون ففي مقام كبريائه العقلاء كالجمادات وفي مقام العبودية بالعكس بديع السموات والارض من اضافة الصفة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه والابداع اتخاذ الشيء دفعة ومنه البدعة لما لا اصل له في الدين وهو الصق بالمقام من الصنع والتكوين وامثالهما منزه عن الولد لان الولد جزء من الوالد منفعل منه ومبدع الاشياء منزه عن الانفعال وفيه رد على النصارى فان من اوجد الاكوان من غير مادة الحادث مولود من غير اب لا يستبعد منه واذا قضى امرا اراد تكوينه والقضاء بالعضا للدلالة على التمام واللزوم وهو اخص من الارادة فانما يقول له كن فيكون شبه الحالة المتصورة من تعلق ارادته بالمكونات وسرعة الحدوث بلا ريث ولا توقف على اسباب ومواد روية بامر امر نافذ التصرف في المامور المطيع الذي لا يتوقف في الامتثال فاستعمل فيها ما حقه ان يستعمل في ذاك ولا قول هناك ولا امر وقيل بل جرت السنة الالهية بان يكون الاشياء بكلمة كن والمامور هو الحاضر في العلم لان وجودات الاشياء في العلم الازلي بعينات والمامور به الدخول في الوجود بمقتضى الارادة وفي الكلام ترقي اذ هذا الشان اقوى في الابداع من كونه بديع السموات والارض وقرأ ابن عامر كن فيكون بالنصب على الجواب لفظا وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله اي المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله طلبوا ان يكلمهم الله كفاحا او تاتينا اية لعدم اعتدادهم بالقران وسائر المعجزات كذلك قال الذين من قبلهم من الامم السالفة مثل قولهم مثل قول هؤلاء قالت اليهود ارنا الله جهرة وقالت النصارى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم في الكفر والعناد قد بينا الايات لقوم يوقنون لعانا حاليا عن الكبر والعناد لان الايقان المجرد عن الاذعان والقبول ليس من الايمان في شيء كقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم انا ارسلناك بالحق ملتبسا به حال مؤكدة لان الارسال من الله لا يكون الا كذلك بشيرا بالجنة لمن امن ونذيرا من النار لمن كفر ولا تسال عن اصحاب الجحيم لهم لم يؤمنوا عبر باصحاب الجحيم اشارة الى انهم مخلوقون لها فلذلك لم يجد الانذار وقرأ نافع ولا تسال على الخطاب اما لان حالهم في العطاعة بلغت حدا توحش السامع او المتكلم من التكلم بها او لما روي انه قال ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال ليت شعري ما فعل ابواي على ما انتهى امرهما فنزلت والاول هو الوجه لقوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم اقناط له عن اتباعهم اياه فانه كان يلاطف معهم رجاء ان يتبعوه او صرحوا بذلك فحكى الله كلامهم ويؤيده قوله قل ان هدى الله هو الهدى فانه يقتضي سابقة قول منهم اي دين الاسلام هو الهدى الذي يجب اتباعه لا الهدى الذي تدعون اليه وعبر عن الاسلام بهدى الله لوقوعه في مقابلة هواهم ولئن اتبعت اهواءهم جمع هوى اي تبع التشهي وميل اللذة بعد الذي جاءك من العلم بطلان ما هم فيه او من الدين

من الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي يتولى امورك ولا نصير يدفع عقابه عنك الذين اتيناهم الكتاب المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام يتلونه حق تلاوته من غير تحريف ولا تبديل تعريض بالمحرفين خبر او حال مقدرة والخبر اولئك يؤمنون به بكتابهم ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون في تجارتهم رمز الى ما ذكروا اولا من اشترائهم الضلالة بالهدى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين خاطبهم اولا من بين بني آدم وحثهم على اتباع من هو رحمة للعالمين فانه عموما الى مستقل وتعرض ثم خاطبهم ثانيا خطابا عاما للفريقين بحزاء لمن اهتدى وتحذيرا لمن كذب وانى فلابس التكرير لمجرد التقرير مع ما فيه من حسن التخلص الى ذكر جدهم قدوة الموحدين على وجه يؤكد ما ندبوا اليه واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون تقدم تفسيره وانما ذكر القبول مع العدل والنفع مع الشفاعة عكس الاول تفننا واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات الابتلاء والبلاء بمعنى الامتحان يتضمن امرين تعرف ما يجهل من حال الشيء وظهور جودته ورداءته فقد يتضادان وقد يقصد احدهما والاول محال في حقه تعالى فتعين الثاني وقيل ابتلاه اصابه بالبلاء والمكروه لان التكاليف شاقة على النفس وهذا عائد الى الاول مع استهجان اطلاق لفظ البلاء والمكروه على اوامر الله والعامل في اذ اذكروا واذ ابتلاه كان كيت وكيت او قال اني جاعلك والكلمات الاحكام كقوله وحدت بكلمات ربها عن ابن عباس هي عشرة خمس في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمسة في البدن تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء روى مسلم عن عائشة عن رسول الله عشر من الفطرة الا ان في روايتها اعفاء اللحية بدل الفرق وغسل البراجم بدل الختان وروى الحاكم عن ابن عباس في تفسير الكلمات انها ثلثون سهما من خصال الايمان عشر في براءة التائبون الى اخر الاية وعشر في الاحزاب ان المسلمين الى اخر الصفات وعشر في اول قد افلح المؤمنون وعن الحسن ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والهجرة والالقاء في النار وذبح الولد وقيل ابتلاه بالمناسك فاتمهن قام بهن على الوجه الاكمل وابراهيم الذي وفى قال اني جاعلك للناس اماما استيناف ان اضمر عامل اذا وان جعل هو العامل فالواو داخلة عليه تقديرا مع عطف القصة على القصة المعادة اجمالا بقوله يا بني اسرائيل اذكروا ويجوز ان يكون بيانا على الوجه الاول ويراد بالكلمات الامور الاربعة وهي الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وقبل الكل والامام فعال بمعنى المفعول اسم لمن يؤتم به كالازار قال ومن ذريتي عطف على الضمير المجرور لان الاضافة اللفظية في تقدير الانفصال اي وجاعل بعض ذريتي الامامة ايضا اخرجه في صورة الاخبار اهتماما بوقوعه وتفاديا عن صورة الامر خطابا لمن تعالى شانه فهو كعطف التلقين في قولك وزيدا لمن قال ساكرمك بجعل نفسك نائبا عن المتكلم وفيه من الاختصار والحسن ما روق كل ناظر وانما لم يسال لكل ذريته لعلمه بان بعضهم لا يؤمن قال لا ينال عهدي الظالمين اجابه الى سؤاله وابرز ما اشار اليه في السؤال بمن التبعيض اي انما يناله من كان عادلا كقولك لا برئت مني لحسني لمن قال اوص لبنيك دلالة دلت على ان الظلم الموجود مانع واما ان الطارئ يبطل الامامة فلا دلالة فيه على عصمة الانبياء قبل النبوة لان الفاسق بعد التوبة صالح للامامة واذ جعلنا البيت علم بالغلبة للكعبة الشريفة مثابة للناس مرجعا من ثاب رجع اي يثوب الزائرون اليه اما باعيانهم او بامثالهم لان الزائر ربما لا يثوب ولا دام للتجنس وانما اسند اليه لاتحاد الكل في الاسلام والقصد الى الحج والاعتماد وقيل للاستغراق والمراد الكمل والاشراف وامنا اي ذا امن او نفس امن وصفا بالمصدر مبالغة والامن للساكن اما في الدنيا فلان الناس يتخطفون حوله او لان الجاني اذا التجأ اليه لا يتعرض له كما ذهب اليه ابو حنيفة او في الاخرة لان الحج يجب ما قبله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى خطاب لامة محمد

رد على الشيخ

اولامة ابرهيم بتقدير القول واللام للاستحباب وايثار الاشرف لان الفرض لا يختص بمكان اجماعا
وللحديث المستفيض كما تقدم في قوله فاينما تولوا فثم وجه الله كما روى البخاري عن انس بن مالك
عن عمر وافقني ربي في ثلث قلت يا رسول لو اتخذنا مقام ابرهيم مصلى فنزلت وقلت لو امرت نساءك بالحجاب
وقلت لنسائه عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا فنزلت ومقام ابرهيم هو الحجر الذي قام عليه حين
بنى البيت فغاصت رجله فيه فالمعنى عند مقامه وكان عند الحائط فنقل الى المقام الذي الآن به لئلا
يشوش على الطائفين ولما وقع سيل الجحاف وذهب السيل بالمقام الى اسفل مكة سأل عمر المطلب بن ابي
وداعة عن مكانه وكان قد قاس من البيت الى مكانه بخيط مخافة مثله فرده على المكان الذي الآن به وضرب
عمر عليه سدا لئلا يصل اليه السيل وقيل مقام الحرم كله فالامر بالتوجه اليه للآفاقي عند من
اكتفى بالجهة وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بالفتح ماضيا والكسر آكد وادل على المشروعية وقرأ
ابن عامر ابراهام بالالف في احد الروايتين وعليه رسم مصحف الشام وهو اصله في السريانية والباء
بعد التعريب **وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين** اي امرناهما امرا موكدا بتطهير
البيت من الانجاس والاقذار ان مصدرية او مفسرة **والعاكفين** المجاورين المقيمين فيه او الواقفين
فيه للصلوة لقوله والقائمين او المعتكفين وهذا هو الوجه لشموله اصناف العبادات لما روي ان الله
ينزل فيه كل يوم مائة وعشرين رحمة ستين للطائفين واربعين للمصلين وعشرين للعاكفين **والركع
السجود** فان قلت تطهير البيت واجب سواء كان فيه احد المذكورين او لا فما وجه تقييد التطهير بهم
قلت وجه الامتنان على هؤلاء بان مثل ابرهيم في رفعة شأنه امر بتطهير مكان عبادتهم فان قلت
لم لم يعطف السجود على الركع كما عطف العاكف على الطائف قلت لانهما عبادة عن المصلي لعدم مشروعية
الركوع عبادة **واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا امنا** اي اهله فان قلت لم جاء في سورة
ابرهيم البلد معرفا عكس ما هنا قلت ذاك سابق نزولا اشارة الى الحاضر في الذهن قبل كينونته
بلدا وهذا انما قاله بعد ان صار بلدا فالمسؤال او صلوحه للسكنى بالامن في اكثر الاحوال كساير البلاد وثانيا
ان الحرف يعتري البلاد لا منه او الاستدامة او احدهما من الدنيا والاخر من الاخرة **وارزق اهله من
الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر** قاس الرزق على الامامة **قال ومن كفر** عطف على من امن
عطف تلقين كانه قال قل ومن كفر فانك مجاب وليس شأن الرزق شأن الامامة ويجوز عطفه على
مقدر اي ارزق من امن ومن كفر بلفظ الخبر وان يكون من كفر مبتدأ **فامتعه** خبره اي فانا امتعه **قليلا**
والفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط والكفر سبب لقلة التمتع وقرأ نافع وابن عامر فامتعه من امتع والتشديد
ابلغ واشهر **ثم اضطره الى عذاب النار** الزه اليه لا اجد الى غيره سبيلا ثم للتراخي رتبة اذ لا فاصل
بين زوال التمتع ودخول النار لان قربها كالقوس صغره من صغره البرزخ **وبئس المصير** المخصوص
محذوف اي النار او مصيرهم **واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل** انزل الله لادم
البيت المعمور ما قو ساحر الى موضع البيت وحج اليه ادم من الهند اربعين حجة وكان باقيا الى
زمن الطوفان فرفع وكان مكانه رابية يذهب السيل من حواليه الى ان امر الله ابرهيم ببناء
بيت على تلك الرابية والمضارع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس جرت
مجرى الاسماء ومعنى رفع الاساس رفع البناء عليه من باب جرى النهر والجمع باعتبار الاجزاء
اساس او ساقات البناء من الحجر والطين لانه اذا وضع ساقا فوق ساق فقد رفع البناء وانما
لم نصف القواعد الى البيت مع كونه لحصر ايثار الابهام والتفسير لتفخيم الشان المبين روى
الترمذي والنسائي ان البناء لما ارتفع الى موضع الحجر جاء جبريل بالحجر الاسود وهو اشد
بياضا من الثلج فسودته خطايا بني ادم وانما اخر ذكر اسمعيل عن رفع القواعد لانه كان
معينا وابرهيم هو الباني **ربنا تقبل منا** بتقدير القول **انك انت السميع** لدعائنا **العليم**
بنياتنا **ربنا واجعلنا مسلمين لك** مخلصين او منقادين من اسلم انقاد والمعنى زدنا اخلاصا
وانقيادا **ومن ذريتنا امة مسلمة لك** بعض ذريتنا ويجوز ان يكون من بيانا وانما دعوا للذرية

للذرية لانهم احق بالشفقة واولى بالرعاية الا ترى الى قوله قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل ارادا
امة محمد **وارنا مناسكنا** متعبداتنا والنسك في الاصل غاية العبادة ثم غلب على اعمال
الحج وقرأ ابن كثير وابو عمرو في رواية السوسي بسكون الراء لثقل الكسرة على الراء والدوري عنه باختلاس
الكسرة جمعا بين التخفيف وابقاء الحركة لانها حركة الهمزة المنقولة وهذا هو المختار للتوسط **وتب
علينا** ما فرطنا او استتابة لذريتهما **انك انت التواب** قابل التوبة **الرحيم** تبدل سيئات التائب
حسنات **ربنا وابعث فيهم** في الامة **رسولا منهم** من قومهم هو رسول الله اذ لم يبعث من
ذرية اسمعيل نبي غيره روى الامام احمد عن عرباض بن سارية وابي امامة ان رسول الله قال
انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي رأت امي انه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام
وكان في ذلك اشارة الى بقاء شرعه بالشام الى اخر الدهر ولذلك هناك ينزل عيسى ويهلك الدجال
يتلوا عليهم اياتك دلائل وحدانيتك وكمال ذاتك وصفاتك **ويعلمهم الكتاب** اي القرآن
والحكمة المعارف اصولا وفروعا وانما اثر في الايات التلاوة اشارة الى ظهورها وانها غنية
عن التعليم **ويزكيهم** يطهرهم عن اوضار الشرك والمعاصي او يوم القيمة حين يشهدون على الامم
انك انت العزيز الغالب لا يعجزك **الحكيم** الذي لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة **ومن يرغب عن ملة ابرهيم**
انكار لان يكون عاقل راغبا عن ملته لانها في الحسن اوضح من كل واضح والملة من املت الكتاب
جمعته او مللت الطريق سلكته يرادف الدين والشريعة واكثر ما يستعمل في الاصول ولذلك
يقال ملة الانبياء واحدة ولا يضاف الى الله فلا يقال ملة الله بخلاف الشرع والدين **الا من سفه
نفسه** بدل لان من يرغب غير موجب ويجوز النصب ومعنى سفه نفسه اي استخفها واذلها ممتهنا
بنفسه وفي الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل تمييز وان كان معرفة على الشذوذ كغبن رأيه
وقول النابغة الدنيا في اخب الظهر ليس له سنام او بنزع الخافض وعن الزجاج ضمن معنى جهل والمعنى
لا يرغب عن ملته الا من جهل نفسه وهو معنى حسن لدلالته على حلاوة ملته وفائق حسنها فلا يتوجه
القول بان الجاهل قد يعذر **ولقد اصطفيناه في الدنيا** بالرسالة جواب قسم محذوف **وانه في
الاخرة لمن الصالحين** منفردا في زمرتهم والصلاح وصف جامع لمعنى الاستقامة مع الله
وعباده ومن كان حاله في الدارين هذا فالراغب عن طريقه سفيه ضال **اذ قال له ربه اسلم**
ظرف للاصطفاء اراد انه مستمر كان مصطفى من حداثة سنه الى ان فارق الدنيا او اسلم اردفنا
صافكقوله يا ايها النبي اتق الله او نصب باذكر اي اذكر ذلك الوقت وجوابه ليظهر انه المصطفى الذي
لا يرغب عن ملته ويجوز ان يكون متعلقا بقال وعدم العاطف للدلالة على مبادرته كانه
كان مع الامر به **قال اسلمت لرب العالمين** دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا
الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت **ووصى بها ابرهيم بنيه** عطف قصة على اخرى
والضمير للملة او عطف على قال اسلمت والضمير لقوله اسلمت باعتبار الكلمة والمعنى وصى بنيه بان
يقول كل منهم اسلمت والاول هو الوجه ولذلك اتى بالمظهر وعطف عليه يعقوب والتوصية
التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله وقرأ
نافع وابن عامر اوصى وعليه رسم مصحف الشام والمدينة والتشديد ابلغ **ويعقوب** عطف
على ابرهيم اي وصى هو ايضا **يا بني** بتقدير القول عند البصرية وعند الكوفيين يتعلق بوصى لما فيه
من معنى القول **ان الله اصطفى لكم الدين** اي دينكم للاخذ بصفوة الاديان وهو الاسلام
فلا تموتن الا وانتم مسلمون النهي راجع الى القيد لان الموت لا اختيار فيه والمعنى لا يكن
حدوث الموت الضروري الا في حال اسلامكم كقولك للمصلي في صلوته لا تصل الا وانت خاشع
اشارة الى ان الصلوة بلا خشوع كلا صلوة ومعناه ان الموت على غير الاسلام موت لا خير فيه
ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة للاضراب على الكلام الاول والاستفهام
سوابهم والخطاب للمؤمنين وذلك انه لما حث على اتباع ملة ابرهيم وبين حاله وحال يعقوب

قائل صاحب الكشاف

ويل انما وصف بالسفاهة
لرغبة فيه لا انه نما موجبة
هامش

في التوحيد والاهتمام به انكران يكونوا شاهدين لتلك الاحوال وانما حصل لهم العلم بها
سماعا ممن لا ينطق عن الهوى فكان حقيقا بالاتباع او لليهود حين زعموا انه لم يمت نبي الا على
اليهودية على ان الاستفهام للتقرير اسلافكم كانوا حاضرين حين وصى يعقوب بنيه بالتوحيد وقد
تواتر ذلك بينكم فكيف يدعون عليه اليهودية او على ان الانكار قد تم عند قوله ما تعبدون
من بعدي وقوله قالوا نعبد بيان لفساد دعويهم ويجوز ان يكون ام متصلة اي اتدعون
على الانبيا اليهودية ام كان اسلافكم حاضرين وصيته بنيه والغرض تبكيتهم لاعترافهم بالنفي
اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي بعد موتي ما عام في العقلاء وغيرهم عند الابهام سوا
كان الاستفهام او غيره فاذا علم الشي خص من بذوي العقول وما بغيرهم ويجوز ان يحمل
ما في الاية على الصفة اي ما نعت من تعبدونه قالوا نعبد الهك واله اباءك ابراهيم
واسمعيل واسحق عد اسماعيل من الاباء تغليبا وفي الحديث عم المرء صنو ابيه اي عديله وقايم
مقامه عند فقده الها واحدا بدل من الهك لكونه موصوفا مثل بالناصية ناصية كاذبة خاطئة وفايدته دفع توهم
التعدد الناشي من العطف كما في غلامك وغلام زيد ويجوز نصبه على الاختصاص ونحن له مسلمون
منقادون حال من الفاعل او المفعول او عطف على نعبد والعدول الى الاسمية افادة للدلالة
على الاستمرار او اعتراض مؤكد لما مر العادة تلك امة المذكورون انفا قد خلت لها ما كسبت
من التوحيد والاعمال ولكم ما كسبتم لا ينفعنكم وذكرهم وفي الحديث آدم من تراب والناس
من آدم لا فضل لعربي على عجمي ومن بطا به عمله لم يسرع به نسبه ولا تسألون انتم عما كانوا
يعملون فضلا عن المواخذة به او الثواب وقالوا كونوا هودا او نصارى او للتنويع اي
قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم
اي بل نكون ملة ابراهيم اي اهل ملته او نتبع ملته حنيفا مايلا من الباطل الى الحق حال او له
ولكنا خلقنا او خلقنا حنيفا دينا عن كل دين والحنف بفتح النون ميل في اليدين والرجلين وانتصابه
على الحال من المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وانما يحسن اذا جاز
وقوعه موقع المضاف كما في المثالين بخلاف قولك ضربت غلام هند جالسة والعامل
فيه هو العامل في المضاف وما كان من المشركين تعريض لمن يدعي انه على ملته وهو مشرك
كاليهود والنصارى وعبدة الاوثان قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين بمنزلة البدل او البيان
لقوله قل بل ملة ابراهيم لان المراد هو داموا والاولى ان يكون لاهل الكتاب القائلين كونوا
هودا او نصارى لتلازم الكلام كانه قيل قل في جوابهم اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا امنا
بالله وما انزل الينا اي القران لانهم امة الدعوة او لان النبي هو القائل فحكى الله كلامه
ولو حكى كلامهم لقيل وما انزل اليكم وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط الصحف وان نزلت على ابراهيم الا ان اولاده واحفاده كانوا متعبدين بها كتعبدنا
بالقران والاسباط جمع سبط وهو ولد الولد واصله الاسترسال والامتداد وقال وجاءت
به سبط العظام كانما عمامته فوق الرجال لواء سمي به الحافد لانه امتداد في الفرع وما اوتي
موسى وعيسى من التورية والانجيل غير الاسلوب ايماء الى عظم شان الكتابين ولم يعد
الموصول مع عيسى لان اكثر احكامه بالتورية فكان ما اوتي موسى اوتيه ايضا وما اوتي النبيون
المذكورون وغيرهم والنزول لا يكون الا من فوق فيستعمل بعلى وبالى لملاحظة معنى الوصول
من ربهم لا نفرق بين احد منهم منهم في النبوة وان تفاوتوا في الرتبة وانما دخل
بين على احد لانه اسم لمن يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع ولذلك لوقوعه
من سياق النفي الا ترى الى عدم استقامة قولك لا نفرق بين رسول ونحن له مسلمون
منقادون بالجوارح والاعمال فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا ابتنى الكلام على
الفرض تبكيتا لان دين الحق واحد لا مثل له فاذا رجعوا الى انفسهم بحر بهم الفكر الى ان

رد على القاضي

الى ان ذلك منحصر فيما امن به المؤمنون وقيل الباء للاستعانة اي ان اوجدوا الايمان واحد
ثوه بواسطة شهادة مثل شهادتكم قولا واعتقادا وقد يقال بزيادة الباء والمثل على انما مصدرية
فان قلت اذا كان الخطاب في قوله قولوا امنا لاهل الكتاب فما وجه قوله فان امنوا بمثل ما امنتم به قلت
تقديره قل لهم اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا امنا فان امنوا بمثل ما امنت له انت واصحابك فقد اهتدوا
وان تولوا اعرضوا عما عرضت عليهم فانما هم في شقاق ما هم الا في شق والايمان في شق اخر وليسوا
من طلب الحق في شيء فسيكفيكهم الله امرهم لا محالة وان تاخر وهو السميع العليم يسمع
اقوالكم ويعلم نياتكم وعد ووعيد صبغة الله مصدر مؤكد لنفسه لكونه مضمون جملة لا يحتمل
لها غيره وهي امنا اي طهرنا الله لا مثل تطهيركم كانت النصارى تغمس الاولاد في المعمودية ويقولون
ويقولون الان صار نصرانيا حقا وهي ماء اصفر فاطلاق الصبغ على طريقة المشاكلة الحالية واختصاصه
بالنصارى مع ان الخطاب لهم ولليهود لوقوعه بينهم او الاستعارة لان الايمان حلية المؤمن او لظهور
اثره عليه ظهور الصبغ على المصبوغ او لانه اشرب قلبه اشراب الصبغ الثوب او امر المسلمون ان
يقولوا لهم قولوا امنا بالله وصبغنا ومن احسن من الله صبغة لا احسن منه لانه يصبغ بالايمان
الذي لا يمحى اثره سرمدا ونحن له عابدون عطف على امنا ومن جعل صبغة الله نصبا على البدل من ملة
ابراهيم او على الاغراء اي الزموا صبغة الله جعله اعتراضا تعريضا عن اشرك في عبادته لئلا يقع الفصل بين
المعطوف والمعطوف عليه بالاجنبي والعطف على فعل الاغراء بتقدير القول اي الزموا وقولوا نحن له عابدون
تكلف واضمار بلا دليل قل اتحاجوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب كانوا يزعمون ان
ابراهيم سال الله ان يكون النبوة في اولاد اسحق والملك في اولاد اسمعيل وهو ربنا وربكم
الناس في ذلك سواء ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكما ساويتمونا فطرة واكتسابا فلم تنكرون الا فضل الله
ورحمة لمن يشاء من عباده ونحن له مخلصون الايمان والطاعة دونكم فنحن اولى واكثر
قابلية والاخلاص افراد الشيء عما يشوبه والمراد العمل لوجه الله وقد وعى في الفواصل اسلوب
الترقي ذكرا ولا الاسلام وثانيا العبادة وثالثا الاخلاص ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى اضراب عن الخطاب في اتحاجوننا وام منقطعة
لانكار هذا القول عليهم وقرا حمزة وابن عامر والكسائي وحفص بالخطاب على ان ام متصلة معادلة
لهمزة اتحاجوننا وهذا ابلغ لدلالته على ان كل واحد من الامرين منكر فكيف وقد اجتمعا كقولك لمن
اخطا راشيا ومقالا ابذنبك ام بغيرك وكذا ان جعلت منقطعة قل اانتم اعلم ام الله وقد
برأهم ما تنسبونه لهم ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله الظرف يستقر ان صفة لشهادة
والمعنى لا اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا شهادة الله لابراهيم بالحنيفية في التورية والانجيل
فقد ضموا الى الكتمان التكذيب وفيه تعريض لما انكر عليهم من الادعاء وتعريض بهم في كتمانهم شهادة الله
لمحمد في كتابهم او المعنى لو كتمنا معشر المسلمين شهادة الله له لكنا اظلم الناس والماضي في الاول
على اصله وفي الثاني للتعريض كما في لئن اشركت وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم تلك
امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون خطاب للمؤمنين تحذيرا عن التاسي بهم
كرره للتاكيد والتقرير وخاتمة للشروع في مشرع اخر وقيل الاول اريد به الانبياء والثاني اسلاف
اليهود والنصارى سيقول السفهاء من الناس الخفاف الاحلام المنهمكون في التقليد وهم
اليهود لانهم كانوا يودون موافقة او المنافقون لانهم وجدوا مواضع الطعن او المشركون
قالوا سيعود الى دين ابائه كما رجع الى القبلة وانما اخبره قبل الوقوع ليوطن نفسه ويلقى المكروه
بصدر رحب ويستحضر الجواب قبل الحاجة ليكون ابلغ عند الحجاج وفي المثل قبل الرمي يراش السهم
ما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها اي شيء صرفهم عن بيت المقدس والقبلة الجهة
التي يقبل اليها الانسان غلبت على الجهة التي يتوجه اليها المصلي والمكان قل لله المشرق والمغرب
فاي مكان وجهه شرعه كان قبلة لا مدار حسن الاشياء وقبحها امره ونهيه يهدي من يشاء

الى صراط مستقيم هو ما اقتضته حكمته ومنه التوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى
وكذلك جعلناكم امة وسطا اى جعلناكم امة وسطا هذا الجعل البديع الذى تشاهدونه
فالاشارة الى الجعل المدلول عليه بالفعل والكاف مقحمة تفخيما ولذلك امده بما وضع لبعد
المشار اليه وقيل المعنى على التشبيه اى كما جعلنا كم مهديين جعلنا قبلتكم اشرف القبل والوسط
مركز الدايرة بالسكون ما بين الاطراف من الاماكن المبهمة ولذلك تقول جلست فى وسط الدار
فى الاول وجلست وسط فى الثانى لم اطلق على كل حسن لكونه بين الافراط والتفريط حتى صار
مثلا خير الامور اوسطها والمفرد والجمع فيه سواء اى جعلناكم خيارا او عدولا لان الوسط
عدل التساوى نسبة الاطراف اليه لتكونوا شهداء على الناس يوم القيمة ويكون الرسول
عليكم شهيدا روى البخارى وغيره ان الامم المكذبة تنكر تبليغ الرسل فيشهد الرسل
بامة محمد فتقول الامم من اين علمتم وانتم لم تكونوا موجودين فتقول علمنا ذلك باخبار الله
فى كتابه المنزل على نبينا فيوتى برسول الله مزكيا لهم فيشهد بصدقهم وانما عدى شهادته
بعلى مع انها لهم لا عليهم لتضمين معنى المراقبة لاشتراط كون المزكى خبيرا بحال المزكى وفى ذلك غاية
مدح لهم وقدمت الصلة لاختصاص شهادته بهم ولا يقدح فى ذلك كونه شاهدا للرسل ايضا لان
هذه تزكية وتلك شهادة بالتبليغ على ان الحصر اضافى لان التقابل بين الامم لا بين امة والرسل
وما جعلنا القبلة التى كنت عليها اى الجهة التى كنت عليها ثانى مفعولى جعل وهى الكعبة
فانه كان قبل الهجرة يستقبلها او بيت المقدس لانه توجه اليه بعد الهجرة سبعة عشر شهرا فالجعل
على الاول الجعل الناسخ وعلى الثانى المنسوخ الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه اى ما رددناك
الى قبلتك الاولى الا امتحانا وتميزا بين الصادق فى اسلامه الثابت وبين الناكص المتزلزل
او ما جعلنا بيت المقدس قبلتك الا لامر عارض وهو الامتحان والا فاصل شانك ان يكون
الكعبة قبلتك لانها اشرف الاماكن وانت اشرف الرسل وبناء جدك وقبلته وعن ابن
عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل البيت بينه وبين بيت المقدس وانما قال
لنعلم ولم يزل عالما اراد علما يتعلق به الجزاء او اراد علم الرسول والمؤمنين اسنده الى ذاته
تجوزا لانهم خواصه واهل الزلفى عنده او اراد التميز لان العلم سببه او هو من باب التمثيل مصورا
حاله بحال من اراد ان يعلم وان كانت لكبيرة التحويلة والجعلة مخففة وكذا جعل الضمير للصلوة
واللام هى الفارقة وقيل اللام عوض عن اسمها او فارقة بينها وبين المشددة وهو سهو وكذا
جعل الضمير الا على الذين هدى الله الى الصواب وما كان الله ليضيع ايمانكم صلوتكم
قبل تحويل القبلة روى البخارى عن البراء قالوا كيف ماحوانا الذين ماتوا قبل التحويل
فنزلت وقيل ثباتكم وعدم تزلزلكم ان الله بالناس لرؤف رحيم الرافة شدة الرحمة
قدكرها بعدها تتميم وقيل للفواصل وفيه انه مطرد حيث وقع ابو عمرو وحمزة والكسائى
وابو بكر بالقصر على انه صفة مشبهة وهو ابلغ لدلالته على اللزوم قد نرى تقلب وجهك
فى السماء تردده فى جهة السماء تطلعا للوحى كان يتوقع ان يوجه الى الكعبة لان قبلة الله
ابرهيم وادعى للعرب الى الاتباع وليلا نظن اليهود اتباعهم اياهم فلنولينك قبلة
فلنجعلنك واليا ممكنا من استقبالها او تلى سمتها دون سمت بيت المقدس فول وجهك
شطر المسجد الحرام الشطر فى الاصل ما انفصل من الشئ واكثر ما يستعمل فى النصف كما فى
الحديث الطهور شطر الايمان ونقعد احد بكن شطر وبرها الاصلى وليس فى ذكر المسجد دلالة
على ان الجهة كافية للبعيد كما ذهب اليه ابو حنيفة ومالك والشافعى فى احد قوليه لانهم
لا يريدون بالجهة المسجد الحرام بل تدل على عكسه لان مستقبل المسجد مستقبل الكعبة كالخطوط
المستقيمة من محيط الدايرة الى المركز وان كانت اوسع دايرة تتصور والتكليف بحسب الامكان
فان امكن اصابة العين تعينا كداخل المسجد فذاك والا فظنا ولا حرج فى ذلك فلا يرد التوجه

قايد الكوشى

قايد القصص

التوجه الى اطراف الدايرة ولا الصف المستطيل لانه اما ظان للاصابة ولا فعلى الاول مصيب
وعلى الثانى بما كلف به روى بخارى ومسلم عن ابن عمر وبينا الناس يصلون صلوة الصبح فى مسجد
قباء اوجاء رجل فقال ان رسول الله انزل عليه القران بالتوجه الى الكعبة وكانوا فى الركوع فداروا
وكما هم قبل البيت واستدل به على قبول خبر الواحد وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
خص بالذكر اولا قصدا لوطره المبهم ثم عمم ليلا نظن انه من خواص البلد او من خواصه دون
امته وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم لانه فى الكتب السالفة ان المشرع
يصلى الى القبلتين لا لعلمهم بان عادة الله تخصيص كل شريعة اذ لا دليل على ذلك كيف والقبلة منحصرة
فى الكعبة وبيت المقدس فى الشرايع كلها وما الله بغافل عما تعملون وعيد لاهل الكتاب وقرا
ابن عامر وحمزة والكسائى بالخطاب للمؤمنين والغيبة احسن لان الكلام معاندة اهل الكتاب
بعد علمهم ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية اقناط لهم عن ايمانهم واشارة الى انهم الذين
طبع الله على قلوبهم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المحذوف والدال عليه اللام الموطئة وسد
مسد جواب الشرط ايضا وما انت بتابع قبلتهم عطف على الجملة القسمية لا على الجواب وايثار
الاسمية للدوام قطع لاطماعهم فان اليهود ارادوا اخداعه وقالوا لو ثبت على قبلتنا كنا نرجو ان
يكون الموعود المشربه وما بعضهم بتابع قبلة بعض اى اهل الكتاب يخالف بعضهم بعضا
فى القبلة ايضا فان اليهود تصلى الى الغرب والنصارى الى المشرق ولئن اتبعت اهواءهم
من بعد ما جاءك من العلم كلام وارد على سبيل الفرض بعد ما اخبر بكونه غير تابع لهم
حسما لمادة اطماعهم مع الاشارة الى فظاعة حال المخالف لاتباع هواه وفيه مبالغة من تسعة
اوجه انك اذا لمن الظالمين الداخلين فى زمرتهم الموسومين بسمتهم الذين اتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الضمير لرسول الله متصل بقوله وان الذين اوتوا
الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم لا بيانا علمهم هذا على العلم بانه يصلى الى القبلتين وقيل
الضمير للتحويل والقران او العلم ويؤيد الاول ما روى ان عبد الله بن سلام قال لعمر انى
اعلم به منى بابنى قال قال لانى لم اشك فيه وابنى ربما خانت امه فقبل عمر راسه فان قلت
طريقة التشبيه يدل على ان معرفتهم بالابناء اقوى فما وجه قول عبد الله قلت اراد عبد الله
ان نبوته قطعية والولد لصاحب الفراش وما فى الاية بالنظر الى الظاهر بان كونه ابنا له مشاهد
والنبوة نظرية وان فريقا منهم ليكتمون الحق الضمير للعارفين قسمهم الى مذعن ومعاند
فدل على ان المعرفة ليست بايمان وهم يعلمون تاكيد للذم لان الجاهل ربما يعذر الحق خبر
مبتدا اى ما جاءك من العلم او الذى يكتمونه الحق واللام للجنس كما فى ذلك الكتاب من ربك
خبر بعد خبر وحال او الحق مبتدا ومن ربك خبره واللام للعهد اشارة الى ما جاء به رسول الله
او الى الذى يكتمونه واللام للجنس كما فى الحمد لله فلا تكونن من الممترين الخطاب عام او للرسول والمراد
امته اشارة الى ان من كان مؤمنا به امتراؤه او المراد تثبيته على اليقين ولكل وجهة هو موليها الضمير لكل
والمفعول محذوف اى وجهه او لله والمفعول ضمير كل اى الله موليها اياه والمعنى لكل ملة من الملل
جهة يوجهون اليها او لكل واحد منكم يا امة محمد جهة يتوجه اليها من شمال وجنوب وغيرهما
وقرا ابن عامر موليها بفتح اللام فالضمير لكل لا غير فاستبقوا الخيرات كلها من امر
القبلة وغيره وقيل امروا بالتسابق الى الجهات الفاضلة المسامتة للكعبة واذا امروا بسبق بعضهم
بعضا فسبق غيرهم اولى اينما تكونوا يات بكم الله جميعا يا اهل الاديان او يا امة محمد والاول
اوجه لان الكلام فى اهل الملل واختلافهم على منوال قوله ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
ان الله على كل شئ قدير فهو قادر على الاتيان بكم بعد التشتت وتفرق الاجزاء ومن حيث
خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام من اى مكان خرجت للسفر وانه للحق من ربك
الامر بالتوجه وما الله بغافل عما تعملون وعيد لمن ترك التوجه من اليهود كما او عدولا

وما قيل ان رسول الله كان فى الصلوة سهوا سلم انه منه

قايد القصص

اليافوخ جانب الراس

على الكتمان وقرا ابو عمرو يعملون بالغيب والاول اوجه ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ذكر الامر بالتولية ثلث مرات لان امر القبلة من عظايم الامور ومظان
الاشتباه فهو حقيق بالتقرير والتحرير اثر تقرير وتحرير ولانه نيط بكل ما لم ينط بالاخر ففي الاول تكريم الرسول
بالاجابة الى مبتغاه مدمجا فيه وجوبه على كل مصل مع التصريح بسفه اليهود وفي الثاني بيان حكم السفر حيث
كان لئلا يظن اختصاص بالمدينة او بالمقيمين وخص بالخطاب لانه سيد القوم وامام الكل واردفه
بوعد المخالف وفي الثالث تشريف امته بالخطاب موكدا فيه وجوب التمسك به منا سكه الحكم
بقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة لليهود حيث كان في كتابهم انه يصلي الى القبلتين وللمشركين
حيث قالوا اماله ترك قبلة ابراهيم الا الذين ظلموا منهم بدل ويجوز نصبه اي الا المعاندين فانهم يأتون
على محبتهم يقولون ما توجه الى الكعبة الا رجا لوطنه وانما سمي الشبهة الواهية حجة لانهم يسوقونها مساق
الحجة كقوله حجتهم داحضة والاشبه انه من قبيل ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
فلا تخشوهم لانهم على الباطل واخشوني في مخالفة امري ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون
متعلق اللام محذوف اي لاتمام النعمة عليكم وارادة اهتدائكم امرتكم بذلك او عطف على مقدر
كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وانما حذف المعطوف عليه لحضاره دلالة على ان
الفايدة غير واحدة وتمام النعمة دخول الجنة وعن علي الموت على الاسلام وقيل عطف على لئلا يكون
وقوله فلا تخشوهم وما عطف عليه جار مجرى الاعتراض وهو بعيد لا سيما اذا فسر تمام النعمة
بالموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا في محل المصدر اما متعلق بما قبله اي لاتم نعمتي
عليكم في الاخرة كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول امرتكم بالتوجه او بقوله فاذكروني
والفا تخللت بين العامل والمعمول كما في وربك فكبر منكم من جلدتكم تعرفون نسبه وحسبه
يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على محاسن الاخلاق قدمه على تعليم الكتاب والحكمة لانه
المقصود وفيه تنشيط للمخاطب وفي دعوة ابرهيم اخر نظرا الى الوجود ويعلمكم الكتاب والحكمة
علم الشرايع ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون لولا الوحي من الاخبار بالمغيبات واحوال المعاد
فاذكروني بالطاعة اذكركم بالمغفرة والثواب روى البخاري عن انس ان رسول الله قال قال الله
يا ابن ادم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وان ذكرتني في ملأ ذكرتك في ملأ خير منهم
وان دنوت مني شبرا دنوت منك باعا وان اتيتني تمشي اتيتك هرولة واشكروا لي نعمتي عداه باللام لتضمين
معنى الاخلاص ولا تكفرون بالجحد والعصيان تصريح بما علم ضمنا يا ايها الذين امنوا استعينوا
بالصبر والصلوة بعد الامر بجملة من التكليف دلهم على ما يتوسلون به اليها وهو الصبر والصلوة التي هي
المناجاة مع من هو غاية الغايات ونهاية الطلبات والمناسب ان يراد بالصبر الصوم لانقطاع النفس
عن الشهوات الشاغلة عن التوجه الى جناب القدس والله مع الصابرين بالحفظ والاعانة
تسهيل للامر وتنشيط للمخاطب ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء اي بل هم احياء
اضراب عن نهيهم الى الاخبار بهذا وليس معطوفا على اموات عطف مفرد او جملة بتقدير بل هم اموات
لعدم كونه مقولا لهم ولكن لا تشعرون بحيوتهم نزلت في شهداء بدر وقيل في شهداء بئر معونة والمراد
الحيوة بالابدان لان الروحانية مشتركة بين المومنين قاطبة ولذلك قيده بالرزق والفرح ولما
روى مسلم ان ارواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ولا دلالة في قوله لا يشعرون
على ان الحيوة ليست بالجسد بل على العكس اذ لا ان الشعور علم مستند الى الحواس ولنبلونكم
بشيء من الخوف والجوع ولنعاملنكم معاملة المختبر ونكر الشيء للدلالة على ان ما يصيب المومن
نزر بالنظر الى ما يدفعه الله ولخبر به قبل الوقوع ليوطنوا انفسهم عليه ليهون عند الوقوع ونقص
من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او على الخوف وعن الشافعي ان الخوف خوف
الله والجوع صيام رمضان والنقص من الاموال الزكوة ومن الانفس الامراض وفي كون الخوف
خوف الله وعدة من المصاب نظر وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا

قائله القشيري

رد على الشافعي

قالوا انا لله وانا اليه راجعون عطف على الجملة القسمية لا على جوابها ازاح مرارة المصاب بلذة
البشارة والخطاب عام ذكر مصيبة ليوافق نكرة شيء ويدل على ان الجزاء المذكور بعده مترتب
على ادناها روي ان سراج رسول الله طفئ فاسترجع فقيل امصيبة هي فقال نعم كل شيء يؤذي
المؤمن مصيبة روى مسلم عن ام سلمة ان رسول الله قال ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه
راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله واخلف له خيرا منها فلما مات ابو
سلمة قلت من ابن لي خير من ابي سلمة ثم قلته فاخلف الله لي خيرا منه رسول الله اولئك عليهم صلوة
من ربهم ورحمة مبتدا وخبر والجملة خبر ان دال على المبشر به والصلوة من الله الرأفة والعطف
كانه قيل عليهم من الله رأفة ورحمة والسكر للتفخيم والجمع للدلالة على التكرير كالتثنية في لبيك و
حاصل البشارة باتصال المسار على التوالي ودفع المضار واسباب الملال واولئك هم المهتدون
الى طريق الصواب سبق مدحا لهم ان الصفا والمروة جبلان معروفان واصل الصفا الصخر
الملس من الصفوة وهي الخلوص والمروة الحجر البراق الذي يقدح منه من شعائر الله من مناسكه
جمع شعيرة من الشعور بمعنى العلامة واضافتها الى الله لانها اعلام مواضع عبادته واذا اضيفت
الى الشرع اريد بها العلامات كالاذان والاقامة فمن حج البيت قصده او اعتمر زاره
كانه ماخوذ من العمارة فلا جناح عليه ان يطوف بهما روى البخاري ومسلم عن عايشة ان الانصار
كانوا يهلون قبل الاسلام لمناة صنم لهم بالمشلل وكانوا يتحرجون من الطواف بين الصفا والمروة
فانزل الله ان الصفا والمروة من شعائر الله وعن ابن اسحق ان اسافا ونايلة رجل وامراة زنيا
داخل الكعبة فمسخا حجرين فوضع احدهما على الصفا والاخر على المروة فكره المسلمون الطواف
بينهما لذلك فنزلت فعند الشافعي رواية عن احمد والمشهور عن مالك انه ركن لقوله صلى الله
عليه وسلم اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وعند ابي حنيفة واجب لان رفع الجناح اعم من الوجوب
وجزء الواجب لا يثبت الركن ولا في قراءة ابن مسعود ان لا يطوف بهما زايدة جمعا بين الاية و
الحديث فمن تطوع خيرا اي طاعة ما ترغيب في الطاعات كلها فهو خير له وقرا حمزة والكسائي
يطوع بياء الغيبة مضارع تطوع ادغمت الياء في الطاء والماضي خف فان الله شاكر مثيب على
طاعة عليم كامل العلم ترغيب في الاخلاص وترهيب عن الرياء ان الذين يكتمون ما انزلنا من
البينات نزلت في احبار اليهود لما حرفوا وبدلوا نعت رسول الله والايات الدالة على نبوته
من بعد ما بيناه لخصناه للناس كافة بحيث لم يكن فيه اشتباه في الكتاب في التورية او القران
اولئك يلعنهم الله لعنهم والمضارع للتصوير يدخل الفاء في اولئك ليدل على ان لعنهم ليس
لهذا السبب وحده بل الاسباب جمة ويلعنهم اللاعنون كل من يتاتى منه اللعن من الملائكة
والثقلين الا الذين تابوا ندموا على ما فعلوا واصلحوا ما افسدوه وبينوا للناس ما كتموه فانه
من تمام توبتهم او اظهروا توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويقتدي بهم غيرهم من اضرابهم فاولئك
اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار من الكاتمين وغيرهم
او سبهم على ان الموصول معهود لان الكلام فيهما اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لعنهم احياء وامواتا واثر في الاول المضارعة وفي الثاني الاسمية لان امور الدنيا
على التجدد والاخرة على الثبوت والدوام واتى بعلى ليدل على الشمول والاستقرار خالدين
فيها في اللعنة وفي النار للدلالة السياق عليها لا يخفف عنهم العذاب تكذيب لمن يقول
يتقادون بالعذاب فيهون عليهم ولا هم ينظرون يمهلون دفع لتوهم التخفيف كما دفع
بالاول كيفا او لا ينظر اليهم نظر رحمة او لا ينظرون ليعتذروا والهكم اله واحد فرد في الالوهية
وفي اعادة اله مانيا تفخيم وزيادة تقرير كقولك اميرنا امير كريم لا اله الا هو لا اله في الوجود
الا هو استيناف لتقرير الوحدانية ودفع توهم اختصاص الوحدانية باله المخاطبين واوثر البدل لانه
المقصود والنسبة اليه بعد نقض النفي وهو اثبات الرحمن الرحيم خبران اخران لالهكم تقرير

رد على الكوفية

لاستحقاقه العبادة بحسب الصفات ايضا ولما سمعه المشركون قالوا ائت باية تدل على دعواك فنزل قوله
ان في خلق السموات والارض جمع السموات دون الارض لما روي انها مختلفة الحقائق بخلاف
الارض واختلاف الليل والنهار تعاقبهما وتعاكسهما طولا وقصرا والفلك التي تجري في
البحر بما ينفع الناس بالذي ينفعهم او بنفعهم على ان ما مصدرية والفاعل ضمير البحر
او الجري لا الفلك لانه جمع وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان فاحيا
به الارض بعد موتها بالنبات بعد يبسها وزوال نضارتها وبث فيها من كل دابة
عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان احيى متصل داخل تحت الصلة ايضا او عطف على احيى
مسبب عن الانزال لان المطر سبب لبث الدواب في الارض من العقلاء وغيرهم لان امر الارزاق
من النبات والاشجار والزروع والثمار والمياه في الانهار مبني على المطر والاول اولى لان انزال
الماء والبث آيتان حينئذ والتكثير مطلوب ولاستغنائه عن تقدير الجار والمجرور وظهور كون
من بيانا وعلى الثاني تبعيضية لان الموجود بعض الممكن او لان في السماء ايضا دواب كما سياتي في
سورة الشورى وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها باردة
وحارة عاصفة ولينة تارة بالرحمة والاخرى بالعذاب والسحاب المسخر بين السماء والارض
ماما بمحض القدرة والمشية واسقاطه من السحب لان بعضه يجر بعضا لآيات لقوم يعقلون
ينظرون بنور البصيرة في الكائنات واستيفاء تفصيل الآيات متعذر والامر المجمل هو ان المذكورات
امور ممكنة يحتاج في وجودها الى مرجح واجب دفعا للتسلسل ودل على وحدانيته الانتظام المستمر اذ لو كان
فيهما آلهة لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وحديث المطلقة والدائرة والاوج والحضيض
وحركة الفلك حشو يصان عنه تفسير احسن الحديث وانما اطنب لان الكلام مع المشركين عبدة الجماد
ولذلك اختصر في آل عمران لما كان المخاطب احبار اهل الكتاب ومن الناس من يتخذ من
دون الله اندادا امثالا في الالوهية وهي الاصنام وقيل هم الرؤساء الذين كانوا يصدرون
عن اوامرهم لقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولا دلالة فيه لجواز ان يكون غيرهم ومعنى
محبتهم اياها تعظيمها واظهار طاعتها يحبونهم كحب الله كتعظيم الله ماخوذ من حبة القلب يقال
حببته واحببته اي ضربت حبة قلبه كضرب الطين على البناء والذين آمنوا اشد حبا لله لانهم
لا يعدلون عنه بحال بخلاف المشركين عند الشدائد ويعبدون صنما زمانا ثم يرفضونه ويعبدون غيره
كان لباهلة صنم من حيس اكلوه في المجاعة واثر اشد حبا على احب لشيوعه في الاشد محبوبية ولو يرى
الذين ظلموا لو يرى هؤلاء المتخذون اندادا والمظهر من الموصول للدلالة على شدة ظلمهم
في اتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه اجرى المستقبل مجرى الماضي لتحقق وقوعه
كقوله ونادى اصحاب الجنة وعبر عنه بالمضارع استحضارا للصورة الهائلة ان القوة لله
جميعا ان القدرة لله لا تاثير لقدرة غيره ساد مسد مفعولي يرى وان الله شديد العذاب
جواب لو محذوف اي لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم لما يرون مطلع العذاب في مقابلة
ظلمهم الفاحش وقرا نافع وابن عامر ولو ترى بالخطاب لرسول الله او لكل من يتاتى منه الرؤية
وهذا ابلغ ولذلك اتفقوا في ولو ترى اذ وقفوا ولو ترى اذ المجرمون وابن عامر يرون على بناء المفعول
اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي تبرا المتبوعون من الاتباع ورأوا العذاب
حال من الاتباع والمتبوعين ويجوز العطف على تبرا وتقطعت بهم الاسباب عطف على تبرا او
على رأوا والواو للحال والاول احسن لظهور استعمال الباء في الاستعظام من غير ان يكون قيد الفعل و
الاسباب هي الوصل التي كانت بينهم والسبب في الاصل الحبل الذي يرتقى به وقال الذين اتبعوا
الاتباع لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرؤوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء وانما
تمنوا الكرة الى الدنيا لان التبرؤ في الآخرة لا يعود عليهم بضير لانهم في شغل شاغل كذلك
يريهم الله مثل هذا الاراء اشارة الى مصدر الفعل اعمالهم حسرات عليهم ثالث مفعولي

مفعولي اري ان كان من رؤية القلب والا فحال وهذا اظهر والمعنى ان اعمالهم تنقلب عليهم حسرات
وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون والعدول للدلالة على الدوام يا ايها الناس
كلوا مما في الارض حلالا اي بعض ما في الارض من تبعيضية في موقع المفعول وحلالا حال او مفعول
به ومن ابتدائية طيبا خاليا عن الشبهة وقيل ما استطابه الطبع المستقيم ولا تتبعوا خطوات
الشيطان في تحريم ما احل الله من السائبة والوصيلة والحام والخطوة بضم الخاء ما بين
القدمين وقرا بضم الطاء ابن عامر والكسائي والبزي وحفص وهو الاصل في جمع الاسم والا
سكان للتخفيف انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة لا شيء اجلى من عداوته انما يامركم
بالسوء والفحشاء بيان وتقرير لعداوته استعار الامر لتسويله ووسوسته تسفيها لهم وايماء الى انهم
بمنزلة المامورين له في سرعة طاعتهم والسوء كل ما قبح شرعا والفحشاء ما جاوز الحد منه وقيل الاول
ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه حد وقيل متحدان ذاتا سوء لاغتمام العاقل به فحشاء لاستقباحه
اياه وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الولد وتحريم السوائب وفيه دليل على عدم
جواز اتباع الظن ما عدا ظن المجتهد لانه مامور باتباعه لان ظنه موصل الى العلم كالظن واذا
قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس التفاتا الى الغيبة للدلالة على انهم احقاء بصرف الخطاب
والاعراض عنهم كانه نادى العقلاء منهم الى التعجب من ضلالهم قيل هم المشركون وقيل طايفة
من اليهود قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا وجدناهم عليه لانهم كانوا خيرا منا اولو كان
اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الهمزة للانكار والواو للحال او للعطف على محذوف
والمعنى ايتبعونهم ولو كان المانع فاعاد اورده على طريق الانصاف كانه قال فليتبعوا لو ان هناك
مانعا او لا وخرج بذلك تقليد الانبياء والمجتهدين ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق
بما لا يسمع الا دعاء ونداء عطف على الشرطية بقدر ما ذمهم به من التقليد ويجوز عطفه
على اباؤهم والذين كفروا مظهر في موقع المضمر والمعنى تشبيه حال داعيهم الى الايمان كحال داعي
بهائم يصوت عليها ولا تدرك من صوته الا مجرد جرس ودوي او حال المدعو بالبهائم فيقدر مضاف
اما في المشبه اي مثل داعيهم او في المشبه به اي كمثل بهائم الذي اذ لا يحسن بدون ذلك وان كان مركبا
لا يلاحظ مفرداته مناسبة للطرفين ويجوز ان يراد بما الاسم الاصم الاصلح ولفظ ما والنعيق يوهم
الاول وقيل معناه في اتباع اباءهم كمثل البهائم في الجهل بحقيقة الحال لان البهائم
لا تعرف ما تحت الدعاء والنداء وقيل مثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بالبهائم
ولا حاجة الى تقدير مضاف وفيه ان لا معنى للاستثناء لان الاصنام لا يسمع شيئا
اصلا وان جعل من التشبيه المركب لان المذكور في الجانبين لا بد وان يكون له مدخل
في انتزاع الهيئة وان لم يكن وحده ملحوظا صم بكم عمي رفع على الذم تقرير وتوكيد
لما تقدم فهم لا يعقلون لانعدام طريق الادراك والمراد عمى القلب فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته
لان الحل قد علم من امر الاباحة والخلو عن الشبهة من قوله حلالا طيبا وخص به المؤمنين
لانه في معرض الامتنان واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون جعل الشكر لازما للعبادة
لانه بالجنان والاركان واللسان فلا وجود للعبادة بدونه انما حرم عليكم الميتة
خص منه السمك والجراد والدم خص منه الكبد والطحال لقوله صلى الله عليه احلت لنا ميتتان
ودمان ولحم الخنزير خصه بالذكر لانه المتعارف في الاكل ويعلم منه حكم سائره دلالة وما
اهل به لغير الله ما ذبح باسم غيره والاهلال من الهلال وهو اول الشيء ومنه الهلال
للقمر واهل الصبي رفع صوته اول ما يولد وكانوا يرفعون اصواتهم باسم الاصنام والمعنى
انما حرم عليكم هذه المذكورات لا ما حرمتموه من السائبة والوصيلة فالقصر اضافي لوجود
محرمات اخر فمن اضطر غير باغ على مضطر اخر كسر النون من ابو عمرو وعاصم وحمزة على

الاصل في التقاء الساكنين وضم الباقون على اولا ان لنا احمزة عما فا الاتباع ولا عاد متجاوز سد الرمق فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لفعل ذلك رحيم حيث رخص مع قيام المحرم ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا يسيرا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار اى الا ما يؤدى ويفضى الى اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضره وقوله ياكلن كل ليلة اكافا اويوم القيمة لا ياكلون الا النار وجعل البطن ظرفا للاكل مبالغة كانه قال ملاء بطونهم ولا يكلمهم الله يوم القيمة كناية عن عدم اكرامهما وعن اذ لالهم والانتقام منهم اوكلاما يحبونه مجاز يحمل ما لا يحب كالاكلام لو قوع التكلم لا محالة لقوله لنسألنهم اجمعين ولا يزكيهم ولا يثني عليهم كما يثني على المؤمنين ولهم عذاب اليم مع ذلك الحرمان اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة فما اصبرهم على النار تعجب للسامع من حالهم في التلبس بموجبات النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اى ذلك العذاب لسبب ان الله انزل جنس الكتاب ملتبسا بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب وهم اهل الكتاب القايلون بتحقيق التورية القران او ذلك الكفر من اليهود لاجل لخلاف المشركين في القران على ان الكتاب معهود لان القران هو المتدارس واختلافهم فيه قول بعضهم شعر واخرين منهم سحر والمعنى لولم يقدح قريش في القران لما جرت اليهود على الكفر به وعلى الوجهين الجملة حال والسببية واجعة اليها لا الى ما دخل اليها لفي شقاق بعيد لان الكتب السماوية تصدق بعضها بعضا ولان اساليب القران باين الشعر والسحر ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب اذ اختم قصة القبلة والمعنى ليس توليتكم المشرق والمغرب من جنس البر لكونهما منسوخة او عام لهم وللمسلمين والمعنى ليس البر الكامل الذي يهتم به الخوض في شان القبلة وقراء حمزة وحفص ليس البر بالنصب على الخبرية والرفع اولى الخبرية على الاصل في تقدم الاسم والقراءة على بان تولوا ولا تقرؤا فيهم عليه في ليس البر بان تاتوا البيوت ولكن البر من امن بالله بتقدير مضاف اى بر من امن او البر بمعنى ذي البر ومجاز في الاسناد كما في قولها انما هي اقبال وادبار وهذا اوجه وقرا نافع وابن عامر ولكن محققا والبر مرفوعا واليوم الاخر والملئكة والكتاب جنس الكتاب او القران كما في نزل الكتاب والنبيين كلهم واتى المال على حبه حب المال لما روى مسلم والبخاري عن ابي هريرة عن رسول الله لما سئل اى الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح ترجو الغنى وتخشى الفقر او حب الله او الايتاء والجار والمجرور حال على الوجوه ذوي القربى قدمهم لان ايتاءهم صدقة وصلة واليتامى والمساكين جمع مسكين اى دايم السكون اسكنه الفقر كالمسكير في دايم السكر وابن السبيل المسافر المجتاز الذي لا يجد ما يبلغه الوطن والاضافة للملابسة والسائلين وان كانوا اغنياء لما روى ابو داود ان رسول الله قال للسائل حق وان جاء على فرس وفي الرقاب المكاتبين او فك الاسرى واقام الصلوة واتى الزكوة المفروضين والاول في التطوع والحث على نوافل الصدقات او في حق المال سوى الزكوة لما روى ابن ماجة والترمذي عن فاطمة بنت قيس انها سالت رسول الله هل في المال حق سوى الزكوة فتلاها ويحمل قوله نسخ الزكوة كل صدقة على الواجب المقدر وقيل الاولى لبيان مصارف الزكوة وفيه بعد لا يجابه تقييد ذوي القربى واليتامى بالمحاويج والسائلين بالفقراء ونقص بعض والموفون بعهدهم اذا عاهدوا مع الخالق او الخلق والصابرين في الباساء والضراء في اموالهم وانفسهم اخرج من بين الصفات نصبا على المدح اظهارا لفضل الصبر على الشدايد وحين الباس وقت التحام القتال اولئك الذين صدقوا في دعوى الايمان لاتصافهم باصوله وفروعه وتحليهم بحلية العقايد والاعمال ظاهرا وباطنا اولئك هم المتقون الكفر والمعاصي

الكفر والمعاصي وفيه تعريض باهل الكتاب بانهم الذين كذبوا وانهم هم الفاسقون يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى روى البخاري والنسائي ان في بني اسرائيل كان القصاص دون الدية فنزلت وعن ابن جبير والشعبي كان بين حيين الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى من احياء العرب في الجاهلية قتال ولاحدهما طول على الاخرى فحلفوا ان نقتلوا بالعبد منهم الحر وبالانثى الذكر فنزلت ولا مفهوم للاية عند القايل لان شرطه ان لا يظهر للقيد فايدة وسبب النزول قد كشف عن الفايدة ولانه يلزم ان لا يقتل الذكر بالانثى وبالعكس ولم يقولوا به واستدل الامن لم يقتل الحر بالعبد بالقياس على الاطراف فانه مجمع عليه ولان العبد مال فلا يساوى المالك والقصاص يقتضى ذلك لانه من قص الاثر اذا تتبعه وعلى عدم قتل المؤمن بالكافر بحديث رواه البخاري عن علي ابن ابي طالب ان رسول الله قال لا يقتل مسلم بكافر وما روى ان رسول الله قتل يوم خيبر مسلما بكافر لم يصح سنده ولم يروه الا ابرهيم بن يحيى وهو كذاب واية المايدة لا دلالة فيها لانها حكاية ما في التورية بل لان الحكم مقيد بهم وكتبنا عليهم فيها كما اذا قلت يجب على بني هاشم ان لا ياخذوا من الزكوة فلا ينافي لغيرهم فمن عفي له من اخيه شيء من العفو اى شيء منه فانه كاف لسقوط القصاص في موضع المصدر الموصوف كضرب ضرب شديد وليس بمفعول به لان عفا لا تعدى اليه صريحا بل يتعدى بعن اما الى الجاني كقولك عفوت عن فلان او الى الجناية كقولك عفوت عن ذنبه واذا ذكر الجاني والجناية فذكر الجاني باللام يقال عفا الله لزيد عن ذنبه والجناية هنا في حكم المذكور لسوق العلم بها فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اى فليكن اتباع او فالامر اتباع توصية للعافي والمعفو عنه بان يطالب ولي المقتول القاتل بعنف وان يؤدي القاتل اليه الدية بلا مطل وتسويف وسمى ولي المقتول اخا القاتل ترقيقا له وتذكيرا باخوة الاسلام ذلك المذكور من الحكم تخفيف من ربكم عما كان في التورية من وجوب القصاص البتة ورحمة في شرعية القصاص والدية حيث لم يحتم العفو كما في الانجيل وقيل كان في التورية القصاص والعفو دون الدية وعند الشافعي يخير الولي بين الثلثة وعند ابي حنيفة الواجب القصاص والدية بدل لا يكون الا برضى القاتل ولفظ كتب وعفا صريحان فيما ذهب اليه وعن مالك اذا عفا الولي عن القصاص والدية يضرب القاتل مائة ويحبس سنة فمن اعتدى بعد ذلك بقتل الجاني وغيره كما كان في الجاهلية فله عذاب اليم شديد الالم وعن قتادة يقتل لا محالة لما روى احمد عن سمرة عنه صلى الله عليه لا اعافي احدا قتل بعد الدية ولكم في القصاص حيوة الظرفان خبران او الثاني خبر والاول حال والمعنى لكم في مشروعية القصاص حيوة عظيمة لما كانوا في الجاهلية يقتلون جماعة بواحد ولان القاتل اذا علم انه يقتل ارتدع فسلم هو وصاحبه وهو كلام في اقصى طرق البلاغة لان قول العرب القتل انفى للقتل في معناه كان ابلغ كلام عندهم وقد فاقه في التنزيل بقصره ونصه على المطلوب وهو الحيوة والتنكير الدال على التعظيم ولاطراده دونه لان القتل ظلما اوعى للقتل وخلوه عن التكرار واستغنائه عن التقدير بخلافه اذ المعنى انفى من تركه وبالطباق وكون الشيء ظرفا لضده والخلو عن توالي الاسباب الخفيفة المخل بسلاسة الكلام والتقديم الدال على الحصر يا اولي الالباب لعلكم تتقون التجاوز عن القصاص وعبر عن العقول بالالباب اشارة الى ان من لا عقل له كانه ظرف خال كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اماراته واسبابه ان ترك خيرا مالا والتعبير عنه بالخير اشارة الى ان فايدة المال ان يتوسل به الى الخير وعن علي وعايشة هو المال الكثير الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وانما حسن تذكير الفعل للفصل وهذا مطرد فلا حاجة الى تأويل الوصية بالايصاء والعامل في اذا كتب لا الوصية لضعف المصدر الموصول وتقدمها عليه وكانت الوصية للوالدين والاقربين واجبة في الاسلام من غير تقدير لا نصبا بل على الاجمال فنسخت باية المواريث وهي قوله يوصيكم الله في اولادكم وقوله صلى الله عليه ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية للوارث المراد بها الزيادة على نصيبه اشار اليه بقوله من بعد وصية يوصى بها فان لفظ الوصية

رد على القاضي

في عرف الشرع يطلق على جميع الاوامر والنواهي والمواعظ والتخصيص بالتبرع المضاف الى ما بعد الموت
عرف طارئ فظهر ان لا نسخ في الاية ولا تعارض بينه وبين آية المواريث بالمعروف بالعدل لا
تفضل احدها على الاخر اذا كانا في طبقة وتفسيره بان لا يتجاوز عن الثلث لا معنى له لان
ذلك في الاجانب كيف وآية المواريث بيان لها حقا على المتقين قيده بهم لانهم المستغنونه
فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه
فاثم الايصاء المبدل الا على المبدل لا على الموصي والموصى له وجمع الضمير بعد الافراد بالنظر الى المعنى
ان الله سميع عليم يسمع ما يقوله المبدل عليم بتبديله فمن خاف من موص جنفا توقع وظن ميلا منه
على سبيل الخطاء او اثما تعمد الحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم بان اجراهم على قانون الشرع
فلا اثم عليه لانه سعى في اظهار الحق وتبديل الباطل وقراء ابو بكر وحمزة والكسائي موص بالتشديد
ان الله غفور لما فرط من الموصي خطا رحيم بان شرع تدارك ذلك باصلاح المبدل يا ايها
الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء والامم فان اول من صام
آدم والتشبيه في مجرد الفرضية او ثلثين يوما كما رواه الحسن ففي الكمية وانما زادت النصارى عشرين
يوما لموتان وقع فيهم وقيل وقع في الحر اخروه الى الشتاء وزادوا فيه او في حرمة التناول بعد العشاء
رواه ابن عمر ثم نسخ بقوله احل لكم ليلة الصيام الرفث وانما عبر بالكتابة عن الفرض مبالغة في
الالزام لعلكم تتقون ببركته فانه ينور القلب او لا يسع فيه الرياء او تجتنبون المعاصي فانه يكسر القوة
الشهوية وقد روى البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء او لعلكم تنتظمون
في زمرة المتقين وتدعون في لباسهم وتبرزون في شعارهم اياما معدودات معلومة
عددها او قلائل لعدم في الكثير يهاله بيلا وفي التعبير دون شهر كامل تهوين وتيسير على
السامع روى البخاري ومسلم عن عائشة ان رسول الله لما قدم المدينة كان يصوم عاشوراء فلا
نزلت قال من شاء صامه ومن شاء افطر وانتصاب اياما بالصيام بجواز عمل المصدر في الظرف
مع الفاصل وان لم يجر في غيره فمن كان منكم مريضا مرضا يشق معه الصوم لقوله
يريد الله بكم اليسر او على سفر مستعليا عليه فلا يجوز الافطار يوم انشاء السفر ولذلك اوثر
على والمراد به سفر يقصر فيه الصلوة صرفا للمطلق الى الكامل وهو الذي يقع فيه المشقة غالبا وقيده
بالشافعي بان لا يكون سفر معصية فعدة من ايام اخر وعلى الذين يطيقونه فدية
طعام مسكين كان اول ما فرض الصوم قبل ان يعتادوا من شاء صام ومن شاء افطر وفدى حتى
نسخ بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وعن ابن عباس الاية في العجائز والشيوخ الهرمى
ومعنى يطيقونه بجهد وتردونالهم فيه مشقة فالاية محكمة ويؤيد الاول كلمة على اذ ما ذهب
اليه كان اللازم هو الظاهر وقوله وان تصوموا خير ورواية البخاري الخبر في الابتداء والفدية
نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز قرأ فدية بالاضافة
نافع وابن ذكوان والباقون منونا ورفع طعام بدلا منه ونافع وابن عامر مساكين مجموعا
بلا تنوين رعاية للدين فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو خير له من الاقتصار على الواجب
وان تصوموا خير لكم من الافطار والفداء لمزية العزيمة على الرخصة وجعل الخطاب للمرخص
مطلقا ليندرج فيه المريض والمسافر يرده ان المريض والمسافر اذا تضرر الاخير في صومهما وتناهيك
قوله صلى الله عليه ليس من البر الصيام في السفر ولذا ذهب ابو هريرة الى وجوب الا
فطار ان كنتم تعلمون خيرية الصوم وانما اثرا ان والخيرية معلومة لميل النفوس الى الا
فطار وجواب الشرط محذوف اي اخترتموه دل عليه ما قبله شهر رمضان فعلان من رمض
احترق من الرمضاء كانهم سموه بذلك لاحتراقهم من شدة الجوع او لانهم لما نقلوا
اسماء الشهور من اللغة القديمة سموها باسماء الازمنة الواقعة فيها فوافق هذا زمن الحر والعلم

ردع على القاضي والكشاف

الشعر وسيجي

والعلم هو مجموع ومنع صرف احد جزئي العلم لان الغالب في الكنى والاضافة الى الاعلام فاجروا غيرها
مجريها الا ترى الى عدم جواز اللام في ابي تراب وابن داية ووجوبه في امرئ القيس وجوازه في العباس
والحسن كل ذلك نظرا الى انه لا يغير عن حاله كالعلم وعن مجاهد رمضان من اسماء الله واما قوله صلى الله
عليه من صام رمضان ايمانا واحتسابا ما غفر له ما تقدم من ذنبه فمن باب واسئل القرية لامن الالباس وارتفاعه
على انه خبر مبتدأ او مبتدأ خبره ما بعده وقيل بدل اشتمال وان قدر مضاف فبدل كل من الصيام وفيه
بعد لكثرة الفاصل الذي انزل فيه القرآن في ليلة القدر منه لقوله انا انزلناه في ليلة القدر
نزل جملة الى سماء الدنيا الى بيت العزة وفي مواقع النجوم بحسب الوقايع نزل على رسول الله في ثلث وعشرين
سنة روى الامام احمد عن واثلة ان صحف ابرهيم انزلت في اول ليلة من رمضان والزبور في الثانية
عشرة والقرآن في الرابعة والعشرين وبه استدل طايفة على ان ليلة القدر رابع وعشرين من رمضان
وقرا ابن كثير بنقل حركة الهمزة الى ما قبلها وابدالها حيث وقع معرفا ومنكرا هدى للناس هاديا لهم
الى الحق وبينات من الهدى صفة بينات اي بينات من جنس ما يهدي الله به والفرقان ومن جنس
ما يفرق به بين الحق والباطل عطف على الهدى وجمع بينات لان جميع الاحكام اعاضه فمن شهد منكم
الشهر فليصمه من شهدت بجمعه ادركها وخرج المريض والمسافر بقوله فمن كان مريضا
او على سفر وقيل الشهود بمعنى الحضور والاقامة وانتصاب شهر على الظرف فيخرج به المسافر والمريض
خارج من قاعدة عدم الحرج لقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج وذكرها بعده ليرتب عليه القضاء
بقوله فعدة من ايام اخر اي فعليه عدد ايام افطر فيها لا يلاحظ فيها الطول والقصر ولا الموالاة
والمواصلة يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر الحرج في الدين ولذلك رخص من افطار المريض والمسافر
واكتفى بالعدة من غير مضايقة في الوقت والكيف ولتكملوا العدة وقراء ابو بكر تكملوا بالتشديد وهو ابلغ كما
في لطائف راوق تكبروا ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون الفعل المعلل محذوف مدلول
عليه بما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من الامر بمراعاة العدة في الاداء والقضاء ومن الترخيص في اباحة الفطر
فقوله لتكملوا علة للامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة العلم بالقضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم
تشكرون علة التيسير وهذا نوع من اللف والنشر بديع قليل الوقوع نظيره ان تقول ضرب زيدا او اعطيت
عمروا وخرجت من البلد للتاديب والاكرام ومخافة الشر فعلت ويجوز العطف على علة مقدرة مثل
لتسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون وان يعطف على اليسر كقوله يريدون ليطفئوا نور الله فاللام لتاكيد
معنى الارادة والاول اوجه لذلك اللف البديع ولما في الثاني من كثرة الحذف وانما عدى التكبير بعلى لتضمين
معنى الحمد اي لتكبروه حامدين والمراد تعظيم الله وقيل تكبير العيد يوم الفطر وقيل التكبير عند رؤية الهلال فيفوت
ذلك اللف مع انه تقييد بلا دليل واذا سالك عبادي عني فاني قريب مثل لكمال علمه بحال من قرب
لاحاطة علمه بالاقوال والاحوال والافعال روى ابن ابي حاتم ان اعرابيا سال رسول الله ابن ربنا اقريب
فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت وعن الحسن سال الصحابة اين ربنا والاية سيقت اعتراضا بين احكام
الصوم تاكيدا لما ذكر من امر الصوم دلالة على ان الذي هذا شانه حقيق بالاستجابة اجيب دعوة
الداع اذا دعان صفة قريب او خبر بعد خبر فليستجيبوا لي بالايمان والطاعة كما اجيبهم
اذا دعوني وليؤمنوا بي بعد الاستجابة او ليدوموا على الايمان ان جعلت نفس الايمان لعلهم يرشدون
راجين الرشد وهو اصابة الحق احل لكم ليلة الصيام الرفث الى روى البخاري عن البراء قال
لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء في رمضان كله فكان رجال يخونون انفسهم وعن ابن عباس
كان لهم الاكل والشرب والوقاع الى العشاء ثم ان ناسا اصابوا من الطعام والنساء بعد العشاء منهم
عمر بن الخطاب شكوا ذلك الى رسول الله قال وزعموا ان رسول الله قال لعمر ما كنت خليقا
بذلك يا عمر فنزلت والرفث الفحش في القول وفي المثل هذه مرافثة كني به لا منافثة كني به عن الجماع
لانه قلما يخلو عن ذلك مطايبة بين الزوجين وعدي بالى لتضمين معنى الافضاء ولم يكن به وبا بشاء
من المباشرة والمس واللمس لسوق الكلام معهم في معرض العتاب لوقوعهم في المحظور قبل الا

المقرره يوم وافطار يوم سنة

باحة هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف لبيان موجب الاحلال لان شدة الا
ختلاط حالبة للمواقعة شبه كل منهما باللباس لصاحبه لاشتمال كل منهما على الاخر لدى الاعتناق او
لان كلا منهما ستر الاخر من الفجور والكلام من التشبيه البليغ لا الاستعارة علم الله انكم كنتم
تختانون انفسكم بتعريضها للعقاب والاختيان ابلغ من الخيانة لدلالته على تعمل كالاكتساب
والكسب فتاب عليكم قبل توبتكم وعفا عنكم ما فرط منكم تصريح بما علم ضمنا لان التوبة
تمحت ماقبلها فالان باشروهن فان قلت اى فايدة فى هذا الامر بعد قوله احل لكم ليلة الصيام
الرفث قلت فايدته دفع توهم احلال ما دفع منهم كما يقول لمن اكل كذلك مالا احللته لك وليعطف عليه
قوله وابتغوا ما كتب الله لكم من الولد لا قضاء الوطر لان الحكمة فى ابداع الشهوة فى الذكر والانثى
هو ذلك وفيه توبيخ لهم حيث وقعوا فيما وقعوا فيه لقضاء الشهوة وقيل نهى عن العزل لان الامر
بطلب النسل نهى عن ضده وقيل اطلبوا المأتى والمحل الحلال لا المحرم وكلاهما بعيد عن المقام وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر روى مسلم والبخارى عن
سهل بن سعد ان الاية نزلت ولم تنزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم فى
رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال يأكل ويشرب الى ان تتبين له فنزل من الفجر فعلموا ان المراد بهما الليل والنهار وليس فيه تأخير البيان عن وقت الحاجة لان
الصوم محله النهار وذكر الخيطين لبياض الصبح وسواد الليل كان ظاهرا من دلالة الحال غايته انه
التبس على الاوساط دون ذوى البصاير وقول رسول الله لعدى بن حاتم لما حمل الخيطين على الحقيقة
انك عريض الوساد شاهد صدق ودليل ظاهر لانه حيث غفل عن المراد مع وضوحه ثم ارخ الاخلال
بزيادة البيان وفى الاية دلالة على جواز صوم من اصبح جنبا كما صرح به حديث عايشة كان يصبح رسول
الله صايما وهو جنب ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لانتهائه بعد بيان ابتدائه ولا دلالة فيه
على جواز النية بالنهار ولا على وجوبه بالليل واستدل الشافعى على تبييته بالليل فى الفرض بقوله
صلى الله عليه لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل ولا على حرمة صوم الوصال اذ لا يلزم من بيان
وقت الافطار عدم جواز المواصلة بل الدال على حرمته قوله لا تواصلوا على ما رواه البخارى
وغيره ولا تباشروهن لا تجامعوهن بدليل قوله فالان باشروهن وانتم عاكفون
فى المساجد معتكفون الاعتكاف هو اللبث فى المسجد بقصد القربة وفى الاية دليل على اختصاصه
بالمسجد اى مسجد كان اما الاول فلان المباشرة حرام فى الاعتكاف اجماعا فلو لم يكن المسجد
قيدا لكان المراد بيان حرمته فى المسجد واما الثانى فلعموم الجمع وعن الزهرى وابن المنذر يختص
بالجامع وعن سعيد بن المسيب بالمساجد الثلث مسجد رسول الله والمسجد الحرام والمسجد الاقصى
لقوله صلى الله عليه لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد وخصه ابو حنيفة بمسجد يصلى فيها الخمس جماعة
وله امام ومؤذن معلوم تلك حدود الله اى الاحكام المذكورة ذوات حدود
فلا تقربوها حدودها فضلا عن تجاوزها فهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها روى البخارى
ان رسول الله قال من اتقى الشبهات استبرا لدينه ومن رعى حول الحمى يوشك ان يواقعه
كذلك يبين الله اياته للناس مثل هذا التبيين الواضح تبيين ساير دلايل الاحكام لعلهم يتقون
مخالفة اوامره ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل لا يأكل كل منكم مال الاخر بوجه غير
مشروع وتدلوا بها الى الحكام عطف على النهى او منصوب باضمار ان ولا يلزم تقييد
الحرمة بالاجتماع الادلاء الالقاء الدلو فى البئر يجوز به عن الالقاء والمراد القاء شأنها وحكومتها
او القاء بعضها اليهم رشوة لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور واليمين الكاذبة
وجور الحاكم روى البخارى ومسلم عن ام سلمة ان رسول الله قال انما انا بشر وانتم تختصمون
الى ولعل بعضكم يكون الحن بحجته فاقضى له على نحو ما اسمع فمن قضيت له بشئ من حق اخيه فانما
اقضى له بقطعة من النار وانتم تعلمون انكم مبطلون فان قبح المعصية مع العلم اشد

اذ لا اذن والامر بالقتال لعجزهم انفاقا من جهة
منه

قايد الكواشى

اشد يسألونك عن الاهلة السايل معاذ وثعلبة بن غنم الانصارى بان قالوا ما بال الهلال
يبدو دقيقا ثم يتزايد ثم يتناقص الى ان يعود كما بدا قل هى مواقيت للناس والحج يوقتون بها
امور معاشهم لا سيما الحج فانه يحتاج الى الوقت المعين اداء وقضاء وقيل الجواب من الاسلوب الحكيم لانهم
سألوا عن السبب والفاعل فاجيبوا بالغاية والحكمة وليس البر بان تأتوا
البيوت من ظهورها لما اجيبوا عن سؤال الاهلة ببيان الحكمة كانه قال لهم دعوا السؤال عن الحكم فى
افعاله فانها لا تخلو عن حكم ومصالح وانظروا فيما تعتقدونه برا وليس من البر فى شئ روى
البخارى عن البراء كانوا فى الجاهلية اذا احرموا اتوا البيوت من ظهورها وعن جابر كانت الانصار تفعله
دون قريش وقيل استطراد لانهم كانوا يفعلونه فى الحج وقيل تمثيل لتعكيسهم فى السؤال بمن يدخل
البيت من غير بابه والاول هو الوجه للحديث ويدل على هذا اشارة واتوا البيوت من ابوابها
عطف على مقدر اى انظروا واتوا وقيل هى موافق قل ليس البر وقل واتوا البيوت وقرأ ابو عمرو وحفص
وورش كسر باء البيوت بالضم على الاتباع واتقوا الله فى البحث عن احكامه لعلكم تفلحون
حال كونكم راجين فى الفلاح وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم يناجزونكم القتال
ويبارزون دون المحاجزين نسخت بقوله وقاتلوا المشركين كافة او من له قدرة دون المشايخ و
الصبيان او من يصد وقاتلكم او فى الحرم والاشهر الحرام لما خاف المسلمون عام الحديبية حين
شارط المشركون ان يدخل رسول الله مكة فى العام القابل ان لا يفوا بالشرط عن ابى العالية اول
اية نزلت فى القتال بالمدينة وعن الصديق اول اية نزلت فيه بعد الهجرة اذن للذين يقاتلون و
القول بانها مكية سهو ولا تعتدوا يعم كل اعتداء من قتل النساء والصبيان والرهبان والمثلة
ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم خيرا واقتلوهم حيث ثقفتموهم وجدتموهم من
الثقف وهو الادراك ومنه غلام ثقف اى سريع خفيف الحركة واخرجوهم من حيث اخرجوكم
اى من مكة وقد فعل رسول الله يوم فتح مكة بمن لم يسلم واوصى باخراج المشركين من جزيرة العرب
والفتنة اشد من القتل اى اخراجهم اياكم من الوطن اشد من قتلكم اياهم على ان
اللام للعهد او اخراجكم اياهم اشق عليهم من قتلهم فتكون حثا على اخراجهم او عذاب الاخرة بعد
القتل اشد كقوله ولعذاب الاخرة اشق ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه
تكريما للبلد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا اثم عليهم اى فاقتلوهم ليدل على اباحة القتال
بالاولى وقرأ حمزة والكسائى الافعال الثلثة بالقصر والمد اولى لان القتال مقدمة القتل فاذا لم يحل
فالقتل احرى كذلك جزاء الكافرين الذين كفروا وانما اوجب الله من حرمة الحرم فان انتهوا
عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم بقبل توبتهم ويرحمهم وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة شرك بقوله ويكون الدين لله فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين
كناية اى لا ظلم على المنتهين او لا ظلم الا على الظالمين على طريق المشاكلة او لا عدوان الا عليكم لو ظلمتموهم بعد
الانتهاء بان يسلط الله عليكم من ينتقم منكم وعلى هذا فهو مظهر موضع المضمر مع المشاكلة الشهر الحرام بالشهر
الحرام نزلت بعد الحديبية لما عزم رسول الله واصحابه الى قضاء العمرة فخاف اصحابه ان يمنعوا دخول مكة
كما منعوا فى العام الماضى وكان ذلك فى ذى القعدة فاباح الله لهم القتال فيه ان المشركون فانهم رموا بالحجارة
والسهام فى الحديبية وقيل نزلت لما حاصر الطايف ودخل ذو القعدة والحرمات قصاص الحرمة
ما يحافظ عليه عرضا كان او مالا والمراد منها ما يجوز القصاص فيه فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم ذكر الاعتداء ثانيا مشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة واتقوا الله فى رعاية
المماثلة واعلموا ان الله مع المتقين كلاءة ونصرا فى الدنيا ورحمة فى الاخرة وانفقوا فى سبيل الله
تتمة لامر القتال لانه بالمال والرجال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة لا تجعلوا ايديكم ملقاة الى الهلاك
او انفسكم بالكف عن القتال على ما روى الترمذى وابو داود عن ابى ايوب الانصارى انه قال فينا
نزلت معشر الانصار لما وضع الحرب اوزارها رجعنا الى اموالنا فكانت التهلكة ترك القتال وروى البخارى
عن حذيفة نزلت فى الامساك عن النفقة فى سبيل الله وعن الحسن فى البخل وعن زيد بن اسلم فى ناس كانوا

يغزون بغير نفقة وكانوا كلا على الناس والتهلكة مصدر على ان اللام مكسورة ضمت كالجوار في الجوار
وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ولا مطلب اعلى من حب الله وأتموا الحج والعمرة لله ايتوا بهما كا
ملين بمناسكهما والامر بالاتمام امر بالاداء على صفة التمام لا بالوصف وحده فيدل على وجوب العمرة
كالحج ومارواه احمد والترمذي عن جابر ان رسول الله سئل عن العمرة اواجبة هي فقال لا معارض برواية
عن ابن مسعود قال رسول الله تابعوا بين الحج والعمرة وقول عمر لمن قال وجدت الحج والعمرة مكتوبين
علي هديت لسنة نبيك تقرير لفرضيتهما وعن علي تمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وعن الثوري
من الميقات وعن عمر افراد كل منهما بسفر لله خالصا لوجه الله فإن أحصرتم منعتم يقال حصره واحصره
اذا منعه مثل حده واحده فيتناول باطلاقه كل منع وعليه بنى ابو حنيفة الحكم وخص مالك والشافعي
بالعدو ولما روى البخاري ومسلم والنسائي عن عائشة ان رسول الله قال لضباعة الزبير حجي واشترطي وقولي
اللهم محلي حيث حبستني لما شكت المرض ولو كان المرض حصرا لم تحتج الى الاشتراط وما رواه احمد والترمذي
ان رسول الله قال من كسر او عرج فقد حل توضيح لم تعارض ما رووه ويؤيده تفسير ابن عباس بالعدو
وهو القدوة في مدارك التنزيل فما استيسر من الهدي اي فعليكم ما تيسر من الازواج الثمانية
الابل والبقر والضان والمعز والهدى جمع هدية كجدي وجدية ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ
الهدي محله اي لا تحلوا حتى يبلغ الهدى بعثتموه الحرم فانه محل النحر وهذا ظاهر على مذهب
ابي حنيفة وحمله الشافعي على موضع الاحصار لانه المكان الذي عينه الشارع لما روى البخاري ان
رسول الله نحر الهدى عام الحديبية خارج الحرم فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق
أو به أذى من رأسه جراحة او قمل ففدية من صيام أو صدقة أو نسك
وقد بينه رسول الله فيما رواه البخاري عن كعب عجرة قال راني رسول الله والقمل يتناثر وجهي فقال
ما كنت ارى الجهد بلغ بك هذا اما تجد شاة قلت لا قال صم ثلث ايام او اطعم ستة مساكين لكل واحد
نصف صاع من طعام فإذا أمنتم الاحصار او كنتم في سعة فمن تمتع بالعمرة إلى الحج بان نوى
العمرة قبل الحج فانه يتمتع بما حرم عليه بعد اعمال العمرة فما استيسر من الهدي جبرانا للتمتع
فلا ياكل منه وعند ابي حنيفة هو كالاضحية فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فعليه صيام ثلث ايام في الحج
في ايام الاشتغال بالحج وعن ابي حنيفة في اشهر الحج والافضل اليوم السابع والثامن والتاسع والاكثر
ون ان لا صوم في التشريق وسبعة إذا رجعتم الى الوطن وعن ابي حنيفة اذا رجعتم من عرفات
تلك عشرة على نمط فذلكة الحساب الاجمال بعد التفصيل افادة للعلمين ودفعا لوهم ان يكون
الواو الواصلة بمعنى او الفاصلة وان يكون السبعة على الكثرة لا العدد المخصوص كاملة دفع لوهم المجاز
واشارة الى انها وان كانت عند الحساب عددا ناقصا فهي كاملة في الثواب وقيامها مقام المبدل ذلك
الحكم المذكور لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام لا شئ على المتمتع ان كان مقيما بمكة او فيما دون
مسافة القصر منها وعند ابي حنيفة ذلك مشار به الى التمتع ولا متعة ولا قران للمقيم يؤيده ما ذهب اليه
ان الكلام مسوق له وذكر الفدية بالعرض واتقوا الله واعلموا في مخالفة اوامره أن الله
شديد العقاب استئناف للحث على التقوى الحج أشهر معلومات معروفات في
الجاهلية والاسلام والمراد وقت الاحرام به وهي شوال وذو القعدة وتسع ايام مع ليل النحر عند
الشافعي وعند ابي حنيفة مع يوم النحر وفائدة وقوع طواف الركن في وقته والا فالحج قد فات بفوات
يوم عرفة واطلاق الاشهر على الشهرين والعشر تجوز اما لعلاقة الاجتماع فيما فوق الواحد واما لتنزيل بعض
الثالث منزلة كله لا ناقة بوقوع افعال الحج فيه فمن فرض فيهن الحج بالنية عند الشافعي والتلبية
والتقليد الهدى عند ابي حنيفة فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج عن ابن عباس الرفث الجماع
ومقدماته والفسوق السيئات والجدال المراء مع صاحبك بحيث تغضبه فالنفي في الثلثة بمعنى
النهي مبالغة وقيل الاولان نهي والثالث على ظاهره والمعنى لا ترفثوا ولا تفسقوا وقد ارتفع الاختلاف
في الحج بتعيين وقته وموقفه ورفع ما كان عليه المشركون من التقديم والتاخير كانوا يؤخرون
الحج كل عامين من شهر الى اخر فيكون العام الاول ثلثة عشر شهرا والثاني اثنى عشر وكذا الثالث

الثالث مع الرابع فكل سنتين عندهما خمسة وعشرون شهرا فتبدد حجهم في كل خمس وعشرين سنة و
السنة التي حج فيها رسول الله وافق حسابهم ذا الحجة وكان قريش تقف بمزدلفة وساير الناس بعرفات
فوقف رسول الله بعرفات فارتفع ذلك الخلاف ايضا وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين على معنى لا
يكونن رفث ولا فسوق او على انه لا بمعنى ليس لعسر الكف عنهما مطلقا وهذا يؤيد الوجه الثاني في معنى
الجدال وكذا ما رواه البخاري من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وما تفعلوا من خير
قليلا كان او كثيرا يعلمه الله فيجازي عليه وتزودوا روى البخاري عن ابن عباس ان اناسا
من اليمن كانوا يحجون من غير زاد زعما منهم انهم متوكلون ويكونون كلا على الناس فامروا بالتزود
فإن خير الزاد التقوى عن سؤال الناس والثقل عليهم وفيه اشارة الى ان زاد سفر الاخرة
نوع اخر ليس من الماكل والمشارب بل هو التقوى واتقون يا أولي الألباب حثهم على التقوى
اولا واكده ثانيا بان يكون المقصود بها هو الله وسماهم اولى الالباب تنشيطا لهم ولان تقوى الله و
خشيته نتيجة اللب ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم روى البخاري عن ابن عباس ان مجنة
وذا المجاز وعكاظا كانت اسواقهم في الجاهلية فلما جاء الاسلام تاثموا في القيام بها للتجارة فنزلت
وسماه فضلا اذ لا وجوب عليه فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام الافاضة الدفع
بالكثرة مستعار من افاضة الماء والمفعول محذوف اي انفسكم وعرفات علم لتلك البقعة جمع لا واحد له
كاذرعات وتنوينه للمقابلة غير منصرف للعلمية والتانيث وقيل منصرف لان هذه التاء ليست للتانيث
واختصاصها بالتانيث يمنع تقدير تاء اخرى والحق منع صرفه ان اعتبرت البقعة والصرف ان اعتبر المكان
وانما سمي بها اما لان ادم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه او لان جبرئيل عرف
ابرهيم المناسك فلما كانت للجبل قال عرفت وفي الاية دليل على وجوب الوقوف بعرفات لان اذا تدل على
القطع كانه قال الافاضة واجبة عليكم فاذا اتيتم بها فاذكروا الله عند المشعر الحرام وهذا يقتضي سابقة استقرار
بعرفات ليكون ابتداؤها منها وايده قوله صلى الله عليه الحج عرفة والمشعر الحرام جبل قزح وبه بنا معروف
والمزدلفة كلها موقف الدعاء الا ان القرب من موقف الامام افضل كالوقوف بموقف رسول الله
عند الصخرات بعرفات والمشعر من الشعور لانه معلم للعبادة واذكروه كما هداكم ذكرا شبه هديكم
في الكمال لما مصدرية او كافة وإن كنتم من قبله لمن الضالين عن طريق الحق ثم أفيضوا
من حيث أفاض الناس عطف على الامر بالذكر والذكر بعد الافاضة لا محالة فثم للتراخي رتبة كانت
قريش تقف بمزدلفة ولم تقف بعرفات مع ساير الناس جهلا لانهم سكان الحرم لا يخرجون الى الحل
فامروا بالوقوف بعرفات وان تفيضوا من حيث افاض ساير الناس وامر الناس بالافاضة بعد المشعر الى منى
فاللام في الناس للعهد وهم قريش لانهم كانوا يفيضون منه وقرئ الناسي بكسر السين مع الياء والمراد
ادم عليه السلام واستغفروا الله في تلك الاماكن والازمان إن الله غفور يغفر ذنوبكم
رحيم يثيبكم بعد العفو فإذا قضيتم مناسككم اعمال الحج فاذكروا الله كذكركم آباءكم كانوا في الجاهلية
بعد قضاء المناسك يتناشدون ويفتخرون بانسابهم امر المسلمين بترك ذلك والاشتغال
بذكر الله او كذكركم اباءكم اذ كنتم اطفالا لا يعرفون غيرهم فالمقصود التوجه الى الجناب قدسه
بلا التفات الى غيره أو أشد ذكرا بل كانوا اشد ذكرا او عطف على ذكركم بتقدير مضاف
اي او كذكر قوم اشد منكم ذكرا لابائهم او على اباءكم على ان المصدر بمعنى المفعول اي
كذكركم شيئا اشد مذكورية من اباءكم او على ذكركم بطريق المجاز بجعل الذكر ذاكرا فمن
الناس من يقول تفصيل للذاكرين لبيان تفاوت هممهم واحوالهم ربنا آتنا في الدنيا
اي عجل لنا حظنا وما له في الآخرة من خلاق لعدم جعل الدنيا وسيلة للاخرة بل قصر نظره
عليها والخلاق النصيب لان حظ الانسان مخلوق له او من فلان خليق بكذا اجدر لايق
او من الخلاق وهي الملاسة يقال للرتقاء الخلقاء ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة
نصيبا بجعله وسيلة ولذلك سماه حسنة وفي الآخرة حسنة نعيما وقنا عذاب النار

حيث لم يذكر الا مع الوقف
والتنفل منه

رد على الكشاف

اي عذاب الاخرة لانه اعظم انواعه وقد دخل في الحسنتين خير الدارين روى مسلم عن انس انه رسول الله
قال اذا اتاكم الله الحسنة في الدنيا والاخرة ووقاكم عذاب النار فقد اتاكم الخير كله اولئك لهم نصيب
مما كسبوا اي لهم نصيب وافر من جنس ما كسبوا او من اجله من ابتدائية او تبعيض لان الحسنتين
ناشئتان من مطلق الحسنة ونوعان منه ويسمى الدعاء كسبا لانه من العبادة او لاجل ما كسبوا و
التعليل لا ينافي الابتداء وقيل اولئك اشارة الى الفريقين وفيه ان امر الكافر قد ختم بقوله ماله
في الاخرة من خلاق وليس ما رزق في الدنيا من نصيب لاجل كفره ولا من جنسه والله سريع
الحساب عن قريب يحاسبكم فبادروا او سريع حسابه يحاسب الخلق في مقدار حلبة شاة وروى
في مقدار فواق ناقة وعن علي بن ابي طالب في لمحة طرف لا يشغله شان عن شان وعد ووعيد و
حسن موقعه بعد ذكر المناسك الكثيرة واذكروا الله في ايام معدودات عن ابن عباس
الايام المعلومات عشر ذي الحجة والمعدودات ايام التشريق والذكر التكبير عند الجمار وادبار
الصلوات فمن تعجل تعجل واستعمل مطاوعا للعجل وجاء متعديا اي تعجل الذهاب والاول اوفق
في يومين في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار عند الشافعي وبعد طلوع الفجر عند ابي حنيفة والاول
اظهر فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه بان رمى الجمار في الثالث بعد الزوال عند
الشافعي وعند ابي حنيفة قبل الزوال والتخيير بين الافضل والفاضل لان التخيير يجوز كلا الطرفين
وليس من لوازمه التساوي لمن اتقى اي ذلك التخيير ورفع الاثم للمتقي لانه تعلقه الشبه وتعتريه
وفيه اشارة الى انه الحاج حقيقة وغيره غير ملتفت اليه واتقوا الله ليعبأ بكم ويجعلكم ممن له
التخيير ومع الخطاب واعلموا انكم اليه تحشرون فتوسلوا اليه بالتقوى فانها نهاية السالكين
ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا الجار متعلق بالقول اي قوله في الدنيا وطلب حظ منها
يروقك وتعظم في نفسك بحلاوة عبارته ورشاقة الفاظه او يعجبك اي يروقك في الدنيا
لا في الاخرة اذ لا قول له هناك اما لما يرهقه من شدة الخوف او لا يؤذن له في الكلام او يختم على لسانه
ويشهد الله على ما في قلبه من الود والصدق كقولهم نشهد انك لرسول الله وهو الد الخصام
اي شديد الجدال على ان الخصام مصدر من اضافة الصفة الى فاعلها كحسن الوجه او جمع خصم
والمعنى اشد الخصوم لا لان الالد اسم تفضيل لكونه جمعه لدا بل لان اللدد شدة الخصومة فهو بالنسبة
الى ما دونه اشد واشتقاقه من لديدي الوادي لجانبيه لانه ياخذ في كل جانب من الجدال
والعداوة والاية في شان المنافقين وقيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي كان حلو المنطق يدعي
حب رسول الله وليس بصحيح لان الاخنس اسلم سنة الفتح وحسن اسلامه فان قلت لم لا يجوز ان
يكون اسلم بعد نزول الاية قلت يمنع ذلك قوله فحسبه جهنم واذا تولى سعى في
الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل بافناء الاموال وقتل الانفس والذراري
او بشوم كفره وسعايته يمنع الله القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ولو كان
صادقا في قوله لما ارتكب ما لا يرضاه الله واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم
الزمته به وحملته عليه حمية الجاهلية لجاجا وعنادا يقال اخذته بكذا اذا الزمته اياه او على رد قول
الواعظ فحسبه جهنم كافيه جزاء وعذابا علم لدار العقاب وفي الاصل مرادف للنار وقيل
معرب ولبئس المهاد جواب القسم والمخصوص محذوف للعلم به والمهاد ما يمهد كالفراش لفظا
ومعنى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله عن ابن عباس وانس بن مالك نزلت في
صهيب هاجر في اثر رسول الله فاخذه المشركون فقال انا رجل كبير عربي لا اضر ولا انفع اعطيكم مالي
ودعوني اذهب فرضوا بذلك ولما ورد المدينة تلقاه عمر وكان بينهما المواخاة فناداه يا صهيب
ربح البيع وكان رسول الله اخبرهم بقصته فقال صهيب هذا خبر السما وقيل نزلت في الجهاد وكل امر
بمعروف ونهى عن منكر ويشري بمعنى بائع نفسه وبذلها مرضاة الله والله رؤوف بالعباد
وافر الرحمة ولذلك ارشدهم الى ما فيه رضاه الذي لا مطلب اعلى منه يا ايها الذين امنوا

ادخلوا في السلم كافة السلم بكسر السين وفتحه نافع وابن كثير والكسائي وهما لغتان الانقياد
والطاعة والخطاب للمؤمنين او لاهل الكتاب الذين امنوا بنبيهم او للمنافقين الذين امنوا بالسنتهم
او للكل وكافة حال من ضمير ادخلوا او من السلم لانها تؤنث كالحرب وكافة اسم للجملة لانها تكف الا
جزاء من الخروج والتفرق وعن يونس والاخفش ان السلم هو الاسلام فالخطاب لاهل الكتاب
او للمنافقين او لهما ويجوز خطاب المؤمنين بتقدير مضاف اي ادخلوا في شعبه وفروعه لان
لفظ الدخول بالي حمل على الثبات والازدياد ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق
وقرا ابن كثير في رواية قنبل وحفص وابن عامر والكسائي بضم الطاء انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات خرجتم عن الانقياد والسلام من
زل في الطين اذا وقع فيه فاعلموا ان الله عزيز غالب حكيم لا ياخذ الا بعد الزام الحجة هل
ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام اي لا ينتظرون الا اتيان امره وباسه والماتي به
محذوف اي اتانه بالبلية والنقمة والظلل جمع ظلة كقلل وهي ما اظلك وانما تبينه بالغمام و
الاتيان على هذا الوجه افظع لان الغمام مظنة الرحمة فاتيان الشر منه لا شر فوقه كما ان اتيان
الخير من مظان الشر لا اسر منه والملئكة لانهم وسائط في امره وتنفيذ احكامه وقضي الامر
معنى وفرغ منه ايثار الماضي لتحققه لا محالة والى الله ترجع الامور كلها فتلك القصة وقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو وعلى بناء المفعول من الرجع والباقون بالعكس من الرجوع والاول اشهر وابلغ لدلالته
على ان راجعا موكلا بها سل بني اسرائيل اردف الامر بالدخول في السلم بنقض بني اسرائيل
عهودا كثيرة تحذيرا عن ارتكاب مثله والمامور بالسؤال اما رسول الله او كل احد والقصد التقريع
لا الجواب كم اتيناهم من اية بينة كم خبرية او استفهامية للتقرير ولا يلي في التقريع مفعول
ثان لاتيناهم والجملة في محل المصدر كانه قيل سل هذا السؤال او المفعول به او بيان للمقصود اي سلهم
جواب هذا السؤال او في محل الحال اي قائلا من اية مميز كم واذا فصل بينه وبين المميز حسن الاتيان بمن
والايات اما معجزات انبيائهم او ايات كتبهم ودلائل الاحكام ومن يبدل نعمة الله اياته
الدالة على صدق الرسل او اياته الدالة على نعت محمد وصحة دينه سماها نعمة لانها اسباب الهدى
ووسائل النجاة من بعد ما جاءته اي من بعد ما عرف انها اية او يمكن منه والا فالتبديل
لا يكون الا بعد المجيء فان الله شديد العقاب دليل الجزاء اي يعاقبه زين للذين كفروا
الحيوة الدنيا بيان للعلة الباعثة على التبديل والمزين حقيقة هو الله لانه خالق الخير والشر وقيل
اذ ما من شيء الا وهو فاعله وفيه ان الخالق غير الفاعل يظهر في الزي والسرقة او الشيطان
او النفس والانسان مجازا ويسخرون من الذين امنوا من فقراء المهاجرين كبلال وعمار عطف
على زين والعدول الى المضارع لقصد الاستمرار وقيل حال بتقدير وليس بوجه اذ لا معنى لتقييد
التزيين بحال السخرية والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة رتبة ومكانا لانهم في العليين والتعبير
عن الايمان بالتقوى يذكرها ويرغب فيها لان هذا الحكم عام لكافة المؤمنين والله يرزق من يشاء
بغير حساب بغير تقدير كناية عن التوسعة فالبسط على الكفار استدراج بالنعم ليكون
وسيلة الى النقم كان الناس امة واحدة على الاسلام عن ابن عباس من ادم الى نوح
عشرة قرون كلهم على التوحيد وقيل بعد نوح اذ ما بقي معه الا من امن وقيل على الكفر ولا دليل له
فاختلفوا في الايمان فبعث الله النبيين لان كفر الكل يصلح حكم البعث فلا يحتاج الى الاختلاف
مبشرين بالجنة لمن امن ومنذرين لمن كفر وانزل معهم الكتاب جنس الكتاب
فلا يلزم ان يكون مع كل واحد كتاب يخصه بالحق حال من الكتاب ليحكم بين الناس
فيما اختلفوا فيه اي الله والنبي والكتاب وانما اعاد المظهر لعدم اختصاص حكمه بالذين اختلفوا
وما اختلف فيه اي في الحق الا الذين اوتوه اي الكتاب عكسوا الامر بان جعلوا ما
انزل للوفاق سببا للخلاف والمراد زيادة الاختلاف لوجود اصله قبل البعثة من بعد ما جاءتهم

قاله القاضي

قاله التفتازاني

رد على القاضي

البينات بغيا بينهم حسدا وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه
فيه من الحق اى هدى الذين امنوا الى الحق الذى اختلف فيه من اختلف باذنه بارادته و
تيسيره والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم يوفقه لسلوكه ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان و رسول الله والمسلمون داخلون فى عموم
النبيين والذين امنوا خوطبوا على طريق الالتفات تشجيعا لهم على الثبات والصبر ولما ياتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التى بمنزلة المثل فى الغرابة ولما نظيرة قد فى ان الفعل المذكور بعدها
منتظر متوقع لا لنفيه مستهم البأساء والضراء بيان للمثل جواب سوال مقدر وزلزلوا
ازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم الزلزلة حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله اى بلغت
الشدة مبلغا ضج الرسول واستبطا النصر وتمناه مع كمال ثبات الرسل وغاية صبرهم على
البلايا والرزايا وقرا نافع يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية والباقون بالنصب
على الاستقبال نظرا الى ما قبله وهذا ابلغ لما فيه من صريح التدرج الى تلك الغاية الا ان نصر
الله قريب اى اجيبوا الى طلبتهم وقيل لهم قد قرب النصر ودنا الفرج وقيل هذا مقول الرسل
ومتى نصر الله مقول من معه وفيه فوات بيان تناهى الامر فى الشدة فلا يحسن يسئلونك ماذا
ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين
سئلوا عن المنفق فاجيبوا ببيان المصرف تعريضا بانه هو الاهم فيه مع مجى ما سالوا وهو ما انفقتم من خير
لان النفقة لا يعتد بها ما لم تقع موقعها قال ان الصنيعة لا يكون صنيعة حتى يصاب بها طريق
الصنع والمجيب بمنزلة الطبيب يتحرى العلاج على مقتضى المرض لا على قول المريض وعن ابن عباس ان عمرو بن
الجموح سال رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت فعلى هذا فى السؤال المحكى
فى التنزيل اختصار اعتمادا على الجواب وما تفعلوا من خير ما شرطية فان الله به عليم اى اى شئ
تفعلونه من الخير فالله مجازيكم عليه كتب عليكم القتال قدم ذكر الانفاق وعقبه بالقتال
لاعلاء كلمته ترقيا من الادنى الى الاعلى وهو كره لكم مكروه فعل بمعنى المفعول كالخبز او شاق
مصدر بمعنى الفاعل واتفق السبعة على ضم الكاف وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم كالتكليف كلها كذلك
لانها خلاف هوى النفس ولا يلزم منه كراهة حكم الله كما فى الشرور فانها تنكر وهذه منكرة مع
كونها بقضاء الله وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ومنه المعاصى والله يعلم ما فيه
الخير والشر وانتم لا تعلمون ذلك يسئلونك عن الشهر الحرام روى ابن اسحق عن ابن
عباس وابن هشام عن زيادة البكائى ان رسول الله بعث سرية الى نخلة بين مكة والطايف لترصد
قريشا وتعلم خبرها بعد ما رجع من بدر الاولى وامر عليهم عبد الله بن جحش واعطاه كتابا ولم يدر ما فيه
وامره ان لا يقرأه الا اذا بلغ مكان كذا فلما بلغ قراه وقال سمعا وطاعة لرسول الله فبلغوا نخلة وجدوا
عيرا لقريش تمر بهم فتعرضوا لها فقتلوا بعضا واسروا بعضا وكان اول يوم من رجب فظنوه اخر
جمادى فلما قدموا بالاسرى والغنيمة وكانت اول غنيمة جاءت رسول الله اعظم ذلك المشركون
واليهود وقالوا لو محمد يستحل الشهر الحرام وتوقف رسول الله فى امر الغنيمة وقال لهم ما امرتكم
بالقتال فى الشهر الحرام فنزلت والمعنى يسالك المسلم والكافر عن الشهر الحرام قتال
فيه بدل اشتمال قل قتال فيه كبير اثم كبير منسوخ باية القتال فان قلت حيث وجد عمومهم
فى اية القتال عام فى المكان والكلام فى الزمان قلت عموم الامكنة قرينة عموم الزمان اذ هما
فى حق النسخ سيان وصد عن سبيل الله كما فعلوا عام الحديبية مبتدا خبره اكبر وكفر به اى بالله
والمسجد الحرام خبره اكبر عطف على سبيل لامتناع العطف على الضمير المجرور بدون
اعادة الجار ولا وجه لتقدير الجار اذ لا معنى للكفر بالمسجد والصد والكفر متحدان ذاتا
مكانا لا فاصل واخراج اهله منه كما فعلوا برسول الله والمؤمنين اكبر عند الله اى جرائم
قريش وكبايرها اعظم جرما فما فعلت السرية فما لهم لا يذكرون عيوب انفسهم والفتنة

والفتنة اكبر من القتل اى المذكورات وغيرها ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اى كى يردوكم
ان استطاعوا اشار ان مع الجزم بعدم الوقوع للدلالة على انه من المحالات المفروضة ومن يرتدد منكم
عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم استدل به الشافعى على ان الموافاة على الكفر شرط فى
احباط العمل والا لم يكن للقيد فايدة واحتج ابو حنيفة بقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهى مسئلة حمل
المطلق على المقيد تمامها هناك وثمرة الخلاف يظهر فيما اذا صلى وارتد والعياذ بالله ثم اسلم والوقت باق
يجب اعادتها لبقاء السبب دون قضاء غيرها لانعدام السبب فى الدنيا لا يعتد بها بل يسلب عنه اسم المسلم
واحكامه والاخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون دايمون ان الذين
امنوا والذين هاجروا اعاد الموصول تعظيما لشأن الهجرة وجاهدوا فى سبيل الله
اولئك يرجون رحمة الله اشار بالرجاء الى ان العمل غير موجب ولان العبرة بالخاتمة وهى غيب
ولما لم يعف بالجنة بل بما يصدقه على انهم واصلون الى المرجو والله غفور لفرطاتهم رحيم باجزال
الاجر والثواب ولم يبقصه ما وقع فى الشهر الحرام من القتل يسئلونك عن الخمر والميسر روى الامام
احمد عن عمر لما نزل تحريم الخمر فى اية النحل تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا
شافيا فنزلت هذه فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت اية النساء ولا تقربوا الصلوة وانتم
سكارى فقال اللهم بين لنا فى الخمر فنزلت آية المائدة الى قوله فهل انتم منتهون قال انتهينا
انتهينا والخمر مصدر خمره اى ستره سمى به العصير اذا اشتد وقذف بالزبد لانه يستر العقل وهل يختص
هذا الاسم بعصير العنب فيه كلام واستدل الشافعى على ان كل مسكر حرام بما رواه مسلم الخمر ما خامر
العقل وكل مسكر حرام وعند ابى حنيفة يحل شرب المثلث وهو ما طبخ من عصير العنب ونقيع التمر والزبيب
حتى ذهب ثلثاه ما لم يسكر ولم يقصد بشربه اللهو والطرب والميسر القمار من اليسر مصدر كالموعد
لانه اخذ مال الغير ما بسهولة او من اليسار لانه سلب يساره قل فيهما اثم كبير اى فى تعاطيهما
فان قلت كيف سوغوا شربها بعد هذا قلت فهموا ان الحرمة باعتبار جلب المفاسد لا لذاتهما
ومنافع للناس من الطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وبوفر المروة والتشجيع وكسب المال
فى الميسر وقرأ حمزة والكسائى كثير بالثاء المثلثة لكثرة ما يترتب عليهما من الاثام وهو المختار
اوفق بقوله ومنافع واثمهما اكبر من نفعهما لما افترت من غنى واذلت من عز وسلبت
من نعمة وجلبت من نقمة ونسخت من مودة ونتجت من عداوة وبالجملة مفتاح الشرور وام الخبائث
وفى الحديث من شربها لم يشرب خمر الجنة وسقاه الله من طينة الخبال والخبال عصارة اهل النار
يسئلونك ماذا ينفقون سئلوا اولا عن حقيقة المنفق وهذا سوال عن وصفه قل العفو الفاضل
عن الحاجة لئلا يحتاج الى السؤال روى ابو داود ان رجلا اتى رسول الله ببيضة ذهب وقال
يا رسول الله اصبت هذه من معدن فخذها واجعلها فى الصدقة فاخذها منه وحذفه بها لو اصابه
لعقره او لشجه وقال ياتى احدكم بماله ثم يجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وهذا اذا لم يكن
قوة يقين وكمال توكل لقوله ويؤثرون على انفسهم فى معرض المدح ولقوله خير الصدقة جهد المقل وقضية الصديق
وخروجه عن ماله مشهورة وقيل المراد بالغنى غنى القلب وقرأ ابو عمرو العفو بالرفع على انه خبر مبتدأ
محذوف والنصب اكثر وابلغ كذلك يبين الله لكم الايات اى ساير الايات الدالة
على الاحكام افرد الخطاب اولا باعتبار كل من يخاطب ثم اجمل مآلها لعلكم تتفكرون فى الدنيا
والاخرة اى فى امور الدارين وتؤثرون ما هو انفع وابقى ويجوز ان يتعلق يبين ويتوسط
الفكر بين الجار ومتعلقه للاهتمام ويسئلونك عن اليتامى روى ابو داود والنسائى عن
ابن عباس لما نزلت ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى تحاموا مداخلة الايتام والتولى عليهم وشق ذلك
عليهم قل اصلاح لهم اى مخالطتهم على وجه الاصلاح خير من المجانبة وان تخالطوهم
فاخوانكم اى فلا باس فان الاخوة يقتضى المخالطة والالتيام والايتلاف والله يعلم المفسد
من المصلح فيجازى الاصلاح ولا عليكم بعد ذلك ان طرأ فساد ولو شاء الله لاعنتكم لاوقعكم

فى العنت اى المشقة بالمنع عن المخالطة ان الله عزيز غالب على ما اراده حكيم متقن فى صنعه
لا يريد الا ما فيه حكمة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن المخالطة ثم النكاح فناسب ذكر المحرمات
بعدها نزلت فى ابى مرثد الغنوى كان يهوى بغيا اسمها عناق فلما اسلم دعته الى الخلوة بها فقال
ويحك قد حال دون ذلك الاسلام فدعته الى التزوج بها فقال حتى استامر رسول الله فاستامره
فنزلت والكتابيات وان دخلن فى المشركات خصهن اية المائدة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
فان المائدة اخر القران نزولا لا نسخ فيها ولامة مؤمنة خير من مشركة فى معرض التعليل
وايثار الامة لان الناس اماء الله ولو اعجبتكم اى المشركة لو للتاكيد بثبوت الحكم والواو اما للعطف
على مقدر هو ضد المذكور اى لو لم تعجبكم او الحال اى ولو كان الحال كذا ولا تنكحوا المشركين حتى
يؤمنوا باق على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك اى المشركات
والمشركون يدعون الى النار الى اسبابه من الكفر والمعاصى وفى يدعون تغليب المذكور
او استعمال المشترك فى معنييه وكل من الواو والنون ضمير ولا تدافع لاعتبار الحيثيتين والله يدعوا
الى الجنة والمغفرة باذنه اى اولياؤه لوقوعه فى مقابلة اولئك يدعون الى النار ولقوله
باذنه اذ لا معنى للقول بان الله يدعو باذنه وانما اسند اليه تشريفا لهم ويبين اياته للناس
لعلهم يتذكرون لكونوا فى صورة المرجو منهم التذكر فصل الاية بالتذكر لظهور قبح ازدواج
المؤمن والمشركة ويسئلونك عن المحيض روى مسلم عن انس ان اليهود كانوا لا يواكلون الحيض
ولا يساكنوهن فسال ثابت بن الدحداح رسول الله فنزلت والمحيض مصدر كالمبيت ذكر يسئلونك
فى سبعة مواضع ثلثة بالواو واربعة بدونه ولعل المقرونة بالواو ونزلت فى وقت واحد قل هو اذى
شىء من المقدورات فاعتزلوا النساء فى المحيض اى دعوهن فى زمان الحيض اقتصادا بين افراط
اليهود وتفريط النصارى من مباشرتهن فى حال الحيض واستدل الشافعى على هذا بما روى انس ان
رسول الله قرا الاية وقال اصنعوا كل شىء الا النكاح وبما روى مسروق عن عايشة له كل شىء الا الشعار
وفى رواية الا فرجها وذهب ابو حنيفة الى حرمة ما اشتمل عليه الازار لما روى مسلم والبخارى عن
ميمونة ان رسول الله كان اذا اراد ان يباشر احدى نسائه وهى حائض امرها ان تتزر وبه قال الشافعى فى
احد قوليه ولا تقربوهن من القربان وهو الوقاع حتى يطهرن وقرا حمزة والكسائى
بتشديد الطاء فحمل ابو حنيفة قراءة التخفيف على اكثر الحيض حتى يحل بمجرد الانقطاع لان الطهر نقيض الحيض
وقراءة التشديد على اقل من العشرة فلا يحل حتى تغتسل او يمضى عليها وقت صلوة الا ان يكون ذمية
فيحل بالانقطاع وحمل الشافعى قراءة التخفيف على الغسل ايضا لان طهر بمعنى اغتسل كما فى حديث
ام سلمة اذا افضت الماء عليك فقد طهرت او يجوز للاتفاق فى فاذا تطهرن وذهب الاوزاعى
الى غسل الفرج ومجاهد الى الوضوء فاتوهن من حيث امركم الله وهو القبل ان الله
يحب التوابين المكثرين من التوبة والذين يتوبون من ادنى شىء كالوطى قبل الطهر او
التطهير روى احمد واصحاب السنن ان من اتى امراته وهى حائض يتصدق بدينار او بنصفه
ويحب المتطهرين من الانجاس والمستقذرات طبعا وان كانت مباحة والترغيب
اعاد المحبة نساؤكم حرث لكم بيان لقوله فاتوهن من حيث امركم الله شبه حال
اتيانهم النساء من المأتى بحال اتيانهم المحارث فى عدم الاختصاص بجهة دون اخرى وفيه
تعريض باليهود القائلين بان من اتى امراته فى قبلها من دبرها جاء الولد احول رواه مسلم عن
جابر فاتوا حرثكم انى شئتم تصريح لما علم التزاما وليعطف عليه قوله وقدموا لانفسكم
اى الاعمال الصالحات وقيل التسمية حال الجماع وقيل هو طلب الولد وهذا اوفق لان اتيان
الحرث كناية عن الوقاع الذى يقصد به الولد لا قضاء الوطر كما ان الاذى كناية عن المستقذر
قصدا الى التنفير والاعتزال كناية عن ترك الوطى قصدا الى التعبد وحيث امركم الله كناية عن
القبل تحذيرا عن غيره وفيها تعريضا باليهود والنصارى والراغبين فى غير القبل واتقوا الله

واتقوا الله ان تعقد واحد ودا واعلموا انكم ملاقوه بسائكم عنها وبشر المؤمنين
عطف على قل هو اذى تحريض على الامتثال لما سبق من الاوامر والنواهى ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس برزخا وحجابا لما حلفتم عليه من الخيرات
كالبر والاتقاء والاصلاح ونحو ذلك من عرضت العود على الاناء والايمان مجاز عن الامور المحلوف
عليها وان تبروا وما عطف عليه عطف بيان واللام متعلق بالفعل والايمان حقيقة وان تبروا مقدر بالام
والعرضة بمعنى المعرض لكذا والمعنى لا تجعلوا الله معرضا لحلفكم تحلفون به دائما فان ذلك ابتذال له
اى كفوا عن ذلك لتبروا فهو نهى معلل وعلى الاول المعلل منهى وهو الوجه لما روى البخارى ومسلم عن ابن موسى
ان رسول الله قال انى لا احلف على يمين وارى غيرها خيرا منها الا اتيت الذى هو خير وكفرت عن يمينى
ولما روى انها نزلت فى ابى بكر حين حلف لا ينفق على مسطح وقيل فى عبد الله رواحة لا يكلم النعمان
بن بشير زوج اخته والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم اللغو من كل
شىء الساقط فى حديث ابى هريرة اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والامام يخطب انصت فقد لغوت وهو
عند الشافعى ما رواه ابو داود عن عايشة وابن عباس عن رسول الله هو كلام الرجل كلا والله وبلى
والله وعند ابى حنيفة هو الحلف بالظن على ما كان ولم يكن ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
اقترفت قصدا يشمل الغموس وغيره ولا فرق بين المكسوبة والمعقودة عند الشافعى والمؤاخذة الكفارة
او العقوبة ان لم يكفر وعند ابى حنيفة لا كفارة فى المكسوبة فهى الغموس وهى ان يحلف عمدا على خلاف
الواقع فى الماضى والمعقودة هى التى توثق بالقصد والنية على امر فى المستقبل يفعله او لا يفعله والله
غفور لا يؤاخذ باللغو حليم لم يعاجل بالعقوبة بعد الحنث للذين يؤلون من نسائهم
تربص اربعة اشهر صيغ القسم تعدى بعلى والتعدية بمن لتضمنه معنى البعد او حال من الضمير فى الخبر
اى تربص اربعة اشهر حاصل للذين يؤلون حال كونه من نسائهم والتربص الانتظار والمراقبة
مصدر اضيف الى المفعول فان فاءوا رجعوا فى اليمين بالحنث فان الله غفور اثم الحنث
بالكفارة رحيم بشرع الكفارة تلافيا وان عزموا الطلاق فان الله سميع لطلاقهم عليم بنياتهم
الايلاء حلف الزوج على الامتناع من الوطى اما مطلقا او مقيدا باكثر من اربعة اشهر وحكمه بعد
المدة الفيئة اى الرجوع اما بالوطى او بالوعد ان عجز فان لم يفئ طلقها فان ابى طلقها القاضى استدل
الشافعى على هذا بالفاء فى وان فاءوا فانها تدل على ان طلب الفيئة بعد اربعة اشهر وبقوله ان الله
سميع لدلالته على ان من الزوج كلاما وهو الطلاق وذهب ابو حنيفة الى جواز الايلاء فى اربعة اشهر
فان فاء فى المدة لزمه الكفارة والا بانت منه مطلقة وجعل قوله فان فاءوا تفصيلا لقوله
للذين يؤلون من نسائهم والسماع متعلقا بما يقع من المقاولة عند ترك الفيئة والطلاق
وفيه ان المفصل عين المجمل ولا تعقيب الا فى الذكر وما فى الاية متغاير ان وجدا والمطلقات
عام خص منه الامة والصغيرة والايسة وذات الحمل وغير المدخول بها النصوص اخر يتربصن
بانفسهن خبر اريد به الانشاء مجاز اشتبها لما هو مطلوب الوقوع بالمتحقق فى الحال او الاستقبال ابلغ من صريح الامر لدلالته على انهن يمتثلن لا محالة وبناؤه على المبتدا زاده وكادة
لتكرر الاسناد وانحام الانفس هنا دون الايلاء لان القرء من صفاتهن دونه وقيل لان
نفوسهن طوامح الى الرجال فى العدة فامرن بحفظها وكفها ثلثة قروء والقرء لغة الحيض والطهر
والى الاول ذهب ابو حنيفة فى تفسير الاية مستدلا بما روى ابو داود والترمذى عن عايشة
ان رسول الله قال طلاق الامة طلقتان وعدتها حيضتان ولا تفاقهم على الحيض فى الاستبراء
ولما رواه ابو داود عن فاطمة بنت ابى حبيش دعى الصلوة ايام اقرائك وذهب الشافعى
الى الثانى مستدلا بقوله فطلقوهن لعدتهن فان اللام للتوقيت كقوله ولما جاء موسى
لميقاتنا وقوله اقم الصلوة لدلوك الشمس وبما رواه البخارى عن ابن عمر انه طلق امراته
وهى حائض فامره رسول الله ان يراجع ثم يطلقها فى كل قرء تطليقة ورواية الشيخين مقدمة

رد على التفتازاني حيث جعل
مطلق الطهر قرا منه

عند التعارض والاعتراض بان ما ذهب اليه يبطل مدلول الخاص القطعي وهو الثلث لاعتداده ساعة
بل لحظة عيونا بعض لان الطهر عنده اسم للكل ولكل جزء منه فان قلت اذا كان اسما لكل جزء منه فكان
ينبغي ان ينقضي العدة بثلث ساعات من طهر وقع فيه الطلاق قلت الطهر الذي يجعل قرا شرط ان يكون
محاطا بدمين ولذلك لم يجعل طهر الصغيرة قبل الحيض قرا وبذلك نسقط وهم التحكم حيث جعل جزأ من
الطهر الذي وقع فيه قرء دون الثالث وايثار جمع الكثرة للثلثة للاتساع في استعمال كل موضع الآخر
مع اشتمال كل قرء على اجزاء كثيرة ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن
من الولد والحيض استعجالا للقبول فولها ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر ليس بشرط في عدم
الكتمان حتى لو لم يؤمن حل لها ذلك بل قصد اعظام ذلك وان عدم الاقدام عليه من لوازم
الايمان وبعولتهن احق بردهن البعولة جمع بعل والتاء لتاكيد معنى الجمع كالخؤولة والضمير
اخص من المرجع لاختصاص هذا الحكم بالرجعيات والمعنى ان الزوج احق بالرجعة منها بالاباء
كقولهم الصيف احر من الشتاء وفيه حيث لاقادرها بان يكونوا عونا لها ان تنازعا في ذلك
في زمان التربص اذ بعده مستقلة بما شاءت ان ارادوا اصلاحا اى لا حقية عند الله مقيدة
بارادة الاصلاح لا في الظاهر لان تلك الارادة امر خفي ومناط الاحكام الظواهر وسنن التقوى
ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف من الحقوق والرعاية وللرجال عليهن درجة
مرتبة في الحق وزيادة فضيلة باعتبار الخلقة والدرجة منزلة لوحظ فيها العوق كما عبر
التسفل في الدركة والله عزيز قادر على الانتقام ممن يخالف امره حكيم حيث فضل الرجال
لانهم قوامون على النساء بالنفقة والحراسة ويشاركونهن في غرض الزواج الطلاق مرتان
اى الطلاق للعقب للرجعة طلقتان لان الكلام في شان الرجعيات وحكم البوائن مستوفى في سورة
الطلاق لما روى ابو داود عن ابن عباس كان في بدء الاسلام الرجل احق بامرأته وان طلقها
مائة تطليقة وكذا عن ابن جرير وابن ابي حاتم عن عروة وبحديث بلال طلق زوجته ثلثا
وعند ابي حنيفة تعليم لكيفية ايقاع الطلاق اى الطلاق الشرعي تطليقة دون الجمع والكبار
فانه بدعة فامساك بمعروف او تسريح باحسان متفرع على التعليم فبعد العلم بكيفية الطلاق
انتم مخيرون بين الامساك وحسن المعاشرة والطلاق على الوجه المشروع لكن بين الفاضل والمفضول
لان الطلاق ابغض المباحات وعند الشافعي التسريح باحسان الطلقة الثالثة او يدع الرجعة حتى تبين
بانقضاء العدة ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا نزلت في جميلة بنت ابي بن سلول كانت
عند ثابت بن قيس روى البخاري عن ابن عباس انها جاءت رسول الله وقالت يا رسول الله ثابت
لا اعتب عليه في خلق ولا دين ولكن اكره الكفر في الاسلام اكره دمامته رايته مقبلا في عدة فاذا
هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها تردين عليه حديقته وكان اصدقها حديقة فقالت
نعم فاختلعا والخطاب للحكام لانهم الامرون وهذا القدر كاف في الاسناد وان لم يكن مسبوقا بالرفع
او للازواج والحكام وينصرف الى كل ما يليق به او للازواج وان كان الخطاب في فان خفتم للحكام
لانه تفنن في الخطاب ومثل كثير الا ان يخافا اى الزوجان الا يقيما حدود الله من مواجب
الزوجية وقراءة حمزة يخافا على بناء المفعول على ان ما بعده بدل اشتمال من الضمير وفيه تاييد
لكون الخطاب للحكام فان خفتم اى الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت
اى قدر كان جميع المهر او اقل واكثر فاندفع به وهم البعض مما اتيتموهن بمسك طائفة من السلف
منهم ابن العباس والحسن بظاهر الاية على اختصاص الخلع بحال الشقاق وبما روى الترمذي عن
ثوبان ايما امرأة سالت زوجها طلاقها من غير باس فحرام عليها رائحة الجنة والاية على ان القيد
محمول على الغالب حتى قال الشافعي اذا صح في حال الشقاق ففي الوفاق اولى واختلف فيه بل
هو طلاق او فسخ فذهب احمد والشافعي في احد قوليه الى انه فسخ سواء كان بلفظ الطلاق او غيره
وساير الائمة والشافعي الى ان كان بلفظ الخلع او المفاداة وفي اصح قوليه الى انه طلاق وثمرة

حديث بلال دل على ان جمع الثلث غير بدعة

الايم القاضي

قال القاضي ان الخلع بلفظ الطلاق لا يكون
فسخا وتبعه التفتازاني في التلويح
والاصل ... منه

وثمرة الخلاف ان كان فسخا لا ينقص به عدد الطلاق واختلفوا في لحوق الطلاق بعد الخلع فيلحقها
عند ابي حنيفة وعند مالك ان اتبع الخلع طلاقا من غير سكوت تلك حدود الله فلا تعتدوها
ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون الكاملون في الظلم فان طلقها اى بعد الطلقتين و
حديث الخلع بيان لاحد قسمي الطلاق وهو الذي على عوض وعند الشافعي حديث الخلع معترض و
الطلقتان رجعيتان فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره النكاح هو العقد لاسناده الى
الزوجة لا الاصابة لانه فعل الزوج وانما اشترطت زيادة على الكتاب لحديث العسيلة فانه مشهور
فان قلت ما رواه النسائي من قوله لعن الله المحلل والمحلل له يناقض الاية لان الزوج الثاني محلل البتة
قلت ذلك محمول على الاشتراط او اضماره فلا تناقض لاختلاف المورد فان طلقها الزوج الثاني
فلا جناح عليهما على الزوجين ان يتراجعا يرجع كل منهما الى صاحبه ان ظنا ان يقيما حدود الله
في احكام الزوجية وايثار الظن لان اليقين متعذر وحمل الظن على اليقين مع كونه رجما بالغيب فيه
ان الناصبة الدالة على التوقع وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون اى يعملون بعلمهم واذا
طلقتم النساء فبلغن اجلهن شارفن اخر العدة اذ بعد انقضائها لا تبقى الزوجية والاجل
يطلق على اخر المدة كما يطلق عليها اما اشتراكا او تجوزا في احدهما فامسكوهن بمعروف
او سرحوهن بمعروف اعاده مفرعا على بيان مدة الرجعة وليعطف عليه ولا تمسكوهن
ضرارا كانوا يطلقون فاذا شارف انقضاء العدة راجعوها لا للامساك بل ضرارا لتعتدوا
عليهن ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله هزوا كانوا يطلقون
ويعتقون ثم منهم من يقول كنت لاعبا روى ابو داود والترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله قال
ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمت الله عليكم بارسال
الرسول ورفع سنن الجاهلية والذكر اعم من اللساني لان المراد منه الشكر وما انزل عليكم
من الكتاب والحكمة علم الشريعة عطف على نعمة الله المفسر بارسال الرسول فيلائم النظم يعظكم به
جملة حالية واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن روى البخاري ان اخت معقل بن يسار كانت عند رجل فطلقها فلما انقضت
عدتها خطبها مع ساير الخطاب فابى معقل فنزلت واستدل به من قال لا يزوج المرأة نفسها والاجل
محمول على الحقيقة وهو اخر العدة وهذا معنى قول الشافعي على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن
ان ينكحن ازواجهن لتسميتهم ازواجا بعد العدة باعتبار ما كان خطاب للاولياء وقيل
للازواج لما روى انهم كانوا يمنعون المطلقات من التزوج بالغير حمية الجاهلية والاحسن ان
يكون خطابا للناس عاما للسلم من ايثار الخطاب في اذا طلقتم خاصا بالازواج ولما فيه من تهويل
امر العضل فعلى الاولياء والازواج ان لا يحوموا حوله وعلى الناس كافة نصر المظلوم واذا تراضوا
بينهم اى الخطاب والنساء فيه تغليب ظرف للنكاح او العضل بالمعروف بما يعرف شرعا وتستحسنه المروءة
ذلك اشارة الى ما مضى من الاحكام خطاب لرسول الله لان حرف الخطاب في اسماء الاشارة لمن يلي
الكلام سواء كان مخاطبا بالحكم اولا وليس هذا خطابا لرئيس القوم لمنزلة خطابهم كما يا ايها النبي
اذا طلقتم النساء والكلي من يتاتى منه تلقي الكلام وهذا اوفق لان الخطاب اللاحق والسابق
عام يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المنتفع بالموعظة ذلكم ازكى لكم فضلا واكثر
خيرا واطهر من دنس الاثام وصف للشيء بوصف صاحبه والله يعلم ما فيه صلاحكم وانتم
لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن خبر في معنى الامر ندبا لغة والامر للندب
ان وجد غير الام وان لم يوجد او وجدت ولم يرضع الا من امه او كان الوالد عاجزا عن اجرة الظئر يجوز
استيجار الام عند الشافعي بكل حال وعند ابي حنيفة لا يجوز ما دامت في النكاح او معتدة حولين
كاملين وقع التجوز بتنزيل ما يقرب الكل منزلته ولا باس في هذا كون اسم العدد خاصا لا يحتمل الزيادة
والنقصان لان المدلول مراد ادعاء لمن اراد ان يتم الرضاعة اللام بيان لمن خوطب كما في

هيت لك بيان للمبين به اى الخطاب لك هلم واسرع والضمير للاب لانه الذي يجب عليه الارضاع والمعنى هذا انهاية المدة ويجوز النقص ان لم يضرها الولد وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن اى اجر المثل وبه استدل الشافعي على جواز استيجار الام وعند ابي حنيفة الوالدات المطلقات لان الكلام فيهن والنفقة والكسوة لاجل الرضاع وانما قال المولود له دون الوالد دلالة على وجوب قيامهم برزق المرضع وايماء الى ان النسب الى الآباء في الكفاءة وغيرها عاب هشام بن علي المأمون قبل الخلافة بانه ابن امة ويرده الخلافة فقال له المأمون ان هاجر كانت امة وقد ولدت اسمعيل ومن نسلها سيد ولد آدم فانشد الشاعر للمأمون فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللابناء آباء بالمعروف حسب ما يليق به من اليسار والعسر والتوسط لا تكلف نفس الا وسعها تعليل للتقييد بالمعروف ولا يمنع جواز تكليف المحال لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده اى لا يشاق كل منهما الاخر لاجل الولد بان تطلب هي منه فوق المعروف وما ليس بعد له من الرزق والكسوة ولا هو يمنع حقها او يطلبا نزاع الولد منها وهي راغبة في ارضاعه واشباه ذلك وان كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وبالعكس ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر والباء صلة اى لا تضر والدة بولده بان تقصر في تعهده اذا لم يرضها الوالد وكذا الوالدان مدامنها سوء خلق بان ينزعه منها بعد ما الفها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولا تضار بالرفع وهو ابلغ لكونه خبرا اريد به الانشاء وانما نسب الولد اليهما استعطافا بان لا يضره كل منهما ولا يضار صاحبه لانه يؤل الى الاضرار بالولد وعلى الوارث مثل ذلك عطف على المولود له وما بينهما تعليل معترض والوارث الصبي لتقدم ذكر الولد والاصل في اللام للعهد ولان الولد اذا كان له مال لا يجب على الوالد اجرة الارضاع وقيل يعم ما عدا الولاد لعموم اللفظ والاشتقاق من الارث المولود له وقيل وارث الصبي مطلقا عند ابي ليلى ومن كان ذا رحم عند ابي حنيفة وقيل اصوله من الاباء والامهات وقيل وعلى الوارث اى الباقي من الابوين بعد موت الاخر وفيه قلق اذ التقدير فعلى الاب النفقة وعلى الباقي من الاب والام فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما التحديد بالحولين وجواز النقص علم سابقا الا ان من اراد كان ظاهرا في الاب فاشار هنا الى ان للام حقا في الحمل وليست معزولة عن النظر اساسا وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اى اذا اتفق الوالد والوالدة على تسليم الولد الى الموضع فلا جناح في ذلك سواء كان بالام عذر ولا يقال ارضعت المرأة واسترضعتها كانجح واستنجح بمعنى فالمفعول الاول محذوف للعلم به اذا سلمتم ما آتيتم اى ما اردتم ايتاءه وقرأ ابن كثير بالقصر اى ما اردتم فعله والاول احسن وليس التسليم شرطا لرفع الجناح بل حث على الاولى بالمرية والاصلح بالولد اذ بذلك يزداد روعتها ويتقدى اهتمامها بالمعروف متعلق بسلمتم اى بالطريق المعروف شرعا ومروة واتقوا الله بالمحافظة على حدوده واعلموا ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه خافية والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى ازواج الذين يتوفون منكم او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم وهذا اولى لان الظاهر من التنكير المعادة المغايرة وانما قال عشرا لان الليالي غرر الايام والشهور باعتبار الهلال قال الله ان لتتم الاعشر احص الحامل بقوله واولات الاحمال اجلهن والامة قياسا على عدة الطلاق وما روي عن علي وابن عباس عدة الحامل باقصى الاجلين متروك بالاجماع وقرأ علي ابن ابي طالب يتوفون على بناء الفاعل بمعنى يستوفون اعمارهم وما روي عنه انه خطأ السائل عن الميت من المتوفي فقال الله محمول على ان السائل لم يكن بليغا عارفا بمواقع الكلام والحكمة في المدة اعتبارها بمدة الايلاء التي هي غاية صبر المرأة على الزوج على ما نقل عن عمر وقيل لان الولد يتحرك في اربعة اشهر وزيد العشر استظهارا فاذا بلغن اجلهن اخر المدة فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف ايها الحكام مما كان

مما كان يحرم عليهن الزينة والتعرض للخطاب والله بما تعملون خبير فصل الاية الاولى بالبصير وهذه بالخبير لان الارضاع واحكامه امور مكشوفة بخلاف العدة وضبط ايامها مما يتساهل فيه الحكام ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض امالة الكلام الى عرض اى جانب يدل على الغرض والفرق ان استعمال اللفظ في الموضوع حقيقة في غيره مجاز والكناية لفظ استعمل في غير الموضوع له مع جواز ارادة الموضوع له ايضا والتعريض ما فهم من السياق من غير استعمال في المعرض به كقول الراغب في المعتدة انك لا يوجد مثلك او كم من طالب لك والخطبة اسم الحالة خص بطلب النكاح او اكننتم في انفسكم اضمرتم علم الله انكم ستذكرونهن لغلبة ميل الرجال الى النساء ولذلك اباح التعريض والاضمار وفيه نوع لطيف ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر كناية عن الوطء لانه مما يسر به ثم اطلق على العقد مجازا ولم يطلق عليه ابتداء لعدم العلاقة الا ان تقولوا قولا معروفا متعلق بلا تواعدوهن والقول المعروف هو التعريض اى لا تواعدوهن نكاحا الا بطريق التعريض وحكم المعتدة من الطلاق البائن حكم المتوفى عنها زوجها ولا تعزموا عقدة النكاح ماه نهى عن العزم مبالغة في تحريم المباشرة وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح لان معنى العزم في الاصل اى لا تبرموا النكاح ولا تلزموه حتى يبلغ الكتاب اجله اى ما كتب وفرض من العدة اخر مدته ونهاية امره واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم والميل فاحذروه واعلموا ان الله غفور لما عزمتم عليه خوفا فانه حليم لا يعاجل بالعقوبة لا جناح عليكم لم يعطفه لان ما تقدم في شأن المعتدة وخطبتها وهذا في بيان المهر والجناح هو المهر لقوله بعد هذا وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة اى لا ايجاب مهر كلا او بعضا مدة انتفاء احد الامرين المس والفرض وقرأ حمزة والكسائي تماسوهن لان المراد به الوقاع ولا يكون الا بين الشخصين والقصر اولى لان الوطء فعل الزوج والفريضة فعيلة بمعنى المفعول والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية ويجوز ان يكون مصدرا ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره الموسع الغني يقال اوسع الرجل اذا صار ذا سعة وغنى والمقتر الضيق الحال من القتار وهو رائحة الطبخ او من القتر وهو الغبار لتغير حاله وكآبة وجهه وقرأ حمزة والكسائي وحفص قدره بتحريك الدال وهما لغتان والمتعة درع وملحفة وخمار عند ابي حنيفة الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل واستحسن الشافعي ان لا ينقص عن ثلثين درهما والظاهر تخصيص المتعة بغير الممسوسة اذا طلقت قبل الفرض والحق بها الشافعي المدخول بها استدلالا بقوله فتعالين امتعكن في اية التخيير فالتي لا متعة لها ذات الشطر متاعا بالمعروف شرعا ومروة حقا على المحسنين ترغيب في اعطاء المتعة بانه وصف المحسنين لانه قد روي ان حسن بن علي طلق امرأته ومتعها عشرة آلاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم اى لهن نصف ما فرضتم ولا متعة لانه قسيم ذات المتعة الا ان يعفون اى المطلقات النون ضمير ولذلك لم يسقط بالناصب او يعفو الذي بيده عقدة النكاح قيل هو الولي واليه ذهب مالك والشافعي في قوله القديم والصحيح انه الزوج والمعنى او يترك الزوج طلب النصف واطلاق العفو وهو الاسقاط على الزيادة مشاكلة وعطف على المستثنى وحكمه ترك الواجب وفي المعطوف الزيادة عليه لاشتراكهما في عدم الطلب اى الا ان تعفو المرأة فلا شيء او يكمل الزوج فلا نصف وان تعفوا اقرب للتقوى لان من ترك حقه الذي نطق به القران فهو بترك الشبهات اسمح وعن ابن عباس الخطاب للزوجين وفيه تغليب الذكور ولا تنسوا الفضل بينكم اى يتفضل بعضكم على بعض ترغيب في المسامحة والخطاب للاولياء والازواج ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده الفضل والاحسان حافظوا على الصلوات عقب الحث على العفو والنهي عن نسيان الفضل بالحث على محافظة الصلوات لانها تهيئ النفس لايثار كوامل الملكات فانها الناهية عن الفحشاء والمنكر جمعا بين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله والمراد بالمحافظة رعاية اركانها وشرائطها وسننها وادابها والصلوة الوسطى اى الفضلى من الوسط بمعنى المختار ولذلك

افردت بالذكر وهي صلوة لكثرة الاخبار في فضلها ولقوله صلى الله عليه يوم الاحزاب شغلونا عن
الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا وقد اكثروا القول فيها ولا تعارض
ما دوننا شيء منها وقوموا لله قانتين خاشعين او ذاكرين الله لا غير لما روى مسلم عن
ابن مسعود ان رسول الله كان يرد السلام وهو في الصلوة فلما رجعنا من الحبشة فسلمنا عليه
فلم يرد علينا وقال ان الله يحدث من امره ما يشاء وان مما احدث ان لا تتكلموا في الصلوة فان خفتم
من عدو فرجالا جمع راجل كقيام في قايم او ركبانا جمع راكب ظاهر فيما ذهب اليه الشافعي من
ها الذي المسايفة والمشي وقيده ابو حنيفة بما اذا امكن الوقوف مستدلا بان رسول الله
لم يصلي يوم الخندق اربع صلوات فلو صح كيف اتفق لم تركها فاذا امنتم من الخوف فاذكروا الله
اي صلوا على الوجه الذي علمكم والتعبير بالذكر للدلالة على ان الفرض من الصلوة ذكر الله او اشكروه
كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون اي شكروا الذي تعليمه اياكم من الشرايع والاحكام التي لا
يمكن الوقوف علينا بفكر ونظر والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية
لازواجهم مفعول مطلق اي فليوصوا وكتب الله عليهم وصية وقراه نافع وابن كثير وابو بكر والكسايي
بالرفع على انه مبتدا خبره لازواجهم كسلام عليك او عليهم وصية او كتب عليهم وصية متاعا
الى الحول نصب بوصية او بفعله او قدر غير اخراج بدل منه او حال من ازواجهم او مصدر
موكد لان الوصية بالتمتع تدل على عدم الاخراج والاية منسوخة بالتي تقدمت اربعة اشهر وعشرا
لان ترتيب النزول لا يلزم ان يكون على ترتيب الوضع كما في سيقول السفهاء مع قد نرى تقلب
وجهك ولا يقدح فيه كون ترتيب الوضع على وفق ترتيب اللوح والنفقة سقطت بالارث لا لان
قوله فلهن الربع فلهن الثمن دل على ان لها ذلك لا غير لا لاسقاط المال الى الورثة وانما اوجب الشافعي
السكنى بما رواه الترمذي ان الفريعة بنت مالك بن سنان ابي سعيد الخدري قتل زوجها ولم يكن ساكنة
في بيت يملكه زوجها فسالت رسول الله ان ترجع الى بني خدرة فقال امكثي حتى يبلغ الكتاب اجله
فان خرجن فلا جناح عليكم ايها الولاة والحكام فيما فعلن في انفسهن من معروف
لم ينكره الشرع وهذا يدل على انها لم يكن يجبره على عدم الخروج بل يخيره والله عزيز قادر
على الانتقام حكيم في بناء الاحكام على المصالح وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على
المتقين استدل به من اوجب المتعة لكل مطلقة وخص الشافعي عن هذا العام المطلقة قبل
الدخول اذا كان لها مسمى لدلالة النص بايجابه على ان نصف المهر لهذه في مقابلة المتعة للمفوضة
دون تحول وحمل الحنفية على اعم من الواجب والمستحب وفيه جمع بين الحقيقة والمجاز اذ التقدير وعلى
الازواج للمطلقات وقيل تكرار للتاكيد لما روى زيد بن اسلم لما نزل قوله حقا على المحسنين كان الرجل
يقولان شيت احسنت والا فلا فنزلت حقا على المتقين فاللام في المطلقات للعهد كذلك
يبين الله اياته الدالة على الاحكام والاشارة الى المذكور من احكام الطلاق والعدد لعلكم
تعقلون فتعملون بموجبها الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم بعد بيان جمل من الاحكام
استطرد قصة دالة على تاثير قدرته وسعة يكون مراده ليكون المخاطب بها على حذر من مخالفة الاستفهام
للتقرير والمخاطب اما من احاط بقصتهم علما من اهل الكتاب والاخبار او كل احد ممن لم يرد لم يسمع
وهذا ابلغ لدلالته على انها لم تخف على احد والرؤية مجاز عن النظر ولذلك وصلت بالى وعن
الادراك والمعنى الم ينته علمك اليهم والاول اوجه لان النظر امر اختياري دون الادراك فهو
الصق بالاعتبار عن ابن عباس هم اهل داوردان قرية قبل واسط فروا من الطاعون وقيل
قوم من بني اسرايل دعاهم نبيهم الى الجهاد لم يجيبوه وفروا من ديارهم وهم الوف اي الاف
كثيرة ولم يعلم عدد معين حذر الموت علة للخروج فقال لهم الله موتوا اي اماتهم دفعة تعلق
الارادة بموتهم دفعة بامر الامر المطاع وموتهم على ذلك الوجه بامتثال المامور المبادر طاعة
ثم احياهم بعد ما بزت لحومهم وتعرت عظامهم وتفرقت اوصالهم مرحزقيل النبي

جواز

النبي فتعجب من عظيم قدرة الله على الاحياء فاوحى اليه ان نادهم قوموا باذن الله فناداهم فاذا هم قيام
يقولون اللهم سبحانك وبحمدك ان الله لذو فضل على الناس بري بعضهم الايات و
نفعها الاخرين ليكون وسيلة الى مزيد الايقان ولكن اكثر الناس لا يشكرون بالبر مثل الاعتبار
ولما عرفهم بان الحذر لا يغني شيا حثهم على القتال في سبيل الله بقوله وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله
سميع عليم فعليه تعريض بالمنافقين الذين كانوا يقاتلون للغنايم ولما كانت سورة البقرة سنام القران
والجهاد سنام الذين كرره بطريق شتى استيفاء واستطرادا واردفه بالانفاق الذي لا يمكن الجهاد بدونه
بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا القرض لغة القطع وفي الشرع هو المال المعطى ليتقاضى
بمثله استعير لبذل المال والنفس في الجهاد رجاء الثواب ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الاقراض والاستفهام
للعرض والحث على الانفاق ابلغ من الامر تسماه قرضا دلالة على لزوم ثوابه ووجوب تحققه وحسنا تحذيرا
عن الرياء اولانه يجر النفع الى المقرض بخلاف اقراض الناس فيضاعفه له اي ثوابه وجزاءه اضعافا
كثيرة لا يحيط بها الا علم تعالى ناهيك ما يسميه الله كثيرا روى ابن ابي حاتم عن ابن عمر لما نزلت مثل
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة قال رسول الله
يا رب زد فنزل وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسايي بالرفع والباقون بالنصب بان مضمرة بعد
فاء الجواب والتخفيف ابلغ لما روى ابو عمرو يقول العرب ضعفت درهمك جعلته درهمين وضاعفته جعلته اكثر
وضعف الشيء مثلاه فلو قال لك عندي ضعف درهم لزمه درهمان وقيل ضعفا الشيء مثله والله يقبض
ويبسط لمن يشاء بيده والعطاء وقرا نافع وابن كثير في رواية البزي وابو عمرو ونقل ابن كثير وابن عامر من القصر
والكسايي بالصاد والسين هو الاصل وابدال الصاد منه لمشاكلة الطاء اطباقا واستعلاء واليه ترجعون
فيرى كل ما تقدم الم تر الى الملا من بني اسرايل قصة اخرى تشجع على القتال وتحذر عن التكاسل والتقاعد من بعد
موسى حال من الملا اذ قالوا لنبي لهم قيل هو شمعون وقيل اشمويل وقيل يوشع ابعث لنا ملكا
نصدر عن رايه جزم على الجواب قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا عسى لتوقع وقوع الخبر
فلا وجه للاستفهام عنه لانه معنى قائم بالمتكلم بل الاستفهام فيه لتقرير الخبر وتحقيقه لان افعال المقاربة قيود
لاخبارها والمعنى ترك المقاتلة منكم امر متوقع ثم حقق بادخال هل دلالة على ان ذلك المتوقع كاين
مثلها في هل اتى على الانسان وقرا نافع بكسر السين وبها لغتان والفتح اخف واشهر قالوا وما لنا الا نقاتل في
سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي داع لنا الى ترك القتال وقد اخرجنا باشد المصاب من ترك الاوطان
ومفارقة الانباء والولدان وذلك ان قوم جالوت كانوا على ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا
من ابناء ملوك بني اسرايل اربعماية واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم قيل كان القليل
ثلثماية وثلثة عشر عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد للكثير على ما فعلوا وقال لهم
نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا عطف على مقدر اي قال لهم ان الله كتب عليكم القتال وجعل
لكم طالوت اميرا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك كان من سبط يهودي وكان الملك في
سبط لاوي فلذلك ادعوا الاحقية ولم يؤت سعة من المال حال اخرى معطوفة على الاول
وكلاهما في التحقيق تعليل للاستبعاد قد حوا اولا في نسبه وثانيا في حسبه قال ان الله اصطفيه
عليكم الناس اولادا دم المختار من اختاره الله وزاده بسطة في العلم والجسم وهما اللذان
يحتاج الملك اليهما ليكون بعلمه ذا راي وتدبير وبجسامته عظيما في الاعين لا يزدريه الناظر والله يؤتي
ملكه من يشاء فلا وجه لمعارضة ودعوى الاحقية بعد تعلق ارادته بخلافه والله واسع
عليم واسع الفضل كامل العلم ما يختار الا بحكمة وارضيت وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم
التابوت هو الصندوق فعلوت من التوب لانه يرجع اليه مرة بعد اخرى وليس بفاعول من تبت
لقلة ما فاؤه ولامه فيسكن اليه نفوس بني اسرايل وقيل كان صورة من زبرجد وياقوت ولها راس
كراس الهرة وجناحان فياتي فترق الصورة نحو العدو فتسكن قلوبهم وقيل كان فيه صور الانبياء
ومن قال التابوت هو القلب والسكينة هي العلم ما ذا يقول في قوله بقية مما ترك ال موسى

قايد القاضي

والهرون هي رضاض الالواح وعصى موسى وعمامة هرون والال مفخم وقيل ابنهما ابنيا بني اسرائيل
فان كلهم اولاد يعقوب تحمله الملائكة وذلك ان التورية بعد موسى رفع الى السما وقيل كان في يد جالوت
فوقع فيهم طاعون حتى هلك منهم خمس مداين فتشاموا به فحملوه على ثورين ليخرجوه من بينهم فاستاقهما الملائكة
الى طالوت ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين من كلام الله او من كلام النبي فلما فصل
طالوت بالجنود اي فصل نفسه من الفصل ويجوز ان يكون لازما من الفصول كوقف والوقوف
قال ان الله مبتليكم بنهر قال ابن عباس هو نهر الشريعة بين الاردن وفلسطين فمن شرب
منه فليس مني اي من ابتدا شربه منه فليس متصلا بي ومتحدا معي في الدين كقوله انت مني بمنزلة هرون
من موسى والشرب حقيقة في الكرع واليه ذهب ابو حنيفة فيمن حلف لا يشرب من هذا النهر وصاحباه
الى مطلق الشرب عرفا ومن لم يطعمه فانه مني اي لم يذقه كقوله وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا
الا من اغترف غرفة بيده استثنا منقطع من قوله فمن شرب منه لان الاغتراف ليس من جنس
الكرع فلا اتصال وان حمل الشرب على المطلق فالاستثنا متصل ولا يجوز ان يكون مستثنى من قوله ومن لم يطعمه
فانه مني على معنى ان المغترف ليس مني لان الاغتراف كان رخصة والا لبطل فايدة النهر فشربوا منه الا
قليلا منهم عن البرا كنا نتحدث ان اهل بدر عدد اصحاب طالوت فلما جاوزه هو والذين آمنوا
معه لم يجاوز الا ذلك القليل قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده القائل ناس من المؤمنين غير
كاملي اليقين وقيل القائل هم الكثير كانهم بعد ما جاز القليل النهر وفيه بعد لان الكارعين ممنوعون
من الذهاب لقوله فليس مني فلا حاجة بهم الى الاعتذار قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله
وهم الخلص منهم او كل من جاز ان كان القايل الاول الكثير كانهم ايضا نحوه كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله بارادته وتيسيره والله مع الصابرين حث على الثبات في مدحض
الحرب ولما برزوا لجالوت وجنوده ظهروا وتصافوا للحرب وجالوت اسم جبار من اولاد عمليق
بن عاد كانت بيضته ثلثمائة رطل قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين املاء قلوبنا قدموا سوال الصبر لانه سبب الثبات والنصر غايتهما فهزموهم باذن
الله بعونه وتيسيره وقتل داود جالوت كان ايشى ابا داود وله سبع بنين داود اصغرهم فاوحى
الى ذلك النبي ان قاتل جالوت داود وكان يرعى الغنم فطلبه طالوت من ابيه فلما جا كلمه في الطريق ثلثة احجار
وقالت خذنا معك فانك بنا تقتل جالوت فالقاها في مخلاته فلما قتله كان له بنت زوجه طالوت اياها
وآتاه الله الملك بعد ان كان راعيا والحكمة النبوة وعلم الشريعة وعلمه مما يشاء من كلام الطيور
وصنعة الدروع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اللام للجنس والبعضان مبهمان او البعض
المدفوع بهم الكفار لان العاقبة للمتقين لفسدت الارض بقتل المسلمين ونحو ذلك مما يفضي
الى الخراب او لهلك اهل الارض بالكلية بشوم الكفار وقرأ نافع دفاع وهما مصدر دافع والقصر اشهر
ولكن الله ذو فضل على العالمين بترتيب اسباب البقا تلك آيات الله الامور
المذكورة في شان طالوت وجالوت او ما ذكر من اول السورة الى هنا وهذا اوجه ليكون فذلكة
ورجوعا الى ما بدئ به من حديث النبوة بقوله وانك لمن المرسلين داخل في زمرتهم
لانك تخبر عن وقايعهم وما كنت تتلو من قبل من كتاب ولا تخطه بيمينك لارتاب المبطلون ثم استانف بما يدل
على انه فضلهم فضلا عن ان يكون منهم بقوله تلك الرسل المذكورون فانهم اولو العزم او ما
ذكر وما بهم في علمه او جملتهم فاللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض في الرتبة منهم
من كلم الله من غير واسطة وهو موسى بيان لجهة تفضيل ورفع بعضهم درجات كثيرة من
جهات شتى ولذلك لم يشر الى باب فضل وليس ذلك الا رسول الله لما روى البخاري انه كان
في يده كتف شاة فنهس منه نهسة وقال انا سيد ولد آدم اتعرفون لم ذلك ثم ذكر حديث
الشفاعة وقيامه في المقام المحمود وفي تنكير البعض فخامة لا تخفى لدلالة على انه ارفع من ان
يشتبه على احد وحمل على ابرهيم بعيد لان الكلام مسوق لفضل رسول الله فلا يجوز اخلاؤه

اخلاؤه عن ذكره واما ابرهيم فالفرق متفقون على حبه ونبوته فلا يحتاج الى ذكره وآتينا عيسى بن
مريم البينات المعجزات الواضحة من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى اضافه الى امه تكذيبا للنصارى
في دعوى النبوة والنعت في ايتا البينات مبالغة في دفع وهم الربوبية وايدناه بروح القدس
روح مطهرة من غير واسطة او قيل بارسال جبرئيل سكن داله ابن كثير ولو شاء الله ما اقتتل الذين
من بعدهم اي الذين كانوا بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات متعلق بما قبل ولكن اختلفوا
فمنهم من آمن بتوفيق الله ومنهم من كفر بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد
للاستدراك بقوله ولكن الله يفعل ما يريد اي لكنه لم يشا عدم القتال بل شاءه فوقع مراده
فالكلام على قانون العربية من اسقاط السبب يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم تشمل الواجب و
المندوب ويتناول المنفق في الجهاد فينتظم مع آيات القتال واتصال الوعيد باعتبار اشتماله على الواجب
من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة صفات اليوم وقرأ ابو عمرو وابن كثير الثلثة بالفتح وهو
اقوى والرفع على تقدير سوال هل ثمة بيع او خلة او شفاعة والمعنى ان التدارك اما بالادا ولا معاملة هناك
او بالمجادلة من الاخوان والخلان ولا وجود لها لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه او بالاجرا بالشفاعة
ولا سبيل اليه لا سيما في حقوق العباد والكافرون هم الظالمون عبر عن تارك الزكوة الصلوة بالكافر
تغليظا كما في اية الحج او تسمية للشارف باسم المباشر كما في هدى للمتقين او تعبيرا باللازم عن الملزوم لان ترك
الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو الحي القيوم
هذه آية الكرسي والاخبار في فضلها فوق الاحصاء منها ما روي ان ابي بن كعب سالني رسول الله اي آية
في كتاب الله اعظم قلت اية الكرسي فضرب بيده في صدري وقال ليهنك العلم يا ابا المنذر الحي تعالى
صفة حقيقية توجب العلم والقدرة والقيوم الدايم البقا لا يطلق على غيره تعالى وقيل القايم بنفسه المقيم لغيره
والمعنى هو المستحق للالوهية لاختصاصه بصفاتها والحي القيوم ابدل لمن هو او خبر ثان لا تاخذه سنة
ولا نوم السنة النعاس المتقدم على النوم قال وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه وليس بنايم فقدمها
رعاية الوجود والابتداء بالاخف كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة وليس من قبيل التتميم بل من اسلوب
الاحاطة والاحصا والجملة مقررة لقيوميته لان التيقظ ينبئ عن القيام بالتدبير له ما في السموات وما في
الارض تقرير لعظمته وكبريائه لافتقار الكل اليه فلكيا كان او ارضيا وهذا ايضا تقرير لقيوميته من وجه آخر
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه اي لا يصدر من احد شفاعة الا باذن خاص وفيه ايضا تقرير
لكبريائه بانه كما انفرد بالايجاد ابتداء كذلك منفرد بالنفع بقاء وفيه رد على المشركين في ان شركاءهم شفعاء
عند الله والشفاعة اعم من ان يكون في ازالة نقصان او افادة خيران يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
الضمير لما في السموات وما في الارض باعتبار العقلاء وما بين ايديهم وما خلفهم امور الدنيا والآخرة وفيه
تقرير للقيومية لاقتضاء العلم التام لقوله ما في السموات وما في الارض لان موجد الشي يعلم ما هو عليه
وما يؤول اليه ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء لحدوثهم وحدوث
علمهم وسع كرسيه السموات والارض روى الفقاه ان الله تعالى كرسيا دون عرشه لا يعلم عظمه الا هو
وعن ابن عباس لو ان السموات السبع والارضين السبع بسطن ثم وصلن لم تكن في سعة الكرسي وقيل
المراد تصوير عظمة تعالى بعظمة من يكون له كرسي هذه العظمة فاطلق المركب الحسي الموهم على المعنى العقلي المحقق
والجملة ايضا تقرير لقيوميته باعتبار سعة العلم وتعلقه بالمعلومات كلها او بجلاله وعظم قدره ولا يؤده
حفظهما لا يثقل ولا يشق عليه تتميم حسن وهو العلي العظيم المتصف بصفات الكمال
والجلال لا اكراه في الدين لان امر الايمان على الاختيار لا يتصور فيه الاكراه وروى ابو
داود والنسائي عن ابن عباس نزلت في الانصار كانت المراة قبل الاسلام تقول ان عاش ولدي لله
علي ان اجعله يهوديا فلما اجلي اليهود اراد والآباء الاولاد الذين تهودوا بالاكراه وقيل في اهل
الكتاب ان بذلوا الجزية وقيل منسوخة باية القتال قد تبين الرشد من الغي تميز الكفر
من الايمان بالدلايل النيرة فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان فعلوت من طغا يطلق على كل راس

في الضلال مفردا وجمعا كقوله اولياؤهم الطاغوت ومن يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى
لا انفصام لها تشبيه التدين بالدين الحق بالتمسك بالعروة الوثقى المتخذ من الحبل المحكم المامون انقطاعه و
الفصم بالفاء قطع بلا ابانة وبالقاف مع الابانة ايثاره مبالغة في الوثاقة والله سميع عليم الله ولي
الذين امنوا قصدوا الايمان يخرجهم من الظلمات الى النور الايمان والظلمات شبه الجهل ووساوس
الشيطان والذين كفروا اصروا على الكفر اولياؤهم الطاغوت الشياطين وكل مضل يخرجونهم
من النور الى الظلمات من الايمان الفطري ويجوز ان يكون امنوا وكفروا على ظاهرهما والمراد
بالظلمات الشبه وبالنور البينات والاسناد الى الطاغوت مجاز للتسبب اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون لم يذكر وعد المؤمنين في مقابلته ايماء الى انه شيء لا يطول شرحه الم تر
الى الذي حاج ابراهيم في ربه ذكر من الفريقين فردين بما علم في الايمان والكفر تصوير الاخراج من
الظلمات الى النور وبالعكس والاستفهام للتعجيب ان اتاه الله الملك لان اتاه الله واللام للعلة
حقيقة والمعنى حمله على ذلك البطر او مجازا باعتبار الاستعقاب كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا والوقف مقدر او الغرض تعكسه في جعل الكفر مكان الشكر وهذا المحاج نمروذ بن كوش
بن كنعان بن سام بن نوح اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت ظرف لحاج او بدل من اتاه ان قدر
الوقت باعتبار امتداد الزمان قال انا احيي واميت قيل احضر رجلين فقتل احدهما واطلق الاخر
قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب كان الاعتراض عليه
لا محالة بان يقول ليس ما اتيت به من الاحياء والاماتة في شيء لكن لما كان جاهلا وكلامه خارجا
عن قانون التوجيه اراد ازاحة الشبهة بحيث لا يبقى مجال للريب وليس من الانتقال الذي يعده اهل
النظر عيبا في المناظرة فان ذلك قبل تمام الدليل وحجة الخليل كانت تامة على انه في التحقيق ليس
من الانتقال من دليل الى اخر بل الى مثال اجلى لا يقبل الشبهة لان الشمس للعالم بمثابة الروح فبهت
الذي كفر صار مبهوتا بعد لقام الحجر والله لا يهدي القوم الظالمين الذي سبق في علمه
انهم اهل النار او كالذي مر على قرية تقديره او رايت مثل الذي عطف حملا الى الاخرى
وحذف لدلالة الم تر عليه وخص بحرف التشبيه لان منكر الاحياء اكثر من مدعي الربوبية والجاهل بكيفيته
اكثر من ان يحصى او التقدير ارايت مثل الذي حاج ابراهيم او مثل الذي مر على قرية على انه من عطف المفرد
والقرية بيت المقدس حين خربها بختنصر المار عزير قاله مجاهد كما في وعن علي وابن عباس عزير وهو المشهور وارجح رعاية
للفصل المقدم لان نمرود مثال لمن وليه الطاغوت وهذا مثال لمن وليه الرحمن ولان الكلام مع الكافر يحتاج الى
تكلف وهي خاوية على عروشها ساقط حيطانها على السقوف او خالية عن الناس سالمة قائمة على عروشها
والعروش جمع العريش وهو ما يرفع استظل قال انى يحيي هذه الله بعد موتها انكار ان كان المار كافرا او
تعجب باهر قدرته ان كان نبيا كقول زكريا انى يكون لي غلام فاماته الله مائة عام ثم بعثه بعد تلك
المدة قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم اخبر عن اليوم لان نوم يوم كامل غير معتاد وقيل
لانه مات وقت الضحى وكان احياؤه قبل غيبوبة الشمس فلما راى الشمس او بعض يوم قال بل لبثت مائة
عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير من السنة والهاء اصل لقولهم سانهت او هاء سكت لقولهم
سنوات في الجمع فعلى الاول الجزم باسكان الهاء وعلى الثاني بحذف الواو ويجوز ان يكون مضاعفا من
سن تغير لقوله من حما مسنون وقرأ حمزة والكسائي لم يتسن في الوصل بلا هاء اخذا بان اصله
واو فلا وجه للهاء والمختار اثباتها اما لانها اصل او لاجراء الوصل مجرى الوقف اتباعا للرسم وتوحيد
الضمير العائد الى الطعام والشراب لانه الجنس الذي به عيش الانسان قيل كان طعامه تينا وعنبا وشرابه
عصيرا ولبنا وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه وقيل انظر اليه حيا سالما عاش مائة عام حيث
ربط من غير ماء وعلف ولنجعلك اية للناس فعلنا ما فعلنا قيل لما نام كان عمره اربعين سنة فلما جاء
قومه قال انا عزير قالوا عزير فقد من مائة سنة وكان يحفظ التورية فقراءة عليهم فقالوا هذا ابن
الله كان عنده مذ غاب وكان على صورته شابا وابنه شيخا فقد بلغ مائة وعشرين سنة وابن ابنه

وابن ابنه تسعين وفي ذلك يقول الشاعر واسود راس شاب من قبله ابنه ومن قبله ابن ابنه فهو اكبر يرى ابنه
شيخا يدب على العصا ولحيته سودا والرأس اشقر وعمر ابيه اربعون امرها ولابن ابنه في الناس تسعون غير
وانظر الى العظام كيف ننشزها عظام حمارك او الموتى الذين تعجبت من احيائهم والانشاز الرفع من نشز المكان
ارتفع وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو ننشرها بالراء المهملة من انشره احياه والاول اوفق لان المعنى على التركيب
والحيوة متاخرة لقوله ثم نكسوها لحما فلما تبين له ما كان نجحدها من كيفية الاحياء قال اعلم ان الله
على كل شيء قدير لان عين اليقين اجلى مراتب العلم وقرأ حمزة والكسائي اعلم بهمزة الوصل مع الجزم
امرا اي قال له تعالى ارتق الى عين اليقين كما قال بعد هذا لابراهيم واعلم ان الله عزيز حكيم او قال عزير مخاطبا
نفسه توبيخا وتبكيتا او على زوال الشك ان كان القايل كافرا واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي
الموتى سوال عن كيفية الاعادة لا عن نفسها قال اولم تؤمن باصل الاعادة ولا بد لها من
كيف لان الافعال الواقعة لا تخلو عنها والاستفهام للتقرير قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فان العلم
الحاصل بالمشاهدة لا يعتريه الشبه وفي العيان معنى لا يوجد في البرهان قال فخذ اربعة من الطير فصرهن
اليك ضمها اليك ليحصل لك ما تطلب وقرأ حمزة بكسر الصاد وهما لغتان ثم اجعل
على كل جبل منهن جزأ امر بذبحها وان ياخذ رؤسها عنده ويجعل اللحم المختلط اجزاء على كل جبل جزأ منه
حتى لا يلتبس عليه اذا احياها الله وقرأ ابو بكر باسكان الزاء وهما لغتان الضم للحجاز والاسكان لتميم ثم ادعهن
ياتينك سعيا ساعيات مشيا او طيرانا واعلم ان الله عزيز لا يغالب ولا يابى عليه
مراد حكيم في اخفاء الاحياء والاعادة عن الناس ابتلاء قيل كانت الطيور طاوسا وغرابا وديكا وحمامة
وكان في ايثارهن اشارة الى ان السالك انما يصل اذا امات القوة الشهوية الطالبة للزخارف التي هي صفة
الطاوس والعصبية الباعثة على العولة والترفع التي هي صفة الديك وازاح عن النفس الدناءة والميل لجيفة الدنيا
التي هي صفة الغراب والخفة والمسارعة في نيل المستلذات التي هي صفة الحمام فان قلت كل من عزير وابراهيم كان موقنا بان
الله قادر على الاحياء والحياة كان في الكيف فلم ارشد ابراهيم من غير توقف وامات عزيرا مائة عام ثم اراه ذلك قلت لان
ابراهيم سال متادبا بسوال مسترشد وكان في عبارة عزير معنى التعجب ولذلك اراه في نفسه وجعله اية للناس
والمقربون يعاملون بمثل هذه المعاملات الا ترى ان موسى عليه لما قيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال
لا كيف عتب الله عليه حيث لم يرد العلم الى الله وسيره في الارض طالبا للعلم متلمذا لمن ليس في رتبته مثل
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله عقب سوال ابراهيم بالحث على الانفاق كانه قال ليس الكمال في
الكشف عن كيفية الاعادة وتحصيل العلم بها انما الكمال في تحصيل ما يمدح لما بعد البعث ولا وسيلة
اوثق من التقرب اليه بانفاق المال في سبيله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة
اي مثل نفقتهم كمثلها ليلائم جانبا المشبه به وان كان من تشبيه المركب الذي لا يلاحظ فيه المفردات واثار
سنابل على سنبلات للدلالة على الكثرة في المعنى لاشتمال كل سنبلة على مائة حبة وهذا واقع في الدخن
والذرة وفي البر في الاراضي المغلة مع ان المدرك بالحس يجوز ان يكون خياليا كما في اعلام ياقوت نشرن
على رماح من زبرجد روى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الانفاق في سبيل الله فجاء رجل بناقة مخطومة فقال لك بها
سبعمائة ناقة مخطومة يوم القيمة والله يضاعف لمن يشاء على هذا العدد الى اضعاف لا يعلمها غيره وذلك
بحسب قوة اليقين والاوقات ومحل الصدقة والله واسع فضله عليم لمن يستحق الزيادة الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى يحذر عن القوادح في الانفاق المن الاعتداد
بالمعروف بان يرى له فضلا على من احسن اليه والاذى ان يذكره بلسانه او يواجهه به ويقول فعلت
معك وفعلت وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيه ايضا طعم الالاء
احلى من المن وهي امر من الالاء مع المن لهم اجرهم عند ربهم لم يدخل الفاء في خبر الموصول اشعارا
بان السبب لذلك الاجر هو فضل الله تعالى والاعمال امارات وانما ادخلها في قوله الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم اعتدادا بها لاستيعاب الازمنة والتخلي عن وصمة الريا وقيل
لم يدخل الفاء ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف اذا فعلوا وفيه ان الانفاق سرا وعلانية

اولى بذلك فكان ترك الفاء فيه اظهر ولا خوف عليهم من فائت ولا هم يحزنون على مترقب
قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى صح الابتداء بالنكرة لتخصيصها بالوصف و
المعطوف على المخصص حكمه حكمه والتحقيق ان المخصص ليس بشرط على ما اشار اليه ابن الدهان اذا صح
المعنى اخبر بما شئت عما شئت والمعنى الرد الجميل للسائل كقول الغني له يفتح الله عليك وامثاله والتجاوز
عنه ان بدا منه غلظ الحاح في السؤال خير من الصدقة التي يتبعها اذى واكتفى بالاذى لدلالة على قرينه وفي
الحديث الكلمة الطيبة صدقة وكفك نفسك عن الشر صدقة والله غني عن انفاق كل منفق وانما حث
على الانفاق لينال له الزلفى فلا ينبغي ان يبطل بالمن والاذى حليم لا يعاجل بالعقوبة روى مسلم
عن ابي ذر ان رسول الله قال ثلث لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب
اليم المنان بصدقته والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر مساق الاية الاولى
الترغيب في الصدقة خاليا عن المن والاذى وهذه في ذم من ابطل صدقته بشيء منهما اوراى بها وتشبيهه
بفعل المنافق تحذيرا عن ارتكابه وحثا على اجتنابه والكاف في موضع الحال او المصدر ثم صور حاله
بمحسوس لم يحل دون بصر عن معرفته بقوله فمثله كمثل صفوان حجر املس عليه تراب فاصابه
وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا اي من ثواب
كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وانما جمع الضمير في لا يقدرون مع انه حال
من الذي او استئناف والضمير عايد اليه لارادة الموصوف فحا او بعد روح وما في معناه او الذي
في موضع الذين كما في كالذي خاضوا والله لا يهدي القوم الكافرين لا يخلق فيهم الاهتداء وهم الذين
جبلوا على الكفر ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم اي ليثبتوا
بذلك بعض انفسهم على ساير العبادات فان بذل المال اشق شيء فمن اتى به هان عليه غيره او تثبيتا للاسلام
ناشيا من انفسهم فان الانفاق امارة اي الايمان من اصل النفس وسخ القلب او تثبيتا للمؤمنين
ليعلموا انهم صادقون في الايمان ومن يحتمل التبعيض والابتداء ارجح لان مقصودهم ان يعلم المؤمنون
ثباتهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل اي حال نفقة
هؤلاء لكونها ناشئة عن ينبوع الصدق والاخلاص كحال جنة في مكان مرتفع لان الشجر فيه
احسن وانمى واصابها المطر وابلا او طلا فان الطل يغني غناء الوابل لحسن المكان وطيب الهواء ومن
نظم الخليل امام النحو يمدح بستانا على ربوة ترفعت عن ندى الاعماق وانخفضت عن المعاطش واستغنت بسقيا
او حالهم في انتاج القليل والكثير الاضعاف لاجورهم كحال الجنة في انتاج الوابل والطل الواصلين
اليها الاضعاف لاثمارها وقرء نافع وابن كثير وابو عمرو اكلها بسكون الكاف تخفيفا والله بما تعملون
بصير حث على الاخلاص وتحذير من الرياء اثر البصير على الخبير ايماء الى ان الرياء وان كان خفيا كالمبصر
عنده ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات
افرد النخيل والاعناب لكونهما اكرم الشجر واكثرها نفعا وثمرهما فاكهة وقوت واصابه الكبر
الواو للحال او للعطف على يكون بالتاويل كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وذلك
لان المضارع بدخول ان يخلص للاستقبال فلا يعطف عليه الماضي وله ذرية ضعفاء حال من الهاء
في فاصابه فاصابها اعصار فيه نار عطف على اصابه الكبر والاعصار الريح المستديرة في الارض
يرتفع نحو السماء فاحترقت اي الجنة مثل ضربه الله لمن يحبط اعماله الصالحة بالرياء فاذا كان يوم القيمة وهو
افقر ما يكون اليها لا يجد لها اثرا والمعنى في جانب المشبه انكار ان يود احد هذا الحال المستفاد من المجموع
كذلك يبين الله لكم الايات كلها ايضاحا وكشفا لعلكم تتفكرون لكي تتفكروا في العاقبة وتجتنبوا
ما يورثكم الندامة يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من خيار مكسوبكم لان الحل علم
من الامر بيان للمتعلق بعد تقييد الانفاق بالاخلاص ومما اخرجنا لكم من الارض ومن طيبات
ما اخرجنا اعاد الجار للدلالة على الاستقلال كما في ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ولا تيمموا الخبيث قراءة

قراءة ابن كثير في رواية البزي بادغام التاء في الوصل لعدم الابتداء بالساكن والتخفيف اخف واشهر
منه تنفقون دون غيره حال مقدرة ولستم باخذيه حال اخرى على الترادف او التداخل الا ان
تغمضوا فيه اي لا تاخذونه بوجه من الوجوه الا بالتسامح يقال اغمضت عن كذا وغمضت اذا
تغافلت عنه كانك لا تبصر قال ومن لا يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
روى الترمذي عن البراء قال فينا نزلت كان الرجل ياتي بالقنو الحشف فيعلقه بين الاسطوانتين
في المسجد لاهل الصفة واعلموا ان الله غني عن انفاقهم وانما يرشدكم الى ما ينفعكم حميد بقبوله
واثابته او كثير الثناء على المنفق وكم اثنى في كتابه على المنفق في سبيله الشيطان يعدكم الفقر و
يامركم بالفحشاء بالبخل والعرب تسمي البخيل فاحشا الوعد يستعمل في الخير والشر ان ذكر مفعوله والا فالوعد
في الخير والايعاد والوعيد في الشر والله يعدكم مغفرة منه بالانفاق وفضلا في الدنيا عوضا عما
بذلتم وتقديم المغفرة للدلالة على ان العاقل يجب ان يكون قصده الاولى ذاك والله واسع فضله
عليم بالمنفق ترغيب في الاخلاص وايثار الاجود للصدقة يؤتي الحكمة من يشاء العلم مع الايقان
والعمل مع الايمان ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا واي خير كثيرا تاكيد له كما اكده بالتنكير كيفا
وما يذكر الا اولوا الالباب العقول الخالصة عن شوائب الوهم حث على العمل بما تضمنت الآي السابقة
من انفاق الطيب واجتناب الخبيث وتوخي المغفرة والفضل وعدم الركون الى المن والاذى وايثار التذكر
ايماء الى جلاء تلك المقاصد وما انفقتم من نفقة في طاعة او معصية او نذرتم من نذر الزاما في الذمة
فان الله يعلمه يجازيكم عليه من اطلاق الملزوم وارادة اللازم وما للظالمين من انصار
مقابلة الجمع بالجمع لقصد التوزيع اي ما لظالم من نصير قط ان تبدوا الصدقات فنعما هي ما في نعما
نكرة غير موصولة ولا موصوفة اي نعم شيئا ابداؤها وقراءة ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وهما
لغتان وقرء ابو عمرو وابو بكر وقالون باختلاس كسر العين تخفيفا وهو المختار رعاية للجانبين وان
تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم اي صدقة التطوع لما روى عن ابن عباس انها سرا تفضل صدقة
العلانية سبعين ضعفا وصدقة الفريضة تفضل علانيتها السر خمسة وعشرين ضعفا وقيد الاعطاء للفقراء في حال
السر لانه مظنة الالتباس فانه اكثر ما يكون ليلا روى البخاري ومسلم عن رسول الله سبعة يظلهم الله في
ظله يوم لا ظل منهم رجل تصدق بيمينه فاخفاها حتى لا يعلم شماله ويكفر عنكم سيئاتكم قراءه بالياء
ابن عامر وحفص سندا الى ضمير الله وجزمه نافع وحمزة والكسائي والمختار النون لانه افخم والجزم لاندراج
تكفير الذنوب في جزاء الصدقات موافقا لقوله ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله
بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار لان الخبرة هي العلم ببواطن الامور ليس عليك هداهم خلق
الاهتداء فيهم سلبه لما كان يشق عليه عدم امتثال بعضهم ولكن الله يهدي من يشاء هدايته وما
تنفقوا من خير من مال سماه خيرا باعتبار ثوابه فلانفسكم لا يتجاوز ثوابه وما تنفقون الا
ابتغاء وجه الله عطف على جملة وما تنفقوا والمعنى ان انفاقكم لما كان لوجه الله فلا وجه للمن والاذى
والاحسن ان يكون حالا اي ما تنفقوا فلانفسكم ثوابه حال كونكم تنفقونه ابتغاء وجه الله روى النسائي
عن ابن عباس كانوا يكرهون ان يرضخوا لانسابهم المشركين فسالوا رسول الله فنزلت والمعنى على هذا
ليس عليك هداهم حتى تمنع الصدقة عليهم كي يسلموا وانما عليك الحث على مكارم الاخلاق وكل ما تبتغي
وجه الله سواء كان على بر او فاجر فهو واصل الى المنفق مشكور فيه سعيه وما تنفقوا من خير
يوف اليكم اجره كاملا وليس في هذا دلالة على ان الصدقة على الصالح والطالح سيان بل ترغيب
في الصدقة على الكافة وانتم لا تظلمون تنقصون من ثوابه للفقراء الذين احصروا في
سبيل الله اي اجعلوا صدقاتكم للفقراء الموصوفين او صدقاتكم لهم على الابتداء والخبر والاحصار
بالجهاد او المرض او الخوف لا يستطيعون ضربا في الارض لطلب المعاش لاشتغالهم بالجهاد او لوجود
المانع والاكثرون على انها نزلت في اصحاب الصفة من فقراء المهاجرين لم يكونوا محصورين في
عدد كانوا يزيدون وينقصون وكان رسول الله يامر اصحابه بان يعشي كل رجل واحدا منهم

فاذا فضل جماعة بعيشهم يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف لاظهارهم لغنا مبالغة في العفة وقرا
نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائي يحسب بكسر السين وهو المحتاد لانه لغة الحجاز تعرفهم بسيماهم
ات او كل احد برثاثة حالهم ولسان الحال انطق لا يسالون الناس الحافا الحاحا ومبالغة
بل ان يسالوا يسالون تعريضا واصل الالحاف من اللحاف كانه يسال كل شيء حتى اللحاف او لشمول
سوال الناس بشموله اللحاف صاحبه او لا يسالون الناس راسا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب
ولا انجحار وهذا اوجه لقوله يحسبهم الجاهل اغنياء ولما روى البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله
قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان انما المسكين الذي يتعفف اقروا ان شئتم لا يسالون الناس
الحافا ولم يرو عن هولاء الاجلاء سوال قط وايثار هذا الاسلوب للدلالة على ان حالهم كان يقتضي
الالحاف لولا غنى النفس بتعففهم على التعفف وما تنفقوا من خير فان الله به عليم حث على الاخلاص
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات كلها لا يتعللون بعذر ولا يوخرون
من وقت الى وقت ويدخل فيه النفقة على العيال وعن ابن عباس نزلت في علي بن ابي طالب كان
معه اربعة دراهم تصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وعن ابن
ابي حاتم نزلت في علف خيل الغزاة وقيل نزلت في الصديق تصدق باربعين الف دينار عشرة
بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون ادخل الفاء قصدا الى سببية اعمالهم اعتدادا بها وان كان الاجر فضلا منه تعالى الذين ياكلون
الربوا لم يعطف القصة على ما قبلها لكمال التباين بين الفرضين والربوا لغة الزيادة في الشرع زيادة
مخصوصة اما في الاجل كربوا النسيئة او في العين كربوا الفضل وانما كتب بالواو للدلالة على الاصل كالزكوة
والصلوة لا على لغة المفخم اذ لم يقرا به احد وكتب الالف بعده تشبيها بواو الجمع وخص الاكل لانه معظم منافع
ولانه اكثر ما يكون في المطعوم عند العرب لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس
من الجنون والخبط الضرب على غير الاستواء تشبيها بخبط العشواء ذلك العقاب بانهم قالوا انما البيع
مثل الربوا اي الربوا مثل البيع وانما عكسوا مبالغة في اعتقادهم حل الربوا حتى جعلوه الاصل المقيس
عليه واحل الله البيع وحرم الربوا هدم لقياسهم لانه في مقابلة النص ان لو كان صحيحا كيف وهو
قياس مع الفارق فان من اعطى درهمين بدرهم لا تقابل احد درهميه شيء ولان الفضل فيه متحقق
وفي البيع موهوم باختلاف الاوقات والاسواق فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف
لا يواخذ بما ادى قبل التحريم وامره الى الله يعامل بما يشاء ومن عاد الى الاستحلال فا
ولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مع سائر الكفرة يمحق الله الربوا المحق المحو والابطال
مناف للغرض لان مرتكبه لم يرم الا الزيادة اشارة الى انه لو لم يكن فيه عذاب الاخرة لكفى به زاجرا
ويربي الصدقات يكثرها او يكثر ثوابها لما روى البخاري عن ابي هريرة عن رسول الله
من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يربيه كما يربي احدكم فلوه
والله لا يحب كل كفار اثيم بالقول والفعل يشير الى ان من عاد بعد هذا البيان فهو
كفار اثيم وهذا الحكم مخصوص بالمستحل لانهم الذين يقولون انما البيع مثل الربوا وسيذكر حكم
مرتكب الفعل من دون استحلال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة و
اتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم لم يدخل الفاء للدلالة على تحقق الوقوع ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون افردهما بالذكر لزيادة الشرف يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا
ما بقي من الربوا نزلت في ثقيف وابو بني المغيرة بمكة في الجاهلية فلما جاء الاسلام طالبوا
فابوا وقالوا لا نودي الربا في الاسلام فتحاكموا الى عتاب بن اسيد قاضي مكة فكتب الى رسول الله
باسناد الحكم في ذلك فنزلت ان كنتم مومنين فان الامتثال لامر الله دليل الايمان
فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا الحرب واي حرب ولذلك لم يضف
وعن ابن عباس يقال لاكل الربا يوم القيمة خذ سلاحك للحرب وقرا حمزة وابو بكر آذنوا

وقع لما قال التفتازاني ان مرتكب الفعل
غير مذكور مع انه

آذنوا بالمد اي اعلموا غيركم وهذا ابلغ كانهم امتثلوا وامروا باعلام الغير وان تبتم فلكم رؤس اموا
لكم لا تظلمون غيركم ولا تظلمون انتم ومفهوم الاية انهم ان لم يتوبوا ليس لهم رؤس اموالهم
وهو كذلك ان كانوا مستحلين والا فحكمهم التعزير او المحاربة ان كانوا ذوي شوكة والمفهوم ملغى للاجماع
على خلافه او لان الكلام مسوق لدفع توهم ان سقوط راس المال من تمام التوبة وان كان ذو
عسرة فنظرة الى ميسرة اي ان وجد الغريم معسرا كان تامة والنظرة بمعنى الانظار اي فالحكم الانظار الى
اوان اليسار وقرا نافع ميسرة بضم السين وهي لغة الحجاز والتنوين للتقليل اشارة الى انه يحل الاداء في يسار وان
تصدقوا خير لكم اي تصدقكم بالانظار خير لكم من المطالبة لما روى الامام احمد من انظر معسرا قبل
ان يحل الدين فله بكل يوم مثله صدقة وان انظر بعد ان يحل فله بكل يوم مثلاه صدقة او بالابراء عن
راس المال لما روى مسلم من نفس عن غريمه او محى عنه كان في ظل العرش يوم القيمة وقرا عاصم تصدقوا
مخففا بحذف التا ان كنتم تعلمون حث على العمل واشار بان الى فضل العاملين واتقوا يوما ترجعو
ن فيه الى الله وقرا ابو عمرو بفتح اليا من الرجوع والضم ابلغ واشهر ثم توفى كل نفس ما كسبت
وهم لا يظلمون بنقص ثواب روى النسائي عن ابن عباس انها اخر اية نزلت عاش رسول الله
بعدها احدا وثلثين يوما وعن سعيد بن جبير عاش بعدها تسع ليال يا ايها الذين امنوا اذا تدا
ينتم بدين الى اجل مسمى يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا منه كقولك
بايعته اذا بعته او بعته وانما ذكر الدين لان المراد به احد العوضين فلا يدل عليه الفعل فيبقى الضمير
بلا مرجع او لتخليص المعنى المشترك ورفع الايهام فان التداين قد يكون بمعنى التجازي ولان التنوين
فيه للتنويع فلو لم يذكر لاوهم ان الدين لا يكون الا موجلا الى اجل مسمى اي اجل معلوم لان الجهل
بمقداره ينافي حكمة مشروعية الاجل ويودي الى التنازع فاكتبوه امر ارشاد لانه اوثق وعن ابن عباس المراد به السلم
بما حرم الله الربا احل السلم وليكتب بينكم كاتب بالعدل الجار والمجرور صفة اي كاتب مامون فقيه
عالم بالشروط ولا ياب كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير
ويجوز تعلقه بقوله فليكتب والمعنى نهى الكاتب عن الاباء عن الكتابة المطلقة ثم الامر بها مقيدة بالنهج الذي
ارشده الله اليه وهذا ابلغ لما في التقديم من المبالغة والتدرج من المطلق الى المقيد وليملل الذي
عليه الحق لا يملي الا الذي عليه الحق لانه المقر بالحق ولئلا يكون له سبيل الى النزاع وليتق الله ربه ولا
يبخس منه شيئا ولا ينقص في الاملاء عن حق صاحبه فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه
او ضعيفا شيخا كبيرا او صبيا او لا يستطيع ان يمل هو لعي او خرس فليملل وليه بالعدل
من يلي امره ويقوم مقامه واستشهدوا شهيدين من رجالكم من رجال المومنين تحملا واحرارا وجوز
شريح وابن سيرين شهادة العبيد لانهم من رجالنا وابو حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض
مع اختلاف الملل فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان اي وجوز شهادة اربع فيما لا يطلع
عليه غير النساء الحق فالمستشهد رجل وامراتان وخص الشافعي شهادة النساء بالاموال لعموم البلوى
ولانها لم ترد الا في اية المداينة وجوز شهادة اربع فيما لا يطلع عليه غير النسا وابو حنيفة بما عدا
الحدود والقصاص لقوله صلى الله عليه ادروا الحدود بالشبهات ولنقصان عقل المراة شبهة والقضاء بشاهد
واليمين ثبت بالاحاديث ولا مفهوم للاية ولو سلم لا يعارض النص كما في النكول عن اليمين ممن ترضون
من الشهداء لعرفون عدالتهم في محل الرفع على الوصف ان تضل احديهما فتذكر احديهما
الاخرى اي استشهدوا امراتين لان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت اي نسيت وانما ذكر
الضلال لانه الذي يجب به التذكير والعدول الى الظاهر للاعتنا بشان التذكير حتى كان المهروب
منه صار مطلوبا لاجله وقرا حمزة ان بالكسر شرطا ورفع تذكر لكونه جوابا بعد الفاء وقرا ابن كثير
وابو عمرو فتذكر مخففا من الاذكار والتشديد ابلغ ولذلك اتفقوا في فذكر وكان الظاهر فتذكرها
الاخرى وانما اعاد المظهر لايقاع التذكير على صريح ما اسند اليه الضلال ولا لبس لان الاخرى
غير الضالة ولان المعرفة المعادة غير الاولى ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا لاقامة الشهادة

ان تعينوا او تحلها واليه ذهب قتادة على هذا لفظ الشهداء مجاز باعتبار المشارفة فان قلت في صحيح
مسلم عن زيد بن خالد ان رسول الله قال الا اخبركم بخير الشهداء الذي ياتي بشهادته قبل ان يسالها وفيه
وفي البخاري الا ان خيركم شر الشهداء الذين يشهدون قبل ان يستشهدوا فما التوفيق قلت الاول محمول
على العدول الذين يقيمون الشهادة لله لاحياء حقوق الناس والثاني على شهود الزور البايعين دينهم
بدنيا غيرهم **ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا** كنى بالسامة عن الكسل اذ لا سامة قبل الفعل
عدل عنه لانه صفة المنافق لا ياتون الصلوة الا وهم كسالى او هو على اصله فيمن كثرت مداناته ولا تكرار
في ذكر الاجل لان الاول في العقد وهنا في الكتابة **ذلكم** اشارة الى المصدر تكتبوا اي الكتب **اقسط
عند الله واقوم للشهادة** افعلا التفضيل من المزيد على مذهب سيبويه لان قسط معناه جار
لا يبنى منه اقسط بمعنى اعدل وكذا اقوم لان المعنى اشد اقامة لا قاما وجعلهما من النسب كلابن
وتامر اي اشد قسطا واشد استقامة بعيد لعدم جريانهما على الفعل **وادنى الا ترتابوا** واقرب
من انتفاء الريب **الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم** اي الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد
كان ناقصة وتجارة اسمها وحاضرة نعت الاسم وتديرونها خبر كان وقرا عاصم نصب تجارة وحاضرة
على ان كان ضمير الاموال والوقع احسن **فليس عليكم جناح الا تكتبوها** فلا باس **واشهدوا اذا تبايعتم
ولا يضار كاتب ولا شهيد** يحتمل البنائين والمعنى على بناء الفاعل النهي عن اضرارهما بالزيادة
والنقصان في الكتابة والشهادة وعلى بناء المفعول ان تضر بان لا يعطى الكاتب اجره وان يحمل الشاهد
على المجي من مكان بعيد او يعجلا عن مهمهما **وان تفعلوا فانه فسوق بكم** اي ما نهيتم عنه **واتقوا
الله** في المحافظة على احكامه **ويعلمكم الله** استيناف لا حال لان المضارع المثبت لا يكون مصدرا بالواو
والله بكل شيء عليم ولذلك شرع الاحكام المذكورة رعاية لمصالحكم وكرر لفظ الجلالة لاستقلال
الجمل فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم شانه **وان كنتم على سفر ولم تجدوا
كاتبا فرهان مقبوضة** اي فالمستوثق به الرهان المقبوضة وذكر السفر خارج مخرج الغالب
لان اكثر اوقاتهم كانت في الجهاد وقد صح ان رسول الله انتقل الى جوار الله ودرعه مرهونة وعند مالك
لزومه لا يتوقف على القبض لقوله صلى الله عليه المسلمون عند شروطهم وقرا ابن كثير وابو عمرو
فرهن بضم الراء والهاء وكلاهما جمع رهن وكسر الراء اكثر **فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي
اؤتمن امانته** سماه امانة حيث اكتفى الداين بديانة المدين ولم ياخذ رهنا وفي ذلك حث له على ان
يكون عند ظن الداين به **وليتق الله ربه** في اداء الامانة جمع بين لفظ الجلالة والرب الدالين
على الجلال والكمال ترغيبا وترهيبا لعظم شان الامانة واليه اشار بقوله صلى الله عليه الدين امانة لا دين
لمن لا امانة له **ولا تكتموا الشهادة** الاقرار فالامانة بانه شهادة المرء على نفسه او خطاب للشهود **ومن
يكتمها فانه اثم قلبه** اي ماثم قلبه او قلبه ماثم قلبه خبران واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان فعله
ترجمانه او لانه رئيس الاعضاء والمضغة التي اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله
والله بما تعملون عليم وعيد على الكتمان **لله ما في السموات وما في الارض** خلقا
وملكا تقرير لعلمه وبرهان على قوله **وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله** حجة على من انكر الحساب
ولا يلزم منه التكليف بالمحال لان الحساب غير العقاب فالاية محكمة والصحيح انها منسوخة لما روى مسلم
انها لما نزلت ضج المسلمون منها فقال رسول الله اتقولون كما قال اهل الكتاب سمعنا وعصينا قولوا سمعنا
واطعنا فلما فعلوا نسخها الله بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها **فيغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء** دليل على ان اصحاب الكبائر في مشيته تعالى وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي
بجزم الفعلين عطفا على الجواب ومن رفع عطف على الشرطية وادغم الراء في اللام ابو عمرو وفي رواية
السوسي وفي احد وجهي الدوري وهو مذهب الكسائي والفراء ونقل عن سيبويه منعه معللا بان الراء
فيه تكرار يفوت بالادغام وقد قدمنا في امالة ابصارهم النقل عن الخليل ان لا تكرير في الراء ولا
شك ان ابا عمرو على كعبا في العربية من سيبويه ولو سلم فبعد نقل تواترا غايته ان يكون شاذا والعجب

فايد الكواشي

من القاضي

شاذا والعجب ممن هو قدوة في الدين يقتدى بمن ضل ويقدح في الكلام المتواتر سماعا عمن لا ينطق
عن الهوى وادغم باء يعذب في الميم نافع في رواية قالون وابن كثير في احد الوجهين وابو عمرو وحمزة
والكسائي **والله على كل شيء قدير** ومنه المغفرة والعذاب **امن الرسول بما انزل اليه
من ربه والمؤمنون كل** اي كل منهم مبتدا مخصوص **امن بالله وملائكته وكتبه ورسله** خبره
والجملة مستانفة لبيان المؤمن به فيحسن الوقف على المؤمنين او المؤمنون مبتدا والتنوين في الكل عوض عن ضمير
هم خاصة وهذا اوجه اعظاما لرسول الله بالافراد ولان ايمانه ليس بطريق الاستدلال وقرا حمزة
والكسائي وكتابه بالافراد على ارادة القران والجنس فيعم الكتب ويرادف الجمع واشملية المفرد في المعرف غير
مسلمة والنقل عن ابن عباس الكتاب اكثر من الكتب معارض بالقواطع والله يحب المحسنين والله لا يحب
الظالمين **لا نفرق بين احد من رسله** اي من جمع منهم لان احد اسم من يخاطب مفردا
كان او جمعا ذكرا كان او انثى **وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك** منصوب باضمار فعل اي اغفر مغفرتك التي
لا يقدر عليها غيرك **ربنا واليك المصير** ايمان بالبعث **لا يكلف الله نفسا الا وسعها**
الا ما يتيسر لها من غير ضيق ومشقة ولذلك اول ما فرض الصلوة خمسين صلوة ثم نسخ الى خمس **لها ما
كسبت وعليها ما اكتسبت** لا يتجاوزها مكسوبها اثر الاكتساب في الشر لانجذاب النفس الى الشهوات
دلالة على انه يثيب على الخير كيف ما كان ولا يجازي على الشر الا بعد اعتمال وتصرف لطفا منه ولما قالوا
غفرانك اردفه بهذا الكلام دلالة على غفرانه اذ لو كلفوا فوق الطاقة لم يقدروا على الطاعة وسماع القبول
اعتراض حسن بين اجزاء المحكي عنهم **ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا** اي لا تؤاخذنا تفريطا يكون
سببا للوقوع فيهما لانهما قل ان ينفعا الا عن تفريط سابق او ما تسبب عنهما كالقتل خطا ونسيانا لانه لا مؤاخذة
في نفس الخطا والنسيان لقوله صلى الله عليه رفع عن امتي الخطا والنسيان او ان الله تعالى حكى عنهم ثناء عليهم دلالة
على ان ساحتهم بريئة من لوث العمد فيختص بمن اتقى الله حق تقاته او المطلوب استدامة ما علم ودوامها
للشكر عنه من نجز التكليف بما ليس بمقدور **ربنا ولا تحمل علينا اصرا** الاصر الثقل الذي يحبس صاحبه
في مكانه **كما حملته على الذين من قبلنا** من الامم كالقتل للتوبة وقطع الاعضاء الخاطية وقرض موضع
النجاسة ووجوب القصاص بدون جواز العفو وغيرهما من احكام التورية **ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**
من البلاء والعقوبات النازلة بالذين كلفوا الاصار ويجوز ان يكون تكريرا للاول اهتماما بطلب
العفو وقيل المراد ما لا تطيقه البشر فيدل على جواز التكليف بالمحال وفيه انه كان اللايق بالنظم تقديمه
على سؤال وضع الاصر عنهم لان اعظم الخطرين يقدم علاجا **واعف عنا** ما سلف **واغفر لنا** واستر
سيئاتنا ولا تفضحنا **وارحمنا** بالتوفيق والعصمة عن الوقوع في شيء منها **انت مولانا** سيدنا او ناصرنا او
متولي امورنا **فانصرنا على القوم الكافرين** فان من شان السيد نصر عبده او فان ذلك
من امورنا التي انت تتولاها ختم السورة الكريمة بما بدات به من ذكر اوليائه السامعين المطيعين
الذين امنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله وجعل ختام ذلك كل ما يدل على ان كمال حال العارف
ان لا يزال مستمدا من بحر جوده الفايض بلسان الحال والمقال اذ بذلك ارتقاؤه في مدارج الكمال واقباله
لانوار الجلال ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين روى البخاري عن ابن
مسعود ان رسول الله قال من قرا الايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وروى مسلم ان رسول
الله لما انتهى الى السدرة المنتهى اعطي ثلاثا الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك
من امته وروى النسائي عن ابن عباس ان جبريل كان عند رسول الله فسمع نقيضا فرفع بصره وقال
هذا باب فتح من السماء ما فتح قط نزل منه ملك لم ينزل قط فاتى رسول الله وقال ابشر بنورين
اوتيتهما لم يؤتهما نبي فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة والاحاديث في فضايلها لا تعد تمت والحمد لمن الاؤه
جلت والصلوة على من به دايرة الوصل تمت **سورة ال عمران مدنية وهي مائتان ايات بسم الله الرحمن الرحيم**
الم اسم السورة او حروف مقطعة صدرت بها السورة ايقاظا وقد سبق انها معربة ساكنة الاعجاز
وقفا لعدم مقتضى الاعراب وعند القايل بالبناء ايضا سكونها سكون وقف ولذلك اعز فيها

فايد القاضي

التقاء الساكنين وبقيت الف الوصل مثل واحد اثنان وكان القياس سكون الميم في الم الله الا ان القراء
اطبقوا على تحريكه واوثر الفتح للخفة وتفخيم اللام في الله فذهب سيبويه وطائفة الى ان الحركة لالتقاء
الساكنين والفتح لما اشير اليه واخرون الى انها حركة الهمزة نقلت بعد حذف الهمزة تخفيفا لان
الميم في حكم الوقف فهمزة الوصل للقطع لكونها في الابتداء فان قلت نقل الحركة الى ما قبل من احكام
الوصل فاذا كان الميم في حكم الوقف فما وجه النقل قلت لانه وقف معنى لكونه على نمط التعديد
ووصل لفظا لعدم السكت وروى يحيى عن ابي بكر عن عاصم السكون على الاصل الله لا اله
الا هو الحي القيوم تقدم عليه الكلام في اية الكرسي والحديث الوارد في ان الاسم الاعظم
في هاتين الايتين نزل عليك الكتاب القران منجما لذكره في مقابلة انزل بالحق بالعدل
او بالصدق او بالاعجاز الدال على انه من عند الله مصدقا لما بين يديه من الكتب
حال موكدة من المفعول وبين مستعار من المكان للزمان لما بينهما من التلبس وانزل التو
رية والانجيل جملة على موسى وعيسى افردا بالذكر لعظم شانهما ودخول اللام عليهما دليل
العربية واليه ذهب نحاة البصرة والكوفة واشتقاق التورية من الوري وهو اتقاد النار بالزند لكونها
مظهر الاحكام والوقايع اصلها وورية قلبت الواو الاولى ياء كما في تولج والانجيل من النجل وهو الاتباع
لكون اكثره محامد وتقديسا وقيل لفظان عجميان من قبل من قبل القران هدى للناس حال
من الكتابين واللام للعهد اي للناس الذين تعبدوا باحكام التورية والانجيل وانزل الفرقان
اي القران اعادة لترتب عليه ما بعده وغير العنوان للدلالة على كونه فارقا بين الحق والباطل باعجازه دون
التورية والانجيل وقيل هو زبور داود وذكره بعد التورية والانجيل لاشتماله على المواعظ والزواجر وجنس
الكتب لان كلها تفرق بين الحق والباطل ان الذين كفروا بايات الله الدالة على تفرده بالالوهية
وصدق الرسل والكتب لهم عذاب شديد بحص بهم والله عزيز ذو انتقام غالب لا يغالب
لا يقدر على مثل انتقامه منتقم وهو عقوبة المجرم من النقم وهو الغيب ان الله لا يخفى عليه شيء في
الارض ولا في السماء تقرير لقيوميته لان القايم بنفسه المقيم لغيره يلزمه ان يكون بهذه المثابة من العلم و
الشيء المنكر في سياق النفي يتناول كل موجود وعبر عن العالم بالسماء والارض لان الحس لا يتجاوزهما
فيهما العالم ظاهرا او قدم الارض لانها بالانحطاط ابعد عن مقام كبريائه العلم بها ادل على كمال العلم
ولانها محل نزول الكتب ودار التكليف وقيل قدمت ترقيا هو الذي يصوركم في الارحام
كيف يشاء تحقيق لكمال علمه بتصوير الجنين في ظلمة الرحم كيف ما يتعلق به ارادة على اشكال مختلفة
وصور متباينة على برد السود في كل الاقطار وفيه رد على النصارى دعوى الالوهية لعيسى لانهم
قائلون بانه مصور في الرحم فان صدر السورة الى نيف وثمانين اية نزلت في وفد نجران على ما ياتي شرح
القصة لا اله الا هو تنجح للسابق لاختصاص ذلك الشان به فلا الوهية لغيره العزيز الغالب لكمال
قدرته الحكيم المتقن في صنعه بوفور علمه وبالغ حكمته هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات
محكمات حفظت عن الاجمال والاشتباه هن ام الكتاب اصل الذي يدل على اصل الشرع و
فروعه ويرد اليه غيره بالتاويل افرد ام وكان الظاهر امهات باعتبار كل واحدة واخر متشا
بهات محتملات لا يتضح المقصود منها بسهولة بل يحتاج الى استنباط علوم يتوقف الاطلاع عليها
على تحصيلها مع اتعاب القرايح وتدقيق النظر وردها الى المحكم لينال الراسخون بذلك معالي الدرجات
فاما الذين في قلوبهم زيغ ميل عن الحق الى الباطل فيتبعون ما تشابه منه
ابتغاء الفتنة طلب فتنة الناس بالتشكيك في دينهم وابتغاء تاويله بما يشتهونه وما
يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم الثابتون فيه بقدم راسخ المتمكنون
منه غاية التمكن فانهم يحملونه على الحق الذي يجب حمله عليه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما
استاثر الله بعلمه كعدد الزبانية والاول هو الوجه لان الايمان بان الكل من عند الله حاصل لعموم
المؤمنين فيتدرك وصف الرسوخ ولان تخصيص الراسخين لو كان الايمان به دون العلم لكان

لكان الاوفق واما الراسخون لكونه في مقابلة الزايغين ولان ام الكتاب في وصف المحكم انما يظهر بارادة
اليه المتشابه ولان حصر الكتاب في القسمين لا يتم اذا فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه ولان التذييل بقوله
وما يذكر الا اولو الالباب يوكد رسوخهم بانهم خالص عقولهم واصلون الى كنه الامر واقفون على الحقايق النائية
عن نصاب غيرهم واعلم انه لا منكر لاشتمال القران على حقايق لا سبيل للبشر عليها لقوله وما اوتيتم
من العلم الا قليلا ولقوله صلى الله عليه هو البحر لا تنقضي عجايبه انما الكلام في المتشابه المذكور في قوله
واخر متشابهات في ان ما سيق لتلك المعاني التي استاثر الله بها اله ظاهر كلفنا بعلمه وباطن كلفنا تصديقه
ايمانا وفيه جمع بين ما درج عليه السلف واستمر عليه الخلف والمحكم اصل يرجع اليه كل من القسمين
احدهما بيانا والاخر ايمانا يقولون امنا به مستانف على الوجه الاول موضح لحال الراسخين او
حال من المعطوف لقيام القرينة كما في قوله ويعقوب نافلة وضمير به للمتشابه او الكتاب كل من عند ربنا
كل من القسمين وما يذكر الا اولو الالباب عطف على يقولون وعلى ما يعلم تاويله على الوجه الثاني
ربنا لا تزغ قلوبنا لا تملها عن منهج الراسخين بعد اذ هديتنا اليه وهب لنا من لدنك رحمة توفيقا
بما يزلفنا عندك او علما فايضا من جناب قدسك لا طريق اليه بالكد والتعلم انك انت الوهاب حقيقة
ومن عداك وان افاض فهو مستفيض منك راجع دك ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه
بدل من النداء الاول من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بتقدير مضاف اي لحسابه ولجزائه ان الله
لا يخلف الميعاد الوعد مصدر كالموعد والالتفات من الخطاب الى كلمة الجلالة للدلالة على ان
الالوهية في الخلف للمعنى الاصلي قبل العلمية ان الذين كفروا برسول الله ليعم الشيء بالفرعون
والذين من قبلهم لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من هذه بدلية وشيئا اما مصدر
مفعول به اي شيئا من الاغناء او شيئا من الاشياء بدل طاعة كقوله فليت لنا من ماء زمزم شربة اي بدله
ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد ويجوز ان يكون للابتداء واولئك هم وقود النار ما يوقد به
كداب ال فرعون الداب كالكدح هو الاستمرار على العمل اريد به الاستمرار على الظلم والكاف في محل
الرفع اي داب هؤلاء كداب ال فرعون او النصب مصدر لن تغني او وقود اي عدم اغناء مثل عدم الاغناء
عن ال فرعون او توقد بهم النار كما توقد باولئك والذين من قبلهم من الامم كذبوا باياتنا
جملة حالية او استيناف او خبر الذين ان جعل مبتداء فاخذهم الله بذنوبهم من التكذيب وغيره
والله شديد العقاب تهويل للمواخذة وزيادة تحذير قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد
الخطاب لمشركي مكة والمراد مغلوبيتهم يوم بدر وعن ابن عباس الخطاب لليهود جمعهم رسول الله بعد بدر
بالمدينة وقال يا معشر اليهود احذروا ما نزل بقريش اسلموا قالوا لا يغرنك انك قاتلت قوما اغمارا بالحرب
لئن قاتلتنا ليعلمن انا نحن الناس وقيل كانت اليهود بعد بدر اتفقوا على انه النبي المبشر به في التورية
وعزموا على اتباعه فقال بعضهم تصبروا حتى ننظر له وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا في امره فهذا
يدل على نزولها بعد احد والاول قبل بدر والوسط على الوسط وقرا حمزة والكسائي الفعلين
بياء الغيبة والمعنى بلغهم كالا في سيغلبون كقوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم قد كان لكم اية
في فئتين التقتا الخطاب للمشركين او للمؤمنين او لليهود او للكل فئة تقاتل في سبيل
الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي العين رؤية مكشوفة لا لبس فيها اي يرى المؤمنون
المشركين مثلي عدد المسلمين وكان المسلمون ثلثماية وبضعة عشر والمشركون نحو الف قللوا في اعينهم
ليجترؤا عليهم لا لانهم كانوا مامورين بمصابرة مثليهم بقوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين لان سورة الانفال نزلت بعد بدر او يرى المشركون المؤمنين مثلي عددهم سمائة ونيفا و
مثلي عدد الكفار لعين كثر الله المؤمنين في اعينهم ليجبنوا وقوله ويقللكم في اعينهم قبل التحام
القتال وقرا نافع بالخطاب للمشركين اي ترون المؤمنون مثلي عددهم او مثلي فئتكم او للمؤمنين
او لليهود والتقدير ترونهم رؤية لو رايتموهم الخطاب للكل وهذا اوجه لان للكل انه في
ذلك ولقوله ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ومحل يرونهم على الغيبة استيناف وعلى الخطاب

حال من ضمير لكم ولا يقدح هذا في الحسابات لانها معجزة خارقة **والله يؤيد بنصره من يشاء** كما نصر أهل بدر مع قلتهم **إن في ذلك** النصر **لعبرة لأولي الأبصار** لعبرة لمن له بصيرة فعلة من العبور والمراد بها التجاوز من الشيء الى اشكاله ونظايره **زين للناس حب الشهوات** المزين هو الله لانه الخالق وعن الحسن هو الشيطان عبر عن المشتهيات بالشهوات مبالغة كانهم احبوها حتى احبوا شهواتها والاوفق بمقام الشيطان يكون اشارة الى استرذالها صفة البهايم واختها اكثرها شهوة كالخنزير فانه مثل في ذلك ويظهر ان لا وجه لما قيل زينها لهم ليتوسلوا بها الى السعادة الابدية **من النساء والبنين والقناطير المقنطرة** القنطار المال الكثير روى الامام احمد عن ابي هريرة انه سئل عنه رسول الله فقال اثنا عشر الف اوقية وروى الحاكم عن انس الف اوقية والقنطرة من قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة وانما وصف القناطير بها على طريقة العرب اذا اراد المبالغة كقولهم ليل اليل وظل ظليل **من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث** المسومة من السومة وهي العلامة اي الخيل الجياد كانها شامة بين الخيل وقيل من السوم وهو الرعي والانعام الازواج الثمانية الابل والبقر والضان والمعز **ذلك متاع الحياة الدنيا** سماه او الاشياء وآخرها متاع الدنيا مبالغة في التحقير **والله عنده حسن المآب** اي المآب الحسن وفيه ايماء الى زوال ذلك المتاع القليل **قل أؤنبئكم بخير من ذلكم** المذكور **للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** كلام مستانف لبيان ما هو خير لقولك هل ادلك على رجل فاضل عندي رجل نعته كذا وكذا ويجوز ان يتعلق اللام بخير والتقييد بالمتقين لانهم المنتفعون ويرتفع جنات على الخبر اي هو جنات وعند ربهم يتعلق باتقوا على معنى ثبت تقواهم عند ربهم شهادة لهم بالاخلاص ويجوز ان يكون خبرا مقدما **وأزواج مطهرة** مما يستقذر في النسا **ورضوان من الله** الذي هو فوق كل نعمة وقرا ابو بكر ورضوان بضم الراء كالرجحان لغة تميم وقيس والكسر اخف واشهر **والله بصير بالعباد** حث على الاخلاص **الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار** رفع او نصب على المدح او جر صفة المتقين او العباد وفيه طول الفصل على الاول وتخصيص العباد بالمتقين على الثاني والمعنى على العموم وترتب سوال الغفران على الايمان وحده دل على انه كاف في الاستحقاق **الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار** صفة الذين يقولون او مدح بعد مدح وتوسيط الواو بين الصفات للدلالة على كمالهم في واحدة والتقييد بالاسحار لانه وقت شريف روى البخاري عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه ينزل ربنا الى السماء الدنيا اذا بقي الثلث الاخير من الليل ويقول هل من تائب فاتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له وذلك كل ليلة ونظام الصفات على وفق احوال السالك فان اول امره قطع المالوفات والصبر على مفارقتها ثم الصدق في عدم العود اليها ثم الدوام على الطاعة بدل المعاصي لان الحسنات يذهبن السيئات ثم انفاق المال الذي هو شقيق الروح وحبه راس كل خطيئة ولذلك جعله رسول الله برهانا ثم الاستغفار مما يعتريه من النقص الذي هو من لوازم البشرية ولذلك قال سيد المقربين انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة **شهد الله أنه لا إله إلا هو** استدل على وحدانيته بالادلة المبثوثة في الآفاق والانفس ثم شرع في الادلة النقلية وقطع على الاول لانه فرغ من اخر شبهت دلالته على وحدانيته بانزال الكتب وارسال الرسل على طريقة الاستعارة التبعية بالشهادة والوجه الكشف والبيان **والملائكة** بالاقرار **وأولو العلم** بالاستدلال والكل داخل تحت الدلالة فلا جمع بين الحقيقة والمجاز **قائما بالقسط** مقيما للعدل والباء للتعدية حال من فاعل شهد وجاز افراد المعطوف عليه به لعدم اللبس كما في ويعقوب نافلة او حال عن الملائكة واولي العلم اعتبارا بشهادتها او نصب على المدح وهو في النكرة قليل لاسيما اذا كان المنتصب عنه معرفة كما في الآية لانه في الاصل وصف مقطوع وجعل صفة اسم لا بعيد لوجود الفاصل الاجنبي والاوجه ان يكون حالا من هو لانه اقرب وادل على المقصود وهو دخوله تحت الشهادة كالتوحيد واوفق بالاستعمال من ان الحال المؤكدة اكثر

قابل القاضي

اكثر ما يكون بعد الجملة الاسمية حتى ظهر كثيرون ذهبوا الى انها لا يكون الا كذلك وان كان الحق خلافه وكذا جعله نصبا على المدح من هو اوجه من جعله مدحا من فاعل شهد **لا إله إلا هو العزيز الحكيم** كرره لان التوحيد اعظم المقاصد واثر الوصفين لان العزة وهي القهر والغلبة تلايم الوحدانية والحكمة القيام بالقسط وارتفاعهما على البدل من هو وقيل صفة فاعل على شهد وفيه طول الفصل بين الصفة والموصوف روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود يجاء بصاحب شهد الله يوم القيمة فيقول الله لعبدي عندي عهد ادخلوه الجنة **إن الدين عند الله الإسلام** لا غير من قصر المسند اليه على المسند والجملة موكدة بجملة شهد الله ابدا بان الاسلام هو التوحيد والعدل والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد وقرا الكسائي ان بالفتح بدل كل من انه لا اله الا هو **وما اختلف الذين أوتوا الكتاب** اليهود والنصارى او ارباب الكتب كلها في دين الاسلام فقال بعضهم حق وبعضهم مخصوص بالعرب ونفاه اخرون راسا او في التوحيد فثلث النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله او اليهود وذلك ان موسى استودع التورية سبعين حبرا فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين اللام في الاول والثالث للعهد وفي الثاني للجنس **من بعد ما جاءهم العلم** بحقيقة الامر **بغيا بينهم** ظلما وحسدا على حظوظ الدنيا **ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب** وعيد لهم **فإن حاجوك** جادلوك بعد ظهور الحق **فقل أسلمت وجهي لله** دفعا للمحاجة اذ لا معنى لها بعد اتضاح الحق والوجه مجاز عن الذات **ومن اتبعن** كذلك عطف على التاء في اسلمت وحسن لوجود الفصل **وقل للذين أوتوا الكتاب** قبل القران **والأميين** مشركي العرب **أأسلمتم** الاستفهام لاستقصار السامع وتعييره بالمعاندة بعد تلخص الحق كما يقول بعد تحرير المسئلة بالبرهان الساطع لمن يقصر فهمه هل فهمت لا ام لك نعيا عليه بالبلادة وكقوله تعالى فهل انتم منتهون في تحريم الخمر اشارة الى شدة حرصهم على شربها **فإن أسلموا فقد اهتدوا** فقد نفعوا انفسهم **وإن تولوا فإنما عليك البلاغ** فلم يضروك لانك مبلغ وقد بلغت **والله بصير بالعباد** وعد ووعيد **إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم** روى ابن ابي حاتم عن ابي عبيدة انه سئل رسول الله عن اشد الناس عذابا قال رجل قتل نبيا او من امر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قال قتل بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا اول النهار فقام مائة وسبعون امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوهم اخر النهار وعن ابن مسعود اقاموا سوق بقتلهم اخر النهار والحكم على المعاصرين بدليل قوله فبشرهم وهم لم باشروا القتل لرضاهم بفعل الاوائل وودادتهم حول قتل محمد ولذلك اثر المضارع الدال على الاستمرار وتنكير الحق هنا وتعريفه في البقرة مع وحدة القصة تفنن واشارة الى ان العهد الذهني بمثابة النكرة وقرا حمزة ويقاتلون من المقاتلة والقصر ابلغ ذما والرسم مختلف **أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين** يدفع عنهم العذاب الجمع لقصد التوزيع كما سبق **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب** اي نصيبا هو الكتاب او نصيبا منه على انه من بيان او تبعيض واللام للعهد لان المراد به التورية او من جنس الكتب ومن ابتدائية وتبعيض او من اللوح ومن ابتدائية والتنوين للتعظيم **يدعون إلى كتاب الله** الى التورية وعن الحسن هو القران لانهم لم يشكوا فيه **ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم** لان فريقا منهم امنوا **وهم معرضون** وهم قوم دابهم الاعراض نزلت في الرجم وقيل في رد دعواهم ان ابرهيم كان يهوديا ثم لاستبعاد التولي بعد العلم بانه كتاب الله **ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات** سبعة ايام بعدد بقاء الدنيا سبعة الاف سنة بكل الف يوم او افراء منهم **وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون** من انهم ابناء الله واحباؤه وان اباءهم الانبياء تشفع لهم وغير ذلك من اكاذيبهم **فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه** كيف يكون حالهم في ذلك اليوم استعظام لما يحيق ويكذب لدعويهم بابلغ وجه **ووفيت كل نفس ما كسبت** جزاء كسبها **وهم لا يظلمون** بنقص ثواب او زيادة عقاب الضمير للنفس لانه في معنى كل الناس **قل اللهم مالك الملك** الميم المشددة عوض عن حرف

النداء لانه حرفان واوثر الميم لانه مثفوى كالواو وهذا من خواص هذا الاسم كاختصاصه بالقسم
وقطع الهمزة فى النداء وجمع حرف النداء التعريف ومالك الملك نداء ثان عند سيبويه لان اللهم
لا يوصف لان وقوع خلف حرف النداء بينهما كوقوع حرف النداء وعند الكوفيون اصله يا الله امنا
بخير خفف لكثرة الدور ومثل عمرا صباحا ورد بانه يجوز الجمع اذا ويمتنع اللهم العنه ونحوه تؤتى الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء الملك الاول لمقام المدح ولانه المفهوم الاصلى والاخيران
بعض لان المعطى والمنزوع حصة وتعز من تشاء بالتوفيق والنصر وتذل من تشاء بالخذلان
والادبار بيدك الخير لم يذكر الشر مراعاة للادب فى الخطاب او لان الكلام فيه لما روى
البخارى لما خط رسول الله الخندق يوم الاحزاب ظهرت كدية لم تعمل فيها المعاول توجهوا اليه سلمان
فاتى واخذ المعول وضربه صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتى المدينة فكبر وكبر المسلمون وقال
اضاءت لى قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية وقال اضاءت لى القصور الحمر من ارض
الروم ثم ضرب الثالث وقال اضاءت لى قصور صنعاء واخبرنى جبرئيل ان امتى ظاهرة على كلها فابشروا
فقال المنافقون يمنيكم ملك فارس والروم وانتم تحفرون الخندق حول المدينة من الفرق انك على كل شئ
قدير ثم استدل على ذلك باهر قدرته بقوله تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى
الليل تعاقبهما وتخرج الحى من الميت الحيوان من النطفة او العالم من الجاهل وتخرج
الميت من الحى النطفة من الحيوان او الجاهل من العالم وترزق من تشاء بغير حساب
ومن هذا شانه ايتاء جزء من الملك ونزع ايسر ما يكون عليه وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
وعاصم الميت مخففا لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين متجاوزين عنهم
لانه ولايتهم منفردة عن موالاة الكفار وذلك لان الحب فى الله والبغض فى الله اصل كبير فى
الايمان على ما روى البخارى من احب الله وابغض لله فقد استكمل الايمان ذكره عقيب ما بين ان
الخير كله بيده حسما للتوسل نفع منهم ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ بل منسلخ عنه اذ الضدان
لا يجتمعان قال تود عدوى ثم تزعم اننى صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا
منهم تقاة فحسنوا معهم ظاهرا من كلام عيسى بن مريم كن وسطا وامش جانبا ويحذركم
الله نفسه فى مخالفة اوامره والى الله المصير فاستعدوا للقائه قل ان تخفوا ما فى صدوركم
من موالاة الكفار وغيرها او تبدوه يعلمه الله لاستواء الكل فى علمه ويعلم ما فى السموات
وما فى الارض علما حضوريا والله على كل شئ قدير فيقدر على عقوبتكم
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه
امدا بعيدا يوم نصب بتود وما عملت عطف على ما عملت اى يود كل نفس يوم تجد خيرها وشرها حاضرين
لو كان بينها وبين ذلك اليوم امدا بعيدا ويجوز ان يكون منصوبا باذكر ويقع على ما عملت
وحده ويرتفع ما عملت من سوء على الابتداء وخبره تود وضمير بينه لما عملت من سوء ويجوز
عطف ما عملت على ما عملت ويكون تود حالا والضمير اما لليوم او لما عملت وما موصولة لا لان
الشرط لا يصح لارتفاع يود لان فعل الشرط اذا كان ماضيا والجزاء مضارعا مثبتا يجوز فيه الرفع والجزم
واطباق القراء على احد الجائزين وان كان مرجوحا جائز كقوله وجمع الشمس والقمر بل لان هذا الكلام
حكاية الكائن فى ذلك اليوم والموصولة تفيد الوقوع والكينونة ولا كذلك الشرطية ويحذركم
الله نفسه كرره تاكيدا ليكون نصب عينهم والله رؤف بالعباد ولذلك بين لهم وحذر
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وعن الحسن نزلت فى قوم ادعوا محبة الله والمحبة امر وجدانى
لا يحتاج الى كشف وبيان بل لها مايميزها عن ساير الوجدانيات وعن هذا قيل هى ادراك الكمال من
حيث انه مؤثر فكلما كان الكمال اشد يكون المحبة اقوى وعن بعض العارفين المحبة سارية فى
الموجودات كلها عليها مدار المبدا والايجاد وفى الجملة محبة العبد لله ايثار طاعته ومن الله الرضى و
القبول ويغفر لكم ذنوبكم اذ لا عقوبة مع الرضى والله غفور رحيم كثير الغفران

الاول رد على الكشاف فى منع الشرط لكون المضارع مرفوعا والثانى على الامام حيث استدل لما تعاف القراء على الرفع على انها موصولة سلمه الله منه

الغفران والاحسان فكيف بمن احب قل اطيعوا الله والرسول بيان لاتباع الذى هو سبب محبة الله
ولم يعد الفعل لانه مامور به بخلاف واطيعوا الله واطيعوا الرسول ويا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول لانه ابتداء كلام منه تعالى اعتناء بطاعة رسوله فان تولوا تتولوا حذف احدى التائين ويجوز
ان يكون ماضيا اخبارا من الله فان الله لا يحب الكافرين ايثار المظهر للاشارة الى العلة وليعمهم و
غيرهم ان الله اصطفى آدم ونوحا بالنبوة وآل ابراهيم اسماعيل واسحق كان من قول
اهل الكتاب لو كان النبى الموعود لكان من ولد اسحق فكذبهم الله وآل عمران موسى وهرون
ابنى عمران بن يصهر وعيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة على العالمين
كلهم فيه دليل على فضل الانبياء على الملائكة ذرية بعضها من بعض متصل متشعب بعض من بعض
وقد دخل فى آل ابرهيم رسول الله وفى آل عمران عيسى وكذا فى الذرية او فى الدين كقوله المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع لقول اهل الكتاب عليم بمن يصلح للاصطفاء اذ قالت امرأة
عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا اذ نصب باذكر او متعلق بسميع عليم على التنازع هذه حنة بنت فاقوذا كانت
عقيما وقد عجزت قال ابن اسحق رات طايرا يطعم فرخه فاشتهت الولد وقالت اللهم ان رزقتنى ولدا حررته لسدانة
المسجد الاقصى وكان هذا مشروعا فى شرعهم فلما احست بالحمل قالت هذا الكلام عزما على الوفاء فتقبل
منى هذا النذر انك انت السميع العليم اظهار لاخلاصها فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى
كان المحرر للسدانة خاصا بالذكور وكان قولها انى نذرت لك ما فى بطنى محررا سؤالا وطلبا لان يكون
الولد ذكرا ابد ذكر لازمه فلما خاب رجاؤها اظهرت التحزن والتحسر فليس المراد فايدة الخبر ولا لازمها
وانثى فى محل النصب على الحال وتانيث الضمير العايد الى ما باعتبار الخبر لان الحال خبر معنى كانها قالت
وضعت ما فى بطنى انثى من غير اعتبار التانيث فى الضمير ليلزم ان يكون التقدير وضعت انثى انثى
والله اعلم بما وضعت بالشئ الذى وضعته تعظيم للمولود لما نيط به من عظايم الامور وكونها
وابنها آية للعالمين وقرا ابن عامر وابو بكر وضعت بتاء التكلم كانها سلت نفسها وقالت لعل فيها سرا
وليس الذكر كالانثى ليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبتها بل هى اشرف واجل بيان
وتفسير لقوله والله اعلم بما وضعت واللام فى الاسمين للعهد خارجا اما الانثى فلسبق الذكر صريحا و
اما الذكر فلان ما فى بطنى كناية عن الذكر بقرينة التحرير وقيل من تمام قولها تحسرا اظهارا للتفاوت و
ليس بوجه لعدالته بقوله والله اعلم بما وضعت وانى سميتها مريم عطف على انى وضعتها
لان التسمية منها بدليل وانى اعيذها بك وما بين المعطوفين معترضان متعاطفان و
ذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن باقامتها مقام الذكر ولم يقبل قبلها انثى
للسدانة وصانها وذريتها من مس الشيطان على ما روى البخارى وسلم ما من مولود يولد الا مسه الشيطان
حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا ابن مريم وامه ولا يلزم من ذلك الاغواء واختصاص بعض المصطفين
بامر لا يوجب تفضيلا على الباقين وانبتها نباتا حسنا بين الانبياء والصالحين وكفلها زكريا
كانت تحته خالتها ايشاع بنت فاقوذ اخت حنة وقوله فى حديث المعراج عيسى ويحيى ابنا خالة نحو يجعل خالة الام خالة
وقرا الكوفيون كفلها بتشديد الفاء وزكريا بالقصر الا شعبة فانه مده ونصبه والباقون بالتخفيف مع المد
مرفوعا والقصر اخف وانسب بموسى وعيسى ويحيى كلما دخل عليها زكريا المحراب لما بلغت
مبلغ النساء بنى لها زكريا غرفة فى مقدم المسجد يرقى اليها بالسلم والمحراب كل موضع مشرف عال ومنه محراب
المسجد وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه قال يا مريم انى لك هذا فان الابواب
مغلقة قالت هو من عند الله كرامة كان يجد عنده فاكهة الشتاء فى الصيف وبالعكس ان الله
يرزق من يشاء بغير حساب من كلامها او من كلامه تعالى روى ابو يعلى عن جابر ان فاطمة اهدت
لرسول الله فى المجاعة رغيفين وبضعة لحم اثرته بها فرجع اليها بها وقال هلم يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو
مملو خبزا ولحما فقال انى لك هذا قالت هو من عند الله فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء العالمين
هنالك دعا زكريا ربه فى ذلك المكان او الزمان على انه هنا استعارة قال رب هب لى من

كذلك ذرية طيبة كان شيخا كبيرا وامراته عاقر ولذلك قال من لدنك كقول مريم هو من عند الله
وانما طلب في ابان كبره لقوله اني خفت الموالي من وراي وقيل لما ولدت حنة مريم وهي عقيم تنبه وقيل من روية
فاكهة الشتاء في الصيف انك سميع الدعاء دعائي او كل دعا فنادته الملائكة وهو قائم يصلي
في المحراب لم يبرح من مكانه المنادي جبرئيل والجمع للتعظيم والذرية فعليه او فعولة الذرء قلبت الهمزة
ياء وادغمت وقراء حمزة والكسائي فناداه لان المونث غير حقيقي والتانيث احسن لعدم الفاصل ان الله
يبشرك بيحيى سماه الله تشريفا له وقراء ابن عامر وحمزة ان بالكسر لان النداء في معنى القول وقراء
حمزة والكسائي يبشر مخففا من البشارة والتشديد ابلغ واكثر مصدقا بكلمة من الله بعيسى فهو
اول من امن به سمي عيسى كلمة لتكونه من كلمة كن او بكتاب الله وكلامه كقوله وكلمة الله هي العليا ولخصاصها
باللفظ المفرد عرف طار وسيدا شريفا في قومه بالتقوى لم يذنب ولم يهم به قط وحصورا نفسه
عن النساء اشعالا بالطاعة لا لآفة عنه فانه نقص يصان عنه الانبياء او عن مذام الاخلاق كلها ونبيا
من الصالحين ناشا من قوم صالحين وصف له بالنسب الفاخر بعد الثناء عليه بالحسب الزاكي قال
رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر استعلام لكيفية حصوله ايكون وهما على حالهما
او يعودان شابين كان عمره سبعين سنة وعمر امراته ثمانين لا استبعاد من قدرته تعالى كيف وهو الطالب وامراتي عاقر
ابتداء وامراتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء على هذه الصفة وهو التوليد من الشيخ الهرم و
العجوز العاقر يفعل كل شيء تعلقت به مشيته عن تفاوت قال رب اجعل لي اية اعرف بها الحمل
لاتلقاه بالشكر ويزول عني مرارة قال ايتك الا تكلم الناس ثلث ايام متتابعها القوله في مريم
ثلث ليال الحبس لسانه عن التكلم الا عن ذكر الله اشتغالا لها بما ابتغاه لا لآفة خرس لقوله في مريم سويا
اي سالما وحذو لكون تلك اسبق نزولا الا رمزا اشارة اصل التحرك لانه يحصل من تحريك الحاجب
ومنه يسمى البحر راموزا والاستثناء منقطع او متصل لانه يفهم منه ما يفهم من الكلام واذكر ربك
كثيرا وسبح بالعشي والابكار لانهما اشرف الاوقات واقرب الى الاجابة وعبر عن الكل بالطرفين واذ قالت
الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك بالقبول ولم يقبل انثى للسدانة قبلها او بالرزق من
عنده وطهرك من اقذار النساء او مما رمتك به اليهود واصطفاك على نساء العالمين بابن بنوته
وساير الكرامات روى الترمذي عن انس عن رسول الله حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وآسية
امراة فرعون وفاطمة بنت محمد وخديجة بنت خويلد وزاد البخاري وفضل عايشة على النساء كفضل الثريد
على ساير الطعام ومن انكر الكرامة حمل كلام الملائكة اياها على معجزة زكريا او ارهاص بنبوة عيسى
للاجماع على عدم نبوة النساء يا مريم اقنتي لربك دومي على طاعته واسجدي وصلي لان
السجود احد اركانها واركعي مع الراكعين وصلي جماعة قدم السجود اما لانه كان كذلك في شرعهم
او للتنبيه على ان المراد بالسجود ما هو غير الركوع بالراكعين ولو قال اسجدي مع الساجدين لم يدل على صلوة الجماعة لان السجود عبادة
مستقلة دون الركوع ذلك المذكور من الوقايع من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت
لديهم اذ يلقون اقلامهم اي ما تحرر به لا سبيل لنظر العقل اليه وهم ينكرون الوحي والسماع فلم يبق ما يحتاج
الى النفي سوى المشاهدة التي هي اظهر انتفاء في نفيها تهكم بهم مع ثبوت كونه بوحي الله على ابلغ وجه والاقلام
هي التي كانوا يكتبون بها التورية والقوها هو الاقراع بها القاها وضعها لعلها في خرقة واتت بها الى بيت
المقدس وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فذهبوا الى نهر
الاردن وقالوا كل من ثبت قلمه على الجرية فهو كفيلها فثبت قلم زكريا وذلك لان خالتها كانت عنده والخالة
بمنزلة الام ايهم يكفل مريم اي يلقون ليعلموا او ينظرون لان التعليق بالاستفهام من خواص الافعال الا
دراكية والالقاء سبب للعلم والنظر بالبصيرة في الجملة وما كنت لديهم اذ يختصمون في شانها الخوض
الالقاء لكونه بدعا خارقا اذ قالت الملائكة يا مريم بدل من قالت الملائكة او اذ يختصمون على ان
الاختصام والبشارة وقعا في زمان متسع كما تقول لقيته سنة كذا ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
عيسى بن مريم ليس المراد من الاسم ما يقابل اللقب بل ما يقع به الامتياز وهو مجموع الثلثة لا كل واحد

واحد اذ ربما يقع الاشراك والمسيح عبراني اصله مشيحا ومعناه المبارك فهو من الالقاب المدح كالعتيق والفا
روق وقيل عربي عن ابن عباس لقب به لانه كان لا يمسح ذا عاهة الا برئ او لانه ممسوح بالبركة او من
الاوزار وانما قال ابن مريم مع ان الخطاب معها لان ذلك هو موجب التبشير وكونه اية لان الانبيا
ينسبون الى الاباء ودفعا لشبهة النصارى وجيها في الدنيا بالنبوة والمعجزات الباهرة والاخرة
بعلو الدرجة وقبول الشفاعة وانتصابه على الحال من كلمة لانها نكرة موصوفة ومن المقربين اختصر من
الوجاهة ويكلم الناس في المهد وكهلا بلا تفاوت وايثار المضارع للدلالة على ذلك والمهد
مصدر سمي به ما يمهد فيه ومن الصالحين من جملتهم وفي عدادهم حال اخرى وهذه الاحوال كلها مقدرة
قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب واستبعاد لانه على خلاف العادة قال
كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبرئيل او الله وجبرئيل حاك لها ولما كان الولد من
غير اب ابعد من الولد من شيخ وعجوز اثر الخلق على الفعل لدلالته على التقدير اذا قضى امرا اذا
اراده والتعبير بالقضاء للدلالة على اللزوم فانما يقول له كن فيكون فلا استبعاد وقراء ابن
عامر يكون بالنصب على جواب الامر صورة والرفع احسن معنى واخلى من التكلف طوى ذكر الحمل والولادة
لذكرهما في سورة مريم وهي اسبق نزولا ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل عطف على يبشرك بتقدير
القول اي ان الله يبشرك ويقول نعلمه الكتاب او على وجيها اي ومقولا فيه نعلمه او على يخلق كذلك وهذا
اولى لعدم الفصل وقراء نافع وعاصم بالياء فلا حاجة الى تقدير القول لكن النون ادل على التعظيم
والكتاب الكتبة كذا عن ابن عباس والحكمة العلم المقرون بالعمل ورسولا الى بني اسرائيل
المنصوبات المقدمة في حكم الغيبة وهذا في حكم التكلم لقوله اني قد جئتكم وكذا مصدقا لقوله لما بين يدي
فيضمر القول اي نعلمه ونقول ارسلت رسولا او لان الرسول والمصدق فيهما معنى القول كانه قيل وناطقا
وهذا اوجه لعدم الحذف اني قد جئتكم باية من ربكم بان اني اخلق لكم من الطين
اصوره بدل من اني او خبر مبتدا محذوف اي هو اني او بدل من آية وهو الوجه لدلالة على ان ذلك
بقدرته تعالى وقراء نافع بالكسر على الاستيناف والمختار الفتح لذلك الاوجه كهيئة الطير
كصورته فعل من بها بمعنى تهيا فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله حقيقة الطير ذا روح بارادة
الله وتيسيره وقراء نافع طايرا وهو الظاهر وتذكر الضمير باعتبار لفظ الكاف والتانيث في المايدة باعتبار
المعنى وهي الهيئة وابرئ الاكمه الذي ولد اعمى فانه اغرب في الاعجاز والابرص لعجز الاطباء عن
ازالته واحيي الموتى باذن الله تعلق بالاحيا لانه محل وهم الاستقلال وقيل بالافعال
الثلثة لقوله وتبرئ الاكمه والابرص باذني في المايدة وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون
في بيوتكم مما لا سبيل الى معرفته الا بالوحي ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين
بالايات ومصدقا لما بين يدي من التورية وهذا شان بعضهم الرسل تصدق بعضهم
بعضا عطف على رسولا بالوجهين السابقين ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم
من عطف الجمل اي جئتكم باية وجئتكم لاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا ايضا عطفا على باية ويكون
الكل في معنى الحال اي جئتكم ملتبسا باية وكاسا لاحل لكم ومصدقا لما بين يدي فلا يتخلل بين المعطوفين
اجنبي وفيه دلالة على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا ينافي ذلك حكم بما في التورية في الجملة
كنسخ القرآن بعضه بعضا وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله
ربي وربكم هذا هو الاية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض ومعنى كون هذا القول اية انه
من علامات النبوة بعد ثبوتها بالمعجزات الباهرة لانه مقول كل الرسل والانبياء على ان صدوره
ممن نشا بين قوم بدلوا الدين وحرفوا الكتاب وقتلوا الانبيا خارق للعادة ويجوز ان يكون في التورية
من جاكم بهذا القول فهو رسول فاعبدوه استكمالا للقوة العملية كما ان الاول استكمال للقوة
النظرية هذا صراط مستقيم اي الجمع بين الامرين كقوله صلى عليه قل امنت ثم استقم فلما
احس عيسى منهم الكفر تحقق عنده كالمحسوس قال من انصاري الى الله

وكذا ان جعل مصدقا
معطوفا على رسولا
صح

دهبا الى نصرة دينه او الجار متعلق بانصاري مضمنا معنى الضم والاضافة اى من ينصرني مضيفا نفسه الى الله
او الى بمعنى في او اللام دون مع لقوله **قال الحواريون نحن انصار الله** اى انصار دينه الحواري
منسوب الى الحور وهو البياض الخالص والالف من تغير النسب اطلق على خالصة الرجل وخاصته **امنا
بالله واشهد بانا مسلمون** مخلصون لله **ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول** قابلين
هذا القول باللسان والاعتقاد **فاكتبنا مع الشاهدين** مع الانبيا الذين يشهدون لاتباعهم
او الشاهدين بوحدانيتك او مع امة محمد فانهم يشهدون للانبيا بالتبليغ **ومكروا ومكر الله** الضمير
لمن احس منهم الكفر ومكر الله للازدواج والمشاكلة **والله خير الماكرين** لكمال علمه وقدرته
اذ قال الله ظرف لمكر الله **يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي** قابضك من الارض ورافعك
الى السما من توفيت المال استوفيته او متوفيك نوما فانه اخ الموت كقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل
او رافعك الآن وبعد النزول متوفيك وتقديمه اهتماما لئلا يتوهم ان بالرفع يجوز من الموت وقيل اماته
الله سبع ساعات وقيل ثلثة ايام وليس بحق منقول عن اهل الكتاب **ومطهرك من الذين كفروا**
من دنس اخلاقهم وخبث جوارهم **وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة** هم الذين امنوا به
في زمانه ومن بعدهم الى يوم القيمة ولم يسمع ان اليهود فانهم كرايه بل لم يزالوا مقهورين تحت السيف
والجزية حتى صار مثلا واذل من اليهود **ثم الي مرجعكم** انت ومن وافقك ومن خالفك **فاحكم بينكم
فيما كنتم فيه تختلفون** والجازي كلا بموجب عمله ثم تصلي **فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا
شديدا في الدنيا والاخرة** ترتب عذاب الدنيا على الرجوع اليه وهو يوم القيمة باعتبار انه
من مقدمات عذاب الاخرة وطلايعه وقيل المرجع اعم من الدنيوى والاخروى والى يوم القيمة غاية
الفوقية لا غاية الجعل والرجوع متراخ عن الجعل **وما لهم من ناصرين** في الدارين **واما الذين امنوا
وعملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم** كاملا لسبق رحمته اتى النون على المهمز الى غلبة رحمته وقرا
حفص بالياء **والله لا يحب الظالمين** تذييل حسن لان تعذيب المحب محجوب وقد الم به ابو
الطيب في قوله وما التهجر الا الوصل ما لم يكن قلى **ذلك نتلوه عليك** مبتدا وخبر اى نبا عيسى
وغيره **من الايات والذكر الحكيم** خبران اخران والذكر القران وصف بوصف من قام به
او لاشتماله على الحكم كانها ناطق بها وقيل هو اللوح **ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم** شانه
كشانه شبه الغريب بالاغرب حسما لمادة شبهة الخصم والتشبيه انما يقتضي المشاركة في الوصف المقصود
فلا يقدح كون ادم من غير اب وام لكونهما مشاركين في ان وجدا وجودا خارجا عن العادة
فمن قال بالوهية عيسى لكونه من غير اب محجوج بادم **خلقه من تراب** قدره وصوره **ثم قال له
كن** انشاه خلقا اخر انسانا ذا روح **فيكون** فكان حكاية حال ماضية **الحق من ربك**
خبر مبتدا اى المذكور من شان عيسى ومن ربك حال من ضمير الحق او مبتدا وخبر اى جنس
الحق من ربك والاول اوجه لان المقصود تقرير كون عيسى كادم **فلا تكن من الممترين**
الخطاب له والمراد نهي السامعين او هو من باب التهييج والالهاب **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك
من العلم** من الدلايل الموجبة للعلم **فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل** اى قل لهم كل منكم ومني يدعو نفسه واعزه ابلة ثم نقول بهله
الله على الكاذب البهلة بالضم والفتح اللعنة **فنجعل لعنة الله على الكاذبين** تفسير للابتهال
روى البيهقي ان رسول الله سنة تسع من الهجرة كتب الى اهل نجران كتابا يدعوهم الى الاسلام ونجران
واد باليمن كان فيه سبعون وعشرون قرية يوم للراكب المسرع فلما ورد عليهم كتابه ارسلوا اربعة
عشر رجلا روساءهم ثلثة العاقب والسيد وابو حارثة وافدين لاستعلام خبر رسول الله فتلا
عليهم من اول السورة الى هنا فابوا الا العناد فدعاهم الى المباهلة فواعدوه الى صبيحة الغد فلما اصبحوا غدا رسول الله
محتضنا الحسن اخذا بيد الحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف
نجران وهو ابو حارثة يا قوم اني ارى وجوها لو شاء الله ان يزيل بها جبلا من مكانه لازاله اني ارى ان

ارى ان تواد عوا الرجل فقالوا يا ابا القسم انت على دينك ونحن على ديننا ولا نباهل فقال اسلموا يكن لكم ما للمسلمين
فابوا فقال فنناجزكم الحرب فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان نؤدي اليك في كل سنة الفي حلة الف
في رجب والف في صفر وكتب بذلك كتابا وسالوه ان يرسل معهم رجلا امينا يحكم بينهم في اشيا كانوا اختلفوا
فيها فارسل معهم ابا عبيدة بن الجراح قال الزهري فهم اول الجزية في الاسلام وعن ابن اسحق ان وفد نجران
كانوا ستين راكبا اربعة عشر من اشرافهم واتما دعا الابنا والنسا الى المباهلة لانهم اعز على المرء من نفسه اسقطها
او دلالة على انه موقن بهلاك خصمه واعزته وقدمهم لانهم معدودون بالارواح لا سيما عند العرب وفي
هذا فضل ظاهر لعلي وفاطمة وابنيهما **ان هذا لهو القصص الحق** اى الذي قص عليك من نبا عيسى
واللام دخلت على ضمير الفصل لانه اقرب الى المبتدا فهو بالجواز اولى من الخبر **وما من اله الا الله**
رد على النصارى في التثليث **وان الله لهو العزيز الحكيم** الغالب المتقن في صنعه ومن تجرد عن
الوصفين لا يصلح للالوهية فكيف بعيسى والنصارى يزعمون ان اذل الخلق وهم اليهود قتلوه
فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين اى بهم اثر المظهر للدلالة على انهم مفسدون للعقايد
مضلون ولذلك قال زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون **قل يا اهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم** عامة في اهل الكتاب وقيل في يهود مدينة وقيل في وفد نجران و
معنى سواء ان الرسل والكتب متفقون فيه **الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله** تفسير للكل **فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون**
تعريض بانهم كافرون حيث تولوا عن الحق بعد ظهوره او اشهد وابانا مسلمون دونكم كما تقول
الغالب جدلا او صراعا اشهد باني الغالب وقد تدرج في هذه المناظرة احسن تدرج ذكرا ولا كيفية
حدوث مريم التي هي اصل عيسى ثم اطواره التي تقلب فيها المنافية للالوهية ثم ازاح شبههم بما هو
اغرب حالا منه ولما اصروا على العناد وعدم الانقياد دعاهم الى المباهلة ولما انجموا عنها اخذ معهم
في نوع اخر من الارشاد وهو الدعا الى ما يطابق عليه الملل ولما انس منهم احسن المتاركة وقال
اشهدوا بانا مسلمون **يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل
الا من بعده** عن ابن اسحق تنازع نصارى نجران واحبار اليهود عند رسول الله في ابرهيم وادعى
كل فرقة انه كان على دينهم فنزلت **افلا تعقلون** ان المتقدم لا يكون على طريق المتاخر وبين ابرهيم
وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان **ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم** انتم مبتدا وهؤلاء خبر وحاججتم جملة مبينة كررت ها التنبيه لشدة غفلتهم والاشارة
للتحقير كانه قال انتم هؤلاء الحمقى وبيان حمقكم انكم جادلتم بالباطل فيما له اصل في كتابكم فكيف تجادلون فيما
لا يلتبس بطلانه على احد وقرا ورش وقنبل هانتم بالقصر على ان اصله انتم قلبت الهمزة ها والاستفهام
الجمع **والله يعلم وانتم لا تعلمون** فعليكم باتباع رسول الناطق بوحيه **ما كان ابرهيم يهوديا
ولا نصرانيا** تصريح بما علم ضمنا مبالغة في تخصيص الحق **ولكن كان حنيفا** مائلا عن الباطل
مسلما لله **وما كان من المشركين** تعريض بمن يدعي انه على ملته **ان اولى الناس بابرهيم
للذين اتبعوه** اخصهم به واقربهم اليه من الولي وهو القرب **وهذا النبي والذين امنوا**
من امته افرده مع امته بالذكر وان دخلوا في الذين اتبعوه لمزيد الشرف او الذين اتبعوه فيما مضى ثم
هذا النبي والمؤمنون **والله ولي المؤمنين** ناصرهم ومولى امورهم دعت يهود قريظة والنضير
حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية فنزل **ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
وما يضلون الا انفسهم** اذ بذلك يضاعف لهم العذاب او لا امثالهم الاعتبا وايثار الانفس
لا تحادهم دينا **وما يشعرون** لغاية جهلهم سلبوا الشعور اضل من البهايم **يا اهل الكتاب لم
تكفرون بايات الله** الشاهدة بصدق الرسول هي ما في التورية والانجيل من نعت رسول الله
او بايات الله جميعا **وانتم تشهدون** مجاز عن الاعتراف بحقيتها اى يعلمون علما كالمشاهدة في
يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل تخلطونه به **وتكتمون الحق** نعت محمد ونبوته

اعاد لفظ الحق لتوقع عليه الكتمان او لانه مغاير للاول وانتم تعلمون وانتم اهل العلم الذين شانهم
الارشاد دون الاضلال او وانتم تعلمون ما على كاتم الحق من الاثم وقالت طايفة من اهل الكتاب
امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون
وجه النهار اوله كقوله من كان مسرورا بمقتل مالك فليات ساحتنا بوجه نهار هذا من مكايد اليهود
تشاوروا ان يومنوا بمحمد وما انزل عليه من اول النهار ويكفروا اخر النهار لعلهم يوقعوا الشك في قلب
من آمن ويقول هولاء اهل الكتاب لولم يعلموا بطلان دينه لما رجعوا وقيل فعلوا لما حولت القبلة
قال لهم كعب بن الاشرف صلوا معهم صلوة الصبح الى الكعبة ثم صلوا في اخر النهار الى الصخرة ولا
تومنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يوتى احد مثل ما اوتيتم
اى لا يومنوا بان يوتى احد مثل ما اوتيتم من الكتاب او لا تظهروا التصديق بذلك الا لاتباعكم
لا للمسلمين لئلا يزدادوا ثباتا ولا للمشركين لئلا يرغبوا فيه وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض
للرد عليهم فيما حاولوا بان من اراد توفيقه لا يرده عن الايمان مكايدهم وحيلهم ويجوز ان يتم الكلام عند
قوله الا لمن تبع دينكم وح في ان يوتى وجوه اما ان يتعلق بفعل مضمر بتقدير اللام اى لان يوتى احد مثل ما اوتيتم
دبرتم اى ما دعاكم الى ذلك الا الحسد ويويده قراءة ابن كثير ان يوتى بالاستفهام تقريرا وتوبيخا او بنصب
بمضمر اى لا تنكروا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او خبران وهدى الله بدل والمعنى قل ان هدى الله
ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم حتى يحاجوكم به في حكم الله وقضايه فتحصوا به
حجكم وعلى الوجوه الاول او بمعنى الواو وجه العدول الدلالة على الاستقلال قل ان الفضل بيد الله
يوتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
اعتراض اخر ابلغ من الاول ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده اليك ومنهم من ان
تامنه بدينار لا يوده اليك اشارة الى انهم ليسوا على الضلالة بل منهم ذو امانة وديانة كالذي يحملوا منه على
جملة كثيرة من عرضه يوده اليك كاملا ومنهم خاين يخونه في اقل شى ولو طلبت منه انكر الا ما دمت عليه
قايما بالبيت والرفع الى الحاكم او باب تدفع اليه ثم لا تفارقه حتى تاخذه منه فانه لا يقدر على الانكار
لوجوه العين حاضره وقيل نزلت في عبد الله بن سلام وفنحاص بن عازوزاء استودع رجل من
قريش عبد الله بن سلام الف دينار ثم اوقيها فاداه اليه واستودع اخر فنحاص دينارا فجحده وقيل
المامنون النصارى والخونة اليهود وقرا ابو عمرو وحمزة وابو بكر باسكان الهاء في الوصل والباقون
بالكسر والصلة الا قالون وهشاما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل اثم وعتاب
عن سعيد بن جبير لما نزلت قال رسول الله كذب اعداء الله ما من شى كان في الجاهلية الا هو تحت
قدمى الا الامانة فانها موداة الى البر والفاجر ويقولون على الله الكذب اى يكذبون
في مقالتهم ويكذبون في نسبة الى الله تاننا وهم يعلمون انهم كاذبون مزيد توبيخ بلى عليهم
سبيل من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استيناف يقرر الجملة التي سدت
بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من والمعنى من اوفى باداء الامانة واتقى الخيانة فان الله يحبه و
الاتيان بالمظهر للدلالة على انه بذلك يدخل في زمرة المتقين ان الذين يشترون بعهد الله
وايمانهم ثمنا قليلا اى يستبدلون بما عاهدوا عليه من الايمان بالمبعوث وبما حلفوا
عليه لنومنن به ولننصرنه الثمن القليل وهو الرياسة والارتشا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة
لا نصيب لهم من الخلاق وهى الملاءة ومنه الخلقا للمراة الرتقاء ولا يكلمهم الله كلام الرضى لقوله
فوربك لنسالنهم اجمعين او كناية عن الغضب والحمل على عدم انتفاعهم بايات الله وكلامه بعيد
بدليل السياق والسباق ولا ينظر اليهم يوم القيمة النظر بعلب الحدقة محالة في حقه تعالى فهو كناية
عن الاحسان وترك عن الاهانة والسخط ولا يزكيهم كما زكى المومنين بالثناء عليهم ولهم عذاب
اليم فوق هذه المحن وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب يميلونها من الصحيح
الى المحرف لم يرضوا بالتحريف والتلبيس على الجهال حتى جعلوه من جملة كتاب الله المتلو لتحسبوه انتم ايها

انتم ايها المسلمون الضمير للمحرف من الكتاب وما هو من الكتاب في شى ويقولون هو
من عند الله صرح بما رمز اليه بالحسبان الا يكون لهم سبيل الى غلط الحاسب وما هو من عند الله
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون مستمرون عليه ذلك لفرط جراتهم على الله
ما كان لبشر ان يوتيه الله الكتاب والحكم الحكمة او الحكم بين الناس والنبوة ثم
يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله روى ابن اسحق عن ابن عباس لما اجتمع نصارى
نجران واليهود عند رسول الله قال ابو رافع القرظى اتريد ان نعبدك يا محمد فقال معاذ الله ما بذلك
بعثنى فانزل الله ما كان لبشر ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول هذا القول الربانى منسوب
الى الرب اى كونوا عباده المختصين لان الشى ينسب الى ما اشتهر ومن اشتهر به والالف والنون مزيدة
للمبالغة وما روى عن ابن عباس في تفسيره علماء حلماء حكماء وعن الحسن فقهاء ماخوذ من
قوله بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون واذا كان من يعلم الكتاب ويدرسه ربانيا
فكيف بالانبياء وفيه اشارة الى ان علما لا يفضى الى ذلك المسبب كلا علم وقرا نافع وابو عمرو وابن
كثير تعلمون مخففا من العلم والتشديد ابلغ لكونه مسبوقا بالعلم ولدلالة الدراسة عليه ولا يامركم
ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا كلام مستانف والفاعل ضمير الله او بشر وقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو والكسائى بالرفع وهو احسن يقتضى مقدرا لان النصب عطفا على ان يوتيه والضمير
لبشر لا غير ولا مزيدة لبعد العهد وتخلل الفاصل بالاستدراك والمعنى ما استقام لبشر اتاه الكتاب
اياه وقوله كونوا عبادا لى من دون الله ولا امره اياكم باتخاذ الملايكة والنبيين اربابا وعدل الى ثم
في الثانى للدلالة على بعد هذا القول عمن اوتى بذلك الابنا ولا على اصلها نافية والمعنى ما صح
ابناء الله بشر النبوة ثم يقول لكم اعبدونى وينهى عن عبادة امثالى من الملايكة والانبيا وقرا
ابن عامر وعاصم وحمزة ولا يامركم بالنصب والرفع احسن لظهوره وعدم التقدير ايامركم بالكفر
بعد اذ انتم مسلمون فيه دليل على ان المخاطبين مسلمون لما روى انهم قالوا الا ناذن لنا ان نسجد لك
واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم
لتومنن به ولتنصرنه اللام الاولى موطئة وما شرطية منصوبة باتيتكم او موصولة مبتدا والخبر من
كتاب وليومنن جواب القسم والميثاق مضاف الى المفعول لما روى ابن عباس ان الله لما اخرج
الذرية من ظهر آدم اخذ الميثاق على الانبيا والرسل ان يقروا بمحمد وان جاءهم يومنوا به وعن
على بن ابى طالب ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق بنبوة محمد والايمان به ان ادركه واذا كان هذا
حال الانبيا فكيف بالامم وفيه ذم وتوبيخ للمحرفين وقيل اضافة الى الفاعل اى اخذ الله الميثاق الذى
وثقه الانبيا على الامم وقيل المراد بالانبيا بنو اسرائيل على طريق التهكم لادعائهم انهم اولى بالنبوة وقرا
حمزة لما بكسر اللام الجارة متعلقة باخذ على ان ما مصدرية ومن تبعيضية اى لاجل ايتا بعض الكتاب والحكمة
ثم مجى رسول مصدقا او موصولة بحذف العايد كقوله فاصدع بما تومر ومن بيانية وعن الاخفش لما
معكم قام مقام العايد واذ نصب باذكر اى اذكر ذلك الوقت ليظهر للمنكر ما خصك الله به من
المقام العالى والدين السنى قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى
سمى به لثقل المحافظ عليه قالوا اقررنا قال فاشهدوا بعضكم على بعض او وا هذه
الشهادة على انفسكم الى اممكم او الى الرسول وانا معكم من الشاهدين حث على المحافظ على
الشهادة بان من لا يخفى عليه خافية مشاركهم فيها فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم
الفاسقون الكاملون في الفسق والخروج عن الطاعة افغير دين الله يبغون عطف على
الجملة السابقة والهمزة الانكار توسطت داخلة على المفعول لانه محل الانكار او على مقدر اى
اتقولون فغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها طايعين
رغبة كالمومنين والملايكة او مكرهين بالسيف ونحوه كنتق الجبل وادراك الغرق والاشفاء
على الموت مستحسرين فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضى عليهم واليه يرجعون وقرا حفص

يرجعون بياء الغيبة وهو وابو عمرو ويعقوب كذلك والخطاب هو المختار لتوبيخهم مكافحة وهو بكثرة
الالتفات قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر رسوله بان يخبر عن نفسه
وعن امته بالايمان بالله والقران وان كان نازلا عليه الان امته ايضا متعبدون بما فيه
كما ولا وابرهيم والاسباط بالصحف فكان نازلا عليهم ايضا واثر في البقرة قولوا خطابا له
ولامته او اجلالا له على طريقة الملوك مع تقدم قل بل ملة ابرهيم صونا عن التكرار والنزول
يستعمل بعلى وهو الاصل لانه حركة من فوق وبالى باعتبار الوصول لا نفرق بين احد
منهم في موضع ونحن له مسلمون منقادون ولذلك امنا بكل الانبياء والكتب
او مخلصون تعريضا بالمنافقين ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه استدل به
على اتحاد الاسلام والايمان فان اريد الاتحاد مفهوما فغير ناهض وان اريد الاتحاد صدقا
في الشرع فتام وهو في الاخرة من الخاسرين لاهلاكه رأس ماله وهي الفطرة التي فطر الناس
عليها كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاء
هم البينات روى الحاكم والنسائي عن ابن عباس انها نزلت في رجل من الانصار ارتد
والعياذ بالله وعن مجاهد نزلت في الحارث بن سويد كفر بعد الاسلام ثم رجع وحسن اسلامه
والمعنى استبعاد هداية الله من كفر بعد الايمان وشهادته بان الرسول حق وبعد ماجاءته الشواهد
من القران وساير المعجزات وشهدوا عطف على ايمانهم لانه بتقدير الفعل مع ان او في موضع
الحال بتقدير قد ولا يجوز عطف على كفروا لان شهادتهم لم يكن بعد الايمان بل معه والله
لا يهدي القوم الظالمين لا يوفقهم للايمان اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين اي الموصوفون يلعنون من كل احد حتى من انفسهم فانهم
يلعنون المبطل او يوم القيمة يدعون بالثبور ومفهومه وان دل على عدم لعن غيرهم الا انه يلغى
بالنصوص الدالة على لعن الكافر مطلقا خالدين فيها في اللعنة او في النار لقوله لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون يمهلون فيه رد لما يقوله الملاحدة من انهم يعتادون فلا يحسون
بالالم الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا ما احلوا به من الحقوق فان توبة المرتد لا يسقطها
فان الله غفور رحيم لما صدر منهم بقبول توبتهم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا هم اليهود كفروا بعيسى وازدادوا كفرا بمحمد او امنوا به قبل بعثته وكفروا به بعده وازدادوا كفرا
بالاستمرار على معاداته وعن ابن عباس نزلت في قوم اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة وازدادوا كفرا
بان قالوا نتربص بمحمد ريب المنون لن تقبل توبتهم واستدل به الامام احمد على ان من تكرر ارتداده
لا يقبل توبته والجمهور على ان المراد استمرارا الى الموت لساير النصوص واولئك هم الضالون
طريق الصواب ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو
افتدى به ادخل الفاء في الخبر لان الموت على الكفر سبب لامتناع قبول الفدية بخلاف الاية
الاولى فان ايراد الموصول لتحقيق الخبر لا يدل انه بالاصرار المفضي الى عدم الرجوع والمعنى لا يقبل منه
فديته ولو افتدى بملء الارض ذهبا فانه غاية الكثرة عرفا اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من
ناصرين سد عليهم طريق الخلاص لانه اما بطريق الافتداء او الدفع بالقهر لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون حث على الانفاق قبل فواته وقد روى البخاري ومسلم لما نزلت قال ابو طلحة
يا رسول الله ان ربنا يسألنا من اموالنا وان احب اموالي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله
فقال بخ بخ ذاك مال رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها ابو طلحة في الاقربين وتصدق
عمر بسهمه من خيبر وجاء زيد بن حارثة بفرس له فاعطاه رسول الله اسامة فقال زيد انما اردت
الصدقة فقال ان الله قد قبل صدقتك وما تنفقوا من شيء اي شيء كان فلا يسمى شيئا وفي الحديث
لا تحقرن امرأة جارتها ولو بفرسن شاة وفيه اتقوا النار ولو بشق تمرة فان الله به عليم فيجازيكم

رد على الكواشي

فيجازيكم عليه كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل كل المطعومات والحل مصدر بمعنى الفاعل ويقدر
مضاف قبله الاتفاق وكانت مستطردة لمناسبة اقتداء الكافرين لا ينفعهم ثم عاد الى قبائح اليهود القائلين
بعدم النسخ ولما تلي عليهم فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر قالوا لسنا مخصوصين بذلك بل كانت محرمة من لدن نوح فكذبهم الله في ذلك
الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية حرم على نفسه لحوم الابل والبانها كانت احب الطعام
اليه وكان به عرق النسا فنذر ان شفاه الله ان يتركها وقيل كان باشارة الاطباء والاستدلال
على جواز الاجتهاد للانبياء غير ناهض لجواز كونه بالوحي قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم
صادقين فان في التورية ان ذلك التحريم خاص بهم فمن افترى على الله الكذب من بعد
ذلك من بعد ظهور ما ذكر فاولئك هم الظالمون الكاملون في الظلم حيث كذبوا كتابهم
الذي امنوا به ولما القمهم الحجر قال قل صدق الله فيما اخبر به في القران والتورية فاتبعوا ملة
ابرهيم حنيفا مائلا عن الباطل خاطبهم على طريق الانصاف حيث لم يقل اتبعوني بل امرهم
باتباع من يفتخرون باتباعه وما كان من المشركين تعريض بهم وتكذيب لهم في ادعائهم انهم
على ملته ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين اشارة الى حل شبهة اخرى لليهود
قالوا كيف يكون محمد على ملة ابرهيم وقد ترك التوجه الى بيت المقدس الذي هو قبلة الانبياء
فاشار الى ان ذلك مما يدل انه على ملته لان الكعبة قبلته وهي اقدم من بيت المقدس واشرف
روى البخاري ومسلم عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام
قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون سنة مكة وبكة اسمان لتلك البلدة الشريفة
وقيل بكة موضع البيت ومكة ساير البلد وهو ظاهر النظم سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي
تدقها وقيل لان الناس يتباكون فيها اي يزحم بعضهم بعضا ولا مكان اكثر بركة منه كم من تجارة
فيه نفقت ورقبة عتقت وهدى للعالمين لانه قبلتهم في صلوتهم ولما فيه من الايات العظام ولذلك
بينه بقوله فيه ايات بينات الضمير لحرم البيت مقام ابرهيم الحجر الذي غاص فيه
قدمه لما قام عليه وهو يبني وقيل لما جاء زائرا قالت له امرأة اسمعيل انزل حتى تغسل راسك
لم ينزل لان سارة كانت شرطت عليه ان لا ينزل وانما صح بيان الجماعة بالواحد لتعدد جهاته غوص
القدم ولانه الحجر الصلد وبقاؤه على مر الدهور مع كثرة اعداء الدين وتماسك ان القرامطة
اخذوا الحجر الاسود الى بلادهم واعماهم الله عن المقام او لانه اشار الى جنس الايات بذكر اعظمها
وطوى ذكر الاخرى لكثرتها منها انحراف الطيور عن موازاته وضواري السباع تخالط الصيد
وكل جبار قصده بالسوء قصمه الله وقصة اصحاب الفيل اجلى دليل ومن دخله كان امنا
ليس من الايات بل بيان لشرفه والامن اما في الدنيا على ما ذهب اليه ابن عباس وابو حنيفة من عاذ
بالبيت وعليه قصاص لا يتعرض له ولكن لا يطعم ولا يسقى حتى يضطر الى الخروج وهو الظاهر لقوله
انا جعلنا حرما امنا وقوله وامنهم من خوف ولما روى مسلم والبخاري عن ابن عباس قال رسول
الله يوم فتح مكة لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ثم قال ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات
والارض لم يحل لاحد قبلي وانما حل لي ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة لا يعضد
شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها فليبلغ الشاهد الغائب واما في الاخرة
لما روى البخاري وغيره من حج ولم يرفث فكانما ولدته امه او المطلق وهو الاحسن فسادهما
وعن ابن مسعود وقف رسول الله على ثنية الحجون وليس يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه
البقعة سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر
ليلة البدر وروي انه قال يؤخذ ما بين الحجون والبقيع وهما مقبرتا مكة والمدينة وينثران في الجنة ولله على
الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا الحج لغة القصد وشرعا هو القصد المخصوص
بعد او لا شرف البيت والحرم ثم دعا كافة الناس اليه والحج احد اركان الاسلام بالاحاديث

والاجماع والاية وفيها انواع من التاكيد ابراز الامر في صورة الخبر والابدال المشتمل على الاجمال و
التفصيل ولام الاختصاص واسمية الجملة وتسمية تاركه كافرا وجوبه في العمر مرة لما روى مسلم عن ابن
عباس خطبنا رسول الله وقال ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقال الاقرع بن حابس اكل عام يا رسول الله
فقال لو قلت لوجبت ذروني ما تركتكم الحج مرة وروى الترمذي عن ابن عمران رجلا يسأل رسول الله
عن الاستطاعة فقال الزاد والراحلة وعندنا ملك قوة البدن كافية لقوله واذن في الناس
بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر وقرأ حمزة والكسائي وحفص حج البيت بكسر الحاء على انهما
لغتان وعن الزجاج المفتوح مصدر والمكسور اسم والمختار هو الفتح لاتفاقهم في واذن في
الناس بالحج ومن كفر تركه بخلا او هو تهديد كقوله من ترك الصلوة عامدا فقد كفر روى
الترمذي عن ابن ابي طالب ان رسول الله قال من ملك زادا وراحلة ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا
وان شاء نصرانيا فان الله غني عن العالمين دل على غناه عن حجه بطريق البرهان لانه اذا كان
غنيا عن العالمين سادله لا محالة قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اذ لم تبق لكم شبهة
فضلا عن حجة والله شهيد على ما تعملون والعاقل لا يرتكب ما لا نفع فيه فكيف بما يجلب سخط
القادر القاهر قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن لم ترصدوا
الضلال لكم حتى تصدوا اليه اضلال المسترشدين تبغونها عوجا توهمون الناس ان فيها اعوجاجا
او تبغون انفسكم لطالب المحال يقال يبغيك الشيء اذا طلبته له وانتم شهداء عالمون بانها
سبيل الله او انتم موصوفون بالعدالة والذاتيين اتباعكم وما الله بغافل عما تعملون
وعيد لهم يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في خزرج
ومكايد اليهود وذلك ان الاوس والخزرج قبيلتان من عرب اليمين من اولاد سبا الذي ضرب به
المثل في قولهم ذهبوا ايدي سبا وكان بين هاتين القبيلتين عداوة قديمة ومحاربات كثيرة منها
يوم بعاث كان الظفر في ذلك اليوم للاوس وكان شاس بن قيس كثير العداوة للاسلام
واهله فمر يوما بنفر من الاوس والخزرج جلوس فغاظه ذلك فامر شابا كان معه ان يجلس اليهم
ويشدهم الاشعار ويذكرهم يوم بعاث فلما انشدهم وذكرهم تحركت فيهم الحمية وتنادوا الى
السلاح عازمين على القتال فبلغ رسول الله امرهم فخرج اليهم وقال اتدعون بدعوى الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام فعرف القوم انها من عمل الشيطان فالقوا السلاح و
تعانقوا فلم يكن يوم اقبح اولا واحسن اخرا منه فانصرفوا ورسول الله بينهم كالبدر بين الانجم
وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار لان يوجد لهم حال
يتصور معها الكفر لان القرآن الذي هو هدى وبو يتلى عليهم غضا طريا وفيهم رسول الله يبينا
هدون منه الآيات والمعجزات على التوالي ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم
من التجأ اليه او من تمسك بدينه فقد حصل له الهدى لا محالة وجعل الجزاء مع قد دليلا يقلب
مستقبلا يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته اصل تقاه وقاه قلبت واوه تاء كما في
تراث وتجاه عن ابن مسعود حق تقاته ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى
رواه الحاكم مرفوعا وعن ابن عباس ان لا ياخذه في الله لومة لائم وعن بعض العارفين
ان يحافظ على الحدود ظاهرا وعلى الاخلاص باطنا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي لا يكونوا
حال الموت الا على الاسلام النهي راجع القيد كقولك لا تلق الاسد الا وانت ذو سلاح واعتصموا
بحبل الله جميعا استعارة تمثيلية على اعتبار تشبيه الحالة بالحالة والحبل مستعار للعهد او القرآن
لقوله تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا القرآن حبل الله المتين والاعتصام مستعار للوثوق
بالعهد او ترشيح لاستعارة الحبل لان اضافة الى الله قرينة ولا تفرقوا لا تفعلوا شيئا يوجب تفرقكم وفي
الحديث يد الله على الجماعة من شذ شذ في النار واذكروا نعمة الله عليكم اشكروها اذ كنتم اعداء
فالف بين قلوبكم كان العرب قبل الاسلام متفرقين بينهم التحارب فالقى الله بينهم الالفة

بينهم الالفة والمودة ببركة الايمان والاوس والخزرج داخلان في العموم فاصبحتم بنعمته اخوانا
اي صرتم اخوانا متلبسين بنعمة الله المراد اخوة الاسلام وكنتم على شفا حفرة من النار شفا كل شيء
حرفه واوي والمعنى لو ماتوا على الكفر لوقعوا في حفرة من النار وهي قبر الكافر فانها حفرة من حفر النيران فانقذ
كم منها من النار او من الشفا وهو الوجه لان الانقاذ منه وتانيث الضمير لان الشفا من الحفرة كما يقول
سقطت بعض انامله كذلك يبين الله لكم آياته مثل هذا البيان الجلي يبين ساير آياته لعلكم
تهتدون لكي تهتدوا الى الحق ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية يجب على الكل ويسقط بفعل البعض كصلوة الجنازة ودفن
الميت وشرط القايم به العلم بالاحكام والحدود وكمية التعازير ويجب على الجاهل التعلم اذا لم يقم به غيره ويختلف
باختلاف المذاهب ويكون واجبا ومندوبا ويكره اذا خاف على نفسه وله ثلث مراتب روى البخاري
ومسلم عن ابي هريرة من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وليس
وراء ذلك من الايمان حبة خردل وعطف يامرون على يدعون من عطف جبريل على الملائكة واولئك
هم المفلحون اي الموصوفون بهم الكاملون في الفلاح عن حذيفة ان رسول الله قال والذي نفسي
بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا
يستجيب لكم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا نهى اولا عن التفرق وثانيا عن المشابهة بمن تفرق
مبالغة من بعد ما جاءهم البينات الدلايل الواضحة والمراد النهي عن الاختلاف الناشي عن الاهوا فخرج
عنه اختلاف المجتهدين واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه انتصاب يوم بالظرف
او باذكر مضمرا او بعظيم البياض والسواد على الحقيقة سيما اهل السعادة والشقاوة او كنايتان عن السرور والحزن
فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم يوم الميثاق اذ قلتم بلى بعد الست بربكم وقيل
هم اليهود والنصارى امنوا به قبل بعثه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقيل اهل البدع الذين بدعتهم
كفر كالمجسمة والمعطلة المهزة للتوسع والقايل الملائكة وفايدة القول زيادة العذاب ويوفرحظ السامعة
فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم واما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمة الله في الجنة من اطلاق الملزوم وارادة اللازم اشارة الى ان دخول الجنة بفضل رحمة تعالى
لا بالعمل وانما وسط حديث السواد ليكون الفاتحة والخاتمة للمؤمنين هم فيها خالدون
مستانف لبيان حالهم في الرحمة وحال لان صدر الاسمية ضمير فلا حاجة الى الواو تلك آيات الله
نتلوها عليك بالحق ملتبسة به وما الله يريد ظلما للعالمين شيئا منه لاحد منهم
نفاه بنفي لازمه اذ لو وقع كان مرادا له ودل على ان ظلم العباد بينهم مراد له وانه لم يرض به فمن استدل به
على انه لا يريد ظلم العباد بعضهم بعضا فقد رد بالقدم ولله ما في السموات وما في الارض
الحادا وملكا فكيف يتصور منه الظلم والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعده واوعد
كنتم خير امة اخرجت للناس اي في علم الله او في اللوح والخطاب لامة كافة لما روى
الترمذي عن بهز بن حكيم عن جده ان رسول الله قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها
عند الله وقيل للصحابة وقيل للشهداء والصالحين تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف لبيان
الخيرية واللام للاستغراق اي كل معروف وكل منكر مستمرون على ذلك وبه خرج الامم والاستدلال
به على حجية الاجماع غير نابض لان قيام واحد او شرذمة كاف في ذلك والاسناد الى الكل لوقوع الفعل
بينهم وتؤمنون بالله باتصافه بكل ما يليق به اخره للدلالة على ان امرهم بالمعروف والنهي
عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم لاندراجهم في
زمرة خير الامم منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واكثرهم الفاسقون المتمردون
لن يضروكم الا اذى باللسان كالطعن في دينكم ودنياكم بوثاته حالكم هذه الجملة وما
عطف عليها والتي قبلها وما عطف عليها وردت على طريق الاستطراد تتميما لبيان حالهم ولم يعطف
احد الاستطرادين على الاخر لكون كل منهما نوعا اخر من الكلام وان يقاتلوكم يولوكم الادبار

لفرط خوفهم **ثم لا ينصرون** اي ثم اخبركم انهم لا ينصرون قط ولذلك لم يعطف على الجزاء ليلا
يتقيد بالشرط وثم للتراخي في الرتبة فان الاخبار باستمرار الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليهم **ضربت
عليهم الذلة** شبه الذلة بالقبة على طريق الاستعارة بالكناية والضرب تخييل واشتمالها باحاطة
القبة على من فيها استعارة تبعية **اينما ثقفوا** اينما وجدوا واشرقوا وغربوا **الا بحبل من الله وحبل من
الناس** استثناء من اعم الاحوال اي لا عز لهم في حالة الا في حال اعتصامهم بذمة الله وذمة المسلمين
وانما اعاد الحبل لتغاير الذمتين لان حبل الله هو الاسلام وحبل المسلمين بتقدير كبير الجزية وهو من قبل
الله ورسوله احق ان يرضوه لان الناس هم المؤمنون فيجد الحبلان **وباءو بغضب من الله** صاروا
احقاء به وهو ارادة الانتقام **وضربت عليهم المسكنة** الفقر اكثر اليهود فقراء والذل في النفس
والمسكنة الانكسار ظاهر كيف لا والزام الجزية اعزاء الهم **ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات
الله** اي المذكور من ضرب الذلة وغيرها كاين بسبب كفرهم بايات الله **ويقتلون الانبياء بغير
الحق** في اعتقادهم يوقنون بان قتلهم ظلم **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** اي ذلك الكفر
والقتل بسبب عصيانهم فان الاصرار على الصغاير يفضي الى الكباير والانهماك عليها يودي الى الكفر غالبا
او ضرب الذلة مسبب عن الكفر والمعاصي ايضا فدل على انهم مخاطبون بالفروع **ليسوا سواء**
اي الاولون وهو من امن من اهل الكتاب والاكثر الفاسقون **من اهل الكتاب امة قائمة**
استيناف لبيان حال الاقلين بعد بيان حال الاكثر ومعنى قايمة عادلة من قام العود اذا زال اعوجاجه او القائم
كناية عن الجد يدل عليه وصف اضدادهم بالكسل **يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون**
عبر عن صلوتهم بتهجدها وهو الذكر المدلول عليه بالتلاوة والسجود الذي هو اقرب مقامات
العبد في معراجه زيادة تصويرها وتميزا عن صلوة اهل الكتاب **يؤمنون بالله واليوم الاخر**
تعريض بمقابليهم لان ايمانهم بالله واليوم الاخر ليس بايمان **يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر**
ولا يداهنون **ويسارعون في الخيرات** كلها من فرط رغبتهم لان رغب في شيء يسارع اليه
واثر الفور على التراخي **اولئك من الصالحين** من الذين صلحت احوالهم مع الله والخلق او
بعض الصالحين معدودون منهم **وما تفعلوا من خير فلن تكفروه** اي تحرموه ضمن معنى
الحرمان ولذلك عدي الى مفعولين وقرا حمزة والكسائي وحفص الفعلين بياء الغيبة والضمير
لاهل الكتاب والخطاب اما التفات او على سنن كنتم خير امة لان فضل اهل الكتاب معترض استطرادا **والله
عليم بالمتقين** حث على الاخلاص وبشارة للمتقين لا ان الفايز عند الله اهل التقوى لقوله
اصحاب الجنة هم الفايزون **ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم** من الله شيئا من الغناء
او من العذاب **واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا
كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته** الصر البرد مصدر في الاصل
جيء به على الاصل او صفة بمعنى الباردة وصف به الريح الباردة مبالغة او من قبل التجريد انتزع من الريح
ريح باردة كقوله لكم في رسول الله اسوة قول الشاعر وفي الرحمن للضعفاء كاف والتشبيه من المركب شبه
ما كانوا ينفقون في المكارم والمفاخر لا يبتغون بها وجه الله بالزرع الذي اصابه البرد المفرد فاقلل او انه
فجعله حطاما او ما كانوا ينفقون في عداوة رسول الله ولم يبلغوا ما راموا وانما قيد الحرث بقوم ظلموا
لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ **وما ظلمهم الله** اي المنفقين بابطال اعمالهم **ولكن انفسهم
يظلمون** لانهم باشروا اسباب سخط **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة** بطانة الرجل خاصته
وصاحب سره ومنه بطانة الثوب يحاذي واستيانه روى البخاري مرفوعا انه صلى الله عليه قال في مدح
الانصار الناس دثار والانصار شعار وروى ابو داود عن ابي هريرة عن رسول الله المرء على دين خليله
فلينظر احدكم من يخالل **من دونكم** من دون المؤمنين صفة ويجوز تعلقه بلا تتخذوا **لا يالونكم خبالا**
من الالو وهو التقصير يقال لا الوك جهدا على تضمين معنى المنع فيعدى الى المفعول الثاني والخبال الفساد **ودوا
ما عنتم** عنتكم وهو اشد الضرر وابلغه اصله كسر العظم بعد الجبر **قد بدت البغضاء من افواههم** من

رد على العاصمي

من فلتات لسانهم من فرط البغض **وما تخفي صدورهم اكبر** مما بدا **قد بينا لكم الايات**
بشرح احوالهم والجمل المذكورة مستانفات كل منها علة مستقلة للنهي ولذلك ترك تعاطفها ويجوز ان يكون
كل لاحقة علة للسابقة سوى قوله قد بينا لكم الايات فانه لا يصلح تعليلا لود العنت فيكون كلاما مبتدءا والحمل
على الصفة يوهم تعدد النهي بكون البطانة على هذه الصفات **ان كنتم تعقلون** في ايثار وجعل الفاصلة
تعقلون تنويع على ما وقع منهم من نوع موالاة **ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم** انتم مبتدا واولاء
خبره والها للتنبيه فان قلت وقد تقدم نظيره في محاجة اليهود ها انتم هولاء فلم اقتصر على احدى الهائين هنا قلت
دعوى اليهود ان ابرهيم كان يهوديا ناشي من فرط الغفلة لان المتقدم لا يعقل ان يكون على مذهب المتاخر
فكررت الها لذلك بخلاف مودة المؤمنين لمن لا يحبهم فانه احسان الى غير مستحق فلم يكن بذلك البعد **و
تؤمنون بالكتاب كله** حال بتقدير المبتدا من المفعول اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون
بكل الكتاب او عطف على تحبونهم على معنى ها انتم تجمعون بين الحب والايمان بالكتب كلها وهم لا يحبونكم
ولا يؤمنون بشيء من الكتب فلا جامع بينهم وبينكم **واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل
من الغيظ** النادم والمغتاظ كثيرا ما يعضان الانامل من شدة الاسف والندم قال الحارث بن ظالم المري
فاقتل اقواما لياما اذلة يعضون من غيظ رؤس الاباهم وقال الاخر عبري حتى وانا المعاقب فيكم فكانني
سبابة المتندم **قل موتوا بغيظكم** اي ازدادوا غيظا الى ان تموتوا به وذلك بازدياد شوكة الاسلام
وارتفاع شانه **ان الله عليم بذات الصدور** داخل في مقول اي قل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما يسرونه
بينكم وهو مضمرات قلوبكم التي في الصدور او استيناف منه تعالى تقرير ما اطلعه عليه من اسرارهم او تذييل
لكل ما سبق من قوله ها انتم وعيدا على اضمار مودتهم واطلاعا للرسول على نفاقهم وتحذيرا لهم عسى ان
يرجعوا والاحسن ان يكون تسلية لرسول الله برجاء العاقبة وعلو الشان من غير قول ولا تخاطب كانه قال
حدث نفسك بهذا **ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها** لفرط عداوتهم
تحسدكم على العافية اثر في الحسنة المس لانه ادنى الاصابة وفي السيئة الاصابة لانهم لا يفرحون
بادنى اصابة **وان تصبروا** على اذاهم **وتتقوا** موالاتهم او تصبروا على مرارة التكليف وتجتنبوا
محارم الله **لا يضركم كيدهم شيئا** ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقرا نافع وابن كثير وابو
عمرو لا يضركم من ضار يضير والمعنى واحد والتشديد لاشهر **ان الله بما يعملون محيط** علما فيجازيهم
واذ غدوت من اهلك من حجرة عايشة اي اذكر ذلك الوقت ليظهر لك ان الصبر سبب
لنصرهم لما لم يصبروا اصابهم ما اصابهم واليه اشار بقوله قل هو من عند انفسكم هذه وقعة احد كانت
في شوال من سنة ثلث من الهجرة وذلك ان ابا سفيان لما نجا مع العير وقتل من اشرافهم ببدر
قالوا نجعل هذه الاموال لقتال محمد فجمعوا الجموع وخرجوا في ثلثة الاف اميرهم ابو سفيان فنزلوا باحد
يوم الاربعاء فلما صلى رسول الله الجمعة استشار الاصحاب فاشار اليه اكثر الانصار بالاقامة بالمدينة
وفيهم عبد الله بن ابي راس النفاق قالوا ما دخل علينا عدو قط الا اصبنا منه وما خرجنا اليه الا اصاب منا
دعهم ان اقاموا اقاموا بشر محبس لا ماء ولا علف وان قاتلوا قاتلهم الرجال ورمى في وجوههم النساء والصبيان
الحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار اليه بالخروج بعض من فاته بدر واراد الله اكرامه بالشهادة
قالوا يا رسول الله اخرج ما الى هولاء الكلاب لا يرون انا جبنا فدخل ولبس لامته وظاهر بين الدرعين
فندم المشيرون بالخروج وقالوا يا رسول الله افعل ما بدا لك ان شئت اقمت قال لا ينبغي لنبي ان يلبس
لامته ثم يرجع حتى يحكم الله فخرج في الف فلما سار شوطا رجع ابن ابي المنافق في ثلث الجيش وقالوا
لو نعلم قتالا لاتبعناكم واستمر رسول الله سايرا حتى نزل بالشعب في عدوة الوادي وجعل ظهره الى
احد **تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال** مواطن ومواقف يستعمل في مجرد المكان اتساعا كقوله
في مقعد صدق وذلك انه لما اصبح يوم السبت تهيا للحرب وجعل نصف اصحابه وتسويهم كما تسوى القدح
وامر على الرماة عبد الله بن جبير وهم خمسون راجلا وقال الزموا اماكنكم وانضحوا الخيل عنا ولا تبرحوا مكانكم لنا
او علينا وان خطفتنا الطيور وكانت مع قريش مائتا فرس على ميمنتها خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة

فيه رد على التفتازاني حيث منع صحة العطف تسليمه

اللام بمنزلة ... الحرب منه

ابي جهل والله سميع لاقوالكم عليم بضمايركم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا ظرف لسميع عليم
على التنازع او بدل من اذ غدوت والطايفتان بنو حارثة وبنو سلمة الفشل الجبن وموجب ذلك ان
المنافقين لما رجعوا همت الطايفتان بالرجوع وكانت همة لا عزم معها او كانت عزمة كفرت بالثبات والله وليهما
عاصمهما ومتولي امورهما روى مسلم عن جابر فانزلت وما يسرنا ان لا تنزل لقوله تعالى والله وليهما
وعلى الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره ولقد نصركم الله ببدر اسم ما سمي باسم صاحبه
بدر بن النادر رجل من جهينة اول قتال بين رسول الله وبين المشركين بها واقع ذلك السابع عشر من
رمضان سنة اثنين من الهجرة اعز الله الاسلام فيه وحزبه وانتم اذلة ثلثمائة وثلثة عشر اكثر
هم مشاة يعقبون وفيهم فرسان وسبعون بعيرا والعدو في زهاء الف وعدة كاملة على الخيول المسومة فا
تقوا الله لعلكم تشكرون بتقويكم لان نعمة النصرة يقتضي المقابلة بالتقوى شكرا او التقوى شكر للنعمة مستجلب
للنصر فعليكم بها اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم او بدل من اذ غدوت على ان هذا القول
كان يوم احد ونزول الملائكة كان مشروطا بالصبر والثبات الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف
من الملائكة منزلين استفهام الانكار دخل على النفي فافاد الاثبات وقرأ ابن عامر منزلين بفتح النون وتشديد
الزاي بلى ايجاب بعد النفي اي بلى يكفيكم الامداد ثم قال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا
في الان الحاضر غير رث مستعار من فوران القدر وهو الغليان يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة
مسومين زيادة على العدد الاول والسومة العلامة عن ابن عباس كانت خيلهم معلمة بالصوف
الابيض في نواصيها واذنابها ولم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وفي غيره وان نزلت لم تقاتل وعن هشام
بن عروة كانت خيلهم ملقا دعن الزجاج كانت ثيابهم بيضا وقيل كانت عمائمهم صفرا مرخاة على
على اكتافهم على صورة عمامة زبير وفايدته اظهار الشجاع نفسه وعدم الالتباس عند التحام القتال وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وعاصم بكسر الواو مسومين لان الفرسان هم الذين يسومون والفتح اشهر وما جعله
الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به اي ما جعل الامداد الا ليحصل لكم سرورا ولتطمئن قلوبكم بالعدد
الكثير وتندفع به وساوس الشيطان استعار البشارة من القول للفعل وما النصر الا من
عند الله لا من عند العدد والعدد العزيز الغالب الذي لا يغالب الحكيم في نصر المؤمنين بانزال
الملائكة تارة وبدونه اخرى ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم الله على ان اذ
يقول ظرف له لا بدل من اذ غدوت والمعنى نصركم ببدر ليهلك طايفة من الكفار او كذا او كذا او بقوله
وما النصر الا من عند الله وهذا احسن لعمومه وجريانه على وجهي البدل والظرف او يكبتهم يخزيهم يقال
كبته بمعنى كبده اي اصاب كبده بالغيظ والحرقة فينقلبوا خائبين لم ينالوا خيرا ليس لك
من الامر شيء روى البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله كان يقنت بعد الركوع ويدعو على مضر واحياء من
العرب فنزل ليس لك من الامر شيء وروى ايضا عن انس انه لما كسر رباعيته وشج راسه يوم احد جعل
يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم فنزل اي انما انت عبد مبعوث مامورا بالقتال وقد
فعلت ما امرت به كانت عادته جل استيعاب ملاحم القوم لان منهم من آمن كابي سفيان وخالد بن الوليد او
يتوب عليهم او يعذبهم عطف على ليقطع وليس لك من الامر شيء اعتراض بين المتعاطفين فان القطع
والكبت في العاجل والتوبة والتعذيب في الاجل ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان عطفا على المجرور داو
المرفوع اليه الامر او شيء اي ليس لك من الامر التوبة عليهم او التعذيب او ليس لك من التوبة عليهم او
تعذيبهم شيء وعلى الوجهين من عطف الخاص على العام مبالغة في شمول النفي للخاص وقيل او بمعنى الا اي
ليس لك من الامر شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر او يعذبهم فتشفى منهم فانهم ظالمون
على التعذيب ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا تقرير لقوله ليس لك من الامر
شيء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لا على اصلح ملاك الامر مشيته والتقييد بالتوبة قول بلا دليل
ومعارض لما تواتر من الاحاديث معنى والله غفور رحيم كثير الغفران لا يعاجل بالعقوبة يا ايها
الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة هذا ايضا من اخلاق الكفار بعد

بعد ما نهاهم عن موالاتهم نهاهم عن الاتصاف باخلاقهم وسلوك سننهم والتقييد باضعافا مضا
عفة زيادة توبيخ واشارة الى ما كانوا فيه من الطريقة التي لا يرضاها ذو المروءة من اكل الربا فلا مفهوم
له وقرأ ابن كثير وابن عامر مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون لكي تفلحوا واتقوا
النار التي اعدت للكافرين بالاصالة فلا تشاركوهم في اسبابها واطيعوا الله
والرسول مبالغة في الحث على التقوى لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم اي موجباتها
ووسايلها وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بدون الواو اما على الاستيناف على تقدير سوال او حذف
العاطف لعدم اللبس وكذا رسم مصحف المدينة والشام وجنة عرضها السموات والارض
ليس القصد الى تحديد عرض الجنة بل هو كناية عن غاية السعة بما هو غاية في ذلك في علم السامعين والتمثيل بالعرض
لانه اقصر من الطول وعن ابن عباس لو بسطت السموات والارض ووصلت كانت مقدار عرض الجنة واما
طولها فلا يحيط به الا علم علام الغيوب اعدت للمتقين الاتي وصفهم ولا يلزم منه ان لا يدخلها
العصاة من المؤمنين لان المراد انها لهم اعدت اصالة كالنار للكفار الذين ينفقون في السراء
والضراء حالتي الرخاء والشدة او في جميع الاحوال لان الانسان لا ينفك عن احدهما روي ان
عايشة تصدقت بحبة عنب والكاظمين الغيظ يقال كظم البعير اذا رد جرته الى جوفه والمراد عدم
امضايه واخفاؤه وعن ابي هريرة ان رسول الله قال من تعدون فيكم الصرعة قلنا الذي لا يصرعه الرجال
قال لا ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب والعافين عن الناس جرائمهم عند القدرة لخص
من كظم الغيظ واخفاه من دون العفو وعن ابن عباس اذا كان يوم القيمة نادى مناد اين العافون
عن الناس هلموا الى ربكم خذوا اجوركم والله يحب المحسنين هؤلاء المذكورين اللام للعهد
والاولى الاستغراق فيتناولهم ويدخلون دخولا اوليا والذين اذا فعلوا فاحشة
عطف على المتقين اي اعدت للمتقين ولهؤلاء التائبين والفاحشة فعل تناهى قبحها او ظلموا انفسهم
بارتكاب اي ذنب كان ذكروا الله بصفات الجلال والجمال فاستغفروا لذنوبهم رغبة ورهبة
ومن يغفر الذنوب الا الله بالغ في الدلالة على سعة رحمته باتيان الاسم الجامع واستغراق الذنوب
باللام وتصدير الكلام بالاستفهام الدال على انه المتفرد بذلك والاعتراض بين المعطوف والمعطوف
عليه لئلا ينفك المغفرة عن الاستغفار وفي الحديث التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوبة تجب
ما قبلها ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على المعاصي وهم يعلمون حال من فاعل لم
يصروا على ان حرف النفي منصب عليهما بمعنى ان عدم الاصرار متحقق البتة حال كونهم عالمين قبح الاصرار
اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
خبر والذين اذا فعلوا ان لم يعطف على المتقين والا فكلام مستانف لبيان حال المتقين والتائبين
وقوله والله يحب في البين لرفع شان المتقين وليس في الاية الا ان الجنة اعدت للمتقين والتائبين
او للمتقين خاصة والتائبون اجرهم مغفرة وجنات ولا دلالة في ذلك على عدم دخول المصر
الا بمفهوم وهو ملغى لان الكلام مسوق لترهيب اكلة الربا والترغيب في الاقلاع والتقييد بعدم
الاصرار لتتميم الغرض وشرط المفهوم عند القائل به ان لا يكون له فايدة اخرى ونعم اجر العاملين
اي المذكور وسمي عوض العمل جزاء اولا واجرا ثانيا بالنظر الى المعطي والعامل قد خلت من
قبلكم سنن وقايع الامم المكذبة وطرق هلاكها المختلفة فسيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين تروا منازلهم خاوية بما ظلموا وحثهم على الاعتبار بما يشاهدون
من احوال امثالهم هذا بيان للناس من سوء عاقبتهم ان داموا على التكذيب
وهدى وموعظة للمتقين زيادة هدى ووعظ لهم ويجوز ان يكون قد خلت جملة معترضة
حثا على الايمان وقوله هذا بيان اشارة الى ما لخص من حال المتقين والتائبين ولا تهنوا ولا تحزنوا
عطف على فانظروا تسلية لهم لان النظر الى تلك الوقايع يورث الطمأنينة بان العاقبة لحزب الله كر الى
اتمام حديث احد بعد توسيط حديث الربا والدلالة على انه نوع اخر من حرب الله وحديث الجهاد الاكبر

لانه الاعم **وانتم الاعلون** شانا لانكم تعاملون لاعلاء كلمة الله ولانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا
منكم يوم احد او اعلون في العاقبة الآن حزب الله هم الغالبون **ان كنتم مؤمنين** اى لا تهنوا ان صح
ايمانكم تعيير لهم بان ما بدأ منهم ينافى قوة الايمان او متعلق بالاعلون ان فسر بالبشارة بالعلو فى العاقبة اى
انتم الاعلون ان كنتم مصدقين بهذه البشارة **ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله**
يوم بدر او يوم احد اول النهار قبل ان يخالفوا امر رسول الله وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر القرح بضم
القاف على انهما لغتان او بالفتح الجراح وبالضم الم **وتلك الايام** مبتدأ وخبر **نداولها**
بين الناس جملة موضحة كما فى قولك انت حاتم بجود او حال او خبر بعد خبر والمداولة من الدولة وهى
الكرة والعود والايام اوقات النصر والغلبة والمعنى يجعل النصر تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء فى حديث ابى
سفيان لما ساله هرقل عن حال حربهم مع رسول الله الحرب بيننا سجال **وليعلم الله الذين امنوا**
ليميز الثابت على الايمان من المتزلزل من اطلاق السبب وارادة المسبب او تمثيل اى فعلنا فعل من يريد ان
يعلم الثابت على الايمان او علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلم الثابت موجودا فالمعلل محذوف او العلة محذوف
والمعلل بداولها اى نداولها ليكن كيت وكيت وليعلم وانما حذف للدلالة على ان المصلحة فى ذلك غير واحدة
ويتخذ منكم شهداء ويكرم منكم ناسا بفضل الشهادة وقيل يتخذ منكم من يصلح للشهادة على
الامم وفيه ان تلك الشهادة عامة لكافة الامة **والله لا يحب الظالمين** اعتراض بين العلل
للدلالة على ان ادالة النصر والظفر للكفار تارة ليست الا استدراجا **وليمحص الله الذين امنوا**
عطف على ويتخذ واللام بمعنى كى والتمحيص تخليص الشىء اى ليطهرهم من الذنوب فيلوا او قتلوا **ويمحق**
الكافرين يهلكهم المحق نقص الشىء قليلا قليلا فالربح فى الحالين للمؤمنين **ام حسبتم ان تدخلوا**
الجنة ام منقطعة انكر حسبانهم دخول الجنة دون القيام بما امروا به من مشاق التكليف تصريحا
بما عرض به اولا **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم** اى ولما تجاهدوا ونفى المعلوم بنفى العلم اذ لو
وقع لكان معلوما له ولما كلم فى نفى الماضى الا ان فيه معنى التوقع فدل على ان الجهاد المنفى فى الماضى
متوقع فى المستقبل **ويعلم الصابرين** نصب باضمار ان والواو بمعنى الجمع والمعنى انكار
حسبان دخول الجنة ما لم يتحقق الامران معا **ولقد كنتم تمنون الموت** اسبابه يعنى الذين تخلفوا
عن بدر وحرضوا رسول الله على الخروج الى احد **من قبل ان تلقوه** وتشاهدوا وتعرفوا شدته
فقد رأيتموه حين قتل اخوانكم **وانتم تنظرون** والحال انكم بصراء تشاهدون
ذلك لا علة بكم ولا غفلة وفيه دلالة على كراهة تمنى لقاء العدو قبل الشهادة لما روى البخارى
عنه صلى الله عليه لولا ان اشق على امتى لما قعدت خلف سرية ولوددت ان اقتل ثم احيا ثم
اقتل ثم احيا ولقد قال عبد الله بن رواحة لما ركب متوجها الى غزوة مؤتة وقيل ردكم الله سالما
لكننى اسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا او طعنة بيدى حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء
والكبدا حتى يقولوا اذا مروا على جدثى ارشدك الله من غاز وقد رشدا ولزوم تمنى غلبة الكفار
من تمنى الشهادة وهم **وما محمد الا رسول** رمى يوم احد عبد الله بن قمئة رسول الله فشجه و
نادى الشيطان فى الناس قتل محمد فحصل بذلك وهن فى الناس ورسول الله فى طائفة من اصحابه
ينادى الى عباد الله فانحازت اليه طائفة فلامهم قالوا قد بنيك بابائنا وامهاتنا سمعنا انك
قتلت والقصر قلبى كانهم من شدة تعظيمهم رسول الله اعتقدوا ان شانه يخالف شان سائر
الرسل يدل عليه انه لما استكمل جوار الله قال عمر من قال ان محمدا مات ضربت عنقه بل ذهب الى الله
وسيعود وليضرب اعناق رجال حتى جاء ابو بكر فكشف عن وجهه وقال بابى انت وامى لا يميتك
الله موتتين اما الموتة التى كتبت عليك فقد متها ثم قرأ على الناس هذه الآية فكانهم لم يسمعوها
قبل فلم يبق رجل الا شرع يتلوها وقيل قصر افراد كانهم اعتقدوا وجمعه بين الوصفين الرسالة والتبرى
من الموت وعلى هذا **قد خلت من قبله الرسل** ابتداء كلام وعلى الاول وصف رسول
أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الهمزة للانكار والفاء لربط مضمون الجزاء بعد

نامذ الفاتح

روى ذلك البخارى
صح

بعد تقيد بالشرط بالجملة التى قبلها وهى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل
اى اجعلتم خلو الرسل من قبله سببا لانقلابكم على الاعقاب بعد خلو محمد كان الواجب عليكم
عكس ذلك وهو التمسك بدينه بعده وقدم الموت مع ان الكلام فى القتل لانه الذى لا بد منه
والقتل احد اسبابه **ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا** من الضرر من الاشياء لما لا يعناه **وسيجزى الله**
الشاكرين نعمة الاسلام مدح للثابتين فى ذلك اليوم لما تشاجر قتله قال انس بن النضر يا قوم ان
كان قتل محمد فحى لا يموت فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل
وفيه نزل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه او لكل شاكر فدخل فيهم الثابتون دخولا
اوليا **وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله** بقضائه لا بالاقدام بدينه ولا الاحجام عنه فيه تشجيع
لهم لما كان الموت قائما بالنفس اخرجه مخرج فعل لها **كتابا مؤجلا** مصدر مؤكد لان المعنى كتب
الموت كتابا مؤجلا له وقت معين لا يتقدم ولا يتأخر **ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها** تعريض
بالذين خالفوا رسول الله وتركوا المركز لئلا يفوتهم الغنيمة **ومن يرد ثواب الاخرة نؤته**
منها مدح للثابتين والذين قالوا لا نخالف قول رسول الله قدم ثواب الدنيا لان الكلام فيه
واخره فى سورة الشورى لسوق الكلام فى الترغيب وقرأ ابو عمرو وحمزة ابو بكر باسكان هاء نؤته فى
الموضعين **وسنجزى الشاكرين** اعاده بنون العظمة مبالغة فى الاعتداد بفعلهم **وكاين**
اصله اى دخل عليها كاف التشبيه والنون اصله التنوين كتب نونا على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن
على وزن فاعل ووجهه قلب الياء الى مكان الهمزة ثم حذف احدى اليائين وقلب الاخرى الفا على الوجهين
معناه الكثرة **من نبى** تمييز **قاتل معه ربيون كثير** العلماء والعباد منسوب الى الرب والكسر لتغيير
النسب وقيل منسوب الى الربة وهى الجماعة وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو قتل مجهولا والربيون
قائم مقام فاعله وهذا ابلغ لان القتل يستلزم المقاتلة دون العكس وقيل فى قتل ضمير النبى ومعه
ربيون حال جالية وليس بقوى لما روى عن الحسن انه لم يقتل نبى فى الحرب ولان الكلام فى
تعبير من تزلزل يوم احد ولم يثبت ثبات الربيين مع الانبياء **فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله**
الوهن ضعف الرأى والبصيرة كقول على ولا وان فى عزم **وما ضعفوا** عن مباشرة القتال
وما استكانوا وما خضعوا كما خضعتم تعريض بمن تذلل منهم قال بعض المسلمين ليت عبد الله ابن
ابى اخذ لنا من ابى سفيان عهدا **والله يحب الصابرين** لا سيما فى مواطن الحرب **وما كان**
قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا
على القوم الكافرين وما كان قولهم الا هذا القول وهو نسبة الذنوب والاسراف الى انفسهم
مع كونهم ربانيين هضما واستقصارا وقدم الاستغفار على طلب النصرة ليكون اقرب الى الاجابة
لوقوعه بعد زكاء وطهارة واتفقوا على نصب قولهم خبرا والفعل المأول بالمصدر اسما وذلك
لان ما كان معلوما مسلما يجعل محكوما عليه كما فى اخوك زيد تارة وزيد اخوك اخرى
فكان ذلك القول المخصوص معلوم والمجهول كونه قولهم يحصر قولهم فى ذلك المخصوص
لا يتجاوزه مدحا لهم وقيل لان الفعل للدلالة على النسبة وزمان الحدث اعرف وفيه ان
الاعرفية لا يقتضى ذلك كما فى زيد اخوك فان المضاف الى الضمير اعرف من العلم مع ان
الفعل فى تأويل المصدر المضاف فيستويان على انه غير مطرد لقوله ثم لم يكن فتنتهم الا ان قالوا برفع فتنتهم فى
قراءة ابن عامر وحفص **فاتاهم الله ثواب الدنيا** بالنصر وطيب الذكر والثناء عليهم
وحسن ثواب الاخرة زاد لفظ الحسن دلالة على انه المعتد به وثواب الدنيا المودع
وطلبهم **والله يحب المحسنين** تذييل بما هو افضل من كل ثواب **يا ايها الذين امنوا**
ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين
يقدم ان ناسا من المسلمين قالوا ليت عبد الله بن ابى اخذ لنا عهدا من ابى سفيان فالذين كفروا عبد الله
او المنافقون قالوا الى دين اباكم لو كان نبيا لم يصبه ما اصابه او اليهود قالوا هو بشر مثلنا يوم لنا ويوم

عليه او الخطاب للمؤمنين كافة بان جانبوا الكفار ولا تطيعوهم في شيء بل الله مولاكم ناصركم وهو
خير الناصرين لا نصر الا من عنده فلا حاجة بكم الى غيره سنلقي في قلوب الذين كفروا
الرعب لما انصرف المشركون نادى ابو سفيان رسول الله وقال يا محمد يوم موسم بدر والحرب سجال
بيننا موسم بدر في العام القابل ان شئت فقال رسول الله ان شاء الله فلما كان موسم بدر خرج رسول الله
واصحابه ولم يخرج ابو سفيان القى الله الرعب في قلبه وضم عين الرعب ابن عامر والكسائي ويعقوب وهما لغتان
والاسكان اخف بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا برهانا ليس المعنى ان للشرك برهانا لو انزله
تم دعواهم بل هو من قبيل لا ضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار وفايدته ان لو كان له دليل انزله لقوله
ما فرطنا في الكتاب من شيء ومأواهم النار مرجعهم وبئس مثوى الظالمين النار ولقد
صدقكم الله وعده بالنصر اذ تحسونهم تقتلونهم قتل استئصال من حسه ازاله الحس باذنه
بتيسيره حتى اذا فشلتم جبنتم حتى ابتدائية داخل على الجملة وجواب اذا محذوف اي منعكم نصره
وتنازعتم في الامر حين انهزم المشركون قال بعض الرماة نذهب الى الغنيمة وقال اميرهم لا نبرح
ولا نخالف قول رسول الله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من النصر والظفر منكم من يريد
الدنيا الذين طلبوا الغنيمة ومنكم من يريد الاخرة الذين ثبتوا ثم صرفكم عنهم حتى
قتلوا منكم سبعين رجلا وقتلوا امير الرماة ثبت مكانه مع سبعة ليبتليكم ليعاملكم معاملة المختبر
ولقد عفا عنكم ما فرط من العصيان والله ذو فضل على المؤمنين في الاحوال كلها بالنصر او بالاجر
اذ تصعدون منصوب باذكروا اي اذكروا ذلك الوقت لتعلموا قبح فعلكم وفضل الله عليكم بالعفو
او متعلق بصرفكم او بيبتليكم والاصعاد الابعاد في الارض ولا تلوون على احد لا يلتفتون
عطفا ورقة على احد من شدة خوفكم والرسول يدعوكم في اخراكم في ساقتكم والجماعة المتاخرة
ينادكم الى عباد الله من كر فله الجنة فاثابكم غما بغم غما متصلا بغم من الجرح و
القتل والارجاف بقتل رسول الله او اثابكم غم الانصراف والانهزام بسبب ما اذقتم رسول الله
غم المخالفة لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لكي تتمرنوا على الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع
فات ولا ضر لاحق وقيل في اثابكم ضمير الرسول اي واساكم في الاغتمام كما اغتممتم لاجله لما اصابه
من الشج وكسر رباعيته اغتم لاجلكم ولم يثرب على عصيانكم لئلا تحزنوا على الغائب من النصر ولا على
ما اصابكم من الانهزام والله خبير بما تعملون ببواطن اعمالكم حث على الاخلاص ثم انزل عليكم من بعد الغم
روى البخاري عن ابي طلحة قال اخذني النعاس ونحن في المصاف حتى وقع السيف من يدي مرارا وعن ابن
مسعود النعاس في القتال من الله وفي الصلوة من الشيطان والامنة مصدر كالامن نصب على
المفعول ونعاسا بدل منه او حال مقدم ونعاسا هو المفعول وهذا اوجه لقوله في الانفال
اذ يغشيكم النعاس امنة او مفعول له او حال من المخاطبين بتقدير مضاف اي ذوي امنة او على انه جمع
امن يغشى طايفة منكم اي النعاس وقرا حمزة والكسائي بالتانيث مسندا الى ضمير امنة
والتذكير احسن القرب ولقوله في الانفال يغشاكم النعاس وطايفة مبتدا والخبر محذوف اي
وثم طايفة على ان الخطاب للفريقين او الخبر قد اهمتهم لان النكرة موصوفة تقديرا اي وطايفة
اخرى او قد اهمتهم صفة ويظنون هو الخبر والواو للحال نص عليه سيبويه والاحسن العطف
على الفعلية للدلالة على حدوث الامن للمؤمنين واستمرار الخوف للمنافقين قد اهمتهم
انفسهم صارت همة لهم ليس لهم هم غيرها او قلقتهم واوقعتهم في الهموم يقال اهمه
الامر اذا كان همه واهمه اقلقه يظنون بالله غير الحق صفة اخرى لطايفة او حال من المفعول
او استيناف بيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر ظن الجاهلية بدل منه اي
ظنا مختصا بالجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء استيناف او حال او بدل من يظنون
لان السؤال لما كان صادرا عن الظن بناء على انه طلب علم فيما يشك او يظن جاز ابداله منه
اذ الظن او العلم في التحقيق متعلق بما يقال في جواب ذلك الاستفهام فلا يلزم كون

كون الاستفهام ترجمة للخبر قل ان الامر كله لله النصر والظفر لاوليائه كتب الله لاغلبن
انا ورسلي وقرا ابو عمرو كله بالرفع على الابتداء والنصب اظهر لظهور كل في التاكيد يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك حال من فاعل يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض واستيناف
وهو الوجه لعدم الاعتراض بين الحال وصاحبه ولفوايد الاستيناف يقولون لو كان لنا من
الامر شيء بدل من يخفون يدل على ان سؤالهم لم يكن سؤال مسترشد عن الزبير كنت انعس في المصاف
سمعت معتب بن قشير يقول هذا الكلام ما قتلنا ههنا في المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز
الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي مصارعهم والاماكن التي قتلوا فيها لان قضاء الله لا يرد و
علمه لا يتغير وليبتلي الله ما في صدوركم عطف على علة محذوف مع معللها اي فعل ذلك لمصالح
جمة وللابتلاء ما في صدوركم من الاخلاص والنفاق ولابراز اسرارها وليمحص ما في قلوبكم
ليخلصه ويخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بمضمراتها التي هي اخفى من السر حث
على الاخلاص ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض
ما كسبوا الاستزلال طلب الايقاع في الزلل من زلت به القدم وهو التولي ههنا والمعنى ان الذين
فروا من القتال وقت التقاء الفريقين انما اوقعهم الشيطان في ذلك لاجل ذنوب كسبوها
سابقا والذنب يجر الى الذنب او لم يستحقوا التاييد الالهي لاجلها او لاجل ذنب المخالفة وترك المركز وهذا
هو الوجه دل عليه قوله حتى اذا فشلتم وقوله قل هو من عند انفسكم وما قيل ذكرهم الشيطان
الذنوب السابقة فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد الى ان يقوموا منها فكالمحال وكيف يجعل من
امثالهم ترك رسول الله واخوانهم تحت سيف العدو خوفا من ذنوبهم وهل توبة اقوى من الثبات
في ذلك الموطن والتقييد بالبعض لقوله ويعفوا عن كثير ولقد عفا الله عنهم لما ندموا ان الله
غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالانتقام يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا
وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
كان الكفار والمنافقون بجهلهم بالقدر اذا مات احد من اخوانهم في سفر او قتل في غزوة قالوا لو
كانوا مقيمين عندنا لسلموا فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك الاعتقاد وحسن موقعه بعد ذكر استزلال
الشيطان وانما جاز ان يكون اذا ضربوا ظرفا لقالوا مع ان المستقبل لا يكون ظرفا للماضي لان المعنى لا
يكونوا كالذين كفروا اذا ضرب اخوانهم في الارض وماتوا قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وفايدة التقديم
تعلق القول بالوقوع ويجوز ان يكون اذا ظرفا للاحوال العارضة لهم دون القول كانه قيل قالوا
لاجل الاحوال العارضة لهم اذا ضربوا وعن الزجاج ان اذا لمجرد الوقت وغزى جمع غاز كفسق جمع
فاسق ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ذلك الاعتقاد الفاسد غرض وعلى اللام للعاقبة كقوله ليكون
لهم عدوا او لا تكونوا مثلهم ليجعل ذلك الاعتقاد خاصة حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت
ابطال لذلك الوهم والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين عن مثله وقرا ابن كثير وحمزة
والكسائي يعملون بالغيب وعيد للمنافقين والخطاب احسن لوقوعه بعد نهي المؤمنين ولقوله ولئن قتلتم
في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون اللام الاولى موطئة والثانية
جواب القسم السادّ مسد جواب الشرط والمعنى ما نالوه بالموت او القتل في سبيل الله من المغفرة لذنو
بكم والرحمة المدخرة لكم خير مما يجمعونه من الحطام الفاني لو سلمتم وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن
عامر وابو بكر متم بضم الميم وهو افصح واكثر وقرا حفص يجمعون بالغيب اي مما يجمعه المنافقون
ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون لا الى غيره قدم القتل اولا لان الكلام فيه والحق بالمغفرة
والرحمة واخره ثانيا لان المحشورين موتا اكثر فبما رحمة من الله لنت لهم اي بعدما وقع
ما لنت لهم الا برحمة وافرة من الله وهو ان ربط على جاشك ووفقك للرفق بهم فلم تثرب
بل اغتممت لاجلهم وزيادة ما للتاكيد معنى الحصر ولو كنت فظا سيئ الخلق غليظ القلب
قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك مخافة اللوم والمواخذة فاعف عنهم فيما يتعلق بك

واستغفر لهم بما هو حق الله وهو الفرار من الزحف وشاورهم في الامر اى امر كان تطييبا
لقلوبهم او في امر الحرب وكانه لما شاورهم في قصة احد واشاروا ابا الخروج ثم فروا كان مظنة ان
يترك مشاورتهم وليكون سنة في امته وعنه ما ندم من استشار ولا خاب من استخار وقد ذهب بعض
العلما الى وجوب المشاورة عليه بعد نزول الاية فاذا عزمت فتوكل على الله اذا اجمعت
رايك بعد المشاورة فتوكل على الله والعدول الى المظهر لانه الاسم الجامع لصفات الجمال و
الجلال لا شان في مقام الوعد والوعيد لا يخل به في موارد هما وقرا جعفر الصادق فاذا عزمت
بناء المتكلم اى اذا امرتك امرا جازما لا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين
على الله امر ان ينصركم الله فلا غالب لكم اذ لا ناصر الا من عنده وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم
من بعده غير الاسلوب لما في من ذا من الاستبعاد كقوله من ذا الذي يشفع عنده وعلى
الله فليتوكل المؤمنون لانقانهم بان لا مؤثر سواه وما كان لنبي ان يغل
يقال غل واغل اخذ شيئا من الغنيمة خفية اصل الخفا ومنه غل الصدر روى ابو داود والترمذي
عن ابن عباس ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الصحابة لعل رسول الله اخذها لنفسه
فنزلت تنزيها له وعن مقاتل نزلت في الرماة لما تركوا المركز وقالوا نخاف ان يقول من اخذ شيئا
فهو له ولما عاتبهم قال ظننتم انا نغل وما قيل خافوا ان لا نقسم كما لم يقسم يوم بدر فاسد
الاصل وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي يغل بضم الياء والمعنى يوجد غالا او ينسب
الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة يحمله بعيرا او شاة رواه مسلم روى ان
اعرابيا كان قد سرق نافجة مسك فلما سمع الاية قال الحمد لله احملها طيبة الريح خفيفة الحمل ثم
توفى كل نفس ما كسبت غلولا وغيره ولذلك اورده عاما وهم لا يظلمون بزيادة او
نقصان افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليس كذلك بل بينهما بون بعيد
وماواه جهنم وبئس المصير اى جهنم حذف المخصوص هم درجات عند الله ذووا
درجات حذف المضاف او لهم درجات حذف الجار او شبهوا بالدرجات في التفاوت والدرج
منزلة لوحظ فيها العلو كما لوحظ في الدركة النزول ففيها تغليب والله بصير بما تعملون
لا يخفى عليه منه شيء وقرا نافع وحمزة والكسائي وابن عامر بيا الغيبة لقد من الله على
المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم عربيا مثلهم يعرفون نسبه وصدقه وامانته فلا تنعم
اجل منه وقرئ من انفسهم اى اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار
بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وهاشم
ذروة قريش ومحمد ذروة هاشم يتلوا عليهم اياته دلايل وحدانية الله على الاستمرار بين
اظهرهم يراجعونه في كل شيء ويزكيهم من دنس الطبايع بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة او يتلو عليهم ايات كتابه الدالة على شؤونه ويعلمهم
معانيها واحكام الشرع وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان مخففة والجملة في موقع الحال
او استيناف اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها يوم بدر قتلوا منهم سبعين واسروا سبعين
قلتم انى هذا كيف نصاب ونحن موعودون بالنصر لما ظرف مضاف الى الجملة بعده والواقع
موقع الجزاء قلتم وانى هذا مقول القول والواو عاطفة اما على مقدر نحو افعلتم كذا وقلتم او على
قوله لقد صدقكم الله لان ما في البين كلا قصة احد والهمزة مخللة بين المعطوف عليه والمعطوف
للتقرير والتقريع على ما تضمنه المعطوف قل هو من عند انفسكم بترككم المركز وبخالفتكم الرسول
او بكرهكم من المدينة وروى عن علي باخذكم الفداء يوم بدر والله اعلم بصحته ان الله على كل شيء
قدير فيقدر على ان يصيب بكم مرة ومنكم اخرى وما اصابكم يوم التقى الجمعان الفريقان
يوم احد فباذن الله فبارادته وقضائه ودخول الفاء لتضمن المبتداء معنى الشرط على معنى
ان ذلك سبب للاخبار بانه من الله نحو وما بكم من نعمة فمن الله وليعلم المؤمنين وليعلم

لقوله فكلوا مما غنمتم ... لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وكيف يحيى عنه ...

وليعلم الذين نافقوا اى فعل ذلك ليميز الفريقان وقيل لهم تعالوا قاتلوا
في سبيل الله من تمام الصلة عطف على نافقوا او كلام مستقل عطف على وما اصابكم او ادفعوا
عن اموالكم انفسكم ان لم تقاتلوا نصرة لدين الله او كثروا سواد المؤمنين فانه مما يدفع العدو القايل
عبد الله بن عمرو ابو جابر قاله لابن ابي لما انخزل ثلث العسكر قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم جحدوا
ان يكون لهم علم بالقتال راسا او خطاوا رسول الله والمؤمنين بان القتال يقتضي نوع تكافؤ
ورجاء غلبة وما هم فيه القا النفس الى التهلكة هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان اى
قربهم من الكفر في ذلك اليوم يزيد على قربهم من الايمان لانهم قبل ذلك لم يظاهروا بالكفر بل
كانوا مذبذبين او تقديره مضاف اى لاهل الكفر اقرب نصرة لان تقليل سواد المؤمنين تقوية لاهل
الشرك يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم هو قولهم لو نعلم قتالا وما بينهما اعتراض والله
اعلم بما يكتمون منكم لانكم تعلمون بامارات ومخايل وهو يعلم تفاصيله الذين قالوا لاخوانهم
لاجلهم الموصول بدل الذين نافقوا ورفع او نصب على الذم او بدل من واو قالوا او المجرور
في بافواههم وابدال المظهر عن ضمير الغايب شايع كقول الفرزدق على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده
لضن بالماء حاتم بجر حاتم بدلا من الضمير المجرور وقعدوا والحال انهم قعدوا عن القتال لو اطاعونا
ما قتلوا قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين لان انفسكم اليكم والموت هو المهروب منه لان
القتل احد اسبابه الزمهم الحجة لانهم مع شدة عنادهم لا يقدرون على انكاره ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء بئر معونة وكانوا سبعين رجلا وقيل في شهداء
احد والحكم عام الخطاب لرسول الله او لاى مخاطب كان وقرا هشام في وجه يحسبن بالغيب
اى حاسب او مسند الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف اى لا يحسبن الشهداء انفسهم
امواتا والخطاب احسن لما روى ابن عباس ان رسول الله قال لما اصيب اخوانكم جعل الله
ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وياكل من ثمارها وتاوى الى قناديل من ذهب معلقة تحت
العرش فقالوا من يبلغ اخواننا ما نحن فيه نحو طب رسول الله واخبر بحالهم وقرا هشام قتلوا ولا ابن
عامر ثانيا بالتشديد والتخفيف اظهر لانه مدار الحكم بل احياء بل هم احياء عند ربهم قربا
ورتبة يرزقون كالاحياء باكسابهم الاحيا فرحين بما اتاهم الله من فضله من القرب والكرامة
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الذين يخلفوا من اخوانهم او كافة المؤمنين
الى اخر الدهر لما شاهدوا واما اعده الله للمؤمنين الا خوف عليهم ولا هم يحزنون
بدل اشتمال من الذين اى يستبشرون بعدم الخوف والحزن لمن خلفهم اثر المضارع في الرزق والا
ستبشار لانهما على التجدد بحسب الحيا بخلاف الفرح فانه لازم مستمر والاية صريحة في انهم احياء
بالابدان ابدا لو ابدانا خير من اجسادهم لان الترغيب في الجهاد انما يكون بذلك والافارواح
المؤمنين في عليين منعمة نطق به الكتاب والسنة وقوله تعالى في ال فرعون النار يعرضون عليها
دليل على ان العرض للارواح والاجساد معا على ان الارواح ايضا اجسام لطيفة فيجوز ان يكون
الفرح والترح لها وفيه احاد لمن يتمنى لاخيه المؤمن خيرا كما رواه البخاري لا يؤمن احدكم حتى
يحب لاخيه ما يحب لنفسه يستبشرون بنعمة من الله بثواب جزيل وفضل زيادة على جزاء
اعمالهم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من تمام المستبشر به عطف على فضل يؤيد ان الذين لم
يلحقوا بهم هم المؤمنون كافة وقرا الكسائي ان بالكسر على الاستيناف وهو ابلغ وفيه اشارة
الى ان ما نالوه من رتبة الشهادة بايمانهم الكامل وسعيهم في اسباب الشهادة الذين
استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتداء
خبره للذين احسنوا لما رجع المشركون من احد قالوا فيما بينهم لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم
بئس ما صنعتم وهموا بالرجوع فسمع رسول الله بذلك فنادى في الناس بالخروج الى المشركين وقال
لا يخرج الا من كان معنا بالامس فقال جابر وكان لم يشهد يا رسول الله خلفني ابي على سبع اخوات

فادن لم يخرج في اثارهم حتى بلغ حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال والقى الله الرعب في قلوب
المشركين ورجع رسول الله ومن معه غانمين فائزين بالسلامة من الله روى البخاري عن عايشة انها
قالت لعروة بن الزبير ابوك وجدك ابو بكر ممن استجابوا لله والرسول وقرا ابو بكر وحمزة و
والكسائي بضم القاف وقد سبق انهما لغتان للذين احسنوا منهم بالخروج واتقوا
مخالفة رسول الله اجر عظيم لا يعلم قدره غير الله الوصف للمدح ومن بيان لان كلا منهم
محسن الذين قال لهم الناس ركب عبد القيس وقيل نعيم بن مسعود الاشجعي ان الناس
قد جمعوا لكم اي ابا سفيان فالمعرفة المعادة ليست عين الاول ولا اللام اشارة الى المذكور بل
الى ما عرفه المخاطب فاخشوهم فزادهم ذلك القول ايمانا حيث لم يعتدوا به فازدادوا اتقا
او كمالا لان الخروج مع رسول الله بعد ما اصابهم القرح من افضل الطاعات وقالوا حسبنا الله
كافينا ونعم الوكيل الموكول اليه معوضه فانقلبوا بنعمة من الله بثواب جزيل وفضل
وربح وذلك ان رسول الله لما واعد ابا سفيان ان ملاقيه ببدر وخرج ولم يخرج ابو سفيان وكان
للعرب في ذي القعدة موسم ببدر فوافاه رسول الله واصحابه فاتجروا وكسبوا ربحا لم يمسسهم
سوء من العدو واتبعوا رضوان الله باتباع رسول الله والله ذو فضل عظيم
من ذلك ما من به على من لا، وفيه تحسير للقاعدين وتخطئة لرايهم انما ذلكم الشيطان
اشارة الى القائل ان الناس قد جمعوا لكم والشيطان خبرا وصفة على التشبيه او اشارة الى القول
بتقدير المضاف والشيطان ابليس فالتجوز في الاضافة حيث نسب قول ذلك القائل الى ابليس يخوف
اولياءه اي يخوفكم اولياءه حذف ثاني المفعولين وهم ابو سفيان واصحابه وقيل المذكور هو
المفعول الاول والثاني محذوف اي يخوفهم ابي سفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير في
فلا تخافوهم يعود الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم الخطاب للخارجين معه والنهي
عن الشيء لا يستلزم وقوعه او النهي عن الخوف في المستقبل او للقاعدين واولياءه من
وضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم بانهم اولياء الشيطان وخافون ان كنتم
مؤمنين فان الايمان يستلزم القول بان لا مؤثر غيره وايثاران مع كونهم مؤمنين
قطعا لما كان بهم من فتور لكون اكثرهم جرحى او مصابا بقتل قريب او صديق ولا يحزنك
الذين يسارعون في الكفر في اسبابه من جمع الناس والانفاق عليهم كما فعل ابو سفيان واقرانه
وقيل اريد المنافقون وقيل اهل الكتاب الذين يحرفون الكلم قال العشري الحزن على كفر
الكافر عبادة لو يوجر عليها الا ان رسول الله كان يفرط في ذلك لقوله فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات وقيل معناه لا يحزنك كفرهم فانهم لا يضرونك به وانما يضرون انفسهم وقرا نافع
يحزنك من احزن عن الفراء انهما لغتان وعن الخليل حزنه ادخل فيه الحزن واحزنه صيره حزينا
انهم لن يضروا الله شيئا دينه او اولياءه شيئا من الضرر او من الاشياء مفعول مطلق او مفعول
يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة خبر بعد خبر او استيناف ذكر الارادة للدلالة على
ان الشرور ايضا بارادته وايماء الى ان تماديهم بلغ حدا لم يرد لهم ادنى نصيب من رحمة وسعت
كل شيء ولهم عذاب عظيم فوق ذلك الحرمان دفع لوهم الاقتصار عليه ان الذين اشتروا
الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا تكرير للاول وتاكيد او في اهل الكتاب الذين حرفوا واشتروا
بايات الله ثمنا قليلا ولهم عذاب اليم في مقابلة ما التذوا به من الرياسة والرشى ولا يحسبن
الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم اي الذي نطيل لهم من العمر يقال املى له اذا ارخى طيله انما
ما في خبره ساد مسد المفعولين وقرا حمزة بالخطاب اما لرسول الله او لكل حاسب واقتصر
على المفعول الاول لان البدل وهو ان نملي لهم هو المقصود او بتقدير مضاف في الاول اي
حال الذين او في الثاني اي اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما
ويكملوا اسباب عقوبتهم هذا وامثاله ظاهر ان يجوز تعليل فعله بالغرض وان لم يجوز فهي حكم

رد على التفتازاني حيث جعل قوله فلا تخافوهم على ان الخطاب للقاعدين منه

حكم صالح لا انها فعله الكمالي او على التشبيه بالعلل كقوله ليكون لهم عدوا ولهم عذاب مهين
في مقابلة استكبارهم وطغيانهم ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث
من الطيب الخطاب للمخلص واهل النفاق واللام للتاكيد اي ما كان مقتضى حكمته ان يترك الفريقين
مختلطين لا يمايز بينهما اشارة الى الحكمة في انصراف اهل النفاق وقوله لو نعلم قتالا لاتبعناكم
وقرا حمزة والكسائي يميز مشددا من التمييز وهو ابلغ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن
الله يجتبي من رسله من يشاء فيعلم بعض المغيبات ليشير الى ان اخبار رسول الله بان فلانا مؤمن
او انه من اهل النار ليس من علم الغيب في شيء فامنوا بالله بانه المتفرد بعلم الغيب ورسله
بان الله هو الذي يطلعهم على بعض الغيوب وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره
ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم المفعول الاول محذوف
اي بخلهم وان تجعل فيه ضمير رسول الله او اي حاسب كان وقراءة حمزة بالتاء بتقدير مضاف اي
بخل الذين وقرا عاصم وابن عامر وحمزة هنا والموضعين السابقين يحسبن بفتح السين
حيث وقع في القران وهو القياس والكسر لغة الحجاز وفي قوله بما اتاهم دون اموالهم زيادة
ذم بان اللائق بهم ان يحسنوا كما احسن الله بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم
القيمة سيلزمون وباله والطوق مثل في اللزوم او نفس حقيقة لما روى البخاري عن ابي هريرة
ان رسول الله قال من اتاه الله مالا فلم يؤد زكوته مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه
فياخذ بشدقيه ويقول انا مالك انا كنزك ولله ميراث السموات والارض سيتركونه له حث
على الانفاق قبل فوات وقته والله بما تعملون خبير وعيد للبخلاء وقرا ابن كثير وابو عمرو
بالخطاب التفاتا لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء دخل ابو بكر رضي الله عنه
مدراس اليهود وفيه جماعة من اليهود منهم فنحاص بن عازوراء وكان من احبارهم فقال عليهم
واقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص ان الله فقير يسالنا القرض يا معشر اليهود يريد تكذيب القران والا لم
اية في التورية تحث على الصدقة فلطم وجهه وقال لولا العهد بيننا لضربت عنقك سنكتب ما قالوا
وقتلهم الانبياء اي نثبت في كتابنا معالنهم السين للتاكيد مجردا ولهذا عطف عليه الماضي
وهو قتل الانبياء والعدول الى المضارع مبالغة كانه معد بين يدي الكاتب يطالع حينا فحينا
ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي نقول لهم بهذا القول عند الانتقام ايما لمعهم
مراده حيث لم تصغ الى الحق والحريق النار العظيمة بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام
للعبيد اي بسبب اعمالكم ولاجل ان الله ليس يظلم احدا بدون الجناية وذكر الايدي لان اكثر
الاعمال بها تزاول وايثار الظلام مع كونه لا يظلم مثقال ذرة باعتبار كثرة المتعلق او لانه
لو ظلم لكان ظلمه في النهاية لكمال صفاته او لان ذلك العذاب لو كان ظلما لكان ظلما عظيما
الذين قالوا ان الله عهد الينا وصاما رفع او نصب على الذم او بدل من الذين او من
العبيد ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار يريدون ان في التورية هذا الحكم
افتراء على الله قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات المعجزات الواضحات وبالذي قلتم وبمعنى
فلم قتلتموه لان الذي قالوه القاطع مخصوص بهم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين في دعويكم
فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر و
الكتاب المنير تسلية له بان تكذيب الجهلة للانبياء امر قديم ليس مختصا به والزبر جمع زبور
كرسل في رسول وهي الصحف والكتاب المنير التورية او هو والانجيل والزبور وقرا ابن عامر بالزبر
وبالكتاب بزيادة الباء تاكيدا وهو رسم مصحف الشام كل نفس ذائقة الموت لا محالة
وانما توفون اجوركم يوم القيمة اجر اعمالكم كاملا فان بعضها قد وصل اليهم لان
القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز
الفوز الذي كل فوز دونه والزحزحة تكرير الزح وهو التبعيد والجذب بعجلة روى الامام احمد عن عمرو بن

الماضي انه رسول الله قال من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله
واليوم الاخر وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اشار الى
ما يعوق السالك عن ادراك ذلك الفوز شبه حيوة هذه الدار بمتاع يدلس به على المشتري ويغر به
ثم يظهر له حقيقة الحال ويندم حيث لا ينفع الندم وهذا لمن لا يتوسل بها الى الباقي لقوله نعم المال الصالح
للرجل الصالح لتبلون في اموالكم وانفسكم بالقتل والاسر والجرح وانفاق الاموال في سبيل
الخير ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا بالطعن في دينكم
وملافراء عليكم وانواع الهجو خاطبهم به قبل وقوعه ليوطنوا انفسهم على احتماله عند الوقوع وان
تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور من معزومات الامور التي عزم الله عليكم وفرضها
او مما تعزمون عليها لوجوبها اخبر عنها بالمصدر حيث عليها او من عازم الامور على ان الاسناد مجاز
كقوله فاذا عزم الامر واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
اي اذكر ذلك الوقت الذي اخذ الله الميثاق على علماء اهل الكتاب على لسان انبيائهم وقرأ نافع وابن
عامر وحمزة وحفص الفعلين بالخطاب على الحكاية عند الاخذ والضمير المنصوب للكتاب او لرسول الله
ولا تكتمونه تأكيد وتصريح بما علم ضمنا فنبذوه وراء ظهورهم كناية عن عدم الاعتداد به
عكسه جعل نصب عينه واشتروا به ثمنا قليلا متاعا فانيا فبئس ما يشترون يستبدلون به والاية
وان نزلت في اهل الكتاب فالحكم عام لقوله صلى الله عليه من كتم علما عن اهله الجمه الله بلجام من النار
وعن علي بن ابي طالب ما اخذ الله على الجاهلين ان يتعلموا حتى اخذ على العلماء ان يعلموا ولا تحسبن الذين
يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب روى البخاري ومسلم عن ابي سعيد
الخدري ان رجالا من المنافقين كانوا يتخلفون عن الغزو فاذا قدم رسول الله اعتذروا اليه واحبوا
ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت وعن ابن عباس سأل رسول الله اليهود عن شيء فكتموه واخبروه بخلافه
واستحمدوا اليه وفرحوا والمعنى لا تحسبن يا محمد هؤلاء الذين يفرحون بمفازة من العذاب على ان
الفعل الثاني مع الفاعل تأكيد للاول والفاء زائدة للدلالة على ان فعلهم المذكور سبب لعدم
الحسبان وقرأ نافع وابو عمرو وابن كثير وابن عامر الفعل الاول بياء الغيب والفاعل ضمير الرسول
واول المفعولين الموصول والثاني بمفازة اذ قدر للثاني بأن والا فالعكس او الموصول هو الفاعل
والمفعول الاول محذوف اي انفسهم والثاني على ما ذكر وقرأ ابن كثير وابو عمرو الفعل الثاني بياء
الخصوص مسندا الى ضمير الموصول ولهم عذاب اليم ولله ملك السموات والارض فهو الغني
المطلق لا كما قالت اليهود ان الله فقير والله على كل شيء قدير فيقدر على اغناء الفقراء وانما دعاكم الى
الصدقة ليوجب لكم الاجر والثواب ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات
لاولي الالباب دليل على كونه مالك السموات والارض متصرفا فيهما كيف يشاء عن عطاء ذهبت
انا وابن عمر وعبيد بن عمير الى عائشة فقال عبيد اخبرينا باعجب ما رأيت من رسول الله فقالت كل امره
كان عجبا اتاني ليلة ودخل فراشي حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني اتعبد الليلة قلت اني احب قربك
واحب ما يسرك فقام الى القربة فتوضأ فصلى وبكى حتى بل الارض ثم لم يزل كذلك حتى جاء بلال يؤذنه بالصلوة
فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال ويحك يا بلال وما يمنعني ان
ابكي وقد انزل علي هذه الليلة ان في خلق السموات ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها
واعلم انه في سورة البقرة لان الكلام هناك مع عبدة الاصنام الذين هم كالانعام وهنا
مع احبار اليهود ولذلك فصل هناك يعقلون وهذه باولي الالباب اي العقول الخالصة عن معارضة
الوهم تعريضا بالاحبار الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم احوال مترادفة والموصول في محل
الجر على الوصف اشارة الى ان الاخلاق الزكية والافعال الحميدة تعين على تصفية الباطن والجلاء النفس
للاستفاضة بغوامض العلوم ودقائق الاسرار ويتفكرون في خلق السموات والارض في بدايع صنعهما
وعجايب اوضاعهما روي ان رسول الله قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له العمل كل يوم بقدر

يفعد عمل اهل الارض اراد التماثل في الكيف واراد بعمل التفكر في امر الله لان احدا لا يقدر على عمل اهل
الارض بالجوارح قيل ما جلت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر ربنا ما خلقت هذا باطلا
بتقدير القول اي قائلين اشارة الى السموات والارض باعتبار المخلوق والعدول من الضمير الى اسم الاشارة
للدلالة على كمال التميز وضرب من التعظيم وباطلا صفة مصدر او حال اي ما وجدت بهذا المكون عبثا بل
استدل به على وحدانيتك ووجوب طاعتك ولاجتناب معصيتك سبحانك فقنا عذاب النار
اي نحن نطيعك فقنا عذاب النار الذي هو جزاء العاصين ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
ادخلته في الخزي اطلق لمقابل قوله فقد فاز وفيه دليل على ان العذاب الروحاني اشد وما للظالمين
من انصار الكاملين في الظلم فيخرج الفاسق ولو عمم لا يدل على عدم الشفاعة لان النصرة دفع
بالقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع السماع على المنادي باعتبار الوصف
وهو النداء انهم المنادي ثم فسره تفخيما لشأنه او للمنادي له والمنادي هو الرسول لانه الداعي
حقيقة وقيل القران ويعدى باللام والى لتضمنه معنى الاختصاص والانتهاء ان امنوا بربكم
ان مصدرية او مفسرة فامنا دلت الفاء على اتصال ايمانهم بالنداء ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
وكفر عنا سيئاتنا جمعوا بين الغفران والتكفير مبالغة والاول في الكبائر والثاني في الصغائر
فانها مكفرة باجتناب الكبائر وتوفنا مع الابرار معدودين منهم جمع بر او اسم جمع لبار ربنا واتنا
ما وعدتنا على رسلك على تصديقهم او على السنتهم سألوه انجاز ما وعد مع انه لا يخلف الميعاد
خضوعا لجناب قدسه والتذاذا بالمناجاة ولا تخزنا يوم القيمة بكشف الستر عن فضائحنا انك لا تخلف
الميعاد لذلك سألناك لا لاستحالة ذكر خمس مطالب من غير عاطف لاستقلال كل وصدرها
بلفظ الرب توسلا بجوده السابق الى استجلاب اللاحق فاستجاب لهم ربهم الذي توسلوا بجوده
ولذلك اعاد لفظه يقال استجاب له واستجابه واجابه بمعنى مع ما في السين من قوة المعنى اني لا اضيع عمل
عامل منكم باني بنى الكلام في الجواب على ما بنوا عليه من الاطناب عناية ولطفا من ذكر او انثى
بيان لعامل لانه بمعنى شخص روى الحاكم عن ام سلمة انها قالت يا رسول الله لم اسمع الله ذكر النساء في الهجرة
فنزلت بعضكم من بعض في الدين او من اصل واحد اعتراض يؤكد التساوي في الثواب فالذين
هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي تفصيل لعمل العامل اعتدادا به وتفخيما كانه قال
الذين فعلوا هذه الافعال المرضية وقاتلوا وقتلوا وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المقصود
على الممدود لان الواو لا ترتب فيه او لان القتال وقع من بعضهم بعد قتل البعض فغير زيادة مدح
لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله تفضلا منه لان الاعمال
وسايل عادية والتفت الى الاسم الجامع من التكلم للدلالة على الالوهية التي من شأنها الفضل والعطاء
والله عنده حسن الثواب تتميم لما تقدم وتوكيد له والاتيان بالمصدر موضع فادون الوصف
مبالغة لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ترددهم فيها بالمتاجر والمزارع وسائر الاسباب
الخطاب للرسول الله كقوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم والمراد تثبيته او خطاب هو والمراد
امته كما في نظائرها والخطاب عام متاع قليل وفي نفسه لما روى البخاري ان اخر من يدخل الجنة له بقدر الدنيا
عشر مرات وقال ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يدخل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع او قليل البقاء سريع
الزوال ثم ماويهم جهنم مصيرهم وبئس المهاد المخصوص محذوف اي جهنم لكن الذين اتقوا
ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل ما يعد للضيف النازل
قال ابو الشعر وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات
ان جعل فاعلا لاعتماده او من الضمير في الظرف ان جعل مبتداء او على المصدر المؤكد لمضمون الجملة
كانه قيل رزقا او عطاء وما عند الله خير للابرار من متاع الدنيا للفجار ان الابرار لفي نعيم وان الفجار
لفي جحيم وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم روى مسلم والبخاري
ان رسول الله نعى النجاشي ملك الحبشة وكان مؤمنا برسول الله وخرج باصحابه الى البقيع وصلى عليه

فقال المنافقون الا ترون الى هذا يصلي على علج نصراني قرئت وبه استدل الشافعي على صلوة الغائب
خاشعين لله لكمال علمهم بكبريائه **لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا** تعريض بالمحرفين منهم
اولئك لهم اجرهم عند ربهم لم تره احد ولم يخطر بقلبه **ان الله سريع الحساب** كناية عن قرب
الجزا وعدا لانه من لوازمه او عن كمال علمه ليدل على احاطته بمقادير الاجور ومراتب الاستحقاق
يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا على مشاق الطاعات وصابروا على
المحاربة مع الاعداء الظاهرة والباطنة افرده بالذكر لانه اشق وافضل ديرصدوا في الثغور للعدو
روى البخاري عن سعيد بن سعد الساعدي ان رسول الله قال رباط يوم خير من الدنيا وما
فيها وروى مسلم عن سلمان ان رسول الله قال رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات اجري
عليه رزقه عمله وروى ابو داود كل ميت يختم على عمله الا المرابط وروى الترمذي عن عثمان
انه قال رباط يوم خير من الف فيما سواه وروى الامام احمد عن عثمان انه قال وهو على
المنبر سمعت رسول الله يقول رباط يوم خير من الف يوم يصام والف ليلة تقام وفي الاوامر
الثلث اشارة الى المراتب الثلث المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة كانه قيل اصبروا على
مشاق الطاعات ومجاهدة النفس في رفض المالوفات ورابطوا السر على جناب القدس لترصد
الواردات **واتقوا الله** في المحافظة عليها **لعلكم تفلحون** تفوزون بما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر

سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم **يا ايها الناس** خطاب لكافة الناس **اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة** هي نفس آدم **وخلق منها زوجها** حواء خلقها من قصر ضلع في الجانب الايسر
عطف على مقدر بصفة نفس اي خلقكم من نفس خلقها وخلق منها زوجها **وبث منهما
رجالا كثيرا ونساء** بيان بكيفية الخلق الكثير من النفس الواحدة بانه انشاها ثم جعلها اخرى
مكونة منها ثم بث من الزوجين مما لا يحصى ففي الخطاب تغليب او خاص بالموجودين والعطف
على خلقكم والمبثوث غير المخاطب كانه قال خلقكم من نفس آدم وخلق منها امكم حواء وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء فان قلت المخلوق من آدم هي حواء لا المخاطبون فكان الظاهر
تقديمها وخلقكم منها قلت القصد هو الاشارة الى المنشا والاصل الذي تفرعوا وتشعبوا
منه ليدل على كمال القدرة واسباغ النعم الموجبين لما فيه غاية الخوف ومزيد الشكر
ليقع بعد الامر بالتقوى ما يوجبها ولا دلالة فيه على عدم مدخلية الزوج في وجود المخاطبين
وانما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لانهما اكثر من الرجال **واتقوا الله الذي
تساءلون به والارحام** بالنصب عطفا على اسم الله اي واتقوا الارحام لا تقطعوها لقوله وو
صينا الانسان بوالديه وقوله وآت ذا القربى حقه وعلى محل الجار والمجرور وقالت
العرب نسال بالله وبالرحم يقول ما شدتك الله والرحم والمعنى يسئل بعضكم بعضا
بالله وبالرحم او تسئلون غيركم على ان تفاعل بمعنى فعل وهذا مطرد اذا كان في الفاعل
على كثرة وقراءة الكوفيون تساءلون مخففا بحذف احدى التائين وحمزة والارحام بالجر
على القسم او العطف على المجرور بدون اعادة الجار والتوكيد كما هو مذهب الكوفيين و
القراءة المتواترة يكفيها وجه نحوي **ان الله كان عليكم رقيبا** مراقبا حفيظا **وآتوا اليتامى
اموالهم** تفصيل ما يتعلق بالارحام من رعاية اليتامى وبيان المواريث والوصايا
والعدل في النكاح وما يتصل بذلك الى آخر السورة اليتم لغة الانفراد واليتيم شرعا
صغير لا اب له والمراد البلغ لان الولاة وقيم الايتام انما يؤمرون بدفع الاموال اليهم
بعد البلوغ فاللفظ مجاز باعتبار ما كان وايثاره على الحقيقة للاختصار والحث على ايتاء
اموالهم بعد ايناس الرشد منهم قبل زوال هذا الاسم منهم عرفا وقياس جمع فعيل كرما
في كريم او فعلى كرضى في مريض وانما جمع على فعالى لجريه مجرى الاسماء فجمع على يتائم ثم على يتامى

ثم على يتامى او لان اليتيم من الآفات فجمع على يتمى كاسير واسرى ثم على فعالى كاسارى **ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب** لا تتركوا الكسب الحلال وتاكلوا مال اليتيم او لا تختاروا الخبيث وهو
اضاعة مال اليتيم على الطيب الذي هو حفظه او لا تاخذوا الطيب من مال اليتيم وتعطوا الردي
مكانه فان قلت هذا معنى التبديل لان الباء دخلت على الماخوذ والتبدل يقتضي دخولها على المتروك
كقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان قلت اذا بدل الردي بالجيد لنفسه فقد تبدل لليتيم الردي بالجيد
واثر التبديل ملاحظا جانب اليتيم لان الكلام في شانه **ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم**
مضمومة اليها هذا اذا لم يكن محتاجا لقوله ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف **انه كان حوبا كبيرا**
ذنبا عظيما وقراء الحسن حوبا بالفتح مصدر حاب **وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى** روى البخاري
عن عائشة اليتيمة يكون في حجر وليها فرغب في مالها وجمالها فيريد تزوجها ولا يقسط لها في المهر فنهوا عن نكاحهن
الا ان يقسطوا لهن وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يكثر من النساء ولا يقدر على القيام بحقهن
ولما نزلت الآية الاولى تحرجوا عن ولاية مال اليتيم فقيل لهم ان تحرجتم عن ولاية مال اليتيم خوفا
من الاثم فما لكم لا تتحرجون عن هذا الاثم وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنى ويتحرجون من ولاية مال
اليتيم فقيل لهم ان تحرجتم عن ذلك فتحرجوا عن هذا ايضا **فانكحوا ما طاب لكم من النساء**
ما استطابته انفسكم عام خص بقوله حرمت عليكم امهاتكم او ما حل لكم على انه مجمل بين به وما قيل ان
الامر للاباحة فقوله اي ابيح لكم ما ابيح غير لازم لان الاباحة راجعة الى قوله **مثنى وثلث ورباع**
اي ابيح لكم من غير المحرمات هذا العدد وانتصابها على الحال من فاعل طاب اي ابيح لكم نكاح الطيبات
مفصلات على هذه الاعداد غير منصرفة للعدل والوصف لانها لم تستعمل غير صفة ومن لم يقيد بالوصفية
لعروضها فلكونها معدولة لفظا ومعنى لان ثلث معدول عن لفظ ثلثة ومعناه لقصد التكرير
تكرارات خلافا للكوفيين والمعنى تخير المخاطبين بين هذه الاعداد من غير تجاوز ومن جوز نكاح التسع
مستدلا بان الواو للجمع لم يحافظ على كيفية النكاح المشار اليها بالتعديد والتفصيل فان قلت كان
الظاهر او لانها جاءت للتخيير كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين قلت المعنى تخير المخاطبين بين هذه
الاعداد من غير تجاوز واو لاحد الامرين غير مجموع بينهما فيكون التخير في هذه الاعداد غير مجموع بينها
ومعنى الواو التخير من غير تجاوز وهو المراد **فان خفتم الا تعدلوا فواحدة** اي اختاروا الواحدة وذروا
تلك الاعداد **او ما ملكت ايمانكم** من السراري من غير حصر **ذلك** اي اختيار الواحدة والسري
ادنى الا تعولوا تميلوا وتجوروا عن الحق يقال عال الميزان اذا مال وفي شعر ابي طالب يمدح رسول الله
بميزان قسط لا يخس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل وعن الشافعي تعولوا تكثر عيالكم يقال عال
يعول بمعنى مان يمون جعله كناية عن كثرة العيال لان من كثر عياله لزمه المؤنة نقل الازهري عن الاصمعي
والكسائي والدارقطني عن زيد بن اسلم فالقادح في الشافعي قادح في نفسه لعدم احاطته باقوال
اهل العربية والآثار مع ان الشافعي في معرفة لسان العرب اعلى كعبا واطول باعا من البقاء المذكورين
فان قلت بيان اللغة استقامت كيف وجه القلة مع تجويز التسري من غير حصر قلت المهايرة يحتاج الى
زيادة النفقة والسكنى اللائق والكسوة المعتبرة باعتبار حال الزوج من اليسار والتوسط والفقر
وان ولدت فلها ان لا ترضع الولد وان ارضعته فلها طلب الاجرة وكل ذلك منتف في الاماء
وآتوا النساء صدقاتهن نحلة مهورهن جمع صدقة بضم الدال وبالسكون والنحلة العطية نحله كذا
اعطاه ومنه قول الصديق لعائشة كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابه على المصدر او
الحال من الفاعل او المفعول او منحولة او تفضلا من الله حال من الصدقات او من نحل كذا اذا دان به اي
ديانة على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء
فانهم كانوا ياخذون مهور المولّيات **فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه** كانوا يأثمون
ان ياخذوا شيئا مما ساقوه فابيح لهم ذلك وحيث قيد بطيب النفس دل على ضيق المسلك
ووجوب الاحتياط ولذلك روي عن عمر بن الخطاب انه كتب الى قضاته ايما امراة اعطت زوجها

بهر صدقت قلبها وكذا روي عن القاضي شريح وقيد بشيء منه حثا لها على عدم سبه الكل واليه
ذهب الليث فلم يجوز التبرع الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها قبل الولادة وعن مالك
يجوز من الثيب دون البكر وتذكير الضمير باعتبار المعنى لان التقدير او للصداق واحدة صداقها
او يجري الضمير مجرى اسم الاشارة كقوله قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات والمراد بالاكل
الانفاق لتعبيره باشهر المنافع هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام اذا لذ من غير نغص ومرؤ احمد
عاقبته من غير ضرر انتصابهما على المصدر اي اكلا هنيئا مريئا ويجوز ان يكونا دعاء تركيبا ودعاء فيحسن
الوقف على فكلوه ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الخطاب للاولياء والسفهاء الصغار والمجانين
والمبذرون اضاف الاموال اليهم لانها مما يقام به المعاش ويدخر لاوقات الحاجة وبهذا المعنى
لا يختص باربابها كقوله ولا تقتلوا انفسكم وقوله مما ملكت ايمانكم قصدا الى الجنس فان احدا لا يقتل
نفسه ولا يتزوج من نكاح مملوكته او لكل احد والغرض النهي عن صرف المال الى من يضيعه التي جعل الله
لكم قياما اي سبب قيامكم من قبيل انما هو اقبال يؤيد ان الخطاب لكل احد وارزقوهم فيها
واكسوهم اجعلوها مكان رزقهم بان تتجروا فيها لئلا يأكلها الانفاق ولذلك اثر في
على من وقولوا لهم قولا معروفا حسنا بان يقول الولي بن نحو حجرة المال مالك اذا اصلحت للتصرف
دفعته اليك ويقول الرجل لعياله اذا ربحت في سفري هذا او ربحت في سعي كسوتكم واوسعت عليكم
وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم اي اختبروا
عقولهم في التصرف قبل البلوغ حتى اذا تبين لكم رشد بهم وهو صلاح الدين والدنيا عند
الجمهور والمروي عن ابن عباس واعتبر ابو حنيفة التهدي الى التصرف في المال لا غير وبلوغ النكاح
كناية عن الاحتلام او خمس عشرة سنة لما روى مسلم عن ابن عمر عرضت على رسول الله يوم
احد وانا ابن اربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضت عليه يوم الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني
واعتبر ابو حنيفة في الغلام ثماني عشرة فان اونس منه الرشد فذاك والا يترك الى خمس وعشرين سنة
فيدفع اليه ماله رشيدا كان او غير رشيد وعند الجمهور لا يرفع الا اذا كان رشيدا والكلام
من اعتراض الشرط فتعتبر المعرض مقدما على الحكم والايناس الابصار من غير شبهة استعير للتبين
وتنكير الرشد للاكتفاء بادنى شيء منه وحتى ابتدائية وفيها ايضا معنى الغاية والفاء دلت على وجوب
الدفع بعد الايناس من غير توقف ولذلك اعتبر الابتداء قبل البلوغ ولا تأكلوها اسرافا و
بدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم يقال كبر كعلم في السن
وكبر كحسن في القدر والعظم ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف
اي ان كان قيم اليتيم غنيا فليقنع بما رزقه الله اشفاقا عليه وطلبا للاجر الاخروي وان كان فقيرا يأكل
بقدر القوت وما يسد ووده اجرة له وقيل رد بدله اذا ايسر ويؤيد الاول الاستعفاف لان غاية العفة
لا توجد في الامتناع عما لا حق له فيه روى ابو داود ان رجلا سأل رسول الله عن اكل مال يتيم
في حجره قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله فاذا دفعتم اليهم اموالهم
فاشهدوا عليهم دفعا للتهمة والخصومة واستدل به الشافعي على عدم قبول قول القيم في الدفع
وكفى بالله حسيبا محاسبا حث على مراعاة ما له للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون نزلت في ام كحة
امرأة اوس بن ثابت مات زوجها وترك ثلاث بنات فزوى بنو عم فاخذوا ميراثه على طريقة الجاهلية كانوا
يخصون الميراث بالذكور لانهم يحاربون ويحمون الحوزة فشكت الى رسول الله فقال ارجعي حتى انظر
ما يحدث الله وبعث الى بني عمه لا تصرفوا في المال فنزلت ابطالا لما كانوا عليه ثم بين الانصباء بقوله
يوصيكم الله الى اخره وفي ايثار الاقربين اشارة الى حجب الابعد وهو على حرمان ذوي الارحام ادل
من العكس مما قل منه او كثر بدل مما ترك نصيبا مفروضا انتصاب نصيبا على المصدر كقوله
فريضة من الله او الحال او الاختصاص وان قل في النكرة ومعنى مفروضا لازما فلا يسقط باعراض

باعراض الوارث واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه
الامر للندب ولذلك لم يضرب له حد الواجب كما في المتعة وقيل للوجوب وقيل منسوخ باية المواريث واولوا
القربى من ليس له شيء في ذلك الميراث وقدم الايتم فالايتم وقولوا لهم قولا معروفا بان يستقلوا
ما يعطونهم او قولا جميلا ان كانت التركة عقارا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا
خافوا عليهم لو مع ما في حيزه صلة للذين والامر للاوصياء متصل بقوله وابتلوا اليتامى
وما في البين من احكام الميراث تتميم لان الوارث فيهم اليتيم والبالغ فعرض بالوصية للاوصياء رعاية لجانبهم
او الذين يحضرون الى المريض فلا يدعونه ان يوصي بحيث يضر بورثته كره العلماء الوصية بالثلث ان كان في
المال قلة او في الورثة كثرة استدلالا بقول رسول الله لسعد بن ابي وقاص الثلث والثلث كثير انك
ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم فقراء يتكففون الناس او للورثة حثا على الايتاء لمن حضر القسمة
وعلى الوجهين متصل بقوله واذا حضر القسمة وعلى الوجوه الثلاثة معنا وليخش الذين شأنهم لو شارفوا
على الموت وكانت لهم صغار كيف يخافون ضياعهم ويودون لهم كالا يخشى فكونوا مع ايتام الغير
على ذلك المنط فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ذكروا الا الخشية لانها الباعث على الامتثال
وثانيا التقوى لانها نهاية مقامات السالك والقول السديد ان يقولوا للمحتضر انظر ان كان لاحد
عليك حق وظن بالله خيرا ان الله يغفر الذنوب جميعا ويقول الوصي لليتيم ما ذب بآداب الشرع
ويدل على محاسن الاخلاق والورثة لمن حضر القسمة ليس هذا على مقداركم وما يلائم هذا فان الكلم الطيب
ايضا صدقة ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما يؤيدان الامر للاوصياء انما يأكلون
في بطونهم نارا لانه يجر الى النار وعن ابي برزة عن رسول الله يقومون يوم القيمة و
افواههم تتأجج نارا ومعنى في بطونهم ملء بطونهم لان تحقيق الظرفية الاحاطة بالمظروف وبحث
لا ينفصل الظرف منه ولذلك قيده في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا وسيصلون سعيرا عن قريب
يدخلون نارا موقدة من صلي النار لازمها وقرأ ابن عامر وابو بكر يصلون بضم الياء من اصلية
القاه في النار والاول ابلغ يوصيكم الله في اولادكم يعهد اليكم في شأنهم للذكر مثل
حظ الانثيين بيان لذلك المحل والمراد حال الاجتماع للاجماع على ان للابن جميع المال حال
الانفراد فان كن نساء اي اولاد الميت نساء خلصا انث الضمير باعتبار الخبر فوق اثنتين
بالغة بلغت صفة او خبر ثان فلهن ثلثا ما ترك استدل بظاهره ابن عباس والحق الثنتين بالواحدة
واجمع من عداه على انهما في حكم الجماعة لما روى ابو داود وابن ماجه ان رسول الله اعطى لبنتي سعد بن الربيع
الثلثين ولان الواحدة تأخذ مع الذكر الثلث فمع الانثى من باب الاولى وقياسا على الاختين لكونهما ابعد
من الميت والمجاز فوق لدفع وهم الزيادة بازدياد العدد وان كانت واحدة فلها النصف
وهو نصف حظ الذكر ايضا اذا انفرد ولابويه لابوي الميت لكل واحد منهما بدل بتكرير العامل
السدس مما ترك ان كان له ولد ذكرا او انثى فان كان ذكرا فذاك وان كان انثى
فله الباقي ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث والباقي للاب بالعصوبة
وقرأ حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا وعن الكسائي انها لغة قريش فان كان له اخوة
فلامه السدس فان كان معها الاب فله الباقي لانه يحجب الاخوة وللاخوين والاختين حكم
الاخوة اجماعا من روى البيهقي عن ابن عباس انه نازع عثمان في ذلك وقال الاخوان ليسا اخوة
في لسان قومك فقال لا انقض امرا كان قبلي وانتشر في الاقطار من بعد وصية يوصي بها
او دين اي القسمة على هذا النمط بعد هذين الامرين اجتماعا وانفرادا ولذلك اوثر او وقدم
الوصية وان كانت متأخرة عن الدين لان الدين له طالب معين والوصية اكثر ما يكون بجهات
البر فيقع فيها التساهل ولان نفوس الورثة موطنة على اداء الدين دونها وقرأ ابن كثير وابن عامر
وابو بكر يوصى بفتح الصاد واقامة الجار والمجرور مقام الفاعل ووافقهم حفص في الاول آباؤكم
وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اعتراض يؤكد شأن الوصية ويحث على امضائها

اذ المقصود ان من اوصى منهم اكثر نفعا لكم لانكم بامضاء وصيته تنالون ثواب الاخرة ولاشك انه خير
من ان يترك لكم متاعا فانيا او اذا لم يوص والانهم اقرب نفعا يوم القيمة لما في الحديث ان الابن
يرفع الى منزلة الاب ان كان ارفع درجة وبالعكس فارضوا بما قسم الله ولا تعولوا لم اخر الاب عن
الابن ولم حاز الاب المال دون الام فريضة من الله نصب على المصدر ان الله كان عليما
كامل العلم حكيما متقن الصنع في كل ما دبر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان
كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اطلق الولد ليتناول ما كان من الزوج وغيره ذكرا كان او انثى من بعد
وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم
ولد فلهن الثمن مما تركتم روعي شرف الزوج كما روعي في النسب شرف الذكر على الانثى
وترك ذكر الواحدة اشارة الى عدم الفرق وان كان رجل يورث كلالة الكلالة القرابة التي
لا يكون ولادا من الكلال وهو الاعياء لكلالها عن القرابة المماسة كانها ارادت ان تصل فكلت
ولم يبلغ وقيل من تكلل بالشيء احاط به لانها في الجوانب وحواشي النسب يطلق على الميت وعلى الوارث اطلاقها
للمصدر على العين او بتقدير مضاف فالمعنى على الاول ان كان الميت يورث منه حال كونه كلالة وان
جعل يورث وصفا فكلالة خبر كان وعلى الثاني ان كان رجل اورث ما لا كلالة والاعراب كما تقدم
ويجوز نصب كلالة على المفعول له في الوجهين لانها قرابة بالطرفين كقولك ورثه عصوبة او ولاء
وارث كذلك او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس ضمير له لواحد من الرجل
والمراة وضمير منهما للاخ والاخت ان كان الميت هو الكلالة وان كان الوارث فضمير منهما راجع
الى اسم كان وواحد من الاخوين اي فلكل منه ومن اخيه او اخته وحكم الانفراد علم منه ضرورة
وحكم المراة المعطوفة بالواو الدال على التسوية حكم الرجل فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء
في الثلث لا يتجاوزونه ولما ذكر في اخر السورة حال الاخوة والاخوات من الابوين ومن الاب
بقوله يستفتونك في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وان كانتا
اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين دل
على ان المراد بالاخوة والاخوات هنا من الام وعليه اجماع الائمة من بعد وصية يوصى بها او دين
كرره لئلا يتوهم اختصاصه بطائفة دون اخرى غير مضار بان يزيد في الوصية على الثلث او لا
ينوي بالوصية القربة بل اضرار الورثة او يقر بالدين لمن ليس له عليه دين فان قلت قد ذكر الوصية
سابقا مرتين ولم يذكر هذا القيد قلت ذكره اخرا لئلا يتكرر ولان المضارة اكثر ما يقع في الكلالة
لبعد القرابة وقلة الشفقة وصية من الله مصدر موكد او منصوب بغير مضار مفعول به والله
عليم بالمضار وغيره حكيم لا يعاجل بالعقوبة تلك حدود الله اي الاحكام المذكورة سميت حدودا
لعدم جواز التجاوز عنها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
حال مقدرة والجمع باعتبار معنى وذلك الفوز العظيم الذي كل فوز دونه ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها حال كالاول والافراد باعتبار لفظ من قرا
نافع وابن عامر في الموضعين ندخله بالنون وهو اقوى ترغيبا وترهيبا وله عذاب مهين
لاهانته باحكام الله واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم الفاحشة الزنى لفحش قبحها
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم من رجالكم المؤمنين والحكمة في اعتبار الاربعة في الزنى
دون القتل مع انه اعظم كونه حق الله المبني على المساهلة والستر فان شهدوا فامسكوهن في
البيوت حتى يتوفاهن الموت ملائكة الموت او يستوفي الموت ارواحهن او يجعل الله لهن سبيلا روى
مسلم واصحاب السنن عن عبادة بن الصامت انزل الله على رسوله ذات يوم فلما سري عنه قال خذوا
عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر جلد مائة والثيب رجم بالحجارة فان قلت كيف صح نسخ القران بالحديث
الذي هو من الاحاد قلت ليس هذا من النسخ بل بيان لقوله او يجعل الله لهن سبيلا فانه مجمل عن ابن
عباس نسخهما سورة النور وكانه اراد اية الجلد والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما واللذان

ياتيانها منكم اي الرجل والمراة فيه تغليب الاولى لبيان حكم يخص النساء
وهذه لما يعم الفريقين وقيل الاولى في الزنى وهذه في اللواط وقرا ابن كثير بتشديد النون احدهما
نون التثنية والاخرى عوض عن الياء المحذوفة فاذوهما بالتوبيخ والتقريع فان تابا واصلحا فاعرضوا
عنهما لان التوبة تمحو ما قبلها ان الله كان توابا شديد العناية بقبول التوبة رحيما
بعباده ولذلك شرع التوبة انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبو
ن من قريب الذين يعملون الذنب عمدا او خطاء ملتبسين بالجهل فان من عرف عظم الله
لا يجتري على معصيته والقرب امر اعتباري وقد بينه في الاية الثانية بقوله اذا حضر احدهم
الموت والحديث المشهور ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر عن ابن عباس ما لم يشاهد ملك الموت
فاولئك يتوب الله عليهم يقبل توبتهم ويجازيهم عليها بالغ في الحث على التوبة باتيا
على الدالة على اللزوم والوجوب مع تعاليه عن وجوب شيء ولزومه عليه لتحقق وقوعها لا محالة وكان
الله عليما باخلاص التائب حكيما بالعفو والصفح عنه وليست التوبة للذين يعملون
السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين
المسوف لتوبته الى حضرة الموت وبين المايت على الكفر سواء كان المسوف فاسقا او كافرا
وقيل المراد بالذين يعملون السيئات المنافقون والوجه هو الاول لحديث الغرغرة ولئلا
يتحد حال الفاسق المصر غير مبينة فان قلت اذا شمل الفاسق فما تقول في قوله اولئك اعتدنا
لهم عذابا اليما مع ان الفاسق المصر في المشيئة ولا يجزم له بعذاب قلت الاعتداد لا ينافيه ولا يستلزم
وقوع العذاب كالجزاء في قوله فجزاؤه جهنم خالدا فيها في حق القاتل والاعتداد من العتاد وهو العدة
وقيل اصله اعددنا ابدل الدال تاء يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها
مكرهات روى البخاري عن ابن عباس كان اذا مات الرجل اولياؤه احق بامراته ان شاؤا تزوجها
احدهم وان شاؤا زوجوها وعنه ان المراة في الجاهلية كانت اذا توفي عنها زوجها فجاء رجل فالقى
عليها ثوبه كان احق بها وقرا حمزة والكسائي كرها بالضم على انها لغة وعن ابي عمرو والفراء بالفتح
الاكراه والاجبار وبالضم المشقة ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن كان الرجل
اذا تزوج امراة ولم يكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة لتفتدي منه بمالها الا ان ياتين
بفاحشة مبينة كالزنى والسلاطة والنشوز الاستثناء من اعم الاوقات او من اعم العلل
وقرا ابن كثير وابو بكر بكسر الياء من بين لازما اي فاحشة جلية وعاشروهن بالمعروف
بطيب القول ومحاسن الاخلاق وعن رسول الله خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهله فان
كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا بان يرزق منها اولادا صالحين او يبدل
الله البغض مودة وفي الحديث لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضي منها اخر وفيه تنكح
المراة لمالها وجمالها ودينها عليك بذات الدين تربت يداك وايضا في الصبر عليها رياضة النفس
تهذيب اخلاقها وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا مالا كثيرا من
قنطرت الشيء رفعته ومنه القنطرة فلا تاخذوا منه شيئا قل او كثر اتاخذونه بهتانا واثما
مبينا البهتان الكذب الذي يبهت به المكذوب عليه ويتحير الشيء فيه فاستعمل في كل باطل وقيل
كان الرجل اذا كره امراته رماها ببهتان فالكلام خارج مخرج الغالب والجمع بينه وبين
الاثم مبالغة والعطف باعتبار الصفات وانتصابهما على الحال او المفعول له غاية روى
زبير بن بكار ان عمر بن الخطاب قال وهو على المنبر لا تغالوا في مهور النساء وان كانت بنت ذي القصة
يزيد بن الحصين الحارثي فمن زاد القيت الزيادة في بيت المال فقالت امراة طويلة في انفها فطس
ما ذاك لك قال ولم قالت لان الله يقول واتيتم احداهن قنطارا فقال عمر امراة اصابت ورجل
اخطا والمستعان بالله وهذا يدل على الجواز والاولى عدم المغالاة لما روى الامام احمد والترمذي

ان رسول الله لم يصدق امرأة من نسائه ولا واحدة من بناته اكثر من اثنى عشرة اوقية وكيف تأخذونه
وقد افضى بعضكم الى بعض بالوقاع وساير انواع الامتزاج والاختلاط واخذن منكم ميثاقا
غليظا هو الامساك بالمعروف او تسريح باحسان وفي الحديث استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان
في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله والخلوة الصحيحة كافية في ذلك عند ابي حنيفة
بحديث رواه الدارقطني وروي عن علي ايضا ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء كانوا يتعاطونه
في الجاهلية والنكاح الوطي فيشمل المهاير والسراري او العقد ويقاس الامة الموطوءة على المنكوحة وما
موصولة او مصدرية بمعنى المفعول الا ما قد سلف تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه كقوله ولا
عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب لان نكاح ما قد سلف محال وقيل الاستثناء
منقطع اي لكن ما سلف لا مؤاخذة عليه انه كان فاحشة شرعا ومقتا عقلا كانوا يسمونه
نكاح المقت قبل ورود النهي وساء سبيلا في المتعارف ومجرى العادات حرمت عليكم امهاتكم
وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت التحريم حكم من احكام الله
لا يتعلق الا بفعل المكلف واضافته الى الاعيان كما في الاية وفي قوله حرمت عليكم الميتة للملابسة — رد على صدر الشريعة
وعدم اللبس ثم تعيين المحذوف الى خصوص القراين كالنكاح والاكل فانهما اظهر المقاصد واسبق
الى الفهم وقد دل عليه قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم واذا حرم النكاح الذي هو وسيلة الاستمتاعات حرمت
بطريق الاولى والام كل انثى لها عليك ولادة قربت او بعدت والعمة كل انثى شاركت احد ابائك في اصليه
والخالة كل انثى شاركت امك في اصليها بنات الاخ وبنات الاخت يتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي
ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة روى البخاري ومسلم عن عائشة ان رسول الله
قال ان الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة فلخص منه اربع صور الاولى يجوز للرجل ان يتزوج لاخت ابنه
من الرضاع دون النسب الثانية ان تتزوج ام اخته من الرضاع دون النسب الاخريان ام النافلة
وجدة الولد والحق ان لا استثناء لان الحرمة في النسب للمصاهرة لا له والخلف في مقدار الرضاع
قال بمطلقه مالك وابو حنيفة لاطلاق الاية والحديث وقيده بالثلث وما فوقه احمد واسحق بن
راهويه لما روى مسلم عن عائشة لا تحرم المصة والمصتان ولا الاملاجة ولا الاملاجتان وذهب
الشافعي الى خمس رضعات لما روى مسلم عن عائشة كان فيما انزل من القران عشر رضعات معلومات
يحرمن ثم نسخت بخمس وفي المدة فعند الشافعي في الحولين وعند ابي حنيفة الى ثلاثين شهرا وامهات
نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم الربائب جمع ربيبة وهي بنت المرأة من غيره و
ذكر الحجر خارج مخرج الغالب وفيه اشارة الى علة التحريم لانها في الاختلاط والتعلق كالولد والظاهر ذهب
داود الظاهري من نسائكم اللاتي دخلتم بهن حال من الربائب ومن ابتدائية وذهب
بعض الى انه متعلق بالربائب وامهات النساء حتى شرط الدخول فيهن ايضا وروي عن علي بن ابي
طالب وزيد بن ثابت ووجهه جعل من اتصالية او ابتدائية في الثاني بيانية في الاول الا ان الاجماع على
خلافه وعن ابن عباس ام المرأة مبهمة في كتاب الله اراد انها محرمة من كل وجه كالخيل البهيم الذي لا نور
فيه والجمل البهيم الذي لا شية فيه وعند ابي حنيفة الخلوة كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا
جناح عليكم صرح به بعد الاشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم
رفع لما كانوا عليه من تحريم مطلقة الدعي فلا يرد ابن الرضاع والحافد والتعبير بالحلائل ليتناول الامة
الموطوءة وان تجمعوا بين الاختين نكاحا او في ملك اليمين وطئا الا ما قد سلف منكم فانه
معفو لكم بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما على ان الاستثناء منقطع ويجوز ان يكون
من تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه والمحصنات من النساء عطف على المحرمات الاحصان المنع
من الحصانة ويكون بالعفة كما في قوله والذين يرمون المحصنات وبالاسلام كما في قوله فاذا احصن
وبالزوج كما في الاية وقرأ الكسائي بكسر الصاد في غير هذا الموضع بمعنى احصن فروجهن او انفسهن

او انفسهن والفتح اشهر قال الفراء لا نكاد نسمع الكسر واوفق لان احصانها بالزوج الا ما ملكت ايمانكم
من ذوات الازواج روى مسلم عن ابي سعيد الخدري ان ناسا اصابوا سبايا يوم اوطاس فتحرجوا منها لاجل
ازواجهن فنزلت وقيده ابو حنيفة بما اذا لم يسبها الزوج وخص المشتراة ذات الزوج اجماعا كتاب
الله عليكم ذلك التحريم نصب على المصدر بمضمر واحل لكم ما وراء ذلكم ما سوى المذكور
الا ما خص من الخالة والعمة رضاعا وقرأ حمزة والكسائي وحفص احل على بناء المفعول عطفا على
حرمت او على ناصب كتاب الله كما في بناء الفاعل ان تبتغوا باموالكم مفعول له اي ارادة ان
تبتغوا او بدل اشتمال مما وراء ذلكم والابتغاء الطلب اريد به طلب خاص بالمهر او الثمن محصنين غير مسا
فحين السفح الصب اريد به الزنى لانه غرض الزاني بخلاف النكاح فان الغرض منه التوالد ذكر
بعد الاحصان لتعيين معناه فما استمتعتم به منهن الضمير لما وراء ذلك ومن ابتدائية اي
فالذي تمتعتم به من جماع ونكاح وخلوة من المنكوحات فأتوهن اجورهن مهورهن خبر عن
الموصول بحذف العائد لعدم اللبس ويجوز ان يكون ما شرطية ولا حذف لان الخبر مجموع الشرط
والجزاء وان يكون ما عبارة عن النساء ذهابا الى الوصف او تنزيلا لهن منزلة غير ذوي العقول فما
تستمتع به نفسهن والضمير في به راجع الى لفظ ما وفي فأتوهن الى معناه وفي منهن الى ما وراء
ومن للبيان او التبعيض وسمي المهر اجرا لانه عوض البضع فريضة حال من الاجور او صفة مصدر ولا
جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة من زيادة في الصداق او نقصان منه
وغير ذلك من موجب النكاح وقيل نزلت في نكاح المتعة والمعنى لا جناح عليكم فيما تراضيتم
به من زيادة الاجل بعد الاجل والحق ان نكاح المتعة ثبت ونسخ به لما روى مسلم ان رسول الله
قال يوم فتح مكة ايها الناس اني كنت اذنت لكم في الاستمتاع وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيمة
وعن الشافعي ابيح مرتين ونسخ مرتين لهذا الحديث لما روى البخاري عن علي بن ابي طالب ان رسول الله
حرم يوم خيبر نكاح المتعة ولحوم الحمر الاهلية ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما في كل ما شرع
ومن لم يستطع منكم طولا اي غنى من الطول الزيادة في الاستداد مفعول لم يستطع ان
ينكح المحصنات المؤمنات متعلق بطولا بتقدير الجار اي على ان ينكح ويجوز ان يكون طولا بتقدير
مضاف اي لعدم طول وان ينكح بدل منه والاحصان الحرية لان الحراير مصونات عن ابتذال الرق بدليل
قوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات من تزوج نكاحهن بالفاء استدل الشافعي على تحريم نكاح
الامة لواجد طول الحرة ومن اضافة الفتيات الى المخاطبين على عدم جواز نكاح الامة الكتابية مطلقا
والاستدلال بعدم اشتراط الايمان في الحراير على عدم اشتراطه في الاماء غير تام بعض لان عدم الاشتراط في
الحراير مستفاد من قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ولا يمكن الحاق الاماء بهن
لوجود الفارق من رق الولد وثبوت حق المولى عليها في الخدمة وما على الناكح من المهانة بحرو
جها ولوجها روى البخاري ان رسول الله قال لا يقل احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وليقل
فتاي وفتاتي والله اعلم بايمانكم ترغيب في نكاح الصالحات من الاماء لما في النفوس من الانفة و
الاستنكاف من ذلك فاشار الى ان الامة ربما كانت افضل ايمانا من الحرة وان الاولى بالرجل ان يكون
مطمح نظره الصلاح والديانة فان للاخلاق سراية بعضكم من بعض متواصلون في الادمية
فلا وجه للاستنكاف فانكحوهن باذن اهلهن مواليهن عبر بالاهل لان مولى القوم منهم
قال رسول الله سلمان منا اهل البيت واطلاق الاذن يتناول المباشرة والتوكيل ودل ايضا على جواز
مباشرتها باذن الولي كما ذهب اليه ابو حنيفة واتوهن اجورهن مهورهن باذن المولى
علم ذلك من عقد النكاح باذنه وايثار هذا الاسلوب للدلالة على ان المولى انما يستحق المهر بتبعية
ملك الرقبة وفيه اشارة الى تأكيد وجوب الاداء الى الحراير وقيل لفظ المولى مقدر وذهب مالك
الى ظاهره جريا على اصله من جواز تمليك الرقيق بالمعروف من غير ضرر ولا اضرار محصنات
عفائف غير مسافحات مجاهرات بالزنى ولا متخذات اخدان اخلاء في السر جمع خدن

فاذا احصن بالتزوج وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص على بناء المجهول وهو المحلة
فان اتين بفاحشة بزنا فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب الحراير من الجلد لان الرجم
لا ينتصف وبالاحصان اشار الى عدم اختلاف الحالين كما في الحراير ذلك نكاح الاما لمن خشي العنت
منكم الزنى واصله الالم الشاق ومنه العنت في الامر وفيه تاييد لما ذهب اليه الشافعي
وان تصبروا عن نكاح الاما خير لكم من التزوج بهن لان ارقاق الولد اماتة معنى ولان الامة لا
نعيم اعبا البيت قال ومن لم يكن في بيته قهرمانة فذلك بيت لا ابا لك ضايع والله غفور للصابر
ان بدا منه زلة رحيم ولذلك شرع نكاح الاما يريد الله ليبين لكم يريد الله اظهار الاحكام لكم
اللام لتاكيد معنى الارادة لما فيها من معناها كما في جئتك لاكرامك ومدخولها مفعول به ويهديكم
سنن الذين من قبلكم مناهجهم وطرقهم التي سلكوها في الدين لتقتدوا بهم ويتوب عليكم
ويستر زلاتكم والله عليم بالمصالح حكيم فيما شرع والله يريد ان يتوب عليكم كرره توكيد
او لتقابل قوله ويريد الذين يتبعون الشهوات وتعلق ارادته بوقوع التوبة بينهم لا يستلزم
وقوعه من الكل والذين يتبعون الشهوات كل فاجر منهمك وقيل اليهود وقيل المجوس لانهم يحلون
نكاح المحارم ان تميلوا عن الحق ميلا عظيما موصلا الى الكفر يريد الله ان يخفف عنكم
ولذلك اباح النكاح والتسري وعمم النكاح في الحراير والاما توسعة من فضله لان النساء حبايل
الشيطان ليس على الانسان اشق منهن في باب دينه عن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من ابن آدم الا
واتاهم من قبل النسا فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان
اخوف ما اخاف علي فتنة النسا وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر على المشاق يشير الى لمية
التوسعة وانها مقتضى الحكمة يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل يشير الى ما به
تقوم امر المنزل وكيفية مشروعيته وتحصيل اسبابه وخص الاكل لانه اجمل المنافع واكثرها احتياجا
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم الاستثناء منقطع لان التجارة ليس من الباطل في شيء
اي لكن اقصدوا التجارة او لكن وقوع تجارة عن تراض غير منهي وانما خص التجارة بالذكر لانها
اعم اسباب الملك او من استعمال المقيد في المطلق وقرأ غير الكوفيين بالرفع على كان التامة
ولا تقتلوا انفسكم اخوانكم من المؤمنين او انفسكم بتعريضها للعقاب او مباشرة كما يفعله
بعض الجهلة كالروافض في مشاهد الائمة ان الله كان بكم رحيما حيث بين لكم الاحكام وشرعها
على وجه السهولة ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما اي ما ذكر من المناهي العدوان وظلم العبد لاجمة
على معنى التجاوز او العطف باعتبار تغاير الصفة فسوف نصليه نارا ندخله نارا عظيمة يقال
اصليت النار اذا ادخلته للاحراق محمول على الاستحلال او الموت من غير توبة لتبينها ذه ساير النصوص
وكان ذلك على الله يسيرا لاستواء الممكنات في قدرته من غير مزاحم ان تجتنبوا كبائر ما
تنهون عنه على لسان الرسول نكفر عنكم سيئاتكم صغايركم والفرق بين الصغيرة والكبيرة
ان كل ذنب شرع له حد او كان فيه مساويا له او زايدا عليه فهي كبيرة فلا تنحصر في عدد كما اشار
اليه ابن عباس لما قيل له هي سبع انها الى سبعماية اقرب وما نقل عن بعض السلف لا صغيرة في
الذنوب اراد معنى آخر وهو النظر الى مخالفته تعالى وكبريائه والا فالآية ناطقة بالفرق وندخلكم
مدخلا كريما شريفا هو دار السلام من كل مكروه ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض
التمني طلب الشيء ممكنا او محالا مع الحرص من تمنيت الكتاب قراته فان التمني حث على محاسن الاخلاق
بعد بيان الذنوب وكيفية الخروج منها وهذا اذا لم يقصد به التقرب الى الله لما روى البخاري
لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا وسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما
فهو يقضي به ويعلمه الناس للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن جعل لكل من الرجل
والمرأة ما قدر له من الحظ كسبا ارشادا الى طلب المعاش روى الامام احمد عن ام سلمة انها
قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو ولنا نصف ما لهم من الميراث فنزلت واسألوا الله من فضله الواسع

رد على السجاوندي

الواسع عطف على لا تتمنوا وما بينهما اعتراض روى الترمذي عن ابن مسعود ان رسول الله
قال سلوا الله من فضله فان الله يحب ان يسال وان افضل العبادة انتظار الفرج وقرأ ابن كثير
والكسائي وسلوا الله بنقل حركة الهمزة وحذفها وحذف همزة الوصل تخفيفا ان الله كان
بكل شيء عليما يعلم من يستحق البسط والقبض ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان
والاقربون اي ولكل مال تركه ميت جعلنا وراثا يحرزونه والتقدير وجعلنا لكل مما ترك فلا فاصل
بين الموصوف والصفة او لكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ولا يوهم
ان للموالي جميع المال لا انصباء منه لان في التركة مؤن التجهيز وقد يكون الوصايا والديون او ولكل
موروث جعلنا وراثا على ان من صلة موالي لما فيه من معنى الفعل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان
والاقربون والوالدان وان دخلا في الاقربين الا انهما افردا لشرفهما وزيادة الاهتمام والذين
عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم مبتدا وخبر والفا لتضمن الموصول معنى الشرط و
يجوز عطفه على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن المقدمة مؤكدة ونصبه على شريطة التفسير
نحو زيدا فاضربه عن ابن عباس كان قبل الاسلام يعاقد الرجل الرجل ويقول دمي دمك وحربي
حربك ويرثني وارثك وكان الامر على ذلك في ابتدا الاسلام حتى نسخ بقوله واولو الارحام بعضهم اولى
ببعض فان قلت لا تنافي بين هذا وبين توريث الحلف قلت روى البخاري عن ابن عباس انه قال ذهب
الميراث ولكن يوصى له وفسر قوله فآتوهم نصيبهم على التناصر والنصيحة وذهب ابو حنيفة الى ان رجلا لو اسلم
على يد رجل وتعاقدا على ان يتوارثا ورثه ان لم يكن له وارث آخر وقرأ غير الكوفيين عاقدت بالمد ان الله على
كل شيء شهيدا الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم
قام بالامر حفظه ورعاه وفلان قوام اهله اي يقيم شانهم اشار الى وجه الحكمة في تفضيل الرجال على النساء
في الحظوظ والقسم بامرين احدهما موهبي لا دخل للسعي والكسب فيه كالنبوة والامامة والقضاء وعموم
الشهادة والجمعة والاعياد والآخر كسبي وهو انفاق الاموال في المهور والنفقات روى ابن جرير
ان سعد بن الربيع الانصاري وهو احد النقباء ليلة العقبة لطم امراته بنت زيد بن ابي زهير فانطلق
بها ابوها الى رسول الله فامر بالقصاص فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله غيره والذي اراده الله
خير فالصالحات قانتات مطيعات من قنت اطاع ومن قنت مسكن الله او قايمات بحقوق
الازواج ومنه افضل الصلوة طول القنوت حافظات للغيب ما يجب حفظه من الاموال
والاسرار التي تقع بين الازواج في الخلوة او في ايقاع الحفظ على الغيب مبالغة في الوصف بالحفظ
بما حفظ الله اي بحفظ الله اياهن بان اوصى الله ورسوله برعاية حقوق الازواج فالحفظ مسند الى
السبب الآمر والباء للمقابلة او بحفظ الله اياهن عن الخيانة او بالوعد على المحافظة والوعيد على
الخيانة على ان الحفظ مجاز عن سببه وما مصدرية على الوجوه واللاتي تخافون نشوزهن
النشوز لغة الارتفاع فانها بالعصيان ترتفع عن زوجها فعظوهن بما اعد الله للطايعات من
الثواب وللناشزات من العقاب روى البخاري عن ابي هريرة عن رسول الله اذا دعا الرجل امراته
الى فراشه فابت لعنتها الملايكة الى الصباح وروى عنه لو امرت ان يسجد احد لغير الله لامرت المرأة
ان تسجد لزوجها واهجروهن في المضاجع فان ذلك شديد عليهن وعن ابن عباس كناية عن
عدم الجماع واضربوهن ضربا خفيفا لا كسر فيه ولا جرح ولا في الوجه والاعضاء الرئيسة فان
اطعنكم في احدى تلك الاحوال فلا تبغوا عليهن سبيلا بوجه قولا وفعلا فان التائب
من الذنب كمن لا ذنب له وذكر الوجه وجه ان الله كان عليا كبيرا ومع ذلك اذا
تاب عليه فتخلقوا باخلاقه وان خفتم شقاق بينهما الخطاب للولاة والحكام واضافة الشقاق
الى البين مجاز اما لشبهها بالمفعول به اتساعا في الظرف او بالفاعل بجعل البين شاقا كالنهار صائم
فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان اشتبه عليكم حال الظالم منهما وقيد الاهل
استحباب لانهم اشفق واسعى في الاصلاح ولا دلالة فيه على جواز التحكيم فان الحكمين ليسا من جهة

الزوجين بل من جهة الولاة وهل لهما الجمع والتفريق بغير رضي الزوجين على الجديد من قول الشافعي
وقول ابي حنيفة نعم ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما اي ان قصد الحكمان الاصلاح بين
الزوجين بنية صادقة وفق الله بين الزوجين واوقع الالفة بينهما وقيل الضميران للحكمين اي ان قصد الاصلاح
وفق الله بين كلمتيهما ويحصل الغرض وقيل للزوجين اي ان يابا عن الضرار واضمار الشر والمشاقة بدل الله
البعض بالمحبة والشقاق بالوفاق ان الله كان عليما خبيرا كامل العلم بظواهر الاشيا وبواطنها
طنها يعلم كيف يولف بينهما وفيه تحذير للحكمين عن السعي بانفسهما كانه في الاول ترغيبا في الاصلاح
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا اسو في جمل من الاحكام ثم عاد الى التوحيد الذي
هو ملاك الامر وانتصاب شيئا على المصدر اي شيئا من الاشراك او المفعول به اي شيئا ما
وبالوالدين احسانا احسنوا احسانا وبذي القربى ذي القرابة فان الصدقة عليها
صدقة وصلة رحم واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره روى البخاري
عايشة سالت رسول الله ان لي جارين فالى ايهما اهدي فقال الى اقربهما منك بابا وقيل الجار ذي
القرابة والاول هو الوجه لتقدم ذي القرابة والجار الجنب بعيد الدار او الاجنبي والصا
حب بالجنب الرفيق في السفر او التعلم او الحرفة روى البخاري ومسلم عن ابن عمر ما زال
جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وما ملكت ايمانكم الارقاء روي انه
صلى الله عليه قال في مرض موته الصلوة الصلوة وما ملكت ايمانكم فجعل يكررها ان الله
لا يحب من كان مختالا فخورا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم
فخورا يتفاخر عليهم مسكيرا ينا هاكثر الفجر بحطام الدنيا الذين يبخلون ويامرون
الناس بالبخل بدل من من كان مختالا او نصب او رفع على الذم وفي الحديث اياكم والشح
فانه اهلك من كان قبلكم البخل البخلاء من يبخل بمال غيره وروى ابو داود شر ما في الرجل شح هالع
وجبن خالع وروى الترمذي خصلتان لا يجتمعان في المومن البخل وسوء الخلق وروى ايضا ثلثة
لا يدخلون الجنة خب وبخيل ومنان وقرا حمزة والكسائي البخل بفتح الباء والخاء والضم اكثر و
يكتمون ما اتاهم الله من فضله عابهم على كتمان ما انعم الله عليهم كما عابهم على البخل ان الله يحب
ان يرى اثر نعمته على عبده واما بنعمة ربك فحدث وقيل نزلت في اليهود بخلوا بما او تواني
التورية وكتموا ما انعم الله عليهم من نبوة محمد واعتدنا للكافرين عذابا مهينا في مقابلة
ذلك الاختيال والافتخار اوقع الظاهر موقع المضمر للاشعار بالعلة للعموم والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس ليقال انه جواد روى مسلم عن ابي هريرة اول من يدخل النار مسلم
صرف امواله في وجوه البر لا اخلاصا بل ليقال فذلك حظه ولا يؤمنون بالله ولا باليوم
الاخر ليكون باعثا لهم على الحذر مما يحبط العمل ومن يكن الشيطان له قرينا في الدنيا
زين له القبائح وحثه على ارتكابها او في الاخرة بان يقرن معه في النار لقوله وقيضنا لهم قرناء
فساء قرينا قرينه وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله انكار وتقريع عليهم
كما الجهلهم فان العاقل يسارع الى ما فيه احتمال نفع فكيف والمدعو اليه راس كل منقبة ومنبع
كل سعادة الضمير للمنفقين رياء او لهم وللباخلين وكان الله بهم عليما لو اخلصوا وكان
الله بهم عليما انهم لا يؤمنون فلذلك لم يجد فيهم الايات والنذر ان الله لا يظلم مثقال
ذرة وزن ذرة نقصانا من الثواب او زيادة في العقاب والذرة النملة الصغيرة وقيل
اجزاء الهباء المبثوث في الكوة عند شعاع الشمس وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب ثم اخرجها
وقال كل هذه ذرات والمثقال مفعال من الثقل وان تك حسنة يضاعفها يضاعف ثوابها
اقلا عشرة اضعاف واكثره لا يعلم الا الله والتانيث باعتبار الخبر او لاكتساب التانيث
من المضاف اليه وحذف النون تشبيها للواو وهذا مطرد فيما لا ساكن بعده لكثرة الدور و
قرا نافع وابن كثير حسنة بالرفع على كان التامة وقرا ابن كثير وابن عامر يضعف مشددا
ويؤت من لدنه اجرا عظيما لا يقادر قدره واشار بقوله من لدنه الى انه تفضل منه

منه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد اي بنبيهم يشهد عليهم بالكذب اي فكيف بمن
كذبك في ذلك الوقت استعظام للهول وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اشارة الى كل مكذب
من كل امة وشهادة امته كما رواه البخاري وتقدم في سورة البقرة ويحتمل ان يكون شهادته ايضا
والاول ادل على عظم شانه ويجوز ان يكون اشارة الى مكذبي امته روى البخاري عن ابن مسعود ان
رسول الله قال لي اقرا علي القران قلت اقرا عليك وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري
فقرات سورة النسا حتى بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
فقال حسبك فالتفت فاذا عيناه تذرفان قيل كان بكاء سرور حيث شرفت امته بالشهادة
للانبيا والظاهر انه بكاء شفقة على عباد الله يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
لو تسوى بهم الارض كناية عن الموت والدفن لعظم ما يشاهدون والباء للملابسة
او بمعنى على وقرا نافع وابن عامر تسوى بفتح التا والتشديد بادغام احدى التائين وحمزة و
الكسائي بالفتح والتخفيف بحذف احدى التائين والباقون بالضم والتشديد وهو المختار لانه
الاصل ولا يكتمون الله حديثا لا يقدرون على كتمانه لان الجوارح تشهد عليهم عطف على يود
ويومئذ متعلق بالفعلين ويجوز ان يكون عطفا على تسوى داخلا تحت التمني او حالا من الضمير
على ما روى عن ابن عباس انهم اذا راوا مغفرة الله للمذنبين يقولون والله ربنا ما كنا مشركين
فيختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم فحينئذ من شدة الخجل يودون انهم لم يكذبوا في قولهم والله
ربنا ما كنا مشركين يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اردف الهول
القيمة بالمحافظ على اشرف الوسايل في ذلك اليوم عنه صلى الله عنه اول ما يحاسب المرء الصلوة
فان كانت وافية يقال فيسوا ساير اعماله بها روى الترمذي عن علي ابن طالب صنع عبد الرحمن بن
عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر فاخذت منا وحضرت الصلوة فقدموا فلانا فقرا قل يا ايها الكافرون
اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون فنزلت والمراد النهي عن شربها في اوقات الصلوة وقيل لا تقربوا
مواضعها وهي المساجد كما في الصبيان والمجانين من اطلاق الحال على المحل حتى تعلموا ما تقولون
يعلم منه حد السكر وهو ان يشرب حتى لا يدري ما يقول ولا جنبا عطف على جملة وانتم سكارى
لان الجمل التي لها محل من الاعراب في حكم المفردات والجنب يطلق على المفرد والجمع مذكرا كان او مونثا
الا عابري سبيل الا مسافرين حال مفيدة للفعل المقيد بالحال الاولى كانه قيل
لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وفيه ايماء الى ان سائر
الاعذار مثل السفر وايثاره بالذكر لانه الغالب فلا ينافي هذا الحصر ما ذكر بعد من
الموجبات ويجوز ان يكون وصفا للحال اي جنبا غير عابري سبيل حتى تغتسلوا غاية للنهي
وفيه اشارة الى ان المصلي ينبغي ان يكون مراعيا للطهارة الباطن مما يلوث من الحقد والحسد
وغيرهما وبه استدل الشافعي على ان التيمم غير رافع للحدث لانه سماه جنبا مع التيمم وان كنتم مرضى
او على سفر او جاء احد منكم من الغائط كني به عن الحدث بجري العادة بقضاء الوطر في الغائط
وهو المكان المنخفض او لمستم النساء كناية عن الوقاع وذهب الشافعي الى ظاهره وجعل
ملامسة الذكر والانثى من اسباب الحدث لقراءة حمزة والكسائي لمستم بالقصر لوقوعه في مقابلة
الوقاع في حديث المعز بالزنى حيث قال لعلك قبلت او لمست والاستدلال بتقدم الجنابة غير ناهض
لان ذكره في استعمال الماء وهذا في اباحة التيمم فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ذكر اربعة
امور الاول لانه سبب للترخص والعدول من الماء الى التراب والثالث للوضوء والرابع للغسل
والجزاء واحد لاشتراك الكل فيه فان عدم وجدان الماء معتبر في الكل اما حقيقة كما في الثلثة
او تقديرا كما في المريض الذي لم يقدر على استعمال الماء وقدم المريض والسفر لانهما من اغلب
الاسباب فكانه قال ان جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء خصوصا المرضى والمسافرون
فتيمموا وكان الظاهر او جئتم من الغائط عدل الى المنزل لئلا يسند الفعل الى المخاطبين في المقدر

القول بانه بكاء سرور قول
صاحب الكشاف
منه

صعيدا طيبا ترابا طاهرا صاعدا على وجه الارض وعن ثعلب والزجاج هو وجه الارض
واليه ذهب ابو حنيفة حتى لو ضرب يده على حجر صلد ومسح به صح تيممه فامسحوا بوجوهكم وايديكم
تعليم لكيفية ولم يتبين غاية المسح لانه مبين في الوضوء وبينه قول رسول الله لعمار وفعله ان الله
كان عفوا غفورا متجاوزا ستارا ولذلك شرع العدول من الماء الذي هو غاية في اللطافة
الى التراب الذي هو اكثف الاركان الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب خطا وافامه
تعجب من حال احبار اليهود والرؤية فعل القلب اي الم ينته اليهم علمك او النظر يشترون
الضلالة يستبدلونها بالهدى مع ذلك العلم ويريدون ان تضلوا السبيل ايضا فتادوهم
في الجهل والشقاء والله اعلم باعدائكم منكم لانكم تعلمون بالمخايل والامارات وهو مطلع على
ما في الصدور ومن الضماير وكفى بالله وليا فلا توالوهم وكفى بالله نصيرا ناصرا فتوكلوا
عليه والباء في الموضعين صلة تؤكد الاسناد لان حروف الجر لايصال معاني الافعال الى الاسما
من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا او لاعدائكم وما في البين اعتراض والمعنى ينصركم
منهم كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا لتضمن معنى الانجاء ويجوز تعلقه بما بعده
اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم عن مواضعه يزيلونها راسا او يبدلونها بما يشتهون
ويؤلونها ويلا باطلا ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع دعاء
عليه بالصمم او الموت او انت غير مسمع جوابا ترضاه وله وجه مدح موري به اي غير مسمع مكروها
من قولهم اسمع فلان كلاما اذا قال له ما يكره حتى نعتهم كلامك كلمة سب عند اليهود وراعنا
ليا بالسنتهم عن الحق الى الباطل يقصدون التسب ويظهرون انهم ارادوا معنى
الرعاية وطعنا في الدين قدحا في دينكم ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا
لكان خيرا لهم واقوم واسد واعدل اريد بصيغة افعل الزيادة المطلقة ولكن لعنهم
الله بكفرهم طردهم لاجل كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبد به سماه ايمانا
على زعمهم او القلة بمعنى العدم كقوله اي كثير قليل الشكي في بصره او الاستثناء من ضمير الفاعل
اي الا قليلا منهم امنوا يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم
من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها الطمس محو الشيء وازالة اثره يقال ليل وامس وطريق
طامس يتعدى ولا يتعدى والمعنى امنوا قبل ان نمحو اثار الوجوه ونزيل محاسنها من العيون والحواجب
وغيرها فنصيرها على هيئة الاقفاء مطموسة الفاء للسببية او للتعقيب فالتوعد بالامرين الطمس وتعكيس
الحال بجعل الوجه قفا او بالعكس او الوجوه روسا القوم على عرف العرب اي من قبل ان نسلب وجاهتهم
ونردهم الى حيث جاؤوا الى بلاد الشام وقد اجلاهم عمر الى اذرعات وتيما او نلعنهم كما لعنا
اصحاب السبت بان جعلناهم قردة وخنازير وهذا مرتقب في اليهود سيقع فيهم المسخ وقيل
كان مشروطا بعدم ايمانهم وقد امن طايفة منهم عن ابن جرير ان كعب الاحبار من اليهود لما سمع الاية
اسلم مكانه وكان امر الله الذي اراده مفعولا واقعا لا محالة ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ترغيب في الايمان بعدما قدم عظيم جرايم اليهود والمشركين
وقد دل صريحا على انه لا يغفر الشرك ويغفر ما دونه لمن شاء وايده ساير الايات والاحاديث
المتواترة معنى فمن قيد الثاني بالتوبة فقد حرف الكلم والمراد من الشرك الكفر مطلقا
لقوله ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وايثار الشرك لانه حال المخاطبين من اليهود و
عبدة الاوثان ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اي ما يوجب ذلك اشتقاق من الفري
وهو القطع لانه اخترع من عنده يطلق على القول والفعل والمراد به العقد المشترك الم تر
الى الذين يزكون انفسهم هم اهل الكتاب قالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وغير هذا من مختلقاتهم بل الله يزكي
من يشاء بالتوفيق للطاعات والثناء عليه ولا يظلمون فتيلا اقل قليل والفتيل ما في شق النواة

النواة يضرب به المثل في القلة انظر تعجب الخطاب عام كيف يفترون على الله الكذب
في زعمهم وتزكيتهم انفسهم وكفى به اثما بذلك القول والزعم مبينا لا يخفى على احد الم تر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت تعجب من نوع اخر من اباطيل اليهود
الجبت يطلق على كل باطل غير عربي لاجتماع الجيم والباء من غير حرف ذولقي والطاغوت راس
كل ضلالة شيطانا كان او انسانا يطلق على المفرد والجمع اشتقاقه من الطغيان وهو التجاوز
عن الحد ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا عن ابن عباس نزلت
في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف وامثالهما جاؤوا اهل مكة يحالفونهم على حرب رسول الله
فقال المشركون انتم اهل الكتاب واهل العلم نحن نسقي الحاج ونفك العاني ومحمد قطع الارحام
واتبع سراق الحاج من غفار نحن خير ام محمد فقالوا انتم خير فنزلت اولئك الذين لعنهم الله ومن
يلعن الله فلن تجد له نصيرا اذ لا اثر لارادته ولا نفاذ لقدرته فان قلت النصير اخص
من الناصر فلا يستلزم سلبه سلبه قلت اراد الكامل في باب النصرة اذا لم يقدر على نصرهم
فغيره ابعد بمراحل ام لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ام منقطعة انكار لان
يكون لهم ملك واشار الى انهم احقاء بذلك بانهم لو نالوه لمنعوا الناس اقل قليل والنقير النقرة
في ظهر النواة اضرب عن ذمهم بوصفهم انفسهم بالزكاء الى ذمهم بالبخل لان الاتصاف بالرذيلة ابلغ
ذما من الخلو عن الفضيلة ولانه كالدليل على ان لا زكاء او المعنى انكار الجمع بين الامرين فان ايتاء
الملك كان حريا بان يؤثر وامنه جاءا في حب من خولهم وقد عكسوا او لو كان لهم نصيب كامل من
ملك الله لشحوا بادنى شيء كقوله لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم فالفاء للسببية
والجزائية لشرط محذوف على التقدير ويجوز ان يكون عاطفة والمنكر مجموع الامرين والتوبيخ اي
قد اوتوا نصيبا من الملك فانهم كانوا ذوي ثروة واموال حرثا وشحوا باقل قليل واذن على
هذا الزيادة للانكار ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله اضراب عن الاضراب
تدرجا فان الحسد انكر واشنع لانه بخل واعتراض على الحكيم وعدم الرضى بما قسم والناس رسول الله
والفضل النبوة او هو والمؤمنون والفضل النصر المتواتر والمدد المتكاثر والعز المتظاهر يوما
فيوما فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا عظيما الفاء فصيحة اي ان كان حسدهم
رسول الله والمؤمنين على ما اتاهم من العز والنبوة والنصر فقد عرفوا ان اسلافه قد اوتوا مع النبوة
ملكا عظيما مثل ملك داود وسليمان فلا مدح في ان يخوله الله ما خول وهو افضل الرسل وعنه
صلى الله عليه وسلم خيرني الله بين ان اكون نبيا ملكا وان اكون نبيا عبدا فاخترت ان اكون
عبدا نبيا فانا اكل كما ياكل العبيد واجلس كما يجلس العبيد وقيل عايره بكثرة النسا فاجيبوا
بان في الانبياء من كان اكثر نساء فان داود كان له ماية امراة وسليمان كان له ثلثماية مهيرة وسبعماية
سرية فمنهم من امن به ومنهم من صد عنه اي فمن اليهود من امن بما ذكر من حديث ال ابرهيم
ومنهم من اعرض عنه وانكره مع علمه او من اليهود من امن برسول الله ومنهم من انكر
نبوته او من ال ابرهيم من امن به ومنهم من اعرض وانكر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم
فاسقون وكفى بجهنم سعيرا نارا موقدة من سعرت النار اوقدتها ان الذين كفروا باياتنا
سوف نصليهم نارا كاينا من كان ال ابرهيم او غيرهم كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها مكانها جلودا اخر وازلنا فسادها وجعلنا جلودا صحيحة كما كانت روى ابن ماجه
عن ابن عمر عن عمر قال سمعت رسول الله يقول تبدل لجلودهم في الساعة الواحدة ماية و
عشرين مرة وروى الامام احمد عن ابن عمر عن رسول الله ان ما بين شحمة اذن الكافر وعاتقه
مسيرة سبعماية عام وغلظ جلده سبعون ذراعا ليذوقوا العذاب على الدوام ان الله
كان عزيزا غالبا على كل شيء حكيما فيما اعده من العذاب لمن كذب باياته والذين
امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم

عذاب الكفار لان الكلام مسوق لبيان شانهم وفي ايثار السين ههنا وصريح ذكر الابد اشارة الى سبق رحمته غضبه لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ظلا وافيا ليس فيه شائبة حرور في مقابلة ظل الكفار ظل ذي ثلث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب ترمي بشرر كالقصر ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها اردفه بما نعى به على اهل الكتاب من الخيانة وتحريف الكلم بالامر باداء الامانة الخطاب للمؤمنين كافة والامانة تعم ما بين العبد وبين الله وما بين العباد روى البخاري عن ابن عمر ان رسول الله يوم فتح مكة اراد ان يدخل البيت وكان المفتاح في يد عثمان بن ابي طلحة الحجبي فطلبه منه فابى فقال علي اعط المفتاح لرسول الله قال لو علمت انه رسول الله ما منعته فلوى علي يده واخذ منه المفتاح فلما دخل البيت ودخل معه بلال واسامة بن زيد فصلى فيه ركعتين ودعا في نواحي البيت ثم خرج فطلب العباس منه المفتاح ليكون له السدانة والسقاية فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فلما جاءه علي بالمفتاح معتذرا قال عثمان اكرهت واذيت اولا ثم جئت معتذرا فقرا عليه الاية وقال الان نزلت في شانك فاسلم عثمان مكانه واستمرت السدانة في اولاده الى يومنا هذا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل قيل الخطاب للولاة لان الحكم شانهم والحق عمومه كالاول لما روى البخاري عنه صلى الله عليه كلكم راع مسؤل عن رعيته الرجل راع في بيته ومسؤل عن رعيته والمراة راعية في بيت زوجها ومسؤلة عن رعيتها ان الله نعما يعظكم به ما نكرة موصوفة اي نعم شيئا الذي يعظكم به او موصولة اي نعم الشيء قرا ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين وابن كثير وورش وحفص بكسر النون والعين وابو عمرو وقالون وابو بكر بكسر النون وبفتح العين وكسر العين والاختلاس كسر العين الاول هو الاصل والثاني لاتباع النون العين والثالث لطلب الخفة لاجتماع الكسرتين وهو المختار ان الله كان سميعا لاقوالكم في الاحكام بصيرا باحوالكم من الميل الى الحق والباطل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم امر الرعايا بطاعة الولاة بعد ما وصى الولاة بهم وطاعة الولاة طاعة الله ورسوله لما روى البخاري عن ابن عباس عن رسول الله انما الطاعة في المعروف ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والاية عامة في كل من يلي امرا من امور المسلمين فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الى الكتاب والسنة ولا دليل فيه لمنكر القياس لان الرد الى الكتاب والسنة لا يكون الا بالجامع وهو القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر بالمبدا والمعاد اثران بعد ندائهم بوصف الايمان اشارة الى ان النزاع ليس من اخلاق المؤمنين ذلك الرد خير واحسن تاويلا عاقبة المراد الزيادة المطلقة اذ لا خير في عدم الرد الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت تعجب ممن لم يرض بحكم الله ورسوله نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله ودعا المنافق الى كعب بن الاشرف فتحاكما الى رسول الله فحكم لليهودي فلم يرض المنافق ودعاه الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله ولم يرض بقضائه فقال عمر اكذلك قال نعم فقال مكانكما حتى اخرج فدخل وخرج والسيف في يده وضرب عنق المنافق وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بحكم رسول الله فنزلت وقال جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله انت الفاروق صيغة مبالغة كالناموس والجاسوس والطاغوت كعب بن الاشرف سمي به لشدة طغيانه او على التشبيه بالشيطان استعارة او الشيطان بان جعل التحاكم الى غير رسول الله تحاكما الى الشيطان وهذا اولى لقوله وقد امروا ان يكفروا به اي بالشيطان لقوله ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا اسند البعد الى الضلال مجازا مبالغة في ضلال ضلالهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله من الكتاب والى الرسول والحكم رايت المنافقين من رؤية البصر يصدون عنك صدودا الجملة في محل الحال يدل على انهم

على انهم كانوا مستمرين على الاعراض فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم بما اكتسبوا من الاثم بالاعراض عن حكم الله تهويل للعذاب الذي سينزل بهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا اليك بان لا نشغلك ولذلك تحاكمنا الى غيرك وتوفيقا بين الخصمين لا اعراضا عن حكمك ففرج عنا هذه المصيبة بدعائك وقيل جاء اولياء بشر المنافق يطالبون عمر بدمه وقد اهدره الله فعلى هذا اذ المجرد الظرفية اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق ورسوخ العداوة فاعرض عنهم تجاملا لاظهارهم الايمان وان لا يقال محمد يقتل اصحابه وعظهم كما هو داب الناصح الشفيق وقل لهم في انفسهم قولا بليغا موثرا في انفسهم يغتمون به ويستشعرون منه الخوف بان يقول حالكم في النفاق معلوم وان بدا منكم شيء اخر من المخالفة لم يسق الا استيصالكم وهذه المجاملة ليست الا لاظهاركم الايمان او قل لهم قولا بليغا في الخلوة انجع وادعى الى القبول والجار متعلق بقل اي قل لهم في شان نفوسهم المأوفة بداء الجهل ومرض النفاق بان يداووها بترياق الايمان وصفو الاخلاص فالبليغ في هذا الوجه من البلاغة وفي الاولين من البلوغ بمعنى الوصول والتاثير وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته او بارادته وتيسيره واذا انحصرت الفائدة في طاعته فمن فقد نازع الله في احكامه فكان قد اعين الصواب ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى غيرك وسائر وجوه النفاق جاؤك مقرين بالذنب فاستغفروا الله طلبوا مغفرته واستغفر لهم الرسول شفيعا عدل من الخطاب الى لفظ الرسول دلالة على ان من كان في منصب الرسالة حقيق بان يكون شفيعا للمذنبين لوجدوا الله توابا رحيما قابلا توبتهم متفضلا عليهم فلا وربك لا يؤمنون لا مزيدة للقسم كما في لا اقسم والفاء للدلالة على ان القسم مسبب عن فعلهم حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما التبس عليهم ومنه الشجرة لاختلاط اغصانها وفي لفظ التحكيم اشارة الى انه يجب ان يكونوا هم الطالبين منك الحكم الساعين اليك ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيق صدر وقلقا ويسلموا وينقادوا لحكمك انقيادا ظاهرا روى مسلم والبخاري انها نزلت في الزبير ورجل من الانصار اختصما في شراج من الحرة فقال رسول الله اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال الانصاري لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله وقال اسق يا زبير حتى يرجع الماء الى الجدر وكان في الاول امره بما كان فيه رفق لصاحبه فلما احفظه استوفى للزبير حقه والقول بان خصم زبير حاطب بن ابي بلتعة سهو لان حاطبا حليف قريش ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم كما كتبنا على بني اسرائيل او اخرجوا من دياركم تنزلا الى الادنى ما فعلوه الا قليل منهم وقرا ابن عامر الا قليلا وهم الكمل او الا فعلا قليلا كما نامنهم وفيه توبيخ شديد حيث جعلهم اقل انقيادا من بني اسرائيل وهم خير القرون من خزامة وعن شريح بن عبيد لما نزلت اشار رسول الله الى عبد الله بن رواحة وقال هذا من ذلك القليل ولو انهم فعلوا ما يوعظون به امره على يؤمرون به اشارة الى ان اوامره من قبيل الوعظ والنصح كالدواء المر من الطبيب لكان خيرا لهم عاجلا واجلا واشد تثبيتا لدينهم او لما هم فيه من المال والمنال واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما عطف على الجزاء وزيادة اذا للدلالة على ان هذا الجزاء بعد ترتب السابق ويحتمل القسم اي اذا والله لاتيناهم كما في قول الحماسي اذن لقام بنصري ولهديناهم صراطا مستقيما لا اعوجاج فيه اخره عن اعطاء الاجر لانه المقصود منه ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم متصل بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وحديث المنافقين واعراضهم مستطرد روت عائشة وابن عباس وغيرهما ان ناسا من من اصحاب رسول الله شكوا اليه شدة حبهم اياه وخوفهم من فراقه في الجنة فانه يرفع الى اعلى المنازل فنزلت من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للمنعم عليهم اربعة اقسام الانبياء الذين حازوا قصب السبق في مضمار السعادة جمعوا بين الكمال والتكميل وهم الواسط

قابل الفقير

بين الله وبين عباده في العرفان والايصال والصديقون المبالغون في الصدق كابي بكر وعمر ومن
نهج منهجهم والشهداء الذين جادوا بارواحهم في اعلاء كلمة الله اخلاصا والصالحون الذين صلحت احوالهم
مع الله وعباده لا الذين عرفناهم بالله بامارات واقناعات لعدم الاعتداد بها في العقايد لاسيما في
معرفة الله **وحسن اولئك رفيقا** اي ما احسنهم رفيقا الرفيق كالصديق يطلق على المفرد
والجمع والظاهر انه جمع حال او تميز ويجوز ان يكون تميزا مفردا قصد به بيان الجنس كالماء والعسل
ذلك الفضل من الله مبتداء وخبر على ان الجار والمجرور من تمة الخبر حال منه او
الفضل وصف والجار والمجرور هو الخبر اي ذلك الانعام تفضل منه تعالى وفيه حث
على الدخول في زمرتهم **وكفى بالله عليما** بمن هو اهل لذلك **يا ايها الذين امنوا**
خذوا حذركم الحذر والحذر كالاثر والاثر التيقظ والاحتراز جعل مأخوذا على طريقة
الاستعارة بالكناية بيان رتبة الشهداء مما يحث على المبادرة الى نيلها من غير عدة اسباب
فاشار الى ان القصد اعلاء كلمة الله واهلاك اعدائه وذلك بالاسباب والالات **فانفروا**
ثبات جماعات كالسرايا جمع ثبة من ثبت فلانا اذا ذكرت ماثره **او انفروا جميعا**
جيشا واحدا او كوكبة بجمعه **وان منكم لمن ليبطئن** اللام الاولى للابتداء دخلت على
اسم ان لوقوع الخبر فاصلا والثانية جواب القسم والقسم خبر ان وبطأ بمعنى تبطأ والتشديد
للتكثير او للتعدية اي يبطئ غيره ويدعوه الى التقاعد هذا كان حال المنافقين كما فعل عبد الله
بن ابي يوم احد انخزل مع ثلثمائة **فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا** بعد ذلك
من نعم الله عليه **ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم يكن بينكم وبينه مودة** اعتراض بين القول
ومفعوله وهو **يا ليتني كنت معهم** يشتمل على التهكم لان تشبه حالهم بحال عديم المودة يشعر
ثبوت المودة بينهم ومعلوم ان لا مودة لان الكلام في بيان نفاقهم وجعله داخلا تحت المقول
بان يقول المنافقون لضعفة المسلمين كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم ففوزوا
بما فاز بعيد عن المقام بل عن واقع حرما وقرا ابن كثير وحفص يكن بالتانيث والتذكير احسن
لوجود الفاصل **فافوز فوزا عظيما** عدوا ما ينالوه من سهم الغنيمة فوزا عظيما لقصور نظرهم
فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة يشرونها ويختارونها على
الاخرة حث للمبطئين على التشمير واللحوق بالغازين الفاء للتعقيب او حث للمؤمنين على القتال
وان لا يبالوا بالمنافقين المبطئين والفاء جواب شرط مقدر والمعنى ان بطأ هؤلاء المؤثرون
للحيوة الدنيا فليقاتل في اعلاء كلمة الله الذين باعوا الحيوة الدنيا واشتروا بها الاخرة **ومن يقاتل**
في سبيل الله كائنا من كان **فيقتل او يغلب** قدم القتل مع ان قصد المقاتل الغلبة تشجيعا لنفوس
الغزاة منه **فسوف نؤتيه اجرا عظيما** لا يحيط به الا علام الغيوب **وما لكم** مبتدأ وخبر اي
صارف لكم **لا تقاتلون في سبيل الله** حال كونكم غير مقاتلين في سبيل الله **والمستضعفين**
وسبيل المستضعفين وهو استخلاصهم من ايدي المشركين او نصب على الاختصاص لان سبيل الله
يشمل ابواب البر كافة قيل واخص من ذلك خلاص هؤلاء الضعفة **من الرجال والنساء**
والولدان بيان للمستضعفين على وجه الترقي من الاقوى لانه اذا كان مستضعفا فالاضعف
اولى وذكر الولدان للدلالة على فرط ظلمهم حيث عذبوا الاطفال الذين هم محل الرافة والتراحم و
قيل الولدان العبيد والاماء لاطلاق الوليد عليهما ويجمع على الولدان والوجه هو الاول لما
روى البخاري عن ابن عباس كنت انا وامي منهم **الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية**
الظالم اهلها هي مكة شرفها الله وصفت بوصف اهلها **واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا**
من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم فخرج من خرج وفتح الله مكة على رسوله فجاءهم خير ولي و
خير ناصر من غير كلفة ومشقة **شعر** وليس الذي يستتبع العفو دائما كمن جاء في ذاده وابل القطر
فخرج بعد فتح مكة الى هوازن وهي غزوة حنين وولى عتاب بن اسيد واليا على اهل مكة وكان سنه

قابل الفقير

وكان سنه ثماني عشرة سنة قال رسول الله رايت اسيدا في الجنة وكان مات مشركا فادله مانه **الذين**
امنوا يقاتلون في سبيل الله ترغيب للمؤمنين بان قتالهم في ازالة الخاس المشركين واماطة الا
ذى عن سبيل الله **والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت** في طريق الشيطان الموصل الى النار **فقاتلوا**
اولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا غايته الوسوسة والكذب كان يوم
بدر مع المشركين وقال لا غالب لكم اليوم من الناس فلما راى امداد الملائكة نكص على عقبيه وقال
اني ارى ما لا ترون **الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم** عن القتال **واقيموا الصلوة**
واتوا الزكوة كان المفروض بمكة من احكام الصلوة والزكوة لمعنى مواساة الفقراء والمساكين
ومقاد مرهابيت بالمدينة وكان رسول الله مامورا بترك التعرض للكفار بقوله دع اذاهم
واصبر ونظاير بهما لحاء عبد الرحمن بن عوف واناس من الصحابة يستاذنون في القتال فلم ياذن لهم
فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله كاهل خشية الله اي حال كونهم مشبهين بهم
او اشد خشية عطف على الحال والمعنى يخشون الناس حال كونهم اشد خشية من اهل خشية الله
فالتعاضل بين خشيتي الفريقين ولا يجوز ان يكون اشد صفة مصدر محذوف لان الخشية الموصوفة
بالاشد يلزم ان يكون اقوى من ساير الخشيات في الخشية ولا يستعمل الا على طريقة جد جده
وقد تقدم مستوفى في اشد قسوة في البقرة **وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا**
الى اجل قريب زيادة توبيخ حيث لم يكفوا المافي ضميرهم من الخوف بل اظهروا الضجر **قل**
متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى فلم تطلبون الاقامة على ذلك القليل **ولا**
تظلمون فتيلا ادنى شيء من ثوابكم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بياء الغيبة و
الخطاب على الالتفات ابلغ في التسلية **اينما تكونوا يدرككم الموت** في اي مكان كنتم **ولو كنتم**
في بروج مشيدة في قصور مرتفعة حصينة وعن السدي في بروج السماء واذا كان الموت
امرا محتوما وقدرا مقدورا فلا وجه لطلب تاخير القتال فلا الاقدام في الحرب يدنيه ولا
الاحجام يقصيه **وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك** الضمير
للمبطئين وما في البين مستطرد لترغيب المؤمنين وقيل نزلت في اليهود قالوا منذ قدم محمد
غلت الاسعار ونقصت الثمار والحسنة تطلق على الطاعة والنعمة وكذا السيئة على الاثم والبلية
والمراد بهما الخصب والقحط بقرينة الاصابة والحسنة كثيرة الوقوع وكان الظاهر اذا واثبتها
اثر ان للدلالة على انهم احقاء بان تتواتر عليهم النعم **قل كل من عند الله** بيده القبض
والبسط **فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا** شيئا من الحديث او حديثا كاملا في البيان
والبلاغة وهو القران احسن الحديث الناطق بان الامر كله اليه ولا واسطة في احكامه
ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك لانها الواسطة في استجلابه
وان كان من عند الله ايجادا وخلقا والخطاب عام والاحسن ان يكون الخطاب لرسول
الله دلالة على انه مع زكايه عن الشوايب وقربه من الله اذا كان كذلك فالغير اولى وعن
بعض العارفين اذا عصيت الله اعلم من خلق دابتي **وارسلناك للناس رسولا** الجار متعلق
برسولا اي للناس كافة فلا ينبغي ان يخرج احد من طاعتك وفيه اشارة الى تعكيسهم حيث
تشاموا بالرحمة الموسلة وجالب خير الدارين **وكفى بالله شهيدا** على رسالتك بان
ايدك لمعجزات ظاهرة وايات باهرة **من يطع الرسول فقد اطاع الله** بالغ في الحث
على اتباعه بجعل طاعته طاعة ثم هدد بقوله **ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا** رقيبا
مانعا لاحوالهم ما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا **ويقولون طاعة** امرنا او شاننا
طاعتك **فاذا برزوا من عندك** ظهروا **بيت طائفة منهم غير الذي تقول** وبرام
اخرمن بيت الامر اذا دبره بالليل لانه يجمع الاراء والحواس فالفكر فيه اصوب **والله**
يكتب ما يبيتون علام الغيوب ذاكت نشاد ل على كمال اعتناه لمحادة فاعله والاسناد

مجاز لان الامر وما موصولة او المصدرية ابلغ فاعرض عنهم بعد الابلاغ وتوكل على الله
فوض امرك اليه وكفى بالله وكيلا موكولا اليه ولا يبالي في هذا الباب الات الحرب وساير
مكايد القتال لانها اسباب دافع لوساوس الشيطان افلا يتدبرون القرآن فيستدلون به على
رسالتك لانه كلام فوق طوق البشر صادر عنك مع انك لم تعاط كتابه وقريضا وخطبا ولتدبر النظر
في دبر الشيء وعواقبه والفكر النظر في مقدماته وسوابقه ثم استعمل في كل تامل ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لفظا بان يوجد فيه موضع طعن يدركه ارباب البلاغه
ولم يقع ذلك مع انه نزل متحديا بين اقوام حراص على القدح فيه ومعنى بان يوجد فيه نقل يخالف لما
في زبر الاولين مع احتوائه على احوال المبدأ والمعاد واحكام الشرايع اصولا وفروعا وما قيل لو
كان من عند غير الله لكان متخلفا بعضه بالقدح الاعجاز وبعضه قاصرا عنه بناء على الفرض
اي لو فرض وقوع معجز فيه لكان في البعض خاصة او يكون ماخوذا من كلام الله على طريق الاقتباس
ونحوه واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم
لعلمه الذين يستنبطونه منهم عطف على ويقولون طاعة وقوله افلا يتدبرون القرآن اعتراض
تحذيرا عن اضمار ما يخالف الظاهر وان في تدبر القرآن ما يجر الى طاعة المنزل عليه وضميرهم لبعض
ضعفة المومنين لان ضمير يقولون يعم الميت وغيره وكان هؤلاء اذا بلغهم من سرايا رسول الله امره
سرا والحزن بادروا الى اذاعته واشاعته فيقع بذلك مفاسد ولو القوا ذلك الخبر بعد سماعه
الى رسول الله وذوي التجارب لعلمه الذين يستنبطونه اي يستخرجون تدبيره بافكارهم الثاقبة من استنباط
الماء الخرجه من البئر بكدح ومشقة وقيل كانوا اذا وقفوا على امر من الامن او الخوف من رسول الله
واطلعوا عليه من جهته اذاعوه وكان في ذلك مفاسد وسكوا عنه كانهم لم يسمعوا العلم المستنبطون
كيفية تدبيره وقيل كانوا يسمعون امر من الامن او الخوف من افواه المنافقون وردوه الى الرسول
والى اولي الامر عدم اذاعته الى ان يسمعوه منهم فالمستنبطون هم المذيعون لاستعلامهم الخبر من الرسول
واولي الامر فمن على هذا ابتدائية وعلى الاولين بيانية تجريدية او تبعيضية ولولا فضل الله عليكم ايها
المومنون بارسال الرسول ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم بوفقه الله بعلم من لدنه
كزيد بن نفيل موحد الجاهلية لم يسجد لصنم ولم ياكل ذبح المشركين قال رسول الله ثنا عليه يحشر
يوم القيمة امة وحده والنمل بورقة بن نوفل سهو لانه ادرك رسول الله وآمن به واخبره
بانهم سيخرجونه من مكة ويعادونه ويلبث ان يدرك ذلك اليوم رواه البخاري او المعنى ولولا فضل
الله عليكم ايها الرسول والمومنون لاتبعتم الشيطان بالاصغار الى المثبطين في ترك العمل الا قليلا
هو الرسول المستنبطون وهذا انسب بالمقام وفيه احتمال الاقويا وتحريك حمية الضعفاء فقت
ايها الرسول بهذا التوفيق من غب اتباع الشيطان واوليت هذا الفضل فقاتل في سبيل الله
لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك وحرض المومنين على القتال بما اعد الله من الاجر
لمن يقاتل في سبيله عسى الله ان يكف باس الذين كفروا من قريش وقد فعل فان ابا سفيان
واعد رسول الله يوم احد ان يلقاه في القابل ببدر فالقى الله الرعب في قلبه فلم يجر على المجيء والله
اشد باسا من كل ذي باس واشد تنكيلا تعذيبا كالملازم للاول من يشفع شفاعة
حسنة يكن له نصيب منها من اجرها الشفاعة من الشفع لان الشافع يضم نفسه الى ذي الحاجة و
الحسنة ما كانت لدفع مفسدة دينية او جلب مصلحة كذلك ومن يشفع شفاعة سيئة
ما يحل وزرا يكن له كفل منها من وزرها والكفل المثل من الكفالة وهي القيام بمثل ما على الغريم
اثره لان جزاء السيئة سيئة مثلها بخلاف الحسنة فان الاجر فيه مضاعف وكان الله على كل
شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اقتدر قال زبير بن عبد المطلب وكنت على اساءته مقيتا
اشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها
اردف الشفاعة التي هي من حقوق المسلمين بما هو افضل منها وهو السلام روى البخاري ان رسول الله

قاله الكشاف

قاله الفتح

ان رسول الله سئل اي الاسلام افضل قال ان تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف
وروى ابن جرير ان سلمان الفارسي قال جاء رجل الى رسول الله وقال السلام عليك فقال وعليك
السلام ورحمة الله ثم جاء اخر فقال السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله
وبركاته ثم جاء اخر فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام ورحمة الله
وبركاته فقال الرجل يا رسول الله زدت فلانا فقال انك لم تدع شيئا وقال الله او ردوها فرددنا
عليك ابتداء السلام سنة وردها فرض وهذا مما يستطرف يقال سنة افضل من الفرض والمواضع يستثنى
فيها ترك كالخلاء والحمام والصلوة فان سلم لا يستحق الجواب ومن ادابه ان يسلم الماشي على القاعد
والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر وابتداء من
واحد كاف وكذا الرد ان الله على كل شيء حسيبا محاسبا مجازيا عليه حث على محافظة
مما يتساهل فيه الله لا اله الا هو مبتداء وخبر او لا اله الا هو اعتراض يوكد معنى الالوهية
والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة واللام جواب قسم محذوف تعليل لما قبل وعدي
بالى لتضمين معنى الحشر لا ريب فيه اي في يوم القيمة حال من اليوم او في الجمع صفة مصدر ومن
اصدق من الله حديثا اي لا احد لان الكذب للضرورة او الجهل بقبحه وعلام الغيوب والغني المطلق
محال في حقه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقرا حمزة والكسائي باشمام الصاد زاء لان الصاد مهموس والدال مجهور
وقرب بينهما بحصة من الزاء فما لكم في المنافقين فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما اي اي شيء
ظهر لكم من امارات الايمان حتى افترقتم في شأنهم روى الامام احمد عن زيد بن ثابت انها نزلت في الذين
انخزلوا يوم احد ثلثمائة رجل وعن ابن عباس في قوم تكلموا بالاسلام بمكة وخرجوا مظاهرين للمشركين وقيل
في قوم هاجروا ثم استاذنوا رسول الله في البدو لاجتواء المدينة فلحقوا بالمشركين وقيل في العرنيين قتلوا
راعي رسول الله واستاقوا سرحه ولا يكاد يصح هذا لانهم قتلوا في ذلك اليوم شر قتل قطعت ايديهم
وارجلهم وسمرت اعينهم والقوا في الحرة حتى ماتوا عطشا والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى الكفر
بما كسبوا من اثام الركس وهو رد الشيء مقلوبا الجملة حالية توكد معنى الانكار ولذلك امده بقوله
اتريدون ان تهدوا من اضل الله جعل ترددهم في ايمانهم بعد ظهور نفاقهم بمثابة الا
اراد الله ضده ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الخطاب لرسول الله لانه ارسل رحمة للعالمين فاذا
لم يقدر هو فغيره بمراحل ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء في الكفر والشقاء استيناف
لبيان بعد حالهم عن الاهتداء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله لا تولوهم حتى يظاهروا
ايمانهم بهجرة خالصة في الجهاد معكم او من مكة فان تولوا اعرضوا عن ذلك الايمان فخذوهم
واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم اذ لا فرق بينهم وبين ساير المشركين ولا تتخذوا منهم
وليا ولا نصيرا لقطع الحبل منكم من كل وجه زيادة على ساير الكفار لانهم اخبث الكفرة ولذلك
بالغ بتكرير النهي وتنكير المفعول وتكريرها الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم لا من لا تتخذوا منهم وليا لان اتخاذ الولي منهم حرام بلا استثناء
بخلاف القتل والقوم الاسلميون سيدهم هلال بن عويمر كان بينه وبين رسول الله عهد سنة الفتح
ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل اليه ولجأ اليه فله الجوار وقيل هم بنو بكر بن مناة وقيل
او جاؤكم حصرت صدورهم قد حصرت في محل الحال والعطف على الصلة اي او الذين كفوا عن قتالكم
دلالة على ان الكاف عن القتال احد سببي عدم التعرض كالاتصال بالمعاهدين ويجوز عطفه
على الصفة والمعنى او الذين يصلون الى قوم حصرت صدورهم فان المتصل عن كف حكمه
والاول اوجه لان المتصل بالكاف كاف فلا وجه لالحاقه به بخلاف المتصل بالمعاهد ولان قوله فان
اعتزلوكم فلم يقاتلوكم تقرير للكف لا الاتصال ولان هؤلاء بنو مدلج سيدهم سراقة بن مالك
جاء الى رسول الله وسال ان يوادع قومه فان اسلم قريش اسلموا فبعث معه خالد بن الوليد فصالحهم
على ان لا يعينوا على رسول الله ولا يعينوه وان اسلمت قريش اسلموا ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم

فلا يكن الاختلاف فيهم سبيل الله منه

لان او كراهة قال الفريقين على حصر الصدور ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان يقوي
قلوبهم على قتالكم فلقاتلوكم فيه امتنان وتوكيد للكف عنهم بعد كفهم ولذلك امده بقوله
فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم بعد ذلك الاعتزال والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم
عليهم سبيلا للتعرض بوجه ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هؤلاء
منافقوا الاعراب حول المدينة غطفان وبنو عبد الدار وبنو اسد كانوا اذا قدموا المدينة اظهروا
الايمان واذا رجعوا الى قومهم كفروا كلما ردوا الى الفتنة كلما دعوا الى الشرك او قتال
المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها شر قلب لان الواقع في الحفرة منكوس اشر من الواقع سويا
فان لم يعتزلوكم في جانب ويلقوا اليكم السلم الانقياد ظاهرا اشارة الى عدم ايمانهم باطنا
ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم في اي مكان تمكنتم منهم ابلغ من قوله
حيث وجدتموهم لان الثقافة في الاصل الحذق والحذق واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة
واضحة لانكشاف حالهم وعظم جرمهم وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ما كانت
من شيم المؤمن واخلاقه قتل اخيه المؤمن في شيء من الاحوال او لعلة من العلل او قتلا بوجه الا في
حال الخطا او مخطئا او قتلا خطأ ولا يلزم منه جواز القتل خطأ نزلت في عياش بن ابي
ربيعة اخي ابي جهل لامه قتل الحرث بن يزيد العامري خطأ وذلك ان عياشا اسلم قبل الهجرة وهاجر الى
المدينة فحلفت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحرث فوجدوه
في اطم فقال له ابو جهل اليس محمد يامر بصلة الارحام صل امك وانت على دينك فلم يزل به حتى انزله
فلما فصلا به عن المدينة كتفاه وضربه كل منهما مائة جلدة فقال هذا اخي فمن انت يا حارث الله
علي ان تمكنت منك ان اقتلك فقدم على امه فحلفت ان لا يحل كتافه حتى يكفر فارتد ثم هاجر ثانيا
وهاجر بعده الحرث فلقيه عياش لقيا ولم يدر باسلامه فقتله والقتل الخطأ ان لا يقصد الفعل او
الشخص او يقصد بما لا يزهق غالبا او يقصد ولا يكون مكلفا ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير
رقبة مؤمنة فعليه او فواجبه اعتاق نفس مؤمنة وعن ابن عباس لا تصح الا اذا صلت وصامت
والتحرير جعل الشيء حرا وهو في الاصل الكريم الخالص من العيب واطلاق الرقبة من اطلاق الجزء
الذي لا يوجد الكل بدونه عليه لانه محل الرئيس في الانسان كقوله المؤذنون اطول اعناقا
يوم القيامة ودية مسلمة الى اهله الى ورثته فان الدية ميراث لما روى الضحاك بن
سفين الكلابي كتب الي رسول الله ان اورث امراة اشيم الضبابي من دية زوجها وهذه الدية
على العاقلة مخمسة لما روى البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله قضى بها على العاقلة فان لم توجد له
عاقلة فعلى بيت المال لما روى البخاري عن عبد الله بن عمر لما قتل خالد بن الوليد بني جذيمة خطأ
بعث رسول الله عليا فوداهم وكذا اذا لم يكن للميت وارث فالدية لبيت المال الا ان يصدقوا
اي الا ان يعفو اهل الميت عن الدية عبر عنه بالصدقة حثا عليه ولان كل معروف صدقة
والاستثناء من اعم الاحوال وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان
المقتول مؤمنا واهله كفرة محاربون ولا وراثة بين المؤمن والكافر فالواجب التحرير لانه حق الله
لا يسقط انتفت نفسا فعلها احيا اخرى لان الرق موت معنى والعدو في الاصل مصدر اطلق
على الجمع وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اي وان كان
المقتول من اهل الذمة او من قوم معاهدين فالحكم في الدية والتحرير حكم المسلم في اصل الوجوب
لا في الكمية فان دية الذمي والمعاهد ثلث دية المسلم وقدم الدية ههنا والتحرير في المسلم لان
اهل الذمة ضعفة ربما يطمع فيهم والتحرير حق الله لا طالب له ربما يتساهل فيه وحمل الشافعي
الرقبة المطلقة في سائر الكفارات على المؤمنة ههنا على اصله من حمل المطلق على المقيد مطلقا
فمن لم يجد الرقبة بان لم يجدها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين قيد التتابع
تغليظ عليه فان افطر فعليه الاستئناف توبة من الله مفعول له لمقدر اي شرع ذلك

رد على صدر الشريعة

ذلك وكان الله عليما باحوال عباده حكيما في شرع الاحكام على الوجه المذكور ولم يوجب القصاص
على الجاني خطأ ولم يهمل بشان المقتول رأسا وشرع الدية والتحرير رعاية لحق الله وحق العباد ومن يقتل
مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما اي جزاؤه ذلك واللائق
الا ان الله يغفر ما دون الشرك لمن يشاء او محمول على الاستحلال توفيقا بين الادلة وعلى هذا اجماع
الصحابة وروي عن ابن عباس خلافه فروى الترمذي والنسائي وابن ماجة ان رسول الله قال
لزوال الدنيا اهون على الله من قتل مسلم وروى الترمذي عن ابي هريرة وابي سعيد لو ان اهل الدنيا
اشتركوا في دم مسلم لاكبهم الله في النار وروي ايضا عن ابن عباس ان المقتول ياتي يوم القيمة واوداجه
تشخب دما فيقول يا رب سل هذا لم قتلني فيدنيه الله من يديه من العرش يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في
سبيل الله فتبينوا بالغوا في الكشف والاحتياط حتى لا تقعوا في جرم وقرا حمزة و
الكسائي فتثبتوا بالثاء من الثبات عدم العجلة في قتل من تزونه في دار الحرب ربما كان اسيرا مسلما
ولا تقبلوا قول كل مخبر ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا روى البخاري عن ابن
عباس كان رجل في غنم له فلحقه المسلمون فقال السلام عليكم فقتلوه واخذوا غنيمة فنزلت وقرا
نافع وابن عامر وحمزة بقصر السلام بمعنى الانقياد والطاعة وهو المختار لانه مناط حقن الدم وعليه
الرسم تبتغون عرض الحيوة الدنيا لا اعلاء كلمة الله فعند الله مغانم كثيرة له خزاين السموات
والارض اطلبوا الرزق من وجه اخر كذلك كنتم من قبل غير مشهرين بالايمان ثابتي القدم فيه
فمن الله عليكم بالثبات والرسوخ فيه فتبينوا كرره تاكيدا روى البخاري ومسلم ان سرية
اغارت على فدك فراوا رجلا في غنم فشد عليه اسامة بالسيف فقال لا اله الا الله فلم يرجع عنه فقتله
فاخبر بذلك رسول الله فشق عليه وقال كيف بك اذا جا يوم القيمة ولا اله الا الله معه فقال انما قالها خوفا
من السيف فقال هلا شققت قلبه قال اسامة ما زال يكررها حتى تمنيت ان لو اسلمت ذلك اليوم ان الله
كان بما تعملون خبيرا عالما بضمائركم لا يستوي القاعدون من المؤمنين الامر بالتبين
يوقع في الوهم القاعد عن الجهاد فحث على المبادرة اليه والجار والمجرور في محل الحال غير اولي الضرر
ذوي العاهة من العمى والمرض وغيرها روى البخاري عن زيد بن ثابت ان رسول الله املى علي لا يستوي
القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وفخذه على فخذي فجاء ابن ام مكتوم وهو يمليها فقال
لو استطيع الجهاد لجاهدت فثقلت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترض فخذي ثم سري عنه فقال اكتب غير اولي
الضرر قال زيد كاني انظر الى ملحقها عند صدع الكتف وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة غير وعاصم
اولى بالرفع على الوصف لان القاعدون لا توقيت فيه والاخبار بعدم التساوي مع كونه معلوما
باوائل العقول لاذكار ما بينهما من التفاوت بمن العطف السامع لينزع عن التقاعد مثله هل
يستوي الذين يعلمون والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي في اعلاء كلمة فضل الله
المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة استئناف لبيان عدم التساوي وانتصاب
درجة بنزع الخافض او على المصدر وكلا وعد الله الحسنى كلا من المجاهدون والقاعد
المنزل الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب على المصدر لتضمن فضل
معنى اجر درجات منه ومغفرة ورحمة بدل من اجرا او نصب درجات على المصدر كقولك
ضربته اسواطا كانه قيل فضلهم تفضلات ونصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما وانما كرر جزاء
المجاهدين اعتناء لكون الجهاد سنام الدين وافرد الدرجة اولا وجمع ثانيا اشارة الى ان
التنكير للتعظيم فهي في المعنى درجات اولا والاولى درجتهم عند الله والثانية مراتبهم في الجنة او الدرجة
في الدنيا من الغنيمة والذكر الجميل والدرجات في الاخرة ولذلك اردفها بالمغفرة والرحمة او الدرجة
لمن جاهد بالمال والنفس والدرجات لمن ربط سره على الله او الدرجة للجهاد الاصغر والدرجات للاكبر وهو
جهاد النفس على ما روي عنه انه قال في انصرافه من تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وما
قيل ان المفضلين درجة هم المفضلون على القاعدين اولي الضرر والمفضلون درجات المفضلون على من

روي ان هذا كان قول ابن عباس
رجع عن قوله رحمه الله منه

قائلا الكشاف

تخلف من غير ضرر اكتفاء بغيرهم لان الجهاد فرض كفاية وقيد اولي الضرر لا ينقص اجرهم دل عليه الاستثنا
كما اذا قلت لا يستوي زيد وعمرو في العطاء الا اذا كان عمرو فقيرا ولما روى البخاري عن انس ان
رسول الله قال ان بالمدينة اقواما ما سرتم ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال
نعم حبسهم العذر وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما ولذلك اجزل لهم الاجر ان الذين
توفاهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع هؤلاء قوم اقاموا بين المشركين حين كانت الهجرة
واجبة ظالمي انفسهم بعدم الهجرة قالوا فيم كنتم اي قالت الملائكة في اي شان كنتم
حيث لم تهاجروا او تخالطهم قالوا كنا مستضعفين في الارض ارض مكة قالوا الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها كما هاجر اقرانكم فاولئك ماويهم جهنم دل على انهم كاذبون
في الاعتذار عن ابن عباس نزلت في طايفة منهم قتلوا يوم بدر خرجوا مع المشركين وساءت
مصيرا اي جهنم الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة من الزاد والراحلة
ولا يهتدون سبيلا لا معرفة لهم بالطريق ولا يظفرون بالرفقة صفة المستضعفين مع ما عطف عليه
لعدم التوقيت فيه وانما ادخل الولدان في حكم الرجال والنساء مع انهم لا يستحقون الوعيد وان
استطاعوا لعدم التكليف مبالغة في شان الهجرة وايهاما بان غير المكلف لو استطاع لوجب عليه
وايماء الى ان بعد البلوغ لا محيص عنها فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم دل بذكر عسى و
العفو على الضيق في ترك الهجرة بان من لم يجب عليه يجب ان يعد تركها ما يحتاج الى العفو
المرجو وكان الله عفوا عن المضطر غفورا بستار لانه ومن يهاجر
في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة اي طريقا واسعا واتساعا
في الرزق ترغيب في الهجرة قال النابغة كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمذهب او طريقا يراغم
بسلوكه قومه اي تفارقهم على رغم منهم يقال راغم فلان قومه اذا نابذهم مغاضبة من الرغام
بالفتح وهو التراب ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت نزلت في حكيم بن
حزام الاسدي وعن ابن عباس نزلت في ضمرة بن جندب لما سمع قوله تعالى لا يستطيعون حيلة
فقال لاولاده احملوني على السرير وكان شيخا كبيرا لا يستمسك على الراحلة فلما بلغ التنعيم
ادركه الموت فصفق بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك
فقد وقع اجره على الله في ايثار لفظ قد ولفظ الوقوع وعلى الدالين على اللزوم وابهام
الاجر والاسم الجامع شان في مبالغة ليس ما يخفى وكان الله غفورا لما فرط منه رحيما
حيث جعل قاصد الفعل كفاعله واذا ضربتم في الارض ضربتم في الارض يسافرها لطلب
الرزق ثم اتسع فيه فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة الرباعية باسقاط ركعتين ان
خفتم ان يفتنكم الذين كفروا خارج مخرج الغالب اذ كانت اسفارهم غزوات وسرايا ولما
روى مسلم عن يعلى بن امية سالت عمر بن الخطاب ما لنا نقصر وقد امن الناس فقال صدقة
تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته وروى الترمذي والنسائي عن ابن عباس ان رسول الله خرج من
المدينة لا يخاف الا رب العالمين يصلي ركعتين الى مكة استدل الشافعي بقوله لا جناح عليكم
على جواز الاتمام وبما روى البخاري عن عايشة ان رسول الله قصر واتم كل ذلك فعل وشرط
ان يكون سفرا مباحا لقوله في المضطر غير متجانف لاثم فاذا اشترط جواز اكل الميتة لا نفا المعصية بعدم
العصيان فالقصر اولى بذلك واستدل ابو حنيفة على اطلاق السفر باطلاق الاية وعلى كون القصر
عزيمة بما روى البخاري ومسلم عن عايشة فرضت الصلوة ركعتين ركعتين فاقرت صلوة السفر
لما هاجر رسول الله وزيد في صلوة الحضر وبهذا يسقط ما قيل ان القصر في التخفيف دون الكم
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا علة للتخفيف واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة
تعلق بظاهره من لم يجوز صلوة الخوف بعده والصواب خلافه لانه اذا جازت مع وجوده فبدونه
اولى فلتقم طائفة منهم معك مصلين معك وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون

اي المصلون امر ندب وقيل امر وجوب فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم اي الساجدون
للحراسة ولتات طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك استدل به مالك على ان الطايفة تتم
صلوتها ثم تذهب الى وجه العدو والكل صواب لانه صلى بعسفان وبذات الرقاع وببطن النخل مختلفا
وقد روى عنه الامام احمد ست طرق في كيفيتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر
ماخوذا لتنزيله منزلة الالة وانما ضم اخذه الى الاسلحة هنا دون الاول لان حال الصلوة وقت انتهاز
الفرص فامروا بكمال التحفظ ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم
ميلة واحدة استيناف تعليل للامر بالتحفظ ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم
مرضى ان تضعوا اسلحتكم دفعا للاذى ورفع الجناح ربما يؤيد ان الامر الاول للوجوب وخذوا
حذركم لئلا يهجم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تقوية لقلوبهم واشارة
الى ان الامر باخذ الحذر والاسلحة لكونهما نوعا من العبادة والاعتصام انما هو بعصمة الله
فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اذا اردتم اداها استدل به
الشافعي على وجوب الاداء حال المسايفة والمقارعة وحمل قوله فاذا اطمانتم فاقيموا الصلوة
على حال الامن اي ادوها معدلة الاركان واثار الفاء دون ثم لعدم التراخي بين الخوف والامن والمعنى
عند ابي حنيفة اذا صليتم صلوة الخوف فداوموا على ذكر الله في الاحوال كلها كقوله يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وقوله فاذا اطمانتم عطف على واذا ضربتم في
الارض وذكر صلوة الخوف مستطرد لتقدم ذكر الخوف في صلوة السفر ان الصلوة كانت على المؤ
منين كتابا موقوتا مكتوبة مقيدة بوقت لا يجوز تاخيرها عنه كساير الموقتات يؤيد ما ذهب
اليه الشافعي من وجوب الاداء حال المسايفة وقيل موقوتا مفروضا لان الوقت من لوازمه اما
مضيقا او موسعا ولا دلالة فيه على ان الكفار غير مكلفين بالفروع بل هو كقوله هدى للمتقين ولا
تهنوا في ابتغاء القوم بعد التخفيف عنهم اشد تحقيق حثهم على النهوض برهان بقوله ان تكونوا تألمون
فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون اي اذا ساويتموهم في الالم ولكم رجاء النصر
عاجلا والثواب اجلا فالواجب عليكم المبادرة لظهور الربح نزلت في بدر الصغرى تثاقل
بعضهم عن الخروج لما كان بهم من الجراح والوهن وكان الله عليما باحوالكم حكيما
في كل ما دبر وامر انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك لما كان الكلام في
شان المنافقين وتخلفهم عن الجهاد ووقع الكلام في احكام السفر استطرادا ثم عاد الى استقصاء
احوالهم روى العوفي عن ابن عباس انها نزلت في طعمة بن الابيرق احد بني ظفر سرق درعا
وجرابا فيه دقيق من قتادة بن النعمان واودعه عند زيد بن السمين اليهودي وكان قد انتثر
الدقيق من الجراب في الطريق فلما اصبحوا اتبعوا الدقيق فوجدوا الدرع عند اليهودي فقال
اليهودي اودعنيه فانكر طعمة فاحتكموا الى رسول الله فبادر اخوة طعمة بشر وبشير ومبشر وقالوا
يا رسول الله ان لم تجادل لنا نفتضح مع اليهود وكان رسول الله من شدة اعتنائه بشان المؤمنين
احب ان يظهر الحق لطعمة دون اليهودي لانه هم بالجدال باطلا مبراء عن ذلك وكفى شاهدا
قوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم نفي عنه قرب الركون الذي هو الميل
اليسير فضلا عن وقوع الميل والنهي عن الشيء لا يستلزم سبق وجوده فان قلت فما وجه
قوله واستغفر الله مقرونا بلا تجادل قلت كونه يود ظهور الحق لاحد الخصمين دون الاخر
مع استواء نسبة الكل اليه وعلو شانه داع لانه عارب القوى تعد منه امرا موجبا للاستغفار
الا ترى الى قوله انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة ولا تكن للخائنين
خصيما عطف على مقدر اي فاحكم بما امرت ولا تكن واستغفر الله عند ذلك الخاطر
ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم كائنا من كان ان الله لا يحب
من كان خوانا اثيما كثير الخيانة مؤمنا كان او كافرا وايثار صيغة المبالغة لان الله كريم

رد على الكشاف والقاضي

والبهم يستلزم الميل

لا يواخذ على القتيل وفيه اشارة الى كثرة خيانة طعمة جي عمر بن الخطاب بسارق فامر بقطع يده فقالت امه
اعف عنه يا امير المؤمنين فانها اول سرقة سرقها فقال كذبت ان الله لا يواخذ اول مرة روى ان طعمة
هرب الى مكة مرتدا فدخل حائطا ليسرق فوقع عليه الحايط فمات تحت الهدم عليه لعنة الله
يستخفون من الناس ولذلك يامرون بالجدال باطلا ولا يستخفون من الله
وهو احق بالحيا وهو معهم عالم بحالهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول من رمي البرئ بالجناية
وتبرية الخاين التبييت التدبير بالليل لان الوقت فيه اخفى والراي اصفى وكان الله بما يعملون
محيطا لا يخفى عليه منه شي ها انتم هؤلاء الها للتنبيه وانتم هؤلاء مبتداء وخبر اى انتم
الموصوفون بالوصف العجب ثم بينه بقوله جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فرضا وتقديرا
وقيل الخطاب لقوم طعمة ونزده قوله فمن يجادل الله عنهم اى عن طعمة وقوله يوم القيمة
اذا حل بهم العذاب ام من يكون عليهم وكيلا حفيظا ومحاميا ومن يعمل سوءا ذنبا
يسوء غيره او يظلم نفسه بذنب بينه وبين الله وقيل هو الشرك لقوله ان الشرك لظلم
عظيم ثم يستغفر الله يجد الله غفورا لذنبه فان قلت حق العبد لا يسقط بالاستغفار
قلت المراد من الاستغفار التوبة بشرايطها ومنها استحلال حق الغير والاداء رحيما متفضلا
بتبديل سياته حسنات ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه لا يتعداه وباله وكان الله عليما
باحوال العباد حكيما لا يواخذ احدا بذنب الاخر ومن يكسب خطيئة صغيرة اسم للخطاء
بكسر الخاء او اثما كبيرة ثم يرم به بما كسب او بالاثم او باحد الامرين بريئا عنه فقد
احتمل بهتانا ذنبا بهت به واثما مبينا ذنبا واضحا ولولا فضل الله عليك ورحمته
بالعصمة لهمت طائفة منهم ان يضلوك لا تر بهمهم في اضلالك وما يضلون الا انفسهم
لان وباله عايد اليهم وما يضرونك من شي اقل قليل لان الله يعصمك من الناس وانزل الله
عليك الكتاب القران والحكمة علم الشرايع امتنان عليه واشارة الى انه بعيد عما اتوه
من الضلال وعلمك ما لم تكن تعلم ما لا يمكنك علمه بالكسب والنظر كاحوال المعاد
وساير المغيبات التى اخبر بها وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضيلة فوق المعرفة وقد
حصلت بالحظ الاوفر وقد اتيناك من لدنا علما قال رايت ربي في احسن صورة فقال لي
فيم يختصم الملاء الاعلى قلت لا اعلم فوضع كفه بين كتفي فعلمت ما بين السماء والارض فيك
يختصم في الكفارات والحدود لا خير في كثير من نجويهم مما يسرون به بعضهم لما تساروا به
وبيتوه في اضلال بالجدال الا من امر بصدقة الا نجوى من امر ولكن من امر
بصدقة في نجواه خيرا او معروف امر بمعروف لما روى البخاري الامر بالمعروف صدقة
او اصلاح بين الناس فيما اختلفوا وتنازعوا فيه روى الترمذي عن ابى الدرداء ان
رسول الله قال الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح
ذات البين وعنه ليس الكذاب من يصلح بين الناس فلينمي خيرا ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات
الله مخلصا فسوف نوتيه اجرا عظيما ذكر الامر واورد الاجر على الفاعل اما لان
الامر كناية عن الفاعل لان الغرض هو الفعل او من يفعل كناية عن الامر لو قوع الفعل على كل
عمل وقرا ابو عمرو وحمزة يوتيه بالياء والنون ابلغ ومن يشاقق الرسول من بعد ما
تبين له الهدى طريق الصواب المشاقة المخالفة لان كلا منهما في شق غير شق الاخر و
يتبع غير سبيل المؤمنين ما هم عليه من الدين يشمل الاصول والفروع نوله ما تولى نكل
الى ما اختاره من الضلال ونصله جهنم من اصلية النار ادخله فيها قرا ابو عمرو وحمزة
وابو بكر باسكان ها نوله ونصله تخفيفا وساءت مصيرا اى جهنم استدل بالاية
على حجية الاجماع بناء على ان الجزاء مرتب على كل واحد من المشاقة واتباع غير سبيلهم
لان مجرد مشاقة الرسول كاف في استحقاق الوعيد فان قلت الاجماع اتفاق مجتهدي

مجتهدي عصر على حكم شرعي والمؤمنون جمع مستغرق ليشمل كل مؤمن الى اخر الدهر فاين
الدلالة قلت قوله صلى الله عليه لا يزال طايفة من امتي ظاهرين على الحق الى قيام الساعة لا يضرهم من خالفهم
دل على ان المراد اهل عصر والمقلد خارج لعدم اهلية لاخذ الحكم من الدليل ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره اهتماما كتكرير ساير الاحكام والقصص المهمة ومن يشرك
بالله فقد ضل ضلالا بعيدا وصف الضلال بالبعد مجاز مبالغة اذ لا ضلال فوق الشرك حيث
تلك بقوله ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما لايصالها نقض اهل الكتاب المحرفين للكلم وهذه بعض
طعمة وقومه الضالين الساعين في اضلال سيد المعصومين ان يدعون من دونه الا اناثا استيناف
لتحقيرما اتخذوه شريكا والاناث اصنامهم كاللات والعزى ومناة وعن الحسن كان لكل حي من احيا العرب
صنم يعبدونه يسمى انثى بني فلان او الملائكة يسمونها بنات الله وان يدعون في الحقيقة الا
شيطانا مريدا ابليس مجردا عن الخير لانهم عبدوها باغوائه لعنه الله صفة ثانية وقال
لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا مقدرا مقطوعا عن غيره صفة اخرى اى جامعا بين
اللعن وبين هذا القول ولاضلنهم عن طريق الحق ولامنينهم ولامرنهم فليبتكن
اذان الانعام ما كان يفعله المشركون علامة للسوائب والبحاير ولامرنهم فليغيرن خلق الله
كالوشم والوشر والتنميص والتفليج لما روى مسلم والبخاري عن ابن مسعود ان رسول الله قال لعن
الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله وعن مجاهد
وابن عباس تغيير دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله
بمجاوزاته عن ولايته فقد خسر خسرانا مبينا جليا لا يحتاج الى روية وتامل يعدهم المواعيد
الكاذبة ويمنيهم الاماني الباطلة بان الجمادات تشفع لهم وما يعدهم الشيطان الا
غرورا باطلا لا حقيقة اولئك ماويهم جهنم ما لهم ومرجعهم ولا يجدون
عنها محيصا محيدا ومعدلا من حاص عن الشي عدل عنه مصدر وبه يتعلق الجار او مكان فيتعلق
بالفعل والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا وعد من الله لاوليايه في مقابلة وعد الشيطان وعد الله
حقا الاول مصدر موكد لنفسه لان ما تقدم من الكلام وعد والثاني موكد لغيره وهو الباطل
بمعنى انه يدفع ويقطع احتماله ومن اصدق من الله قيلا ولا تاكيد ابلغ لدلالة على
صدق اخباره وان لا اصدق منه وهذه المبالغات بازاء مبالغات ابليس في الكاذبة ليس
باماينكم ولا اماني اهل الكتاب الخطاب للمشركين بما يقدم من قوله ان يدعون الا اناثا
كانوا يقولون ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن احسن حالا اوفات الذى لقربانا او قال
لا دين ما لا وولدا واهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباوه وقيل للمسلمين تنازعوا هم
واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نحن خير كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون
نبينا خاتم الانبيا وكتابنا يحكم على كتابكم من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا
يتولى امره ولا نصيرا يدفع عنه العذاب فان قلت اذا كان الخطاب للمسلمين يلزم ان يكون
كل مؤمن مجزيا بسوء عمله قلت هو كذلك الا انه لا يلزم ان يكون في الاخرة لما روى ابو سعيد
وابو هريرة ان رسول الله قال ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى
الهم يهمه الا كفر به من سياته او مقيد بعدم التوبة والعفو كساير النصوص ومن يعمل من
الصالحات بعض الصالحات لان كل مؤمن لا يعمل كل الصالحات من ذكر او انثى
في موضع الحال ومن بيان وهو مؤمن اذ لا يعتد بعمل دون الايمان فان قلت قد روى
البخاري ان حكيم بن حزام قال يا رسول الله ارايت اشياء كنت اتحنث بها في الجاهلية فقال
اسلمت على ما اسلف قلت معناه ان تلك الحسنات جرتك الى الاسلام او مخصوص به او وهو
مومن في اخر الامر لاطلاق اللفظ فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون اى الفريقان

الوشم غرز الابرة في الجلد ثم جعل الكحل تحته ... والوشر تحديد الاسنان والتنمص نتف الشعر من الوجه رحمه الله منه

الحديث في البخاري ومسلم

والمؤمنون وغيرهم كذلك دلالة نقيرا فعيل بمعنى المفعول هو نقرة النواة وقرأ ابن كثير وابو عمرو
يدخلون بضم اليا وهو ابلغ مدحا ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وعبر عنها بالوجه لانه
اشرف الاعضا ومحل التجود الذي هو اقصى الخضوع وهو محسن مخلص في ذلك العمل فسره الحديث
بان تعبد الله كانك تراه واتبع ملة ابرهيم حنيفا مائلا من كل باطل حال من ابرهيم واتخذ الله
ابرهيم خليلا اعتراض للترغيب في اتباعه والخليل من الخلة وهي اقصى غاية المحبة كانها دخلت
في اعماق قلبه وخلاله او من الخلل فان الصديق يقين سد كل منهما خلل الاخر او من الخل بالفتح وهي
الصفة فان الخليلين متوافقا في الخصال او بمعنى الحاجة فان كلا منهما يرغب المخليل في النوايب
او من الخل نفخ الخاء وهو الثواب البالي والجسم النحيف فان الحب اذا استوى نهك الجسم
الى الهوى الشفا يوم النوى بدني وفال ان جسمي بعد حالي لخل وهو الطريق في الرمل لانك
الخليلين على طريقة واحدة وفي الحديث يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وليس
في الكلام دلالة على الخصال الخرقية روى البخاري ان رسول الله قال في اخر خطبة خطبها
لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله ولله ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا يختار منها من يشاء ويجوز ان يتصل بقوله ومن يعمل سوءا ومن يعمل
من الصالحات وقوله ومن احسن دينا الى اخره اعتراض بين كلامين متصلين معنى واتخذ الله
ابرهيم خليلا متعلق بقوله واتبع ملة ابرهيم على انه اعتراض في اخر الكلام وكان بكل
شيء محيطا علما وقدرة يختار من علم انه اهل للاختيار ويستفتونك في النساء
عاد الى ماكان مبنى السورة عليه من احكام النساء بعد ما استطرد من احكام الجهاد واحوال
المنافقين قل الله يفتيكم فيهن في شانهن وما يتلى عليكم في الكتاب عطف
على اسم الله او المستتر لوجود الفصل من قبيل اعجبني زيد وكرمه لان دليل الحكم هو المتلو وهو
قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل ما يتلى مبتدأ وفي
الكتاب خبره على ان المراد بالكتاب اللوح او اقسم بما يتلى في الكتاب واما جعل الواو عاطفة
على المجرور فمختل لفظا لعدم الفاصل ومعنى اذ التقدير يفتيكم في حق ما يتلى عليكم في يتامى
النساء صلة يتلى او بدل من فيهن بدل بعض ولا يجوز غيره ان كان ما يتلى مرفوعا على الابتداء
او مجرورا على القسم اذ لا معنى لتقييد ما في اللوح ولا للقسم بهذا القيد مع ما في الاول من
الفصل بالخبر بين اجزاء الصلة والاضافة بمعنى من اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن
ما فرض لهن من الميراث عبر عنه بالكتاب مبالغة في الوجوب وترغبون ان تنكحوهن
في نكاحهن ان كن جميلات او عن نكاحهن ان كن دميمات لما روى ابن عباس كانوا في
الجاهلية اذا كان عند احد يتيمة القى عليها ثوبه فان كانت جميلة تزوجها واكل مالها وان كانت
دميمة منعها عن الزواج حتى تموت عنده فيرثها والمستضعفين من الولدان كانوا
لا يورثونهم ويقولون انما يرث من يحارب ويحمي الحوزة عطف على يتامى النساء وكذا قوله
وان تقوموا لليتامى بالقسط ان لم يكن بدلا من فيهن والخطاب في شان يتامى
النساء للاولياء خاصة وفي المستضعفين لهم وللورثة بالعين للاوصياء بان يباشروا على
الوجه المشروع وفي ان تقوموا للايمة والقوام وما تفعلوا من خير قليلا كان او كثيرا فان
الله كان به عليما يجازيكم به ترغيب فيما امر وابه وان امرأة خافت من بعلها نشوزا
ترفعا عليها بترك المودة والرحمة وتعليل النفقة من النشز وهو المكان المرتفع او اعراضا
بان يقل مواناستها وحديثها فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا في معنى المصدر
والمعنى لا جناح عليهما في ان تترك له عن بعض حقها او كلها ولا عليه بان يقبحها في بعض بالحب
كما فعلت سودة زوج رسول الله روى ابو داود عن ابن عباس خشيت سودة ان يطلقها رسول
الله فجعلت يومها لعايشة على ان لا يطلقها فامسكها وجعل يومها لعايشة فنزلت وروى البخاري

البخاري عن عايشة الرجل يكون عنده المراة ليس بمستكثر منها فيقول اجعلك من شأني في حل فنزلت
وقرأ الكوفيون يصلحا بضم اليا والقصر وهو المختار والصلح خير من الخصومة في كل شيء او من
الفرقة او النشوز والاعراض او من خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وعلى كل تقدير اعتراض
يؤكد رفع الجناح بانه مندوب فضلا عن الجواز واحضرت الانفس الشح جعل لازما لها غير
مفارق الهاب ونبه الى تكليفها فانها بالطبع تأبى عن الصلح فلتدع الطبع اللئيم الى التحلي بالخلق
الكريم وان تحسنوا ايها الازواج وتتقوا عن المشاق وتركوا النشوز والاعراض رغب الطرفين
في اسباب الالفة دلالة على ان الوفاق عنده احب من الفراق روى ابو داود وابن ماجه عن
ابن عمر ان رسول الله قال ابغض الحلال الى الله الطلاق فان الله كان بما تعملون خبيرا
فيجازيكم عليه ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء عدلا من كل وجه ظاهرا وباطنا
كما روت عايشة ان رسول الله كان يقسم بين نسائه ثم يقول يا رب هذا قسمي فيما املك فلا
تلمني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على العدل ولو كان ممكنا لكان رسول الله اولى به
فلا تميلوا كل الميل فتتركوا المقدور فتذروها كالمعلقة لا ذات زوج ولا مطلقة
وان تصلحوا ما وقع من الخلاف والنشوز وتتقوا في المستقبل عن ارتكاب مثله فان
الله كان غفورا كثير الغفران يتجاوز عما سلف رحيما عسى ان يوفق في المستقبل برحمته
ومن رحمته جعل لكم من انفسكم ازواجا وان يتفرقا ولم يقع الصلح يغن الله كلا
من سعته من فضله الواسع وكان الله واسعا فضله وطيق رزقه بكونه تارة بالزوج واخرى
بدونه حكيما فربما كانت الفرقة احسن عاقبة لهما ولله ما في السموات وما في الارض
برهان على سعة فضله ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم جنس الكتاب
واياكم في القران في مواضع شتى ان اتقوا الله ان مفسرة او بان مصدرية والمعنى
ان الامر بالتقوى شرع قديم لم يخل عنه كتاب ولا امة وان تكفروا فان لله ما في السموا
ت وما في الارض عطف على ان اتقوا اي وصيناكم ومن قبلكم بالتقوى
وقلنا لكم ولهم ان تكفروا ايما وصيناكم وكان الله غنيا عن طاعتكم وعن كل شيء
حميدا في ذاته حمد تم ام لم تحمد واحمد ذاته قيل حمد الحامدين والاكوان كلها حامدة بلسان
الحال حيث بسط على الماهيات بساط الوجود واعطى كل شيء خلقه ولله ما في السموات وما في
الارض كرره تاكيدا لان التقوى والخير اصل كل خير وتمهيدا لما بعده وكفى بالله وكيلا
موكولا اليه ان يشا يذهبكم لانه المالك المتصرف ويات باخرين جنس اخر غير الا
ناسي وما يعلم جنود ربك الا هو او الخطاب لقريش لما روى انه رسول الله وضع يده على ظهر سلمان
وقال هم قوم هذا وكان الله على ذلك قديرا بالغ القدرة من كان يريد ثواب الدنيا فعند
الله ثواب الدنيا والاخرة تعيير لا قدار اي من كان يريد ثواب الدنيا فما باله رضي بالاخس
الاوضع وعند الله الاحسن الارفع وبهذا يرتبط الجزاء بالشرط او عند الله كلاهما يعطي
كلا ما يقتضي الحكمة لقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث
الدنيا نؤته منها وكان الله سميعا بصيرا تربيتها على الارادة للدلالة على ان ما في الضمير
عنده بمثابة المسموع والمبصر يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شديدي القيام
بالعدل جادين فيه شهداء لله حال كونكم يقيمون الشهادة لوجه الله ولو على انفسكم
ولو كان الشهادة على انفسكم والمراد بها الاقرار لانه في الزام الحق كالشهادة او الوالدين
والاقربين فان قلت قدم القسط ههنا واخره في المائدة مع اتحاد الاسلوب قلت مع
التفنن اهتماما بالعدل لان شهادة المرء على نفسه والاقربين مظنة الجور والعدول ان يكن
غنيا او فقيرا فالله اولى بهما ان يكن احد هذين فلا يمنع الشهادة عليه غناه
طلبا لرضاه او فقره شفقة عليه فان الله اولى وارحم بالجنسين وقد حكم باقامة الشهادة عليهما

وضع يده

وليس في المائدة ذكر النفس والاقربين سلمه الله منه

وانما ثنى الضمير لدلالة او على الامرين في الجملة واثره على الافراد مع ظهوره قصدا الى التعميم و
ان لا يتوهم اختصاص الاولوية باحدهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا كراهة العدل
بين الناس او ارادة العدول عن الحق وان تلووا او تعرضوا ان تلووا السنتكم عن
الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا وعيد على اللي والاعراض
وقرا ابن عامر بلو انضم اللام على وزن تعوا من الولاية او الواو والاولى قلبت بهمزة ثم خلفت فوافق
الاولى يا ايها الذين امنوا احدثوا الايمان في الماضي امنوا بالله ورسوله والكتاب
الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل استمروا على ذلك الايمان في
او ازدادوا او امنوا بكل الكتب والرسل ان كان الخطاب لاهل الكتاب الذين قالوا نؤمن
ببعض ونكفر ببعض او باللسان والقلب ان كان لاهل النفاق الذين قالوا امنا ولم تؤمن قلوبهم
وانما نزل من القران لنزوله منجما وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر الفعلين على بناء المفعول
ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اي بشيء من المذكور فان الكفر بواحد
منها كفر بسايره فقد ضل عن طريق الحق ضلالا بعيدا الاسناد مجاز مبالغة في بعد صاحبه
ان الذين امنوا بموسى ثم كفروا بعبادة العجل ثم امنوا بالتوبة ثم كفروا بعيسى
ثم ازدادوا كفرا بمحمد المراد جنس اليهود الذين هذه صفتهم لم يكن الله ليغفر
لهم ولا ليهديهم سبيلا طريقا الى المغفرة لانهم اهل الطبع والختم مستهزؤن بالدين والرسل
واستدل به الامام احمد على ان من تكرر ارتداده لا تقبل توبته وروى عن علي بن ابي طالب
بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما استعارة تهكمية تدل على ان الاية الاولى
في المنافقين الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين رفع او نصب على الذم
ايبتغون عندهم العزة يوالونهم فان العزة لله جميعا فيجعل منها لاوليائه
نصيبا لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم ايها المؤمنون في القران
ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم اي مخففة حذف منها ضمير الشان والانشائية
لا تصلح مفسرة له فالمعنى يحرم عليكم القعود معهم لانه من لوازم النهي والمراد بالمنزل عليهم
اية الانعام واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره
نزلت بمكة حين كان المؤمنون يجالسون المشركين الخائضين في القران فان الخطاب وان كان
لرسول الله فالمراد الاصحاب حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم لان الرضى بالكفر كفر
وقول موسى في فرعون واله اشدد على قلوبهم ليس رضى بالكفر بل دعاء على العدو باقبح الاشياء
مع استقباحه والرضى بالشيء استحسان ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا
دل على ان الخطاب فيما نزل عليكم يعم المخلص وغيرهم وان المجالسين بهم المنافقون وانما لم ينكر
على المؤمنين في اية الانعام لانهم كانوا على حين ضعف الذين يتربصون بكم بدل
من الذين يتخذون منصوب او مرفوع او مجرور صفة للمنافقين فان كان لكم فتح من الله
ظفر بالجهاد وغلبة على عدوكم قالوا الم نكن معكم تشاركونا في الغنيمة كما شاركناكم
في القتال وان كان للكافرين نصيب سمى ظفر المؤمنين فتحا لانهدام ركن الكفر به وحوله
ذلك الاسم بخلاف ظفر المشركين فانه استدراج وحظ قليل الم نستحوذ عليكم نغلبكم
حين كان الظفر للمسلمين وكنا قادرين على قتلكم واسركم وقد ابقينا عليكم حال الفعل على
الاصل وعن ابي زيد قياس مطرد يقال استجاب واستجوب ونمنعكم من المؤمنين بان خذلنا
لهم شوكتكم وتوانينا في المظاهرة فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا في الدنيا بالحجة وفي الاخرة بالتوبيخ او نوجه فيه مدله واستدل به على بينونة
المراة بارتداد الزوج وعدم صحة بيع المسلم للكافر ومن قال بصحته امره بازالة ملكه ان
المنافقين يخادعون جهلا منهم بانه لا يخادع او فعلهم في ابطان الكفر واظهار

واظهار الايمان فعل المخادع او اولياءه والاسناد اليه للتشريف وهو خادعهم غالبهم في الخداع
باجراء احكام المؤمنين عليهم وهم اهل الدرك الاسفل واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
متثاقلين لانهم لا يرجون ثوابها روى البخاري ومسلم اثقل الصلوة على المنافقين صلوة الفجر
وفي الحديث لا يقول احدكم كسلت وليقل تعبت يراءون الناس استيناف لبيان كسلهم
اي يرون الناس انهم مثلهم ويريهم الناس كذلك او المفاعل بمعنى التفعيل كناعم بمعنى نعم
ولا يذكرون الله الا قليلا عند مراءاة الناس او لا يصلون الا قليلا او الذكر ذكر
القلب والقلة بمعنى العدم مذبذبين بين ذلك بين الايمان والكفر من الذب
وهو الدفع او من الذبة وهي الطريق عن ابن عباس اتبعوا به قريش لا الى هؤلاء ولا الى
هؤلاء لا نسبة لهم الى احد الطائفتين روى مسلم عن ابن عمر مثل المنافق كمثل الشاة
العايرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهداية
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صفة
المنافق ولانه لا بون ابعد مما بين الايمان والكفر اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا
مبينا حجة واضحة لانهم اعداء الله ومصادقة عدو الصديق معاداة للصديق قال تود عدوي
ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
لشدة كفرهم بجهنم دركات ولها سبعة ابواب وقرا الكوفيون الدرك بسكون الراء وبفتح اكثر
ولن تجد لهم نصيرا يدفع عنهم العذاب الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا
ما افسدوه واعتصموا بالله بدينه واخلصوا دينهم لله في ذلك الاعتصام
عكس ما كانوا فيه فاولئك مع المؤمنين في زمرتهم وعدادهم وسوف يؤت الله
المؤمنين اجرا عظيما لا يقادر قدره ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم لا حاجة به
الى عذابكم لانه غني مطلق وانما يعذب من لم يشكر نعمته ولم يؤمن به بمقتضى حكمة قدم الشكر
لان افاضة النعم تقتضي شكر موليها عرف على ما هو عليه او لا ثم ذلك الشكر الاجمالي يحركه الى ان
يعرفه على ما هو عليه وهو الايمان ثم يتبع ذلك الشكر المفصل بالجنان واللسان والاركان
او قدم اهتماما وقليل من عبادي الشكور وكان الله شاكرا قابلا للشكر عليما كامل العلم
باخلاص الشاكر ومراتب الشكر لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم
الا جهر المظلوم فانه يجهر لقوله ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل روى ابو
داود عن ابي هريرة ان رسول الله قال المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم و
كان الله سميعا لقول المظلوم عليما بحال الظالم ان تبدوا خيرا تظهروه او تخفوه او تعفوا
عن سوء اصابكم فان الله كان عفوا قديرا كثير التجاوز بليغ القدرة على الانتقام ومع
هذا يعفو ويصفح فتخلقوا انتم باخلاقه ارشاد الى الافضل بعد تجويز الاذى ولذلك جعل ابداء
الخير واخفاءه شرطا تمهيدا واوقع العفو جزاء ان الذين يكفرون بالله ورسله
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله هم اهل الكتاب الذين كفروا ببعض الانبياء
وكفرهم بالله وصفه بالولد او لان الكفر بالرسل كفر به وهذا اوفق لقوله يريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض تشهيا من عند انفسهم ويريدو
ن ان يتخذوا بين ذلك سبيلا بين الايمان والكفر طريقا الى الله
اولئك هم الكافرون الكاملون في الكفر حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي
حق كونهم كاملين في الكفر او كفروا حقا لا شك فيه لان انكار احد من الرسل في حكم انكار
احد من الرسل في حكم انكار الكل لاشتراك العلة وهي المعجزة واعتدنا للكافرين
اي لهم او لكل كافر عذابا مهينا لاهانتهم من يصلح مخاطبا مفردا كان او جمعا بالرسل
المكرمين والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم صح دخول بين على احد لانه اسم

الشاة العائرة التي تردد بين الغنمين لشده
التعزير بالفحل ضرب للمنافق مثل
السوء منه

من يصلح مخاطبا مفردا كان او جمعا اولئك سوف يؤتيهم اجورهم سوف لتاكيد الوعد لا للتاخير
الموعود وذلك ان المضارع يحتمل الحال والاستقبال فاذا دخل عليه سوف اكد ما كان موضوعا له من
الاثبات في المستقبل مثل لن في النفي ولذلك قال سيبويه لن يفعل نفي سوف يفعل وقرا حفص يؤتيهم
بالياء والنون ابلغ وكان الله غفورا كثير الغفران رحيما بالغ الرحمة يسئلك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة كما نزل التورية وعن ابن جريج سالوه ان ينزل عليهم
كتابا من الله الى فلان وفلان يامرهم فيه بتصديقه فقد سالوا موسى اكبر من ذلك
جواب شرط مقدر اي ان سالوك انزال الكتاب فلا تعجب فان اسلافهم سالوا موسى اعظم
مما سالوك هؤلاء فقالوا ارنا الله جهرة عيانا نراه كما يرى بعضنا بعضا نصب على المصدر
او الحال والفاء للتفصيل المجمل فاخذتهم الصاعقة بظلمهم نار محرقة تبغتهم بعد ظهور الحق كما صاروا
قردة وخنازير بعد صيد السبت وليس فيه ما يدل على عدم امكان الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل
الها من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الظاهرات فعفونا عن ذلك بعد توبتهم
وآتينا موسى سلطانا مبينا لم يبق لهم في نبوته شبهة وانما كانوا يرتكبون المنكر لفرط
عنادهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم لسبب نقض ميثاقهم وهو ترك العمل بما في التورية
وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا باب المسجد الاقصى حين فتح يوشع بعد موت
موسى وهو الباب الذي يسمى اليوم باب حطة وقيل قلنا لهم ادخلوا الباب سجدا والطور مشرف
عليهم بيد جبريل وهو سهو لان نتق الجبل فوقهم كان في زمن موسى والطور مشرف عليهم بيد
جبريل وقلنا لهم لا تعدوا في السبت بصيد السمك واخذنا منهم على هذه الاحكام
ميثاقا غليظا موكدا غاية التاكيد فبما نقضهم ميثاقهم الموكد للتاكيد متعلق
بمقدر اي لعناهم كما صرح به في المائدة وعن الزجاج متعلق بحرمنا على معنى السببية ولا تنافي الا اذا
جعل فبظلم من الذين هادوا بدلا عن قوله فبما نقضهم وفيه بعد لطول الفصل وابدال الجار
والمجرور مع الفاء وكفرهم بآيات الله التي جاء بها موسى وقتلهم الانبياء كزكريا ويحيى
وغيرهما بغير حق بغير استحقاق للقتل في اعتقادهم وقولهم قلوبنا غلف
اوعية للعلم فلا حاجة لنا الى علمك او في اكنة مما تدعونا اليه كما قال المشركون لرسول الله
بل طبع الله عليها بكفرهم اي ليس الامر كما زعموا فلا يؤمنون الا قليلا
منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا يعبد به وبكفرهم عطف على فبما نقضهم وقوله
بل طبع الله عليها بكفرهم مستطرد لنفي قولهم قلوبنا غلف والعطف على بكفرهم مرجوح لان احد
الكفرين مستقل بالسببية للطبع كما في ساير الايات وقولهم على مريم بهتانا عظيما
نسبتها الى الفاحشة وصف بالعظم لانهم قالوا ذلك بعد ما راوا منها الكرامات والخوارق
وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم وصفوه بهذه الاوصاف الجميلة تهكما كقول
فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون او وضع الله الذكر الحسن مكان قبائح وصفوه بها رفعا
لقدره وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اشتبه عليهم الفعل مسندا الى الجار والمجرور
ارسل الله الى بني اسرائيل رسولا فادعى الرسالة وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى ودعا
على طايفة من اليهود فمسخوا قردة وخنازير فاجتمعت طايفة منهم على قتله فدخل القيامة
ومعه شمعون فاوحى الله اليه اني رافعك الي ومطهرك من اليهود الانجاس فقال شمعون
ان يلقى عليه شبهه ليقتل على يد اليهود لامر اراده الله من اضلال اليهود والنصارى فدخلوا
وعيسى قد رفع وشمعون جالس في صورة عيسى فقتلوه ثم قالوا ان صاحبه وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى والبدن ليس بدنه فذلك قوله شبه لهم وقيل دخل احد اليهود القيامة
وعيسى قد رفع فرجع اليهم وقد القى الله عليه شبه عيسى فقتلوه ثم دخلوا فلم يجدوا في
القيامة احدا فقالوا ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى

عيسى وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى لفي شك منه مستغرقون في الشك
لا يخرجون منه اذ ليس له بيان في سوى القرآن وهم لا يؤمنون به ما لهم به من علم الا اتباع
الظن استثناء منقطع لان الظن ليس من العلم في شيء او العلم مطلق الاعتقاد فانه استعمال
مشهور ومعنى اتباع الظن بعد الحكم بالاستغراق في الشك ان قصارى امرهم ان يلوح لهم تارة
امارة ثم تضمحل ثم يغطسون في بحر الشك وهذا اشد في الجرح من استمرار الشك خالصا وما قتلوه
يقينا اي عدم قتل متيقن قيد للنفي دل عليه قوله بل رفعه الله اليه ويجوز ان
يكون حالا من الفاعل اي متيقنين قتل بل اشتبه عليهم والوجه هو الاول لان هذا قد علم بما تقدم
وكان الله عزيزا غالبا اذا اراد شيئا كان حكيما في كل ما دبر وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن
به قبل موته اللام جواب قسم محذوف والاستثناء من اعم الاوصاف والموصوف مبتدأ
مقدم او فاعل الظرف اي وان احد من اهل الكتاب او وان من اهل الكتاب احد الا يؤمن
بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولو عند زهوق روحه عند انكشاف الغطا حين لا يقبل
الايمان عن ابن عباس وهو الظاهر من اطلاق اهل الكتاب وقيل الضميران لعيسى بناء على ما رواه
البخاري مرفوعا يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرفع الجزية
ولا يقبل الا الاسلام فاليهود والنصارى يدركونه يؤمنون كلهم وهذا مناسب للسياق اذ بعد نزوله
يرتفع الشبهة ويكذب الطايفتين ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا بكفرهم او بايمانهم فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم اي ما حرمنا عليهم الطيبات التي كانت حلالا لهم الا لظلم
عظيم وهو الكباير التي عددها وتلك الطيبات هي التي ذكرها في الانعام وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذي ظفر الى آخر الاية فان قلت تحريمها من احكام التورية قبل الظلم والكفر
بعيسى ومحمد والصد عن سبيل الله قلت ابتداء التحريم كان لظلم منهم لقوله كل الطعام كان
حلا لبني اسرائيل واستمراره من الظلم الحادث الا ترى الى قوله يحل لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم في نعت رسول الله وقيل فبظلم اشارة الى قوله في
الانعام ذلك جزيناهم ببغيهم على انه متعلق بحرمنا وحده وقوله وبصدهم عن سبيل الله
كثيرا وما عطف عليه متعلق بمحذوف واخذهم الربوا وقد نهوا عنه لان الربوا حرام في
ساير الشرايع وفيه دلالة على ان النهي يفيد التحريم عند عدم الصارف وخص الاخذ وان كان
المعطي ايضا اثما لكونه اعظم جرما واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة على
الاحكام وتحريف ما انزل الله واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما عطف على حرمنا
لكن الراسخون في العلم منهم الثابتون فيه المتقنون كعبد الله بن سلام والمؤمنون
منهم او مطلقا يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر الراسخون والمقيمين
الصلوة نصب على المدح لبيان فضلها او مجرور عطف على ما انزل اي يؤمنون بالمقيمين
الصلوة وهم الانبياء لان الصلوة شريعة ساير الانبياء والمؤتون الزكوة عطف
على الراسخون او الضمير في يؤمنون لوجود الفصل وكذا والمؤمنون بالله واليوم
الآخر اي بالمبدأ والمعاد ان جعلا اولئك مبتدا خبره سنؤتيهم اجرا عظيما
لا يقادر قدره بجزائهم العقايد الخالصة والاعمال الصالحة وقرا حمزة سيؤتيهم
بالنون وهو ابلغ في الوعد انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده
متصل بقوله يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء وما في البين استطراد
لبعض قبائحهم دلالة على ان ذلك السؤال ليس باول منكراتهم وابتداء بنوح لانه اول
رسول عذب قومه ولانه ابو البشر ثانيا لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين ولان
معجزته كانت في نفسه عاش الفا ولم يشب ولم يسقط منه سن واوحينا الى ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا

وآتينا داود زبورا عدّ المشاهير منهم اثني عشر وذكر زبور داود دون صحف الانبيا
دلالة على ان فضله لا بالملك وقرا حمزة زبورا بضم الزاي جمع زبور بمعنى مزبور ورسلا قد قصصنا
هم عليك من قبل قبل هذه السورة في الانعام والصافات والانبيا وانتصاب رسلا اما
بنزع الخافض او بفعل دل عليه اوحينا اي ارسلنا ورسلا لم نقصصهم عليك في الكتاب روى
عن ابي ذر مرفوعا ان جملتهم مائة واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر عدد اهل بدر وليس
الاية ما ينافيه وكلم الله موسى تكليما من غير واسطة بدا نهاية مراتب الوحي اكده بالمصدر
دفعا للتجوز وانما اشار الى اجل احواله تكذيبا لليهود من دعوى بقاء شريعته ولذلك وصف رسول
خاتم النبيين رسلا مبشرين ومنذرين نصب على البدل او التاكيد او المدح وهو اوجه
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا كيف ومع
كثرة الرسل يقولون يوم القيمة ما جاءنا من بشير ولا نذير واستدل به الاشعري على ان لا تكليف
قبل البعثة وكان الله عزيزا غالبا على امره يفعل ما يريد حكيما في ارسال الرسل لعدم اهتدا
العقل الى احوال المعاد لكن الله يشهد بما انزل اليك استدراك من مفهوم الكلام السابق
لان سوالهم ان ينزل عليهم كتابا من السما تكذيب لما جاء به والمعنى يشهد لك بانه كلامه
بان جعل معجزا خارقا فالباله او يشهد لك بان المنزل عليك كلامه فالباصلة انزله بعلمه
استيناف بيّن ويوكد شهادته والمعنى انزله متلبسا بعلمه الخاص به بان الفه معجزا كما اذا رايت
فعلا متقنا تقول فعله بعلم او حال من الفاعل اي انزله اليك وهو عالم بانك اهل لذلك
الله اعلم حيث يجعل رسالته فالجملة موكدة للصلة او انزله متلبسا بعلمه بمصالح العباد مشتملا
على بيانها وانزله متلبسا بعلمه بمصالح العباد محفوظا من الشياطين انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون والملائكة يشهدون بما شهد الله عليه او ذلك ما اخرجه الدارمي مرفوعا
ان الله تعالى قرا طه ويس قبل خلق السموات والارض بالف عام فلما سمعت الملائكة
القران قالوا طوبى لامة ينزل عليها هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تتكلم بهذا و
ليس فيه ما ينافيه على ان اليهود كانوا يودون ان يعلموا نبوته من غير نظر كما علمت الملائكة
وانهم لو اتوا بالنظر الصحيح لعلموا نبوته واي حاجة الى النظر وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به وكفى بالله شهيدا على نبوتك بما ايدك به من المعجزات الباهرة ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله هم اليهود الذين اضلوا المسترشدين بان حرفوا
نعت رسول الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لان المضل غارق في الضلال بعيدا قلاعه
ان الذين كفروا وظلموا بترك الواجبات او بمحمد بتحريف نعته او تعالوا وافرطوا في
الكفر لم يكن الله ليغفر لهم ان ماتوا على ذلك ولا ليهديهم طريقا يوم القيمة
الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا حكم بذلك في الازل وفي ذكر الهداية تهكم وكان
ذلك على الله يسيرا لا يتوقف الا على تعلق الارادة في الحديث القدسي خلقت هؤلاء
للنار ولا ابالي يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم خاطب كافة الناس بعد
ازاحة الشبه والجار والمجرور في الموضعين حال الاول من الفاعل والثاني من المفعول
فآمنوا خيرا لكم انتصابه بمضمر اي اقصدوا خيرا او صفة مصدر اي ايمانا خيرا لكم او خبر
يكن عند الكوفية وان تكفروا بعد ظهور الحق بالدلايل وهذا النصح فان لله ما في السموات
وما في الارض من الاجرام المحيطة والاجزاء الداخلة فهو غني عنكم وانما ارشدكم
رافة بكم وكان الله عليما كامل العلم باحوال الخلق حكيما في كل ما يريد يا اهل الكتاب لا
تغلوا في دينكم لما ازاح الشبه عن حال محمد اراد ازاحتها عن عيسى وخص اهل الكتاب لان
اليهود والنصارى بين افراط وتفريط ولا تقولوا على الله الا الحق الذي هو ثابت
في الواقع انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم فليس هو من غير

والمونى

رد على القاضي

لان النصر للعجز اضمار كان منه

من غير رشدة كما يقول اليهود ولا ابن الله كما يقول النصارى او مع عيسى عطف بيان لانه اشهر وتسميته
بالكلمة تسمية الشي باسم سببه وروح منه كائن من جهته كسائر الارواح المخلوقة سوى انه بغير اب وقيل سمي
روحا لانه كان يحيي الموتى او النفوس الميتة بداء الجهل بالحكم والمعارف او ذو روح وجسم كسائر الاجسام
اي له مقام الالوهية او التولد ممن لا يجانسه شي فآمنوا بالله ورسله وعيسى من جملتهم ولا تقو
لوا ثلثة اي الالهة قول الملكائية والنسطورية قالوا هو ابن الله واليعاقبة قالوا هو الله وضلالتهم
ظاهرة فلا حاجة الى ايراد خرافاتهم التي لا تعقل انتهوا خيرا لكم انتهوا عن التثليث وفي اعراب
خيرا ما تقدم انما الله اله واحد لا شريك له في ايثاره تمادلالة على ظهور الحكم باد في تامل
سبحانه ان يكون له ولد انزهه عن هذه النقص لان الولد يشارك الوالد ولو من وجه وليس
كمثله شي له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فلا يجانسه شي وهو غني عن ولد
يكون له ظهيرا وكفى بالله وكيلا حافظا يوكل اليه الامور تقرير لغناه لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله استفعال من النكف يقال نكف دمعه اذا نحاه لان المترفع
عن الشي ينحي عنه نفسه ومن النكاف داء ياخذ في حلق البعير ولا الملائكة المقربون الكروبيون
كجبريل وميكائيل ومن يقاربهم رتبة نزلت في وفد نجران لما قالوا لرسول الله لم تعيب صاحبنا قال
بماذا عبته قالوا تقول فيه انه عبد الله قال ان صاحبكم يابى بذلك تمسك به من فضل الملائكة على الانبيا
لان هذا اسلوب الترقي تقول هذا امر لا يانف عنه امير ولا وزير ولا سلطان وهذا مستقيم
لو سيق الكلام لبيان الافضل بين الفريقين وليس كذلك بل انما سيق لدفع شبه النصاري
وبيانه موجود من غير اب مع كمال العلم والقدرة على احيا الموتى وابراء الاكمه والابرص ولا شك
ان الملائكة في باب التجرد والاطلاع على المغيبات والقدرة على الاعمال الشاقة لا سيما المقربين منهم
اعلى شانا من عيسى وناهيك ما جرى على المؤتفكات بريشة من جبرئيل والقول بانه رد على
النصارى وعبدة الملائكة من مشركي العرب مع كون السياق يابى لا يدفع شبهة الترقي وكذا القول
بان غاية كون المقربين افضل من عيسى ولا يلزم منه افضلية الجنس على ما هو المتنازع فيه
سطح خواص البشر افضل من خواص الملك مع انه انما يصلح ردا على النصارى لو كان
عندهم مسلما كون الملائكة افضل منه وجهان ومن يستنكف عن عبادته الاستنكاف لخفي
من الاستكبار لانه تكبر مع الاعراض ولذلك عطف عليه ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا
للمجازاة فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم اجرا اعمالهم سماها اجورا
تنبيها على استحقاقهم ودلالة على لزوم ثبوتها ويزيدهم من فضله زيادة على ثوابها
واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم
من دون الله وليا ولا نصيرا اقتصر في المجمل على ذكر احد الفريقين وهو المستنكف وفي المفصل
ذكر الفريقين اما لان احدهما يدل على الاخر فطوى ذكره او لان القصد بيان عذاب
المستنكف من وجهين التعذيب بنار الجحيم وبنار الحسرة عند الاطلاع على جزاء ضده بل
هذه النار اقوى واشد عند اهل العرفان هذا والتصدير باما يويد الوجه الاول يا ايها
الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا البرهان الحجة القاطعة والمراد به رسول
الله او شرعه لقوله الصدق برهان وانزلنا اليكم نورا مبينا هو القران لظهور اعجازه وهدايته
الى كل خير فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه في الجنة من اطلاق الحال على
المحل وفضل من عطف الشي على نفسه باعتبار الصفة او زائد على قدر الثواب ويهديهم
اليه صراطا مستقيما لا اعوجاج فيه اخره اهتماما بالمقصود يستفتونك قل الله
يفتيكم في الكلالة روى مسلم والبخاري ان جابر بن عبد الله في حجة الوداع كان
مريضا فدخل عليه رسول الله وهو لا يعقل فتوضا وصب عليه من وضوئه فافاق فقال يا رسول الله
لا يرثني الا الكلالة فكيف الميراث فنزلت وهي اخر اية نزلت كما ان براءة اخر سورة نزلت

رد على القاضي

من جناح [illegible]

وقد تقدم تفسير الكلالة اول السورة إن امرؤ هلك ارتفع امرؤ بفعل يفسره
الظاهر ليس له ولد صفة لا حال لان امرؤ نكرة ولان المعنى ليس على التقييد وله
اخت فلها نصف ما ترك فان قلت لها النصف اجماعا ان ترك بنتا والثلث ان ترك بنتين
او اكثر فكان المراد من الولد الابن فانها تسقط به قلت الكلام في الفرض المقدر وهي مع البنات
عصبة فلا اشكال والاستدلال على عموم بان الكلام في الكلالة وهو من لا يكون له ولد رد على التفتازاني
ولا والد ليس بناهض لان الكلالة اسم مشترك بين الوارث الذي ليس باصل ولا فرع والموروث
كذلك والكلالة في الاول صرح به في حديث جابر وهو لا ينافي وجود البنات فضلا عن بنت
والمراد الاخت من الابوين او من الاب لان التي من الام لها السدس لا غير وهو يرثها إن لم
يكن لها ولد اي المرء يرث الاخت جميع ما تركت ان لم يكن لها ولد اصلا اذ مع الذكر
ساقط ومع الانثى له ما بقي بعد الفرض وإن كانتا اثنتين اي ان كان الوارث من
الاخوات ثنتين او اكثر كما تقدم ... فوق اثنتين والتأنيث باعتبار الخبر فلهما في قول
الثلثان مما ترك وإن كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين
الله لكم أن تضلوا كراهة ان تضلوا في طريق الحكم او لئلا تضلوا وما قيل يبين ضلالكم لو
ضللتم لانه من شانكم نفيه ان الذي بينه من اول السورة الى الخاتمة احكام اصولا وفروعا فلا ضرورة
الى هذا المعنى العلق والله بكل شيء عليم كامل العلم فالذي قرر من الاحكام ناش عن حكمة وان
دق على بعض الافهام تمت ولله الحمد سورة المائدة مدنية وهي مائة وعشرون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود
وفى واوفى بالعهد قام بموجبه والثاني ابلغ والعقد العهد الموثق مستعار من ربط الحبل ولما كانت
السورة مشتملة على امهات الاحكام اصولا وفروعا اجملها اولا براعة للاستهلال ثم بينها مفصلا
بعد الاجمال احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع من حيوان البر والبحر من الابهام وهي
الكارة ومنه امر مبهم والانعام الازواج الثمانية من الابل والبقر والغنم والاضافة بيانية
وقيل بهيمة الانعام الظبا وبقر الوحش لانها توالي الانعام فالاضافة بمعنى اللام لملابسة
الشبه او يجعل من الاول مبالغة في التشبيه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم
او الا ما يتلى عليكم اية تحريمه لان المتلو لفظ لا يستثنى من البهيمة غير محلي الصيد حال من
ضمير لكم وانتم حرم وانتم محرمون حال من فاعل محلي فان قلت هذا ظاهر ان حمل بهيمة
الانعام على الظبا وبقر الوحش اما اذا اريد بها الازواج الثمانية فلا لان احلالها لا يختص
بحال امتناع المحرم عن الصيد قلت ذكرها امتنانا بعدم التحريج وان لا يتوهم انها كالصيد
وعن الاخفش حال من فاعل اوفوا ولا غبار عليه وان بعد لفظا ان الله يحكم ما يريد
لا بأس لعتابه بفعل يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله جمع شعيرة اسم ما جعل شعارا علما
على معالم الحج واعماله لانها امور مدركة بالمشاعر والاضافة للتشريف ولا الشهر الحرام
بو الاربعة ولا الهدي ما يهدى للكعبة ولا القلائد ما قلد من الهدي بقلادة اشعارا بانها
هدي فلا يتعرض لها من قبيل عطف جبريل على الملائكة او لا تحلوا نفس القلائد فضلا عن
البدن المقلدة ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا المعروف من ربهم ورضوانا مؤمنا
كان او كافرا نزلت في حطم بن هند البكري من اليمامة اغار على سرح المدينة ثم في العام عمرة القضاء
احرم معتمرا والاخبار عن الكافر بابتغاء الرضوان باعتبار ظنه دلالة على المبالغة في الكف عن المسلم
الآم لان توهم ابتغاء الرضوان يوجب الكف فضلا عن تحققه عن ابن عباس والشعبي انها
نسخت بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والحق انه تخصيص لعموم الحكم في المسلم الا انه
بشرط مقارنة المخصص والجار حال من ضمير آمين لا وصف لانه عامل فلا يوصف وقرأ ابو بكر
رضوان الاول دون الثاني بضم الراء وبهما لغتان واذا حللتم فاصطادوا واوفي امر ابلحه

امر اباحة لان الحرمة كانت لعارض فلا يلزم منه ان يكون كل امر بعد الحظر للاباحة ولا يجرمنكم
شنآن قوم وقرأ ابو بكر وابن عامر بسكون النون كلاهما مصدر شناه بالغ في بغضه والفتح
اكثر وجرم بمعنى كسب معدى الى المفعولين ان صدوكم عن المسجد الحرام مفعول له بتقدير
اللام وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة شرطا دال على جوابه ما تقدمه والفتح هو المختار لتحقق معللا لان
الصد عام الحديبية سنة ست والاية نزلت سنة ثمان ووجه الكسر التوبيخ على ان ذلك الصد مما ينبغي
ان لا يكون الا على وجه الفرض او بتقدير ان كانوا اذ لا صد بعد الفتح ان تعتدوا بتجاوزوا حكم الله
ثاني مفعولي يجرمنكم وتعاونوا على البر والتقوى على فعل الخيرات والاتقاء عن المحارم
ولا تعاونوا على الاثم على ترك ما امر الله والعدوان والتجاوز عما حد الله روى البخاري
عن انس ان رسول الله قال انصر اخاك ظالما او مظلوما قيل هذا نصرته مظلوما فكيف نصرته ظالما
فقال تمنعه من الظلم واتقوا الله في جميع اموركم ان الله شديد العقاب حقيق بان
يتقى حرمت عليكم الميتة هي التي ماتت حتف انفها والدم المسفوح كانوا يفصدون البعير و
ياكلون دمه ولحم الخنزير وساير اجزائه افرد اللحم لانه المتعارف اكله وما اهل لغير الله
ما ذبح باسم الاصنام الاهلال رفع الصوت والمنخنقة التي ماتت خنقا خنقت او انخنقت والمو
قوذة التي ضربت بالخشب فماتت والمتردية الساقط من مكان عال والنطيحة التي نطحها اخرى
والتاء لعدم ذكر الموصوف وما اكل السبع ونابه الا ما ذكيتم ادركتم ذكاته وذلك
بقطع الحلقوم والمري مع تحرك الدم من الاوداج بكل محدد لا يكون عظما ولا ظفرا وما
ذبح على النصب واحد الانصاب قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تاتينه وقيل جمع واحده
نصاب ككتب وكتاب او نصب كسقف وسقف كانوا ينصبون الحجارة حول البيت ويذبحون
عليها تقربا اليها وان تستقسموا بالازلام وقف جمع زلم كقفل او زلم كفرس ثلاثة اقداح مكتوب
على احدها افعل وعلى الاخرى لا تفعل والثالثة غفل كانوا يجعلونها في وعاء فاذا عرض لهم
مهم اخرجوا واحدة منها ... افعل مضوا فيه وان خرج لا تفعل انتهوا وان خرج الغفل فان خرج
اجالوا ثانيا ومعنى الاستقسام بها طلب اظهار القسم ذلكم المذكور من المحرمات فسق خروج عن
طاعة الله وشرعه لانه توسل الى استعلام الغيب من غير الله كاستعلام الخير والشر من الكهنة و
اهل التنجيم وقيل هو طلب قسمة الجزور بها وكونه فسقا لانه ميسر وليست القرعة التي قال
بها الشافعي منه لما روى البخاري ان رسول الله كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه وهو
حق شرعي فقياس عليه اليوم يئس الذين كفروا من دينكم من ابطال دينكم بان يرجعوا
الى دينهم علما بين هذه الخبائث فلا تخشوهم بعد اظهار الله دينه واخشون اخلصوا لي
الخشية اليوم اكملت لكم دينكم بدل من اليوم والمراد به الزمان الحاضر لا اليوم المتعارف
كقولك اصبح فلان غنيا وكان بالامس فقيرا والمتعارف لما روى البخاري عن طارق
بن شهاب ان يهوديا قال لعمر آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت اتخذنا ذلك اليوم عيدا
قال عمر لقد علمنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه نزلت ورسول الله واقف على ناقته بعرفة
ومعنى الاكمال ان الحج اخر اركان الاسلام الخمسة اتفاقا روى ابن جرير لما نزلت بكى عمر فقال
رسول الله لم تبكي قال لانا كنا في زيادة ولا زيادة بعد الكمال فقال صدقت يا عمر وعاش
بعدها احدا وثمانين يوما واتممت عليكم نعمتي باكمال دينكم وفتح مكة واخراج
المشركين من الحرم وتطهير البيت من الاصنام والازلام ورضيت لكم الاسلام دينا
اخترته لكم من بين الاديان فمن اضطر متصل بالمحرمات وقوله ذلكم فسق وما بعده
اعتراض يؤكد معنى التحريم في مخمصة بان لا يجد شيئا غيرها مصدر كالمغبة من الخمص وهو الجوع
غير متجانف لاثم منحرف قاصد له بان ياكل فوق سد الرمق او يدخر منه واستدل به
الشافعي على ان العاصي بسفره لا يترخص وحد الاضطرار ان يخاف الهلاك على نفسه او ما يقرب

منه فان الله غفور لما ساوله ضرورة رحيم بالرخيص فيه يسئلونك ماذا احل لهم
لماتلي عليهم المحرمات سأله عدي بن حاتم وزيد بن المهلل عما احل لهم قل احل لكم الطيبات
ما احل الكتاب والسنة والقياس واستطابه العرب وما علمتم من الجوارح وصيد ما علمتم اى
مصيده لانه عطف على الطيبات ويجوز ان يكون ما شرطية مبتداء والجملة عطفا على جملة
احل ولا حاجة الى تقدير المضاف والجوارح السباع والطيور من الجرح وهو الكسب يعلم ما جرحتم
بالنهار ويحل مخنوقه ومجروحه مكلبين حال موكدة معلمين الكلاب لان اكثر الصيد بها
او لان الكلب يطلق على ساير السباع اشتقاق من كلب اشتد يقال كلب عليه الدهر وفي
الحديث اللهم سلط عليه كلبا من كلابك تعلمونهن مما علمكم الله الهمكم من كيفية التعليم
ولطايف الحيل او ما هو شرطا في حل صيده من الاسترسال بارساله والانزجار بزجره وعدم
الاكل منه وهذا اوجه لافادته ان شرط المكلب اذ ... فعتهما في باب الصيد فكلوا
مما امسكن عليكم مقصورا عليكم من غير تصرف فيه بذلك يتم تعليمه وهذا عام عند الشافعي
في جوارح الطيور وخصه ابو حنيفة بالسباع لتعذر تعليم الطيور الى هذا الحد واذكروا
اسم الله عليه على ما علمتم عند ارساله او على ما امسكن ان ادركتم وبه حيوة واتقوا الله بالمحافظة
على حدوده ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان فيجزيكم على اعمالكم اليوم
احل لكم الطيبات بدل من قوله اليوم اكملت لكم دينكم والسوال والجواب في البين اعتراض
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اخذ بعمومه ابو حنيفة وخصه الشافعي بغير متنصرة العرب
كتغلب وتنوخ وبهرام وجذام ولخم وعاملة لما روى ابن جرير عن علي لا تاكلوا ذبايحهم لانهم
لم يتمسكوا من النصرانية الا بشرب الخمر وطعامكم حل لهم فلا جناح عليكم ان تطعموهم او
حل لهم في اعتقادهم والمحصنات من المومنات الحراير اليه ذهب الشافعي فلم يجوز نكاح
الامة لواجد طول الحرة او العفايف وهذا اوجه لقوله محصنات غير مسافحات والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم الحراير او العفايف كما في المسلمات ولذلك لم يجوز
الشافعي نكاح الامة الكتابية والحرة ان كانت اسرائيلية فذلك والا فلا يجوز نكاحها الا بعد
العلم بدخول ابايها في ذلك الدين قبل النسخ اذا اتيتموهن اجورهن مهورهن المراد
التزام المهر كما في المسلمات وايثار الايتا مبالغة محصنين اعفاء دفع لتوهم حمل الاجر على
معناه واستدل بظاهره الامام احمد فلم يجوز عقد الفاجر على العفيفة غير مسافحين
حال موكدة ولا متخذي اخدان جمع خدن وهو الصديق يطلق على الذكر والانثى
والمراد الاخدان ما يفعل الفسق والتعلق بمعينه وقيل السفاح الزنى جهرا وهذا سرا ومن
يكفر بالايمان شرايع فقد حبط عمله ان مات عليه لقوله فيمت وهو كافر في البقرة وهو
في الاخرة من الخاسرين من عداديهم ولم يحرجه العمل السابق يا ايها الذين امنوا اذا قمتم
الى الصلوة اي اردتم القيام من اقامة المسبب مقام السبب او احد لازمي الشيء مقام الاخر
اي اذا قصدتم التوجه الى الصلوة وذلك لانه لو اريد به مباشرة الصلوة عقيب القيام يلزم
ان يكون الوضوء في الصلوة او بعدها ولو اريد القيام اليها يلزم ان يكون الوضوء بعد
القيام متصلا بالصلوة والخطاب للمحدثين بقرينة الحال ولكونه صرح به في البدل واما حمل
الخطاب على غير المحدثين والامر للندب والحمل على المحدث بالحديث فمع كونه مخالفا لاتفاق
العلماء تخصيص لا دليل عليه وكذا القول بانه كان فرضا لكل صلوة ثم نسخ اذ ناسخ الكتاب لا
يكون الا متواترا واني وذلك هذا وقد روى مسلم عن ابي بريدة ان رسول الله كان كان
يتوضا لكل صلوة فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات بوضوء فقال له عمر صنعت شيا لم يكن تصنع
قال عمدا فعلته يا عمر وسورة المايدة نزلت بعد الفتح ومن جعل الامر مشتركا او للقدر
المشترك وهو الطلب الراجح او جوز الجمع بين المعنيين فالامر عنده ظاهر فاغسلوا

قد رصاحب الكشاف

وفي الاول الحال الثاني نفس بدل من قوله

ان يكون

رد على الكشاف

المجاز المتيقن

فاغسلوا وجوهكم الغسل اسالة الماء والوجه ما بين منبت الشعر الى اخر الذقن طولا وما
بين الاذنين عرضا وايديكم الى المرافق جمع مرفق بالكسر والفتح متصل الذراع والعضد
الجمهور على وجوب غسله لان الى للغاية من غير دلالة على الدخول والخروج فاخذ بالاحتياط وقد
روى جابر ان رسول الله كان اذا توضا ادار الماء على مرفقه وقيل اذا تناولها صدر الكلام دخلت
كما في الاية والا فهي لمد الحكم كاتموا الصيام ولا يطرد لورود قرات القران الى سورة كذا واسرى
بعبده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى طردا وعكسا وامسحوا برؤسكم المسح متعد ضمن
معنى الالصاق فعدى بالباء فيصدق بادنى شيء ولو بعض شعره كما ذهب اليه الشافعي والايراد
بان ذلك القدر حاصل في غسل الوجه غير موجه لوجوب الترتيب عنده وذهب مالك واحمد
الى وجوب الاستيعاب لما روى مسلم والبخاري عن عبد الله بن زيد انه وصف وضوء رسول
الله فمسح راسه بيديه واقبل بهما وادبر وابو حنيفة الى ربع الراس بحديث المغيرة ان رسول الله
على الناصية والظاهر ما ذهب اليه الشافعي لان حكاية الفعل لا تعم وارجلكم الى الكعبين
قراءه ابن كثير وابو عمرو وابو بكر وحمزة بالجر للجوار كحور عين او بتقدير وامسحوا بارجلكم مرادا به
الغسل اشارة الى الاقتصاد لان اخر الوضوء محل الاسراف مع عدم الالباس لضرب الغاية فان قلت
قراءة النصب بالعطف على محل المجرور لا على المغسول لوجود الفاصل قلت لو سلم تساوي الاحتمالين
فالترجيح بما روى البخاري عن ابن عمر اشرف علينا رسول الله ونحن نمسح على ارجلنا فنادى ما على
صوته ويل للاعقاب من النار وبانه اقرب الى الاحتياط لان الغسل مسح دون العكس وعن الشافعي
اراد بالنصب قوما وبالجر اخرين يريد المسح على الخف وان كنتم جنبا فاطهروا بالغ في الطهارة
بغسل البدن كل اصل تطهروا واذغمت التاء فاجتلبت الهمزة وان كنتم مرضى او على سفر
مرضا يمنع استعمال الماء او جاء احد منكم من الغايط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء في هذه الاحوال
اما حقيقة او تقديرا بان يحتاج اليه العطش محترم فتيمموا صعيدا طيبا ترابا طاهرا فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه من ذلك التراب ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ادنى حرج
او من زايدة والاول اوجه لغاية بعد التراب من الماء ولكن يريد ليطهركم في الاحوال كلها
ولذلك جعل التيمم بدل الوضوء اذ قلما يفقد التراب وهو ظاهر فيما ذهب اليه ابو حنيفة من
كون التيمم رافعا للحدث وحمله الشافعي على الطهر من الذنوب لقوله في النساء ولا جنبا الا عا
برى سبيل حتى تغتسلوا حيث جعل الغسل نهاية الجنابة وليتم نعمته عليكم باضافة
المعارف والتوسعة في اسباب الطاعات لعلكم تشكرون ليكونوا في صورة
من يرجى منه الشكر وفيه اشارة الى كون الانسان كفودا واذكروا نعمة الله عليكم
نعمة الاسلام او كل نعمة وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا كان اذا اسلم احد
في زمن رسول الله بايعه على السمع والطاعة في المنشط والمكره وقيل المراد به بيعة الانصار ليلة
العقبة سنة احدى عشرة من النبوة كانوا اثني عشر رجلا وفي سنة ثلث عشرة بايعه ايضا وكانوا
سبعين وبايعه الانصار والمهاجرون تحت الشجرة وهم الف وخمسمائة او اربعمائة واتقوا الله
في نقض الميثاق او في السمع والطاعة ظاهرا وباطنا ان الله عليم بذات الصدور من الضماير
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط بالعدل ولا يجرمنكم يحملنكم
شنان قوم شدة بغضهم على ان لا تعدلوا معهم اعدلوا هو اقرب للتقوى صرح بما علم
ضمنا مبالغة في شان العدل واذا كان هذا في شان الكفار الاعداء فما ظنك بالمومنين والضمير للمصدر
المدلول عليه واتقوا الله في المحافظة على الحدود ان الله خبير بما تعملون حث على الاخلاص
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم اورد الجملة اسمية على طريق
الاستيناف جوابا بالسوال بخلاف سورة الفتح مبالغة في تحققه بالاجمال والتفصيل فان قلت
لم روعي ولم يراع هناك قلت لان هذا متاخر نزولا فيفيد زيادة ولذكره بعد الشهادة والامر

للعلم بانه دخل المجاز

بالعدل والتقوى والقيام بهما من اشق الاعمال وذكره هنا كـ بعد الاوصاف الكمالية للصحابة
وقيل الجملة مفعول للقول المقدر او الوعد لان فيه معنى القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا
اولئك اصحاب الجحيم ذكرهم للتقابل ترهيبا بعد الترغيب يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم روى مسلم والبخارى عن جابر ان رسول الله
غزا غزوة ذات الرقاع سنة خمس من الهجرة فنزلنا واديا فتفرقنا نستظل بالشجرة وتركنا شجرة ظليلة
لرسول الله فعلق سيفه ونام في ظلها فاستيقظ وسيفه في يد اعرابى مشرك صلتا فقال من يمنعك
منى قال الله ثم شام الاعرابى السيف فتناوله رسول الله منه وقال من يمنعك منى ثم اجتمع اليه
اصحابه فنزلت وعن ابن اسحق ومجاهد ذهب رسول الله الى يهود بنى النضير يستقرض منهم دية مسلمين
قتلهما عمرو بن امية خطأ فقالوا نكرمك يا ابا القسم واقعدوه في صفة وامروا واحدا منهم ان يعلو السطح
ويلقى عليه رحى فاخبره جبريل فقام وانصرف سالما فنزلت واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
لتقدمه بالامر واعاد المظهر لدلالته على النعوت الموجبة للتوكل ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا
منهم اثنى عشر نقيبا ردف الامر بحفظ الميثاق اخذه الميثاق على بنى اسرائيل ونقضهم ذلك الميثاق وما
حل بهم بعده من النكال تحذيرا ولطفا بالسامعين عن ابن عباس لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد
هلاك فرعون امرهم الله على لسان موسى بالمسير الى اريحا ارض الشام وقال كتبتها لكم دار قرار
وكان يسكنها العمالقة وكانت بنو اسرائيل اثنى عشر سبطا فجعل على كل سبط نقيبا ينقب عن شانهم و
يعرف احوالهم وقال الله انى معكم بالنصر والاعانة لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة
اكتفى بهما لانهما اما العبادات وامنتم برسلى استمررتم على الايمان بهم وعزرتموهم
نصرتموهم من العزر وهو المنع ومنه التعزير قال القطامى تعضى والمرء ينفعه العزر وهو واقرضتم
الله قرضا حسنا يشمل انواع البر لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب القسم ساد
مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم
بعد اخذ الميثاق والموكد فقد ضل سواء السبيل اخطأ الطريق المستقيم من
اضافة الصفة الى الموصوف فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم عن رحمتنا الباء مزيدة
توكيدا وجعلنا قلوبهم قاسية من القسوة وهى اليبس والصلابة مجاز عن عدم تأثرها بالايات
والنذر وقرأ حمزة والكسائى قسية وهو ابلغ يحرفون الكلم عن مواضعه بيان
لقسوة قلوبهم اذ لا قسوة اشد من تحريف كلام الله والافتراء عليه ونسوا حظا مما ذكروا
به نصيبا وافيا من العلم لشؤم معاصيهم عن ابن مسعود ان المرء ينسى بعض العلوم
بالمعصية وتلا الاية من للتبعيض او النسيان مجاز عن الترك ومن للابتداء وما ذكروا به فى
التورية وجوب اتباع محمد ولا تزال تطلع على خائنة يريد ان الاخلاف على طريق
الاسلاف واريهم خيانة الرسل والخائنة مصدر كالعافية او وصف لمقدر لنفس وفرقة او التاء
للمبالغة كالراوية الا قليلا منهم وهم الذين امنوا فاعف عنهم يتجاوز عن ذنبهم
واصفح واعرض ولا تعاتب قيل نسخت باية السيف والظاهر ان هذا فيما يتعلق من خيانتهم لا
طاق الجمهور على ان لا نسخ فى المائدة ولقوله ان الله يحب المحسنين لحسن موقعه على ذلك
التقدير ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم ميثاق الذين تقدم ذكرهم او ميثاق
الذين قالوا انا نصارى وفى قوله من الذين قالوا انا نصارى دون ومن النصارى اشارة الى انهم
ليسوا من دين النصارى الا دعا وادعاء فنسوا حظا مما ذكروا به تقدم تفسيره فاغرينا
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة اوقعنا والصقنا بينهم من الغراء وهو ما يلصق به ان
فتح قصرت وان كسرت مدت ثم ترتيب اللعن على نقض اليهود ووصفهم بالقسوة والخيانة و
الاكتفاء فى النصارى بالاغراء والاقتصار على نسيان الذكر دل على غلو اليهود فى الكفر وانهم
اسوء حالا وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون يقصدونه من الكفر والنقض

والنقض يا اهل الكتاب خاطب الجنس بعد بيان حال كل فريق قد جاءكم رسولنا يبين لكم
كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كاية الرجم ونعت محمد ويعفوا عن كثير مما لا تدعو
ضرورة الى اظهاره والكتاب باعتبار ذاته دون التقابل قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
اى القران قدم اشرق وصفه والمبين من ابان لازما ومتعديا ولم يعطف لاستقلاله بالهداية
يهدى به الله بالقران من اتبع رضوانه ما ارتضاه من الدين سبل السلام طريق
السلامة او سبيل الله على ان السلام من اسمائه تعالى ويخرجهم من الظلمات الى النور
من ظلمات الكفر والجهل الى نور الايمان والمعرفة باذنه بتوفيقه وتيسيره ويهديهم الى
صراط مستقيم كرره للتاكيد وبين انجمع السبل للتعظيم ويجوز ان يراد به الفروع لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم القائلون باتحاد اللاهوت والناسوت قل فمن
يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا
الملك هو الامساك بقوة والحفظ بحزم والمعنى من يقدر على منع من مراده ان تعلق ارادته والاقتصار
على من فى الارض لان الكلام فى عيسى ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء
كيف يشاء ومن ذلك عيسى وامه واذا كان ابتداء الكل وافناؤه منه انى يتوهم لشىء شان الالوهية
والله على كل شىء قدير ومن ذلك خلق عيسى من غير اب وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه اتباع ابنائه كما يقول خواص الملك نحن الملوك والاحباء
جمع الحبيب بمعنى المحبوب قل فلم يعذبكم بذنوبكم بالمسخ فى الدنيا والعذاب فى الاخرة اياما
معدودة ان صح ما ادعيتم فان احدا لا يواخذ حبيبه قال واذا الحبيب اتى بذنب واحد جاءت محاسنه
بالف شفيع والاشياع ابنه وانصاره وفى المثل لاجل عين الف عين تكرم روى انس ان رسول الله
قال والله لا يلقى الله حبيبه فى النار وما قيل من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه غير
لازم وكم ابن عاق اباه ولا دلالة للكلام عليه بل انتم بشر ومن يزعمون انكم اشياعه
ممن خلق لا مزية لكم اضرب عن الجواب للقطع بعجزهم عنه يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء مؤمنا كان او كافرا ان لم يتب ولله ملك السموات والارض وما بينهما كرره لترتب عليه
امر المعاد كما رتب على الاول امر المبدا واليه المصير يجزى كل احد على عمله يا اهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم الدين القويم وفى اضافته اليه توبيخ لهم حيث لم يرضوا بمن ارتضاه على فترة
من الرسل على بعد عهد منهم وشدة احتياج اليه اصل الفترة الانكسار واطلق على ما بين الرسو
لين لضعف الدين الحاد يتعلق بجاءكم او فى محل الحال روى البخارى عن ابن عباس ان مدة الفترة كانت
ستمائة سنة ولا نبى بين عيسى وبين رسول الله لقوله انا اولى الناس بابن مريم لا نبى بينى
وبينه وقيل كان بينهما اربعة انبياء ثلثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان
العبسى فان صح فالنفى بالرسول فلا يلزم نفى النبى ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لئلا تقولوا
فقد جاءكم بشير ونذير اى لا تعتذروا فقد جاء ما ابطل عذركم والله على كل شىء قدير
واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اى اذكر ذلك الوقت ليحيط
علما بما قاساه من جهلة بنى اسرائيل فان فيه ما يسليك اذ جعل فيكم انبياء من لدن يعقوب
لم يبعث الانبياء فى طائفة اكثر مما بعث فيهم وجعلكم ملوكا يملكون انفسكم بعد ان
كنتم فى يد القبط عبيدا او ملوك مصر بعد فرعون وقيل من له زوجة ودار وخادم فهو ملك
روى البخارى عن ابن عمر ان رجلا قال له السنا من فقراء المهاجرين فقال هل لك من امرأة
واوى اليك قال بلى قال فانت من الاغنياء قال ولى خادم قال فانت من الملوك واتاكم
ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر والايات التسع وتفسيره تظليل الغمام وانزال
المن والسلوى غير سديد لانهما كانا فى التيه وهذا الكلام قبله يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة التى هى الشام من نهر الفرات الى وادى العريش الوادى الايمن وتقديسها بانها موطن

الانبيا وبها قبلتهم وهي ارض المحشر كتب الله لكم تشجيع لهم بانها قد كتبت لهم قبل خلق
السموات والارض بخمسين الف عام ولا ترتدوا على ادباركم الى مصر او بمخالفة موسى
فتنقلبوا جزم بالعطف او نصب على الجواب خاسرين خير الدارين قالوا يا موسى
ان فيها قوما جبارين الجبار فعال من جبر بمعنى هو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد و
قيل من يقتل اذا غضب وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فانا داخلون
اذ لا طاقة لنا بحربهم قال رجلان من الذين يخافون يخافون الله كانه قيل من الكمل
المتقين بها يوشع بن نون وكالب بن يوقنا انعم الله عليهما بالثبات وقوة القلب
ادخلوا عليهم الباب باب المدينة فاذا دخلتموه فانكم غالبون علموا ذلك
باخبار موسى او من عادة الله نصر الرسل او لما شاهدوا من حال فرعون والظاهر
انهم لما راوا اعظم اجسامهم علموا انهم لا يمكنون من القتال في المضايق وذلك
ان موسى ارسل اثني عشر رجلا وهم النقباء جواسيس ياتونه بخبرهم فلقيهم رجل منهم
فجعلهم كلهم في كساء واتى بهم قومه فقالوا من انتم قالوا نحن اصحاب موسى قال واحد منهم
ادوسهم برجلي فقال ملكهم اطلقوهم ليخبروا بحالكم وما شاهدوه فلما رجعوا واخبروا
بحالهم قال بنو اسرائيل ما قالوا وقيل كانا رجلين من العمالقة امنوا بموسى وبعده لاح و
على الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين بانه لا مؤثر غيره قالوا يا موسى انا لن ندخلها
ابدا ما داموا فيها نفوا الدخول على ابلغ وجه بلن ثم قيدوه بالزمان بذكر الابد
ثم اشاروا الى ان الابد لم يرد به معناه فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون لم يريدوا حقيقة الذهاب والا لكفروا واستهانوا بهم بل ارادوا انك
منصور من عند الله وقد شاهدنا ذلك مع فرعون ونصره معك حيث كنت ومعنى
انا هاهنا قاعدون انا لا نرجع بل ننتظر خبرك معهم وقيل اراد حقيقة الذهاب بجهلهم و
عدم مبالاتهم واذا قابلت مقالتهم مقالة الانصار يوم بدر لما استشارهم رسول
الله في قتال قريش قالوا لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل بل نقول اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكم مقاتلون ولو ضربت اكبادها الى برك الغماد لاتبعناك ظهرك ما فضلت
خير الامم قال رب اني لا املك الا نفسي واخي نصب بالعطف على نفسي او على ضمير اني
او رفع عطف على ان وما في خبرها كانه قال انا لا املك الا نفسي وهرون كذلك
او على المستكن في لا املك لوجود الفصل و[illegible] ذكر الرجلين لعدم الوثوق بهما او اشار
الى قلة من يوافقه على طريقة تمثيل حاله بحال من لا يملك الا نفسه واخاه او اراد بالاخ من
يواخيه في الدين والغرض من الاخبار بث الشكوى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
خلصنا بمحاورتهم واخلاقهم الذميمة قال فانها محرمة عليهم اي الارض المقدسة
اربعين سنة يتيهون في الارض الظرف متعلق بيتيهون والتحريم على اطلاقه والصحيح
تعلقه به لما روي ابن عباس ان الله استجاب دعاء موسى فمات هرون بعد سنة وهو
بعد ثلث سنين فقال حين حضرته الوفاة اللهم ادنني من الارض المقدسة ولو
رمية حجر فاستجاب الله منه فهو في الارض المقدسة بينه وبين بيت المقدس بثلث فراسخ تقريبا
وبعد اربعين سنة بعث الله يوشع بن نون نبيا فسار بمن بقي منهم ففتح بيت المقدس و
قتل الجبابرة وكان يوم الجمعة بعد العصر فخاف دخول السبت فنادى اللهم احبس الشمس
على فحبسها حتى فتحها والى القصة اشار ابو تمام بقوله فوالله ما ادري احلام نائم المت
بنا ام كان في الركب يوشع فلا تاس على القوم الفاسقين بعد استجابة دعائك
لرقة القرابة واتل عليهم نبا ابني ادم لما كان كفر اهل الكتاب برسول الله ناشيا
من الحسد له بان يتلو عليهم حال اول من حسد وما اثمر لحسده كان في شرع

في شرع ادم بزوج الاخوات الاخوة وان لا يزوج توامة وكانت توامة قابيل اجمل من توامة هابيل
فابى قابيل ان تزوجها هابيل وقال توامتي اولى بها فقال ادم تقربا بقربان فايكما يقبل منه فهو
على الحق وكان قابيل صاحب زرع فجاء بحزمة حصيد لخبث ما كان في زرعه وهابيل صاحب ضرع
فجاء بكبش لحسن ما كان في غنمه فنزلت النار على قربان هابيل بالحق تلاوة بالحق صفة مصدر او حال
من المفعول اي نبأ ملتبسا بالحق او من الفاعل اي وانت محق ملتبس بالصدق والبا في الاوجه
للملابسة اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال
انما يتقبل الله من المتقين ظرف للنبا اي حديثهم في ذلك الوقت او بدل بتقدير مضاف
اي حديث ذلك الوقت والقربان ما يتقرب به كالقرآن والحلوان ولم يثن لانه مصدر
في الاصل فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر لسوء ضميره قال لاقتلنك قال انما
يتقبل الله من المتقين فلو كنت منهم لتقبل منك فان قلت انما يتقبل الله من المتقين
لا يدل على انه يتقبل من كل متق كما اذا قلت فلان لا يقبل الا عطاء الملوك لا يلزم ان يقبل عطاء كل ملك
قلت اراد ان قبول قربانه لاجل تقواه واومى انه لو كان مثلي يقول لئن بسطت الي يدك لتقتلني
ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اثر الاسمية في الجواب موكدة بالباء مبالغة
احترازا عن الاتصاف بهذه الرذيلة على اكد وجه كما تقدم في وما هم بمؤمنين اني اخاف الله رب
العالمين بل اختار الاولى وان كان الدفع جائزا وقيل لم يكن جائزا في شرع ادم يؤيده اني اخاف
الله وفي الحديث كن خير ابني ادم مظلوما ولا تكن ظالما اني اريد ان تبوا باثمي واثمك
باثم قتلي واثمك السابق من الحسد وبمثل اثم قتلي اياك لو باشرته واثم قتلك اياي الذي باشرته كما
في الحديث المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل باثمي يوم القيمة فان الظالم
اذا لم يكن له حسنات يحمل سيئات المظلوم فتكون من اصحاب النار لكفرك بانكار
ما شرع الله وذلك جزاء الظالمين عند الله فطوعت له نفسه قتل اخيه
سهلت وهونت من طاع له المرتع اتسع فقتله فاصبح من الخاسرين دنيا ودينا اذ لم
يظفر بما قتل لاجله وحمل على ظهره سبعة ايام دايرا به لا يدري ماذا يفعل به روى البخاري ومسلم
عن ابن مسعود ان رسول الله قال لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل منه
لانه اول من سن القتل وروي ان الشيطان جاءه في صورة ناصح وقال له تدري لماذا اكلت
النار قربان اخيك انما اكلته لانه كان يعبدها وتقرب اليها فشرع قابيل في عبادة النار
ثم قال انت في سلامة مما فاتك فاشتغل بـ[illegible] فعلم الات الملاهي وشرب الخمور فنشأت
ذريته على الكفر والفسوق فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري
سوءة اخيه بعد ما راوح وشق حمله ارسل الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر وحفر له
ودفنه فيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب من الويل وهو الهلاك تاسف
بها على ما فات واشار الى وجه الشبه بقوله فاواري سوءة اخي السوءة كل ما يستحى منه
من السوء فاصبح من النادمين على حمله ومشقته ملك الايام وقيل على قتله لا توبة
بل لعدم ظفره بالمطلوب ونكد عيشه عن ابن عباس لم يكن قتل قتل شوك على شجر ولا حموضة
في ثمر ولا بعد ودب على غنم ولم يضحك ادم مائة سنة حتى جاءه الملائكة بتحية من الله قالوا حياك
ربك وبياك ونسب اليه يشوبون انه رثى به هابيل وهو كذب عليه لان الشعر ليس من شيم
الانبيا من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد
في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا الاجل مصدر اجل
كذا اخاه والمعنى ان ذلك القتل جنى وجر على بني اسرائيل هذا الحكم وهو ان من قتل نفسا
لم يبح الشرع قتلها بان تقتل نفسا توجب القصاص او بفعل فساد يوجبه كزنا المحصن وقطع
الطريق والردة فكانما قتل كل فرد ولد ويولد الى يوم القيمة من مؤمن وكافر وكذلك

T.C.

احياوه والتسبب فى خلاصها وانما كال كذلك لاستواء الكل فى الجنية المكرمة ترغيبا فى
الاحيا وتنفيرا عن القتل والافساد روى ابن ماجه ان رسول الله قال من اعان على قتل مؤمن ولو
بشطر كلمة لقى الله مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله وتخصيص بنى اسرائيل بالذكر لانه فى عدد
مثالبهم وانهم بعد ان كان هذا فى كتابهم قتلوا الانبيا سئل الحسن البصرى عن هذا فقال
ما جعل الله دماء هذه الامة اهون من دماء بنى اسرائيل ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك المذكور من الكتب وايات الرسل فى الارض لمسرفون
مبالغون فى الافساد ولم يزجروا بذلك انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله محاربة الله
ورسوله محاربة المؤمنين ومن بينهم من اهل الذمة ويسعون فى الارض فسادا للفساد ان
يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض
ذهب بعضهم الى ان الامام يخير فى قطاع الطريق بين هذه العقوبات استدلالا لا بظاهر او و
حملها ابو حنيفة على التنويع لانها اجزية تختلف غلظا وخفة فلا تكون الا فى مقابلة جنايات
كذلك فان ظفر بهم قبل قتل واخذ مال حبسوا حتى يتوبوا هو المراد بالنفى وان اخذوا مالا تبلغ
نصيب كل واحد نصاب السرقة قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف وان قتلوا ولم ياخذوا
مالا قتلوا حدا وان جمعوا بين القتل واخذ المال ان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف
وقتلهم وصلبهم وان شاء اقتصر على القتل والصلب وبه قال الشافعى الا انه حمل النفى على
قل شوكتهم وتشديدهم فى البلاد وتحتم القتل والصلب ان اخذوا المال وقتلوا بان يقتل ولا ثم
يصلب مثلثة ايام والاية نزلت فى العرنيين وكان رسول الله سمل اعينهم فنسخ بها وقيل
نزلت فى قوم هلال بن عويمر مر بهم ناس يريدون رسول الله فقطعوا عليهم الطريق
ذلك لهم خزى فى الدنيا ذل ولهم فى الاخرة عذاب عظيم تضمحل ذل الدنيا
عنده الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فان حق الله يسقط دون حق العباد
ان لم يكونوا حربية فاعلموا ان الله غفور لما سلف منهم رحيم يجعل سيئاتهم حسنات
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اسم ما يتقرب به من وسل بكذا يتقرب
قدم عليه الامر بالتقوى لما تقدم من قول هابيل انما يتقبل الله من المتقين وجاهدوا
فى سبيله من كل بر بما بلغت اليه طاقتكم لعلكم تفلحون تفوزون بمرضاته ان الذين
كفروا لو ان لهم ما فى الارض جميعا من صنوف المال لها طعا وصامتا ومثله معه
وحد الضمير باعتبار المذكور او الواو بمعنى يدل على معية الثبوت ومع على اقتران الثابتين
حال الثبوت والعامل فيه الفعل المقدر بعد لو لا معنى الفعل فى لهم بجواز العطف لوجود
الفاصل وتعينه فى العامل المعنوى ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم
ليس المعنى على انهم لو زادوا على المذكور تقبل منهم بل ان ارادهم يفهم منهم دوام العذاب
ولزومه على طريق الكناية ويجوز ان يكون تمثيلا بحالهم فى عدم التفصى عن العذاب
بحال من يكون له امثال ما فى الارض ويريد بها الخلاص عن العذاب ولا يجد اليه سبيلا ولهم عذاب اليم
يريدون ان يخرجوا من النار بيان لسوء حالهم وما هم بخارجين منها اثر الاسمية موكدة بالباء دالا على ابلغ
وجه ولهم عذاب مقيم ابدا لا انقطاع فيه دفع لما تقوله بعض الملاحدة من انهم يعتادون
فلا يحسون بالالم روى البخارى ومسلم عن انس ان رسول الله قال يؤتى بالرجل من اهل النار
فيقول الله اتفتدى بقراب الارض ذهبا لو كان لك فيقول بلى يا رب فيقول كذبت قد سألتك
اهون من ذلك فلم تفعل يريد كلمة الله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان
عند سيبويه كانه قال حكم السارق والسارقة فيما يتلى عليكم ثم اشار الى الحكم بقوله فاقطعوا
ايديهما وذهب المبرد الى انها جملة والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط وليس من قبيل وربك
فكبر لان الفاء الجزائية يمنع العمل فيما قبلها والمقطوع اليمين من الكوع بينه فعل رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وما يقطع به مال يخرج من الحرز خفية مقداره عشرة دراهم عند ابى حنيفة
وربع دينار عند الشافعى ودرهم عند الحسن جزاء بما كسبا نكالا من الله نصب
على المفعول له وترك العاطف لان المعنى ان القطع الذى للجزاء لقصد النكال وقدم السارق
لانه اكثر ما يكون فى الرجال وقطع العضو الجانى منه دون الزانى محافظة على العورة او بقاء للنسل
والله عزيز غالب على امره حكيم فى كل ما شرع من الزواجر فمن تاب من بعد ظلمه واصلح
ما افسده بالرد او الاستحلال فان الله يتوب عليه يقبل توبته ان الله غفور
للذنوب رحيم بقبول التوبة الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض استفهام تقريرى
قد علمت ذلك الخطاب عام يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء قدم التعذيب لان الكلام
فى موجب العقاب والله على كل شىء قدير والاختصاص من الارادة يا ايها الرسول
لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر فى تقوية اسبابه واعانة اعوانه وقرا نافع بضم اليا
وكسر الزاء وقد تقدم فى ال عمران انه ابلغ من الذين قالوا امنا بافواههم
الجار يتعلق بقالوا دون امنا ولم تؤمن قلوبهم حال او عطف ومن الذين هادوا
من اليهود سماعون للكذب مبتدا خبره من الذين هادوا او خبر مبتدا محذوف
اى هم والضمير لليهود او للطائفتين باعتبار وقوع الفعل بينهم واللام للتاكيد والسماع
بمعنى القبول كقوله سمع الله لمن حمده او للعلة والمفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا
عليك بالزيادة والنقصان سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اى يسمعون منك لانهاء
الى سفلتهم الذين لم يقدروا على مجالسك وقيل لم ياتوك تكبرا او افراطا فى بغضك
ورده قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه لانه وصف عظمائهم الذين كانوا يجادلونه
وكذا قوله بعد اكالون للسحت فانه وصف للاحبار فى اكل الرشى والجملة حال من قوم لكونه موصوفا
او صفة وهذا ادل على الذم من قوله يحرفون الكلم عن مواضعه لدلالة بعد على الاستقرار
والثبات يقولون ان اوتيتم هذا يجرى فى اعرابه الوجوه المذكورة فخذوه اى المحرف
وان لم تؤتوه فاحذروا قوله نزلت فى يهود بنى نضير منهم بشريف وكان الحكم
فى التورية الرجم فظنوا ان الحكم عند رسول الله الجلد فرفعوا اليه وقالوا ان حكم
بالجلد فاقبلوا وان حكم بالرجم فلا تقبلوا فحكم رسول الله بالرجم فابوا وقالوا الييسر
عندنا الان تسود وجوههما وتجريهما فانزل الله قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم
صادقين فاتوا بالتورية فوضع القارى يده على اية الرجم وقرا ما قبله وما بعده
فقال عبد الله بن سلام مره يرفع يده ثم رفعها فوجدوا اية الرجم قال عبد الله بن
عمر فامر بهما فرجما عند المسجد وانا من رجمهما ومن يرد الله فتنته اضلاله فلن
تملك له من الله شيئا من الهداية دل هذا على ان حزنه كان شفقة عليهم اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الشرك والنفاق لهم فى الدنيا
خزى بظهور كذبهم على الله فى كتابه الذين يؤمنون به وغير ذلك من الذل المضروب عليهم
ولهم فى الاخرة عذاب عظيم لا نسبة لخزى الدنيا اليه سماعون للكذب
اكالون للسحت سوالحرام لانه مسحوت البركة او ساحت لها اذا اختلط بالحلال
من سحته واسحته استأصله وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائى بضم الحاء والمراد به ما كانوا
ياخذونه من الرشى على الاحكام وتحريف الكلم فان جاؤك فاحكم بينهم
او اعرض عنهم انت مخير نسخ بقوله واحكم بينهم بما انزل الله وبه قال الشافعى
وابو حنيفة الا ان الشافعى قيد وجوب الحكم بما اذا كان احد الخصمين مسلما وان تعرض
عنهم فلن يضروك شيئا من الضرر لان الله عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم
بينهم بالقسط بالعدل ان الله يحب المقسطين العادلين فى الاحكام

وكيف يحكمونك تعجيب من طلبهم الحكم منه وهم لا يؤمنون به ولا بكتابه واشارة الى انهم
ما حاكموا اليه لغرض لهم وعندهم التورية والحال ان عندهم ما يغنيهم عن السوال
فيها حكم الله تقرير لكون التورية مغنية عن طلب الحكم منه ثم يتولون من بعد ذا
لك التحكيم ثم لاستبعاد التولي بعد الرضى بحكمه داخل تحت التعجيب وما اولئك بالمؤمنين
بكتابهم فضلا عن الايمان بغيره او ليسوا بالكمل في الايمان تهكم بهم لانهم كانوا يزعمون
ذلك انا انزلنا التورية فيها هدى ونور عظم شان التورية مزيد توبيخ لهم يحكم بها
النبيون من لدن موسى الى محمد الذين اسلموا صفة مدح لا للموصوف فان النبوة
اعلى شانا من الاسلام بل للصفة نفسها اشارة الى عظم شانها تعريضا باليهود بانهم
ليسوا على ملة الاسلام التي هي دين الانبياء ويجوز ان يراد بالاسلام التفويض بالكلية
والتوجه الى جناب القدس كقول ابرهيم اسلمت لرب العالمين والمعنى هم بناهيشانهم
ينقادون لحكم التورية وهؤلاء يعرضون عنه ويحرفونه للذين هادوا صلة يحكم
او انزلنا لا انه نفع عائد اليهم والربانيون العلماء الزهاد منسوب الى الرب والالف والنون
لتغير النسب والاحبار جمع حبر بالكسر والفتح العالم الكبير بما استحفظوا من كتاب الله
لاجل استحفاظ الانبياء اياهم الحكم والقضاء بما فيه ويجوز ان يكون الضمير لهم وللانبياء
اي بان كلفهم الله حفظه من التحريف والتبديل وكانوا عليه شهداء رقباء يحفظونه
عن التبديل والتحريف فلا تخشوا الناس اي اذا علمتم ان الاحبار كانوا حافظين
للتورية حاكمين بما فيه فانتم اولى بذلك فلا تحيدوا في الاحكام خشية من الناس واخشون
لان الامر كله بيدي ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا حطاما فانيا كما فعل اهل الكتاب
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون حقيقة ان اعتقدوا جوازه
والا كفروا باشرف نعم الله وهو العلم الذي لم يعملوا به وكتبنا عليهم فيها في التورية
ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن
والسن بالسن والجروح قصاص استدل به ابو حنيفة على ان المسلم يقتل
والحر بالعبد بناء على انه حكى شرع من قبلنا على انه شرعنا وخالفه الشافعي لما روى البخاري
عن علي بن ابي طالب ان رسول الله قال لا يقتل مسلم بكافر وحكي الاجماع على عدم قتل الحر
بالعبد ولما قال ابن عباس ان الاية اوجبت القود لزوما من غير بدل ولا عفو فلا نعما ولا
نسخ الحر بالحر والعبد بالعبد قرا نافع الاذن بسكون الذال وقرا الكسائي العين وما بعدها بالرفع
عطفا على ان واسمها لان الكتابة فيها معنى القول فالمفتوحة بعدها في حكم المكسورة وقرا هو وابن
كثير وابو عمرو وابن عامر الجروح بالرفع والوجه ما تقدم فمن تصدق به بالقصاص سمي العفو صدقة
ترغيبا فهو كفارة له يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه القصاص ولا يحيى بعده ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الظالمون الكاملون في الظلم وقفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم قفيت زيدا
اذا جئت بعده تعدى الى الثاني بالباء تقول قفيت زيدا بعمرو وحذف المفعول الاول لان على
اثارهم ساد مسده اي اتبعنا انبياء بني اسرائيل بعيسى مصدقا لما بين يديه من التورية
واتيناه الانجيل فيه هدى ونور كائنا فيه هذان الوصفان ومصدقا لما بين يديه من التورية
عطف على فيه هدى وكذا قوله وهدى وموعظة ويجوز نصبهما على العلة للمتقين لانهم
المنتفعون به وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه اي قلنا لعيسى مريم بان يحكموا بما فيه
على حد وما اتيكم الرسول فخذوه وقرا حمزة بكسر اللام ونصب الفعل على انها لام كي عطفا
على هدى لانه في حكم المصدر وان انتصب هدى على الحال يتعلق باتينا عطفا على علة محذوفة
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون فصل اولا بالكفر وثانيا بالظلم وثالثا
بالفسق فعن ابن عباس ان الكل في اهل الكتاب لما سئل عنه قال نعم القوم انتم ما كان من حلو

ما كان من حلو فهو لكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب وعن الشعبي ان الاولى في المسلمين والثانية
في اليهود والثالثة في النصارى وعن ابن مسعود والحسن الكل في الكل وهو الوجه وفي الاية
دليل ان شريعة عيسى كانت ناسخة لشرع موسى والقول بانه ما انزل الله في الانجيل العمل بما
في التورية خلاف الظاهر ويرده قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وانزلنا اليك
الكتاب القران بالحق ملتبسا به مصدقا لما بين يديه من الكتاب ما تقدمه من الكتب
اللام في الاول للعهد وفي الثاني للجنس ويجوز العهد باعتبار كونه سماويا خص بما عدا القران
ومهيمنا عليه رقيبا وحفيظا يشهد بصدقه من الامن اصله مؤيمن بهمزتين قلبت الاولى هاء
والثانية ياء تخفيفا فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بتحرفا عنه
ضمن جاء معناه فعدي بعن لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الشرعة والشريعة طريق
الماء اطلق على الدين الموصل الى زلال الحيوة الابدية والمنهاج الطريق الواضح فالعطف
باعتبار الصفة وقيل المنهاج الدليل الموصل الى الدين ولا يلزم التخالف في كل الاحكام فلا
ينافي شرع من قبلنا شرعنا ولا قوله فبهديهم اقتده لانه في العقائد التي لا تتبدل ولو
شاء الله لجعلكم امة واحدة تابعة لشرع واحد ولكن ليبلوكم فيما اتيكم من الشرائع
المختلفة فان ترك المآل لو فق تخالف لهوى النفس الا ترى انهم لما كانوا لم يروا في اشهر الحج
العمرة في الجاهلية لما امرهم بها كيف شق عليهم وتوقفوا فيه حتى قال لو استقبلت من
امري ما استدبرت لما سقت الهدي فاستبقوا الخيرات كلها الاستباق بمعنى المسابقة
وهي القصد الى التقدم على الاخر في السبق الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
ويجازي السابق والمقصر على قدر سعيه ويميز المحق عن المبطل وان احكم بينهم بما انزل الله
عطف على الكتاب او على بالحق ان موصولة اي وبالحكم او عطف بحسب المعنى على فاحكم كرره
ليناط به قوله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك
روى ابن اسحق عن ابن عباس ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس
قالوا تعالوا نذهب الى محمد نفتنه فاتوا رسول الله وقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار
وانا ان اتبعناك اتبعك اليهود وبيننا وبين قوم خصومة نتحاكم اليك فتحكم لنا ونحن نؤمن
بك فابى ذلك فنزلت فان تولوا اعرضوا عن حكمك فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم
ببعض ذنوبهم اي بسبب توليهم وابهمه اشارة الى عظم هذا من الذنوب كقول لبيد
او يرتبط بعض النفوس حمامها والمراد عذاب الدنيا لان العذاب على الكل في الاخرة و
كان كذلك عن قريب قتل قريظة واجلي النضير وان كثيرا من الناس لفاسقون
خارجون عن طاعة الله افحكم الجاهلية يبغون كانت بنو النضير اشرف من قريظة فكان
النضري لا يقتل بالقرظي ودية النضري نصف دية القرظي فتحاكموا الى رسول الله فحكم
بالسواء فقالوا لا نرجع الى حكم ابائنا فنزلت وفيه توبيخ لهم حيث كانوا اهل العلم ويبغون
ملة الجاهلية وقرا ابن عامر تبغون بالخطاب وهو اشد تقريعا ومن احسن
من الله حكما لقوم يوقنون اي لا احسن اللام للبيان كما في هيت لك اي القاء
هذا الكلام مختص بمن يوقن فانه الذي يتدبر فيه ولا يحسن ان يكون صلة لان حسن
حكم الله لا يختص قوما دون قوم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
لانهم اعداء الله ورسوله ثم علل بقوله بعضهم اولياء بعض لان الجنسية علة الضم
وفي الحديث المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وقال شعر عن المرء لا تسال
وسل عن قرينه ومن يتولهم منكم فانه منهم تشديد وتغليظ كقوله صلى الله عليه اربع من كن
فيه كان منافقا خالصا ان الله لا يهدي القوم الظالمين الكاملين في الظلم
وهم الذين لا يتركون موالاتهم بعد النهي عن عبد الله بن عتبة ان عمر بن الخطاب

قال ليتق احدكم ان يكون يهوديا او نصرانيا فقلت انه يريد هذه الاية فترى الذين
في قلوبهم مرض نفاق يسارعون فيهم روى ابن اسحق ان قينقاع نقضت عهد رسول الله و
كان بين عبد الله بن سلول وعبادة بن الصامت وبينهم موالاة وحلف فاما عبادة بن الصامت
فانه تبرا منهم وقال اتولى الله ورسوله والمؤمنين واما ابن سلول فهو الذي في قلبه مرض
وقال انا لا ابرا من موالاتهم ان لي اموالا واسبابا ولا ادري ما يكون من ريب الزمان ودوائره
فقال له رسول الله يا ابا الحباب ما نفست به من ولاء اليهود على عبادة فهو لك دونه فقال
رضيت والمسارعة تستعمل بالى وايثار في للدلالة على انه داخل في عدادهم واحد منهم
يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح بفتح مكة ويظهر شوكة الاسلام او امر
من عنده من قتل قريظة واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم فيصبحوا فيصير المنافقون
على ما اسروا في انفسهم من الشك في امر رسول الله نادمين حين لا ينفعهم الندم ويقول
الذين امنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم كلام مبتدأ اي
يقول المؤمنون في ذلك الوقت فيما بينهم هذا الكلام اظهارا لما انعم الله عليهم او
مواجهة لليهود ونصبه ابو عمرو على ان عسى فعل تام وان يأتي بدل من فاعله ويقول عطف
عليه او يقدر امنوا به اي عسى الله ان يقول الذين امنوا به او لما كان قول المؤمنين
مسببا عن الاتيان بالفتح اقيم مقامه مبالغة في اتحاده او عطف على الفتح لانه بتقدير الفعل
مع ان او على فيصبحوا لانه جواب الترجي وهو من الله تحقيق وقرا نافع ابن كثير وابن عامر
بحذف الواو وجواب سؤال اي ماذا يقول المؤمنون اذا جاء الله بالفتح والرسم تخلف ثابتة في
العراقي محذوفة في الحجازي والشامي وجهد الايمان اغلظها والواسع فيها توكيدا حبطت
اعمالهم فاصبحوا خاسرين في الدارين من قول المؤمنين تعجبا يا ايها الذين امنوا من يرتد
منكم عن دينه ارتد في زمن رسول الله ثلث طوايف بنو مدلج وسيدهم ذو الحمار
وهو الاسود العنسي باليمن قتله فيروز الديلمي واصحابه وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب قتل في ايام
الصديق قتله وحشي قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة ثم اسلم طليحة وحسن اسلامه وسبع طوايف
في زمن الصديق فزارة وغطفان وبنو سليم وبنو يربوع وبعض تميم وكندة وبنو بكر بن وائل
وقرا نافع وابن عامر ومن يرتدد بفك الادغام وهو الاصل لان ثاني المثلين ساكن وعليه
رسم الامام والمدني والشامي ومن ادغم حرك الثاني روم التخفيف فسوف يأتي الله بقوم
هم اهل اليمن وقيل فارس روي انها لما نزلت وضع رسول الله يده على عاتق سلمان وقال
هم هذا وذووه فان قلت اين الراجع الى المبتدا قلت ان جعل الخبر الجزاء وحده فالتقدير يأتي الله
بقوم مكانهم وان جعل الشرط والجزاء فضمير دينه يحبهم ويحبونه محبة الله عبده توفيق
الايمان والطاعة وغفران ذنوبه ومحبة العبد امتثال اوامره واجتناب ما نهاه والناس
في ذلك متفاوتون تفاوتا بفوت الحصر وقدم محبته لانها الاصل والموجب لمحبة العبد اذلة
على المؤمنين من الذل بضم الذال ضد العزة عدي بعلى اما للمقابلة او لتضمين معنى
العطف والحنو اعزة على الكافرين غالبين عليهم بالبأس كقوله اشداء على الكفار يجاهدون
في سبيل الله في اعلاء كلمته ولا يخافون لومة لائم اي يجاهدون وحالهم هذا لا كالمنافقين
الذين يجاهدون نفاقا وطمعا في المغانم خائفين من لوم اليهود وعطف على معنى انهم في
دينهم صلاب او حديثون لا يشق غبارهم يعقلون الاباء والابنا فيه توكيد من وجهين
بناء المرة وتنكير لائم اي لا يخافون شيئا من اللوم من لائم ما ذلك المذكور من الاوصاف
الشريفة فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع فضله عليم بمن يستحقه انما وليكم الله ور
سوله والذين امنوا متصل بقوله لا تتخذوا اليهود وما في البين توكيد للنهي وانما
افرد الولي ليكون في الكلام اصل وتبع كقوله صلى الله عليه للخطيب لما قال ومن يعصهما

ومن يعصهما فقد غوى قل ومن يعص الله ورسوله بئس خطيب القوم انت الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة وهم راكعون رفع او نصب على المدح او بدل من الموصول يميز
المخلص من الذين امنوا السنة ومعنى راكعون خاشعون مدح لهم بانهم جامعون بين حسن
الاعمال ظاهرا وباطنا وقيل حال من يؤتون الزكوة لما روى ابن عباس ان سائلا مر بعلي بن ابي
طالب وهو راكع فالقى اليه خاتمه فنزلت وعلى هذا ايثار الجمع اعظاما له وترغيبا لغيره والجمع للتبليغ
لكونه في اقصى مراتب البر ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم
الغالبون الحزب طايفة اجتمعوا لامر حزبهم اقامه مقام المضمر اشارة الى انهم اعلام في كونهم حزب الله
لا يسبق الى الفهم غيرهم او ذكر الله للموطئ وحزب الله رسول الله والمؤمنون والمعنى ومن والاهم فقد
تولى حزب الله والاول اوفق يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم والكفار اولياء افرد اهل الكتاب اولا وضم اليهم الكفار ثانيا لشده
عداوة اهل الكتاب والغرض من الهزء تحقير المهزو به ومن اللعب جلب الفرح وقرا ابو عمرو والكسائي
والكفار بالجر وهو المختار لقرب المعطوف عليه ولشمول الاستهزاء الفريقين ولقراءة ابي ومن
الكفار واتقوا الله ان كنتم مؤمنين في ايثار ان دلالة على ان نوع موالاة بينهم
واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي واذكروا ذلك الوقت ليظهر لكم
موجب عدم موالاتهم كانوا يتضاحكون عند ركوع المؤمنين وسجودهم ويكثرون اللغو
يقولون قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا ذلك بانهم قوم لا يعقلون اذ لو عقلوا ما
اتخذوا افضل الاعمال ومعراج العبد ومحل مناجاة الرب هزوا كيف ولا عبادة بدنية الا وهي
موجودة في الصلوة وفي كل ركعة سجدتان واقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد روى
ابن جرير انه كان بالمدينة رجل من نصارى نجران كلما سمع في الاذان اشهد ان محمدا رسول الله
يقول حرق الله الكاذب فدخلت خادمه بالنار ليلا وهو نائم فتطايرت منها شرارة فاحرق الله
داره واهله وماله قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما
انزل من قبل اي ما تعيبون منا الا ما هو اصل المناقب وهو الايمان بكل الكتب المنزلة عن ابن
عباس ان جمعا من اليهود قالوا للرسول الله بما ذا تؤمن قال بالله وبما انزل الينا وبما انزل الى ابرهيم
وعد الانبيا الى عيسى معايرة لما ذكر عيسى فنزلت وان اكثركم فاسقون عطف على ان امنا اي
ما تعيبون الا الجمع بين ايماننا وفسقكم او على المجرور اي ايماننا بالله وبان اكثركم فاسقون قل هل
انبئكم بشر من ذلك المتقدم اي اهل مثوبة عند الله استعمال
المثوبة في الشر على طريقة التهكم نحو فبشرهم بعذاب اليم وتحية بينهم ضرب وجيع من لعنه الله وغضب
عليه وجعل منهم القردة والخنازير خبر مبتدا اي هو من لعنه الله او بدل او بشر او نصب
بما دل عليه انبئكم ذكر اليهود باقبح الاوصاف وهو الطرد من رحمة الواسعة وتبديل خلقهم من احسن
تقويم الى اخس شكل وصورة من القردة والخنازير وهؤلاء هم اصحاب السبت مسخ شبانهم قردة و
شيوخهم خنازير اصحاب المائدة وعبد الطاغوت الشيطان او الكاهن او الساحر او
الصنم وكل رأس شر طاغوت صيغة مبالغة من طغا وقرا حمزة عبد بضم الباء وجر الطاغوت على انه
اسم جمع او مفرد كحذر وفطن وهو المبالغ في العبودية اولئك شر مكانا اسناد الشر
الى المكان كناية عن ثبوته لهم كقولهم المجد بين برديه والسلام على المجلس العالي واضل
عن سواء السبيل عن وسط المعتدل واسم التفضيل في امثال هذه المواضع من
باب المجاراة والبناء على زعم الخصم والا فلا مشاركة بين المؤمنين وبين اليهود واذا جاؤكم
قالوا امنا هؤلاء منافقو اليهود وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به حال
من فاعل جاء او لذا دخلت عليه قد ولان رسول الله كان متوقعا اخبار الله بنفاقهم وزاد
الضمير وقدمه في الجملة الثانية لان خروجهم بالكفر بعد سماع كلام الله ومواعظ رسول الله

مستبعد والله اعلم بما كانوا يكتمون في ضمايرهم من العداوة وترى كثيرا منهم
من اليهود يسارعون في الاثم في الشرك لقولهم عزير ابن الله او في الكذب وربما التحريف
والافتراء على الله لقوله وقولهم الاثم والعدوان والظلم المتعدي واكلهم السحت
الحرام افرده بالذكر لان اليهود موسومون باكل الرشى لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض وحث للزهاد والعلماء منهم
على النهي عن المنكر لبئس ما كانوا يصنعون اي الربانيون والاحبار واثر لفظ الصنع
الذي يحتاج الى تدرب وتعمل زيادة توبيخ لهم لان مرتكب المنكر له داعية اليه والتذاذ بمباشرته
بخلاف تارك النهي عنه ولذلك قال ابن عباس هي اشد اية في القران وقالت اليهود
يد الله مغلولة الغل والبسط كنايتان عن البخل والجود او مجازان ولذلك لو جاد
مقطوع اليدين لقيل بسط يديه بالعطا الا ترى الى قوله في وصف السحاب جاد الحمى
بسط اليدين بوابل سكرت هذه تلاعه ودهاده كانوا اصحاب اموال وزروع فاخذهم الله
بالقلا والقحط لما كذبوا رسول الله كما فعل بال فرعون لما كذبوا موسى ولقد اخذنا ال
فرعون بالسنين ونقص من الاموال والثمرات لانهم لما لم يشكروا اجل نعم الله منعهم اعمها
وهي الخصب والقائل فنحاص بن عازوراء اسند قوله الى الكل لانهم رضوا بما قال غلت
ايديهم دعاء عليهم بالبخل ولذلك لا ترى ابخل من اليهود ولا انكد عيشا او بحقيقة الغل
في الدنيا بالاسر والرق وفي الاخرة حين يسحبون الى جهنم والاغلال في اعناقهم ولعنوا
بما قالوا بل يداه مبسوطتان اثبت ما نفوه من جوده على ابلغ وجه اذ غاية احوال
الجواد ان يعطي للسايل بيديه ينفق كيف يشاء على وفق حكمه الانفاق عن
خزاينه شيئا كما رواه مسلم عنه عز وجل عطائي كلامي ومنعي كلام وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اذا سمعوا منا لهم وقبائحهم وكما ان الايمان يزداد
بازدياد المؤمن به فكذلك الكفر يزداد بازدياد ما كفر به والقينا بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيمة لا يتوافقون على كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله
مجاز عن السعي في اسباب الحرب والغين عن قتادة لما خالفوا حكم التورية سلط الله
عليهم بخت نصر فافسدوا وثانيا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم جاء الاسلام وهم تحت
يد المجوس ودلكما على ان ذلك كان دابهم ويسعون في الارض فسادا باخذ الرشى
وتحريف كتاب الله وتضليل العوام والله لا يحب المفسدين كل مفسد منهم و
من غيرهم ولو ان اهل الكتاب امنوا بما جاء به محمد واتقوا عما كانوا فيه من
السعي بالفساد لكفرنا عنهم سيئاتهم لان الايمان يجب ما قبل ولادخلناهم
جنات النعيم تفضلا بعد العفو عن جناياتهم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
وما انزل اليهم وهو القران المجيد لانهم مكلفون بما فيه من ربهم لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم كناية عن السعة في الرزق لقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السما والارض او من فوقهم ثمار الاشجار ومن تحتهم حبوب
الزروع او من فوقهم الجنة لانها فوق السما ومن تحت ارجلهم الدنيا لانها تحت تصرفهم
متمكنون منها اشارة الى ان ما يصيبهم الى القلا او القحط بسبب كفرهم منهم امة
مقتصدة هم الذين امنوا منهم وكثير منهم ساء ما يعملون من الاشراك وتحريف
الكتاب يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك من الوحي وان ازداد اليهود بذلك
طغيانا وكفرا فلا تبال وان لم تفعل ما امرت به وتركت منه ادنى شيء فما بلغت
رسالته خرجت منها وسلب منك اسم الرسول كالمصلي اذا ترك ركنا من اركانها
وشرايطها لم يكن مصليا روى مسلم والبخاري عن عايشه من قال ان رسول الله لم يبلغ

لم يبلغ شيئا مما انزل الله اليه فقد كذب والله يقول بلغ ما انزل اليك ولو كتم شيئا لكتم وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه وما قيل المراد تبليغ ما يتعلق بمصالح العباد فان من الاسرار الالهية ما يحرم
افشاوه مع كونه قولا بلا دليل منافض للحديث وعموم ما دل عليه كلمة ما وقرا نافع وابن عامر
رسالاته جمعا باعتبار الاحكام والله يعصمك من الناس ازاحة لعذره في عدم التبليغ
نزلت في حجة الوداع فلا اشكال في كسر رباعيته وشج راسه يوم احد وقيل المراد عصمته من القتل
عن عايشه وانس بن مالك انه رسول الله كان يحرس بالليل فكان ليلة من الليالي في قبة فاخرج
راسه من القبة وقال ايها الناس انصرفوا فان الله قد عصمني والله لا يهدي القوم الكافرين
الذين خلقوا للنار وقيل لا يمكنهم منك لان التمكن لازم للهداية وفيه توكيد للعصمة قل يا اهل
الكتاب لستم على شيء من الدين حتى تقيموا التورية والانجيل بان تزيلوا
ما حرفتم وبدلتم وما انزل اليكم وهو القران بان تومنوا بما فيه وليزيدن كثيرا منهم ما انزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا كرره ليرتب عليه قوله فلا تاس على القوم الكافرين
الاسى اشد الحزن ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى
ارتفع الصابئون على الابتداء والخبر محذوف على نظائي وقيا ربها القريب او المذكور خبره ويقدر لان
خبر كقولك نحن بما عندنا وانت بما عندك راض على ما اختاره سيبويه في زيد وعمرو قائم واما عطف
على محل ان واسمها فلا يجوز لان ذلك مشروط بتقديم الخبر فلا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان
برفع عمرو على الابتداء لاجتماع عاملين مختلفين على معمول واحد فان قلت فيقدر لان خبرا وقد زال
المانع قلت الخبر صالح للمجموع والتقدير خلاف الاصل ولا نكتة للعدول من امن بالله واليوم
الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون قدم الابعد ما لا بعد فان المنافقين
واليهود ابعد من الايمان من الصابئ وهم ابعد من النصارى والعايد محذوف اي
منهم فان قلت ذكر في سورة البقرة [illegible] عند ربهم فلم اقتصر ههنا قلت لتقدم ملك
نزولا فاكتفى باصل الكلام لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا اعاد ذكر
اخذ الميثاق ليرتب عليه ساير قبائحهم ليعلم ان نقض الميثاق منهم كان من وجوه شتى كلما
جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم من التكاليف فريقا كذبوا كمحمد وعيسى وفريقا
يقتلون كزكريا ويحيى اثر في القتل المضارع تصويرا لتلك الفعل الشنيع وحسبوا ان
لا يكون فتنة بعد ذلك التكذيب والقتل ان مع ما في خبره ساد مسد مفعولي الحسبان
وفيه اشارة الى خطائهم في ذلك الحسبان فعموا عن طريق الحق وصموا عن استماعه ثم تاب
الله عليهم ثم عموا وصموا من بعد اخرى والمراد بهولاء اعقاب اولئك كثير
منهم بدل من الضمير لكونه موصوفا ولا حاجة الى جعله من قبيل اكلوني البراغيث والله
بصير بما يعملون وعيد لهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم اعاده لان ما تقدم مقاله من عاصر رسول الله الذين حاجوه من وفد نجران و
هذه مقاله من كان في عهد عيسى بدليل قوله وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله
ربي وربكم وقد سبق ان هذه مقاله اليعاقبة انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة منعه منها كما يمنع المكلف من الحرام وماويه النار منزل المعدله وما
للظالمين من انصار من كلامه تعالى اذا كان من ادعوا الالوهية هذا كلامه
من اين لهم ناصر بعده او من تمام نصح عيسى مواجهة اي لا ناصر لكم في هذا القول او من عذاب
الاخرة وايثار المظهر للدلالة على انهم بذلك القول داخلون في زمرة الظالمين وجمع الا
نصار اما باعتبار زعمهم او على طريق مقابلة الجمع بالجمع او بتقدير مضاف اي جنس الانصار لقد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة هولاء النسطورية والملكانية وما من اله يستحق العبادة
الا اله واحد في ذاته وصفاته وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلم

المظهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر واعلاما بانهم في الكفر لان المبين اعرف
واعرق من المبين لا محالة افلا يتوبون الى الله عطف على قوله لقد كفر او على مصدر
مقدر او الهمزة للتعجب من اصرارهم بعد تكرار الشهادة عليهم بالكفر ويستغفرونه لما
سلف من ذنوبهم والله غفور لما سلف رحيم حيث دعاهم الى التوبة بعد ذلك
الكفر البليغ ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل شانه كشانهم ان كانت
الشبهة في ابراء الاكمه والابرص فصيرورة عصا موسى حية مع تلك الصفات اعجب
وان كان في ولادته من غير والد فادم اولى بذلك منه وامه صديقة كساير الصديقين
وفيه دلالة على انها لم تكن نبية كما زعم بعضهم ولا موسومة بما رماها به اليهود كانا
ياكلان الطعام محتاجان الى ما يحتاج اليه ساير الحيوان وتخصيص الطعام لان
النصارى لا يقدرون على انكاره انظر كيف نبين لهم الايات على اسلوب بديع حاسم
للشبهة ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق بعد ظهوره ثم للتراخي بين
التعجبين لان اعراضهم بعد ذلك البيان العجيب اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا
يملك لكم ضرا ولا نفعا شيا من المضار والمنافع دنيا ودينا وابراء الاكمه و
الابرص لم يكن فيه مستقلا بل مستفيدا والله هو السميع لاقوالكم العليم بعقايدكم
واتعبدون العاجز وتذرون القادر على ان عدم ضره ونفعه اياهم كناية عن عجزه كما ان
السمع والعلم كناية عن القدرة وايثار ما لكون الكلام في مقام الكبرياء بتبعيده عن
مقام الالوهية قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق الى غير الحق او غلوا
غير الحق على انه وصف موكد كامس الدابر لان الغلو يكون حقا وباطلا لانه تجاوز
الى الافراط والتفريط عن الوسط المختار ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل قبل بعثة محمد
واضلوا كثيرا ممن شايعهم وضلوا بعد بعثته عن سواء السبيل متعلق بضلوا الثاني
وبالثاني معنى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم منفر عن اتباعهم بانهم
ملعونون على لسان الرسل ثابت لعنتهم في الكتب الالهية عن ابن عباس لعنهم الله في زبور
داود وانجيل عيسى وقيل دعا داود على اهل ايلة لما اعتدوا في السبت فمسخوا قردة ودعا عيسى
على اهل المايدة لما كفروا فمسخوا خنازير ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون لم يكن ذلك
اللعن الا للافراط والغلو في العصيان لان الرحيم لا يواخذ الا بعد الاسراف كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه تفسير للاعتداء في المعصية لان الانسان داعيه الى مباشرة المعصية
واما ترك النهي فلا والمعنى لم ينه بعضهم بعضا عن معاودة منكر او عن مثل منكر
فعلوه او ارادوا فعله روى ابو داود عن ابن مسعود ان رسول الله قال ان رجلا
بعد بني اسرائيل كان يرى الاخر في المعصية يقول له اتق الله ثم يلقاه في الغد فيكون اكيله
وشريبه ثم قال والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على
يد المسيء او ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض او يلعنكم كما لعنهم وروى ابو داود والترمذي
عن ابي سعيد ان رسول الله قال افضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جابر لبيس ما كانوا
يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ترقى بهم الحال في الضلال حتى
يوالون من باشر اشد المنكرات فضلا عن النهي عنه لبيس ما قدمت لهم انفسهم
ما اسوء ما قدموه ليوم شديد فيه احتياجهم ان سخط الله عليهم مخصوص بالذم على تقدير
المضاف اي موجب سخط الله وفي العذاب هم خالدون لا محالة ولو كانوا يؤمنون
بالله والنبي الذين امنوا به وما انزل اليه من الكتاب او بمحمد والقران على ان الكلام في
المنافقين اهل الكتاب ما اتخذوهم اولياء للتنافي بين الولايتين ولكن كثيرا منهم
فاسقون فلذلك يوادونهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين

والذين اشركوا كفى باليهود خزيا كونهم ملزوزين مع المشركين في قرن حيث ذكروا ولتجدن
اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى وان لم يكونوا من النصارى
حقا ذلك بان منهم قسيسين علماء من قس الشيء طلبه وقال ابن عيينة عن قس الاذى عو افلا
ورهبانا عبادا من رهب الشيء وانهم لا يستكبرون لرقة طبعهم ورافة قلوبهم وجعلنا في
قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة وفيه حث على محاسن الاخلاق فانها محمودة من الكافر فكيف
من المؤمن لما اعتق رسول الله بنت حاتم واعطاها نفقة فقال اكرموها فان اباها كان يقري
الضيف واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون يقال
فاض الماء اذا كثر وسال عن جوانب الحوض اطلق على الامتلاء اطلاق المسبب على السبب او
الاسناد مجاز مثل جرى النهر والدمع مصدر عن ابن عباس نزلت في النجاشي واصحابه وذلك ان
بعد وقعة بدر ارسل المشركون عمرو بن العاص الى النجاشي يطلب منه من هاجر الى الحبشة من اصحاب
رسول الله ليقتلوهم بدل قتلاهم فلما وفد اليه عمرو ذكر له انهم يعيبون عيسى ابن مريم فدعاهم
النجاشي الى مجلسه وجمع القسيسين والرهبان ووضعوا الكراسي ونشروا عليها الانجيل فلما حضروا
مجلسه وكان جعفر بن ابي طالب اكبرهم فساله النجاشي عن شان رسول الله وما يامر به فذكر
انه يامر بالصلوة والصدق والعفاف وصلة الارحام فقال هل معك من كلام الله الذي
جاء به قال بلى قال فاتل منه وكان جعفر حسن الصوت جهوريا افتتح سورة مريم فلما سمعوا
شان عيسى في حمله وتولده بكوا هذا البكاء الذي اخبر الله عنه فقال النجاشي لعمرو ابن العاص عيسى
قال عمرو الشيس يقول فيه انه عبد الله وكان بيد النجاشي قضيب فقال والله ان عيسى بن مريم لما يزيد
بان يكون عبد الله ثم رد هديه المشركين وقال لجعفر واصحابه كونوا امنين مما عرفوا
من الحق من الاولى ابتدائية والثانية بيانية وما موصولة او تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق
وما مصدرية يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين الذين يشهدون بالحق او مع
امة محمد الذين يشهدون للانبياء بالتبليغ وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق جملة حالية والعامل فيها
معنى الفعل في اللام استبعدوا ان يكونوا غير مؤمنين مع قيام موجب الايمان
روى الطبراني عن ابن عباس ان هؤلاء كانوا ملاحين قدموا مع جعفر واصحابه عام
خيبر فامنوا برسول الله فقال لهم لعلكم اذا رجعتم الى ارضكم انتقلتم قالوا وما لنا
لا نؤمن ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال اخرى والعامل فيها هو
العامل في الاولى مقيدا بها اي اي شيء يحصل لنا غير مؤمنين والحال انا نطمع او
حال من فاعل لا نؤمن او عطف عليه باعتبار النفي اي وما لنا نجمع عدم الايمان
والطمع او باعتبار المنفي اي وما لنا لا نجمع بين الايمان والطمع بالدخول في صحبة الصالحين
بالدخول في الاسلام فاثابهم الله بما قالوا بذلك القول الناشي عن
خلوص الاعتقاد جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين
كل محسن والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم الملازمون لها عبر الاسلوب
دلالة على سعة رحمته وسبقها يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم
كما فعل اهل الكتاب او لا تتركوها ترك الحرام تزهدا وتقشفا روى مسلم والبخاري
ان ناسا من اصحاب رسول الله سالوا ازواجه عن عمله سرا فكانهم تقالوه وقالوا
اين نحن منه فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فقال بعضهم انا لا اتزوج
النساء وقال بعضهم انا لا انام على الفراش فبلغ ذلك رسول الله فقال ما بال اقوام
يقولون كذا وكذا والله اني لاخشاكم واعلمكم بالله لكني اصوم وافطر وانوم وانام
واكل اللحم واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وعن الحسن انه دعي الى الطعام

يذهب باصحابه فقعد على المائدة وكان عليها الوان وفيها الفالوذ فاعتزل وقعد الشيخ ناحية
فقال الحسن يا راصايم هو قالوا لا لكنه يكره الالوان فاقبل الحسن عليه وقال لما تعد لعاب النحل
بلباب البر بخالص السمن ما عابه مسلم وقيل له ان فلانا لا ياكل الفالوذ ويقول لا اقدر على شكره
فقال الجاهل بنعم الله عليه في الماء البارد اكبر من الفالوذ وَلَا تَعْتَدُوا ولا تتجاوزوا حد الاعتدال
الى الاسراف او حد الشرع او بتحريم الطيبات او لا تظلموا مطلقا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَكُلُوا
مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا مقيدا بهذا الحال دل على ان الرزق قد يكون حراما وحمله
على الحال المؤكدة او صفة لمصدر خلاف الظاهر وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ
فان الايمان به وبصفاته وافعاله من الثواب والعقاب يوجب التقوى لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِا
للَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ هو قول الرجل لا والله وبلى والله من غير قصد اليه ذهب الشافعي
واحمد وما يظن انه كذا ولم يكن كذلك واليه ذهب ابو حنيفة وقيل اليمين في الغضب وَلَكِنْ
يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ عزمتم عليها وثقتموها بربط القلب قرأ حمزة وابو بكر والكسائي
وابن ذكوان بالتخفيف والباقون مشددا وزاد ابن ذكوان الفا بعد العين اما على ان المفاعلة
بمعنى فعل نحو عافاك الله او عاهدتم غيركم بالايمان والمختار القصر والتخفيف اكتفاء بمجرد العزم
فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ لكل مسكين نصب صفة اطعام او صفة مصدر اى
اطعاما من اوسط او مفعول به او بدل من اطعام الى اى صفة اطعام او صفة مصدر اى
اطعاما من اوسط او مفعول به او بدل من اطعام اى نصف صاع من بر او صاع من غيره عند
ابى حنيفة ومد من اى كان عند الشافعي مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ من الاعدل
بين الاعلى والادنى توسطا بين الافراط والتفريط وعن عطاء من خير أَوْ كِسْوَتُهُمْ
عطف على اطعام على ان الكسوة فعل فان قلت هل يصح عطفه على محل من اوسط قلت
نعم ان قدر مضاف اى الباس كسوتهم او يجعل من قبيل علفها تبنا وماء باردا والمقدار
من الكسوة ما ينطلق عليه اسمها أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ سالمة وشرط الشافعي الايمان حملا
للمطلق على المقيد في كفارة القتل فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فعليه صوم ثلثة ايام
وشرط ابو حنيفة التتابع لقراءة ابن مسعود ذَلِكَ المذكور كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ
وحنثتم في ايمانكم وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ لا تحنثوا فيها فان الحنث هتك لاسمه تعالى كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ مثل هذا البيان الشافي يبين ما يرد لا يل احكامه لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ نعم العلم والتخيير في الكفارة والتسهيل فيه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ
وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ الميسر القمار
والانصاب الاحجار المنصوبة التي كانوا يذبحون عليها لاصنامهم والازلام الاقداح التي
كانوا يتفالون بها او يقسمون بها الجزور والرجس النجس الا انه كثر فيما يستقذر من الاخلاق
فَاجْتَنِبُوهُ اى تعاطى المذكورات لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ لكي تفلحوا إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ
يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ افردهما بالذكر لان الكلام
مع المؤمنين وهم لم يتعاطوا الانصاب والازلام وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ
التي هي عماد دينكم ولذلك افردها فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ابلغ من ان يقال انتهوا لان
العاقل اذا تامل ما سبق من الاوصاف يرتدع لا محالة كانه قال قد تلى عليكم ما فيهما من الفساد
فمع هذا البيان هل انتم منتهون ام لا اكد تحريمهما بوجوه الكلام بانما وقرانهما بالانصاب
والازلام الذين هما من امارات اهل الاوثان والحكم عليهما بالنجاسة وجعل الاجتناب
عنهما الفلاح وما فيهما من ضرر الدنيا من وقوع العداوة والبغضاء الذين من الحجاب
عن ذكر الله الذي به حيوة القلوب الا بذكر الله تطمئن القلوب روى ابو داود
عن عمر ان رسول الله لعن في الخمر عشرة بائعها وشاربها وساقيها وشاربها

وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة له واكل ثمنها ولعنت الخمر عليها وروى مسلم
ان تميما الداري كان يهدي لرسول الله كل عام راوية خمر فجاء بها بعد تحريم الخمر فقال رسول
الله انها حرمت بعدك فقال يا رسول الله ابيعها وانتفع بثمنها قال ان الذي حرمها حرم
ثمنها وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا عن مخالفة امرهما ونواهيهما فَإِنْ
تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ فلا تضرون الا انفسكم فان الرسول
قد ابلغ ما عليه ابلاغه لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا
من الخمر قبل تحريمها روى البزار عن جابر ان ناسا قتلوا يوم احد وقد صبحوا الخمر فقال فيهم
اليهود فنزلت وقيل معناه رفع الجناح عن ساير المستلذات لئلا يقاس على الخمر وهذا
اوفق بقوله إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثبتوا على ايمانهم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا
ما تجدد حرمته كالخمر وَآمَنُوا بانه حكم الله ثُمَّ اتَّقَوْا ثم استمروا على التقوى وَأَحْسَنُوا
خلصوا في ذلك كله لقوله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه او احسنوا على الناس بما امكنهم
وقيل اشار في المواضع الثلثة الى مراتب التقوى الاول ان يتقى ما حرم الله وهي تقوى
العوام والثاني ان يتقى الشبهات وهو تقوى الخواص والثالث تقوى المقربين وهي ربط
السر عليه تعالى والى ذلك يشير قوله ما زاغ البصر وما طغى وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
يوفقهم للطاعات ويجري لهم المثوبات ويعفو عنهم السيئات يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ نزلت عام الحديبية كثر الصيد بينهم بحيث
كانوا يقدرون على اخذه باليد ابتلاء من الله ونكر الشيء تحقيرا له لانه ليس من الامور العظام كبذل
الاموال والارواح وحمل احمد والشافعي على التنويع مختصا بالماكول لانه المتعارف في الصيد و
لقوله خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن شيء الغراب والحداة والفارة والعقرب
والكلب العقور لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ليميز الخائف من عذابه ملتبسا با
لغيب عنه فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ بعد ورود النهي فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ في الاخرة و
عن ابن عباس يضرب ظهرا وبطنا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ
اعاد النداء وصرح بالنهي مبالغة وليرتب عليه الجزاء في الدنيا وذكر القتل دون الذبح لان
الصيد قل ما يتمكن من ذبحه وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا قاصدا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ
مِنَ النَّعَمِ اى فعليه جزاء يماثل المقتول حال كونه من جنس النعم وقرأ غير الكوفيين باضافة
جزاء اضافة المصدر الى المفعول اى فعليه ان يجزى المقتول مثله وجعل من قبيل مثلك
لا يبخل لا يلائم يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ بانه مثل المقتول ان لم يكن منصوصا من الشارع
هذا اذا كان له مثل في النعم والا فالقيمة وعند ابى حنيفة سواء كان المقتول مثليا او لا ليس
الا القيمة ثم يخير فيها ان شاء تصدق بها وان شاء اشترى هديا وجوز الشافعي ان
يكون القاتل احد الحكمين هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ يذبح في الحرم باتفاق الائمة فان قلت
وجوب الجزاء حكم عام في العمد والخطا فما وجه قوله متعمدا قلت انما ذكره ليرتب عليه حكم
التاثيم بقوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه فان قلت كيف الحق به الخطا في حكم
الجزاء ولا جامع بين الخطا والعمد قلت لم يلحق به قياسا بل اجماعا على ان ضمان المتلفات لا يختص
بالعمد أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ بدل من كفارة او عطف بيان وقرأ نافع وابن
عامر باضافة كفارة نحو خاتم فضة أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا يساوي الطعام بان يطعم
كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره او يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ
طعام مسكين يخير بين ان يتصدق به او يصوم عنه يوما هذا عند ابى حنيفة والشافعي الا ان
طعام مسكين مد من اى طعام كان عنده لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ يتعلق بمحذوف
دل عليه الكلام اى وجب عليه جزاء الصيد على النمط المذكور ليذوق وخامة

جنابة من الوبل وهو الثقل ومنه الوابل للمطر العظيم القطر عفا الله عما سلف
من الصيد قبل التحريم اذ لا مؤاخذة على الفروع قبل البيان اتفاقا ومن عاد بعد النهي
فينتقم الله منه بالكفارة او بالعقوبة اى فهو ينتقم الله منه خبر مبتدأ لان الجزاء
اذا كان مضارعا لا يدخله الفاء والله عزيز غالب ذو انتقام لا يقدر على منعه احد
اذا اراد احل لكم صيد البحر مصيده وطعامه ايضا متاعا لكم وللسيارة متعلق بطعاما
اى احل لكم الانتفاع بصيد البحر واكل طعام ذلك الصيد طريا لكم وللمسافرين تزودون
منه وقيل الضمير في طعامه للبحر وهو ما قذف ميتا رواه ابو هريرة مرفوعا وتخصيص ابي
حنيفة الصيد بالسمك يرده حديث ابن عمر هو البحر الطهور ماؤه الحل ميتته رواه البخاري
واهل السنن وكذا حديث جيش ابي عبيدة اكلوا ميتة من دابة تسمى عنبر وبقي معهم
بقية اكل منها رسول الله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ما دمتم محرمين اصطاده
بنفسه او امر غيره محرم للمحرم وخص ابو حنيفة بما اصطاده بنفسه او امر غيره ويرده حديث
صعب بن جثامة كما رواه البخاري ومسلم انه اهدى لرسول الله حمارا وحشيا وهو محرم
فرده عليه فلما راى انه شق عليه قال ما رددناه عليك الا انا حرم وانما رده لانه صاده
لاجله بدليل انه قبل من ابي قتادة كما رواه ايضا ولا دليل في قوله ما دمتم حرما
لانه قد حرم ما حرم سواء كان صيده او صيد غيره ولولا حديث ابي قتادة يحرم
مطلقا لدخوله تحت صيد البر ولا في قوله لا تقتلوا الصيد لان نهي المخاطب عن قتل
الصيد وهو محرم لا يدل على حل ما صاده غيره لاجله ولا على انه قيل لا يحل له لكن ولا
لغيره لانه في حكم الميتة فهذه الآية لاحكام اخرى لا تدل عليها الآية الاولى واتقوا الله
في المحافظة على حدوده الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة كما حرم صيد الحرم اشار
الى شرف الكعبة ليدل على ان من دخل في اعمالها وحريمها حقيق بان يؤمن من اداه
لسراية الامن منها اليه البيت الحرام عطف بيان وله في هذا الموضع شان
لا يخفى قياما للناس قيام الشيء وقوامه ما به صلاح الشيء واستقامته وكذلك البيت
الحرام للتجار يربحون فضل الاموال ويحطون حمل الاوزار عنده وقرأ ابن عامر قيما
مقصورا وهي لغة والشهر الحرام ذا الحجة لانه ايام الحج او الجنس لحصول الامن فيها و
التمكن من السفر والهدي يتمتع بها الفقراء ويثاب بها المتقربون والقلائد ذوات
القلائد افردها لانها اشرف واكثر ثوابا ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في
السموات وما في الارض فلا يخلو فعل عن حكمة وان الله بكل شيء عليم المذكور وغيره
اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم قدم صفة الجلال لانه في مقام التكليف
ما على الرسول الا البلاغ وقد ادى ما عليه والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
حث على الاخلاص قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث انهما المخاطب
في بادي الراي اردف نفي الحرام لان الحرام يحل القرابين والصدقات
على المجاورين المحاويج فاتقوا الله في انفاق الخبيث يا اولي الالباب يا ذوي العقول
الخالصة لعلكم تفلحون لكي تفوزوا يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم
تسؤكم روى الترمذي انهم سالوه في حجة الوداع اي كل عام فسكت ثم قالوا افي كل
عام فقال لو قلت لوجب ذروني ما تركتكم فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم ونزلت
وروى البخاري عن ابن عباس ان قوما كانوا يسالونه استهزاء فيقول الرجل من ابي
ويقول الآخر اذا ضلت ناقته اين ناقتي فنزلت وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن
تبد لكم اي حين نزول الوحي ان سالتم عنها تظهر لكم ببيان رسول الله وقيل ان تسالوا
عن تلك الاشيا ما دام رسول الله فيكم يظهر لكم ما يسوؤكم عفا الله عنها عما سلف

عما سلف من المسائل والله غفور للسيئات حليم لا يعاجل بالعقوبة قد سالها قوم
من قبلكم اى المسئلة دل عليها ذكر الفعل الضمير في موقع المصدر او هو من الحذف والايصال
والسؤال بمعنى الاستعطاء من سالته درهما كسؤال اصحاب المائدة وقوم صالح ثم اصبحوا بها
بما سالوا عنه او بسبب المسئلة كافرين ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام اردف
النهي عن السؤال باشياء من اخلاق الجاهلية تاكيدا للنهي اشارة الى ان تلك المسئلة من هذا
القبيل ومعنى ما جعل ما شرع والبحيرة ناقة كانت اذا نتجت خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اى
شقوه وحرموا الانتفاع بها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وكان الرجل يقول ان قدمت من سفري
سالما او شفيت من مرض فناقتي سائبة يريد تحريم الانتفاع بها او عبدي سائبة يريد ان
لا عقل ولا توارث واذا ولدت الشاة ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا
الذكر لآلهتهم وان ولدت ذكرا وحده ذبحوه واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا
قد حمى ظهره فلا تركب ولا يطرد عن ماء ومرعى وهذا هو الحام ولكن الذين كفروا
يفترون على الله الكذب كانوا يزعمون انه شرع ابراهيم روى البخاري عن ابي هريرة ان
رسول الله قال رايت عمرو بن لحي في النار يجر قصبه وهو اول من سيب السوايب وغير دين
ابراهيم واكثرهم لا يعقلون بل هم كالانعام فلذلك يصدر منهم ما لا يعقل واذا قيل
لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا تقرير لعدم
عقلهم وتناهي بلادتهم حيث لا يتبعون المؤيد بالمعجزات ويقلدون اباءهم اولو كان آباؤهم
لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة للانكار والمعنى ايقلدونهم وهم
على هذا الحال لان شرط المقتدي ان يكون عالما مهتديا يا ايها الذين آمنوا عليكم
انفسكم نصب انفسكم على الاغراء اى الزموا انفسكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم
عن المنكر بقدر الطاقة او لم تقدروا عليه لفساد الزمان لما روى الترمذي عن ابي
ثعلبة سالت رسول الله عن هذه الآية فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت
شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك فان
من ورائكم اياما الصبر فيهن كالقبض على الجمر للعامل فيهن اجر خمسين رجلا يعملون عملكم
لا يضركم من ضل مستانف او جزم على الجواب اذا اهتديتم بعد ان اديتم ما عليكم
من الامر والنهي الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين يا ايها
الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت ظرف للشهادة اى
شارف الموت حين الوصية بدل من اذا قيل في هذا الابدال دليل على وجوب الوصية
لانه جعل زمان حضور الموت الذي لا بد منه زمان الوصية قلت لا دلالة في ذلك كقولك
اغد الى اذا طلعت الشمس حين صلوة الضحى اثنان خبر مبتدأ على تقدير مضاف اى شهادة
بينكم شهادة اثنين او فاعل شهادة بينكم اى فرض عليكم ان يشهد اثنان ذوا عدل
منكم صفة اثنان اى من اقارب الموصي وعن ابن عباس من المسلمين او آخران
من غيركم من غير الاقارب او من غير المسلمين ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم
مصيبة الموت شارفكم عطف على ضربتم وجزاء الشرط محذوف دل عليه الكلام
اى ان وقع الموت في السفر ولم تجدوا الاقارب فاستشهدوا من الاجانب او من غير
المسلمين روى الترمذي وابن ماجة عن ابن عباس ان تميم بن اوس الداري وعدي
بن بداء كانا نصرانيين وكانا بالشام في تجارة فقدم مولى لبني سهم يقال له بزيل بن
ابي مريم فلما حضرته الوفاة اوصى اليهما ان يوصلا ما ترك الى اهله وكان في تركته
جام من فضة فباعاه بالف درهم واقتسماه قال تميم فلما اسلمت جئت اهله بخمسمائة
درهم واخبرتهم الخبر فوثبوا على عدي فانكر فاحتكموه الى رسول الله فاستحلفوه

قاله الكشاف والامام
والقاضي رحمه الله
سنه

بما يعظم به اهل دينه فحلف بقام عمرو بن العاص واخر من قومه فحلفا فرعت الخماية منه ففيهم نزلت
الايات تحبسونهما استيناف اوصفة لاخران من بعد الصلوة صلوة العصر لان رسول
الله استحلف عديا بعد صلوة العصر عند المنبر وقيل صلوة الظهر لان اهل الحجاز كانوا للحكومة
بعدها وقيل جنس الصلوة لانها تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله ان ارتبتم
اعتراض بين القسم وجوابه وهو لا نشتري به ثمنا اي بالقسم ولو كان ذا قربى
اي المقسم له ولا نكتم شهادة الله التي امر باظهارها وحفظها الاضافة للتعظيم انا اذا لمن
الاثمين لو كتمناها او حرفناها والغرض المبالغة في الصدق وايما الى انهما من الداخلين تحت
قوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين فان
عثر على انهما استحقا اثما اطلع على انهما جنيا اثما بان كذبا في تلك الشهادة يقال استحق
كذا اذا لاق به ان ينسب اليه ومرتكب الاثم حقيق بان ينسب اليه فجعل استحق كناية عن
الجناية فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم
وهم ورثة الميت الاوليان الاقربان من الميت من ساير الورثة رفع على البدل من اخران
او من ضمير يقومان او مبتدا خبره اخران لا العكس لكون الخبر معرفة والمبتدا نكرة او خبر مبتدا
محذوف اي هما الاوليان وقرا حفص استحق على بناء الفاعل على ان الاوليان فاعل والمعنى
استحق الاوليان على ساير الورثة اقامتهما للشهادة في مقابلة شهادة الجانيين وقرا حمزة وابو
بكر الاولين بصيغة الجمع صفة الذين مجرورا او نصبا على المدح فيقسمان بالله لشهادتنا
احق من شهادتهما اولى بالقبول كما فعل عمرو وصاحبه مع عدي وما اعتدينا
في هذه الشهادة ما هو الحق انا اذا لمن الظالمين داخلين في زمرتهم لو جا
وزنا الحق ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم
اي شرعية الحكم على الوجه المذكور اقرب الى ان ياتي الشهداء بالشهادة على وجه الصدق
او يخافوا من رد ايمانهم بقيام اخرين من اهل الميت يقسمان على خلاف ما اقسموا عليه
واي واحد من الامرين كان من اداء الشهادة بالصدق والامتناع عن الاداء على وجه الكذب
كان فيه صلاح فان قلت المايدة لا نسخ فيها وفي الاتين احكام لم يقل به الايمة وجوب الايصاء
الى اثنين وتحليف الشاهد وحلف اثنين من الورثة وكون اليمين بعد العصر قلت ليس في الاية ما
يوجب الايصاء الى اثنين بل دلالة على الاولى لا سيما في السفر فانه مظنة الافات والاثنان
اذا كانا وصيين يحلفان اذا اتهما كما في قصة بديل فان تميما وعديا كانا وصيين في ايصال التركة الى اهل
الموصي واما حلف الاثنين من الورثة فهو اذا ادعى الموصى بعد ثبوت الجناية تملك شيء من التركة
كما فعلا وتميم في الجام فاليمين على الورثة المنكرين فليست اليمين المردودة بعد حلف الوصيين
وذكر الاثنين للاستظهار حتى لو كان الوارث واحدا كان الحكم كذا بلا خلاف فان قلت
المذكور في الاية هو الشهادة فكيف يحمل على الايصاء قلت الايصاء اشهاد على نفسه كما ان الا
قرار كذلك لقوله كونوا قوامين شهداء لله ولو على انفسكم فان قلت هلا قيل بالنسخ
وفيه ارتفاع الاشكال قلت ناسخ لابد وان يكون متواترا واني لك به فان قلت اجماع
الايمة كاشف عنه قلت معارض بما ذكر من تقرير الاحكام واتقوا الله في احكامه واسمعوا
سماع تدبر وطاعة والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل متعلق بيهدي
او نصب باذكر او يوم يجمع الله الرسل يكون كيت وكيت او بدل من كلمة الجلالة كانه قيل
واتقوا الله يوم جمعه فيقول ماذا اجبتم اجابة اقرار او انكار والقصد اظهار
المعدلة وتوبيخ الامم المكذبة على رؤس الاشهاد وماذا نصب على المصدر قالوا لا علم لنا
بالنسبة الى علمك الشامل او مختص به دونك او لا علم لنا ببواطنهم وايمانهم النجي او هو
اظهار للشكاية كما يقول المتظلم في جواب الحاكم بحضرة الظالم ماذا فعل بك لا اعلم او لا علم لنا

اولا علم لنا بما احدثوا بعدنا كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل يدهشون
من هول السوال ثم يجيبون بعد ما يثوب اليهم عقولهم وفيه ان الرسل امنون لقوله
لا يخاف لدي المرسلون وكقولهم انك انت علام الغيوب وقرا حمزة وابو بكر بكسر
الغين لمناسبة الياء وثقل الضمة اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي بدل من يوم
يجمع الله الرسل من نمط ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار او نصب باذكر وقيل لما قال له
اذكر نعمتي كان يلبس الشعر وياكل الشجر لا اهل ولا مال ولا وطن ولا دار واليه اشار
ابو العلاء بقوله سعد المسيح في العزاء لا ولد يموت ولا ابناء تخرب والوجه هو الاول
لقوله وكنت عليهم شهيدا وقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم الان يقال لما علم عيسى
هذا المقام والسوال اختار ذلك العيش عليك وعلى والدتك بالاصطفاء على
نساء العالمين والنعمة على الاصول نعمة على الفروع اذ ايدتك بروح القدس
بالكلام الذي به حيوة القلوب لقوله تكلم الناس فروح القدس مجاز لغوي وحكمي
والاضافة الى القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الاثام وقيل بجبريل في المهد وكهلا
في الحالين على السوا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل خصا بالذكر مما بينا
وله الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة القول الصواب واذ تخلق من الطين
كهيئة الطير باذني بتوفيقي وتيسيري فتنفخ فيها الضمير للكاف لانه صفة
الهيئة المشبهة فتكون طيرا باذني كرر الاذن مبالغة في دفع وهم الاستقلال على
ما ظنه اهل الضلال وقرا نافع طايرا اي واحدا من جنس الطير وتبرئ الاكمه
الذي ولد اعمى والابرص باذني معجزة فان الاطبا معترفون بالعجز عن ذلك واذ تخرج
الموتى من قبورهم باذني قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وجارية وكان اذا اراد
احياء ميت صلى ركعتين ثم قال يا قديم يا خفي يا دايم يا فرد يا وتر يا احد يا صمد وقيل
لما احيى سام بن نوح راه اشمط فقال ما بالك اشمط ولم يكن في عهد ابرهيم شيب قال
لما ناديت ظننت انه يوم القيمة فمن ذلك هذا الشيب واذ كففت بني اسرائيل
عنك اليهود لما هموا بقتلك اذ جئتهم بالبينات المعجزات فقال الذين كفروا منهم
ان هذا الا سحر مبين ظاهر يعرفه كل احد وقرا حمزة والكسائي ساحر يريدون
عيسى واذ اوحيت الى الحواريين على لسانك او في الانجيل لانهم مكلفون
بما فيه كانه اوحي اليهم كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا او عن الحسن اوحي اليهم الهاما
كقوله واوحينا الى ام موسى ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد باننا
مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون ظرف لمسلمون او لقالوا امنا
يا عيسى ابن مريم المختار في اعرابه الفتح لانه علم موصوف بابن مضافا الى علم
هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء المايدة خوان اذا كان عليها طعام
من ماده اذا اعطاه كانها تعطي من تقدم اليها واستدل بظاهره على ان القايلين
لم يكونوا مومنين لان المومن لا يشك في قدرة الله تعالى والحق انهم كانوا مومنين
لقوله كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله وقولهم
هذا كقول ابرهيم كيف يحيي الموتى وقوله ليطمئن قلبي والسوال عن الفعل دون القدرة
تعبير عنه بلازمه وقرا الكسائي تستطيع بتاء الخطاب ونصب ربك اي سوال ربك
قال اتقوا الله ان كنتم مومنين كمالي الايمان قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن
قلوبنا بينوا عذرهم في طلبها بانهم ارادوها لغرض صحيح وهو ان يكتفي
بذلك عن طلب المعاش ويتوفر لطاعة الله ونعلم ان قد صدقتنا في رسالتك
علم المشاهدة الذي هو اعلى مراتب اليقين ونكون عليها من الشاهدين لبني اسرائيل

قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء لما علم صحة
عرضهم دعى الله لما طلبوه تكون لنا عيدا يوم نزولها قيل كان يوم احد ولذلك
اتخذه النصارى عيدا وقيل كناية عن السرور العائد لاولنا واخرنا واية منك
بدل بتكرير العامل اى لمن فى زماننا ولمن يأتى بعدنا من اهل الدين او المقدم والاتباع
او اخر الناس كاولهم وارزقنا ما سألناك وانت خير الرازقين اذ غيرك
واسطة وانت الرزاق حقيقة قال الله انى منزلها عليكم لا محالة اثر الجمع لان السؤال
كان لاجلهم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وكذلك
وقع فانهم لما كفروا مسخوا قردة وخنازير ولم يقع بعده مثله فان قلت ذكرت انهم
كانوا مؤمنين لقوله كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى
الى الله اى لكون الحواريين انصار الله فكيف يستقيم ان يكون المؤمنين مأمورين بان
يكونوا مثل قوم كفروا ومسخوا قردة وخنازير قلت الحواريون فرقتان فرقة استمروا
على ايمانهم وفرقة كفروا وروى ان عيسى لما اراد ان يسأل الله انزال المائدة لبس الصوف
وصلى ركعتين وقام على رجليه ناكسا رأسه مسبلا دمعه ودعا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين
حتى سقطت بين ايديهم فقال عيسى ليقم احسنكم عملا فليكشف عنها فقال شمعون انت
اولى بذلك فقام عيسى وصلى وبكى بكاء طويلا ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير
الرازقين فاذا فيها سمكة مشوية لا شوك فيها ولا فلوس تسيل دسما عند رأسها ملح و
عند ذنبها خل وحولها انواع البقول سوى الكراث وخمسة ارغفة على واحد منها زيتون
وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون امن
طعام الدنيا هذا يا روح الله او من طعام الجنة فقال ليس من شئ منهما ولكن شئ
ابدعه الله فكلوا واشكروا نعمة ربكم فقالوا لو اكلت اول كل فقال معاذ الله ليأكل من
سألها فخافوا فلم يأكلوا فاطعمها الفقراء وكانوا اكثر من الف فأكلوا حتى شبعوا ثم
طارت وكانت تنزل كل يوم ضحى يأكل منها الاغنياء والفقراء فاوحى الله الى عيسى ان اجعل
رزقها فى الفقراء فعظم ذلك على الاغنياء فشكوا وشككوا فمسخوا قردة وخنازير وما
روى عن الحسن انها لم تنزل لا يصح لقوله تعالى انى منزلها عليكم فان قلت لو نزلت لبقيت
الى اخر الدهر لقوله عيدا لاولنا واخرنا وبه تمسك الناقل عن الحسن قلت كان ذلك
مشروطا بعدم كفرهم واذ قال الله يا عيسى ابن مريم يقول يوم القيمة وايثار الماضى
لكونه محقق الوقوع ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله
سوى الله على انه صفة الهين فيكون الالهة ثلثة او يتعلق باتخذونى اى شريكين لله فى
الالوهية واستحقاق العبادة كما قال المشركون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله قال
سبحانك انزهك عما لا يليق بكرمك روى انه يقع على الارض ويسيل من تحت كل شعرة
عين من الدم ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق نفى الكون وما ليس بحق على وجه
العموم مبالغة فى التبرى عما نسب اليه ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا
اعلم ما فى نفسك اى تعلم معلومى ولا اعلم معلومك عبر عنه بلا اعلم ما فى نفسك
مشاكلة انك انت علام الغيوب لا غيرك تقرير للجملتين لان الحصر يشتمل على
الاثبات والنفى فالاثبات تقرير لتعلم ما فى نفسى والنفى تقرير لقوله ولا اعلم ما فى
نفسك ما قلت لهم الا ما امرتنى به رد العلم اليه على ابلغ وجه ثم نفى ما نسب
اليه كذلك ان اعبدوا الله ربى وربكم ان مفسرة لمعنى القول لكانه قال ما امرتهم
الا ما امرتنى به الا انه عدل عنه الى المنزل تأدبا لئلا يجعل ربه ونفسه امرين ولا يطرد
ان يجعل مفسرة بعد كل فعل فيه معنى القول ويجوز ان يكون مصدرية بدلا من المجرور

من المجرور فى به ولا يقدح فيه بقاء الموصول بلا عائد اذ ليس من شرط البدل استقامة المعنى به مع
طرح المبدل وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم مدة بقائى فيهم فلما توفيتنى
برفعى الى السماء كنت انت الرقيب عليهم المطلع على احوالهم وانت على كل شئ
شهيد مطلع ان تعذبهم فانهم عبادك والسيد متصرف فى ملكه وفى اضافة
العباد اليه تعطف وقيل معناه عبادك العاصون الاحقاء بالعذاب وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم الغالب الذى لا يغالب والحكيم الذى لا يفعل الا ما فيه
حكمة بل حكم فان قلت كان الظاهر انت الغفور الرحيم كما قال ابرهيم ومن عصانى
فانك غفور رحيم فاى وجه للعدول قلت قول ابراهيم فى الدنيا والعصاة احياء اشار
الى انك قادر على مغفرتهم وان ترحمهم بالتوبة واما العفو عن الكافر فى الاخرة فشأن
العزيز الغالب الذى يفعل ما يشاء والعفو عن الشرك جائز عقلا وانما امتنع لقوله ان الله
لا يغفر ان يشرك قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم اى هذا اليوم ينفع
صدق الصادقين وقراءة نافع بنصب يوم مفعولا فيه على ان هذا اشارة الى قوله ءانت
قلت للناس اى قال الله هذا القول لعيسى فى ذلك اليوم فان قلت فلا كان مبنيا كما فى
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا قلت اليه ذهب الكوفيون ومنعه البصريون لان المضارع
معرب ولا يقاس على لا تملك لان لا مع مدخوله غير متمكن فافترقا والمعنى انه فى هذا اليوم
ينفع الصادقين صدقهم المستمر بهم فى الدارين كصدق عيسى لان الصدق فى الاخرة
لا يجدى كصدق ابليس وسائر الكفار لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم
الذى كل فوز دونه لله ملك السموات والارض وما فيهن من الكائنات الا
جزاء والجزئيات وفيه تكذيب للنصارى لان عيسى وامه من جملة ما فى السموات و
الارض وهو على كل شئ قدير فيقدر على خلق الولد بلا والد اشارة الى
اراحة شبهة النصارى تمت المائدة والحمد لله على نعم الزائدة

سورة الانعام مكية وهى مائة وخمس وستون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور
اخبر بالجملة الاسمية الدالة على اختصاص المحامد فيه تواظهارا للغنى عن حمد الحامدين واشارة
الى ان حمدهم لم يثبت له شيئا لم يكن ثابتا بل ذلك منهم ذكر لبعض اوصاف الكمال ليعود
نفعه اليهم واوقع خلق السموات والارض وانشاء الظلمات والنور فيها فى مقابلة الحمد
لانها اصول النعم التى تعم الملائكة والثقلين وغيرها والفرق بين الخلق والجعل هو
لوحظ فى مفهوم الخلق التقدير والتسوية وفى الجعل معنى الارتباط بين الشيئين بان ينشأ
احدهما من الاخر كالظلمات والنور فانهما ينشآن من تكاثف الاجرام والنيرات وقد
يتعدى الى مفعولين فيكون فيه معنى التصيير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا وقدم السموات لعظمها وشرفها لا لتقدمها فى الوجود وجمع السموات دون الارض
للتخفيف لقوله ومن الارض مثلهن وجمع الظلمات دون النور لانه لا اراده الجنس ولم يعكس
ليكون فيه نوع طباق للسموات والارض وقيل لان اسباب الظلمة كثيرة بخلاف النور
وتفسير النور بالهدى والظلمات بالاضلال والهدى وقيل النور الهدى والظلمات
الضلال والاول كثير واحد والضلال كثير لا يلائم المقام ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون عطف على الاسمية اى انه تم حقيق بالحمد على هذه النعم والكفار يعدلون عن شكره
او على خلق اى الفعلية والمعنى خلق هذه الاجرام وما يترتب عليها من الظلمات والنور ثم الذين
كفروا يساوون به من لا يقدر على شئ البتة يعدلون من العدل وثم على الوجهين للاستبعاد

هو الذي خلقكم من طين قدم دليل الافاق قوله سنريهم اياتنا في
الافاق وفي انفسهم لتقدمها وظهورها وكونها اصولا وموادا ثم قضى اجلا
هو الموت واجل مسمى عنده تفرد به لا يعلم غيره وهو القيمة او ما بين الموت
والبعث والاجل يطلق على اخر المدة وعلى مجموعها وقيل الاول النوم والثاني الموت
وتنكر اجل مسمى للتعظيم ولذلك قدم على الظرف بخلاف قولك عندي ثوب
جيد وكتاب صحيح ثم انتم تمترون من المرية وهي الشك وهذا الاستبعاد فوق
الاول لانضمام دليل الانفس الى الافاق مع اشتماله على المبداء والمعاد ولذلك قدم
الضمير لتقوى الحكم وخاطب الذين هم به يعدلون توبيخا لهم وتقبيحا لما هم فيه من
الامتراء بعد هذا البرهان الجلي والدليل النير وهو الله مبتداء وخبره في السموات
وفي الارض المنفرد بالالوهية فيهما فالجار متعلق بما دل عليه لفظ الجلالة من
الصفات التي اشتهر بها او خبر بعد خبر يعلم سركم وجهركم تقرير لتفرده وتوحده
بالالوهية لان الذي يكون السر والجهر عنده سواء هو الله لا شريك له في ذلك
او خبر اخر ويعلم ما تكسبون من افعال ساير الجوارح تعميم بعد التخصيص اشار الى انه
كما تفرد بايجاد السموات والارض وانشاء الظلم والنور فيهما وخلق البشر من الطين
وحكمه عليهم بالموت ثم بالبعث كذلك يتفرد بما بين المبداء والمعاد من التدبير و
الالوهية في السموات والارض والعلم الشامل باقوالهم سرا وجهرا بل بجميع ما ياتون
ويذرون لا يعزب عنه مثقال ذرة وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها
معرضين عاد الى اسلوب الغيبة تبعيدا لهم عن ساحة الحضور لانكارهم الدلايل
والمعجزات الباهرة من الاولى استغراقية والثانية تبعيضية واثر كان ايماء الى ان اعراضهم
عن ايات الله امر مستمر فقد كذبوا بالحق لما جاءهم في معرض الجزاء الشرط
مقدر اي ان كانوا معرضين عن الايات الدالة على نبوتك فلا تعجب لانهم كذبوا
بما هو اعظم الايات وهو القران ولكماله في ظهوره عبر عنه بالحق فسوف ياتيهم
انباء ما كانوا به يستهزئون عنه نزول العذاب بهم جمع الانباء كناية عن عظم
العذاب لان الواقع اذا عظمت تواترت الاخبار بها الم يروا كم اهلكنا من
قبلهم من قرن القرن بالكسر مثلك في السن وبالفتح اهل زمان واحد و
قيل سبعون سنة وقيل ثمانون والاول هو المراد قال اذا ذهب القرن الذي
انت فيهم وخلفت في قرن فانت غريب الاستفهام للتقرير وكم خبرية والمعنى ان
هؤلاء قد شاهدوا اثار المكذبين فالهم لا يعتبرون وكانت مساكن عاد وثمود و
اصحاب الحجر في ممرهم الى الشام ويجوز ان يكون من رؤية القلب فانهم سمعوا
تلك الاخبار وتواترت عندهم مكناهم في الارض جعلناهم ممكنين
فيها يتصرفون كيف شاؤا في اعمار متطاولة وقوى واموال متزايدة ما لم نمكن لكم
يا اهل مكة عاد الى الخطاب ايقاظا لهم عن سنة الغفلة كما هو داب السيد الرؤف
يعرض عن عبده المذنب ثم يلتفت اليه ناصحا له وارسلنا السماء عليهم مدرارا
كثيرا انصبابها من الدرة وهي سيلان اللبن والسماء هو المطر كقوله اذا نزل السماء
بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا او السحاب والسماء حقيقة ومعنى ارسلها ارسال
ما فيها تجوزا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في ارغد عيش فاهلكناهم
بذنوبهم بالغوا في العصيان فاستاصلناهم ولم تغن عنهم تلك الاسباب والقوى
وانشانا من بعدهم قرنا اخرين يعمرون الارض ويسكنونها فنحن قادرون على ان
نفعل بكم ما فعلنا بهم ولكنك ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس وحيا مكتوبا في الورق

في الورق القرطاس بالكسر والضم وكذا القرطس بفتح القاف ما كتب فيه شيء فلمسوه بايديهم
لان اللمس باليد اقوى ما يكون في رفع الشبهة اذ لو قيده بالرؤية لقالوا انما سكرت ابصارنا
وذكر الايدي مع ان اللمس لا يكون الا باليد كقولهم ابصرته بعيني وسمعته باذني لقال الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين عنادا اثر المظهر ليدل على ان ذلك القول ناش عن كفرهم وقالوا
لولا انزل عليه ملك يشهد له بالرسالة ولو انزلنا ملكا يشهد له كما اقترحوه
لقضي الامر اي امر هلاكهم وشانهم لانهم لا بد وان يكذبوا ثم لا ينظرون طرفة
عين قد جرت عادته تعالى بانه يستاصل من كذب بعد الاية المقترحة كما فعل بثمود بعد الناقة وباصحاب
المايدة بعد نزولها وقيل لقضي الامر اي ماتوا من هول مشاهدة الملك وعظم خلقه والوجه
الاول للقول ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي لو كان ذلك الرسول الذي يطلبونه
ملكا لكان في صورة رجل لان البشر لا يقدر على الاستفادة من الملك وهو في صورته ولذلك
كان اكثر ما ياتي جبرئيل رسول الله في صورة دحية لانه كان اجمل العرب في زمانه وان راه
في صورته مرتين لم يستفد منه في تلك الحال وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب لو مقدر
اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فانهم اذا راوا الملك في صورة الانسان يقولون
ما هذا الا بشر مثلكم ويكون العمدة في تصديقه المعجزة وهؤلاء لا يؤمنون بها فلا فايدة
في ارساله ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله بان ما يلقاه ليس خاصا به
بل شان ساير الرسل مع المعاندين فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون
احاط بالمستهزئين منهم الذي جلبه الاستهزاء وتسبب وهو الهلاك والعذاب قل سيروا
في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين لما قصر ادراكهم عن الدلايل العقلية امرهم بالنظر
في الامور المحسوسة لا سيما البصر فان مدركه اجلى من كل بديهي والفرق بينه وبين قوله قل
سيروا في الارض فانظروا ان في الفاء معنى سببية الاول للثاني وليس مقصودا في ذاته ولا
كذلك في ثم بل السير مقصود لذاته قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا
حالا فيهما او جزاء داخلا قل لله متعين للجواب لا يقدرون على انكاره وان كانوا بكما
لا ينطقون به كتب على نفسه الرحمة كناية عن سعة رحمته وانها كالواجب الذي
لا يمكن الاخلال به ولذلك ارسل الرسل وامهل بعد التكذيب ليجمعنكم الى يوم القيمة
جواب قسم محذوف والمعنى يجمعكم في القبور الى يوم القيمة او في يوم القيمة الى بمعنى في وقيل
بدل بعض من رحمته لان جمعه في ذلك اليوم البعض رحمته وفيه ان الخطاب للفريقين
والى رحمته لمن يقول يا ليتني كنت ترابا لا ريب فيه في ذلك اليوم او الجمع الذين
خسروا انفسهم بابطال فطرتها وتضييعها تصديا لغواية وعدم النظر في الافاق
والانفس وموضعه رفع على الذم او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والظاهر كون عدم
الايمان سببا للخسران لكن قصد ان ابطال تلك الفطرة هو الذي ادى بهم الى عدم التصديق
وله ما سكن في الليل والنهار من السكنى تعديه بفي كقوله وسكنتم في مساكن الذين
ظلموا وقد يحذف كقولك سكنت الدار او من السكون ضد الحركة واكتفى به كقوله
سرابيل تقيكم الحر واثر السكون لانه ادخل في كونه نعمة وهو السميع العليم كما لا يخرج
عن ملكه وسلطانه شيء فكذلك لا يخفى عن سمعه سر ولا يعزب عن علمه ذرة قل اغير
الله اتخذ وليا كانوا يدعونه الى عبادة الاصنام ويقولون ما نعبد الهك حتى تعبد الهتنا
قدم المفعول لانه المنكر لا اتخاذ الولي مطلقا فان اتخاذ الله وليا مطلوب فاطر السموات
والارض خالقهما من فطرت الشيء شققته وعن ابن عباس ما كنت اعلم معنى الفاطر
حتى احتكم الي اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها وعله لم يكن لغة قريش وهو يطعم
ولا يطعم يرزق ولا يرزق ايثار الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ بفتح العين في الاول

ردّ على البيضاوي

وكسره في الثاني فالضميران لغير الله وعلى بناء الفاعل فيهما اي يطعم تارة ولا يطعم اخرى قل
اني امرت ان اكون اول من اسلم لكونه اول داع الى الله فلا يمكن تقدم غيره عليه
ولا تكونن من المشركين عطف على امرت بتقدير قل او على قل استدل على عدم
جواز غيره بالعقل بان غيره لا ينفع فلا يتخذه ذو عقل ثم بالنقل عمن له الخلق والامر
وقدم الدليل العقلي لكونه العمدة لعدم اعترافهم بصحة النقل قل اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم قطع لاطماعهم راسا وتعريض بانهم عصاة مستحقون للعذاب
واثر لفظ الرب ايماء الى ان من يكون مربيا محسنا عصيانه في غاية القبح والجواب محذوف
دل عليه ما تقدم من الشرط وفائدة هذا التقديم الاهتمام من يصرف عنه يومئذ
ذلك العذاب فقد رحمه بالنجاة من عذاب الاخرة اللهم اذقنا برد عفوك واسقنا
من صفو رحمتك وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يصرف بفتح الياء على بناء الفاعل وذلك
الفوز المبين الواضح المكشوف وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الخطاب له
صلى الله عليه وسلم والمراد تنبيه واسماع غيره او هو خطاب لكل احد وان يمسسك
بخير فهو على كل شيء قدير فكما قدر على ايصال الخير اليك قادر على ازالته فعليك
تقييده بالشكر وفي سورة يونس وان يردك بخير بلفظ الارادة بدل المس المنبي عن القلة
ترجيحا لجانب رحمته وانما قدم الشرط على الخير لان دفع المفاسد اهم من جلب المصالح وهو
القاهر فوق عباده تصوير لشانه ونفاذ امره فيهم تقرير للكلام السابق فان من تفرد
بالعلو ونفاذ الامر اليه يرجع الامر كله في الشر والخير وهو الحكيم يفعل على وفق
الحكمة الخبير ببواطن الامور فكما هو متصف بصفات الجلال كذلك متفرد بنعوت
الكمال قل اي شيء اكبر شهادة نزلت حين قال المشركون من يشهد لك بالرسالة
فانا قد سالنا اهل الكتاب فلم يعرفونك والشيء لغة يطلق على ما يتعقل ويمكن الاخبار
يعرفونك
عنه موجودا كان او معدوما محالا كان او ممكنا فهو ابلغ في العموم من قولك اي شهيد اكبر
قل الله شهيد بيني وبينكم يجوز ان يتم الكلام عند قوله الله اكبر ثم يبتدئ اي
هو شهيد وان يكون الله شهيد هو الجواب واوحي الي هذا القرآن لانذركم به
يا اهل مكة واكتفى بالانذار لكونه اهم ومن بلغ من الاسود والاحمر او الثقلين او الى يوم
القيمة فانه مرسل الى الكل ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى استفهام تقرير مع
انكار بليغ بان مثله لا يصلح ان يكون معه آلهة لقد اشركوا معه آلهة قل لا اشهد فان شهدوا
بتعدد الالهة فلا تشهد معهم قل انما هو اله واحد حصر الالوهية فيه وانني بريء
مما تشركون تصريح بما علم ضمنا الذين آتيناهم الكتاب من اليهود والنصارى الذين
سالهم المشركون وقالوا ليس ذلك المنعوت في الكتابين يعرفونه محمدا كما يعرفون ابناءهم
من غير تفرقة في كمال العلم والايقان عن عبد الله بن سلام انه قال اعرفه اقوى من معرفتي
بابني قال له عمر لم ذلك قال لاني ابني ربما لم يكن مني بان خانت امه واما محمد عليه السلام
لم يحتمل غيره فقبل عمر يافوخه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون استيناف لبيان
عدم ايمانهم اي ليس عدم الايمان لعدم المعرفة به بل لانهم افسدوا فطرة الله التي
هي بمنزلة الاكسير ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا لا احد اظلم ممن قصد الكذب
على الله وهم اليهود والنصارى والمشركون القائلون باتخاذ الولد او كذب باياته
المعجزات الدالة على صدق مدعي النبوة اثر او وان كانوا جامعين دلالة على ان كل واحد من
الامرين كاف في اظليه المتصف به فكيف بمن جمع انه الشان لا يفلح الظالمون
فما ظنك بالاظلم ويوم نحشرهم جميعا للجزاء نصب بمضمر اي يكون كيت وكيت حذف
للتهويل ثم نقول للذين اشركوا بالله اين شركاؤكم اي شركاء الله بزعمكم

بزعمكم الذين كنتم تزعمون انهم شركاؤه ولعلها لم تكن حاضرة حين هذا
القول لعدم غنائها وكانها ليست بحاضرة ثم لم تكن فتنتهم اي ضلالهم وكفرهم والفتنة
لغة الضلال والافساد قال ما انتم عليه بفاتنين اي مضلين مفسدين الا ان قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين يكذبون في ذلك اليوم عند من لا يخفى عليه خافية وذلك
اليوم
ان المرء يحشر على صفته التي كان عليها يموتون كما يعيشون ويحشرون كما يموتون وقيل
يقولون ذلك من فرط الحيرة والدهشة كما يقول المواخذ بالذنب عند العقوبة وان علم
انه لا يروج وانث لم تكن حمزة والكسائي لتانيث الخبر نحو من كانت امك وفتنتهم ابن كثير
وابن عامر وحفص بالرفع ونصب باء ربنا على النداء حمزة والكسائي انظر كيف كذبوا
على انفسهم تعجب من كذبهم فان الانسان ربما يكذب على الغير اذا رجي ان يروج منه واما
ان يكذب على نفسه مع الجزم بانه لا يروج منه فهو غاية السفاهة وضل عنهم ما كانوا
يفترون غاب عنهم ما كانوا يجعلونه عدة لذلك اليوم ومنهم من يستمع
غاب
اليك من المشركين من يستمع القرآن حين تتلوه استمع اليه نفر من المشركين فيهم
ابو جهل وابو سفيان والنضر بن الحارث فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما يقول
الا مثل ما اقول لكم وكان النضر قصص المشركين يقرا عليهم وقايع العجم مما جرى بين رستم
واسفنديار وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية لا يصل اليه الحق جمع كنان كازمة
وزمام وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا صمما وان استمعوا فلا سماع لفقد
الة هو بالفتح الثقل في الاذن وبالكسر هو الحمل وتقديم القلوب على الآذان مع ان ادراك
المسموع طريقها السمع لانها مناط الفايدة وان يروا كل آية ما اتيت بها ومالم يات
مما اقترحوها لا يؤمنوا بها لانهم مخلوقون للنار مختوم على قلوبهم حتى اذا جاؤك
ليس لحتى عمل لا تعمل في الجمل ويجوز تجريد اذا عن الظرفية فيكون مجرورا بها يجادلونك اي
بلغ كفرهم الى انهم لم يرضوا راسا براس بل يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق يقول الذين
كفروا ان هذا الا اساطير الاولين بيان للمجادلة او حال من فاعلها وهو العامل
في حتى والاساطير الاباطيل جمع اسطورة بالضم او الاسطارة بالكسر وهم ينهون عنه
وينأون عنه جمعوا بين الضلال والاضلال وكان اذا ورد مكة مسترشد يجذدونه ويمنعونه
عن اتباعه لرسول الله عن ابن عباس نزلت في ابي طالب فانه كان ينهى قريشا عن التعرض له وينأى
ابي طالب
ويجانب عنه وقيل في اعمامه العشرة وان يهلكون الا انفسهم لا تضر ما يباشرونه
لاحق بها وما يشعرون وليس لهم بذلك شعور اشارة الى انهم دون البهائم ولو ترى
اذ وقفوا على النار اروها وهي تحتهم مطلعين عليها او عرفوا مقدار عذابها من وقفته
على كذا عرفته اياه الخطاب لكل احد لان شناعة حالهم لا تختص رؤيته راء والجواب
محذوف اي لرايت امرا عظيما فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا من شدة العذاب ولا نكذب
بايات ربنا ونكون من المؤمنين عطف على التمني عطف الخبر على الانشاء لوقوعها
بعد القول او على المتمنى او حال عن ضميره وقوله انهم لكاذبون باعتبار ما تضمنه من الوعد
والا فالتمني انشاء قرا حمزة وحفص ولا نكذب بالنصب باضمار ان بعد الواو فانه كالفاء
في جواز الاضمار وقرا ونكون بالنصب حمزة وابن عامر وحفص فرفع ابن عامر الاول
على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عما تفو
هوا به اي ليس الامر كما زعموا بل لما شهدت عليهم جوارحهم وبدت فضايحهم وقعوا في
حيص بيص فذكروا ما ذكروا لا عزما على الايمان بقلوبهم والقول بان هذا قول المنافقين
يرده كون السورة مكية ولا نفاق بها ولو ردوا الى الدنيا بعد الوقوف على النار
لعادوا لما نهوا عنه لكونهم في علم الله من اصحاب النار وانهم لكاذبون

فى ذلك الوعد لعدم مطابقة الواقع وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا عطف
على الجزاء ولو ردوا والكفر او لقالوا كما يقولون قبل معاينة القيمة ان هى الا حيوتنا
الدنيا او على انهم لكاذبون فى كل ما يقولون وهم الذين قالوا ان هى الا حيوتنا او
عطف على نهوا وما نحن بمبعوثين مستانف لتقرير السابق وتوكيده ولو ترى
اذ وقفوا على ربهم للسوال على وجه التقريع كما يوقف العبد الجانى بين يدى مولاه
وهذا الوقوف اشد من الاول ولذلك اخر وقيل وقفوا على جزاء ربهم قال اليس
هذا بالحق مستانف جواب سوال كانه قيل ماذا قال لهم ربهم والاشارة
الى لقاء الله الذى ينكرونه لقوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله والاستفهام للتوبيخ
قالوا بلى وربنا اقرار موكد بالقسم واثر والفظ الرب لعلمهم بان ما كلفوا به فى
الدنيا كان تفضلا وتربية مع ما فيه من الاستعطاف قال فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون بكفركم وسترکم الحق قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله فايدة هذا
ترهيب للسامعين حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة غاية للتكذيب لان خسرانهم لا غاية له
والساعة من سوع بمعنى حضر سميت القيمة بها لسرعة مجيها كانها حاضرة والبغتة مصدر
نعت الامر اذا وقع فجاة نصب على الحال او على المصدر لانها نوع من المجى قالوا يا حسرتنا
تعال فهذا اوانك معناه التلهف والتدم من حسرة اذا كشف لانها يكشف عن الحزن
الكامن على ما فرطنا فيها فى الدنيا لسبق ذكرها او فى الساعة اى فى شانها والاعداد
لها والتفريط التقصير من فرط القوم سبقهم لانه لما فاته الامر كانه سبقه فلم يدركه
وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم اى يقولون ذلك القول والحال انهم
ظهورهم مثقلة بالاوزار والاثام واصل الوزر الثقل وذكر الظهر معه لكون الاثقال
اكثر ما تحمل على الظهر نحو قوله بما كسبت ايديكم الا ساء ما يزرون وزرهم
صدرة بحرف التنبيه تقاضيا للسامع وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو محصورة فى هاتين
الرذيلتين اللعب ما يجلب به السرور واللهو ما يدفع به الهم وتقديم كل منهما على الاخر من
المقام والكلام هم مستمتع الذين ياكلون كما ياكل الانعام فلذلك قدم اللعب وللدار
الاخرة خير للذين يتقون خص المتقين بالذكر لانهم الفايزون بها قرا ابن عامر ولدار الاخرة
بالاضافة افلا تعقلون بياء الغيبة اى المشركون وقرا نافع وابن عامر وحفص عن
عاصم بالخطاب تغليبا قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون قد للتحقيق مثل
قد يعلم الله المعوقين وما يقال انه للتكثير فيه ان علم الله لا يقبل الزيادة والنقصان
والذى يقولون هو [illegible] ان هذا الا اساطير الاولين وامثاله فانهم لا يكذبونك
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون فان قلت كذب الخبر عدم مطابقته للواقع و
التكذيب نسبة المخبر الى ذلك وكانوا مطبقين على تكذيبه فكيف نفى عنه قلت جعل تكذيبه
فكيف نفى عنه قلت جعل تكذيبه تكذيب الله فى اياته المنزلة استعظاما وتسلية او المنفى
صدور التكذيب عنهم بالقلب او ليس قصدهم تكذيبك لانك موسوم عندهم بالصدق
وانما يقصدون تكذيبى والجحود باياتى روى ابن جرير ان اخنس بن شريق خلا بابى جهل
يوم بدر وقال يا ابا الحكم اخبرنى عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس هنا غيرى
وغيرك فقال والله لم يكذب محمد قط وانه لصادق ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء
والسقاية والحجابة والنبوة فما لساير قريش قرا نافع والكسائى يكذبون مخففا ولقد
كذبت رسل من قبلك من لم يكن فى رتبته واوذوا بانواع من المحن
فصبروا عليها حتى اتاهم نصرنا الموعود فانت اولى بذلك ولا مبدل لكلمات الله
لمواعيده نحو قوله انا لننصر رسلنا ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم

انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبا المرسلين بعض اخبارهم فيما انزل اليك
من التعصية فاعل جاء وان كان كبر عليك اعراضهم عظم وشق اثر ان وان
كان اعراضهم محققا وشاقا عليه دلالة على انه ما كان ينبغى منه ذلك بعد علمه بحال الرسل
مع اممهم فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض او سلما فى السماء فتاتيهم باية جواب
محذوف لانسياق الذهن اليه اى فافعل والمجموع جواب للشرط الاول والمعنى قد علمت
حال الرسل وما قاسوا مع اممهم فعليك بالتاسى بهم وان عظم عليك ما تلقاه من اعراض
قومك فان قدرت على ان تطلب سربا ومنفذا فى الارض او درجا ومصعدا فى السماء فتاتيهم
باية تكون سبب تصديقهم عليك ان تبادر اليها وهذا الكلام مدح له صلى الله
عليه وسلم بشدة حرصه على ايمان قومه ووفور رافته والجار والمجرور فى الموضعين صفة
نفقا وسلما او يتعلقان بتبتغى او حالان من فاعله اى ذاهبا فى الارض او صاعدا فى السماء
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اى لو تعلقت مشيته بهدايتهم وجمعهم عليها لجمعهم
حذف مفعول المشية لدلالة الجواب عليه فلا تكونن من الجاهلين ان الكل
بمشيته وهذا وامثاله انما يقال له تعريضا لغيره وتنبيها له فى مواطن يضطرب فيه انما
يستجيب الذين يسمعون الاستجابة الاجابة على وفق ما دعى اليه ولا يتصور بدون
السماع والموتى يبعثهم الله يحييهم بقدرته والمعنى ان هولاء لكونهم مختوما
على قلوبهم فى حكم الموتى ولا قدرة لك على احياء الموتى مثل قوله انك لا تسمع الموتى
ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من فى القبور ثم اليه يرجعون فيسمعون
او فيجازيهم بما يستحقونه وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه قالوه عنادا وعدم اعتداد
بساير المعجزات كما قال قوم هود يا هود ما جئتنا ببينة وتذكير الفعل لان المونث غير حقيقى
مع وجود الفاصل قل ان الله قادر على ان ينزل اية اقترحوها كقولهم لن نومن
لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه او اية تضطرهم على الايمان كنتق الجبل على بنى اسرائيل ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان نزول الاية المقترحة ضرر لهم لانهم اذا عصوا بعدها استوصلوا
او لا يعلمون قدرته على ذلك لجهلهم بالله وبصفاته وما من دابة فى الارض ولا طائر
يطير بجناحيه ليس شى من هذين الجنسين الا امم امثالكم محفوظ احوالها مقدرة
ارزاقها واجالها وانما جمع الخبر وهو الامم مع كون المبتدا مفردا حملا على المعنى لان قوله من دابة
ولا طاير دال على الاستغراق مغن عن ان يقال وما من دواب ولا طيور ومعنى وصف دابة بفى
الارض وطاير يطير بجناحيه القصد الى زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة
قط فى جميع الارضين ولا طاير قط فى جو السماء الا امم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب
من شى فى اللوح المحفوظ فانه الديوان الذى يضبط امور الملك والملكوت وان كان
لا يعزب عن علمه تعالى شى اظهارا للعظمة وجريا على اداب الملك والسلطنة والقصد من
هذا الكلام اظهار كمال قدرته وعلمه ليكون دليلا على جهلهم وانه لو كان نزول الاية
من مصلحتهم لانزلها ثم الى ربهم يحشرون يعنى الامم كلها ذكر الضمير تغليبا للعقلاء
روى الامام احمد عن ابى ذر ان رسول الله راى شاتين ينتطحان فقال ان الله سيقضى بينهما
يوم القيمة وعن ابى هريرة يحشر كل ذى نفس لينصف المظلوم من الظالم حتى ينصف
الجما من القرنا والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون ما نتلوه عليك من الايات و
الذكر الحكيم وبكم لا ينطقون بالحق فى الظلمات مستغرقون فيها لان احوال الدواب
والطيور مشاهدة فمن لم يستدل بها على وحدانيته فهو غريق فى الظلمات وقيل ظلمة الجهل
وظلمة العناد وظلمة التقليد من يشا الله يضلله اضلاله ومن يشا يجعله على صراط
مستقيم مستعليا على الطريق القويم متمكنا تمكن الراكب من مركوبه غير الاسلوب دلالة

على علية رحمته قل ارايتكم اى اخبرونى لما كان العلم والمشاهده سبب الاخبار صح
وضع كل منهما موضع طلب الاخبار والكاف حرف لا محل له من الاعراب لانك
تقول ارايتك زيدا ماشانه فلو كان للكاف محل لكان التقدير ارايت نفسك
زيدا ماشانه ان اتاكم عذاب الله فى الدنيا او اتتكم الساعة من تدعون
اغير الله تدعون تخصونه بالدعا فيما دهاكم ان كنتم صادقين ان الاصنام
الهة دون الله جوابه محذوف اى فادعوها بل اياه تدعون عطف على اغير الله
اضراب عنه اى لا تدعون غيره لما تقرر فى النفوس وركز فى الاذهان انه لا يقدر
على دفع ضر سواه فيكشف ما تدعون اليه الى كشفه الفاء دلت على ان كشفه لا يتراخى
عن الدعاء لكمال قدرته وفور رافته ان شاء ذلك الكشف قيده بالمشية ليدل
على انه متفضل فى ذلك وتنسون ما تشركون من الاباطيل وفيه توبيخ شديد
لانها كانت معدة للشدايد ودفع الملمات فما نسيت عندها الا لحقادتها ولقد
ارسلنا الى امم من قبلك كاينة قبل زمانك من ابتدائية اذ لا يشترط معها
تقدير الانتهاء نحو اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقيل زايدة وليس بمرضى لان
الكلام موجب فاخذناهم بالباساء الباساء الجوع والقحط والضراء البلاء والمرض اسمان
موثثان لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون بدل عتوهم فلولا اذ جاءهم باسنا
تضرعوا حرف التحضيض للوم على ترك التضرع لقيام الموجب وعدم الصارف
ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك
بما يوجب شدة الانتقام منهم وهى قسوة القلب واتباعهم لما سول لهم الشيطان
وزينه فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء عدم تذكرهم لان العاقل
اذا ابتلى بشىء منهما توجه الى الله تضرع ويخضع له فيصرف عنه كما حكاه عن يونس وايوب
عليهما السلام فتحنا عليهم ابواب كل شىء فتح الابواب كناية عن افاضة النعم
وكثرتها اى انعمنا عليهم انواعا من كل جنس وكذلك عادة الله فى خلقه يراوح عليهم بالسراء
والضراء امتحانا بالصبر والشكر قرا ابن عامر فتحنا بالتشديد حتى اذا فرحوا بما
اوتوا من الخير والنعم ولم يزيدوا على الفرح والطرب من غير شكر ولا تصدق لاعتداد
اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ايسون من رحمة الله ابلس اذا يئس ومنه ابليس للشيطان
فقطع دابر القوم الذين ظلموا اى اهلكناهم عن اخرهم لان الدابر هو الاتى
فى دبرهم واذا لم يجئ هو فالغير من باب الاولى والحمد لله رب العالمين على هلاكهم
لان هلاك عدو الله وعدو المؤمنين لا نعمة فوقه وفى الحديث الكافر اذا مات
يستريح منه البلاد والعباد قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اى اصمكم واعماكم
قدم السمع لانه الة تلقى الاوامر والنواهى من الرسل وختم على قلوبكم فلا تدركون
شيا وتاخيرها لان صرف القوى واستعمالها مقدم على الادراكات ولذلك يقال
من فقد حسا فقد علما من اله غير الله ياتيكم به بالماخوذ لدلالة الفعل عليه او بالمذكور
اى ليس غيره انظر كيف نصرف الايات نكرر الدلايل الدالة على وحدانيتنا وصدقك
باساليب مختلفة تارة فى صورة الترغيب والترهيب وتارة بالنقل وتارة بالعقل الاستفهام
للتعجب ثم هم يصدفون يعرضون استبعاد لان يعرض من له فهم عن مثلها قل ارايتكم
ان اتيكم عذاب الله بغتة او جهرة ليلا او نهارا او غير موقت بوقت معين
كما خسف بقارون او موقتا كما اهلك قوم صالح فعقروها فقال تمتعوا فى داركم
ثلثة قرا حمزة والكسائى باتمام الصلاة ايام ذلك وعد غير مكذوب هل يهلك الا
القوم الظالمون اى لا يهلك احد سوى الظالمين وانتم منهم اذ لا ظلم

اذ لا ظلم فوق الشرك وما نرسل المرسلين الا مبشرين من امن ومنذرين
من عصى وكفر فمن امن منهم واصلح وندم على ما كان منه من الكفر والعصيان
فلا خوف عليهم لان الايمان يجب ما قبله ولا هم يحزنون على فوات ما ارتكبوه
قبل الايمان افرد الضمير اولا وجمعه ثانيا نظرا الى لفظ من ومعناه والذين كذبوا باياتنا
يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون المس اللمس باليد اسناده الى العذاب لجعله كا
لطالب لهم كناية عن سرعة نفاذ امره وايماء الى سعة رحمته لانه ينبئ عن القلة قل لا اقول
لكم عندى خزاين الله جواب لقولهم لولا انزل اليه ملك او يلقى اليه كنز
والخزاين جمع خزانة وهى ما يحفظ فيها الاموال من خزنت السر كتمته ولا اعلم الغيب
جواب لقولهم متى هذا الوعد لما كان توعدهم بمجئ العذاب محل نصب عطف على عندى
خزاين الله ولا اقول لكم انى ملك اقدر على ما يقدر عليه الملائكة ان اتبع الا ما يوحى
الى ليس لى من الصفات الا اتباع الوحى الحصر اضافى يريد التبرا عن تلك الدعاوى
الباطلة واثبات ما هو نهاية كمالات البشر قل هل يستوى الاعمى والبصير اى لا يستويان
مثل فى الضال والمهتدى او الجاهل والعالم وتقديم الاعمى مع ان الملكات مقدمة على
عدماتها لان الكلام مع المتصف بها افلا تتفكرون فتاتون بالفكر الصحيح ليؤديكم
الى الفرق بين الحق والباطل وانذر به بما يوحى اليك الذين يخافون ان يحشروا
الى ربهم من المؤمنين والكفار فان من لا يعتقد الحشر لا وجه لانذاره ومشركوا العرب
كان منهم من يعتقد الحشر ومنهم دهرية يقولون ما يهلكنا الا الدهر ليس لهم من دونه
ولى ولا شفيع فى موضع الحال او مستانف لعلهم يتقون راجيا انت منهم التقوى او
يرجى منهم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه روى مسلم
عن سعد بن ابى وقاص كنا ستة نفر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وابن مسعود ورجل
من هذيل وبلال ورجلان لست اسميهما فقال المشركون اطرد هولاء لا يجترؤن علينا فوقع
فى نفس رسول الله عليه السلام ما شاء الله ان يقع فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشى رواه مسلم والوجه الذات والتقييد به للاشارة الى الاخلاص وان
العمل بدونه كلا عمل ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء كانوا يقولون
ما تبعك يا محمد هولاء الا لفقرهم واحتياجهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يواسيهم فرد الله
تعالى مقالتهم بانه على تقدير صحة ما يقولون ليس مواخذا بذلك فان حسابهم لا يتعداهم
اليك ولا حسابك يتعداك اليهم والكلام وان كان مسوقا لبيان حسابهم الا انه ردف
بحسابه ليستوفى معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى من الثانية زايدة لتوكيد معنى الا
ستغراق والاولى ابتدائية والجار والمجرور حال من شىء قدم عليه لكونه نكرة وقيل
الضمير للمشركين ويرده قوله فتطردهم نصب لكونه جواب النفى فتكون من الظا
لمين جواب للنهى والمعنى لا تطردهم فتدخل فى زمرة الظالمين وكذلك فتنا بعضهم
ببعض ليقولوا اهولاء من الله عليهم من بيننا اى مثل ذلك الفتن الذى فتن به رؤسا
قريش مع المؤمنين فتنا ساير الناس بعضهم ببعض حتى كان ذلك سببا لقول المشركين
هذا القول وذلك ان المشركين لقصور نظرهم على حطام الدنيا كانوا يستبعدون وينكرون
ان يكون الفقراء ممنونا عليهم بالتوفيق دونهم ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه اليس
الله باعلم بالشاكرين الاستفهام للانكار يفيد الاثبات والمعنى الله اعلم بالشاكرين
نعمه وقد اقتضت حكمته بان يكون الشاكر منعما عليه بالاسلام واذا جاءك الذين يؤمنون
باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة امره باكرامهم مكان طردهم
ووصفهم بما يوجب ذلك وهو الايمان بايات الله واتباع حجج وان يبشرهم بان الله قد اعدلهم

رد على البيضاوى

لم يفرق اهل اللغة بين البؤس والضر ...

والضراء

لولا انزل

والكلام

ورآه هذا الاكرام من رحمته ما تقرب اعينهم وعبر عن ذلك بالكتابة مبالغة في صدق
الوعد وقيل ان قوما جاءوا الى رسول الله وقالوا انا قد اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيا
فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا استيناف وقراه نافع وابن عامر وعاصم
بالفتح بدلا من الرحمة بجهالة في موضع الحال اى جاهلا قبحه وكونه مما يضره في الدين روى ان عمر
بن الخطاب اشار الى رسول الله بطرد الفقراء عن مجلسه اذا حضره صناديد قريش او فاعلا فعل الجهلة
من غير روية اذ الحكيم لا يرتكب شيا الا بعد تامل ونظر في العاقبة ثم تاب من بعده بعد ذلك
العمل السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول
سوى نافع وكذلك نفصل الايات اى مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل ايات
القرآن في احوال المجرمين والمطبعين وهو انه ذكر اهل الطبع بقوله والذين كذبوا باياتنا صم
وبكم في الظلمات ومن فيه امارة القبول مومنا كان او كافرا بقوله وانذر به الذين يخافون
ان يحشروا والمتقين بقوله ولا تطرد الذين يدعون ولتستبين سبيل المجرمين
وقراه نافع بالتاء ونصب سبيلا ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعامل كلا بما يليق به
فصلنا ذلك التفصيل وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم برفع استبان بمعنى
تبين الجيد لازما ومتعديا والباقون بالياء لان السبيل يجوز فيه التذكير كالطريق اى ليتضح
لك قل اني نهيت نهاني الله قبل النبوة بما ركب في من العقل السالم عن معارضة الوهم
وبعده بالايات الزاجرة عن عبادة غيره ان اعبد الذين تدعون من دون الله ما تسمونها
الهة الدعاء بمعنى العبادة قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاؤكم عبادتكم قل لا اتبع اهواءكم
تصريح بما علم ضمنا قطعا لاطماعهم وتعليلا للانتهاء بانه اتباع للاهواء قد ضللت اذا
على تقدير وقوع ذلك ضلالا بينا وما انا من المهتدين من جملتهم معدود
انى زمرتهم قل انى على بينة من ربي دليل مبين للمطلوب يشمل الدلايل
العقلية والنقلية من القرآن وغيرها وكذبتم به الضمير للرب او للبينة لانها في معنى الدليل ما
عندي ما تستعجلون به العذاب الذى كانوا يستعجلونه بقولهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وبقولهم متى هذا الوعد
مستبطئين نزول العذاب ان الحكم الا لله له الامر كله ان قدم العذاب او اخر ليس لاحد عليه
اعتراض يقضي الحق اى القضاء او مفعول به اى يصنع الحق قال عليهما من الدرع مسرودتان
قضاهما داود او صنع السوابغ تبع وقرا نافع وابن كثير وعاصم يقص بالصاد من قص
اثره اذا تتبع وهو خير الفاصلين الحاكمين قل لو ان عندي ما تستعجلون به
من نزول العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لعاجلتكم بالعذاب انتقاما لله لاوليائكم
عليه وارحت الهم عن قلبي والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك لكي
تعلموا ان الامر بيده وهو اعلم بالظالمين وسيجازيكم على ظلمكم وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو شبه الغيب بالاشياء المستوثق بها بالاقفال استعارة بالكناية واثبت
لها المفاتح تخيلا جمع مفتح ومن عرف المفتاح وعرف كيف يفتح به يوصل به اليها في الخزانة
والله تعالى هو المتفرد بالغيب لا يقدر على التوصل اليها احد لان علم بمنزلة المفاتح ويجوز
ان يكون جمع مفتح بفتح الميم وهي المخزن اى عنده وخزاين الغيب ليس لاحد وصول
اليها يؤيده قوله وان من شيء الا عندنا خزاينه ويعلم ما في البر من الغرايب والبحر
من العجايب كيف وهو الذى ابدعها واودعها فيه وما تسقط من ورقة الا يعلمها
قبل سقوطها ووقت سقوطها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس
عطف على ورقة بحسب المعنى الا في كتاب مبين بدل من الا يعلمها بدل الكل لان
المراد به علمه تعالى او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح المحفوظ وقرئت الثلثة بالرفع عطف

عطف على محل من ورقة او على الابتداء والخبر الا في كتاب وهو الذى يتوفاكم بالليل
بالنوم الذى هو الموت الاصغر والتوفي اخذ الشيء وافيا وكذلك النايم لا وفق بينه وبين
الجماد ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم والا مفهوم للكلام بل بناء على الغالب ثم
يبعثكم فيه في النهار الذى بعد انقضاء الليل والنهار الاول هو السابق على الليل وانما
قدم التوفي لكونه اعرب وادل على كمال القدرة ليقضى اجل مسمى مدة مضروبة
للمنبعث فصل الى اخرها ثم اليه مرجعكم بعد بعث الموت ثم ينبئكم بما كنتم
تعملون فيجازيكم عليها الخطاب مع الكفار لقوله ثم انتم تشركون ولذلك بسط الكلام والا فقوله
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو كان دالا على ما فصل وهو القاهر فوق عباده
الغالب المتعالى يتصرف فيهم كما يشاء ويرسل عليكم حفظة الكرام الكاتبين الموكلين
يحفظ اعمالكم والحكمة في ذلك ان الانسان اذا علم ان له مراقبا يضبط حركاته وسكناته
وسيواجهه بها على رءوس الاشهاد يزجر عن القبايح بخلاف ما اذا كان الامر مفوضا على علم
مولاه فانه كثيرا ما يعتمد على لطفه ولذلك ترى اكثر الناس يستحيون من الناس ولا يستحيون
من الله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه قيل هم اربعة
عشر سبعة من ملايكة الرحمة وسبعة من ملايكة العذاب وهو الذى باشر قبض الروح فاذا قبضه فان
كان مومنا سلمه الى ملايكة الرحمة وان كان كافرا فالى ملايكة العذاب والارض بين يديه
مثل الطست ولا يرفع بصره عنها فاذا حان اجل واحد منهم خط اليه خط فيعلم بذلك ولم
يعلم قبل ذلك الا علام الغيوب وهم لا يفرطون لا يتجاوزون عن ذلك الوقت ولا
يتقدمون ثم ردوا الى الله بعد التوفي مولاهم الحق سيدهم الحق لان ساير
الموالى مجازية وهذا الرد يحتمل ان يكون بعد الموت حين يفارق الروح البدن لما روى مسلم
ان الارواح تعرض على الله فيقول الله تعالى ردوها الى اخر الاجل فتستقر ارواح المومنين في
عليين وارواح الكفار في سجين او الحشر الى الله للجزاء الا له الحكم لا لغيره صدره بحرف التنبيه ايقاظا
للسامع وهو اسرع الحاسبين اذ لا يشغله شان عن شان وفي الحديث يحاسب الخلق
في مقدار حلب شاة قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر كناية عن شدايدهما تدعونه
جملة حالية تضرعا وخفية معلنين ومخافين في الاصوات تمادها كم من الشدة
وقراه ابو بكر عن عاصم بكسر الخاء لئن انجيتنا من هذه الشدايد بتقدير القول اى
قايلين لنكونن من الشاكرين اللام الاولى موطية والثانية جواب القسم وقراه
الكوفيون انجانا بصيغة الغيبة قل الله ينجيكم منها متعين للجواب لا يقدرون على خلافه
شدده الكوفيون وهشام عن ابن عامر ومن كل كرب غم سواه اذ لا مؤثر في الكون
الا هو ثم انتم تشركون قدم الضمير لتفيد التقوي في الحكم وتبرز الجملة في صورة الاسمية
الدالة على الاستمرار زيادة في التوبيخ حيث بدلوا الشكر على تلك النعمة بالشرك المستمر قل
هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم بالطوفان والقذف بالحجارة والصيحة
كما فعل بقوم نوح ولوط وهود ومن تحت ارجلكم بالخسف والاغراق والزلازل
كما فعل بقارون وفرعون وقيل من فوقكم من قبل كباركم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم
او يلبسكم شيعا يخلطكم فرقا بان يشرب في قلوبكم اهواء مختلفة قال وكتيبة لبستها بكتيبة
حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم باس بعض شدته من القتل والنهب و
عن خباب بن الارت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قلت يا رسول الله لقد
رايتك تصلي صلوة ما رايتك تصلي مثلها قال اجل انها صلوة رغب ورهبة سالت ربي
فيها ثلثا فاعطاني اثنتين وزوى عني واحدة سالته ان لا يسلط على امتي عدوا من غيرهم
فاعطاني وسالته ان لا ياخذهم بالسنة فاعطاني وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم

ملك الموت

رواه الامام احمد

فنعنى انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد والامر والنهى والانجا والاهلاك
وتصريف الليل والنهار لعلهم يفقهون لكى يفهموا وفيه انهم من الجهل والبلادة
بمكان وكذب به قومك اى بالقران وهو الحق الكاين الذى لا محاد عنه والحق والصدق
متحدان ذاتا وان اختلفا اعتبارا قل لست عليكم بوكيل بمسلط عليكم اُملك التصرف
فيكم حتى اجبركم على التصديق به لكل نبإ مستقر لكل خبر اخبر الله به وقت قرار
ووقوع لا يتخطاه وسوف تعلمون ذلك اذا وقع واذا رايت الذين يخوضون
فى اياتنا كان المشركون اذا سمعوا القران كذبوه واستهزوا به نهى عن مجالستهم فى ذلك
الوقت الخطاب له والمراد هو وامته فاعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا فى
حديث غيره ذكر الضمير لكون الايات عبارة عن القران واما ينسينك
الشيطان اسناد مجازى لكونه بوسوسته وقرا ابن عامر ينسينك مشددا فلا
تقعد بعد الذكرى اى بعد تذكرك النهى مع القوم الظالمين
اثر الظاهر موضع المضمر اشارة الى انهم ظالمون بذلك الخوض وما على الذين يتقون
من حسابهم من شىء اذا جالسوهم حين خوضهم جعل نفى الحساب دليلا على
نفى الاثم ولكن ذكرى لكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويعرفوهم قبح صنيعهم فان ذلك
امر بالمعروف يوجرون عليه نصب على المصدر او رفع على الابتدا ولا يجوز عطفه على محل
من شىء لفساد المعنى ولا على لفظه لان من لا تزاد فى الاثبات ومنع زيادة من ههنا وتجويزه
فى قوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك تحكم لعلهم يتقون الخوض وتنفعهم الذكرى
ويجوز ان يكون الضمير للمتقين اى لعل المتقين يستمرون على تقواهم اذا نهوا المشركين
عن ذلك المنكر نزلت حين قال المسلمون لئن كنا نقوم كلما خاض المشركون فى القران
لم نقدر على طواف ولا صلوة وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لم يكن للمشركين
دين وانما اضاف اليهم الذين بمعنى انهم اتخذوا الدين الواجب الحق شيئا من جنس
اللعب واللهو وهو عبادة الاصنام او اتخذوا ما يتدينون به ويجعلونه بمنزلة الدين
من الاديان شيئا من اللعب واللهو اتخذوا دين الاسلام الذى هو دينهم الذى كلفوا به
لعبا ولهوا يسخرون به وقيل لكل قوم عيد اتخذوه لعبا ولهوا الا المسلمين فان عيدهم
الصلوة والصدقة والتكبير وغرتهم الحيوة الدنيا فلم ينظروا فى امر الاخرة وذكر به
اى بالقران ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك اصله المنع ومنه
شجاع باسل لامتناع من قرنه بقوته ليس لها من دون الله ولى ناصر يدفع عنها
العذاب بقوته ولا شفيع يتوب ذنوبها بشفاعته والجملة صفة نفس او حال من فاعل
كسبت وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء العدل يطلق على الفدية كما فى قوله
ولا يوخذ منها عدل والمراد ههنا الفداء لكونه مفعولا مطلقا لا يوخذ منها
الفعل مسند الى الجار والمجرور ولا يجوز اسناده الى ضمير المصدر لانه للتوكيد ولا يسند
اليه والى ضميره الا اذا كان للنوع او المرة اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى
المتخذون دينهم لعبا ولهوا اسلموا الى العذاب والهلاك بسبب كسبهم تلك الجرايم
لهم شراب من حميم وعذاب اليم استيناف لتفصيل ذلك الابسال او حال
من ضمير ابسلوا مبينين لهيئته بما كانوا يكفرون بما استمروا على الكفر قل اندعوا من
دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين
دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان قبل اسلامه والمعنى انعبد ما لا نفع فيه ولا
ضر متجاوزين عن عبادته تعالى ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ هدينا
الله الى الاسلام اى لا يكون ذلك كالذى استهوته الشياطين فى الارض استهامة

استهامة مردة الجن فى مهامه الارض لا يدرى مرامه من هوى يهوى بالكسر اذا سقط من
الاعلى الى الاسفل ومحل الكاف النصب على الحال من ضمير نرد اى مشبهين به حيران
متحيرا له اصحاب لهذا الذى استهوته الشياطين حال اخرى يدعونه الى الهدى الى ان
يهدوه او الى الطريق المستقيم تسميه بالمصدر مبالغة ائتنا قائلين له ائتنا رحمة عليه
وتعطفا قل ان هدى الله وهو الاسلام او الهداية اليه هو الهدى لا غيره
ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وامرنا لنسلم لرب العالمين عطف على محل
ان هدى الله داخل تحت القول واللام فيه للتعليل تقديره امرنا بان نسلم للاسلام لا
لغرض اخر وقيل اللام فيه بمعنى الباء وقيل زايدة وان اقيموا الصلوة واتقوه
عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلوة وانما امر رسول الله بان يقول هذا
الكلام مع ان الاية نزلت فى ابى بكر اشارة الى غاية الاتحاد بينهما وان كلا منهما يقوم
مقام الاخر وانه لو اجاب كان جوابه ما اجاب به رسول الله وفيه من تعظيم الصديق
ما لا يخفى وهو الذى اليه تحشرون لا الى غيره فيجازيكم على وفق اعمالكم وهو
الذى خلق السموات والارض بالحق اى خلقا ملتبسا بالحق لا بالباطل واللعب
كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وقوله ربنا ما خلقت هذا باطلا
والمعنى انا خلقناهما ليتدبروا فى شانهما ويستدلوا بذلك على كمال قدرة مبدعهما
وعلى وحدانيته وتفرده بالالوهية ويوم يقول كن فيكون قوله الحق قوله مبتدا
والحق صفته ويوم يقول خبره مثل قولك القتال يوم الجمعة والمعنى قوله الحق كاين
حين يقول لشىء من الاشيا كن فيكون ذلك الشىء فيكون برهانا على قوله وهو الذى
خلق السموات والارض بالحق لدخول كينونتهما تحت هذا العموم ويجوز ان يراد بالقول
المقول والمقضى فالظرف يتعلق بمقدر اى يقوم بالحق حين يقول المقضية كن لعدم جواز
الاخبار بالظرف حينئذ وله الملك مبتدا وخبر يوم ينفخ فى الصور ظرف له
والمعنى لا ملك فى ذلك اليوم لا حقيقة ولا مجازا الا له تعالى والصور قرن فيه ارواح
الخلايق فاذا كان وقت البعث نفخ فيه اسرافيل فطار كل روح الى جسده وعن الكلبى لا ادرى
معنى الصور وقيل جمع صورة كبسرة وبسر والمعنى ينفخ فى الصور اى الاجسام عالم الغيب
والشهادة رفع على المدح او خبر مبتدا وهو الحكيم فى كل صنع الخبير ببواطن الاشياء
واحوالها فذلكة الاية لان من يكون له ذلك الابداع لا يكون الا كذلك واذ قال
ابرهيم لابيه ازر كان المشركون يزعمون انهم على ملة ابرهيم ويدعون الاستغنا
بذلك عن ساير الاديان فلما نعى عليهم عبادة الاصنام كذبهم فى دعواهم الانتسا
الى ملته فانه قدوة الموحدين واول من كسر الاصنام وازر عطف بيان لابيه واتفق
المورخون على ان اسم ابيه تارخ فقيل هما علمان كاسرايل ويعقوب وقيل ازر لقب
ومعناه الشيخ او المعوج وقيل اسم صنم والمضاف مقدر وقيل نصب بفعل يفسره
ما بعده اى تعبد ازر وقرى بالرفع على النداء اتتخذ اصناما الهة اتى بصيغة
الجمع مبالغة فى تجهيله حيث لم يرض باله اخر من دون الله انى اراك وقومك فى
ضلال مبين ظاهر لان ما لا يسمع ولا يبصر بينه وبين الالوهية بون بعيد وكذلك نرى
ابرهيم ملكوت السموات والارض كما وفقناه لاطلاعه على ضلال قومه شرحنا صدره
بالمعارف والملكوت من الملك كالرهبوت من الرهبة وايثار المضارع حكاية عن
الماضى وتصوير له وليكون من الموقنين فعلنا ذلك او ليستدل وليكون
فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى عطف قال ابراهيم
وكذلك نرى جملة معترضة او تفصيل وبيان لروية الملكوت كان ابوه وقومه يعبدون

لو اجاب

واز عطف بيان

من قبلك

الاصنام والكواكب فاراد ان يوقظهم من غفلتهم ويرشدهم الى طريق الاستدلال و
يعرفهم ان النظر الصحيح يأبى ان يكون شئ منها الها لظهور امارة الحدوث منها وقيل قال هذا
الكلام اول اوان بلوغه بقال جن عليه الليل وجن عليه اظلم فلما افل قال لا احب الافلين
الافول الغروب ومن عدم محبة يلزم عدم العبادة بالطريق الاولى فلما راى القمر
بازغا طالعا ابتدأ البزوغ جاء اول فال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن
من القوم الضالين استعان به في درك الحق لما التبس عليه الامر وكثرت الشبه او اراد
تنبيه قومه بانهم على الضلال ان لم يوفقهم الله واخبر عن نفسه اظهارا للنصف فلما راى الشمس
بازغة قال هذا ربي هذا اكبر لان عظم الاله مركوز في النفوس او قاله اظهارا الشبه
الخصم وانما ذكر اسم الاشارة مع ان المشار اليه مؤنث باعتبار الخبر وفيه صيانة الرب
عن لفظ المؤنث فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام العلوية لانها
متغيرة متبدلة من حال الى حال وذلك دليل الحدوث مناف للالوهية وانما استدل
بالافول دون البزوغ مع ان كلا منهما امارة الحدوث لان بالبزوغ يظهر سلطان
الكوكب وكماله ولذلك تسجد عبدة الشمس حين طلوعه وبالافول يزول وينعدم اثره
فهو ابهر في الدلالة ولتعدد دلالته لكونه مسبوقا بالبزوغ وقيل لانه راى الكوكب
الذي كانوا يعبدونه في وسط السما حين حاول الاستدلال ولا يطرد في القمر والشمس
لذكر البزوغ فيهما مع ان اللفظ يأبى ذلك التوجيه لتنكير الكوكب اني وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين لما ابطل شبهة قومه وادى
ما عليه من النصح وصرح بالبراءة من تلك الشركاء صرف كليته الى من فطر السموات السابق
في الوجود على تلك الكواكب وتراعى الاشراك راسا بعد تبرؤه عما يشركون وحاجه
قومه خاصموه في التوحيد ونفي الشركاء كما قال مشركو العرب لرسول الله اجعل الالهة
الها واحدا ان هذا الشئ عجاب قال اتحاجوني في الله انكر المحاجة في وحدانيته
ففي كل شئ له آية تدل على انه واحد وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان
الله الى توحيده ولا اخاف ما تشركون به كانوا يخوفون بان آلهتهم ستصيبه بمكروه
الا ان يشاء ربي شيئا اي الا وقت مشية الله ان يصيبني مكروه منها بتجديد اخافه
وسع ربي كل شئ علما لعل ان يكون تعلق علمه بان يصل الي منها مكروه او انه
علمه محيط بكل شئ فهو عالم باني لا اخاف ما اشركتم به فان الخوف فعل القلب لا يطلع
عليه غيره تعالى افلا تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم معناه استبعادا لانها لا تضر ولا تنفع
ولا تخافون انكم اشركتم بالله بمن بيده الضر والنفع اي ما لكم تنكرون علي الامن في
موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ما لم ينزل به عليكم سلطانا
دليلا قاطعا لا يجوز مخالفته فان حسن الاشياء وقبحها منه تعالى فاي الفريقين احق
بالامن اذا تأملتم كلامي فاي واحد احق بالامن مني ومنكم نظير قوله صلى الله عليه
وسلم للمشركين وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين هذا النوع من الكلام المنصف
وانما عدل الى الفريقين ولم يقل انا وانتم تحاشيا من تزكية النفس ان كنتم تعلمون
ما يجب ان يخاف الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون
يجوز ان يكون جوابا منه او من الله تعالى واللبس هو الخلط والظلم هو الشرك روي انه
لما نزلت شق على المسلمين فقالوا واينا لم يظلم يا رسول الله فقال ليس ما تظنونه بل
هو الشرك قال لقمان لابنه ان الشرك لظلم عظيم فالتنوين في بظلم للتعظيم ومعنى
لبس الايمان بالكفر تغطيته به وستره ولذلك يسمى ما يستر الانسان لباسا ولو اجري
الظلم على عمومه لم يلزم منه تعذيب العصاة غايته ان لا يكون لهم الامن

لهم الامن وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه اي ما استدل به ابرهيم من تلك
الدلايل انما علمه بهذا بتنا لانه استعان بنا حيث قال لئن لم يهدني ربي لاكونن
من القوم الضالين والجار في قوله على قومه متعلق بحجتنا سواء جعلته خبر تلك او
بدلا منه نرفع درجات من نشاء بالعلم والمعارف قراءة الكوفيون بالتنوين
ونصب درجات على المصدرية او التمييز وهو ابلغ ان ربك حكيم في افعاله عليم بحال من يستحق الرفع
والخفض ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة فان الذرية الصالحة من
النعم الجزيلة كلا هدينا كلا منهما مفعول لهدينا ونوحا هدينا من قبل
اي من قبل ابرهيم عده نعمة على ابرهيم لان شرف الاباء سري الى الابناء ومن ذريته الضمير لنوح
لان لوطا ويونس ليسا من ذرية ابرهيم وقيل الضمير لابراهيم والمذكورون من ذريته تغليبا
ولعل هذا هو الراجح لان سوق الكلام له بانه لما قرر حجة التوحيد وذب عنها اكرمه الله تعالى
برفع الدرجات وجعل مشاهير الانبيا من ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف و
موسى وهرون معطوفات على نوحا وكذلك نجزي المحسنين كما جزينا ابرهيم
بانواع من الكرامات وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين الكاملين
في الصلاح واسمعيل واليسع وقرأ حمزة والكسائي والليسع بتشديد اللام
وسكون اليا على انه اعجمي دخله اللام ويونس بن متى ولوطا بن هاران بن تارخ و
كلا فضلنا على العالمين بالنبوة ويدخل في العالمين الملائكة ومن آبائهم وذرياتهم
واخوانهم عطف على كلا ومن تبعيضية اي فضلنا كل الانبيا وبعض اباءهم وذرياتهم واخوانهم
وعلم من ذكر عيسى في الذرية اطلاقها على اولاد البنات واجتبيناهم عطف على فضلنا
او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم كرره لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى
الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما
كانوا يعملون اي لو اشرك هؤلاء الانبياء الكمل مع علو شانهم لحبط عملهم كما يحبط عمل
ساير الناس فان الله غني عن العالمين هذا امر فرضي ولذلك اتى بلو الدال على استحالة وقوع
الشئ اولئك الذين آتيناهم الكتاب جنس الكتاب والحكم الامر والقضا على
الناس والنبوة ذكرها بعد ايتاء الكتاب دفعا للتجوز فان الكتاب يضاف الى الامة
لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم فان يكفر بها بالتوحيد او بالثلث المذكورة
هؤلاء كفار مكة فقد وكلنا بها قوما هم الانبيا المذكورون وقيل هم
اصحاب رسول الله وكل من آمن به وقيل الملائكة وادعى الانصار انها لهم وقيل هم
الفرس قال مجاهد ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها ليسوا
بها بكافرين البا الاولى صلة كافرين والثانية تاكيد النفي اولئك الذين
هدى الله اي الانبيا المذكورون فبهداهم اقتده المراد بها الالهيات واصول
الدين التي لا تتبدل بتبدل الملل لقوله لكل منكم جعلنا شرعة ومنهاجا فلا دليل في الاية
على انه عليه السلام كان متعبدا بشرع من قبله وقرأ حمزة والكسائي بحذف الها وابن
عامر بكسر الهاء على انها كناية المصدر والباقون بسكونها اجراء للوصل مجرى الوقف
واتفق الكل على السكون في الوقف قل لا اسألكم عليه على التبليغ اجرا حتى تتهموني بذلك
ان هو اي ما التبليغ الا ذكرى للعالمين الا تذكرة وموعظة لكل من يعقل من
الثقلين وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ لما ذكر دوسا
الانبيا واتفاقهم في الملة واصل الدين تشنع على انكر النبوة راسا بانه جاهل بالله و
بصفاته فانه ارحم الراحمين كيف يترك عباده في ظلمة الجهل من غير ارسال يبصرهم
طريق الوصول اليه تعالى ولم يعرفوا ايضا شدة عذابه وقوة بطشه ولذلك اقدموا

رد على الصفاقسي انه بدلا يتعلق به لعدم المعنى بعد وجه العود ان استعمال المبدل للبس سقوط المبدل منه ١٢

وكذلك

وكل من

على هذا القول روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا اليهود الى الله وكان
مالك بن الصيف من احبار اليهود وحاضرا شرع يدافع كلام رسول الله جهلا وعنادا
فقال له رسول الله انشدك بالذى انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض
الحبر السمين وقد سمنت مما اطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر بن الخطاب و
قال ما انزل الله على بشر من شئ فقال قومه ويلك ما هذا الذى بدا منك فقال انه
اغضبنى فقلت ما بلغكم فنزعوه عن الحبورة وولوا كعب بن الاشرف وقيل نزلت فى مشركى
مكة لان السورة مكية ويرده قوله يجعلونه قراطيس لانه صفة اليهود قل من انزل الكتاب
الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا
الزام لليهود بما لا يقدرون على انكاره وادرج فيه ما هو نهاية فى التقريع بان الكلام
المنزل على موسى جملة جعلوه بحسب اغراضهم اوراقا متفرقة يظهرون بعضه الذى يوافق غرضهم
الفاسد ويخفون الذى لا يلايمهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الثلث بالغيبة والخطاب
ابلغ توبيخا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة على ما فى التورية من المعارف
والحكم الذى خص بها القران الكريم هذا ان كان المراد بالاية اليهود وان كان المشركين فالامر
ظاهر فانهم ما اندروا ولا اباؤهم قل الله متعين للجواب لا يمكن سواه ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون دعهم فى اباطيلهم لا عيبن فلا عليك بعد ذلك التبليغ منسوخة
باية السيف ويلعبون حال من المنصوب فى ذرهم او من المجرور فى خوضهم ويجوز ان يكون
فى خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة او لذرهم وهذا كتاب انزلناه مبارك
المشار اليه هو القران والمبارك من البركة وهى النما والزيادة فى الرد عليهم بانزال
التورية امر رسول الله بالجواب وفى انزال القران اجاب بنفسه مسند الانزال الى
ضمير الجمع الدال على عظم المنزل اجلالا للقران مصدق الذى بين يديه من الكتب
السماوية فلا وجه لانكاره لا سيما ممن يكون من اهل الكتاب ولتنذر ام القرى
عطف على ما دل عليه وصف الكتاب لان المعنى انزلناه للبركات والتصديق و
الانذار قراءه بالغيبة ابو بكر عن عاصم والخطاب احسن لان رسول الله هو المنذر
حقيقة وام القرى مكة لانها مكان اول بيت وضع للناس او لان الارض دحيت من
تحتها او لان الناس يرجعون اليها فى المواسم او لعظم شانها وكونها قبلة ساير القرى
ومن حولها من جميع الجوانب الى انقطاع الارض والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم يحافظون لان من ايقن بالاخرة وما فيها من الثواب والعقاب هو الذى
يتامل فى القران ويتدبره ويبعثه ذلك على الايمان به رجاء لذلك الثواب وخوفا من
ذلك العقاب وانما وصفهم بمحافظة الصلوة لانها عماد الدين لتكررها واشتمالها على
شرايط كثيرة ولذلك وصفها بانها كبيرة الا على الخاشعين ولان الاتيان بها لا يخل
بغيرها فى الاغلب ولذلك وصفها بانها تنهى عن الفحشاء والمنكر ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم منه وهو الذى يدعى الرسالة لنفسه افتراء على
الله مثل مسيلمة الكذاب والاسود العنسى او قال اوحى الى ولم يوح اليه شئ
كعبد الله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله الوحى فلما نزل اول قد افلح المؤمنون
القاه اليه رسول الله حتى بلغ خلق الانسان وتقلبه فى اطواره من النطفة الى العلقة
ثم الى المضغة ثم الى كسوة العظام لحما ثم الى انشائه خلقا اخر وكان عربيا بليغا قال
فتبارك الله احسن الخالقين فقال له رسول الله اكتب كذا نزل فقال ان كان محمد
صادقا فقد نزل على الوحى كما نزل اليه فارتد ثم عاد الى الاسلام واكثر بلاد المغرب
فتحت على يديه فى زمن عثمان وقيل كان يكتب فى موضع عليم حكيم عزيز حكيم وفى موضع

وفى موضع سميع عليم غفور رحيم وهذا باطل اذ لو وقع منه ذلك مرة لنبه عليه
رسول الله لقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن قال سانزل مثل
ما انزل الله هو النضر بن الحارث القائل لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون
المذكورون فى غمرات الموت شدائده وهى سكراته من غمره الماء اذا ستره والملائكة
باسطوا ايديهم كناية عن غاية التسلط فان الغريم اذا بالغ فى التقاضى بسط يديه
جاذبا باطواق صاحبه اخرجوا انفسكم قائلين لهم هذا القول تغليظا عليهم والجا
ئا لاسماعهم ليتكامل عليهم العذاب من جميع الحواس او اخرجوها من ايدينا ان كان لكم
قدرة وقد علموا ان لا قدرة لهم فهو من النمط الاول اليوم تجزون عذاب الهون
من تمام المقول والمراد به يوم الموت او الوقت الممتد من الموت الى ما لا ينتهى والهون الهوان
الشديد واضافة العذاب اليه من قبيل رجل سوء يفيد العراقة فى الهوان بما كنتم تقولون
على الله غير الحق من انزال الوحى ودعوى النبوة واثبات الشريك والولد له تعالى
وكنتم عن اياته تستكبرون ترفعون انفسكم عن التدبر فيها فلا يؤمنون بها و
لقد جئتمونا فرادى منفردين عن الاموال والاولاد والطواغيت التى كنتم تعبدونها
جمع فرد على خلاف القياس كانه لما كان بمعنى الفردان على وزن السكران جمع جمعه كما
خلقناكم اول مرة بدل من فرادى او حال ثانية او صفة مصدر جئتمونا وتركتم
ما خولناكم ما فضلنا به عليكم من متاع الدنيا من خوله الشئ اذا ملكه وراء ظهوركم
ولم تقدموا منه شيئا ليوم يشتد اليه الحاجة وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم
انهم فيكم شركاء اى شركاء الله فى عبادتكم لانهم مشاركون له فى الربوبية لقد تقطع
بينكم قراءه بالرفع نافع وابن عامر وحمزة وابو بكر عن عاصم والمعنى انصرم الوصل
الذى كان بينكم والباقون بالنصب والفعل مسند الى ضمير المصدر اى وقع التقطع وهذا
فى بناء الفاعل نظير قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون فى بناء المفعول او تقدير الامر
اى تقطع الامر بينكم ويؤيده قراءة من قرأ لقد تقطع ما بينكم والبين من الاضداد و
ضل عنكم ما كنتم تزعمون من الاشراك والشفاعة ان الله فالق الحب
والنوى برهان على التوحيد بعد ابطال الاشراك والفلق لغة الشق والمعنى
شاق الحب والنوى باخراج النجم والشجر منهما وعن مجاهد المراد شق الحب والنواة
والوجه ما تقدم يخرج الحى من الميت اراد النجم والشجر النامين او المؤمن من
الكافر والعالم من الجاهل وهذا ابعد معنى والاول اوفق للمقام ومخرج الميت من الحى
كالحب من النبات والبيض من الطير او الكافر والجاهل من المؤمن والعالم وانما اثر اسم الفاعل
عطفا على فالق الحب لان قوله يخرج الحى من الميت بيان على الوجه الاول واستيناف على الثانى
عبر عنه بالمضارع استحضارا لتلك الصورة لانه ابدع واغرب ذلكم الله المحيى المميت هو المستحق
بالمعبودية فانى تؤفكون تصرفون عنه استفهام توبيخ وتعجيب فالق الاصباح
شاق ظلمة الليل عن بياض الصبح وهو غلس اخر الليل كقوله تفرى ليلى عن بياض نهار او شاق
عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار والاصباح مصدر سمى به الصبح وقرئ بالفتح على
صيغة الجمع وجعل الليل سكنا يسكن اليه ويطمان ولذلك سميت المرأة والنار سكنا
او ما يسكن فيه لقوله وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه وانتصابه بجاعل لكونه بمعنى الاستمرار
الشامل للازمنة فبالنظر الى الحال والاستقبال اضافته غير حقيقية فيعمل وبالنظر الى الماضى حقيقية فلو
خط فى مالك يوم الدين وفاطر السموات جانب الماضى ولذلك وصف بهما المعرفة وهنا جانب
الحال والاستقبال ولذلك عمل الاسم فلا حاجة الى تقدير فعل ناصب له والشمس والقمر حسبانا
عطف على محل الليل لانتصابه بجاعل وعلى لفظه فى قراءة الكوفيين جعل بصيغة الماضى والحسبان

بضم الحاء مصدر حسب يحسب كنصر ينصر معناه العدة والاحصا ومعنى جعل الشمس والقمر
حسبانا جعلهما على حساب لان الاوقات تضبط بدورهما والحسبان بالكسر مصدر حسب
يحسب كعلم يعلم معناه الظن والتخمين وما يقال ان كلا منهما بمعنى الظن سهو ذلك تقدير
العزيز اي ذلك الجعل او المذكور من الفلق والجعل بتقدير الغالب القهار الذي سخر الا
العليم الكامل العلم المحيط بكل شيء بتحريه ما يليق به من المصالح والمنافع وهو الذي جعل لكم
النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل والاضافة الى البر والبحر
لادنى ملابسة او الظلمات استعارة لمشتبهات الطرق اللام الاولى للتخصيص والثانية للعلة
قد فصلنا الايات الدلايل الدالة على الوحدانية لقوم يعلمون لانهم الذين يفهمون
الدلايل وهو الذي انشاكم من نفس واحدة يريد آدم فانه الاصل والمنشا بواسطة
وبغير واسطة فمستقر ومستودع لكم استقرار في اصلاب الاباء او فوق الارض او
مكانه واستيداع في الارحام او تحت الارض او مكانه وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر القاف
اي فمنكم مستقر ومنكم مستودع على ان الاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول قد فصلنا
الايات لقوم يفقهون انما ختم الدليل الاول بالعلم وهذا بالفقه لان
انشاء ذرية آدم منه ادق مسلكا من جعل النجوم اسبابا للاهتداء والفقه يدل على كمال
الفطنة ودقة النظر وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جهة العلو
فان ما علاك سما فاخرجنا به نبات كل شيء من اصناف ما ينبت فالسبب واحد
والمسببات مختلفة كقوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل دليل
على كمال علمه وتفرده بالايجاد ولذلك اسنده الى ضمير المتكلم ملتفتا اليه من اسلوب
الغيبة فاخرجنا منه خضرا غضا طريا من النبات المخرج منها يقال اخضر وخضر
مثل اعور وعور نخرج منه حبا متراكبا بعضه فوق بعض كما يشاهد في
السنابل ومن النخل من طلعها قنوان جمع قنو وهو من النخل بمنزلة العنقود من
الكرم ويسمى العذق بكسر العين والذال المعجمة قنوان مبتدأ ومن النخل خبره ومن طلعها
بدل البعض ويجوز ان يقدر الخبر فعلا خاصا لدلالة اخرجنا عليه اي ويخرج من النخل
دانية قريبة بعضها من بعض لقوة الشجر بكثرة الحمل او قريبة المتناول فان النخل شمر وهو
قصير القامة وقد شاهدنا منه ما يكون اعذاقه على الارض وانما اقتصر على وصف
الدنو وان كانت منه ما يكون عاليا لكونه ادخل في كونه نعمة وقيل اكتفى باحد الضدين
لدلالة على الاخر كقوله سرابيل تقيكم الحر وجنات من اعناب عطف على نبات
كل شيء وقرئ بالرفع اي وثم جنات من اعناب او ولكم جنات من اعناب او جنات عطف
على قنوان ومن اعناب على من النخل عطف المفرد على المفرد كقول الشاعر عندي اصطبار
وشكوى عند قاتلتي فلا يلزم ان يكون العنب خارجا من النخل والزيتون والرمان
عطف على نبات ايضا والاحسن النصب على الاختصاص لكونهما اشرف الثمار مشتبها
وغير متشابه حال من الجميع او من الرمان اي بعض الثمار متشابه في اللون والطعم و
بعض غير متشابه يقال اشتبه وتشابه بمعنى انظروا الى ثمره اذا اثمر حين يبدو
نحفا لا طعم ولا لون يعتد به وينعه وحين نضجه مصدر مضاف الى الفاعل من ينع الثمر اذا
استوى وصلح فانه بصدد لون وطعم معجب وقيل جمع يانع كتجر وتاجر فان ذلك الانتقالات
دليل على تاثير حكمة الصانع وقرا حمزة والكسائي ثمره بضمتين على صيغة الجمع ان
في ذلكم لايات لقوم يؤمنون فانهم المتاملون في دقايق صنايعه المستدلون
بالاثار على وجود المؤثر وبانتظامها على حسن الانتظام على تفرده بذلك وجعلوا لله
شركاء الجن عطف قصة على اخرى الملايكة لاجتنانها وعبر عنها بالجن تحقيرا او تبعدا لها

رد على النقار
واحد
قابله البصاير
في كونه
رد على القاضي

وتبعدا لها عن رتبة الالوهية لانها مختفية لا عين ولا اثرا او الشياطين لان الكفار اطاعوهم
عوهم وعبدوا الاوثان بتسويلهم او اعتقدوا ان الله خالق الخير والشيطان خالق الشر كما يقوله
الثنوية جعل بمعنى صير ومفعولاه لله شركاء والجن بدل من شركاء ولا يشترط استقامة المعنى لان
المبدل ليس في حكم التنحي من كل وجه او شركاء الجن مفعولاه وقدم المفعول الثاني استعظاما
للشريك ولذلك قدم لله على شركاء وخلقهم والحال انهم عالمون بان من جعلوه شريكا لمخلوق
من مخلوقاته زيادة توبيخ وان ذلك العلم لا ثمرة له وقرئ وخلقهم مصدرا بمعنى المفعول عطفا
على شركاء اي وجعلوا لمخلوقاتهم حيث قالوا والله امرنا بها وخرقوا له افتروا عليه من الخرق وهو
الشق كانهم شقوا العدم واخرجوا منه وقرا نافع خرقوا مشددا مبالغة له بنين وبنات
قالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله وبعض مشركي العرب الملائكة بنات الله
بغير علم تصريح بما علم ضمنا في محل الحال من الفاعل او مصدر اي خرقا بغير علم سبحانه وتعالى
عما يصفون اي انزه الموصوف عما وصفوه به وتعالى عن تلك الاوصاف ولحوقها به
بديع السموات والارض تقرير لتعاليه عن تلك الصفات باثبات ما يضادها وهو
ان السموات والارض التي هي من مخلوقاته بديعة عديمة النظير فكيف يكون له ولد اذ لو كان له ولد
لكان نظيرا له او هو بديع في السموات والارض لا نظير له او هو مبدع السموات والارض من العدم فلا
حاجة له الى الولد ليكون له ظهيرا انى يكون له ولد استبعاد لان يكون له ولد
ولم تكن له صاحبة يتولد منها الولد وهم معترفون بذلك الولد وهذا توبيخ وتجهيل
لمن يثبت له الولد مع اعترافه بان لا صاحبة وخلق كل شيء والولد شيء لا محالة
وما كان مخلوقا لا يكون ولدا لانه ملك وهو ينافي النبوة وهو بكل شيء عليم اي كما
تفرد بخلق الاشياء فلذلك تفرد بالعلم الكامل الشامل فانسدت انحاء الاحتياج الى الولد
وقيل لان الولد كفو لوالده والله عالم بالذات بجميع المعلومات وغيره ليس كذلك اجماعا
وفيه ان الكفاءة لا يستلزم التساوي من كل وجه كما ترى بين الاباء والبنين ذلكم اشارة
الى الموصوف بصفات الالوهية الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار
مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او وصفا والبعض خبرا اعاد وصف الخالقية لانه اجلى
البراهين ولذلك اكثر ايراده في القران الكريم فاعبدوه مسبب عن تلك الاوصاف
وان كان مستحقا لذاته مع قطع النظر عن كل صفة وهو على كل شيء وكيل
حال من المفعول توكيد للامر بالعبادة اي وهو مع تلك الصفات موصوف بكونه موكولا
اليه جميع الامور يتولاها ويراقب احوالها لا تدركه الابصار لا يحيط به لانه غير
جسم ولا جسماني فهو اخص من الرؤية فلا يستلزم نفيه نفيها او لا تدركه الابصار
كلها فالنفي متوجه الى الاستغراق كقولك لم اضرب زيدا عبثا وشبهت نافي الرؤية انما هي
في الوقوع لا في الامكان لان نفي الشيء لا يدل على امتناعه والبصر النور المودع في الجارحة الذي به
رؤية الاشياء ويطلق على الجارحة ايضا والاول هو المراد لقوله وهو يدرك الابصار
لان تفرده انما هو بادراك تلك لا الجارحة وهو اللطيف الخبير وفي حكمة
في كل شيء او لطيف بعباده في المضايق خبير بنياتهم او الوصفان نشر لما تقدم اللطيف
لا تدركه الابصار والخبير ليدرك الابصار قد جاءكم بصائر من ربكم البصاير
جمع بصيرة وهي للقلب كالبصر للعين والمراد الدلايل القاطعة جعلها بصاير لدلالة على غاية
جلائها فمن ابصر بقلبه وآمن فلنفسه نفعه لا لغيره ومن عمي قلبه عن ادراكها فعليها
وبال ذلك وما انا عليكم بحفيظ ان علي الا البلاغ الاية وارده على لسانه صلى الله
عليه وسلم وكذلك نصرف الايات اي كما صرفنا الايات السابقة الدالة على
الوحدانية نصرف ساير الايات في القران وليقولوا درست متعلق بمحذوف

مصدر
قابله البصاير
وهو مع تلك

اى صرفنا واللام للعاقبة كقوله ليكون لهم عدوا والدرس هو القراءة والتعلم وقرا ابن كثير
وابو عمرو دارست اى اهل الكتاب لكونهم مشهورين وابن عامر درست بضم الدال وبناء التا
بت بتاء التانيث من الدروس والمراد التقدم فى الزمان كقولهم اساطير الاولين والمد
والخطاب اولى لقوله واعانه عليه قوم اخرون وقوله انما يعلمه بشر ولنبينه اللام على اصله
من التعليل والضمير للايات باعتبار المعنى لانها القران او للمصدر لقوم يعلمون
لان الجاهل بمعزل عن الفهم اتبع ما يوحى اليك من ربك بالتدين به اذ لا عليك
بعد البلاغ الا ذلك لا اله الا هو حال موكدة بعد الفعلية كقوله قائما بالقسط او
اعتراض اكد به ايجاب الاتباع واعرض عن المشركين منسوخة باية السيف او المراد عدم
الالتفات اليهم دون الكف ولو شاء الله ما اشركوا صريح فى ان اشراكهم بمشيته وما
جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل متولى امورهم ولا
تسبوا الذين يدعون من دون الله السب ذكر مساوى الشيء على سبيل النقص والتحقير
وما وصف الله به الهتهم من كونها حصب جهنم ونظايره فى معرض الاستدلال على عدم
صلاحيتها للالوهية ليس بسب فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق بغير علم جهلا منهم
بمن يليق به السب وسب الهتهم وان كان طاعة ولكن حيث اشتمل على المفسدة انقلب
مفسدة ودفع المفاسد مقدم على جلب المصالح والتخلية قبل التحلية كذلك زينا لكل امة
عملهم كما زينا لهولاء سب خالق الاشياء زينا لكل امة عملهم من الخير والشر ويجوز ان
يراد بكل امة الكفار لان الكلام فيهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون
مجاز عن الحساب والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر فى موقع الحال اى
بالغين فى الايمان جهدهم وطاقتهم والداعى لهم الى هذا القسم التعنت واستحقار ما اتى
به من القران وغيره من المعجزات لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما
الايات كلها عند الله لا عندى فلا قدرة لى على الاتيان بها الا اذا اراد شيئا منها
وما يشعركم استفهام انكار انها اذا جاءت لا يؤمنون كان المؤمنون يتمنون
مجئ الاى المقترحة لعلها يكون سببا لايمانهم فرد الله عليهم بانكم لا تدرون عدم ايمانهم
اذا جاءت تلك الايات فلذلك تتمنون مجيئها فالنفى انما توجه الى ما هو الواقع لا الى مدعاهم
وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل كذا روى عن الخليل وعليه قول امرئ القيس عوجوا على الطلل
المحيل لاننا نبكى على الديار كما بكى ابن حذام وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر فى رواية انها
بالكسر ابتداء كلام كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم بعد نزول الاية المقترحة ثم اخبرهم
لا يؤمنون وقرا ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بتاء الخطاب فالانكار فى ما يشعركم للكافرين
على طغيهم ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل تحت الانكار
اى وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم عن سنن الاستقامة بان نطبع عليها فلا
يفقهون الحق ولا يبصرونه تمثيل بحالهم بحال الطرف المطلوب الذى لا يمسك شيئا كما
لم يؤمنوا به اى فلا يؤمنون بالمقترحة كما لم يؤمنوا بما انزل من ساير الايات
اول مرة قبل الاقتراح ونذرهم فى طغيانهم يعمهون فى تجاوزهم عن الحق متحيرين
عطف على لا يؤمنون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا
عليهم كل شيء قبلا اشار الى بعض تلك الاى المقترحة فانهم كانوا تارة يقولون لولا انزل
علينا الملائكة فيخبرنا بانك رسول الله وتارة يقولون فاتوا باباينا ان كنت من الصادقين
وتارة لن نؤمن لك حتى تاتى بالله والملائكة قبيلا والقبل بضم القاف والباء جمع قبيل
بمعنى الكافل والضامن او جمع قبيل بمعنى جماعة او مصدر بمعنى المقابلة كقبلا بكسر
القاف وفتح الباء وهى قراءة نافع وابن عامر وعلى التقادير حال من كل وانما جاز لعمومه

ولكن

اسند لعل الى ان مثل علل وهو لغة فى لعل ولان مثل لعل وابن حذام بالحاء والذال المعجمة رجل من العرب اول من بكى على الديار والطلل منه

لعموم ماكانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله الا وقت تعلق مشيته به استثناء من اعم
الاحوال ولكن اكثرهم يجهلون ولذلك اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم يؤمنون
عند الاى المقترحة او اكثر المسلمين يجهلون ذلك ولذلك يتمنون نزولها طمعا فى ايمانهم
وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن اى كما جعلنا لك
من يعاديك جعلنا لكل نبى تقدمك عدوا من مردة الفريقين ليثابوا بذلك الاجر
العظيم ولتسلى العلما اذا عاداهم الجهلة وياسوا بالانبياء وعدوا اريد به الجمع ولذلك
وقع شياطين اول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى وعن مالك بن دينار ان شياطين
الانس اشد على من شياطين الجن فانى اذا تعوذت برب شياطين الجن بخلاف شياطين
الانس وكانه الى ذلك اشير بتقديم شياطين الانس يوحى بعضهم الى بعض الوحى
الكلام الخفى والمراد به وسوسة الشياطين زخرف القول اباطيل وهو فى
الاصل الذهب واستعماله كثير فى المموه والباطل غرورا خداعا مصدر غره يغره وهذا الوزن
نادر فى المصادر المتعدية ونصبه على العلة او الحال ولو شاء ربك ما فعلوه ذلك
الغرور او الايحاء صريح فى ان وقوع الشر بمشيته فذرهم وما يفترون فلا عليك
بعد الابلاغ منسوخ باية السيف ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون عطف
على غرورا ان جعل علة والا فعلى مقدر اى ليثابوا بذلك اجرا ولتصغى واللام فيه وفى ليرضوه و
ليقترفوا لام العاقبة لانه لم يجعل الانبيا مبتلين بعداوة الشياطين ليس لصغو افئدة الكافرين
ولكن لما ترتب عليه جعل كالغرض وليرضوه الضمير المنصوب فيه والمجرور فى اليه عايد الى
ما عاد اليه ضمير فعلوه وليقترفوا ما هم مقترفون من الاثام من قرف لعياله اذا كسب
افغير الله ابتغى حكما على ارادة القول اى قل لهم يا محمد افغير الله اطلب حكما
يحكم بينى وبينكم رد لما كانوا يقولون اجعل بيننا وبينك حكما فالهمزة للانكار وغير مفعول
ابتغى وحكما حال منه وعكسه لا يستقيم لان غير معرفة بالاضافة لتعين الضد والحكم هو الحاكم
مطلقا وفى المثل فى بيته يوتى الحكم وفى الحديث يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا او
قيل يختص بالحاكم العدل ولا سند له وهو الذى انزل اليكم الكتاب
القران المعجز مفصلا الى سور وسوره الى ايات او مفصلا فيه الحق والباطل وقد دل
ذلك المنزل على صدقى وكونى على الحق والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه
منزل من ربك بالحق عضد دلالة الاعجاز على صدق القران بعلم اهل الكتاب الموصول
للجنس فيكفى ان يعلم ذلك علماؤهم وقيل من لم يعلم كان متمكنا منه بادنى تامل وانما
علم اهل الكتاب بانه منزل من عند الله بموافقة لكتابهم وتصديقه اياه مع كونه صادرا
ممن لم يخالط احدا من علمائهم وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا
تكونن من الممترين من نمط لئن اشركت ليحبطن عملك من الكلام الذى يراد به
الالهاب والتهييج او فلا تكونن من الممترين فى ان اهل الكتاب يعلمون او الخطاب له والمراد
امته لانه الواسطة والمترجم عن احوالهم او المراد كل احد على معنى لا يليق باحد الامتراء فى
ذلك فانه غاية فى الوضوح وسطوع البرهان وتمت كلمت ربك اوامره واحكامه
صدقا فيما كان من الاخبار وعدلا فيما كان من الاحكام نصبا على الحال او التمييز او
المفعول له لا مبدل لكلماته بان يأتى احد ما صدق من اخباره وفى الاحكام بما علا
منها او تمت اى استوت ودامت لعدم ورود النسخ عليها او لا يطرق عليها التحريف كما
تطرق على ساير الكتب فيكون ضمانا من الله بحفظه كقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فيختص الكلمات القران وقرا الكوفيون كلمة بالتوحيد لارادة الجنس وهو السميع
لما يقولونه من المقترحات العليم بقصدهم من ذلك وعنادهم وان تطع اكثر من فى

وعن مالك

جعل اللفظ واللام فى ليقترفوا للعاقبة وبعض فى لتصغى ولاتشبه انه بحكم مسلم الله

الارض يضلوك عن سبيل الله لان اكثر من في الارض ضلال فلا ينبغي ان يلتفت
اليهم في مقترحاتهم فان اتباعهم مفض الى الضلال ان يتبعون الا الظن الذي هو
اكذب الحديث وان هم الا يخرصون يكذبون الخرص هو التقدير والتخمين وانما
فسر بالكذب لئلا يقع التكرار والمعنى ان حالهم وصفتهم منحصرة في الظن ولما كان
الظن محتملا للصدق حصر ظنهم في الكذب فهو كالعلة للنهي عن اطاعتهم ان ربك
هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين كان المشركون
يقولون لمن اسلم صبا وضل فرد الله تلك المقالة عليهم اجمل رد بانه اعلم بالضالة والمهتدي
من غيره ولم يسند الضلال اليهم صريحا لئلا يشق عليهم ومن موصولا او موصوفة في
محل النصب بفعل دل عليه اسم التفضيل لا به اذ لا يعمل النصب في الظاهر ويجوز ان يكون
استفهامية علق عنها الفعل واعلمية لا يحتاج الى برهان ولا تفيد بوجه دون وجه فكلوا
مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين كانوا يقولون الميتة اكلها اولى من المذكاة
لانها مات بقتل الله ان كنتم بآياته مؤمنين فاقصروا الاكل على ما ذكر اسم الله عليه
الحصر مستفاد من الوصف كقولك كل من مال الغني واتما اثر ان وان كان ايمانهم مقطوعا
اذ ربما خالج قلبهم شبهة حين قال المشركون ما قتل الله اولى بالاكل مما قتلتم وما لكم الا تاكلوا
مما ذكر اسم الله عليه اي ما عرض لكم واي مانع لكم من اكل ما ذكر اسم الله عليه خاصة
وهذا القيد علم من الوصف وقد اشكل حله على بعض فزعم ان المشركين كانوا يحرمون
المذكاة ويحللون ما ذبح باسم الهتهم او مات حتف انفه وقد فصل لكم ما حرم عليكم
جملة حالية وما فصل من المحرمات هو ما في اخر هذه السورة من قوله قل لا اجد فيما اوحي
الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا الى اخر الاية فانه وان كان
متاخرا في الوضع متقدم نزولا وقرا نافع والكوفيون فصل على بناء الفاعل وقرا
نافع وحفص حرم مثل فصل الا ما اضطررتم اليه من المحرم فانه يحل تناوله
ايضا رخصة مع قيام المحرم ابقاء لمهجة المؤمن وذلك بقدر الضرورة وما يسد به
الرمق وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال وان كثيرا من الناس ضالون
اشارة الى ان الضلال ليس مختصا بالمشركين وقرا الكوفيون بضم الياء وهو ابلغ
باهوائهم بغير علم بما يشتهونه من الباطل غير مستند الى دليل يفيد العلم ان ربك
هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين حدود الله فيجازيهم عليه وذروا ظاهر الاثم
وباطنه اي دعوا كل ما يوجب الاثم ما يؤتى به جهارا وما يفعل سرا او ما يكون
بالجوارح وما يكون بالقلب ان الذين يكسبون الاثم ظاهرا او باطنا سيجزون
بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر الاية
يدل على حرمة ما لم يذكر اسم الله عليه حيوانا كان او غيره لكن المراد هو الحيوان اما
لكون اجماعا او يتناول بظاهره متروك التسمية مطلقا وذهب ابو حنيفة الى حل متروك
التسمية نسيانا وهو رواية عن مالك وابن حنبل ومذهب داود لما روي انه صلى الله
عليه وسلم سئل عن متروك التسمية نسيانا فقال كلوه فان تسمية الله على قلب كل
مسلم ولقوله وانه لفسق لان ترك التسمية نسيانا ليس بفسق وهذا هو المشهور عن
مالك واحمد وذهب الشافعي الى حله مطلقا عمدا ترك او نسيانا لقوله وانه لفسق
فانه في موضع الحال اذ لا يستقيم عطفه على الانشاء ولا على الصلة وقد بين الفسق بقوله
اهل لغير الله به في اخر السورة ولما كان سابقا نزولا اكتفي بذكره وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم يوسوسون الى الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون مما قتلتم ولا
تاكلون مما قتله الله وهو اولى واظهر وان اطعتموهم في استحلال ما حرم الله

على بعض

نقله الامام عن بعض المفسرين منه

ما حرم الله انكم لمشركون فانكم جعلتم لله شريكا في تشريع الاحكام وانما حسن
حذف الفاء من الجزاء لان الشرط لفظ الماضي اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس مثل حال المؤمن بحال من يكون ميتا ثم يحصل له الحيوة واعطي نورا يمشي
به حيث اراد من غير تعب ولا نكد يحصل به مطالبه كمن مثله في الظلمات المتراكمة
ليس بخارج منها بل هو مستمر في تلك الظلمات لا يهتدي الى مقصد من مقاصده فالحيوة
هي الايمان والنور الذي يمشي به في الناس هي معرفة احكام المبداء والمعاد اصولا وفروعا والظلمات
هي الكفر والشبهات فانها يقلب ظلمات حقيقة يوم القيمة ليس بخارج منها اي حال

اي موته

من المستكن في الظرف لا من الها في مثله للفصل وكان الظاهر كمن هو في الظلمات وانما اقحم
المثل لدلالته على الحال والصفة روي انها نزلت في حمزة وابي جهل كذلك زين للكافرين
ما كانوا يعملون كما زين للمؤمنين ايمانهم او كما زين للمشركين عملهم زينت
لسائر الكفار والمزين هو الله لقوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا
فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرمين ليتبعون الضعفا على الكفر جعلنا في كل قرية سلم ابتلاء
فيها اكابر مجرميها مفعولا جعلنا لكونه بمعنى صيرنا وقدم الثاني على الاول ويجوز ان يكون في كل قرية
اكابر مفعوليه ومجرميها بدلا او مضافا اليه بدليل قراءة اكبر مجرميها وان يكون في كل قرية
ظرفا لغوا واكابر مجرميها مفعولا اول وليمكروا مفعولا ثانيا وما يمكرون الا بانفسهم
وما يشعرون ان ذلك الضرر عايد اليهم واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى
مثل ما اوتي رسل الله القايل وليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم انا اولى بالنبوة منك لاني اكبر سنا واكثر مالا وقيل ابو جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف
في الشرف حتى اذا كنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى ولا نتبعه حتى ياتينا وحي
كما ياتيه والاسناد الى الكل لوقوع الفعل بينهم الله اعلم حيث يجعل رسالته كلام مستانف
للرد عليهم ابطال قياسهم فان النبوة فضل من الله تعالى يخص بها من يشاء ليس كثرة المال

فضل

ولا كبر السن من اسبابها او لوازمها وقرا ابن كثير وحفص رسالته بالافراد وفتح التاء و
الجمع اظهر نظرا الى الاحكام سيصيب الذين اجرموا صغار وضع الموصول موضع
الضمير ليشعر الصلة بعلية الحكم والصغار هو الذل من صغر على وزن علم عند الله اي يوم القيمة
او ناشيا من قبل في الدنيا كما وقع يوم بدر وعذاب شديد مضافا الى ذلك الذل
بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او مكافاة على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام مسبب عن الكلام السابق اي اذا تبين ان النبوة ليست الا
فضلا منه فمن اراد هدايته وتوفيقه شرح صدره للاسلام والانقياد لامر الله فانشرح بنور
الايمان وانكشف عنه ظلمة الكفر والجهل ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
كانما يصعد في السماء ومن اراد اضلاله وخذلانه يلقي الشبه وكدورات الجهل على
ظلمة النفس التي كانت لها جبلة فلا يمكن من الوصول الى ذلك لانعدام القابلية ولذلك
مثل بمن يريد الصعود الى السما والكلام على الاستعارة التمثيلية والتبعية روي ان ابن
عباس قرا الاية ثم قال هل من بني بكر ههنا احد فقال رجل نعم انا من بني بكر قال
ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الشجر الذي لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب
الكافر وقد روي مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم سئل عن شرح الصدر فقال هو نور
يقذفه الله في قلب المؤمن فينفسح قيل هل لذلك امارة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاستعداد لما بعد الموت وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف والباقون بالتشديد
وحرجا بكسر الراء نافع وابو بكر وقرا ابن كثير يصعد باسكان الصاد وتخفيف العين والباقون
بفتحهما مشددة الا ابا بكر فانه لم يشدد العين وزاد الفا بعدها كذلك يجعل الله الرجس

على الذين لا يؤمنون اى كما جعل عليهم الضيق والحرج فى الدنيا يجعل عليهم العذاب فى
الاخرة او اللعن والطرد وضع المظهر موضع المضمر للتعليل وهذا صراط ربك مستقيما
اشارة الى ما بينه من ان النبوة فضل منه وان الاسعاد والاشقاء بيده او الاسلام صراطه المستقيم الذى
لا اعوجاج فيه قد فصلنا الايات الدالة على حقية تلك الصراط لقوم يذكرون العهد
الذى اخذ عليهم فى عالم الذر او فى الكتب السماوية على لسان الانبياء والتذكر ضد النسيان
لهم دار السلام اى للمتذكرين دار السلام التى هى الجنة اضافه اليه تعالى فان السلام
من اسمائه تعظيما للمضاف والخبر من اسمائه للمح معنى السلامة والسلام بمعنى السلامة
فانها لا سقم فيها ولا تعب او لان تحيتهم فيها سلام عند ربهم اى مخفية حالها لا يعلم
كنهها غيره وهو وليهم ناصرهم ومتولى امورهم لا يكل امورهم الى غيره تشريفا لهم بما كانوا
يعملون بسبب اعمالهم الصالحة فكما لم يشركوا احدا معه فى تلك الاعمال فكذلك لم تشرك
فى جزائهم احدا ولا يطلع عليه ويوم نحشرهم جميعا منصوب باذكر او بمقدر
اى قلنا او ويوم نحشرهم ونقول لهم يا معشر الجن يكون من الامر ما لا يمكن شرحه والضمير
للثقلين والجن قد سبق ذكرهم فى قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم يا معشر
الجن يريد الشياطين منهم قد استكثرتم من الانس اى من اغوائهم او استتبعتم كثيرا
منهم وانما يقال لهم هذا الكلام توبيخا وتقريعا على سوء صنيعهم وقال اولياؤهم من الانس
ربنا استمتع بعضنا ببعض كان انتفاع الانس بالجن على زعمهم فى الجاهلية
اذا نزل مسافر منهم فى مفازة يقول اعوذ برب هذا الوادى من سفهاء قومه فيبيت امنا
فى جواره وانتفاع الجن سرورهم بهذا القول الدال على احتياج الانس اليهم وتلك مرتبة
جليلة عند الجن وشرف ظاهر وقيل انتفاع الانس بالجن اخذ السحر والكهانة واباطيل القول
منهم فان قلت كيف خاطب الجن واجاب الانس وما وجه ذلك قلت خطاب الجن كان
لتقريع الانس لكونه مع شرفه وعلو شانه يصير تابعا لذلك الشرير الخسيس فلم يستحق الخطاب
فانه نوع تكريم فكان حق الجواب من الانس لكونهم مجرمين يحتاجون الى نوع اعتذار
وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا هو البعث وعن المانح يدى الموت يقولون
هذا الكلام للتلهف على الفائت والاسف قال النار مثواكم خالدين فيها اى هذا الاعتذار
لا يغنى شيئا فان النار مقركم ومقامكم حال كونكم دائمين فيها الا ما شاء الله الا الاوقات
التى ينقلبون منها الى الزمهرير او الايام البرزخ وهو ما بين الموت والبعث او بعد البعث الى
استقرار فريق فى الجنة وفريق فى السعير ان ربك حكيم فى افعاله متقن فى كل ما دبر
عليم كامل العلم اتقان فعل مسبوق بذلك العلم وكذلك نولى بعض الظالمين
بعضا اى كما ولينا الجن الانس كذلك نولى الظلمة بعضهم على بعض فى الاغواء و
الوسوسة او فى العذاب يوم القيمة وفى الحديث يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم
من يخالل بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصى يا معشر الجن والانس الم
ياتكم رسل منكم من قبيل قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فان خروجهما من الملح لا من
العذب وقيل للجن رسل تسبيها بظاهره ويرده قوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى
اليهم وقيل رسل الجن رسل الرسل لقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران
يقصون عليكم اياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا اى يوم القيمة قالوا شهدنا
على انفسنا اقررنا على انفسنا بالجرم واستحقاق العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا
اى قالوا ذلك القول والحال انهم كانوا مغرورين بالحيوة الدنية وباللذات المخدجة السريعة
الزوال وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين كرر الشهادة لان الاولى حكاية حالهم والثانية
ذم لهم وتخطئة على ما كان منهم من الغرور واقرارهم بالكفر فى هذه الاية وانكارهم

ما وجه

بعضهم

وانكارهم فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين باعتبار الحالين فى موقفين مختلفين ذلك
اشارة الى ارسال الرسل ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون
تعليل للارسال وان مصدرية او مخففة من المثقلة فيقدر ضمير الشان وبظلم حال من القرى
بتقدير الاهل اى ملتبسين بظلم فى حال غفلتهم او من فاعل مهلك اى ملتبسا بظلم ويحتمل
العلية وفيه دليل للشيخ الاشعرى على ان لا تكليف قبل البعث ولكل درجات مما عملوا
لكل واحد من المرسل اليهم مراتب لاجل اعمالهم ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا واطلاق
الدرجات على الفريقين تغليب وما ربك بغافل عما يعملون عن اعمالهم اعتراض فى اخر
الكلام او تتميم وقراء ابن عامر بالخطاب تغليبا وربك الغنى المطلق لانسداد
مجارى الاحتياج عليه ذو الرحمة البالغة ولذلك ارسل الرسل وشرع الاحكام تكميلا للعباد
بالمعارف والاعمال الصالحة ان يشا يذهبكم تقرير لمعنى الغنى اى ليس له اليكم حاجة وانما
ابقاكم رحمة لتداركوا ما فرط منكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق اثر ما على
من قصدا الى الوصف كانه قيل ويستخلف من بعدكم المطيع لامره كما انشاكم من ذرية
قوم اخرين جيلا بعد جيل انما توعدون لات اى البعث واحواله او العذاب
او ظهور هذا الدين على الدين كله وما انتم بمعجزين فاسين طالبكم من اعجزه الشئ اذا
فاته ماخوذ من عجز الشئ وهو مؤخره قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اى تمكنكم مصدر مكن بالضم فهو مكين
اذا تمكن غاية ما يمكن او اعملوا على طريقتكم وجهتكم التى انتم عليها من الكفر والعصيان فهى بمعنى المكان يقال مكان ومكانة كمقام
ومقامة وعلى الوجهين الامر للتهديد يدل على نمط اعملوا ما شئتم والوعيد اذا كان بصيغة الامر يفيد
غاية الانذار كان المهدد قد عزم على تعذيب المهدد فيامره بما يوجب ذلك ويفضى اليه وفيه
ايماء الى ان المهدد لا يتوقع منه الا الشر فهو لازم له واجب عليه فعله كالمامور به انى عامل
على تمكنى او جهتى قراء ابو بكر مكاناتكم بالجمع وهو ابلغ فى التهديد فسوف تعلمون من
تكون له عاقبة الدار من استفهامية والفعل معلق عنه او خبرية مع ما فى خبرها
قائم مقام المفعولين او العلم بمعنى المعرفة والموصول مفعوله وعاقبة الدار هى العاقبة الحسنى
واضافتها الى الدار لانها تحصل بما فى هذه الدار من الاعمال الصالحة كلام المنصف حيث لم
ينسب الخصم الى الضلال صريحا لتانف نفسه انه لا يفلح الظالمون كافرا كان او غيره و
جعلوا لله اى مشركوا العرب مما ذرا من الحرث والانعام من الزرع والمواشى نصيبا
محفوظا مفرزا فقالوا هذا لله بزعمهم هذا ما يستحق ويجب ان يصرف فى ابواب البر
وهذا لشركائنا التى تقربنا الى الله زلفى يستحق صرف بعض اجزائها لكونه وسيلة الى المعبود
بالحق فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم
كانوا يصرفون ما عينوه اذا كان ازكى واحسن الى سدنة الهتهم ويصرفون الردى الى الفقراء
والمساكين ترجيحا لالهتهم على خالق الكائنات ولفظ الزعم اشارة الى انه باطل اخترعوه
من عند انفسهم وقراء الكسائى فى الموضعين بضم الراء والفتح لغة الحجاز وهى افصح ساء
ما يحكمون بئس شيئا حكمهم هذا وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
اى مثل ذلك التزيين البليغ المشبه به تزيين جعل ما خلق الله من الحرث والانعام للاصنام منه
نصيبا شركاؤهم فاعل زين وهم الشياطين من الجن او سدنة الاصنام وكانوا يقتلون
الاولاد اما خشية الاملاق او العار كما فى واد البنات او تقربا الى الله باعز الاشياء كما فعل
عبد المطلب حين نذر ان ولد له عشرة بنين يذبح لله واحدا منهم وقراء ابن عامر زين على بناء
المفعول مسند الى قتل ونصب اولادهم وجر شركائهم باضافة قتل اليه والفصل بين المتضايفين
واقع فى شعر الفصحاء ولو لم يثبت ذلك منهم كانت هذه القراءة كافية فى صحته لانها قراءة افصح
الخلق ثبتت عنه تواترا ممن طعن فيها لا يخالف قول بعض النحاة فقد زلت به قدمه ليردوهم

من فاعل

ولفظ

رد على الكسائى

ليهلكوهم من الردى وهو الاهلاك وليلبسوا عليهم دينهم الذي كلفوا به وهو الدين
الحق او دينهم الذي كانوا عليه وهو دين ابرهيم قبل شركهم والمزين ان كان من الشياطين
فاللام للتعليل وان كان من السدنة فللعاقبة ولو شاء الله ما فعلوه التزيين او القتل او
ذلك كل لان افعالهم مخلوقة له تعالى مشيئة فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه
من مخترعاتهم وينسبونه الى الله ويزعمون انه شرعه وقالوا هذه انعام وحرث حجر اشارة
الى ما جعلوه للاصنام من الحرث والانعام والحجر كالذبح والطحن بمعنى المفعول وهو الحرام
لانه محجور شرعا يستوي فيه الذكر والانثى والواحد والكثير لانه في عداد الاسما لا يطعمها والواصد
الا من نشاء وهم خدم الاوثان او من نشاء من الرجال والنساء بزعمهم متعلق بالقول
اي قالوا ذلك بمجرد زعم منهم وانعام حرمت ظهورها وهي البحائر والحوامي التي تقدمت عطف
على هذه انعام وانعام لا يذكرون اسم الله عليها بل اسماء آلهتهم وقيل لا يحجون
عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا اموالهم الى هذه الاقسام الثلث افتراء
عليه للافتراء مفترين او افتروا افتراء لان ذلك القول بمعنى الافتراء سيجزيهم
بما كانوا يفترون بتقديره عذابا او بسبب ذلك وانما زاد لفظ كان للدلالة على
ان ذلك عادة مستمرة منهم فظهر بذلك استحقاقهم وقالوا ما في بطون هذه
الانعام نوع آخر من اباطيلهم وهو ما في بطون البحائر والسوائب خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا حلال لذكورنا وحرام على الاناث انث خالصة وذكر محرم حملا
على اللفظ وان يكن ميتة فهم فيه شركاء الرجال والنساء فيه سوا قرا ابن عامر وعاصم وهوما
في رواية شعبة تكن بتاء التانيث ورفع ميتة ابن كثير وابن عامر ووجه التانيث ورفع
الميتة جعل كان تامة ووجه التانيث مع نصب ميتة جعل كان ناقصة مضمرا فيه ضمير الانعام
ووجه التذكير مع الرفع جعل كان تامة ووجهه مع النصب جعلها ناقصة والمختار التانيث
مع الرفع لكون التانيث حقيقيا في بعض الصور والرفع لا يحتاج الى اضمار سيجزيهم
وصفهم جزاء وصفهم ونسبتهم الى الله ما هو بريء عنه واصل الوصف الكشف والاظهار
تقول وصف زيد بكذا اذا اظهرت ما فيه مدحا كان او ذما انه حكيم في ذلك الجزاء عليم
باستحقاقهم قد خسر الذين قتلوا اولادهم اعاده لان الكلام سبق هناك لبيان
ان ما يصدر عنهم من تحريم ما احل الله ومن قتل الاولاد مسبب عن تزيين الشياطين وهذا
لبيان خسرانهم وهو حكم يتعلق بهم سفها لخفة عقلهم بغير علم في موقع الحال
يؤكد معنى السفه وحرموا ما رزقهم الله وهي البحائر والسوائب والحوامي افتراء
على الله في اعرابه الوجوه السابقة في نظيره قد ضلوا عن الصواب وما كانوا
مهتدين ولم يدخلوا في زمرة المهتدين قط وهو الذي انشا جنات معروشات
وغير معروشات عطف على القصة السابقة لابطال ما تقدم من الاحكام التي
اخترعوها والجنات الكروم لانها اكثر اشجار البساتين نفعا والمعروش ما رفع قضبانه ماكان
من الارض وغير المعروش ما كان على وجه الارض وقيل المعروش ما في الامصار و
البساتين مما انبته الناس واعتنوا به وغير المعروش ما نبت في الجبال والبراري والنخل
والزرع مختلفا اكله ما يؤكل منه في اللون والطعم والرائحة والحجم تذكير الضمير باعتبار
المذكور ومختلفا حال مقدرة او نصب على القطع والزيتون والرمان متشابها وغير
متشابه يتشابه بعض الافراد دون بعضها كلوا من ثمره امر اباحة
اذا اثمر وقت ظهور ثمره دفع لتوهم عدم جواز التناول منه بناء على كون المساكين
شركاء فيه وآتوا حقه يوم حصاده وهو ما يعطي المالك لمن حضر تبرعا لا الزكوة المفرو
ضة وان كانت الآية مكية لان الزكوة فرضت بمكة في الجملة وبين المقادير بالمدينة

بالمدينة وعن ابن عمرو وسعيد بن جبير ان هذا شيء غير الزكوة وهو حق النطح لمن حضر وكما
غلب الثمر في الاول على الحب غلب الحصاد على الجداد ثانيا وقرا حمزة والكسائي ونافع و
ابن كثير بكسر الحا وهما لغتان في نظايره كالقطاف والجذاذ ولا تسرفوا بصرفه في المعصية
اذ لا اسراف في الانفاق في وجوه البر لقوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
كذا فسره مجاهد وقيل لا تسرفوا في الصدقة لما روي انها نزلت في ثابت بن قيس صرم خمسمائة ولوكان
نخل تفرقها في المساكين ولقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين
تعليل للحكم السابق تحذيرا عن ارتكابه ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات
اي وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما ينسج من صوفه ووبره وشعره فرشا
وقيل الحمولة الكبار والفرش الصغار كالفصلان والغنم لدنوها من الارض ولا تتبعوا خطوات
الشيطان وساوسه وتسويلاته في تحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة من لدن آدم ثمانية ازواج بدل من حمولة او مفعول كلوا بتقدير مضاف
والزوج ضد الفرد ويقال للشيء اذا كان له قرين من جنسه يزاوجه كقوله خلق الزوجين
الذكر والانثى وهو المراد في الآية من الضان جمع ضاين كركب وراكب والانثى ضاينة وقد
يجمع كمعز وعزى اثنين بدل من ثمانية ان صح وقوع البدل عن البدل والا فهو بدل من
حمولة وفرشا ومن المعز اثنين الذكر والانثى وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
بفتح العين وهو نظير الضان في المفرد والجمع قل الذكرين حرم ام الانثيين
منصوب بحرم والمقصود انكار التحريم وانما اورد في صورة انكار المفعول ليكون انكاره
بطريق برهاني اذ لا بد للفعل من شيء يتعلق به فاذا نفي جميع ما يتعلق به مفصلا لزم نفيه
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام متصلة عطف على المتصل الاولى كانوا
يحرمون ذكور الجنسين تارة واناثهما اخرى والاولاد كيف كانت انفرادا او اختلاطا
انكر ذلك كله والزمهم بقوله نبئوني بعلم ان كنتم صادقين اخبروني
ملتبسين بعلم ان المحرم على الوجه الذي تدعونه هو الله لا بالجهل والافتراء كما هو دابكم
وقيل بامر معلوم من جهة الله ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين
حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين الكلام هنا هو الكلام المتقدم
في الضان والمعز ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا مقابل لقوله نبئوني بعلم اضرب سو الكلام
عن البرهان الى العيان لانه ابلغ في التبكيت كما تقول لصاحبك مكذبا له ايكذا اخبر
تك بهذا ام طالعته من اللوح المحفوظ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
ليضل الناس بغير علم كذبهم في دعواهم على ابلغ وجه حيث حكم بانه لا اظلم
منهم واتى بمن ليعمهم وكل مفتر على الله وادخل عليه الفاء اشعارا بسببية ما تقدم
وعلل فعل المفتري باقبح علة وهو الاضلال بالجهل الذي كل عيب دونه ان الله لا يهدي
القوم الظالمين الكاملين في الظلم المختوم على قلوبهم قل لا اجد
فيما اوحي الي متلوا وغيره لعموم لفظ ما محرما على طاعم اي طاعم كان الا
ان يكون ميتة استثناء من محرما لوقوعه في سياق النفي والمراد ما مات حتف انفه
وخص بما عدا السمك والجراد لقوله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان قرا
ابن كثير وابن عامر وحمزة تكون بالتانيث باعتبار الخبر وابن عامر برفع الميتة بجعل
كان تامة او دما مسفوحا مصبوبا في العروق لا الكبد والطحال للحديث المتقدم و
لكونهما غير مسفوحين عطف على ميتة وفي قراءة ابن عامر عطف على ان مع ما في خبره
اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس اي الخنزير او لحمه
نجس خبيث او فسقا اهل لغير الله به عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض

للتعليل والاهلال به لغير الله صفة جارية مجرى التعليل وانما سمي المذبوح لآلهتهم فسقا
لتوغله في باب الفسق ويجوز ان يكون مفعولا له قدم على فعله المعلل اهتماما وعلى هذا
اهل معطوف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه مستكن يكن فمن اضطر
فمن دعته ضرورة الى تناول شيء من المذكورات غير باغ متعد على مضطر مثله ولا
عاد متجاوز قدر سد الرمق فان ربك غفور لا يؤاخذه بذلك رحيم
حيث انعم عليه بالاجازة والآية لا تنفي حرمة شيء آخر غير المذكورات اذ غايته انه لم يجد الى
ذلك الوقت محرما سواها وكذلك الحصر في قوله انما حرم عليكم الميتة الى آخر الآية
فلا يلزم منه نسخ الكتاب بحديث حرمة كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر اي على اليهود خاصة حرمنا لحم كل ذي
ظفر والظفر هو العظم النابت على اصبع الحيوان من دابة وطائر واراد به ما سوى البقر
والغنم لقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما وحرمنا الشحوم من البقر
والغنم وعن ابن عباس انه لم يحرم عليهم من منفرج الاصابع شيء كالابل والبط و
النعام وانما كرر الفعل واضاف الشحوم مبالغة في التحريم الا ما حملت ظهورهما
من الشحم فانه باق على اباحته او الحوايا او ما حملته الحوايا جمع حوية او حاوية وهي
المعاء اي الا ما حملت ظهورهما والا شحوم الحوايا او ما اختلط بعظم ما اتصل به كالا
لية وما في القوائم والرؤوس والعيون ذلك اي الجزاء المذكور والتحريم جزيناهم
ببغيهم بسبب ظلمهم هو نظير قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وانا لصادقون في ان هذا التحريم خاص بهم لاجل ظلمهم لا لما
يدعونه من ان المحرمات كانت في شريعة نوح وابراهيم واسرائيل فان كذبوك
فقل ربكم ذو رحمة واسعة فلذلك امهلكم بعد التكذيب ولا يرد باسه
عن القوم المجرمين الكاملين في الاجرام لانه وان امهل لا يهمل سيقول
الذين اشركوا اخبار عن الغيب ووقوع مخبره دليل على كونه من عند الله لو شاء الله
ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اعتقدوا ان كل ما هو واقع بمشية الله تعالى حق
لانهم جعلوا كل مراد مأمورا به وكل مأمور به حسنا فاصابوا في الثاني واخطأوا في
الاول وهم احسن حالا ممن اخطأ في القضيتين كذلك كذب الذين
من قبلهم مثل تكذيب هؤلاء كذب متقدموهم رسلهم ولو كان الكفر والضلال
غير داخل تحت مشية الله تعالى لنسبهم الى الكذب لا التكذيب وحمل المشية على مشية
القسر مكابرة ورجم بالغيب حتى ذاقوا باسنا الذي انزلنا بهم ايماء الى انه سينزل
بهم ما نزل باولئك قل هل عندكم من علم مستند الى دليل لما تزعمونه فتخرجوه لنا لتظهروه مجاراة للخصم وما للتبكيت والا كون العلم عندهم معلوم الانتفاء ولذلك حصر حالهم واعتقادهم في الظن بقوله ان تتبعون الا الظن
الذي لا يجدي في مقابلة القاطع وان انتم الا تخرصون اي تكذبون في ذلك
الظن قل فلله الحجة البالغة الغالبة اي انتم محجوجون ملزمون لانكم تقولون
ما فعلنا من الاشراك بمشية الله تعالى وما كان بمشيته لا اعتراض فيه على مرتكبه فحصكم ايضا
على الحق بل كل من اتى بفعل فهو محق فيرتفع التكليف ولا يبقى نقض المذاهب فلو شاء
لهداكم اجمعين مرتب على دعواهم ان ما ارتكبوه بمشية الله تعالى وقوله قل
فلله الحجة البالغة اعتراض والمعنى اذا كان الكل بمشيته فلو اراد هدايتكم لهداكم حذف
مفعول المشية لدلالة جواب لو عليه قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان
الله حرم هذا هلم اسم فعل ويأتي لازما كقوله هلم الينا ولا يأتون كما في الآية يستوي فيه

انما حرم

على كونه

وهم المعتزلة

فيه المفرد والجمع عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع وما في الآية دليل الحجازيين اي هاتوا شهداء
كم المخصوصين بكم الذين قلدتموهم ولذلك اضافهم اليهم واتى بالموصول ليدل على العلم
بشأنهم ولو لم يصف لكان موهما بان المطلوب منهم الاتيان بشهداء بالحق وليس يعرض لقوله
فان شهدوا فلا تشهد معهم ويجوز ان يكون الكلام على الفرض والتقدير والمراد بالشهداء
الاصنام والغرض تثبيته صلى الله عليه وسلم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا
تعميم بعد التخصيص لان الشهادة من جملة الاهواء واشار المضمر اشارة الى ان تلك الشهادة والاتباع
تكذيب بآيات الله والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون جملة حالية
من الفاعل لزيادة التقبيح والتسفيه كما تقول فلان تارك الصلوة واخبرك بانه لا يعتقد وجوبها
قل تعالوا اتل مشتق من العلو اصله ان يخاطب به من كان في سفل ثم اتسع فيه ابطل
ما ابتدعوه من الاحكام بالقواطع ثم دعاهم الى الحق الواضح اتل ما حرم ربكم عليكم
ما موصولة منصوبة بفعل التلاوة او استفهامية نصب بفعل التحريم والجملة مفعول اتل لانه
في معنى القول وفي جعلها مصدرية تعسف لان التحريم ليس بمتلو الا على التأويل وعليكم يصح
تعلقه بكل من الفعلين الا تشركوا به شيئا ان مفسرة ولا تشركوا نهي ليصح عطف الامر عليه
وان هذا صراطي مستقيما متعلق بفاتبعوه بتقدير اللام وعود الضمير اليه لتقدمه لفظا ولا
يصح عطفه على ان لا تشركوا لكونه ليس من المحرمات في شيء فان قلت فكذا الاوامر المذكورة المعطوفة
قلت اريد بالاوامر اضدادها مجازا اشارة الى ان الانتهاء عن تلك الاضداد غير كاف بل يجب
الاتيان بتلك الافعال او عليكم اسم فعل بمعنى الزموا وان ناصبة موصولة بلا الناهية
واما جعلها مصدرية بدلا من ما او من العائد المحذوف فلا استلزامه القول بزيادة
لا الناهية وبالوالدين احسانا اي لا تسيئوا اليهما واحسنوا ولا تقتلوا اولادكم
من املاق لاجل فقر لقوله خشية املاق وقيل منه في الفقراء الذين كانوا يقتلون
اولادهم لوجود الفقر وتلك في الاغنياء الذين كانوا يقتلون الاولاد من خوف
حصول الفقر والدليل على ذلك تقديم المخاطبين هنا وتأخيره هناك والاملاق
الافتقار من الملق وهو المحق نحن نرزقكم واياهم تعليل للنهي ازاحة للعذر في ترك
المنهي عنه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب كالزنا والسرقة وقذف المحصن ما ظهر منها
وما بطن بدل من الفواحش يشمل كل كبيرة لعدم خروج شيء عنها ولا تقتلوا النفس التي
حرم الله الا بالحق افرد بالذكر وما بعده لعظمه والقتل بالحق مذكور في كتب الفروع
ذلكم المذكور مفصلا وصاكم به امركم بحفظه التوصية امر بالشيء مع التأكيد لعلكم
تعقلون تستعملون عقولكم وترشدون لان المذكورات امور ظاهرة بعد توجه
العقل ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن من سايرها
وهي المبالغة في حفظه حتى يبلغ اشده كمال عقله وقواه مفرد كآنك وقيل جمع
لا مفرد له كابابيل وليس جمع شدة كانعم جمع نعمة لان انعما جمع نعم لا نعمة واوفوا الكيل
والميزان بالقسط بالعدل لا نكلف نفسا الا وسعها ما تقدر على القيام
به اردف ايفاء الكيل والميزان به لان الوقوف على حد التسوية فيهما عسر جدا واذا قلتم
فاعدلوا يشمل الحكم والشهادة ولو كان ذا قربى اي المشهود عليه كقوله
ولو على انفسكم او الوالدين وبعهد الله اوفوا بما عاهدكم عليه بقوله ان الله يأمر
بالعدل والاحسان ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون افردها بتوصية مستقلة لكونها
امورا خاشما ولما تقدم ذكرها في كثير من الآي ختم الآية بالتذكر الذي يقتضي سبق العلم
الذي لحقه النسيان وقرأ حمزة والكسائي وحفص بتخفيف الذال بنا وحيث وقع وان
هذا صراطي مستقيما اشارة الى ما ذكر من اول السورة الى هنا من التوحيد وشرائع

على الفرض

يقتلون

رد على البيضاوي

الاسلام قرا ابن عامر ان بالتخفيف وحمزة والكسائي بالكسر مشددا والباقون بالفتح والتشديد
والمختار الكسر لسلامته عن الحذف والتقدير ولكونه في مصحف ابي وهذا صراط ربك وابن مسعود
وهذا صراط ربكم **فاتبعوه** فاسلكوه **ولا تتبعوا السبل** دواعي الشهوات ومسالك الهوى
وعن ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله وسلم خطا وقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن
يمينه وشماله وقال هذه سبل وعلى كل منها شيطان يدعوا اليه وقرا الاية **فتفرق بكم عن سبيله**
الموصل اليه وهو ما شرعه على لسان رسله الباء للتعدية اي يفرقكم وتزيلكم **ذلكم وصاكم به**
لعلكم تتقون اتى بلعل ايماء الى ان سلوكها امر خطر وعن ابن عباس ان هذه الايات

وعن ابن عباس

محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب **ثم آتينا موسى الكتاب** عطف على ذلكم
وصاكم لا على الفعلية لعدم استقامة المعنى وثم للتراخي رتبة اي اعظم من تلك التوصية
انزال الكتابين الى موسى واليك وقيل عطف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له
اسحق ويعقوب فثم على ظاهره **تماما** حال او مفعول له لكونه بمعنى اتماما او مصدر من غير
فعله نحو انبت نباتا **على الذي احسن** اي تماما للكرامة كل محسن على ان اللام للجنس ويؤيده
قراءة ابن مسعود على الذين احسنوا او للعهد والمراد به موسى الذي احسن في كل ما امر به
عن الطاعة او تماما على الذي احسنه موسى من العلم والمعارف من قولهم احسن فلان
فيما فعل اي اجاد والمعنى زيادة على ما عنده من العلم **وتفصيلا لكل شيء** يحتاج
اليه في الدين اصولا وفروعا عطف على تماما ما يجري فيه وجوه اعرابه **وهدى ورحمة**
لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون بجزائه وثوابه **وهذا كتاب انزلناه مبارك**
فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون اي القران عطف على اتينا داخل في حيز ثم
والاسمية المصدرة باسم الاشارة الدالة على كمال التميز ووصفه بالانزال الدال على العلو
والبركة التي تشمل كل نفع وخير اظهار لشرفه وانا فلحا ختم الاية بالرحمة التي هي صفة وختم
الاولى بالايمان الذي هو نفعهم **ان تقولوا** كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا بحذف المضاف
عند البصريين وحرف النفي عند الكوفيين **انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا**
اليهود والنصارى وصح الحصر لان الزبور لم يشتمل على الاحكام **وان كنا عن دراستهم**
قراءتهم **لغافلين** لا ندري ما هي ان مخففة واللام الفارقة بينها وبين النافية **او تقولوا**
لو انا انزل علينا الكتاب شيء من الكتب **لكنا اهدى منهم** لغزارة فهمنا
وسرعة ادراكنا ودقة نظرنا **فقد جاءكم بينة من ربكم** حجة واضحة لا تقبل ايقاع
الشبهة فيها **وهدى ورحمة** جعلها نفس الهدى والرحمة مبالغة وتسميتها حجة بالنظر
الى الخصم وهدى بالنظر الى المطلوب ورحمة بالنظر الى الطالب **فمن اظلم ممن كذب بايا**
ت الله لا اظلم منه **وصدف عنها** وصد ومنع الناس عنها فضل واضل **سنجزي الذين**
يصدفون عن اياتنا سوء العذاب العذاب السيئ من اضافة الصفة الى الموصوف **بما**
كانوا يصدفون لم يذكر جزاء التكذيب بل جزاء الصدف اشارة الى فرط قبحه
لانه جرم متعد وصد للمسترشد **هل ينظرون** الاستفهام لمعنى النفي ولذلك
صح الاستثناء **الا ان تاتيهم الملائكة** ملائكة الموت او العذاب **او ياتي**
ربك امره بالعذاب او الايات كلها وهو يوم القيمة ولذلك قابله بقوله **او ياتي**
بعض ايات ربك يريد اشراط الساعة روى مسلم عن حذيفة بن اسيد
الغفاري قال اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة فقال
ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر
الدجال والدخان والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ويأجوج ومأجوج
وثلث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك

وصد ومنع الناس

ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى المحشر **يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع**
نفسا ايمانها لان الامر عيان حينئذ والايمان بالغيب **لم تكن امنت من قبل**
صفة نفسا او حال من الضمير المجرور **او كسبت في ايمانها خيرا** عطف على امنت استدل

عطف على امنت

على عدم نفع الايمان المجرد عن العمل وذلك ان او يأتي لعموم النفي كقوله ولا تطع منهم اثما او كفورا
اي واحدا منهما والاخرى لنفي العموم وذلك اذا قدر عطف النفي على النفي ثم جيء باو والاية من
قبيل الثاني لتعدد الاول لانه اذا انتفى الايمان انتفى كسب الخير في الايمان بالضرورة فالمعنى
انتفاء الايمان وانتفاء كسب الخير فيه سيان والجواب انه من قبيل اللف التقديري اي لا ينفع
نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان لم تكن امنت من قبل او كسبت فيه فيوافق ساير الايات
والاحاديث او هو من قبيل القلب اي لم تكن كسبت خيرا او امنت من قبل وفايدة هذا القلب
التنبيه بتقديم الايمان على انه الاصل الذي نيط به النجاة **قل انتظروا انا منتظرون** ذلك
فلنا فيه النيل ولكم الويل **ان الذين فارقوا دينهم** تركوه بالمد وقراءة غير حمزة و
الكسائي فرقوا من التفرقة وهي التجزئة اي امنوا ببعض وكفروا ببعض وهذا ابلغ في الوعيد
واوفق بقوله **وكانوا شيعا** والقول بان معنى القراءتين واحد لان من فرق فقد فارق
ذهول عن عكسه اذ من فارق لا يلزم ان يكون فرق وشيعا جمع شيعة وهي الطايفة التي
تشيع اماما **لست منهم في شيء** فاتركهم وما هم عليه منسوخة باية السيف اولا
تسال عن شيء من احوالهم كقوله ولا تسال عن اصحاب الجحيم او انت بريء منهم **انما امرهم**
الى الله هو الذي يجازيهم **ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون** كناية عن العقاب تقول

رد على الامام

لمن جنى عليك مهددا له ساخبرك بما فعلت **من جاء بالحسنة فله عشر**
امثالها تفضلا منه تعالى وهذا اقل ما ورد وقد صح سبعمائة الى اضعاف لا يعلمها الا الله
وذلك باعتبار الاخلاص والامكنة والاوقات وقيل المراد بالعشرة الكثرة وانما
حذف التاء لان الامثال في معنى الحسنات **ومن جاء بالسيئة فلا يجزى**
الا مثلها ان لم يعف عنها وخلود الكافر جزاء بالمثل لانه كان عازما على الاستمرار
لو عاش ابدا **وهم لا يظلمون** نقصا من الثواب او زيادة في العذاب جار على المتعارف
والا فالظلم من المالك الحقيقي مستحيل وان زاد او نقص **قل انني هداني ربي الى**
صراط مستقيم بالوحي لقوله ان اهتديت فيما يوحي الي ربي **دينا** نصب على
البدل من محل صراط او على الاختصاص **قيما** فيعل من قام كسيد من ساد وقرا الكوفيون
وابن عامر قيما على وزن عوضا مصدر نعت به كرجل عدل فهو ابلغ معنى والاول ابلغ صيغة

فهو ابلغ

ملة ابراهيم عطف بيان لدينا وما شرعه الله على لسان الرسل يسمى دينا واسلاما
باعتبار الانقياد وملة باعتبار الاجتماع عليه وشرعا وشريعة باعتبار وصول
المتمسكين به الى ابل رحمته **حنيفا** حال من المضاف اليه **وما كان من المشركين**
رد على المشركين الذين يزعمون انهم على ملته **قل ان صلاتي ونسكي** عباداتي
كلها وافراد الصلوة لزيادة شرفها او قرباني في الحج لانهم كانوا يتقربون القرابين
للاصنام **ومحياي ومماتي** ما يفاد لحياتي ومماتي من الطاعات كالصدقة الجارية
والولد الصالح والعلم على ما نطق به الحديث وقرا ورش عن نافع باسكان الياء
في الوصل لان زيادة المد تقوم مقام الحركة **لله رب العالمين** خالصا له
لا لغيره **لا شريك له** في ذلك تعريض بالمشركين **وبذلك امرت** لا بغيره
تصريح بما علم ضمنا **وانا اول المسلمين** زمانا لان اسلامهم متقدم عليه او رتبة
لان احدا لا يلحق في كمال الاسلام وهذا اوجه لان الاول ظاهر لا يحتاج الى الاخبار به
قل اغير الله ابغي ربا انكار لان يتخذ ربا سواه **وهو رب كل شيء**

ومنه ما تعبدونه ولا تكسب كل نفس الا عليها والحال ان جناية كل نفس لا تتعداها
ولا تزر وازرة وزر اخرى الوزر لغة الثقل جواب عن قولهم اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة للجزاء فينبئكم بما كنتم
فيه تختلفون بين الرشد من الغي ويجازى المحق والمبطل وهو الذي جعلكم خلائف
الارض صفة اخرى دالة على عدم جواز الاشراك ولما كان صلى الله عليه وسلم
اخر الرسل كانت امته خلائف ساير الامم او يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في
ارضه يتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض بالملك والشرف والعلم والرزق
درجات متفاوتة ليبلوكم فيما اتيكم ليعاملكم معاملة المختبر ان ربك سريع
العقاب لان وقوعه متعلق بارادته لا غير وانما قدمه لان الكلام مع المشركين وانه
لغفور رحيم بالام واسنده الى ذاته المقدسة ايماء الى وفور غفرانه وسبق رحمته غضبه
وكان افتتاح السورة بالحمد وختامها بالرحمة التي لا نعم اجل منها فانتظم اخرها بالاول
غاية الانتظام وهو اللايق بكلام الملك العلام

سورة الاعراف مكية وهي مائتان وست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

المص اسم السورة او القران والاول اولى لان البعض اذا استقل بالكمال والاعجاز
فالكل احدر او حروف معددة ايقاظا او اعزازا كما سبق في مثله كتاب خبر المص او خبر
محذوف اي هو كتاب انزل اليك صفة فلا يكن في صدرك حرج منه
شك لان الشاك حرج الصدر قلق كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه والمراد نهيه عن
حرج الصدر وانما عبر عنه بعدم الحرج تعبيرا عن الملزوم باللازم نظيره ولتجد وا فيكم
غلظة او حرج وضيق صدر في تبليغه مخافة التكذيب او القيام بحقه كما ينبغي فان الله
مؤيدك لتنذر به متعلق بانزل اي انزل لانذارك به او بالنهي اي نهيت عن الحرج
والقلق ليكون جسورا على التبليغ وذكرى للمؤمنين عطف على تنذر لكونه مصدرا
في المعنى او بتقدير فعل منجنس اي وتذكر ذكرى فانه بمعنى التذكير ويحتمل الرفع عطفا
على كتاب او خبر مبتدا محذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم جمع ما انزل هذه
السورة وغيرها ولذلك اتى بالمظهر ويشمل السنة ايضا لانه لم ينطق عن الهوى بل ليس
كلامه الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء من الجن والانس يضلونكم عن طريق
الحق او من دونه دين الله دين اولياء وقرئ لا تبتغوا بالغين المعجمة قليلا ما تذكرون
تذكرا قليلا او زمانا قليلا اذ لو تذكرتم حق التذكر لما تركتم ولاية الله او دينه الحق
ما مصدرية العامل فيه قليلا العفل المذكور اذ ليس المأول بالمصدر في حكمه من كل
وجه او زايدة لتاكيد معنى القلة قرأ ابن عامر بزيادة الياء في الاول الفعل اي
من بعثت اليهم لا يتذكرون الا قليلا وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وابن
عامر يذكرون بتخفيف الذال والباقون بالادغام والمختار هو الادغام والخطاب
لجري الكلام على السنن الاول وكم من قرية اهلكناها اي كثيرا من القرى اردنا
اهلاكها بدليل فجاءها باسنا عذابنا بياتا بائتين والبيتوتة النوم ليلا او كالقيلو
نهارا او هم قائلون عطف على بياتا وانما حذف الواو والحالية كراهة الجمع بين
حرفي العطف لان الواو الحالية عاطفة في الاصل وانما خص الوقتين لانهما وقت
الدعة والاستراحة ووقوع العذاب فيهما افظع ولذلك اهلك قوم لوط في اخر السحر
لانه اطيب ساعات الليل فما كان دعويهم ادعاؤهم الذي كانوا ينتحلونه اذ
جاءهم باسنا وتحقق العذاب الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا الاعتراف

الا الاعتراف ببطلانه او ما كان دعاؤهم واستغاثتهم الا هذا القول لحصر العلم بان
ليس الوقت قابلا للاستغاثة فلنسئلن الذين ارسل اليهم الامم وعن اجابتهم الرسل
ولنسئلن المرسلين عن تبليغهم وعما اجيبوا به ولا ينافيه قوله فيومئذ لا يسأل
عن ذنبه انس ولا جان لاختلاف الحال باختلاف المواقف ولا قوله ولا يسأل عن ذنوبهم
المجرمون لان هذا سؤال توبيخ والمنفي سؤال العرض والحساب والقول بان المنفي سؤال
استعلام سهو لان الاستعلام على علام الغيوب محال فلنقصن عليهم على الرسل
والمرسل اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظاهرهم وباطنهم وما كنا غائبين عنهم
لم يصفا بذلة التوكيد وتخصيص العلم بالحضور الذي لا يقبل شبهة ولا يحرم حول ريب والوزن
مبتدا يومئذ خبر المبتدا الحق صفة الوزن او هو الخبر لانه بمعنى الكاين او خبر محذوف ومعناه
العدل السوي الذي لا زيغ فيه والموزون صحايف الاعمال لما روى الترمذي وابن ماجة عن
عبد الله بن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى برجل من امتي على رؤس الاشهاد فينشر عليه
تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول اتنكر شيئا من هذا فيقول لا يا رب فيقول الله انك
عندنا حسنة ولا ظلم اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
فيقول له احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم
فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في اخرى فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم
الله شيء وفايدة هذا الوزن مع انه تعالى لا يخفى عليه خافية اظهار المعدلة وازاحة المعذرة
بمحضر الخلايق وقيل الوزن القضاء او مجازات الاعمال ثوابها فمن ثقلت موازينه
حسناته جمع موزون او ما يوزن به جمع ميزان وانما جمع باعتبار الموزونات وتعددها والاول
اوجه لقوله ونضع الموازين القسط فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة يوم
الحساب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم حيث اوردوها مورد الهلاك
وفوتوها الحيوة الابدية ونعيمها بما كانوا باياتنا يظلمون يكذبون وضع موضع
التكذيب دلالة على ان التكذيب بايات الله ظلم كقوله واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها
ولقد مكناكم في الارض جعلنا لكم مكانا تسكنونه او جعلناكم متمكنين يتصرفون
فيها كيف شئتم وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما به قوام العيش والياء في
الاصل متحرك فلا تقلب همزة في الجمع وكذلك مكايل ومبايع والمحققون على ان قراءتها بالهمز
لحن فاحش ومنهم من شبهه بما الياء فيه زايدة فهمز قليلا ما تشكرون شكرا قليلا
او زمانا قليلا ولقد خلقناكم اي اباكم ادم طينا ثم صورناكم بصورة الانسان في
احسن تقويم لقوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم او لقد قدرناكم في علمنا ثم صورناكم
في ظهر ادم ثم لخبركم ان قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من
الساجدين لم يدخل في زمرتهم قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك لا مزيدة لتاكيد
معنى الفعل مثل لئلا يعلم اهل الكتاب وقد حذفها في قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي وقيل الممنوع من الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى عدم السجود وانما
التفت من التكلم الى الغيبة بعد عصيانه لانحطاطه عن ساحة الحضور بارتكاب المخالفة والكبر
قال انا خير منه استأنف بذكر العلة ليكون جوابا وزيادة خلقتني من نار و
خلقته من طين تعليل لخيريته واخطاء من وجوه لانه لم يلاحظ الامر بل المامور به وهذا
جهل منه لان من كان مريدا ينقاد في كل ما امر به ولانه صرح بافضلية في تلك الحضرة ولو
كان الامر كما زعم فضلا كان الواجب عليه اظهار الطاعة بعضا للنفس كما هو داب
الفضلاء في المحافل مع المفضولين ولان ما قال قول بالحسن والقبح عقلا فهو اول
من سن ذلك المذهب الباطل مع انه لو سلم له القول بالحسن العقلي لم يتم له مارام

ولان ما قال

وكلمة

او من دون

رد على القاضي توبيخ كلامه ان السؤال عن المجرمين سؤال الاستعلام سهو منه

صحائف

البطاقة ورقة لطيفة يثبت بها الامتعة تشد بطاقة من الخيط منه

لان خيرية النار من التراب ممنوعة لان النار مفسدة بالطبع معدة للعذاب وان كان
فيها نفع بالعرض والتراب اصل المنافع كلها من جميع الاجناس والانواع حيوانا ونباتا معبد
الملائكة ومعرجا بهم قبل خلق آدم وكان ابليس عارفا بذلك بل قيل انه كان رئيس
تلك الطايف وكان في علمه تعالى ان التراب يكون مادة اجسام العباد المكرمين من
الانبياء والرسل وما وى بهم في حيوتهم ومرقدهم في جوار الله بعد مماتهم والنار الذي
افتخر بها منشاء كل عقرب وحية وسجن اعداء الله وموضع سخطه وكانت الحكمة اقتضت ازلا
بان يكون معذبا بما افتخر به قدوة للاشقياء ليعلم انه لم يأته اتاه الا من جهل واعظم
جهالاته انه لم يتدارك ذنبه بالتوبة ليذيق برد العفو وحلاوة الغفران كما فعل صفيه
آدم من اعظام الذنب والمبادرة الى التوبة النصوح ونسبة الظلم الى نفسه بقوله ربنا
ظلمنا انفسنا مع ان ارتكابه كان في حين العفو لانه وقع منه نسيانا لقوله فنسي ولم نجد له
عزما **قال اهبط منها** من الجنة **فما يكون لك ان تتكبر** اي لا يصح ولا يجوز لك التكبر
فيها وقد وجد منك ذلك فاوجب طردك **فاخرج انك من الصاغرين**
داخل في زمرتهم من الصغار وهو الذل والهوان وحق له ذلك فانه نازع الحق تعالى رداء
الكبرياء وفي الحديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وفي الحديث ان الله خاطب
الجبال وقال ستقف على واحد منكم سفينة نوح عليه السلام فتطاولت الجبال وتقاصر الجودي
فساقها الله اليه واستوت عليه **قال انظرني الى يوم يبعثون** الى يوم القيمة **قال انك
من المنظرين** اجابه الى طلبته استدراجا **قال فبما اغويتني** اي بسبب اغوائي و
ايقاعي في الغي وهو ضد الرشاد والباء متعلقة بفعل القسم لا بأقعدن لان اللام تصد عنه
او الباء للقسم اقسم بالاغواء الذي هو فعل الله **لاقعدن لهم صراطك المستقيم** هو دين
الاسلام ونصب على الظرف وان كان حذف في من المحدود شاذا نحو قوله كما عسل الطريق
الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضربت زيدا الظهر والبطن اي على الظهر
والبطن **ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم** من الجهات الاربع
كما هو شان قطاع الطريق على السابلة واستعمال جهة الامام والخلف بمن واليمين والشمال
بعن وارد على لغة العرب واستعمالهم وقيل انما ذكر من في الاوليين لانه متوجه اليهم من
تينك الجهتين ومن جهة اليمين والشمال منحرف عنهم فتوجه فيهما معنى المجاوزة وعن
ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم من
قبل حسناتهم وعن شمائلهم من سيئاتهم وقيل انما لم يذكر جهة الفوق لان الرحمة
تنزل منها وجهة التحت لانه موضع السجود ومقام القرب منه تعالى **ولا تجد اكثرهم
شاكرين** نعمك منقادين لاوامرك وانما قال ذلك ظنا لانه حين كان آدم جسدا
ملقى بين مكة والطايف رآه خلقا اجوف فقال لا يتخلق وحقيق لو سلطت عليه لاغوينه والى
هذا الظن اشار بقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه او سمع من الملائكة حين قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء **قال اخرج منها مذؤوما** مذموما من الذام و
هو العيب بهمزة ولام **مدحورا** مبعدا من الدحور وهو الطرد والاقصاء **لمن تبعك
منهم لاملان جهنم منكم اجمعين** اللام الاولى موطئة والثانية جواب القسم وهو
ساد مسد جواب الشرط وقرئ بكسر اللام والمعنى لمن تبعك هذا الوعيد او متعلق باخرج
ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما اي وقلنا يا آدم عطف على
قلنا للملائكة اسجدوا لا على ما قلنا لفساد المعنى اذ يؤول المعنى الى قلنا للملائكة يا آدم ولم
يعطف ايضا على ما بعد قال ليكون لتقدير قال يا ابليس اخرج ويا آدم اسكن لان ذلك
في مقام الاستيناف لجزاء ابليس على ما بدا منه وعزمه على التعرض لاضلال بني آدم بكل ممكن

بكل ممكن وهذا من تتمة الانعام على بني آدم باكرام ابيهم **ولا تقربا هذه الشجرة**
هي السنبلة وقيل الكرمة وقيل التينة والهاء في هذه عوض عن الياء بدليل تصغيره على ذيا **فتكونا
من الظالمين** نصيرا من جملتهم جزم على العطف او نصب على الجواب **فوسوس لهما
الشيطان** فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت الخفي كالخشخشة ومنه وسواس
الحلي **ليبدي لهما** ليظهر لهما عاقبة الوسوسة لا بيانا في قصده اضلالهما والايقاع في المعصية
ما ووري عنهما من سوءاتهما غطي وستر من الورى بمعنى الستر ومنه حتى توارت بالحجاب
والسوأة العورة سميت به لان انكشافها يسوء المرء وكانا لا يريانها من انفسهما وهذا يدل على ان
كشف العورة من العظائم ولا يجوز الا بقدر الضرورة والزوجان وان كان جائزا لكل منهما النظر
الى عورة صاحبه الا انه مخل بالمروة وفي الصحيح عن عايشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني تريد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذف المفعول لان ذكره مستهجن وانما لم تقلب الواو الاولى لان
الثانية مدة بخلاف اويصل **وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين** الا كراهة كونكما متصفين بهاتين الصفتين ولا يدل على
افضلية الملك مطلقا كيف وقد امروا بالسجود له بل كان القصد من الملكية الانقطاع عن
الشهوات ولا يحتاج اليه البشر والتبتل بالمرة على عبادته تعالى كالملائكة يسبحون الليل و
النهار لا يفترون **وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين** حلف لهما واخرج على زنة المفاعلة
مبالغة او حلفا له بالقبول بعد ما حلف لهما بالنصح **فدليهما بغرور** او قعهما في
الخطيئة بغرور وتشبث بغيره وهو الوسوسة والمقاسمة والتدلية فيه معنى التسفل والنزول مأخوذ
من الدلو فكانه بالايقاع في الخطيئة نزلهما من رتبة عالية ومقام سني قيل كانا لا يعتقدان ان
احدا يحلف كاذبا **فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما** فلما اخذا في الاكل فان الذوق
من مبادي الاكل ولذلك لا يبطل الصوم به وهذا ظاهر في ان بدو السوأة كان بعد
الذوق قبل الاكل وفي سورة طه فاكلا منها فبدت لهما سوءاتهما يدل على ان ذلك كان
بعد الاكل والتوفيق ان البدو كان بدأه بعد الذوق وتمامه وكماله بعد الاكل لتكامل الجناية
حينئذ **وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة** شرعا يخصفان ورقة فوق ورقة
اصله من خصف النعل وهو ان يجعل طرقة منه فوق طرقة وذكر الفاء في قوله في سورة طه
فطفقا لا ينافي ذكر الواو هيهنا مع اتحاد القصة لان الواو للجمع المطلق **وناديهما ربهما
الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين** فيه دليل على ان
النهي يفيد تحريم المنهي عنه ان لم يصرف صارف وانما ذكر اسم الاشارة الموضوع للقريب
اولا وللبعيد ثانيا لانهما بعد وقوع ما وقع واطلاعهما على تغرير ابليس فرا من الشجرة فكانت حين
العتاب بعيدة عنهما **قالا ربنا ظلمنا انفسنا** نقصناها بارتكاب مخالفة امرك
الموجب لانحطاط شاننا والقول بان الظلم تعريضهما للاخراج من الجنة لا يستقيم لانهما لم يعلما بعد انهما
يخرجان بل علم ذلك من قوله اهبطوا **وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**
ان لم تغفر زلتنا وترحمنا بقبول توبتنا لنكونن من الذين خسروا اخراتنا بينا وهذا دليل على ان
الصغاير يجوز العقاب عليها عقلا مع اجتناب الكباير وانما علم عدم العقاب من الشرع لقوله
ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ونظايره من الاحاديث **قال اهبطوا**
من الجنة الى الارض خطاب لآدم وحوا وذريتهما او لهما ولابليس ذكره ثانيا تبعا لانه قرينهم
والاول هو الوجه **بعضكم لبعض عدو** حال من الفاعل وانما صح وقوع الاسمية حالا بلا
ضمير وحده لانها في معنى المفرد اي متعادين **ولكم في الارض مستقر ومتاع** موضع
استقرار وتمتع او استقرار وتمتع **الى حين** الى حين الموت **قال فيها تحيون وفيها تموتون
ومنها تخرجون** للجزاء استيناف جواب سوال كانه قيل بعد استقرارنا كيف يكون الحال

يكون مادة

ومن جهة

قصده

رد على البيضاوي

صادق

قرأ حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء والباقون بالضم وهو المختار لقوله ويخرجكم اخراجا يا بني
آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم انزلنا اسبابه لان الاجرام السفلية المركبة من النبات
والحيوان والمعادن انما تكون باسباب سماوية كالسحاب والريح والمطر مثل انزل لكم من الانعام ثمانية
ازواج وانزلنا الحديد فيه بأس شديد وفي الحديث ان المشركين كانوا اذا قدم احدهم حاجا او
معتمرا فان وجد من اهل الحرم من يعيره الثياب طاف فيها والا طاف عريانا فنزلت وانما ذكره
بعد قصة آدم وعثرته باغواء الشيطان ايماء الى انه من وسواس الشيطان وهو اول محنة اصابت آدم من
قبل وريشا الريش والرياش اللباس الفاخر ومنه ريش الطائر لانه جماله وقيل هو المال و
الخصب ومنه ارتاش فلان اذا احسنت حاله ولباس التقوى لباس الورع وخشية الله تعالى
ذلك خير رفع على الابتداء والخبر اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى
هو خير لان اسم الاشارة بمنزلة الضمير في ربط المبتدأ بالخبر او ذلك صفة لانه في تأويل
المشار اليه وخير خبره وعلى هذا ذلك لتعظيم لباس التقوى ويجوز ان يكون اشارة الى
اللباس المواري تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى لباس الحرب من الدروع والجواشن
والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب قرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب عطفا
على لباسا والمختار الرفع ذلك من آيات الله اي الانزال او تنويع اللباس من
دلائل الدالة على كمال قدرته ووفور فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون ويتوفرون
للشكر وانما التفت من الخطاب الى الغيبة لانفصال الكلام من فعله المشتمل على التفصيل الى
فعلهم المشعر بذهولهم عن تصور ذلك الاحسان فضلا عن القيام بالشكر فهم احقاء
بالبعد عن ساحة الحضور يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يضلنكم عن طريق الحق
من فتن اذا اضل لا من فتن بمعنى امتحن واختبر كما اخرج ابويكم من الجنة او فتنهما في الزلة الموجبة للخروج والاسناد
اليه مجاز بعلاقة التسبب وانما استأنف الكلام ولم يعطف القصة على القصة لانه شروع في نوع آخر من
الكلام وانما اسند النهي الى الشيطان مبالغة في التحذير كما تقول لا ابدن منك الاسد ينزع عنهما لباسهما
ليريهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج او منهما والاسناد الى التسبب انه يراكم
هو وقبيله من حيث لا ترونهم حث على غاية التحذر منه لانه عدو مترصد
والخفاء عن الابصار واستتاره عنها يوجب كمال اسباب كيده وقبيله جنوده وذريته و
هو في الاصل الجماعة فوق الثلثة اذا كانوا اشتاتا وانما عطف على المستتر في يراكم لانه مؤكد
بالمنفصل ولا دلالة في الآية على عدم امكان الرؤية وقد ورد في الاحاديث رؤيته بجماعة من الصحابة
رواه البخاري وغيره انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون ابلغ في التحذير
من الاول ولذلك لم يعطف عليه صرح بان من يوالي الشياطين ليس بمؤمن واسند
الجعل الى نفسه دلالة على كونه حتما مقضيا واذا فعلوا فاحشة اي اولياء الشياطين
والفاحشة ذنب تناهى قبحه كالزنى والقتل والطواف عريانا قالوا وجدنا عليها آباءنا
والله امرنا بها استدلوا على حسنها بقضيتين الاولى تقليد آبائهم المخطئين والثانية
الافتراء على الله تعالى بانه الآمر بها ولما كان تقليد الآباء فساده واضحا لم يتعرض لرده والثاني
بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لا لانه قبيح منه اذ لا يتصور منه لانه المالك
المطلق بل لانه يختار لعباده محاسن الاعمال وليس في الآية دليل على القبح العقلي لان
المراد به ما يكون سببا للعقاب آجلا وملايمات الطبع ووصف الكمال والنقص حسنها
وقبحها عقلي اتفاقا وليس فيها ايضا ما يدل على بطلان التقليد مطلقا بل ما قام البرهان
على خلافه اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار وتوبيخ على ذلك القول وتضمن
النهي عن افتراء مثله وفيه ايماء الى ان القول بلا علم مذموم وان لم يكن منسوبا اليه
تعالى قل امر ربي بالقسط اي بالتوحيد الذي هو اساس كل عمل او بالامر

رد على الكشاف والقاضي

عليه صح

او بالامر المتوسط بين الافراط والتفريط الذي هو المحمود واقيموا وجوهكم عطف
على مقدر اي قوموا بالقسط واجعلوا وجوهكم الى القبلة عند كل مسجد في كل وقت صلوة
او في كل مكانها وقيل توجهوا اليه غير عادلين الى غيره من المعبودات والاول اوفق
بالمقام وادعوه مخلصين له الدين اعبدوه مخلصين له الطاعة وانما اطلق الدعاء
لانها مخ العبادات ولان العابد حين الدعاء يتوجه الى معبوده بالجوار كما بدأكم
تعودون جار مجرى التعليل اي اذا كان منشأكم منه ومعادكم اليه فلا وجه للا
شراك في العبادة وتشبيه الاعادة بالبدأ من حيث ان كلا منهما نسبته الى قدرته
سواء وهم يعترفون بالبداءة او من حيث التجرد والانفراد عن المال والاهل ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم اول مرة او من حيث الشقاوة والسعادة لان الخاتمة فرع البداية
ولذلك قال فريقا هدى خلق فيهم الهداية الموصلة الى السعادة وفريقا حق عليهم
الضلالة اي خذلهم فضلوا ولزمتهم الضلالة وانما اسند الهداية الى الذات المقدسة
دون الاضلال اشارة الى سبق رحمته وسعتها انهم اتخذوا الشياطين اولياء من
دون الله تعليل للزوم الضلالة او تحقيقها ويحسبون انهم مهتدون اي مع كونهم
ضالين لا يلتفتون الى مرشد لفرط جهلهم وليس يلزم منه تساوي المعاند والمخطئ في
الذم والعقاب وان اشتركوا في الجملة فيهما يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد
لما امرهم باقامة الوجوه نحو القبلة في الصلوة امر بستر العورة الذي هو من شروطها
ايضا وانما عبر عنه بالزينة لئلا يتوهم الاقتصار على قدر الحاجة وقيل بل المراد ان
يكون المصلي لابسا احسن الثياب واجملها كما ورد الامر بذلك في الجمع والاعياد
وكلوا واشربوا المراد بهما الطيب الطاهر كما قيد في غير هذا الموضع ولا تسرفوا
بتحريم الحلال والافراط في الاكل والشره عليه واظهار الخيلاء باكل المستلذات على الفقراء
المحاويج وعن ابن عباس رضي الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان
سرف ومخيلة وعن علي ابن الحسين رضي الله عنه جمع الله الطب في نصف آية وقرأ كلوا واشربوا
ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين المتجاوزين حد الاعتدال وعن مجاهد لو
انفقت مثل احد ذهبا في طاعة الله لم يكن سرفا ولو انفقت درهما في معصيته كان سرفا
وقيل لبعض السلف لا شرف في السرف فقال نعم كما لا سرف في الشرف وقيل لا تسرفوا لا تشركوا
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق انكار لان يكون ما يتجمل به حراما
على المؤمن كيف وقد خلق لهم ما في الارض جميعا روى مسلم عن عبد الله ابن مسعود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل
يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال رسول الله ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق
وغمط الناس ولم يكتف بذلك بل امر باظهار شكره فقال واما بنعمة ربك فحدث والحاصل ان
مناط التقوى هو القلب وفي الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم واعمالكم وانما ينظر الى قلوبكم
ونياتكم والطيبات من الرزق هي المآكل والمشارب المستلذة والاباحة انما علمت من هذا النص
ولا دلالة فيه على ان الاصل فيها الاباحة قبل الشرع قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا
وان شاركهم فيها غيرهم فذلك بالعرض خالصة يوم القيمة حال كونها مختصة بهم
في ذلك اليوم ولم يقل في الآخرة في مقابلة الدنيا اشارة الى انهم في ذلك اليوم في تجمل و
طيبات قبل مصيرهم الى الجنة اللهم اجعلنا منهم يا واسع العطايا وقرأ نافع بالرفع على انه
خبر بعد الخبر كذلك نفصل الآيات مثل هذا التفصيل نفصل سائر الآيات
لقوم يعلمون فانهم هم الذين ينتفعون به زاد لفظ لقوم اشارة الى كمال من قام به
الفعل قل انما حرم ربي الفواحش جاء بصيغة الحصر توكيدا للاباحة بما قدم والفواحش

رد على [illegible] وحاله ان الاصل الاباحة
قبل الشرع سلم

كل ذنب تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن ما خفي والاثم مطلق
الذنب تعميم بعد التخصيص وقيل شرب الخمر لان الاثم من اسمائه شعر قال واشربت الاثم قلت
كلا وانما شربت الذي في تركه عندي الاثم والبغي الظلم على الغير سواء تعلق بماله او بعرضه
او بنفسه قوله بغير الحق والبغي لا يكون الا كذلك تنفرا عن ارتكابه ولا يراد به الكفر لقوله وان تشركوا
بالله ما لم ينزل به سلطانا برهانا يدل على حقيه بل اخر عنه سفاهة وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون من الالحاد في صفاته كاتخاذ الولد وامره بالفحشا ولكل امة اجل
مدة مقدرة لاعمارهم او لنزول العذاب وفيه اشارة الى ان ظلمهم قد تجاوز حده وانهم اهل
لنزول العذاب بهم لولا ذلك الاجل الذي لا يعلم الحكمة فيه الا هو فاذا جاء اجلهم اخر
المدة المقدرة لا يستاخرون ساعة عن ذلك الوقت والمراد بالساعة ادنى ما يتصور
من الزمان لا المتعارفة ولا يستقدمون عليه عطف على الشرطية لا الجزا لعدم استقامة
المعنى والسين للتاكيد مثل في سنكتب ما قالوا وقيل لشدة الهول لا يطلبون التقدم والتاخر
يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي يتلونها كما امروا من قص
الاثر تتبعه وفايدة منكم الترغيب في اتباعهم لانهم من الجنس الذي يوجب الالف والايتان
وان كان محققا لكن لما لم يكن واجبا كما زعمه اهل التعليم اثر لفظ ان واكده بما اجرا المافات من معنى
اذا فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جواب للشرط اي من اتقى الشرك والكذب
واصلح ما افسده فقد جمع بين هذين الفوزين والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لم يدخل الفا في الجزاء لدلالة السابقة
على تقديرها او ايماء الى المسامحة في الوعيد لان الفاء تدل على سببية السابق فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا او كذب باياته ساوى بين الامرين في القباحة فالويل لمن قال في الدين
قولا بغير علم اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الموصوفون بهذه الصفة لهم حظ من
الارزاق والاعمار في الدنيا يستوفونها فالكتاب بمعنى المكتوب او هو اللوح المحفوظ حتى
اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يقبضون ارواحهم غاية لنيل النصيب وحتى هذه التي يبتدا
بعدها الكلام قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله جواب اذا استفهام تقريع هذا
يوم الحاجة فكان الواجب ان تستعينوا بما كنتم تعبدون جاهكم في عبادتها قالوا ضلوا عنا
اقرار منهم بعبادتها فان قلت اذا كان قولهم ضلوا عنا اقرارا منهم بالكفر فما فايدة قوله
وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين قلت فايدته زيادة التوبيخ واظهار لفظ
الكفر الذي دل عليه قولهم ضلوا عنا التزاما قال ادخلوا في امم القايل هو الله
مثل قوله قال اخسؤا وخطابه مع المجرمين لا يستبعد لانه خطاب غضب وانتقام او بعض
الملايكة قد خلت من قبلكم صفة امم من الجن والانس بيان لها في النار
متعلق بادخلوا او في امم حالا اي كائنين في زمرتهم وعدادهم وفيه اشارة الى ان دخولهم في
زمرتهم اشد عليهم من عذاب النار ولذلك قدمه كما قال في النفس المطمئنة فادخلي في
عبادي وادخلي جنتي لان دخولها في تلك الطايفة اشرف واعلى من دخول الجنة السر في
السكان لا في المنزل كلما دخلت امة لعنت اختها وهي الطايفة التي سنت ذلك الكفر
وكما ان المؤمنين اخوة في الدين فكذلك الكفرة حتى اذا اداركوا فيها جميعا
الاتباع والقادة قالت اخراهم دخولا لاولاهم للمقدمة اي في حقهم لا
مخاطبة لقوله ربنا هؤلاء اضلونا بان سنوا لنا الكفر والتكذيب فاتهم
عذابا ضعفا من النار مضاعفا على عذابنا لانهم ضلوا واضلوا قال الله لكل ضعف
اي منكم ومنهم اما القادة فللضلال والاضلال واما الاتباع فللكفر والتقليد ولانهم
ضالون مضلون ايضا ولكن لا تعلمون ما لكل منكم وقرا عاصم في رواية ابي بكر

ابي بكر بياء الغيب على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل
اخذوا هذا الكلام من قوله تعالى لكل ضعف لدلالته على مساواة الفريقين في الجناية فذوقوا
العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الله للفريقين ان الذين كذبوا
باياتنا واستكبروا عنها عن الاذعان لاحكامها لا تفتح لهم ابواب السماء
حتى يصلوا الى الجنة التي هي في السماء فضلا عن دخولها او لاعمالهم اليه يصعد الكلم الطيب او لارواحهم
بل ترد الى سجين لورود الاحاديث الثلاثة بذلك كله قرا حمزة والكسائي بياء الغيبة
والتخفيف وابو عمرو بالخطاب مخففا والباقون بالخطاب مشددا والمختار هو التانيث لوجود
الفاصل فان قلت قوله تعالى مفتحة لهم الابواب في حق المؤمنين يدل على فتح جميع ابواب
الجنة وعلى ذلك القياس يكون معنى قوله لا تفتح لهم ابواب السماء جميع ابوابها ولا يلزم
منه عدم فتح شيء من ابوابها قلت النفي موجه الى اصل الفعل لا على القيد ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط تعليق بالمحال عادة والخياط والمخيط اسم لما يخاط به وهي
الابرة كالازار والمئزر لما يتزر به وكذلك نجزي المجرمين الكافرين الكاملين
في الاجرام وانما عبر عن الكفر بالاجرام ايماء الى قبحه وزجرا عن ارتكابه وانما اعاد الكلام
مؤكدا بالتاكيد البالغ لئلا يتوهم من الخلود المكث الطويل ولترتب شدايد العذاب التي
خلت عنها الاية السابقة من قوله لهم من جهنم مهاد واتى فعال بمعنى المفعول
ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهي ما يغطي به جمعه ليدل على تكاثفه وعظم العذاب منه
كقوله من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وانما لم يجمع الاول لكونه مصدرا في الاصل
وكذلك نجزي الظالمين العابدين غير الله وهذا الحكم اخص من الاول اذ لا يلزم
من عدم دخول الجنة دخول النار والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا
الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون اعاد الكلام ليترتب عليه وصف حالهم
فيها وحسن مقالهم واعترض بين المبتدا والخبر بقوله ولا نكلف نفسا الا وسعها ترغيبا
في العمل الصالح الموصل الى النعيم المقيم بانه مع كونه مورثا لتلك السعادة سهل التناول
ونزعنا ما في صدورهم من غل اتمام للنعمة فان من في صدره غل وحقد وان كان
في ارفه حال وارغد عيش لم يخل عن حرج صدر وضيق عطن وعن علي رضي الله عنه حين قتل طلحة
والزبير في وقعة الجمل اني لارجو ان اكون انا وهؤلاء منهم تجري من تحتهم الانهار توفر
الحظ الباصرة مع انه يسري سروره الى ساير الحواس ويذهب عن القلب الحزن وقالوا
الحمد لله الذي هدانا لهذا لما كان وسيلة لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان
هدانا الله لولا هدايته وتوفيقه وهذا الكلام منهم على وجه الالتذاذ والسرور اذ لا تكليف
هناك وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه وقرا ابن عامر ما كنا بدون الواو على انه
بيان وهو رسم مصحف الشام والمختار اثبات الواو لعدم ظهور البيان لقد جاءت
رسل ربنا بالحق اعتراف منهم بعد عين اليقين كما اعترفوا في الدنيا بعد علم اليقين
ونودوا ان تلكم الجنة اشار بلفظ البعيد باعتبار ما كانوا يعلمون في الدنيا بالوصف
كما تقول لصاحبك مشيرا الى رجل بين يديك هذا ذلك الرجل الذي كنت تسمع به او
تعظيما لها والقول بانهم نودوا لهم قبل الدخول يرده قوله الحمد لله الذي هدانا لهذا فان
هذا النداء بعد ذلك القول اورثتموها بما كنتم تعملون منحتموها بسبب اعمالكم
والاعمال وان لم يكن سببا حقيقيا مستلزما عقلا ولكن جرت عادته تعالى بذلك فكان
سببا عاديا وقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل احدكم الجنة بعمله نفي للسبب الحقيقي وانما
عبر عن اعطائه وتفضله بالايراث لانه اقوى اسباب الملك لحصوله حتما من غير اختيار
وشعور وقيل ورثوها من الكفار لما ورد في الحديث ان لكل مؤمن موضعا من النار يضاف

يدل على

رد على البيضاوي

الى نصيب واحد من الكفار ولكل كافر موضعا من الجنة يضاف الى حظ واحد منا اهل الجنة
وهذا اوفق بالمقام لمجاورة الطايفتين ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا
ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا هذه المقالة تبجحا واظهارا للشماتة
وهو الذ الاشياء كما ان اشد العذاب شماتة الاعداء وانما اتى بلفظ الوعد في العذاب مشاكلة
ولم يضف كما اضاف الاول لانه علم من الاول لانه قسيمه اولان ما وجدوه لم يكن كله مو
جودا لمخصوصا بهم كالبعث والحساب قالوا نعم اقرار بالوجدان وقراء الكسائي بكسر
العين وهما لغتان والفتح هو المختار لانه لغة اهل الحجاز وعامة العرب فاذن مؤذن بينهم
بعد استقرار الفريقين وانقضاء تلك المحاورة وقيل هو اسرافيل ان لعنة الله على الظالمين
اخبار بحصول اللعنة لهم وفايدته التحسير عليهم وتنفير السامع عن ارتكاب الظلم وان هي المخففة
حذف عنها ضمير الشان وقراء ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد وهو المختار لكونه
اصلا مع خلوه عن الاضمار الذين يصدون عن سبيل الله يمنعون القاصدين
عن الاسلام ويبغونها عوجا يطلبون لها عيبا بكسر العين عيب المعاني وما
لا انتصاب له وبالفتح الاجسام المنتصبة ومحل الجر على انه صفة مقررة او رفع على المدح
او نصب على الاختصاص وهم بالآخرة كافرون منكرون لها وفيه اشارة الى ان
ارتكابهم الظلم لعدم اعتقادهم المصير الى من يجازيهم وبينهما حجاب هو السور
الذي ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وعلى الاعراف
رجال اعراف ذلك السور اي اعاليه جمع عرف مستعار من عرف الفرس والديك هم طايفة
من المؤمنين قصر بهم العمل يوقفون بين الجنة والنار على ذلك السور الى وقت يريده الله و
قيل هم الانبياء والشهداء يوقفون كرامة وقيل هم العلماء ورد بذلك الحديث يوقفون
للشفاعة فيمن عمل بعلمهم يعرفون كلا بسيماهم هذا قبل دخول الجنة يعلمون
ذلك بالهام الله او علامة كبياض الوجه وسواده ويدل عليه لفظ السيما لانها فعلا
من الوسم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم يا اهل الجنة اما حين الدخول
او بعده لم يدخلوها وهم يطمعون حال من فاعل نادوا وقيل ان كان اهل الاعراف
المقصرين فالحال عن الواو وان كان الانبياء او الشهداء او خيار المؤمنين فمن اصحاب الجنة
وانما ذهب الى هذا استبعادا لان يكون دخول الانبياء متأخرا عن الامم وليس بشيء لما روى
البخاري ومسلم في حديث الشفاعة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيمة فاخر
لربي ساجدا فاشفع الى ربي فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة ثم اعود فيحد لي
حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة ثم ذكر العود ثالثا على هذا وقد روي ايضا انه
يقال يقول له يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن وهم شركا
الناس في ساير الابواب فان قلت ما معنى الطمع والانبياء قاطعون بدخول الجنة
قلت لا تنافي بين الطمع في رحمته والقطع بموجب وعده واذا صرفت
ابصارهم تلقاء اصحاب النار وراوا ما فيه من العذاب استعاذوا بالله قالوا
ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين في النار وانما لم يقل ولما نظروا الى اهل النار اشارة
الى ان رؤيتهم ليس مقصودا بالذات بل كان صارفا صرف ابصارهم نحوهم ونادى
اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى
عنكم جمعكم كثرة اعدادكم او ما لكم وما كنتم تستكبرون ولا وجود استكبار
كم عن الحق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله
برحمة من تتمة قول الرجال اشاروا بهؤلاء الى فقراء المهاجرين كخباب وعمار وبلال
فان صناديد قريش كانوا يحلفون انهم لا يدخلون الجنة ليسوا باهلها ادخلوا

ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون وكأنهم لما راوا الفقراء بصدد الدخول
خاطبوا المشركين بذلك الخطاب ثم التفتوا وقالوا هذا الكلام وقيل لما عيروا اصحاب الاعراف
اهل النار حلفوا انكم لا تدخلونها ايضا فقال الله تعالى اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله
برحمة ادخلوا الجنة والوجه هو الاول ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة بعد استقرار
كل طايفة في مستقرهما ان افيضوا علينا من الماء الافاضة الافراغ والصب وقيل دليل
على ان الجنة فوق او مما رزقكم الله من ساير الاشربة او ساير المآكل من قبيل علفتها تبنا وما
باردا وهذا يمكن ان يكون على الحقيقة بانهم لا يعلمون حرمة ذلك عليهم وقالوه حسرة وتحزنا وان
ايقنوا عدم الحصول قالوا ان الله حرمهما على الكافرين استعارة تبعية كقوله ومن
بعد ايام العقيق وحاجر حرام على عيني ان تطعما الكرى اذ لا تكليف هناك الذين اتخذوا
دينهم لهوا ولعبا من قول اصحاب الجنة او من قول الله واللهو ما يلهو به الانسان اي
يصرف همه به واللعب ما يطلب به الفرح وغرتهم الحيوة الدنيا خدعتهم فاليوم
ننساهم نفعل بهم فعل الناسين اي نتركهم كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يستعدوا له
وما كانوا باياتنا يجحدون وكما كانوا عطف على ما المقدمة لم يبعد الجار للقرب
لفظا ومعنى وللخفيف تجازيهم بمثل ما فعلوا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه ابانه بفهم
من يخاطب به معانيها على علم عالمين بما فيه من الحكم والاحكام ولفظ على للدلالة على كمال
العلم حال من المرفوع في فصلناه وجعله حالا من المفعول ليس بذلك الحسن وفيه دليل على
انه تعالى عالم بالعلم وقرئ فضلناه اي على ساير الكتب هدى ورحمة لقوم يؤمنون
حال من منصوب فصلناه هل ينظرون الا تأويله اي ما ينتظر هؤلاء الا ما يؤول امر
الكتاب اليه من وقوع ما نطق به من الوعد والوعيد الضمير للمكذبين المنكرين وقصة
اصحاب الاعراف كانت استطرادا للترغيب والترهيب يوم يأتي تأويله يقول
الذين نسوه من قبل هو يوم القيمة قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين
لنا ان ما جاؤا به كان حقا فهل لنا من شفعاء اليوم فيشفعوا لنا او نرد
فنعمل غير الذي كنا نعمل عطف جملة فعلية على اسمية وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا
والمعنى على الرفع تمني الشفاعة او الرد على النصب تمني الشفاعة بدون الرد او مع الرد
ويجوز ان يكون او بمعنى الى ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي وعلى هذا تمني الشفيع
للشفاعة المفضية الى الرد قد خسروا انفسهم حين اوردوها موارد الهالكين
وضل عنهم ما كانوا يفترون من المعبودات الباطلة ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام لما بين حال الفريقين في المعاد ذكر الى ذكر المبدأ وكيفية
وجود الكاينات على النمط الذي فطرت عليه ارشادا للضالين وتثبيتا للمهتدين والخلق
هو الايجاد واقتصر على ذكر السموات والارض دون ما بينهما لانه ذكره في مواضع لغير اولان
احدا لم يقل بالفصل او لانهما مخلوقين له فغيريتهما بالاولى والاخلق والمراد بالايام الاو
قات او مقدارها لو كان هناك طلوع شمس وغروب وفيه دليل على انه فاعل بالاختيار
وارشاد للعباد وعلى التاني في الامور باخلاق الله تعالى ثم استوى على العرش اي بعد
تكامل خلق الاشياء اجرى احكامه على الموجودات اسعادا واشقاء وامانة واحياء لان ذاته
نعم وان كانت قديمة لم تزل ولكن اثار سلطنته انما ظهرت بعد وجود الاشياء فمثل حاله
بحال الملك جلس على سرير ملكه للنظر في شان من تحت حكمه والقول بان العرش هو الجسم
المحيط بساير الاجسام مما لا دليل عليه شرعا وان ثبت ان عرش الرحمن فوق السموات
جسم نوراني عظيم يغشي الليل النهار اي يجعل كلا منهما غشاء الاخر وهو ما
يغطي ويستر به وقراء حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم بالتشديد وهو ابلغ معنى

عليهم

على النصب

قاله القاضي

ومحل الجر

قاله البيضاوي

ويدل عليه

بطلبه حثيثا يطلب كل منهما الاخر طلبا سريعا على انه مصدر ويجوز ان يكون حالا
من الفاعل اى حاثا او من المفعول اى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
بقضائه وقراء ابن عامر برفع الاربع وهو المختار لكونه ابلغ فى القدرة ولعدم احتياجه
الى تقدير العامل الا له الخلق والامر تنبيه لمن سمع هذا الكلام الدال على تاثيره تعالى
وعظم شانه بان يعرف بان لا خلق ولا تصرف لغيره تبارك الله رب العالمين
البركة النماء والزيادة والمعنى وصف بزيادة التفضل فى ترتيب الليل والنهار وتسخير الشمس
والقمر والنجوم ولما كان مساق الاية فى سورة قد افلح بخلق الانسان واطواره ختم الاية
بقوله تبارك الله احسن الخالقين ادعوا ربكم تضرعا وخفية بعدما تبين ان شانه
فوق كل شان امرهم بالاستكانة والضراعة الذل اى ذوى ذل وخفية فان الاخفاء فى
الدعاء اقرب الى الاخلاص وفيه نوع من الانكسار الملايم للضراعة وفى الحديث تفضل
دعاء السر على الجهر سبعين ضعفا انه لا يحب المعتدين المجاوزين الحد بان يسهب
غاية الاسهاب او يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء وفى الحديث سيكون قوم يعتدون
فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسالك الجنة وما يقرب اليها من قول وعمل
واعوذ بك من النار وما يقرب اليها من قول وعمل ولا تفسدوا فى الارض بعد
اصلاحها بهذا النظام الاحسن وشرع الاحكام على لسان الانبياء وادعوه خوفا وطمعا
خايفين عقابه نظرا الى قصور اعمالكم بالنظر الى كبريائه طامعين رحمته نظرا الى بحر كرمه
وعموم عطاياه روى انه تعالى لما طرد ابليس بكى جبرئيل وميكائيل فقال الله تعالى ما هذا
البكاء قالا ربنا بكاء خوف فانه هذا كان عبدا قد قطع اعمارا فى عبادتك قال هكذا
كونا خايفين من سطوتى وقهر سلطانى ان رحمة الله قريب من المحسنين
اشارة الى ما يتوسل به الطامعون الى رحمته وانما ذكر الفعيل بمعنى الفاعل مع تانيث الموصوف
تشبيها له بالفعيل بمعنى المفعول وهو الذى ارسل الرياح من دلايل وحدانيته الدالة
على قدرته على الاعادة ارسال الريح وقراء ابن كثير وحمزة والكسائى الريح بالتوحيد على
ارادة الجنس نشرا بين يدى رحمته قراء الكوفيون الا عاصما وابن عامر باسكان
الشين جمع ناشر او نشور واصله الضم والاسكان لثقل الضمتين وقراء حمزة والكسائى
نشرا بفتح النون على المصدر لارسال فيه معنى النشر او على الحال وقراء عاصم بالباء
على انه جمع بشير كقلب وقليب قيل ان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره
والدبور تفرقه والحق ان الدبور معدة للعذاب والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم اللهم
اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا لما روى عن ابن عباس رضى الله عنه الجمع للرحمة والمفرد للعذاب
شرح للحديث النبوة حتى اذا اقلت رفعته من القل لان المقل للشىء يرفعه سحابا جمع
سحابة على حد تمر وتمرة ثقالا بالماء سقناه افرد الضمير وذكره باعتبار اللفظ لبلد
ميت لاجل اى احيائه وسقيه والبلد مرادف الارض قراء مخففا ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر وابو بكر فانزلنا به الماء اى بالبلد فالباء للالصاق او بالسحاب
او السوق او الريح فالباء للالة فاخرجنا به اى بالماء ويحتمل الوجوه السابقة ايضا من
كل الثمرات بعضا من كل نوع وانما لم يذكر الحبوب لان الثمرات ابدع وشانها
اعجب او لان الحبوب من ثمر الارض ايضا كذلك نخرج الموتى مثل اخراج
الثمرات الذى تشاهدونه مدة اعماركم لعلكم تذكرون متعلق بمقدر اى انما
نتلو عليكم الاخراج على النمط المذكور لعلكم تذكرون اذ لا فرق بينه وبين الاعادة فتؤمنوا
والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بعلمه وارادته والذى
خبث الارض الردية كالسبخ والقيعان لا يخرج الا نكدا يقال فلان نكد اى قليل

وما كان

الاحسن

اشار صلى الله عليه

اى قليل الخير والمراد به النبات الذى لا نفع فيه نصب على الحال عن المستتر فى خبث مثل
ضربه الله للمؤمن والكافر روى ابو موسى الاشعرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال مثل ما بعثنى الله به من العلم والهدى مثل غيث اصاب ارضا منها طايفة طيبة
قبلت الماء فانبتت الكلاء والعشب الكثير ومنها طايفة اجادب امسكت الماء فنفع الله الناس
فشربوا وسقوا وزرعوا ومنها طايفة انما هى قيعان لا تمسك الماء ولا تنبت الكلاء فذلك
مثل من فقه فى دين الله فنفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا
ولم يقبل هدى الله الذى ارسلت به رواه البخارى ومسلم كذلك نصرف الايات
مثل هذا التصريف الجلى ساير الايات لقوم يشكرون نعم الله فيعلمون ان
تصريف الايات من اجل النعم لقد ارسلنا نوحا الى قومه اللام فيه للقسم وانما التزم
ذكر قد مع القسم لان المخاطب بالجملة المقسم عليها منكرا ومتردد فاذا سمع القسم توقع
وقوعها اورد قصته بعد قصة ادم وشرح احوال اهل الجنة والنار ودلايل التوحيد لانه اول
مبعوث عذب قومه وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس بعث وهو ابن خمسين
سنة او اربعين وعاش الف سنة على الاصح فقال يا قوم اعبدوا الله وحده بدليل
قوله ما لكم من اله غيره واضافهم الى نفسه اظهارا للشفقة والنصح قراء الكسائى
بكسر الراء حملا على اللفظ صفة او بدلا وهذا اولى من قراءة الجمهور بالرفع لان
رعاية اللفظ عند تيسر اكثر من المحل انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم تعليل للامر
بالتوحيد واليوم يوم القيمة وعظم العظم ما فيه الاسناد مجاز وقيل يوم الطوفان
قال الملأ من قومه اشرافهم لم يذكر الفاء كما فى ساير السور اشارة الى فرط
جهلهم كانه لم يتعقب كلامهم كلامه وذا والنصح من غير تامل فى نفعه انا لنريك
فى ضلال مبين واضح قال يا قوم ليس بى ضلالة اى واحدة من جنس الضلال رد
لكلامهم على ابلغ وجه كما اذا قيل لك هل عندك تمر فتقول ليس عندى تمرة ولكنى
رسول من رب العالمين استدراك بحسب المعنى لانه اذا كان رسولا من الله
لا يمكن ان يكون ضالا لظهور التنافى بين الرسالة والضلالة ابلغكم رسالات
ربى استيناف لبيان كونه رسولا او صفة والرسول وان كان لفظ غايبا ولكنه عبارة
عن ضمير المتكلم فصح كونه صفة بذلك الاعتبار قراء ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع رسالة
باعتبار الوقايع والانحصار والعقايد والاحكام وقراءة التشديد ابلغ وانصح لكم واعلم
من الله ما لا تعلمون يقال نصحه ونصح له واللام يدل على ان النصح خالصا للمنصوح لم يراعى
به جانبه والمراد علمه بصفات الله وشدة بطشه او كان اوحى اليه انهم ان لم يؤمنوا بعث الله عليهم
بالعقاب كانوا امنين لان العذاب لم يكن حل بقوم قبلهم اوعجبتم ان جاءكم ذكر
من ربكم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم و
عجبتم ان جاءكم والذكر هو الرسالة لاشتماله على المواعظ على رجل منكم على لسان
رجل من قومكم تعرفونه بالامانة معروف السيرة وكانوا يعتقدون ان الرسول لا يكون
بشرا لينذركم ليحذركم باس الله ونقمته لمن كفر ولتتقوا المعاصى ولعلكم ترحمون
بعد التقوى وانما ذكره بلفظ الترجى على داب الملوك وان كان مقطوعا به كقوله عسى ان
ان يبعثك ربك مقاما محمودا او للاشارة الى ان التقوى لا يوجب شيا والترحم فضل
منه تعالى ولئلا يعتمد العاملون على عملهم فكذبوه صريحا فى دعوة الرسالة لان
قولهم انا لنريك فى ضلال مبين غير صريح فانجيناه والذين معه فى الفلك
انجيناهم فى الفلك او يتعلق بمعه او حال اما من الموصول او ضمير معه قيل كانوا ثمانين
نفسا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل كانوا تسعة هم بنوه الثلثة سام وحام

عن رسول الله

وهذا اولى

داب الملوك

وبافت وستة من قومه كانوا مومنين به واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين
عمى القلب جار مجرى التعليل والى عاد اخاهم هودا عطف على نوحا الى قومه
وسماه اخا مجازا لانه واحد منهم كقولهم يا اخ العرب والحكمة في بعث الانبيا من القوم
لكونهم يعرفون ديانة وامانة ولئلا يانفوا عن اتباعه قال يا قوم اعبدوا الله ما
لكم من اله غيره لم يعطف كما في قصة نوح عليه السلام لانه جاء على طريقة الاستيناف كانه
قيل ما قال لهم وكذلك جوابهم افلا تتقون عرض على التقوى كقولك الا تنزل
بنا والجواب محذوف اى تامنوا من عذاب الله قال الملأ الذين كفروا من قومه
دل على ان من الملاء من كان مومنا والقول بان هذا الوصف دل على كونهم اقرب من قوم
نوح ليس بشي لمجي هذا الوصف في قوم ايضا في سورة هود وقد افلح والقول بان الوصف في
قوم في السورتين للذم خلاف الظاهر وتحكم بل الوجه في حذفه من قصة نوح انها ما سيقت
هنا مستوفاه وحيث ذكرت على وجه الاطناب ذكر والوصف انا لنراك في سفاهة
اى سفاهة كاملة متمكنا فيها وصفوه بالسفاهة وهي خفة العقل بخلاف قوم نوح وصفوه
بعدم الاهتدا لانه بنحو تلك الخفة وانا لنظنك من الكاذبين مندرجا في زمرتهم و
الظن بمعنى العلم قال يا قوم ليس بي سفاهة كما زعمتم ولم يتعرض لرد الكذب
لان منشاه السفاهة حيث لا سفاهة لا كذب ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم
رسالات ربي وانا لكم ناصح امين وصف بالامانة وتقديم الضمير المفيد للتقوى
وايثار الاسمية يدل على فرط عنادهم اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم
لينذركم سبق تفسيره قريبا واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ذكرهم
نعم الله عليهم مع رمز الى انهم ان لم يشكروها تحل بهم من العذاب ما نزل بقوم بهم سكنوا
مساكنهم وزادكم في الخلق بسطة اى جسامة في الخلقة فانها نعمة فائقة قيل
كان اطولهم ماية ذراع واقصرهم ستين ذراعا او بالمال فانهم كانوا في غاية من الثروة
وقوله في حق قارون اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه
قوة واكثر جمعا يشير الى قوم عاد فان شداد بن عاد ملك المعمورة من رمل عالج الى بحر عمان
فاذكروا آلاء الله تعميم بعد التخصيص لعلكم تفلحون عسى ان يوديكم الى
الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا لما كانوا مفسدين
فطرة الله التي يولد عليها كل مولود استبعدوا ان يكون فاطر الاشياء وموجد الكائنات
معبودا وحده والمراد من المجي الاقدام على تبليغ الرسالة او كان معتزلا عنهم كما هو دأب
الصالحين كما كان رسول الله يخلو بغار حراء قبل بعثته او قالوه تهكما به والمراد المجي من
السما فاتنا بما تعدنا من العذاب اما ان يكون صرح به او فهم من قوله افلا تتقون
ان كنت من الصادقين معدودا منهم قال قد وقع عليكم من ربكم رجس
عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب انتقام من الله عطف تفسيري
او ارادة انتقام عذاب الابد بعد العذاب في الدنيا وانما عبر عنه بالماضي لانه واقع لا
محالة لصدوره عمن لا يخلف الميعاد اتجادلونني في اسماء في استحقاق
عبادتها سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان برهان دال على استحقاق
عبادتها فانتظروا العذاب اني معكم من المنتظرين للنجاة واستيصالكم فانجيناه
والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا دابر القوم
من ياتي في آخرهم فاذا لم يبق فغيره بالاولى والاجدر وما كانوا مومنين
فائدة بعد ذكر التكذيب التعريض بمن آمن منهم ولئلا يتوهم حدوث التكذيب
من لفظ الماضي بل لم يومنوا قط وقصتهم انهم كانوا قاطنين عمان وحضرموت كانوا

كانوا عبدة الاصنام فارسل الله اليهم هودا وكان فيهم ذا نسب وشرف فكذبوه فامسك
الله عنهم القطر ثلث سنين وكان الناس اذا نزل بهم ضر وبلاء توسلوا الى الله في كشفه بالبيت
الحرام وكان قطان مكة اذ ذاك العمالقة اولاد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيدهم معاوية
بن بكر فوجهت عاد الى مكة للتوسل بالبيت المعظم سبعين من اشرافهم فيهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد و
كان مرثد مومنا يكتم ايمانه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر سيد العمالقة وكان بارزا خارج
الحرم وكانوا اخواله واصهاره فاكرمهم فاقاموا عنده في ارغد عيش يشربون الخمر وكانوا لمعوية
قينتان فلما راى معاوية ان شرب الخمر شغلهم عما قدموا لاجله ثم ذلك وقال هلكت اخوالي وهولاء
فيما هم وكان يكره ان يصرح لهم بذلك لئلا يتوهم انه استثقلهم وكان شاعرا فعمل بيتين وهما
الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما
فلما غنتا الجاريتان وسمعوا مقالتهما قالوا القوم في ضنك قوموا فادخلوا الحرم واستسقوا فقال
لهم مرثد والله ما تسقون الا ان اطعتم هودا فقالوا لمعاوية احبس عنا هذا فانه ترك دين
آبائه لا تقدم معنا مكة فلما دخلوا الحرم قال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشاء
الله تعالى ثلث سحائب بيضا وحمرا وسودا ثم نادى مناد من السما يا قيل اختر لك ولقومك احدى
السحائب فقال اخترت السوداء فانها اكثر ماء فتوجهت السوداء ارض عاد فكان كما قال الله
تعالى فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها
عذاب اليم فاهلكتهم ونجا هود ومن آمن معه فقدموا مكة وعبدوا الله الى ان قضوا نحبهم
والى ثمود اخاهم صالحا هم طايفة اخرى من العرب سموا بابيهم الاكبر وهو ثمود بن
عامر بن ارم بن سام بن نوح وقيل انما سموا ثمود لانهم كانوا ساكنين على ماء قليل والماء القليل
يسمى الثمد قال طرفة ولحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام سراع وارد الثمد وكان من
قصتهم انهم خلفوا عادا في ارضهم وكان المدد والعمر لا تفي باعمارهم فتنهدم فشرعوا
كما اخبر الله ينحتون من الجبال بيوتا وكانوا يعبدون الاوثان فارسل الله اليهم صالح
بن عبيد بن جابر بن ثمود فدعاهم الى الاسلام وكان من اشرافهم فسالوه آية دالة على
صدقه فقال لهم ما تريدون من الآيات فقالوا اخرج معنا يوم العيد فنسالك اذ ذاك فلما
حضر نظر واحد منهم يسمى جندعا الى صخرة عظيمة بسفح الجبل يسمى كاثبة فقال اخرج لنا من هذه
الصخرة ناقة سوداء عشراء وبراء ذات عرف فصلى صالح ركعتين ودعا فتمخضت الصخرة كما
تمخض الناقة النتوج فولدت سقبا يقربها في العظم قيل كان ما بين جنبي الناقة مسافة ماية
واثنين وعشرين ذراعا ثم قامت والسقب يتبعها فتوسطت القوم فقال لهم صالح لكم
شرب يوم ولها شرب يوم فكانت ترد الماء غبا فاذا وضعت راسها في البير شربت الماء
باسره فشق ذلك عليهم وكانت تصيف بظهر الوادي وتشتو ببطنه فيهرب منها مواشيهم
فضجروا من ذلك ايضا وكانت فيهم امراتان تسمى احديهما صدوف والاخرى عنيزة وكان
لكل منهما الف الف صدوف تسمى قدارا وصاحب عنيزة مصدع وكان لهما مواش فتحيا
الى الالفين وسالتا قتل الناقة فقالا اصبحانا بالخمر فلما سكرا جاء الى نادى القوم واستتبعا
طائفة من سفهائهم ولكن العاقر ولا قدار وثانيا مصدع فلما قتلوها هرب السقب
الى الجبل فقال صالح ادركوه فانكم ان ادركتموه نجوتم فاسرعوا خلفه فلما لحقوه قيل
انه دخل في تلك الصخرة التي كانت امه خرجت منها بعد ان رغا ثلث رغوات فقال لهم
صالح سياتيكم العذاب بعد ثلث وعلامة ذلك انكم غدا تصبحون ووجوهكم مصفرة و
بعد غد محمرة وفي اليوم الثالث مسودة ثم في الرابع يصبحكم العذاب فلما اصبحوا في
الغد وراوا العلامة هموا بقتله فانجاه الله منهم فركب الجمال هو ومن آمن معه واتى
الى مكة وسكن بها الى ان جاءه الموت فدفن صلوات الله عليه في المسجد الحرام من جهة

الحجر وقيل مات بالشام فلما اصبحوا في اليوم الرابع عطوا وبكفوا بالانطاع وانتظروا البلاء فجاء
تهم صيحة من السما فتقطعت قلوبهم فاصبحوا في دارهم جاثمين لم ينج منهم احد فان قلت
قد اخبر الله عنهم بانهم ندموا على ما فعلوا بقوله فاصبحوا نادمين والندم توبة فكيف لم
تدركهم رحمة ارحم الراحمين قلت قد جرت عادته تعالى بان من كفر بعد الآية المخترعة لا
يمهل كاصحاب المائدة واليه اشار بقوله فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم
يونس قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره سبق تفسيره قد جاءتكم بينة
من ربكم معجزة واضحة على صدق دعواي وانما وصفها بالوضوح لانها التي طلبوها
هذه ناقة الله استيناف لبيان البينة لكم آية بيان لمن له الآية ويجوز ان يكون
ناقة الله بدلا او عطف البيان ولكم خبرا عاملا في آية والاضافة للتشريف فذروها
عطف بيان
تأكل في ارض الله اي ليس عليكم رعيها واسامتها اباحة للعدد حمنا التعرض
لها ولا تمسوها بسوء فضلا عن الاصابة بالمكروه فيأخذكم عذاب اليم
نصب على الجواب واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد تذكر للنعم وفيه ايماء الى
انهم ان خالفوا يصيبهم مثل ما اصابهم وبوأكم في الارض ارض الحجر الآن للعهد
تتخذون من سهولها قصورا في السهولة الارض مصدر ضد الحزونة او بعض سهولها
جمع سهل ضد الجبل وتنحتون الجبال بيوتا نصب على المفعولية اي من الجبال بيوتا او
حال مقدرة او معنى تنحتون تتخذون فالمنصوبان مفعولاه فاذكروا آلاء الله
تعميم بعد التخصيص ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه
للذين استضعفوا لم يلتفتوا الى صالح ولم يخاطبوه استهانة به بل خاطبوا
ضعفاء القوم الذين كانوا مؤمنين به كما هو شان الرسل في اول الامر مثل بلال وعمار
وصهيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لمن آمن منهم بدل باعادة الجار بدل
الكل ان كان الضمير للقوم وان كان للمستضعفين بدل البعض فيندرج في المستضعفين
بعض كفار قومه أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوا ذلك استهزاء قالوا
انا بما ارسل به مؤمنون كان ظاهر الجواب نعم او بلى وانما عدلوا عن ذلك
لان الاقرار بالرسالة لا يستلزم الايمان لجواز الجحد ولان الايمان بما جاء به يستلزم
الايمان به فكان ابلغ من ظاهر الجواب ولان العدول فيه تنبيه على ان ارساله مما لا
يشك فيه تنبيه على ان ارساله مما لا يشك فيه عاقل وانما الكلام فيمن آمن قال الذين
استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون
لاشتماله على اعترافهم برسالته فعقروا الناقة جرحوها اسنده الى الكل
لوقوع
لوقوع الفعل بينهم وانما لم يذكر قتلها اشارة الى ان مجرد العقر من العظائم لان
تعليق العذاب العظيم كان على مجرد المس بالسوء وعتوا عن امر ربهم
تجاوزوا عنه وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم
الرجفة اي بعد ثلاثة ايام لقوله في هود تمتعوا في داركم ثلاثة ايام والرجفة الزلزلة
وفي مواضع بدل الرجفة والصيحة والتوفيق انهما كانتا معا فصح اخذ كل واحدة منهما
فلا حاجة الى جعل الرجفة مجازا عن الصيحة فاصبحوا في دارهم جاثمين ساقطين
على الارض ميتين من جثم الطائر بالارض لبلدتها واصبح بمعنى صار لان هلاكهم
كان ضحوة من النهار فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت
لكم ولكن لا تحبون الناصحين خطاب هذا بعد موتهم مثل خطابه صلى
الله عليه وسلم يوم بدر على القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا او كان هذا
القول منه حين توليه عنهم بعدما ابصروا العلل ولوطا اذ قال لقومه اي ارسلنا

اي ارسلنا لوطا في وقت قوله او مفعول اذكروا واذ بدل منه أتأتون الفاحشة
اللام فيها للعهد كانها علم بين الفواحش لا تذهب الذهن الى غيرها والاستفهام للتوبيخ وما
ما سبقكم بها من احد من العالمين كلام مستانف مقرر للانكار لان جرم مبتدع
المعصية اعظم وفي الحديث ما قتل احد ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل منه لانه اول من
سن القتل رواه البخاري لتأتون الرجال شهوة من لقي المرأة عشيها شهوة مفعول له
وفيه نسبة الى البهيمة اي لا داعي لكم سواه من جهة العقل كطلب النسل وقراءة نافع وحفص
انكم على الاخبار استينافا وعلى الاول بيان لقوله أتأتون الفاحشة من دون النساء
قطع المعذرة ودفع توهم الضرورة بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار
وبي انهم
الى بيان الحال التي اوجبت ارتكاب الفاحشة وبي انهم قوم عادتهم الاسراف والتجاوز
عن حد ما الله ولذلك وصفهم تارة بانهم قوم عادون وتارة بانهم قوم يجهلون
وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي لم يتاملوا ما قاله ولم يلتفتوا
الى النصح بل غاظهم ذلك وامروا باخراجه من قريتهم مع من آمن انهم اناس يتطهرون
يبالغون في الطهارة قالوه تهكما فانجيناه واهله المؤمنين لقوله الا امرأته كانت
من الغابرين الذين بقوا في ديارهم وهم الها لكون لكونها على دين
قومها والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهي
حجارة من سجيل والفرق بين مطر وامطر ان في الثاني معنى الارسال وتعدى الى مفعولين
الى المرسل بنفسه والى المرسل اليه بعلى والاول تعدى الى احد بنفسه وهو من اصابه المطر
وقيل هما بمعنى واحد واستعمال الثاني في الشر غالبا والاول في الخير فانظر كيف كان
عاقبة المجرمين المراد به نظر القلب وهو التدبر والخطاب عام قيل ان لوطا ابن عم ابرهيم
صلوات الله عليه ممن هاجر مع ابرهيم الى الشام فنزل سدوم وتزوج من اهلها فارسل
اليهم يتباعد عاهم فلم يطيعوه فاهلكم الله بان امطر عليهم الحجارة وقيل امطر على المقيمين
وخسف بالمسافرين وقيل كان رجل منهم بالحرم فوقف حجر في الهوا اربعين يوما الى ان خرج
فوقع عليه فقتله وقيل كان خمس مداين والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا الى
مدين عطف على نوحا الى قومه ومدين اسم بلدة سمي باسم بانيها وهو مدين بن مديان بن
ابرهيم وشعيب بن ميكيل من اولاد ابنة لوط ويسمى خطيب الانبياء لحسن فصاحته و
غاية بلاغته في تبليغ الاحكام والدعاء الى الله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
وقوع
قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة دالة على نبوتي وليست بمذكورة في القرآن
كما لم تذكر معجزة كثير من الانبياء واما محاربة عصى موسى للتنين وولادة الغنم الدرع
وكانت هي الموعودة لموسى ووقوع عصى آدم في يد موسى في المرات السبع لا يتقيم
حملها في الآية عليه لتاخرها عن هذه المقالة مع احتمالها كرامة موسى وارهاص نبوته
فاوفوا الكيل والميزان اي آلة الكيل لتقارنه مع الميزان ولقوله والمكيال
في سورة هود وحمل الميزان على المصدر بعيد غير مستعمل ولا تبخسوا الناس اشياءهم
تعميم بعد التخصيص وتصريح بما علم ضمنا وذكر الكيل والميزان لفرط احتياج الناس
الى المكيل والموزون ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اي بعد ما اصلح
الانبياء شان اهلها بالشرع القويم ويجوز ان يكون اضافة الى الفاعل مجازا كاضافة
المكر الى الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة الى ما امرهم به ونهاهم عنه اي العمل به والمراد
بالخيرية الزيادة المطلقة او في الانسانية وحسن الاحدوثة اذ لا خير فيما كانوا عليه او
الكسب والربح اذ لا بركة مع الخيانة ان كنتم مؤمنين مصدقين لقولي لانهم لم
يكونوا من الايمان في شيء ولا تقعدوا بكل صراط توعدون كانوا يتعرفون

على الطرقات يرصدون لمن يقصد شعيبا للايمان به يوعدونه بالقتل وسائر انواع العذاب
وقيل كانوا يقطعون الطريق ويجوز ان يراد بكل صراط مناهج الحق وشعب الذين من
المعارف والاحكام والحدود فان الايمان بضع وسبعون شعبة والاول هو الوجه لقوله
وتصدون عن سبيل الله ولقوله قل هذه سبيلي وان هذا صراطي مستقيما
صراط الله الذي له ما في السموات واضاف السبيل اليه مثلنا قد الله من امن به
مفعول تصدون ويقدر لتوعدون اذ لو كان الاعمال للاول لقيل تصدونه لان المختار
والمضارع بيان في موقع الحال من فاعل تقعدون وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل
الله عوجا بالقاء الشبه فيها او بوصفكم للناس على خلاف ما هي عليه ويجوز ان يكون تهكما بهم
لانهم يطلبون ما هو محال في حقها واذكروا اذ كنتم قليلا وقت كونكم قليلي
العدد فكثركم في العدد او كنتم مقلين فقراء فجعلكم مكثرين موسرين والذكر ذكر القلب
والتدبر لتتوفروا للشكر وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم وقيل هم
قوم لوط لقوله وما قوم لوط منكم ببعيد وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت
به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا امر للفريقين بالصبر والانتصار حتى يحكم الله بيننا
بنصر المؤمنين على الكافرين لقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين وهو خير الحاكمين
اذ يستحيل في حقه الظلم ولا معقب لحكمه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب
والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا لم يلتفتوا الى نصحه وقابلوه على دأب السفهاء بما
يكره وهو احد الامرين واكدوه بالقسم لفرط الاهتمام وشعيب وان لم يكن على ملتهم لكونه
مصونا عن الكفر قبل النبوة ولكن غلب عليه من امن معه ولذلك اجرى الجواب على
التغليب قال اولو كنا كارهين عطف على مقدر اي انعود فيها ولو كنا كارهين
لها والقول بان لو بمعنى ان ليس بشيء لان المعنى على المضي قد افترينا على الله كذبا
استئناف فيه معنى التعجب وادخل عليه قد للتحقيق لا للتقريب من الحال وقيل قسم محذوف اللام
ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه
واذ بمعنى ان مصدرية والمعنى ان هممنا بالعود في المستقبل فنحن في الحال مفترون باعتقاد
حقية ما انتم عليه وبطلان ما نحن فيه وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء
الله ربنا اي يستحيل ذلك العود منا الا اذا تعلقت مشيئته تعالى به فانه يقع لا محالة
وهذا صريح في ان الكفر بمشيئته تعالى وسع ربنا كل شيء علما وما علمه لابد من
وقوعه ايمانا او كفرا على الله توكلنا وضع المظهر موضع المضمر لان الالوهية تلائم
التوكل والتفويض ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق من الفتاحة وهي الحكم والقاضي
يسمى الفاتح وقوله بالحق لاظهار الوثوق من الداعي بانه على الحق وانت خير الفاتحين
لعدم تصور الجور منك وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم
اذا لخاسرون دينكم لانكم على الحق وهو على الباطل او دنياكم لفوات
ما كان يحصل لكم بالبخس والتطفيف وانما عبر بالاستكبار اولا لملائمة الاخراج و
الاكراه على العود في ملتهم وثانيا بالكفر لانه انكار بحت بعد ظهور الحق فاخذتهم
الرجفة فاصبحوا في ديارهم جاثمين الزلزلة في سورة هود الصيحة لاجتما
عهما كانت قيل اتاهم العذاب من فوقهم ومن تحتهم الذين كذبوا شعيبا
كأن لم يغنوا فيها في القرية التي كانوا يريدون اخراج شعيب منها من غني بالمكان اذا اقام
كناية عن استئصالهم الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين الكاملين في الخسران
لذهاب الدين والدنيا لا الا من اتبع شعيبا كما زعموا استئناف مرتين وصدر الاستئنافين
بالموصول مبالغة في تشويه حالهم وتقبيح مالهم فتولى عنهم بعد اهلاكهم وقال

قل هذه

وما قوم

الشرط اذا كان لفظ كان وان دخل عليه
ان الشرط فيجوز بان على المضي
مسلم الثبوت

وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي اكد الكلام لتصويرهم احيا بصفة الانكار
ونصحت لكم فكيف اسى على قوم كافرين كانه قيل لم لا تأسف على قومك
فاجاب بما اجاب او الكلام مع نفسه لما تأسف عليهم في ابتداء الامر عاتب نفسه بانهم كانوا
لا وجه للاسى عليهم او الكلام مع قومه لكن لما وصفهم بالكفر عدل عن الخطاب تبعيدا لهم
وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء مصدران بمعنى البؤس والضر
الاول في البدن والثاني في المال لعلهم يتضرعون لكي يتذللوا ويتبعوا الانبيا
ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي بعد ذلك اجرينا عليهم الصحة والنعم وطاب حالهم
وصفا عيشهم حتى عفوا اكثروا من العفو بمعنى الزيادة يسألونك ماذا ينفقون
قل العفو وفي الحديث قصوا الشارب واعفوا اللحى وقالوا قد مس اباءنا الضراء
والسراء اي هذا من عادة الدهر مع اهله فاخذناهم بغتة فجاة وهم لا يشعرون
كما فعل بقوم هود وظنوا ان في الغيم مطرا فكان فيه ريح فيه عذاب اليم وقوم لوط كانوا
نائمين على فرشهم وقت السحر ولو ان اهل القرى المبعوث اليهم امنوا بلسانهم
واتقوا بقلوبهم لقوله صلى الله عليه وسلم انما التقوى ههنا واشار الى صدره وقيل اتقوا
المعاصي لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وسعنا عليهم من جميع الجهات
من قولهم باب فتح اي واسع وقارورة فتح اي واسعة وقيل بركات السماء المطر والارض النبات
ولكن كذبوا الانبيا فاخذناهم بالعذاب بما كانوا يكسبون بسبب كسبهم الكفر و
المعاصي وفائدة لفظ كان الدلالة على استمرارهم في ذلك وتكامل جناياتهم وحمل القرى على مكة
وما حولها لا يستقيم لان السورة مكية ولم يقع العذاب على اهل مكة ورسول الله بها لقوله وما
كان الله ليعذبهم وانت فيهم افامن اهل القرى اي اهل مكة وما حولها عطف
على مقدر دخله الاستفهام اي ابعد ما علموا حال اولئك وما نزل بهم امنوا تعجب
من تماديهم في الغفلة ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون اي كما اتى قوم لوط
مصدر في موقع الحال او وقت بيات او بمعنى التبيت كالسلام بمعنى التسليم وهم
نائمون حال من المستتر في بياتا ان كان حالا والا فمن المنصوب في يأتيهم او امن
اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون لاهين عن امر الاخرة فهم
كاللاعبين والضحى وقت ارتفاع النهار قيد رمح وهو في الاصل ضوء الشمس سمي به الوقت
المذكور لتكامل شعاع الشمس حينئذ وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر او بسكون الواو
على ان او عاطفة اي امنوا احدى العقوبتين افامنوا مكر الله عن استدراجه اياهم
من حيث لا يشعرون وانما عطف الثاني بالواو وهذا بالفاء لان المعنى اخذناهم بغتة
لما صنعوا ما صنعوا ابعد ذلك امن هذه القرى من مجيء بأسنا بياتا وامنوا اتيانه ضحى فالمنكر
منهم اتيان البأس في هذين الوقتين من غير ترتيب واما الثالث فتكرير الاول على طريقة
الجمع بعد التقسيم مبالغة في التحذير فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون الكاملون
في الخسران اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها يخلفونهم ويملكون
ديارهم واذا عدي هدى باللام كان معناه التبيين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
ان الشان لو نشاء عذبناهم كما فعلنا بمن قبلهم من المصرين وهو فاعل اولم يهد ومن قرأه
بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم قلوب هؤلاء المصرين كلام مستأنف على
طريقة الاعتراض قال الزجاج والفراء او عطف على ما دل عليه الكلام السابق اي يغفلون
عن الهداية ولا يستقيم عطفه على جواب لو لافضائه الى انتفاء الطبع الذي دل على وجوده
قوله فهم لا يسمعون تلك القرى هي المار ذكرها مبتدا وخبر نقص
عليك من انبائها نقص اخبار سكانها من اصرارهم وما تحفهم من العذاب

قائل البيضاوي

بعده ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات المعجزات الواضحة ازاحة للعذر والزاما للحجة فما كانوا
ليؤمنوا بما كذبوا من قبل لكونهم مختوما على قلوبهم وانما زاد لفظ كان ولام
الجحد مبالغة في نفي الايمان عنهم كذلك نطبع الله على قلوب الكافرين مثل طبعنا على
قلوب اهل القرى المار ذكرهم نطبع على قلب كل كافر سبق علمنا بعدم ايمانه وانما التفت الى الغيبة
لان الطبع صفة قهر يناسب لفظ الجلالة الدال على الالوهية والقهر وما وجدنا لاكثرهم
من عهد اى اكثر الناس وفاء بعهد اعتراض بين قصة اصحاب القرى او لاكثر الامم المار
ذكرهم والعهد ما اقروا به في جواب الست بربكم او ما عاهدوا الله عليه عند الوقوع في
الشدة من قولهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم
لفاسقين وان الشان علمنا بان اكثرهم خارجون عن الطاعة متمردون والوجدان
معناه العلم لدخول اللام المستلزمة للمبتدا والخبر ثم بعثنا من بعدهم موسى
اى بعد الرسل المذكورين او المرسل اليهم وانما لم يدرج قصة موسى في تلك القصص
ولم يسقها على ذلك النمط لاشتمالها على وقايع كثيرة وغرايب عظيمة باياتنا معجزاتنا
فظلموا بها كفروا بها ضمن معناه لدلالته على ان الكفر منهم بتلك الايات ظلم لانهم
صدوا الاتباع عن الايمان واذوا من امن بها او ظلموا انفسهم بكفرهم بها فانظر كيف
كان عاقبة المفسدين تامل وتدبر الخطاب عام وقال موسى يا فرعون اني رسول
من رب العالمين اليك والى قومك وانما وصف برب العالمين ليدخل فرعون
فيهم واختار لفظ الرب رمزا الى انهم منعم يجب الايمان به شكر النعمة حقيق على ان لا
اقول على الله الا الحق جواب لتكذيبه اياه ومعناه واجب على اداء
الرسالة على الوجه المطابق لنفس الامر هذا على قراءة تشديد الياء كما هو قراءة نافع
واما على قراءة غيره بسكون الياء فمحمول على القلب مبالغة كان الوجوب الذي هي صفة
سرى الى القول اوضمن معنى الحرص او جعل قول الحق بمنزلة رجل يجب عليه شيء ثم جعل اوضمن
قايليته بمنزلة الواجب على قول الحق على طريقة الاستعارة المكنية وفرعون لقب من ملك
مصر كتبع لمن ملك اليمن والنجاشي لمن ملك الحبشة واسم فرعون موسى قابوس وقيل
اسمه وليد بن المصعب بن ريان ولشهرته بالعتو والطغيان اشتق من اسم الفعل فيقال
تفرعن لكل من عتا وتجبر قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل
الى موطن ابائهم وهي بلاد الشام فانه كان استعبدهم بعد الانبياء قال ان كنت جئت
باية فات بها اى اظهرها ترعم انك جئت به ان كنت من الصادقين في دعوتك
الرسالة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين واضح لكل احد لا يشك فيه والثعبان
ضرب من الحيات طوال وعبر عنه في النمل بالجان وهي حية بيضاء لاجتماع الصفتين فيها
روى انه لما القاه صار ثعبانا اشعر فاتحا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل
في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فوثب فرعون من سريره واستطلق
بطنه ولم يكن احدث قبل كان يستفرغ ما ياكل وحمل على الناس فانهزموا ومات من شدة
الازدحام خمسة وعشرون الف انسان ونادى فرعون يا موسى خذه وانا اومن بك و
ارسل معك بني اسرائيل فاخذه فاذا هو عصا مثل ما كان ونزع يده من تحت مدرعة
وكان عليه جبة صوف فاخرج يده منها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا تغلب
شعاع شعاع الشمس وكان موسى آدم شديد الادمة للناظرين يتعلق ببيضاء و
المعنى ان بياضها كان خارقا للعادة يجتمع له النظارة تعجبا واما قصة ولادته وتبني فرعون
وفراره بعد قتل القبطي ترك ذكره ههنا لكونه مستوفى في القصص ولم يتعلق بذكره
ههنا غرض قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم تقاولوا بهذه المقالة

بهذه المقالة عند التشاور ويحكى ههنا مقالة الملا وفي الشعراء مقالته للملا او هو القايل
ابتداء وهذا كلام الملا مع اتباعهم او قالوه للناس تبليغا عنه كما هو شان الملوك
فان الخاصة تبلغ اوامرهم الى العامة يؤيده قولهم ارجه واخاه يريد ان يخرجكم من ارضكم
فماذا تامرون الامر على حقيقته ان كان كلام الملا مع فرعون ومعناه الاشارة
ان كان كلام فرعون مع قومه قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك
بكل ساحر عليم من الارجاء وهو التاخير اى اخره واخاه واحشر من ساير
بلادك كل ساحر ماهر لمعارضته قرا نافع في رواية قالون ارجه بكسر الهاء بلا همز و
كذا ورش عنه الا انه وصل كسر الهاء بالياء وابن كثير بالهمز ساكنا مع ضم الهاء الموصول
بالواو وكذا ابو عمرو الا انه لم يوصل الضم وهشام عن ابن عامر فكابي عمرو وابن ذكوان وهشام
بالهمز وكسر الهاء دون وصل وعاصم وحمزة بسكون الهاء دون الهمزة والكسايي بكسر
الهاء مع الصلة كورش وقرا حمزة والكسايي سحار ههنا وفي يونس ويؤيدهما الاتفاق
عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون اى بعد ارساله في طلبهم قالوا ان لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين استفهموا التقوي باعطائهم فيكون ادعى للنصح و
قرا نافع وابن كثير وعاصم في رواية حفص على الاخبار جزما بوجوب الاجر لعظم الامر
قال نعم جواب عن الاستفهام او تصديق لذلك وانكم لمن المقربين
عطف على ما دل عليه نعم زادهم على ما قصدوه تحريضا لهم قالوا يا موسى اما ان
تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروه كما هو داب المتادبين في المناظرة
وقولهم اما ان نكون نحن باقحام ضمير الفصل وتعريف الخبر يدل على انهم كانوا راغبين
في البداءة بهم اجابهم الى ذلك قال القوا تحقيرا لشانهم وازدراء بهم وثقة بما عنده
فلما القوا سحروا اعين الناس خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم
ارهبوهم ارهابا شديدا السين للتاكيد لا للطلب او كانهم استدعوا رهبتهم وجاؤوا
بسحر عظيم روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا وجعلوا فيها الزيبق
فتوهم انها تتحرك وانها حيات عظام بعضها راكب فوق بعض واوحينا الى موسى
ان الق عصاك فاذا هي تلقف من لقف بالكسر اذا تناول سريعا
ما يافكون اى القاها ففاجات لقف ما زوروه وحرفوه عن وجهه من الافك
وهو الصرف وانما وضع المضارع موضع الماضي استحضارا لتلك الصورة الهايلة وقرا
حفص مخففا فوقع الحق ظهر بعد ما كان مخفيا وبطل ما كانوا يعملون ظهر
بطلانه بحيث لم يبق فيه شبهة لما تلقفت تلك الحبال والاخشاب فكانت عصا على هيئتها
الاولى قالت السحرة لو كان هذا سحرا لازداد جرم العصا فغلبوا هنالك في ذلك
المكان او الزمان وانقلبوا صاغرين صاروا او رجعوا الى المدينة اذلاء
مبين من الصغار وهو الذل والقي السحرة ساجدين من شدة مبادرتهم
الى السجود كان طرحا القايهم او بهرهم الحق فلم يتمالكوا او القايهم الله على وجوههم من غير
اختيار منهم امنوا ساجدين قالوا امنا برب العالمين لم يعطفوا ايمانا الى ان
سجودهم كانه لم يتميز عن هذا القول لشدة مسارعتهم الى الايمان رب موسى
وهارون بدل من رب العالمين دفع توهم ان رب العالمين اريد به فرعون
لقوله ما علمت لكم من اله غيري قال فرعون امنتم به بموسى الاستفهام للانكار
قرا عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسايي بتحقيق الهمزتين واسقط حفص الاولى
وابدلها قنبل واوا ههنا وفي الملك قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة
في مصر قبل ان تخرجوا الى المناظرة لتخرجوا منها اهلها اى القبط وتخلو لبني اسرائيل

سوف تعلمون ما احاريكم به من العقاب اجمالا فصل بقوله لاقطعن ايديكم و
ارجلكم من خلاف تقطيعا ناشيا من المخالفة بان يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى او
بالعكس قيل انه اول من سن هذا العذاب جعله الله جزاء قطاع الطريق لعظم جنايتهم
ولذلك سمى فعلهم محاربة الله ورسوله ثم لاصلبنكم اجمعين دلت لفظة ثم على انه بعد
القطع لم يصلبهم على الفور بل تركهم زمانا مطروحين على الارض احقابا لشانهم ولما
افاد هذا المعنى هنا ذكره بالواو وفى سائر السور اختصارا قالوا انا الى ربنا منقلبون
استطابوا ذلك العذاب لكونه وصلة الى لقاء الله تعالى وعن قتادة انهم كانوا اول النهار
كفارا سحرة ولآخر النهار شهداء بررة او ان مصيرنا ومصيرك الى الله فيجازيك على ما فعلت بنا
ويجازينا على اتباع الحق والصبر على عذابك او انا ميتون لا محالة سواء كان بقتلك او بطريق
آخر من اسباب الموت وما تنقم منا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وما تعيب منا
الا ما هو افضل المناقب واساس المآثر ومنه ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب وفيه ايماء الى فرط حماقة فرعون حيث جعل الايمان الذى لا يدانيه كمال
سببا للقتل ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا من افرغت الماء عليه اذا غمرته به
استعارة تبعية طلبوا عند اشتداد العذاب اجزال العطاء وقد روى البخارى انه قال
صلى الله عليه وسلم لم يعط احد عطاء خيرا واوسع من الصبر وتوفنا مسلمين
منقادين لقضائك وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا
فى الارض بدعوة الناس الى مخالفتك روى انهم لما غلبوا آمن بموسى ستمائة الف
من بنى اسرائيل فقالوا له ذلك فقاولوا بهذه المقالة ويذرك وآلهتك كان من فرط
عتوه جعل اصناما لقومه على طريقة عبدة الاصنام ليتقربوا بعبادتها اليه لذى الحاجة
ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقيل كان يعبد الكواكب وليس بشئ لقوله ما علمت لكم من اله
غيرى ويذرك منصوب بالعطف على ليفسدوا واللام للعاقبة على طريقة قوله ليكون
لهم عدوا وحزنا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بينى
وبينكم المودة والاخاء والمعنى ايكون منكم ترك موسى ويكون منه تركه اياك والهتك
قال سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم كما كنا نفعل قبل ولادته لئلا يظن
العامة انه المولود الذى تحدث الكهنة والمنجمون بزوال ملكنا على يده قرأ ابو عمرو وابن
عامر وعاصم وحمزة والكسائى بضم النون وفتح القاف وتشديد التاء وهو ابلغ واوفق
بالمقام وانا فوقهم قاهرون مستمرون بصفة القهر لم تزل قال موسى لقومه استعينوا
بالله واصبروا جواب سؤال كانه قيل ماذا قال موسى حين قال فرعون تلك المقالة وانما
قال موسى لقومه ما قال تشجيعا لهم وتسلية بقوله ان الارض لله يورثها من يشاء
من عباده فلا اعتبار بمقالته والعاقبة للمتقين الجامعين بين الطاعات و
اجتناب المعاصى وفرعون وقومه ليسوا فى شئ من ذلك وانما لم يسنده الى نفسه مع كونه
جازما بذلك هضما للنفس قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل الابناء
والاستعباد ومن بعد ما جئتنا باعادة ذلك فنحن اذا ظهر بنا الجزع فلنا فيه معذرة
قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون
اتشكرون ما من به عليكم من الامارة بعد الرق والعبودية ام تكفرون روى ان عمرو بن
عبيد دخل على المنصور قبل الخلافة فلم يكن على مائدته الا رغيفان فطلب الزيادة لعمرو
فلم يوجد رغيف آخر فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد الخلافة فذكر له ذلك وقال
قد بقى فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
بالجدب والقحط وقلة الامطار والسنة غلبت على عام القحط لان الوقايع بها تو زح ولكثرة

قال القاضى

ولكثرة دورانها على السنتهم لعلهم يذكرون ان ذلك بسبب كفرانهم النعم فينيبوا
ويرعووا الى التوبة بشكر موليها فاذا جاءتهم الحسنة اى الخصب والرخاء لكونه فى مقابلة الجدب
فاللام للعهد الخارجى ولما كان وقوع الخصب والرخاء اكثريا والسيئة التى تقابلهما نادرا اتى فى الاول
باذا مع الماضى وفى الثانى بان مع المضارع ولا يرد قوله واذا مس الناس الضر لان المراد اى
ضر كان بالنسبة الى الانسان المعرض الكافر للنعم الجدير بان يصيب كل آن قالوا لنا هذه
مختصة بنا لمزية فينا توجب الاختصاص وان تصبهم سيئة قحط وآفة يطيروا بموسى
ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون هذا بشؤمهم وهذا على عرف العرب فانهم كانوا يسمون
الشؤم طيرا وطيرة لتشاؤمهم بالبارح ونعيق الغراب والآية دلت على فرط غباوتهم لان دعوى
الاختصاص مع انهماكهم فى الكفر والطغيان ونسبة السيئة الى من هو مستغرق فى شكر نعم الله قائم
باوامره ونواهيه نهاية الغى والجهالة الا انما طائرهم عند الله اى ذلك الشؤم
انما هو بتقدير الله ومشيئته المسبب عن كفرانهم ومعاصيهم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان
عذابى لشديد ولتماديهم فى الغفلة صدر الجملة بحرف التنبيه وانما ولكن اكثرهم لا يعلمون
الامور على وجهها ليؤديهم ذلك الى العلم بان الامر كله لله وقيد الاكثر يدل على ان قليلا
منهم كانوا عالمين بذلك ولكن تابعوا الاكثر فى هواهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية
زيد عليها ما للتأكيد ولاستثقال التكرار قلبت الالف هاء وقيل مركبة من مه الذى هو اسم الفعل
بمعنى اكفف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب على شريطة التفسير تأتنا به
اى تحضرنا به من آية بيان لما وتسميتها آية تهكم او على زعم موسى لتسحرنا بها ذكر الضمير
اولا وانثه ثانيا نظرا الى اللفظ والمعنى فما نحن لك بمؤمنين اقناط لموسى وردع له عن
الاشتغال باظهار المعجزات فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم الطوفان مصدر كالغفران من طاف بالشئ قيل مطر وثمانية ايام فى
ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا يقدر احد على الخروج من داره وامتلأت بيوت القبط ماء
حتى قاموا فى الماء وبيوت بنى اسرائيل مشتبكة ولم يدخل فيها قطرة وامتنعوا بذلك عن
اسباب المعاش وقيل هو الجدرى وهو اول عذاب وقع فيهم فبقى فى الارض وقيل هو
الموت الذريع فاستغاثوا بموسى فدعا لهم فارتفع عنهم فاقاموا شهرا ثم نقضوا فارسل عليهم الجراد
فاكل كل شئ حتى الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيت بنى اسرائيل ولا اكل من اموالهم
شيئا ففزعوا الى موسى فدعا واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحى فلما كشف
عنهم نقضوا العهد فسلط عليهم القمل جمع قملة دويبة اصغر من القردان وعن ابى عبيدة هى
كبار القردان وقيل هى اولاد الجراد قبل نبات جناحها وقيل البراغيث وعن سعيد بن
جبير السوس فاكل ما ابقاه الجراد قيل لما عصوا بعد انكشاف الجراد كان الى جنبهم كثيب فضربه
موسى بعصاه فصار قملا فاخذت اكل ابشارهم واشعارهم وشعور رؤوسهم وحواجبهم فاتوا
الى الله فانكشف عنهم فاقاموا يسيرا ونقضوا التوبة فارسل عليهم الضفادع فامتلأت
بيوتهم واوانيهم ضفادع وكان اذا اراد القبطى التكلم وثبت الضفدع الى فيه وامتلأت مضاجعهم
فلم يقدروا على الرقاد فلجأوا الى موسى فدعا الله فكشف ما بهم فاقاموا يسيرا ثم نقضوا العهد فارسل
الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال هذا من سحره فشرع يجمع القبطى
والاسرائيلى على اناء واحد فما يلى الاسرائيلى يكون ماء قراحا وما يلى القبطى دما عبيطا حتى ان المرأة
القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلى الماء فى فيك ثم مجيه فى فمى فيصير دما فى فيها وقيل
جرى عليهم النيل وقيل سلط الله عليهم الرعاف قيل مكث موسى فيهم عشرين سنة بعد غلبة
السحرة يدعوهم الى الله ويريهم الآيات يتوبون تارة وينقضون اخرى آيات مفصلات
لا يشك العاقل انها من آيات الله التى لا يقدر عليها غيره او فصل بعضها عن بعض بزمان

وهو اول

ليعلم حال توبتهم هل هم مخلصون ام لا الزاما للحجة فاستكبروا من الايمان وكانوا قوما
مجرمين مستمرين على الاجرام ولما وقع عليهم الرجز هو العذاب المفصل وقيل هو
الطاعون ارسل عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
بنبوتك فان النبوة عهد من الله لرسله كما يكتب الملوك للولاة العهود والمناشير او بالذي عهد
اليك من الاسرار والاسماء التي اذا دعوت بها اجابك وعلى الوجهين الباء صلة او حال اى
متوسلا بما عهد عندك او الباء للقسم جوابه لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه
في علم الله وهو الوقت المقدر لاهلاكهم وقيل الى وقت غيوه لا يمانهم وكانهم كانوا
عينوا وقتا يجتمع فيه الحاضر والبادي والوجه هو الاول اذا هم ينكثون فاجئوا
النكث ونقض العهد جواب لما واذا الفجائية سدت مسد الفاء فانتقمنا منهم فاردنا
الانتقام لان ما يعقب من الاغراق هو الانتقام ويحتمل كون الفاء تفسيرا فاغرقناهم
في اليم في البحر وقيل بحر لا يدرك قعره وقيل لجة بانهم كذبوا باياتنا اى ذلك الاغراق
تسبب عن تكذيبهم بتلك الايات وكانوا عنها غافلين مستمرين على الغفلة اشارة
الى ان ما حل بهم ليس ناشيا عن التكذيب وحده حتى لو تداركوا التكذيب لم يحل بهم ما حل
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بذبح الابناء وساير انواع الخدم مشا
رق الارض ومغاربها ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد هلاك فرعون والعمالقة
وتمكنوا فيها التي باركنا فيها بالاشجار والاثمار او بانها موطن الانبياء ومنابت الاولياء
وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ما وعده بقوله ونريد ان نمن
على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين والحسنى تانيث الاحسن
واستعمال التمام بعلى مبالغة في انجاز الوعد كانه استعلاهم وشملهم بما صبروا بصبرهم حيث
قال لهم موسى استعينوا بالله واصبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون اهلكنا
واعدمنا مكائده ومحونا اثار حيلاته وابطلنا من الدمار وهو الهلاك وما كانوا
يعرشون من القصور والبنيات العالية كصرح هامان وما دفعوه من الكروم و
البساتين قراه ابو بكر عن عاصم وابن عامر بضم الراء روى ان فرعون عاش اربعماية عام لم
يصبه مرض وشيد القصور رفاعدمه الله وما فيه في طرفة عين تمت قصته ههنا وجاوزنا
ببني اسرائيل البحر شرع في قبائح بني اسرائيل وذكر ما قابلوا به نعم الله العظام من انواع
الجهالات فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم يقبلون على عبادتها ملازمين
من عكف على الشيء اقبل عليه مواظبا والقوم كانوا من العمالقة الجبارين الذين امر الله
بقتالهم وقيل من لخم وقراه حمزة والكسائي بكسر الكاف والباقون بالضم قالوا
يا موسى اجعل لنا الها نتقرب ونجعله وسيلة الى المعبود الحقيقي كما لهم الهة
يتوسلون بها قال انكم قوم تجهلون دابكم الجهل يحدث منكم وقتا بعد وقت
قيل تلك التماثيل التي راوها كانت على صورة البقر ومن هنالك مالوا الى عبادة عجل
السامري وفي بلاد الهند الى الان طايفة من السامرة يعبدون البقر وقد سمعت جماعة
ان ملوكهم يلطخون اشرف مواضعهم بروث البقر تقربا الى الله واما ذبح البقر فعندهم لا
جريمة فوقها ان هؤلاء متبر ما هم فيه مهلك لا شاب له من التبار وهو الهلاك
وباطل ما كانوا يعملون من عبادة الاصنام لا يؤيده دليل فالاول بالنظر
الى الاعتقاد والثاني بالنظر الى العمل ولذلك نسب الى الاول الهلاك والى الثاني البطلان
قال اغير الله ابغيكم الها ومعبودا من بغى الشيء طلبه له وهو فضلكم
على العالمين بانواع الكرامات لم يشارككم في ذلك احد ولا سبق لكم لذلك استحقاق

وما فيه

استحقاق واى فايدة في ذلك اذا كان هو المنفرد واذ نجيناكم من ال فرعون ابتدا
كلام من الله تصديقا لموسى وتقريعا لبني اسرائيل اى واذكروا تلك النعمة العظيمة وقراه ابن عامر
انجاكم فيكون من مقوله والاول هو المختار للموافقة وواعدنا ولكونه اقعد معنى ولتغير الاسلوب يسو
مونكم سوء العذاب يريدونكم عليه قهرا من سام الشيء اذا جبرته عليه وسوء العذاب
من اضافة الصفة الى الموصوف يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان لسوء العذاب
وصيغة التفعيل للدلالة على كثرة القتل وقراه نافع يقتلون بفتح الياء مخففا وفي ذلكم بلاء من ربكم
عظيم في الانجاء نعمة عظيمة او في العذاب نقمة جسيمة وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممنا
ها بعشر لما كانت بنو اسرائيل بمصر وعدهم موسى بان ياتيهم بكتاب بعد هلاك فرعون يكون
فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه ذلك الكتاب فامر بصوم ثلثين
يوما وهو شهر ذي القعدة فلما فرغ منه استاك فقال الله تعالى اما علمت ان خلوف الصايم اطيب
عندي من ريح المسك فصام عشر ذي الحجة قراه ابو عمرو وعدنا باسقاط الالف حيث وقع وهو
المختار لان الوعد منه تعالى وحده وعليه رسم المصاحف فتم ميقات ربه اربعين ليلة
بالغا اربعين نصب على الحال وقيل خبر تم لانه فعل ناقص وانما ذكر الليل وان كان الصوم
في النهار لان الليالي غرر الايام وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفة
عليهم لان هرون وان كان نبيا لكن كان موسى صاحب الشريعة واقدم منه وان كان اصغر
سنا منه واصلح ما يفسدونه من امر الدين لعلمه بجهالة بني اسرائيل ولا تتبع سبيل
المفسدين ولا تسلك سبيل من يدعوك الى الافساد فلما جاء موسى لميقاتنا
لوقتنا الذي وقتناه لمجيئه واللام للاختصاص اى اختص مجيئه بذلك الوقت ويقال له لام
التبيين والتوقيت مثل اقم الصلوة لدلوك الشمس وكلمه ربه من وراء حجاب بلا
واسطة اى اسمعه كلامه القديم بلا صوت وحرف او اوجد اصواتا وحروفا في سمعه فلما سمع
الكلام هاج شوقه الى رؤية المتكلم قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك
اى مكني من رؤيتك فانظر اليك فاريك وهذا لان الرؤية مسبوقة بالنظر يقال نظرت
الى الشيء فلم اره قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني
علق رؤيته موسى على رؤية الجبل ولا ريب انه ممكن فيكون المعلق عليه ايضا ممكنا ولا يلزم
من قوله لن تراني نفي امكان الرؤية مطلقا ولذلك لم يقل ذلك محال او لن ارى ولا افيد
المنفي بلن بما يفيد التابيد وقد روى البخاري ومسلم عنه صلى الله عليه وسلم انكم
سترون ربكم كما ترون الشمس وقت الظهيرة ليس دونها سحاب وحمل الرؤية على المعرفة لا
وجه له لانه صرف الحقيقة من غير ضرورة والرؤية بخلق الله لا تستدعي الجهة ومن جوز سماع
كلام من غير جهة ومنع الرؤية واستحاله كذلك فقد اتى بما لا يرتضيه عاقل واما قوله لا
تدركه الابصار فلا يقوم دليلا لان الادراك هو الاحاطة وتحقيق هذه المسئلة مع
الاطناب في علم الكلام فلما تجلى ربه للجبل بعد ان خلق فيه الرؤية
جعله دكا مدكوكا مفتتا مساويا بالارض وقراه حمزة والكسائي دكاء بمد وراء اى ارضا
مستوية وكان في ذلك ارشاد لموسى الى انه مع تلك القدرة في هذه الدار لا يمكن له ذلك
وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راى فلما افاق قال سبحانك
تبت اليك من جراتي واقدامي على تلك المسئلة من غير استيذان وانا اول المؤمنين
بان الرؤية في هذه الدار لا تكون له تفسير آخر تقدم قال يا موسى اني اصطفيتك
على الناس برسالاتي باحكام التورية فان كل حكم رسالة من الله وقراه نافع
وابن كثير بالتوحيد وهذا اوفق بما بعده وبكلامي بتكليمي اياك فخذ ما اتيتك
من الرسالة والتقريب وكن من الشاكرين على هذه النعم التي هي اقصى مراتب

وحرف

وسلم

البشر وان تفاوتت الافراد فيها ولو حصلت الرؤية لموسى لم يبق لسيد البشر ما يمتاز به عن
ساير الرسل فكانت مدخرة له صلى الله عليه وسلم **وكتبنا له في الالواح من كل**
شيء يحتاجون اليه في امر دينهم مثلا واوتيت من كل شيء **موعظة** بدل من محل
المجرور **وتفصيلا لكل شيء** عطف على البدل اي وكتبنا له في الالواح المواعظ
وتفصيل الاحكام فالاول بالنظر الى الاعتقاد والثاني الى العمل والالواح كانت عشرة وقيل سبع
كانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر وقيل من صخرة لينها موسى فقطعها بيده **فخذها**
الالواح عطف على كتبنا بتقدير القول وجعله بدلا من فخذ والضمير للرسالة بعيد **بقوة**
بجد وعزيمة كما هو شأن اولي العزم **وامر قومك يأخذوا باحسنها** ارشدهم الى
الى الاولى والاخلق فان التورية فيها الاحسن والحسن وهذا مثل قوله اتبعوا احسن
ما انزل اليكم **ساريكم دار الفاسقين** مصر دار فرعون واتباعه سر وهي خاوية
على عروشها او ديار عاد وثمود في ممركم الى الارض المقدسة او جهنم يوم القيمة وانما
ذكره بعد الامر بالاخذ بما في التورية من الاحكام تحذيرا عن المخالفة لشيء منها
فيحل به ما حل باولئك **ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض**
باهلاكهم وعد لهم بانهم منصورون وتفعل بعدوهم ما فعل بفرعون او اصرفهم
عن ابطال الايات وان اجتهدوا او بذلوا وسعهم كما فعل بفرعون بعد ما فرغ جهده
في ابطال معجزات موسى **بغير الحق** صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم
الباطل او حال عن الفاعل اي يتكبرون غير محقين فان المتكبر حقا هو الله **وان يروا كل**
اية يمكن اتيان الرسل بها **لا يؤمنوا بها** لان الطبع قد سد طريق الادراك عليهم
وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لان على ابصارهم غشاوة وقرأ حمزة
والكسائي الرشد بفتح الراء والشين وهما لغتان كالسقم والسقم **وان يروا سبيل**
الغي يتخذوه سبيلا لانهم عماة يقودهم الشيطان اليه **ذلك بانهم كذبوا**
باياتنا وكانوا عنها غافلين اي عدم الايمان بالايات وترك سبيل الرشاد و
سلوك سبيل الضلال بسبب تكذيبهم بالايات او ذلك الصرف للتكذيب بالايات
والغفلة عنها ذلك رفع على الابتداء او نصب على المصدر **والذين كذبوا باياتنا و**
لقاء الاخرة لقائهم الاخرة او ما وعدهم الله في الدار الاخرة من اضافة المصدر الى المفعول
او الى الظرف **حبطت اعمالهم** لعدم الايمان الذي هو الاساس **هل يجزون الا ما كا**
نوا يعملون لا يجزون الا جزاء اعمالهم **واتخذ قوم موسى من بعده**
من بعد ذهابه الى الطور شروع في نوع آخر من قبايح بني اسرائيل **من حليهم** جمع حلي
كثدي جمع ثدي وقرأ حمزة والكسائي بكسر الحاء اتباعا لكسر اللام **عجلا جسدا**
كساير الاجساد **له خوار** هو صوت البقر قيل صار ذا لحم ودم وحصل فيه الحيوة لاندراج
فيه قبضة من تراب موطئ فرس جبريل وقيل بل كان ذا جوف فيه انابيب وضعه السامري
على مهب الريح فاذا دخل جوفه وسرى في تلك الانابيب يظهر منه صوت يشبه صوت البقر
فان قلت الحلي كان للقبط وكان مستعارا في يد بني اسرائيل والغنايم لم تحل لاحد قبل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وامته بل كانوا يجمعون الغنايم فيحرقونها بالنار قلت لعل موسى
لم يطلع على تلك الحلي في ايدي بني اسرائيل ولذلك احرق العجل بعد رجوعه ونسفه في اليم
نسفا او نقض بني اسرائيل مستثناه لقتل القبط ابناءهم واستعبادهم اياهم يدل عليه قوله تعالى
كم تركوا من جنات وعيون ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل وانما نسب الاتخاذ الى
قوم موسى والمتخذ هو السامري لرضاهم بذلك او لكونهم اتخذوه الها يعبدونه **الم يروا انه**
لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا قدروا عدم اقتداره على ما يقدر عليه احاد البشر من مجرد

من مجرد الكلام والهداية الى سبيل ما ومع ذلك اتخذوه الها تفريع على فرط غباوتهم
اتخذوه وكانوا ظالمين اعاده مقيدا بما يفيده زيادة التوبيخ اي ليس ذلك الاتخاذ
اول منكر صدر منهم بل دابهم الاستمرار على وضع الاشياء في غير موضعها **ولما سقط**
في ايديهم اي ندموا غاية الندم لان من اشتد ندمه يعض بنانه [illegible] سبابة
المتندم واصل التركيب سقط افواههم في ايديهم حتى كانهم لم يتمالكوا بل كانوا عضوا
الايدي من غير اختيار منهم فالكلام كناية ايمائية **وراوا انهم قد ضلوا** ظهر لهم ظهور
المحسوس **قالوا لئن لم يرحمنا ربنا** بانزال التوبة **ويغفر لنا** ما صدر منا
لنكونن من الخاسرين الكاملين في الخسران قرأ حمزة والكسائي الفعلين
بالخطاب ونصب ربنا على النداء والخطاب اوفق بالمقام لدلالته على الاستكانة لمن يقبل
التوبة عن عباده والغيبة حكاية فيما بينهم **ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا**
اخبره تعالى بقوله انا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري ورجع الى قومه والاسف الحزين
وفي الحديث ان ابا بكر رجل اسيف اي حزين بكاء **قال بئسما خلفتموني** الخطاب
لهرون ومن معه من المؤمنين لقوله لهرون اخلفني في قومي وفاعل بئس مضمر يفسره ما والمخصوص
محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها خلافتكم **من بعدي** اي بعد ما رايتم من التوحيد
والذب عن عبادة غير الله تعالى وحمل البعدية على بعدية الانطلاق يأباه لفظ الخلافة وجعل من
قبل البصرية يعني لا يناسب المقام **أعجلتم امر ربكم** ما امركم به من الانتظار اربعين يوما
يقال عجل زيد عن امره اي تركه غير تام فضمن معنى السبق او حذف عنه الجار روي ان موسى
وعدهم بالرجوع في اربعين يوما فعدوا عشرين يوما اربعين اعتدادا بالليالي لفرط بلادتهم
والقى الالواح التي كان فيها التورية لفرط غضبه وكان شهيرا بالحدة والشدة في الدين
وهرون عكس ذلك من سلامة الاخلاق ولين العريكة ولذلك كان احب الى بني اسرائيل **واخذ**
براس اخيه يجره اليه ظنا منه انه قصر في الخلافة ومن قلع عين ملك الموت حين دعاه الى
الموت لا يبعد منه ان يفعل مع اخيه ما فعل اذا عبد العجل **قال ابن ام** نسبه الى الام وان كانا اخوين
من اب وام ترقيقا له بانهما ولدا من بطن وارتضعا ثديا قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي
بكسر الميم لان اصله امي فحذف الياء اكتفاء بالكسرة والباقون بفتح الميم تشبيها بخمسة عشر او ما للتخفيف **ان**
القوم استضعفوني عدوني ضعيفا **وكادوا يقتلونني** ازاح ذلك الوهم بانه بالغ في
النصح حتى قاربوا قتله وهذا القدر كان واجبا عليه من النهي عن المنكر **فلا تشمت بي الاعداء**
لا تجعلهم فرحين بي من الشماتة وهي فرح العدو بما نزل بعدوه **ولا تجعلني مع القوم**
الظالمين في عدادهم وحزبهم **قال رب اغفر لي** ما فرط من القاء الالواح المسطور
فيها كلامك وعدواني على اخي **ولاخي** ان ندر منه نوع تقصير **وادخلنا في رحمتك**
الواسعة كل شيء **وانت ارحم الراحمين** يجزي النوال على قليل من الشكر **ان الذين اتخذوا**
العجل سينالهم غضب من ربهم ابتداء كلام منه تعالى بان من عبد العجل وان لم يصبه
على الفور جزاء جريمته فسيناله غضب الله وانتقامه وهولاء ان كانوا من التائبين فالغضب هو قتلهم انفسهم
وان كانوا غير التائبين فعذاب الاخرة **وذلة في الحيوة الدنيا** بخروجهم عن ديارهم
لان ذل الغربة شديد وقيل ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير من رسول الله من القتل والجلاء
وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم من ادعاء الالوهية في ولد البقر **و**
الذين عملوا السيئات الكفر وساير المعاصي **ثم تابوا من بعدها** الى الله منها **وامنوا**
اخلصوا الايمان او اتوا بما هو من مواجبه وهي الاعمال الصالحة **ان ربك من بعدها لغفور**
ستار لتلك المعاصي **رحيم** يبدل لها حسنات من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات **ولما سكت عن موسى الغضب** باعتذار اخيه وتوبة القوم شبه الغضب

رد على الفاضل اذ لا خلاف الا بعد الانطلاق فيقع مستدركا سلمه الله منه

او حذف

بالحامل والمغرى له على ما فعل وسكونه بالسكوت اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها
وما نسخ فيها فعلة بمعنى المفعول كالقبضة والنخبة هدى الى الرشاد ورحمة للذين هم لربهم
يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل لتقدم المفعول مثل ان كنتم للرؤيا
تعبرون او المفعول محذوف واللام للتعليل اي يرهبون المعاصي لله لا لامر آخر واختار موسى
قومه سبعين رجلا لميقاتنا اي من قومه حذف الجار واوصل الفعل وهذا كثير في
فصيح الكلام اذا امن اللبس روي انه تعالى امره ان يأتيه الى الطور في سبعين من قومه من كل سبط
فرقة ليسمعوا كلامه موسى بالاوامر والنواهي فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة فاختار من كل سبط
ستة نفر فزاد اثنان فقال اخوا في التخلف فقال موسى من تخلف له اجر من حضر فاتر يوشع وكالب التخلف
فرج موسى متقدما قومه كما اخبر عنه وما اعجلك عن قومك يا موسى وقيل قدومهم وحضورهم
كان سؤال رؤيته وما جرى له من الصعقة واندكاك الجبل وانابته فسأله بعد ذلك عن تقدمه
على قومه مع انه كان مامورا باستصحابهم فاجاب بان موجب التقدم هو المسارعة الى رضاه فقال انا
قد فتنا قومك من بعد ذهابك واضلهم السامري فرجع موسى الى قومه وجرى مع اخيه وقومه
ما حكاه الله في كتابه وعاد الى الطور مع السبعين فلما انكشف الغمام قالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة فلما اخذتهم الرجفة رجف بهم الجبل فخروا اموتا لقوله تعالى ثم بعثناكم
من بعد موتكم فان قلت قوله تعالى في سورة النساء فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل
من بعد ما جاءتهم البينات يدل على ان اتخاذ العجل متأخر عن رجفة الجبل بهم قلت ثم هناك
محمول على التراخي الرتبي للاتفاق على ان اتخاذ العجل كان قبل مجيء وقت بالتوراة ولانه حكى في سورة
البقرة قصة العجل قبل اخذ الصاعقة والقرآن يفسر بعضه بعضا قال رب لو شئت اهلكت
هم من قبل واياي اي لو شئت هلاكهم وهلاكي من قبل مجيئنا لكنت قادر
ولم تفعل فنحن نرجو رحمتك وقيل تمنى هلاكهم وهلاكه خوفا من قومه لئلا يقولوا انت
اهلكتهم روي هذا عن مقاتل وهو بعيد لما رواه البخاري لا يتمنى احدكم الموت لضر نزل به
اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من طلب الرؤية عيانا فالاستفهام على حقيقته لانه
يفعل ما يشاء في ملكه او بمعنى النفي لا تفعل ذلك لانك لا تاخذ احدا بجريمة الآخر ولعل ذلك
السؤال كان من بعضهم وقيل المراد بفعل السفهاء عبادة العجل لان موسى اختار السبعين
لميقات التوبة وليس بشيء لان التوبة عن عبادة العجل لم يكن لها ميقات بل التوبة عنها كان بقتل
انفسهم ولما تقدم من ان اختيار السبعين كان قبل عبادة العجل ان هي الا فتنتك تضل بها
من تشاء وتهدي من تشاء انت الذي ابتليتهم وسببت لهم اسباب
تلك الجريمة منك العفو ايضا يرتجى انت ولينا متولي امورنا والقائم بها فاغفر لنا
ما فرط منا وارحمنا وتفضل علينا بعد العفو نعمك وانت خير الغافرين
تكتب بعد التوبة مكان السيئة الحسنة وفي الحديث من هم بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة
وانما فصل الآية الاولى بارحم الراحمين لان غضبه كان لله وظهرت براءة اخيه بخلاف
سؤال الرؤية من قومه فانها جريمة عظيمة يناسب الغفران واكتب لنا في هذه الدنيا
حسنة عيشة طيبة من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة وفي
الآخرة بدخول الجنة والفوز بلقائك انا هدنا اليك اي تبنا من هاد يهود اذا
تاب وهو كالعلة للسؤال السابق قال عذابي اصيب به من اشاء لا علة لصنع
ناظر الى قوله ان هي الا فتنتك ورحمتي وسعت كل شيء لم تخل عنها ذرة لان اول الكمالات
هو الوجود الشامل للكائنات فساكتبها قد كتبتها فالسين للمبالغة والمضارع للتصوير
بصورة الحاضر او فساظهرها للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة
افرده بالذكر لكونه اشق وهذا الامة موسى ثم اردف بمن يؤمن من اهل الكتاب بمحمد صلى الله عليه

فاجاب

بمجيء وقت

الله عليه وسلم بقوله والذين هم باياتنا يؤمنون بكلها لا يفرقون بين احد من
رسله الذين يتبعون الرسول النبي الامي خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ
خبره يأمرهم او بدل من الذين هم باياتنا يؤمنون بدل الكل لا البعض وجعله بدلا عن الذين
يتقون انما يستقيم اذا جعل الواو المتوسط لتغاير الصفات وهو خلاف الظاهر مع انه لم يبق
لامة موسى ذكر مع تلك الرحمة المدخرة وانما قدم الرسول مع كونه اخص والقياس تاخيره تعديا
لاشرف الوصفين او لكونه رسولا من الله نبيا عن الامة الامي هو من لا يكتب منسوب الى امه
اي هو على جبلته والعرب كانت تسمى امة لعزة الكتابة فيهم قال تعالى هو الذي بعث في الاميين
رسولا وهو وصف كمال له ناف للريب عما اتى به قال تعالى ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل الكاتبين المختصين بهم باسمه وعلاماته
يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر يحتمل ان يكون هذا ايضا في التورية والانجيل
او هو مدح له ابتداء منه تعالى ويحل لهم الطيبات ما كان محرما عليهم في شريعة موسى
ويحرم عليهم الخبائث من الدم والميتة ولحم الخنزير والربوا والرشوة ويضع عنهم
اصرهم اصل الحبس والضيق وفي الحديث من تاخر عن الجمعة له كفلان من الاصر اي
الاثم وعليه يحمل لان التكاليف الشاقة علمت من قوله والاغلال التي كانت عليهم جمع غل
وهو القيد شبهت بها التكاليف الشاقة في شريعة موسى من تعين القضاء بالقصاص وقطع الاعضاء
الخاطئة وقطع موضع النجاسة في الثوب والعضو وعن عطاء انهم كانوا يغلون ايديهم الى اعناقهم
في الصلوة وقرأ ابن عامر اصارهم بصيغة الجمع وهو المختار لكونه نصا في الانواع وموافقة للاغلال
فالذين امنوا به وعزروه نصروه مرة بعد اخرى واصله المنع ونصروه من عطف
العام على الخاص او اريد بالتعزير لازمه وهو التعظيم والتوقير واتبعوا النور الذي انزل
معه النور القرآن لانه اماط ظلمة الجهل والمراد انزاله مع نبوته او الظرف متعلق باتبعوا اي
اتبعوا القرآن مع اتباع النبي في اقواله وافعاله فيكون وصفا لهم بالايمان بشريعته اولئك
هم المفلحون الفائزون بكل بغية قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم
جميعا بين لهم ان شانه مباين لشان سائر الانبياء فانه مبعوث الى الناس كافة ليعلموا
انه مبعوث الى العرب وقد رفع البخاري اليه صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت الى الاحمر و
الاسود وكان كل نبي يبعث الى قومه الذي له ملك السموات والارض جر على الوصف
وتوسط الجار والمجرور مع ما يتعلق به لا يقدح في ذلك او بدل او مدح مرفوع او منصوب
او مبتدأ خبره لا اله الا هو وقيل على الوجه الاول اشتمال من الصلة او بيان يحيي
ويميت يقرر معنى الالوهية لان المتفرد بهما له الاحياء والاماتة فامنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يؤمن بالله وكلماته وكتبه المنزلة وفي هذا الوصف ترغيب لهم في
الايمان فانه مصدق بالكتب المنزلة على سائر الانبياء وانما التفت الى الغيبة اشارة الى ان
المأمور باتباعه هو هذا الموصوف كائنا من كان اظهارا للنصفة وتفاديا عن التركيب واتبعوه
فيما يأمركم به لعلكم تهتدون لكي ترشدوا وانما ختم الآية الاولى بالفلاح وهذه بالاهتداء
لان مضمون تلك ان المتصف بتلك الصفات مفلح ومضمون هذه الامر بالاتباع للاهتداء الى
الحق الموصل الى ذلك الفلاح وقدمه في الذكر لكونه مقصودا بالذات ومن قوم موسى
امة يهدون بالحق وبه يعدلون اي من بني اسرائيل طائفة على الحق يدعون اليه وبالحق يعدلون
في الاحكام هم الذين امنوا برسول الله عبد الله بن سلام واضرابه او هم القائمون بالحق في
زمانه واستمروا على ذلك قبل قوم وراء الصين مر عليهم رسول الله ليلة المعراج فعلمهم عشر
سور من القرآن ولم يكن نزل فريضة بمكة غير الصلوة والزكوة يعني ان الصلوة فرضت ليلة المعراج
اتفاقا ولم يكن فريضة يومئذ قط وابعد من ذلك ان رسول الله امرهم بالجمعة والحج فرض سنة ثمان

وهو خلاف

وافعاله

الاولى الكشاف

من الهجرة وقطعناهم صيرناهم فرقا يمتاز بعضها عن بعض اثنتى عشرة اسباطا
مفعول ثان لان التقطيع ضمن معنى التصيير او حال واسباطا تمييز ما عدا العشرة مفرد لانه بمعنى
القبيلة لان السبط ولد الولد فلو قيل اثنتى عشرة سبطا لفهم منه اثنا عشر فرد او ليس كذلك
فالاسباط والقبيلة كالمترادفين امما اى وقطعناهم امما اى قبايل فان كل قبيلة منهم كانت امة
عظيمة واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه فى التيه ان اضرب بعصاك الحجر
فانبجست اى فضرب فانبجست والحذف لامن الالباس وفيه اشارة الى ان الموحى
اليه لم يتوقف فى الامتثال وان فعله لم يكن له التاثير فى ذلك كان بمحض خلق الله منه
اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كل سبط وظللنا عليهم الغمام
جعلناه ظلة يقيهم الحر وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم
على ارادة القول وما ظلمونا بطلب البقل والعدس ولكن كانوا انفسهم يظلمون
ينقصون حظها واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية بيت المقدس وكلوا منها
حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا سبق تفسيره فى اول البقرة ولا تنافى
بين الواو والفاء ولا بين تقديم ادخلوا هناك وتاخيره ههنا نغفر لكم خطاياكم سنزيد
المحسنين قراء نافع وابن عامر تغفر بضم تاء التانيث وفتح الفاء وابو عمرو وابن كثير والكوفيون
بالنون وكسر الفاء وقراء ابن عامر خطيئتكم بالتوحيد والرفع ونافع ايضا بالرفع بالجمع مصححا
وابو عمرو بالجمع مكسرا خطاياكم والباقون مصححا منصوبا والمختار قراءة ابى عمرو ولكن خطاياكم
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء
بما كانوا يظلمون الرجز هو الطاعون واسألهم يريد سؤال التوبيخ ليذكرو الك قبيح
فعل اصولهم ليظهر لك ان لهم فى الطغيان سلفا غير صالح عن القرية شان اهلها فحذف المضاف
الحذف التى كانت حاضرة البحر كاينة على شاطيه ايلة او طبرية او مدين اذ يعدون فى
السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد ظرف كانت او حاضرة او بدل اشتمال المضاف
المحذوف اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعض عن البدل او بدل بعد
بدل والحوت واحدة الحيتان بمعنى السمك يوم سبتهم يوم تعظيمهم مصدر سبت
اليهود عظمت ذلك اليوم واصله الراحة والسكون فانهم كانوا لا يشتغلون فيه بشئ
شرعا شارعات من غمرة الماء الى الحد ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما
كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن الطاعة روى انهم امروا بتعظيم يوم الجمعة فلم يفعلوا واختاروا
السبت فحرم الله عليهم فيه الصيد ابتلاء فكانت الحيتان تاتيهم بارزة على وجه الماء واصل الى
الساحل لا يرى وجه الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم لا يرون منها شيئا فلبثوا
على ذلك برهة من الدهر ثم احتالوا وشرعوا مشارع تدخلها الحيتان يوم السبت ويصطادونها
يوم الاحد واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا
شديدا لما احتالوا تلك الحيل قالت صلحاؤهم ان تدعوا عما تفعلون فان الله لا يمشى عليه
الحيل وبالغوا فى ذلك فلما لم يرفعوا لذلك راسا قال بعض الصلحاء لبعضهم لم تتعبون انفسكم
فى الوعظ والنصح مع قوم مصرين اراد الله استيصالهم فى الدنيا او عذابا شديدا يوم القيمة
وانما علموا احد الامرين من سنة الله فى المجرمين قالوا معذرة جواب احدى الطايفتين
من الصلحاء للاخرى اى استمرارنا على الوعظ اظهار عذر الى الله ليلا ينسب الينا تفريط فى النصح
وقراء حفص عن عاصم معذرة بالنصب مفعولا مطلقا او له والرفع اقعدوا وفق لفظ العذر
الحذف الى ربكم ولعلهم يتقون اذ ما دام وا احيا يرجى منهم ذلك وقيل القايلون
لم تعظون طايفة من الفرقة الهالكة قالوا ذلك للوعاظ تهكما وعلى ذلك التقدير كان
المناسب لعلكم والاعتذار بان الغيبة لفظ الطايفة فلما نسوا ما ذكروا به تركوه

في ذلك

تركوه ترك الناسى غير مبال له انجينا الذين ينهون عن السوء عن المنكر واخذنا
الذين ظلموا بعذاب بئيس شديد فعيل من بئس يباس اذا اشتدت حاجته وقراء نافع
مكسور الباء ساكنة كعلس وابن عامر كذلك بهمزة ساكنة كبئر وابو بكر بفتح الباء وسكون
الياء بعدها همزة مفتوحة كجعفر فى وجه وفى وجه اخر كحفص على وزن فعيل بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا ورفعوا انفسهم عن الامتثال واصل العتو
التجاوز عن الحد قال وقد بلغت من الكبر عتيا قلنا لهم كونوا قردة تعلقت
ارادتنا بذلك عبر عنه بالقول على سنن الملوك او جرت عادته بايجاد الاشياء بلفظ كن
خاسئين صاغرين مطرودين من خسئ بالكسر اذا صغر روى ان الوعاظ لما ايسوا من قبول
نصحهم قسموا القرية بجدار وتركوا بابا للطروق فاصبحوا يوما ولم يروا احدا من المعتدين فقالوا ان
لهم شانا فدخلوا عليهم فراوهم قردة ثم ماتوا بعد ثلث وفى الحديث لم يبق من الامة الممسوخة
نسل واذ تأذن ربك تفعل من الاذن وهو الاعلام ومنه الاذان ولما فى صيغة
من المبالغة اجرى مجرى فعل القسم ليبعثن عليهم الى يوم القيمة ليسلطن عليهم جواب
القسم من يسومهم يكلفهم من سمته كلفته سوء العذاب العذاب السوء من اضافة
الصفة الى الموصوف وقد خرب بخت نصر بعد سليمان ديارهم وقيل كان زمنهم وسبى ذراريهم وضرب
عليهم الذلة والمسكنة والجزية لا تفارقهم ان ربك لسريع العقاب لذلك عاقبهم
فى الدنيا وجعلهم نكالا وقد وصف نفسه بسرعة العقاب فى اخر الانعام وهنا ولما كان هناك
سوق الكلام مع المؤمنين لم يدخل اللام المؤكدة وهنا كلامه مع من عتا من اليهود بعد انزال
باسه بهم اكده باللام ثم هذا الاتيان فى وصف بالحليم لان سرعة عقابه بالنظر الى عذاب الاخرة
والا فقد امهلهم دهورا وانه لغفور رحيم لمن تاب وامن وقطعناهم فى الارض
فرقناهم فى اقطار الارض هذا ايضا من سخط الله عليهم ليلا يجتمعوا على كلمة فيحصل منهم ضرر امما
مفعول ثان او حال منهم الصالحون وهم الذين لم يحرفوا وامنوا برسول الله ومنهم دو
ن ذلك وبعضهم منحطون عن ذلك وهم الكفرة وبلوناهم بالحسنات والسيئات
معاملة المختبر بالنقل من الرخاء الى الشدة وبالعكس لعلهم يرجعون عن ضلالتهم فان
تقلب الاحوال يورث الانسان بصيرة وسلامة اخلاق فخلف من بعدهم خلف
بسكون اللام بدل سوء كما ان بفتح اللام نعم البدل وكل منهما مفرد لفظا ومعناه قرن من الناس
ورثوا الكتاب تلقوه من اسلافهم وفهموا ما فيه ياخذون عرض هذا
الادنى متاع هذا الشئ الذى هو ادنى من الدنو والدناءة والمراد به الدنيا فانها ادنى شئ
وذلك ما كانوا ياخذونه من الرشا على الاحكام وتحريف الكلم والجملة حال من فاعل ورثوا ويقولو
ن سيغفر لنا قولا بلا دليل كما قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة والجار و
المجرور قايم مقام الفاعل او الفعل مسند الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان ياتهم
عرض مثله ياخذوه اى هم مستمرون على الكباير من غير توبة استبعاد لما يدعونه
مع ما هم فيه والجملة حال من المجرور الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ما فى التورية
ان لا يقولوا على الله الا الحق بيان للميثاق او متعلق به والاستفهام للتقرير والتوبيخ
بانه قد اخذ عليهم العهد بذلك فكيف يقطعون بالمغفرة واهل السنة وان جوزوا المغفرة
لم يقطعوا بها فمن قال اهل السنة فى هذه المسئلة ودرسوا ما فيه قطع لمعذرتهم
عطف على الم يؤخذ معنى اى قد اخذ عليهم الميثاق ودرسوا ما فى الكتاب او على ورثوا وما بينهما
اعتراض والدار الاخرة خير للذين يتقون مما ياخذ هؤلاء افلا
تعقلون كاليهود ولم يعلم مقالة اهل السنة يستعملون عقولهم وليعولون فيما هو الخير قراء نافع
وابن عامر وحفص عن عاصم بالخطاب وفيه زيادة توبيخ والذين يمسكون

رواه مسلم

وكل

موصلة ... فى

بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يمسكون او مبتدا خبره انا لا
نضيع اجر المصلحين لان المصلحين هم المتمسكون بالكتاب فلا يحتاج الى العايد
وفيه اشارة الى ان المانع من الاضاعة هو الاصلاح وقرا ابو بكر يمسكون مخففا وقراءة
الجمهور ابلغ وانما افرد الصلوة بالذكر مع دخولها فى التمسك بالكتاب لانافتها واذ نتقنا
الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه فوقهم والنتق الجذب والنتق الرفع بعد القلع كانه ظلة
هى كل ما اظلك وظنوا انه واقع بهم ابوا قبول احكام التورية لثقلها عليهم
فرفع الله الطور فوقهم على قدر عسكرهم وكان مقدار فرسخ فى فرسخ وقيل لهم ان
قبلتموها بما فيها من الاحكام والا سقط عليكم فخروا ساجدين على حاجبهم الايسر
ينظرون بعينهم اليمنى فرقا من سقوطه فلذلك ترى اليهود يسجدون على الحاجب الايسر
ويقولون هى السجدة التى كانت سببا لرفع العذاب عنا خذوا ما اتيناكم بقوة
بجد وعزم حال من الفاعل واذكروا ما فيه بالمواظبة على العمل به لعلكم تتقون
لكى تبلغوا درجة التقوى التى هى اسنى المرتب واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهور
هم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ذكر نقض اليهود العهد
الخاص بهم والميثاق المكتوب عليهم فى التورية ثم ذكر الميثاق العام السابق فى عالم الذر
ولعل ذلك ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم حين سئل عن معنى الاية فقال ان الله خلق
ادم ثم مسح ظهره بيده فاستخرج من هو مولود الى يوم القيمة على صفة الذر وقال يا ادم
هؤلاء ذريتك اخذت عليهم العهد بان يعبدونى ولا يشركوا بى شيئا على رزقهم ثم قال لهم
الست بربكم قالوا بلى فقد لهم بلى اقرار بوحدانيته وذلك الاقرار هو الفطرة التى يولد
عليه كل مولود فان قلت فى الحديث انه اخذ الذرية من ظهر ادم وفى الاية اخذ من ظهور
بنى ادم قلت لا تنافى لان بنيه يخرجون من ظهره فالمخرج من ظهورهم مخرج من ظهره وقد يقال
ما فى الاية هو اخراجهم على النمط المشاهد نسلا بعد نسل واشهادهم على انفسهم وقوله
الست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل وتشبيه الحال بالحال وذلك انه لما ركب فيهم
البصاير واقام عليهم العقول المميزة بين الحسن والقبح ونصب لهم دلايل التوحيد ونبهها
فى الافاق والانفس بحيث لم تتوله معذرة فكانه خاطبهم شفاها واقروا بذلك فان
قلت على هذا التقرير كيف يقع الحديث جوابا عما فى الاية قلت هو من الاسلوب الحكيم
فان هذا كالمشاهد وللعقل طريق وصول اليه بالتدبر لم يلتفت اليه صلى الله عليه اشار
الى ذلك الاخذ الذى لا يمكن الوقوف عليه الا بتوقيف منه قرا ابن كثير والكوفيون ذريتهم
بالافراد وهو المختار لظهور الاستغراق فيه ان تقولوا يوم القيمة اى كراهة ان
تقولوا انا كنا عن هذا غافلين ولا عتاب مع الغافل او تقولوا عطف على الاول
قرا ابو عمرو كليهما باليا على الغيبة والباقون بالخطاب التفاتا كما فى الست بربكم والمختار
الغيبة جريا على السنن السابق انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية
من بعدهم لم نتبع الا الاقتداء بهم افتهلكنا بما فعل المبطلون هم اباؤهم المؤسسون الشرك
وكذلك نفصل الايات ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل ساير الايات
ولعلهم يرجعون ولكى يرجعوا الى الحق نفعل ما نفعل والضماير اما لليهود خاصة و
يحسن بتواقعهم لان سوق الكلام لهم اولكافة الناس لاندراجهم فيهم واتل عليهم
اى اليهود نبأ الذى اتيناه اياتنا عالم من علماء بنى اسرائيل يسمى بلعم بن
باعورا كان فى زمن موسى فغزا موسى قومه فاستشفعوا اليه وبذلوا له الاموال فدعا عليه
فحار موسى فى التيه وقيل امية بن ابى الصلت روى ذلك عن ابن عمر كان من كهان الجاهلية وكان
يظن انه النبى الموعود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مات حسدا وقيل على
وقيل عامر الراهب فانسلخ منها كما تنسلخ الحية من جلدها كناية عن الكفر فاتبعه
الشيطان فلحقه مبالغ فى اللحوق كانه يعد اللحوق جعله تابعا له فكان من الغاوين
فصار من جزبهم او كان منهم فى علم الله ولو شئنا لرفعناه بها بتلك المعارف الى
منازل العلماء الذين اوتوا العلم درجات ولكنه اخلد الى الارض ركن اليها
من اخلد الى فلان مال اليه ولا زمه شبه العرض الذى مال اليه بالتراب لسفالته واتبع هواه فى ايثار
الفانى على الباقى دلت الاية على ان الكفر بمشيته تعالى وانه لو شاء ايمانه كان واقعا فمثله كمثل الكلب
حاله الخسيسة حاله ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث الشرطية فى موضع الحال
اى هو دايم اللهث طردا او لم يطرد واللهث اخراج اللسان وساير الحيوانات انما يفعل ذلك عند
الاعياء والكلب لم يزل وكذلك الضلال لنفى المشية لازمه بمقتضى مشيته وعظ ام لم يوعظ
وقيل التشبيه على ظاهره فانه لما دعى على موسى خرج لسانه حتى وقع على صدره ذلك مثل
القوم الذين كذبوا باياتنا من اليهود فانهم بدلوا نعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وحرفوا الكلم عن مواضعها ركونا الى حطام الدنيا فاقصص القصص
اى قصة من انسلخ من اياتنا واخلد الى الارض لليهود فانهم على وصف لعلهم يتفكرون
فيؤديهم الى الحذر من سوء العاقبة ويزدادوا ايقانا بنبوتك فانه لا يمكن العلم بذلك الا بالوحى
اذ لم تتل من قبل من كتاب ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا لما شبه حال اليهود
فى التكذيب بايات الله لحطام الدنيا بحال الكلب اردفه بما وضع لانشاء الذم مبالغة
فى التحذير وتقديره ساء مثلا مثل القوم او ساء اصحاب المثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون
عطف على كذبوا داخل فى الصلة اى جمعوا بين التكذيب وظلم انفسهم او منقطع والمعنى
لم يظلموا بالتكذيب الا انفسهم لا يتخطاها وباله من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل
فاولئك هم الخاسرون كالبيان لقوله ولو شئنا لرفعناه بها وكالتلخيص لقوله ولقد
ذرانا لجهنم كثيرا من الجن وممن خلقنا امة يهدون بالحق وانما افرد الضمير فى الاول
وجمع فى الثانى باعتبار اللفظ والمعنى وفيه اشارة الى ان المؤمنين كواحد لاتحاد طريقهم
وفى الحديث المؤمنون كالشخص الواحد اذا اشتكى راسه اشتكى كله وفى الاقتصار على
الاهتداء ايماء الى انه وصف شريف لا يحتاج الى امر اخر ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من
الجن والانس هم اهل الطبع والذين لهم قلوب لا يفقهون بها خالية عن معرفة
الحق والتفكر فى دلايله ولهم اعين لا يبصرون بها لا يجتلى الايات فى الافاق والانفس و
لهم اذان لا يسمعون بها الايات والنذر سماع تدبر وتفكر اولئك كالانعام
فى الخلو عن المعرفة والاعتبار بل هم اضل لانها تدرك ما فيه الضرر فتعدل عنها وهؤلاء
موقنون بدخول النار ولا يرتدعون عن ارتكاب مسالكها اولئك هم الغافلون
الكاملون فى الغفلة كالتاكيد للاولى ولذلك لم يدخل العاطف وانما قدم البصر هنا
والسمع فى ساير الايات لكون الاية مسوقة للتشبيه بالانعام وهى بفقد البصر اشد تضررا
من فقد السمع لان مدار تعيشها فى طلب الماء والكلاء على حاسة البصر والاية تذييل لقصة اليهود
وفيها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم من الذين لا ينجع فيهم الايات والنذر
لكونهم مخلوقين للنار ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها لانها تدل على احسن
المعانى وقيل المراد الاوصاف القايمة به فانه يطلق عليها الاسم يقال طار اسمه فى
الافاق والمراد وصفه الحسن وذروا الذين يلحدون فى اسمائه واتركوا الاسماء التى
يسميه بها الزايغون عن طريق الحق كانت اليهود يطلقون عليه لفظ البخيل والفقير لقد سمع
الله قول الذين قالوا ان الله فقير واجلاف العرب يقولون يا ابا المكارم ويا ابيض
الوجه واهل الجاهلية اشتقوا من اسمائه تعالى اسماء الهتهم كاللات من الاله والعزى

من الهزو والمعنى اعرضوا عن هولاء سيجزون ما كانوا يعملون
قرا حمزة والكسائي يلحدون بفتح اليا والحا وهما لغتان والضم اكثر واشهر وممن خلقنا
امة يهدون بالحق وبه يعدلون الركيب دل على قلتهم وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم
لا زال طايفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك
والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم استفعال من الدرجة اما استصعادا وانما
استنزالا والمعنى سنستدنيهم من العذاب قليلا قليلا من حيث لا يعلمون ما يراد بهم
وذلك بتواتر النعم عليهم ليظنوا انهم يستحقونها بالمعنى فيهم كما قال قارون انما اوتيته على
علم عندي واملي لهم وامهلهم ليزدادوا اثما وما يوجب مضاعفة العقاب ان كيدي
اخذي سماه كيدا لانه في الظاهر يرى لطفا واحسانا متين قوي شديد ماخوذ من
المتن وهو الظهر اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة حال من الجنون وعبر عنه بالصاحب
لان المصاحبة يطهر من الاخلاق فلو كان به جنون لم يخف عليهم بعد طول الصحبة ان
هو الا نذير منذر مبين واضح الانذار لقد ظهرت ولا يخفى على احد الا على احد
لا يعرف القرا اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض فعلوت من الملك كالرهبوت
من الرهبة يطلق على الملك الاعظم وما خلق الله من شيء اي شيء كان وان كان ذرة
فان فيها دلايل التوحيد من جهات شتى والاستفهام في الموضعين للتعجب من حال المكذبين
وتماديهم في الغفلة وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان
مخففة من المثقلة بتقدير ضمير الشان لا مصدرية لان عسى لا مصدر له يؤول به والمعنى
ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فيبادروا الى طلب ما ينجيهم قبل مفاجاة
الاجل وحلول العذاب فباي حديث بعده يؤمنون اذا لم يؤمنوا به مع كونه متجاوزا
طوق البشر ويتعلق بعسى ان يكون قد اقترب اجلهم والمعنى اذا عاجلهم الموت من قبل
الايمان بهذا القران لا حديث بعد ذلك يؤمنون به فعليهم الايمان قبل فوت الفرصة
من يضلل الله فلا هادي له اي ليس في صاحبهم جنة ولا في ملكوت السموات و
الارض من خفاء في الدلالة ولا في القران نوع اشتباه بل اراد الله اضلالهم ومن اراد اضلاله
فلا احد يقدر على هدايته ويذرهم في طغيانهم قرا ابو عمرو والكوفيون بالغيبة
جريا على السنن السابق والباقون بالنون التفاتا وجزم الراء حمزة والكسائي عطفا على
محل الجواب والرفع على الاستيناف او خبر محذوف يعمهون في موضع النصب على الحال
يسئلونك عن الساعة اي اليهود تعنتا وان كانوا عالمين بان علم الساعة شيء
استاثر الله به ولم يطلع احدا من خلقه عليه او مشركو قريش يسالون عن شيء لا يعنيهم
ويتركون ما هو لهم والساعة من الاعلام الغالبة كالنجم والصعق وسميت القيمة بالساعة
لسرعة حسابها او وقوعها بغتة او لطولها كما يقولون للحبشي ابو الابيض وللزنجي كافور
ايان مرسيها متى وقوعها وثبوتها من ارسيت السفينة اذا اثبتها بالبحر وايان فعلان من اي
اصله الاوي وهو الرجوع لان ابعاض الزمان متساندة الى الكل وقيل ماخوذ من اين
وانكره ابن الجني لانه للمكان قل انما علمها عند ربي استاثر به لا يجليها لوقتها
الا هو لا طريق اليه لمن سواه ثقلت في السموات والارض اي شق عدم العلم
بها وخفاؤها على الملايكة والثقلين لان المستعد لمعرفة الشيء اذا اشتد عليه طريق الوصول
اليه تالم وكل على نفسه او توقع وقوعها وهول شدايدها او ثقل وقوعها على تلك الاجرام
اذ السما انشقت ودكت الارض دكا وعلى الوجوه لفظ في مستعارة للدلالة على التمكن
لا تاتيكم الا بغتة فجاة وفي الحديث انها تقوم والرجل يلوط حوضه فركه والرجل
يسقي ماشيته فيدعها والحكمة في ذلك استدامة الخوف والحذر كما لحكمة في ابهام

فلا يخفى

الباقون

في ابهام ليلة القدر تكثير للعبادة يسئلونك كانك حفي عنها عالم بها من حفي عن
الشيء بحث عنه فان الباحث عن الشيء يرض علمه به من اطلاق السبب وارادة المسبب او من حفي
الشيء اذا فرح به اي يشهونك بمن يفرح بالسوال والحال انك تكره ذلك لعلمك بلا طريق الى العلم
او من الحفاوة وهي المحبة والبر لان قريشا سالته بالقرابة ان يخبرهم بذلك والمعنى لو حصل
لك علم بها لم يكن يخصهم بها كما هو دابك في ساير الاحكام وعلى التقديرين عنها صلة يسالو
نك وعلى السادير كانك في موضع الحال قل انما علمها عند الله وليس في الكلام تكرار
لان السوال اولا غير مقيد وفي انما علمها عند الله زيادة ولكن اكثر الناس لا يعلمون
قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا اي اذا لم يكن لي علم بما يتعلق على نفسي التي هي
اقرب الاشيا الي فكيف العلم بالساعة الا ما شاء الله من ذلك منقطع او
متصل على التاويل ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير من الاشياء النافعة
في الدين والدنيا وما مسني السوء لاني ادفعه قبل حصوله بابتدافعه وانما قدم استجلاب الخير على دفع الضر
مع ان دفع المفسدة مقدم لان النفوس القدسية مطمح نظرها الامور الدينية ان انا الا
نذير وبشير لا يخالف حالي حالهم الا في هذين الوصفين لقوم يؤمنون خصهم
بذلك لكونهم المنتفعين بهما او هو متعلق ببشير ومتعلق الاول محذوف للعلم به هو
الذي خلقكم من نفس واحدة خطاب لمشركي مكة بما فيه الامتنان والنفس الواحدة ادم
وجعل منها زوجها هي حوا خلقت من ضلعه الاعوج ليسكن اليها ليميل ويطمئن
اليها فان الشيء الى جنسه يميل وانما ذكر الضمير العايد الى النفس ذهابا الى المعنى لانها نفس
ادم وليناسب فلما تغشاها لان الغشيان كناية عن الوقايع وهو فعل الزوج حملت حملا
خفيفا لم تتعب في حمله كساير الحبالى وقيل الحمل الخفيف هو النطفة فمرت به استمرت به حاملة
لم تصب حملها او من ازلاق او اخداج فلما اثقلت صارت ذا ثقل بكبر الولد دعوا
الله ربهما لئن اتيتنا صالحا ولدا ذا صلاح ودين ينتفع به وفي الحديث اذا مات
ابن ادم انقطع عمله الا عن ثلث ولد صالح يدعو له بعد موته وعلم علمه الناس وصدقة
جارية وقيل صالحا اي سويا لا نقص في خلقه وقيل ذكرا لان الذكورة صفة صلاح وجودة
لنكونن من الشاكرين لتلك النعمة فلما اتاهما صالحا جعلا له
شركاء فيما اتاهما بان سميا المولود عبد الحرث والحرث من اسماء ابليس روى
الامام احمد والترمذي عن سمرة بن جندب مرفوعا ان حوا كان لا يعيش لها ولد فوسو
س اليها الشيطان وقال انه من الله بمنزلة وانه يدعو لها ببقاء الولد ويكون اسمه عبد الحارث
فسمياه بذلك الاسم والاعلام وان لم يعتبر فيها المعاني الاصلية الا ان فيها ايماء اليها وهذ
القدر منهما منكر ولذلك استعظمه وسماه شركا والاولى في تفسير الاية تقدير مضاف اي
جعل اولادهما شركاء وانما اسند الجعل اليهما لعلاقة السببية والمعنى وما هوا الشكر
ولكن تسببا في احداث الشركا وعلى هذا يظهر وجه قراءة شركاء ممدودا جمع شريك
وهي قراءة ابي عمرو وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ويتضح تفريع فتعالى
الله عما يشركون وعلى الاول يجب حمل على ان الفاء فصيحة وان الضمير في يشركون
لاهل مكة والحديث لم يرد بيانا للاية والقول بان الخطاب لقريش لان قصيا كان له
زوجة من جنس عربية قريشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم
عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار فليس بشيء لان المخاطبين بقوله خلقكم
ليس كلهم من قريش وزوجته لم يكن ايضا قريشية بل كانت خزاعية ولم يرد خبر يدل
على انهما طلبا الولد على الوجه المذكور ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
استبعاد لان يكون مثله معبودا وانما اتى بضمير العقلاء لزعمهم الالوهية

وقال انه

فيها ولا يستطيعون لهم نصرا اي الاصنام للمشركين ولا انفسهم ينصرون
ترقي في العجز وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم خطاب للمشركين اي ان طلبتم منها
الهداية الى الحق لا يجيبوكم او ان دعوتم تلك الاصنام الى الاهتداء لا يتبعوكم لعدم
الادراك فهي عن الهداية ومقام الالوهية ابعد وهذا اوجه قرا نافع بالتخفيف
من تبع والمعنى واحد سواء عليكم ادعوتموهم لدى الحاجات والمخاوف ام انتم
صامتون مستمرون على الصمت وانما عدل الى الاسمية لان الدعاء في اوقات الحوائج
بخلاف الصمت ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم مسخرون لعبادة وان
من شيء الا يسبح بحمده فادعوهم فليستجيبوا لكم فيما تدعونهم اليه ان كنتم
صادقين انها الهة وفيه اشارة الى الفارق اي وان كانوا مثلكم في نفس العبودية
ولكنها دونكم في الادراك وصدور الافعال ثم صرح بذلك فقال الهم ارجل يمشون
بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها
والترتيب على هذا النمط لان المدعو عون للنصرة اول ما يحتاج اليه آلة المشي
وهي الرجل ثم اليد بعد الحضور للفتك بالخصم ثم البصر للتوقي عن مكايده ثم السمع بعد
فقد الالات ليسمع المقال لدى المرامرة فيورد ما عنده من الراي قل ادعوا
شركاءكم تهكم بهم ثم كيدون فلا تنظرون فلا تمهلوني ان وليي الله
الذي نزل الكتاب المعجز فهو قادر على اعجاز من يخاصمني وهو يتولى الصالحين
دايما فكيف بالانبياء والرسل والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون
نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى
لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظر في صورة
ولا ابصار خذ العفو السهل من الامور ولا تعسر فانه ادعى لهم الى اتباعك واصله
الفضل من المال وامر بالمعروف بما عرف حسنه من الشرع مصدر بمعنى المفعول اكتفى
به عن ذكر النهي واعرض عن الجاهلين ان بدا منهم شيء ليسوءك وهذا اذا لم
يكن هتك حرمات الله وعن عايشة لم ينتقم رسول الله لنفسه قط واذا انتهك شيء من حرما
ت الله لم يقم له احد والاية جامع لمكارم الاخلاق وسئلت عايشة رضي الله عنها عن
خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران وقرات الاية
قيل قال رسول الله لما نزلت كيف والغضب يعتري الانسان فنزل قوله واما
ينزغنك من الشيطان نزغ نصيبك منه وسوسة وتسويل واصله الطعن وفي الحديث
صياح المولود حين يولد نزغ من الشيطان ويطلق على الافساد كقوله من بعد ان نزغ
الشيطان بيني وبين اخوتي فاستعذ بالله من نزغه انه سميع لمقالتك عليم
بافتجارك منه فيحملك الى ما استعذت منه ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان وسوسة وترتيه من طاف يطوف وكانه عبر به لعدم تاثيره كالطائف
حول الشيء او من طاف يطيف طيفا واصل الطيف الجنون وفي حديث المبعث قال المشركون
بهذا الغلام لمم او طيف وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي طيف اما على المصدر
او تخفيف طيف كلين ويحتمل الواو والياء تذكروا ما امروا به واحترزوا عن اغوائه
والاية تقرير وتعليل للامر بالاستعاذة فانه عادة قديمة لعباد المتقين فهو اولى
به لا نستبدهم فاذا هم مبصرون بذلك التذكر مكايد الشيطان وعبر عن
العلم الحاصل بعد التذكر بالابصار مبالغة في تيقنهم به واخوانهم يمدونهم الضمير
للشيطان لان المراد جنسه في الغي في الضلالة بالتزيين والتسويل قرا نافع يمدونهم
بضم اليا من الامداد والمعنى واحد يقال مد النهر السابق وامد هار ادها ثم لا

وصدور

مطلق

ثم لا يقصرون لا يمسكون عن الاغواء حتى يردوا وهم موارد الهلاك فعلى هذا
الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يرجع الضمير في يمدون الى الاخوان فيكون الخبر على اصله
واذا لم تاتهم باية قالوا لولا اجتبيتها اخترعتها واختلقتها زعما منهم ان
ما تتلوه من الوحي مختلق او لولا اقترحت على ربك ان كنت رسول الله والاجتباء افتعال
من الجباية وهي اخراج الشيء من مظنته قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بشاني
الاختلاق والاقتراح هذا بصاير من ربكم ما يوحى الي وهو القران حجج قاطعة
تورث البصاير او هو كالبصاير للقلوب اطلاقا للسبب على المسبب او تشبيه بليغ وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به واذا قرئ القران فاستمعوا له و
انصتوا لعلكم ترحمون خطاب للمؤمنين لما ذكر اذ رحمه لهم دل لهم على طريق الوصول
اليه وهو الاستماع له والانصات هو السكوت للاستماع قيل نزلت في الصلوة فانهم
كانوا يتكلمون فيها والامر كذلك في الصلوة محمول على الوجوب وفي غيرها الاستحباب
وحرمة الكلام والامام يخطب بالحديث والاستدلال به على عدم جواز قراءة الماموم
ليس بظاهر وان كان مرويا عن ابن عباس رضي الله عنه واذكر ربك في نفسك
ذكر القلب وهو ما لاحظ جلال الله وعظمته تضرعا وخيفة متضرعا وخايفا
من سطوته ودون الجهر من القول باللسان وهو السر الذي تسمعه ولا يسمع غيرك
فانه اقرب الى القبول وابعد من الريا وحيث لم يقيد شمل جميع انواع الذكر بالغدو
والاصال في اوقات الغدو والعشيات لانها اشرف الاوقات ومظان الاجابة وقيل في
جميع الاوقات وعبر عنها بذكر الطرفين والاصيل من العصر الى المغرب ولا تكن من
الغافلين النهي في امثاله للامة او تهييج له والهاب ان الذين عند ربك
هم الملايكة لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه يقدسونه عن الاحتياج الى عبادتهم
بل انما يعبدونه تشرفا بعبادته وله يسجدون لا لغيره فعليكم الاقتداء وفي
التقديم وافادة الحصر تعريض لمن يشرك في عبادته سورة الانفال مدنية وهي خمس
وسبعون ايات بسم الله الرحمن الرحيم يسالونك
عن الانفال نزلت بعد وقعة بدر وهي اول سورة نزلت بعد الهجرة وابتداء بدر
فانها البطشة الكبرى الانفال جمع نفل بفتحتين وهي الغنيمة من النفل وهو الزيادة ولذلك
سمي ما عدا الفرايض نوافل ثم تسمية الغنيمة نفلا لانها زيادة شرف لهذه الامة فانها لم تحل
في شرع وسبب نزول السورة ان المهاجرين والانصار اختلفوا في الغنيمة يوم بدر كيف تقسم
وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يكون له زيادة غناء ان ينفله فتسارع الشبان
وقتلوا سبعين واسروا سبعين وطلبوا النفل المشروط وكان المال قليلا فقالت الشيوخ نحن
كنا ردءا لكم وفئة كيف تستبدون بها فنزل قل الانفال لله والرسول فقسمها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسواء واستدل به الشافعي على ان الامام اذا نفل لا يلزمه
الوفاء به وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه
فاتيت به رسول الله عليه السلام واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض
فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله فما جاوزت الا قليلا فناداني رسول الله وقال سالتني السيف ولم يكن
لي والان فقد صار لي فاذهب فخذه وذكر الله في امثاله للتعظيم فاتقوا الله واصلحوا
ذات بينكم الاحوال التي بينكم من التخالف والتخاصم في امر الغنيمة وابدلوها بالتحاب
والاتفاق والتالف والاضافة للملابسة كقوله لتغني عني ذا انائك اجمعا واطيعوا الله
ورسوله ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي التقوى وطاعة الله ورسوله واصلاح
ذات البين او ان كنتم كاملي الايمان وانما اتى بان لكونهم مؤمنين محلا مقطوعا به لانه

قيل نزلت

وحيث لم

و استدل

منهم في امر الغنيمة لم يكن ملايما لكمال الايمان انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم فزقامن جلاله واستعظاما لسطوته ولا ينافيه قوله الا بذكر الله تطمئن القلوب
لان ذلك باعتبار صفة جماله وسعة الرحمة ولذلك كان العبد واقفا بين الخشية والرجا واذا
تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا لان تظاهر الادلة يوجب زيادة الانكشاف ولذلك
بث الله ايات التوحيد في الاوفاق والانفس والزيادة عند من يجعل الاعمال داخلا في
الايمان ظاهره ومن لم يذهب الى ذلك يجعل الزيادة في الايمان الكامل والحق ان
نفس التصديق ايضا قابل للزيادة وان مراتب اليقين متفاوتة ولذلك ترى القوم
يقولون علم اليقين وفوقه عين اليقين ثم حق اليقين الذي لا رتبة فوقه واليه
اشار باب العلم كرم الله وجهه لو كشف الغطا ما ازددت يقينا لبلوغه الغاية القصوى
وعلى ربهم يتوكلون يفوضون الامور لعلمهم بان لا موثر الا قدرته ولا موجب
الا ارادته الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون خصهما بالذكر لكونهما كالدليل
على سايرها اولئك هم المومنون الموصوفون بتلك الصفات حقا صفة
مصدر اي ايمانا حقا او موكد للجملة كقولك زيد قايم حقا وبهذا استدل من منع
الاستثنا في الايمان والحق ان لا نزاع بين الفريقين لان من جوز الاستثنا انما جوزه نظرا
الى الخاتمة لانه ليس موقنا في الحال ومن منعه انما منعه بالنظر اليه اذ لا ريب انه لا طريق
الى العلم بالخاتمة اولئك لهم درجات عند ربهم منازل عالية في جوار ربهم و
مغفرة وتجاوز عما فرط منهم وانما قدم الدرجات على المغفرة لان الكلام في
الكمل من المومنين فالاهم معرفة الدرجات لان المغفرة لهم كالمقطوع به ورزق كريم
شريف لا اذى فيه ولا انقطاع كما اخرجك ربك من بيتك بالحق ملتبسا به مصاحبا
خبر مبتدا محذوف اي كراهتهم تسويتك في الغنايم بين الشبان والشيوخ او النفيل مثل كرا
هتهم خروجك للحرب او صفة مصدر محذوف الفعل اي الانفال استقرت لله مثل استقرار
اخراج ربك من بيتك والوجه الاول اولى لعدم التقدير وطول الفصل وان فريقا من المومنين
لكارهون في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان ابا سفيان
اقبل من الشام في عير فيه تجارة عظيمة لقريش وفي العير اربعون راكبا منهم ابو سفيان
بن حرب وعمرو بن العاص والقول بان عمرو بن هشام كان معهم سهو لان عمرو بن
هشام اسم ابي جهل وكان في النفير دون العير وقيل في بدر فاخبر جبرئيل رسول الله
عليه السلام باقبال العير فاخبر المسلمين ففرحوا بذلك لعلمهم بكثرة المال و
قلة الرجال فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها لاخذ الركب وبلغ ذلك
اهل مكة فصعد ابو جهل سطح الكعبة ونادى يا اهل مكة عيركم واموالكم ان اصابها
محمد لن تفلحوا ابدا واما ابو سفيان فانه خاف من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقصد العير فابعد عن الطريق واخذ ساحل البحر وارسل يخبر بحاله العير ويامر اهل مكة
بالرجوع فقال ابو جهل كلا والله حتى نرد بدرا فنشرب بها الخمور وننحر الجزور وترد
علينا المعازف والقينات وتدور بينا الكاسات وتسمع العرب بانا قد خرجنا وحضرنا
بدرا ومحمد عاد ولم يظفر بما اراده فنزل جبرائيل واخبر رسول الله بامر العير وخروج
قريش وان الله وعده احدى الطايفتين اما العير واما قريشا فاخبرهما شئت فاستشار
رسول الله المهاجرين والانصار فقال ان الله وعدني احدى الطايفتين فايهما
احب اليكم العير او النفير فقالوا العير احب الينا الا انا لم نخرج للقا العدو وليس
معنا العدد والعدد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اخذ العير ساحل
البحر وابعد وهذا ابو جهل قد اقبل في كفار قريش فقالوا يا رسول الله عليك

قاله الكلبي والقاضي

والقول

عليك بالعير ودع العدو فلما علم ابو بكر وعمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد لقا
العدو قاما وتكلما واحسنا في المقال ثم قام سعد بن عبادة سيد الخزرج من الانصار
وقال يا رسول الله امض لامرك فوالله لو ذهبت الى عدن لم يتخلف عنك رجل من الانصار
ثم قال مقداد بن الاسود امض يا رسول الله لما امرك الله فانا لا نقول كما قال بنو اسرايل لموسى
اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون بل نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا
معكما مقاتلون ثم قال رسول الله اشيروا علي ايها الناس وكان يريد بذلك الانصار
لانهم لما بايعوه ليلة العقبة قالوا انا برا من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فكان رسول الله يتخوف
ان لا يرى الانصار نصرته الا اذا كان مقيما بالمدينة ففطن لذلك سعد بن معاذ سيد الاوس
فقام وقال كانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وايقنا ان
ما جيت به هو الحق امض يا رسول الله لما اردته فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه
ولم يتخلف منا رجل وما نكره ان يلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء
ولعل الله ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا يا رسول الله على بركة الله فاستبشر ونشط رسول الله
ونشطه قول سعد وقال سيروا على بركة الله وابشروا والله لكاني ارى مصارع القوم
يجادلونك في الحق لقا العدو بعد ما تبين لهم باعلامك وكان الاولى بهم
الانقياد والتسليم كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي بلغ كراهتهم
لقا العدو هذا المبلغ ولم يكن كراهتهم ذلك لجبن بهم بل لانهم لم يخرجوا على اهبة القتال
وكان الكلام من رسول الله على سبيل المؤامرة ولذلك لما علموا منه العزم تكلموا
فاحسنوا في المقال ولما لاقوا العدو فعلوا ما يفعل الابطال واذ يعدكم الله
احدى الطايفتين العير او النفير نصب على اضمار اذكر انها لكم بدل اشتمال وتودون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي العير لقلة رجاله والشوكة شدة البأس
وحدة السلاح ماخوذ من الشوك ويريد الله ان يحق الحق يثبته ويحكمه بكلماته
باياته المنزلة المحاربة ذات الشوكة وامداد المومنين بالملايكة وقتل الكفار واسرهم ويقطع
دابر الكافرين يستاصلهم دابر القوم اخرهم اي تريدون انتم المتاع الدني العاجل
والله يريد معالي الامور من هلاك العدو ونصرة الدين واعلاء الحق والفوز في الدارين
ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ما فعل اي لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض
اراد لكم لقاء العدو فلا تكرار اذ الاول لبيان مراده ومرادهم وهذا لبيان تفاوت
الغرض ولو كره المجرمون ما فعل اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او يتعلق
بقوله ليحق الحق وهذا اولى لان زمان الوعد غير زمان الاستغاثة والبدل والمبدل
متحدان ذاتا او منصوب باذكر لما تحققوا ان لا بد من القتال مع قلة العدد والعدد وكثرة
العدو اخذ وا في الاستغاثة وطلب النصر من الله تعالى ولما صف رسول الله المسلمين رجع الى العريش
ورفع يديه مستقبل القبلة وقال اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد
في الارض وبالغ في رفع اليدين حتى سقط رداوه فقال ابو بكر كفاك مناشدتك ربك فانه
سينجز لك ما وعدك فخرج يثب في درعه وهو يقرا سيهزم الجمع ويولون الدبر فاستجاب
لكم اني ممدكم اي بالامداد وقرئ ان بالكسر لان الاستجابة نوع من القول بالف
من الملايكة مردفين متبعا بعضهم بعضا من ادرفه اذا جعله تابعا وهي لغة اكثر العرب
او تابعا بعضهم بعضا من قولك اردفته اذا تبعته قاله الزجاج والاخفش وعلى
الوجهين معناه تلاحق الملايكة الى ان بلغ خمسة الاف فيوافق ما في ال عمران فيكون
ذلك تفصيلا لهذا الاجمال لان تلك السورة متاخرة نزولا وقرا نافع مردفين
بفتح الدال على ان الله اردف الملايكة بعضها بعضا او اردفها المومنين فان قلت

عند رجل

فعل ما فعل

من عشر المردفين بالملائكة المتبعين للمؤمنين او المتبعين اياهم كيف يوفق بين ما في السور
بين والقصة واحدة قلت له ان نقول الالف كان مقدمة المؤمنين ولا يلزم منه انحصار الملا
يكة المنزلة للنصر فيهم وقد صحت الاحاديث بقتال الملائكة يوم بدر **وما جعله الله** الامداد
بالملائكة **الا بشرى** الابشارة شبه الفعل السار بالخبر فاطلق عليه البشارة استعارة **ولتطمئن
به قلوبكم** اذا رايتم مدد السما وكثرة العدد **وما النصر الا من عند الله** لا بالكثرة كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة **ان الله عزيز** لا يغالب **حكيم** ينصر من يشاء لسبق حكمته **اذ يغشيكم
النعاس** منصوب باذكر او بما جعله الله وقيل متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى
الفعل وفيه ان النصر يتقيد بذلك الوقت مع ان المراد عمومه في ساير الازمان والمواطن
قرا نافع بضم الياء وتخفيف الشين وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء واسكان الغين من باب
فعل يفعل والباقون بضم الياء وتشديد الشين والمختار قراءة ابن كثير وابي عمرو لاسناد
الفعل الى النعاس لكونه المباشر القريب ولاتفاق السبعة عليه في يغشى في سورة آل عمران
طايفة منكم **امنة منه** امنا من الله مفعول له فان قلت في قراءة ابن كثير وابي عمرو كيف يكون
مفعولا له وشرط نصبه ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت لما كان معنى يغشيكم
النعاس تنعسون انتصب على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون لامنكم ومنه صفة اي
امنة حاصل لكم من الله ويجوز ان يكون الامنة فعل النعاس مجازا ولاصحابه حقيقة كما هو الشايع
في نظايره وقد سلك هذا المسلك من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود
وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وسوسته والرجز
لغة العذاب فانهم نزلوا على كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام ونزل المشركون على الماء وبانوا تلك
الليلة فاحتلم اكثرهم فوسوس اليهم الشيطان فقال انتم اصحاب محمد وتزعمون انكم على الحق
وانكم تصلون مع الجنابة وقد عطشتم وهولاء لا ينتظرون الا ان يغلبكم العطش فيقتلون
منكم من شاؤا ويسوقون بقيتكم اسراء فانزل الله المطر الغزير حتى سال الوادي فاغتسلوا
وسقوا الركاب وتلبد الرمل حتى تثبت عليه الاقدام **وليربط على قلوبكم** بزوال
الوسوسة والوثوق بلطفه تعالى **ويثبت به الاقدام** بالمطر او بالربط وازالة الخوف
حتى تثبتوا في المعركة **اذ يوحي ربك الى الملائكة** متعلق بيثبت **اني معكم** بالاعانة و
النصر وقرئ بالكسر لان الوحي فيه معنى القول **فثبتوا الذين آمنوا** بكثرة العدد
او بالبشارة بان النصر لهم او بالمحاربة **سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب**
تفسير لقوله اني معكم فثبتوا ولا اعانة اقوى من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت
اشد من ضرب الاعناق واجتماعهما نهاية النصر ويحتمل ان يكون قوله سالقي الى قوله كل
بنان تلقينا للملائكة وتعليما لهم ما يثبتون به المؤمنين كانه قال لهم قولوا لهم قولي هذا
ومن جعل سالقي في قلوب الذين كفروا تفسير القول اني معكم فثبتوا بعد تفسير التثبيت
بالبشارة وتكثير العدد ثم جعل التفسير دليلا على ان الملائكة قاتلوا فقد التزم ما لا يلزم
فاضربوا فوق الاعناق اي المفصل بين الرأس والعنق لكونه امكن للنحر وقيل
المراد به الرأس لانه المقتل يحصل بادنى ضرب **واضربوا منهم كل بنان** البنان الاصابع
جمع بنانة وقيل اطرافها وفايدة الضرب عليها ابطال اليد فانها الجزء الاعظم في الحرب
ذلك الضرب او الامر به والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او عام **بانهم
شاقوا الله ورسوله** خالفوهم من الشق وهو الجانب وانما سميت المخالفة مشاقة لان
كلا من المتعاديين ياخذ في شق خلاف شق الاخر وكذلك المعاداة والمخاصمة
من العدوة والخصم هو الجانب **ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد
العقاب ذلكم** الخطاب للكفار التفاتا ومحل الرفع على الابتداء او الخبر اي ذلكم

قاله الكشاف والقاضي

وهو القاضي

اي ذلكم العقاب او العقاب ذلكم او نصب بما فسره **فذوقوه وان للكافرين عذاب
النار** عطف على ذلكم والمعنى ذلكم العقاب لكم ولكم عذاب النار في الاخرة او مفعول معه
اي عذاب الدنيا مقرونا بعذاب الاخرة وانما وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على العلية والعموم
واستعمل الذوق مع عذاب الدنيا لانه كالمقدمة لعذاب الاخرة **يا ايها الذين آمنوا اذا
لقيتم الذين كفروا زحفا** جيشا يزحفون اليكم والزحف هو المشي وقيل من زحف
الصبي اذا مشى على استه اريد به الجيش الكثيف كانه لكثرته يدب قليلا قليلا والمعنى على هذا
فلا تولوهم الادبار في هذه الحال فضلا عن حالة مساواتكم او قلتهم ونصبه
على الحال اما من المفعول او منهما اي متزاحفين او الفاعل فيكون بعدهم نهي عن الفرار يوم
حنين لكونهم كانوا اثني عشر الفا وقوله **ومن يولهم يومئذ دبره** اشارة الى ذلك
اليوم **الا متحرفا لقتال** يفر ليكر خداعا مع العدو وكثيرا ما يتعاطاه الابطال وقد شاهدنا
ذلك في وقعة من وقايع بني الاصفر ولله الحمد وقد انتصب على الحال والا لغو لا دخل له في
النصب او مستثنى من المولين اي الا رجلا متحرفا **او متحيزا الى فئة** اي جماعة اخرى
من المسلمين للاستعانة بهم وقد روى ابن عمر انه كان في سرية ففروا حتى بلغوا المدينة فقالوا
يا رسول الله نحن الفرارون قال لا بل انتم العكارون وانا فيكم اي الكرارون العطافون الى الحرب
بعد التولي **فقد باء بغضب من الله** رجع به والتركيب من البوء وهو اللزوم **ومأواه
جهنم وبئس المصير** وهذا اذا لم يزدادوا على الضعف كفارا واحد من الاثنين
لقوله الآن خفف الله والقول بان الاية مخصوصة باهل بدر ومن معه في الحرب لا وجه له مخالف
للاجماع والفرار من الزحف اذا لم يبلغ العدد الرخصة من اكبر الكباير **فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم** روي انهم لما قتلوا من قتلوا واسروا من اسروا اطفقوا يفتخرون بما فعلوا
فرد الله ذلك والقتل صورة وان كان صادرا منهم ولكن لما كان بنصر الله وامداد الملائكة
وقتالهم نفى عنهم القتل وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن مخففا والذي بعده مع رفع
الله **وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى** قيل نزل جبرائيل لما التقى الجمعان وقال خذ قبضة
من الحصباء وارم بها في وجوه المشركين فقال لعلي ناولني من حصباء الوادي قبضة فناوله فرمى
بها وقال شاهت الوجوه فلم يبق واحد منهم الا دخل عينه منه شيء فشغلوا به وطفق المسلمون يقتلون
ويأسرون ومساق الاية ظاهر في ان ذلك كان يوم بدر واهل الحديث على ان ذلك كان يوم
حنين والمعنى ان ذلك الرمي وان صدر منك مباشرة بصرف الاية ولكن ايصال التراب
الى عيون كلهم مع كثرتهم وتفرقهم لم يكن الا بصنعه تعالى وقيل ما رميت خلقا اذ رميت كسبا وليس
بشيء لان افعال العباد كلها كذلك فاي وجه لتخصيص ذلك بالرمي **وليبلي المؤمنين
منه بلاء حسنا** وليعطي المؤمنين عطاء جميلا جزيلا فعل ما فعل ولا عطاء اجزل من
قهر العدو **ان الله سميع عليم** سمع استغاثتهم وعلم نياتهم وقصدهم اعلاء كلمته
ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين عطف على ذلكم لان الاسمية بعد ان في تاويل
المصدر اي القصد من ذلك الفعل الخارق امران احدهما بالذات وهو ابلاء المسلمين
والاخر بالعرض وهو توهين كيد الكافرين قرا بتشديد الهاء نافع وابن كثير وابو عمرو
والباقون باسكانها والاولى ابلغ وقرا حفص كيد مخفوضا بالاضافة **ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح** خطاب لاهل مكة فانهم لما ارادوا الخروج تعلقوا باستار
الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واكرم الحزبين واقرانا للضيف واوصلنا للرحم ففيه
تهكم بهم وقيل الخطاب للمؤمنين واستفتاحهم كان حين الاستغاثة والدعاء بالنصر ويؤيد
الاول قوله **وان تنتهوا** يا اهل مكة عن الكفر **فهو خير لكم** لتضمنه سلامة الدارين
واشتماله على سعادة المنزلين **وان تعودوا** الى المعاداة والاصرار على الكفر **نعد**

واتما وضع

رواه ابو داود والحاكم

نقله القاضي

كان يوم

بالنصر والاعانة ولن تغني عنكم فئتكم جمعكم شيئا من الاغناء او من المضار بعد وقعة بدر وارادوا
ان يجمعوا الجموع كما فعل ابو سفيان يوم احد ولو كثرت وان كثرت وان الله مع المؤمنين
قراء نافع وابن عامر وحفص بالفتح اي ولان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة لن تغني عنكم فئتكم
والباقون بالكسر وهذه ابلغ لان العلية تفهم منها مع الاستقلال يا ايها الذين امنوا
اطيعوا الله ورسوله ولا تجادلوه كما جادلتم في قصة بدر ولا تولوا عنه ولا تعرضوا
عنه في الحرب بتقدمة نهى عما فعلوه يوم احد وانتم تسمعون القران الامر بطاعة و
تابيله وذكر الله في امثاله للتوطئة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا هم المنافقون
وهم لا يسمعون سماع تفهم وتدبر ان شر الدواب عند الله قدرا الصم
عن استماع الحق البكم عن النطق به الذين لا يعقلون لم يذكر العمي لان الكلام في
امثال اوامره والنصر لا مدخل له في ذلك جعلهم شر الدواب لانها تسمع وتعقل ما لها فيه
النفع ولو علم الله فيهم خيرا بالارعواء عن الضلالة لاسمعهم سماع فهم وتدبر
وقد علم استحالة ذلك منهم ولو اسمعهم ذلك الاسماع لتولوا وهم معرضون
واعرضوا لسبق العلم بانهم اهل الطبع وكلمة لو ههنا مثلها في لو لم يخف الله لم يعصه وهو اهل الطبع
ان يكون نقيض الشرط اولى بترتب الجزاء فالمعنى ان التولي منهم حاصل على تقدير الاسماع
فعلى تقدير عدمه بالطريق الاولى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول الاجابة
والاستجابة بمعنى الاطاعة اذا دعاكم وقت دعايه وتوحيد الضمير لان ذكر الله للتوطئة
روى البخاري انه نادى ابا سعيد بن المعلى فابطا في الاجابة فلما جاء قال ما اوجب ابطاءك
قال كنت اصلي قال الم تسمع قوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم والقول بان المصلي
في سهو والقول بان اجابته لا تبطل الصلوة اذا كان دعاؤه لامر لا يحتمل التاخير ليس بشيء
لان الكلام في الصلوة والانصراف عنها قصدا مبطل اجماعا وكون الامر مما لا يحتمل التا
خير ليس مخصوصا به لان من راى اعمى يقع في بير يجب عليه قطع صلوته اجماعا والاية مسوقة
لبيان شرفه وان شانه يباين شان ساير الناس لما يحييكم من المعارف والحكم الالهية التي فاقعه
بها حيوة القلوب او الجهاد الذي هو مظنة الشهادة التي هي سبب الحيوة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع
الرحمن يقلبها كيف يشاء بيده والاستقاء فعليكم المسارعة الى اجابة رسوله لعله يلطف بكم و
انه اليه تحشرون لا الى غيره فاسعوا فيما ييسر لكم الاجر والثواب واتقوا فتنة لا
تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي ذنبا لا يخص عقابه طايفة منكم كتقرير المنكر بينكم
والمداهنة وسلوك طريق البدعة وافتراق الكلمة وعلى هذا قوله لا تصيبن جواب للامر اي
ان تتقوا فتنة لا تصيبكم فان اصابتكم لا تصيبن الذين ظلموا خاصة بل تعمكم فاقيم جواب الشرط المقدر
بعد جواب الامر مقامه لتسببه عنه وعلى هذا من للتبعيض ودخول النون المؤكدة لتضمن
النفي معنى النهي مثله قوله لا يحطمنكم سليمان وهذا وجه وجيه لما روت عايشة قلت يا رسول الله
انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث ويجوز ان يكون لا تصيبن صفة نهيا على
التاويل اي مقولا فيها وان يكون كلاما مستقلا نهيا وارد بعد الامر لا محل له من الاعراب
والنهي وان كان للفتنة ظاهرا ولكن المراد نهيهم عن التعرض لها على ابلغ وجه نحو قوله فلا
يكن في صدرك حرج وعلى الوجهين من بيانية اذ المعنى لا تتعرضوا للفتنة فيصيب عقابها
ووبالها الظالمين خاصة الذين هم انتم بناء على ظلمكم دون ساير الناس واعلموا ان الله
شديد العقاب من غط يا ايها النبي اتق الله واذكروا اذ انتم قليل
مستضعفون في الارض اي ذلك الوقت او الحادث فيه لتعرفوا قدر نعم الله
والمخاطبون هم المهاجرون والارض مكة او جملة الصحابة لان العرب لم يكن فيهم ملكت

ملك يطاع ويجتمع اليه فاعزهم الله برسوله لما اثر رسول الله بعض المولفة بالعطايا بعد
حنين ولم يعط الانصار شيئا قالوا العجب ان قريشا تقطر سيوفنا من دمائهم وترد غنايمنا اليهم
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم في قبة وقال ما حديث بلغني عنكم قالوا
هو الذي بلغك قال الم تكونوا فقراء فاغناكم الله بي الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي فكلما ضلالا
قال كلمة قالوا الله ورسوله امن ثم قال والله اني لاعطي رجالا اتالفهم على الاسلام اما ترضون
ان يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله فيكم المحيا وفيكم الممات تخافون ان
يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم من العرب فانهم كانوا اعداء مضادين
لقريش او فارس والروم والتخطف الاخذ بسرعة فآواكم جعل لكم ماوى وهي
المدينة وايدكم بنصره على الكفار يوم بدر او بمظاهرة الانصار وامداد والملايكة
ورزقكم من الطيبات باحلال الغنايم لعلكم تشكرون لكي تشكروا هذه
النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل فرايض الله وترك سنن رسوله
واصل الخون النقص ومنه خاينة الاعين وهي مسارقة النظر وفي الحديث كان عبد الله بن
عمر يتخوننا بالموعظة مخافة السامة علينا وقد الم به كعب بن زهير في قوله لم تخو الاخاليل نزلت في
ابي لبابة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة وسلم
فسالوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير ويجليهم كما اجلى اخوانهم الى اذرعات الشام واريحا
فابى فقالوا اجعل بيننا وبينك سعد بن معاذ ونحن نرضى بحكمه ونتنزل فرضي رسول الله بذلك
وارسل اليهم ابا لبابة وكان مناصحا لهم فلما بلغ الرسالة اشار بيده الى حلقه انه الذبح
قال ابو لبابة فلم تزل قدماي مكانهما حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فندم على ذلك
وربط نفسه بسارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت
او يتوب الله علي فمكث على ذلك سبعة ايام مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك
حل نفسك فقال لا والله حتى يحلها رسول الله فجاء وحله فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي
الذي اصبت بها الذنب وان انخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث
وتخونوا اماناتكم فيما بينكم مجزوم داخل تحت النهي او منصوب بتقدير ان بعد الواو
نحو قوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون قبح الخيانة او حال كونكم عالمين عامدين ليس
ذلك على سبيل السهو وانتم علماء لا يخفى عليكم حسن الاشياء وقبحها واعلموا انما اموالكم لا يخفى
واولادكم فتنة تختبرون بها فلا يحملنكم حبهما على الخيانة وتقديم الاموال لعمومها في
الناس او لكونها سبب الروح وكان ابو لبابة انما وقع فيما وقع لان عياله وامواله كانت
في ايدي بني قريظة وان الله عنده اجر عظيم لا يحاط بمقداره فلا تفوتوه بحب
الاموال والاولاد الفانية يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ما يفرق
بين الحق والباطل اي شيء كان كالحلوان والعنوان والمراد في الاية اما النظر لانه تفرقة
بين المحق والمبطل ولذلك سمي يوم بدر يوم الفرقان او ما يلقي الله في قلوب المتقين لدى
الاشتباه لقوله واتقوا الله ويعلمكم الله ويكفر عنكم سيئاتكم لان الحسنات
يذهبن السيئات ويغفر لكم يتجاوز عن ذنوبكم فالاولى حمل احدهما على الصغاير
والاخر على الكباير لان المتقي تايب والتوبة تجب ما قبلها من الكباير وقيل ما تقدم وما تاخر
ويختص باهل بدر لان الله تعالى اطلع عليهم يوم بدر وقال افعلوا بعد اليوم ما شئتم ولا
حرج والله ذو الفضل العظيم لا يحاط بفضله ولا يقتصر على المغفرة بل يبدل سيئات
التايب حسنات وفيه ايماء الى ان جزيل نواله تفضل لان العبد لا يستحق اجرا في مقابلة
عمل واذ يمكر بك الذين كفروا لما ذكر ما من به عليه من قهر العدو بالقتل
والاسر ودر الغنيمة اليه وامر المؤمنين بطاعته واستجابة دعايه والمسارعة الى امتثال

اوامره ذكره سوانق نعمه ليتوفر على القيام بشكرها اى اذكر ذلك الوقت لما مات ابو طالب
وهاجر من اصحاب رسول الله من هاجر وبايعه الانصار واسلموا فشق ذلك عليهم وخافوا من
تفاقم امره اجتمعوا فى دار الندوة للتوامر فى شانه فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ ذو راى
من نجد وقد سمعت بامركم فدخلت عليكم ولن تعدموا منى نصحا فى صوابه وشرعوا فى التشاور
فقال ابو البخترى الراى عندى ان تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتلقوا اليه فى كوة طعامه وشرابه
وتربصوا به ريب المنون فقال ابليس هذا ليس براى اذ لا تامنوا ان يقاتلكم عليه قومه و
يخلصوه وقال بعضهم الراى عندى ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم وتستريحوا
منه فقال ابليس ليس هذا براى اذ لا تامنوا ان يفسد قوما ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل
انا اراى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى
القبايل فلا يقدر بنو هاشم على قتال قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال ابليس
الراى ما رآه هذا الفتى فهو اجودكم رايا فتفرقوا على ذلك فاخبر جبرائيل رسول الله بذلك
وامره بالخروج وان لا يبيت تلك الليلة فى مضجعه فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
على بن ابى طالب بالبيتوتة فى مكانه وقال له اتشح ببردتى لا يخلص اليك شىء وخرج مع الصديق
مهاجرا والقوم بالبواب مترصدين له فلما اصبحوا لم يروا الا على بن ابى طالب ورد الله تدبيرهم
ولما اقتفوا اثره فاعمى الله ابصارهم وفى الحديث انهم لما لبثا بعد الخروج ثلثة ايام فى الغار
وجاء الطلبة فى اثرهم اوصعدوا فوق الغار فقال ابو بكر لو نظروا يا رسول الله تحت
ارجلهم لراونا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك يا ابا بكر باثنين الله ثالثهما
وقد روى انه عليه السلام لما راى بالصديق اضطرابا فقال له انظر الى جانب الغار فنظر
فراى بحرا وعلى ساحله سفينة **لِيُثْبِتُوكَ** بالحبس والوثاق او الاثخان بالجراح **أَوْ يَقْتُلُوكَ**
بالسيوف **أَوْ يُخْرِجُوكَ** من بلدك هايما على وجهك **وَيَمْكُرُونَ** ويخفون ذلك
ماكرين بك **وَيَمْكُرُ اللَّهُ** يعاملهم معاملة الماكر من حيث لا يشعرون كما فعل بهم يوم بدر
بان قلل المسلمين فى اعينهم حتى اجترؤا على القتال ثم امدهم بالملايكة **وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**
لا يؤبه بمكر عند مكره واطلاق مثل عليه على سبيل المشاكلة والازدواج **وَإِذَا تُتْلَى
عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا** هو قول ابى جهل كذا اسنده
البخارى وقيل نضر بن الحارث وكان قد جاء باكاذيب العجم من قصص رستم واسفنديار وكانت
القريش يجتمع عليه عند الركن ويقراء عليهم تلك الاكاذيب ويزعم انه احسن قصصا من رسول
الله فاسر يوم بدر فامر رسول الله الزبير فضرب عنقه وانما لم يصف الايات بالبينات اشارة
الى فرط عنادهم وانهم لم يقولوا تلك المقالة عن تدبر فيها **إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**
نقلت اليه **وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ** كما يزعم محمد **فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا
حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ** معدة للعذاب كما انزلتها على قوم لوط واصحاب الفيل **أَوِ ائْتِنَا
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** نوع اخر مشابه له يريدون ان ما يدعيه محمد بانه منزل من عندك
افتراء عليك ونحن قاطعون بعدم حقيته فان كان الامر كما يزعم فانزل علينا الحجارة لانا
مستحقون لذلك بانكارنا الحق وهذا اسلوب بليغ فى الانكار يستعمل كثيرا ومآله
الى التعلق بالمحال وانما عرفوا الحق اشارة الى ان المنكر حقيقة على الوجه الذى يدعيه
محمد من نزوله اليه من عند الله لانهم لا ينكرون صدقه مطلقا لقولهم بانه من اساطير
الاولين روى ان معاوية قال لرجل من اهل اليمن ما اقل عقلا قومك ولو عليهم امراة
يريد بلقيس فقال اقل عقلا منهم من قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ** يريد ان موجب العذاب قد
تكامل ولكن سنة الله مع الانبياء ان يعذب قومهم ما داموا بين اظهرهم تشريفهم عند الله

عند الله ومكانتهم الا ترى ان الناس اذا احتوا العذاب من غرق او حرق يتوسلون الى الله تعالى
بالاولياء والصالحين فى دفعه والمعنى انهم كانوا يستحقون العذاب لما تشاوروا فى امرك وسبب
التاخر الى يوم بدر وجودك بين اظهرهم **وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**
بعد خروجك هم ضعفة المسلمين الذين لم يقدروا على الخروج والهجرة بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم هم الذين قال فيهم لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات والقول بان استغفار
المستضعفين كان للمشركين بالتوفيق للايمان بعيد ولا يلايمه لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
او هو امر فرضى اى لو استغفروا وبعد خروجك لم يعذبوا وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها
مصلحون **وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** رسول الله والمؤمنين
وفيه اشارة الى انه من اعظم جناياتهم لانهم كانوا يعرفون بانه لا يحل منع احد من زيارة بيت
الله ومع ذلك ارتكبوه **وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ** اى اولياء المسجد رد لما كانوا يقولونه
من انا ولاة البيت نمكن من زيارته من نشاء ونمنع من نشاء اوما كانوا اولياء الله لانهم كانوا يقولون
نحن نسقى الحجيج ونفك العانى ونطعم الجايع نحن اولياء الله **إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ**
من الشرك فان المشرك نجس لا يصلح لولاية بيت الله والمتقون هم اولياء الله لا غيرهم ولا اعتداد
بتلك المكارم بدون الايمان **وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** فلذلك يتمسكون بما لا يصلح دليلا
والقيد بالاكثر اما لان بعضهم يعلم ولكن يعاند او اطلق الاكثر على الكل كما يطلق القليل على المعدوم
وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وتصدية المكاء بفتح الميم وتشديد الكاف ممدودا
اسم طاير والمكاء صوته والتصدية التصفيق من الصدى او هو الصوت الراجع الى المصوت من
الجبل بين عدم استحقاقهم لولاية البيت لانه انما بنى لعبادة الله وذكره وهم كانوا يطوفون
مشبكين بين اصابعهم الرجال مع النساء يصفرون ويصفقون وانما اطلق عليه الصلوة
لوضعهم موضعها او الصلوة بمعنى الدعاء او كان لهم صلوة يفعلون فيها ذلك **فَذُوقُوا
الْعَذَابَ** ما اصابهم يوم بدر او عذاب الاخرة **بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ** بسبب استمراركم
على الكفر **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ** طريقه الموصل
اليه وهو شريعة رسوله نزلت فى المطعمين لما خرجوا الى تلقى العير وكانوا اثنى عشر رجلا يطعمون
كل يوم عشر جزاير وقيل فى ابى سفيان لما جمع الاحابيش فى وقعة احد فانه استاجر لعين
من العرب باربعين اوقية كل اوقية وزنها اثنان واربعون مثقالا وقيل فى قريش فانهم
بعد بدر تشاوروا فى اخذ الثار من رسول الله صلى الله عليه وسلم والتزم كل منهم مقدارا
يصرف فى جمع الجيش وتهيئة العدد **فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً** فالاول
انفاقهم على الانفاق ودعوة بعضهم بعضا الى ذلك وهذا اخبار بانهم سينفقون المال
مع عدم ترتب الفايدة بل مع ما يترتب عليه من الاسف على فراقها وزيادة العذاب يوم القيمة
ثُمَّ يُغْلَبُونَ لان العاقبة للمتقين كتب الله لاغلبن انا ورسلى **وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى
جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ** من مات منهم على الكفر **لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** الكافر
من المؤمن متعلق بيحشرون نحو وامتازوا اليوم ايها المجرمون او بما انفق المشركون فى عداوة
رسول الله مما انفقه المؤمنون فى نصرته واعلاء كلمة الله فاللام متعلقة بحسرة قراء حمزة والكسائى
ليميز بضم الياء والتشديد وهو المختار لكثرة استعماله والزيادة فى المعنى **وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ
عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا** منضما بعضه الى بعض من الركام وهو السحاب المتراكب بعضه فوق
بعض **فَيَجْعَلَهُ** الخبيث **فِي جَهَنَّمَ** كل وفايدة التاكيد دفع توهم فوت حقير منه كما هو المتعارف
من الملوك فى الدنيا فانهم يتسامحون فى ذلك **أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** كل الخسران لان
ما جعلوه وسيلة للنفع فى الدنيا لم ينتج وصار زيادة فى العذاب يوم القيمة **قُلْ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا** اى فى شانهم وحقهم **إِنْ يَنْتَهُوا** عن الكفر **يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ** اى ذنب

كان فان الاسلام يحت ما قبله على عمومه في الحربي لانه لم يلتزم شيئا من الاحكام واما الذمي فيسقط
عنه ما عدا حقوق العباد وَإِنْ يَعُودُوا استمروا على الكفر او يعودوا الى القتال ومشاقة الرسول
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ سنة الله في الكفار الدارجين وهي انهم اهل النار او سنة
الكفار المعاندين للرسل وهي الاستيصال او الاولين منهم وهم قتلاء بدر وَقَاتِلُوهُمْ انهم لم
ينتهوا حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ شرك وضلال وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ لا يكون لغيره
فيه نصيب لكونه المستحق دون غيره فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ يجازيهم على ما
عملوا وَإِنْ تَوَلَّوْا واعرضوا عن هذا النصح والبشارة بمغفرة ما سلف منهم فَاعْلَمُوا انتم ايها المؤمنون
والمراد الاستمرار أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ناصركم دايم النصر لكم نِعْمَ الْمَوْلَى المالك المنعم
وَنِعْمَ النَّصِيرُ الناصر الذي لا يغلب وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ نزلت في غنايم بدر
بعد ما رد امرها الى رسوله فصل ذلك المجمل وقد كانوا ناسيون عليه مدى الدهر والمعنى
اعلموا علما مقرونا بالعمل ان كل شيء غنمتموه من الكفار مما يقع عليه اسم الشيء جليلا كان
او حقيرا فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ فان لله خمسه خبر للموصول في انما والجملة قامت مقام مفعولي
العلم وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ اي تقسم الغنيمة خمسة
اخماس ثم يوخذ الخمس الواحد ويصرف على هذه المصارف الخمسة فان ذكر الله في امثاله للتوطية
وكان قيل حق الخمس ان يكون متقربا به تعالى ثم خص الجهة المصروف اليها بهولاء الاخصين به
وقيل بل هناك سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب ولم يذهب اليه احد من
ايمة المذاهب فان ابا حنيفة رحمه الله حصره في اليتامى والمساكين وابن السبيل لان سهم
رسول الله وذوي القربى ساقط عنده وانما يعطى ذووا قرابته اذا اتصفوا باحدى الصفات
الثلث وقال الشافعي رحمه الله بل الاخماس باقية كما كانت في عهده صلى الله عليه وسلم
فسهمه يصرف الى ما كان يصرف اليه من الكراع والسلاح وما كان عده للجهاد وساير مصالح
المسلمين وسهم ذوي القربى يصرف اليهم يستوي فيه الغني والفقير للذكر مثل حظ الانثيين
ذووا قرابته بنو هاشم وبنو المطلب دون بني نوفل وبني عبد شمس وان كان هاشم والمطلب
ونوفل وعبد الشمس اولاد عبد مناف وذلك لما اسنده البخاري ان رسول الله لما اعطى
بني هاشم وبني المطلب قال له عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان عبشميا وجبير بن مطعم و
كان نوفليا يا رسول الله بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك منهم ولكن نحن وبنو المطلب
بمنزلة فكيف اعطيتهم دوننا فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصابعه وقال
نحن وبنو المطلب هكذا لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام واشار بذلك الى قصة وهي
ان ساير بطون قريش تعاضدوا على معاداة بني هاشم وبني المطلب وحلفوا على ان لا يناكحوهم
ولا يبايعوهم وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها على باب البيت فوافقهم على ذلك بنو نوفل وبنوا
عبد الشمس إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ حذف جزاؤه لدلالة ما تقدم عليه اي فاعلموا
ان خمس ما غنمتم لكذا وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا من الايات والامداد بالملايكة او ما
انزلناه عليه يَوْمَ الْفُرْقَانِ يوم بدر في امر الغنيمة وجعلنا امر الغنيمة مفوضا اليه
وسمي به لانه فرق فيه بين الحق والباطل يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ بدل منه للتوضيح
والبيان وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ولذلك نصر شرذمة المومنين وامدهم بالملايكة
إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا القريبة من المدينة والعدوة بالضم شاطئ الوادي وقرا
ابن كثير وابو عمرو بكسر العين والضم افصح لانه لغة الحجاز منصوب باذكر او بدل ثان ليوم
الفرقان وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى من المدينة والقياس القصيا كالعليا والدنيا
تفرقة بين الاسم والصفة وقد جاء على الاصل كالقود واستحوذ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ
على الساحل وانما يطلق على اصحاب الابل في السفر انا كانوا فوق العشرة وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ انتم

والسلاح

انتم والمشركون الاجتماع على هذه الهيئة لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ انتم لقلة عددكم
وهم لرعب رسول الله في قلوبهم وانما ذكر الواقعة مع ذكر الزمان والمكان مفصلا
بانهم كانوا في العدوة الدنيا والعدو في العدوة القصوى والركب باسفل منهم وهم
عالمون بذلك تذكيرا لهم وتصويرا للواقعة المفضية الى اعلاء كلمة الله مع ان حالهم كانت
منافية للانتصار وقهر العدو لان العدوة الدنيا كانت ارضا ذات رمل تسوخ الاقدام
فيها ولم يكن بها ماء والقصوى كانت ارضا طيبة بها ماء وكون الركب اسفل منهم قريبا
مما يثبت جاش المشركين ويجرهم على القتال واذا علم ان ذلك النصر لم يكن الا من الله لا
باسباب منهم فيجب عليهم المبادرة الى امتثال اوامره التي من جملتها امره بايصال الخمس
الى مصارفها ليكونوا وصلوا الى الانتصار في ساير الوقايع ويكون لطفا بالسامعين اذا تليت
عليهم الى آخر الدهر ويتعلق به قوله وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا كان جديرا
بان يفعل من اعلاء كلمة الله واعزاز دينه متعلق بمحذوف اي دبر ما دبر من خروج الطايفتين
لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ بدل من الجار والمجرور
او متعلق بمفعولا والمعنى ليكون كفر من كفر صادرا عن حجة واضحة عليه دالة على مكابرته
واسلام من اسلم عن يقين لا يشوبه شايبة وهم اذ لا علم فوق عين اليقين فيكون الهلاك
والحيوة مستعارين او ليموت من يموت بعد مشاهدة البينة ويعيش من يعيش بعد معاينتها
قرا نافع وابن كثير في رواية البزي وابو بكر عن عاصم بفك الادغام على الاصل والباقون
بالادغام وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ اقوالكم عَلِيمٌ بنياتكم وانما ارادف الكفر والايمان
بهما لان كلا منهما يكون بالقول والاعتقاد إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا
راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤياه قبل الوقعة شرذمة فاخبر بذلك اصحابه في رؤياه
ليكون ذلك مشجعا لهم ذاهبا لزجر الشيطان وقيل بل راهم رؤية عين والمنام هو
العين وليس فيه زيادة معنى مع العدول عن الحقيقة واذ مقدر باذكر وقليلا نصب على
الحال من المفعول وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ جبنتم وخفقت قلوبكم وَلَتَنَازَعْتُمْ
فِي الْأَمْرِ في امر القتال بان يقدم عليه بعضكم ويحجم البعض وتفرقت كلمتكم وَلَكِنَّ
اللَّهَ سَلَّمَ عن الفشل والتنازع باراءتكم اياهم قليلا إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ بمضراتها
كانت او سيكون وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا مطابقا لما اخبر به رسول
الله ومصدقا لرؤياه الضميران مفعولا الاراءة لانها من رؤية البصر فلا يقتضي ثالثا وقليلا
نصب على الحال وعن ابن مسعود قللوا في اعيننا حتى قلت لمن كان على جانبي اتراهم سبعين رجلا
قال اراهم مائة وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ حتى قال ان محمدا واصحابه اكلة جزور وذلك ان الجزور
طعمة مائة وهذه الاراءة كانت قبل التلاقي فلما تلاقوا اكثرهم الله في اعين المشركين
حتى راوهم مثلي عدد المشركين لقوله يرونهم مثليهم راي العين وذلك من ايات الله
وامداده كما امدهم بالملايكة ولما كانت الرؤية وساير الادراكات بخلق الله من غير شرط فلا امتناع في
بخلق رؤية القليل في صورة الكثير وبالعكس لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا كرره لاختلاف
الفعل المعلل وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ فيصدرها كيف يشا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً جماعة كفارا كانوا او بغاة لقوله فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله او
قطاع الطريق لقوله يحاربون الله ورسوله واللقا اشتهر في القتال فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَثِيرًا ذكرا كثيرا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ تظفرون بالنصر روى البخاري عنه صلى الله عليه
وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واذا لقيتم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف
وكان يقول عند لقاء العدو اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم
وانصرنا عليهم وَأَطِيعُوا اللَّهَ فيما امركم به من الثبات في مواطن الحرب وَ

في رؤياه

رسوله ولا تنازعوا وفيكم رسول الله الذي يأتيه الخبر من السماء ساعة فساعة
وقد قال لا ينبغي عند التنازع فتفشلوا من الفشل وهو الجبن مجزوم داخل تحت
حكم النهي او منصوب باضمار ان وتذهب ريحكم دولتكم ونصركم مستعار
لها لانها في التمشي والنفوذ كالريح في الهبوب او هو حقيقة لان عادة الله جرت بان
من يكون الريح من صوبه وجاه العدو له النصر ولذلك قال صلى الله عليه نصرت بالصبا و
اهلكت عاد بالدبور واصبروا كرره لتقييده لقوله ان الله مع الصابرين بالحفظ والنصر
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يريد مشركي مكة بطرا مصدر في
موضع الحال بالتاويل او بتقدير الفعل والبطر مقابلة النعمة بالكفران بكرا ورئاء الناس
عطف على بطرا وهو اظهار جميل خلاف ما في الباطن وذلك ان ابا سفين ارسل الى كفار
قريش يخبرهم بنجاة العير ويامرهم بالرجوع فقال ابوجهل كلا والله حتى نرد بدرا فنشرب
بها الخمور وننحر الجزور ويعرف علينا العرب ولما وردوا بدر شربوا ولكن كوس المنايا و
غنت لهم ولكن النوائح فقدامروا بمقابلة النعم بالشكر والاخلاص في الاعمال لان النهي
عن الشيء امر بضده لا سيما عند القرينة ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون
محيط عطف على بطرا وصرح الفعل لقصد الحدوث بخلاف البطر فانه امر مستمر واذ زين
لهم الشيطان اعمالهم التي كانوا يتقربون بها من النحر لالهتهم واطعام المحاويج
وسقي الحجيج وفائدة الامر بذكره التحذير عن الاغترار بوساوس الشيطان وان اباطيله تضمحل
عند بدو تباشير الحق وقال لا غالب لكم اليوم من الناس لا تملك الاعمال
دافعة عنكم ولانكم على الحق وملة ابراهيم واني جار لكم مجيركم وانتم في امان
فلما تراءت الفئتان الحزبان نكص على عقبيه رجع القهقرى
وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله عن ابن
عباس ان ابليس تصور لهم بصورة سراقة بن مالك الكناني وذلك لان قريشا و
كنانة كان بينهم حرب فلما ارادوا المسير لحماية العير قالوا كيف وبينكم وبين كنانة ما تعرفون
يخلفونكم في اهليكم فقال اني جار لكم من كنانة وذهب معهم براية في جند من الشياطين
الى ان راى الملائكة نازلين وكانت يده في يد الحرث بن هشام اخي ابي جهل فضربها في صدر
الحرث ثم ولى هاربا فقال له الحرث ويلك يا سراقة اتخذلنا في هذه الساعة فقال اني ارى ما لا
ترون فالناس على هذا كنانة ويحتمل ان يكون ذلك التزيين بالوسوسة وقوله اني جار لكم
ايهامه اياهم ان اتباع خطواته وطاعته مما يغني عنهم شيئا ولما لم ينفعهم ذلك الاتباع شبه
بالرجوع القهقرى وهذا مروي عن الحسن وقوله اني اخاف الله على الاول معناه انه يخاف
من الملائكة النازلين ان يصيبوه بمكروه او لما راى الملائكة مردفين ظن انه يوم القيمة
لما راى من خرق العادة وعلى الثاني شبه كيده وعدم ثباته وانهزام جنده من المشركين
بمن ولى مدبرا من الخوف والناس محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه روى مالك عن طلحة
بن عبيد الله ان رسول الله قال ما روي ابليس اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى
من نزول الرحمة الا ما روي يوم بدر والله شديد العقاب من كلامه تعالى اي الحق
لابليس ان يفر من خوف عقابه ويجوز ان يكون من تمة كلام ابليس اظهارا للمعذرة اذ
يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض واذكر وقت قول المنافقين
والذين لم يرسخ الايمان في قلوبهم بعد او المشركين او هم المنافقون والعطف لتغاير
الوصفين غر هؤلاء دينهم مقول قولهم اي اغتروا واتقين بدينهم و
لذلك خرج ثلثماية رجل الى قتال الف ذكره في معرض الامتنان واجاب عن شبهتهم
بقوله ومن يتوكل على الله يثق به ويفوض امره اليه ويقطع النظر عن الاسباب

او بتقدير

ويحتمل

عن الاسباب فان الله عزيز حكيم غالب لا يغالب ما يفعل انما يفعل بحكمة ينصر اولياءه و
يقهر اعداءه وان كان ذلك مستبعدا في بادي الراي ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا
الملائكة اي لو رايت ذلك لرايت امرا عظيما هم الذين قتلوا يوم بدر وقيل هم الذين يموتون
حتف انفسهم والمراد ان موتهم ليس اخف من موت من قتل قرا ابن عامر بالتاء لان الملائكة
جمع وعلى قراءة الياء يجوز ان يكون الفاعل هو الله والملائكة مبتدا خبره يضربون
وجوههم والجملة حالية استغنى بالضمير عن الواو وعلى الاول المضارعية حال من الملائكة
او من المفعول او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم استاههم والمعنى يضربون اشرف
اعضائهم واخسها لعدم المبالاة بهم وقيل يعمونهم ضربا ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا
عذاب الحريق عطف على يضربون بتقدير القول اي قائلين لهم هذا القول مبشرين
لهم بعذاب الاخرة بعد هذا الضرب وقيل بل بايديهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت
النار منها ذلك بما قدمت ايديكم مبتدا وخبر يحتمل ان يكون من كلام الملائكة
وان يكون من كلام الله وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على الخبر اي ذلك
العذاب بسبب امرين بكفركم وبان الله لا يعذب احدا بغير ذنب وانما اتى بصيغة المبالغة
للتكثر المستفاد من الاستغراق فلو وقع الظلم على تلك الافراد لكان ظلما كثيرا او للاشارة
الى شدة العذاب والمعنى ان ذلك العذاب العظيم الذي يحق بهم لو عذب به من لا يستحق
لكان ظلما عظيما لا ظلما في الجملة كداب ال فرعون الداب مصدر داب اذا داوم على
الشيء ويمرن عليه وفي الحديث ان بعيرا شكا الى رسول الله مالكه فقال له شكى الي انك
تدابه اي تديم العمل عليه والذين من قبلهم من قبل ال فرعون كفروا بايات
الله والشبه ان شان هؤلاء واولئك سواء في الكفر فاخذهم الله بذنوبهم
احل باولئك جزاء ذنوبهم كما احل بقومك يوم بدر ان الله قوي شديد القوة لا
يقاومه احد شديد العقاب وفي الحديث ان الله يمهل الكافر حتى اذا اخذه لم يفلته
والملك من ملوك الدنيا اذا عاقب نهاية عقابه القتل وعقاب الله تعالى السرمد ذلك
اشارة الى ما حل بالفريقين والمشبه به بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم لم يزلها
عنهم حتى يغيروا ما بانفسهم حتى يتركوا شكرها ويجعلوا مكانه الكفر الم تر الى الذين بدلوا
نعمة الله كفرا والنعمة التي غيرها قريش هو رسول الله فان الله انعم عليهم به فلم يشكروا وامكن
النعم لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا او جعل الله لهم حرما امنا وجعل لهم
رحلتي الشتاء والصيف فاطعمهم من جوع وامنهم من خوف فلما اخرجوا رسول الله من الحرم
احل الله القتال له في الحرم ولم يحل لاحد قبله حتى قال يوم الفتح للانصار احصدوا اوباش
قريش فلم يلقوا احدا الا اناموه فقال ابو سفيان يا رسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش
بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى السلاح فهو امن ومن اغلق بابه
فهو امن ان الله سميع لاقوالهم عليم بعقائدهم تعليل لما نال بهم من العذاب كداب
ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا
ال فرعون كرر التشبيه للتاكيد وبدل لفظ الجلالة بالرب ايماء الى ان الكفر بايا
ت الله كفر بنعم المنعم وبين ان الاخذ السابق كان باهلاك طائفة واغراق اخرى وكل
كانوا ظالمين وكل من هؤلاء واولئك كانوا ظالمين بالكفر والتكذيب ان شر
الدواب كل شيء مما يدب على الارض عند الله الذين كفروا الصم البكم الذين
لا يعقلون فهم في تلك الاية فهم لا يؤمنون لعدم القابلية بانتفاء الة الادراك
والقوة الدراكة الفاء للسببية ما قبلها الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة
بدل بعض من الذين كفروا هم بنو قريظة من اليهود فانهم كانوا معاهدين رسول الله

عطف على

من جوع

هم وبنو النضير فنقضوا العهد واعانوا المشركين على رسول الله وارسلوا كعب بن الاشرف الى مكة لعقد
الحلف معهم فعلم رسول الله بذلك فارسل اليه محمد بن مسلمة ومعه ثلثة نفر فقتلوه ثم جاء رسول الله الى اليهود
وقال يا معشر اليهود اسلموا تسلموا قالوا لقد تبلغت يا ابا القاسم قال ذلك اردت اعلموا يا معشر اليهود
ان الارض لله ولرسوله واني اريد ان اجليكم من هذه الارض فاجلاء بني النضير ومن على قريظة
حتى كان يوم الخندق غزوة الاحزاب نقضوا العهد وحاربوا رسول الله واعانوا المشركين عليه
فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع السلاح واغتسل جاء جبريل وهو ينفض رأسه
من الغبار فقال وضعت السلاح فوالله ما وضعناه اخرج اليهم واشار الى بني قريظة فحاصرهم
رسول الله ونزلوا على حكم سعد بن معاذ بان تقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم **وهم لا يتقون**
شناعة الغدر اوهم لا يتقون عذاب الله بنصر المؤمنين عليهم وقتلهم وسبي اولادهم وهتك
حريمهم **فاما تثقفنهم في الحرب** تصادفنهم واصل الثقف الحذق والسرعة يقال غلام ثقف
اى عاقل حاذق **فشرد بهم من خلفهم** نكل بهم نكالا يكون سببا لتفرق الاخرين الذين
لم يحضروا معهم حتى لا ينابصك بعد ذلك احد والتشريد التفريق من شرد الجمل اذا ذهب وعصى
لعلهم يذكرون لعل من شردت يتعظ ويرعوى العاقل من اتعظ بغيره **واما**
تخافن من قوم خيانة ولم يبد منهم ما يوجب نقض العهد **فانبذ اليهم**
عهدهم واخبرهم بان لا عهد بينك وبينهم **على سواء** كائنين انت وهم على صفة الاستواء
في العلم والعداوة حال من النابذ والمنبوذ اليه **ان الله لا يحب الخائنين**
تعليل للامر بالنبذ والنهي عن الغدر الذي دل عليه الامر بالنبذ وفي الحديث عنه صلى
الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيمة ينصب عند استه ينادى عليه هذه غدرة فلان
ولا تحسبن خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم **الذين كفروا سبقوا** الجملة
سدت مسد المفعولين اى لا تحسبن الكافرين الذين فروا يوم بدر فائتين وقرأ حمزة
وابن عامر وحفص بالياء على ان سبقوا ثاني المفعولين والاول محذوف اى انهم سبقوا والضمير
للنبي على طريقة الالتفات او لكل حاسب ولا لحن في هذه القراءة ودعوى تفرد حمزة باطل لموافقة
ابن عامر وحفص في السبعة وابي جعفر في العشرة وابن محيصن والحسن وطلحة في الشاذة والمختار
الخطأ الجرية على السنن السابق ولعدم الحذف ولكونه ابلغ تسلية لانها نزلت في من افلت
يوم بدر ومن جعل ضمير الغيبة لمن خلفهم ابعد عن المقام **انهم لا يعجزون** استيناف
يؤكد عدم السبق المفهوم من لا تحسبن قرأ ابن عامر انهم بالفتح اما لكونه مفعول الحسبان
وسبقوا حال ولا صلة او بتقدير اللام تعليلا **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة**
ذكر ان الفارين من بدر ليسوا بفائتين وكان مظنة ان يتكاسل المؤمنون في امر الجهاد متكلين
على ذلك حثهم على اعداد الة الحرب لقهر اعداء الله واعدائهم والقوة خلاف الضعف و
المراد به الرمي بالسهم لما روى مسلم والبخاري عن عقبة بن عامر انه صلى الله عليه وسلم
قرأ الاية على المنبر وفسر القوة وكرره ثلاثا ولعل ذلك لانه اقوى في التأثير لانه يدفع
العدو من بعيد ولا يمكن الاحتراز منه لعدم الاحساس ولان حرب العرب اكثر ما يكون
بالحراب والسيوف فحثهم على تعاطي الرمي وفي الحديث من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا **ومن**
رباط الخيل وانما خص بالذكر لشدة الامر في ذلك وصرف المال اليه و
قيل القوة كل ما يتقوى به من آلة الحرب وافراد الرباط لفضيلته نحو عطف جبرئيل
على الملائكة **ترهبون به عدو الله وعدوكم** استيناف تعليل للامر وجملة حالية
وهم كفار مكة **وآخرين من دونهم** فارس والروم وقيل المنافقون
او اليهود كانوا ايضا اعداء لكن لم تكن عداوتهم كعداوة مشركي مكة **لا تعلمونهم**
باعيانهم صفة اخرين **الله يعلمهم** تنبيه على ان علمه كاف في ذلك فلا تهتموا وتنوا

[margin: اخرج اليهم]
[margin: او لكل حاسب]
[margin: رد على الكشاف]

١٣٠

فلا تهتموا وتنوا في عداوتهم واعداد آلة الجهاد **وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف**
اليكم اجره **وانتم لا تظلمون** لا تنقصون من اجره شيئا **وان جنحوا**
للسلم مالوا الى الصلح ومنه الجناح للطاير والجناح الاثم وللسلم الاستسلام
وقرأ ابو بكر بكسر السين وهما لغتان كالكنف والكتف **فاجنح لها** واقبل منهم ذلك
اذ ربما يكون في ذلك زيادة شوكة للاسلام بان يختلط المشركون ويسمعوا القرآن ويشاهدوا
محاسن الاسلام فيكون سببا لاعمالهم الى الايمان **وتوكل على الله** فوض امرك
اليه دفع لما عسى يتوهم ان يكون الصلح منهم خديعة وطلبا لغرة المؤمنين **انه هو**
السميع لاقوالهم **العليم** بافعالهم وضمايرهم فان يكن قصدهم المكر فان مكر الله فوق
مكرهم والاية محكمة لانها نزلت في الحديبية لما صد المشركون رسول الله عن البيت واية السيف
لا تدل على الوجوب بل الاذن في القتال بعد حرمته وليست مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها
بقصتهم كما ظن لما تقدم من ان قوله لا تحسبن الذين سبقوا نزل فيمن افلت يوم بدر
وان يريدوا ان يخدعوك تصريح بما اسر اليه بقوله وتوكل على الله **فان حسبك الله**
كافيك لا يحتاج معه الى آخر يستوي فيه الجمع والمفرد **هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين و**
بين قلوبهم باحداث التحابب والتواد وبعد التباغض والتماقت اشارة الى
ما كان بين الانصار قبل الاسلام من الحروب المتكاثرة في الازمنة المتطاولة وهم الاوس
والخزرج ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدل الله ذلك بالالف والاخوة بحيث لم يبق
لذلك اثر وفي الحديث انهم تذاكروا يوم بعاث وهو يوم مشهور وكانت الغلبة فيه للاوس حتى
تداعى القبيلتان للحرب فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتدعون بدعاء الجاهلية وانا بين
اظهركم فعلموا انها كانت نزغة من الشيطان فندموا وتعانقوا **لو انفقت ما في الارض**
جميعا ما الفت بين قلوبهم لتمكن العداوة فيهم دهرا طويلا وكثرة الدماء والثارات
ولكن الله الف بينهم انه عزيز لانه قادر على كل شيء وقلوب العباد بين اصبعين
من اصابعه يقلبها كيف يشاء غالب لا يغلب على مراده شيء **حكيم** متقن في صنعه جعلهم
بعد ذلك التفرق يدا واحدة على نصرة دين الله واعلاء كلمة الله **يا ايها النبي حسبك**
الله ومن اتبعك من المؤمنين حصرا ولا كفاية في نفسه لانه المؤثر ابتداء واضاف
اليه المؤمنين ثانيا جريا على الظاهر في اعتبار الوسائط والموصول اما في محل الرفع
عطفا على المرفوع او في محل النصب لانه مفعول معه لحسبك والضحاك سيف هندا ومجرور
عطفا على المجرور والمحل بدون اعادة الجار على مذهب الكوفيين **يا ايها النبي حرض**
المؤمنين على القتال بعد علمه انه كافيه امره ان يحثهم على القتال الذي هو سبب اعلاء
كلمته والحرض شدة المرض اراد به المبالغة في الحث **ان يكن منكم عشرون صابرون**
يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا الفا من
الذين كفروا شرط في الغلبة الصبر وعلل **بانهم قوم لا يفقهون** قلوبهم خاوية
عن المعرفة لا يرجون من الله ثوابا ليكون باعثا لهم على المصابرة بخلاف المؤمنين فانهم
موقنون بما اعد الله لمن يموت في سبيله من علو الدرجات روي ان خالد بن وليد
في بعض الحروب مع الروم بارزيوما من الايام بنفسه وكان امير الجيش فقتل الف بطل
من ابطال الروم ثم تقدم اليه بطريق منهم وقال له يا امير هل اخبرك بينكم انك
لا تموت قال خالد لم ذلك قال لان ما تفعل من الاقدام انما يفعل من اخبره صادق
القول بان لا سبيل للموت اليه فقال خالد اخبرني صادق القول بان كل نفس ذائقة الموت
واخبرني ايضا بما اعد الله لمن يقتل في سبيله من النعيم وكان غدا لي اليوم خير الشهر مبتلا
بالما فانا استعجل الموت للفوز بذلك النعيم فاسلم البطريق مكانه قرأ ابو عمرو والكوفيون

[margin: بعد حرمته]
[margin: على كل شيء]

ان يكن منكم فى هذه الاية والكوفيون فى الثانية مائة صابرة بالتذكير والباقون بالتانيث
والتذكير هو المختار لاعتبار المعنى ومناسبة يغلبوا الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله
كان الامر بمقاومة الواحد العشرة لقلة المسلمين ولما كثروا وكان ذلك شاقا عليهم خفف عنهم
بمقاومة المائة للمائتين والالف للالفين وانما كرر مقاومة القليل للكثير لمعان مختلفة واعداد
متباينة اشارة الى ان الحكم واحد لا يتغير باختلاف الاعداد اذ ربما لا يقاوم العشرون المائتين
ويقاوم المائة الالف وكذلك ربما يقاوم العشرة العشرين ولا يقاوم الالف الالفين وقراء
ضعفا بفتح الضاد حمزة وعاصم والباقون بالضم وهما لغتان والله مع الصابرين
بالنصر والاعانة حث على المصابرة المشروط بها النصر ما كان لنبى ان يكون له اسرى
بالياء وما كان ينبغى له وقراء ابو عمرو ان تكون بالتانيث نظرا الى لفظ الاسرى حتى
يثخن فى الارض يكثر القتل من الثخانة وهى الغلظ والكثافة المناسبة للكثرة وفائدة
فى الارض والقتل لا يكون الا فيها الاشارة الى انه لا ينبغى له ان يقصد الى ان ياتيه العدو
بل يمشى فى مناكب الارض ويسعى لاعلاء كلمة الله كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزا فى عشر سنين سبعا وعشرين غزوة ونيف وخمسون سرية وقال لولا ان اشق على امتى
ما قعدت خلف سرية تريدون عرض الدنيا متاع الدنيا والله يريد
الآخرة يريد لكم ما يوصل الى ثواب الآخرة من الجهاد والقتل لاعزاز دينه والله عزيز
لا يحتاج الى معاون وانما يامركم بالمجاهدة مع اعدائه لطفا بكم لتنالوا ثوابه وجزيل نواله حكيم
فى كل ما يامر به دفع لما يتوهم من قوله فاما منا بعد واما فداء فانه جوز الفداء والمن
وذلك لما كان بالمؤمنين من الشوكة والكثرة وهذا كان عند قلة المؤمنين وكان
اول قتال وقع فكان الاولى الاكثار فى القتل ليقع الرعب فى قلوب المشركين لما اسر سبعين من
المشركين شاور ابا بكر فقال ما ترى فى هؤلاء فقال يا رسول الله قومك وعشيرتك وعسى الله ان
يرزق بعضهم الاسلام ويخرج من ظهورهم من يشهد ان لا اله الا الله خذ الفداء منهم
يتقوى به المهاجرون والانصار ثم التفت الى عمر بن الخطاب وقال له ما ترى انت يا ابن الخطاب
قال لا ارى ذلك الراى يا رسول الله هؤلاء رؤس الكفار وصناديدهم مر عليا ليضرب عنق
عقيل ومرنى ان اضرب عنق فلان لنسيب له وانه تعالى اغناك عن فداهم فاختار رسول الله ما
اشار به الصديق واخذ الفداء وقال ان مثل ابى بكر مثل ابرهيم حيث قال فمن تبعنى فانه
منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثل عمر مثل نوح اذ قال رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا قال عمر فدخلت على رسول الله وابو بكر عنده وهما يبكيان فقلت
يا رسول الله اخبرنى فان احد بكاء بكيت والا تباكيت فقال عرض على عذاب اصحابك فى اخذ
هم الفداء ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وفى الاية دليل على انه كان يجتهد فى الوقايع
لا سيما فى امر الحرب ويخطى تارة ولكن ينبه على خطائه لولا كتاب من الله سبق لولا
سبق فى علمه او لولا كتب فى اللوح ان المجتهد اذا اخطاء لا يواخذ او اهل بدر لا يعذبون
او ان الغنيمة التى اخذوها كانت مباحة لهم فى علم الله لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم
لعظم ما جئتم به وهو الميل الى الدنيا وترك جانب الاخرة قال صلى الله عليه وسلم لو نزل
العذاب لما نجا منه الا عمر ويدل ذلك على ان غيره كان يرى راى ابى بكر وقيل الا عمر و
سعد بن معاذ فكلوا مما غنمتم ومن جملته الفداء والفاء داخل على المسبب اى احل لكم
الفداء فكلوا حلالا حال من المجرور او وصف مصدر طيبا لا عتاب معه كما لا عتاب
مع الحلال واتقوا الله فى مخالفته والاقدام على ما لم ياذن فيه ان الله غفور غفر لكم
ما فرط منكم فى اخذ الفداء رحيم بكم ولذلك احل لكم الغنيمة قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد

وكذلك

وقال له

احد قبلى كان النبى يبعث الى قومه وبعثت الى الاحمر والاسود ونصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت الارض
مسجدا واحلت الغنائم واوتيت الشفاعة يا ايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى قرا ابو عمرو الاسارى
وكل منهما جمع اسير والثانى جمع الجمع ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم نزلت
فى عباس بن عبد المطلب اسر يوم بدر وادعى الاسلام وانه خرج معهم مكرها فقال رسول الله لا نعلم
ذلك منك قال ماذا تاخذنى وقد قال ما انا فيه من كثرة العيال فقال واين المال الذى قلت
لام الفضل انى ذاهب فى وجهى هذا ولا ادرى ما ذا يصيبنى فان اصابنى شىء فقد وضعت فى موضع كذا
مالا فانفقيه على الصبية فقال اخبرك والله لقد قلت لها ما قلت فى سواد الليل يفادى نفسه وعقيل ابن
ابى طالب لما جاء مال البحرين وكان اكثر مال جىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف من
صلوة الصبح تعرض له الانصار فلما راهم تبسم وقال اظنكم سمعتم بمجىء ابى عبيدة فقالوا اجل يا رسول الله
فقال ابشروا والله لا الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى ان تبسط عليكم كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها
ثم جاء وجلس فلم يقم وهناك منه درهم وجاءه العباس فقال يا رسول الله اعطنى فانى فاديت
نفسى وعقيلا فقال خذ منه فحثا فى ذيله وقام ليحمله فلم يقدر فقال يا رسول الله مر احدا يحمله معى فقال
لا فقال فاحمل انت قال لا فنثر منه شيئا ثم قام ليحمله فلم يقدر فقال يا رسول الله مر احدا يحمله معى قال
لا قال فاحمله انت قال لا فنثر منه ثم ذهب يحمله فاتبعه رسول الله بصره تعجبا من حرصه روى انه قال
ان الله قد اعطانى خيرا منه ان لى عشرين عبدا ان ادناهم ليضرب فى عشرين الفا ويغفر لكم ما سلف والله
غفور رحيم وان يريدوا خيانتك وليس سلامهم الا خداعا فقد خانوا الله من قبل
بالكفر والخروج الى قتالك فامكن منهم فامكنك منهم حتى قتلوا واسروا والله عليم بالضماير حكيم
يجازى كلا على قدر نيته ان الذين امنوا وهاجروا عن اوطانهم وجاهدوا باموالهم
صرفوها فى السلاح والكراع وانفسهم قدم الاموال على الانفس لان صرفها بعد الهجرة
من الوطن غاية السماحة فى سبيل الله فى الجهاد والذين اووا ونصروا جعلوا ديارهم
مأوى للمهاجرين ونصروا رسول الله اولئك بعضهم اولياء بعض يتولى بعضهم بعضا
فى الميراث لما قدم المدينة اخى بين اصحابه وكان الانصار اصحاب نخيل وكانوا يجعلون شطر اموالهم
للمهاجرين حتى قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن العوف خذ شطر مالى ولى زوجتان ايهما احب
اليك اطلقها فتزوجها فقال له بارك الله لك فى مالك واهلك وكانوا يتوارثون الى ان نسخ
بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من
شىء حتى يهاجروا اى لا توارث بينكم وقراء حمزة ولايتهم بكسر الواو وعن الفراء انهما لغتان
كالوكالة وعن الزجاج بالفتح النصرة وبالكسر الامارة وانما جاز الكسر على التشبيه بالصناعة كالحياكة
والكتابة لان تولى بعضهم بعضا صناعة ما وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر
فواجب عليكم نصرهم هؤلاء الذين لم يهاجروا وكانوا مستضعفين غير قادرين على اللحوق برسول الله
وعن ابن عباس رضى الله عنه انا منهم وعن حذيفة بن اليمان خرجت انا وابى والمشركون متوجهون
الى بدر فقالوا اتريدون محمدا قلنا ما نريد الا المدينة فاخذوا علينا ان لا نذهب اليه فلما جئنا
رسول الله ذكرنا له فقال لنا اذهبوا الى المدينة نفى بعهدهم الا على قوم بينكم وبينهم
ميثاق فلا يجوز نصرهم عليهم لانه غدر وخيانة والله بما تعملون بصير لا يخفى
عليه خافية والذين كفروا بعضهم اولياء بعض يتوارثون ولا توارث بين مسلم
وكافر لما حج رسول الله قيل له اين تنزل غدا بمكة قال وهل ترك لنا عقيل من دار وذلك ان
عقيلا كان كافرا لما مات ابو طالب ورثه ولم يرثه جعفر ولا على الا تفعلوه ما امرتم تكن
فتنة فى الارض بذهاب المؤمنين الى الكفار لاخذ ميراثهم وبالعكس ويقع بينهم التقا
تل لان عداوة الدين لا يمكن زوالها وفساد كبير فى الدين لان الولاية بينهم توجب
مودة الكفار والحب فى الله والبغض فى الله من اوثق عرى الايمان لا يتخذ المؤمنون الكافرين

ميراثهم

اوليا من دون المؤمنين والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا
اولئك هم المؤمنون حقا لانه المؤمنين ثلثة اقسام من القسمين منهم بما خصوا
به من الزيادة بالسبق في الهجرة وتبوء الدار وصرف الاموال والانفس في نصرة الدين واعلاء كلمة
الله لهم مغفرة ورزق كريم شريف لا تبعة فيه والانقطاع والذين امنوا
من بعد اى بعد ايمانكم او بعد هجرتكم وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم معدود دون
منكم يشملهم اسم المهاجر وان كان لكم مزية تسلية للمتخلف وترغيب للسابق في رعاية جانبه واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله في التوارث استدل به ابو حنيفة على توريث
ذوى الارحام وهو نص فيه واستدلالا قوى ان الله بكل شىء عليم كامل العلم فجعل
التوارث عند قلة المسلمين للاحباب ليكون موجبا للتناصر والتظاهر ولما قوى الاسلام وكثر
اهله جعل للقرابة

سورة التوبة مدنية وهى مائة وثلثون ايات

ايها تسع وعشرون ومائة عند الكوفيين وثلثون ومائة عند غيرهم
ومن اسمائها الفاضحة لانها فضحت طوائف المنافقين وهو ظاهر كذا الكافرين واهل الكتاب لقوله
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال قاتلهم الله انى يوفكون والمؤمنون
بقوله يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وبقوله لا تتخذوا اباءكم واخوانكم
اوليا وانما لم تكتب البسملة فيها لانها نزلت بالسيف ونبذ العهد فلم يلايم ذكرها قال الله ولا
تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا لانه لا يلايم السلام الذى يدل على الامن فكيف
يذكر اسم الجلال مع الرحمة العامة لكافة الخلق الشاملة للدارين في نبذ العهد والاعلام بالقتل و
سفك الدماء واما تصدير كتبه صلى الله عليه وسلم بها الى اهل الحرب فكان لدعائهم الى الاسلام
وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين موضع الايات والسور واتصل بجوار الله و
لم يبين موضع هذه السورة وكانت متشابهة بالانفال فلم يعلم انها منها كساير الايات او هى سو
مستقل فعمل بالامرين لم توصل كساير الايات ولم يفصل بالبسملة براءة من الله ورسوله خبر مبتدأ
اى هذه براءة ومن ابتدائية اى واصلة من الله او مبتدا خبره الى الذين عاهدتم والجار والمجرور
صفة ومعناه الانفصال والانقطاع ومنه برئ المرض والمعنى انقطاع الموالاة ونبذ العهد
الى الذين عاهدتم من المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين
لان المعاهدة كانت باذن الله فاذا برئ الله من المشركين ومعاهدتهم وجب على المسلمين نبذ
عهودهم وسبب نزولها ان رسول الله كان عاهد المشركين وكان في تلك الهدنة شرط ان لا يتعرضوا
لخزاعة فانهم كانوا حلفاء رسول الله وفي الجاهلية كانوا حلفاء عبد المطلب فعدت بنو بكر على خزاعة
وعاونتهم قريش ثم وفد عمرو بن سالم الخزاعى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشده لا يتم انى
ناشد محمدا حلف ابينا وابيك الا تلدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا هم بيتونا
بالحطيم متهجدا وقتلونا ركعا وسجدا فلما سمع صلى الله عليه وسلم فقال لا نصرت ان لم انصركم فنزلت
واعلم المسلمون بان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين وكان نزولها سنة تسع من الهجرة
والفتح سنة ثمان وحج بالناس تلك السنة ابو بكر الصديق رضى الله عنه فاتبعه عليا بسورة براءة
ليقرأها في الموسم فقيل له لو بعث بها الى ابى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى وكانت عادة
العرب في نقض العهود ان لا يباشره الا رجل عاهد او يكون نسيبا له قريبا منه فلحق على ابا بكر
وكان على العضباء ناقة رسول الله فلما سمع ابو بكر رغاء الناقة قال هذا رغاء ناقة رسول الله
فلما التقيا قال له امير او مأمور قال ابو هريرة فجاء على معنا ينادى ان لا يحج بعد هذا العام مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان وقرأ عليهم السورة على جمرة العقبة قدر ثلثين او اربعين
اية فسيحوا في الارض اربعة اشهر عن الزهرى انها شوال وذو القعدة وذى الحجة
ومحرم وقيل عشرون من ذى الحجة ومحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر وحرم

بهذه السورة

وحرم قتلهم فيها وقتالهم وذا هو الوجه لان عليا لقى ابا بكر بمنى وانما امهل الناكثون اربعة
اشهر ليرجع كل منهم الى مامنه وينقطع علايق من الديون والمعاملات التى كانت بينهم وبين المسلمين
واعلموا انكم غير معجزى الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزى الكافرين
مذلهم بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب السرمد في الاخرة واذان من الله ورسوله الى
الناس اعلام منها فعال من الاذن كالامان من الامن خبر مبتدا او مبتدا موصوف الى
الناس خبره يوم الحج الاكبر سمى اكبر لانه في مقابلة العمرة التى تسمى الحج الاصغر قيل هو
يوم العيد لانه يتم فيه اكثر اعمال الحج ولما ورد بنا ان الاعلام فيه وقع وقيل يوم عرفة لانه الركن
الاعظم ولذلك يقال الحج عرفة وقيل وصف بالاكبر مخصوص بتلك السنة لانه كان فيه المسلمون
والمشركون ووافق عيد اهل الكتاب وامر بتطهيره عن المشركين ان الله برئ من المشركين
من عهودهم ورسوله مبتدا محذوف الخبر اى ورسوله كذلك او عطف على محل اسم ان
لانها في حكم المكسورة بعد العلم المقتضى لوقوع المبتدا والخبر بعده لهذا كسرت في علمت ان زيدا
لقايم وانما فتحت لما يقتضيه معنى المفعولية وقرئ بالجر والوجه فيه القسم من الله مثل قوله لعمرك ولا
تكرار لان الاول انشاء براءة من الله والثانى اعلام بذلك للناس كافة فان تبتم فهو خير لكم
من التولى والاعراض والمراد الخير مطلقا او هو من قبيل الصيف احر من الشتاء وان توليتم فاعلموا
انكم غير معجزى الله لانه يحيط بكل شىء علما وقدرة وانما كرره زيادة في الايقاظ والنصح
واردفه بقوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم على سبيل التهكم مبالغة في التحذير بخلاف
الاول فانه اكتفى فيه بخزى الكافرين الا الذين عاهدتم من المشركين عام في الناكثين
وغيرهم والمراد من اجل عهده فوق اربعة اشهر لان الناكث له الامهال اربعة اشهر ويجوز ان
يكون استثناء من قوله فسيحوا اذ التقدير فقولوا لهم سيحوا اربعة اشهر الا الذين عاهدتم منهم ثم لم
ينقصوكم شيئا فاتموا اليهم عهدهم او منقطع اى لكن الذين عاهدتم منهم ولا يلزم الفصل
بالاجنبى لان الاذان بمعنى الاعلام كانه قيل لهم سيحوا واعلموا ثم لم ينقصوكم شيئا
من مواجب العهد بالخيانة ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم
عهدهم اوفوا لهم بالعهد الى مدتهم الى اخر الزمان الذى وقع عليه العهد والمدة بربع
من الزمان ان الله يحب المتقين عن نكث العهد والغدر وفيه ايماء الى ان اتمام عهدهم
من باب التقوى فاذا انسلخ الاشهر الحرم انقضت والانسلاخ الخروج والانتزاع و
منه سلخ الشاة والاشهر الحرم هى التى ابيح لهم ان يسيحوا فيها وحملها على الاشهر الحرم التى
ورد بها الحديث وهى ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب مضر خطأ لان قتل المشركين ليس
بمحرم فيها وكونها حرما لزيادة شرفها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
في الحل والحرم وفي الاشهر الحرم وغيرها وخذوهم الاخيذ لغة الاسير واحصروهم
وقيدوهم وعن ابن عباس رضى الله عنه حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا
لهم كل مرصد كل موضع يرصدون فيه والراصد الراقب والترصد الترقب فان تابوا
امنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة اقروا بوجوبهما لان تارك الصلوة وان كان
عند الشافعى يقتل وعند احمد يكفر ولكن تارك الزكوة ليس بكافر ولا يقتل اذا لم ينكر وجوبها
فخلوا سبيلهم يتصرفون كيف شاؤا لاستواء المسلمين في الاحكام ان الله
غفور ستار بالتوبة ما تقدمها رحيم بجعل اياهم بعد الايمان كساير المسلمين ووعده
الثواب على التوبة وان احد من المشركين الذين لا عهد لهم عندك استجارك
استامنك مفسر للفعل الرافع لاحد لان ان الشرطية من لوازم الفعل لفظا او تقديرا فاجره
فامنه حتى يسمع كلام الله ويسأل ليكون باعثا له على الاسلام وفيه دليل على
ان كلام يطلق على اللفظ كما يطلق على المعنى ثم ابلغه مامنه مكانا يأمن فيه ان لم يسلم

ورسوله

ابن عباس

وفاء بالعهد ذلك اى الامر بإجارهم بانهم قوم لا يعلمون جهلا لا يعلمون ما حقيقة
الاسلام فاذا تلوا كلامه تعالى المشتمل على تلك المحاسن والمواعظ دعاهم الى الايمان
كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استبعاد لان يكون لهم عهد مع الغدر
الذى صدر منهم يريد ان حالهم تنافى ذلك العهد الذى يزعمونه عهد مرفوع على انه اسم
يكون وخبره كيف وانما قدم لمعنى الاستفهام وفيه وجوه اخر متعسفة الا الذين عا
هدتم عند المسجد الحرام هم الذين تقدم استثناؤهم بنو كنانة وبنو ضمرة وفائدة تقييد
العهد لكونه عند المسجد الحرام زيادة الحث على الوفاء به لكونه واقعا فى اشرف البقاع ومحل النصب
على الاستثناء والرفع على ان الاستثناء منقطع اى لكن الذين عاهدتم فما استقاموا لكم
على العهد فاستقيموا لهم عليه ان الله يحب المتقين كرر للتأكيد على حفظ العهد
كيف كرره لزيادة الاستبعاد مع التنبيه على العلة بقوله وان يظهروا عليكم يظفروا بكم
ويكون لهم العلو عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يلاحظوا ولا يراعوا قرابة بينكم
قال حسان بن ثابت مخاطبا ابا سفيان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رأل النعام
وقيل الال الحلف وقيل الال من اسمائه تعالى بالسريانية يراد به لفظ الجلالة والمعنى لا يراقبون
الله فيكم ولا يخافونه وقيل الال الذمة والعهد وعطف الذمة عليه كعطف النجوى على السر
فى قوله ان الله يعلم سرهم ونجواهم يرضونكم بافواههم استئناف مبين حالهم المنافية
لدعوى الثبات على العهد وهو النفاق الذى هو شر الخصال ولا يجوز ان يكون حالا من
فاعل لا يرقبوا الا ان ارضاهم بافواههم قبل الظهور وتأبى قلوبهم عن موافقة ما يتفوهون
به واكثرهم فاسقون خارجون عن طريق ذوى المروات الخائفين من وصمة الغدر
والتقييد بالاكثر لان قليلا منهم يتحاشى عن شناعة الغدر او اريد بالاكثر الكل اشتروا
بآيات الله استبدلوا بالقرآن وسائر الاحكام ثمنا قليلا نزرا لا اعتداد به فصدوا
عن سبيله شريعته الموصلة اليه او بيته الذى جعل مثابة للناس ومهبط رحمته انهم
ساء ما كانوا يعملون ساء شيئا الذى كانوا يعملونه لا يرقبون فى مؤمن الا ولا
ذمة واولئك هم المعتدون المتجاوزون الحد تفسير لقوله ساء ما كانوا يعملون فلا
تكرير وقيل الاول نزل فى المنافقين وهذا فى اليهود خاصة او فى الاعراب او الذين جمعهم ابو
سفيان واطعمهم فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين فهم اخوانكم
على حذف المبتدأ والمراد الاخوة فى الدين والتساوى فى الاحكام ونفصل الآيات لقوم
يعلمون الكلام حث على التأمل فيما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة
عليها وكأنه قيل من تأمل تفصيلها فهو الخليق بان يسمى عالما وان نكثوا ايمانهم من بعد
عهدهم نقضوا عهودهم او ارتدوا بعد الاسلام لقراءة ابن عامر لا ايمان لهم بكسر الهمزة
والوجه هو الاول لان الآية فى ناقضى العهد لا المرتدين واما قراءة ابن عامر بكسر الهمزة فلا
دليل فيه لانه مصدر آمنه اذا اعطاه الامان وطعنوا فى دينكم عابوه فانهم كانوا يقولون
دين محمد ليس بشىء فقاتلوا ائمة الكفر رؤساؤه وصناديدهم لان الارذال اتباع
فاذا قتلت يرتدع الاوباش والاتباع وكذلك الدخول فى الدين ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه لهرقل عظيم الروم فان توليت فعليك اثم الاريسيين وان اسلمت يؤتيك
اجرك مرتين وقيل وضع المظهر موضع المضمر لانهم بالنقض ونكث العهود صاروا
متمكنين فى الكفر راسخى القدم قراءة الكوفيين بتحقيق الهمزتين على الاصل والباقون
بالتسهيل على اصولهم المعلومة انهم لا ايمان لهم جمع يمين اى لا ايمان لهم بارة بل
حانثة واليه ذهب الشافعى رحمه الله وقال بانعقاد يمين الكافر ولا ايمان لهم حقيقة
وان وجدت صورة واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله ولم يصح يمين الكافر ومن تشبث به فى عدم

فى عدم قبول توبة المرتد لا يجديه لان الآية فى ناقضى العهد ولو سلم كونها فى المرتدين لا دلالة فيها
على ذلك بل ربما يستدل بقوله لعلهم ينتهون على قبوله اذ المعنى التنبيه على ان غرض المقاتل
يجب ان يكون انتهاؤهم عما هم عليه لا مجرد الايذاء والتعذيب الا تقاتلون قوما نكثوا
ايمانهم التى حلفوها مع رسول الله والمؤمنين فعاونوا بنى بكر على خزاعة ونقضوا العهد و
كان هو المانع من القتال وهذا ابلغ من الامر لانه انكار لعدم القتال مع التحريض عليه وهموا
باخراج الرسول حين تشاوروا على ذلك فى دار الندوة فان قلت قد تقدم
ان الذى استقر عليه امرهم فى التشاور كان قتله فلم لم يذكره مع انه اعظم من همهم باخراجه
قلت اراد التنبيه بالادنى وان ذلك كاف فى المسارعة على قتالهم ليعلم منه انهم اذا كانوا بذلك
الهم مستوجبين للقتال فكيف بما هو اعظم وهم بدؤكم اول مرة من غير ان
يسبق منكم ما يوجب العداوة وجزاء سيئة سيئة والبادى اظلم اتخشونهم تقرير للخشية
مع الانكار عليها وانها لا ينبغى لمثلهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين
لان عقابه لا يشابهه عقاب وكونهم مؤمنين وان كان مقطوعا به اورده فى صورة المحتمل
لان تكاسلهم عن القتال بعد تحقق موجبه يوهم ذلك قاتلوهم اعاد الامر بعد بيان
الموجب زيادة فى الترغيب وزاد ما يوجب التشجيع بقوله يعذبهم الله بايديكم قتلا
ويخزهم اسرا وينصركم عليهم بالغلبة والقهر فان قلت اليس القتل والاسر يغنيان
عن ذكر النصر وما فائدة ذكره بعدهما قلت فائدته الوعد بان العاقبة لهم مع ذلك القتل
والاسر وان لا سبيل للعدو عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وضع المظهر موضع
المضمر اشارة الى ان وصف الايمان هو الموجب لذلك الشفاء وهم خزاعة الذين انتقض
العهد لاجلهم وقيل قوم من اليمن قدموا مكة مسلمين فلقوا من المشركين اذى كثيرا فشكوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم
الغيظ غضب العاجز عن الانتقام فان قلت اليس شفاء الصدر مترتبا على زوال الغيظ فما
الوجه فى تقديمه قلت النص على المقصود وتعجيل المسرة وقرع اسماع المكروب من الم الغيظ
بلفظ الشفاء المضاف الى الصدر الذى هو محل الآلام النفسانية ويتوب الله على من يشاء
ابتداء كلام واعلام بان بعض كفار مكة يتوب عن الكفر وكان كذلك وفى الله بما وعد فكان
ذلك معجزة وقرئ بالنصب بتقدير ان على انه جواب الامر معطوفا على الاجوبة السابقة المجزومة
على توهم النصب عكس قوله فاصدق واكن والله عليم بمن يتوب ومن لا يتوب حكيم
متقن فيما يفعل ام حسبتم ان تتركوا الخطاب للمؤمنين وام منقطعة ومعنى الهمزة التوبيخ
على الحسبان والانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتميز المخلص منكم عن غيرهم
نفى العلم واراد لازمه والقول بانه نفى المعلوم بنفى العلم انما يستقيم على الوجه الذى ذكره الا فالذوات
التى تتعلق بها العلم لا يمكن نفيها ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة
معطوف على الصلة داخل تحت حكمها وليجة الشخص بطانته وخاصته من الولوج وهو الدخول كانها
لقوة اختصاصها داخل فى قلبه والله خبير بما تعملون ببواطن اعمالكم مزيح لما
يتوهم من كون نفى العلم محمولا على ظاهره ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شا
هدين على انفسهم بالكفر عن ابن عباس انها نزلت فى ابيه لما اسر يوم بدر اقبل عليه
المسلمون يلومونه على حرق وجه الى قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع الرحم واغلظ
له القول على بن ابى طالب فقال ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال على واى محاسن لكم قال انا نعمر
المسجد الحرام وسقاة الحاج ونحجب بيت الله والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين هذين الامرين
المتنافيين وهما عمارة المسجد والاقرار بالكفر لان عمارة المسجد انما يكون لعبادة الله وهم
يعبدون فيها غيره ويدعون له الالوهية كان لهم حول البيت ثلثمائة وستون صنما قراءة ابن كثير

ابو عمرو مسجد الله بالافراد وهو المختار الموافق للرسم ولقوله عمارة المسجد الحرام ومن قراءه بالجمع اراد به العموم
ويندرج فيه المسجد الحرام لانه اذا لم يصلحوا العمارة شئ من المساجد فافضل المساجد من باب الاولى
اولئك الموصوفون بالاشراك وشهادة الكفر حبطت اعمالهم بطل ثوابها وفي النار
هم خالدون مقيمون ابدا فاين الثواب الذي يرجونه انما يعمر مساجد الله من آمن بالله
واليوم الآخر يوم الجزاء على الاعمال واقام الصلوة وآتى الزكوة
نفى صلوح العمارة عن اولئك الموصوفين بما ينافي عمارة المسجد واثبته على وجه الحصر لمن اتصف
بالكمالات العلمية واقتصر منها على الصلوة والزكوة لان معظم القصد من بناء المسجد هو الصلوة
ومواساة الفقراء المترددين اليها المواظبين على العبادة فيها وعمارة المسجد يشمل بناها واقامة
الصلوة فيها وتلاوة القرآن وتعليمه وتعليم ساير العلوم الشرعية والاذكار وفرشها وتنويرها
بالمصابيح والسرج وفي الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وعنه
صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول من يدل على الجمل الاحمر فقال لا رد الله عليك انما بنيت
المساجد لما بنيت وفي الحديث القدسي قال الله تعالى ان بيوتي في الارض المساجد وان زوادي
فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زايره ولم يخش
الا الله لكمال تقواه ولا يختار على مرضاة الله شيئا وقيل كان المشركون يخشون الاصنام
فالمنفي هي تلك الخشية واما الخوف الجبلي من ساير الآلام فلا يدخل تحت القدرة ولا يتعلق به
عرض دينى فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين لفظ التوقع كعسى ولعل وان كان
من الله كالواجب الان في ذكره تبعيد للمشركين عن مقام الاهتداء والانتفاع بتلك الاعمال
التي كانوا يفخرون بها فان هؤلاء الموصوفين بتلك الكمالات اذا لم يكونوا جازمين فاظنك
بغيرهم اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر
وجاهد في سبيل الله كايمان من آمن او جعلتم اهل السقاية كمن آمن والاول اوجه لان المقابلة و
قعت في الافعال لا الاشخاص به اشار الى بطلان دعواهم بان هذه الصفات السنية وهو الايمان بالله
واليوم الاخر والجهاد في سبيل تلك الاعمال لو لم يكن يحبط لم تذكر في مقابلتها ولم تعادلها فكيف وهي
مقرونة بالكفر الذي لا اعتبار لعمل معه لا يستون عند الله اي اهل السقاية والمؤمنون
وان استووا في زعم المشركين وهذا يرجح الوجه الثاني والله لا يهدي القوم الظالمين
الذين ظلموا المسلمين بالتسوية والمراد عدم الهداية الى الحجة والاستدلال لا الى الاسلام لان
منهم من اسلم كعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه والحمل على الكفرة الذين يموتون على الشرك
بعيد عن المقام الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم در
جة عند الله هذه المساواة التي ادعوها واستانف الكلام في شان المؤمنين المجاهدين وما اعد لهم
من عظيم الدرجات ابدا سرمدا تنبيها على خطائهم وازاحة لما كان يوهم من لفظ عسى من معنى الاحتمال
واولئك هم الفائزون الظافرون بالنعم لا غيرهم يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان استيناف لبيان الفوز والبشارة بشارة الملائكة عند الموت لقوله الذين تتوفهم
الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم او عند دخول الجنة لقوله سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا وانما قدم الرضوان على الخلود
في النعيم المقيم لانه المطلب الاعلى لقوله ورضوان من الله اكبر وفي الحديث اذا استقر اهل
الجنة في منازلهم يقول الله لهم هل تطلبون مني شيئا يقولون واي شئ نطلب منك وقد بيضت
وجوهنا وادخلتنا الجنة يقول الله احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا فيفرحون بذلك
فرحا لم يفرحوا بشئ قبل ويخرون له سجدا ونكر المبشر به لوقوعه وراء وصف الواصف واردف
الخلود بالابد لانه يستعمل في المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم لا يحاط به ولم يخطر
على قلب بشر يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان
عن ابن عباس

قولا يدخل

سلام

عن ابن عباس نزلت في المهاجرين قبل فتح مكة وكان اتمام الايمان موقوفا على الهجرة ومصارمة الاقارب
وفيه ان سورة براءة نزلت بعد الفتح بلا ريب في ذلك فالاولى ان الله لما انزل براءة من المشركين
عامة وكان بين المؤمنين والمشركين سبب القرابة التي هي مظنة الموالاة والود نهاهم عن ذلك ونبه
على الموجب لذلك وهو ايثار الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون
لوضعهم الولاية في غير موضعها وانما نص عليه لان النهي ظاهر في التحريم قل ان كان آباؤكم و
ابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم بنو القبيلة من العشرة وهي المخالطة
ومن ثمة سمي الزوج عشيرا قال في ذم النساء يكفرن قيل ايكفرن بالله قال لا يكفرن العشير
وقرا ابو بكر عشيراتكم بالجمع واموال اقترفتموها الاقتراف الاكتساب وتجارة
تخشون كسادها عدم رواجها لفوات الموسم ومساكن ترضونها احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره قيل هو فتح مكة وقيل
عقوبة عاجل او آجل وعلى الوجهين فيه وعيد شديد والمراد بالحب هو الايثار اختيارا لا الميل الطبعي
لعدم دخوله تحت القدرة وقد روى البيهقي عنه صلى الله عليه وسلم الحب في الله والبغض في الله
من اوثق عرى الايمان وعنه من احب لله وابغض لله فقد استكمل الايمان والله لا يهدي
القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته وهم الذين طبع الله على قلوبهم لقد نصركم الله
في مواطن كثيرة في مقامات الحرب ومواقعها بعد النهي عن موالاة الآباء والابناء والعشاير
اشار الى ان الغرض من وجودهم هو التناصر والتقوى بهم على الاعداء وقد علموا ان النصر من الله و
حده شاهدوا ذلك في حروب كثيرة كيوم بدر والاحزاب وقريظة وخيبر وغيرها من الغزوات
والسرايا ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ونصركم يوم حنين والتقدير وموطن يوم حنين
ليكون من عطف المكان على المكان او الزمان على الزمان بان يراد بالموطن الزمان كمقتل الحسين
ومبعث الرسول فعلى الاول اذ منصوب باذكر وعلى الثاني بدل فلم تغن عنكم تلك الكثرة
شيئا من الغناء مصدرا ومن امر العدو مفعولا به وضاقت عليكم الارض بما
رحبت برحبها في موضع الحال ثم وليتم مدبرين الكفار ظهوركم ثم انزل الله
سكينته الوقار وقوة القلب على رسوله وعلى المؤمنين الذين ثبتوا معه او من تولى منهم
فانهم كروا بعد الفرار وفي الحديث سئل براء بن عازب افررتم يوم حنين قال لكن رسول الله
لم يفر وقصة هذه الغزوة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وكان معه عشرة آلاف
وانضم اليهم من الطلقاء الفان فتوجه الى هوازن وثقيف فلاقوا بحنين وهو واد بين مكة و
طايف وكانوا اربعة آلاف مع ما انضم اليهم من ساير العرب فصاروا ايضا عسكرا كثيفا
فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة قيل هو الصديق وهو بعيد وقيل
رسول الله وهذا ابعد فانهزموا بشوم تلك الكلمة وتوقع النصر بالكثرة فبقي رسول الله
ومعه العباس عمه وهو آخذ بلجام بغلته وابو سفيان بن الحرث ابن عمه آخذ بركابه فالتفت رسول الله
الى يمينه فقال يا للانصار فقالوا لبيك ثم التفت الى يساره وقال يا للانصار فقالوا لبيك
ابشر يا رسول الله نحن معك لم ينادِ غيرهم ولم يخلط بين الندائين شيئا ورجعوا اليه وعطفوا
كما يعطف بقر الوحش الى ولدها ثم قال يا عم ناد اصحاب سورة البقرة واراد من صدر هذه
السورة بهم وهم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ثم قال ناد اصحاب الشجرة واراد بها
الشجرة التي بايعوا تحتها يوم الحديبية على ان لا يفروا فناداهم العباس وكان صيتا فلما سمعوا نداء العباس
عطفوا على رسول الله ونزل رسول الله من بغلته وقال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
وقال هذا حين حمي الوطيس واخذ كفا من الحصا ورمى به وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فهزم
الله منهم فقتل وسبى خلقا كثيرا حتى بلغ عدد السبي ستة آلاف ومن الابل والغنم ما لا يحصى وذلك بقوله
تعالى وعذب الذين كفروا اي بالقتل والاسر وتوقف نيفا وعشرين يوما لم يقسم الغنايم وكان

ومواقعها

قال رجل

يوم دخول هوازن في الاسلام فلما ابطا واقسم تلك الغنايم ثم جاؤا تايبين مسلمين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب الحديث الى اصدقه وقد كنت استنظرتكم والان لتختاروا
احدى الطايفتين اما السبي واما المال فقالوا لا نعدل بالسبي شيا فقام رسول الله على المنبر
خطيبا وقال هولاء اخوانكم جاؤا تايبين واني قد خيرتهم بين السبي والمال فاختاروا السبي
فمن طابت نفسه منكم فذاك ومن لم تطب فليكن على حظه حتى نعطيه من اول ما يفيء الله علينا
فقالوا قد رضينا يا رسول الله فقال انا لا نعرف من رضي منكم ممن لم يرض ارجعوا الى رحالكم
حتى يرفع الينا عرفاؤكم امركم فلما رفع عرفاؤهم انهم قد رضوا رد اليهم السبي وانزل جنودا
لم تروها اي الملايكة ولم تصح كميتهم قيل كانوا خمسة الاف وقيل ثمانية الاف وقيل ستة
عشر الفا والله اعلم بذلك قيل كانوا في ثياب بيض وعذب الذين كفروا بالقتل
والاسر وذلك جزاء الكافرين ما فعل بهم ثم يتوب الله من بعد ذلك على
من يشاء وهم الذين جاؤا تايبين والله غفور للتايبين ما قد سلف رحيم برد ذراريهم
يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم كالشيء النجس يجتنب منهم
والنجس بالفتح مصدر نجس فاطلق عليهم مبالغة وعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة كالكلاب
والخنازير وعن الحسن ان من صافح مشركا فعليه الوضوء مستدلا بما رواه البخاري عن ابي
هريرة قال لي رسول الله اين كنت يا ابا هريرة قلت كنت جنبا فكرهت ان اماشيك فقال سبحان
الله ان المسلم لا ينجس فلو لم يكن المشرك نجسا لم يكن لقيد المسلم فايدة ولم يذهب اليه اهل
المذاهب لان الصحابة ومن بعدهم كانوا يواكلونهم ويشربون من اوانيهم وفي البخاري ان
عمر بن الخطاب توضأ من جرة في بيت نصراني فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم
هذا فضلا عن الدخول استدل به الشافعي على منع الكافر من دخول المسجد الحرام وحمل
ابو حنيفة على الحج والعمرة لما تقدم ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه نادى في الموسم ان
لا يحج بعد هذا العام مشرك وقاس مالك ساير المساجد على المسجد الحرام بعد عامهم هذا
وهي سنة تسع من الهجرة وكان الامير الصديق والقول بانه حجة الوداع مردود لاستدلاله وان خفتم
عيلة فقرا وفاقة يقال عال افتقر قال الشاعر وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل
كانوا يرتفقون بقدومهم بالتجارة وانواع المكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله الواسع
بان يسبب لكم اسبابا اخر لم يخطر بخاطركم وكان كذلك فاسلم اهل تبالة وجرش من اليمن
وهما بلدتان شهيرتان بالخصب فامتاروا لهم من كل نوع ثم تواترت الفتوح والغنايم وتوجه
الى مكة الناس من كل فج عميق ان شاء قيده به ليدل على ان ذلك ليس لسابقة وجوب
واستحقاق منهم بل متفضل في ذلك ان الله عليم كامل العلم حكيم في الاعطا والمنع
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم
الاخر لما بين حال المشركين وما يعاملون به من القتال والاحكام اردفه قضية اهل
الكتاب وما يتعلق بهم من الاحكام والمعنى قاتلوا الذين لا يومنون بالمبداء والمعاد
فان النصارى يقولون ان الله ثالث ثلثة واليهود يقولون عزير ابن الله وايمانهم باليوم
الاخر ليس بايمان لانهم يعتقدونه على خلاف ما هو عليه ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
ولا يدينون دين الحق اي دين الله الذي شرع لعباده او دين النبي الثابت
الذي لا يرد عليه ناسخ والدين الذي هو الحق وهو الاسلام من اضافة الموصوف الى الصفة
من الذين اوتوا الكتاب بيان حتى يعطوا الجزية غاية للقتال المامور والجزية اسم
للمال الماخوذ منهم في كل عام فعلة من جزى الدين قضاه عن يد متعلق بيعطوا اي يعطونها
منقادين من قولهم فلان اعطى بيده اذا انقاد واستسلم من غير حرب او حتى يعطوا يدا
بيد اي نقدا لا نسية او يعطوا بيدهم ولهذا لا يجوز التوكيل بادائها او براد يد الاخذ اي

عن عباس

ثالث ثلثة

اي يعطوها بسبب يد قاهرة مستولية عليهم او اليد مجاز عن الانعام اي يعطوها لما من عليهم بابقا
مهجهم بين اظهر المسلمين امنين وهم صاغرون اذلاء من الصغار اي يؤدونها على حالة
الذل والحقارة بان ياتي بها ماشيا ويأخذ المسلم بلحيته ويهزها ويقول اد الجزية يا ذمي والاية
وان وردت في اهل الكتاب لكن ابو حنيفة رحمه الله الحق بهم ساير الكفار سوى مشركي
العرب لما روى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح على الجزية عبدة
الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك يوخذ من كل كافر سوى المرتد وعند الشا
فعي من المجوس فقط لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسايهم
ولا اكلي ذبايحهم واقلها دينار في كل سنة سواء فيها الغني والفقير وعند ابي حنيفة رحمه الله
ثمانية واربعون درهما على الغني ونصفها على المتوسط وربعها على الفقير الكسوب وقالت
اليهود عزير ابن الله شروع في بيان عدم ديانتهم والقايل طايفة منهم عن ابن عباس
رضي الله عنه منهم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان
بن ابي اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فذكروا ذلك فنزلت وشبهتهم انه لما احياه
الله وكان يحفظ التورية قالوا ما جمع الله التورية في صدره الا لكونه ابنه قرا عاصم
والكسائي عزير بالتنوين على انه اسم عربي وابن الله خبره والباقون غير منون لانه
عجمي مثل سليمان وهارون او عربي وابن صفة والعلم الموصوف بابن مضافا الى علم يحذف
تنوينه والخبر محذوف اي عزير بن الله الهنا او نبينا وهذا الوجه ليس بوجه لان الانكار يرجع الى الخبر
لا النبوة والجواب بان الوصف هاهنا للمدح فانكار الخبر يتضمن انكاره بمحل لا يليق ببلاغة
القران او ابن خبر حمل على الصفة او حذف للساكنين حملا للمنون على حرف المد كما مع مد الصوت
كما في رواية هارون عن ابي عمرو في احد الله وسواء جعل ابن وصفا او خبرا فالالف ثابت في الرسم
وقالت النصارى المسيح ابن الله قول طايفة منهم وشبهتهم انه ولد من غير اب
ذلك قولهم بافواههم ليس له معنى في الاعيان مثل اصوات البهايم تكذيب لهم على اقبح
الوجوه يضاهون قول الذين كفروا من قبل المضاهاة المشابهة والمعنى يشابهون
قدماءهم في هذا الكفر او المشركين القايلين بان الملايكة بنات الله او اليهود في قولهم عزير ابن
الله لان اليهودية اقدم قرا عاصم بكسر الهاء وهمزة مضمومة بعدها من ضاهاء وهي لغة والفصحى
قراءة الجمهور قاتلهم الله دعاء عليهم بالهلاك والمراد التعجب مما صدر منهم حتى استحقوا
ان يدعو عليهم ارحم الراحمين بالهلاك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الابلج من افكه
صرفه اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله استيناف لبيان افكهم عن الحق والاحبار
جمع حبر بالكسر والفتح ومعناه العالم مشتق من الحبور وهو الجمال والزينة ولا جمال فوق العلم والمراد
علماء اليهود والرهبان جمع راهب من الرهبة وهي الخوف او الرهب وهو التعبد عن عدي بن حاتم انه
قال انتهيت الى رسول وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي اطرحه وقرا اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله فقلت يا رسول الله انهم لم يعبدوهم فقال اليس يحرمون ما احل الله ويحلون
ما حرم قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل بن عياض ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية او صليت
لغير القبلة والمسيح ابن مريم ادعوا فيه الالوهية كما هو مذهب بعضهم او حين اثبتوا له النبوة
فقد اهلوه للالوهية الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا
اي اليهود والنصارى او ما اتخذوه معبودا من الاحبار والرهبان والمسيح الا ليعبدوا الها
واحدا هو المستحق للعبادة وطاعة الرسل والعلما لا تسمى عبادة لانهم وسايط في تبليغ
الاحكام لا اله الا هو صفة ثانية مفيدة للتوحيد لكون المحصور فيه لا يحتمل الشركة
سبحانه عما يشركون انزه عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا نور الله
اياته الدالة على تفرده بالالوهية في الافاق والانفس او المعجزة الباهرة التي هي في الجلاء والظهور

لان الانكار

كالنور وقد عبر عن القرآن بالنور في مواضع شتى او المراد بالاطفاء تحريف نعته وانه ليس
بالموعود بافواههم ماكاذيبهم من غيران يكون لها اصل ترجع اليه ويابى الله الا ان
يتم نوره لا يرضى الا باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام الاستثناء مفرغ في محل النصب مفعو
يابى لانه متضمن معنى النفي ولو كره الكافرون حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه هو الذي
ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله سبق لا قناطهم عما هم
بصدده من اطفاء نور الله لان الذي تفرد بالتاثير في الكائنات يريد اظهار دينه على
ساير الاديان او اظهار رسوله على ساير اهل الاديان واذا اراد شيئا كان لا محالة ولو كره سائر
المشركون ذلك يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال
الناس بالباطل تصدير الاية بنداء المؤمنين في اثناء عد قبائح اهل الكتاب للتحذير
عن سلوك طريقهم خص الاكل لانه الغرض الاعظم من المال والاموال الماخوذة بالباطل
هي تلك الرشى التي كانوا ياخذونها على الاحكام ويصدون عن سبيل الله بالتحريف
وقولهم ليس هو الموعود والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في
سبيل الله عطف على كثيرا والمراد ان الاحبار والرهبان جامعون لهاتين الرذيلتين اخذ
الرشى وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الله او استيناف في محل الرفع والمراد
المسلمون الكانزون قرن بينهم وبين من ارتشى من الاحبار تغليظا وزجرا عن ارتكابه
وعن زيد بن وهب مررت على ابي ذر بالربذة فقلت ما انزلك بهذا الارض قال كنت فقلت
بالشام فقرات والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
بعذاب اليم قال معاوية انما هي في اهل الكتاب قلت فينا وفيهم وعن عبد الله بن عمر انه
هذا كان قبل ان تنزل الزكوة فلما نزل جعلها الله طهرة للاموال وعنه صلى الله عليه وسلم
ما ادى زكوته فليس بكنز وما ورد من الاحاديث الدالة على اثم كنز الاموال انما ورد قبل و
جوب الزكوة فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
انما لم تقل تحمى من قولهم حمى الميسم واحمته لقصد المبالغة لان معناه ان النار تحمى وتوقد ذات
حر شديد على تلك الاموال فاذا كان الاحماء للنار افاد مبالغة وانما قال عليها والمذكور شيئان
نظرا الى الكثرة في المعنى على ما روى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال اربعة الاف نفقة
وما فوقها كنز او الضمير للكنوز والاموال فان الحكم عام وتخصيص الحجرين بالذكر لكونهما اشرف
الاموال واكثر ما يكنز وخص الاعضاء الثلثة بالذكر لان شان الشحيح انه اذا وقع بصره على
الفقير يقطب وجهه ثم اذا علم انه متوجه اليه اعرض عنه واعطاه جانبه فاذا لم يرجع الفقير عنه
ولاه ظهره فاختصت بالعذاب لانها الاعضاء الخاطئة كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا
او لان مساكيهم لتلك الاموال كان لحب الوجاهة بها والتنعم بالملابس التي تتحلى بها الجنوب
والظهور او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن وماخره وجنباه او لانها
اشرف الاعضاء هذا ما كنزتم لانفسكم على ارادة القول لما احمي عليها في النار لم يعلموا
انها هي تلك الاموال فاذا علموا ازداد عذابهم لان وجدان الشر من حيث يحتسب الخير اشد
فذوقوا ما كنتم تكنزون وبال كنزكم او ما كنتم تكنزونه والمراد مقاساة ذلك
العذاب الاشد عبر عنه بالذوق تهكما ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله
يوم خلق السموات اشارة الى نوع آخر من قبائح المشركين والمعنى ان السنة التي
عليها مدار ضبط الوقايع عدد شهورها التي مدارها على القمر في قطع منازله اثنا عشر شهرا
مفصلا على الفصول الاربعة ومعنى كونها عند الله انه الذي قدر ذلك في الازل وعلى ذلك
الوجه ابرزها في اللوح المحفوظ وقت خلق السموات والارض وهو الوقت الذي ابتداء
منه سير القمر منها اربعة حرم جمع حرام رجب مضر ويقال له الاصب لانه

لانه يصب فيه البركات والاصم لانه تصم الاذان فيه من سماع قعقعة السلاح نطق به الحديث
وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ذلك الدين القيم الذي لا اعوجاج فيه اشارة
الى ان ما كانوا فيه من النسيء الاتي ذكره لم يكن من الدين في شيء فلا تظلموا فيهن
انفسكم فان حرمة المعاصي فيها اشد سوى رمضان فانه سيد الشهور والظلم فيه في نهاية
القبح والايمة الاربعة على ان حرمة القتال مع المشركين منسوخة بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم اي
في الحل والحرم واذا جاز قتالهم في الحرم ففي الاشهر من باب الاولى وقيل نسخ بقوله براءة من الله
ورسوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة لا تميزوا بين طايفة وطايفة لان اسم
الاشراك شامل لهم وان امتازوا في التهود والتنصر وعبادة الاوثان وكافة في الجميع من
كف البعير منعه لانه يكف الافراد عن الخروج واعلموا ان الله مع المتقين وعد لهم
بالنصر يفيد تسكين القلب والجراة على الاقدام انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين
كفروا النسيء فعيل بمعنى المفعول من نسات الشيء اخرته وذلك ان العرب كانوا اصحاب
حروب وغارات وكان رزقهم في رؤس اسنتهم والاشهر الثلثة المتواليات كان يطول
عليهم انقضاؤها فكانوا يوخرون المحرم الى موضع صفر ويقدمون صفر مكانه ويقولون
اذا برا الدبر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر وكان جنادة بن عوف الكناني ياتي في الموسم وهو موضع
على جمل فينادي باعلى صوته يا قوم ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوا وفي القابل يقف على الجمل
وينادي باعلى صوته يا قوم ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وعن ابن عباس رضي الله
عنه ان النسيء كان في كندة وهي قبيلة باليمن واتفق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة
حج فيها حجة الوداع كان المحرم في موضعه لم يوخروه فوقف رسول الله على ناقته في المسجد الحرام
وقال ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم
ومعنى كونه زيادة في الكفر انه نوع منه ينضم الى كفرهم السابق قرا ورش عن نافع بتشديد الياء
قرا حمزة والكسائي وحفص يضل بضم الياء وفتح الضاد والباقون بكسره والفتح هو المختار
لكونه ابلغ ذما يحلونه عاما ويحرمونه عاما الضمير للنسيء وقد سبق تفسيره ليواطئوا عدة
ما حرم الله ليوافقوا العدد الذي قدره الله وهذا يرد ما قيل انهم كانوا يزيدون
في الاشهر فيحلوا ما حرم الله اي لذلك المواطاة في العدد يحلون ما حرم الله تقبيح
لذلك الصنيع منهم زين لهم سوء اعمالهم اي اضلهم الله حتى راوا القبيح حسنا والله
لا يهدي القوم الكافرين وان دعاهم الى الاسلام ونصب لهم الادلة هم
الذين ختم على قلوبهم يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله
اثاقلتم الى الارض لامهم على ما بدا منهم من نوع تثاقل وتكاسل وعن ابن عباس
رضي الله عنه انها نزلت في غزوة تبوك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاد من
غزوة حنين تجهز لغزو بني الاصفر وكان رسول الله يوري في غزواته ولا يظهر امره الا في تلك
الغزوة فانه صرح بقصده وجلى للناس امره ليتاهبوا فانه توجه الى عدو كثير مع بعد الشقة وشدة
الحر فتخلف عنه المنافقون وبعض المؤمنين على ما ياتي تفصيله وانما عدي اثاقلتم بالى لانه ضمن
معنى الميل واصل اثاقلتم تثاقلتم فادغمت التاء في الثاء واجتلبت الهمزة ارضيتم بالحيوة الدنيا
من الاخرة انكار لان رضوا بالدنيا بدل الاخرة ثم بين المانع من ذلك بقوله فما متاع الحيوة الدنيا
في الاخرة الا قليل نزر لا يعتد به فكيف يختاره العاقل روى مسلم عن المستورد
ان رسول الله قال ما الدنيا في الاخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بماذا ترجع
الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ان لم تنفروا اذا استنفرتم وآثرتم ذلك المتاع القليل
فلا يسلم لكم ذلك ايضا فان الله يعذبكم عذابا اليما يسلط عليكم العدو او نوعا آخر
ويستبدل قوما غيركم يسارعون الى اوامره وفي الحديث انهم ابناء فارس

وقيل اهل اليمن ولا تضروه شيئا من الضرر او من الاشياء فان الله غني عن كل شيء وقيل الضمير للرسول
فان الله وعده النصر والله على كل شيء قدير فيقدر على نصره بغيركم وبغير مدد الا تنصروه فقد
نصره الله فسينصره من نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين لم يكن معه من البشر
الا رجل واحد واذ الاحظه بلطفه ونصره في ذلك الوقت فما ظنكم به في ساير الاوقات اذ هما في الغار
بدل من اذ اخرجه بدل البعض والغار هو الكهف في اعلى جبل ثور فانه مكث فيه ثلثة ايام لينقطع عنه
الطلب طلبوه في ذلك الجبل وصعدوا فوق الغار فقال الصديق لو نظروا تحت اقدامهم لرأونا فقال
صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله
معنا بدل ثان فانزل الله سكينته عليه ما سكن به القلب من الامن وقوة الجاش الضمير
لرسول الله كساير الضماير ولقوله وايده بجنود لم تروها وهم الملائكة يوم بدر والاحزاب
ويوم حنين وجعل الضمير لصاحبه وعطف وايده الى فقد نصره الله تكلف وتشويش للنظم
هذا وقد صرح به في قوله فانزل الله سكينته على رسوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
وهي دعوتهم الى الشرك وكلمة الله هي العليا وهي الدعوة الى التوحيد او التوحيد
هي لا اله الا الله والله عزيز لا تغلبه شيء حكيم فيما دبره وشرع انفروا خفافا وثقالا
خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقة عليكم او خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها
او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبابا وشيوخا او صحاحا ومراضا وما قيل ان
ابن ام مكتوم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى ان انفر فقال نعم حتى نزل قوله ليس على
الاعمى حرج ليس بشيء لان هذه السورة نزلت بعد رجوعه من غزوة تبوك وهي اخر غزواته
وتلك الآية نزلت في الحديبية وانما الذي نزل في ابن ام مكتوم قوله تعالى غير اولي الضرر
وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله اصرفوهما منفردين او مجتمعين وفي الحديث
من جهز غازيا فكانما غزا بنفسه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون توبيخ لهم على التكاسل
والانزواء عالمين بخيرية لا ريب فيه لو كان عرضا قريبا اي متاعا من الدنيا سهل
المتناول وسفرا قاصدا متوسطا بين القرب والبعد لاتبعوك فيه ولكن بعدت
عليهم الشقة المسافة البعيدة سمي بها السفر البعيد لكونه شاقا وسيحلفون بالله
المنافقون المعتذرون في التخلف لو استطعنا لخرجنا معكم لكن لم نستطع لعدم العدة
او لسقم البدن وقوله لخرجنا ساد مسد جوابي لو والقسم يهلكون انفسهم بايقاعها
في العذاب او بارتكاب ما يوجب الهلاك وهي الايمان الكاذبة وهو بدل من سيحلفون
او حال من فاعل والله يعلم انهم لكاذبون في تلك الايمان لانهم كانوا مستطيعين
عفا الله عنك لم اذنت لهم كلام يقال في مقام التبجيل والتعظيم كما تقول
لصاحبك عفا الله عنك ما ذا صنعت في شاني وقيل عتاب له على ترك الاولى وانما قدم
العفو ذكر الاذن الدال على علو رتبته واورد الانكار في صورة الاستفهام لاجلاله لانه
صلى الله عليه وسلم وكان مجتهدا في امر الحروب يشاور اصحابه واذا صدر منه خلاف
الاولى ينبه عليه كما في اخذ الفداء والقول بانه فعل شيئا لم يؤمر بهما الاذن واخذ الفداء
فعاتبه الله عليهما يرد عليه قوله تعالى لم تحرم ما احل الله لك حتى يتبين لك الذين
صدقوا وتعلم الكاذبين اي يتمايز الفريقان عندك بالصدق والكذب
وانما استعمل التبين في الصدق والعلم في الكذب لان الصدق واضح ابلج لا يستاذنك
الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من باب
المؤمنين الاستيذان في الجهاد بل يبادرون اليه فكيف بالاستيذان في القعود عنه
والله عليم بالمتقين اي بهم وضع المظهر مكان المضمر شهادة لهم بالتقوى
انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر تصريح بما علم وذكر الله واليوم الاخر

رواه البخاري ومسلم منه

وعطف

رد على الكشاف والقاضي منه

واليوم الاخر في الموضعين اشارة الى المبدا والمعاد ولان الباعث على الجهاد هو العلم بان
الله يجازي عليه يوم القيمة وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون مذبذبين بين ذلك
ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة تكذيب لهم في دعوى عدم الاستطاعة اي لهم مكنة
الخروج واسباب الجهاد وليس المانع الا عدم ارادة الخروج ولكن كره الله انبعاثهم
استدراك من مفهوم الكلام تقديره لكن تثبطوا لان الله كره انبعاثهم فثبطهم
ثقلهم وحبسهم واصل الشغل من قولهم ثبط عن الامر شغله وقيل اقعدوا مع القاعدين
المعذورين من الصبيان والزمنى والنساء تقبيح حالهم والقايل الرسول لما استاذنوه او
بعضهم لبعض او تمثيل لالقاء الله تعالى في قلوبهم من كراهة الخروج او وسوسة الشيطان
بقول القايل لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا تسلية لهم وان الله انما كره انبعاثهم
لحكمة وهي الفساد الذي يحصل منهم لو خرجوا والخبال هو الفساد وعن ابن مسعود ان قوما
بنوا مسجدا بظاهر الكوفة فاتاهم وقال انما جئت لاكسر مسجد الخبال اي الفساد والاستثناء
باعتبار الاعم اي لا يزيد ونكم شيئا الا خبالا فلا يلزم وجود خبال منهم ولاوضعوا
خلالكم اسرعوا بينكم بالنمايم وانواع المكر شبهها بالركايب واوقع عليها الايضاع
تخييلا يقال وضع البعير اسرع واوضعته اسرعته يبغونكم الفتنة من بغيت
الشيء طلبته اي يريدون بذلك الاسراع وقوعكم في الفتنة والضلال وفيكم سماعون لهم
من ضعفاء المسلمين او من ينم حديثكم اليهم فيحصل به الفساد والله عليم بالظالمين
اي بهم وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على انهم بذلك الفعل مندرجون في سلك
الظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل اي قبل غزوة تبوك كما فعلوا يوم احد فان ابن
ابي رجع معه بثلثماية منافق وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم او ليلة العقبة حين ارادوا
الفتك برسول الله لقوله وهو الذي كف ايديهم عنكم تنبيه على قدم عداوتهم ورسوخها
وقلبوا لك الامور مكايد وحيلا يطول شرحها حتى جاء الحق النصر
والتاييد الالهي وظهر امر الله واعلاء دينه وهم كارهون ذلك لما في
قلوبهم من المرض ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني شرع في تفصيل قبايحهم و
القايل جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مشتهر بالنساء ونساء بني الاصفر حسان
فاخاف الفتنة على نفسي فاعينك بالمال وهذا كان منه استهزاء لعن الله ترته وقيل
كانوا يقولون ائذن لنا فانا ان تخلفنا عنك من غير اذن وقعنا في الفتنة اي الهلاك
او ان لم تاذن في التخلف هلك اموالنا وعيالنا الا في الفتنة سقطوا فانهم وسموا
بسمة النفاق الى اخر الدهر وعذاب الاخرة اشق واشد صدر الجملة بحرف التنبيه اشارة
الى كمال عداوتهم وجعلهم ساقطين في الفتنة كانهم والنساء بلا اختيار وان جهنم لمحيطة بالكافرين
احاطة جهنم كناية عن احاطة اسبابها واسم الفاعل اريد به الاستقبال مجازا
ان تصبك حسنة تسؤهم لفرط عداوتهم وغاية حسدهم ليسوا مكتفين بالتخلف عنك
بل يسوءهم ما يسرك ويسرهم ما يضرك وان تصبك مصيبة شدة كما في يوم احد
يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل يحمدون رايهم في عدم الحضور معك ويتولوا عن ناديهم
الى منازلهم وهم فرحون تجاهرهم او بما اصابك قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
في اللوح المحفوظ فلا راد لقضائه او اوجبه في علمه الازلي هو مولينا متولي امورنا او سيدنا
يفعل في عبيده ما يشاء او ناصرنا وان اصابنا مكروه فلنا العاقبة كتب الله لاغلبن انا ورسلي
وعلى الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره لعلمهم بان لا مؤثر سواه قل هل تربصون
بنا الا احدى الحسنيين اي لا تنتظرون بنا الا احدى الخصلتين كل منهما
احسن الخصال اما النصر او الشهادة في سبيله فان قلت لو كانت كل منهما احسن الخصال

في قلوبهم

هلك

لكانت لحسن من الاخرى وفساده بين قلت جاز ذلك باعتبار الجهاد ونحن نتربص بكم
احدى المصيبتين اللتين كل منهما اعظم المصائب ان يصيبكم الله بعذاب من عنده كما فعل
بعاد وثمود او بايدينا اى بنصرنا عليكم وتسلطكم على الكفر فتربصوا انا معكم متربصون
اى انتظروا عاقبة امرنا فانا منتظرون عاقبة امركم وهذا النوع من الكلام يقول الواثق بحال
الحازم بامره فى معرض التهديد قل انفقوا طوعا او كرها انشاء ومعناه خبر رد لما كانوا
يزعمون بان لهم نفعا لا يدفع عنهم العذاب وان لهم قربات عند الله كما للمؤمنين قرا حمزة
والكسائى كرها بضم الكاف قيل هما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح الاكراه لن
يتقبل منكم البتة وانما نفى بلن لكونهم منكرين غاية الانكار ولذلك علل الحكم بقوله
انكم كنتم قوما فاسقين خارجين عن طاعة الله وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم
الا انهم كفروا بالله وبرسوله بيان لذلك الفسق الذى علل به وانما بينه لان مجرد الفسق
لا يوجب ذلك الحرمان وقرا حمزة والكسائى يقبل بالتذكير ولا ياتون الصلوة الا وهم
كسالى جمع كسلان اى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون والمعنى لا ياتون
بالاعمال البدنية والمالية على سبيل النشاط والارتياح لعدم اعتقادهم بترتب الثواب عليها
وفى الحديث لا يقل احدكم كسلت وليقل لغبت وانما كره لفظ الكسل لوروده فى شان المنافق
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم اى لا تستحسن منهم الاموال والاولاد فانما
هى زينة الحيوة الدنيا وانت بمعزل منها والاعجاب بالشئ السرور به مع نوع افتخار وانما
اسند الفعل الى الاموال والاولاد مبالغة فى نهيه عنها فكانها كلفت كف اعجابها عنه
انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا اى لم يخولهم بها الا ليعذبهم فى الدنيا
بان يبذلوا ارواحهم فى جمعها ويكابدوا المشاق فى حفظها وتنميتها وكلفهم الانفاق
منها وهم كارهون وتزهق انفسهم وهم كافرون شغلهم بحبها فاعرضوا عن العاقبة
حتى ماتوا على الكفر فكان ذلك استدراجا ويحلفون بالله انهم لمنكم بعض منكم
وان الايمان يشملكم واياهم وما هم منكم فى الواقع فهم كاذبون ولكنهم قوم يفرقون
بيان للباعث على ذلك اليمين الحانث والفرق هو الخوف وتعدى بمن اى يخافون منكم
كسائر الكفرة لو يجدون ملجأ مكانا يلجأون اليه قلعة او راس جبل او مغارات
او كهوفا جمع مغارة وهى الكهف او مدخلا نفقا فى الارض يندسون فيه لولوا اليه وهم يجمحون
لا نقلبوا اليه وهم يسرعون اسراعا لا يردهم شئ كالفرس الجموح لا يرده اللجام لشدة عداوتهم
ونهاية خوفهم ومنهم من يلمزك فى الصدقات اى بعض منهم يعيبك فى قسم الصدقات
وينسبك الى الجور وهو ذو الخويصرة الذى كان راس الخوارج وقصته على ما رواه البخارى
ومسلم عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بشئ من الذهب فقسمه بين اربعة
نفر من المؤلفة تاليفا لقلوبهم على الاسلام فجاءه ذو الخويصرة وقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك من
يعدل اذا لم اعدل لقد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب وفى رواية خالد بن الوليد
دعنى يا رسول الله اضرب عنقه فانه منافق فقال دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلوته مع صلوتهم
وصيامه مع صيامهم وقيل القايل ابو الجواظ فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها
اذا هم يسخطون يريد ان ذلك القول منهم ليس للاهتمام بالدين ولا
لشبهة فى طريقه بل رضاهم وسخطهم لحظوظ انفسهم وفى اذا الفجائية اشارة الى غاية شرهم وانهم
بمجرد عدم الاعطاء تفاجئهم السخط من غير تامل منهم ان عدم اعطائهم هل يتضمن مصلحة دينية
ام لا ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله اى لو ثبت رضاهم بما قسم الله لهم
من الغنيمة واعطاهم رسوله وان كان قليلا وقالوا حسبنا الله كفانا رضاه سيؤتينا
الله من فضله رزقه الواسع من ساير الصدقات والغنايم ورسوله فيوفر لنا ما فاتنا

وان لهم

اى ذى الخويصرة

على الاسلام

با فاتنا انا الى الله راغبون الى رضاه والى ثوابه لا الى الغنايم والاموال وجواب لو
محذوف اى لكان خيرا لهم انما الصدقات للفقراء والمساكين بيان لمصارف
الصدقات على وجه نزول شبهة المنافقين وان ما فعله رسول الله هو الصواب لان المؤلفة
قلوبهم من تلك المصارف والمعنى جنس الصدقات مقصور على هولاء المذكورين لا يتجاوز
هم الى غيرهم فيحتمل ان يصرف الى كلهم والى بعضهم كما اذا قلت انما الخلافة فى بنى عباس يراد عدم
تجاوزها عنهم لا اتصاف كل واحد منهم بها واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله وهو المنقول
عن عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وذهب الشافعى رحمه الله الى وجوب استيفاء
الاصناف الثمانية ان وجدوا والا فالموجودون منهم يعطى من كل صنف ثلثة فما فوقها نظرا
الى اعتبار الجمع واستدل ايضا على ذلك بان اللام للملك لانه كمال الاختصاص وهو معنى اللام
كقولك هذا الدرهم لهولاء فانهم يشتركون فيه فان قلت فعلى هذا يجب ان يكون صرفا الى جميع
افراد كل صنف ولم يقل به الشافعى قلت لم يذهب الى ذلك لتعذره ولما روى البخارى انه صلى الله
عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن فقال امرهم بالصلوة فان هم قبلوا ذلك فاعلمهم بان الله
قد فرض عليهم زكوة اموالهم بان يؤخذ من اغنيائهم فيرد الى فقرائهم فخص زكوتهم بفقرائهم
ولذلك لم يجوز الشافعى نقل الزكوة من ذلك البلد الى بلد آخر الفقير اسوء حالا من المسكين
وهو من لا مال له ولا يقدر على كسب فكانه اصيب فقار ظهره فهو مقعد والمسكين من له مال
او كسب لا يكفيه لقوله اما السفينة فكانت لمساكين ويدل عليه ايضا تقديم الفقير والى هذا ذهب
الشافعى والى العكس ذهب ابو حنيفة لقوله او مسكينا ذا متربة ومنهم من لم يفرق والعاملين
عليها وهم السعاة الذين يجمعونها ويسعون فى تحصيلها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ولم
يرسخ الايمان فى قلوبهم يعطون من الصدقات ليالفوا الاسلام ولذلك يعطون من الغنايم
نفلا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غنايم حنين آثر فيها بعض مسلمة الفتح او اشراف
يتوقع باعطائهم اسلام نظرائهم كما اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان والا
قرع بن حابس وعيينة بن حصن وعباس بن مرداس وفى الرقاب فى فكها من الرق هم المكاتبون
او يشترى بها الرقاب فتعتق واليه ذهب مالك واحمد او تفدى بها الاسرى واطلاق الرقاب
شامل للكل والغارمين من استدان لغير معصية وليس لهم وفاء او لاصلاح ذات البين
وان كانوا اغنياء وفى سبيل الله بالانفاق على فقراء الغزاة والحجيج وقيل بناء القنطرة والمصانع
وابتياع آلات الحرب والكراع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة
من الله مصدر مؤكد لان معنى قوله انما الصدقات للمذكورين ان الله فرضها والعدول
عن اللام فى الاربعة الاخيرة اشارة الى انها ارسخ قدما فى الاستحقاق وذلك لما فى فك
الرقاب من الانقاذ مما هو كالموت ولما فى تخليص الغارم من الكرب كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى دعائه يستعيذ من المغرم فقيل له ما اكثر ما يستعيذ من المغرم فقال ان الرجل اذا غرم حدث
فكذب ووعد فاخلف ولما كان فى الغازى الفقير وابن السبيل المنقطع فضل ترجيح لكون الغازى
فى الفقر جامعا بين الفقير والعبادة وابن السبيل بين الفقر والغربة اعاد حرف الجر ايماء اليه
والله عليم حكيم يعلم موضع الاستحقاق فلذلك حصر الصدقات فى هولاء المذكورين
ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن نوع آخر من قبايحهم عن ابن عباس
رضى الله عنه ان جماعة منهم ذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا ينبغى فقال
بعضهم لا تفعلوا فانه يبلغه قال جلاس بن سويد نقول ما شئنا فاذا بلغه جئنا فاعتذرنا
اليه فيقبل منا فانه اذن اذن جعلوه نفس الجارحة كما يقال للرئية عين قل اذن خير لكم
اى هو كما يقولون اذن سريع الانقياد وليس كما تعتقدون بل ذلك مدح فيه والخير
هو الصلاح والجودة مثل فلان رجل صدق لا اسم تفضيل ثم بين وجه كونه خيرا لهم بانه

واليه ذهب

فقال امره

يؤمن بالله يقر بوحدانيته وما يليق به ويؤمن للمؤمنين يدعن لقولهم
ويسلم لهم ما يقولون لما علم من خلوص طويتهم ورحمة للذين آمنوا منكم عطف
على اذن خبر والمعنى كونه اذنا رحمة في حق من اظهر الايمان منكم فانه يقبل ولا يشتغل بالكشف
عن سره وانما يفعل ذلك تكرما وتخلقا لا لانه يخفى عليه شانكم في النفاق ان الكريم اذا خادعته
انخدع او قرا حمزة رحمة بالجر عطفا على خير والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
ردع للمنافقين عن مثل تلك المقالة يحلفون بالله لكم ليرضوكم اذ الاقوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون حلفوا لهم معتذرين ليرضوا عنهم والله ورسوله
احق ان يرضوه تخطئة لهم فيما ياتونه وتكذيب لهم في ايمانهم والمعنى ان الله
ورسوله اولى واجدر بالارضا بالطاعة والانقياد وانما وحد الضمير اشارة الى ان رضا
رسوله ارضاء له لانه مبلغ اوامره وواسطته الى عباده او المذكور خبر الاول ويقدر للثاني
او بالعكس وهذا مختار سيبويه لكونه اقرب ولسلامته من الفصل بين المبتدا والخبر والوجه هو
الاول لفظا ومعنى ان كانوا مؤمنين حقا الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله
ينازعهما ويعاديهما من الحد لان كلا من المتعاديين في حد دون حد الاخر انكار لعدم علمهم
فيفيد الاثبات والتقدير فان له نار جهنم خالدا فيها اي فحق ان له نار جهنم فحذف
الخبر للعلم به من الصلة وقيل ان تاكيد وتكرير للاول وله هو الخبر وانما اعيدان لبعد العهد
كقوله ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من
بعدها لغفور رحيم ويجوز ان يكون عطفا على جواب من بتقديره الم يعلموا
انه من يحاد الله يهلك فان له نار جهنم ذلك الخزي العظيم واي خزي فوق
الخلود في نار جهنم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم
الضماير للمؤمنين والمنافقين وانما صح ذلك لعدم اللبس ويجوز ان يكون الضماير كلها
للمنافقين لان النازل فيهم وبيان حالهم كانه نازل عليهم وعن الزجاج ان الخبر في
معنى الامر اي ليحذر المنافقون وعلى التقادير الاسناد الى السورة مجاز قل استهزؤا
تهديد لا طلب للفعل مثل اعملوا ما شئتم ان الله مخرج ما تحذرون يحذرونه من
نزول القرآن فيكم او من ظهور نفاقكم ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب
كان ذات يوم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يسيرون فشرعوا في
يستهزؤن به ويقولون انظروا الى هذا يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه فاطلع الله
رسوله على ذلك فاتاهم فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا ما كنا في شيء من ذلك
كنا نخوض في احاديث نقصر بها المسافة كما هو شان الرفقة في المسايرة قل ابالله واياته
ورسوله كنتم تستهزؤن تكذيب لهم فيما اعتذروا به واستهزاؤهم برسوله لما كان
مستلزما الاستهزاء بالله لانه رسوله واياته لانهم لم يعتدوا بها فكان ذلك استهزاء
بهما ايضا لا تعتذروا قد كفرتم اظهرتم الكفر بالاستهزاء والطعن في الرسول
بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لانهم تابوا و
اقلعوا عن النفاق واخلصوا دينهم لله او نعف عن طائفة لم يؤذوا رسول الله وان
كانوا منافقين نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين
على ايذائه وقد جرت سنة الله في خلقه بان من يطعن في رسول الله او في شريعته وسنته
بتعجيل العذاب في الدنيا تصديقا لقوله والله يعصمك من الناس قراءة عاصم ان نعف بنون
مفتوحة وضم الفاء ونعذب بنون مضمومة وكسر الذال وطائفة بالنصب والباقون
يعف بياء التذكير وضمها وفتح الفاء وتعذب بتاء التانيث وضمها وفتح الذال والمختار
قراءة عاصم لانها ابلغ في الانذار المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض تكذيب

لكونه اقرب

اما لفظا فلعدم التقدير واما معنى فلما فيه من اجلال رسول الله عليه السلام منه

تكذيب لهم في قولهم انهم لمنكم لانهم متواصلون متحدون في وصف النفاق
ذكورهم واناثهم وقوله وما منكم وان كان رد الملك الدعوى الا انه لم يكن مشتملا
على ما يضاد دعواهم من قوله يامرون بالمنكر ما انكره الشرع وينهون
عن المعروف ما عرفحسنه من الشرع كالتوحيد وما يتفرع عليه ويقبضون ايديهم
عن الانفاق في سبيل الخير نسوا الله استينافا فجرى مجرى العلة فنسيهم اي
اغفلوا ذكره فتركهم وعاملهم معاملة من نسي الشيء ان المنافقين هم الفاسقون
الكاملون في الفسق وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالد
ين فيها لما بين جرايمهم التي هي اسباب العذاب اشار الى ما اعد لهم في مقابلة
ما اجترحوه ولئلا نظن انهم كالشيء المنسي لا ثواب ولا عذاب فان الذلك
هي حسبهم عقابا ولعنهم الله زيادة على ذلك وكما ان رضى الله للمومنين
اجل النعم كذلك لعنه للمنافقين اشد النقم ولهم عذاب مقيم دايم لا ينقطع توكيد
للخلود لئلا يظن به المكث الطويل ورد لما يزعمه الملاحدة بان الخلود في النار لا يستلزم العذاب
لانه يصير معتادا به كالذين من قبلكم خطاب للمنافقين على سبيل الالتفات توبيخا
لهم بعد علمهم بما حل بهم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لوجه
الشبه من تشبيه الحال بالحال اذا كانوا اكثر قوة واموالا واولادا ولم تجد بهم شيئا فانتم
من باب الاولى فاستمتعوا بخلاقهم ذم للاولين بقصر نظرهم على الفاني وذهولهم
عن الباقي ويلزم منه ذم من يسلك مسلكهم والخلاق ما خلق للانسان من خط من الخلق
بمعنى التقدير فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وغفلتم عن امر الاخرة
كما غفلوا وخضتم كالذي خاضوا الخوض المشي في الماء استعير للحديث الباطل
المختلق لانه يهون على الكاذب اختراعه والمعنى كالخوض الذي خاضوا او كالفوج ولذلك افرد
الموصول اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة اي المقدمون اما في الدنيا فلانهم
رضوا وماتوا او افتقروا اوذلوا بعد العز واما في الآخرة فالخلود الدايم في النار فالمخاطبون
السالكون مسالكهم اولى بذلك لكونهم اقبح حالا واقل اولادا واموالا واولئك هم
الخاسرون الكاملون في الخسران اذ لا خسران فوق خسارة الدارين الم ياتهم نبا الذ
ين من قبلهم لما شبه حالهم بحال من تقدمهم ذكر طوايف لم يسلك احد فيما حل
بهم اذ قد تواترت اخبارهم بحيث لم يبق للريب فيها مجال قوم نوح اهلكوا بالطوفان
وعاد اهلكوا بريح صرصر وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود بالبعوضة و
اهلك اتباعه واصحاب مدين قوم شعيب ارسل عليهم سحابة مثل الظلة احرقتهم والمؤ
تفكات مداين قوم لوط من الافك بفتح الهمزة وهو القلب سميت بها لانه تعالى جعل عاليها
سافلها اتتهم رسلهم بالبينات المعجزات الواضحة فما كان الله ليظلمهم
يفعل بهم ما يشبه الظلم او ما هو ظلم في زعمهم يقولون لولا ارسلت الينا رسولا ولكن
كانوا انفسهم يظلمون بتكذيب الانبياء بعد وضوح الايات والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض عطف قصة على قصة ومقابلة بين الاضداد في الجزاء اذ بضدها
تتبين الاشياء جمعا بين الترغيب والترهيب على ما هو سنته في كتابه يامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون
الله ورسوله في كل ما امروا به من ساير الاعمال اولئك الموصوفون
سيرحمهم الله لا محالة لان السين في الاثبات مثل لن في النفي ان الله عزيز
غالب يفعل ما يشاء حكيم لا يفعل شيئا الا وفيه حكمة ولذلك رتب الثواب على الحسنات
والعقاب على السيئات وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها

الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تفصيل لما اجمل في قوله سيرحمهم الله وقد روى
البخاري مرفوعا ان للمؤمن في الجنة قبة من ياقوتة حمراء طولها ستون ميلا وله في كل
زاوية منها اهلون **في جنات عدن** اي اقامة من قولهم عدن بالمكان اذا اقام به وقد
صار علما بالغلبة لقوله جنات عدن التي وعدتهم والحديث الذي يروونه ان عدنا دار الله
التي لا يسكنها الا النبيون والصديقون والشهداء ليس له اصل ويرده هذا النص لانه اثبته لكافة
المؤمنين والمؤمنات **ورضوان من الله اكبر** اي شيء قليل منه اكبر من جنات عدن
وما فيها لانه مبدأ كل سعادة وعن بعض العارفين ليت لي عند الله ركعتين مقبولتين
لان القبول علامة الرضى قل العمل او اكثر روى البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري
عن رسول الله ان الله يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا
ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شيء افضل من ذلك
فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا **ذلك هو الفوز العظيم** اي رضوان الله وما
ذكر سابقا **يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين** الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة
والبرهان لانهم يظهرون الايمان فلا مجال للسيف قال صلى الله عليه وسلم امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق
الاسلام وحسابهم على الله **واغلظ عليهم** بالسيف والقول المر ولا تحاب احدا منهم
ومأواهم جهنم وبئس المصير قتلوا على الكفر او ماتوا حتف انفسهم **يحلفون بالله**
ما قالوا اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ينزل عليه القرآن في
شان المنافقين فقال الجلاس بن سويد والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين
تخلفوا وهم ساداتنا لنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري والله ان محمدا الصادق
وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله فاستحضر الجلاس فحلف بالله ما قال فرفع عامر
يديه وقال اللهم انزل بتصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل وانما ذكره بلفظ الجمع
لان الفعل واقع بينهم كما يقال بنو فلان قتلوا زيدا والقاتل هو وصدقه الاخرون **ولقد**
قالوا كلمة الكفر هو قول الجلاس لئن كان ما يقول محمد حقا وقيل قول عبد الله
بن ابي في غزوة تبوك حين تقاتل مهاجري مع انصاري فنادى المهاجري يا للمهاجرين ونادى
الانصاري يا للانصار فقال ابن ابي فعلوها والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل **وكفروا بعد اسلامهم** اظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام اذ لم يسلموا
طرفة عين **وهموا بما لم ينالوا** وذلك ان خمسة عشر منهم توافقوا على الفتك برسول
الله مقفله من تبوك اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بخطام ناقته يقودها وحذيفة وراءه
يسوقها فسمع حذيفة وقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم اعداء الله
فهربوا **وما نقموا** ما عابوا وما كرهوا شيئا من امر محمد **الا ان اغناهم الله ورسوله**
من فضله الا هذا الامر الجميل الحسن مثل قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب وذلك ان اهل المدينة كانوا اهل زرع وعمل واكثرهم
كانوا محاويج فلما قدم عليهم رسول الله دعا لهم بالبركة وقال اللهم بارك لهم في
صاعهم ومدهم اللهم اجعل البركة بها ضعفي ما بمكة وصحح هواءها وانقل حماها الى الجحفة وحصل
لهم الفتوح والغنائم وقتل للجلاس عبد فامر رسول الله بقيمته اثني عشر الفا
فاستغنى **فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما**
في الدنيا بالقتل والاسر **والآخرة** بالنار **وما لهم في الارض من ولي** يتولى امرهم
ولا نصير يدفع عنهم العذاب بالقهر وانما قيد بالارض لان لهم فيها اعوانا
وانصارا وفي الآخرة لا انساب ولا اسباب لما سمع الجلاس هذا فقال يا رسول الله

يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلت ولقد صدق عامر فتاب وحسنت توبته
ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين
نزلت في ثعلبة بن حاطب وكان من الفقراء كان اذا صلى خرج مسرعا فسأله رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ذلك فقال لي ولامرأتي ثوب واحد فاذا صليت فيه نزعته لها فسل
الله يا رسول الله ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه
وقال والذي بعثك بالحق لئن اعطاني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما
فنمت كما تنمى الدود فضاقت بها المدينة فنزل واديا وترك الجماعة والجمعة فافتقده رسول
الله فقيل انه اتخذ غنما ونزل واديا فقال ويح ثعلبة فلما نزل قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم بها فارسل مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم فلما
اتيا ثعلبة واقرآه كتاب رسول الله في الصدقات وفرايضها فقال ما هذه الا جزية
ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت الآية فسمع بها بعض اقارب ثعلبة
فاتاه فقال ويلك قد نزل فيك القرآن فاتى ثعلبة رسول الله بصدقة فقال ان الله منعني
ان اقبل صدقتك فشرع يحثو التراب على رأسه فان قلت باب التوبة مفتوح الى ان تطلع
الشمس من مغربها فلم لم يقبل توبته وقد جاء تائبا قلت توبته لم تكن عن اخلاص دل عليه
قوله فاعقبهم نفاقا الى يوم يلقونه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بصدقته
الى ابي بكر فلم يقبلها فلما قبض ابو بكر رضي الله عنه جاء بها عمر رضي الله عنه في خلافته
فابى ان يقبلها فلما ولي عثمان اتاه بها فابى ان يقبلها وهلك في خلافته **فلما آتاهم من**
فضله بخلوا به لم يؤدوا زكوته وفيه دليل على ان من ادى زكوته ما لم ينسلخ عنه
اسم البخل **وتولوا وهم معرضون** اي دأبهم الاعراض عن امتثال اوامر الله **فاعقبهم**
نفاقا في قلوبهم اي جعل عاقبة ذلك البخل النفاق في قلوبهم وانما ذكرها لانها مصدر
السماح والبخل وساير الاخلاق وعن الحسن وقتادة ان الفعل مسند الى البخل ولا يلائم
الضماير السابقة واللاحقة **الى يوم يلقونه** اي الله او جزاء نفاقهم **بما اخلفوا**
الله ما وعدوه اي بسبب اخلافهم وعد الله **وبما كانوا يكذبون**
في مقالهم وفي الحديث آية المنافق ثلث اذا وعد اخلف واذا حدث كذب واذا خاصم
فجر **الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم** اي قد علموا ذلك تعجب من جهلهم وتوبيخ على
فعلهم بعد علمهم والسر هو الكتمان مطلقا والنجوى ما تسار به اثنان او اكثر **وان**
الله علام الغيوب كلها **الذين يلمزون المطوعين** رفع او نصب على الذم
من المؤمنين في الصدقات اي يعيبونهم في شأنها وقد اسند البخاري عن ابن
مسعود رضي الله عنه انه قال امرنا بالصدقة فكنا نتحامل فجاء ابو عقيل بنصف صاع وجاء
انسان آخر باكثر منه فقال المنافقون ان الله لغني عن صاع هذا وما فعل هذا الاخر
الا رياء فنزلت وروى ان عبد الرحمن بن عوف اتى باربعة آلاف وقال كان لي ثمانية
آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله بارك الله لك
فيما اعطيت وفيما امسكت فاستجاب الله دعاءه حتى انه لما توفي صولحت احدى زوجاته
الاربع عن ربع الثمن على ثمانين الف دينار **والذين لا يجدون الا جهدهم**
الا طاقتهم **فيسخرون منهم** يستهزؤن بهم **سخر الله منهم** بان كشف عن
نفاقهم وفضحهم **ولهم عذاب اليم** في الآخرة **استغفر لهم او لا تستغفر لهم**
لن يغفر الله لهم لانهم اصحاب الدرك الاسفل **ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن**
يغفر الله لهم اريد به الكثرة لا الحصر فانه يستعمل كثيرا في العرف لمعنى الكثرة وقد
اسند البخاري عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن ابي دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله اتصلي على
ابن ابي وقد قال يوم كذا كذا وكذا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني فلما
اكثرت عليه قال اني خيرت فاخترت ولو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليه
قال فصلى عليه ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على احد منهم مات ابدا
الى قوله وهم فاسقون فان قلت قد جاء في رواية انه قال قيل لي ان تستغفر لهم سبعين مرة
وساريد قلت قوله ذلك عمى علم ذلك بانه لا يغفر له ولو زاد وان ذلك العدد لم
يرد منه الحصر ولا مفهوم له وقوله هذا كان تطييبا لقلب ابنه فانه من خيار الصحابة رضي الله
عنه ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله ذلك الغضب الشديد لعظم جناياتهم وهو الكفر بالمنعم
الحقيقي والمجازي والله لا يهدي القوم الفاسقين المراد عدم خلق الاهتداء فان
الدعوة والارشاد عامان وفيه ايماء الى انهم من اهل الطبع لانه غير مقبول الشفاعة
كيف وقد قبل شفاعته في ساير الامم فضلا عن مذنبي امته فرح المخلفون بمقعدهم
خلاف رسول الله اي بقعودهم بعد خروجه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم وعليه
قراءة من قرأ لا يلبثون خلافك الا قليلا او هو مصدر بمعنى المخالفة نصب على العلة
او الحال لم يقل المتخلفون اشارة الى انهم جعلوا كالمعاذير الذين خلفوا لعدم الانتفاع بهم
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في اعلاء كلمة ايثارا للدعة على الطاعة
وفيه تعريض بالمؤمنين بان داعي الايمان وباعث الايقان انساهم كل لذة سوى لذة
مرضات الله حتى ان بذل الاموال والمهج عندهم الذ من كل شهي بهي وقالوا لا تنفروا
في الحر قال بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا لهم وهذا شان
الصاحب السوء قل نار جهنم اشد حرا تجهيل لهم وتخطية لارائهم لان من ترك
مشقة ساعة وكان موقنا بانه يقع بذلك في مشقة الابد لم يكن احد اجهل منه قال
مسرة احقاب تلقى بعدها مساءة يوم اريها الصاب فكيف بان تلقى مسرة ساعة
وراء تقضيها مساءة احقاب لو كانوا يفقهون لما اختاروه فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اي سيضحكون قليلا وسيبكون كثيرا وانما
اخرج في صورة الامر للدلالة على ان ذلك حتم واجب لا محالة لان الامر للايجاب ولا
يحتمل الصدق والكذب يروى ان اهل النار يبكون مدة بقاء الدنيا لا يرقا لهم دمع
وقيل الضحك والبكاء كنايتان عن السرور والغم وعلى الوجهين اريد بالقلة العدم اذ
لا ضحك لهم راسا فان رجعك الله الى طائفة منهم وانما قيد بطائفة لان
المخلفين كانوا طائفتين منهم المؤمنون المخلصون مثل كعب بن مالك وصاحبيه على ما ياتي
في قوله وعلى الثلثة الذين خلفوا وانما قال رجعك الله دون رجعت ايماء الى انه لا يفعل
ما يفعل الا باذن الله وانه ملاحظ بعناية الله في حركاته وسكناته فاستاذنوك
للخروج مالى غزوة اخرى فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار
في معنى النهي للمبالغة وسمهم بسمة النفاق بين الناس مخرجين عن ديوان الغزاة الساعين
من الغنايم والصدقات انكم رضيتم بالقعود اول مرة اي في غزوة تبوك وكانت لبعد
الشقة فيها وكثرة المشقة وشدة الحر وطيب الثمار محك الرجال ومسبار الاخلاص
والنفاق والاولية اضافية واريد بمرة العموم كانه قيل اول المرات مثل قول هند اكبر
النساء فاقعدوا مع الخالفين امراها اي مع الزمني والنساء ولا تصل على احد
منهم مات ابدا اسند البخاري عن ابن عمر انه لما مات ابن ابي جاء ابنه عبد الله
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله ان يكفنه في قميصه ويصلي عليه فكفنه في
قميصه وصلى عليه ونزل قبره ووضعه على ركبته ونفث من ريقه في فيه كل ذلك رأفة تطييبا

فان قلت

او هو مصدر

رافة وتطييبا لقلب ابنه واستجلابا لخواطر الناس ولعل ان يكون ذلك باعثا لبعض المنافقين
على الاخلاص مع انه لم يكن نهي عن الصلوة عليهم وما قيل انه لما اراد الصلوة عليه جذبه
جبرئيل ليس له اصل وانما عبر عن الموت في المستقبل بالماضي لكونه كائنا لا محالة والقول بان
ابدا قيد للموت فان الكافر لما كان حيا للتعذيب فكانه لم يمت تكلف لظهور ان المراد نهي رسول
الله في المستقبل عن مثل ما ارتكبه من الصلوة على ابن ابي ولا تقم على قبره كناية عن ترك الدعاء
له كان يقوم على القبور ويدعو للموتى وانه قال ان هذه القبور مملوة ظلمة وان الله ينورها بدعائي
انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون علة للنهي ولا تعجبك اموالهم ولا اولا
دهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون اعاده لوقوع التراخي
بين النزولين ولكونه من الامور المهمة التي يجب ان يكون نصب العين فان النفوس حريصة على
جمع الاموال مجبولة على حب الاولاد المال والبنون زينة الحيوة الدنيا وانما ذكر ولا باللفاء
وههنا بالواو لانه في الاولى ردعه على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وكونهم كارهين للانفاق
انما هو لاعجابهم بها وههنا لم يقصد سوى الاعادة فلا وجه للفاء واذا انزلت سورة
اي كاملة او بعضها مجازا وليس كاطلاق القرآن على الكل والبعض دل على انهم كانوا يتخلفون
في ساير الغزوات وقد صرح به في قوله سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا ان امنوا
بالله ورسوله اي دوموا على ذلك وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم
اولو المال والسعة واصل النفع والغناء ومنه حديث ابن مسعود في قتل ابي جهل ضربته بسيف غير طائل
وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين لهم علة وعذر في القعود رضوا بان يكونوا مع
الخوالف مع النساء جمع خالفة والخالفة لغة من لا نفع فيه وفي الحديث ان اعرابيا جاء ابا بكر
وقال انت خليفة فقال لا انا الخالفة وقد اشتهر في النساء لقلة نفعهن قال وليس بولاج الخوالف اعقل
فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما فيه الخير لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموا
لهم وانفسهم لكن قد نفر من هو اعلى شانا واخلص طوية وازكى معتقدا كقوله وان يكفر بها
هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين واولئك لهم الخيرات في الدارين
او الحور لقوله فيهن خيرات حسان واولئك هم المفلحون الفائزون اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم تفسير للفلاح وجاء
المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم ذكر رؤسا المنافقين وما كانوا عليه وما ال امر
هم اليه من الموت على الكفر ثم اردفه بذكر رسول الله وخلص المؤمنين وما يؤل اليه امرهم
من النعيم المقيم ثم ذكر الاعراب وهم سكان البوادي الذين لا معرفة لهم في امر الاخرة ولا رشد
في امر الدنيا ولهذا اسماهم معذرين والمعذر بتشديد الذال هو المقصر في العذر بان يوهم
ان له عذرا ولا عذر له وروى عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما بتخفيف الذال من الاعذار
وهو المبالغة في اظهار العذر وكانهم من جملتهم بالعوافي حتى صارت تلك المبالغة مظنة
للكذب وهم اسد وغطفان وقيل رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت
طي على اهلينا ومواشينا وقيل المعذر اصله المعتذر فادغم كما في المذكر وهو الصادق في عذره
وقعد الذين كذبوا الله ورسوله طائفة من الاعراب منافقون حلفوا ولم يعتذروا واظهروا
بذلك تكذيبهم مع الله ورسوله وقيل هم الاولون وصرح بانهم كاذبون في ذلك الاعتذار
سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم اي بعضهم لان من المذكورين من له عذر صحيح
او تقاعد لكسل لا لكفر والعذاب الاليم الخزي في الدنيا والاشتهار بسمة النفاق وفي الاخرة
عذاب النار وقيل في الدنيا بالقتل وفيه ان رسول الله لم يقتل المنافقون واعتذر
بانه يقال ان محمدا يقتل اصحابه ليس على الضعفاء كالشيخ الهرم ومن خلق نحيفا ولا
على المرضى الذين بهم مرض لا يستطيعون معه الجهاد ولا على الذين لا يجدون

رد على الكشاف

لما روى البخاري انه صلى عليه
قاله القاضي

رواه البخاري وغيره

ما ينفقون قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة حرج في التأخر اذا نصحوا لله ورسوله
بان اطاعوا الله ورسوله سرا وعلانية ما على المحسنين من سبيل طريق للعقاب او العتاب
وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على انهم بذلك النصح منخرطون في سلك المحسنين والله غفور
للمسيء فضلا عن المحسنين رحيم لم يشق على المعذورين ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم
اي ولا جناح على هولاء الاصحاب الذين جاؤك سائلين حملانهم لكونهم فقراء غير قادرين قلت لا ا
جد ما احملكم عليه حال من المفعول بتقدير قد او استيناف بتقديم العذر على الحكم اهتماما كانه قيل
وعلى الذين اذا ما اتوك لتحملهم لقولك لا اجد ما احملكم عليه يتولون باكين تولوا جواب اذا ما
واعينهم تفيض تسيل بكثرة من الدمع من بيانية كانه قيل اعينهم تسيل دمعها اثر
هذا الاسلوب مبالغة في سيلانها كقولك تفيض دمعا فالجار والمجرور في محل النصب على التمييز
حزنا مفعول له او حال او مصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا ما ينفقون اي لئلا
يجدوا علة للعذر اسند البخاري عن ابي موسى الاشعري قال جئنا نفرا من الاشعريين نستحمل رسول الله
فجئته وهو غضبان فحلف انه لا يحملنا ولا عنده شيء يحملنا عليه فجئت واخبرت اصحابي فلما تولينا
اذا انا ببلال ينادي يا عبد الله بن قيس اجب رسول الله قال فجئته فاعطانا ست ذود غر
الذرى فلما رجعت الى اصحابي قلت لهم ما كان من الامر وحلفت ان لا امكنهم من الذود حتى
اتي بهم الى من سمع قول رسول الله اولا ومنعه ثم اعطاه ثانيا لئلا تظنوا اني قلت على رسول الله
ما لم يكن قالوا والله انك عندنا الصدوق ولنفعلن ما تحب فلما جئنا رسول الله قلنا والله
لا يبارك لنا قد اغفلنا رسول الله يمينه فقلنا يا رسول الله قد حلفت ان لا تحملنا وقد حملتنا
فقال لها انا حملتكم انما حملكم الله و والله اني لا احلف على شيء وارى غيره خيرا الا اتيت الذي هو
خير وكفرت عن يميني انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء واجدون الاهبة
السفر وعدة الحرب رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف يجري مجرى التعليل
كانه قيل انما ارتكبوا ذلك رضا بالدناءة والانتظام في سلك النساء وطبع الله على قلو
بهم فهم لا يعلمون فتح ذلك يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم من غزوة تبوك
قل لا تعتذروا بالاكاذيب لن نؤمن لكم لن نصدقكم علة للنهي عن الاعتذار لان
غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به قد نبأنا الله من اخباركم بعض اخباركم وهو
ما في ضمائركم من الشر والفساد علة لانتفاء التصديق لان الله تعالى اذا اخبر بشيء لزم كذب ما ينافيه و
سيرى الله عملكم ورسوله اي دعواكم انكم تحبون الله ورسوله سيعلم الله ذلك منكم ورسوله
ان كان ما تقولون حقا فحث على الاخلاص والتوبة النصوح ثم تردون الى عالم الغيب
والشهادة في وضع المظهر موضع المضمر مع ذكر الغيب والشهادة وعيد شديد
وردع لهم عن مخالفة الباطن الظاهر فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه
سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم اخبار عنهم بما سيفعلونه في المستقبل لتعرضوا
عنهم ولا تؤنبوهم فاعرضوا عنهم اجابة الى بغيتهم انهم رجس علة للاعراض
لان معاداتهم لمخالط النجس فتلوث المخالط ولا سبيل الى تطهيره ومأواهم جهنم
يحلفون لها فاي فائدة في معاتبتهم اذ لا يرجى منهم ارعواء جزاء بما كانوا يكسبون
علة لكونهم من اهل جهنم يحلفون لكم لترضوا عنهم وتدوموا معهم على الود الذي
كان بينكم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي عنهم والاتيان
بالاسم الظاهر لتعليل عدم الرضى والمعنى ان رضاكم لا يجديهم نفعا اذا كان الله ساخطا
عليهم لان الامر كله بيده عاجلا واجلا وفيه ايماء الى ان المؤمن لا يليق به ان يرضى
عمن كان في سخط من الله لما امروا بالاعراض عنهم فاعرضوا ولم يعاتبوهم شرع المنافقون
في استجلاب الرضا بالايمان الكاذبة والقول بان رسول الله لما قدم المدينة جاء عبد الله

رد على الكشاف

عبد الله بن ابي فحلف انه لا يتخلف عنه ابدا سهو لان عبد الله كان معه في غزوة تبوك صح ذلك
في البخاري وغيره الاعراب اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لبعدهم عن استماع العلم
والاحكام وفي الحديث الجفاء في الفدادين اهل الوبر عند اصول اذناب الابل والسكينة في
اهل الغنم واجدر واولى واخلق ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله احكام المنزل
من الاصول والفروع والله عليم كامل العلم بحال كل شخص حكيم فيما يصنع ولذلك اطلعكم
على مراتب المنافقين واسرارهم لتعاملوا كلا على حسب حاله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق
مغرما حكم على الجنس اولا والحكم عليه لا يستلزم الحكم على جميع الافراد لذلك فصل افراده
قسمين فالاول هم المنافقون الذين يتخذون ما ينفقونه في سبيل الله خسرانا والغرامة ما ينفق
الرجل فيما لا يلزمه كرها اما التقية او لانفة وفتوة وهم كانوا يصرفونه رياء وتقية ويتربص
بكم الدوائر ويترقب بكم ريب الزمان جمع دائرة وهي ما يحيط بالانسان من كل جهة ويدور عليه و
استعماله في الشر عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم وفيه من الدلالة على
شدة غضب الله عليهم ما لا يكتنه لان من امره بين الكاف والنون يطلب من نفسه اصابتهم
بالسوء قرأ ابن كثير وابو عمرو بضم السين على انه اسم للعذاب والبلاء والباقون بالفتح على انه
مصدر والاول ابلغ لدلالته على الاستمرار وصراحته والله سميع لما يقولون بافواههم نفاقا
عليم بضمائرهم وما يبطنونه من الكفر ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق قربات عند الله
هم القسم الثاني وهم المؤمنون الخلص والمعنى يتخذون ما ينفقونه سبب قربات وحصولها عند
الله وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه كان يدعو للمتصدقين لقوله وصل عليهم
ان صلوتك سكن لهم الا انها قربة لهم بشارة منه تعالى بان ذلك بموقع عنده
صدر الاستيناف بحرف التنبيه واتى بصيغة القربة مفردة اشارة الى ان تلك القربات بمنزلة القربة
الواحدة التي لا تقبل التجزي ردا وقبولا بل كلها مقبولة سيدخلهم الله في رحمته دليل
على القبول والرضا ان الله غفور لما فرط منهم رحيم حيث قبل منهم واجزل لهم الثواب
متفضلا وقرأ ورش قربة بضم الراء وهما لغتان والسكون اكثر قيل هم عبد الله ذو البجادين
ورهطه والاية الاولى في اسد وغطفان والسابقون مبتدأ خبره الاولون او من
المهاجرين او رضي الله عنهم وهو من عطف قصة على اخرى لما بين جزاء الخلص من مؤمني الاعراب الذين
لا سابقة لهم في الاسلام ولا كمال لهم في العرفان اشار الى اكمل الفرق الذين حازوا قصب السبق
في مضمار السعادة وبين منزلتهم عنده وما اعد لهم والسابقون من الطائفتين من صلى الى القبلتين
وشهد بدرا وقيل الذين اسلموا قبل الهجرة وقيل من سبق الى الهجرة والنصرة مطلقا لاطلاق
اللفظ من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان من غير الطائفتين
لقوله في سورة الحشر والذين جاؤا من بعدهم وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قرأ والانصار
بالرفع عطفا على السابقين وكان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو ليكون صفة الانصار
فيكون وصف السبق مختصا بالمهاجرين والاتباع بالانصار حتى قال له زيد بن ثابت انه بالواو فقال
ائتوني بابي بن كعب فصدق زيد بن ثابت فقال عمر من اقرأك هذه القراءة قال ابي اقرأني رسول الله وانت تبيع القرظ
فقال عمر صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم واوينا وطردتم رضي الله عنهم
بقبول طاعتهم ورضوا عنه بما نالوا من الكرامة في الدارين واعد لهم جنات تجري تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا قرأ ابن كثير بزيادة من كما في سائر المواضع على انها ابتدائية ومن
حذفها جعل تحتها ظرفا وهو المختار لان انهار الجنة جريانها مطلقا بالاتحاد والرسم في الحذف والاثبات
مختلف ذلك الفوز العظيم الذي لا يحاط به وممن حولكم من الاعراب منافقون
هم عصية وغطفان والقول بان منهم اسلم وغفارا سهو ظاهر لما روى البخاري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها ودعا على عصية لانها عصت الله ورسوله

قائله الكشاف
في مصحف اهل مكة بالاثبات
وفي غيرها بالحذف
سلمه الله

ومن اهل المدينة مردوا على النفاق تمرنوا عليه وتمهروا فيه لا تعلمهم مع كمال فطنتك
وصدق فراستك نحن نعلمهم لاطلاعنا على السرائر وذات الصدور سنعذبهم مرتين
الاولى بالملائكة حين الموت يضربون وجوههم وادبارهم او باطلاعك على نفاقهم واخراجك
اياهم عن زمرة المسلمين على ما روى ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام
على المنبر يوم الجمعة خطيبا فقال اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج اناسا وفضحهم والآخر عذاب
القبر وعن الحسن اخذ الزكوة من اموالهم فان الاموال شقيقة الروح ثم يردون الى عذاب عظيم
عذاب النار نعوذ بالله منه وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا
عطف على منافقون اي ومنهم طايفة عملوا صالحا وآخر سيئا او عطف على قصة اخرى وهذا اولى
لما روى البخاري عن سمرة بن جندب ان رسول الله قال اتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهينا الى
مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال شطر منهم كاحسن ما انت راء وشطر كاقبح ما انت
راء قالا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا وقد ذهب ذلك السوء
عنهم فصاروا في احسن صورة فقالا لي هؤلاء قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم
وقيل كانوا ثلثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة
سبعة منهم اوثقوا انفسهم على سواري المسجد فلما قدم رسول الله دخل المسجد فصلى ركعتين
فسال عنهم فاخبر انهم حلفوا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال
وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فنزلت فاطلقهم عسى الله ان يتوب عليهم يقبل توبتهم
ان الله غفور يتجاوز عن الذنب اذا تاب منه رحيم بعد التوبة يجعل سيأته حسنات خذ من
اموالهم صدقة من اموال المعترفين روي انهم لما اطلقوا خرجوا عن اموالهم وقالوا
يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا لاجلها فاجعلها فيما اراك الله فقال اولم اومر بذلك فنزلت
تطهرهم عن الذنوب وعن حب المال الذي هو راس كل خطيئة وتزكيهم التزكية مبالغة
في التطهير او بمعنى الانماء والبركة في المال بها باخذها تنازع فيه الفعلان وصل عليهم وادع لهم
ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطيب بها قلوبهم وقرأ حمزة والكسائي
وحفص صلوتك بالتوحيد والباقون بالجمع وهو المختار لاشتماله على انواع الدعاء وان استحب ان
يقول آجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت واما قوله اللهم صل على آل ابي اوفى لما جاء بصدقته
اللهم صل على آل ابي اوفى من خواصه لان الصلوة حقه والله سميع عليم سميع اقوالهم عليم
بنياتهم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اي قد علموا ذلك والضمير للمتوب عليهم
والمراد تقرير قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم لان لفظ عسى وان كان معناها من الله
التحقق والوجوب الا انها في الاصل للرجاء ولغيرهم ترغيبا وحثا عليها ويأخذ الصدقات
كما يأخذ احدكم من يد صاحبه وفي الحديث ان الصدقة تقع في يد الرحمن قبل وقوعها في يد
السائل وان الله هو التواب الرحيم من شأنه قبول توبة التائبين فايدته التخصيص على
الاخلاص فيها لانه لا يخفى عليه خافية وقل اعملوا ايها التائبون فسيرى الله
عملكم لا يخفى عليه منه شيء ورسوله يعلم بذلك ايضا والمؤمنون بامارات
او اخبار الرسول انكم مخلصون او المصرون على النفاق وستردون الى عالم الغيب
والشهادة بالموت او بالحشر اليه يوم القيمة فينبئكم بما كنتم تعملون
فيجازيكم عليه فان قلت لما ذكر المنافقون ارد في بقوله وسيرى الله عملكم ورسوله وراد هنا
بعد ذكر المخلصين وقبول صدقاتهم المؤمنين ما الحكمة في ذلك قلت الحكمة ان الاطلاع على حال
المنافقين وحب مخصوص بالله ويعلم بذلك رسوله بالوحي والمؤمنون لا اطلاع لهم على شيء
من ذلك واما الخوانهم فحالهم معلوم عندهم فلذلك ذكرهم مع الله ورسوله وآخرون مرجون
لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم قرأ ابن كثير وابو عمرو وشعبة عن عاصم

عن عاصم مرجئون بالهمز وهي لغة تميم والباقون بحذفه وهي الشايعة اي وطايفة من المخلفين موخر
امرهم لا يعلم حالهم هل يقبل توبتهم ام لا وهم كعب بن مالك الانصاري من بني سلمة ومرارة بن
الربيع الزبيدي وهلال بن امية الواقفي وهم الثلاثة الذين خلفوا وسيأتي قصتهم فان قلت قد تواترت
النصوص على قبول الله التوبة عن التايب اذا كان مخلصا في توبته فما الحكمة في تاخير قبولها من هؤلاء
وارجاء امرهم مبهما قلت الحكمة في ذلك الاشارة الى عظم جنايتهم وان التخلف عن رسول الله في مثل
ذلك السفر كسلا وركونا الى اللذة امر عظيم الا ترى الى بكاء آدم على تلك الصغيرة اربعين عاما
وكذلك داود عليه السلام وقصته وشدة بكائه مشهورة والله عليم باحوال الخلق حكيم
فيما يصنع من قبول التوبة تارة وتاخيرها اخرى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا
اي من المنافقين وهم بنو غنم بن عوف فانهم لما رأوا اخوتهم وهم بنو عمرو بن عوف بنوا مسجد قبا
وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزورهم في كل سبت يأتيه راكبا وماشيا حسدوهم
وقالوا نبني مسجدا نجتمع ونصلي فيه رسول الله وابو عامر الراهب وهو الذي حزب الاحزاب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهرب يوم حنين الى الشام وارسل الى المنافقين بانه يقدم اليهم
بجيش بني الاصفر ويحارب محمدا ويخرجه فمات بقنسرين وحيدا طريدا لعنه الله قرأ نافع وابن عامر
الذين اتخذوا بحذف الواو على انه استيناف قصة للمنافقين وعليه رسم المدني والشامي والقول بانه
بحذف الواو بدل من مرجون غلط لانهم مخلصون لخبر توبتهم وكفرا لتقوية الكفر وتفريقا بين
المؤمنين فانهم كانوا يصلون في مسجد قبا مجتمعين وارصادا لمن حارب الله ورسوله
هو ابو عامر من قبل متعلق بحارب او قيل باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافقوا بالتخلف وفيه
ان نفاقهم كان موجودا قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى اي بعد اطلاعك
على حالهم يعتذرون بالايمان وانهم مخلصون والله يشهد انهم لكاذبون وانا بنيانهم
عمرو بنوه قبل غزوة تبوك وقالوا بنينا مسجدا للذي علة ولليلة مطيرة ونحب يا رسول الله ان تاتي
فتصلي لنا فيه فقال اني على جناح سفر فاذا قدمنا جئنا ان شاء الله تعالى فلما قدم من غزوة سالوه
اتيانه فنزلت فارسل جماعة من الصحابة وقال لهم اذهبوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
فذهبوا فهدموه واتخذ مكانه كناسة لا تقم فيه ابدا اي لا تحضر فضلا عن العبادة فيه
لمسجد اسس على التقوى مسجدك الذي بنيته واسسه الله وهو مسجد المدينة كذا رواه
البخاري عنه حين سئل عن المسجد الذي اسس على التقوى فاشار اليه وقال هو مسجدكم هذا وقيل
هو مسجد قبا لان الكلام فيه وفي مسجد الضرار ولا دلالة في اللفظ على الواحد بل كل منهما اسس
على التقوى واشار به الى مسجد المدينة حين سئل لاشتهار مسجد قبا بذلك من اول يوم
تاسيسه لم يشبه رياء احق ان تقوم فيه فان قلت احق هذا يدل على حقية ذلك
في الجملة ومعلوم ان لا شايبة للحق في ذلك قلت اريد المبالغة اي لو كان ذلك مبنيا لله كان هذا احرى
بالقيام فكيف وقد بني لانواع من الكفر فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى
رسول الله والمهاجرون معه حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال اامؤمنون
انتم فسكت القوم فقال عمر مؤمنون يا رسول الله وانا معهم ثم قال يا معشر الانصار ان الله قد
اثنى عليكم في الطهور فما طهوركم قالوا نتبع الماء الاحجار في الاستنجاء والله يحب المطهرين
رضي عنهم ويفعل معهم ما يفعل المحب مع محبوبه افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير
على قاعدة محكمة هي تقوى الله ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار شفا كل شيء طرفه والجرف
ما جرفه السيل وذهب باصله وهو مشرف على السقوط ساعة فساعة والهار ما انصدع والشق
وهو ثابت بعد لكن بصدد السقوط اسم فاعل وزنه فعل قلبت واوه الفا وقد يقال انه محمول على
القلب مكانا فوزنه فاع ويظهر ذلك في حال النصب فانهار به في نار جهنم فادى
به قلة استمساكه وتجوزه الى السقوط تقوى الله وابتغاء مرضاته اساس قوي لا يزعزعه شيء و

قايد الامام

الباطل لا ثبات له لقوله تعالى واما الباطل فيذهب جفاء ولذلك مثله بشفا جرف هار اذ لا
ضعف منه ولا اقل بقاء ولما جعل مجازا عن الباطل رشحه بالانهيار الذي هو للجرف ليصور ان
المبطل بصدد السقوط في نار جهنم وقرا نافع وابن عامر اسس على البنا للمفعول والباقون
على الفاعل وهو المختار لاسناده الى المباشر ولقوله بنوا وقرا ابن عامر وشعبة عن عاصم و
حمزة جرف بسكون الراء وهما لغتان الضم لغة الحجاز والسكون لغة تميم والله لا يهدي
القوم الظالمين هم الذين حلقوا للنار لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم
اي سببا لتزايد الشك والنفاق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امر بهدمه ثقل
ذلك عليهم وازداد بغضهم لرسول الله واشتد عداوتهم وبقوا مرتابين في امرهم هل يقرون
بين المسلمين كما كانوا ام يقلعون الا ان تقطع قلوبهم قطعا لا يبقى فيها ما يصلح للادراك
والاستثنا من اعم الازمنة وقيل تقطيع القلوب كناية عن التوبة ندما واسفا وقرا ابن عامر و
حفص وحمزة بفتح التا مضارع تقطع بحذف احدى التائين مبنيا للفاعل والباقون بضم التا
على بنا المفعول من التقطيع والاول اوفق لشيوع تقطع قلبه في الموت والله عليم بنياتهم
واغراضهم حكيم في افعاله ولذلك خيب مساعيهم واظهر نفاقهم لئلا يقدم احد على مثل
فعلهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة لما بين حال فرق
المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك اشار الى ان المؤمنين بالمبادرة الى الجهاد بالاموال
والانفس رابحون اي ربح ومثل اثابة الله اياهم بالجنة على ذلك البذل بالشراء الذي هو عقد لا
من الطرفين وقدم الانفس على الاموال اشارة الى انهم ببذل ارواحهم اسمح منهم ببذل الاموال
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون خبر في معنى الامر اي ليقاتلوا في سبيل الله تسليم
للثمن ليتعين فان المبيع قد تعين او لما كان هذا البيع في المعنى سلما يجب تسليم راس المال فيه او
استيناف لبيان ما له اشترى قرا حمزة والكسائي مبنيا للمفعول في الاول والفاعل في الثاني
على عكس قراءة العامة وفيه مدح لهم بالشجاعة اذ قد قتلوا العدو بعد وقوع القتل على بعضهم
فيدل على قوة ايمانهم وانهم بموت بعضهم لم يحصل لهم فترة ولا وهن وقراءة العامة اولى
لعدم احتياجها الى التاويل ولان الرتبة العليا ان الانسان يقتل ولا يقتل ليجمع الفضيلتين على
ان الواو لا تدل على الترتيب وعدا عليه حقا مصدر موكد في التورية والانجيل
والقران هذا على متعارف التجار فان المبلغ اذا كان له قدر يكتب له الوثيقة وقد بالغ في
ذلك حتى انزل في الكتب الثلثة التي عليها مدار سائر الشرائع ويحتمل ان يراد بالقران
زبور داود لما في الحديث ان داود كان يامر بان تسرج له الدابة فيختم القران قبل ان تسرج
فيكون الوعد مسطورا في الكتب الاربعة ومن اوفى بعهده من الله اي لا احد
فان خلف الوعد كذب وانه تعالى مقدس عن ذلك غني عن ارتكابه اعاده بلفظ العهد
ايماء الى ان ذلك الوعد محفوظ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به اي افرحوا فرحا
شديدا يظهر اثره في بشرتكم والسين للتاكيد وذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز فوقه
ولا ترغبوا احسن منه فلا تمتنعوا عن الجهاد التائبون رفع على المدح اي هم المذكورون ويدل
عليه قراءة عبد الله وابي التائبين ويجوز ان يكون ابتداء كلام خبره ما بعده اي التائبون
الموصوفون بهذه الصفات والقول بجواز كونه مبتدأ خبره محذوف اي التائبون من اهل
الجنة لا يناسب المقام ولا فخامة فيه العابدون لله مخلصين في عبادته الحامدون له على نعمائه
وعلى كل حال السائحون في الارض للاعتبار برؤية مصنوعاته وعجائب خلقه وقيل هم
الصائمون لما في الحديث من اطلاق السياحة عليه لانه سير في المعارف وفي الملكوت
لان الحواس والكف عن الشهوات تجلى للنفس عالم الغيب الراكعون الساجدون في صلوتهم
لاكل الكتاب الامرون بالمعروف ما عرف من الشرع حسنه والناهون عن المنكر عما

عما انكره الشرع وانما عطف احدهما على الاخر لكونهما في المعنى صفة واحدة لا استقلال لاحدهما
بدون الاخر والحافظون لحدود الله احكامه من عطف العام على الخاص وبشر
المؤمنين اي هولاء الموصوفين وضع المظهر موضع المضمر اشارة الى ان الحامل على تلك الخصال
هو الايمان وحذف المبشر به ايماء الى انه من العظم بحيث لا يحيط به الوصف وللعلم به لذكره في
ساير الايات ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين روى البخاري مرفوعا
ان ابا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو جهل وعبد الله
بن ابي امية فقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله فقال ابو جهل وعبد الله يا ابا طالب
اترغب عن ملة عبد المطلب فكان اخر كلمة قالها انه على ملة عبد المطلب ودين اشياخه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما اني لاستغفرن لك ما لم انه عنه فنزل ما كان للنبي وما قيل ان ابا طالب
مات بمكة والسورة مدنية نزلت في غزوة تبوك فلا اشكال فيه لان رسول الله كان يستغفر له الى
وقت نزول براءة من الله ورسوله من المشركين ثم ما اعجب ممن يقرا كلام الله ويطلع على هذا الحديث
ثم يورد في الكتب ان ابا طالب مات مؤمنا والجمع لذلك احاديث مختلقة موضوعة وقيل نزلت في
زيارة امه لما في الحديث انه زارها وبكى وقال استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي واستاذنته في
الاستغفار لها فلم ياذن لي ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم بموتهم على الكفر لانهم ما داموا احياء لم يعلم حالهم وهي مسئلة موافاة الاشعري
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه كان لموعد سبق منه بقوله
لاستغفرن لك وحقيقة الاستغفار للكافر طلب التوفيق له بالتوبة دفع لما يقال انه كان
الاستغفار للكافر غير جائز فكيف صدر من ابراهيم وهو قدوة الموحدين فلما تبين له انه
عدو لله بان مات كافرا او اخبر ابراهيم بانه يموت كافرا تبرا منه وقطع الاستغفار فان
قلت كيف جاز لرسول الله ان يستغفر لابي طالب بعد موته قلت الاستغفار للكافر جائز عقلا
ولم يكن ورد فيه نهي فكان لشدة رافته بعمه يستغفر له ولذلك قيده بقوله لاستغفرن لك
ما لم انه عنه ان ابراهيم لاواه كثير التاوه كناية عن فرط رافته حليم يحمل الاذى يقول
له ابوه لارجمنك وهو يقول في جوابه لاستغفرن لك وما كان الله ليضل قوما بعد
اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون تسلية لرسول الله والذين كانوا يستغفرون لاقاربهم
المشركين والمعنى لم يخلق الله الضلال ولم يحكم به على قوم بعد هدايتهم الى الاسلام حتى
يبين لهم حرمة ما يجب اتقاؤه وذلك مثل حرمة الخمر فان الصحابة كانوا يشربونها ولم يكن
ذلك من الضلال في شيء ان الله بكل شيء عليم يعلم حالي الحرمة والاباحة
ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
المالك المتصرف وما امر به تجب المبادرة اليه وما نهي عنه يلزم الكف عنه واشار الى ان
فايدة القرابة هي الولاية والنصرة ولا ولاية ولا نصر الا منه فعلى العاقل ان يتوجه اليه بكليته
ويقبل الى جنابه قدس بسرايره ويعرض عما سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار عن ابن عباس هو اذنه للمنافقين في التخلف لقوله عفا الله عنك وقيل ذكر
النبي لافتتاح الكلام والمراد التوبة على من معه من المهاجرين والانصار لما فرط منهم
في احد وحنين او بعث للمؤمنين على التوبة وما من مؤمن الا وهو يحتاج الى التوبة نبيا كان او
وليا لقوله تعالى توبوا الى الله جميعا والتوبة لها مراتب اولها التوبة من الشرك واقصاها ربط
السر على التوحيد ومطالعة جلال الله فالذهول عن ذلك ولو لمحة طرف يوجب التوبة على الكمل
كما يوجب ارتكاب الكبيرة على عامة المؤمنين وعليه يحمل قوله انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله
في اليوم سبعين مرة الذين اتبعوه في ساعة العسرة كانوا في ضيق من الظهر والنفقة
وكان السفر طويلا والوقت حارا ولذلك سمي جيش العسرة حتى ان جماعة كانوا يعتقبون على الجمل

هو المعطوف ذكره في التذكرة منه

وفي رواية مائة مرة منه

مِن بَعْدِ ما كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ عن الثبات على الايمان واتباع الرسول كناية
عن الشدة وفي كاد ضمير الشان اى الامر والشان قرب زيغان قلوب فريق وشبهه سيبويه بقولهم
ليس خلق الله مثله وقيل فيه ضمير القوم وقرأ حفص عن عاصم وحمزة يزيغ بالياء التحتية لاسناده الى
امونث غير حقيقي والباقون بالياء وهو المختار لعدم الفاصل ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ اى على الفريق و
عفا عنهم ذلك وثبت قلوبهم وقيل توكيد للاول وفيه تنبيه على انه انما تاب عليهم لما
كابدوه من العسرة إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ كثير الرأفة رَحِيمٌ بهم وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا اخلف امرهم
اى اخر ولم ينين وهم المرجون حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ برحبها اى مع
سعتها كناية عن شدة حزنهم كانهم لا يجدون مكانا يقرون فيه لغاية قلقهم وَضَاقَتْ
عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ من فرط الغم وتراكم الوحشة وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ
علموا ان لا ملاذ من سخط الا بالاستكانة اليه عبر عن ايقانهم بالظن مدحا لهم بان الظن
منهم يوجب قصر الهمة والتوجه اليه فكيف وهم موقنون ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ وفقهم للتوبة او
انزل توبتهم لِيَتُوبُوا عن ارتكاب مثله او ليتوبوا اذا صدر منهم ذنب لما علموا من هذه
الواقعة إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ ولو عاد المذنب في اليوم مائة مرة الرَّحِيمُ بعد التوبة يجعل
السيئات حسنات يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ في مخالفته وارتكاب ما لا يرضاه
وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ رسول الله واصحابه زجر لمن تخلف عنه وهو صادق في
ايمانه كالثلثة فانهم كانوا صادقين من خلص المؤمنين روى البخاري عن كعب بن مالك
وهو احد الثلثة ما اعلم احدا ابلاه الله في صدق الحديث احسن مما ابلاني ما تعمدت منذ ذكر
ذلك لرسول الله الى يومى هذا كذبا مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ
أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ نهى اخرج في صورة النفي مبالغة والمعنى ما استقام للطا
يفتين ان يتخلفوا عنه وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ لان نفسه اعز نفس عند الله
بل يجب على من آمن به ان يجعل نفسه وقاية لنفسه ويوثر حياته على حياته كما فعل ابو طلحة يوم
احد فانه كان يحيا عليه بجحفة ويقول لا تنظر الى القوم يصبك سهم نحري دون نحرك يا رسول
وكان لطلحة بن عبيد الله يد شلاء وقي بها رسول الله يوم احد فضرب بسيف روى البخاري ان ابا خيثمة
كان من المخلفين وكانت له امرأة حسناء فدخل بستانه وهي معه ففرشت له وقربت اليه الماء البارد
والرطب فلما نظر ذلك قال امرأة حسناء ورطب يانع وماء بارد ورسول الله في حر الشمس
والريح ما هذا مقام خير فوثب ورحل ناقته واخذ السيف وتوجه يجئ كالريح الهبوب فلحق
برسول الله وهو بتبوك فلما رآه رسول الله من بعيد يزهاه السراب قال كن ابا خيثمة فكانه
ففرح به رسول الله واستغفر له ولا يرغبوا بحمل الحزم والنصب ذَلِكَ اشارة الى وجوب
المتابعة اى ذلك الوجوب بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ عطش وَلَا نَصَبٌ تعب وَلَا مَخْمَصَةٌ
مجاعة فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا لا يدوسون مكانا من اماكنهم باقدامهم وحوافر
خيولهم واخفاف ابلهم ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الوطئ وهو الابادة والايقاع كما
في قوله صلى الله عليه وسلم لغزوة حنين آخر وطأة وطئها الله بوج والوج واد بالطايف
يَغِيظُ الْكُفَّارَ وطؤه وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا قتلا كان او اسرا وجراحا او نهبا
إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ وذلك كله مما يوجب المتابعة واقتحام الشدائد إِنَّ اللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ اى اجرهم وضع المظهر موضع المضمر اشارة الى ان الجهاد مع الكفار
احسان وان كان فيه اهلاك النفوس وخرب الدور لانه سبب محو الكفر وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً
صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً تمرة فما فوقها وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا الوادي منفذ السيل بين
الجبال من ودى الماء سال ومنه الودى شاع استعماله في مطلق الارض وهو المراد في الآية
إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ ذلك لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اى كتب واثبت

واثبت ذلك في صحايف اعمالهم ليجزوا به يوم القيمة جزاء احسن عمل كانوا عملوه بان يلحق عملهم
الادنى بالاعلى في الجزاء مكافاة لسعيهم وتوفير الاجر بهم وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً
فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ عن ابن عباس رضي الله عنه ان الله تعالى لما عاب
المنافقين والمتخلفين من غزوة تبوك فكان بعد ذلك اذا بعث رسول الله سرية استبق المؤمنون
الى النفير ولم يبق منهم من يستمع الوحي ويتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة طايفة الى الجهاد
ويبقى طايفة منهم للتفقه في الدين الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد
بالسيف وقيل هذا حكم مبتدأ ليس له تعلق بالجهاد وانما ذكره بعد الجهاد لان طلب العلم و
الجهاد عبادتان يتعلقان بالسفر لا سيما في زمن الوحي فان العلم كان محصورا فامروا ان
ينفر الى طلب العلم من كل فرقة طايفة لئلا يبطل امر المعاش لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ليتكلفوا
الفقاهة ويتعاطوا المشاق في تحصيلها وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ وليجعلوا
مرمى هممهم وجل غرضهم انذار قومهم وارشادهم والضماير المرفوعة على الاول للطايفة المقيمة
وعلى الثاني للنافرة وفيه دليل على ان طلب التفقه وتعليم الجاهل وارشاده من فروض الكفا
يات وايماء الى ان طلب العلم للترفع على الاقران والتبسط في العمران والبلدان محرم روى
مسلم اول من يسحب الى النار ثلثة عالم لم يتعلم لوجه الله بل ليقال انه عالم وتاجر تصدق
بماله ليقال انه جواد وغاز اهريق دمه ليقال انه شجاع وفيه ايضا ان خبر الواحد حجة لان الطايفة
يطلق على الواحد فما فوقه كذا فسره ابن عباس لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ارادة ان يحذروا
تبعا للتعليم كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ
يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ الاقرب فالاقرب فان ضرره اشد والحذر منه اكبر لانه يتصدى
الافتراص متمكن من الاطلاع على عورات المسلمين روى انه لما رجع من غزوة تبوك قال
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر يريد به النفس لانها عدو قريب بين الجنبين
يعسر الاحتراس عنها وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً شدة وعنفا في القتل والاسر فاضربوا فوق
الاعناق واضربوا منهم كل بنان وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ الذين يتقون مخالفته
فلا يرأفون بعدوه وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ من القرآن فَمِنْهُمْ اى من المنافقين مَنْ
يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا اى هذه السورة النازلة الاسناد مجاز يقولون ذلك
انكارا واستهزاء بالمؤمنين لكونهم يعتقدون زيادة الايمان بزيادة المؤمن به
من الآيات والاحكام فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا لاطلاعهم على ما فيها
من الاحكام والاسرار وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ بنيل الكمال وزيادة العرفان لانها
اجل المطالب وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ نفاق فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى
رِجْسِهِمْ كفرا الى كفرهم فكما ان الايمان يزداد بزيادة المؤمن به كذلك الكفر يزداد
بزيادة ما كفر به ولتحكم عبر عن الكفر بالرجس تنفيرا عنه وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ
لاستحكام الكفر فيهم أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ
تعجيب من عنادهم وقسوة قلبهم وذلك انهم لا يخلون عن محن متتابعة واصناف بليات
ولا يفطنون لسبب ذلك فيرجعون عن ارتكابه وقيل الفتنة بالجهاد مع رسول الله وما يعا
ينون من نزول النصر والتاييد الالهي وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ يعتبرون ان ذلك بسوء
افعالهم ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم
قرأ حمزة اولا ترون خطابا للمؤمنين تعجيبا لهم عن غفلة المنافقين وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ
سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يتغامزون بالحواجب انكارا وسخرية هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ
أَحَدٍ حال بتقدير القول اى قائلين هل يريكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نقدر
على استماعه اما غيظا لما فيه من ذكر معايب الهتهم وآبائهم او لانه يغلب عليهم الضحك

فلا يقدرون على ستره ثم انصرفوا بعد ذلك المغامز وما يقاولوا به صرف الله قلوبهم
دعاء عليهم بالخذلان او اخبار اى لما انجادوا الانصراف جازاهم الله بصرف قلوبهم عن
الايمان فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون لا يفهمون على الطرف
وعدم القابلية لقد جاءكم رسول من انفسكم عربي مثلكم تعرفون نسبه ولسانه
وشانه من الامانة والصدق عزيز عليه ما عنتم شاق عليه وقوعكم في المكروه
شفيق بكم لا كبعض ابناء الجنس والاقارب لا يكترث بما اصاب قريبه حريص عليكم
على اصلاح شانكم روى البخاري عنه انما انا لكم كالوالد للولد فاذا جئتم الغائط فلا
تستقبلوا القبلة ولكن شرقوا او غربوا بالمؤمنين رؤف رحيم بكافة المؤمنين
زيادة في مدحه اذ لم تنحصر رأفته في اقاربه كما هو شان الجمهور وتقديم الرؤف وهو ابلغ
على طريق التتميم وقيل رعاية للفاصلة وان تولوا بعد هذا الابلاغ والانذار فقل
حسبي الله كاف ومعنى اما موجها لهم او في نفسك متسليا لا اله الا هو
دليل على كفايته والاستغناء عن غيره عليه توكلت فوضت امري لا ارجو سواه
وهو رب العرش العظيم الملك الذي لا يحاط به او الجسم العظيم فوق السموات
وعلى الوجهين ذكره لتقوية داعية التوكل والدلالة على ان من هذا شانه جدير بان
لا يرجى سواه اخر ما نزل من القران هاتان الايتان وقيل واتقوا يوما ترجعون فيه
الى الله سورة يونس مكية وهي مائة وتسع ايات بسم الله الرحمن الرحيم
الر امال الف را من الرحيث وقع اماله تامة ابو عمرو وابن عامر وابو بكر عن عاصم وحمزة
والكسائي لان الف را تنقلب ياء في التثنية كذا قال الفراء على نمط التعديد اى هذا المعجز
مركب من مسميات هذه الاسماء تعريضا لمن ينكر كونه من عند الله او اسم سورة كما تقدم
تلك ايات الكتاب الحكيم اثر لفظ تلك وان كان السورة في حكم الحاضر
قصدا الى التعظيم او لكونها في حكم الغائب لعلو درجاتها والكتاب السورة لقوله كتاب
احكمت اياته ومعنى كونه حكيما اشتماله على الحكم او وصف له بوصف مؤلفه كالاسلوب
الحكيم اكان للناس عجبا تعجيب للسامعين من تعجب الكفار ان اوحينا ايحاؤنا
اسم كان عجبا خبره واللام في للناس للبيان مثلها في هيت لك والمعنى ان هذا العجب
مختص بهم ومحصله انهم جعلوه اعجوبة لهم يتعجبون منه وصار علما عندهم في ذلك
الى رجل منهم ناشئ منهم ذو نسب شريف وحسب منيف وان فاته شيء من متاع
الدنيا الذي هو شين كانوا يقولون بالعجب لم يكن في الناس الا يتيم ابي طالب لولا انزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم ان انذر الناس كافة ان مفسرة
لان الايحاء في معنى القول او مخففة حذف منها ضمير الشان تقديره انه انذر الناس على
معنى ان الشان قولنا انذر الناس وبشر الذين امنوا خص التبشير بالمؤمنين
بخلاف الانذار فانه يعمهما دل على ان مجرد الايمان كاف للتبشير ان لهم قدم صدق
عند ربهم بان لهم سابقة صدق وعن الاخفش انه التقديم فانهم قدموا
خيرا قبل لقاء الله ويحتمل ان يراد به ما سبق في علم الله من سعادتهم فيكون تسلية
لهم وتطمينا لقلوبهم من سوء الخاتمة او يكون تجريدا اى لهم قدم صدق لما في الحديث
حتى يضع الجبار قدمه في النار اى طايفة قدمهم لها قال الكافرون ان هذا لسحر
مبين اى القران وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر فالمشار اليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعليه الرسم والمعنى به الصدق لان مناط الانكار كونه رسولا وهو رجل
منهم اعترفوا برسالته وان انكروا لان السحر يحتاج الى تعلم مع شرارة في الجبلة ونفس
خبيثة وهو منزه عندهم عن ذلك ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة

في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر اى امر الكائنات على وفق ما اقتضته
حكمته ومن هذا شانه لا يخفى عليه من يكون اهلا للاصطفاء بالرسالة فتعجبهم محل للتعجب
ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله وعلو شانه وكبريائه وفيه
دليل على جواز الشفاعة باذنه ذلكم الله ربكم اى الجامع لهذه الصفات المستلزمة
للالوهية معبودكم لا غير فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون ليؤديكم
الى ما هو الحق فانه لا يحتاج الى تفكر وترتيب مقدمات بل مجرد التذكر كاف فيه اليه مرجعكم
جميعا حث على التذكر والتوحيد لان رجوع الكل اليه فيجب الاستعداد للقائه وعد الله
مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم في معنى الوعد حقا مصدر آخر مؤكد لغيره
هو ما تضمنه وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده دليل على ان رجوع الكل اليه
لا الى غيره لانه المتفرد بالابداء والاعادة ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
بالقسط علة للاعادة واشارة الى ثمرتها والقسط هو العدل من اقسط اذا عدل لا من
قسط فانه بمعنى ظلم قال الله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وهذا من غريب
اللغات والمعنى ليجزيهم بعدله ولا يضيع لهم شيئا من عملهم او بعدلهم في امورهم وما
تحت ايديهم لما روى البخاري كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته او بايمانهم لانه ملتشكل
عدل وهذا اوجه لقوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا
يكفرون اى بسبب كفرهم وانما اسند الى نفسه جزاء المؤمنين دون الكافرين تشريفا
لهم بخلاف الكفار فانه اشار الى ما اصابهم من العذاب ناشئ عن سوء صنيعهم
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا دليل نير على استحقاقه الانفراد بالعبودية
ومع كونه دليلا نعمة جليلة بها نيط امر المعاش والضياء مصدر ضاء بمعنى اضاء او جمع
ضوء مثل حياض وحوض وهو اقوى من النور ولذلك نسب الى الشمس والقول بان
الضوء يكون للشيء بالذات والنور بالعرض فيكون نور القمر مستفادا من الشمس ليس له
اصل لغة وشرعا وقرا ابن كثير ضئاء بهمزتين على قلب الياء او الواو مكان الهمزة بعد تقديمها
ثم قلب الياء او الواو همزة لتطرفها كما في رداء وكساء وقدره منازل اى سير القمر
ذا منازل لقوله والقمر قدرناه منازل وافراد القمر بذلك لان مناط الاحكام الشرعية
السنة القمرية والاشهر الهلالية ولذلك علل بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب
حساب الاوقات من الشهور والايام والليالي ما خلق الله ذلك الا بالحق نفصل الايات
لقوم يعلمون لانهم المنتفعون به وقرا ابن كثير وابو عمرو وحفص يفصل
بالياء مسندا الى ضمير الجلالة والباقون بالنون التفاتا وهو ابلغ اى ما خلق ذلك المذكور
الا ملتبسا بالحق ليكون مناط المعاش ودليل توحيد الصانع ان في اختلاف الليل و
النهار وما خلق الله في السموات والارض اى من اجزائها واوضاعها وما فيها من سائر
الكائنات لايات دلائل على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وتفرده بذلك لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا لقوم يتقون خص التقوى بالذكر لانه الباعث على
التفكر في شانها والاعتراف بوحدانية مبدعها ان الذين لا يرجون لقاءنا
لا يتوقعونه ولا يخطرونه ببالهم فالرجاء بمعنى التوقع او لا يأملون حسن لقائنا لحقيقة او
سوء لقائنا فهو مجاز عن الخوف ورضوا بالحيوة الدنيا بدلا عن الاخرة واطمانوا بها
وسكنوا اليها سكون من ايقن بالخلود فبنوا القصور ونسوا القبور والذين هم عن اياتنا
غافلون كالبهائم منهمكون في المعاصي واللذات العاجلة وانما وسط العاطف باعتبار
تغاير الوصفين وانهما نوعان متمايزان الثاني منهما علة للاول او هما فريقان الاول من انكر
البعث ولذلك اطمان والثاني من اقر به ولكن شغله حب العاجل عن النظر والاعداد للباقي

اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون باستمرارهم على كسب الكفر والمعاصى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات جمعوا بينهما يهديهم ربهم الى سلوك طريق الجنة بايمانهم بسبب ايمانهم الذى هو اساس كل خير جمع بين الايمان والعمل الصالح اولا لانه فى مقام الترغيب وافرده ثانيا اشارة الى انه المنجى والسبب وماعداه مكمل لاجزء ولا شرط فان قلت المضاف الى المعرفة يراد به المعهود ولذلك يصير معرفة فيكون الايمان المضاف ذلك المعهود السابق وهو المقرون بالعمل قلت ذلك من قبيل الخطابيات وقد دل دليل قطعى على ان مجرد الايمان كاف وهو قوله اول السورة وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق والاحاديث الدالة على ذلك متواترة المعنى وتسمية المعاصى غير مهدى ان صح فبالنظر الى عدم سلوك طريق الاستقامة تجرى من تحتهم الانهار استيناف او خبر ثان فى جنات النعيم خبر اخر او متعلق بتجرى او حال من الانهار دعويهم فيها اى دعاؤهم لقولهم سبحانك اللهم وقيل من الادعاء اى يدعون له من التوحيد والتنزيه ماكانوا يدعوه فى الدنيا ويجوز ان يكون الدعاء بمعنى العبادة وليس العبادة منهم على وجه التكلف هل تلذذا فان اسائى لم تزده معرفة وانما لذة ذكرناها وتحيتهم فيها سلام اى ما تحيهم به الملائكة او الله سبحانه مصدر مضاف الى المفعول او الجنة بعضهم بعضا فالى الفاعل واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين يقولون ذلك شكرا على ما اولاهم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولو يعجل الله للناس الشر اذا استعجلوه عن مجاهد هو قول الانسان لماله وولده اذا غضب اللهم العنه وقيل نزلت فى كفار مكة حين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء استعجالهم بالخير اى تعجيل الخير اذا سالوه وضع الاستعجال موضعه اشعارا بانه تحيهم اسرع اجابة كان استعجالهم نفس تعجيل لقضى اليهم اجلهم وقت الدعاء وقرا ابن عامر قضى على بناء الفاعل ونصب اجلهم وهو المختار لمناسبة ما تقدم وما تاخر وعدم الاحتياج الى الحذف فنذر الذين لا يرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون عطف على النفى الدال عليه كلمة لو كانه قيل لا نعجل لهم الشر ولا نقضى اليهم اجلهم فنذرهم الا انه وضع المظهر موضع المضمر دلالة على ان ذلك المستعجل لم يؤمن بلقاء الله فلذلك اجترى على تلك المقالة وقيل الاية متصل بقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا وذكر المؤمنين للمقابلة وانما عبر عنهم او لا بالكناية تعظيما للامر ثم صرح باسمهم ثانيا واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فى حالاته كلها لان المضرور اما ان ينهكه المرض فهو مضطجع او يخف عنه بعض خفة فيقعد او يزول عنه وفيه بقايا فيقوم من غير حراك وانما استعمل اللام مع ان الظاهر على اشارة الى انه لشدة المرض مستقر على تلك الهيئة لا يمكنه غيرها لما فى اللام من معنى الاختصاص ففيه زيادة مبالغة فلما كشفنا عنه ضره الذى الم به مر كان لم يدعنا الى ضر مسه استمر على ما كان عليه من الاعراض من شكر نعم الله كان الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الاشراك وصرف الاموال فى غير مرضيات الله وتكذيب الانبياء ونسبة السحر الى المعجزات والايات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم كثيرة يا اهل مكة كانوا يعاملون الله ورسله ما تعاملون انتم لما ظلموا بالاشراك وعبادة غير الله وجاءتهم رسلهم بالبينات ولم يكن لهم معذرة فيما فعلوا لكون معجزات الرسل واضحة الدلالة على صدق دعويهم وما كانوا ليؤمنوا جحدا واستكبارا كذلك مثل ذلك الجزاء نجزى القوم المجرمين نجزيكم وضع المظهر موضع

رد على صاحب الكشف

موضع المضمر للدلالة على ان اهلاكهم مسبب عن اجرامهم وزاد لفظ القوم ليدل على انهم اعلام فى ذلك او كل مجرم فلتا ولهم تا ولا ظاهرا ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم استخلافكم فى الارض بعد القرون التى اهلكناهم لننظر كيف تعملون جهة اعمالكم وكيفيتها من الحسن والقبح فان المعتبر جهة الفعل لا نفسه وهو معمول يعملون لان النظر معلق بالاستفهام واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا اشار الى انهم خلف سوء وان عملهم لم يقع على جهة مرضية بل سلكوا مسلك المهلكين من القرون الاولى ولم يكن لهم باعث على هذا الا عدم اعتقاد الحشر فانهم دهريون التفت الى الغيبة بتعيدهم عن رتبة الخطاب ائت بقران غير هذا لا يكون فيه تسفيه احلام ابائنا ولا سب الهتنا او بدله بان تجعل مكان اية العذاب الرحمة وموضع سب الالهة مدحها فالاول تغيير فى الذات وهذا تغيير فى الوضع قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى اجاب عن الثانى لانه الممكن له فان الاول ليس من مقدوره وان كان زعم الكفار انه من مخترعاته وهو قادر على الاتيان بمثله او لانه مستلزم له وتلقاء الشئ حذاؤه وجهته ولما توجه تلقاء مدين ان اتبع الا ما يوحى الى ما شانى الا اتباع الوحى من غير زيادة ولا نقصان ليس الى التغيير والتبديل انى اخاف ان عصيت ربى دليل على انهم لم يطلبوا منه التبديل من جهة الله بل من عند نفسه عذاب يوم عظيم وفيه اشارة الى انهم مستوجبون ذلك العذاب لانهم يسعون فى تبديل كلام الله قل لو شاء الله ما تلوته عليكم فيه زيادة تبرء عما ينسبونه اليه من انه كلامه لان نفس تلاوته بمشية الله فضلا عن ذلك المتلو ولا ادريكم ولا انزل لكم اسا وقرا ابن كثير فى رواية قنبل ولادريكم بلام التاكيد اى لو شاء لاعلمكم على لسان غيرى فانه كلامه ليس على البشر الا تبليغه فانا وغيرى سيان فقد لبثت فيكم عمرا من قبله اى عمرا معتدا به وهو اربعون سنة ايام الشباب والكهولة التى هى مظنة حب الجاه والرياسة ومحل صدور الهفوات وارتكاب ما يليق من الحركات ولقد احسن هرقل لما سال عن سيرته صلى الله عليه وسلم ابا سفيان هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقد كان يسال عن عمره واخبر انه ادعى النبوة بعد اربعين سنة فقال هو نبى حقا لانه اذا لم يكذب على الناس فى شبابه فكيف يكذب على الله فى آخر عمره واليه اشار بقوله افلا تعقلون اى يستعملون عقولكم فان مجرد استعمالها كاف فى ذلك بلا تكلف فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا احد اظلم منه قطع لاطماعهم والمعنى لو فعلت ذلك التغيير والتبديل كنت مفتريا على الله مما تنسبونه اليه من زعمهم انه كلامه او تظليم للمشركين فى اثبات الشركاء لقوله ويعبدون من دون الله او كذب باياته الدالة على صدق مدعى النبوة لا يفلح المجرمون اثر على المضمر للدلالة على العلية ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم هى الاصنام فانها جماد ومن المعلوم انها لا تضر ولا تنفع وشان من يعبد ان يكون مثيبا معاقبا وهذا ناظر الى قبح فعلهم كما ان الاول ناظر الى بطلان قولهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله اى يعتقدون ذلك او يقولون اذا اسلموا وكان اهل الطايف يعبدون اللات واهل مكة العزى وهبل قال ابو سفيان يوم احد بعد ما ظهر فى المسلمين انكسار اعل هبل اعل هبل فقال رسول الله لاصحابه الا تجيبونه قالوا ماذا نقول قال قولوا الله اعلى واجل ثم قال لنا عزى ولا عزى لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تجيبونه قالوا ماذا نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم والقول بان اسافا ونايلة كانا صنمين لاهل مكة ليس كذلك بل كانا رجلا وامراة زنيا فى جوف

الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين فجعل اساف على الصفا ونائلة على المروة ليكونا عبرة لمن
يراهما كذا رواه البخاري وروى انهما بعد مرور الزمان قل أتنبئون الله بما لا يعلم
وهو الشريك او شفاعة لكم لان ما لا يعلمه الله لا وجود له لشمول علمه فلو وجد لعلمه
طريق برهاني بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم في السموات ولا في الارض سبحانه
وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او الذي يشركونه به تاكيد للنفي بناء على العرف
يقولون لذي الانكار لشيء ليس هذا في السماء ولا في الارض والمراد لا يعتقد
المشركين ذلك او اريد بهما جهتا العلو والسفل وما كان الناس الا امة
واحدة في عهد آدم قبل قتل هابيل او زمن نوح بعد السفينة اذ لم يذر الله على الارض
من الكافرين ديارا او زمن ابرهيم كانوا كلهم كفارا فاختلفوا بعد ذلك الاتفاق
على الحق او الباطل وصاروا فرقتين ولولا كلمة سبقت من ربك قضاها في الازل
بان يكون الدار الآخرة دار القضاء ومحل الجزاء لقضي بينهم في هذه الدار فيما فيه
يختلفون بان يثاب المحق ويعاقب المبطل ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه
اي من الآيات المقترحة قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك
جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا الى غير ذلك عنادا او تماديا في الضلال
والا ففي القرآن النازل بلسانهم آيات لا تعد ولا تحصى وعبر بالمضارع وان كان القول منهم
ماضيا واقعا لانهم مستمرون على ذلك فقل انما الغيب لله مختص به لا سبيل لاحد اليه
فلو اقتضت حكمته انزال ما تسالونه لانزل فانتظروا العذاب والهلاك اني معكم من المنتظرين
للعذاب النازل عليكم واذا اذقنا الناس رحمة المشركين الناكبين عن الشكر من بعد
ضراء مستهم مرض وقحط وفي اسناد الاذاقة في الرحمة دون الضراء شان لا يخفى اذا لهم
مكر في آياتنا احتيال في دفعها والتكذيب بها دعا عليهم وقال اللهم اجعلها عليهم
سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الميتة والجيف وكان الرجل ينظر الى السماء فيرى دخانا من شدة
الجوع فجاء ابو سفيان وقال يا محمد انك تامر بصلة الرحم وان قومك فيما هم فيه فادع الله
ان يسقيهم فدعا فسقوا فعادوا الى التكذيب وان ذلك باستحقاقهم لا بدعائه وقالوا سقينا
بنوء كذا اذا الاولى شرطية والثانية فجائية جوابها لقيامها مقام الفاء قل الله اسرع مكرا
دبر جزاء مكركم قبل وقوعه ولما دلت المفاجاة على السرعة ظهر وجه التفضيل والمكر منه تعالى
استدراجهم واطلاقه عليه للمشاكلة ان رسلنا يكتبون ما تمكرون مكركم او ما
مكرتموه لا يخفى عليهم شيء منه فضلا عن خفائه علينا وفيه مع الوعيد ايماء الى جهلهم بعلام
الغيوب وشمول علمه هو الذي يسيركم في البر والبحر يخلق فيكم دواعي السير فيهما و
قرأ ابن عامر ينشركم اي يبثكم فيهما وقراءة العامة اعم حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم اي بكم وانما التفت الى الغيبة ليذكر سوء فعلهم لمن يسمع ويعلم ضلالهم و
ليس ما بعد حتى وحده وهو الكون في الفلك غاية للتسيير بتوهم اتحاد الغاية وذي الغاية بل الغاية
الشرطية وما في خبرها من الجمل المتعاطفة نظيره ما سياتي في قوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء
انزلناه بريح طيبة لا تزعج الراكب الباء للسببية والاولى للملابسة وفرحوا بها بتلك
الريح جاءتها ريح عاصف شديد هبوبها ولذلك لم تؤنث واصل العصف الكسار
في كل شيء يقال ناقة عصوف اذا كانت سريعة المشي وجاءهم الموج من كل مكان
من سائر الجهات وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين بدل من ظنوا بدل
الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم ويحتمل الاستئناف كانه قيل ماذا صنعوا بعد تلك
الحالة واما لجعل جاءت حالا ودعوا جوابا للشرط فلا يستقيم لان فرحهم بالريح الطيبة لم يكن
في حال مجيء العاصف اي اذا شاهدوا اسباب الهلاك لم يذكروا الهتهم ووحدوا الله ولم يخطر ببالهم

ببالهم غيره ورجعوا الى الفطرة التي فطر الناس عليها والاحاطة كناية عن الموت ماخوذة من
احاطة العدو لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على تقدير القول اي قائلين هذا
الكلام او هو مفعول دعوا لانه في معناه فلما انجاهم اجاب دعاءهم اذا هم يبغون في
الارض فاجئوا الفساد في جهات الارض واطرافها كانه لم يشاهدوا ذلك الامر يوما بغير
الحق قيد به لان الافساد اخراج الشيء عن صلاحه وقد يكون بحق كما فعل رسول الله من
احراق زروع بني النضير وتخريب بيوتهم وكذلك الحكم في اموال الكفار اذا لم يرج حصولها للمسلم
يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم وبال لاحق بها او على امثالكم لان من تبغيه عليه من ابناء
جنسكم كلكم اولاد آدم متاع الحيوة الدنيا رفع على انه خبر بغيكم والجار والمجرور
صلة والمعنى تعدي بعضكم على بعض انتفاع قليل فيضمحل ويبقى عقابه وقرأ حفص متاع بالنصب
على انه مصدر فعل مقدر اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول به للفعل المذكور او مفعول
له والخبر محذوف والمعنى بغيكم على امثالكم لا انتفاع قليل البقاء قبيح والرفع هو المختار لسلامته
عن الحذف ثم الينا مرجعكم بالموت او يوم القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء
عليه انما مثل الحيوة الدنيا بين ان ما يتعدى لاجله الناس بعضهم على بعض هو المتاع
القليل الذاهب السريع الزوال وكشف القناع عن ذلك واوضح بما لا مزيد عليه كماء
انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض اي حالها العجيبة في سرعة تقضيها وزوال نعيمها بعد
اقبالها مثل حال ماء نزل من السماء فاشتبك بسببه نبات الارض واختلط بعضه مع بعض
مما ياكل الناس والانعام من سائر انواعه حتى اذا اخذت الارض زخرفها
وازينت مثل الارض بالعروس لابسة انواع الملابس الفاخرة متزينة باصناف الزينة
من انواع الحلي واصل ازينت تزينت ادغمت التاء في الزاء فاجتلبت الهمزة للابتداء بها
وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من الانتفاع بها رادعيا وحصدا اتاها
امرنا ليلا او نهارا اي ما امرنا باهلاكها من برد او صاعقة او خسف كما فعل بصاحب الجنتين
احيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها فجعلناها حصيدا جعلنا زرعها كانه محصود
في قطعه واستيصاله كان لم تغن بالامس كان لم يقم ولم يلبث زرعها من غني بالمقام
اذا اقام قال الاعشى طويل الثواء طويل الغنى والامس مثل في الوقت القريب والممثل به
مضمون الجمل المذكورة ووجه الشبه منتزع منها كلها وهي عشر جمل كذلك نفصل الآيات
مثل هذا التفصيل الواضح نفصل سائر الآيات لقوم يتفكرون في معاني الآيات
ودقائقها فانهم المنتفعون بها والله يدعو الى دار السلام اي كل احد مؤمنا كان
او كافرا ودار السلام هي الجنة لعدم الامراض والآفات فيها او لانها دار الله والسلام
من اسمائه تعالى وتخصيصه بالذكر هنا لا يخفى موقعه من الحسن او لان الملائكة تحيي المؤمنين
به حين الدخول او الله تعالى ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم بخلق الهداية والتوفيق
لمن سبقت عنايته به والصراط المستقيم هو الاسلام والدعاء الدلالة الى ذلك الطريق لا غير
وفيه دليل على ان الامر ليس عين الارادة وان الضال لم يرد الله هدايته للذين احسنوا
اخلصوا في ايمانهم الحسنى الجنة او المثوبة الحسنى وزيادة لقاء الله وقيل الحسنى جزاء
وزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف الى ما شاء الله وقيل الزيادة رضوان الله لقوله
ورضوان من الله اكبر ولا يرهق وجوههم قتر لا يصيبها غبار ولا ذلة بل مصونون
محفوظون مما يشين ظاهرهم وباطنهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
الموصوفون بتلك الصفات اصحاب الجنة حال كونهم خالدين لا موت ولا خروج و
الذين كسبوا السيئات كلها وهم الكفار عطف على قوله للذين احسنوا جزاء سيئة
بمثلها عطف على الحسنى بالعاطف الاول عطفا على معمولي عاملين مختلفين مثل

في الدار زيد والحجرة عمروا والتقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات على انه مبتدا وجزا سيئة
بمثلها خبره والمعنى ان السيئ لا يراد على جزاء فقد روى البخارى ومسلم من همّ بسيئة ولم
يعملها كتبت له حسنة ومن عملها كتبت له سيئة **وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم** من يعصمهم
من سخط الله وعذابه على ان من صلة عاصم قدمت عليه اوما لهم من عاصم من جهة الله او من
عنده على ان الجار والمجرور حال قدمت ومن الثانية زائدة على الوجهين **كانما اغشيت**
وجوههم قطعا من الليل مظلما اى جعل غشاء وجوههم قطعا من الليل لفرط سوا
دها وشدة ظلامها وقرا ابن كثير والكسائى قطعا باسكان الطا على انه مفرد بمعنى
القطعة لان كل وجه له قطعة ومن الليل على الوجهين صفة قطعا وكذا مظلما على الاسكان
او حال لان النكرة موصوفة او حال من المستتر في الجار والمجرور والمختار فتح الطا لعدم
التاويل وللتناسب **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** اذ لا حسنة لهم يجازون
عليها ويخرج صاحب الكبيرة **ويوم نحشرهم جميعا** اى الفريقين **ثم نقول للذين اشركوا**
مكانكم اى الزموا مكانكم اسم فعل **انتم** مؤكد للضمير المستتر في مكانكم لانه ساد مسد
الزموا **وشركاؤكم** عطف عليه والمعنى لا تبرحوا مكانكم حتى تنظروا ماذا يفعل بكم وتشاهدوا
عجز من عبد تموه عن تدبير نفسه فضلا عن غيره **فزيلنا بينهم** فرقنا بين المشركين
وشركائهم من الزيل لغة في الازالة والمعنى قطعنا الوصل التى كانت بينهم **وقال شركاؤهم**
ما كنتم ايانا تعبدون والقايل المسيح والملائكة او الاصنام ينطقها الله زيادة
في النكاية مكان الشفاعة التى كانوا يرجونها كقوله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم تفريع على قولهم المقدر اى فيقول المشركون بل
عبدناكم وينكرون مقالة المعبودين فيقولون كفى بالله شهيدا ان وقع ذلك فانه عالم بكنه
الاشيا **ان كنا عن عبادتكم لغافلين** ما كنا الا غافلين لم نامر بذلك ولم نرض به **هنالك**
في ذلك المقام او الزمان مستعار له كقوله هنالك يجريني الذى كنت اصنع **تبلوا**
كل نفس ما اسلفت من البلاء بمعنى الاختبار اى تعرف كل نفس حقيقة ما عملت من
حسن وقبح وقبول ورد وقرا حمزة والكسائى بتائين من فوق من التلو وهو التبعية
اى تتبع عملها الى الجنة او الى النار او ما كانت تعبده لما روى البخارى اذا كان يوم القيمة
تتبع كل امة ما كانت تعبده وتبقى هذه الامة وفيها منافقوها فياتيهم الله في صورة لم يعرفو
ها فيقول انا ربكم فيقولون كلا لا نبرح مكاننا فيكشف لهم عن الساق فيخرون له سجدا
الا من كان منافقا فانه لم يقدر على السجود ويصير ظهره طبقا ومن التلاوة لقوله ويخرج له
يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك **وردوا الى الله مولاهم الحق**
الثابت ولايته وربوبيته او الذى يتولى ثوابهم وعقابهم من غير ظلم بل يجازى كلا بعمله
على قدره **وضل عنهم ما كانوا يفترون** ضاع او بطل ما كانوا يدعون من الشركاء
او من شفاعتهم **قل من يرزقكم من السماء والارض** بانزال المطر من السما والانبات
من الارض اردفه انواع اخر من دلايل التوحيد على وجه لا يقدرون على انكار شيء منها
امن يملك السمع والابصار يقدر على خلقها غيره تعالى لان عقول الخلق عاجزة
عن ادراك ما اودع فيها او حفظها لانها جوهران لطيفان يتاثران بادنى شيء **ومن يخرج**
الحي من الميت الحيوان من النطفة والنبات من الحبة والنوى **ويخرج الميت من الحي**
النطفة والحبة من الحيوان والنبات **ومن يدبر الامر** امر العالم العلوى والسفلى
تعميم بعد التخصيص **فسيقولون الله** لا يجدون جوابا غيره **فقل افلا تتقون** بطشه و
سطوته باشراككم **فذلكم الله ربكم** اى اذا اعترفتم انه المنفرد بالايجاد والكلاءة فذلك الموصوف
هو المنفرد بالالوهية والربوبية **الحق** الثابت الربوبية في الواقع لا من يسمونه **فماذا بعد الحق**

الحق الا الضلال شيء بعد الحق الا الضلال لعدم الواسطة **فانى تصرفون**
تعجيب لهم عن حالهم **كذلك حقت كلمة ربك** اى كما حقت الربوبية له تعالى او كما ان ما بعد الحق
الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه **على الذين فسقوا** تمردوا
في الكفر وبلغوا الحد الاقصى **انهم لا يؤمنون** بدل من الكلمة اى حق عليهم عدم الايمان
وانتفاؤه عنهم او عدة لهم بالعذاب لقوله حقت كلمة العذاب على الكافرين وانهم لا يؤمنون
تعليل له وفيه دلالة على ان حقيقة العذاب ولزومه للكفار انما كان لاجل انتفا الايمان فيدل
على نجاة المؤمن وان كان فاسقا **قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده**
اى ليس فيهم من هذا شانه وهم وان لم يقولوا بان الاعادة من خواص الالوهية لعدم اعترافهم
بالاعادة راسا لكن لظهور امرها ووضوح برهانها جعل منكرها منكرا لامر مسلم لا ينفيها
بانكاره **قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده** امره بالجواب لانهم بكم لا ينطقون بالحق **فانى**
تؤفكون فكيف تصرفون عن قصد السبيل **قل هل من شركائكم من يهدى**
الى الحق نزلهم كانه قيل هم عن ابداء الخلق واعادته بمعزل لكن اقل شؤون الاله
وصفاته ان يكون مرشدا الى الصواب وقد سبق ان هدى ياتى لازما ومتعديا الى مفعولين
بنفسه يقال هديته الطريق والى بالى او باللام ولا فرق في المعنى ويجي بمعنى النقل كما في اهدية
وهدى الحاج والقول بان ما يسند الى الله مستعمل بالى يرده قوله **قل الله يهدى للحق**
وقوله اهدنا الصراط المستقيم ويهدى من يشا **افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن**
لا يهدى الا ان يهدى اى لا يهتدى بنفسه على انه لازم او لا يهدى غيره الا
ان يهدى ويعرف هذا على قراءة حمزة والكسائى على انه مضارع هدى وقراء ابو بكر
عن عاصم بكسر اليا والها وتشديد الدال على ان الها كسرت لالتقا الساكنين واليا للاتباع
وحفص بفتح اليا وكسر الها وتشديد الدال لما ذكر الا انه لم يتبع وقراء قالون عن نافع
وابو عمرو بفتح اليا واختلاس كسر الها والتشديد اشارة الى عدم اصالة الكسرة وورش وابن كثير
وابن عامر بفتح اليا والها وتشديد الدال على ان الها حركت بالفتح فرارا عن ثقل الكسرة مع اليا
كما في نحو الميم في الم الله وفي هذه الوجوه مضارع اهتدى ادغمت التا في الدال للتشارك في
المخرج والقول بان ابا عمرو قرا بالادغام المجرد ولم يبال بالتقا الساكنين سهو لان ابا عمرو
يختلس وكذا ونقل عن قالون بالسكون **فما لكم كيف تحكمون** تعجيب عن حالهم كيف خفي
عليهم هذا الامر الجلى وهم يدعون انهم عقلاء مراجيح **وما يتبع اكثرهم الا ظنا**
اى في اقرارهم بالله والالوهية لانهم مقلدون اباءهم في ذلك من غير استدلال او
في ان ما يعبدونه الهة قيد بالاكثر لان بعضهم شاك حاير وبعضهم مستيقن معاند وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم او المراد بالاكثر الجميع **ان الظن لا يغنى من الحق شيئا**
من الاغنا او شيئا ما مفعول به والحق هو الثابت الذى لا يتبدل بتبدل الشرايع كالتوحيد
وساير الاصول والعقايد فان الظن لا يفيد فيها بل لا بد فيها من دليل قاطع **ان الله**
عليم بما يفعلون من التقليد والظنون التى لا تغنى من الحق شيئا **وما كان هذا القران**
ان يفترى من دون الله رجع الى ما كان بصدده من بيان حقية القرآن فان السورة
مصدرة بذلك ساق دلايل توحيده وربوبيته على ادق اسلوب واحسن انتظام
ثم كر الى نفى المرتب عن كونه كلاما والمعنى ما صح وما استقام وكان محالا عند العقلاء ان
يكون مثله في علو الشان والاعجاز مفترى ومختلقا اذ ليس في وسع احد الاتيان بمقدار
ثلث ايات تدانيه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا **ولكن تصديق الذى بين يديه** من ساير
الكتب السماوية شاهد في صدقها لانه معجز دونها فكيف يكون مفترى جعل نفس التصديق

ردّ على القاضي

قائله القاضي

مبالغة على طريقة رجل عدل وتفصيل الكتاب ومفصل الاحكام المكتوبة على المكلفين او اللوح المحفوظ فانه فصل فيه ما هو مكتوب هناك لقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ لا ريب فيه خبر اخر لكان او حال عن اسمه من رب العالمين حال من ضمير فيه او من الكتاب او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض على الوجوه الثلثة ام يقولون افتريه بل ايقولون اختلقه محمد انكار واستبعاد لصدور هذا القول منهم والحال انهم عاجزون عن الاتيان بمقدار اقصر سورة منه قل فأتوا بسورة مثله في تلك البلاغة وحسن النظم اية سورة كانت لا تفاوت بالطول والقصر واقلها ثلث آيات وادعوا من استطعتم من دون الله من شئتم وقدرتم عليه في الاتيان بمثله كاينا من كان من خلقه فانه عاجز عن ذلك ان كنتم صادقين انه مفترى لانكم باشرتم القريض والخطب والاتي به لم يكن يباشر شيئا من ذلك بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اضراب عن دعائهم الى التحدي وانهم لا يتساهلون ذلك الى حال لحزى لهم اشنع من العناد وهي الجهل اذ لا شيء اقبح منه فان العناد ربما يستحسن ومن امثالهم عاند من تطيق لعنادا والمعنى انهم قبل التدبر في نظمه والاحاطة بخواص تراكيبه سارعوا الى تكذيبه فاذا عاندوا ونسبوه الى الافتراء بعد العجز عن الاتيان بمثله لا يستبعد ذلك منهم ولما يأتهم تأويله ما يؤول اليه من صدق اخباره بالمغيبات وانما اثر لما لان التأويل كان متوقعا منتظرا فكان المسارعة الى التكذيب نوعا من الجهل وقيل قوله ام يقولون افتراه فيمن علم اعجازه وانكر عنادا وقوله بل كذبوا في حق من كان يشك والوجه هو الاول وعليه ينطبق النظم كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين الخطاب لرسول الله او لمن يتأتى منه النظر وفيه اشارة الى انه سيحل بهم ما حل باوليك ومنهم من يؤمن به بانه كلامه تعالى وان انكر بلسانه اراد بالايمان مجرد التصديق دون الاذعان والا كان مؤمنا حقا او سيؤمن به حقيقة لمن اسلم منهم ومنهم من لا يؤمن به في الحال او في الاستقبال وربك اعلم بالمفسدين المعاندين او المصرين والوجه هو الاول لان المصر ليس له باطن يخالف ظاهره وان كذبوك اي ان كانوا كذبوك ولم يرجعوا عنه بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم اي لي جزاء عملي ولكم عملكم منسوخ باية السيف لدلالته على اباحة المتاركة انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا يؤاخذ احد منا بجريمة الآخر كما لا ينفع بصالح عمله ومنهم من يستمعون اليك من الكفار من يستمع اليك اذا قرأت القرآن او علمت الشرائع استماعا لا تدبر معه ليوصلهم الى درك دقايق معانيه بل يسمعون الفاظه مجردة لتشبه عندهم الصدى والدوي ناظر الى قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون انكار لوقوع الاسماع مع اجتماع هاتين الصفتين لان الاصم اذا كان عاقلا ربما تفرس من دوي الصوت او ادرك المقصود من الاشارة واذا انضم الى فقد السمع سلب العقل فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك افرده نظرا الى لفظ من وجمع الاول باعتبار المعنى تفننا اي ومنهم من يشاهد دلايل نبوتك اذا نظر اليك ولم يصدق بشيء منها عنادا مثل ما راى عبد الله بن سلام رسول الله وهو جالس بفنا مقدمه من مكة فقال وجهه ليس وجه كاذب ثم سال عن مسايل فاجابه عنها فامن في ساعته أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون اي لست قادرا على ذلك لان العمى اذا انضم اليه فقد البصيرة لا يمكن هدايته صاحبه شاهدنا رجلا اعمى متوجها من بيت المقدس الى فلسطين وحده وبين الموضعين مسيرة يوم ويجوز ان يكون الابصار رؤية البصر والمعنى لست قادرا على هداية فاقد البصر ويكون تاكيدا للعمى لانه ربما يكون معه نوع رؤية ان الله لا يظلم الناس شيئا لا ينقص منهم ما يحتاجون اليه في المعاش وما يستدلون به الى تحصيل

لارتباط الضماير وعلى الوجه الثاني يلزم التفكيك سلمه صح

الى تحصيل المعاد من الحواس والعقل والقوى ولكن الناس انفسهم يظلمون بتفويت منافع الحواس وصرفها الى غير ما خلقت له والاعراض عن سماع الحق به واجتلاء الآيات في الآفاق والانفس وفي الاية دليل على ان الانسان مختار في افعاله كسبه هو مناط الثواب والعقاب وقرا حمزة والكسائي ولكن مخففا ورفع الناس ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا لان ايام السرور قصار او في القبور لما يشاهدون من اهوال القيمة والجملة في موضع الحال اي مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وقرا غير حفص نحشرهم بالنون التفاتا وهي ابلغ من التهديد بدليل وحشرناهم ونحشرهم يوم القيمة يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا لقرب الزمان وهذا عند خروجهم من القبور واما اذا اشتد الهول فلا يسأل حميم حميما والجملتان بيان للتشبيه لان التعارف لا يبقى مع طول العهد او متعلق الظرف اي يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسر من كذب بلقاء الله او حال بتقدير القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك وما كانوا مهتدين عارفين لطريق التجارة او لم يدخلوا في زمرة المهتدين وهذا تاكيد لكونهم ضايعا واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في الدنيا كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل اراءته فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب الاول محذوف اي فذاك والمعنى انك ظافر بعدوك اما في الدنيا او في الاخرة لا محالة فلا تحزن من تكذيبهم ثم الله شهيد على ما يفعلون بعد رجوعهم اليه بان ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يكسبون او ذكرت الشهادة واريد مقتضاها اي يعاقبهم على افعالهم ويحتمل ان يراد التراخي الرتبي لان شهادة الله عليهم بالكفر اشق من الرجوع اليه والعذاب او هو على التقديم والتاخير اي ان توفيناك فالله شهيد بعدك على افعالهم فالينا مرجعهم واختيار ثم على الفاء على هذا التقدير للتفاوت بين الشهيدين وقد روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال يؤتى باناس من امتي وانا واقف على الحوض فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول اصحابي فيقال انك لم تعلم ما احدثوا بعدك فاقول كما قال عيسى بن مريم وكنت شهيدا عليهم ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ولكل امة رسول يدعوهم الى الله ويهديهم فاذا جاء رسولهم فكذبوه قضي بينهم بانجاء الرسول واهلاك قومه تسلية لرسول الله ووعيد لقومه او يوم القيمة يقضى بينهم لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالقسط بالعدل وهم لا يظلمون تاكيد وتصريح بما علم ضمنا ويقولون متى هذا الوعد هذا الموعود انكار لصدق قوله ان كنتم صادقين خطاب للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا دفع سوء ولا جلب نفع لنفسي التي هي اقرب الاشياء الي واهم فكيف املك لكم وانما قدم الضر هنا واخره في الاعراف لان الكلام هناك في الساعة وعدم الاطلاع على وقتها فكان الاهم النفع واعداد العمل الصالح لها ولذلك اردفه بقوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير والكلام هنا في وقوع العذاب ولا شك ان الاهم دفعه الا ما شاء الله استثناء منقطع اي لكن ما شاء الله من ذلك كاين او متصل اي الا ما شاء الله ان املكه فانه يقدرني عليه لكل امة اجل بيان لتاخر العذاب وجواب عن استبطائهم اذا جاء اجلهم المضروب لاهلاكهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فلا وجه للاستعجال لعدم امكان التبديل وسينجز ما وعد قل ارأيتم ان اتاكم عذابه تسفيه لاحلامهم بان ما يستعجلونه لا وجه لاستعجاله بياتا اي وقت بيات وهو النوم نصب على الظرف او نهارا اي وقت اشتغالكم باسباب المعاش لم يذكر الليل في مقابلة النهار لانه اراد الاشارة الى انه وقت نوم وغفلة ليدل على انه الوقت الذي يفرض فيه غرة العدو بخلاف النهار فانه مناط المعاش ماذا يستعجل منه

المجرمون اى فرد من افراده يستعجلون مع انه لا فايدة فى شئ منها لان العذاب كله مر المذاق
يجب الفرار منه وعلى هذا من للتبعيض او معنى الاستفهام التعجب اى اى شئ هائل من العذاب يستعجلون
فمن للبيان لان ذلك الشئ هو العذاب نفسه وتحقيق المقام مبنى على وجوه ثلثة الاول ان
ماذا متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبرونى ويقدر للشرط جواب ولما كان فى هذا الاستفهام توبيخ وتجهيل
لهم فيقدر فى الجواب مايدل على الخطاء والندامة ويكون الشرط والجزاء مقرر المضمون الاستخبار
ولذلك وسط بينه وبين متعلقه والثانى ان يكون ماذا يستعجل جواب الشرط والمعنى اخبرونى
ان اتاكم عذابه فاى شئ يستعجلون منه ولا موضع للاستعجال ثم قيل على الوجهين اثم اذا
ما وقع امنتم به على معنى ان العذاب اذا وقع امنتم به وعاينتم به بعد تكذيبكم تصديقا واذعانا وفيه
زيادة تنديم وتجهيل لهم وان هذا الايمان والاذعان ادخل فى الانكار من استعجال العذاب
ولذلك جئ بثم ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان
من حق المجرم ان يخاف العذاب ويسعى فى استدفاعه فضلا عن استعجاله الثالث ان يكون
اثم اذا ما وقع جواب الشرط وماذا يستعجل اعتراض واصل الكلام لان اتاكم عذابه بياتا
اونهارا وتحقق امنتم ثم جئ بحرف التراخى بدل الواو واستبعادا لما فعلوه ثم زيد اذا الشرطية
دلالة على استقلاله بالاستبعاد وان الاول تمهيد له واكد بما تحقيقا لمعنى الوقوع وزيادة
تجهيل لهم بانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لا ينفعهم البتة وانما ادخل الهمزة على ثم لانه
مصب الانكار وهذا الوجه ابلغ معنى على ارادة القول اى قيل لهم اذا امنوا بعد و
قوع العذاب الآن يؤمنون توبيخا لهم والآن هو الوقت الذى انت فيه ظرف غير متمكن
وقع معرفة وليست اللام فيه للتعريف وقرا نافع بالقاء حركة الهمزة الى اللام وحذفها
وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل
المقدر قبل الآن ذوقوا عذاب الخلد الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون
يقال لهم ذلك دفعا لتظلمهم ويستنبئونك احق هو اى ماتدعيه من وقوع العذاب
يقولونه انكارا وتكذيبا ولا دليل فى قوله يستنبئونك على ان الاستفهام على اصله لكونهم جازمين
بكونه كذبا كيف وهم الذين يقولون ان كان هذا هو الحق من عندك علينا حجارة من السماء وهو مبتدا
والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم قل اى وربى انه لحق اكده بانواع من التاكيد
لقوة انكار المخاطب واصراره واى بكسر الهمزة كلمة تصديق بمعنى بلى يتقدم القسم لا يستعمل
مفردة وقيل الضمير للقرآن او لادعاء النبوة ولا يلايم المقام ويرده قوله وما انتم بمعجزين
اى فايتين العذاب وان لكل نفس ظلمت اشركت ما فى الارض من الاموال و
الدفاين لافتدت به جعلته فدية لها الفداء ما يفدى به الشئ واسروا الندامة لما راوا
العذاب لانهم من شدة الامر وتفاقمه لم يقدروا على بكاء ولا عويل كما يفعل المصاب بل
يسرون الندامة والحسرة وكثيرا ما ترى من له ولد عزيز عليه اذا مات سقى كالكاد لا يسيل
دمع ولا يقدر على صراخ وقيل اسروها اى اظهروها لان الكلمة من الاضداد وقيل اسروها
من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من التوبيخ وقيل اسروها اخلصوها من سر
الشئ لخالصه لانه يخفى ويضن به وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون بين المؤمنين والكافرين
او بين الرؤساء والاتباع او بين المشركين بحمل ذنوب المظلوم على من ظلمه وليس فيه
تكرار لان الاول بين الانبياء ومن كذبهم بل يجرون على قدر ذنوبهم فان الكفار متفا
وتون فى العذاب الا ان لله ما فى السموات والارض مختص به هو المثيب والمعاقب الا ان
وعد الله حق ثابت لا محالة دليل على ان القضاء بين الظالم والمظلوم كاين وصدر
الجملتين بحرفى التنبيه ايقاظا عن سنة الغفلة ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهماكهم
فى الشهوات وعدم تفكرهم فى اثار صنعه هو يحيى ويميت متفرد بذلك لا كما

رد على القاضي

بذلك لا كما يقولون ما يهلكنا الا الدهر واليه ترجعون بعد الموت لا الى غيره يا ايها الناس
قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى رجع الى بيان فضايل
القرآن الموعظة النصح مصدر بمعنى الوعظ والقرآن لاشتماله على الدلايل القطعية الدالة على التوحيد
وساير العقايد موعظة وباعتبار قبولها والتدبر فيها شفاء لداء الجهل فانه مرض للقلب
ان لم يداو وبذلك قوى وتبع الهلاك ورحمة للمؤمنين لمن آمن به منكم خصها بهم لانهم
المنتفعون به هذا كمن وضع ترياقا بين طايفة تناولوا سما قاتلا وقال لهم فيه شفاء لدائكم وانى اناالطبيب
الماهر فصدقه بعضهم فكان فيه شفاؤه ولم يلتفت اليه اخرون فكان ذلك حتفهم قل
بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا تقدير الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك
فليفرحوا فالتقديم للاختصاص اى بهما فليفرحوا لا بغيرهما من متاع الدنيا والتكرير للتاكيد
لان اسم الاشارة بمنزلة الضمير واثاره لاشتماله على زيادة كمال التمييز فيفيد زيادة تقرير وتثبيت
وحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء جواب شرط كانه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما
بالفرح والفضل هو الاسلام والرحمة القرآن او هما واحد وتوسيط العاطف باعتبار الصفات
وهذا اوجه والصق بالمقام هو خير مما يجمعون قرا ابن عامر بالخطاب التفاتا الى الكفار
وهو المختار لانه ابلغ فى النصح قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق بيان لما وهو مفعول انزل
ان كانت استفهامية وان كانت موصولة يتعلق بارايتم اى اخبرونى وفايدة لكم الامتنان عليهم
كما فى قوله خلق لكم ما فى الارض لا الدلالة على ان الرزق اريد به ما حل منه لان الكلام مع المشر
كين الذين يجعلون بحيرة وسايبة وحاما ووصيلة فجعلتم منه حراما وحلالا ولذلك وبخهم
بقوله قل الله اذن لكم فى ذلك التحريم والتحليل ام على الله تفترون والمعنى اخبرونى اى
الامرين كاين الاذن من الله ام الافتراء منكم عليه اذ لا حاكم غيره وعلى هذا ام متصل لانها
مع الهمزة متعاقبان ويجوز ان تكون منقطعة اضرابا عن ان يكون الاذن من الله وتقريرا للافتراء
وهذا ابلغ فى الوعيد والزجر ويدل عليه قوله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب
يوم القيمة اى اى شئ ظن المفترى على الله فى ذلك اليوم ابهم تعظيما لشان الوعيد
ان الله لذو فضل على الناس بالعقل المميز والرسل الهادين وانزال الرزق ولكن اكثر
هم لا يشكرون تلك النعم وما تكون فى شان لما طال محاجته مع الكفار واقامة البراهين
القاطعة على فساد ما يدعونه من التشريك وقبح اعمالهم من التحريم والتحليل افتراء على الله شرع
ليسليه بان ما يقاسيه معهم من المشاق ليس شئ منه الا وعلمه محيط به يجازيه عليه يوم الجزاء
والشان لغة مصدر شانت شانه اذا قصدت قصده وما تتلوا منه من قرآن من ذلك
الشان لان تلاوة القرآن اعظم شئون رسول الله او من التنزيل لان كل جزء منه قرآن
لاطلاقه على الكل والجزء والاضمار قبل الذكر للتفخيم او الضمير لله ومن ابتدائية ولا تعملو
ن من عمل اى عمل كان عمم الخطاب بعد ان خصص سيد القوم بما كان فيه فخامة احلالا لمنصبه
ورفعا لجنابه الا كنا عليكم شهودا مطلعين على احوالكم رقباء اذ تفيضون فيه وتشرعون
فيه لا يفوتنا منه شئ من افاض فى الامر اندفع فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة
ما يبعد ويغيب عن علمه ما هو اقل قليل فكيف بما فوقه قرا الكسائى بكسر الزاء والباقون
بالضم وهما لغتان والكسر افصح لانه اخف فى الارض ولا فى السماء فى الجهات السفلية
والعلوية وتقديم الارض لان الكلام مع اهلها ولان العامة تظنون بعدها ولا اصغر
من ذلك ولا اكبر قرا حمزة برفع الاسمين عطفا على محل من مثقال لانه فاعل فى
المعنى والباقون بالفتح عطفا على اللفظ او على ذرة وذلك الفتح جر لانهما غير منصرفين
الا فى كتاب مبين استثناء منقطع والمعنى لا يغرب عنه شئ من الاشياء لكن
كله فى كتاب مبين على ان الكتاب علمه او اللوح او متصل من قبيل قوله لا يذوقون فيها

رد على القاضي

الموت الا الموتة الاولى وقيل كلام برأسه لا عطف هناك على المحل او اللفظ بل الفتح على ان
لا نافية للجنس والرفع على الابتداء وعلى التقديرين الا في كتاب خبره والجملة مقررة لما قبلها
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون كانه لما ذكر احاطة علمه بالاشياء كلها كان
مظنة ان يسرع الخوف الى قلوب المخلصين اذ ما من احد الا وله نوع تقصير بمقتضى البشرية
ازال ذلك بان اولياءه لا خوف عليهم من وصول مكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب الذين
امنوا وكانوا يتقون تعريف لهم وتمييز عما عداهم وقيل نصب او رفع على المدح
او مبتدأ والخبر قوله لهم البشرى والوجه هو الاول لهم البشرى في الحيوة الدنيا
بما انزل الله في كتابه من الثناء عليهم في مواضع شتى وقيل من الرؤيا الصالحة فانها جزء
من النبوة كما نطق به الحديث او بشرى الملائكة لهم عند حلول الاجل وفي الاخرة بتلقيهم
الملائكة بالسلام والبشارة او سلام الله لقوله سلام قولا من رب رحيم لا تبديل
لكلمات الله لاحكامه مؤكد لقوله لا خوف عليهم او لقوله لهم البشرى كانه قيل لا
خلاف في وعده ذلك هو الفوز العظيم اي المبشر به وهذه الجملة والتي
قبلها معترضتان للتاكيد او الاولى معترضة وهذه تذييل ولا يحزنك قولهم بانهم
يقتلونك او يسلطون عليك من يباشر قتلك وفي الحديث كان ابي بن خلف يقول لي
فرس اطعمه كل ليلة فرقا من الشعير سأقتلك عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقتلني ولكن اقتلك وكان كذلك فيوم احد بيده صلى الله عليه وسلم ان العزة
لله جميعا مستأنف للتعليل اي الغلبة والقهر لله جميعا لا مؤثر في الكائنات غيره وقد
وعدك النصر والغلبة هو السميع لاقوالهم العليم بضمائرهم او بمن له النصر والغلبة او بمن
هو اهل لذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة والثقلين قصر
على ذوي العقول لكون غيرهم داخلا بالطريق الاولى او فيه تغليب واتى بحرف التنبيه و
اكد الكلام بان اشارة الى شدة غفلة السامعين وما يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء لان من في السموات والارض مملوك له تعالى لا يصلح شريكا في الالوهية فمن
سموه شريكا اسم بلا مسمى ويجوز ان يكون ما استفهامية مفعول يتبعون وشركاء مفعول
يدعون والمعنى اي شيء يتبعون هؤلاء الذين يدعون شركاء من دون الله اذا كان
من في السموات ومن في الارض مملوكا له تعالى تقرير لجهلهم ان يتبعون الا الظن
الذي لا يجدي في الاصول والعقائد وان هم الا يخرصون يكذبون في دعواهم او
يقدرون ويحرزون في انفسهم ما لا وجود له هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه والنهار مبصرا جعل الليل مظلما بواسطته يكفون عن الاعمال الشاقة اذ لولاه
لحملهم الحرص على دأب انفسهم على الدوام وجعل النهار مضيئا يبصرون فيه ويسعون
في طلب المعاش ولما في الدليل المذكور من الخفاء ختم الاية بقوله ان في ذلك لايات
لقوم يسمعون سماع تدبر فانه لا يحتاج الا الى القاء السمع دون اعمال روية بكثير
مقدمات قالوا اتخذ الله ولدا نوع اخر من جهالاتهم وهو نسبة الولد اليه وذلك فائدة القاضي
ان المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله وحمل الاتخاذ على التبني سهو لانهم
كانوا يقولون بالولد حقيقة ولذلك رد عليهم بقوله انى يكون له ولد ولم تكن
له صاحبة سبحانه تنزيه له عن ذلك هو الغني دليل على بطلان ما قالوا لان
الولد انما يطلب ليكون ظهيرا في حيوة والده وقائما مقامه بعد وفاته ومن انتفى عنه الاحتياج
من كل وجه ماذا يفعل بالولد له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه وان ما فيهما
ملك له وهو ينافي الولد وفيه اشارة الى انهم جاهلون متناقضون ان عندكم من
سلطان بهذا التفات اليهم توبيخا وتكذيبا لهم على سبيل المخاطبة والمعنى

والمعنى ما عندكم من سلطان دليل قاطع على ما تدعونه والاعتقادات لا بد لها من برهان
وبهذا متعلق بالظرف على ان من سلطان فاعل الظرف لاعتماده على النفي او متعلق بسلطان لان
فيه معنى الفعل او نعت له اتقولون على الله ما لا تعلمون تقرير وتوبيخ على نسبتهم الى الله ما لا
علم لهم قل ان الذين يفترون على الله الكذب خاطبهم اولا ثم لما جهلهم اعرض عنهم وامر
المرسل اليهم بان يخاطبهم بان الذين ينسبون الولد اليه او الشريك او ما لا يليق به لا يفلحون
في الاخرة بالنجاة من النار والفوز بالجنة متاع في الدنيا لهم تمتع فيها او افتراؤهم تمتع قليل
فانهم بذلك يقيمون رياستهم بين قومهم ثم الينا مرجعهم بالموت ثم نذيقهم العذاب
الشديد بما كانوا يكفرون لاجل كفرهم وكلمة ثم للتراخي الرتبي لان الكافر بالموت ساقط
في العذاب الا ان عذاب جهنم اشق ولذلك قالوا من بعثنا من مرقدنا واتل عليهم
نبأ نوح لما استوفى دليل حقية القران وتبين بذلك صدق من ارسل به واردف ذلك
بدلائل وحدانيته امر رسوله بان يتلو عليهم بعض اقاصيص الامم المكذبة الذين اهلكهم
الله واستأصلهم ليكون زاجرا وبدأ بنوح لانه اول نبي عذب قومه ولانهم كانوا عبدة الا
وثان مثل قريش اذ قال لقومه متعلق بنبأ يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي
شق عليكم قيامي بين اظهركم داعيا الى الله مكث الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم
الى الله ولذلك قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا او نفسي وكوني بقا لفعلت
هذا المكان فلان اي لاجل وتذكيري بايات الله بالدلائل الدالة على
وحدانيته او الدالة على صدق نبوتي فعلى الله توكلت لا على غيره من الاسباب
فاجمعوا امركم اقصدوه واعزموا عليه من الجمع بمعنى العزم وامرهم كيدهم الذي
كانوا يخفونه كقوله فاجمعوا كيدكم وشركاءكم مفعول معه الواو بمعنى مع وروى
عن نافع اجمعوا بالوصل من الجمع فيجوز نصب شركاءكم بالعطف على المفعول ثم لا
يكن امركم عليكم غمة اي بعد اجماعكم على اهلاكي لا يكن ذلك مستورا بينكم كتمه
من يريد اهلاك عدوه فانه يضمر في نفسه وينتهز الفرصة من غم الهلال اذا استتر والمعنى اذا
اهلكتموني لم يبق عليكم ضيق وغم الهلال اذا استتر والمعنى اذا اهلكتموني لم يبق عليكم ضيق
وغم واتسع عيشكم وفعلتم ما تريدون ولم تجدوا احدا ينكر عليكم شيئا مما تاتون وتذرون
ثم اقضوا الي ما هو حق عليكم في اعتقادكم من اهلاكي ولا تنظرون ولا تمهلوني قاله
تهكما وعدم مبالاة بهم توكلا عليه فان توليتم اعرضتم فما سألتكم من اجر
هذا الشرط مرتبط بالشرط الاول والمعنى ان اعرضتم لقيامي بينكم رسولا فذلك امر
ليس بحق فاسعوا في ازالته بكل ممكن وان توليتم لاني اطلب منكم شيئا فلا وجه لتوليكم
لاني ناصح لوجه الله لا اطلب على ذلك اجرا ان اجري الا على الله الذي ارسلني
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لامره او المخلصين لا اتطمع في خلاف
ما اقول وفيه ان من اخذ الاجر على تعليم العلم وهداية الناس ليس من ورثة الانبياء فكذبوه
استمروا على تكذيبه بعد الزام الحجة فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف
عن الهالكين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين المهلكين او من نجيناه ومن اهلكنا لاشتراكهم في الانذار والنظر هو التامل و رواه البخاري
الاعتبار ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه وفي الحديث كان النبي يبعث
الى قومه وبعثت الى الناس كافة فجاؤهم بالبينات المعجزات الواضحة الدالة على صدق دعواهم
فما كانوا ليؤمنوا ما امنوا بعد تلك المعجزات وانما زاد لفظ كان بلام الجحود اشارة
الى ان عدم ايمانهم لم يكن الا لجحد واستكبار بما كذبوا به من قبل اي قبل مجي رد على القاضي
الرسل لفرط عنادهم استوى الحالتان عندهم وحمل الباء على السببية اي انهم لم يؤمنوا

بسبب اعتيادهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه فيه ان من آمن من الكفار كان قبل البعثة مكذبا مستمرا
عليه كذلك نطبع على قلوب المعتدين مثل ذلك الطبع الذي طبع على قلوب هؤلاء
نطبع على قلب كل معتد كقوله كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ثم بعثنا من بعدهم
بعد هؤلاء الرسل ويريد المبعوثين من بعد نوح موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا
الآيات التسع وقد سبق تفصيلها في الاعراف فاستكبروا ترفعوا عن اتباعها وكانوا
قوما مجرمين دأبهم الاجرام ولذلك اتفقوا وحملهم ذلك الاجرام على الاستكبار اعتراض
على سبيل التذييل كقوله وانتم ظالمون بعد قوله اتخذتم العجل فلما جاءهم الحق من عندنا
معجزاته لانها من عند الله قالوا ان هذا لسحر مبين واضح لا يشتبه على احد قال
موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا تعيبون وتطعنون في الحق لما جاءكم من قولهم فلان
زيد في عمرو اي عابه نظيره قولهم سمعنا فتى يذكرهم وقوله اسحر هذا ابتداء كلام من موسى
توبيخا لهم او المفعول محذوف لدلالة السابق عليه والاستفهام كما مر او هذا حكاية كلامهم
فانهم لما بتوا القول بانه سحر بنوا على ذلك عدم فلاح من اتى به فالهمزة للتقرير ويحكي موسى كلامهم
بحسب المعنى دون اللفظ رادا عليهم شاكل الفلاح لصاحبه بقوله ولا يفلح الساحرون
فلو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا اللفت والفتل
من واد واحد ومنه الالتفات عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة فرعون والهة وتكون
لكما الكبرياء في الارض العظمة والملك كما هو شان الملوك وما نحن لكما بمؤمنين
اي نقول ذلك وما نحن بمصدقين لما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم
كامل العلم في سحره قرا حمزة والكسائي سحار وهي ابلغ لدلالته على انه لم تطلب الا الحذاق
منهم بتوكيده الوصف بالعلم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
جواب لقولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين كما تقدم في الاعراف ولا يلزم الرضا
بالسحر لان الغرض ابطاله فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به
هو السحر لا الحق الذي كنتم تزعمون انه سحر وقرا ابو عمرو بهمزة القطع على ان ما استفهامية
مبتداء وجئتم به خبره والسحر خبر مبتداء محذوف اي اي شيء جئتم به اهو السحر او السحر بدل
من ما والمعنى على الانكار والتقريع وقراءة الجمهور ابلغ لئلا يتوهموا ان الاستفهام على اصله
فيعتقدوا انه لم يعلم انه سحر ان الله سيبطله يظهر بطلانه باظهار المعجزة ان الله لا يصلح عمل المفسدين
كل مفسد والسحر من الافساد لاغوائه الناس بل من الكبائر ويحق الله الحق بكلماته
بثبته ويعلي شانه باياته الدالة على حقيقته ولو كره المجرمون اذ لا تاثير في الكائنات
الا لقدرته وقد طوى بقية قصة السحرة لانه حكاها في طه وفي الشعراء وذكر هنا اخرشا
ن فرعون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه اي لم يؤمن من بني اسرائيل بعد علبة موسى
الا شبان من قومه وقيل الضمير في قومه عائد الى فرعون وقد آمن من قومه مؤمن آل
فرعون وامراته سية وخازنه وامراته والماشطة وهذا القول ليس ببعيد لان السحرة
من قوم فرعون وقد آمنوا اجمعون من غير لبث وكانوا الوفا على خوف من فرعون
وملائهم اي آمنوا به حال كونهم مشتملين على الخوف استعار على للدلالة على فرط خوفهم
والملأ ملأ بني اسرائيل فانهم كانوا يمنعون اعقابهم واتباعهم عن الايمان يدل عليه قوله
ان يفتنهم اي فرعون وقيل الملأ من قوم فرعون وانما جمع الضمير لاعتبار التعدد
في نفس فرعون لتعاظمه كقول الملوك امرنا وفعلنا او باعتبار من يوامره من وزرائه و
الضمير للقوم وان فرعون لعال في الارض بالقهر والغلبة وكثرة الجند والاسباب
وانه لمن المسرفين لم يرض باقصى مراتب البشر حتى ادعى الالوهية وفيه ايماء
الى ان خوفهم منه لم يقدح في كمال ايمانهم نظيره فاوجس في نفسه خيفة وقال موسى

موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فان الايمان بالله يوجب التوكل لان من شرائط
الايمان بالقدر وان ما شاءه كان وما لم يشأ لم يكن ان كنتم مسلمين مخلصين في ايمانكم
علق وجوب التوكل اولا بالايمان وحصوله ثانيا بالاسلام اي الاخلاص كقولك ان سالك
فقير فلا ترده ان وجدت مالا فقالوا على الله توكلنا فعلوا ما امرهم من غير توقف
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم بان يعذبونا او يصرفونا عن ديننا او
يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا فيزدادون بذلك طغيانا ونجنا برحمتك
من القوم الكافرين من كيدهم وسوء جوارهم فان الاخلاق السيئة تسري الى الطبع و
لذلك مثل صلى الله عليه وسلم جليس السوء بالحداد اما يحرق ثيابك بناره او تجد ريحه الخبيث
بحد بدو اوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا تفعل بمعنى فعل يقال بوأت
منزلا اي نزلته وبوأته الرجل اي هياته له والمباءة المنزل اي امروا سكنى بمصر الى وقت اراده الله
واجعلوا بيوتكم قبلة مساجد متوجهة نحو القبلة قيل هي الكعبة وقيل بيت
المقدس واقيموا الصلوة في بيوتكم خوفا من الكفار كما كان يفعل المؤمنون في ابتداء
الاسلام وبشر المؤمنين بالنجاة في الدنيا والاخرة افرد الخطاب لموسى لانه صاحب
الشريعة وهرون كان ردءا له وانما ثني اولا لان امر التنزل متعارف للراي فيه مدخل وجمع ثانيا
لان اقامة الصلوة واجبة على كل مكلف وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة
ما يتزين به من اللباس والمراكب والغلمان والفرش واموالا في الحيوة الدنيا انواعا
من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك علة للايتاء اي انك فعلت ذلك معهم استدراجا
او اللام للعاقبة فقوله ربنا تكرير للتاكيد وقيل دعاء بلفظ الامر وذلك لما علم ان ايمانهم
كالمحال وانهم لا يكون الا كذلك فهو تصريح بمقتضى ما جرى به قضاء الله كقول نوح لا تذر على
الارض من الكافرين ديارا وكما يقول لعن الله ابليس وليس من الرضا بالكفر في شيء اولم يرد به
الدعاء وسؤال الايجاد بل هو كناية عن فرط عتوهم وابلاء عذرته وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب ليضلوا
بفتح الياء ربنا اطمس على اموالهم امحها واهلكها واشدد على قلوبهم اجعلها قاسية
مختوما عليها حتى لا يكون للايمان اليها سبيل فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا اي
ليضلوا عن سبيلك فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وما بينهما اعتراض او جواب
للامر والمعنى اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية حتى لا يؤمنوا فانهم لا يستحقون قال قد اجيبت
دعوتكما كانه دعا كل منهما وقيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن على دعائه فاستقيما
على الدعوة الى الله ولا تستعجلا فان نوحا صبر على دعاء قومه الف سنة يدعوهم الى الله قال بعض العا
رفين شرط الدعاء صدق الافتقار في الابتداء وحسن الانتظار وسقوط التقاضي والاستعجال
والثقة بالله جميل الظن قيل مكث موسى بعد ذلك اربعين سنة ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون الذين يستعجلون في الحديث يقبل دعاء العبد ما لم يقل دعوت فلم يستجب لي
وقرا ابن عامر في رواية ابن ذكوان بتخفيف النون على انه خبر والمعنى ولستما تتبعان او الواو
للحال او هو على مذهب يونس والفراء في ايجاز الموكدة الساكنة بعد الالف وانما حركت لالتقا
الساكنين وعنه وجه آخر بالنون المشددة من الثلاثي والمختار قراءة الجمهور للاجماع
على ولن اتبعت ولا تتبع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر الى البر اجزت المكان وجا
وزته اذا خلفته فاتبعهم فرعون وجنوده ادركهم يقال تبعت القوم اذا مشيت خلفهم
واتبعتهم اذا سبقوك فادركتهم بغيا وعدوا باغين عادين او للبغي والعدو حتى اذا
ادركه الغرق اي قاربه ويدت اسبابه وعلاماته وقيل الغرق بفتح الراء غمرة الماء
قبل الهلاك وبالسكون هو الهلاك فيه قال امنت انه بانه لا اله الا الذي امنت
به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرا حمزة والكسائي انه بكسر النون

على الاستيناف او البدل من آمنت او لتضمنه معنى القول الآن وقد عصيت قبل اى اتؤمن
الآن وقد عصيت قبل مدة عمرك وكنت من المفسدين حيث لم ترض بعصيانك بل كنت تصرف
الخلق من عبادة الله لقوله وصد عن السبيل او بذبح ابنا بنى اسرائيل اجتهد فى خلاص نفسه عبر عن
التصديق بعبارات الثانى ابلغ من الاول والثالث ابلغ من الثانى ولكن لم يصادف الوقت
وهذا كمن آمن بعد طلوع الشمس من مغربها او فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به
مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله اتاه جبرئيل يوما برقعة فيها ما قول
الامير فى عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته ثم لم يطلب من ذلك منه شيا سوى انه تقربانه عبده
فابى وادعى السيادة دونه فكتب على الرقعة يغرق فى البحر كتبه ابو العباس الوليد بن مصعب فلما
ادركه الغرق ناوله جبرئيل فعرف روى الامام احمد والترمذى عن ابن عباس لما ادركه
الغرق انه لما قال آمنت اخذ جبرئيل من حماة البحر فدسه فى فيه وذلك لعلمه بانه لا ينفع ذلك
كمن راى شخصا يصلى بلا وضوء فقطع عليه صلوته فاليوم ننجيك ببدنك نلقيك على نجوة
من الارض خاليا من الروح ليراك بنو اسرائيل على تلك الهيئة زيادة فى سرورهم ولئلا يظن الجهلة انك
نجوت من الغرق لكونك الها وقرى بالحاء اى نلقيك الى ناحية وقيل ببدنك عريانا من
غير لباس او كاملا سويا او بدرعك فانه كان لابسا درعا من الذهب لتكون
لمن خلفك آية لمن ياتى بعدك الى يوم القيمة اذا سمع ما كنت فيه من الدعوى وما آل
اليه امرك ولمثل هذا حكى الله فى كتابه احوال الامم الهالكة قل سيروا فى الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون حيث لا يسمعون مثل هذه
الوقايع ولا يتفكرون فى عظمة الله وكبريائه ولا يقلعون عن مخالفة اوامره ولقد بوأنا
بنى اسرائيل مبوأ صدق منزلا مرضيا وهو الشام لكونه موطن الانبياء
او لكونه المحشر يوم القيمة وقيل هو مصر فانهم سكنوا بعد فرعون ووجه كونه
منزل صدق انهم هناك وعدوا بالنجاة وبها غرق فرعون غرق بموضع يسمى سويس
على ثلث مراحل منها ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى
جاءهم العلم اى ما تشعبوا وتحزبوا فى امر دينهم الا بعد علمهم بما فى التورية وهذا
غاية ذم لهم حيث جعلوا ما كان سببا للاتفاق وسيلة الاختلاف فان قلت قد ورد فى
الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم اختلاف امتى رحمة وقد اختلفت الائمة فى الآيات
والاحاديث من الصحابة ومن بعدهم قلت اختلاف الامة فى الفروع وما للاجتهاد فيه
مدخل لا فى الاصول والعقايد لقوله صلى الله عليه وسلم ستفترق امتى ثلثا وسبعين فرقة
كلهم فى النار الا الكون على ما انا عليه واصحابى وقيل هو اختلافهم فى امر محمد بعد
علمهم بنبوته ودلائل معجزاته ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
يميز بين المحق والمبطل ويجازى كلا على وفق عقيدته وما يقتضيه عمله فان كنت فى شك
مما انزلنا اليك كلام على سبيل الفرض مثل قوله لئن اشركت والالهاب
وتهييج على التثبت ودفع الوساوس التى ربما تعرض له بتكذيب الكفرة وفيه اشارة الى ان
اهل الكتاب لهم رسوخ فى العلم بصحة ما انزل اليه حتى انه يصح لمثله ان يسألهم اذا
اعتراه شبهة على الفرض ثم اغناه من السؤال بقوله لقد جاءك الحق من ربك
شهادة تحقيقية تغنى عن شهادة غيره دل على ان ذلك انما كان امرا على سبيل الفرض
وقد روى لما قرأه عليه جبرئيل قال لا اشك ولا اسأل فلا تكونن من الممترين
الشاكين والخطاب له والمراد امته او كل من سمع ويؤيده قوله ولا تكونن من الذين
كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين اذ هو منزه عن التكذيب ويحتمل ان يكون

ان يكون من قبيل الالهاب والتهييج ولقطع الاطماع كقوله ولا تكونن ظهيرا للكافرين
ان الذين حقت عليهم كلمة ربك احكامه الازلية او علمه وارادته تعلقت بكفرهم
والموت عليه لا يؤمنون لاستحالة وقوع خلاف معلومه ومراده وتبدل حكمه الازلى قرا نافع
وابن عامر بجمع الكلمات والرسم على التوحيد والجمع اظهر لدلالته على الافراد صريحا ولو جاءتهم
كل آية لوجود الحجة وسبق المشية حتى يروا العذاب الاليم ولا نفع للايمان حينئذ فلولا
كانت قرية آمنت لوم على ترك الايمان فى وقته والاشتغال به فى وقت الاغناء كما فعل فرعون
فنفعها ايمانها منها بالوقوع فى وقته الا قوم يونس لكن قوم يونس استثناء
منقطع من القرى لان المراد اهلها لما آمنوا قبل مشاهدة العذاب وحصول الياس
كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ولم يصبهم مثل ما اصاب ساير الامم و
متعناهم الى حين الى حين آجالهم ويجوز ان يكون الاستثناء متصلا لاشتمال لولا على
على معنى النفى او لحجة لعن ابن عباس رضى الله عنه ان لولا فى موضعين من القرآن بمعنى
النفى فلولا كانت قرية آمنت وفلولا كان من القرون من قبلكم كانه قيل ما آمنت قرية من القرى
العاصية الا قوم يونس يونس بن متى بعث الى اهل نينوى من ارض الموصل فدعاهم الى الله فكذبوه
فوعدهم نزول العذاب بعد اربعين يوما وخرج من بينهم فلما مضى خمس وثلثون ليلة غامت السماء
غيما اسود هايلا ثم هبط على مدينتهم فغشاها فلما راوا ذلك لبسوا المسوح وبرزوا الى الصحراء
بدوابهم ومواشيهم ونسائهم وصبيانهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض
فارتفعت الاصوات وعلا الضجيج والعجيج واخلصوا الايمان والتوبة فكشف الله عنهم وكان يوم
عاشورا يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا اشار الى ان قوم يونس
آمنوا لان مشية الازلية تعلقت بايمانهم ولو شاء ايمان الخلق باسرهم لآمنوا كلهم ثم انكر
على رسوله بهالكه على ايمان قوم لم يرد الله ذلك منهم بقوله افانت تكره الناس حتى
يكونوا مؤمنين وانما رتب الكلام بالفاء داخلا عليها همزة الانكار مع تقديم الضمير
دلالة على ان المنكر كونه مكرها لان الله قادر على الجائهم وما كان لنفس ان تؤمن
الا باذن الله وما صح ولا امكن الا بارادة الله ومشيته ايمان كل من فى الارض لا يدل على ان
من آمن منهم لا يؤمن الا بالمشية ويجعل الرجس العذاب واسبابه من المعاصى والآثام قرا
ابو بكر نجعل بالنون على الذين لا يعقلون ناظر الى قوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك
لا يؤمنون ومعنى لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر الى الكائنات ليؤديهم الى العلم بوحدة
موجدها ولذلك قال قل انظروا ماذا فى السموات والارض من عجايب الصنع
وبدايع الآيات والعبر وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون اى الانذارات
او الرسل المنذرون لسبق القضاء بعدم ايمانهم فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين
خلوا من قبلهم تفريع على ما تقدم فلا بقاء لهم الا امرا اراده الله ووقت ضربه لنزول العذاب
بهم مثل ما نزل باولئك الامم والايام الوقايع يقال لايام العرب لوقايعها قل فانتظروا انى
معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا اهلاكى فانى منتظر هلاككم ثم ننجى رسلنا والذين
آمنوا عطف على مقدر كانه قيل اهلكنا الامم ثم ننجى الرسل وانما اتى به على حكاية الحال
الماضية استحضارا لصورة الواقعة كذلك حقا علينا ننج المؤمنين مثل ذلك الانجاء
وحقا مصدر لفعل المقدر اعتراض اى حق ذلك علينا حقا وقرا حفص والكسايى ننجى باسكان
النون وتخفيف الجيم والتشديد ابلغ قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى خطاب لاهل
مكة فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم اى ان حصل
لكم ريب فى صحة دينى فلا مجال للشك فيه لانى اعبد ربا موصوفا بهذه الصفات التى كلها صفات
الالوهية فاعرضوا هذا على عقولكم لتعلموا انه الدين وامرت ان اكون من المؤمنين

اى امرنى الله بان اكون من جملة المؤمنين بما انزل الى من الوحى وما دل العقل على صحته ووافق قانون
الشرع وحذف الجار من ان كما هو المطرد فى ان او هو من يحذف بعد فعل الامر خاصة كقوله امرتك
الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان ههنا
انشا والاول خبر فى ذلك سيان والمعنى امرت بالايمان والاستقامة والاخلاص فيه والاول
اشارة الى الاصول والعقائد وهذا الى الفروع كاداء الفرائض واستقبال القبلة والوجه اريد
الذات حنيفا حال من الدين او الوجه ومن الوجه اوجه لقوله ملة ابراهيم حنيفا ولقوله
وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا ولا تكونن من المشركين تذييل له
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك اذ لا مؤثر سواه فان فعلت
فان دعوت ما لا ينفعك ولا يضرك كنى عنه بالفعل المجاز فانك اذا من الظالمين
اذا حرف مكافاة وجواب عن سؤال محقق او مقدر يقول الرجل ازورك الليلة تقول اذا
اكرمك وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله
رجح جانب الترغيب اذ المقصود الاعتصام به وحده ولا شك ان النفوس الزكية بالطف
انس فاثر فى الشر لفظ المس الدال على القلة والوصول الى الظاهر فقط ولم يصرح بالارادة
وان لم يكن الا معها حتى كانه واقع بالعرض واشار بالاستثناء الى انه لا يقدر ان يجاوز اليه المضار
وفى الخير الارادة المطلقة الشاملة للظاهر والباطن وجعل المخاطب مرادا والخير تابعا وصرح
بانه لا راد لذلك المراد لا هو ولا غيره لان مراده واقع قطعا وسماه فضلا وما كان فضلا
منه يشعر بالرافة والعناية وهذه نكت تعتبر فى الكلام البليغ باعتبار المقام ولا يجب اعتبارها
فى كل مقام ولذلك ذكر المس فى الموضعين فى الانعام بقوله وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير والاية ابلغ من قوله ان ارادنى الله بضر هل هن
كاشفات ضره لا اختصاصه بالاصنام وعموم الاية يصيب به من يشاء من عباده وهو
الغفور الرحيم فليتوجه الراجون جناب قدسه وليستعدوا بذلك مزايا عميم لطفه قل
يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم القران وساير الاحكام وما اتاكم الرسول فخذوه فمن
اهتدى منكم فانما يهتدى لنفسه لا يجاوز نفعه الى غيره ومن ضل فانما
يضل عليها لا يتجاوزها وباله وما انا عليكم بوكيل بحفيظ يحفظ عليكم اعمالكم واتبع
ما يوحى اليك منع اثره ولا تدع منه شيئا لا تبلغه كان يقولون له اترك ذم الهتنا
ونؤمن بك واصبر على اذاهم حتى يحكم الله لك بالنصر والغلبة اى يظهر حكمه وهو خير
الحاكمين لعدم احتمال الخطاء عليه روى البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال للانصار فى اخر موعظة وعظها انكم سترون اثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض قال انس
فلم نصبر روى ان معاوية لما قدم المدينة حاجا تلقاه الانصار وتخلف ابو طلحة فلما دخل عليه
قال له معاوية لم لم تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب قال ابن النواضح يعرض به انه من الاكرة قال
ابو طلحة قطعناها فى طلبك وطلب ابيك سورة هود مكية وهى مائة وثلاث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تقدم الكلام فى وجوه اعرابه
كتاب خبر الر او خبر مبتدا محذوف احكمت اياته نظمت نظما محكما رصينا كالبنيان
المرصف لا يتطرق اليه خلل او منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما قال نمر بن تولب واغضب بغضك
بعضا رويدا اذا حاولت ان يحكما او منعت من الفساد ماخوذ من حكمة الدابة ومنه قول جرير
ابنى حنيفة احكموا سفهاءكم انى اخاف عليكم ان اغضبا وقيل المراد ايات السورة والاحكام
عدم تطرق النسخ اليها اذ ليس فى السورة اية منسوخة او احكمت بالدلائل والحجج القطعية
ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرايد كانه شبه الفاظها العذبة ومعانيها الشريفة من
التوحيد والصفات والنبوة والدلائل الدالة عليها وما فيه من الحكم والعبر والقصص

والقصص بالدرارى ثم ايراد كل فى موضعه اللايق به تفصيل لها فعلى هذا التراخى رتبى ويجوز
ان يراد بالتفصيل جعل مفصلا سورة سورة واية اية او تفريقه فى النزول منجما فثم على اصله
لان الاحكام بالنظر الى ذات السورة والاية فى نفسها والتفصيل بالنظر الى ملاحظة الصواحب
من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر اخر او صلة لاحكمت او فصلت نشر
لما تقدمه نحو وهو اللطيف الخبير بعد لا تدركه الابصار ان لا تعبدوا الا الله
مفعول له او ان مفسرة لان فى التفصيل معنى القول او كلام مبتدا منه صلى الله
عليه وسلم على سبيل الاغراء كانه قال ترك العبادة الا له اى الزموه كقوله فضرب
الرقاب يؤيده قوله اننى لكم منه اى من الله نذير وبشير بالعقاب على الكفر
والثواب على الايمان والتوحيد وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم
توبوا اليه اى استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استقيموا على التوبة
واخلصوها فالتراخى رتبى لان الاستقامة والاخلاص اعلى شانا منها يمتعكم
متاعا حسنا يعيشكم عيشة راضية ويعطيكم نعما واسعة متتابعة الى اجل مسمى
الى اخر العمر ويؤت كل ذى فضل فضله اى كل ذى فضل فى العمل جزاء فضله لان
الدرجات على قدر الطاعات او فضله الذى هو الثواب وحاصله الوعد بالخير فى
الدارين كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وان تولوا
فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة وصف بالكبر لطوله كما وصف بالعظم
لتفاقم امره الى الله مرجعكم رجوعكم وعيد ولذلك اردفه بقوله وهو على كل شىء
قدير فهو قادر على ان يعذبكم اشد العذاب الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا
منه روى البخارى عن ابن عباس انه سئل عن معنى الاية فقال كان اناس يستحيون
ان يتخلوا فيفضوا الى السماء فنزلت فيهم وقيل نزلت فى اخنس بن شريق وكان حلو المنطق يظهر
لرسول الله المحبة ويحب مجالسته ومحادثته ويضمر بغضه وقيل نزلت فى المنافقين وهذا انما
يستقيم على الاخبار بما هو كائن فى علم الله محقق الوقوع لان السورة مكية والنفاق انما
نجم بالمدينة والمعنى يزورون عن الحق ويحرفون عن سماع الوحى والايات يريدون بذلك
الاستخفاء من الله الا حين يستغشون ثيابهم كراهة الاستماع يريدون الاستخفاء
من الله وما جعلوه وسيلة دال على خلاف مرادهم لان الاعراض عن الحق والاستغشاء دليلان
ظاهران على النفاق الثانى منهما ادل نعى عليهم بالجهل المفرط لان ما لا يخفى على احد من الناس
يريدون اخفاءه على من لا يخفى عليه خافية ولذلك كرر حرف التنبيه يعلم ما يسرون
وما يعلنون من القول انه عليم بذات الصدور بضمائر القلوب التى
ليست من جنس القول فكيف به وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها اى ما من
شىء يدب على الارض الا على الله رزقه وما يكون سببا لبقائه وانما اتى بعلى الدال على اللزوم
لكونه متكفلا به تفضلا وحملا على التوكل وفى الحديث لو توكلتم على الله حق التوكل
لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ويعلم مستقرها ومستودعها
اماكن استقرارها من الارض والاماكن التى كانت مستودعة فيها قبل الاستقرار
من اصلاب وارحام كل فى كتاب مبين كل ذلك ثابت فى اللوح المحفوظ وفيه
مبالغة من وجوه طريقة الحصر وكلمة على الدالة على الدوام واثباته فى اللوح ثم وصف اللوح
بالابانة والظهور ولكن يعزب شىء لاحد ثم يكتب على نفسه لذلك صكا وقد دلت الاية
على كونه تع عالما بالمعلومات كلها فهو عالم باحوال المنافقين قادر على مجازاتهم وهو
الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام دليل على كونه قادرا على كل شىء كما ان

الاولى دلت على علمه بالاشيا كلها وكان عرشه على الماء اى لم يكن حايل بينهما قبل
خلق السموات والارض لانه كان فوقه ثم رفع بل العرش الآن كما كان وفيه دليل على
وجود الخلا وفى الاخبار ان الماء كان على متن الريح ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق
بخلق والمعنى ليعاملكم معاملة المختبر فانه جعل الارض فراشا والسما بناء ورتب الاسباب
ليتولد منها ما يحتاجون اليه من امور المعاش وارسل الرسل وشرع الشرايع ليثيب
الطايع ويعاقب العاصى ولما كان البلوى طريق العلم علق عن الاستفهام كما تعلق فعل
القلب وهذا كما تقول وانظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم اطيب صوتا لكونهما طريقى العلم
العلم وانما اثر اسم التفصيل والخطاب عام حثا على تحرى الاحسن من الاعمال فانه نهاية
الكمال كانه قيل ليظهر فضليتكم لا فضلكم والعمل يشمل العلم لانه عمل القلب ولئن
قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
سيق لبيان جهل الكفار يجعلون القول بالاعادة مشبها بالسحر فى بطلانه اذ لا باطل
اجلى منه وقيل الضمير للقرآن فانه اذا كان باطلا فقد انطوى تحته بطلان القول بالبعث
وقرا حمزة والكسايى الا ساحر اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة
الجمهور ابلغ واوفق للمقام قال ابو عمرو وما تبعه مبين فهو سحر وما تبع عليهم فهو ساحر
ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة الى حين قريب ولذلك وصفه بالعد والتا
نث باعتبار اللفظ والعذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر ليقولن
ما يحبسه يستعجلون به تكذيبا واستهزاء الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم مدفوعا عنهم
ويوم منصوب بخبر ليس واستدل به على جواز تقديم خبره لانه اذا جاز تقديم معموله عليه
فهو اولى بالجواز وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون احاط بهم اثر الماضى لكونه واقعا
لا محالة ولئن اذقنا الانسان منا رحمة نعم وسعة عيش ثم نزعناها منه
سلبناها منه انه ليؤس كثير الياس قاطع رجاءه عن عود مثلها كفور كثير الكفران
لم يتذكر النعم الوافرة الواصلة اليه فى المدد المتطاولة ولا ينظر الا الى الحالة التى هو فيها
ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته صحة بعد سقم ليقولن ذهب السيئا
ت عنى زالت المصايب ولن يعود ما كان فيه من البلاء وكانه انسد طريقه اليه وعاجه
الابد انه لفرح بطر فخور كثير الفخر بما فيه من الغنا والصحة وقد شغلاه عن القيام
بالشكر وفى اذاقة النعم ولفظ المس تنبيه على ان ما يجده الانسان فى الدنيا من النعم
والمحن انموذج نزر بالنسبة الى ما يجده فى الآخرة وفيه انه يقع فى الكفران والبطر بادنى
شىء دل عليه لفظ الاذاقة والمس وفى اسناد الاذاقة اليه تعالى دون مس الضر اشارة
الى ان رحمته سابقة غضبه الا الذين صبروا على ما اصابهم ولم يظهروا الجزع استسلاما
لقضاء الله وعملوا الصالحات وصرفوا الجنان والاركان واللسان الى ما امر الله به من
الطاعات شكرا للنعم اهله السابقة استثناء متصل لكون اللام فى الانسان للاستغراق
كقوله ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وقيل منقطع لان السابق فى الذكر هم الكفار
اولئك الموصوفون لهم مغفرة لما فرط منهم واجر كبير بحسب تلك الاعمال
الصالحة فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك كانوا يقترحون عليه ايات تعنتا تارة يقولون
ان كنت نبيا اجعل لنا جبالنا ذهبا واخرى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا وكان يحتمل من ذلك مشقة شديدة فنزل منزلة من يتوانى فى اداء ما امر به
ويتوقع منه تركه تهييجا له وتحريكا من عطفه وهذا وامثاله وان كان فى الظاهر تاديبا
لكن فيه اشارة الى انه حريص على ايمانهم حتى لو امكنه ترك ما امر الله به فى تحصيل لفعل

لفعل ولذلك اردفه بقوله انما انت نذير وضايق به صدرك بتلاوته
عليهم وتبليغه ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك يستعين به على الاستتباع
بالانفاق وبالملك على صدقه بابتداء عدم مخافة هذا القول وانما اثر ضايق على ضيق لانه اشد صدده
انما يعتريه ذلك احيانا انما انت نذير ما عليك الا الانذار تسلية له وازالة لما كان
يعتريه والله على كل شىء وكيل حافظ ورقيب مجازى كلا منك ومنهم بحسب عمله ام يقولون
افتراه ام منقطعة والضمير لما يوحى اليك قل فاتوا بعشر سور مثله فى جزالة النظم
والبلاغة مفتريات على زعمكم انه مفترى مختلق من عندى لانكم مارستم القريض والاشعار
والخطب فانتم اولى بالاتيان بمثله عدا بهم اولا بعشر سور ثم اقتصر على اقصر سورة وهذا داب
المناظر الواثق بحاله لان ذلك اقوى فى الزامه كما يقول الشاعر لمن يقدح فى شعره عليك
بعشرة ابيات مثلها بل رضيت منك بيت واحد والاية سابقة نزولا على ما فى البقرة و
يونس وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة والاستظهار ان كنتم
صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم الخطاب لرسول الله فانه الداعى الى التحدى
والجمع للتعظيم يؤيده قوله فان لم يستجيبوا لك فى سورة القصص اوله وللمؤمنين لان
الكفار بالايمان يدخلون فى زمرتهم وقيل الخطاب للكفار والمراد استجابة من دعوه
الى الاعانة اى ان لم يقدروا على ذلك فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بعلمه خاصة لا سبيل
لاحد اليه فانه نظم معجز وان لا اله الا هو واعلموا عند ذلك انه متفرد بالالوهية
هية المراد الثبات وازدياد اليقين بانه منزل من عند الله والدوام على التوحيد فهل
انتم مسلمون ثابتون مخلصون والاستفهام بمعنى الطلب يدل على وجوب ايقاع
المطلوب لقيام الموجب وزوال العذر او داخلون فى الاسلام اى لم يبق لكم عذر فاسلموا
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اشار الى ان الذين يصرون على التكذيب بعد
ظهور عجزهم انما يحملهم على ذلك حب الدنيا وزينتها ثم بين حال من يكون كذلك
وعلى تلك الصفة بقوله نوف اليهم اعمالهم جزاء اعمالهم فيها فى الدنيا وافيا كاملا
وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون حال من المجرور لدفع وهم التسامح فى التوفية
اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار لانهم استوفوا ما كانوا يستحقونه فى الدنيا
فلم يبق لهم ما يكون وسيلة الى شىء من الثواب وحبط ما صنعوا من افعال البر فيها
فى الآخرة لانهم لم يريدوا بها وجه الله او لم يبن على اساس وهو الايمان وباطل ما
كانوا يعملون على حبوطها اى انما حبطت ولم يترتب عليها ثواب لانها كانت باطلة
فى نفسها وهكذا شان الباطل سواء صدر من مؤمن او غيره افمن كان على بينة
من ربه برهان من جهة ربه دال على حقية ما ياتيه ويذره والاستفهام للانكار والمراد
نفى التقارب بين من هذا شانه وبين من يريد الحيوة الدنيا وزينتها وقصر همته على تحصيلها
ولم يلتفت الى الدار الآخرة ولم يعمل عملا لوجه الله والتقدير امن كان يريد الحيوة فمن
كان على بينة من ربه والعايد محذوف لدلالة الفاعلية ومن موصولة عطفت على مثلها
والمعنى لا تقارب بينهم فضلا عن التماثل وهذا ابلغ من قوله افمن كان مؤمنا كمن
كان فاسقا لان المنكر فيه التماثل وهذا حكم يعم كل مؤمن وقيل المراد رسول
الله وقيل من آمن من اهل الكتاب ويتلوه يتبع ذلك البرهان ذكره باعتبار المعنى
شاهد منه اى من الله او من القرآن لتقدم ذكره وعلى هذا من بيانية او تبعيضية وقيل
البينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان رسول الله ومن قبله من قبل
هذا الشاهد الذى هو القرآن كتاب موسى فانه يتبع ذلك البرهان ايضا
فى التصديق جبريل او لسان رسول الله اماما مؤتما به فى الدين ورحمة وصلة

الى الفوز بالسعادة مدح الكتاب موسى وتزكية لانه شاهد ولم يزك القران لانه معجز لا
يحتاج الى ذلك اولئك اى الموصوفون يؤمنون به اى بالقران يويد الوجه الاول ومن
يكفر به من الاحزاب هم اهل مكة ومن انضم اليهم تحزبا على رسول الله فالنار موعده
فلا تك فى مرية منه من الموعد فانه لا محالة كاين والمرية الشك انه الحق من ربك
ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان نسب
اليه ما لم ينزل او نسب عنه ما انزل تقرير وتوكيد لان ما اتى به كلام الله بعد ان اثبته
اولا باعجازه وبشهادة التوراة الذى لم يخالف فيه احد ممن يعتد به اولئك يعرضون
على ربهم اى على الهم فى الموقف ويقول الاشهاد الملائكة او اعضاؤهم
جمع شاهد او شهيد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم روى البخارى عن ابن عمر عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يدنى المؤمن من ربه يوم القيمة فيضع عليه
كنفه ويقول هل تعرف ذنب كذا فيقرره بذنوبه وهو لا ينكر منها شيا فيقول لسترتها
عليك فى الدنيا واغفرها لك اليوم ثم يطوى صحيفة حسناته واما الكفار فينادون
على رؤس الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين
مقول قول الاشهاد اى يقال لهم فى ذلك الموقف هذا الكلام اشارة الى انهم لا
يرحمون ولا يرق لهم احد لعظيم جناياتهم الذين يصدون عن سبيل الله
دينه الموصل اليه ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج والانحراف او اهلها
واصل البغى الطلب وهم بالاخرة هم كافرون الضمير الثانى للتاكيد والاختصاص
بالكفر بمنزلة ضمير الفصل وتقديم بالاخرة لافادة الاختصاص كان كفر غيرهم ليس بكفر فى
جنب كفرهم اذا اولئك لم يكونوا معجزين فى الارض اى ما كانوا فاسين الله فى الدنيا
لو شاء عقابهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعهم من العقاب ونصرهم
من تمام كلام الاشهاد اذ اولئك الذى يشار به الى البعيد ابعاد لهم بعد وصفهم
بتلك الاوصاف القبيحة يضاعف لهم العذاب تقرير من الله لقول الاشهاد كانه
قيل الامر كما قلتم هم مستوجبون للعذاب المضاعف او من تتمة كلام الاشهاد كانهم
لما راوهم بتلك الاوصاف دعوا عليهم بمضاعفة العذاب وقرا ابن كثير
وابن عامر مشددا من التفعيل وعن ابى عمرو ان المفاعلة ابلغ لان العرب يقول
ضعفت الدرهم اذا جعلته درهمين وضاعفته اذا جعلته اكثر ما كانوا يستطيعون
السمع لتصاممهم عن سماع الحق وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن الاعتبار لتعاميهم علة
لمضاعفة العذاب وقيل بيان لما نفاه من ولاية الهتهم لانها لا تسمع ولا تبصر فكيف
يقدره على النصرة اولئك الذين خسروا انفسهم اورد وها موردا الهلاك بالاشراك
على الله وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يزعمون من شفاعة
الالهة لا جرم انهم فى الاخرة هم الاخسرون حق وثبت ان لا اخسر منهم او كسب
ما ارتكبوه كونهم الاخسرين اعمالا او لا بد ولا محالة انهم فى الاخرة هم الاخسرون
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اردف ذكر الكفار وما
كانوا عليه وما ثمر لهم فى الاخرة من الخسران بذكر المتقين وما يؤول حالهم
اليه من الخلود فى الجنان كما هو سنة الله فى نظم القران والاخبات هو الخشوع من
الخبت وهو المطمئن من الارض يقال اخبت اذا دخل فى الخبت كما يقال انجد اذا دخل
فى النجد وكانه ضمن معنى التوسل فعدى بالى اولئك اصحاب الجنة اى الموصوفون هم فيها
خالدون دائمون مؤبدا مثل الفريقين المؤمن والكافر كالاعمى والاصم
والبصير والسميع تشبيه مفرد بالآخر كل فريق مشبه تشبيهين كقول امرئ القيس كان

قاله صاحب الكشف وانما ذهب اليه لتوافق طاهر ما بين الكل لما رأيته القيس منه

كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى او شبه حال الكفار الذين
وصفوا بالتصام والتعامى عن آيات الله بحال من خلق اعمى واصم لا ينفعه اشارة ولا عبارة
وحال الذين امنوا وعملوا الصالحات وصرفوا الابصار والاسماع الى ما خلقت لها بحال من يبصر و
يسمع فيستضيئ بالانوار ويستلذ بلطايف الكلام وهذا هو الوجه لمتانته ويدل عليه لفظ المثل
فالواو متوسط بين الصفات والقول بان الكفار بعضهم مشبه بالاول وبعضهم مشبه
بالثانى وكذلك المؤمنون بعضهم مشبه بالبصير وبعضهم بالسميع مما لا يلتفت اليه
هل يستويان مثلا اى لا تساوى ولهذا انكر على من لم يجزم به لقوله افلا تذكرون
لانه معلوم بديهة لا يتوقف على فكر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه بدا بقصته لانه
اول نبى عذب قومه ولان قومه معروفون بالجهل المفرط والتعامى والتصام انى لكم
نذير مبين بانى لكم اى ملتبسا بالانذار وهو ثانى مفعولى ارسلنا على الالتفات وقرا
نافع وابن عامر وحمزة وعاصم بالكسر على ارادة القول وهو ابلغ واقل حذفا ان لا
تعبدوا الا الله بدل من انى لكم نذير انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم كالسميع
بمعنى المسمع وصف اليوم والعذاب به من الاسناد المجازى لان المؤلم هو المعذب فقال
الملأ الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا كانوا
يعتقدون ان البشر لا يصلح للرسالة كما كان المشركون يقولون لولا انزل علينا الملائكة
وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا جمع ارذل افعل التفضيل مضافا كاكابر
مجرميها وقيل رذل وهو الرجل الدون الخسيس بادى الراى قراه ابو عمرو
بالهمزة من البداءة اى اتبعوك فى ابتداء الراى دون تامل وتفكر فى انك تصلح او لا والباقون
بالياء معتل اللام من البدو وهو الظهور والمعنى اتبعوك فى ظاهر رايهم دون باطنه
وعن الفراء انه مخفف الهمز لكثرته وعلى الوجهين نصبه على الظرف اى فى وقت حدوث
اول رايهم ولما كان نظرهم مقصورا على حطام الدنيا وهم عن الاخرة غافلون كان
الزهاد العارفون بالله فى نظرهم اراذل لا عقول لهم وما نرى لكم علينا من فضل
لاستوائنا فى البشرية بل نظنكم كاذبين اضراب عن الاول اشارة الى كونهم
اولى منه بالنبوة ضموا اليه الاتباع وغلبوه لاصالته قال يا قوم ارايتم ان كنت
على بينة من ربى رد تكذيبهم على احسن وجه بان المدعى اذا قام برهانا على
صدق دعواه خرج بذلك عن رتبة الكذب واضافهم الى نفسه بلفظ القوم
اشارة الى انه ناصح لهم فى ذلك لاتصاله بهم رحما واتانى رحمة من عنده
هى النبوة فانه فضل من الله يؤتيه من يشاء واخرها عن البينة وان تقدمت فى الوجود
لان العلم بها يستلزم العلم بالنبوة وبه يفحم الخصم ولذلك وحد الضمير لها فى قوله فعميت
عليكم لان خفاها يستلزم خفا النبوة وقيل التقدير فعميت النبوة عليكم بعد البينة
وقيل الضمير لكل واحدة وقرا حمزة والكسائى وحفص بضم العين وتشديد الميم
اى اخفيت وانما جعلت البينة عميا على الاستعارة كما جعلت مبصرة والمعنى ان البينة
دليل النبوة فاذا عميت فلم تهد اليكم فكيف تهديكم اليها كما ان دليل الركب فى المفازة
اذا عرض له عمى بقى القوم حابطين حيارى انلزمكموها انكرهكم على قبولها ونقسركم على
الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا اكراه فى الدين قد تبين
الرشد من الغى ويا قوم لا اسألكم عليه مالا جعلا لتتهمونى بانى اريد جر نفع ان
اجرى الا على الله الذى ارسلنى اليكم وما انا بطارد الذين امنوا سالوه
طردهم استنكافا من مرافقتهم حيث قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون كما قالت
قريش لرسول الله ان شئت اتباعنا اياك فاطرد هؤلاء العبيد والصعاليك

حولك وفيهم نزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي انهم ملاقوا ربهم
فلابد وان يسألهم عما جرى عليهم من الطرد اوهم اهل الاكرام لانهم الكمل الذين يلاقون
ربهم ويفوزون بلقائه فكيف يطرد من هذا شانه ولكني اريكم قوما تجهلون
مستمرون على الجهل لا تعقلون ولذلك سألتم طرد من هو جديد بالاكرام ويا قوم من
ينصرني من الله يمنعني من انتقام الله ان طردتهم اجابة لسوالكم واسعافا لطلبتكم افلا
تذكرون ان ما تطلبونه لا يسوغ عقلا فتر تدعون ولا اقول لكم عندي خزائن
الله ارزاقه حتى يقولوا ما نرى لكم علينا من فضل او تتمنوا من اتبعني من الفقراء لذلك
ولا اعلم الغيب ولا انا ادعي علم الغيب حتى تكذبوني وتقولوا افترى على الله او اطلع على
قلب من اتبعني ولا اقول اني ملك حتى تقولوا انما انت بشر مبطل في دعوى الملكية
ولا اقول للذين تزدري اعينكم اي في شانهم لقولهم لن يؤتيهم الله خيرا
بالغيب اي ولا اقول لمن استرذلتموهم من المؤمنين انهم كذلك عند الله ليس لهم عنده
مقدار ولا حظ ونصيب الله اعلم بما في انفسهم من الايمان الذي هو مناط
الشرف وموجب الكرامة اني اذا لمن الظالمين لو فعلت شيئا من الامور المذكورة
الازدراء افتعال من زرى اذا عابه واسناده الى العين لان سببه رثة الحال والبذاذة وهي تدرك
بالعين ولانهم احتقروهم في بادي الرأي من غير تأمل واستعمال روية قالوا يا نوح قد جادلتنا
فاكثرت جدالنا اتيت بانواعه طول عمرك فاتنا بما تعدنا به من العذاب ان كنت
من الصادقين في دعوى مجيء العذاب ان لم نؤمن بك قال انما ياتيكم به الله ان شاء
اذ لا مؤثر سواه وما انتم بمعجزين بفائتين من العذاب دفعا ولا ينفعكم نصحي
ان اردت ان انصح لكم شرط تقدم عليه ما يدل على الجواب وهو بعينه في حكم الجزاء
لقوله ان كان الله يريد ان يغويكم واعتراض الشرط على الشرط
اذا كان الشرط الثاني لا ينفك عن الشرط الاول يفيد تاكيد اللزوم كما في الاية وقول
القائل ان دخلت الدار فانت طالق ان كنت زوجتي فالشرط الاول ودليل جوابه المتقدم
عليه دليل جواب الشرط الثاني وفيه دليل على ان الاضلال بارادته تعالى وان خلاف
مراده محال هو ربكم سيدكم المتصرف فيكم واليه ترجعون فيجازيكم اشار
الى المبدا والمعاد باوجز كلام مع تضمنه الوعيد ام يقولون افتراه بل يقولون
افتراه من عند نفسه وينسبه اليه تعالى قل ان افتريته فعلي اجرامي اثمي لاسعد
في يقال جرم واجرم واجترم بمعنى وانا بريء مما تجرمون من افترائكم بنسبتكم
اياي الى الافتراء وانما اثر ما في النظم اشارة الى كونهم مجرمين في ذلك القول وعن
مقاتل ان هذا في شان محمد صلى الله عليه وسلم تكرير لقوله ام يقولون افتراه وانما
اورده في اثناء قصة نوح عليه السلام على وجه الاعتراض اشارة الى ان نسبته الى
الافتراء بعد اتيانه بقصة نوح على هذا الاسلوب المعجز مع طول الزمان وعدم مطالعة
الكتب والدراسة غاية العناد والمكابرة واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك بعدما بلغ
الرسالة وبالغ في النصح وتحمل الاذى اقنط من اجابة قومه الا من قد امن قد دلت على ان
من كان يتوقع منه الايمان وجد منه وقد اصابت المخزلة لانها على الرجاء المقابل للاقناط
المفاد بلن ولقابليته لوليها استقبالا ومضيا وهذا في الايمان وذاك في عدمه فلا
تبتئس بما كانوا يفعلون فلا تحزن افتعال من بئس بالكسر بؤسا قال احيحة
ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال واصنع الفلك باعيننا ووحينا
بحفظنا وكلائتنا واما جمع التي هي آلة الحفظ مبالغة عن الملاحظة وان عنايته معه وافرة
بعونه لحاسه والكلام على التمثيل لا التجريد كما توهم ووحينا اليك بذلك الصنع او بصفته

الجؤجؤ على وزن قنفذ صدر الطاير منه

او بصفته وفي الخزانة لم يكن يعلم كيفيته فاوحى الله اليه ان اصنعه مثل جؤجؤ الطير ولا تخاطبني
في الذين ظلموا في شانهم بالشفاعة لاستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون
لا محالة سبق بذلك القدر اولا تخاطبني في شانهم شاكيا من سوء صنيعهم كما كنت تخاطبني
رب اني دعوت قومي انهم عصوني رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وهذا
اوجه لان الوجه الاول فيه منافرة لقوله لا تذر وقوله اني مغلوب فانتصر ويصنع
الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه يقولون صرت نجارا بعد ما
كنت نبيا وكان يصنعها في برية لا ماء بها كلما دلت على ان ذلك كان منهم على التكرار والتوالي
قال ان تسخروا منا على الاستمرار فانا نسخر منكم كما تسخرون نسخر منكم اذا وقع عليكم
الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل السخر منهم مجازا عن الاستجهال لان
السخرية في مثل هذا المقام تعرض لسخط الله وعذابه ولا جهل فوقه فسوف تعلمون من ياتيه
عذاب يخزيه من منصوب بتعلمون اي سوف نظهر لكم من الذي ياتيه
عذاب مخز اتى به على وجه الابهام لئلا يوقعوا به مكروها كانوا يضربونه ويرمونه بالا
حجار حتى يغمى عليه فاذا افاق قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون روي انه عملها في
سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وارتفاعها ثلثون ذراعا و
كانت من خشب الساج ولها ثلثة بطون فحمل في البطن الاول الوحوش والسباع و
الهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وهو ومن معه من الناس في اعلاها
وحمل الزاد وما يحتاج اليه وحمل جسد آدم وجعل فاصلا بين النساء والرجال وعن
الحسن ان طولها كان الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع روي ان الحواريين قالوا
لعيسى عليه السلام لو احييت لنا رجلا شهد سفينة نوح فانطلق بهم الى كثيب فاخذ
من ذلك التراب كفه قال هل تدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب
بن حام بن نوح فضرب الكثيب بعصاه وقال قم باذن الله فقام ينفض التراب من
راسه فقال له عيسى كيف شبت ولم يكن شيب قبل ابراهيم قال شبت من هول القيمة
لما قلت قم ظننت ان القيمة قد قامت قال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الفا ومائتي ذراع
وكانت ثلث طبقات طبقة للانس وطبقة للدواب والوحوش وطبقة للطير ثم قال له عد كما كنت
باذن الله فعاد ترابا ويحل عليه عذاب مقيم حلول الدين على المدين استعارة تبعية هو
عذاب الاخرة لعدم انفكاكه حتى اذا جاء امرنا غاية لتصنع وما بينهما حال من فاعله
كانه قيل يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه وجواب كلما سخروا وقال
استيناف على تقدير سوال او هو الجواب وسخروا اما بدل من مر او صفة لملا وفار التنور
من فار القدر اذا جاشت والتنور هو المعروف فكان تحرقا للعادة وقيل التنور وجه الارض
وقيل اشرف موضع فيها وكان ذلك بكونه في موضع مسجدها وقيل بهند قلنا احمل
فيها في السفينة من كل زوجين اثنين باضافة كل على قراءة الجمهور فاثنين مفعول
الامر والجار والمجرور اما متعلق به او حال عن المفعول قدمت لكون ذي الحال نكرة وقرأ
حفص بالتنوين اي من كل جنس احمل زوجين ذكرا وانثى واثنين صفة موكدة لان الزوج احد
القرينين لا مصطلح الحساب والمحاسب وقراءة القوم لعدم الاحتياج الى التقدير واهلك عطف
على زوجين او على اثنين باعتبار القراءتين الا من سبق عليه القول ابنه وامراته
لكونهما كافرين ومن امن عطف على ما عطف عليه اهلك وما امن معه الا قليل كانوا
ثمانية نوح واهله غير الهالكة وبنوه الثلثة سام وحام ويافث ونساؤهم وقيل كانوا عشرة
خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح الثلثة
ونساؤهم ونوح واهله فالكل ثمانون والقرية التي نزلوا من السفينة فيها بذيل الجودي

على قراءة الجماعة عطف على اثنين وعلى قراءة حفص عطف على زوجين منه

يسمى ثمانين وقال نوح او الله اركبوا فيها ادخلوا فيها شبه الدخول بالركوب بجريان
السفينة بسم الله حال من الواو في اركبوا اي اركبوا مسمين الله او قائلين بسم الله مجريها
ومرسيها اجراؤها وارساؤها رفع على الابتداء او على فاعلية الظرف او نصب بتقدير الوقت
كقوله ايتك خفوق النجم ويجوز ان يكون كلاما منقطعا عن الاول كانه لما امرهم بالركوب
ذكر لهم ان اجراها وارساها انما هو بذكر اسم الله او بارادته وقدرته فانه قد روي انه كان
اذا اراد ان يجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان يرسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون
الاسم مقحما كقول لبيد ثم اسم السلام عليكما وقرا حمزة والكسائي وحفص بفتح الميم مصدر
جرى لقوله وهي تجري بهم والمختار قراءة القوم لازدواج مرسيها ان ربي لغفور
رحيم متصل باركبوا كانه قيل اركبوا فيها فلولا مغفرته لفرطاتكم وشمول رحمته لما نجاكم وهي
تجري بهم اي فركبوا فيها قائلين بسم الله وهي تجري بهم في موج كالجبال الموج ما
يعلو فوق الماء عند اضطرابه كل موجة منه شبهت بجبل في الارتفاع والعظم وكون السفينة
في الموج ان الامواج تصدمها من كل جانب لانها داخل في جوف الماء وقوله فالتقى الماء لا
يقتضي تطبق ما بين السماء والارض وبقاء السفينة كالسمكة اذ المشهور ان الماء علا شمخ
جبل اربعين ذراعا ونادى نوح ابنه ظاهره في كونه من صلبه وقيل كان ربيبه وكان
في معزل في مكان بعيد عزل نفسه عن ابيه او عن دينه يا بني اركب معنا في السفينة قراءة
عاصم بفتح الياء في بني هنا ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي بالكسر وجه
الفتح ان اصل ابن بنو فردت الواو في التصغير ثم قلبت ياء وادغم فيها ياء التصغير والحقت بها
ياء المتكلم في النداء ثم ابدلت الفا كما في يا غلاما ثم اكتفي بالفتحة الدالة عليها ووجه الكسر
حذف الياء لدلالة الكسرة عليها والمختار هو الكسر لانها الفصحاء واقل تغيرا وقد ادغم الباء
في الميم قنبل وابو عمرو وعاصم والكسائي باتفاق والبزي وقالون وخلاد في احد الوجهين
لاتحاد المخرج والتجانس في بعض الصفات ولا تكن مع الكافرين خارج السفينة
او في الدين قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء من غرقه قال لا عاصم اليوم
من امر الله من عذابه الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى وضع الظاهر موضع الضمير
اشارة الى ان رحمته هي المعتصم به لا الجبل وفي الموصول زيادة تفخيم ايضا او لا ذا عصمة الا
المرحوم كعيشة راضية على ان فاعل بمعنى النسبة كلابن وتامر او المكان مقدر بدليل ذكره
في مقابلة الجبل اي لا عاصم الا مكان رحمه الله وهو السفينة او الاستثناء منقطع اي
لا عاصم اصلا ولكن من رحمه الله فهو المعصوم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين
من جملتهم وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت
على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين حكي عن سلطانه بما تعلق به ارادته فوقع على وفقه من غير ريث
من غور ما انفجر من الارض الى بطنها وانقطاع طوفان السماء ونقصان الماء الطاغي وقضاء
امر نوح وهو انجاز ما وعده من اهلاك الكفار وتسوية السفينة على الجودي وابقاء الطلبة
في اللعن والبوار نادى الارض والسماء كما ينادي العقلاء المختارون المتعادون
لا وامره العارفون وجوب طاعته الخائفون سطوات قهره تشبيها للمراد بالمامور واستعار
لنشف الماء البلع الذي هو اعمال الجاذبة في المطعوم والشبه بينهما هو الذهاب الى
مقر خفي واضاف الماء الى الارض على سبيل المجاز الحكمي تشبيها لاتصال الصوري باتصال
الملك بالمالك واستعار الاقلاع الذي هو ترك الفاعل الفعل لاحتباس المطر والشبه
بينهما عدم ما كان ولم يصرح بالفاعل في غيض وقضي وقيل كما لم يصرح بالمنادى
في يا ارض ويا سماء لعدم لذهاب الوهم الى ان غيره جلت عظمته يتصور منه تلك
الاشياء ثم ختم الكلام بالتعريض بمن سلك مسالكهم في تكذيب الرسل وان

وان ذلك العذاب الهائل انما كان منشاؤه الظلم لا غير والجودي جبل بجزيرة الموصل و
القول بانه بالشام او بامل ليس له اصل روي انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر
المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة ونادى نوح ربه اراد نداءه لقوله فقال
رب او النداء على اصله والفاء التفصيل المجمل ان ابني من اهلي بعض اهلي كان من صلبه
او كان ربيبا له فهو ايضا من اهلي وان وعدك الحق اي كل وعد وعدته كائن
لا محالة وقد وعدتني انجاء اهلي والظاهر انه لم يكن نوح عالما بكفره وقوله لا تكن
مع الكافرين لا يدل على كفره ولم يحمل مقاولة الابن على العناد لان غلبة الحب تغطي على
البصيرة فعوتب على ان مثله كيف يشتبه عليه حال المعاند وكيف يجعل مناط النجاة كونه
من اهله مع عدم علمه بايمانه واولو العزم يعاتبون على النقير والقطمير وقيل كان
النداء بعد الغرق وفيه ان قوله الا من سبق عليه القول استثناء من الاهل فالسؤال
عن موجب عدم النجاة مما لا وجه له بل فيه شبه اعتراض وقيل كان عالما بكفره ولم
يعلم ان طلب نجاة ولده الكافر محظور عليه وفيه انه كان عالما بان في اهله من حق
عليه العذاب وليس ذلك الا لكفره وانت احكم الحاكمين لا حكم فوق حكمك
او اعلمهم فلا ينطرق زلل الى حكمك او اعدلهم اذ لا يتصور عدل لقضائك وقيل اكثر
حكيما مشتق من الحكمة قال يا نوح انه ليس من اهلك اذ لا ولاية بين المؤمن والكافر
انه عمل غير صالح تعليل لذلك وانما جعل نفس العمل مبالغة في ذمه كقول الخنساء
انما هي اقبال وادبار وقيل الضمير للسؤال وفيه انه يفوت لون الصلاح هو
مناط النجاة ويلزم منه ايضا تخطئة نوح بتلك العبارة الموحشة مع ان سنة الله
مع انبيائه في ترك الاولى العتاب باللطف وجه وقراءة الكسائي عمل فعلا ماضيا
ونصب غير فلا تسألن ما ليس لك به علم نهى نوح الامر على ظاهر الحال الذي
يكتفى به في العمليات فرد عليه بان ذلك ليس راجعا الى العمل فلا بد فيه من الايقان
وانما سمي نداءه سؤالا لسبق الوعد بانجاء اهله قراءة نافع وابن عامر بفتح اللام و
تشديد النون وكسرها وحذف الياء الا ورشا في الوصل وكذا ابن كثير الا انه فتح النون
وابو عمرو والكوفيون باسكان اللام وتخفيف النون مكسورة ثم وجه لتشديد النون
مفتوحة انها المؤكدة المثقلة ووجه كسرها انها المخففة ادغمت في نون الوقاية او
المثقلة حذفت نون الوقاية اكتفاء بها لحركتها والمختار التشديد لتوفر المعنى
الطلب والكسر على انها الخفيفة ادغمت لئلا يلزم الحذف وتغير الحركة اني اعظك ان
تكون من الجاهلين معدودا منهم قال رب اني اعوذ بك ان اسألك
بعد هذا السؤال ما ليس لي به علم قد اتعظت وتادبت والا تغفر لي ما فرط مني وترحمني
بالتوبة او بالتوفيق في المستقبل اكن من الخاسرين داخلا في زمرتهم قيل يا نوح
اهبط بسلام منا مسلما من جهتنا امنا محفوظا او مسلما عليك اكراما لك وبركات
عليك مصحوبا بخيرات نامية ثابتة مأخوذ من البركة وهي الصدر وقال مستقدم البركة كالراكب
ومنه بركة الماء ولما فيه من معنى الثبوت اشتق منه البركة لثبوت الخير الالهي وجمع اشارة
الى وفور الاية وعلى امم ممن معك الذين معك على ان من بيانية وسمي كل واحد امة
لتحزبهم او باعتبار المال او امم ناشئة ممن معك وهم المؤمنون الى اخر الدهر وهذا اوجه
لان الابتدائية بعد المنكر اكثر ويحسن التقابل بين قوله وامم سنمتعهم وبين قوله
وامم ممن معك لان الناشئ منهم فرقتان فرقة مؤمنة واخرى كافرة على ان اطلاق
الامة على القليل لا يلائم فكيف بالامم والتفخيم كما في قوله ان ابرهيم كان امة لمحل
لتعظيم نوح وامم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة

قايد القاضي

قايد الواحدي

هم الكفار من ذريته لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين وقيل هم قوم هود وصالح
ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام
كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفي المتاع والعذاب كل كافر تلك اشارة الى قصة
نوح ومحلها الرفع بالابتداء من انباء الغيب بعض اخبار الغيب نوحيها
اليك خبر ثان ما كنت تعلمها انت خبر ثالث والمجئ الاخبار هكذا اشان
في رفع الابهام ويجوز ان يكون نوحيها حالا من انباء وما كنت تعلمها من ضمير المؤنث
او من كاف الخطاب في اليك ولا قومك ترقي في الكلام لانهم مع كثرتهم اسفارهم
واختلاطهم اذا لم يعلموها فانت اولى من قبل هذا الايحاء او علمك المكتسب به او من قبل
هذا الوقت فاصبر على اذى التبليغ كما صبر نوح ان العاقبة للمتقين في الدنيا
بالنصر والغلبة وفي الاخرة بالفوز برضوان الله والى عاد اخاهم هودا عطف على ارسلنا
نوحا وهودا عطف بيان او بدل واخ القوم واحد منهم كقولهم يا اخا العرب قال يا قوم
اعبدوا الله آمنوا به ما لكم من اله غيره يستحق العبادة ان انتم الا
مفترون في القول بان له شريكا ويا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي
فطرني ما من نبي الا وصرح لقومه بعدم الاجر على التبليغ لان النصح اذا شابه الطمع
لا يجدي ولا ينجع افلا تعقلون تستعملون عقولكم ليظهر لكم الحق فانه لا يتوقف الا
على توجه العقل لجلائه ويا قوم استغفروا ربكم بالتوبة عن الاشراك ثم توبوا اليه
دوموا على تلك التوبة او آمنوا به لان الاستغفار من روادف الايمان فهو كناية عنه
والتبرء عن عبادة الغير لا يكون الا بعد الايمان به تعالى لكن ثم ترجح الاول يرسل السماء
عليكم مدرارا يفيض عليكم نعمه لان المطر سبب حصول جميع النعم لا سيما
اذا كان وافيا وافرا والمدرار الكثير الدرور والمتتابع صيغة مبالغة ويزدكم قوة
الى قوتكم ليقدروا على الانتفاع بتلك النعم على التمام والكمال وقيل كانوا اصحاب زروع
وبساتين مفتخرين بها فاستمالهم بانهم ان آمنوا وانتهوا عن الشرك يزيدهم الله في هذين
المطلوبين درجات وقيل قوة الايمان الى قوة الابدان وقيل حبس عنهم المطر ثلث
سنين وعقمت ارحام نسائهم روي ان الحسن بن علي وفد على معاوية فلما خرج من
عنده تبعه بعض حجابه وقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فقال عليك بالاستغفار فلما
بلغ معاوية فقال سألته من ان يقول فلما وفد وفدة اخرى سأله الرجل فقال الم تسمع قول
هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين بعد الامر بالاستغفار
فاكثر الرجل من الاستغفار فولد له عشرة بنين ولا تتولوا مجرمين مصرين على
الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة تكذيبا بآياته الدالة على نبوته وعنادا كما
فعلت قريش مع رسول الله وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك لاجل قولك
وما نحن لك بمؤمنين في شيء من الاوقات اقناطا له بعد تكذيبه ان نقول الا
اعتراك بعض آلهتنا بسوء اعتراك اصابك من عراه اصابه قال الشاعر اني
ليعروني لذكراك هزة يريدون انه اصابه جنون من جهة آلهتنا مكافاة له على سبه اياها و
لذلك يهذي ويتكلم بكلام المجانين وكذلك حال اكثر الجهال مع العلماء في كل
عصر وهذه الاجوبة دلت على غلاظ متناهية وجهل مفرط حيث اعتقد ان الجماد
تضر وتنفع قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء اشهد الله على براءته توكيدا لقوله
لانه جار مجرى القسم ولم يشهدهم بل امرهم بالشهادة لان الغرض عدم المبالاة بهم
ثقة بالله فلتخالف الغرضين خالف بين اللفظين مما تشركون من دونه من اشراككم
او مما تشركونه من الالهة فكيدوني جميعا انتم والهتكم ثم لا تنظرون بعد

بعد اجتماعكم على ذلك افعلوه اعجل ما تفعلون فاني واثق بمن له الخلق والامر وهذا
من اعظم الايات الدالة على قوة يقينه وكمال ثقته واجه اولئك الغلاظ الشداد الذين
يضرب بهم الامثال بمثل هذا الكلام الدال على الاهانة لهم والاحتقار بآلهتهم اني توكلت
على الله ربي وربكم الذي بيده الضر والنفع اشار الى الحامل له على الجراءة عليهم
وعدم المبالاة بهم وبآلهتهم لانهم مربوبون مثله ثم اشار الى الوصف المناسب لذلك
بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها غالب عليها مسخرة تحت قدرته القاهرة و
هذا على طريقة العرب فانهم كانوا اذا اسروا احدا ومنوا عليه بالاطلاق جزوا ناصيته ان
ربي على صراط مستقيم احكامه جارية على نهج الحق المبين فان تولوا تتولوا
حذف منه التاء فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم الجواب محذوف اي لا عتاب او انتم
محجوجون او لا عذر لكم يوم القيمة لاني قد بلغتكم ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف
للوعيد بان الله يهلككم ان تولوا ويأتي بالقرن يورثهم ارضهم وديارهم واموالهم
او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم ولا تضرونه شيئا من الضرر
ان ربي على كل شيء حفيظ ومن كان هذا شأنه لا يمكن ان يلحقه ضرر ولا يخفى
عليه شيء من اعمالكم فيكون وعيدا ولما جاء امرنا بالعذاب الموعود نجينا
هودا والذين آمنوا معه برحمة منا قيل كانوا اربعة الاف ونجيناهم من عذاب غليظ
ليس فيه تكرار لان الاول اخبار بان الايمان صار سببا لنجاتهم والثاني بان
النجاة كان من اي عذاب او الاول انجاء من عذاب الدنيا والثاني من عذاب الاخرة
وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم انث الاشارة باعتبار القبيلة او اشار الى قبورهم
وآثارهم واتى البعيد لبعد العهد بهم او لشدة شكيمتهم في كفرهم وعصوا رسله
لان من كفر برسول فهو كافر بالكل لاتحاد الدعوى واتبعوا امر كل جبار عنيد
رؤساؤهم الذين يصدرون عن رأيهم الجبار من يقتل على الغضب والعنيد الجائر المائل
عن الحق من عند البعير عنودا اذا عدل عن الطريق واتبعوا في هذه الدنيا لعنة
ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين لاتباعهم الكفار واعراضهم عن
الرسل جزاء من جنس اعمالهم الا ان عادا كفروا ربهم بربهم او نعمة ربهم
الا بعدا لعاد قوم هود سمي قومه عادا باسم جدهم وهو عاد بن عوص بن ارم
بن سام بن نوح كرر حرف التنبيه واعاد الاسم ودعا عليهم بعد الهلاك اشارة الى
انهم كانوا احقاء بما نزل بهم واوقع قوم هود بيانا لما في الاجمال والتفصيل من الايضاح
والتكرير فيوسموا بتلك الدعوة وسما محققا لا شبهة وما يقال انما جيء به تمييزا لهم
عن عاد ارم فانها عاد ناسه ولذلك وصف قوم هود بعاد الاولى ففيه انه لا احتمال
لذلك لتقدم هود وقومه في صدر القصة والى ثمود اخاهم صالحا عطف على قوله
في قصة نوح قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض بخلق ابيكم
آدم لا غير واستعمركم فيها امركم بالعمارة فيها او جعلكم عمارها اي سكانها
او استبقاكم فيها من العمر او من العمرى وهي ان يقول الرجل اعمرتك هذه الدار اي لك
الانتفاع بها مدة عمرك وعلى هذا فالمعنى انه اعمركم فيها دياركم وهو يرثها منكم
ويرجع اليه بعد موتكم او جعلكم معمرين لغيركم لان من ورث غيره فكأنه اعمره
اياها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب رحمته مجيب لمن دعاه قالوا يا صالح
قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد وكنا نتوقع ان يكون
مسترشدا في الامور نصدر عن رأيك تبين لنا ان لا خير فيك وقيل كنا نرجو ان
تدخل في ديننا اتنهانا استفهام انكار ان نعبد ما يعبد آباؤنا حكاية حال

ماضيه وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب أرابه أوقعه في الريبة وهي قلق النفس
واضطرابها أو من أراب الرجل إذا كان ذا ريبة على الإسناد المجازي قال يا قوم أرأيتم
إن كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وإيراد حرف الشك لإنكار المخاطبين وآتاني منه
رحمة هي الرسالة فإنها فضل من الله فمن ينصرني من الله من عقابه إن عصيته خالفت
أمره فما تزيدونني باستتباعكم غير تخسير غير أن تخسروني بإبطال أعمالي وتعريضي لعقاب
الله أو ما تزيدونني بقولكم هذا غير أن أنسبكم إلى الخسران أو تخسرون أنفسكم وتحملونها
زيادة عذاب لكونكم تدعون مثلي إلى الكفر ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية نصب على الحال
المؤكدة نحو هذا خالد شجاعا وزيد حاتم جوادا الدلالة إضافة الناقة إلى الله على كونها آية و
الجار والمجرور بيان واللام فيه مثل اللام في هيت لك فذروها تأكل في أرض الله
لا تريد منكم لا مانا ولا علفا حتى تضطروا إلى انتفاع السوء بها ولا تمسوها بسوء فيأخذ
كم عذاب قريب عاجل فعقروها فقال تمتعوا في داركم في أرضكم سمي دار لأنها يدار فيها
كما سمي البيت به ثلاثة أيام قيل هو الأربعاء والخميس والجمعة وقد هلكوا يوم السبت ذلك
وعد غير مكذوب أي فيه فحذف الجار اتساعا كما حذف من يوم مشهود وقوله ويوم شهدناه
أو على المجاز كأنه قيل للوعد لا بد وأن يوفى لك فإذا لم يوف به فهو مكذوب فلما جاء أمرنا
نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ من عذابه وهو الهلاك
بالصيحة أو عذاب يوم القيامة وقرأ نافع والكسائي بفتح الميم من يوم لإضافته إلى
المبني وأصله السكون وإنما حرك لالتقاء الساكنين وبالفتح لأنه لخف إن ربك هو القوي
العزيز القادر على كل شيء الغالب عليه وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين
ميتين لاصقين بالأرض كأن لم يغنوا فيها لم يسكنوا فيها ألا إن ثمود كفروا ربهم
ربهم قرأ حفص وحمزة بلا تنوين لأنه علم قبيلة والباقون بصرفه لأنه اسم أب القبيلة
أو باعتبار الحي ألا بعدا لثمود قرأه الكسائي بالتنوين والكسر لما ذكرنا ولقد جاءت
رسلنا إبراهيم بالبشرى أدخل قد لأن السامع للقصص السابقة
يتوقع سماع غيرها والرسل جبرئيل وميكائيل وإسرافيل كانوا ثلاثة وقيل اثني عشر
على صورة الغلمان الحسان ابتلاء لقوم لوط والبشرى بشارة الولد لقوله وبشروه
بغلام عليم ويحتمل التعدد له ولإهلاك قوم لوط قالوا سلاما نصب على المصدر
أو القول بمعنى الذكر فالنصب به قال سلام أي عليكم سلام فحياهم بأحسن من
تحيتهم لدلالته على الاستمرار بقرينة المقام وقرأ حمزة والكسائي قال سلم بكسر السين
وسكون اللام وهي لغة فيه كحرم وحرام وحل وحلال وقيل الصلح لأنه خافهم والمختار
الفتح والمد لأنه المشهور فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فما أبطأ مجيئه به والحنيذ المشوي
بالحجارة المحماة وقيل جيد سمين يقطر منه الدسم من حنذت الفرس إذا ألقيت عليه الجلال
لتعرق لقوله بعجل سمين فلما رأى أيديهم لا تصل إليه لم يكن ينظر إلى وجوههم عند
عند تقديم المأكل لئلا يحصل للضيف نوع خجل فيحصل له فتور في الأكل وهذا شأن أرباب
الفتوة مع الضيفان قال الشاعر وناولته من رسل كوما جلدة وأغضيت عنه الطرف حتى
تضلعا وقيل كان قد نذر أن لا يأكل إلا مع الضيف وكان لمدته لم يرد عليه الضيف فلم
ير لخلاف قائدهم إلى الطعام نكرهم يقال نكر وأنكر واستنكر شك في معرفته وأوجس
منهم خيفة لأنهم حين امتنعوا من أكل الطعام عرفانهم ملائكة وخاف أن يكونوا مر
سلين لأمر أنكره الله ولم يخف على نفسه لأن سلامهم كان دالا على أنه لا مكروه منهم
قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط أي بالعذاب جواب من علم أنهم مرسلون
لأمر ولكن لم يعلم ذلك الأمر بعينه وامرأته قائمة وراء الستر تسمع قولهم وقيل

وقيل قائمة خادمة كانت تسعى في الخدمة فضحكت حاضت يقال ضحكت السمرة إذا سال
صمغها أو قيل بل ضحكت سرورا بنزول العذاب أو بنجاة لوط عن المفسدين أو بإصابة ظنها فإنها
كانت تقول لإبرهيم ضم إليك لوطا فإني أعلم أن العذاب نازل بقومه فبشرناها
بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب قرأه ابن عامر وحفص وحمزة بالنصب مفعول
وهبنا الدال عليه البشارة كذا قال سيبويه ويجوز أن يكون معطوفا على محل إسحق ولفظ
وفيها ضعف للفصل بين العاطف والمعطوف ويجوز أن يكون منصوبا ببشرناها على طريقة
الاتصال كقوله ذلك الذي يبشر الله عباده والرفع على الابتداء أو فاعلية الظرف وقيل
الوراء ولد الولد وعن الشعبي أنه قيل له هذا ولدك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده
وجه البشارة إليها تارة وإلى إبرهيم أخرى بقوله وبشروه بغلام عليم لأن السرور بالولد
مشترك لا لأنها كانت عقيمة حريصة على الولد وكما أنهما بشرا ضمنا بطول العمر حتى يريا المولود
المبشر به ولدا قالت يا ويلتا لم ترد به معناه بل التعجب والاستبعاد دل عليه قولها
أألد وأنا عجوز قيل كان سنها ثمانية وتسعين سنة وسن إبرهيم مائة وعشرين سنة
وهذا بعلي زوجي والزوجة أيضا بعل من المباعلة وهي ملاعبة الزوجين وفي الحديث
أيام منى أيام أكل وشرب وبعال شيخا نصب على الحال والعامل معنى الإشارة أو التنبيه
إن هذا لشيء عجيب لم يعهد مثله من هرمين قالوا أتعجبين من أمر الله إرادته
إذا تعلقت بشيء أنكروا عليها التعجب من حصول الولد من شيخ وشيخة وإن كان في ذلك
خرق العادة لأنها قد شاهدت أمثال ذلك من المعجزات والأمور الخارقة وعللوا
الإنكار بقولهم رحمة الله وبركاته على وجه الاستئناف كأنه قيل إياك والتعجب فإن
أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة عليكم قيل الرحمة النبوة والبركة الأسباط لأن الأنبياء
منهم والكل من نسل إبراهيم أهل البيت نصب على الاختصاص لأنهم أهل بيت خليل
الرحمن وذلك مدح لهم وأي مدح إنه حميد مجيد فاعل ما يحمد عليه ومجيد فعيلان بمعنى
المفعول وقع تذييلا لما تقدم أي ليس بأفعل محلا للتعجب بل للتحميد والتمجيد فإنه مولى
متفضل فلما ذهب عن إبرهيم الروع وجاءته البشرى ما أوجس من الخيفة بما التخفو
به من البشرى يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا مجادلته قوله إن فيها لوطا
وإنما جاء به مضارعا حكاية للحال الماضية أو التقدير أخذ يجادلنا أو أقبل أو نحوه إن
إبرهيم لحليم كثير الحلم أواه كثير التأوه على ما يقع منه من تفريط أو على الناس
ترحما وهذا أليق وأبلغ في مدحه منيب تائب إلى الله تعالى بما يحبه ويرضاه أردف مجادلته
بهذه الصفات دفعا لما يتبادر من المجادلة من إرادة مقاومة غير حق يا إبرهيم
على إرادة القول أي قالت الملائكة المجادلون أعرض عن هذا الجدال وإن كان دأبك
الرأفة إنه قد جاء أمر ربك قضاؤه المبرم الذي لا مرد له وإنهم آتيهم عذاب غير
مردود لتعلق إرادة الله به ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم أي سيء لوط بسبب مجيئهم
لأنهم جاءوا على صورة غلمان حسان ولم يدر أنهم ملائكة فقال لهم لم يبلغكم خبث هذه
القرية وضاق بهم ذرعا كناية عن شدة حزنه وعدم اهتدائه إلى ما يدفع به كيدهم عن
أضيافه وقال هذا يوم عصيب قاله مشافهة أو في نفسه تحزنا والعصيب الشديد من
عصبه إذا شده ومنه العصابة والعصب وجاءه قومه يهرعون إليه يسرعون من قولهم
دم مهرع أي سائل بين السيلان كأن بعضهم يدفع بعضا بالحمل على الجري ومن قبل كانوا
يعملون السيئات يأتون الفواحش كلها لا يتحاشون تمرنوا على فعل المنكرات
فلذلك أهرعوا من غير مبالاة قال يا قوم هؤلاء بناتي وكانوا يطلبون قبل
ذلك التزوج بهن ديا لي لوط فلما اشتد الأمر عليه سمح بذلك وقاية لأضيافه وعدم

قاله القاضي

جواز تزويج المسلمات للكافر شرع طار والاستدلال بتزويج رسول الله بنته لابي العاص
بن الربيع مبني على كونه متعبدا بالشرع من قبل هن اطهر بمعنى الطاهر اذ لا طهر فيما يرى
ومونه والقول بان ذلك اقل فحشا مبني على تجويز اذ نى السفلاح ولا يقول احد به فاتقوا
الله بترك الفواحش ولا تخزون لا تفضحوني من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية بمعنى
الحيا في ضيفي في شانهم اليس منكم رجل رشيد يرعوي عن الجهل الاستفهام
على اصله او اريد به التحزن والتاسف قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق لان نكاح
الاناث ليس بمهم عند نابل هو كالباطل وانك لتعلم ما نريد لا يخفى عليك قال
لو ان لي بكم قوة لو ثبت لي قوة لدفعتكم او اوي الى ركن شديد قوى
امتنع به عنكم لفعلت شبه القوي الايد بالركن من الجبل لشدته ويحتمل ان يكون
لو للتمني فلا يحتاج الى الجواب وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطا كان
ياوي الى ركن شديد استغرب منه هذا القول لان عناية الله كانت اشد ركن له
ولذلك قالت الملائكة حين وجدت عليه ان ركنك لشديد هذه المقاولة معهم كانت
من وراء الباب فانه كان قد اغلق الباب خوفا منهم فلما طال الجدال التسور والجدار ولما
رات الملائكة ما اصاب لوطا من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا
اليك باضرارنا فتح الباب فلما دخلوا نشر جبريل جناحه وله جناحان وعليه و
شاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم كما حكى
تعالى فطمسنا اعينهم فخرجوا وهم يقولون النجاة فان في بيت لوط قوما سحرة فاسر
باهلك بقطع من الليل بطايفة قراءة نافع وابن كثير بالوصل والباقون بالقطع وهما
لغتان والقطع اولى لاتفاقهم في اسرى بعبده ولا يلتفت منكم احد الى ورائه
لئلا يصيبه ما اصابهم ولذلك لما التفت امراته حين سمعت هدة العذاب لحقها
حجر فقتلها الا امراتك استثناء من اهلك بناء على انه نهى عن الاسراء بها في جملة من احد
احترازا من مناقضة الاستثناء من اهلك لان الاستثناء اهلا او من احد على اللغة القليلة
في غير الموجب لان القراءة يكفي لصحتها وجه نحوي ولا يحتاج الى تاويل الالتفات
بالتخلف على تقدير الاستثناء من الاهل يقتضي ان لا يكون لوط مامورا بالاسراء بها ولا امتناع
في ان يكون سرت بنفسها كيف ولم ينه عن الاسراء بها بل امر بالاسراء بغيرها وقرا ابو عمرو
وابن كثير بالرفع على البدل والمختار النصب على الاستثناء من الاهل لسلامة عن التكلف
وتاييد بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك
بالتقديم انه مصيبها ما اصابهم اي ما يصيبهم علة لعدم الاسراء بها او لعدم نهيها
عن الالتفات ان موعدهم الصبح علة للاسراء اليس الصبح بقريب كلام الملائكة جواب
لاستعجال لوط كانه استبعد مجيء الصبح لغاية ضجره وشدة شوقه الى الاستقامة ومن هنا
يظهر لك مقام سيد المرسلين لما جاء ملك الجبال وقال ان الله قد سمع جواب
قومك وقد ارسلني اليك بان تامرني فيهم بما شئت فان شئت طبقت عليهم الاخشبين
فقال لا ولكن ارجو ان يخرج من اصلابهم من يقول لا اله الا الله فلما جاء امرنا
بالعذاب جعلنا عاليها سافلها جواب لما وانما اسنده الى ذاته وان كان المباشر
الملائكة لعظم الامر وان مثل ذلك الفعل انما هو باقداره روي ان جبريل رفع مدائنهم
بجناحه الى حيث سمع الملائكة في السماء نباح الكلاب وصياح الديك ثم قلبها وامطرنا
عليها حجارة من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل اي الحجر والطين وقيل من اسجل
اذا ارسل لانها مرسلة للعذاب لقوله لنرسل عليهم حجارة وقيل من سجل اذا كتب لان
الله كتب عليها ان يعذب بها منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل متابعة

رد على القاضي

متابعة بعضها اثر بعض مسومة معلمة كل حجر عليه اسم من يرمى به وقيل كانت معلمة ببياض وحمرة و
قيل كان عليها سيما يعلم بها انها ليست من احجار الارض عند ربك في خزائنه وما هي من
الظالمين ببعيد الضمير للقرى اي تلك القرى قريبة من ظالمي مكة يمرون عليها في مسايرهم
او للحجارة فان كل ظالم كل لحظة بصدد ان يقع عليه حجر وقد روي انه صلى الله عليه وسلم
سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك والى مدين اخاهم شعيبا مدين اسم قبيلة سميت
باسم جدهم وهو مدين بن ابراهيم او اسم مدينة بناها مدين سميت باسم بانيها قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره دعاهم اولا الى التوحيد لانه ملاك الامر ولا
تنقصوا المكيال والميزان كان فيهم التطفيف شايعا نهاهم عنه بعد الامر
بالتوحيد لكونه خيانة في حق العباد اني اراكم بخير في ثروة وسعة فانتم في غنية عن
التطفيف او الغنى الذي انتم فيه يقتضي الايفاء شكر الله فلا تقابلوه بالضد او فلا تزيلوه
فان المعاصي تزيل النعم واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط مهلك من احاط به العدو
واضافة العذاب الى اليوم للملابسة اريد باحاطة اليوم احاطة العذاب على سبيل الكناية
لكون اليوم مشتملا على الحوادث فاحاطته تستلزم احاطة تلك الحوادث ويا قوم اوفوا
المكيال والميزان بالقسط الانهاء المطلوب لا يتحقق بدون الايفاء فصرح
اولا على النهي عن القبيح ثم الامر بالضد وليس مبنيا على عدم استلزام النهي عن الشيء الامر
بضده بل هو من باب التاكيد كقولك لمن لا يصل الرحم صل رحمك ولا تقطعها تريد
بذلك تاكد وجوبه وقيد الايفاء بالقسط دلالة على ان العدل هو المطلوب والزيادة فضل
وقد يكون محرما كما في الربو ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي شيء كان باي نوع
كان تطفيفا او غيره كانوا يمكسون الناس وقيل كانوا ينقصون من ثمن ما يشترونه
ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي الافساد وفائدة تقييده بالحال اخراج ما يقصد
الاصلاح كاتلاف اموال اهل الحرب وهذا اعم لتناوله البخس وغيره كما ان ذاك اعم من الاول
لتناوله المقدار وغيره وقيل العثي السرقة وقطع الطريق والغارة بقية الله خير لكم ما ابقاه
لكم من الحلال خير لكم وابرك في الدنيا لان الحرام يمحق البركة وفي الاخرة لنجاتكم من تبعته
وعذابه ان كنتم مؤمنين لان الكافر وان نجا من العقاب المترتب على البخس والتطفيف
لكن لم تظهر تلك الفائدة ظهورها مع الايمان لكونه مخلدا في النار وفيه اشارة الى
عظم شان الايمان لان الشيء البين نفعه لم يعد نافعا بدونه وتفسير البقية بالطاعة لا يناسب
المقام وما انا عليكم بحفيظ احفظ احوالكم وانما بعثت مبلغا ولست بحفيظ عليكم نعم الله
ان لم تتركوا البخس والتطفيف قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا والصلوة
وان صح ان يكون امرة بالخير مجازا كما صح ان يكون ناهية عن المنكر لكن انما ساقوا الكلام
مساق الطنز والسخرية وان صلوته والمداومة عليها نوع من الاباطيل دفن من الجنون و
الاتيان بالمضارع للدلالة على الاستمرار كان كثير الصلوة ولذلك اتوا بصيغة الجمع وقرا
حمزة والكسائي وحفص بالافراد ومعنى تامرك ان نترك تامرك بتكليف ان نترك فحذف
المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما
اي وان نترك فعل ما نشاء في اموالنا انك لانت الحليم حيث تامرنا بترك ما كان يعبد
اباؤنا الرشيد الحليم حيث تامر بترك البخس والتطفيف لشر لما تقدم فالوه تهكما به
قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي حجة واضحة ورزقني منه رزقا حسنا النبوة
لان المعارف الالهية اشرف الارزاق وانفسها وقيل المال الحلال من غير بخس وتطفيف
والمعنى اخبروني ان كنت نبيا حقا ايجوز لي ان لا امركم بترك عبادة غير الله وما فائدة ارسال الله
الرسل الا ذلك وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه عاد الى النصح ما ازاح ما قرفوه به

على وجه ادبج فيه ان من لا يامر الا بما يفعل ولا ينهى عن شئ الا وهو منته عنه لم يكن مظنة للجنون
والخبل والمخالفة المعاكسة في الامر يقال خالف زيد عمروا الى الماء اذا كان احدهما واردا والاخر
صادرا ان اريد الا الاصلاح الا اصلاح ما افسدتم من امر دينكم ودنياكم ما
استطعت مادمت قادرا اما مصدرية في موقع الظرف او موصولة بدل البعض اي المقدار الذي
استطع منه او الكل على تقدير المضاف اي اصلاح ما استطعت والاول هو الوجه اذ فيهما
تكلف الاضمار وفوات المبالغة وما توفيقي الا بالله التوفيق خلق قدرة الطاعة مصدر
بمعنى المفعول اي وما كوني موفقا امضا او امره الا بتاييد منه عليه توكلت
فوضت امري لا الى غيره واليه انيب لا الى غيره فيه تهديد بانه لا يبالي بهم لانه مفوض
امره الى من بيده الخلق والامر وقطع لاطماعهم فانهم ما يهمونه الا استضعافا وهذا
كقول نوح فاجمعوا امركم وشركائكم ثم كيدون ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي
لا يكسبنكم معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح مفعول ثان يقال جرمه
ذنبا كسبه وجرمته ذنبا كسبته اياه جرم واجرم لغتان ككسب واكسب والمزيد اقل
دورا على السنة العرب وروى عن ابن كثير بضم اليا او قوم هود او قوم صالح وما
قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان مدين قريبة من قرى لوط بينهما مسافة
يومين والقرب في المكان والزمان يفيد زيادة معرفة وكمال الوقوف على الحال ذكر
لفظ بعيد باعتبار لفظ القوم لانه يذكر ويونث وكذا كل اسماء الجموع للاناسي مثل
رهط ونفر وهو مسند الى ضمير الاهلاك او الزمان او المكان واستغفروا ربكم
ثم توبوا اليه امنوا به ثم دوموا عليه ان ربي رحيم جزيل العطا بفضل
عليكم بدل ما كان يحصل لكم من البخس والتطفيف ودود كثير اللطف لمن تاب وعد
على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه نفهم من فقه بالكسر فهم
كثيرا مما تقول من التوحيد وساير الاحكام قالوه استهانة لا انهم لم يفهموا مقاله
كقول المشركين لرسول الله قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وانا لنريك فينا ضعيفا
لا قوة ولا عز لك فينا وقيل اعمى ويرده التقييد بالظرف ولولا رهطك لرجمناك
لقتلناك شر قتلة فان القتل به شنيع جدا ولذلك شرع حد الزاني والرهط من الثلثة
الى العشرة وقيل الى التسعة وما انت علينا بعزيز بل قومك هذا دأب السفيه
المحجوج اذا الحم شرع في الهذيان عسى يدفع به العار عن نفسه وفي ايلاء الضمير حرف النفي دليل
على ان النزاع في الفاعل لا في الفعل ولذلك كان مفيدا للتقوى والتخصيص وقولهم ولولا
رهطك لرجمناك دليل على ذلك منطوق يوكد ذلك المفهوم ومثله كل هو قايلها في
افادة التقوى والتخصيص قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله يريد ان رعايتي لكوني
رسولا من الله احرى بكم واحد رمن القوم وانما كانوا يراعون رهطي لكونهم على دينهم
لم يقل ارهطي اعز عليكم مني لان تهاونهم به وهو نبي الله وسلع احكامه تهاون بالله
ا ثره كقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله يد الله فوق ايديهم واتخذتموه
وراءكم ظهريا غير معتد به كناية عن عدم الاعتبار نسبة الى الظهر والكسر من تغير النسب
ان ربي بما تعملون محيط يجازيكم عليه ويا قوم اعملوا على مكانتكم
المكانة بمعنى المكان كناية او تمثيل او مصدر مكن بالضم مكانة فهو مكين اذا تمكن
والمعنى على جهاتكم او متمكنين وقرا ابو بكر بالجمع وهو ابلغ اني عامل سوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه يجوز ان يكون من استفهامية معلقة للعلم كانه قيل سوف
تعلمون اينا ياتيه عذاب يخزيه وان يكون موصولة منصوبة المحل به والتقدير سوف
تعلمون الشقي الذي ياتيه عذاب يخزيه ادخل الفا في سوف في الانعام والزمر وتركها

وتركها ههنا لكونه بتقدير سوال لانه في مقام المحاجة معهم وفي تينك السورتين امر بان
يقول لهم ذلك الكلام الذي يتعقبه ذلك الجزاء ومن هو كاذب يريد نفسه
على زعمهم لانهم كانوا يدعونه كاذبا فارتقبوا انتظروا الا حل بكم اني معكم رقيب
راقب كالصريم بمعنى الصارم او المراقب كالعشير بمعنى المعاشر او المرتقب كالفقير بمعنى
المفتقر ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا ذكر سابقتي
قصة هود وشعيب بالواو لعدم سبق ما يدل على السببية بخلاف قصتي صالح ولوط فانه تقدم
فيهما الوعد بالاهلاك بقوله ان موعدهم الصبح في قصة لوط وقوله ذلك وعد غير مكذوب
في قصة صالح فلذلك جي فيهما بالفاء الدالة على سببية ما قبلها واخذت الذين
ظلموا الصيحة صاح بهم جبريل فاصبحوا في ديارهم جاثمين لازمين لمكانهم
موتى كان لم يغنوا فيها كان لم يسكنوها ولم يكن فيها تصرف وتردد الا بعدا لمدين
كما بعدت ثمود وجه الشبه بثمود ان كلا منهما كان هلاكه بالصيحة الا ان
صيحة ثمود كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوق وعن ابن عباس رضي الله عنه
لم يهلك الله طايفتين بعذاب واحد الا ثمود ومدين والبعد ضد القرب واستعمل
ههنا بمعنى البعد بفتحتين كالرشد من بعد بالكسر اذا هلك ولقد ارسلنا موسى باياتنا
وسلطان مبين ما اتى به من المعجزة سمي ايات باعتبار الدلالة على صدقه
وسلطانا واضحا باعتبار تسلطه به على الخصم او الايات الاحكام والسلطان براهينها
وقيل السلطان استيلاء محبة على قلب من يراه لقوله والقيت عليك محبة مني لم يره
احد الا احبه وقيل لم ياخذ فشل ولا خوف من اول شانه ولذلك اخذ بلحية فرعون وهو
طفل وقتل القبطي بين اظهر قومه الى فرعون وملايه اشرافه فان العامة اتباع
فاتبعوا امر فرعون بعد ظهور تلك المعجزات ووضوح ذلك السلطان
وما امر فرعون برشيد اي ليس في امره رشد بل ضلال مكشوف اين البشر من
مقام الالوهية لا سيما بشر ظلوم يضرب به الامثال في الغشم واسناد الرشد الى امره
مجاز حكمي يقدم قومه يوم القيمة لانه كان اماما في الكفر فاوردهم النار يوردهم
عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه وبئس الورد المورود الورد الماء الذي
يرده العطشون لتبريد الاكباد واستعارته تهكمية واتبعوا في هذه لعنة يلعنون
الى يوم القيمة لان فرعون وقومه لم يخف قبح صنيعهم على احد ويوم القيمة يلعنهم اهل
المحشر او يطردون الى النار فذاك هو لعن يوم القيمة بئس الرفد المرفود هو العطاء
والاعانة والمعنى بئس العطاء المعطى لعن الدنيا مضافا الى لعن الاخرة او بئس العون المعان
والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم ذلك المذكور من انباء القرى بعض
اخبار القرى المهلكة مبتدا وخبر نقصه عليك قصصنا عليك خبر بعد خبر
منها قائم باق مشاهد وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود استعارة تبعية قائله ابو البقا
والجملة لا محل لها وقيل حال عن ضمير نقصه ولا ضمير فيه ولا واو وما ظلمناهم بما فعلنا
بهم ولكن ظلموا انفسهم اوردوها مورد الهلاك فما اغنت عنهم الهتهم
التي يدعون من دون الله من شئ فما قدرت ان تدفع عنهم من باس الله ادنى شئ
لما جاء امر ربك عذابه ظرف اغنت وما زادوهم غير تتبيب اهلاك من تب
اذا هلك وكذلك اخذ ربك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك اذا اخذ القرى
اي اهلها وهي ظالمة ايقاع الاخذ ونسبة الظلم الى القرى مبالغة في استحقاق
اهلها ذلك اشارة الى ان كل ظالم بصدد ذلك لوجود العلة ان اخذه اليم شديد
شديدا لا يمكن الخلاص منه صفة بعد صفة زيادة تحذير ان في ذلك فيما اخبرنا

عن حال القرى لاية عبرة لمن خاف عذاب الاخرة يستدل بما نزل بهم في الدنيا
على عذاب الاخرة اولمن يقول بالحشر فان من انكر ذلك من الفلاسفة والدهرية لم يتعرفيه ذلك
لاحالة تلك الوقايع على اسباب فلكية ذلك اشارة الى اليوم المدلول عليه بالاخرة يوم مجموع
له الناس للمحاسبة والثواب والعقاب اثر الاسم على الفعل دلالة على ان ذلك الوصف لازم
له لامحالة وخص الناس بالذكر وان كان الجن ايضا يحاسبون فيه لقوله سنفرغ لكم ايها
الثقلان لان الناس هم المقصودون اصالة وذلك يوم مشهود اى مشهور معروف
عظم كقولهم لفلان مجلس مشهود اى يشهده كل احد جعل الشهود كناية عن الشهرة فلا
يحتاج الى تقدير فيه الاليان الاصل ولايجوز ان يجعل اليوم مشهودا كما في قوله فمن شهد
منكم الشهر فليصمه لان ذلك الشهود قد علم من قوله مجموع له الناس وانما المراد التهويل بانه
يوم يشهد فيه الخلايق قاطبة لايغيب عنه ذو حياة كما فصل في سورة كورت وما نؤخره
الا لاجل معدود الا لانتهاء زمان معلوم اجزاؤه في علمنا الشامل يوم يأت اى
الحساب او ذلك اليوم اى شدايده واهواله فلا يلزم كون الشيء ظرفا لنفسه او الله
وبؤيده قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام لا تكلم نفس الا باذنه
هذا في موقف وقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف ولهذا نظاير كقوله فوربك
لنسالنهم اجمعين وقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولاجان وما يقال المأذون قايله القاضي
فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعتذارات الباطلة تكلف بما لا دليل عليه
فمنهم شقي وسعيد الضمير للناس المجموعين او للنفس فانه عام فاما الذين شقوا
ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير ادل صوت الحمار والشهيق
اخره لان الزفير ادخال النفس والشهيق اخراجه شبه صوتهم في الحالين بصوت
الحمار استقباحا لكونه انكر الاصوات والزفير ايضا اغتراق النفس من الشدة فالمراد
بيان شدة حالهم وتراكم كربهم وهذا مشاهد فيمن اصابه شدة وهم تراه له زفرات
متوالية تتبعها شهقات خالدين فيها ما دامت السموات والارض تاكيد للخلود بما
يتعارفه الناس وجرت عادتهم به في التابيد لا يفهمون منه غير ذلك كقولهم ما لاح
كوكب وما اقام ثبير قال امرء القيس واني مقيم ما اقام عسيب او المراد سموات الاخرة
وارضها اذ لا بد لهم من مظل ومقل وما يقال انه تشبيه بما لا يعرفه اكثر الخلق ساقط لان
هذا القدر ضروري عند من يقول بالحشر الا ما شاء ربك استثناء من الخلود لان
عصاة الموحدين الذين يدخلونها خارجون منها فعلى هذا ما بمعنى من او اريد بها الصفة
كقوله والسماء وما بناها تقديره خالدين فيها الا الذين تداركتهم رحمة الرحمن لا استحقاق
منهم وعن الزجاج هو من قبيل لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقوله حتى يلج
الجمل في سم الخياط وقيل سوء لبثهم في البرزخ والموقف فان حال الكافر يقتضي ان
يكون في النار بمجرد فراق روحه ولا يمتنع ان يكون الوصفان قائمين بشخص واحد
باعتبارين هذا والاحسن ان يقال من كان اخره الى الجنة من الموحدين وان دخل النار
لا يطلق عليه اسم الشقي لقوله الشقي من شقي في بطن امه يريد بذلك شقاء الابد لانه
يدخل النار ثم يخرج ولقوله خلقت هؤلاء للنار ولا ابالي والاستثناء باعتبار ايام البرزخ
والموقف فيه خفاء لان الاستثناء من الخلود ظاهر في الاخراج بعد الدخول يدرك بالذوق
السليم وقيل الاستثناء من زفير وشهيق وقيل الا بمعنى سوى والمعنى سوى ما شاء الله
من الزيادة على بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد لا اعتراض عليه ولا
لمية لفعله واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع بل ممتدا الى غير النهاية تاكيد لمعنى

لمعنى الخلود ودفع لما يتوهم من الانقطاع بزوال السموات والارض حملا للكلام على
الظاهر وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على بناء المفعول من سعد متعديا
بمعنى اسعد والفتح اولى لانه اكثر ولازدواجه بما تقدم من المقابل فلا تك في مرية
بعد ما قص عليك من احوال الانبياء واخوال اممهم وما نزل بهم بسبب تكذيب الرسل
وعبادة غير الله تعالى مما يعبد هؤلاء من عبادتهم وبطلانها ما يعبدون الا
كما يعبد اباؤهم من قبل استيناف لتعليل النهي عن المرية يريد ان حال هؤلاء في
الشرك مثل حال ابائهم فينزل بهم مثل ما نزل بابائهم لان التماثل في الاسباب
يستلزم تماثل المسببات وما مصدرية اى كعبادتهم او موصول كالذي كانوا
يعبد وه حذف لفظ كان لدلالة قبل معناه وانا لموفوهم نصيبهم لمعطوهم
حظهم من العذاب وافيا او رزقهم المقدر فيكون اشارة الى سبب تاخير العذاب
مع قيام موجبه يقال اوفى دينه ووفاه اذا لم يبق عليه منه شيء غير منقوص
حال موكدة تقطع وهم التجوز ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه من طايفة
وكفر به اخرى كما اختلفوا في القران ولولا كلمة سبقت من ربك هي كلمة الانظار الى يوم
القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذا من جملة التسلي ايضا وانهم
لفي شك منه من القران مريب موقع في القلق والاضطراب وان كلا التنوين
عوض المضاف اليه اى وان كل المختلفين وقرأ نافع وابن كثير وابو بكر ان مخففا
على الاعمال قال سيبويه سمعت من اثق به من العرب ان عمرا لمنطلق وانشد نظيرا له
كان ثدياه حقان وقيس ذلك على لم يكن شيئا لان الفعل اصل في العمل لما ليوفينهم
ربك اعمالهم اللام موطئة للقسم وما مزيدة للفصل بين الموطئة ولام
القسم في ليوفينهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما مشددا اصله لمن ما فادغمت النون
في الميم ومن قرأ ان مخففا ولما مشددا جعل ان نافية ولما بمعنى الا ونصب كلا بفعل تفسره
ليوفينهم ويجوز ان يكون اللام هي الفارقة في قراءة التخفيف ولام الابتداء في قراءة
التشديد وما زايدة للفصل بين اللامين انه بما يعملون خبير لا يخفى عليه شيء
منها اطنب في الوعد والوعيد واحوال الامم وان الرسل بعد التبليغ لم يزغ احد
منهم عن سنن الصواب ومن امن معهم ثم قال فاستقم كما امرت امر بالاستقامة
كما استقاموا ولشدة الوفاء بحق الاستقامة قال شيبتني هود واضرابها يريد الامر
بالاستقامة وروى الترمذي عن ابن عباس ان ابا بكر سال رسول الله عن سرعة
شيبه فقال شيبتني هود والواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فالظاهر انه
اراد اهوال القيمة لاشتمال هذه السور عليها ومن تاب معك عطف على المستكن
بلا تاكيد لوجود الفاصل ولا تطغوا لا تتجاوزوا عن حد الاستقامة تصريح
بما علم ضمنا انه بما تعملون بصير اشارة الى كمال علمه بخطرات القلوب وهو حسن
الضماير فهي كالمحسوس المشاهد عنده جلاء وظهورا ولا تركنوا الى الذين
ظلموا لا تميلوا ادنى ميل الى من وجد منه ادنى ظلم غاية تحذير فان قرين السوء اشد
اغواء من الشيطان واذا كان الركون الذي هو ميل يسير الى من وجد منه ادنى ظلم محذورا بالاستقامة
فكيف بالميل التام ثم الظلم الكامل ثم الانهماك فيه فتمسكم النار بما يترتب
على الركون اذ قلما يخلو عن نوع مداهنة ومشايعة معهم في هواهم وفي الحديث مثل صاحب
السوء كنافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة وما لكم من دون
الله من اولياء اى دولنا يتولى امركم وينصركم بمنع العذاب الواو للحال ثم لا تنصرون
اى لا ينصركم الله لانه لا ناصر بعد اوليائهم غيره وثم لاستبعاد النصر بعد الايقاظ والتحذير

عن ارتكاب اسباب العذاب وأقم الصلوة عطف على فاستقم كما امرت طرفي
النهار نصب على الظرف وهما الغداة والعشي والمراد صلوة الصبح والظهر والعصر
لان بعد طلوع الفجر الى الزوال غداة ومنه الى الغروب عشية وزلفا من الليل جمع
زلفة كظلم في ظلمة والزلفة القربة والمراد بها صلوة المغرب والعشاء لقربهما من آخر
النهار روى مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله قال الصلوات الخمس كفارات لما
بينهن ما اجتنب الكبائر ولذلك اتبعه بقوله ان الحسنات يذهبن السيئات
تكفرها روى البخاري عن ابن مسعود ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني اصبت من امراة قبلة فسكت رسول الله فلما اقيمت الصلوة قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الصلوة فلما انصرف من الصلوة تعرض فقال رسول الله
الم تصل معنا قال بلى قال ان هذه الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر
ذلك اي المذكور من الاستقامة وما بعده وقيل القرآن ذكرى تذكير وموعظة
للذاكرين للمتذكرين فانهم المنتفعون. واصبر على مشاق ما امرت به من
الاستقامة والانتهاء عما يخل به فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع الظاهر
موضع المضمر اشارة الى علة الحكم الى ان الصلوة والصبر احسان وايماء الى انه لا يعتد
بشيء من الاعمال بدون الاخلاص على ما فسر به الاحسان في الحديث فلولا كان
من القرون من قبلكم اولو بقية لولا بمعنى هلا حرف تحضيض معناها اللوم
على ترك الفعل في الماضي اشار الى ان ما حل بتلك الامم كان لامرين الاخلال بما
هو من اعظم اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع الشهوات
والبقية من بقية الشيء لانها تحفظ وتصان اي فهلا كان اولو ابقاء وصيانة لانفسهم
من سخط الله وعقابه او البقية بمعنى الفضل والجودة فان المنفق يبقي باخراج الردي
يقال زيد من بقايا الناس اي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال
بقايا او من بقيت بمعنى رقبت وانتظرت ومنه حديث ابن عباس في نومه في بيت ميمونة
كرهت ان ترى اني كنت ابقيه والمعنى هلا كان منهم اولو خشية ومراقبة من سخط الله
ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا الاستثناء منقطع وينهون خبر بعد خبر او هو
خبر ومن القرون حال قدمت او ينهون صفة الاستثناء متصل والمعنى لولا كان من القرون
اولو فضل صفتهم وشانهم النهي عن الفساد الا قليلا ممن انجينا منهم واذا جعل
ينهون خبرا فلا يستقيم الاتصال الا على تاويل ان الاسم كالتمهيد للخبر وان الاستثناء
من كل منهما استثناء من الآخر فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا
ولو اجري الكلام على ظاهره في الاتصال وقيل لم يكن في القرون اولو بقية ينهون
الا قليلا يلزم ان يكون فيهم اولو بقية غير ناهين عن الفساد ولا يخفى فساده فان قلت
فما فائدة الاطناب وهلا قيل فلولا كان من القرون اولو بقية الا قليلا قلت فائدة
المبالغة بان اهل الفضل منهم اذا ذموا على ترك النهي فغيرهم اولى واتبع الذين
ظلموا ما اترفوا فيه المقابلون للقليل الناهين عن الفساد والاتراف الاطغاء
من اترفته النعمة اطغته والمعنى اتبعوا الشهوات واغفلوا الطاعات عطف على ما دل
عليه الكلام اي الا قليلا نهوا عن الفساد او الواو للحال والمعنى انجينا القليل وقد
اتبع الذين ظلموا جزاء اترافهم وهو عذاب الاستئصال وكانوا مجرمين
عطف على اترفوا اي اتبعوا الشهوات وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات غريق
في الآثام او اعتراض يؤكد ظلمهم وكان ولفظ القوم اشارة الى انهماكهم وتمرنهم
في الاجرام وما قيل من ان المراد بالاجرام اغفالهم للشكر عائد الى الوجهين وما كان

وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بغير ذنب لا لانه لو اهلكهم لكان ظلما بل
على عمهم كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة وقوله وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون وقيل بظلم بشرك واهلها مصلحون اي فيما بينهم من معاملة الناس
وحقوق العباد فان حق الله مبناه على المسامحة ولم يهلك الله قوما على الشرك فقط وفيه
ان عذاب الاستئصال قد رتب على مجرد التكذيب كما في قصص هود وصالح وقوله و
قطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وكانوا مجرمين ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة اي متفقة على الاسلام لقوله ولو شاء لهداكم اجمعين ولا يزالون
مختلفين في امر الدين الا من رحم ربك بان خلق فيه التوفيق والهداية
ولذلك خلقهم للهداية والتوفيق فالضمير لمن او للاختلاف وفي الآية دليل على
ان الامر لا يستلزم الارادة وان الله لم يرد ايمان الكافر وتمت كلمة ربك
اي قضاؤه وارادته قراءة بالافراد ابو عمرو وابن كثير والكوفيون لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاة الطائفتين لاستوائهما في
التكليف تريد الامتلاء بعد الانزواء فلا ينافيه ما رواه البخاري لا تزال تقول هل من
مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فتزوي وتقول قط قط وعزتك قط قط وكلا نقص
عليك من انباء الرسل اي كل نبا ما نثبت به فؤادك بدل من كلا او كل
اقتصاص نقص عليك على انه مصدر وما نثبت به مفعول به ويجوز ان يكون كلا نصبا
على الحال من ما او من الهاء اذ يجوز تقديم الحال على ذي الحال المجرور والمعنى ان تلك الوقائع
ايرادها باساليب مختلفة تثبيت لك على اداء الرسالة ولاحتمال الاذى تاسيا بمن
قبلك من الرسل وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة او في الانباء المقصوصة
فيها ما هو الحق لا كما يقوله اهل الكتاب من خلطه بالباطل وايراد الاخبار لا على وجهها
وموعظة وذكرى للمؤمنين الى آخر التدبر اشارة الى الفائدة العامة وقل
للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم او تمكنكم وقرا ابو بكر بالجمع
انا عاملون كذلك وانتظروا بنا من الدوائر انا منتظرون ان ينزل
بكم ما نزل بالمكذبين امثالكم ولله غيب السموات والارض هو يعلم وقت
ذلك والحكمة في تاخيره واليه يرجع الامر كله لا شريك له في ذلك وقرا نافع
وحفص على بناء المفعول لانه متعد مصدره الرجع وهو الاكثر المختار فاعبده استمر على عبادته
او امر لكل احد وتوكل عليه في مجامع الامور بعد علمك بتفرده بالامر وما
ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيه تغليب الخطاب وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو
بكر عن عاصم وحمزة والكسائي بالغيب والضمير للذين لا يؤمنون والخطاب ابلغ
سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشر آيات بسم الله الرحمن الرحيم
الر تلك آيات الكتاب المبين تقدم الكلام على الحروف في اوائل السور وان القول
المنصور هو القول بكونها اسماء السور فقوله تلك اشارة الى مدلول الر وهي السورة
واختيار تلك لقصد التعظيم كذلك الكتاب والمعنى هذه السورة المشار اليها بعض الكتاب
المعجز الواضح اعجازه قالت اليهود للمشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى
مصر وعن قصة يوسف عليهما السلام فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا
عربيا الاول حال موطئة والثاني هو الحال او كل منهما حال لان الاول مصدر
بمعنى المفعول وجعله حالا من الضمير في المصدر ضعيف لعلكم تعقلون
ارادة ان تفهموا معانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت
آياته او تستعملون عقولكم لتعلموا انه ليس من جنس كلام البشر لانه اتى باحسن

دكن القاضي
لان المصدر وان كان بمعنى المفعول لا يضمر فيه منه

القصص من لم يتعلم ولم يدارس **نحن نقص عليك احسن القصص** احسن الاقتصاص
مصدر كالطلب من قص الاثر اذا اتبعه لان راوى الحديث يتبع ما سمعه لا يتخطاه كما ان القارى
يتبع ما يليه لانه يتلو ويتبع اية بعد اية فالمقصود محذوف وهو الوحى لدلالة اوحينا عليه
ويجوز ان يكون بمعنى المقصوص كالنبا بمعنى المنبى به وان يكون من تسمية المصدر بالمفعول
كالخلق وكونه احسن القصص لكونه مقصوصا على ابدع طريقة واعجب اسلوب فمن يتبع
التواريخ والقصص عرف انه لم يقاربه احد فى سلاسة الالفاظ وعذوبة المعانى او
لاشتماله على العبر والنكت وسير الملوك والعلما والصبر على الاذى والعفو بعد الاقتدار
بما اوحينا اليك بايحائنا **هذا القرآن** اى السورة لانه يطلق على البعض كما يطلق
على الكل قيل يجوز ان يكون مفعول نقص ان جعل احسن القصص مصدرا ويكون
مفعول اوحينا محذوفا وليس بقوى لان اعمال الثانى فى التنازع اولى كما فى قوله
اتونى افرغ عليه قطرا ولان ايقاع الايحاء على القرآن فيه من الفخامة ما ليس فى ايقاع
الاقتصاص **وان كنت من قبله لمن الغافلين** عنه لم تقرع سمعك ولا خطر
ببالك يقال ارض غفل لا منار بها ذكره زيادة امتنان عليه واشارة الى فضيلة
العلم وان هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة **اذ قال يوسف** منصوب
باذكر او بدل اشتمال اذا كان القصص بمعنى المقصوص لا مصدرا للانفصال على
رسول الله لا يشتمل على زمان قول يوسف **لابيه** هو يعقوب بن اسحق بن ابرهيم خليل
الله روى البخارى عن ابى هريرة انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اكرم الناس
فقال يوسف نبى الله بن نبى الله بن نبى الله بن نبى الله الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وليس فى الانبيا من له ابا متوالية
كل منهم رسول من عند الله غيره وهو اسم عبرانى ولذلك منع الصرف واشتقاقه
من الاسف بعيد لان القراءة بضم السين فلا يصح ان يكون مضارعا **يا ابت**
بكسر التا لانها عوض عن ياء الاضافة التى الاصل فيها الكسر وفتحها ابن عامر لان
اليا لما حذفت عوض عنها الالف ثم ابدل الالف يا مفتوحة لتدل الفتحة على
الالف وعن المازنى ان اصله ابتا على حد قوله يا ابتا علك او عساكا فيكون الحرفان
عوضا عن حرف ولا يمنع ذلك احد وحصل التا بالعوض عن اليا لاشتراكهما فى
علامة التانيث كما فى هادى وهاتى واتفق المصاحف على كتابتها بالتاء ووقف
واختلف السبعة فى الوقف عليها فابن كثير وابن عامر وقفا بالهاء مخالفا لصورة
الرسم وهى لغة قريش والباقون بالتا رعاية للرسم وجريا فى الوقف على
طريق الوصل **انى رايت** من الرويا لا من روية العين بدليل قوله لا تقصص رؤياك
وقوله هذا تاويل رؤياى من قبل **احد عشر كوكبا والشمس والقمر** الشمس
كانت مثال امه والقمر مثال ابيه والكواكب اخوته فانهم كانوا احد عشر رجلا
ولذلك لما سجد له ابواه واخوته قال هذا تاويل رؤياى من قبل قد جعلها
ربى حقا **رايتهم لى ساجدين** جواب سوال مقدر كانه قيل كيف رايتهم
والجمع بالواو والنون لاجرائها مجرى العقلاء لكون السجود من افعالهم **قال يا بنى**
تصغير ابن صغرا او لانه كان صغير السن قيل كان عمره ثنتى عشرة سنة وقراءة حفص
بفتح اليا لان المصغر اضيف الى ياء المتكلم حال النداء فقلبت اليا الفا كما فى يا
غلاما ثم حذفت وبقى الفتحة للدلالة عليها والباقون بكسر اليا ليدل على حذف
ياء المتكلم **لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا** كان اثر النجابة لا
يحا على جمال الفايق ونور النبوة وبهجة الملك رايقا على وجهه المبارك وكان

بكره فى الكتب

وكان يعقوب عالما بما وقع لهابيل مع قابيل من شوم الحسد خاف عليه من حسد
اخوته والرؤيا كالرؤية الا انها مختصة بالمنام وليس لذلك سبب سوى تعلق مشية
تعالى بخلق ذلك فى قلب النايم كما يخلق الروية فى حالة اليقظة والقول بانطباع الصورة
المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما يكون باتصال النفس
بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور
بما فيها مما يليق من المعانى الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها
الى الحس المشترك فتصير مشاهدة قول بما لم يدل عليه دليل شرعى ولا عقلى فلا يليق
ان يفسر كلامه تعالى وانما لم يقل فيكيدوك كما قال فكيدون لتضمنه معنى الاحتيال
ليكون اكد وابلغ فى التخويف ولذلك اكده بالمصدر **ان الشيطان للانسان
عدو مبين** ظاهر العداوة دفع لتوهم استبعاد كيدهم وهم اخوته واولاد
الانبياء المصطفين **وكذلك يجتبيك ربك** اى كما اكرمك بهذه الرؤيا
فى الصغر يكرمك بالرسالة فى الكبر وعلم ذلك باعلام الله او اخذه من الرؤيا
لما روى البخارى انها جزء من النبوة وكان رسول الله يفسر الرؤيا ويقع على وفق
تاويله والاجتباء افتعال من جبيت الشىء اذا حصلته لنفسك **ويعلمك من
تاويل الاحاديث** من تمام التشبيه كانه قال كما خصك بالرؤيا فى الصغر يعلمك تاويلها
فى الكبر او كلام مبتدا كانه قيل وهو يعلمك والتاويل من الاول وهو الرجوع و
المراد به رد الشىء الى غايته علما كقوله وما يعلم تاويله الا الله وفعلا كقوله والملوك
قبل يوم البين تاويل ومنه الايالة وهى السياسة والنظر فى عواقب الامور والاحا
ديث اسم جمع للحديث والمراد احاديث النفس فى المنام وتاويلها تعبيرها وكان
يوسف صلوات الله عليه اعبر الناس للرؤيا واصدق لهجة واشد فراسة ولذلك
قال لصاحبى السجن لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما وقيل
اراد معانى كتب الله تعالى وسنن الانبياء وما اشتبه على الناس من امر الدين وسميت
احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله الا ترى الى قوله فباى حديث بعده يؤ
منون الله نزل احسن الحديث **ويتم نعمته عليك** بالنبوة او باتصال
نعم الدنيا بالاخرة **وعلى ال يعقوب** بنيه استدل على ذلك بضوء الكواكب
كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق باصطفائهما بالرسالة وقيل
بانجاء الخليل من النار واسحق من الذبح ولم يذكر نفسه وان كان مرسلا مكرما
مضمنا لنفسه **ان ربك عليم** كامل العلم بالاشياء **حكيم** يختار من يشاء
بحكمته **لقد كان فى يوسف واخوته** اى فى شانهم وقصتهم **ايات للسائلين**
ودلايل على كمال قدرة الله تعالى او دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم لانه اتى
باحسن القصص من غير تعلم ولا مخالطة اهل كتاب وقرا ابن كثير اية على ارادة
الجنس **اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا** اراد وا باخيه بنيامين كان هو
ويوسف من راحيل تزوجها بعد موت ليا بنت خال يعقوب وكانت ام سبعة
من بنيه وثلثة منهم كانوا من سريتين تسمى احديهما زلفة والاخرى بلهة وانما افرد احب
وان اريد به المثنى لان افعل التفضيل اذا استعمل بمن لا يثنى ولا يجمع بخلاف
المحلى باللام والمضاف فان الفرق واجبة فى الاول جايزة فى الثانى **ونحن عصبة**
والحال انا جماعة اقوياء وهما صغيران لا كفاية لهما فى امر والعصبة من الرجال
ما فوق العشرة الى الاربعين من العصب وهو الشد والاحاطة **ان ابانا لفى
ضلال مبين** واضح لايثاره ما لا نفع فيه ولا كفاية على من هو ظاهر الكفاية

والنفع اقتلوا يوسف قول بعضهم عند التشاور او اطرحوه ارضا من
الاراضي البعيدة عن العمران ولنكارتها نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه
ابيكم يخلص لكم لعدم بقاء من يشغله قلبه وذكر الوجه لتصويرا قباله عليهم فان الشخص
اذا اقبل على الشئ اقبل بوجهه وقيل الوجه كناية عن الذات ادغم ابو عمرو في رواية
واظهر في اخرى اما لضعف الكلمة والخفة بالحذف واما لان المحذوف كالموجود
وتكونوا من بعده من بعد يوسف او قتله لتقدم اقتلوا كقوله اعدلوا هو اقرب
للتقوى قوما صالحين بالتوبة او لعدم بقاء من يصلح لسواكم او يصلح ما بينكم
وبين ابيكم بعذر تمهدونه كقولهم اكل الذئب او يصلح وينتظم امر دنياكم بالظفر بعد وكم
وتكونوا مجزوم عطفا على يخل لكم او نصب باضمار ان والواو بمعنى مع قال قائل منهم
هو يهودا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم بعيسر النجاة من
تبعته والقوه في غيابت الجب غيابة الشئ ما يستر مظروفه اراد به قعر الجب وغوره
والجب البئر قبل ان تطوى من الجب وهو القطع وقرء نافع غيابات هنا والذي بعده
بصيغة الجمع لحمل الجب على الجنس كانه قال في بعض غيابات الجب او المبالغة كقول
امرئ القيس يزل الغلام الخف عن صهواته يلتقطه بعض السيارة ياخذه
بعض السائرين كما يلتقط الصبي المنبوذ ان كنتم فاعلين ما عزمتم عليه من
التفريق بينه وبين ابيه او ان كنتم فاعلين ما اشرت به قالوا يا ابانا ما لك لا
تامنا على يوسف قالوا ذلك عند التصميم على الكيد به وكانه كان يحس منهم
ان علامات البغض لا يخفى قد بدت البغضاء من افواههم قرء السبعة لا تا
منا باظهار النون الاولى واختلاس حركتها وبعض النقل كابن مجاهد نقل عن السبعة ادغام
النون الاولى في الثانية والاشمام ووجه الاختلاس ثقل الضم فخففت به ويوافق الرسم
تقديرا والاختلاس هو الاتيان باكثر الحركة بخلاف الروم فانه الاتيان باقلها والحكم
في ذلك ان حال الوقف تستدعي زيادة الخفة ولهذا كان الاصل فيه السكون
ووجه الادغام والاشمام تخفيف ثقل المثلين والاشارة الى حركة المدغم وهو المختار لحصول
كمال الخفة مع موافقة صريح الرسم وانا له لناصحون والحال انا لنا نقص الاعتماد و
الوثوق اكد والكلام لظهور مخايل الانكار ارسله معنا غدا بعد ان علمت
منا النصح يرتع ويلعب يتمتع بالفواكه ونلهو بالاستباق والانتضال وساير انواع
اللعب واصل الرتع اكل الحيوان ما شاء من غير مانع ومزاحم قرء نافع والكوفيون بالياء
في الفعلين والكوفيون وابو عمرو وابن عامر بسكون العين في يرتع ووجه الياء اسناد
الفعل الى ضمير يوسف والنون اسناده الى ضمير الاخوة ووجه اسكان العين وقوعه
جواب الامر وكسرها كونها مضارع ارتعى والمختار الياء لكونه ادعى الى الارسال و
الكف ليتم سروره باللعب ونفع ماشيته لان ارتعى معناه رعى المواشي وانما جاز منهم
اللعب لسبق النبوة او كان بعضهم الاستباق والنضال وهما من ادوات الجهاد التي يثاب على مزاولته
وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به كان شديد
الحب له ولم يكن معتادا بفراقه واخاف ان ياكله الذئب كانت ارض كنعان مذابة
وقيل كان قد راى في المنام ان ذئبا قد شد عليه وكان ذلك تعليما لهم لبعيد روايته
وفي المثل البلاء موكل بالمنطق قرء السوسي وورش والكسائي بابدال الهمزة ياء تخفيفا
عن القران كل حرف متحرك انقل من ساكن الا الهمزة فان الامر فيها بالعكس وقد اشرنا الى
ذلك في كتاب العقدي في حواشي الجعبري وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالاستباق
قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة استبعدوا ذلك لوجود المانع انا اذا لخا

اذا لخاسرون جواب القسم واللام في لئن موطئة والمعنى ان لم نقدر على حفظ واحد
منا فنحن خاسرون مواشينا لكثرتها وتفرقها او نحن احقاء بان يدعى علينا بالخسار فلما ذهبوا به
واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب والبئر على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وهي بئر معروفة
بجب يوسف لا يخالف فيها احد وما قيل انها بئر بيت المقدس او بئر مصر او بارض الاردن لا اصل
له كيف وقد جاؤا عشاء يبكون وجواب لما محذوف لا يحاشه السامع او لطوله اي فعلوا به ما فعلوا
روي انهم لما برزوا به الى الصحراء شرعوا في ضربه واهانته وقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر
كوكبا بسجد والك وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا
ان يقتلوه فقال يهودا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في البئر نزعوا عنه
قميصه فقال يا اخوتي قميصي اتوارى به فلم يردوه وكان غرضهم ان يلطخوه بالدم ليحتالوا
على ابيهم فلما دلوه الى نصف البئر القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط في الماء فاوى
الى صخرة فقام عليها وكان جده ابرهيم حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبرئيل
بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله
يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاء جبرئيل فشقها واخرج القميص والبسه اياه واوحينا
اليه اوحي اليه هذا القول لتنبئنهم بامرهم هذا وهذا كما اوحي الى ام
موسى مع الاجماع على ان النبوة من خواص الرجال وقيل اوحي اليه بالنبوة في الصغر كيحيى
وعيسى والحق ما في الحديث لا نبوة قبل اربعين سنة واتيناه الحكم صبيا مفسر بفهم التورية
وعلم الشرايع وهم لا يشعرون انك ذلك الصبي الملقى في الجب لعلو شانك وعلو
سلطانك ولان طول العهد يغير الحلية ويبدل الشكل وكان في ذلك الايحاء البشارة
بنجاة ليتسلى بذلك ويدفع بذلك الامل وحشة الانفراد وقيل لما وردوا عليه ممتارين
دعا بالصواع ووضعه بين يديه وضربه حتى طن ثم قال اخبرني انه كان لكم اخ اسمه يوسف
وكان احب الى ابيكم فالقيتموه في الجب وقلتم اكله الذئب ثم بعتموه بثمن بخس ويحتمل
ان يتعلق بقوله واوحينا على معنى انساه بالوحي الذي لا مفروح به اعظم منه وهم لا يشعرون
بذلك ويحسبون انه في وحشة وشدة وجاؤا اباهم عشاء يبكون متباكين
قال لهم ما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او في
الرمي وقيل الاستباق النضال وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما
انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وان كنا من اهل الصدق والامانة لشدة حبك اياه و
صنعوا لو مكان ان اشارة الى ان تصديقهم كالمستحيل عنده وجاؤا على قميصه بدم
كذب ذي كذب او وصف بالمصدر كرجل عدل وهذا هو الوجه لما روي انه اخذ قميصه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بالدم وقال ما رايت كاليوم ذئبا اكل ابني ولم يمزق
قميصه وعلى قميصه نصب على الظرف اي فوق قميصه وهو في الاصل صفة دم قدم للاهتمام
قال بل سولت لكم انفسكم امرا زينته لكم واصل واصل التسول الاسترخاء يقال سحاب
اسول اي مسترخ وانما علم ذلك بالوحي او بامارة وهي سلامة القميص او بما كان
يعرفه من امارات الحسد منهم فصبر جميل اي امري صبر جميل وفي الحديث ان الصبر
الجميل هو الذي لا شكوى فيه الى الخلق ولذلك قال انما اشكو بثي وحزني الى الله قيل
سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان و
كثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب تشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي
والله المستعان على ما تصفون اتى بالموصول اشارة الى عظم الامر كقوله فغشيهم
من اليم ما غشيهم وجاءت سيارة قافلة سميت سيارة لجدها في السير قيل جاؤا بعد
ثلث ايام من قتل مدين يسيرون الى مصر فاخطاؤا الطريق فنزلوا قريبا من الجب فارسلوا

فائدة القاضي

وَارِدَهُمْ رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي
يرد الماء ليستقي للقوم فادلى دلوه القاه في الجب فتدلى يوسف فلما رآه قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا
غُلَامٌ نادى كانه قال تعالى هذا اوانك قراء الكوفيون بدون الاضافة واما الف
حمزة والكسائي وكذا ابو عمرو في وجه صلاه في وجه كاملا وفي وجه مثل عاصم وَأَسَرُّوهُ
الضمير لاخوة يوسف كانوا يترصدونه فلما اخرج قالوا كان غلاما لنا قد ابق فاشتروه
منا فسكت يوسف خوفا من القتل او لامر اراده الله اوالوارد واصحابه اخفوه من
الرفقة وقالوا دفعه الينا اهل الماء لنبيع لهم بمصر بِضَاعَةً حال من المفعول اي
اخفوه حال كونه متاعا للتجارة من البضع وهو القطع لانها المال المقطوع للتجارة
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ بما عملوا اشارة الى عظم ما ارتكبوه وَشَرَوْهُ باعوه من
الاضداد يستعمل في البيع والشري بِثَمَنٍ بَخْسٍ ناقص دَرَاهِمَ لا دنانير مَعْدُودَةٍ
تعد عدا ولا توزن قيل كانوا لا يوزنون الا ما بلغ الاوقية وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ
غير راغبين الزهد خلاف الرغبة زهد فيه وعنه بمعنى الضمير في كانوا ان كان
لاخوة يوسف فظاهر وان كان للرفقة الواجدين انما كانوا زاهدين فيه لانهم
التقطوه والملتقط للشيء غير مبال به لانه لم يتعب في تحصيله ولانه يعرضه ان يظهر له
مستحق ينزعه فان قلت كيف استقام من اخوة يوسف ارتكاب هذه العظايم وهم
اولاد يعقوب نبي الله وذرية ابرهيم خليل الله قلت لم يثبت نبوتهم كان ولو
ثبت نبوتهم كان ذلك قبل النبوة وقد نطق اخر السورة بتوبتهم وَقَالَ الَّذِي
اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ بعد ان باعه اخوته او الرفقة وذهب المشتري الى مصر رفعه
الى السوق فوقع عليه الرغبات حتى اشتراه قطفير وهو العزيز الذي كان على
خزاين مصر بوزنه مرات دراهم ودنانير ان كنت عندك يا مولاي مطرحا فعند
غيرك محمول على الحدق وكان فرعون مصر اذ ذاك ريان بن الوليد وكان ليوسف
يومئذ من العمر سبع عشرة سنة ونقل موسى تابوته الى حرم الخليل حين خرج فارا من
فرعون ومعه بنو اسرائيل وقصة اخراج تابوته من النيل مشهورة لِامْرَأَتِهِ المشهور
اسمها زليخا وقيل راعيل أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا بان يقوم على اموالنا
والمثوى المقام أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا نتبناه فانه كان عقيما وتفرس فيه اثار الرشد
والكفاية وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ كما مكنا له الود والمحبة في قلوب الناس
مكنا له في الارض وايتيناه الملك وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ كان ذلك
الانجاء والتمكين وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ولذلك بلغ شان يوسف ما بلغ وبطل
عنه كيد اخوته وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ذلك ولا يتاملون في دقايق صنعه
وخفايا لطفه وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ هو ثماني عشرة سنة وقيل عشرون سنة وقيل
اربعون وقيل انتهاه ثلثون وستون سنة لفظ مفرد كانك لا ثالث لهما
وقيل جمع لا مفرد له كابابيل وعن سيبويه ان مفرده شدة يقال بلغ الغلام شده
آتَيْنَاهُ حُكْمًا بين الناس وملكا لقوله اتيتني من الملك او نبوة فانها سبب الحكم
وَعِلْمًا مخصوصا به وهو علم تاويل الاحاديث وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وكما جزينا
يوسف نجزي ساير المحسنين تنبيه على ان ما ناله من الكرامة كان جزاء لحسن عمله
وابقائه في عنفوان شبابه وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ المراودة مفاعلة
من راد يرود رجاء وذهب مجاز عن ارادة موافقته اياها وخداعها والاحتيال في اسباب
ذلك واتى بالموصول سترا عليها لان ذكرها صريحا مستهجن ولان الموصول ادل على
كمال التقوى يوسف وطهارة ذيله لانه اذا كان في بيتها متعودا من الخدم فهي

فهي متمكنة منه غاية التمكن فاذا لم تنل منه مارامته كان ذلك لكونه ثابت القدم في باب
التقوى وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ كانت سبعة ولذلك اتى بصيغة التفعيل الدال على التكثير وَ
قَالَتْ هَيْتَ لَكَ اسم فعل من هيت اذا اصلح ومعناه تعال قراءة ابو عمرو والكوفيون
بفتح الهاء والتاء وياء ساكنة وقراءة نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان بكسر الهاء
وفي رواية هشام بهمزة مكان الياء وله في التاء وجهان الفتح والضم ووافقه ابن كثير
في الضم الا انه فتح الهاء ولم يهمز ومن ضم التاء جعله ماضيا من هاء يهيء والياء ضمير المتكلم
واللام صلة له وفي الاول للتبيين كانه قال الخطاب لك قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ منصوب
على المصدر اي اعوذ بالله معاذا إِنَّهُ الشان رَبِّي سيدي أَحْسَنَ مَثْوَايَ كيف
اخونه في اهله واجازي احسانه بالاساءة وقيل الضمير لله اي كيف اعصي مولاي المحسن
المنفصل إِنَّهُ الشان لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ومن يجازي الحسنة بالسيئة ظالم وَلَقَدْ هَمَّتْ
بِهِ وَهَمَّ بِهَا قصدت مخالطته بعد ان غلقت الابواب وهيات الاسباب وحصل الميل المركوز
في طبع الرجال فاستمرت على ذلك الهم وصممت العزم وكف هو النفس الزكية عن مقتضى ذلك
الميل على الفور كما هو شان ارباب التقوى ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة فهمه
صلوات الله عليه من هذا القبيل ومن قال الهم هو القصد والعزم ثم قال المراد ميل
الطبع وذلك لا يدخل تحت التكليف فقد ناقض قوله والتحقيق في هذا المقام ان حديث
النفس منه ما ليس خطوره اختياريا ولا يصدق عليه اسم العزم فذلك غير مواخذ به في
ملة من الملل ومنه ما يكون معه وما عليه وليس معه فعل ولا تصميم فذلك ان كان مما لحسنة
يكتب حسنة وان كان بما يسيئة فلا يكتب سيئة ما لم تقم وهذا من خواص هذه الامة تجاوز
الله عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم تتكلم او تعمل فان قلت هذا الحديث دل على ان التصميم
ايضا غير مواخذ به لانه جعل الغاية التكلم او الفعل قلت من قبيل المفهوم وقوله في شان
المقتول انه كان حريصا على قتل صاحبه منطوق فلا يعارضه لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ
الدليل القاطع على حرمة الزنا في جميع الملل وحرمة مجازاة الاحسان بالاساءة وكان عالما
باحكام الشرع لقوله واتبعت ملة اباي ابرهيم واسحق وقيل مثل له يعقوب عاضا على
اصبعه وقيل ناداه جبرئيل وليس بشيء نقلا ولهم سوى هذا هنات وخرافات
لا يحل ذكرها وجواب لولا محذوف اي لخالطها ولا يجوز ان يكون المذكور قبل
جوابا لان لولا في حكم الشرط كَذَلِكَ الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك
التثبيت ثبتناه او مرفوع اي الامر كذلك لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وهو الخيانة
وَالْفَحْشَاءَ الزنا إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ المصطفين للرسالة قراءة نافع والكوفيون
بفتح اللام والمختار الفتح لتوقف معنى الكسر عليه اذ لا يكون مخلصا الا بعد كونه مخلصا
وَاسْتَبَقَا الْبَابَ يوسف هاربا وهي طالبة فحذف الجار او الفعل ضمن معنى الابتدار
وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ شقه من ورائه من شدة الجذب وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى
الْبَابِ تصادفا زوجها على الباب جالسا على عادة الاكابر وسمي الزوج سيدا لانه مالك
نفسها قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ارادت
التبري واوهمت انها الفارة منه وما اما نافية او استفهامية وانما لم تذكر اسمه قصدا الى
المبالغة بان من كان بهذه الصفة يستحق ذلك العقاب يوسف او اكبر منه قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي
عَنْ نَفْسِي دفع بذلك وصمة الخيانة لانه خاف من السجن او العذاب ولهذا لما اراد
الملك اخراجه من السجن لم يخرج حتى امر الملك باستكشاف حال ذوي التجادي
ان رسول الله قال لو كنت مكان يوسف لاجبت الداعي اراد الثناء عليه بكمال صبره
وانه ثبت في ضيق السجن حتى ظهرت براءة ساحته وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا

صبي كان هناك وفي الحديث تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وصاحب جريج وشاهد يوسف وعيسى بن مريم وليس فيه ما يدل على الحصر فان ابن صاحبة الاخدود تكلم ايضا وغيره وكان هذا الكلام من الطفل ارهاصا لنبوة يوسف ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانها تدل على انها دفعته عن نفسها حين اقبل عليها او انه جرى خلفها فتعثر في قميصه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه هرب منها فجذبته من ورائه وقدم ما يدل على صدقها لانها كانت مدعية فقدم حجتها فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن الخطاب لها ولتوابعها او لساير النساء تغليبا ان كيدكن عظيم لدقة مسلكه واليه اشار رسول الله بقوله ما رايت اذهب للب الرجل الحازم من احدكن وعن مالك بن دينار اني اخاف من شيطان الانس اكثر مما اخاف من شيطان الجن وذلك لان شيطان الجن يوسوس وشيطان الانس يواجه لا سيما النساء فان جبلة الرجال على الميل اليهن عن علي بن ابي طالب لو كانت الدنيا ذهبا وعشت فيها دهرا لم اخف على نفسي منها ولا آمن على نفسي ان ابيت ليلة مع عجوز يوسف اعرض عن هذا الحديث واجعله نسيا منسيا واستغفري لذنبك لم ينادها كما نادى يوسف لشدة موجدته عليها انك كنت من الخاطئين المتعمدين للذنب من خطئ بالكسر خطأ وخطاء وفيه تغليب الذكور كأنها اراد المبالغة لان صنف الرجال اكمل وقال نسوة قيل كن خمسا امرأة الساقي والسجان والخباز وصاحب الدواب وامرأة الحاجب اسم جمع ليس له مفرد من لفظه وتأنيث الجموع واسمائها غير حقيقي ولذلك لم يلحق الهاء في المدينة ظرف لقال او صفة نسوة يريد مصر فالعهد خارجي امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه تريد مواقعة عبدها اياها قلن ذلك غيرة وتقبيحا لشأنها ولذلك اضافوها الى بعلها ليشتد الامر ويتضح الانكار والعزيز في مصر هو الوزير والفتى لغة هو الشاب وفي العرف هو العبد وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي وامتي كلكم عباد الله واماؤه وليقل فتاي وفتاتي قد شغفها حبا شق شغافها والشغاف غلاف القلب اصل التركيب قد شغفها حبه فاوقع الفاعل تمييزا مبالغة انا لنراها في ضلال مبين واضح لا ستره فيه لانها زوجة الملك وكيف رضيت ان تكون عاشقة الغلام فلما سمعت بمكرهن سمعت مقالتهن سماها مكرا على التشبيه لان الاغتياب يكون خفية كما يكون المكر والخديعة كذلك وقيل كانت اسرت اليهن واستكتمتهن فافشينه عليها وقيل لم يكن قولهن الا لكونهن مفتونات بحبه فاردن بذلك انقطاعها ليجلو لهن وجه يوسف ويرده الى الاشتياق ارسلت اليهن تدعوهن الى الاجتماع واعتدت لهن متكأ ما يتكأ عليه من النمارق والطنافس واتت كل واحدة منهن سكينا قصدت بذلك افتضاحهن لانها كانت تعلم ان جمال يوسف اذا ظهر يسلب عقولهن وادهشن فيه اذا رأى الخناجر بهت ويظنن انهن قاصدات فيدعن لها وقيل متكأ مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون اذا جلسوا للتناول ترفها وعن مجاهد متكأ طعاما يحز كان المعنى متعمدا بالسكين لان القاطع يتكأ على المقطوع وقيل هو الزماورد وهو الرقاق الملفوف المحشو باللحم وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه استعظمنه لفائق جماله قيل كان يرى تلألؤ وجهه على الحيطان وقيل اكبرن حضن من شدة الشبق من قول اكبرت المرأة اذا حاضت والهاء للمصدر او ليوسف على حذف اللام روى البخاري ان رسول الله قال رايته فاذا هو قد اعطي شطر الجمال الحق الله واستر ذا الجمال برقع فان تحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن من فرط الدهش وقلن حاش لله معاذ الله كلمة البراءة والتنزيه قيل حرف جر استعمل مصدرا واستدل

واستدل عليه بما قرئ به منونا واليه ذهب سيبويه واستدل ايضا على حرفيتها بعدم وقوعها صلة الموصول وعن المبرد انها فعل واستدل عليه بقول النابغة وما احاشي من الاقوام من احد ولانه يقال حاشا لزيد وحرف الجر لا يدخل على مثله واصل الكلمة حاشا بالالف وبه قرأ ابو عمرو في الوصل والباقون بحذفه وهي لغة الحجاز وعليه رسم المصاحف ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود من البشر ونصب الخبر بما لغة الحجاز الحاقا لها بليس لكونها لنفي الحال مثله ان هذا الا ملك كريم لانه لم يعهد مثله في الجمال بشر وقد تقرر في النفوس جمال الملائكة ولذلك يشبه بها الصور الحسان كما يشبه بالشيطان الصورة القبيحة ولا دلالة في هذا على فضل الملك عند الله قالت فذلكن الذي لمتنني فيه باحت بسرها لما رأت المساعدة دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى فاذا طعمت فعند ذلك عنفي واشارت بما وضع للبعيد لعلو شانه وبعد مقامه عن الصعود ولقد راودته عن نفسه فاستعصم اقرت بما وقع لها مع علمها بان لا لوم ولا عذل منهن والاستعصام المبالغة في التحفظ ولئن لم يفعل ما آمره الضمير للموصول بحذف الجار كما في قوله امرتك الخير لا ليوسف لان الكلام في المامور به لا المامور لتعينه وجعل ما مصدرية اي موجب امري مع تكلف عائد الى الاول ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاذلاء من صغر بالكسر يصغر صغارا والنون المؤكدة في ليكونن رسمت الفا اما اجراء للوصل مجرى الوقف او حملا على التنوين بجامع ان كلا منهما نون ساكنة وقعت طرفا بعد فتحة قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه اسند الدعوة اليهن كانهن قلن اطع مولاتك واياك والصغار والسجن فالتجاء الى مولاه واثر السجن لملاحظة رضاه فان المشاق تضمحل في جنبها ولذلك ترى اهل الصلاح يتلذذون بالعبادات وقيام الليل اكثر مما يتلذذون بالمآكل والمعازف والنوم على الحرير والا تصرف عني كيدهن حيلهن وخداعهن اصب اليهن امل اليهن من الصبوة وفي المثل لكل جواد كبوة ولكل حكيم صبوة ولكل صارم نبوة واكن من الجاهلين بعضا منهم معدودا من الجهال الذين لا يعلمون عظمة الله ولذلك قيل من عرف الله لم يعصه فاستجاب له ربه اجابه الى سؤاله وهو الدخول في السجن والنجاة من كيدهن قيل انما ابتلي بالسجن حيث اختاره لو سأل الله العافية لنجا من كيدهن مع عدم دخوله السجن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم ارزقني الصبر فقال سألت البلاء فاسأل الله العافية فصرف عنه كيدهن بان عصمه عن ارتكاب المعصية انه هو السميع لمن دعاه العليم بمن يصلح للاجابة وعنه صلى الله عليه رب اشعث اغبر يطيل السفر يرفع يديه يقول اللهم ومأكله حرام ومطعمه حرام وغذي بالحرام انى يستجاب له ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ظهر لهم للعزيز ومن في داره من الخدم وامرأته ليسجننه حتى حين الى زمان ثم ينظر في امره وكان العزيز نسي شهادة الطفل واللواتي قطعن ايديهن كلا لم ينس لكن كان مطواعا لها على عادة ملوك مصر وقد نقل الجمهور انه كان عينا هذا وقصد امرأة العزيز انه اذا لبث في السجن برهة من الزمان يختار رضاها ويترك اللجاج والتورع فانه صبي لا يقدر على تحمل ضيق السجن وهي تظهر انه حبس لانه مجرم وهذا نوع من المكر بعيد الغور ودخل معه السجن فتيان اتفق ان دخل ساعة دخوله من خدم الملك شخصان آخران الشرابي والخباز قال احدهما هو الشرابي اني اراني حكاية الماضي بالمستقبل اعصر خمرا عنبا سماه خمرا باعتبار ما يؤول وقيل الخمر هو العنب بلغة حمير وقال الآخر الخباز اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين بتأويل الرؤيا كان اهل السجن يعرضون الرؤيا عليه فيحسن تأويلها والاولى عدم التقييد بالرؤيا اي انا نراك من المحسنين فيما تأتي وتذر

كان اذا مرض احد من اهل السجن قام عليه وسعى في امره جهده واذا احتاج احد جمع له وعن
قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فشرع يقول لهم ابشروا واصبروا
تؤجروا فان لهذا آخرا وفيه الثواب والاجر فقالوا بارك الله فيك من يكون ما احسن وجهك وما
الطف خلقك لقد بورك لنا في جوارك قال انا يوسف ابن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله
اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك روي ان الفتيين
قالا انا نحبك فقال اياكما وحبي فوالله ما احبني احد الا دخل علي من حبه البلاء احبتني عمتي
فدخل علي من حبها بلاء واحبني ابي فدخل علي من حبه بلاء واحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها
بلاء وعن الشعبي انهما امتحناه فقال الشرابي اني اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلثة عناقيد من
العنب فقطعتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني فوق راسي ثلث سلال
فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تاكل منه والضمير في تاويله راجع الى ما قصا عليه
قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما لما وصفاه بما يعرفان من
الاحسان على اهل السجن وصف نفسه بما هو فوق ذلك وهو الاخبار بالغيب بانه يعلم ما يحمل
اليهما من الطعام كل وقت ويصف لهما ذلك ويقع الامر على وفق وصفه وانما ذكر هذا
القدر من الثناء على نفسه ليتوصل منه الى الدعوة الى التوحيد مع انه ليس كلاما اجنبيا من السؤال
لان الاخبار بالغيب يناسب تاويل الرؤيا وهذه طريقة الاخيار من الانبياء والعلماء
يقدمون الارشاد والهداية بين يدي جواب المستفتين ليهون بذلك التامل على ان الاولى
والاخلق به ما ذكر لا ما سئل عنه وفي حكاية الله ذلك اشارة الى ان العالم اذا لم يعلم
منزلته في العلم فاذا وصف نفسه بما هو عليه في نفس الامر وغرضه ان لا يضيع علمه لم يكن
ذلك تزكية النفس المنهي عنها ذلكما مما علمني ربي وحيا والهاما ليس من الكهانة و
التنجيم في شيء اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون دليل على
ان اخباره بالمغيبات تعليم من الله بالوحي فان الكهانة والتنجيم فعل اهل الضلال
والنفوس الخبيثة واتبعت ملة اباءي ابرهيم واسحق ويعقوب وصف نسبه الطاهر
بعد ذكر حسبه تقوية لما هو بصدده من الدعوة الى التوحيد فان السامع اذا عرف
ان طريقة المرشد مسلك الافاضل الاخيار يزداد وثوقه ما كان لنا ان نشرك بالله
من شيء ما استقام لنا معشر الانبياء الاشراك بالله اي شيء كان ذلك
التوحيد من فضل الله علينا معشر الانبياء وعلى الناس المرسل اليهم باتباعنا
ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعمة الله بل يقابلونها بالكفر يا صاحبي السجن
يريد صاحبي الرؤيا والاضافة فيه كالاضافة في كوكب الخرقاء وسارق الليلة او
الصحبة بمعنى الساكن نحو اصحاب الجنة واصحاب النار ءارباب متفرقون
خير ام الله الواحد القهار كل شيء تحت حكمه وسلطانه مثل ضربه لهم في عبادة الله
وعبادة الاصنام لانهم كانوا يعبدون الاصنام ما تعبدون من دونه الا اسماء
سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ازال ما اوهمه الكلام السابق من
كون الارباب لها معنى الربوبية في الجملة كما مقدم ان الحجر اذا سمي بالذهب لا حاصل
له الا ذلك الاسم والضمير في تعبدون لهما ولمن دينهما على التغليب ان الحكم
في امر العبادة الا لله لا يشاركه فيه احد امر الا تعبدوا الا اياه بيان لما حكم به
ذلك الدين القيم المستقيم الذي لا عوج به او الذي لا يزول ولا يختلف باختلاف
الشرايع ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيقعون في الضلال يا صاحبي السجن اما
احدكما فيسقي ربه خمرا يريد الشرابي لانه الذي راى عصر الخمر في كاس الملك واما
الآخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فلما قص الرؤيا على الوجه

على الوجه المذكور قال الخباز ما رايت شيئا وانما قلت فقال قضي الامر الذي فيه
تستفتيان اي ما قلته كائن لا محالة سواء كنتما كاذبين او صادقين وانما وحد الامر وان
كان الرؤيا امرين لانهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن
انه ناج منهما عبر عن معتقده بالظن لان التاويل بالاجتهاد وقيل الظان الشرابي
والاولى ان يكون الظن بمعنى اليقين من يوسف ليلائم جزمه بالاخبار بالغيب
اذكرني عند ربك بانى محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه اسناد
الى السبب لان النسيان حصل بوسوسته فلبث في السجن بضع سنين
البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع قيل الحكمة في ذلك عتاب يوسف
كيف لم يتكل على لطف الله ولم يستغن به عن الاستعانة بالكافر فهلا سلك سبيل جده
خليل الله لما جاءه جبرئيل وهو في المنجنيق وقال له هل من حاجة يا خليل الله قال اما اليك
فلا فقال سل ربك قال علمه بحالي يغني عن سؤالي وقال الملك اني ارى سبع
بقرات سمان لما دنى فرجه قدر مسبب الاسباب ان راى ملك مصر رؤيا ها
لة عجيبة راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت
العجاف السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد
ادركت وبلغت اوان الحصاد فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما
استغني عن بيان حال سنابل بما قص من حال البقرات وانما جعل السمان صفة
المميز دون العدد لان المميز هو المقصود والوصف تكميل ياكلهن سبع عجاف
حذف المميز للعلم به وجعل الوصف للعدد دلالة على ان العجاف سبع ليس الا وان
السمان لا تنحصر في السبع وهذا اطبق الواقع لقلة الشدة وكثرة الرخاء والقول بان
التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده ولذلك
لم يصف فيه ان ذلك اذا لم يكن قرينة ذكر البقرات وجمع العجفاء على عجاف
وان لم يجمع فعلاء على فعال لحملا على سمان لانه نقيضه وسبع سنبلات
خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات وانما علم كونها
سبعا لانصباب الكلام الى هذا العدد وانما حذف لتكرره كما حذف البقرات
من العجاف ولا يجوز عطف اخر على سنبلات خضر ليكون مجرورا ويكون مميز السبع
المذكور لان لفظ اخر يقتضي المغايرة فيؤدي الى التدافع يا ايها الملا افتوني
في رؤياي عبروها نادى الاشراف لزيادة معرفتهم وللوثوق بتاويلهم وكانه
اثر لفظ الافتاء للاشكال ان كنتم للرؤيا تعبرون اللام للتقوية لان الفعل يضعف
بتقدم المعمول عليه كقولك لزيد ضربت ويجوز ان يكون الجار والمجرور خبر
كان وتعبرون خبرا آخر او حالا او ضمن تعبرون فعلا يتعدى باللام كانه قيل
ان كنتم منتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا عبرت الى المقصود
منها او جاوزتها كما يقول عبرت النهر اذا جاوزته وعبرت لغتان قالوا
اضغاث احلام جمع ضغث وهو قبضة حشيش مختلط رطبه باليابس استعير للرؤيا
التي لا يعرف وجهها ولا يوجد لها اصل تؤول اليه والاحلام جمع حلم وهو ما يراه
النايم وما راه الملك وان كان رؤيا واحدة الا انهم جمعوا للمبالغة في وصف
الحلم بالبطلان او يكون قد قص عليهم في تلك الايام منامات آخر وما نحن
بتاويل الاحلام بعالمين اي الاحلام المذكورة لانها نكرة اعيدت معرفة وحمل
على اعترافهم بانهم ليسوا في علم التعبير بحارين فيه ان قولهم اضغاث احلام
ينافيه لا اقتضائه ان لهم علما دينيا بما ليس من هذا القبيل وقال الذي

قائل الفاضل

رد على الكشاف

نجا منهما الشرابي الذي سعى بما قال يوسف من ذكره للملك وادكر بعد أمة
مدة من الزمان طويلة جملة معترضة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون إلى يوسف فأرسلوه فلما جاءه
قال يوسف أيها الصديق أيها البليغ في الصدق الراسخ فيه شاهد ذلك
منه في السجن لإسما رؤياه ورؤيا رفيقه فإنه كان برهانا جليا أفتنا في سبع بقرات سمان
يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات هي رؤيا الملك لعلي أرجع
إلى الناس بما تؤول به وإنما لم يجزم بالرجوع لأنه بصدد الاخترام لعلهم يعلمون
قدرك ويكون سببا لخلاصك ولم يجزم بعلمهم فضلا لأنه كان مسجونا بعد ما رأوا منه
الآيات الدالة على طهارة ذيله ونباهة شأنه فمن لم يؤمن بذلك فلا يبعد منه أن
أن يجهل قدره بعد تأويل الرؤيا قال تزرعون سبع سنين دأبا خبر في معنى الأمر
وهو أبلغ من صريح الأمر ودأبا بسكون الهمز وحركته مصدر دأب في العمل إذا لازم
واعتاده وبالفتح قرأ حفص فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يتسوس اعتراض
منه قبل تمام تأويل الرؤيا نصحا لهم كأنه قد وقع ما أخبر به فهو يأمرهم بما فيه صلاح
جهم إلا قليلا مما تأكلون فإنه يداس ويصفى ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما
قدمتم لهن في تلك السنين إسناد الأكل إلى السنين مجاز إلا قليلا مما تحصنون
تحفظونه للبذر ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس من الغوث والغيث
يقال للسعة طلب منه الغوث أو الغيث فأغاثني من الغوث وغاثني من الغيث قال
ذو الرمة قاتل الله أمة بني فلان ما أفصحها قلت كيف كان المطر عندكم قالت غثنا ما شئنا
وفيه يعصرون العنب والزيتون وسائر ما يعصر من الفواكه والحبوب لكثرتها
وعموم الخصب قرأ حمزة والكسائي تعصرون بالخطاب تغليبا على نمط تزرعون وتأكلون
بشارة بشرهم بها بعد تأويل الرؤيا وعلم ذلك بالوحي لأن انتهاء الجدب بالخصب
وإن كان معلوما لكن لا على الوجه الذي أخبر به من عمومه وبلوغه الغاية حتى يدخروا من
تلك الأصناف وفي تكريره فيه وتقديمه ما يشد اعتضادا وكونه مسندا إلى الوحي وقال الملك
ائتوني به بعد ما بلغه الرسول تأويل الرؤيا وأعجبه ذلك طلب مشاهدته ومشافهته
فلما جاءه الرسول وأخبره أن الملك طلبه قال ارجع إلى ربك لم يقل فقال
إيماء إلى أنه قاله من غير تأمل ولا توقف حتى كأنه لم يتعاقب كلام الرسول وفي ذلك
زيادة ثناء عليه بأن تلك المشقة العظيمة في تلك المدة المستطيلة لم تؤثر فيه بل كان
دأبه ومكره على الاستقامة ولذلك أثنى عليه سيد الرسل وقال لو لبثت ما لبث لأجبت
الداعي يشير إلى علو بصيرته وأنه من الصبر والاستقامة بمكان فاسأله ما بال النسوة اللا
تي قطعن أيديهن كان غرض الصديق في ذلك غرضا صحيحا خاف كيد الحاسدين
مرة أخرى وفي الحديث لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فأراد أن يرى ساحته ليسد طريق
المكر والتهمة على الحاسدين ويظهر ذلك للناس لم يذكر امرأته وإن كانت هي السبب
الكلي تحاشيا عن ذكر سيدته بما فيه شين أطلق النسوة وإن كن توابع إن ربي بكيد
هن عليم كامل العلم وإن كان كيدهن عظيما بعيد الغور قال ما خطبكن لما رجع
الرسول وأخبر الملك بمقال يوسف جمع النسوة وخاطبهن والخطب الأمر والشأن أشهر
في الأمر العظيم لأنه الذي يسأل عن سببه ويقع التخاطب فيه إذ راودتن يوسف
عن نفسه جعل مراودتهن أمرا لا إنكار فيه قلن حاش لله اعترفن بالمراودة
وبراءة ساحة يوسف عن الميل إليهن قولهن ما علمنا عليه من سوء قط لا فيما دعوناه
إليه ولا في غيره زاد في الجواب ثناء عليه قالت امرأة العزيز الآن
حصحص الحق ظهر وبان لأنه كان قبل مستورا أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين اعتراف

اعتراف الخصم بأن غريمه على الحق وهو على الباطل لا يكون أبلغ منه في الثناء وأمنع للشغب ولم يكتف
بتصديقه في القصة المذكورة بل أدرجته في زمرة المتصفين بالصدق على الدوام الملازمين
له ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب كلام يوسف مع الرسول لما عاد إليه أي ذلك
التثبت كان ليعلم الملك أنه لما جعلني أمينا في أهله لم يقع مني خيانة وإن نسبوني إليها والجار
والمجرور حال من الفاعل والمفعول على معنى أنا غائب عنه خفي عن عينه ويجوز أن يكون
القائل امرأة العزيز أي ليعلم يوسف أني لم أخنه بالغيب بل ذكرت ما هو الواقع أو القائل
يوسف والضمير لله أي ليعلم الله أني لم أخنه لأن المعصية خيانة في الدين لكن قوله بالغيب
على هذا الوجه ليس له ذلك الالتصاق وأن الله لا يهدي كيد الخائنين لا يمضي كيدهم
إلى ما توسلوا به إليه والهداية لو كانت كانت لهم وإنما أوقعت على الكيد ثم بقيت مبالغة و
تعريض بامرأة العزيز إن كان هذا قول يوسف بأن كيدها لم ينتج شيئا وما أبرئ نفسي
لما ظهرت براءته وكان قصده في ذلك دفع وصمة الخيانة تواضع لله لئلا يكون مزكيا نفسه معجبا
بذلك وجعله من قول امرأة العزيز بعيد كيف وقد وضح أنها كانت منبع الفساد إن النفس لأما
رة بالسوء أما في هذه الحادثة فلما وقع منه من الهم ولا شك أنه فعل النفس وأما في أحوالها
كلها فإن جبلتها على ذلك أو لم يرد نفسه بل أراد الجنس وإن هذا شأنها سواء كانت نفس
نبي أو غيره ولهذا استثنى بقوله إلا ما رحم ربي إلا وقت رحمة ربي أو الأنفس رحمها ربي
بعصمتها وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن رحمة ربي هي التي تصرف السوء إشارة إلى قوله
كذلك لنصرف عنه السوء واعترافا به إن ربي غفور للذنوب بعد وقوعها رحيم
يرحم من يشاء بالعصمة وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي لا يشاركني فيه أحد
لعظم أمانته وكمال ديانته فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيع
أمين حق أمين أطلقه ليتناول كل شيء تحت يده من الأموال وغيرها روي أنه لما خرج من
السجن دعا لأهله وقال اعطف اللهم عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار و
كتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء
ثم اغتسل ولبس ثيابا جددا وتوجه فلما أراد الدخول على الملك فقال اللهم إني أسألك
بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك من شره فلما دخل سلم عليه ودعا له بالعبرانية فسأله عنها فقال
لسان آبائي وقيل توفي العزيز في تلك الليالي فزوج يوسف امرأته فوجدها عذراء وكان
عاقبة التقوى أن أورثه الله أرضهم وديارهم قال اجعلني على خزائن الأرض
يريد أرض مصر وكان غرضه في ذلك الإحسان على الناس ورعاية المحاويج والفقراء في أيام
الشدة والغلاء إني حفيظ عليم شديد الحفظ من الضياع كامل العلم بمصارف
الخير ووجوه المكاسب وهذا أيضا إظهار الشرف والفضل لنفع الخلق لا للترفع وتزكية النفس
وعن مجاهد أن الملك أسلم على يده وإن كان كافرا فإنما تولى منه يوسف لمصالح الكافة
كما تتولى القضاة العادلة من الأمراء الظلمة والملوك الفسقة وكذلك مكنا ليوسف
في الأرض أي وكما سخرنا له قلب الملك حتى جعل أموره كلها بيده مكنا له في أرض مصر
يتبوأ منها حيث يشاء أي مكان أراد أن يتخذه منزلا اتخذه من غير مانع ولا مزاحم
روي أن الملك توجه وختمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت
فقال يوسف أما السرير فأشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من
لباسي ولباس آبائي فقال قد وضعته إجلالا لك وإقرارا بفضلك فجلس على السرير وشاع
أمره وحسنت سيرته وأحبه الخلق وباع الطعام أول سنة من سني القحط بالدراهم والدنانير
وفي السنة الثانية بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم فإنه كان
مشروعا في شرعه ثم قال للملك كيف رأيت وماذا ترى فقال الأمر إليك والرأي ما رأيت

قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم اموالهم
نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين بما في الدنيا او في الآخرة او فيهما
على حسب ما اقتضته الحكمة وجرت به المشية ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا
يتقون المعاصي والمعنى ان المؤمن المتقي يوجر على حسناته في الدنيا والآخرة ولكن بين الاجرين
بون بعيد اشارة الى ان ما نال من تلك الدنيا نزر يسير بالنسبة الى ما اعده الله له من المنازل و
لذلك لم يرض الا بذلك وقال توفني مسلما والحقني بالصالحين وجاء اخوة يوسف
اصاب ارض الشام ما اصاب ارض مصر من السنة فارسل يعقوب بنيه للميرة واحتبس بنيامين
شقيق يوسف يتسلى به فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لم يعرفوه لانه فارقهم في
سن الحداثة ولانهم راوه في ابهة الملك على سرير مرصع وعلى راسه تاج مكلل وراوه من
بعيد بين يديه الحجاب ولم ينظروا اليه نظرا بملاء العين واما عرفهم لعدم تغيرهم ولانه
فارقهم وهم رجال وعن الحسن ما عرفهم الا بعد ان تعرفوا له فانه كان يتوسم في وجوه الوار
دين وكانت همته مصروفة الى ان يقف على حالهم وعلى حال ابيه المحزون ولما جهزهم بجهازهم
هيأهم للسفر وجهاز السفر بالفتح والكسر ما يحتاج اليه من الزاد والراحلة قال ائتوني باخ
لكم من ابيكم لما دخلوا عليه كلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فاني
انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد جئنا ممتارين قال كانكم عيون تنظرون
عورة هذه البلاد قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه
يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال فكم انتم قالوا عشرة فاين الحادي
عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال من يشهد لكم قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها
احد قال فدعوا بعضكم رهينا وائتوني باخيكم من ابيكم يحمل رسالة من ابيكم فاقترعوا بينهم فوقعت
القرعة على شمعون فخلفوه عنده وكان قد احسن اليهم واكرم نزلهم وقيل كان لا يرد كل شخص على
حمل فسالوه حملا زائدا لذلك الاخ الذي باتوه فاعطاهم الا ترون اني اوفي
الكيل ولا ابخس احدا وانا خير المنزلين وكانوا عاينوا منه ذلك فان لم
تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون لا تعودوا الى هذه البلاد فانكم كذبة خونة
ولا تقربوا اما نفي معطوف على محل الجزاء اي ان لم تاتوا به تحرموا بين حرمان الكيل وعدم
القرب او نهي قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه ونجتهد في تحصيله وانا لفاعلون
ذلك لا محالة لكمال قدرتنا على ذلك بحيث لا محال للشبهة كلام يحقق بالوفا بالعهد و
انجاز الوعد وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم امر غلمانه الكيالين ان يجعلوا في
بضاعة اخوته في رحالهم بحيث لا يعلمون ذلك وقرا حمزة والكسائي وحفص فتيانه والباقون
فتيته فالاول جمع الكثرة لفتى والثاني جمع القلة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم
وفتحوا الاحمال لعلهم يرجعون لانهم لا يستحلون اخذ البدلين او لعلهم يعرفون حق
التكرم بردها مع البدل لعلهم يرجعون لذلك الاحسان وشكره فلما رجعوا الى ابيهم
قالوا يا ابانا منع منا الكيل انه لم ترسل معنا اخانا بنيامين فارسل معنا اخانا
نكتل صرح في ان منع الكيل مشروط بعدم مجيئه الى الملك معهم وقرا حمزة والكسائي
بالياء باسناد الفعل الى الاخ والباقون بالنون للتكلم وانا له لحافظون
ان لا يناله مكروه قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل حيث قلتم يا ابانا
مالك لا تامنا على يوسف وانا له لحافظون قد قلتم في يوسف ما تقولونه الآن في
اخيه فالله خير حافظا منكم فاتوكل عليه قرا حمزة والكسائي وحفص على
وزن فاعل وهو تمييز كقولك طاب زيد فارسا وقيل حال ومنع ابو علي قراءة الباقين
حفظا وهو ابلغ وعليه الرسم وهو ارحم الراحمين فارجو ان لا يجمع على

مصيبتين فرده الي لا تسلى به عن اخيه ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت
اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي ما نافية والبغي مجاوزة الحد والمعنى ما نزيد في وصف الملك الاحسان
علينا والاكرام لنا وكانوا قبل فتح المتاع اخبروه بانه اكرمهم غاية الاكرام حتى لو كان رجلا
من آل يعقوب لما فعل معهم ما فعل او البغي هو الطلب والمعنى ما نطلب وراء ما فعل معنا
من الاحسان شيئا او ما نطلب بضاعة اخرى منك هذه بضاعتنا ردت الينا
فهي كافية لنا وعلى الوجهين الاولين جملة مستانفة جارية مجرى الدليل ونمير اهلنا
عطف على مقدر اي ردت بضاعتنا الينا فنستظهر بها ونمير بالرجوع الى الملك ونحفظ
اخانا عما نخاف عليه في الذهاب والاياب ونزداد كيل بعير ما يحمل بعير باستصحاب
اخينا لان يوسف كان في زمن الغلاء يقسط فلا يزيد كل شخص على حمل ويجوز على الاول
عطف الجمل على قوله ما نبغي على معنى ما نزيد فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز
ان يكون كلاما مبتدأ كانه قيل وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة زيد وينبغي
لي ان اسعى ويجب علي ان لا اقصر ذلك كيل يسير مليك قليل ان لم يكن اخوهم معهم حثا رد على الكشاف
لابيهم على ارسال اخيه او ذلك اشارة الى كيل بعير كانه قال ابوهم من اين لكم العلم بان الملك سيسمح
لكم بحمل بعير فقالوا ذلك كيل يسير لا يضايقنا فيه لوفور جوده وشدة عطفه على الغرباء الوارد
ين من شقة بعيدة وقيل ذلك من كلام يعقوب يريد ان حمل بعير شيء نزر لا غناء له فلا يقدر
على فراق ابنه لذلك القدر ويرده قال لن ارسله معكم اذ لو كان ذلك من
كلامه لم يكن لقال وجه فانه ابتداء حكاية كلامه بعد تمام كلام بنيه حتى تؤتون
موثقا من الله الموثق والميثاق هو العهد الموكد باليمين اراد تحليفهم وتوكيد عهد
لتاتنني به جواب القسم الا ان يحاط بكم الا ان تصابوا بالموت عن اخركم من
قولهم احيط بفلان اذا هلك ومنه قوله تعالى واحيط بثمره او الا ان تغلبوا وتمنعوا من المجي
وهي الحفظ والمنع ومنه الحائط والاستثناء من اعم الاحوال اي لتاتنني به على كل حال الا حال
الاحاطة او من اعم العلل كانه قال لا تمتنعوا من الاتيان به لامر الا للاحاطة فلما اتوه
موثقهم عهدهم الموكد باليمين قال الله على ما نقول على ما قلنا من الميثاق وكيل
حفيظ ورقيب هو المطالب بوفاء العهد والميثاق وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة كانوا ذوي جمال وابهة خاف عليهم ان يدخلوا
كوكبة واحدة ان يعانوا ولم يقصد في المرة الاولى لانهم ما كانوا قد اشتهروا او قيل انما خاف
على بنيامين وتاثير العين بقوة اودعها الله في بعض العيون وسياتي انه سبب نزول
قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وما اغني عنكم من الله
من شيء فائدته دفع وسواس الشيطان بان لو فعلت كذا ربما لم يقع ان الحكم الا لله متفرد به
يفعل ما يشاء لو شاء اصابكم بشيء لا ينفع الحيل ولا الحذر عليه توكلت لا على غيره من
الاستحفاظ بالاخوة والعهد والميثاق فان تلك الوسائل لا تنافي التوكل وذلك
كلبس رسول الله لامتين يوم احد وعليه فليتوكل المتوكلون الكاملون في اللامة الدرع
الاتكال حث على ما اثره لنفسه ليقتدي به قدم الجار في الفعلين للاختصاص وجمع
بين الواو العاطفة والفاء لقصد الجمع والسببية ولما دخلوا من حيث امرهم ابو
هم من ابواب متفرقة ما كان يغني عنهم راي يعقوب وتفرقهم من الله
من شيء فقد اخذوا بالسرقة وحصل لهم الاساءة والفرق ورجعوا الى ابيهم بخبر اخر
من خبر يوسف الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي لكن حاجة في نفس
يعقوب قضاها هي شفقته عليهم واظهارها لهم وانه لذو علم ولذلك
قال لهم وما اغني عنكم من الله من شيء اعترافا بان الحذر لا يرد شيئا من القدر

لما علمناه لتعليمنا اياه بالوحي اليه امتنان عليه كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ما علم يعقوب ويحسبون ان الحذر يرفع القدر لكن نعوذ من
الطاعون اذا وقع بارض ولا نتواكل من به جرب ونحوه ولما دخلوا على يوسف اوى
اليه اخاه روي انهم دخلوا به على يوسف وقالوا هذا اخونا قد جئناك به فقال اصبتم
ستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم فلما اصبح اضافهم واجلس كل اثنين منهم على
مائدة بقي اخوه منفردا ليس له اخ يواكله فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني
معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه على مائدته ثم انزل كل اثنين بيتا
وقال هذا ليس له ثان فليكن عندي فبات يوسف يشمه ويضمه الى الصباح فلما اصبح ساله
عن اخيه الهالك وقال اتحب ان اكون لك اخا بدله فقال من يجد مثلك اخا ولكن لم
يلدك يعقوب فبكى يوسف وقال بل ولدني يعقوب وراحيل قال اني انا اخوك
يوسف وقام اليه وعانقه فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلا تحزن افتعال من البؤس
فلما جهزهم بجهازهم فان قلت لماذا ذكر تجهيزهم اولا بالواو وثانيا بالفاء قلت لم يتقدم
هناك منه وعد فعطف القصة على القصة وهنا كان قد تقدم انهم اذا جاؤوا باخيهم يحسن
اليهم ويكرمهم جعل السقاية في رحل اخيه هي المشربة التي كان يشرب فيها مرصعة بالجواهر
كانت صاعا يكال به ولعله انما جعلها صاعا في ايام القحط لئلا يقع التبديل بغيرها ويبخس الناس
ثم اذن مؤذن نادى مناد من الاذان وهو الاعلام يقال آذن اي اعلم واذن اكثر الاعلام
ولذلك سمي المنادي الى الصلوة مؤذنا لكثرة وقوعه منه وتكرره ايتها العير انكم لسارقون
العير القافلة لانها تعير اي تجيء وتذهب وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير وكانه جمع
عير واصله عير بضم العين فعل به ما فعل ببيض وعين انكم لسارقون مقول المؤذن او قاله يوسف
واراد نفسه لما سرقوه من ابيه وباعوه والحق ان يوسف حر لم يقع عليه اسم المال ولا يصدق
على فعلهم اسم السرقة بل اطلاق السرقة على وجدان الصاع في حملهم مجاز بحسب الصورة قالوا
واقبلوا عليهم ماذا تفقدون فقد بمعنى الفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه
قالوا نفقد صواع الملك هي السقاية المذكورة ولمن جاء به حمل بعير جعلا له وفيه
دليل على مشروعية الجعالة ان قيل شرع من قبلنا شرع لنا وانا به زعيم ضامن القوام
به وفيه دليل على جواز ضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب
لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض استشهدوا بعلمهم على براءتهم لما ثبت
عندهم من دلايل ديانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا مصر وافواه
رواحلهم معكومة لئلا تتناول زرعا في مسرحها ولانهم ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم
وما كنا سارقين يوما من الدهر قالوا فما جزاؤه اي الصاع المسروق او
السارق منكم ان كنتم كاذبين في نفي السرقة قالوا جزاؤه من وجد في رحله
فهو جزاؤه كان في شرع يعقوب استرقاق السارق سنة وقولهم فهو جزاؤه
تقرير للحكم باعادته لافادة تحقيقه والاحتفاظ به كقول الصاحب بعد تحقيق المسألة هذا مما لا مرية
فيه والشرطية خبر المبتدا بتقدير جزاؤه من وجد في رحله فهو الجزاء فوضع المظهر موضع المضمر
مبالغة في عدم اللبس او جزاؤه خبر مبتدا محذوف كانه قيل المسؤول عنه جزاؤه تحقيقا للمراد
بقولهم فما جزاؤه ان كنتم كاذبين ثم اجابوا عن السؤال بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه
وهذا كما اذا سئل عن جزاء صيد الحرام تقول جزاء صيد الحرم من قتله متعمدا فجزاء مثل
ما قتل من النعم كذلك نجزي الظالمين اي السارقين او كل ظالم لم يجزيه على قدر
خيانته كما جزينا السارق فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه لانهم لو فتشوا وعاءه قبل
الكل لتبا وبيرانه احتيال وتكيده ولذلك روي انهم لما فتشوا الاحمال ولم يبق الا حمل بنيامين

الا حمل بنيامين قال يوسف لا حاجة الى تفتيش حمل هذا فقال اخوة يوسف لا بد منه لتطيب
نفس يوسف ولا يبقى له ريبة ثم استخرجها من وعاء اخيه وفي ثم دلالة على
انهم لبثوا زمانا بعد تفتيش الاحمال ولم يبادروا الى حمله لابعاد الظنون عن ارتكاب
الحيل في شانه كذلك كدنا ليوسف كان صورة الكيد ولذلك بينه بقوله
ما كان لياخذ اخاه في دين الملك اي ملك مصر فانه كان في دينه ضرب
السارق واخذ ضعف ما اخذ دون الاسترقاق ومثله جايز للتوصل الى الحق كقول ابرهيم
عليه السلام لسارة انها اختي الا ان يشاء الله اي الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك
الحكم دين الملك او الاستثناء منقطع اي لكن اقتضت مشيته ذلك وان لم يكن في دين الملك
نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجات يوسف عليه السلام قرا الكوفيون
بالتنوين والاضافة ابلغ مدحا وفوق كل ذي علم عليم اي فوق كل فرد من العلماء
عالم كامل العلم وهو الله تعالى اشارة الى ان يوسف مع كونه راسخ القدم في العلم وقد بلغ
من علمه ان قال لصاحبي السجن لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما لم
يتوصل الى تحصيل اخيه الا باعلام الله تعالى اياه بالوحي وسقط بهذا قول من استدل به
على انه تعالى عالم بالذات لا بالعلم والا لكان فوقه تعالى ذو علم وقيل الكلام في الخلق
فسقط الاستدلال من اصله والمعنى على هذا ان يوسف قد فاق اخوته وان كانوا علماء
والوجه هو الاول لقوله كذلك كدنا ليوسف قالوا ان يسرق بنيامين
فقد سرق اخ له من قبل يريدون يوسف روي انهم لما اخرجوا السقاية من رحله
نكس اخوته رؤسهم حياء وقالوا ماذا فعلت بنا قد سودت وجوهنا يا بني راحيل ما
يزال لنا منكم بلاء فقال بنيامين بل بنو راحيل لم يزل لهم منكم بلاء وضع في رحلي السقاية
من وضع في رحلكم البضاعة واما سرقة يوسف عليه السلام فقيل كان قد اخذ صنما من اصنام
جده اي امه فكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت دجاجة او عناق فاعطاها السائل
وقيل كان لابراهيم منطقة يتوارثها اكابر اولاده فورثها اسحق ثم بعد اسحق وقعت الى
بنت وهي كانت اكبر من يعقوب وكانت حاضنة يوسف فاراد يعقوب انتزاعه منها وكانت
شديدة الحب له فاحتالت عليه بان شدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه ثم زعمت
تفتيش عنها واظهرت انها سرقت ثم فتشت يوسف فاستخرجتها من تحت ثيابه فصارت احق
لان جزاء السرقة هو السارق في شرع يعقوب كما تقدم فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها
لهم اي تلك المقالة او نسبة السرقة قال انتم شر مكانا اي منزلة لانكم سرقتم يوسف
من ابيه قال في نفسه لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من قوله اسرها يوسف والضمير
بقوله انتم شر مكانا على تاويل الكلمة او الجملة كما في قوله ووصى بها ابرهيم وليس من التفسير
بالجمل والله اعلم بما تصفون اي ان الامر ليس كما تقولون لا سرقت انا ولا اخي
قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او في المقدار استعطفوه عليه فخذ
احدنا مكانه اخاه قد هلك وهو عليه ثكلان يستأنس به انا نراك من المحسنين
الينا فتمم الانعام بالاتمام او قد عم الورى احسانك فنحن احق بذلك وقد شرحنا لك
حال ابينا قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده من ان ناخذ
غيره فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من انا اذا لظالمون في شرعكم فكيف
يجوز لكم خلافه وكيف يسعكم مخالفة ما افتيتم به وقد اوحي فيه ان الله امرني باخذه فكيف
يسعني باخذه مخالفة لو فعلت ما تقولون لكنت من الظالمين المجاوزين ما امر الله به فلما
استيأسوا منه حصل لهم اليأس الكلي من جوابه القاطع قراءة ابن كثير في رواية
البزي باسبال الهمزة الفا بعد القلب مكانا كما في نا فاعطى كل من الهمزة والالف الاخر

من الحركة والسكون لحلول محل خلصوا نجيا اسار واعن الخلق متناجين مصدر بمعنى
التجوى وهو الكلام الذي يسار به ولذلك لم يجمع وعن الاخفش يقال للجماعة نجى كما يقال
صديق لانه على وزن المصدر والجمع انجيه قال اذا ما القوم كانوا انجيه قال كبيرهم
في السن وهو روبيل او في الرأى وهو شمعون او يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم
موثقا عهدا مؤكدا من الله من جهته ومن قبل ما فرطتم في يوسف ما زائدة اى
من قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم او مصدرية محل مدخولها الرفع
على الابتداء وخبره الظرف والمعنى وقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطف
على مفعول الم تعلموا هو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم وتفريطكم من قبل في
يوسف او موصول والمعنى ومن قبل ما فرطتموه في يوسف اى قدمتموه في حقه من
الخيانة ومحل الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض ارض مصر حتى ياذن
لي ابي اى في الرجوع اليه ويتجاوز عنى او يحكم الله لي بالخروج منها اذ لا راد لحكمه ولا
دافع لقضايه او الحكم بخلاص اخى وقيل او بالمقاتلة مع اهل مصر وفيه بعد وهو خير
الحاكمين اذ من سواه يحتمل السهو والنسيان والعرض في احكامه ارجعوا الى ابيكم فقولوا
يا ابانا ان ابنك سرق سرقة لا ريب فيها وقرئ سرق اى نسب الى السرقة دوى
ان ابن سيرين راى يوسف في منامه فقال له يوسف لم تقرا يا ابن سيرين قوله تعالى ان
ابنك سرق على بناء المفعول قال لانه لم يكن سارقا فقال له يوسف افتح فاك فتفل فيه من
ريقه في فم ابن سيرين فالهمه الله تاويل الرؤيا ببركة ذلك الريق وما شهدنا الا بما علمنا
سقناه باخراج الصواع من وعائه ولا شئ ابين من هذا وما كنا للغيب حافظين
ما غاب عنا اهل سرق ام دس الصواع في رحله او ما كنا عالمين بعواقب الامور حين
اعطيناك المواثيق انك تصاب به كما اصبت بيوسف او انه سيسرق واسال القرية التي كنا فيها
يريدون مصر فان القرية مجمع الناس للتوطن كبيرة كانت او صغيرة والعير التي اقبلنا فيها ليشهد كل
من اهل مصر والعير بذلك وانا لصادقون تذييل بما فيه معنى القسم قال بل سولت لكم انفسكم امرا
اى ليس الامر كما يقولون بل زينت لكم انفسكم امرا ودبرتم ما دبرتم والا من اين علموا ان السارق يؤخذ جزاء سرقته لولا تقولوا
فان قلت لم يكن لهم في ذلك تسويل ولا تكبر فكيف نسبهم الى ذلك وهم عنه برآء قلت بني على ظنه لما راى من الاساءة
كقوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الصلوة اقصرت ام نسيت كل ذلك لم يكن وكان قد نسي لكن لما كان ظنه
انه لم يقع شئ من النسيان والقصر كان خبره صادقا فصبر جميل اى امرى صبر جميل او صبر جميل
اجمل والاول اوجه عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف واخيه المتخلف والاخ الكبير
انه هو العليم الحكيم الذي وفق حكمته في كل شئ وتولى عنهم واعرض عنهم من
شدة الهم وقال يا اسفى على يوسف اى اسفى هذا اوانك اقبل والاسف شدة الحزن
وبين الاسف ويوسف شبه الاشتقاق وان كان العلم عبريا وانما اسف على يوسف وان كان
الرزء الاحدث اشد لان رزء يوسف كان قاعدة المصائب وفاتحة الاتراح واشار الى انه مع
تقادم عهده غض طري ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم يعط امة من الامم
انا لله وانا اليه راجعون الا هذه الامة الا يرى يعقوب لم يسترجع بل قال يا اسفا وابيضت
عيناه من الحزن لكثرة بكائه محقت العبرة سواد عينه قيل كان قد عمي وقيل ضعف بصره وفيه
دليل على ان البكاء لدى المصائب لا يؤاخذ به وقد صح بكاؤه صلى الله عليه وسلم على ولده
ابراهيم وجعفر بن ابي طالب وسئل عنه فقال هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما
يرحم الله من عباده الرحماء فهو كظيم مكظوم مملوء من الغيظ لا يظهره لاحد من كظم فاه
اذا سده فعيل بمعنى مفعول والكظم بفتح الظاء مخرج النفس او بمعنى الفاعل لقوله والكاظمين
الغيظ من كظم الشئ اذا جرعه قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف لا تزال تذكره حذف حرف النفي

حرف النفي لعدم اللبس اذ لو كان على ظاهره فسد المعنى ولوجب الاتيان باللام والنون ونحو فقلت
يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي حتى تكون حرضا مصدر
حرض بالكسر اشتد مرضه حتى اشفاه على الهلاك والحرض الحب افسده قال العرجي اني امرؤ لج
بي حب فاحرضني وفي الحديث يمرض المؤمن حتى يحرضه المرض او تكون من الهالكين
مرة واحدة قال انما اشكو بثي مرضي الشديد من البث وهو النشر والتفريق لان المرض اذا
قوي لا يقدر صاحبه على اخفائه وحزني الى الله لا الى غيره فلا يخرج بذلك عن زمرة
الصابرين واعلم من الله ما لا تعلمون من فرط رحمته واجابة المضطر اذا دعاه وقيل كان
راى ملك الموت في منامه فسال عن يوسف هل قبض روحه فقال لا هو حي فاطلبه وقيل كان
علم في رؤيا يوسف انه لا بد وان يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف و
اخيه تعرفوا حالهما وتطلبوا من الحس يقال احس بالشئ اذا علمه باحدى الحواس ولا تياسوا
من روح الله من فرجه في الاصل نسيم الريح انه لا يياس من روح الله الا القوم
الكافرون لان الياس من رحمته منشاؤه اعتقاد عدم قدرته على كل شئ او عدم علمه بالاشياء
او عدم كرمه وجوده الفياض وقيل كبيرة وليس بكفر لان الياس ربما كان لاستبعاد الشئ
لبعد اسبابه الظاهرة وان كان الايس معتقدا في الله كل كمال قرا ابن كثير في رواية البزي بالف
ثابتة بعدها ياء مفتوحة في الكلمتين فلما دخلوا عليه اى لما قال لهم ابوهم ما قال رجعوا
رجعة اخرى الى مصر فلما دخلوا على العزيز قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر
سوء الحال من جهات كثيرة وجئنا ببضاعة مزجاة ردية من ازجيت الدابة اذا سقتها
قال تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا وقال الشاعر يزجي اغن كان ابرة روقه فلم اصاب من
الدواب مدادها كانها من الرداءة تدفع من مكان الى اخر ومن يد الى اخرى قيل كانت
دراهم زيوفا وقيل حب الصنوبر والحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط فاوف لنا الكيل
اتمه وان كان الثمن رديا وتصدق علينا ارادوا بالصدقة المسامحة والمجاملة سموها
صدقة ترقيقا للقلب فان الصدقة محرمة على الانبياء والظاهر انهم ارادوا بالصدقة اطلاق
اخيهم الا انهم لم يجسروا على التصريح به مخافة ان يقول لم ناخذه الا بفتواكم ان الله يجزي
المتصدقين المحسنين الصدقة ماخوذة من الصدق فكل ما تقرب به الانسان صدقة
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة صدقة وتخصيصها بالعطية لثواب الاخرة عرف
طار قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه لما توسلوا الى مطلوبهم بامر الديانة وما
فيه حث على طلب الاخرة اتاهم ايضا في طريق الديانة واستفهامه لم يكن عن نفس ما فعلوه
لان الفعل الارادي مسبوق بالعلم لا محالة بل انما كان عن قبحه بدليل قوله اذ انتم
جاهلون قبح ما فعلتموه حثا على التوبة عما فرط منهم فان التوبة اول مقامات السالك
وشان النفوس الزكية ترك التشفي والتعرض الى اهم الاشياء وادرج فيه ان هذا الضر اولى
بالكشف من الضر الذي تشكوه وقيل اذ انتم صبيان لا معرفة لكم ويرده قالوا لئن اكله الذئب
ونحن عصبة مباهين بالقوة الكاملة والحول التام وفعلهم باخيه التفرقة بينه وبين اخيه
وكانوا يستضعفونه ويحقرونه قيل كان قد كتب اليه يعقوب كتابا من يعقوب اسرائيل الله
بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء
اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به الى النار فنجاه الله منها وجعلها عليه بردا وسلاما واما ابي
فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب
اخوته الى البرية فاتوا بقميصه ملطخا بدم وقالوا اكله الذئب وكان له اخ من امه كنت اتسلى
به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا
فاذا وصل اليك كتابي رد علي ابني والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك

قاله القاضي

فلما قراء يوسف الكتاب لم يتمالك ان خاطبهم بذلك الخطاب قالوا ائنك
لانت يوسف سوال تحقيق وفيه تعجب وتخيل كانهم من شده التعجب لبعد حاله عما
عاهدوه عليه لم يصدقوا بانه هو مع كونهم موقنين بذلك ومثله يقع كثيرا ولذلك
صرح باسمه واضاف اليه اخاه ولم يكتف بيلي ليكون تعريفا قال انا يوسف وهذا اخي
بلا ريب ولا شبهه وقراءة ابن كثير بحذف الاستفهام صريح في معرفتهم ومؤيد كون
الاستفهام ليس على اصله قد من الله علينا بالسلامة والاجتماع انه من يتق الله
ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المظهر موضع
المضمر للدلالة على ان من جمع بين التقوى والصبر داخل في زمرة المحسنين لا ليدل على
ان المحسن من جمع بين التقوى والاحسان اذ لا يلزم من انتفا الحكم قالوا تالله لقد
اثرك الله علينا اختارك بحسن السيرة والصورة ومحاسن الاخلاق وجعلك ملكا
واحوجنا اليك وان كنا لخاطئين وان الشان انا كنا اثمين من خطئ بالكسر اذا
تعمد الذنب قال لا تثريب عليكم لا توبيخ من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش
ومعناه ازالة الثرب فاستعير للتقريع الذي يذهب ماء الوجه ثم نفي اليوم متعلق
بالتثريب او بمتعلق الجار والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فكيف ساير الايام
او بقوله يغفر الله لكم والمعنى انكم بعد ما عرفتم قبح ذنبكم واعترفتم بانكم كنتم خاطئين
فقد غفر الله لكم لقوله واني لغفار لمن تاب ولا ينافيه قولهم يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا لان
العلم بوقوع خبر الصديق الصادق لا يمنع الطلب على انه لو استلزم كان من قبيل استغفار
الانبيا هضما للنفس فالفرق بين الدعاء والاخبار وهم وهو ارحم الراحمين يغفر
الذنوب جميعا ويتفضل بما لا عين رات يوم فتح مكة اخذ رسول الله بعضادتي الباب
وقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال
فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم ومن كرم يوسف وتواضعه
لما عرف نفسه اخوته وكان يدعوهم الى الطعام بكرة وعشيا ارسلوا اليه وقالوا
نحن نستحي منك لما فرط منا فقال ان اهل اهل مصر كانوا يستكثرون علي بانا فيه ويقو
لون عبد ثمنه عشرون دينارا فلما عرفوا اني اخوكم واني من نسل ابراهيم عظمت في اعينهم
اذهبوا بقميصي هذا هو القميص الذي لابرهيم الذي اخرجه جبرئيل من تعويذه حين
القي في الجب عريانا وكان من حرير الجنة لم يشم مبتلى رائحة الا عوفي ولهذا قيده بالوصف
فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يصير بصيرا الاتيان مجاز عن الصيرورة او يات الي بصيرا
معا فاسالما واتوني باهلكم اجمعين النساء والاولاد والموالي فان قلت اذا كان
الاتيان مجازا عن الصيرورة فاين ذكر اتيان الاب وهو المقصود الاعظم قلت علم اتيانه
وثوقا بحبه مع ان امر الاخوة بالاتيان به يشعر بنوع اجبار عليه فجل عنه ولما فصلت
العير خرجت من مصر من فصل فصولا لازم لا من الفصل المتعدي قال ابوهم اني لاجد
ريح يوسف قال المحصر من لحفاده وساير اهله لم يشم رائحة وهو في الجب على مقدار
فراسخ وشمها من مسيرة ثمانين فرسخا حين تعلقت الارادة لا يسال عما يفعل لولا ان
تفندون تنسبون الى الفند وهو الخرف ونقصان الراي لشدة الكبر والهرم لا يقال
عجوز مفنده لان نقصان الراي في النساء ذاتي واصل الفند الكذب وكانه سمي الخرف
به لانه لا يخلو عنه وقد جاء في حديث ام معبد في وصفه صلى الله عليه وسلم لا عابس
ولا مفند على اصله قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم ممكن فيه لم تخرج عنه ولم
تفارقك وهذا هو الفند الذي خاف فلما ان جاء البشير هو يهودا فانه
الذي اتاه بالقميص ملطخا فقال كما احزنته انا ابشره القاه على وجهه لان

لان يوسف امره بذلك فقال القوه على وجه ابي وقيل القاه يعقوب فارتد
بصيرا فرجع بصيرا يقال رده فارتد قال الم اقل لكم اني اعلم من الله
ما لا تعلمون يريد قوله واعلم من الله ما لا تعلمون وقيل قوله الم اقل لكم اخر الكلام
والمفعول محذوف اي اني لاجد ريح يوسف وقوله واعلم من الله ابتداء كلام قالوا يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين وحق على الانبياء اذ لجاءهم تايب ان
يطلبوا له المغفرة قال تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر
لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما قال سوف استغفر لكم ربي قيل اخر
الاستغفار الى السحر فانه وقت الاجابة وقيل الى ليلة الجمعة رواه الترمذي ويؤيده لفظ
سوف فانه للتراخي في الاستقبال اذ لو كان الى السحر كان استعمال السين وحده وقيل
بل اخره الى ان يطلب من يوسف التجاوز عنهم فان حقوق العباد لا يسقط الا به وفيه
بعد كيف وقد قال لا تثريب عليكم اليوم انه هو الغفور الكثير الغفران الرحيم
البالغ الرحمة فلما دخلوا على يوسف لا قوة يقال دخلت على السلطان اذا لاقيته
ولو لم يكن في بيت روي انه وجه اليه رواحل واموالا واستقبل هو والملك باهل
مصر وكان اولاده الذين دخلوا مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة وكانوا حين
خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعا وسبعين رجلا سوى الذراري والهرمى
اوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما وعن ابن اسحق ان امه كانت بحيى وقيل خالته كانت
ربته فكانت ام التربية ولان الخالة بمنابة الام كما ان العم صنو الاب قيل لما التقيا كان
البادي بالسلام يعقوب فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان فقال له يوسف
بكيت وجزعت علي حتى ذهب بصرك وقد علمت ان يوم القيمة يجمعنا فقال بلى ولكن
لم اكن اعلم على اي دين انت فكنت اخاف ان يحال بيني وبينك وقال ادخلوا مصر ان
شاء الله امنين من المكاره باسرها ولذلك اطلق والمشية قيد للدخول
المكيف بالامن الذي هو الغرض الاصلي كقوله تعالى ادخلوا الباب سجدا ولذلك قيل
معناه اسلموا وامنوا والشرط المتوسط حذف جزاؤه بل لا يكاد يوجد له ذكر في مثله
ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا الخرور مقدم على الرفع وانما قدمه اهتماما و
جاز لهم السجود لكونه بمثابة التحية عندنا وقيل سجدوا لله شكرا فالضمير لله وقال يا ابت
هذا تاويل رؤياي من قبل تقدمت في صدر السورة قد جعلها ربي حقا
طبق الواقع ولم يجعلها من الاحلام الباطلة وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن
لم يذكر الجب لانه لم يصل الى النعم الا بعد السجن وقبل السجن كان من الارقاء وان كان عند الله
من صفوة الانبيا وقيل لم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا قال احسن اليه وبه وجاء بكم من
البدو اي البادية كانوا اصحاب المواشي ينتجعون المرعى ويردون المياه من بعد ان نزغ
الشيطان بيني وبين اخوتي بالقاء العداوة من نزغ الدابة اذا نخسها شبه به اضلال
الشيطان ان ربي لطيف لما يشاء يوصله بالرفق بحيث يدق على الافكار انه هو
العليم الكامل العلم باحوال الاشياء ومصالح العباد الحكيم الذي يوجد الاشياء على وفق
ما اقتضته الحكمة في كل عصر دليل على كونه لطيفا روي انه طاف بابيه في الخزائن فلما دخل به
خزانة الاوراق فقال يا بني ما اعقك عندك هذا الورق ولم تكتب الي فبكيت الشيخ قال
كذا امرني جبرئيل قال يعقوب اوما تساله لماذا قال انت ابسط اليه مني فقال يا جبرئيل
لماذا قال كذا امرني ربي لقولك اني اخاف ان ياكله الذئب هلا خفتني رب قد اتيتني
من الملك بعضه وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث بعض تاويلها
اذ لم يؤت الا البعض من الكل وهو تاويل الرؤيا فاطر السموات والارض نصب على

الصف كقولك يا اخا زيد حسن الوجه او هو ندا ثان والفطور لغة الشق وعن ابن عباس
ما كنت اعلم معناه حتى تحاكم الى اعرابيان يتنازعان في بير فقال احدهما انا فطرتها انت ولي
في الدنيا والاخرة تتولاني فيهما لا شريك لك في شي وهذا عين التوحيد توفني
مسلما والحقني بالصالحين في الذنب والدرجة وليس فيه ما يدل على انه تمنى الموت لان الامر
لا يدل على الفور بل سال ان يكون موته على الاسلام ملحقا باباءه الصالحين وساير الرسل الكرام
كما ان واحدا منا اذا قال اللهم توفني مسلما يريد ذلك ولا يخطر التمني بباله روي ان يعقوب
اقام مع يوسف اربعا وعشرين سنة ثم توفاه الله واوحى ان يدفن في الارض المقدسة عند ابويه
ابراهيم واسحق فذهب يوسف بجنازته الى هناك ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش ثلثا وعشرين
سنة ثم توفاه الله طيبا طاهرا فاختصم اهل مصر في مدفنه كل طايفة تريد ان يكون بقربهم لينالوا
بركته ثم اتفقوا على ان يجعلوه في تابوت من مرمر ويجعلوه في النيل لتمر عليه الماء ويكونوا في
ذلك سواء لا مزية لاحد على اخر وكان هناك الى ان خرج موسى ببني اسرايل فاخرجه الى
الارض المقدسة ودفنه عند اباءه الرسل الكرام عليهم من الله افضل الصلوات والسلام
ذلك حديث يوسف كما قص عليك مبتدا من انباء الغيب نوحيه اليك
خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون غاية التهكم بمنكريه لان طريق العلم
فيما يتعلق بالنقل اما السماع او المشاهدة والسماع لا يقولون به لانهم لا يؤمنون بكتاب
فلم يبق الا العيان ولا يظن به عاقل وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين لما قص عليهم
فسالوه على احسن وجه وابدع نظام والجمهم ولم يؤمنوا به اشار تعالى الى ان اظهار الايات
والحرص على الايمان منك لا ينفع اكثر الناس وما تسالهم عليه من اجر على التبليغ
حتى يكونوا لذلك محتجين ان هو الا ذكر للعالمين موعظة لكافة الخلق من غير تخصيص
بطايفة فلا يتصور اخذ الاجر عليه وكاين من اية اي كثير منها في
السموات والارض يمرون عليها على تلك الايات الدالة على وحدانية الله وكمال صفاته
وهم عنها معرضون لا يتدبرون في شي منها فاذا لم يتفكروا فيما قصصت عليهم
من انباء الغيب ولم يؤمنوا فلا تحزن وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
ابلغ في الذم من الاعراض لان المعرض جهل بسيط وهولاء اداهم النظر الفاسد الى الاشراك
بعد التامل في الايات الدالة على التوحيد والقول بان الاية في المنافقين يرده كون السورة
مكية افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله يومن اكثرهم بالله مع الاشراك فيامنون
مع ذلك ان يحيط بهم نوع من العذاب او تاتيهم الساعة بغتة فجاة وهم لا يشعرون
بذلك الاتيان فما حالهم بعد ذلك وما اعتذارهم قل هذه سبيلي اي الانبا عن الغيب
بالوحي والتوحيد ادعو الى الله استيناف لبيان السبيل او حال من اليا على بصيرة
حال من فاعل ادعو اما مستقلا او متعلق به اي مع برهان واضح وانا تاكيد للمستتر في الجار و
المجرور ان جعل حالا والا فمن المستتر في ادعو ومن اتبعني عطف على المستتر على الوجهين
وسبحان الله عما لا يليق به وما انا من المشركين تعريض بالخصم وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا نوحي اليهم كما اوحي اليك رد لقولهم لولا انزل علينا الكتاب وقيل
نفي لاستنباء النساء روي عن ابن عباس رضي الله عنه والله اعلم بصحته قرا حفص بالنون
هنا وفي النحل والانبيا والباقون باليا على الالتفات والنون ابلغ نصا على الموحي بقصد يقال من اهل
القرى سكان المدن لانهم الين عريكة واحسن اخلاقا وفي الحديث الغلظ والقسوة في
الفدادين اهل الوبر افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
استفهام تقرير قد ساروا وشاهدوا ما حل بالامم المكذبة فكان ذلك عبرة لهم لو اعتبروا
ولدار الاخرة خير للذين اتقوا اي دار الحيوة الاخرة او النشاة الاخرة خير من الحطام

زيد عليه القاضي

الزام القاضي

رواه البخاري

من الحطام الفاني افلا تعقلون افلا يستعملون عقولهم ليتعظوا وقرا نافع وابن عامر
وعاصم بالتاء خطابا بتقدير القول حتى اذا استياس الرسل لغاية محذوف دل عليه الكلام
اي وما ارسلنا من قبلك الا رجالا جاهدوا في سبيل وتراخى عليهم النصر وقرا البزي بالف
رابعة بعدها يا مفتوحة وظنوا انهم قد كذبوا بتخفيف الذال قراءة الكوفيين والمعنى ظن
الرسل ان انفسهم كذبتهم في تقدير النصر ولم يكن لهم وعد بالنصر في تلك الواقعة من الله
تعالى او ظنوا ان من اطاعهم علانية كذبوهم سرا والظن مجاز عن الهواجس التي يذهب بها نور
الايمان وهذا تاويل قول ابن عباس على ما رواه عنه البخاري وانكار عايشة رضي الله عنها عليه
بناء على ان الظن على ظاهره وعن ابن جبير ان الظاهر المرسل اليهم لدلالة ذكر الرسل عليهم
والمعنى ان المرسل اليهم ظنوا ان الرسل قد اخلفوا الوعد من الله او هم قد اخلفوا الوعد
من جهة الرسل جاءهم نصرنا فنجي من نشاء اي النبي والمؤمنين قرا ابن عامر وعاصم
باسقاط النون الثانية وفتح اليا ماضيا على بناء المفعول من نجاه والباقون باثبات النون
وسكون اليا صيغة المتكلم مضارع انجى وهو المختار للسياق والسباق وللنون ابلغ ولا يرد
باسنا عن القوم المجرمين غير الاسلوب ليدل وصف الاجرام على استحقاق حلول العذاب
لقد كان في قصصهم اي الامم المكذبة او يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب
ذوي العقول السالمة عن شوب الوهم والف الحس والركون الى العادات ما كان
حديثا يفترى اي القران ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب والشرايع
وتفصيل كل شي يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يرجع اليه ساير الادلة
الشرعية فلا تستند الاحكام الا اليه اما ابتداء او بوسط وهدى اي من الضلال
ورحمة لكونه سببا للنجاة في الدارين واطلاق المصادر مبالغة لقوم يؤمنون
لانهم المنتفعون باحكامه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ساير الرسل

سورة الرعد مدنية وهي ثلاث واربعون ايات بسم الله الرحمن الرحيم

المر اسم للسورة او طايفة من الحروف للايقاظ تلك ايات الكتاب اشارة
الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب والمعنى اي هذه السورة ايات السورة الكاملة
العجيبة في بابها فتلك مبتدا ويجوز ان يكون خبر المر وايات الكتاب بدلا عنه او بيانا
والذي انزل اليك من ربك مبتدا الحق خبره اي القران كله هو الحق الذي لا
مزيد عليه لا السورة وحدها اجمال بعد التفصيل اشارة الى ان كمال الكل مما لا يحيط به
الوصف لئلا يتوهم خصوص السورة او الموصول فانه في محل الجر عطفا على الكتاب عطف
العام على الخاص وان اريد بالكتاب القران كله فمن عطف الصفة كالحارث فالايب والسنه والقيا
منزل بواسطة فلا بد للحصر المستفاد من تعريف الخبر ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
بكونه كلام الله المنزل لاخلالهم بالنظر او يجحدوهم استكبارا الله الذي رفع السموات
مبتدا وخبر بدليل قوله وهو الذي مد الارض لانه هو المقابل السفليات العلويات فيتوافقا
اسلوبا والجملة مقررة لقوله والذي انزل اليك من ربك الحق كانه قيل كيف لا يكون كلام من هذه
افعاله هو الحق وانما عدل عن لفظ الرب الى الاسم الجامع تقوية لذلك التقرير ويجوز ان يكون صفة
والخبر يدبر الامر بغير عمد في محل النصب على الحال جمع عماد كاهاب واهب او جمع عمود ترونها
صفة عمد او استيناف استشهاد برؤيتها كذلك والمرئي وان كان سماء الدنيا الا انه يعلم منه ساير
ها بالطريق الاولى ثم استوى على العرش كناية عن اجراء الاحكام في الملك والملكوت
فان الملك يجلس على سريره ثم يظهر اوامره وسخر الشمس والقمر لما اراد منهما من الحركة
المستمرة وفي ذكرهما اشارة الى معنى الاستواء كل يجري لاجل مسمى لوقت معين
وهو ما هم فيه دورة او الامد الذي ضرب لكل منهما اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت

لان السافل اذا استغنى عن العمد فالعالي فوق اولى سلمه الله

يدبر الامر يفصل الآيات حالان من الضمير في قوله ثم استوى على العرش على الوجه
الاول لان قوله وسخر الشمس والقمر من تتمته وخبران على الثاني والاول اوجه لان قوله رفع السموات
هو الحكم الذي جعل دليلا على ما قبله وعلى الثاني يصير ربط لتحقيق الخبر وانما لم يعطف احدهما على
الاخر لاستقلال كل منهما بشأن الاول عبارة عن افعاله كالاماتة والاحياء والايجاد والاعدام
والثاني عن اقواله كالايحاء وانزال الكتب لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي توقنوا بعد بالاحياء
بعد الممات لان هذه الاشياء دالة قاطعة على ان موجدها له كمال القدرة على كل شيء وهو الذي مد
الارض بسطها طولا وعرضا لتكامل فيها المنافع قدم العلويات لان الكلام في الدلالة على
كمال القدرة وهي ادل وجعل فيها رواسي جبالا شوامخ من رسا القدم اذا ثبت وانهارا
مياها جارية ومن كل الثمرات متعلق بجعل في قوله جعل فيها زوجين
اثنين مستأنف للبيان او متعلق بالثاني جعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات اسود
وابيض حلوا وحامضا او في بدء الفطرة خلقت زوجين ثم تكاثرت وفائدة الوصف لئلا يتوهم معنى
رفع المجاز يغشي الليل النهار يجعل الليل مكان النهار بعد ذهابه وانما عبر عنه بالغشيان
مبالغة في الاستتار وعدم بقاء آثاره كالشيء الملفوف في لباس ساتر وقرأ ابو بكر وحمزة و
الكسائي يغشي بالتشديد وهو ابلغ ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون اي في المذكور من قوله
مد الارض الى آخر الآية او في كل واحد من المذكورات آيات دالة على كمال القدرة والحكمة باعتبار
لكم والكيفيات لمن تدبرها بعين الاعتبار وفي الارض قطع متجاورات متلاصقة بعضها
طيبة يخرج نباتا وبعضها خبيثة لا تخرج نباتا ولا تمسك ماء مع الاشتراك في الماهية واتحاد
النوع فذلك الاختلاف مستند الى ارادة الصانع الحكيم وجنات من اعناب وزرع
ونخيل اي وفي تلك القطع المتجاورة بساتين وزرع ونخيل وقرأ نافع وابن عامر وشعبة
وحمزة والكسائي بجرهما عطفا على اعناب وهو المختار لقرب المعطوف عليه ولدلالته على
اشتمال الجنات على هذه الانواع كما في قوله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وقرأ الجعفي
عن شعبة واللؤلؤي عن ابي عمرو وجنات بالجر عطفا على زوجين والمعنى جعل فيها زوجين اثنين
من كل الثمرات وجنات من اعناب وعلى هذا يجوز عطف زرع ونخيل عليها صنوان نخلات
تخرج من اصل واحد وفي الحديث عم المرء صنو ابيه المثنى والجمع مشتركان صيغة والفرق بالتنوين
وعدمه وغير صنوان متفرقات والخلاف فيهما قراءة واعرابا كزرع ونخيل يسقى بماء
واحد دفع لما يتوهم من ان اختلاف الاوصاف مستند الى الماء الذي هو منشأ حيوة
كل حي قراءة بالتذكير ابن عامر وعاصم اي المذكور والباقون بالتأنيث وهو المختار اذ لا
نكتة في العدول عن الظاهر ولقوله ونفضل بعضها على بعض قراءة بالياء حمزة
والكسائي مسندا الى ضمير اسم الله والنون هو المختار لكونه ابلغ في الاكل بسكون الكاف
وضمه قراءة الكوفيون وابو عمرو وابن عامر هو المأكول وفي حديث عائشة رضي الله عنها نصف عمر بن
الخطاب نبح الارض فقات اكلها وتفسيره بالثمر لا يستقيم في الزرع الا تغليبا وانما خص الاكل
بالذكر دون الشكل واللون والرائحة لانه العمدة في المنافع ان في ذلك لآيات لقوم
يعقلون جعل الفاصلة يعقلون وفي السابقة يتفكرون لان بداء خلق الارض وارساء
الجبال فيها واجراء الانهار منها وتكوير الليل على النهار مما يحتاج الى التأمل وافراد اختلاف ذوقية
البساتين وادراك اختلاف انواعها شكلا وطعما وان تعجب يا محمد من انكارهم الاعادة
فعجب قولهم على التعجب وحقيق ان يتعجب منه لان من قدر على انشاء هذه الاصول والفروع
ولم يعي بخلقهن فبالحري ان يقدر على الاعادة بل هو اهون وايسر وابدا العقول والمعنى بان من
ينظر في هذه الآيات ويتعجب من قدرة موجدها فازدد عجبا من منكر الاعادة مع اعترافه
بايجادها من العدم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد مقول قولهم او بدل منه

منه والعامل في اذا محذوف دل عليه أئنا لفي خلق جديد قرأ ابن عامر الاول بالاخبار ونافع و
الكسائي الثاني والباقون بالاستفهام فيهما وهو الاصل السالم عن المعارض اولئك الذين
كفروا بربهم الكاملون في الكفر الموصول لتعريف الجنس او العهد كما في اولئك هم المفلحون
واولئك الاغلال في اعناقهم كناية عن اصرارهم فان من كان مقمحا بالاغلال لا يرجع
عن مكانه وقد الم به من قال لهم عن الرشد اغلال واقفال دكيف الرشاد وقد خلقت في نفر
او هو من جملة الوعيد وهذا اظهر لانه جار على الحقيقة ولكونه تأسيسا واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون الحصر لاخراج اهل الكبائر ويستعجلونك بالسيئة بالنقمة والعذاب
في الدنيا قبل الحسنة الايمان متعلق بيستعجلونك او حال عن السيئة هو قولهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة وقد خلت من قبلهم المثلات
العقوبات النازلة بمكذبي الرسل وكان الواجب عليهم الاسراع الى الايمان برسولهم
مخافة ان يصيبهم مثل ما اصاب اولئك والمثلة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه
ومنه سمي القصاص مثالا وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم دعاهم الى
الايمان بعد ما بين تكاملهم ورسوخ قدمهم في الكفر وانه يغفر ذنوبهم لو آمنوا مع ظلمهم وان
ربك لشديد العقاب لمن اصر على الكفر او لمن شاء وفي الحديث لولا عفو الله وتجا
وزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا
انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بما اتى به من الآيات واقترحوا عليه ما حكاه الله تعالى
وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر
الانهار خلالها تفجيرا انما انت منذر مبلغ فلا عليك بعد الانذار ولكل قوم
هاد يقدر على هدايتهم ان شاء وهو الله تعالى لا غير او ولكل قوم نبي داع الى الله
مثلك ولا عليه بعد الدعوة عتاب او انما انت نذير وهاد لكل قوم لا كسائر الانبياء
رد لقولهم لولا انزل عليه آية على ابلغ وجه واثبات للرسالة على الكافة لانه بعث
الى الاحمر والاسود ووقف ابن كثير على هادي بالياء والباقون بحذفها وعليه الرسم
الله يعلم ما تحمل كل انثى حملها او ما تحمله واحدا كان او متعددا ذكرا او انثى وما تغيض
الارحام ما تنقصه من المدة وما تزداد منها اقصى مدة الحمل عند ابي حنيفة رحمه الله
سنتان واربع عند الشافعي وخمس عند مالك وقد روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن
حيان لاربع او من عدد الحمل قيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وعن
الشافعي ان شيخا باليمن اخبره ان امرأته ولدت بطونا خمسة وقيل المراد نقصان
دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذلك ازداد اردف عدم اجابتهم الى ما اقترحوا
كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره للدلالة على ان ذلك لعلمه بانهم معاندون وانما
يجاب المسترشد الطالب للحق وكل شيء عنده بمقدار بقدر وحد لا
يجاوزه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر عالم الغيب والشهادة الغائب عن الحس والحاضر
تعميم بعد التخصيص الكبير البالغ كبرياؤه وشأنه المتعال عن كل ما لا يليق بجلال جبروته
سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل يختف
غاية الاختفاء وسارب بالنهار ظاهر غاية الظهور من السرب وهو الطريق وفي حديث
ابن عمر اذا مات المؤمن يخلى له سربه حيث يشاء فان قلت الاستواء يقتضي التعدد فكان حق
العبارة ومن هو سارب بالنهار كما في قوله ومن جهر به قلت هو معطوف على من هو مستخف
كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف وآخر سارب وانما لم يأت بمن الموصوفة كما في المعطوف
عليه اشارة الى كمال علمه بالخفايا والسرائر وذلك هو النكتة في زيادة هو ولذلك ايضا قدم
استوا على صريح القول وله في الجهر بالضمير مؤخرا او معطوف على مستخف لكن الموصوف وان

كانت مفردا فان من متعدد معنى كانه قيل سواء منكم اثنان هما مستخف وسارب كقول الفرزدق
كمن مثل من يا ذيب يصطحبان له معقبات جمع معقب والتا للمبالغة او معقبة بمعنى جماعة
واصل عقب فلانا جاء على اثره ومن اسمايه صلى الله عليه وسلم العاقب لانه جاء بعد الانبياء
فالتشديد للمبالغة وقيل من الاقتعال ادغمت التاء في القاف نظيره وجا المعذرون والاعقا
التناوب وفي حديث ابي هريرة كان هو وامراته وخادمه يعقبون الليل اثلاثا من بين يديه
ومن خلفه اي من جهاته كلها وانما خص الجهتين بالذكر لان العدو اكثر ما يقصد منهما يحفظونه
من امر الله صفة معقبات والمعنى يحفظونه من اجل امر الله او يراقبون احواله وقيل يحفظون من
باس الله ونقمته بالاستعفا لقوله ويستغفرون لمن في الارض وما بعد قول من فسر المعقبات بالحلا
وزة والحرس حول السلطان يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة حتى يغيروا
ما بانفسهم من شكرها بالكفران واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا مكان
لرده واذا انتفى مكان الرد ينفي قطعا وما لهم من دونه من وال من ناصر من يلي امرهم
وقد وقف ابن كثير على وال بالياء وقد ذكر وجهه في هاد اشار الى ان الحافظ عباده والمعقبات
اثار سلطنته على باب ما يتعارف الناس والافعل اشمل وحفظه اقوى واكمل هو الذي يريكم
البرق خوفا وطمعا ارادة خوف وطمع مفعول له بتقدير المضاف والمعنى ان عند لمعان
البرق يخاف من الصاعقة ويطمع في الرحمة وقيل الخوف والطمع بمعنى الاخافة والاطماع ونصبا
على الحال من البرق او المخاطبين بتقدير ذوا او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل
وينشئ السحاب الثقال جمع ثقل وصف للسحاب بالجمع لانه اسم الجمع والواحد سحابة و
يسبح الرعد بحمده سامعوه لان الرعد صوت اصطكاك اجرام السحاب او لما هو في الحديث ان الرعد
ملك موكل بالسحاب والبرق من لمعان مخاريق من نار بيده يسوق بها السحاب فباعتبار صوته الهايل
من الايات الباهرة الدالة على كمال قدرته وعظم مخلوقاته وعن الحسن هو خلق الله ليس بملك و
الملائكة من خيفته لكمال علمهم بعظيم سلطانه وعلو شانه وكل من كان اعلم بالله كان اتقى واخشى
وقيل المجرور عايد الى الرعد وليس بشيء ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء
يهلكه او يوقع فيه نقصا بحرق شيء منه وهم يجادلون في الله في شانه من كمال
العلم والقدرة على الاعادة حتى اوردوا ذلك في معرض التعجب من يحيى العظام وهي رميم والجدال
شدة الخصومة من الجدل وهو الفتل والجملة معطوفة على قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل المعطوف
على ويستعجلونك والعدول من الفعلية الى الاسمية للدلالة على انهم ما ازدادوا بعد تلك الايات
التي بهرا الالباب الا عنادا ويجوز ان يكون عطفا على قوله هو الذي يريكم البرق على هو الذي يريكم
هذه الايات الدالة على كمال العلم والقدرة وانتم تجادلون والتفت الى الغيبة تبعيدا لهم عن
شرف الخطاب وانهم من الانسانية بمعزل والوجه الاول اذ لا فايدة وقيل الواو للحال وذلك
ان اربد اخا لبيد وفد مع عامر بن الطفيل على رسول الله قاصدين قتله فاخذ اربد يجادله ويقول
اخبرني عن ربنا امن نحاس او من حديد ودار اربد خلفه وقبض على سيفه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيهما بما شيت فاصابته الصاعقة فاحرقته مكانه و
خرج عامر فنزل في بيت سلولية فاصابه طاعون فذهب خلف صاحبه الى جهنم وكان
يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية لان سلول اذل قبايل العرب وهو شديد
المحال قوي المكايدة والمكر لا يدافع وفي الحديث ان ابرهيم قال كذب ثلث كذبات قال
رسول الله ما كذب كذبة الا وهو ماحل بها عن الاسلام يدحه بذلك واصل المحل
قحط المطر ويجوز ان يكون من حال بين الشيئين اذا دفع احدهما عن الاخر او من حال يحول
اذا قدر وقوي على الخصم كما في الحديث اللهم بك اصول وبك احول او الحمل على غير القياس
ويجوز ان يكون بمعنى الفقار مستعارا للقوة كقوله صلى الله عليه وسلم ساعد الله

محافظ الذنب وفد هلك
له لما كتب ضلمها وقايم سبق
مريدي كمكان يقال فانه عامدي
لا يحص سلمه الله منه

قال من بعير سلول
الى القدر ان يكون انتساب ما
في سلول فنال الشيخ على تعالى فعلت
قطعوها بارز من الله حكموا فاني
كمثل عيرتها ما رحلي
سلمه الله

ساعد الله اشد وموساه احد ردا على المشركين في قطع اذن البحيرة له دعوة الحق
جملة مستانفة والحق ان كان ضد الباطل فالمعنى ان الله هو الحقيق بان يدعى ويعبد لانه الذي
يسمع ويجيب فدعاء غيره دعا الباطل وان كان من اسمايه تعالى فاصل الكلام له دعوته فيدل على
اختصاص الدعا وانما وضع الحق موضع الضمير للدلالة على انه الثابت وما عداه انما يفيد ثبوتا بالعرض
ثم ان كانت الاية في اربد وعامر فالجملتان دلتا على ان هلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله
واجابة لدعوة رسوله وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله بحلول محاله
بهم والذين يدعون من دونه اي الاصنام الذين يدعوهم الكفار ويعبدونهم
المفعول محذوف لا يستجيبون لهم بشيء ما من دفع ضر وجلب نفع لانها جمادات
الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه شبه الداعون للاصنام بمن بسط
كفيه ناشرا اصابعه يريد اغتراف الماء في انهما لا يحصلان على طايل لان الماء يتوصل اليه
بالقبض لا بالبسط فالاستثنا من اعم الاحوال ووجه الشبه عقلي اعتباري او شبه حال
الهتهم حين التجايهم اليها في دفع ما اهمهم في عدم الشعور فضلا عن الاستطاعة للاستجابة
بما نرى من عطشه اجوج ما هو اليه يناديه عباره واساره والمنادى لا ادراك له ولا حراك و
على الوجهين فيه شايبة تهكم وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع لا يجلب نفعا
سوا دعوا الاصنام او الله والملايكة نعيم وتاييرهم من جميع الجهات ولله يسجد من في
السموات والارض طوعا وكرها ينقاد لما اراده طايعا او كارها اصل السجود الانحنا والانخفاض
قال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا اي طاطي يا مرة البعير وفي الحديث كان يسجد كسرى للطالع
وقال الازهري معناه كان يخفض راسه وتخصيصه بوضع الجبهة عرف طارد قبل المال وضع الجبهة
والكافر يسجد حال الضرورة وظلالهم ايضا تسجد له وتتصرف على مشيته امتدادا و
تقلصا وفيا وزوالا بالغدو ضد الرواح من اول النهار الى وقت الزوال والاصال جمع
الاصيل من العصر الى الغروب والمراد بهما الدوام وانما خص الوقتين لظهور الامتداد
والتقلص فيهما قل من رب السموات والارض بعد اقامة الدلايل القاطعة تفرده
بامر الملك والملكوت امره ان يسالهم عن ذلك ليلزمهم باعترافهم بذلك وانهم
لا يجدون سبيلا الى العدول عنه فيركب عليهم الحجة قل الله حكاية لقولهم كانه قيل قل
ما اجابوك به من قولهم الله اذ قلت لهم من رب السموات او تلقين لهم كانه قيل لقنهم
الجواب فانهم مذعنون له ثم الزمهم بعد ذلك قل افاتخذتم من دونه اولياء شروع في الالزام
والهمزة داخلة على الفاء العاطفة اي ابعد ان علمتموه رب السموات والارض جعلتم مكانه اربابا
تعبدونها وكان مقتضى ذلك العلم التوحيد فكيف عميت بصايركم لا يملكون لانفسهم
نفعا ولا ضرا فضلا عن احداث ذلك في الغير قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك
والموحد والجاهل والعالم ام هل تستوي الظلمات والنور الكفر والايمان وانما جمع الظلمات
لاشتمال الكفر على الشبهات والشكوك والحق واضح ابلج الاستفهام للانكار اي لا استوا
وفايدته الحث على التامل وان لا يرضى السامع بدخوله في زمرة العمي المستغرقين في
الظلمات ام جعلوا لله شركاء اي بل اجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه صفة لشركا
فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلق الشركا فيكون لهم في ذلك شبهة يحتاج الى
ازالتها ولما لم يكن في ذلك فضلا عن حجة كان الحكاية عنهم ادخل في الذم وفيه تهكم
فانهم جعلوا ما لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا كمن بيده الامر كله فنبه على مكان الاشتبا
نافيا ناعيا عليهم قل الله خالق كل شيء موجده وهو الواحد في الالوهية
القهار كامل القهر والغلبة على الخلايق كلها فهو المستحق للعبادة لا غير انزل من
السماء ماء من السحاب لان ما علاك سما او من جهة الفلك لانه المبدا الاول

الطامع السحاب فوق السد
كمان غنا لهم بينه له
الاصنام سلمه الله

فسالت اودية جمع واد وهو سيل الماء بقدرها بمقدارها من الصغر والكبر او بالمقدار
الذى علم الله انه نافع لكل ناحية وتنكير الاودية لان المطر يقع بحسب العادة بعض بقاع الارض
دون بعض فاحتمل السيل زبدا عاليا عاليا على وجه الماء ومما توقدون
عليه فى النار من المعادن ابتغاء حلية يتخذون به صوغ الحلى او متاع من انواع
الاوانى والات الحرب والحرث زبد مثله مثل الذى على وجه الماء وقرا حمزة و
الكسايى وحفص يوقدون بالياء وهو المختار لان الغرض ارشادهم لا المومنين
كذلك يضرب الله الحق والباطل بمثلهما ويبرزهما فى صورة المحسوس ازاحة للشبهة
مثل الحق واهله بالماء المنزل من السماء السايل فى اودية انتفع الناس به انواعا من الانتفاع
من صوغ الحلى واتخاذ الالات والاوانى التى تبقى مددا متطاولة والباطل فى سرعة زواله
وانسلاخه عن المنفعة بالزبد الذى يرمى به الماء او الفلز فيعدم فى الحال ويمحى اثره فاما
الزبد فيذهب جفاء مصدر جفاء اى رميا يرمى به السيل والفلز نصب على
الحال اصل الجفو وفى حديث البراء يوم حنين انطلق جفاء من الناس الى هذا الحى
من هوازن يريد سراعهم واوايلهم واما ما ينفع الناس من الماء فى المنابع
والابار والحبوب وما نشا منها من الثمار واصناف الحبوب المدخرة والمعادن
فيمكث فى الارض ازمنة متطاولة وقيل شبه القران المنزل بالماء والقلوب
بالاودية ووساوس الشيطان وهو حس النفس بالزبد الذى يعلو الماء والحق الذى
استفيد من القران واستنبط منه بالجواهر والذهب الخالص من الخبث والباطل
الذى يتولد من تلك الوساوس بالجفاء وكما ان الاودية تتفاوت فى الصغر
والكبر كذلك القلوب فى اخذ المعارف وادراك لطايف التنزيل بحسب
والاستعداد وقد الم بذلك المتنبى فى قوله ولكن ياخذ الاذهان منها على
قدر القرايح والفهوم وكما ان الماء اذا كان كثيرا قوى الجرى يقذف بالزبد
الى الجوانب ويصفو كذلك القران اذا استنار القلوب بحفظ وتامل دقايقه
دفع الوساوس وهو حس النفس وكذلك نسب القلوب الى الجواهر والمعادن
والفلزات بعضها كالذهب وبعضها كالنحاس وبعضها كالحديد كذلك يضرب الله
الامثال للذين استجابوا للمومنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة
الحسنى والذين لم يستجيبوا له عطف على المجرور اى الكفرة الذين لم يستجيبوا
له والمعنى انما ضرب المثل لهولاء الطايفتين وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهو
وهو المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدا خبره لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به فيتم الكلام عند قوله كذلك وهذا الوجه احسن لانه يقع اولئك لهم
سوء الحساب فى مقابلة الحسنى وفيه زيادة تخسير لهم وايثار الاجمال فى جزاء المستجيبين ايماء
الى انه لا يدخل تحت الوصف بل تقصر العبارة عن الاحاطة به وسوء الحساب هو المناقشة
فيه وفى الحديث من نوقش فى الحساب هلك وماويهم جهنم مرجعهم وماويهم الى كذا بجمع و
بئس المهاد المقام والمستقر والمخصوص محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
الحق كمن هو اعمى اى ابعد ما ضرب المثل المذكور فى ان حال من علم ما انزل اليك هو الحق
واستجاب بمعزل من حال الجاهل الذى لم يستبصر كما ان حال الزبد وخبث الذهب بمعزل
عن منافع الماء والابريز يمكن خلجان الشبهة انما يتذكر اولوا الالباب المراجيح الذين
لهم عقول خالصة ينظرون بها نظر الاستبصار الذين يوفون بعهد الله
الذى عاهدهم عليه حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى او فى كتبه المنزلة من الاحكام
والحدود ولا ينقضون الميثاق سواء كان مع الله او مع احد من خلقه

فلا يحتاج الى الايضاح كما قاله القاضى

من خلقه والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الارحام وساير الحقوق
ومنها الاحسان الى كافة المومنين للاخوة الثابتة بالايمان انما المومنون اخوة وفى الحديث لا
يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وفيه ايضا ان من الصدقة ان تلقى اخاك المومن
بوجه طلق ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب خصه بالذكر لانه لا مقام للعبد
مع الله اشد منه وان شئت تامل وقوفك بين يدى ذلك السلطان العظيم الشان وقد اخرج
لك من عنقك كتابا تلقاه منشورا وقال لك اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا و
فيه من القبايح ما لو اطلع عليه ادنى الخلق عندك لاستغرقت فى الخجل والذين صبروا ابتغاء
وجه ربهم حبسوا انفسهم على المكاره فى المواطن كلها طلبا لمرضات الله لا ليقال
ما اصبره ولتحمله للنوازل ولا لان لا يعاب بالجزع او تشمت به الاعداء العطف فيه وفى الذى
قبله من عطف الصفات واقاموا الصلوة ادوها على وجه الكمال وانفقوا مما
رزقناهم بعضه سرا فى التطوع وعلانية فى الواجب ايثارا للافضل وقيل سرا لمن لم يعرف
بالمال وعلانية لمن عرف به ليقتدى به ولئلا يتهم بالبخل ويدرءون بالحسنة السيئة
يدفعونها بها قال ان العداوة تستحيل مودة بتدارك الهفوات بالحسنات وفى الحديث اتبع
الحسنة السيئة تمحها وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن
ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا والاوجه الاطلاق اولئك لهم عقبى الدار خبر الذين يوفون
او صفة اولى الالباب والاول اوجه والمعنى عاقبة الدار وما ينبغى ان يكون مالا والدار هى الدنيا
جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدا خبره يدخلونها وعدن مصدر عدن اذا
اقام وسميت جنات عدن لانها دار الاقامة لا ارتحال عنها ومن صلح من اباىهم وازواجهم
وذرياتهم عطف على فاعل يدخلونها وساغ للفصل بالمفعول او نصب لان الواو بمعنى مع و
الانساب اذا تجردت عن العمل الصالح لا تفيد واذا قارنها ادنى عمل صالح نفعت ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى طالب لما حضرته الوفاة قل لى كلمة واحدة احاج
لك بها عند الله وبه يحصل التوفيق بين قوله من بطاء عمله لم يسرع به نسبه وبين قوله تعالى
والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم والملايكة يدخلون
عليهم من كل باب من ابواب منازلهم للبشارة فوجا فوجا لزيادة الاكرام وتكميل
السرور او من كل باب من ابواب التحف التى لا عين رات ولا اذن سمعت سلام عليكم
قايلين هذا القول تهنية بالسلامة الدايمة بما صبرتم اى هذا بما صبرتم واحتملتم من
المشاق او متعلق بعليكم لانه ظرف مستقر فيتعلق بسلام معنى او بسلام والفصل بالجار
والمجرور مغتفر كما فى قوله عار عليك اذا فعلت عظيم فنعم عقبى الدار من كلام
الملايكة ويحتمل ان يكون ابتداء كلام منه تعالى للترغيب والذين ينقضون عهد الله
من بعد ميثاقه هولاء مقابلوا اولئك المتصفون باضداد ما وصفوا به ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل من صلة الارحام وساير الحقوق ويفسدون فى الارض بالظلم والفتن
والهرج اولئك لهم اللعنة الطرد والحرمان استعماله باللام لتضمين معنى الاستحقاق ولهم
سوء الدار سوء عاقبة الدار لانه فى مقابلة عقبى الدار او عذاب جهنم الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر لا غير بيان لموجب اشرهم كانوا فى ضيق من العيش يسر لهم رحل الشتاء
وامنهم من خوف فكان اللايق بحالهم استدامة ذلك بالشكر وفرحوا بالحيوة
الدنيا فرح بطر لا فرح سرور بفضل الله ورحمته وما الحيوة الدنيا فى الاخرة فى جنب
وبالقياس الى نعيمها الا متاع شىء نزر يتمتع به سريع الزوال كرايحة الورد والرياحين و
يقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه بعد ما شاهدوا الخوارق كانشقاق
القمر والقران المعجز الباهر قل ان الله يضل من يشاء اى قل لهم لا قصور

فى الايات التى يحتج بها ولكن الاضلال من الله فاذا شاء اضلال احد لا سبيل الى هدايته
وانتم من ذلك القبيل ويهدى اليه من اناب رجع عن العناد وعلم ان مدعى النبوة
لابد له من امر معجز للبشر عن الاتيان بمثله اى نوع كان لتشارك الايات كلها فى معنى
الاعجاز الذين امنوا بدل من من او خبر مبتدأ محذوف او الكلام قد تم عند قوله
من اناب ثم ابتداء بقوله الذين امنوا فى مقابلة ويقول الذين كفروا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله بالقران او بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وهذا الوجه يناسب الانابة كما ان الوجه الاول شديد
الملايمة بقوله لولا انزل عليه اية من ربه ويحتمل ان يكون الذكر بمعنى الدليل اى
تطمئن قلوبهم بدلايل الدالة على وحدانيته لان الكلام مع الكفار الذين لم ينظروا
فى ملكوت السموات والارض بعين الاستبصار الا بذكر الله تطمئن القلوب
اتى بحرف التنبيه ايقاظا للكفرة المستغرقين فى قلوب الشبهات الذين امنوا وعملوا
الصالحات بدل من القلوب بتقدير المضاف اما لان القلوب المذكورة قلوب المؤمنين
او لادعاء ان قلوب هؤلاء الاجلاء كل القلوب لان الكفار افئدتهم هواء وعلى هذا قوله
الا بذكر الله تطمئن القلوب جملة اعتراضية كانه قيل كيف لا ولا اطمئنان للقلوب الا بذكره او مبتدأ
طوبى لهم خبره طوبى مصدر على وزن فعلى كزلفى وبشرى من طاب والواو ابدلت من الياء
لضمة ما قبلها وروى الامام احمد ان رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن راك قال بلى
وطوبى ثم طوبى لمن امن بى ولم يرنى قال رجل وما طوبى قال شجرة فى الجنة وعن ابن عباس وابى
هريرة فى كل دار منها غصن وحسن ماب مرجع وطيب عيش كذلك ارسلناك
مثل ذلك الارسال ارسلناك اى ليس ارسالك شانا خفيا بل من كذبك انما كذبك
عنادا وحسدا فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون فى امة قد خلت
من قبلها امم كثيرة لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك من الكتاب والحكمة فانت
اخر الرسل وامتك اخر الامم لا يبقى فى الدين شبهة لانه لا نبى بعدك وهم يكفرون
بالرحمن البالغ الرحمة الذى ارسلك رحمة للعالمين ولهذا المعنى التفت من التكلم الى
الغيبة مع رعاية خصوص هذا الاسم وكما تفرد المرسل من بين الرسل كذلك كتابه لا يضاهيه
كتاب قل هو ربى ذلك الموصوف بتلك الرحمة سيدى والمتصرف فى لا اله الا هو
لا يستحق احد الالوهية سواه عليه توكلت واليه متاب عليه اعتمدت فى امورى واليه
مرجع الخلق وهو المجازى ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى
اى لو كان شى من الكتب التى تقرا سيرت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض قطعا ومزقت
تمزيقا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان ذلك هذا القران العربى المبين بكونه فى الطبقة العليا
فى باب التذكير وهذا تصريح بما اشير اليه فى قوله لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك من تعظيم
القران سيد اركانه بقوله وكذلك انزلناه حكما عربيا وقيل معناه ولو ان قرانا وقع به سير
الجبال وتقطع الارض وتكليم الموتى لما امنوا به لشدة عنتهم متعلق بقوله وهم يكفرون بالرحمن
لتصميمهم على الكفر بعد ظهور الايات وقيل ان اباجهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
سير بقرانك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطايع كما سخرت لداود
ان كنت نبيا كما تزعم قلت اهون على الله منه او سخر لنا الريح لنركبها الى الشام وبحر ثم
نرجع فى يومنا فقد شق علينا قطع المفاوز كما سخرت لسليمان او ابعث لنا رجلين او ثلثة
من ابائنا منهم قصى بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير وعن الفراء
انه متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال فعلى هذا
هى جملة حالية وجواب الشرط لدلالة السابق عليه وما بينهما اعتراض بل لله الامر جميعا

جميل التاثر لا يشارك احد له القدرة على كل شىء وانما لم يقع الايات المقترحة لعلمه بانهم
لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية افلم ييأس الذين امنوا الم يعلم لغة نخع قال سحيم اقول لهم
بالشعب اذ ييسروننى الم تياسوا انى ابن فارس زهدم او لان الايس على الشىء عالم بانه لا يكون
والاستفهام للتقرير نحو اليس الله بكاف عبده ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا
اى علموا ذلك ويجوز ان يتعلق بامنوا والمعنى او لم يقنط المؤمنون بان لو يشاء الله لهدى
الناس جميعا عن ايمان هؤلاء المعاندين ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا
من سوء الاعمال قارعة داهية وفى الحديث من لم يغز او لم يجهز غازيا اصابه الله بقارعة واصل القرع الضرب
بشدة ومنه ما قال عبد الملك بن مروان فى وصف سيف الزبير بهن فلول من قراع الكتايب او تحل
قريبا من دارهم فيقلقون منها وذلك ان رسول الله كان يرسل السرايا فتصيب
اموال اهل مكة او يتخطف من حولها وقيل او تحل انت يا محمد بجيشك قريبا من دارهم وذلك
عام الحديبية حتى ياتى وعد الله وهو فتح مكة او لا يزال هؤلاء المشركون تصيبهم
بافعالهم داهية مهلكة كما اصابت اربد وصاحبه عامر بن الطفيل وكما اصابت المستهزئين
وعلى هذا او تحل قريبا من دارهم انت يا محمد نزوله بالمدينة واقامته بها حتى ياتى وعد
الله ظهور امرك او موتهم او القيمة او فتح مكة وهذا اوجه لان السورة مكية ان الله
لا يخلف الميعاد تذييل لتحقيق الموعود ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين
كفروا تسلية لرسول الله تنفيسا له عما كان يقاسيه من عناد الكفرة والاملاء الامهال
والمعنى تركتهم بملاوة من الزمان فى خفض العيش كالبهيمة فى المرعى ثم اخذتهم فكيف كان
عقاب عقابى اياهم اى كان شديدا فظيعا افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت
افمن هذه افعاله كشركائهم حتى يكفروا واباياته ويعرضوا عنه وعن الخضوع لكبريائه كانه
قال لا عجب فى انكارهم اياتك بعد ظهورها انما العجب كل العجب جعلهم القادر على انزال
تلك الايات المجازى لهم على اعراضهم عن التدبر فيها كمن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا
فضلا ان يرجى منه جلب نفع او دفع ضر فالخبر محذوف وجعلوا لله شركاء استيناف
ويجوز ان يقدر ما يقع خبر المبتدأ ويعطف عليه وجعلوا كانه قيل افمن هو بهذه الصفة
لم يوحدوه ولم يمجدوه وجعلوا له شركاء قل سموهم ام تجرأ اذ لا اسماء لها والقصد تحقيرها
بانها من الدناءة بحيث لا يستحق ان يسمى ويذكر باسم ام تنبئونه بما لا يعلم بل اتنبئونه
بشركاء لا يعلمهم فى الارض وهو العالم بما فى السموات والارض ام بظاهر من القول
بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون تحته طايل بل هو مجرد صوت
قارع كقوله ذلك قولهم بافواههم وهذا استدلال بديع فى اسلوب غريب
فانه هدم قاعدة الاشراك بقوله افمن هو قائم على كل نفس فانه احتجاج من
طرف الحق ثم كر عليه بالابطال بان من لا يجوز له شريك قد اشركوا به شركاء لا اسماء
لها فضلا عن المسمى ثم بالغ فى نفيها بان نفى العلم بوجودها ليلزم منه نفى المعلوم
على طريقة الكناية وسلك فى ذلك مسلك الانكار توبيخا لهم بانهم يريدون
ان ينبئوا عالم السر واخفى بما لا يعلم وذلك محال اخر ثم قال ليس ما يقولونه
كلاما يلتفت اليه ويتامل بل مجرد صوت ثم اضرب عن ذلك كله واشار الى ما هو
الملاك فى ذلك الضلال بقوله بل زين للذين كفروا مكرهم كيدهم للاسلام
شركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق قراءة الكوفيين بضم الصاد
والباقون بالفتح والضم اوجه لمناسبة زين ولان الكلام فى ضلالهم لا اضلالهم
ومن يضلل الله فما له من هاد يوفقه لسلوك سبيل الرشاد وقف عليه ابن كثير
بالياء لهم عذاب فى الحيوة الدنيا بالاسر والقتل وساير الدواهى ثمرة ذلك

الضلال ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من واق حافظ
من عذابه او ما لهم من جهته واق من رحمته فمن ابتدائية وقد وقف ابن كثير عليه بالياء ايضا
مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار مبتدأ وخبر على طريقه قولك صفة
زيد اسمر طويل وعن سيبويه فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وتجري من تحتها الانهار حال من
المحذوف من وعد المتقون وعن الزجاج مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار اكلها دائم لا ينقطع
وقرأ ابن عامر الكوفيون بضم الكاف وظلها كذلك ليس كظل الدنيا ينسخها الشمس تلك عقبى
الذين اتقوا اي الموصوف عاقبة حال المتقين ومال امرهم وعقبى الكافرين النار ولذا
لم يصف النار لانها ذكرت بالعرض بعد ذكر الجنة قصدا والذين آتيناهم الكتاب يفرحون
بما انزل اليك لانه مصدق لكتابهم فيوقنون بانه الكتاب الموصوف في كتابهم اراد مؤمني
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى قيل هم ثمانون رجلا اربعون
من نجران وثمانية من اليمن واثنان وثلثون من الحبشة ومن الاحزاب وهم الذين تحزبوا
على عداوة رسول الله احبار اليهود من ينكر بعضه ما يخالف شريعتهم او ما حرفوه من
نعت رسول الله والاسلام ويقرون بما فيه من القصص الوقائع قل انما امرت ان اعبد
الله ولا اشرك به جواب للمنكرين كانه قال انما امرت بعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون
اليه ادعوا الى عبادته ادعو لا الى شيء سواه واليه مآب مرجعي لا الى غيره وانتم قائلون
بذلك فلا وجه لانكاركم وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه اصل الكلام مثل
هذا الانزال الذي يشاهدونه مشتملا على التوحيد وانما جيء بالمثل زيادة في تفخيم حكما عربيا
سماه عربيا لكونه مستفادا منه تسمية للحال باسم المحل لان الالفاظ قوالب المعاني واوعيتها او الحكم بمعنى
المحكم المتقن ولئن اتبعت اهواءهم كانوا يقولون لو تعبد ربك ان عبدت آلهتنا سماها اهواء
لان الباعث على عبادتها ليس سوى الاهواء وحظوظ النفوس بعد ما جاءك من العلم
بانها باطل ما لك من الله من ولي ناصر يمنعك من عقابه ولا واق يحفظك من شر عذابك
وهذا ونظائره من باب الالهاب والتهييج له وحث للسامعين على الثبات والتصلب في الدين
والا فرسول الله قبل النبوة كان بمعزل عن ذلك فكيف به بعد تلك البراهين والحجج القاطعة
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية كانوا يستبعدون ان يكون الرسول
بشرا وله ازواج وذرية فرده الله بان الرسول انما ارسل للتبليغ وليس من لوازم ذلك مخالفة نبي
نوعه بل كونه مثلهم في ذلك ادعى الى المتابعة وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله
بارادته قرأه ابن كثير بالياء وصلا ووقفا والباقون بدون ياء لكل اجل كتاب لكل امد حكم يكتب
على العباد على وفق ما اقتضته الحكمة يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يشاء ويثبت ما اقتضت حكمته
اثباته وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس من الطاعات والمعاصي لانهم مأمورون بكتابة كل حركة وسكون
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقيل يمحو سيئات التائبين ويثبت مكانها الحسنات لقوله اولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات وقرأه بالتشديد نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وهو المختار لكونه
ابلغ وللوفاق في قوله يثبت الله الذين آمنوا وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو
اللوح المحفوظ او علمه الشامل فان اللوح من الكتب ايضا وان ما نرينك بعض الذي
نعدهم من العذاب في الدنيا كالقتل والاسر بان دلالة على عدم لزوم ذلك واكد
بما اشارة الى انه كائن لا محالة او نتوفينك قبل وقوعه فانما عليك البلاغ لا غير
وعلينا الحساب للمجازاة فلا عليك من اعراضهم ولا يهمنك شأنهم اولم يروا انا
نأتي الارض ننقصها من اطرافها اي قد رأوا ذلك وهو من آيات النصر وعلو الاسلام
فما لهم لا يعتبرون وهذا دليل على ان السورة مدنية اذ لم يكن قبل ذلك فتح بلاد والله
يحكم لا معقب لحكمه لا مغير ولا مبطل في محل النصب على الحال واصل التعقيب ان تعمل

ان تعمل عملا ثم تعود فيه وفي الحديث سئل انس عن التعقيب في رمضان فنهى عنه وهو ان
يصلي النافلة بعد التراويح وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم بعذاب
الآخرة وقد مكر الذين من قبلهم كما يمكر هؤلاء فلله المكر جميعا اذ كل مكر مضمحل
دون مكره لتفرده بالتأثير ومكر غيره تخيل باطل يعلم ما تكسب كل نفس من الخير
والشر وقد اعد لكل جزاءه وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار اي العاقبة المحمودة وهذا كالتفسير
لمكره فانه احقى امر العاقبة عنهم فوقعوا في الضلال المؤدي للنار وقرأ الكوفيون وابن عامر
الكفار وهو ابلغ لكونه نصا في الافراد ولموافقة قراءة ابن مسعود الكافرون ويقول الذين
كفروا لست مرسلا كافتهم وقيل رؤساء اليهود فالموصول معهود قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم فانه ايدني بمعجزات دالة على رسالتي وهي شهادة لا تحتمل الريب ومن
عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز وهم الكفار الذين علموا اعجاز
القرآن ولم يشهدوا والتعريض بان الخصم لو انصف كان شاهدا وقيل هم علماء اهل الكتاب
الذين آمنوا فانهم يشهدون بانه المنعوت في كتبهم وعن الحسن هو الله الذي عنده العلم
بما في اللوح والعطف للاشارة الى الاستقلال بالشهادة نظرا الى كل وصف فكانه قال
من له الالوهية يشهد لي ومن له العلم بما في اللوح قد شهد بان ضمن الكتاب المنزل الي من المعارف
ما يبهر العقول فوافق الخاتمة فاتحة السورة

سورة ابرهيم مكية وهي اثنتان وخمسون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر اي هذه السورة اسم لها او المؤلف من الحروف
مبتدأ خبره كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك الى ما فيه من المعارف
والاحكام من الظلمات الى النور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتوفيقه
وتيسيره من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور
استعار النور للهدى اولا لظهوره ثم جعله جادة لا زيغ فيها موصلة ويحتمل الاستئناف كانه
قيل الى اي نور فقيل الى صراط الله الذي لا شيء اظهر منه الله الذي له ما في السموات
وما في الارض قرأه بالرفع نافع وابن عامر على انه مبتدأ خبره الموصول او خبر مبتدأ
محذوف والموصول صفة فالوقف على الحميد تام والباقون بالجر على انه بدل او عطف بيان
وويل للكافرين من عذاب شديد الويل نقيض الوأل وهو النجاة ينصب نصب
المصدر الا انه لا يشتق منه فعل والمعنى حزن وهلاك لهم من عذاب يقعون فيه او لهم
هذه الكلمة عند ذلك فان الواقع في الهلاك ينادي بها الذين يستحبون الحيوة الدنيا
على الآخرة يختارونها عليها فان المؤثر للشيء يطلب من نفسه ان يحبه ويصدون
عن سبيل الله الناس عن سلوكها ويبغونها عوجا يطلبون لها عيبا واعوجاجا ليتوسلوا
الى الصد الموصول يحتمل الجر صفة للكافرين ونصبا ورفعا على المدح او على انه مبتدأ خبره
اولئك في ضلال بعيد وصف الضلال بالبعد على الاسناد المجازي لان البعد
حال الضال كقولك جد جده ويحتمل ان يكون صفة الضلال اي ذي بعد كانه قيل له بعد
لا نهاية لغوره وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الذين هو منهم ونشأ بينهم ليبين لهم
الاحكام ويفهموا عنه ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي
ولا يرد بعثة رسول الله على الناس كافة لان الانزال بلسان قومه اولى لانهم اقرب الناس
اليه ولو انزل اليه بالسنة مختلفة كان في ذلك اعجاز ظاهر ولكن كان يؤدي الى اضاعة
فضل الاجتهاد وقيل نزلت الكتب كلها بالعربية واداها كل نبي الى قومه بلغتهم وقد روي
ذلك عن الضحاك وليس بشيء لانه يلزم ان يكون التورية نازلة على موسى ليفسرها بالعربية
لقوم محمد ودفع ذلك برجوع الضمير الى كل قوم قوم بدليل السياق لا يعتد به

يضل الله من يشاء بعد بيان الرسل والارشاد الى الطريق الموصل ويهدي
من يشاء هدايته وهو العزيز الذي لا يغلب على مشيئته الحكيم الذي لا يفعل الا لحكمة
ولقد ارسلنا موسى باياتنا لما بين انه قد ارسل قبل رسول الله رسلا بالكتب السماوية
ذكر قصة موسى مع قومه لكثرة عنادهم وتعنتهم تسلية لرسوله واياته العصا وفلق البحر واليد
البيضاء وساير معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات من شبه الضلال الى النور
الى الهدى ان مفسرة لان في الارسال معنى القول او مصدرية لان الافعال سواء في الدلالة
على المصدر فالتقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وقايعه مع مكذبي الانبياء
كقوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لوقايعها وحروبها وعن ابن عباس ايام الله نعماؤه
وبلاياه ولعل التخصيص فهم من الاضافة فانه لا يضاف اليه تعالى الا ما له شان ان في ذلك
لايات لكل صبار شكور كثير الصبر على بلايه دايم الشكر على نعمايه وقيل لكل مؤمن كناية
عن الايمان نظيره حتى مستوى القامة في الكناية عن الانسان واذ قال موسى لقومه اذكروا
نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون ظرف للنعمة لانها بمعنى الانعام اي
انعامه عليكم ذلك الوقت ويجوز ان ينصب بعليكم ان لم يكن صلة للنعمة وذلك اذا اريد
بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدل اشتمال يسومونكم سوء العذاب
ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم اطرح الواو في سورة البقرة لانه جعل التذبيح بيان سومهم
العذاب وابشعها كانه زاد على ذلك العذاب وصار جنسا اخر مستقلا لغاية فظاعته وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
نعمة عظيمة فذلك اشارة الى الانجا او نقمة فظيعة اشارة الى التذبيح واذ تأذن ربكم
من مقال موسى عطف على نعمة الله كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله واذكروا حين
تأذن ربكم ومعنى تأذن آذن اي اعلم ما في صيغة التفعل من المبالغة فكانه قال آذن ايذانا
لا يبقى معه شائبة ريب لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت من الانجا وغيره من النعم
بالايمان الخالص والعمل لازيدنكم لاضاعفن لكم ما انعمت ولئن كفرتم ان عذابي لشديد
فلعلي لم يسند العذاب الى ذاته كما اسند زيادة النعمة اشارة الى غلبة رحمته المعطوف والمعطوف
عليه مفعول قول مقدر او مفعول تأذن لان فيه معنى القول وقال موسى ان تكفروا انتم
ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله عن شكركم لغني حميد يستحق الحمد حمد او لم يحمد او
يحمده الملايكة وفي الحديث حمد الله نفسه قبل حمد الحامدين الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم
قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى او ابتدا كلام من الله مع هذه الامة والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله اعتراض يفيد الترقي كانه قيل الم يأتكم نبأ هولاء ومن لا يحصى
عددهم الا الله فذع التفصيل فانه لا مطمع فيه او الذين من بعدهم عطف على قوم نوح
ولا يعلمهم الا الله اعتراض كانه قيل الم يأتكم نبأ الجم الغفير وعن ابن عباس بين عدنان
واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الاية يقول كذب
النسابون وقد نفى الله علمها عن العباد جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم
في افواههم عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ
او اشاروا بايديهم الى ما نطقت به السنتهم من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به كانهم
قالوا هذا جوابنا لكم ليس لكم عندنا غيره او ردوا ايديهم في افواه الرسل كانهم
قالوا اسكتوا نحن مضرون فلا يقع في الاكثار كقوله انا لا اصغي وانت تطيل او الضحك
والاستهزا مجازا وحمل الايدي على نعم الانبيا من الحكم والشرايع التي هي اجل النعم لا يخفى
بعده وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب
موقع في القلق او ذي ريبة من ارابه او من راب الرجل قالت رسلهم افي الله شك لم ينكروا

لم ينكروا الشك لوقوعه بل نفوا ان يكون محل الشك لسطوع البراهين ولذلك وصفوه
باظهر الادلة فاطر السموات والارض صفة او بدل يدعوكم لم يسندوا الدعوة الى
انفسهم كما اسنده اليهم الكفرة اشارة الى ان الداعي في الحقيقة هو الله والله يدعوا
الى دار السلام ليغفر لكم اي يدعوكم الى الايمان للمغفرة او يدعوكم الى المغفرة لا لان
اللام بمعنى الى بل ليدل على ان الغاية غرض مقصودة فيفيد معنى الانتها مع الاختصاص
من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهي التي في ايام الكفر لا التي بينهم وبين الله لقوله قل
للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف او من بدله لقوله اولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات وابقا البعض على الاحتمال لئلا يتكلوا على الايمان لا انه يدل على عدم مغفرة
الجميع اذ لا تنافي بين مغفرة البعض ومغفرة الجميع ويؤخركم الى اجل مسمى الى امد عينه
وهو اخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فكيف تكونون رسلا
دوننا تريدون ان تصدونا بدعوتكم الباطلة عما كان يعبد اباؤنا فأتونا
بسلطان مبين برهان قاطع يدل على صدق دعواكم وهذا ديدن المعاند لا يرضى
بالمعجزة ويشرع في الاقتراح تعنتا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم نحن وانتم
سواء في البشرية ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة والرسالة
تفضلا فكوننا بشرا مثلكم لا ينافي رسالتنا وما كان لنا ما صح لنا وما استقام
ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله بارادته وعلى الله فليتوكل المؤمنون امروا
المؤمنين بالتوكل فدخلوا فيهم دخولا اوليا وهذا ابلغ من قوله على الله توكلنا
وما لنا ان لا نتوكل على الله اي عذر لنا وما يحصل لنا في عدم التوكل وقد هدانا
سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا طريقه الذي يوصل اليه فان قلت الطريق اليه تعالى
واحدة وهي سبيل الانبيا قل هذه سبيلي فكيف اتى بصيغة الجمع قلت اصل الدين
واحد والفروع مختلفة لكل جعلنا منكم شرعة او جمعوه للتعظيم وعلى الله فليتوكل
المتوكلون لا على غيره اي فليثبت المتوكلون في توكلهم او ليزدادوا في التوكل لان
من استوى يوماه فهو مغبون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن
في ملتنا مفعوله الخلو من احد الامرين اما الاخراج او العود الى ملتهم والرسل
لم يكونوا على ملتهم يوما فالعود اريد به الصيرورة من اطلاق المقيد على المطلق او غلب
الامة على الرسل كما في قصة شعيب واثر والطرف على الى لدلالته على الاستقرار فاوحى
اليهم ربهم الى الرسل لنهلكن الظالمين مقول القول لان الايحا نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم بعد اهلاكهم وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم
من اذى جاره ورثه الله داره ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين
لمن خاف مقامي المخصوص بي وهو موقف الحساب وقيل المقام مقحم وخاف وعيد
وعيدي واستفتحوا اي الرسل من الفتاحة وهي الحكم كقوله ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وقيل الكفرة وقيل الضمير للفريقين كل فريق سأل النصر على عدوه
وخاب كل جبار عنيد اي فتح للرسل وخاب كل متكبر عات يؤبدان المستفتح هم
الكفار او الفريقان من ورايه جهنم من بين يديه قال عسى الهم الذي امسيت
فيه يكون وراءه فرج قريب والوراء وان كان مشتركا الا ان الكافر واقف على حرف
جهنم لانه مخلوق لها او ذلك حاله يوم القيمة اذا بعث ويسقى من ماء صديد
عطف على مقدر تقديره يلقى فيها ويسقى من ماء صديد اشد العذاب عليه ولذلك
ابهمه اولا ثم بينه بقوله صديد والصديد ما يسيل من جلود اهل النار نعوذ بالله
من ذلك يتجرعه يتكلف جرعه لشدة عطشه والجرع الشرب على العجلة ولا يكاد

لا تقرب اساغة لغاية بشاعته فكيف بالاساغة يقال شراب سايغ اذا كان سلس
الجر يان سهل المرور في الحلق ويأتيه الموت من كل مكان كناية عن شدة عذابه
وكثرة الآم قيل يأتيه من تحت كل شعرة المستقل وما هو بميت ليستريح مرة
واحدة ومن ورائه عذاب غليظ فيما يستقبل لم يزل يترقى في ذلك وهذا
دليل على كذب بعض المتصوفة الجهلة الذين يقولون اذا اعتاد بالعذاب لا يحس
بالالم وعن فضيل بن عياض هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد قيل هذه الاية منقطعة
عن قصة الرسل وانما هي في اهل مكة حين دعا عليهم رسول الله بالقحط فابتلوا به كذلك
حتى اكلوا الجيف فاستفتحوا اي طلبوا المطر والفتح من اسمايه فخيب الله رجاهم وذكر انه
بسقيهم من صديد جهنم هذا وقد صح انهم لما اخذوا بالقحط جا ابو سفيان وهو مشرك
الى رسول الله وقال يا محمد انك تامر بصلة الارحام وقد ترى ما اصاب قومك فادع الله
ان يسقيهم فدعا رسول الله فسقوا وفيه قال ابو طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال
اليتامى عصمة للارامل مثل الذين كفروا بربهم صفتهم الغريبة مبتدا محذوف
الخبر عند سيبويه اي فيما يتلى عليكم وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة لبيان حالهم
الغريبة او هذه الجملة هي الخبر اي صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد او اعمالهم بدل كل
عن مثلهم وهذا ابلغ معنى والرماد معروف اصله الرمد وهو الهلاك اشتدت
به الريح قرا نافع الرياح على ارادة الجنس من الجهات في يوم عاصف العصف
شدة هبوب الريح وصف به اليوم مبالغة كما في نهاره صايم وليله قايم بالغ في وصف
الريح بالشدة حيث اسند فعل الاشتداد اليه ثم وصفه بالعصف الذي هو شدة
الهبوب ثم وصف به زمانه لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد
اشارة الى ما هم فيه من الحسبان الباطل كانوا يطعمون الجايع ويكسون العاري ويغيثون
الملهوف ولا يدعون مكرمة الا سابقوا اليها ولكن حيث لم تكن مسبوقة بما هو الايمان
والتوحيد كانت كالصلوة بلا وضوء وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
الم تر ان الله خلق السموات والارض خطاب لسيد القوم والمراد امته او لمن يتاتى
منه الروية بالحق بالحكمة التي اقتضت مشيته ليكون اظهر الدلايل على قدرته على الاعادة
وعلى كل ممكن وقرا حمزة والكسايي خالق اسم فاعل والمختار صيغة الماضي لان المعنى عليه
ووفاقا لساير الايات ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد بعدكم ويخلق مكانكم قوما اخرين
لان من قدر على خلق السموات والارض كان اعدامكم منه والاتيان بامثالكم اهون شيء عنده
وما ذلك على الله بعزيز بعسير اصل العزة القوة والشدة وبرزوا لله جميعا
يبرزون يوم القيمة للحساب والمجاز عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه او يبرزون لله في اعتقادهم
فانهم في الدنيا كانوا يخفون ما ارتكبوه من الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله خيالا
فاسدا فقال الضعفؤا للذين استكبروا اي الاتباع للروسا فان قلت لم رسمت الهمزة
واوا في الضعفؤا والشفعؤا ونظايرها قلت قياس لان تخفيفها في الوصل بالتسهيل والوقف
بالروم كالواو فرسمت عليه قال ابو عمرو الداني في المقنع رسمت على مراد الاتصال والتسهيل
والقول بانها رسمت على لغة من يميل بالالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو وليس بشيء اذ لم
يقرا به احد من القراء فان قلت فما وجه الالف بعدها قلت وجه الالف بعدها ما قال
ابو عمرو لما تطرفت الواو اشبهت واو الجمع في قالوا فالحقت بها انا كنا لكم تبعا مقلدين
لكم معرضين عن الرسل ونصايحهم جمع تابع كغايب وغيب او مصدر نعت به فهل انتم
مغنون عنا دافعون من اغنى عنه كفه من عذاب الله من شيء من الاولى
للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله

عذاب الله وانما قدم البيان على المبين للاهتمام ويجوز ان يكونا للتبعيض والاولى حال كانه
قيل بل انتم مغنون عنا بعض شيء حال كونه بعض عذاب الله ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية
مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا بعض الغناء بعض العذاب قالوا اي الروسا لو هدانا الله
للايمان لهديناكم لكن ضللنا فاضللناكم ما اخترنا لكم الا ما اخترنا لانفسنا فلا عتب
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا لا تفاوت الحال لفوات وقت الاعتداد ما لنا من محيص
من منجى من حاص اذا تاخر وفي معناه جاص بالجيم ويجوز ان يكون كلام الفريقين الضعفا
والمستكبرين جميعا والمحيص اما مكان او مصدر وقال الشيطان لما قضي الامر فرغ
منه وفريق في الجنة وفريق في السعير يقوم بعد استقرار الفريقين خطيبا للاشقياء من الثقلين
ان الله وعدكم وعد الحق الذي لا خلف فيه من اضافة الموصوف الى الصفة ووعدتكم
فاخلفتكم جعل بطلان وعده وكذبه فيما وعد به كالاخلاف منه لكونه سببا وما كان لي عليكم
من سلطان تسلط واجبار الا ان دعوتكم لكن دعوتكم الاستثناء منقطع لان الدعوة
ليس من جنس السلطان او هو على طريقة قول تحية بينهم ضرب وجيع فاستجبتم لي اسرعتم في اجابتي
فلا تلوموني ولوموا انفسكم كيف اغتررتم بقول العدو بعد تيقن العداوة وليس في الاية الا
ان الانسان له اختيار في فعله ليس مجبورا كل الاجبار كما دل عليه قوله وما كان لي عليكم واما انها تدل على ان
الانسان يستقل بخلق افعاله فكلا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب اصله من الصراخ وهو الصوت
وفي الحديث كان يقوم بالليل اذا سمع الصارخ يريد صوت الديك وما انتم بمصرخي
قراه حمزة بكسر الياء على ان الاضافة الى ياء ساكنة كما على مي فلما سقط النون بالاضافة اجتمع الساكنان
حركت الثانية لعدم امكانه في الاولى بسبب الاعراب وليمكن الادغام وعند التقاء الساكنين
اذا حرك الساكن يحرك بالكسر قاعدة مطردة وقد نقل من اهل العربية قطرب والفراء وابو
عمرو بن العلا فمن قال انها ضعيفة فلضعف بصيرته ولو لم يوافق العربية حيث تواتر عن صاحب
الوحي افصح خلق الله كان واجب القبول والشعر الذي قال انه مجهول هو للاغلب العجلي مسطور
في ديوانه اني كفرت بما اشركتمون من قبل باشراككم اياي من قبل هذا اليوم في الدنيا ومعنى
كفره باشراكهم اياه تبروه منه في ذلك اليوم فعلى هذا ما مصدرية ومن يتعلق بكفرت او موصولة
بمعنى من وهو الله تعالى اي كفرت بالذي اشركتمونيه معه في طاعتكم اياي حين دعوتكم على عبادة
الاوثان وترك التوحيد من قبل اشراككم اذ ابيت السجود لادم يقال شركت زيدا واشركته غيري
فتعدى الى المفعول الثاني بالهمزة ان الظالمين لهم عذاب اليم من كلامه سيقوله في ذلك
اليوم بحسرة حكاه الله ليكون ايقاظا للناظرين في امر الاخرة او هو ابتداء كلام منه تعالى لذلك
وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم
بتوفيقه وارادته والمدخل الملك الذي بيده مفتاح الجنة والاسناد اليه تعالى للتشريف تحيتهم
فيها سلام تحية الملايكة عند ملاقاة المومنين سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الم تر
كيف ضرب الله مثلا لما بين احوال الاشقياء واحوال السعداء اردفها بضرب المثل كشفا عن حقيقتها
وابرازا للمعقول في صورة المحسوس كلمة طيبة اي جعل كلمة طيبة تفسير لقوله ضرب الله مثلا
كما تقول شرف الامير زيدا كساه حلة حمله على فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب على تضمين معنى
التصيير اي صير كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انه خبر مبتدا محذوف اصلها
ثابت في الارض ضارب بعروقها وفرعها في السماء واعلاها نحو السماء ويجوز ان
يريد فروعها وهي الاغصان واكتفى بالجنس لفظا او لكل فرع على البدل لا الاستغراق لان مثل غلام
زيد لا يستغرق تؤتي اكلها ثمرها قرا الكوفيون وابن عامر بضم الكاف كل حين كل وقت
جرت عادة الله بكون الثمر فيه باذن ربها بارادة خالقها ومكونها
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون فان ضربها تصوير للمعقول في صورة المحسوس

تقريبا للمعاني الى الافهام ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض استوصلت واخذت
برمتها واصل الجث القطع ما لها من قرار ثبات لكون عروقها على وجه الارض تخفف
بادنى ريح والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة تورث ثوابا كالتسبيحة والتحميدة و
الاستغفار والتوبة وعن ابن عباس هي شهادة ان لا اله الا الله وهذا هو الوجه لانها اصل الاعمال
فينطق عليه قوله وفرعها في السماء فالسكر للتعظيم والشجرة الطيبة كل شجرة لها ثمر طيبة كالنخل
والتين وعلى قول ابن عباس يجب ان يكون النخل لانها افضل الاشجار على ما قال رسول الله انها مثل
المؤمن والكلمة الخبيثة ما يكون معصية او يؤدي اليها والشجرة الخبيثة الحنظلة وقيل الثوم وانما
اردف المثل الاول بقوله ويضرب الله الامثال ولم يؤخر عنها اشارة الى شرفه وانه المقصود
بالذات والثاني مذكور بالعرض يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة وهو كلمة الشهادة فان المؤمن يفتن في الدنيا نعوذ بالله كما فتن اصحاب الاخدود
وانبياء بني اسرائيل نشر بعضهم بمناشير الحديد ولم يصرفهم ذلك عن دينهم وكذلك في الاخرة اذا
جاءهم فتان القبر وسألوهم عن دينهم يثبتوا على ما كانوا عليه في الدنيا كما اخبر بذلك صلى الله عليه
وسلم يموتون كما تعيشون وروى البخاري عن البراء ان رسول الله قال ان المؤمن اذا سئل عن ربه
وعن دينه وعن نبيه واجاب نادى مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين الذين لم ينتبهوا لدلايل
الافاق والانفس على وحدانيته ويشا ان يكون ذلك قول الكافر في القبر اذا سئل عن ربه وعن دينه
فيقول لا ادري فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة فيصيح صيحة يسمعها كل ذي حيوة سوى الثقلين
ولو سمعوها لصعقوا من هيبتها ويفعل الله ما يشاء من الاسعاد والاشقاء وفيه ايماء الى المؤمن
لا يتكل على ما هو فيه ولا يأمن من مكر الله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمة الله
الذي كان واجبا عليهم اتوا بنقيضه فكانهم بدلوه او بدلوا نفس النعمة كفرا فان الاية نزلت في
مشركي مكة حين من الله عليهم بمحمد عليه السلام فلم يقبلوا نعمته واثروا الكفر عليها واحلوا
قومهم دار البوار الذين شايعوهم على الكفر والبوار الهلاك وفي الحديث نعوذ بالله
من بوار الايم وهي المرأة التي لا زوج لها ولا يرغب فيها احد جهنم يصلونها عطف بيان
او بدل والمضارعة حال منها او من الفاعل اي داخلين فيها مقاسين حرها وبئس القرار
بئس المقر جهنم جعلها نفس القرار مبالغة وعن عمر وعلي هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية
اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم
واصحابه وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله التوحيد الموصل اليه والانداد جمع ند بالكسر
وهو مثل الشيء المضاد وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون بضم الياء من الضلال والفتح
هو المختار لان مجرد الضلال كاف في الاستحقاق والضلال والاضلال لجعلا غرضين مجازا
كما في قوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قل تمتعوا بالشهوات امر تهديد
وفي الاتيان به ايذان بانهم منهمكون في تلك الشهوات كانهم مامورون من امر لازم اطاعته
فان مصيركم الى النار فاستوفوا العاجل قبل فواته قل لعبادي الذين امنوا اضافهم الى نفسه
تشريفا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم كما ان الكفرة يلتذون بالشهوات هؤلاء يستلذون
بعبادته ومفعول القول محذوف لان جوابه يدل عليه تقديره قل لهم اقيموا وانفقوا يقيموا
وينفقوا ويجوز ان يكون اللام محذوفا فلدلالة قل عليه وما حكي عن المبرد من ان التقدير قل لهم
اقيموا يقيموا فلا يستقيم لان الشرط والجزاء متحدان في الفعل والفاعل ولان الامر المقدر للمواجهة
ويقيموا على لفظ الغيبة سرا وعلانية مسرين ومعلنين او في وقتي سر وعلانية او انفاق
سر وعلانية السر في الاصل جوف الشيء ثم اطلق على كل خفي قولا كان او غيره والمراد الحث
على الانفاق لانه لا يخلو عنهما والاولى في التطوع الاخفاء لانه ابعد عن الرياء وفي الفرض

وفي الفرض الاعلان ليقتدى من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلال اي من قبل ان
لا تقدروا على تدارك ما فاتكم لانه اما ان يكون بصرف الاموال او بمساعدة الاخلاء وكلاهما
منتف في ذلك اليوم او معناه الحث على الانفاق بتصوير يوم ينفع فيه هذا الانفاق ولا ينفع
فيه هذان الامران المستمران بين الناس او عدم الانتفاع بهما كناية عن الانتفاع بمقابلهما
وهو ما انفق لوجه الله قرأ ابن كثير وابو عمرو فيهما بالفتح وهو ابلغ لكونه نصا في الاستغراق الله
الذي خلق السموات والارض مبتدأ وخبر بين تبدأ من احوال السعداء والاشقياء ورغب
ورهب ثم عاد الى دلايل التوحيد وبدأ باظهرها وانزل من السماء ماء فاخرج به من
الثمرات رزقا لكم مفعول اخرج يشمل كل ما انتفع به الانسان والحيوان والمجرور بيان له قدم
عليه او حال منه او من التبعيض مفعول ورزقا حال او مصدر اخرج لانه في معنى رزق وسخر لكم
الفلك لتجري في البحر بامره بارادته حيث قصدتم وسخر لكم الانهار تصرفون فيها وقيل
تفجرها كيف تعليم للانتفاع بها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين مستمرين على السير من داب
في العمل اذا جد وفي ذلك منافع عظيمة لا تحصى من الانارة واصلاح الابدان والثمار بل لولا ذلك
لم يتصور تعايش الحيوان وسخر لكم الليل والنهار للكسب والاستراحة واتاكم من كل
ما سألتموه بعض الذي سألتموه اذ لا يحصل الانسان جميع ما يطلب ويجوز ان يكون السؤال
بلسان الحال اي اتيكم من كل شيء ذلك باحتجتم اليه ولم يمكن تعيشكم الا به فما موصولة او موصوفة
او مصدرية بمعنى المفعول ويجوز ان يكون نافية اي اتيكم من كل شيء غير سائليه وهو وجه حسن
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها الاحصاء العد والحفظ وفي الحديث كل القران لحصيت
اي حفظت واذا كان الاحصاء غير مقدور فلا سبيل الى شكرها ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم في مقام الحمد لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال اذا كان
شكري نعمة علي بها كيف السبيل الى الشكر ان الانسان لظلوم كفار ظلوم يضع الكفر
موضع الشكر كفار شديد الكفر يقابل تلك النعم باغفال الشكر وقيل ظلوم يشكو في
الشدة ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والمراد الجنس لقوله وقليل من عبادي الشكور
واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد امنا ذا امن زاده الله امنا وشرفا اشار الى ما في
الذهن قبل الوجود بالفعل ونكر في البقرة مشيرا الى الكاين اي اجعل هذه البلدة بلدا
امنا او بالعكس لان الاول اظهر لان ما في هذه السورة سابق نزولا فلا اشارة باللام الا
الى ما في الذهن فان قلت يلزم ان يكون دعوته الاولى غير مستجابة قلت سئل اولا ان يجعل
صالحا للسكنى ذا امن على وجه الاستمرار كما هو شان اكثر البلاد وثانيا ازالة خوف يعرض
ساير البلاد الامنة احيانا وقيل سئل اولا امن الدنيا وثانيا امن الاخرة او ردفه
ابرهيم بعد ذكره الانسان بانه ظلوم تذكيرا لهؤلاء النافرين ودعوة الى التوحيد الذي
دعا ابرهيم اباهم اليه وزجرا لهم عما هم فيه فانهم يدعون انهم على ملته واجنبني وبني
بعدني واياهم يقال جنب ولجنب وجنب بالتشديد فالاول لغة نجد والثالثة الحجاز ان نعبد
الاصنام عن عبادتها ارادتي من غير واسطة اذ عبادة قريش للاصنام لم يخالف فيه احد
ولقوله لا ينال عهدي الظالمين وقوله ومن كفر فامتعه قليلا وما حكي عن سفيان بن عيينة
ان احدا من ولد اسمعيل لم يعبد الاصنام محمول على ولد صلبه رب انهن اضللن كثيرا
من الناس اسند الاضلال اليهن باعتبار السببية فمن تبعني على التوحيد فانه
مني متصل بي وهو حيث مثلي كما في الحديث من غشنا فليس منا لان فعله ليس
من جنس افعالهم ومن عصاني فانك غفور رحيم بالتوبة وتوفيق الانابة وفيه
دليل على ان الله يغفر ما دون الشرك لمن يشاء ربنا اني اسكنت من ذريتي
بعض ذريتي هو اسمعيل حين تركه مع امه بالحرم وقيل اسمعيل وذريته فان اسكانه

متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم اردوادي مكة اذلم يكن هناك
زرع ولاما واراد با لبيت مكانه اذلم يكن هناك بناء وانما بناه بعد ما نشا اسمعيل
وانما وصف بالمحرم لانه حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه لا يختلى
خلاه ولا يعضد شجره اولانه حرم على الطوفان فلم يستول عليه اولانه لم يزل ممتنعا
يهابه كل جبار كالشئ المحرم الذي حقه ان يجتنب عنه وسبب اسكانه ذريته ان هاجر
كانت جارية لسارة وكانت سارة عقيما لا تلد فوهبتها لابراهيم عسى ان يرزقه
الله منها ولدا فلما ولدت اسمعيل غلبت عليها الغيرة فلم يقدر على رؤيتهما فنا
شدت ابرهيم ان يخرجهما من عندها فامر الله ان يسكنهما بذلك الحرم الشريف
فركب ابرهيم البراق وحملهما حتى وضعهما في موضع زمزم ثم تولى فقالت له هاجر
تذهب وتدعنا في هذا الوادي الذي لا ماء به ولا زاد فقال بلى قالت الله امرك بهذا
قال بلى قالت فاذهب اذن لا يضيعنا ربنا ليقيموا الصلوة الجار متعلق بمحذوف موخر
اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق الا ايثارا لشرف الجوار واشار الى
ذلك بقوله عند بيتك المحرم ثم صرح بان الغرض الاصلي هو تعمير ذلك المكان بانواع
العبادة من اقامة الصلوة والطواف والعكوف ثم بعد تقديم الوسيلة دعا بقوله
فاجعل افئدة من الناس من تبعيضية ويجوز ان يكون ابتدائية كما في قولك رئت اني
وهن العظم مني كانه قيل افئدة اناس وقرا ابن عامر في رواية هشام افئيدة بياء
بعد الهمزة فصلا بين الشديدتين تهوي اليهم تسرع نحوهم من هوى يهوي هويا
وفي حديث البراق انطلق يهوي اي يسرع واذا ضم الها في مصدره مع تشديد اليا معناه
الهبوط واذا فتح مع تشديد اليا الصعود وقيل بالعكس فيهما وارزقهم من الثمرات
بان تجلب اليهم من ساير البلاد لكونه واديا غير ذي زرع فاجاب الله دعاءه فجعله حرما
آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ الى اخر الدهر بل يجتمع فيه من انواع الثمار الصيفية والخريفية
ما لا يوجد في ريف من الارياف لعلهم يشكرون تلك النعمة لان النعمة اذا جاءت من
حيث لا يحتسب كانت ادعى الى الشكر ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن علما لا تفاوت فيه ولا
احتجاب اشار الى ان باطنه موافق لظاهره وسره مطابق لعلنه وان فايدة السوال اظهار العبودية والتذلل
بالتذلل والاشهاد ثم الحال ما لا افتقار اليه كافيه ولذلك سلك في مقام التوكل خلاف
ما سلك هيهنا روي انه لما وضع نمرود في المنجنيق والقاه في النار فكان في الهوا متوجها الى
النار لحقه جبرئيل فقال هل من حاجة خليل الله فقال اما اليك فلا فقال سل ربك
قال علمه بحالي يغنيني عن سوالي وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء لان علمه
بالاشياء على السواء فالنسبة في الكل على السواء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل
واسحق مع الكبر في موضع الحال اي وانا كبير السن على خلاف المتعارف قيل ولد له اسمعيل
وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقيل ولد اسمعيل
وهو ابن اربع وستين سنة واسحق لتسعين سنة وانما ذكر حال الكبر اعترافا بكمال النعمة لان
المنة بهبة الولد في سن الياس اعظم فان قلت قوله اني اسكنت ذريتي بواد غير ذي زرع هو
اسكانه اسمعيل قبل بناء البيت بلا خلاف وقوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل
واسحق دل على ان هذا الكلام بعد ولادة اسحق قلت ان الله تعالى حكى عنه جملا من كلامه
في احايين كثيرة متفرقة لاشتراكها فيما سيق له الكلام من كونه على الايمان والعمل الصالح مريدا
ذلك لذريته ومن تبعه ان ربي لسميع الدعاء من اضافة اسم الفاعل الى المفعول وقد ذكر
سيبويه فعيلا من ابنية المبالغة العاملة عمل فعلها مثل ضراب اخاه ورحيم اباه ومعنى
سماع الدعا الاجابة لها والاعتداد بها كما في قول المصلي سمع الله لمن حمده رب اجعلني

مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي وبعض ذريتي لانه قد علم
من قوله ومن كفر فامتعه قليلا ان من ذريته من هو كافر ربنا وتقبل دعائي اي عبادتي
لقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله ثم قال ولما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله او
هو كلمة التوحيد لقوله صلى الله عليه وسلم دعائي ودعاء الانبيا قبلي بعرفات لا اله الا الله او هو
بعثة محمد لما في الحديث انه قال ساخبركم انا دعوة ابي ابرهيم وبشارة اخي عيسى ربنا اغفر لي
ما فرط مني ولوالدي كان ذلك قبل النهي وقدم مغفرة نفسه ليكون دعاؤه لهما بعد
المغفرة اقرب الى الاجابة وللمؤمنين كافة يوم يقوم الحساب ثبت شبه ثبوته بقيام
الشخص على رجله كما في قولهم قامت الحرب على الساق وترحل الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كانها
قامت على الرجل او اهل واسند الفعل اليه مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمين
اراد تثبيته على ما هو عليه كما في نظايره ولا تدع مع الله الها آخر ولا تكونن من المشركين كناية
عن الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه خافية او الخطاب لمن لم يعرف صفات الله
وشمول علمه وعن سفين بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال قال انما
قال من علمه بريد من نفسه انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار شخوص البصر ارتفاع الاجفان
الى فوق وتحديد النظر وانزعاجه ومنه الشخص لكل جسم مرتفع مهطعين مسرعين الى الداعي
او من هطع اذا اقبل على الشئ ببصره لا يقلع عنه او من اهطع البعير اذا مد عنقه وصوب رأسه
مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم رافعي رؤسهم وفي صفة ركوعه صلى الله عليه وسلم
كان اذا ركع لا يقنع رأسه اي لا يرفعه وحديث تعليم الدعا الا تقنع يديك واصل الكلمة من القنوع
وهو السوال لان السايل يرفع رأسه او يديه لدى السوال وعدم ارتداد الطرف كناية عن غاية
الخوف فان من به شدة الخوف تجمد عينه وافئدتهم هواء خالية عن الفهم والادراك لتوجه
القوى الدراكة الى دفع الخطر والخطب وقيل خالية عن الخير وليس بوجه والهواء بالمد كل شئ خال
قال حسان يهجو ابا سفين فانت مجوف نخب هواء وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب
مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة فيقول الذين ظلموا بالشرك ربنا اخرنا الى اجل
قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا زمانا قليلا نجب دعوتك ونتبع
الرسل في اوامرهم ونواهيهم جزم على الجواب وقيل هذا قولهم عند الموت اذا حضرتهم الملائكة
بكة يدون البشرى وهذا كقول المؤمن المقصر لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن
من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل على ارادة القول والمعنى انكم اقسمتم جهد ايمانكم
لا يبعث الله من يموت ما لكم من زوال ابتداء كلام منه تعالى اي ما لكم زوال وانتقال
من الحال التي انتم فيها كقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون بعد قولهم ربنا اخرجنا منها فان
عدنا فانا ظالمون وقيل هو كلامهم ايضا ولعلهم اقسموا على ذلك غرورا وبطرا او شبه حالهم
بحال من ايقن بالخلود موكدا بالقسم حيث شيدوا البنيان وطال بهم الزمان وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم كعاد وثمود والاصل في السكنى تعديته بفي كقولك قر في الدار واقام
فيها ولما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوءها واوطنها وتبين لكم كيف فعلنا بهم كيف انزلنا بهم العذاب واستاصلناهم شاهدتم آثار
ذلك او بلغكم تواتر الحديث لم يبق لكم اشتباه فاعل تبين مضمون كيف فعلنا لتجرده عن
الاستفهام وضربنا لكم الامثال فيما قصصنا من احوالهم الغريبة وقبايحهم الشنيعة وما انزلنا
عليهم من العذاب الفظيع في مواضع شتى وقد مكروا مكرهم اي مكرهم الذي استفرغوا فيه
جهدهم كما يقول لخصمك قد فعلت فعلك فقد حان لي ان افعل فعلي وعند الله مكرهم
جزاؤه وما يستحقون عليه من العذاب وان كان مكرهم لتزول منه الجبال
وما كان مكرهم وان عظم تزول منه الجبال يريد ان ثبات امر محمد مثل بالجبال الراسية

اوله
الا ابلغ ابا سفيان عني

فلا يزعزعه مكر هولاء واللام لام الجحود مثل وما كان الله ليعذبهم وقرا الكسائي بفتح اللام
فان هي المخففة واللام الفارقة والمعنى ان مكرهم من عظمه يوهم ان يزيل ما هو كالجبال وهي شريعته
ومعجزاته وقيل ان نمرود لما ركب النسور وصعد الى السماء فلما توسط الجو خاف على نفسه
الخيبة فاستنزلها فظنت الجبال انه قهر الهي فزالت عن موضعها خوفا ورعبا فلا تحسبن الله مخلف
وعده رسله اخبر في اماكن شتى انه لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف مواعده مع ساير خلقه
فكيف يخلف مع اشرف عباده المرسلين قدم المفعول الثاني اهتماما ان الله عزيز
لا يغالب ذو انتقام من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات انتصاب يوم
على البدل من يوم او ظرف للانتقام التبديل يكون في الذات وفي الصفات وما في
الاية يحتمل الامرين عن ابن عباس رضي الله عنه ان الارض هي تلك الارض وانما تبدل او
صافها فتسير جبالها وتفجر بحارها وتسوى لا ترى فيها عوجا ولا امتا وتبدل السماء بانتثار
كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما يحشر الناس
على ارض بيضاء لم يخطأ عليها خطاءة وروى البخاري عن سهل بن سعد عن رسول الله يحشر
الناس على الارض البيضاء كقرصة النقي لا معلم فيها لاحد وروى مسلم عن عايشة انها سالت
رسول الله اين يكون الناس يومئذ قال على الصراط وعن علي رضي الله تبدل الارض ارضا
من فضة والسماء سماء من ذهب والظاهر ان التبديل في الصفات كما قاله ابن عباس لما روى
ابو هريرة ان رسول الله قرا هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها
قالوا الله ورسوله اعلم قال اخبارها ان يشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها ويؤيده
ما قال ثعلب والمبرد من ان التبديل تغيير الصفة مع بقاء الجوهر واحداث اخر وبرزوا لله
من الاجداث الواحد القهار ذكر هذين الوصفين من اصابة المخز بمكان كما في قوله لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار كان قيل الامر كله وهو غلاب لا يغالب وترى المجرمين
يومئذ مقرنين في الاصفاد تجمعين من القران وهو الجمع ومنه قرن بالحج اي جمع بينه وبين العمرة
والقران بفتح الراء الحبل الذي يجمع به بين الشيئين والاصفاد جمع الصفد وهو القيد وفي
الحديث نهى عن صلوة الصافد وهو ان يقرن بين رجليه كانهما في قيد وذلك لاشراكهم
في العقايد بل الاصفاد هي تلك الاعمال والمعاصي كان المؤمنين يحشرون غرا محجلين من اثار الوضوء
سرابيلهم من قطران قمصانهم جمع سربال والقطران صمغ الابهل يطبخ ويطلى به جلد
الابل الجرب فيحرق الجرب وهو اسود اللون منتن الرايحة والغرض منه تغليظ العذاب لاشتماله
على قبح اللون ونتن الرايحة وسرعة اشتعال النار فيه وقرا يعقوب قطرآن على انهما كلمتان القطر
النحاس والآن هو المتناهي في الحرارة وتغشى وجوههم النار اشرف الاعضا كقوله يوم
يسحبون في النار على وجوههم وقوله تطلع على الافئدة فان القلب اشرف الاعضا الباطنة
قيل ان قوله مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم احوال من مفعول
ترى روعي فيها الترقي بان جعلت الثانية جملة اسمية والثالثة مضارعية للاستحضار المقصود
والظاهر ان سرابيلهم استيناف وتغشى وجوههم عطف عليه افادة للاستمرار لانه لا يجعل
المضارع المثبت حالا مع الواو الا برضاء البلغاء ليجزي الله كل نفس ما كسبت
اي كل نفس مومن وكافر لانه اذا جازى على الاجرام والعصيان فعلى الطاعة والايمان
اولى ان الله سريع الحساب لا يشغله شان عن شان هذا بلاغ للناس
اشارة الى قوله ولا تحسبن الله غافلا او الى جميع ما في السورة من التذكير والعظة ليكو
كالعذلك ويكون خاتمة السورة على منوال الفاتحة ولينذروا به عطف على محذوف اي
لينصحوا به ولينذروا بهذا البلوغ وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا انذروا وخافوا
ما انذروا به دعاهم ذلك الى النظر الموصل الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله

فايل صاحب الكشف

كله وليذكر اولو الالباب ذو العقول الخالصة العالمون بالله وبصفاته اذ ربما يعرض
لهم نوع ذهول فيتذكرون بهذا البلاغ ذكر للبلاغ ثلث فوايد هي الحكم في انزال الكتب
تكميل الرسل المرسل اليهم واستكمال القوة النظرية التي غايتها التوحيد واصلاح
القوة العملية بالتدرع بلباس التقوى حشرنا الله في زمرة المتقين بحق محمد واله الطيبين

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون ايات بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب وقران مبين تلك اشارة الى ما تضمنه السورة او هذا المولف
من الحروف ايات الكتاب والكتاب والسورة والقران او القران كل والعطف لتغاير
الصفات او الكتاب اللوح المحفوظ والقران السورة او المجموع او الكتاب السورة
والقران المجموع وهو الوجه لقوله في اول الرعد والذي انزل اليك من ربك الحق
بعد ذكر الكتاب ولما كان في التعريف نوع من الفخامة وفي التنكير اخر جمع بينهما ونكر
القران ههنا وعرفه في النمل وقدمه لان كونه قرانا ادل على خصوص المنزل على محمد
والحديث هناك عن المنزل المخصوص لقوله هدى وبشرى للمؤمنين ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين رب للتقليل والمعنى انهم لو كانوا يودون الاسلام مرة
واحدة لوجب عليهم الاسراع اليه فضلا عن فوقه فكيف وهم يودونه كل لحظة وقيل
تدهشهم الاهوال فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك وقد روى
الترمذي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير الاية اذا اخرج
الموحدون من النار ود الذين كفروا لو كانوا من المسلمين وانما دخلت على المضارع واصل
دخولها على الماضي لان المترقب في كلامه تعالى كالمحقق وانما حكى ودادتهم بلفظ الغيبة
لانه بصدد الاخبار عنهم كما تقول حلف زيد ليفعلن كذا ولو قيل لافعلن لكان
عربيا فصيحا والاول اولى واكثر لا من اللبس وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وهي
افصح لانها لغة الحجاز وقيس ذرهم ياكلوا ويتمتعوا بعد ما بلغت وانذرت ويلههم الامل
يشغلهم طول الامل واستقامة الاحوال عن الاستعداد لما بعد الموت
فسوف يعلمون سوء صنيعهم جعل اكلهم وتمتعهم غاية الامر لتصير مطلوبة فيكون
الامر وسيلة اليها وهذا ابلغ من الامر بها وفيه الزام الحجة لان الامر بالضد لا يكون
الا عند تكرار الانذار وثبوت الجحود وظهور مخايل الياس وفيه ايما الى وجه النظم وان
الكفار انما حرموا عن الانتفاع بابلغ نافع وهو القران لطول الامل والانهماك
في الهوى وتسلية له صلى الله عليه وسلم وتنبيه على ان ايثار التلذذ كما هو ديدن
اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم
اجل مكتوب في اللوح متصل بقوله فسوف يعلمون اي ان العذاب نازل بهم لا محالة
ولكن له وقت معلوم كذلك جرى للامم المكذبة والواو في ولها كتاب هي الداخلة
على الجملة الواقعة صفة كما في وثامنهم كلبهم لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف لدلالتها
على الجمع والمعية لان اصل الواو هو العطف ومعنى اللصوق يناسبه فاستعير له كما
في الحال والقول بان الصفة لما شابهت الحال صورة ادخلت الواو عليها قول بجريان
القياس في اللغة فان قلت فما الفرق بين هذا وبين قوله في الشعراء وما اهلكنا من
قرية الا لها منذرون حيث جيء بالواو هنا وترك هناك والاسلوب واحد
قلت الفرق هو ان هذا الوصف الصق بالموصوف لانه لازم عقلي وذلك عادي
جرت به سنة الله ما تسبق من امة اجلها المسطور وما يستاخرون حذف للعلم
به وذكر الضمير لاعتبار المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي القران
قالوه تهكما لقولهم انك لمجنون وهذا مثل قول فرعون ان رسولكم الذي

فان اريد بالكتاب السورة وبالقران الكل فهو من قبيل التعميم بعد التخصيص سلمه الله منه

ارسل اليكم لمجنون كانهم قالوا اما نظنه ملكا حتى لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من
الصادقين فيشهدون لك بنبي او للعقاب كما جاءت الامم المكذبة اصل لو للشرط فاذا ركبت
مع ما او لا تاتي لامتناع الشئ لوجود غيره اذا دخلت الاسما للتحضيض اذا دخلت الفعل ما ننزل
الملائكة جواب لهم منه تعالى اعظاما لرسوله الذي نسبوه الى الجنون ما نزل الملائكة بفتح
التا والزاء ورفع الملائكة قراء ابو بكر بضم التاء على بناء المفعول وحمزة والكسائي وحفص
بالنون مسندا الى الله وهو المختار لفخامة المعنى ومناسبة السياق والسياق الا بالحق
تنزيلا ملتبسا بالحق او ملتبسين به والمعنى تنزيل الملائكة لا يكون الا على وفق حكمة اقتضتها
المشية ولا حكمة في ارسال الملائكة لان الملك اذا جاء يكون على صورة الانسان لم يمكن الاستفادة
منه واذا تصور بصورة الانسان فالشبهة بحالها ومناط ازالتها هو المعجزة واليه اشار بقوله ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولا حكمة في معاجلتكم العذاب
لان منكم من سبقت المشية بايمانه او ايمان من يولد منه وقيل الحق الوحي او العذاب
وما كانوا اذا منظرين اذن جواب لهم وجزاء شرط مقدر تقديره ولو انزلنا الملائكة
ولم يؤمنوا لوقع عليهم الاستيصال وقطع دابرهم بذلك جرت سنة الله فيمن كذب بالاية
المقترحة انا نحن نزلنا الذكر رد لاستهزائهم بالذكر وادعاء جنون من نزل عليه
ولذلك اكد الكلام بوجوه من التاكيد وانا له لحافظون بان كسوناه لباس الاعجاز
فلا يقبل الزيادة والنقصان بخلاف ساير الكتب السماوية حيث لم يلتزم حفظها بل استحفظها
الاحبار فحرفوها وبدلوها فالقران محفوظ من حين نزل الى ان يرث الله الارض ومن عليها و
قيل الضمير لرسول الله والاول هو الوجه ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين
فرق الاولين السابقين على هولاء جمع شيعة تقع على الواحد والجمع مذكرا كان او مؤنثا
من المشايعة وهي المتابعة او من شاع الامر واشتهر وفي حديث خالد بن الوليد اذ كان
مشيعا اي من غاية اقدامه في الحرب كان له اتباعا وحماة وما يأتيهم من رسول
ما اتاهم والمضارع لحكاية الحال ولذلك دخل عليه ما النافية للحال الا كانوا به يستهزؤن
كما يفعل هولاء معك فلا تبال بهم كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اي مثل ذلك
السلك الذي سلكنا في قلوب تلك الامم نسلك الذكر في قلوب المجرمين يقال سلكت
الخيط في الابرة اذا ادخلته فيه لا يؤمنون به بيان وتفسير للسلك بعد ابهامه ويجوز ان
يكون حالا من الضمير المنصوب او المجرمين وجعل الضمير للاستهزاء اي نسلك الاستهزاء
في قلوب هولاء كما سلكنا في قلوب اولئك وان صح معنى لكن يوجب تنافر النظم لان ضمير
يؤمنون به للذكر بلا احتمال وقد بين في الشعراء ذلك بقوله كذلك سلكناه في قلوب
المجرمين بعد ذكر القران بدون سبق الاستهزاء وقد خلت سنة الاولين اي طريقتهم
التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حيث لم يؤمنوا بعد ظهور الايات وهولاء متشبهون بهم ولو فتحنا
عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون الى السماء نهارا لا لبس فيه لقالوا انما سكرت
ابصارنا سدت وحبست من سكرت النهر سددته والتشديد للمبالغة وقراء ابن كثير مخففا على
الاصل ويحتمل ان يكون من السكر اريد به لازمه وهو الاختلال والتحير بل نحن قوم مسحورون
سحرنا محمد ومارية لا نخيل له والمعنى انهم من شدة غلوهم في الكفر والانهماك في العناد لو
عرجوا بانفسهم الى السماء ودخلوا فيها على نحو دخولهم في بيوتهم من باب مهيا للدخول
وقضوا نهارهم في مشاهدة عجايب لم يؤمنوا ونسبوا ذلك الى التخيل والاخذة بالسحر ولقد
جعلنا في السماء بروجا اشار الى دلايل وحدانيته واياته المبثوثة في الافاق والانفس تاكيدا
لذلك الرد وتقريرا للعناد واشارة الى ان في هذه الايات غنى عن طلب غيرها اذ مع
كونها ايات باهرة مشتملة على نعم جسيمة والبروج هي منازل الشمس والقمر من البرج وهو

وهو الظهور وقيل هي الكواكب وزيناها للناظرين اي زينا السماء بزينة الكواكب نزهة
لمن يتاتى منه النظر وقيل بمعنى التامل والاعتبار وحفظناها من كل شيطان رجيم
مرجوم مطرود وصف ذم لا مفهوم له الا من استرق السمع بدل من كل شيطان
او نصب على الاستثناء المنقطع اي لكن من استرق الاختلاس من السرقة وذلك ان
الشياطين لم يكونوا يحجبون عن السماء فلما بعث رسول الله حجبوا وذلك قوله انا كنا نقعد
منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا وانما يسترقون الا لغوا اذا سمعوا
كلمة من الملائكة من احكام الله يلقونها الى الكهنة واهل النجوم وذلك قوله وان الشيا
طين ليوحون الى اوليائهم فاتبعه شهاب كوكب يشبه الشهاب وهو شعلة من النار
مبين ظاهر يراه كل ذي بصر والارض مددناها دحوناها والقينا فيها رواسي
جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل شيء موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار لا يقبل
الزيادة والنقصان او من كل شيء له وزن وقدر في باب النعمة من قولهم فلان له وزن
اي قدر واعتبار وقيل الموزون المعادن من الذهب والفضة ولفظ الانبات لا يلايمه و
جعلنا لكم فيها معايش اسباب العيش من ساير الانواع جمع معيشة والياء في الاصل
متحركة فلا تنقلب في الجمع همزة بخلاف الخبايث والشمايل ومن لستم له برازقين
من الخدم والحشم عطف على معايش او على محل الجر وهو لكم والمعنى من تزعمون انكم ترزقونهم
وانتم تخطئون في ذلك فان الله هو الرزاق به وان من شيء الا عندنا خزائنه اي الا ونحن
قادرون عليه شبه اقتداره على الايجاد والتكوين بحال من يكون تحت يده خزائن لا مانع
له عن اخراج ما فيها او المقدور بالخزائن وما ننزله الا بقدر معلوم اقتضت الحكمة
وتعلقت به الارادة بحسب الاوقات والاشخاص وارسلنا الرياح لواقح من لقح الاشجار
من القح النخل وهو جمع على خلاف القياس او الرياح لواقح نفسها لانها ذات حمل بالخير لانها
تنشي سحابا ماطرا كما سميت الاخرى عقيما وهذا الصق بقوله فانزلنا من السماء ماء
والاول على الاسناد المجازي او على طريق النسب كطامث وطالق فاسقيناكموه
جعلناه لكم سقيا بالضم اسم من السقي وما انتم له بخازنين من قبل وما انت
علينا بخزائنه لنفي الاقتدار على كل ممكن بطريق التمثيل بالخزائن المملوة مما يحتاج اليه
الناس ونفي عنهم الاقتدار على ممكن خاص هو الماء على وجه تضمن اثباته لغيره وليس الغير
الا ذلك القادر تعالى شانه ويجوز ان يكون ما موصولا اي وما انتم تخزنونه في الغدران
والابار والاواني فان الماء يقتضي بطبعه الغور فوقوفه لا بد له من مدبر حكيم وانا لنحن نحيي
كرر الضمير واكده بان واللام لكون الكلام مع من يقول ما هي الا حياتنا الدنيا وما
يهلكنا الا الدهر وباطلاقه يشمل حيوة الحيوان وكل نام ونميت نزيل الحيوة عنها
ونحن الوارثون الباقون بعد فناء الخلق ومنه الوارث لبقائه بعد موت
مورثه ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين استقدم واستاخر بمعنى
تقدم وتاخر والمعنى علمنا المتقدمين ولادة وموتا والمتاخرين من الاولين والاخرين
او من خرج من اصلاب الاباء ومن لم يخرج والوجهان كاللازم لقوله انا نحن نحيي ونميت
وقيل من تقدم في الاسلام والجهاد ومن تاخر وقيل رغب رسول الله في الصف الاول فازد
حموا فنزلت وفيه بيان لكمال علمه كما ان في الاول بيانا لكمال قدرته وان ربك هو
يحشرهم للجزاء لا محالة انه حكيم متقن في افعاله فلولا الحشر لا ستوى المحسن والمسي
وضاع اجر العاملين عليم كامل لا يضيع عنده مثقال ذرة ويجوز ان يكون الوصفان
بشر القول انا لنحن نحيي وقوله ولقد علمنا المستقدمين ولقد خلقنا الانسان
من صلصال لما ذكر جملا من الايات المبثوثة في الافاق اشار الى ايات الانفس حثا على شكر

النعمة والتدبر في عظيم قدرته كيف انشاء اشرف المخلوقات في احسن تقويم من اكثف
المواد وابعدها عما عليه الانسان من النضرة والرواء الصلصال الطين اليابس المخروج بالرمل قبل
الطبخ فاذا طبخ كان فخارا من الصليل او الصلصل وهو الصوت وفي الحديث سمعنا يوم حنين
صلصلة بين السما والارض **من حمإ** اسود متغير صفة صلصال او بدل باعادة الجار **مسنون** مصبوب
من سن اذا صب او من السنة وهي الصورة وفي الحديث لما حث رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الصدقة قام رجل قبيح السنة وسنة الخد صفحته والمعنى من حما مصور صورة مفرغة
كما تفرغ صور الجواهر المدابة في قالب مقدر لها او من سن الما اذا تغير وانتن **والجان**
خلقناه من قبل اي قبل الانسان الجان ابو الجن كادم للبشر وقيل هو ابليس وقيل
اريد به الجنس كما اريد بالانسان ذلك **من نار السموم** الشديد الحر اصل السموم حر
النهار كما ان الحرور حر الليل واضافة النار اليه مبالغة كما في رجل سوء وكانها سميت
سموما لانها تدخل في المسام والكلام في الموضعين على ظاهره فان الله قادر على ايجاد
الحيوة في البسايط كما في المركبات او باعتبار الجزء الغالب وفيه اشارة الى الاعادة
فان غاية الاجسام ان تعود ترابا كما كانت حال البدء **واذ قال ربك للملائكة اني خالق**
بشرا من صلصال من حمإ مسنون فان قلت خلق الانسان كان بعد هذه المقالة فلم
لم يكن النظم على وفق الوجود وما الحكمة في تقديمه قلت كان الكلام مسوقا للايات و
الدلايل الدالة على الوحدانية وكمال القدرة والعلم وخلق الانسان على النمط المذكور من
ابهر الايات ولما استوفى ذلك ذكر الانسان احل نعمه عليه وهو اسجاد ملائكته المقربين
له ليكون داعيا الى الشكر وادمج في ذلك بيان عداوة الشيطان قديما ليأخذ حذره **فاذا**
سويته صورته واكملت خلقه **ونفخت فيه من روحي** لما كان الروح لطيفا نورانيا
جعل ايجاده في الجسم الكثيف كالنفخ فيه والاضافة للتشريف كما في قوله فارسلنا اليها روحنا
والقول بان الروح يتعلق اولا بالبخار المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية رجم با
لغيب وشيء يصان عنه تفسير كلام علام الغيوب ومن فيه بيانية **فقعوا له ساجدين**
امر ايجابي اكده بلفظ الوقوع وهو سقوط الشيء من غير اختيار حثا على المبادرة الى المامور
به بعد وجود الشرط **فسجد الملائكة كلهم اجمعون** عطف على مقدر اي ثم بعد تلك
المقالة خلقه ونفخ فيه الروح فسجد الملائكة اكده بتاكيدين لئلا يتوهم خروج بعض
المقربين كجبريل واضرابه وقيل التاكيد باجمعون للدلالة على ان سجدة الكل في زمان
واحد وفيه ان اجمع من اعلام التاكيد للشمول والاحاطة والزمان ليس بلازم
لمفهومه **الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين** اي لكن ابليس ابى وان جعل الا
استثنا متصلا لانه كان جنيا مغمورا بينهم فابى استيناف كانه قيل لم لم يسجد وما الباعث
له على ذلك فقيل ابى فان قلت القصة واحدة وقد اختلفت العبارات في التعبير عن
امتناعه فقد ذكر في البقرة ابى واستكبر وفي الاعراف لم يكن من الساجدين واقتصر
هنا على الابا وفي سورة ص على الاستكبار قلت هذا الاختلاف لا ينافي اتحاد القصة فان
تلك الافعال كلها صادرة عنه دالة على كفره وتمرده **قال يا ابليس ما لك** اي مانع
عرض لك **الا تكون مع الساجدين** في ان لا يكون مع المطيعين لامري **قال لم**
اكن لاسجد زاد لفظ الكون مبالغة وابعادا واللام المسمى لام الجحود اذا وقع بعد
نفي الكون **لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون** صفات ذم لا يليق به ان اكون
مكرما له وغفل عن قوله من روحي وقد بسطنا الكلام في سورة الاعراف **قال فاخرج**
منها من الجنة او من زمرة الملائكة **فانك رجيم** مطرود واصل الرجم القتل بالحجارة
ويلزمه البعد فاستعمل فيه وهذا الوعيد دل على ان شبهته واهية لا يستحق الجواب

السن بضم النون من سن اذا صوت منه

الجواب **وان عليك اللعنة الى يوم الدين** يوم الجزاء على الاعمال فانه يرى في
ذلك اليوم من العذاب ما ينسي اللعن عنده او لان يوم الدين ابعد غاية يضربه
الناس في كلامهم كقولهم ما دامت السموات والارض **قال رب فانظرني الى**
يوم يبعثون الفا جواب شرط دل عليه الكلام اي اذا كنت مطرودا فامهلني
مدة فسيحا اقدر فيها على الاغوا وهو يوم البعث هو نهاية دار التكليف وانقطاع تاثير
الاغواء **قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم** وذلك هو يوم البعث بعينه
الذي ساله فانه وقت ممتد من حين انقراض الخلق الى دخول كل فريق مستقره وقيل
انما سال يوم البعث لانه علم ان لا موت بعد البعث فقد سال ان لا يموت والتمكن
من الاغوا فاجيب الى الثاني دون الاول وفيه انه يعلم ان لا سبيل الى عدم الموت فكيف
سال المستحيل ويؤيد الوجه الاول اطلاق الجواب في الاعراف بقوله انك من
المنظرين **قال رب بما اغويتني** البا للقسم واسم الحلف يقع على كل محلوف
ولذلك ورد النهي عن اليمين بالاباء وفي عرف الفقها الحلف بالذات والصفات
دون الافعال او البا للسببية والمقابلة كما يقول لخصمك بعد الانتقام هذا بذاك
لازينن لهم في الارض في الدنيا عبر عنها بالارض لانها محل متاعها ومظهر اثارها
او اراد بالارض جهة السفل كانه قال اغويت ادم وهو في السما فانا على اغوا ذريته
اقدر وهذا يدل على ان هذه المقاولة جرت بعد هبوط ادم او ازين لهم الدنيا
حتى يحبوها على الاخرة ويطمئنوا اليها وانما عدى الفعل بفي دلالة على انها مستقر
التزيين يمكن فيها تمكن المظروف من الظرف **ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم**
المخلصين علم ان الله عباد لا يؤثر فيهم وسوسته قرا الكوفيون ونافع بفتح اللام من
اخلصه اخترته وهو ابلغ لان معنى الكسر مبني عليه ولقوله انا اخلصناهم بخالصة
قال هذا صراط علي مستقيم اشارة الى مضمون الاستثنا وهو اخلاص طايفة استعاد
لفظ الاستعلاء واثره على لفظ الانتهاء لكونه ادل على التمكن **ان عبادي ليس لك**
عليهم سلطان اي المخلصين او الجنس **الا من اتبعك من الغاوين**
منقطع على الاول متصل على الثاني والحق انقطاعه على الوجهين اذ لا سلطان له على الغاوي
لقوله وما كان لي عليكم من سلطان **وان جهنم لموعدهم** الضمير للغاوين اجمعين تاكيد للضمير
لا حال لانه علم التاكيد والموعد مكان او مصدر بتقدير مضاف اي مكان وعدهم **لها سبعة**
ابواب لكثرة الداخلين او الابواب دركاتها لقوله ان المنافقين في الدرك الاسفل
وعن علي بن ابي طالب ان الله وضع الجنان على العرض ووضع دركات النار بعضها فوق بعض
فاسفلها جهنم وفوقها اللظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها الهاوية
وفوقها السعير وعن ابن عباس جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة
الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين وهاوية للموحدين **لكل باب**
منهم من الغاوين حال من المستكن في الظرف **جزء مقسوم** افرز له وعين
قراه ابو بكر باسكان الزاي **ان المتقين** وهم الكاملون المخلصون من عباده والحمل على الاتقاء
من الشرك غير سديد لشمول الغاوين بعض اهل التوحيد **في جنات وعيون** لكل
واحد جنات وعيون متعددة او لكل واحد جنة واحدة وعين والاول هو الوجه لقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله تجري من تحتها الانهار قرا ابن كثير وحمزة والكسائي وابو
بكر وابو بكر وابن ذكوان بكسر العين لاستثقال توالي الضمتين **ادخلوها** على ارادة القول
بسلام مسلمين من الافات او مسلما عليكم قولا من رب رحيم **امنين** من الافات

والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل ما كان بينهم في الدنيا من الحقد والشحناء
اصل الغل الخيانة في كل شيء وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير
منهم او من التحاسد في درجات الجنات فانكلا يرضى بما فيه اخوانا على سرر متقابلين نصب على الحال
من الضمير المجرور في صدورهم والعامل معنى الاضافة كما في ملة ابراهيم وكذا على سرر متقابلين
ويجوز ان يكونا صفة لاخوانا وجعل اخوانا وما بعده حالا من ضمير آمنين او جنات او فاعل
ادخلوها وان صح معنى ففيه بعد لفظا لا يمسهم فيها نصب استيناف او حال اخرى
او حال من ضمير متقابلين وما هم منها بمخرجين اشارة الى الخلود الذي لا يتم النعمة
الا به نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من
الوعد والوعيد ترغيبا للغاوين وترهيبا للمتقين اسند الغفران والرحمة الى ذاته صريحا دون
العذاب ايماء الى دفور رحمة وفيه تسكين روع الخائفين ونبئهم عن ضيف ابراهيم
اخبرهم بحديث الضيف فان فيه تذكيرا للفريقين عطف القصة المشتمل على ذكر اهل الرحمة
والعذاب وما فعل بالفريقين ليكون كالبرهان على الوصفين وبدأ بذكر الضيف لانهم
المبشرون وادرج في القصة ذكر القنوط على طريق السؤال والجواب تحذيرا منه فان ثمة من
رحمة تزيل جبلا من الذنوب ولذلك كان القنوط كفرا لانه تكذيب لقوله وسلب للقدرة
منه اذ دخلوا عليه اي وقت دخولهم فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما
قال انا منكم وجلون دخلوا وهم جماعة غير معروفين وقيل انما خافهم لانه لما قدم
لهم الاكل لم يتناولوا منه وهذه المقالة انما جرت بينهم بعد ذلك لقوله فلما ان جاء
بعجل حنيذ قالوا لا توجل سكنوا خوفه واتبعوه بالبشارة بالولد انا نبشرك بغلام عليم
استيناف جار مجرى التعليل والغلام هو اسحق عليه السلام وحيث ذكره في القرآن مع
البشارة وصف بالعلم وحيث ذكر اسمعيل وصف بالحليم ولعل ذلك لغلبة الاخلاق وكان
الغالب على كل منهما تلك الصفة قال ابشرتموني على ان مسني الكبر امر منكر بمقتضى
العادة ان يولد لمثلي فبم تبشرون استفهام تعجب اي فباي اعجوبة تبشرون بهذه او
بغيرها من الاعاجيب وفي الحقيقة نفي للبشارة لعدم القابلية عادة وقرأ ابن كثير ونافع بكسر
النون وشدده ابن كثير بادغام نون الجمع في نون الوقاية وحذف الياء والباقون بالفتح على حذف
المفعول والاستغناء عن نون الوقاية وهو الوجه لقلة التغير ووجود التخفيف قالوا بشرنا
ك بالحق الثابتة نفس الامر بلا ريبة فلا تكن من القانطين الشبيهين
بهم فان هذا الكلام يشبه مقالهم او لا تدخل في زمرة القانطين والنهي عن الشيء
لا يستلزم صدوره كقوله ولا يكن من المشركين قال ومن يقنط من رحمة ربه
الا الضالون المخطئون طريق الصواب والاستبعاد انما كان على مجرى العادة كما قال زكريا انى
يكون لي غلام وقالت مريم انى يكون ولد وقرأ ابو عمرو والكسائي بكسر النون حيث وقع
في القرآن يقنط فردا وجمعا وهي لغة الحجاز قال فما خطبكم ايها المرسلون اي ما شأنكم
والامر الذي ارسلتم لاجله الخطب كل امر يعتد به وتقع المخاطبة في شأنه وانما علم كونهم مرسلين
لامر غير البشارة لانهم جمع من الملائكة والبشارة يقوم بها واحد كما في بشارة زكريا
ومريم وانما قدموا البشارة اما لانهم كانوا مأمورين بذلك من عند الله او لانهم
لما رأوه وجلا سكنوا جأشه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اي قوم لوط الا آل لوط
استثناء منقطع لان المخرج من الحكم على الموصوف يجب ان يكون الوصف ثابتا له كما
اذا قلت جاءني الرجال العلماء الا زيد يجب ان يكون زيد موصوفا بالعلم وصفة الاجرام
منتف عن الآل او متصل من الضمير في مجرمين كانه قيل ارسلنا الى قوم مجرمين كلهم الا آل

الا آل لوط لا هلاك اولئك وانجاء هؤلاء فان قلت الاستثناء من القوم لا يجوز ان يكون
متصلا لكونه نكرة غير محصورة ولا مستغرقة فلا حاجة الى التعليل المذكور قلت النكرة اذا
وصفت كانت محصورة فلا مانع الا ما ذكر انا لمنجوهم اجمعين جار مجرى خبر لكن على
الانقطاع اي لكن آل لوط منجون واستيناف على الاتصال كانه لما قيل انا ارسلنا الى قوم
مجرمين الا آل لوط فقال ما بال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم الا امرأته استثناء من الضمير
المجرور لا من الاستثناء الاول لان شرط الاستثناء من الاستثناء اتحاد الحكم كما في قولك لفلان
علي عشرة الا تسعة الا ثمانية الآخرة وما في الآية ليس كذلك لان آل لوط متعلق بارسلنا او المجرمين
والا امرأته قد تعلق بانا لمنجوهم فان قلت هل يصح ان يجعل الاستثناء راجعا الى المجموع عند من
يجعل الاستثناء بعد الجمل راجعا الى الكل لا الى الاخيرة وحدها قلت لا لان ذلك في الجمل
المتعاطفة لا المنقطع بعضها عن بعض قرأ حمزة والكسائي لمنجوهم بالتخفيف الانجاء والتشديد
ابلغ قدرنا انها لمن الغابرين من غبر اذا بقي وهو من الاضداد وانما علق التقدير لتضمنه
معنى العلم او فيه معنى القول والتقدير فعله تعالى فيقع المكسورة بعده واسناد الملائكة
الى انفسهم لقربهم منه تعالى كما يقول خواص الملك من اسناد فعل الى انفسهم يشيرون بذلك
الى فرط اختصاصهم وقرأ ابو بكر قدرنا مخففا وهما لغتان والتشديد ابلغ واكثر فلما جاء
آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون غير معروفين تنفر منكم قلوبنا قالوا بل جئناك
بما كانوا فيه يمترون يشكون من نزول العذاب الذي كنت توعدهم به وانما كنوا عن
العذاب بالموصول بما فيه من الايناس لوجهين تحقق صدقه ولما في لفظ الامتراء من
التذكير بما كان يكابد منهم من التكذيب والجحود وآتيناك بالحق بالامر الذي هو
كائن لا محالة وانا لصادقون فيما اخبرناك به وهذا كله تأكيد ظاهر والقصد منه
التسلي وتنفيس الكرب عنه والا فلوط لم يشك في قولهم بعد علمه بانهم مرسلون
فاسر باهلك بقطع من الليل بطائفة من الليل والقطع يكون الطائفة آخر الليل فتحي
الباب فانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقرأ نافع وابن كثير بهمز الوصل
من السرى والباقون بالقطع من الاسراء وهو المختار لاتفاقهم في اسرى بعبده واتبع
ادبارهم ولا يلتفت منكم احد ارشاد الى ما هو ادخل في الحزم وهو ان يقدم اهله امامه
ليكون مطلعا على احوالهم ذاهبا على آثارهم فارغ القلب وانما نهوا عن الالتفات
لئلا يروا ما اصاب قومهم فيرقوا لهم او لئلا يروا ديارهم واوطانهم فيتعلقوا فيكونوا
كالمتحسر وجعل عدم الالتفات كناية عن السرعة عن مكان حل به غضب الله لان الملتفت لا
بد له من ادنى وقفة وفيه اشارة الى ان من اراد السفر الحقيقي وهو اولى بقطع العلائق و
الاقبال بالكلية على الله وامضوا حيث تؤمرون هو الشام او مصر وانما عدى امضوا
الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لابهامه في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون
وقضينا اليه اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى وفائدته الدلالة على
انه لا محالة كائن ذلك الامر تفسيره ان دابر هؤلاء مقطوع ابهمه ثم فسره تعظيما
للامر وتفخيما له والمعنى انهم مستأصلون لان دابرهم اذا هلك لم يبق منهم احد
مصبحين داخلين في الصباح نصب على الحال اما من هؤلاء او من الضمير حملا على المعنى
لان لفظ دابر مفرد منه
وجاء اهل المدينة يستبشرون باضياف لوط لما رأوهم احسن الخلق قال ان هؤلاء
ضيفي فلا تفضحون فان الاساءة الى الضيف اساءة الى المضيف وانزال عار به
واتقوا الله باجتناب الفاحشة ولا تخزون لا تذلوني من الخزي وهو الذل او من
الخزاية وهي الحياء اي لا تخجلوني قالوا اولم ننهك عن العالمين فانه كان ينهاهم
عن التعرض للغرباء والواردين وقيل كانوا نهوه عن انزال الضيف وقوله قال هؤلاء

بناتي ان كنتم فاعلين اراد بالبنات نساء امته ومعنى ان كنتم فاعلين الشك في
قبول نصحه كانه قال ان كنتم فاعلين ما اقوله ولا اظنكم تفعلونه وقيل كانت له بنات حسان يطلبون
نكاحهن فلما اضطر رضي بذلك فان قلت النظم يدل على ان مقاولة لوط مع قومه كانت بعد
علمه بانهم ملائكة ارسلوا لاهلاكهم امرا واجبا للاعتبار بعد علمه قلت الواو لا يدل على
الترتيب الا ترى ان قوله تعالى في سورة هود انا رسل ربك لن يصلوا اليك انما ذكر بعد تلك
المقاولة دبابه عن قبول نصحه واظهار الاسف بقوله لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن
شديد فان قلت لم غير الاسلوب ولم يرد النظم على وفق الوجود فلا بد لذلك من داع قلت
لما كانت هذه السورة مصدرة بما فيه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم بل معظم السورة
انما سيق لذلك كان مقتضى الحال تقديم ما هو دال على تفريج الهم عن الصابرين وتنفيس
الكرب عنهم لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون جملة معترضة والمخاطب رسول الله والضمير في
سكرتهم لاهل مكة او الخطاب له والضمير لقوم لوط والعمر بفتح العين لغة في العمر بضمها ولا
يستعمل الا باللام في القسم وقيل القايل هو الملائكة للوط يريدون كف عن نصحهم لعدم القابلية
والوجه هو الاول واراد بسكرتهم شدة غوايتهم لانهم من فرط جهلهم سكارى لا
يفرقون بين الخطاء والصواب فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح بهم هلكوا في مكانهم
والتعبير عن الاهلاك بالاخذ اشارة الى كمال التمكن ولذلك سمي الاسير اخيذا مشرقين
داخلين وقت شروق الصبح او شروق الشمس وقوله مصبحين باعتبار الابتداء فجعلنا
عاليها سافلها قرى قوم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه
كتاب من السجل ان في ذلك لايات للمتوسمين الناظرين بالتامل في سمة الاشيا
يقال وسمت في فلان خيرا اذا عرفت وسمه فيه اصل العلامة وانها اي سدوم وهي
مدينة التي كان يسكنها او هي وساير القرى حولها لبسبيل مقيم طريق واضح ثابت
يرونها ايها المارة من اهل مكة فكان عليكم ان تعتبروا والا دليل اقوى من العيان ان في
ذلك لاية للمؤمنين الذين يصدقون بالآيات ويفرقون بين الاشيا وان
كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب فانه كان مبعوثا اليهم والى اهل
مدين والايكة الشجر المتكاثف ولم يبين ظلمهم وهو البخس والتطفيف لعدم ايراد قصة
مستوفاة ولذلك غير الاسلوب فانتقمنا منهم بعذاب يوم الظلة وانهما اي مدين
والايكة وقيل سدوم والايكة لبامام مبين ملصقان بطريق واضح الامام مصدر بمعنى
ما يؤتم به يطلق على الطريق لان المارة تاتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين
هم ثمود والحجر واد بين الشام ومدينة رسول الله وتكذيبهم الرسل انما هو تكذيب صالح
لان من كذب نبيا فقد كذب ساير الرسل لان المعجزة عامة هي دليل النبوة وفي بيانها
تعظيم ولذلك كثرت هذه العبارة في قصص ساير الانبيا وعن جابر قال مررنا مع رسول
الله على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا الا ان تكونوا باكين لئلا يصيبكم
مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر راحلته حتى خلفها واتيناهم اياتنا فكانوا عنها معرضين
هي معجزات نبيهم منها ما اقترحوه وهي الناقة الموصوفة وقيل ادلة التوحيد وكانوا
ينحتون من الجبال بيوتا امنين طالت اعمارهم نحتوا بيوتا من الجبال لئلا تخرب
او لانهم ظنوا من جهلهم انها تنجي من عذاب الله فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى
عنهم ما كانوا يكسبون من نحت الجبال وساير ما ادخروه وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما الا بالحق الا ملتبسا بالدليل على استحقاق المهلكين لان خلقها ملتبسا بالحق
يقتضي زوال الباطل وثبات الحق وان الساعة لاتية قطعا دفعا لما يتوهم من ان
ما يلحقهم من العذاب في الدنيا كاف لجرايمهم فاصفح الصفح الجميل لا تعجل خطاب لرسول

صلى الله عليه وسلم لانه الذي تلي عليه القصص ان ربك هو الخلاق كامل القدرة
على الخلق فهو قادر على استيصالهم ولكن الحكمة اقتضت الامهال العليم بالاشيا وحقايقها
لو لم يعلم ان في الصفح حكمة لما امرك به نسخت باية السيف وقيل محمول على المخالقة فلا نسخ
ولقد اتيناك سبعا من المثاني هي الفاتحة او السبع الطوال واختلف في السابعة
فقيل الانفال والبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالبسملة وقيل
هي الحميم وقيل سبع صحايف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة
تكرر في الصلوة وغيرها او من الثناء لما فيها من الثناء على الله واحدها مثناة او مثنية
صفة للاية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص ولما فيها من الثنا فكانها
تثني على الله تعالى بما هو اهله ومن اما للبيان او التبعيض ان اريد بالسبع الفاتحة او
الطوال وللبيان ان اريد الاسباع هذا والحق انها الفاتحة لما في الحديث انها
السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته ولان القران كلا او الطوال او الحميم لم
يكن نازلا والتاويل خلاف الاصل مع مخالفة الحديث والقران العظيم من عطف
احد الوصفين على الآخر ان اريد الاسباع والا فمن عطف العام على الخاص لا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار كلام جار مجرى التعليل
كانه يقول له اذا اوتيت القران العظيم الذي يستحقر دونه كل نعمة فعليك ان تستغني
عن غيره عن ابي بكر الصديق من اوتي القران فراى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد
صغر عظيما وعظم صغيرا قيل وافت من بصرى واذرعات قوافل سبع ليهود بني قريظة و
النضير فيها انواع البز والجواهر وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا
بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم رسول الله لقد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه
القوافل السبع واما حديث من لم يتغن بالقران فليس منا فالظاهر ان المراد به تحسين
الصوت في قراءته ولا تحزن عليهم على فقرائك فيؤدي ذلك الى النظر وتمني الدنيا
لهم او لا تحزن على عدم ايمان الكفار او هلاكهم بالعذاب واخفض جناحك
للمؤمنين مجاز عن التواضع لان الطير اذا رق على افراخه يخفض جناحه وقل اني انا النذير
المبين الموضح للانذار ببرهان كما انزلنا على المقتسمين متعلق بقوله ولقد
اتيناك اي انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب وقوله ولا تمدن عينيك الى آخره
اعتراض لان قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني كلام مسوق للتسلية عما كانوا
ينسبونه اليه من الجنون ومن كونه شاعرا او ساحرا فالنهي عن الالتفات الى دنياهم والامر
بالاقبال اليه تعالى يؤكد تلك التسلية او بقوله انا النذير المبين اي انذر قريشا مثل ما انزلنا
على المقتسمين الذين جعلوا القران عضين من العضو فانهم لما قالوا بعضه حق
وبعضه باطل فكانهم عضوه اعضاء وهم اليهود والنصارى حيث قالوا لما يوافق كتابهم
انه حق ولما يخالفه باطل او القران ما يقراونه من كتبهم فانهم حرفوها وبدلوها وفيه
تسلية لرسول الله من صنيع قومه بالقران من قولهم سحر وشعر واساطير الاولين كانوا
يقتسمون مداخل مكة ايام الموسم فيقعدون على الطرقات ينفرون الواردين عن الايمان
وقيل هم الذين قصدوا هلاك صالح واقسموا على ذلك على ما حكي عنهم قالوا تقاسموا بالله
لنبيتنه واهله وقيل عضين من العضة وهو البهت يقال عضهته اذا بهته وفي الحديث لا
يعضه بعضنا بعضا وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش وجمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه
فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون عن اعمالهم سوال تقريع ومناقشة وعن
ابي العالية يسالهم عما كانوا يعبدون وما اجابوا به المرسلين والاولى النعيم فاصدع
بما تؤمر اجهر به وابنه ابانة لا تمحي اثرها الى آخر الدهر كصدع الزجاجة لا يقبل

رفع على الكتاب

الالتيام والصدع فى الاجسام التفريق ومنه الصديع للفجر كانه يشق الليل والصداع للراس
كانه يشق والمعنى بما تؤمر به من الشرايع بحذف الجار كما فى قوله امرتك الخير فافعل ما امرت
به ويجوز ان يكون ما مصدرية على بناء المفعول اى مامورك واعرض عن المشركين
نسخ باية السيف انا كفيناك المستهزئين عن عروة بن الزبير هم خمسة تفردوا والنساء وشرف
فى قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود بن عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة
وعن ابن عباس رضى الله عنه ماتوا كلهم قبل بدر جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال امرت ان اكفيهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق سهم
بثوبه فلم ينعطف لاخذه تعظما فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات منه واشار الى اخمص
قدم العاص بن وايل فدخلت شوكة فيها فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت
كالرحا ومات واومى الى عين الاسود بن عبد المطلب فعمى واشار الى انف حارث بن قيس فامتخط
قيحا فمات واشار الى الاسود بن عبد يغوث وكان قاعدا فى اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة
ويضرب وجهه بالشوك الى ان مات الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون
ما اعد لهم من العذاب ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الطعن
فيك وفيما انزل اليك اشارة الى قولهم انك لمجنون فانظمت الخاتمة مع الفاتحة وفيه
تنفيس عن جيبه وازاحة لما ناله من الكرب من تلك المقالة فسبح بحمد ربك نزه ربك
عن نقيصة ملتبسا بحمده ولا تشتغل بمكافات اعدائك فان لك ربا يكافح عنك وكن من الساجدين
دعاه الى مقام القرب ومناجاته ومظهر الفناء عن نفسه واعبد ربك ودم على عبادة
فان التسبيح فى الله لنيل امداد تعنيت بداوات بداغيني حتى ياتيك اليقين
اى نزول العذاب بهولاء او الموت وفى الحديث لما مات عثمان بن مطعون قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد جاءه اليقين وفى الاية دليل على ان التسبيح و
العبادة من اسباب النجاة عن ضيق الصدر والكرب وفى الحديث كان اذا حزبه امر فزع
الى الصلوة اللهم انا نسبحك ونحمدك بمحامدك ونسالك ان تكشف عنا كل كرب وهم
وغم بحق من انزلت عليه هذه الايات سورة النحل مكية وهى مائة وثمانون وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه

قال ابو جهل او نضر بن الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء فقيل لهم اتى امر الله عبر عنه بالماضى لكونه واجب الوقوع لا محالة وفيه
ايقاظ ليكون ما بعده ممكنا فى نفس حاضرة وتمهيد لما يرد من دلايل التوحيد سبحا
نه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الذى جعلوه شريكا لكانوا
يقولون لو صح ما يقول محمد يشفع لنا الاصنام فكانه قيل جل سرادق كبريائه عن ان
يحوم حوله الشريك فضلا عن الهتهم الجمادات وقرا حمزة والكسائى بتا الخطاب
على وفق يستعجلوه والمحتار الغيبة اهانة لهم وابعادا عن ساحة الحضور ينزل
الملائكة بالروح من امره اى القران والوحى الذى به حيوة القلوب الميتة
بالجهل افمن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا او بما هو فى الدين كالروح فى الجسد
استعارة مكنية وليس وزان من امره وزان من الفجر بعد ذكر الخيطين فى البقرة وقرا
ابن كثير وابو عمرو ينزل مخففا من الانزال وهو اكثر دورا والتشديد اكثر معنى
على من يشاء من عباده من اختاره للرسالة ان انذروا بدل من الروح على
انها مصدرية او مفسرة لان تنزيل الملائكة بالروح فيه معنى القول او مخففة بتقدير
ضمير الشان اى بان الشان انذروا فان قلت اذا كان الضمير مقدرا فلا يستقيم الكلام
الا بتقدير القول بعده قلت فى وقوع الانشا خبرا من غير تقدير القول خلاف على

على ان ذلك لا يجرى فى ضمير الشان لانه عين الواقع خبرا كما اذا قلت كلامى اضرب زيدا
والانذار الاعلام مع التخويف وفى الحديث كان اذا خطب علا صوته واحمرت عيناه كانه
منذر جيش انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان الحضار الالوهية فى فخافوا فيه التفت الى
التكلم لان ضمير المتكلم اعرف وابعد عن اللبس ومقام التوحيد يلايمه خلق السموات
والارض بالحق دليل على توحده بما يقطع الشبهة اذ لا يقدر احد على انكاره ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله تعالى عما يشركون عن اشراكهم وما يشركونه
قرا حمزة والكسائى بالخطاب كالاول والتوجيه كما تقدم وفى الاية دليل على انه تعالى ليس
من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة من ماء يخرج من بين الصلب والترايب
فاذا هو خصيم منطيق مبين موضح للحجة بعد ما كان جمادا لا حس ولا حراك فوجوده
دليل على قدرته تعالى اشارة الى معنى قوله سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم او بعد
ما كان جمادا ثم صار فى احسن تقويم خصيم لربه منكر قدرته قائلا من يحيى العظام وهى
رميم وهو ابى بن خلف جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم بال وقال يا محمد تقول ان
الله يحيى هذا بعد ما قد رم والانعام هى الابل والبقر والغنم منصوب بفعل يفسره خلقها
لكم او معطوف على الانسان ثم قال خلقها لكم اى ما خلقها الا لمصالحكم ايها الناس ثم
فصل تلك المنافع بقوله فيها دفء ما يدفا به لدفع البرد ومنافع اخرى نسلها ودرها
وظهورها واثمانها ومنها تاكلون على الاستمرار فلا يقدح الاكل من الطيور وانواع الصيد
فى تقديم الظرف المفيد للحصر وقيل انما قدم محافظة على رؤس الاى ولحم الخيل عند من اباح
اكله خرج بقيد الاستمرار ولكم فيها جمال حين تريحون تردونها من المرعى الى
مراحها وحين تسرحون تخرجونها من المراح الى المراعى وانما قدمت الاراحة على السرح
لان الجمال حين الاراحة اظهر لانها تعود ملاى البطون حافلة الضروع واقعة بمراى
من اصحابها فى الحظاير وتحمل اثقالكم جمع ثقل بفتح القاف متاع البيت الى بلد لم
تكونوا بالغيه مجردين عن الاثقال فضلا عن حملها على ظهوركم الا بشق الانفس
الا بكلفة ومشقة على انه مصدر او بالنصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب وفى الحديث
اتقوا النار ولو بشق تمرة ان ربكم لرؤف رحيم كثير الرافة والرحمة ولذلك خولكم هذه
النعم الجسام والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة
عطف على محل لتركبوها او مصدر بتقدير فعل اى ولتزينوا بها زينة وانما غير الاسلوب
لان الركوب مقصود والزينة يحصل بالعرض وقيل لان الاول فعل الخالق والثانى
فعل المخلوق ولا دليل فى الاية على حرمة لحم الخيل لان رابط الخيل غرضه منها الركوب
والزينة لا اكل اللحم بخلاف الانعام والذى يقطع مادة الشبهة ان الصحابة اوقدوا النار على لحم
الحمر الاهلية يوم خيبر والاية مكية فلو دلت على الحرمة لم يلتبس عليهم ويخلق ما لا
تعلمون من الاشياء النافعة او من المخلوقات وما يعلم جنود ربك الا هو والغرض
بيان كمال اقتداره او ما فى الجنة مما لم يخطر على قلب بشر ولا يلايمه لفظ المضارع وعلى الله
قصد السبيل هداية الطريق الموصل اليه والتعبير بعلى لكونه واقعا لا محالة والقصد
فى الاصل الاعتدال بين الافراط والتفريط والسبيل اريد به الجنس لقوله ومنها جائر
اى ومن جنس السبيل سبيل جائر لم يوصل الى المطلوب غير الاسلوب وان كان الضلال
بمشيته لانه ذكره بالعرض ليمتاز عن سبيل الحق ولو شاء لهديكم اجمعين
لو تعلق مشيته بهدايتكم لخلق فيكم الاهتداء وانتفاءها لانتفاء سببها هو الذى انزل
من السماء ماء استدل اولا على وحدانيته بخلق السموات والارض لانها الوصول
ثم بخلق الانسان وساير الحيوانات ثم باحوال النبات وعجايب ازاحة للشبهة عن طريق

اشرف المطالب لكم منه شراب الشراب ما يشرب من تبعيضية اى بعض ذلك شراب لكم او
اللام تتعلق بانزل ولا حصر فى التركيب حتى يعدر بان ساير المياه منه لقوله فسلكه ينابيع فى
الارض ومنه شجر يكون من ذلك الماء فيه تسيمون ترعون مواشيكم من اسمت
الماشية اذا رعيتها من السومة وهى العلامة لانها تؤثر فى الارض بالرعى ينبت لكم به
الزرع قرا ابو بكر بالنون على التعظيم التفاتا من الغيبة والزيتون والنخيل والاعناب
ومن كل الثمرات بعض جميع الثمرات لان ما فى الامكان لم يقع كله بالفعل لا فى الدنيا
ولا فى الجنة وتقديم ما تسيمون فيه لكونه اهم لا سيما عند العرب لان جل ما كلهم البان الانعام
وملبسهم اصوافها واوبارها واشعارها وفى ترتيب الزرع والزيتون والنخيل والاعناب
روعى ذلك ان فى ذلك لاية لقوم يتفكرون ينظرون نظر تامل واعتبار اذ نسبة
العلويات والسفليات الى الكل سواء فالتخصيص بالاشكال والصور والطعوم المختلفة انما
هو بارادة المختار وسخر لكم الليل والنهار الليل للسكون والراحة والنهار للكسب
والسعى فى اسباب المعاش والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بارادته قراء ابن عامر برفع
الاربعة على الابتداء والخبر ووافقه حفص فى الاخرين والباقون بنصب الكل على العطف فى
الثلث وعلى الحال فى الرابع ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
وما ذرا لكم فى الارض خلق لكم من ساير الاجناس مختلفا الوانه بعضا ابيض
وبعض احمر الى غير ذلك ان فى ذلك لاية لقوم يذكرون افرد الاية فى الفا
صلة الاولى وذكر التفكر لان الانبات نوع واحد يحتاج الى تامل وتدبر لان اخراج النبات
الخضر النضر من الحبة اليابسة امر بديع وجمع فى الفاصلة الثانية لان الليل والنهار والشمس
والقمر والنجوم يشمل على انواع من الدلالات ولما كانت امورا محسوسة لا تتوقف الا على
توجه العقل جعل الفاصلة ولما كان اللون وان اختلف اصنافا مسلكا واحدا وهو فى غاية
الظهور ختم الاية بالتذكر الذى هو التفات النفس الى الحاصل عنده من دون تجشم كسب
وهو الذى سخر البحر جعله بحيث يتمكن من سلوكه كالبر ليشير الى عجايب البحر بعد ما بين
بدايع صنعه فى العالم العلوى والسفلى لتاكلوا منه لحما طريا لحم السمك وصفه بالطراوة لانه
ارطب اللحوم يسرع اليه الفساد وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف لا ياكل
اللحم يحنث باكل السمك والجمهور على خلافه لان مبنى الايمان على العرف ومن قال لعبده
اشتر اللحم ثم جاءه بالسمك لم يعد ممتثلا بل ينسب الى البلاهة وهذا كما ان الله تعالى سمى الكافر
دابة ومن حلف لا يركب دابة ثم ركب كافرا لم يحنث اجماعا وتستخرجوا منه حلية
تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان جعل اللبس لهم وان كان اللابس نساءهم لان غرض التزين
عايد اليهم وفى المثل كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس وترى الفلك مواخر فيه
جمع ماخرة من مخره اذا شقه لانها تشق الماء بصدرها وعن الفراء المخر صوت الفلك عند جريها
وانما غير الاسلوب وزاد لفظ الرؤية اشارة الى ان الفلك المواخر مع كونها ايات
باهرة على قدرته ولتبتغوا من فضله بالسفر فيها للتجارة عطف على قوله لتاكلوا وهو مع
قوله ولعلكم تشكرون متعلق بمقدر كانه قيل لتستدلوا بها على الصانع الحكيم ولتبتغوا
من فضله ولكى تشكروا نعمه حيث جعل مظنة الهلاك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش
على اهون الوجوه فانها يقطع المسافة العظيمة فى لمح الطرف والقى فى الارض روا
سى جبالا ثابتة ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فانها خلقت على وجه الماء فلم
تستقر فارسى الجبال فيها فاستقرت فذلك قوله والجبال اوتادا والمايد الداير ومنه
مايدة الطعام لاستدارة شكلها والقول بانها خلقت كرة حقيقة بسيطة وكان
من حقها ان تتحرك على الاستدارة كالافلاك فارسيت بالجبال شئ لا اصل له بل هى

بل هى اصول فلسفية تصان عنه كلامه تعالى مخالف لقوله كل فى فلك يسبحون اذ لو كانت
الحركة للافلاك دون الكواكب فاى معنى للسباحة وانهارا عطف على رواسى بحسب المعنى اى
جعل فيها انهارا لان القاى يلزمه الجعل وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم والسعى فى اغرا
ضكم او تهتدون بالتامل فيها الى معرفته تعالى وعلامات الامارات التى تستدل بها السابلة من
جبل وشجر واحجار وغير ذلك وبالنجم هم يهتدون بجنس النجم وعن السدى انه الثريا
والفرقدان وبنات نعش والجدى وانما اخرج الكلام عن سنن الخطاب لان المراد بهم قريش
الذى كان لهم رحلة الشتاء والصيف وغيرهما من الاسفار فكان الشكر عليهم اوجب و
لذلك اثر طريق الحصر كانه قيل بالنجم خصوصا هو لا خصوصا يهتدون افمن يخلق
كمن لا يخلق انكار بعد اقامة البرهان على تفرده بايجاد المبدعات من السموات
والارض وما فيهما كيف تسوى بينه وبين ما لا يقدر على خلق ذرة كان الظاهر افمن
لا يخلق الا انه عدل عنه تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه مشابها للمخلوق العاجز
والتبين لان تلك الاصنام لما عبدت اجريت مجرى اولى العلم او للمشاكلة او المعنى
ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بما لا علم له ولا ادراك وهذا هو
الوجه وفى معناه الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون
بها منحط عن درجة هولاء فاذا لم يصلح للالوهية فتلك عنها بمراحل افلا تذكرون
فتحكموا بفساد ذلك وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها عد النعم العظام من انواع شتى ثم اشار
اجمالا الى سايرها وانها فى الكثرة بحيث لا يقدر احد على عدها فكيف القيام بشكرها
ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم رحيم لا يقطع النعم بترك الشكر عليها ولا
يعاجلكم بالعقوبة ولما ختم الاية فى سورة ابرهيم بقوله ان الانسان لظلوم كفار ختم
ههنا بقوله ان الله لغفور رحيم ليكون كل من وصفى العبد من الظلم والكفران مقابلا
بوصف من الغفران والرحمة ايماء الى ان رحمته سبقت غضبه والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون من الاعمال والعقايد فيه وعيد وحث على الاخلاص والذين
يدعون من دون الله والمخاطبون بعض من خوطب اولا لعمومه المؤمن والكافر وقرا
عاصم بالياء لا يخلقون شيئا من الاشياء وهم يخلقون فخلقون عجزة
تحت قدرة خالقهم ترقى فى البرهان اموات غير احياء لم تعترها الحيوة قط او ليس
لها حيوة بالذات بل مستفادا ان كان لها حيوة فيشمل الاصنام وكل ما عبد من دون الله
ويؤيد هذا الوجه قوله وما يشعرون ايان يبعثون لان من لم تمسه الحيوة لا يحتاج
الى سلب الشعور عنه وفيه تهكم بالمشركين بان معبوداتهم لا شعور لها بوقت البعث
فكيف تقدر على الشفاعة وايصال الثواب والعقاب اشارة الى ان البعث من لوازم التكليف
لئلا تضيع اجر المحسنين الهكم اله واحد اعاد المدعى بعد اقامة البرهان تقريرا وليرتب عليه
ما بعده فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون اى بعد ثبوت الوحدانية
ووضوحها لم يكن من المشركين الا عكس مقتضى العقل وهو الانكار بالقلب والاستكبار
وطلب الترفع عن صرف الجوارح الى ما خلق لها لا جرم ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون حقا ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فاعد لهم جزاءها انه لا يحب المستكبرين
جنس المستكبرين فضلا عن الذين يستكبرون عن التوحيد واذا قيل لهم ماذا انزل
ربكم ماذا منصوب بانزل بمعنى اى شئ انزله او مرفوع بالابتداء اى اى شئ انزله قالوا
اساطير الاولين اى ما تدعون نزوله اساطير الاولين اباطيلهم واذا رفعه فالمعنى
المنزل اساطير الاولين نظيره يسالونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب والسائل
اما بعض المشركين او الوافدون او المسلمون والمجيب الذى اقتسموا مداخل مكة ينفرون الوفود

الى رسول اذا سألوهم عما انزل اليه سموه من لا تهكما ليحملوا اوزارهم كاملة يوم
القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بعض اوزارهم لانهم تسببوا الضلالة لهم
بغير علم حال من المفعول اى اضلوهم غير عالمين بان القائلين يريدون اضلالهم وفيه
دلالة على ان الجهل ليس بعذر بل كان عليهم البحث حتى يظهر لهم الحق من الباطل وفيه
ان كيدهم لا يروج على ذوى الالباب بل انما يقلدهم الاغتام وفيه ذم لهم اذ لم يقدر
الا على اغواء الضعفاء المسترشدين الا ساء ما يزرون اى بئس شيئا يزرونه فعلهم
قد مكر الذين من قبلهم من قبل قريش برسلهم فاتى الله بنيانهم من
القواعد جمع قاعدة وهى الاساطين التى تقيم البنا او الاساس فخر عليهم السقف
من فوقهم اذ لا بقا للسقف بعد ذهاب القواعد واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
لا يحتسبون ولا يتوقعون مثل حالهم فى توكيد حيلهم ليمكروا بها رسل الله ببنيان على
قواعد محكمة ليكون سببا لنجاتهم وكانوا آمنين اذ هدم الله عليهم فجاءة فكان
ما اعدوه للنجاة سببا للبوار وفى المثل من حفر لاخيه قليبا وقع فيه وقيل هو نمرود بن
كنعان بنى الصرح طوله خمسة [آلاف] ذراع فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم
القيمة يخزيهم بعذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين
شركاءى اضافهم الى ذاته تجهيلا وتوبيخا لهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون
المؤمنين فى شانهم وقرأ نافع بكسر النون على انها نون الوقاية حذف منه اليا اكتفا
بالكسرة توبيخا بان المؤمنين بجعل مشاقتهم مشاقته قال الذين اوتوا العلم
هم الانبيا او الملائكة او اولوا العلم جميعا ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين
يقولون ذلك شماتة وتشفيا حكاه الله تعالى لطفا بالسامعين الذين تتوفيهم
الملائكة قرأ حمزة باليا لان التانيث غير حقيقى والموصول يحتمل الاوجه الثلثة ظالمى
انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم عطف على قوله قال الذين
اوتوا العلم اى اذعنوا واستسلموا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه والسلم بفتح اللام و
السين مصدر بمعنى الاستسلام والانقياد ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان جحدوا
وانكروا ان يصدر منهم ما كان صادرا ولذلك قال انظر كيف كذبوا بلى جواب من
اولى العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون وهذا اوان جزائه والقول بان هذا كلام الملائكة
حين توفى الكفار يرده قوله فادخلوا ابواب جهنم مع ان انكارهم وقولهم
ما كنا نعمل من سوء لا معنى كل لجريانه مع الملائكة المتوفين لارواحهم خالدين فيها
فلبئس مثوى المتكبرين مثواهم وقيل للذين اتقوا اى المؤمنين ماذا انزل ربكم
هم الوافدون لاستكشاف خبر رسول الله من القبائل ايام الموسم قالوا خيرا
المجيب اصحاب رسول الله فان الوافد كان يقول له المقتسمون عن الاتيان
الى رسول الله انا ساحر والذان رجعت ولم القه ولم استطع ام محمد النصب هنا والرفع فيما
تقدم للفصل بين جواب المقر وجواب الجاحد فان هولاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب
على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال وقالوا هو
اساطير الاولين وليس من الانزال فى شئ ويجوز ان يكون خبرا مفعول قالوا وقوله للذين
احسنوا وما بعده بدلا من خيرا كانهم اجملوا فى الجواب ثم فصلوا ايضاحا للسترشدين
ويجوز ان يكون للذين احسنوا كلاما مبتدا ثناء على القائلين فى جوابهم وانه من حسنات
معدودا من جملتها وهذا الوجه احسن طباقا لان هذا الوعد فى مقابلة الوعيد بقوله
ليحملوا اوزارهم فى هذه الدنيا حسنة مكافاة على فعلهم ولدار الاخرة خير ولهم فى
الاخرة خير منها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة ولنعم دار

قاله القاضي

دار المتقين دار الاخرة حذف المخصوص لتقدم ذكره جنات عدن
خبر مبتدا محذوف اى لهم ويجوز ان يكون المخصوص وان يكون مبتدا يدخلونها
خبرا تجرى من تحتها الانهار خبر آخر وعلى الوجهين الاولين حالان اما من فاعل
الظرف او من فاعل نعم لهم فيها ما يشاؤن من الملاذ وتقديم الظرف للدلالة على
ان الانسان لا يجد جميع الامانى الا فى الجنة كذلك يجزى الله المتقين الكاف فى محل
النصب على المصدر اى مثل ذلك الجزاء وهذا ايضا يؤيد الوجه الاخير الذين تتوفيهم
الملائكة طيبين طاهرين من الكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم او فرحين
ببشارة الملائكة فان المؤمن يبشر اذا احتضر من طابت نفسه او بالتوجه الى حضرة القدس
يقولون سلام عليكم من كل ما يخاف منه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
اذا بعثتم او الآن فان قبر المؤمن روضة من رياض الجنة على ما نطق به من لا ينطق عن
الهوى وقيل هذا وفاة الحشر وليس بشئ اذ لا موت بعد البعث هل ينظرون الا ان
تاتيهم الملائكة اى الكفار لقبض ارواحهم ذكر المتقين كان بالعرض لزيادة
تبكيت المشركين وتحسيرهم فيه واشارة الى ان الرسول قد ادى ما عليه من التبليغ
او ياتى امر ربك عذابه المستاصل او يوم الجزاء كذلك فعل الذين
من قبلهم من الشرك والمشاقة وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بكفرهم المؤدى اليه فاصابهم سيئات
ما عملوا جزاؤها كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
جزاء الاستهزاء افرده بالذكر لغاية قبحه لبعد مقام الرسل عن الاستهزاء بهم وفيه
تسلية رسول الله بان يتربص به الدائرة السوء وقال الذين اشركوا اتى بالموصول
موضع الضمير اشارة الى ان قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن
ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ ناشئ وصادر عن الكفر يستلزم رفع التكليف لكونه
جبرا صرفا يلزم منه سلب القدرة والارادة من العبد وجعله كالجماد ولا يدل على
ان المعاصى ليست بمشيته تعالى كيف وقد قال ولو شاء الله ما فعلوه كذلك فعل الذين
من قبلهم من الكفار كذلك فعل الذين من قبلهم من الكفار فهل على
الرسل الا البلاغ المبين الواضح وقد بينوا ان الخير والشر بارادته ومشيته وان ذلك لا يوجب
الجبر بل التوسط بين طرفى الافراط والتفريط واليه اشار لما قالت الصحابة ففيم العمل يا رسول
اعملوا فكل ميسر لما خلق له ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
برهان قاطع على فساد ما ادعاه المشركون من الجبر وذلك ان كل رسول بعث فى
امة كان مامورا بان يدعوهم الى التوحيد والاجتناب عن اتباع الشيطان فلو كانت
مشيته تعالى رافعة للوم على الشرك والمعاصى لما كان للارسال فايدة فمنهم من هدى
الله الى طريق الجنة فاتبعوا الرسل ومنهم من حقت عليه الضلالة فكذبوهم وفى
ايثار حقت عليهم اشارة الى ان الفضل وان كان عاما الا ان سبق العلم والارادة مانعان
فسيروا فى الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
للرسل فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وقيل الخطاب للمؤمنين تسلية لهم بان
بان ما اصاب اولئك سيصيب هولاء مثله ان تحرص على هديهم يا محمد فان الله لا
يهدى من يضل يريد اضلاله وقرأ الكوفيون بضم اليا وفتح الدال على بنا المفعول والمعنى
من يضل الله لا هادى له والباقون بفتح اليا وكسر الدال والاول هو المختار لان الضلال
فرع اضلاله تعالى وما لهم من ناصرين بدفع عنهم العذاب واقسموا بالله جهد ايمانهم
ما يبلغه طاقتهم اى بالغوا فى الايمان لا يبعث الله من يموت جواب القسم والقسم

قاله القاضي

مع جوابه عطف على قوله قال الذين اشركوا ايذا انا بانهم كافرون بالتوحيد والمعاد جامعون بين الفرينتين بلى رد عليهم وعدا مصدر موكد لما دل عليه بلى لان البعث وعد من الله لقوله كما بدانا اول خلق نعيده حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون لاخلالهم بالنظر ولعدم تصديق الرسل ونسبة المعجزة الى السحر ليبين لهم الذين يختلفون فيه من الدين والعقايد وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لا بعث وذلك ايضا من الدواعي الى البعث وقيل الجار في الموضعين متعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اى بعثنا ليبين لهم الذي اختلفوا فيه وليعلم المشركون انهم كانوا كاذبين على الله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون تمثيل لسرعة تكون مراده بعد تعلق الارادة كوجود المامور به من المامور المطيع لاوامر الامر المطاع ولا قول هناك وقيل بل جرت سنة الله في ايجاد الاشيا باحداث كلمة كن اولا وقرا ابن عامر والكسائي فيكون بالنصب عطفا على ان نقول او على انه جواب الامر صورة وان لم يكن هناك حقيقة الامر لاقتضائها مخاطبا ولا موجود اذ ذاك فضلا عن المخاطب على الاستيناف اى فهو يكون وهذا برهان على جواز البعث لدخوله عطفا على ان نقول او على انه جواب الامر صورة وان لم يكن هناك حقيقة الامر لاقتضائها مخاطبا ولا موجودا اذ ذاك فضلا عن المخاطب والباقون بالرفع على الاستيناف اى فهو يكون وهذا برهان على جواب البعث لدخوله في العموم والذين هاجروا في الله في شانه فرارا بدينه وهم رسول الله واصحابه هاجروا من مكة الى الحبشة والى المدينة ثم عام فتح خيبر هاجر من كان بالحبشة الى رسول الله وهو قد فتح مكة خيبر فاسهم لهم منهم جعفر الطيار وابو موسى الاشعرى وقيل هم المستضعفون الذين تخلفوا عن رسول الله منهم صهيب هاجر بعد رسول الله فاخذه المشركون واذوه فقال انا رجل غريب وشيخ كبير لا اضر ولا انفع فافتدى نفسه بماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ربح صهيب افتدى نفسه بماله فلما جاء ورسول الله بقبا استقبل عمر بن الخطاب وكان قد اخار رسول الله بينه وبين عمر فناداه عمر وقال ربح البيع والله يا صهيب فقال صهيب والله هذا خبر اتيتنا به يا عمر من بعد ما ظلموا بعد الابتلاء والاحراج لنبوئنهم في الدنيا حسنة لننزلنهم منزلة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر من المعجل في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطا يقول خذ هذا بارك الله لك فيه وما ادخر الله لك في الاخرة خير من هذا وافضل لو كانوا يعلمون اى لو يعلم الكفار ما ادخر الله لهولا المهاجرين لرغبوا في دينهم او لم يعلم المستضعفون ذلك لازدادوا واجتهادا في الدين وصبرا على الاذى ويوسعهم الذين صبروا اى على الشدايد رفع او نصب على المدح وعلى ربهم يتوكلون في امورهم كصهيب فانه صبر على الاذى وخرج من ماله متوكلا وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم جواب عن شبهتهم بان الله لو بعث رسولا لكان ملكا ولو كان معه ملك يصدقه وقرا حفص نوحي بالنون وكسر الحاء فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب ليخبروكم ان الله لم يبعث في ساير الامم الا رجالا نوحي اليهم ان كنتم لا تعلمون والحكمة في ذلك سهولة الاخذ منهم ولذلك قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقيل الا ملايكة ممثلين بصورة الرجال وليس بشيء لقوله في سورة يوسف الا رجالا من اهل القرى لا لان رسول الله راى جبريل في صورته لان تلك الروية لم تكن في حال الارسال بالوحي بل اراه الله اياه على تلك الصورة كما اراه ساير عجايب الملكوت بالبينات والزبر متعلق بارسلنا او بيوحي اليهم بالبينات وقوله فاسئلوا اهل الذكر

رد على القاضي

اهل الذكر اعتراض او بلا يعلمون على ان الشرط للالزام والتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني اجرى مع انه لا يشك في عمله وقيل متعلق بارسلنا داخل تحت حكم الاستثناء والتقدير ما ارسلنا جماعة من الجماعات بشيء من الاشيا الا رجالا بالبينات والحق عدم جواز الاستثناء على جواز تعدد المفرغ والحق عدم جوازه للزوم الالباس او وجوب ان كل ما وقع بعد الا محصور فيه وان لا يكون فرق بين ما ضرب الا زيد عمرا وما ضرب الا عمرا زيد والفرق واضح ابلج وانزلنا اليك الذكر اى القران سمى بالذكر لاشتماله على المواعيظ او لكونه شرفا لقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم لتبين للناس ما نزل اليهم من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد ولعلهم يتفكرون ولكي يتفكروا فيه ويدركوا اعجازه فيؤمنوا به وبنبوة من انزل اليه افامن الذين مكروا السيئات اى المكرات وهم اهل مكة واذ يمكر بك الذين كفروا او الذين كفروا واحتالوا لهلاك الانبياء والاستفهام للتقرير اذ لو لم يامنوا لما مكروا ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون كما فعل بعاد وقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم في اسفارهم ومتاجرهم كما فعل باصحاب الفيل حين قصدوا هدم الكعبة فما هم بمعجزين سابقين القدر او ياخذهم على تخوف واستشعار بالعذاب كما فعل بثمود صالح مقابل قوله من حيث لا يشعرون والغرض منه التعميم وقيل التخوف التنقص شيئا فشيئا والمعنى تتنقص منهم شيئا بعد شيء في اموالهم وانفسهم وقد روى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم شاعرنا ابو كبير يصف ناقة تخوف منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لم يعاجلكم بالعقوبة او لم يروا الى ما خلق الله من شيء ما موصولة من بيانية والاستفهام للتقرير بادخال النفي وهو الاثبات وقد يقال انه للانكار والمعنى واحد وقرا حمزة والكسائي او لم تروا بالخطاب وهو المختار لقوله ان ربكم لرؤف رحيم يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل الفيء هو الظل الراجع بعد الزوال من استعمال المقيد في المطلق افرد اليمين وجمع الشمائل نظرا الى اللفظ والمعنى ولم يعكس لان قوة اليمين جابرة نقصان الجمع لفظا وقرا ابو عمرو تتفيؤ مؤنثا والتذكير لحسن لعدم الفاصل سجدا لله حال من الظلال وهم داخرون حال من المجرور ولانه في معنى الجمع وفيه ترتيب حسن فانه لما اوقع السجود حالا عن الظلال جعل الدحور الذي انقياد قهري وصفا لا صحابها وفي جعلهما حالين من الظلال فوات ذلك الحسن والعامل في الحال الثانية يتفيؤ ايضا كما مر في بل ملة ابرهيم حنيفا ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة بيان لما في السموات والارض جميعا على ان في السموات لله خلقا يدبون كما في يدب الاناسي وساير الحيوانات في الارض او هو بيان لما في الارض وحده والملايكة عطف على المبين عطف الخاص على العام او هي ملايكة الارض او ما في السموات خلق اخر وهو الروح الذي اخبر الله عنه بقوله يوم يقوم الروح والملايكة وما قيل من انه من عطف المجردات على الجسمانيات واستدل به على ان الملايكة ارواح مجردة ضعيف لا يخفى ومعنى السجود الانقياد الشامل للعقلاء وغيرهم ولفظ ما يشملهم وهم لا يستكبرون حال من الملايكة يخافون ربهم من فوقهم حال من ضمير يستكبرون او استيناف بيان لنفي الاستكبار وهذا اولى لئلا يتقيد الاستكبار وليدل على ثبوت هذه الصفة على الاطلاق ومن فوقهم متعلق بيخافون والمعنى يخافون نزول العذاب من تلك الجهة كقوله عذابا من فوقكم او بربهم حال منه اى يخافونه عاليا عليهم كقوله وهو القاهر فوق عباده وفيه دليل على ان

لان المنصوب وان قدم لفظا يؤخر رتبة منه

رد على القاضي

الملائكة مكلفون وانهم خايفون من عذابه ويفعلون ما يؤمرون فيه دليل على
عصمتهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين
اثنين وصف الالهين بالاثنين مع ان المثنى نص في مدلوله كقولك رجلان وثوبان
اشارة الى ان مصب النهي هو الاثنينية فانها تنافي الالوهية ولما احتمل الكلام ان يكون
لخصوصية الاثنين مدخل في ذلك النهي ازاله بقوله انما هو اله واحد لا شريك له في
الالوهية راسا ولا خصوصية لعدد بل الوحدانية من لوازم الالهية فاياي فارهبون
التفت الى التكلم لانه ابلغ في الترهيب وفيه ايماء الى انه ذلك الواحد وله ما في السموات
والارض من الكائنات الخارجة والداخلة فيها وله الدين لا لغيره واصبا لازما لتفرده
بالالوهية او من الوصب وهو المشقة اي ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او الدين
الجزاء اي له الجزاء الدائم وهو الثواب والعقاب افغير الله تتقون بعد ما تبين لكم
لكم انه المتوحد في الالوهية والحقيق بالتقوى وما بكم من نعمة فمن الله وما اتصل بكم
من نعمة فهو من الله ولما كان اتصال النعم بهم سببا للعلم لكونها من الله ادخل الفا في خبر
الموصول وما قيل هؤلاء قوم اعطوا نعما فشكوا في موليها فكان ذلك سببا للاعلام بانها
من الله ففيه ان قوله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون صريح في انهم عالمون بذلك المولى
كيف والخطاب شامل للمؤمن والكافر الجؤار رفع الصوت بالدعاء وفي الحديث كاني بموسى
يتحدر في الوادي وله جؤار بالتلبية ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون
وهم الكفار فان قوله وما بكم من نعمة خطاب عام لشمول النعم المؤمن والكافر وان خص الخطاب
بالمشركين فلان منهم من اعتبر لقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ويجوز ان يكون من
بيانا كانه قيل فاذا فريق كافر وهم انتم ليكفروا بما آتيناهم تلك الفرقة وكان الواجب
عليهم شكر تلك النعم فبدلوه كفرانا ولذلك جعل كالغرض فتمتعوا امر تهديد فسوف
تعلمون وخامة ما انتم فيه ولئن كفرتم ان عذابي لشديد ويجعلون لما لا يعلمون
ما لا يعلمون الهتهم لاعتقادهم انها تضر وتنفع فهم جاهلون بها فالعائد محذوف والضمير
في لا يعلمون للالهة اي الاشياء لا علم لها بل هي جمادات وضمير العقلاء لادعائهم ذلك
فيها نصيبا مما رزقناهم من الضروع والزروع تقربا اليها تالله لتسئلن عما كنتم
تفترون من انها تستحق الالوهية والتقرب ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة
تقول الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه او تعجب ولهم ما يشتهون من الذكور وفيه
غاية الوعيد حيث لم يرضوا لانفسهم البنات وارتضوها لخالق السموات ويجوز فيما يشتهون
الرفع على الابتداء والنصب عطفا على البنات فان قلت قد نقل عن الزجاج ان العرب لا تقول جعل
زيد له ما يشتهي وذلك يدل على عدم جواز النصب قلت قول الزجاج محمول على جعل الظرف لغوا
فيلزم الجمع بين ضميري الفاعل والمفعول في غير فعل القلب واما اذا جعل مستقرا فلا محذور
ولا حاجة الى الاعتذار بانه يجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه واذا بشر
احدهم بالانثى اخبر عنه بالبشارة اشارة الى انها بشارة وان كره لان الولد
نعمة من الله ذكرا كان او انثى الا يرى الى قوله يهب لمن يشاء اناثا او هو من استعمال احد
الضدين في الآخر ظل وجهه مسودا صار اسود غاية السواد لاعتراء الغم وتراكم الهم
كما يستنير وجه المستبشر عند عروض السرور وظل من الظلول فانه وقت اجتماع الناس وحينئذ
يقع الخجل وهو كظيم مملوء غضبا او كاظم غيظه ساترا اياه يؤيده قوله يتوارى من القوم
يستتر منهم حياء من سوء ما بشر به لاجل قبح المبشر به وكونه عارا عليه ايمسكه على هون
ام يدسه في التراب في موقع الحال من فاعل يتوارى والمعنى يستتر من الناس مترددا
بين ان يحفظ المبشر به ويرضى بالذل والهوان وبين ان يدفنه في التراب وهو الواد

رد على ابن الحاجب

قول الفاضل

وهو الوأد الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي محله عندهم هذا لمن
له ملك السموات والارض للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء الصفة التي تورث
النقص وهي الاحتياج الى الولد والى كل قليل وكثير وضع الموصول
موضع الضمير اشارة الى ان صدور ذلك القول منهم
منشاؤه عدم الايمان بالآخرة ولله المثل الاعلى الشان الاعلى من
كل ما ينسب اليه وله الغنى المطلق وهو العزيز الغالب على كل شيء فلا احتياج له الى ولد يستظهر به الحكيم
في صنعه ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها اي على الارض
دل عليها ذكر الناس وهذا اعم من قوله ما ترك على ظهرها من دابة قط بشؤم معاصيهم وفي
الحديث ان الكافر اذا مات استراح منه الناس والدواب وعن ابن عباس رضي الله عنه من دابة
من مشرك وعلى هذا ذكر الدابة للتحقير ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لحكمة اقتضت ذلك اما
ليتوب بعضهم او يولد له من يؤمن او ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين فاذا جاء اجلهم
المحتوم لا يستأخرون ساعة عنه ولا يستقدمون عطف على الشرطية واضاف
الظلم الى الناس باعتبار وقوعه بينهم فلا يلزم العموم ويجعلون لله ما يكرهون
من البنات والشركة في الرياسة وبذلهم ارذل الاموال في الصدقات وابواب البر
وتصف السنتهم الكذب تظهره ان لهم الحسنى بدل من الكذب او بيان
لهم الحسنى عند الله في مقابلة ذلك القبيح كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
لا جرم ان لهم النار كسب ذلك لهم النار وانهم مفرطون متجاوزون الحد اسم
فاعل من افرط في شيء بالغ فيه قرا نافع مفرطون بكسر الراء من افرط في المعصية بالغ فيها
وغيره بفتح الراء اسم مفعول من افرط قدمه لطلب الماء والمنزل اي مقدمون الى النار
او من افرط ترك وراءه اي منسيون من رحمة وهذا ابلغ واليق بالمقام لان كونهم
متجاوزين قد علم من قوله ويجعلون لله البنات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك
فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على ذلك الى ان ماتوا على الكفر فهو وليهم اليوم
حكاية حال ماضية لان من تمة حال الامم المرسل اليها او اليوم عبارة عن زمان الدنيا
يتناول الماضي والمعنى ان الامم السالفة انما كانوا مخذولين في الدنيا لكون الشيطان كان وليا
لهم وناصرا وفيه تسلية لرسول الله ووعيد للمشركين او اليوم حكاية حال آتية اي يوم يعذبون
بالنار لا ناصر لهم الا الشيطان وفيه تهكم بهم ونفي للناصر على ابلغ وجه او اليوم هو
الزمان الحاضر والمعنى زين للامم قبلك وفرغ من امرهم فهو الآن ولي هؤلاء الذين
يكذبونك وفيه مزيد التسلي والتشفي ولهم عذاب اليم يوم القيمة وما انزلنا
عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه من احوال المبدا والمعاد اصولا وفروعا وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين ولم يظهر اللام لانهما فعلا المنزل
بخلاف الاول فان قلت اذا اختص كونه هدى بالمؤمنين فما معنى التبيين للناس
قلت البيان هو الكشف عن موضع اللبس بحيث لا يخفى على احد سواء قبل واذعن له
او لا وكونه هدى للمؤمنين بمعنى انهم قبلوه والتزموا العمل بموجبه والله انزل من
السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها بعد اقامة البراهين على وجود الصانع ووحدانيته حكى
عنهم انواعا من الكفر والضلالات ثم عاد الى ابداء الدلائل القاطعة ازاحة للعذر وايضاحا
للسبيل لان مقام اثبات الصانع والتوحيد اجل المقامات واسنى المقاصد فهو خليق بذلك
ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر لان من لم يتدبر بعد السماع فكانه اصم
وان لكم في الانعام لعبرة دليلا يعبر به الى العلم بوجود صانع حكيم نسقيكم مما في بطونه
بيان لكونه دليلا وعبرة وتذكير الضمير الراجع الى الانعام لكونه مفردا كما نص عليه سيبويه

فالافراط على الوجه الاخير من الاضداد نقله الجعبري رحمه الله منه

واما تانيث الضمير في سورة المؤمنين فباعتبار المعنى لانه اسم جمع وقيل الضمير لبعض الانعام
لان اللبن يختص به وقراه نافع وابن عامر وابو بكر بفتح النون وهو اكثر دورا من بين
فرث ودم لبنا متوسطا بينهما اسفل البطن محل الفرث واعلاه مكان الدم لان القلب
والكبد ذات اليمين وذات الشمال مستعليان ينبوعا الدم والضروع ايضا محلها اعلى
البطن فعلى هذا من في بين فرث ودم متعلق بنسقيكم على انها ابتدائية لان بين الفرث والدم
محل الاسقاء ومنه السكون والظهور كقولك سقيت من الحوض والاولى تبعيضية
لان اللبن بعض ما في البطون خالصا صافيا لا يشوبه شيء من الفرث والدم يدل على
كمال القدرة كقوله بينهما برزخ لا يبغيان سائغا سهل المرور في الحلق من السوغ وهو
الدخول للشاربين ذكره امتنانا ومن ثمرات النخيل والاعناب ثم عطف
على قوله وان لكم في الانعام او من عصيرها عطف على مجموع السابق لا على مما في بطونه
لفساد المعنى او يتعلق بنسقيكم مقدرا وقوله تتخذون منه سكرا بيان لكيفية الاسقاء
ويجوز ان يكون متعلقا بتتخذون ومنه تكرارا للتاكيد وتذكير الضمير لعوده الى
العصير المحذوف والسكر بفتح الكاف مصدر سكر مثل رشد رشدا الخمر تسمية بالمصدر
وفي الحديث حرم السكر من كل شراب والآية منسوخة وقيل السكر الطعام قال
الازهري انكره اهل اللغة والعرب لا تعرفه ورزقا حسنا التمر والزبيب وغيرهما
ما عدا الخمر وفيه اشارة الى ان الخمر مع كونه مباح الشرب ليس من الرزق الحسن ولذلك
لم يشربها الانبياء قط وان فسر السكر بالطعام جاز ان يكون رزقا حسنا هو السكر
والعطف للتغاير ومن للتبعيض لان بعضها يوكل طريا ان في ذلك لآية لقوم
يعقلون يستعملون عقولهم في التامل والتدبر في المصنوعات واوحى ربك
الى النحل شروع في نوع آخر من الدلائل على وجود الصانع الحكيم والوحي لغة السرعة وفي الحديث
الوحا الوحا ويطلق على الكتابة والرسالة والاشارة والكلام الخفي والالهام وهو المراد ههنا
ان اتخذي ان مفسرة او بان اتخذي والتانيث لان النحل اسم الجمع كالناس من الجبال
بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون بعض الجبال والشجر وما يعرشون من الكروم والسقوف
لانها لا تبني في الكل ولا في كل مكان منها والبيت ما يبيت فيه الحيوان وياوي اليه انسانا
كان او غيره ومنه بيت العنكبوت فلا احتياج الى التشبيه ببيت الانسان ثم كلي من
الثمرات ارشاد لها الى العمل بعد اتخاذ المنزل والمراد بعض كل الثمرات وفيه طباق
بين من ولفظ كل فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك في عمل العسل
او فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر علا
من اجوافك ومنافذ ماكلك او اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي
اليها سبل ربك راجعة لا تزل فيها ولا تضل او اسلكي سبل ربك في طلب النجعة واكل
الثمرات ذللا جمع ذلول من الذل بالكسر وهي اللين ضد الصعوبة حال من السبل اي
مذللة لك او من الفاعل اي وانت مذللة لمستفادة لما اريد والوجه هو الاول يخرج من
بطونها شراب مختلف الوانه عدل من الخطاب الى الغيبة لفراغ التعليم المقتضي له
والشروع في المقصود الذي كان ذلك الالهام والتعليم لاجله وهو الامتنان على الانسان
بايصال ذلك النفع البالغ اليه والشفا القالع للمرض الذي هو غاية الاماني مع كون
الدوا الذ الاشياء واشهى المشتهيات من ذلك الحيوان الضعيف الذي لا يهتدي العقل
الى تصور المناسبة بينهما فيه شفاء للناس نوع منه فالتنوين للتعظيم وقيل فيه شفاء
من كل داء وقد روي فيه حديث فعلى هذا يكون فيه شفا لكل داء اما بسيطا او مركبا
ولا يقتضي وجود الشفا في كل وقت بل يعتبر في ذلك مصادفة الدوا الوقت اللايق

اللايق ونضج المادة وسائر ما يعتبر طبا وبذلك يول الحديث الذي رواه قتادة ان رجلا
جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا فقال
شفت وما نفع فقال اسقه عسلا صدق الله وكذب بطن اخيك كذب البطن عبارة عن عدم
قابلية المحل عبر عنه بالكذب لوقوعه في مقابلة الصدق طباقا ونوعا من المشاكلة وقيل
الضمير للقرآن وهو بعيد جدا ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون في بدايع صنع الله وابن
النحل من تلك الصنعة البديعة في ذلك البيوت على ذلك الوضع والشكل المسدس الذي
هو اقل الاشكال فرجا الذي لا يطلع عليه الا الحاذق في علم الهندسة ولغموض المعنى
والاحتياج الى مزيد التامل ختم الفاصلة بالتفكر الذي يقتضي اعمال الروية وترتيب المبادي
والله خلقكم ثم يتوفيكم عند حلول الآجال ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه وهو
الزمان الذي ينقص فيه القوى والعقل وفي دعائه صلى الله عليه وسلم واعوذ بك
ان ترد بي الى ارذل العمر روي عن علي رضي الله عنه انه خمس وسبعون سنة وعن قتادة
خمس وتسعون والحق انه يختلف باختلاف الاشخاص وتفاوت القوى والعقول لكيلا
يعلم بعد علم شيئا كناية عن غاية النسيان وتنكس الاحوال ونقصان القوى الحافظة
كالطفل فانه اذا علم شيئا لم يلبث ان ينساه او لا يقدر على كسب علم زايد لوقوف الفهم و
نقصان الذكاء ان الله عليم بالاشياء قدير على ما يشاء والله فضل بعضكم على بعض
في الرزق منكم الغني ومنكم الفقير ومنكم المكثر ومنكم المقل فما الذين فضلوا برادي
رزقهم على ما ملكت ايمانهم لم يشاركوهم فيه ليكون ذلك شكرا لتلك النعمة روى البخاري
عن معاذ انه راى ابا ذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسالناه عن ذلك فقال قال رسول
الله اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم اطعموهم مما تطعمون والبسوهم مما تلبسون
ولا تكلفوهم من العمل الا ما يطيقون فهم فيه سواء الموالي والمماليك في ذلك الرزق
سواء لان الله هو الرزاق حقيقة افبنعمة الله يجحدون حيث لا ينفقون على امثالهم مع انهم
عباد مربوبون مثلهم او المعنى انكم لا ترضون بالمساواة مع عبيدكم واماءكم مع كونكم
تشاركونهم في النوع فكيف تجعلون لله اندادا من مخلوقاته او ان الموالي والعبيد كلهم
عبادي وانا رازقهم فلا يحسبن الموالي انهم رادون على مماليكهم من الرزق شيئا
وفيه اشارة الى ان المن والاعجاب معقد منشا الكفران وقرا ابو بكر تجحدون بالخطاب
والله جعل لكم من انفسكم ازواجا نوع آخر من دلايل الانفس مع كونها نعما جزيلة اذ بالازواج
يحصل الانس والتناسل وقيل اراد خلق حوا من ضلع آدم وجعل لكم من ازواجكم
بنين وحفدة اولاد الاولاد وقيل بنات لانهن يسرعن في الخدمة واصل الحفد السرعة
ومنه دعاء القنوت واليك نسعى ونحفد وقيل الخدم مطلقا وعلى هذا من ازواجكم
حال من بنين مقدما ورزقكم من الطيبات بعضها لان كل الطيبات
انما تكون في الجنة وما في الدنيا انموذج منها افبالباطل يومنون وهو ما يعتقدون
من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وبنعمة الله هم يكفرون حيث يحرمون ما
احل الله وتقديم الصلة للحصر لان جعل الموهوم متيقنا وانكار المتيقن وجحده مع قيام
البرهان لا اكفر منه وقيل للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك
لهم رزقا من السموات والارض شيئا نعي عليهم بعد اقامة البراهين على وحدانيته بانهم اشركوا
جمادات لا حس ولا حراك بها والرزق اسم المصدر يعمل عمل فشيئا منصوب به او هو
بمعنى المرزوق فيكون بدلا منه ومن السموات والارض صلة الرزق ان كان مصدرا
بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفة ان كان اسما لما يرزق
ولا يستطيعون نفي للامكان بعد نفي الفعل ترقيا وجمع الضمير وافراده باعتبار

باومعناه وقيل ضمير الجمع راجع الى الكفار اى هولاء مع كونهم احيا متصرفين في الامور لا يقد
رون على ذلك فكيف بالجمادات ولا حاجة الى تقدير الراجع الى الرزق لان المعنى على نفي الا
ستطاعة راسا فلا تضربوا لله الامثال فلا تشركوا به عدل الى المنزل لان من اشرك
به شيا فقد شبه به ففي النهى عن ضرب المثل له تعالى نهى عن التشبيه به ذاتا ووصفا وفى
لفظ الامثال لمن لا مثل له نوع عظيم على القائل وتسجيل على غباوته وليس فيه ان
اسماه توقيفية ان الله يعلم قبح ما يقولون ويعتقدون وانتم لا تعلمون تعليل
للنهى عن ضرب الامثال او نهى عن ضرب المثل حقيقة فانه يستدعى العلم بحال المشبه به وكيفية
وجه الشبه وانتم عراة عن العلم منهمكون في التقليد لا تعرفون حقايق الاشيا بل انما تقدون
الاسما من غير نظر الى المسمى ثم اعلمهم ضرب المثل فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل حاله تعالى
فى كمال قدرته فى ما شاء وكيف شاء وحال الاصنام التى جعلوها له شركا مع انه لا تقدر
على شيء راسا بالمملوك الذى ليس له قابلية الملك والتصرف اصلا والحر الذى اعطى
مالا وافرا وهو مطلق العنان لا حجر عليه ولا حاجر دونه ردون مراده وقيد المملوك
لاخراج الحر فان العبد يطلق عليهما ولا يقدر على شيء لاخراج المكاتب والماذون والاية
دلت على ان المملوك ليس بمحل التمليك كما ذهب اليه مالك ومن في من رزقناه الاولى
ان يكون موصوفة لوقوعها فى مقابلة عبدا وقيد الرزق بالحسن لاخراج الحرام اذ لا مدح
فى انفاقه ويحتمل ان يراد به الكثرة ليتسع مجال الانفاق منه وجمع الضمير فى لا يستوون
لارادة الجمع كانه قيل لا يستوى الاحرار والعبيد لئلا يتوهم ان ذلك التفاوت ناش من
المخصوص الحمد لله كل الحمد لانه المتفرد بالايجاد والقدرة المؤثرة فلا استحقاق لغيره بل
اكثرهم لا يعلمون قيد الاكثر لاخراج الاقل فانهم يقولون جحودا وضرب الله مثلا
رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه ابلغ واوضح فيما سيق له الكلام من بيان عجز
ما يعبدونه من المثل الاول والابكم من ولد اخرس وقيده بكونه لا يقدر على شيء ومع ذلك
ثقل وعيال على من يتولى امره وحاصله انه عديم النفع مع الضرر الظاهر اينما يوجهه
لا يات بخير لان مناط الخير القول والفعل وهو عار عنهما هل يستوى هو ومن
يامر بالعدل وهو على صراط مستقيم قابل تلك الصفات بنقايضها لان الامر بالعدل من لوازمه النطق
والعلم والقدرة والاستقامة فى الاعتقاد والعمل وانما قدم الامر بالعدل وان تاخر
عن الاستقامة لتقدمه شرفا ولله غيب السموات والارض علم ما غاب فيهما او علم
ما غاب عنهما اى عن اهلهما بيان لكمال علمه بعد ابطال الشبهة وما امر الساعة الا كلمح البصر
او هو اقرب اذا استهونوا فعل شيء واستقربوه يضربون له بذلك مثلا بيان
لكمال قدرته وتساوى الممكنات بالنسبة اليها او بمعنى بل مثل الى نهاية القاه ويزيدون
ان الله على كل شيء قدير برهان على ذلك لاندراجه فى الكلية والله اخرجكم
من بطون امهاتكم دليل على كمال قدرته بما لا ينكرونه وقرا حمزة والكسائى
بكسر الهمزة اذا وصل بما قبله للاتباع وزاد حمزة كسر الميم اتباعا للاتباع وهو المخفف
لا تعلمون شيئا من الاشياء وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الات
الادراك قيل من فقد حسا فقد علما وتقديم السمع لانه يتلقى به اوامر الشارع
لعلكم تشكرون موليكم تلك المعارف التى هى اجل النعم بعد ذلك الجهل الذى
لا داء ادوا منه الم يروا الى الطير من دلايل الافاق بعد ذكر دليل الانفس مسخرات مذللات
للطيران بما خلق لها من الاسباب المواتية له فى جو السماء جو الشيء داخله وجو
السما ما بينه وبين الارض من الهواء وفى حديث على فتق الاجواء وشق الارجاء

رد على اصحاب الكشف

الارجا وفى رواية سكائك الهواجمع سكاكة قيل ابعد من الجو ما يمسكهن الا الله
اذ لا دعامة هناك ولا علاقة وايجد بثقل يقتضى السقوط ان فى ذلك لايات دالة على علم
الصانع وقدرته من وجوه شتى خلق الطير على الحالة التى يمكن له الطيران وخلق الجو على
الوجه الذى يمكن للطير قطعه باجنحته كالماء للسابح وامساك الطير على خلاف مقتضى
الطبع لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بها استدلالا على وحدة الصانع وقدرته والله
جعل لكم من بيوتكم سكنا موضع السكنى فعل بمعنى مفعول والبيوت المتعارفة
وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا المتخذة من الادم وكانت العرب تتخذ القباب منها وفى
الحديث نزل عليه الوحى وهو فى قبة من ادم تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم تجدونها خفيفة
المحمل فى الضرب والنقض وقت النزول فى السفر وقت الترحال او فى اوقات السفر والحضر
فاليوم لمطلق الزمان قرا ابن عامر والكوفيون بسكون العين وهو اشهر واخف ومن اصوافها
واوبارها واشعارها الصوف للضان والوبر للابل والشعر للمعز اثاثا ومتاعا
عطف على سكنا والاثاث متاع البيت لا واحد له والعطف باعتبار الصفة وعن
ابى زيد الاثاث المال والغنم والعبيد والمتاع الواحدة اثاثة وعلى هذا من عطف
الخاص على العام الى حين مدة مديدة لصلابتها او الى حين انقضاء اعماركم او الى ان
تبلى وتفنى والله جعل لكم مما خلق من الشجر وساير المستظلات ظلالا تتقون به
حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مثل الكهوف والغيران جمع كن وهو ما يستتر به
من كننت الشيء سترته والعرب تسمى العروس كنة لانها تستر عن الاعين وجعل لكم سرابيل
جمع سربال وهو القميص تقيكم الحر خصه بالذكر لانه اكثر عندهم او اكتفا باحد الضدين
لاندفاع احدهما بدافع الاخر وسرابيل تقيكم باسكم فى الحروب كالدروع والجواشن قال
كعب بن زهير من نسج داود فى الهيجا سرابيل كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون
يؤمنون به وينقادون لامره اذا نظرتم فيها كيف والكلب ينقاد ويخضع لمن اطعمه كسرة يابسة
فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا ما ارسلت به فانما عليك البلاغ المبين
فقد تمهد عذرك بابلاغ ما وجب عليك ابلاغه فذكر السبب ليدل على المسبب يعرفون
نعمة الله التى عددت ثم ينكرونها باضافتها الى الاصنام وقولهم انما رزقنا ببركتها او
شفاعتها او لما لم يقدموا شكر المنعم فكان ذلك بمنزلة الانكار وقيل النعمة نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم
الكافرون الجاحدون وانما قيد بالاكثر اما اقامة له مقام الكل كما فى قوله بل اكثرهم لا يعلمون
او لان كفر الاول ليس عنادا بل تفريطا فى النظر وقيل او لانه لم يبلغ حد التكليف وفيه ان
ذلك ليس داخلا فى الخطاب فلا يحتاج الى المخرج ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد عليهم
ولهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا فى الاعتذار اذ لا حجة لهم وقيل
فى الرجوع الى الدنيا لقوله اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ومعنى ثم انهم بعد شهادة
الانبيا يقعون فيما هو عدم الاذن فى الكلام لان الواقع فى البلية قد يتنفس بعض
تنفس اذا اذن له فى ابداء المعذرة وادلاء الحجة وان كان موقنا بانه لا يجدى به نفعا ولا هم
يستعتبون ولا يطلب منهم العتبى وهو الرضى يقال استعتبته فلانا اى طلبت منه
ان يرضينى فاعتبنى اى ارضانى وفى الحديث لا مستعتب بعد الموت يريد انه لا تكليف
حتى يتدارك المعاصى بالطاعات وانتصاب يوم بمحذوف نحو اذكر واذا راى الذين
ظلموا العذاب عذاب النار بغتهم جواب الشرط فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون الفاء فيه
فصيحة واذا راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك
انما يقولون هذا الكلام ليدفعوا عن انفسهم العذاب ويوجهوه الى الشركاء لانهم ضلوا

رد اول آيتين ابطال لبوسهم
شتم الصحابة رضوان الله
مدح الصحابة
عليهم اجمعين

ببيها فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اجابهم الشركاء بهذا القول فان كان
من الملائكة وعيسى وعزير فالمعنى انهم عبدوا الشياطين دوننا كقول الملائكة بل
كانوا يعبدون الجن او التكذيب راجع الى تسميتهم شركاء دون العبادة وان كان
قول الاصنام والشياطين فلا امتناع في كذبها مع احتمال رجوع التكذيب الى التسمية
والقوا الى الله يومئذ السلم استسلموا لقضاء الله بعد تلك المقالة وضل عنهم
ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرهم وتشفع لهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
ضموا الى كفرهم اضلال الغير وصده عن الاسلام زدناهم عذابا نوعا منه او حصة
فوق العذاب سوى ما كانوا استحقوه بما كانوا يفسدون من الصد عن سبيل الله
الموصل اليه واضلوا المسترشدين ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم نبيهم
فان الانبياء كانت تبعث في نسب قومهم اعاده تحذيرا او زيادة ايقاظ ولذلك اتى به
مطيا وجئنا بك شهيدا على هؤلاء المشار اليه من بعث اليهم مؤمنا كان او كافرا
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء مبينا لكل ما يحتاج اليه في الدين من المصادر
الشاذة فان المصادر من باب التفعيل كالتكرار والتذكار انما يكون بفتح التاء فان
قلت كيف يكون الكتاب تبيانا لكل شيء وبعض الاحكام انما يؤخذ من القياس
والاجماع والسنة قلت مرجع الكل اليه فبذلك الاعتبار استقام اما الحديث فلقوله
وما ينطق عن الهوى والاجماع لقوله ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى والقياس
فلقوله فاعتبروا يا اولي الابصار ومن قال بحجية قول الصحابي وفعله فلقوله اصحابي كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم وهدى للضالين الى الصواب ورحمة لهم توصلهم الى النعيم الدائم
وبشرى للمسلمين المنقادين لاحكامه العاملين بما فيه ان الله يأمر بالعدل
استيناف في غاية الجزالة فانه لما ذكر ان الكتاب تبيان لكل شيء كان سائلا سأل كيفيته فبين ذلك
على الاجمال والعدل لغة التوسط وعدم الميل والمراد به ههنا التوسط بين الافراط
والتفريط اما في العقائد والاصول كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والكسب
المتوسط بين الجبر المحض والقدر واما في الفروع والاعمال كالتعبد بالطاعات المتوسط
بين البطالة والترهب واما في السجايا والاخلاق كالشجاعة المتوسطة بين الجبن والتهور
والاحسان اي الاخلاص في تلك الامور اصولا وفروعا على ما اشار اليه صلى
الله عليه وسلم بقوله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه او الشفقة على خلق الله كما هو المتعارف
لقوله ما على المحسنين من سبيل وايتاء ذي القربى اعطاء ذوي القرابة حقهم من
الصلة وينهى عن الفحشاء الكبيرة التي تفاحش قبحها من الفحش وهو التجاوز عن الحد
وفي الحديث سئل عن دم البراغيث فقال لا باس به ما لم يكن فاحشا وكثيرا ما يراد به
الزنا لاشتماله على ذنوب شتى والمنكر وكل ما ينكره الشرع صغيرا كان او كبيرا والبغي
والظلم على الناس او على كافة الخلق افرده بالذكر وان كان داخلا في المنكر لعظم
جرمه وشدة امره فان ما بين العبد وبين الله اهون واسهل يعظكم لعلكم تذكرون
فان قبح الافراط والتفريط يدرك باوائل العقول قيل لو لم ينزل من الكتب السماوية
الا هذه الاية لكفت ماخذا للاصول والفروع لاحتوائها على التعظيم لامر الله والشفقة
على خلق الله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم مع رسوله ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله وكل من دخل الاسلام فقد بايع رسول الله والحمل على بيعة الرضوان
غير مستقيم لان الاية مكية وقيل هو النذر وقيل الايمان ولا تنقضوا الايمان بعد
توكيدها بعد احكامها وعقد القلب عليها اخرج لغو اليمين وقد جعلتم الله عليكم
كفيلا رقيبا ومهيمنا فان من حلف باسمه تعالى او بصفة من صفاته الزم البر على

على نفسه فكما ان الكفيل يطالب باداء الدين فكذلك الحالف مطالب بالبر لئلا يكون
استخفافا باسمه ان الله يعلم ما تفعلون وعيد على نقض العهد ولا تكونوا كالتي
نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا هي امراة حمقاء من قريش ريطة بنت سعد بن كعب
بن زيد مناة كانت لها جوار يامرهن بالغزل من الغدوة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار
امرتهن بنقض ما غزلن فكان هذا دابها والانكاث جمع نكث بالكسر كالاوزار جمع وزر نصب
على الحال من الغزل او المصدر او مفعول النقض لانه ضمن معنى الجعل واتى به مجموعا مبالغة
وفي تشبيه حال الناقض بحالها تحذير واشارة الى ان ذلك ليس من فعل العقلاء وان فاعله
داخل في عداد النساء الحمق تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من ضمير تكونوا او من
المستكن في الجار اي لا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها ودخلا ثاني مفعولي تتخذون
والدخل في الاصل الشيء الذي لم يكن من جنس ما يدخل فيه وانما كانت الايمان
المنقوضة دخلا لوقوع الفتنة بينهم بنقضها ان تكون امة هي اربى من امة علة
لاتخاذهم دخلا اي لاجل ان تكون طائفة اكثر مالا او فرعددا وذلك ان قريشا كانوا
يعقدون الحلف مع طائفة فاذا رأوا اعداء تلك الطائفة اكثر وشوكتهم اوفر نقضوا العهد
وحالفوا اولئك فنهى المؤمنون عن فعل ذلك وكان اما تامة وهي اربى في محل الرفع
صفة او ناقصة والجملة خبرها ولا يجوز ان يكون الضمير فصلا لان الاسم الاول نكرة انما
يبلوكم الله به اي انما يختبركم الله بكونهم اربى فينظر هل تتمسكون بحبل الوفاء ام تغترون
عهد الله والمجرور عائد الى ان تكون وقيل الى الامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة
ما كنتم فيه تختلفون عطف على مقدر اي انما يبلوكم به لينظر وليبين وعند يوم القيمة المحق
من المبطل وفيه وعد لمن حفظ العهد ووعيد لمن غدر ولو شاء الله لجعلكم امة
واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء اضلاله ويهدي من يشاء
هدايته ولتسئلن عما كنتم تعملون ما اخباركم وان كان واقعا بمشيته تعالى وفيه اشارة الى ما هو
الحق من التوسط بين الجبر والقدر ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم كرر النهي صريحا وضمنا
اظهارا لعظم قبحه ومبالغة في التحذير رتب عليه فتزل قدم بعد ثبوتها مجاز عن تبدل الرشد بالغي و
الصيرورة من الصواب الى الخطا وافراد القدم وتنكيره اشارة الى ان زلل قدم واحدة عظيم
فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء في الدنيا من القتل والاسر اشارة الى ان المؤمنين
وان قلوا فلهم الغلبة والعافية بما صددتم عن سبيل الله اعرضتم من الصد او منعتم
غيركم من الصد ولكم عذاب عظيم في الاخرة لا يقادر قدره اثر الذوق في عذاب
الدنيا لانه انموذج عذاب الاخرة ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بعهد الله
عرضا يسيرا وهو ما كان يعد قريش من ارتد من المال والنساء انما عند الله من الثواب
والنعيم الدائم هو خير لكم من المتاع الفاني ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم و
التمييز ما عندكم ينفد يفنى ويزول وما عند الله من الثواب وخزائن رحمته باق
دائم لا يزول برهان على ان ما عند الله خير اذ لا نسبة للفاني مع الباقي ولنجزين الذين
صبروا اجرهم على حفظ العهد ومشاق الفاقة قرا ابن كثير وعاصم وابن عامر في رواية
ابن ذكوان بالنون التفاتا وهو ابلغ لنون العظمة باحسن ما كانوا يعملون بارجح
اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء الاحسن من اعمالهم من عمل صالحا من
ذكر او انثى من متناول لاولي العلم مطلقا الا ان الاناث لما لم يدخلن في بعض
الاحكام نص على النوعين ترغيبا للفريقين وهو مؤمن اذ لا اعتداد بعمل دون
الايمان فلنحيينه حيوة طيبة اما الغني فظاهر واما الفقير فلانه يرجو ثواب الاخرة
وقد استحلى مشاق الطاعة فلا يحس بالم الفاقة وقد جربنا ذلك في طريق

الحجاز من العطش والحر المفرط فان تصور زيارة بيت الله وحرم رسوله يخفف ذلك و
يسهل الامر ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعات فاذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم اذا اردت قراءته اطلاقا للمسبب على
السبب لما روى جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول قبل القراءة
اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وايضا الشروع في العمل هو الذي يقتضي الاستعاذة من
العدو كالمحارب قبل اللقاء يعد آلة الحرب لا بعد فراغ بل لو فعل ذلك عد عبثا فان
قلت وقد نقل عن بعض الائمة حمل الاية على ظاهرها فما وجه ذلك قلت وجهه ان القارئ
اذا فرغ من قراءته ربما عرض له اعجاب في نفسه لا سيما اذا كان عالما بان كل حرف يثاب
عليه عشر حسنات فكانت الاستعاذة لدفع ذلك الوسواس فان قلت كيف يتلفظ
القارئ بها قلت يقول اعوذ بالله ولو زاد صفات التنزيه كالسميع العليم لا باس به
وحديث ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الزيادة
لم يصح وتعقيب بذكر العمل الصالح ايذان بان القرآن منه ويجوز ان يكون متصلا
بقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا وما بينهما اعتراض بين ذلك انه ليس له سلطان
على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون اي ليس له تسلط على المصدقين بالله المفوضين امورهم
اليه بل غاية الوسوسة التي بالاستعاذة وفيه اشارة الى ان الاستعاذة انما تنفع
اذا قارنت الايمان والتوكل انما سلطانه على الذين يتولونه يتخذونه وليا
ويطيعون اوامره فان قلت قد نفى عنه السلطان في قوله وما كان لي عليكم من سلطان
واثبته ههنا بطريق الحصر فما وجه ذلك قلت اراد بسلطانه عمل وسوسته ونفاذ دعوته
عبر عنه بالسلطان للمشاكلة والازدواج والذين هم به بالله او بالشيطان او باغوائه
مشركون والظاهر ان العطف باعتبار تغاير الصفة او من يتولاه اعم من المشرك
واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ ذكره عقيب الامر بالاستعاذة عند قراءة القرآن
لانه باب عظيم من ابواب وسوسة يوهم الناقصين انه من البداء والتناقض والله
منزه عنهما والله اعلم بما ينزل من مصالح العباد فلعل ما يكون مصلحة بالامس يكون
مفسدة اليوم وقرأ ابو عمرو وابن كثير بتخفيف الزاي والتشديد ابلغ والجملة اعتراض بين
الشرط وجزائه وهو قالوا انما انت مفتر للتوبيخ وبيان خطأ الكفار والتفت من المتكلم
الى الظاهر لاشعار لفظ الجلالة الدال على الالوهية بكمال العلم بل اكثرهم لا يعلمون
ليسوا من اهل العلم فهم بمعزل عن معرفة حكمة الله في شرع الاحكام قل نزله روح القدس
جواب لقولهم انما انت مفتر وروح القدس جبريل كقولهم حاتم الجود وزيد الخير والمراد
كمال تلك الصفة فيه واثباته للدلالة على التقدس النافي للافتراء من ربك بالحق
بالامر الثابت ملتبسا بالحكمة وفيه دلالة على ان النسخ حق ليثبت الذين آمنوا ليميز المؤمنين
الثابتين على الايمان فانهم اذا تدبروا الناسخ وعلموا ما فيه من الحكمة ازدادوا اطمأنينة وترسخت
عقايدهم وهدى وبشرى للمسلمين معطوفات على محل ليثبت على ان الافعال الثلاثة
لجبريل ويجوز العطف على ما بعد اللام على ان التثبيت فعله تعالى وفي جعل التثبيت له تعالى وهدى
وبشرى فعل جبريل نصا على العلية وان جاز لفظا يفوت حسن النظم وفي اثبات هذه
الصفات لهم وان تم الجواب بقوله قل نزله روح القدس تعريض بحصول اضدادها
لغيرهم ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ارادوا غلاما لحويطب بن عبد العزى اسمه
عايش وكان قد اسلم وحسن اسلامه وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان
لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا قينين بمكة يقرآن التورية والانجيل فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسمع قراءتهما وقيل سلمان الفارسي وهو خطاء لان الاية

لان الاية مكية وسلمان لقي رسول الله بالمدينة لسان الذي يلحدون اليه لغة الذين
يميلون اليه من لحد بالكسر مال ومنه اللحد للقبر الذي مال جانب القبر وقرأ حمزة
والكسائي بفتح اليا وهما لغتان والضم اشهر اعجمي وهذا لسان عربي مبين كيف يستقيم
ان يكون متعلما منه فدل على ان قولهم ناشئ عن كمال الجهل وغاية العناد ان الذين
لا يؤمنون بآيات الله يصدقون بها بعد ظهورها عنادا لا يهديهم الله لا يهديهم الى الحق
والطريق الموصل اليه ولهم عذاب اليم تهديد لهم بعد اماطة الشبهة وقلع دابرها
باقوى البراهين انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله رد لقولهم انما انت
مفتر وقلب عليهم بعد الجواب عنه بقوله قل نزله روح القدس وابلغ من ان يقال
انما انت وقلب عليهم بعد الجواب عنه بقوله قل نزله روح القدس وابلغ من ان
يقال انما انتم مفترون لدلالته على ان منشأ الافتراء عدم الايمان ومن نسب الافتراء اليه
ساحته بريئة عن لوثه وفيه تحاش من نسبة المخاطب اليه ما يكره واولئك هم الكاذبون
الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله من اعظم الاكاذيب واولئك الذين عادتهم
الكذب لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر واشار
الى قريش على معنى ان قريشا هم المقصورون على الكذب نفي الافتراء عنه بطريق البرهان
من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون والمعنى انما يفتري الكذب
من كفر بالله وبينهما اعتراض او بدل من اولئك على معنى ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكا
ذبون او من الخبر والمعنى واولئك هم من كفر بالله بعد ايمانه وعلى الوجوه المراد بالايمان التمكن
منه كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله الا من اكره وقلبه مطمئن با
لايمان استثناء منقطع او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم اي من كفر بالله
من بعد ايمانه فعليهم غضب الا من اكره والوجه ان يكون نصبا على الذم متصلا بقوله
ولا تشتروا بعهد الله وايمانكم ثمنا قليلا لا فتوى النظم ويكون تنفيرا عن الاستبدال المنهي
عنه بابلغ وجه بعد اقامة البرهان وازاحة الشبهة ولكن من شرح بالكفر صدرا طاب
به نفسه وانبسطت له واصل الشرح الكشف وازالة الابهام فعليهم غضب من الله
ولهم عذاب عظيم لعظم جرمهم نزلت في المستضعفين كانت كفار قريش يعذبونهم ويأمرونهم
بالكفر والارتداد منهم عمار بن ياسر وابواه اما ابواه فصبرا وقتلا على الاسلام واما عمار
فاتكلم بكلمة الكفر فخلوا عنه فاتى رسول الله وهو يبكي وقال هلكت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلا لا هلكت ومسح عن عينيه وقال انما عمار ملئ ايمانا من قرنه
الى قدمه وان الايمان قد اختلط بلحمه ودمه والاية دلت على جواز التكلم في الحال رخصة
والصبر لاعزاز الدين والموت على ذلك هو الرتبة والعزيمة لما صح ان مسيلمة الكذاب اخذ
رجلين من المسلمين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فانا قال انت
ايضا فخلى عنه وقال للاخر ما تقول في محمد فقال ما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه مقالته
فقتل فبلغ ذلك رسول الله فقال اما الاول فقد اخذ برخصة واما الاخر فقد صدع
بالحق هنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى شرح الصدر بالكفر او الوعيد
عليه بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة اثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين
الذين ذراهم للنار لقوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم ليس لهم قلوب
يعقلون بها ولا آذان يسمعون بها ولا اعين يبصرون بها واولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة حيث اثر الفاني على الباقي ولو كانت الدنيا من الذهب والاخرة
من الخزف لما اثرها العاقل فكيف والامر بالعكس لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون
الكاملون في الخسران لان من اغتر بالفاني لا اخسر منه هل ننبئكم بالاخسرين

اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا
بالتعذيب والاكراه على الكفر وقرا ابن عامر فتنوا على بناء الفاعل اى فتنوا انفسهم بالتلفظ
بالكفر او فتنوا غيرهم كما فعل سهيل بن عمرو وابنه ابي جندل ثم اسلم والضم اولى لان المفتون
في الاسلام احرى بالرحمة والغفران ممن عذب المسلم ثم اسلم ثم جاهدوا وصبروا على مشاق
الجهاد وبذل المال والنفس ان ربك ان مع اسمها توكيد للاولى وقيل الجار والمجرور
خبران الاولى كانه قيل ان ربك لهم لا عليهم والثانية مع خبرها بيان لكونه لهم وقيل
لا خبر للاولى لان خبر الثانية اغنى عنه فلا يحتاج الى التقدير من بعدها من بعد الهجرة
والجهاد والصبر لغفور لما صدر منهم رحيم بقبول توبتهم وتبديل سياتهم حسنات
يوم تأتي كل نفس كل شخص بقرينة الاتيان تجادل عن نفسها عن ذاتها والنفس
جارية مجرى التاكيد ومجادلتها السعي في خلاصها والاعتذار بمعاذير كقولهم والله ربنا
ما كنا مشركين ربنا هؤلاء اضلونا حتى يقول العبد عند المحاجة لا اقبل الا شاهدا مني فتشهد
عليه جوارحه بما كسبت فيقول سحقا لكن عنكن كنت اناضل وتوفى كل نفس ما عملت
جزاء وهم لا يظلمون لا ينقصون من الاجر شيئا وضرب الله مثلا قرية اشارة الى
عذاب الدنيا اللاحق بسبب الكفر فان النفوس تزجر به اكثر مما تزجر بعذاب الاخرة
ولذلك شرعت الحدود والقرية اما مفروضة او قرية من القرى جرى عليها ما جرى في
الازمنة القديمة وهذا هو الحق لقوله ولقد جاءهم رسول منهم لان ضرب المثل انما يكون بامر
بديع في الشاعة زجر للسامع او تذكار بما هو حري بالابلاغ كانت آمنة مطمئنة اى اهلها لا يسأمها
يأتيها رزقها رغدا واسعا من كل مكان من كل جانب من جوانبها فكفرت
بانعم الله ابطرتهم تلك النعم فلم يشكروا والانعم جمع القلة استعمل في الكثرة بمعونة المقام
فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وهما افتان باطنتان لا شئ اشد على النفس من احدهما
فكيف اذا اجتمعتا اولا بما يدركه الانسان من الم الجوع والضر بما يدركه من طعم المر البشع
ثم شبه ذلك الالم والضر باللباس من حيث الاشتمال وحذف المشبه وذكر المشبه وهو
اللباس فالاولى استعارة مكنية والثانية تصريحية واوقع الاذاقة على اللباس دون الكسوة
لانه يفيد زيادة التاثير والتاثر من هذا علم ان قولهم ان الترشيح ابلغ من التجريد لم يكن
على اطلاقه فان قلت المشبه في الاستعارة الاولى والثانية هو ما يدركه من الم
الجوع وما يغشى الانسان ويحيط به منه وذلك امر معقول والمدرك بالذوق لا بد وان
يكون محسوسا فكيف يكون الاذاقة تجريدا بل يكون ترشيحا لانه من توابع الطعم المر
البشع قلت الاذاقة لكثرة استعمالها في البلايا والشدائد بمعنى الاصابة قد جرت
مجرى الحقيقة فبذلك الاعتبار كانت تجريدا وجعل المشبه المستعار لفظ اللباس انتقاع
اللون ورثاثة الهيأة اللازمين للجوع والخوف يذهب حلاوة الاذاقة بما كانوا
يصنعون من الكفر والاخلال بالشكر ولقد جاءهم رسول منهم اى من
اهل تلك القرية فكذبوه نسبوه الى الكذب ولم يؤمنوا به فاخذهم العذاب عذاب
الاستيصال فقلع شأفتهم وهم ظالمون في كفران النعم وتكذيب رسولهم وقيل
الضمير المنصوب في جاءهم لاهل مكة وفيه ان هذا المثل انما ضرب لهم قبل اخذ العذاب
ليأخذوا حذرهم ولذلك امرهم بقوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله
اى قد استبان لكم ما حل بمن كفر بانعم الله فاجمعوا اكل نعمه مع الشكر لئلا يحل بكم ما حل
بهم ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم لا تريدون بعبادة الالهة الا عبادته وانما
تعبدونها لتقربكم اليه زلفى ثم عدد المحرمات بقوله انما حرم عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ليعلم ان ما عداها حل لهم

رد على الكشاف

رد على القاضي والامام

حل لهم فان قلت تصدير الجملة بانما يدل على حصر المحرمات وقد حرمت السباع والحمر
الاهلية قلت الحصر انما هو بالنسبة الى ما كانوا يحرمونه السائبة والوصيلة والحام والمعنى
انما حرم عليكم هذه المذكورات لا ما تحرمونه انتم باهوائكم وقد دل عليه قوله
ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام اى لا تقولوا للشئ الذي
تصفه السنتكم بالحل والحرمة من غير سند هذا حلال وهذا حرام فالكذب مفعول
تقولوا او هذا حرام وهذا حلال بدل منه او الكذب مفعول القول الاول ويقدر بعد
الوصف قول آخر اى فتقولوا هذا حلال وهذا حرام واللام في الوجهين صلة القول
او ما مصدرية واللام للتعليل اى لا تقولوا لاجل وصف السنتكم الكذب وكونها ينبوعا
الاكاذيب هذا حلال وهذا حرام وهذا مثل قولهم في الاطراء في المدح ريق فلانة
يصف السلافة وعينه تصف السحر وحاصله انه محل تلك الصفة من باب الاستعارة بالكناية
لتفتروا على الله الكذب تعليل حال عن الغرض ان الذين يفترون
على الله الكذب لا يفلحون وان حصل لهم ما حصل فان عاقبته وخيمة متاع قليل ما يتوصلون
اليه بالافتراء ولهم عذاب اليم في الاخرة وعلى الذين هادوا على اليهود خاصة حرمنا
ما قصصنا عليك من قبل ما سبق في سورة الانعام وهو قوله وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها وما ظلمناهم بالتحريم والتضييق عليهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون بالكفر الموجب لزوال النعمة لقوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا
ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة غير عارفين بالله وبصفاته او كانوا عارفين ولكن اتبعوا
الشهوات فكانت المعرفة جهالة لعدم الجري على موجبها ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا
ما افسدوه بالتوبة ان ربك من بعدها لغفور رحيم اى بعد التوبة يغفر ما سبق منهم ويثيب
على التوبة ان ابراهيم كان امة فعلة بمعنى المفعول كالرحلة لمن يرحل اليه لان الناس
كانوا يأمونه اى يقصدونه لتعلم الدين ومحاسن الاخلاق او كان منفردا في زمانه بالدين لم يشاركه
احد والرجل المنفرد بمعنى يسمى امة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيد بن نفيل موحد
الجاهلية يبعث يوم القيمة امة واحدة او لاستجماعه صفات لا يوجد الا في جمع كثير والى هذا يشير
ابو نواس في مدح الفضل بن يحيى البرمكي ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد قانتا لله
مطيعا له خاشعا حنيفا مائلا الى الباطل ولم يك من المشركين صرح به وان لزم من قوله
حنيفا تكذيبا لقريش فانهم كانوا يزعمون انهم على ملته شاكرا لانعمه الجمع القلة ايماء
الى انه لم يخل بالشكر لو قلت فكيف وهي من الكثرة بحيث لا تحصى اجتباه اختاره على الخلق بالنبوة
وهداه الى صراط مستقيم دين الاسلام اجابة لقوله واجعلنا مسلمين لك وآتيناه في الدنيا
حسنة ذكرا حسنا اجابة لقوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين لا ترى اهل ملة الا ويثنون
عليه ويزعمون انهم على دينه او امرأته سارة فانها كانت اجمل النساء واتقاها كما روي عن علي
رضي الله عنه في قوله تعالى آتنا في الدنيا حسنة انها المرأة الصالحة وانه في الاخرة لمن
الصالحين لقربه في حضرة قدسه في مقعد صدق اجابة لدعائه والحقني بالصالحين وكونه من
رؤساء المرسلين لا ينافيه لانهم في اعلى درجات الصالحين ثم اوحينا اليك ان
اتبع ملة ابرهيم في لفظ ثم اشارة الى ان اجل ما اوتيه خليل الله هو اتباع حبيب الله ملته
ولا يخفى ما في ذلك من التنويه بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في لفظ اوحينا او
الحاصل للاشارة الى استقلاله بالاحد عمن اخذ عنه ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين
بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وبال السبت وهو المسخ و
ايراده مثل ايراد ضرب المثل بالقرية انفا لاشتراكهما في الدلالة على ان نعمة الله انقلبت عليهم
نقمة بالكفر والعصيان ذكره لطفا بالتسامعين او فرض السبت اى تعظيمه على اليهود خاصة

وقد روى عن البخاري انه قال لن
يبقى على وجه الارض من يعرفه
وغيره سنة

فان موسى امرهم بتعظيم يوم الجمعة فلم يفعلوه واثروا السبت عليه وقالوا نختار اليوم الذى
فرغ الله من خلق الاشيا فيه الا شرذمة منهم رضوا بالجمعة فاوجب الله عليهم تعظيم السبت
فوفى بتعظيمه الشرذمة واخل به الاخرون فاصطادوا فيه فعاقبهم الله بالمسخ وان ربك
ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يجازى كل فريق بما يستحقه ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن متصل باتباع ملة ابرهيم كانه قال كيف اتبع فاشار الى
كيفية ذلك بان بين له مراتب الدعوة بحسب المدعوين لان المخاطب اما كامل القابلية يجب
الفطرة فيخاطب بالمقالة المحكمة اما عيانا او برهانا واما متوسط فيخاطب بالاقناعيات واما
عاتى صرف او معاند فالمجادلة معه بالرفق واللين كما فعل ابرهيم حين راى كوكبا ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فلا عليك بعد البلاغ على الوجه الذى
وقفت عليه وتقديم الضال لان الكلام فيه وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
نزلت الايات الثلث الى اخر السورة بعد احد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعدانقضا الحرب شرع فى دفن الشهدا والفحص عن القتلى فوقف على عمه حمزة اسد الله
فوجده قد بقر بطنه ومثل به انواع المثلات فشق ذلك عليه فحلف ان اظفره الله بالمشركين
لتمثلن بسبعين منهم فقيل له ان احكام الدنيا على المقاصة المماثلة فان جازيتهم بمثل
فعلهم فقد اخذت بثارك ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال بل اصبر وكفر عن يمينه
ونهى عن المثلة فهى محرمة اجماعا فى ساير الحيوانات باسرها فى الاقطار كلها والضمير فى
لهو عايد الى صبر المخاطبين والقرينة صبرتم والتعبير عنهم بالصابرين للدلالة على انهم اذا علموا
ان الصبر خير لهم فهم كالصابرين بالفعل لعدم اخلالهم بالافضل او الى جنس الصبر و
المراد بالصابرين جنسهم ايضا واصبر فى المواطن كلها وليس تصريحا بما علم وما صبرك
الا بالله الا بارشاده وتوفيقه وربطه القلب على القاء المكروه رجاء ثوابه ولا تحزن
عليهم على الكافرين فان الله وعدك النصر والعافية وقيل على المؤمنين وما حل بهم
يوم احد وفيه فوات حسن النظم مع قوله ولا تك فى ضيق مما يمكرون من مكرهم وقرأ
ابن كثير فى ضيق بكسر الضاد وهما لغتان ان الله مع الذين اتقوا المعاصى بالعون
والنصر على للنهى عن الحزن وضيق الصدر والذين هم محسنون مخلصون فى تقواهم
او محسنون بالترحم والشفقة على خلق الله وفيه اشارة الى انه بالصبر والتجاوز عن المعاقبة
محسن متفضل وفيه ربط اخر السورة باولها لان قوله اتى امر الله فلا تستعجلوه فى معنى امر
بالصبر لمجئ الفرج

سورة الاسرى مكية وهى مائة واحدى عشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذى اسرى بعبده ليلا
سبحان علم للتسبيح بمعنى التنزيه والتقديس البليغ من السبح وهو الابعاد فى الارض و
الايتان به علما دال على الحقيقة الحاضرة فى الذهن للدلالة على ان ما يرد بعده من
الامور البديعة فالله منزه عن العجز عن ايجادها وقيل علم فى غير حال الاضافة ولا حاجة
اليه لان الاضافة لا تنافى العلمية ونصبه بفعل واجب الترك ونصب ليلا على الظرفية
وتنكيره للدلالة على وقوع الاسرا فى جزء منه لان الليل وان كان اسما للمجموع الا انه
منكرا يقع على البعض فاريد بقرينة السرى الذى لا يكون غالبا الا فى بعض الليل وما
فى البا من معنى الاتصال واضافة العبد الى ضمير الله الدال على انه العبد الحقيقى اشارة
الى استحقاقه تلك الرتبة السنية التى لم ينلها احد من المسلمين وان العناية به فى اقصى
الدرجات ولذلك قال فى اخر السورة وكان فضل الله عليك كبيرا من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى قد استشهد وكاد ان يتواتر انه عرج به واختلف فى كيفية ذلك

ذلك فذهب جمع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى ان ذلك كان مناما او رؤيا نوم والذى
عليه المحققون انه اسرى بجسده ولذلك وقع الارتياب والانكار واختلف فى وقت الاسرا فقيل
كان قبل نبوته والاصح قول الزهرى انه اسرى به فى ليلة السابع والعشرين من ربيع الاول بعد بعثته
بخمس سنين ونسيا فى الحديث انه اتاه جبرئيل وهو فى الحجر وقيل فى الحطيم وقيل كان فى بيت ام هانى
والكل يحتمل لاختلاف الاوقات فشق بطنه وقلبه وغسل بماء زمزم واتى باناء ملئ حكمة وايمانا فحشى به
صدره ثم اتى بالبراق وهى دابة دون الفرس وفوق الحمار يقع خطوه حيث يقع بصره فركبه واتى المسجد
الاقصى وهو بيت المقدس سمى بالاقصى لغاية بعده من المسجد الحرام اذ لم يكن مسجد ابعد منه فى
ذلك الزمان قال فربطت البراق فى الحلقة التى يربط الانبيا بها ثم مثل لى الانبيا فصليت بهم اماما
ثم عرج بى الى السموات حتى بلغت السدرة المنتهى وهى النبق ورايت ثمرها كقلال الهجر واوراقها كاذان
الفيل ولم يقدر احد على نعتها لما غشيها من الانوار ثم تخلف جبرئيل فارتقيت الى مستوى اسمع
فيه صريف الاقلام ففرض الله على وعلى امتى خمسين صلوة فرجعت حتى مررت على موسى بن
عمران فسالنى فاخبرته فقال ارجع الى ربك واساله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك
فانى قد جربت بنى اسرائيل قال فرجعت فوضع عنى الشطر فرجعت الى موسى فسالنى فاخبرته
فقال ارجع فاساله التخفيف فلم ازل اتردد بين موسى وربى حتى بلغت خمس صلوات فقال
ارجع فقلت قد استحييت من ربى لكن افوض واتوكل فنوديت يا محمد لا يبدل القول لدى
هى خمس وهن خمسون الحسنة عندى بعشر امثالها وذكر انه دخل الجنة ورأى مالكا خازن النار
فسلم عليه ورأى فى السماء السابعة البيت المعمور وابراهيم مسند ظهره اليه يدخل كل يوم
سبعون الف ملك لا يأتيهم النوبة الى اخر الدهر قال فاصبحت بمكة واخبرت قريشا فكذ
بونى وسألونى اشيا ببيت المقدس ما كنت اثبتها فكربت كربا شديدا فجلى الله لى بيت المقدس
فطفقت اذكر ما يسالونى وسالوه عن عيرلهم كان بالشام فقال تقدم عيركم يوم
كذا مع شروق الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا فى ذلك اليوم الى الثنية فقال واحد منهم هذه
الشمس والله قد اشرقت فقال الاخر وهذه العير والله يقدمها الجمل الاورق فان قلت قد ذكر انه
راى الانبيا ووصف خلقهم وشمائلهم حتى قال فى يوسف رايته قد اعطى شطر الحسن وقال فى ابراهيم
صاحبكم اشبه الناس به يريد نفسه وهم اموات بلا ريب فكيف قلت قد صح عنه ان لحوم
الانبيا محرمة على الارض وقد اخبر الله عن الشهدا انهم احيا يرزقون والانبيا فوق الشهدا اتفاقا
فان قلت قال رايت موسى فى قبره عند الكثيب الاحمر يصلى وفى رواية رايته يحدر فى الوادى
ملبيا وقد ذكر انه راه فى السماء السادسة وتردد بينه وبين ربه فى تخفيف الصلوات وقد راه فى
جملة الانبيا فى المسجد الاقصى قلت راه فى تلك المواضع كلها فى اوقات مختلفة فان قلت
هل راى ربه رؤية عين قلت قد اختلف فيه انكرته عائشة غاية الانكار وقرأت لا تدركه الابصار
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب واثبتها ابن عباس وعليه المحققون
من الصحابة ومن بعدهم لان هذا القول لم يكن الا بالسماع والمثبت يقدم على النافى وعائشة
لم تقل ذلك نقلا وما استدلت به من القران فالجواب عنه ظاهر الذى باركنا حوله
بركات الدنيا والدين لانه موطن الانبيا ومتعبدهم وفيه الانهار والاشجار وغاية البلوغ
الثمار لنريه من اياتنا ما راه تلك الليلة التفت الى التكلم لعظم ذلك انه هو السميع
لاقوال عبده البصير باحواله وما يستحقه من سوابغ نواله واتينا موسى الكتاب وجعلناه
هدى لبنى اسرائيل الا تتخذوا من دونى وكيلا استطرده تمهيد الذكر القران ولان موسى معراجه الى الطور ومعراجه
الى السدرة المنتهى ووصف كتاب موسى بانه هدى لبنى اسرائيل والقران بانه يهدى للتى
هى اقوم فوازن بين سبحان الذى اسرى بعبده وبين واتينا موسى الكتاب وبين وصف
الكتابين يظهر لك تفاوت الرتب وقرأ ابو عمرو الا يتخذوا بالياء لاحتياج الخطاب

الذى استلت لا تدركه الابصار الادراك
اخص من الرؤية ورفع الايجاب الكلى
لا يستلزم الايجاب الجزئى والآية
الثانية لا دلالة فيها لوجه
منه

الى القدير ذرية من حملنا مع نوح نصب على البدل او الاختصاص او النداء في قراءة الخطاب او
مفعول اول للا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا وفي ذكره تذكير بانعام الله على ابائهم من الانجاء
في سفينة نوح انه كان عبدا شكورا تعليل للنهي كانه قيل انتم اولاد ذلك العبد الشكور
فاقتدوا به او لاد المحمولين معه او لاده لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين وقيل ثناء عليهم بانهم
اولاد المحمولين معه فهم متصلون به وليس بذلك لان المساق يأباه وقضينا الى بني اسرائيل
في الكتاب لتفسدن في الارض عبر عن الوحي بالقضاء للدلالة على كونه امرا لازما والكتاب
هو التورية واللام في لتفسدن جواب القسم لان القضاء المبرم جار مجراه فاغنى عن تقديره
مرتين اولاهما قتل زكريا عليه السلام او تغيير احكام التورية فاستولى عليهم بخت نصر
وفتك فيهم وقتل قتلا ذريعا وكان قد وعظهم ارميا فلم يرفعوا له راسا ولما اكثر
عليهم حبسوه والثانية قتل يحيى بن زكريا واستيلاء هردوس وقد لبني اسرائيل وكان
من ملوك الطوايف او عزمهم على قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا تكبرا مفرطا
وذلك سبب الدمار قيل الملك يدوم على الكفر ولا يدوم مع الظلم فاذا جاء وعد اولاهما
وعد عقاب اولاهما عبر عنه بالوعد للدلالة على لزوم وقوعه بعثنا عليكم عبادا لنا
بخت نصر وقيل جالوت وقيل سنحاريب اولي باس شديد ذوي قوة وشوكة فجاسوا
خلال الديار ترددوا بين الدور كناية عن التمكن التام الدال على انواع العذاب قيل قتلوا
علماءهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد الاقصى وسبوا منهم سبعين الفا اصل الجوس
التردد وخلال الشيء باطنه ومنه الخلل وكان وعدا مفعولا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم
الكرة عليهم الغلبة يقال الحرب كر وفر وذلك لما تابوا واخلصوا القى الله الرافة في
قلب بهمن بن اسفنديار فرد اسراهم الى الشام وملك عليهم دانيال فاستولوا على ابناء
بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم
اكثر نفيرا مما كنتم مفرد وهو من ينفر مع الرجل من قومه لقضاء حاجته او جمع نفر كالعبيد او نافر
كالحجيج ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها لا يتجاوزها وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما
احسنت على احد ولا اسات وتلاها وهذا انذار لهم لئلا يعودوا وان كان في التورية والافا
لهذه الامة عن الاتيان بمثله وانما ذكر اللام مع الاساءة ازدواجا فاذا جاء وعد الاخرة
العقوبة الاخرة اثر الاخرة على الاخرى في مقابلة اولاهما اشارة الى ان لا عقوبة بعدها
ان استقاموا فان قلت لم عطف بالفاء وكان الظاهر الواو لانه تفصيل المجمل قلت للدلالة
على ان مجيء وعد عقاب الاخرة لم يتراخ عن كثرتهم وانهم بطروا واسرعوا ونسوا ما كان حل بهم
ففاجاهم عذاب الله ليسوؤا وجوهكم اي بعثناهم ليسوؤا وجوهكم حذف لدلالة الاول عليه
وذكر الوجوه يظهر لان اثر المساءة يظهر فيها ولانها اشرف الاعضاء او عبر بها عن الذوات
قرا الكسائي بالنون على سنن بعثنا واددنا وابن عامر وحمزة وابو بكر بالياء وفتح الهمزة
مسندا الى الله او البعث او الوعد والباقون بضم الهمزة بعدها واو مسندا الى ضمير العباد وهو
المحال القول وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة متعلق ببعثنا وليتبروا ويهلكوا من التبار ما علوا
ما استولوا عليه تتبيرا قيل دخل امير الجيش مذبح قرابينهم فوجد دما يغلي فسالهم عنه
فقالوا دم قربان لم يقبل فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا وقال ان لم تصدقوني
لم اترك منكم احدا فقالوا دم يحيى فقال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك
من اجلك فاهدا باذن الله فسكن الدم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية وان عدتم
عدنا هذا ايضا من المقضي في التورية وقد عادوا فسلط الله عليهم الاكاسرة وعن
قتادة ثم عادوا فسلط عليهم محمدا وامته فهم في ذل الى يوم القيمة يعطون الجزية عن
يد وهم صاغرون وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا حاصرا عن الخروج فعيل بمعنى الفاعل

الفاعل ولذلك لم يؤنث ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للطريقة التي هي اقوم الطرق
واسهلها اذ ليس فيها الاصار والاغلال ولذلك قال لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه
الا اتباعي ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا قرا حمزة والكسائي
بفتح الياء وتخفيف الشين ثلاثيا والباقون بالضم والتشديد وهذا افصح وابلغ وان الذين
لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى بشر
المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر بتقدير اي ويخبر بان الذين
لا يؤمنون معذبون ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير نزلت حين قال النضر بن
الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فضرب عنقه
يوم بدر وقيل نزلت حين دفع رسول الله اسيرا الى سودة فسمعت بالليل انينه فقالت
فشكا اليها الم الاسار فخلت اساره فهرب فلما اصبح رسول الله طلب الاسير فاخبر
بشانه فقال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها جازمة بقطع يديها اجابة لدعائه فاخبر
بذلك رسول الله فقال اني بشر اغضب كما يغضب البشر واني سالت الله ان يجعل دعائي
ولعني على من لا يستحق رحمة وقيل هو دعاء كل احد على ماله واهله عند الغضب فيتصل على
الوجهين بقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم اشارة الى انه ليس من ذلك الا
قوم في شيء وحمله على آدم لا يلائم المقام واللفظ يأباه وكان الانسان عجولا
في اموره ولذلك يدعو بالشر دعاءه بالخير وجعلنا الليل والنهار آيتين بيان
لما يهدي اليه القرآن من دلايل التوحيد والمراد نيرا الليل والنهار فمحونا آية
الليل القمر او الليل والنهار آيتان والاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية
النهار مبصرة مضيئة يجعل الخلق يبصر بالاضاءة وعن عمر بن الخطاب ان رجلا قال
يا امير المؤمنين رايت في المنام ان الشمس والقمر يتحاربان فقال عمر كنت مع من قال
كنت مع القمر فقال اف لك آية ممحوة فوجه في حرب علي مع معاوية ولتبتغوا فضلا
من ربكم رزقا في بياض النهار ولتعلموا عدد السنين والحساب بدور القمر في المنازل
التي عليه مدار السنة الشرعية والشهور العربية وكل شيء فصلناه تفصيلا كل شيء
يحتاجون اليه من امر الدنيا والدين بيناه بيانا شافيا وكل انسان الزمناه طائره
في عنقه جعلنا عمله لازما له لزوم القلادة والغل فكانه طائر اليه من ذكر القدر اخذا على
عرفهم في السانح والبارح من التيمن والتشام وخص العنق لانه محل الزين بالقلائد والا
طواق ومناط الشين بالاغلال والادهاق ولانه سيد الاعضاء والبارز للناظرين ونخرج له
يوم القيمة كتابا صحيفة اعماله نصب على الحال بتقدير المبتدأ من المحذوف العايد الى الطاير وحمله
على النفس المنتقش بالملكات يقتضي اتحاد المخرج والمخرج له مع كونه مخالفا للاحاديث يلقاه
منشورا بعد ما كان مطويا مع خفاء وقرا ابن عامر يلقاه بالتشديد وعلى الوجهين المستتر
اما للانسان او للكتاب اقرا كتابك على ارادة القول يقرا في ذلك اليوم من لم يكن
قارئا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فعيل بمعنى الحاسب كالضريب ولذلك لم يؤنث نصب
على التمييز كلله دره فارسا او بمعنى الكافي استعمل بمعنى الشاهد يجوز الان يكفي المدعي ما يهمه
وعن الحسن لقد انصفك من جعل نفسك عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدي لنفسه
ومن ضل فانما يضل عليها على منوال ان احسنتم احسنتم لانفسكم وفيه دلالة على ان الاطفال
لا يعذبون ولا تزر وازرة وزر اخرى لا تحمل نفس ثم اخرى واصل الوزر الثقل
ومنه حتى تضع الحرب اوزارها فان قلت قد قال وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
قلت ذلك للضلال والاضلال فلا تنافي وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
مبينا للاحكام فيه دليل على ان لا حكم قبل البعثة لا نفيا لازما وحمل الرسول على

العقل لم يوجد فى كلام الشارع قط وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً واذا دنى وقت
اهلاك قوم لان حين تعلق الارادة الفعل واجب الوقوع أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
مكناهم من الفسق بان اوسعنا عليهم اسباب الملاذ والوصول الى الشهوات
او لما افاض عليهم النعم ليكون وسايل الطاعات فجعلوها ذرايع المعاصى فكانهم مامورون
بفعل المعصية وفيه اشارة الى انهم عكسوا القضية الواجبة وقيل امرناهم بالطاعة
فاثروا الفسق وفيه انه حذف بلا دليل لان قولك امرته فوا لا يفهم منه الا الامر
بالقراءة فان قلت قوله ان الله لا يأمر بالفحشاء قرينة وذكر الفسق بعد الامر ايضا
قلت التقييد بالاتراف ورنان ارادة الاهلاك يأباه فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ
كلمة العذاب فَدَمَّرْنَاهَا فاهلكناها تَدْمِيرًا اهلاكا اى اهلاك استيصال وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ
كم منصوب المحل مفعول اهلكنا والجار والمجرور تمييز مِنْ بَعْدِ نُوحٍ اذ لم يهلك قبله امة استيصالا
وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا قد احاط ببواطنهم وظواهرها بالعلم الاتم فلو لم يكونوا
مستحقين لذلك العتاب لما وقع ذكر البصير بعد الخبير تتميما كما فى الرحمن الرحيم مَنْ
كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ اى بعمل الدنيا عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لا ما اراده ما كل ما يتمنى المرء يدركه
لِمَنْ نُرِيدُ بدل من له بدل البعض لان كثيرا منهم لا يعطى شيئا منها خسر الدنيا والاخرة
ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ مأدى وبقرا يَصْلَاهَا يدخلها او يحرق بها من صليت الشاة شويتها
مَذْمُومًا يلعنه الملائكة والناس مَدْحُورًا مهانا من دحرته اذا دفعته بالاهانة
وفى الحديث لم ير ابليس ادحر من يوم عرفة لما يرى من كثرة عفو الله الا يوم بدر وَمَنْ
أَرَادَ الْآخِرَةَ اى بعمله وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا حق السعى من امتثال الاوامر واجتناب
المناهى وَهُوَ مُؤْمِنٌ والحال ان ذلك السعى مقرون بالايمان الذى لا يعتد بعمل دونه
وعن بعض الحكماء من لم يكن معه نية صادقة وايمان راسخ وعلم مصيب لا ينفعه عمل فَأُولَئِكَ
كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا اى مقبولا عند الله يثاب عليه كُلًّا كل واحد من
العاصى والطايع والتنوين عوض المضاف اليه نُمِدُّ بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل
له الانف مددا للسابق هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ بدل من كلا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ اسم للمعطى
وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ممنوعا من احد فى الدنيا من الحظار وهو الحجاب وفى الحديث
قالت امرأة فت ثلثة من الاولاد فقال لها لقد احتظرت بحظار من النار انْظُرْ كَيْفَ
فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ النظر بالبصيرة والمخاطب كل من يتاتى منه وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ
دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا اجتمع اشراف قريش يوما بباب عمر فخرج الاذن لبلال وصهيب ولم يوذن
لهم فشق ذلك عليهم فقال سهيل بن عمرو يا قوم انما اتينا من قبل انفسنا دعى الى الاسلام
هولاء ودعينا فاسرعوا وابطانا واذا كان هذا حالنا فى باب عمر فكيف حالنا فى الاخرة فان
حسدتموهم على باب عمر بانتم الى ما اعد الله لهم من المراتب بالحسد اولى لَا تَجْعَلْ
مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا تعتقد له شريكا فى الالوهية وخواصها الخطاب والمراد امته او هو
من باب الالهاب لما قدم ان من سعى انما يعتد بسعيه اذا كان مؤمنا شرع يبين حقيقة
الايمان ثم فصل فروع ذلك وطرايق السعى فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا يذمك ربك
على اتخاذك له شريكا مَخْذُولًا لا ناصر لك من الشريك لعجزه عن نفع نفسه فضلا
عن غيره المنصوبان خبر تقعد لكونه بمعنى صار نصر وفى لفظ القعود اشارة الى
سقوط الرتبة وان يليق له الرياسة بل الخمول والتسرجملا وَقَضَى رَبُّكَ حكم حكما
مبتوتا لا يقبل المحو والتبديل أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ان مفسرة والكلام انشا
او مصدرية بتقدير الباء والكلام نفى وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا واحسنوا او بان تحسنوا
بنا على الوجهين فى ان لا تعبدوا والاولى جعله متعلقا باحسانا وعدم جواز عمل المصدر

عمل المصدر فى الصلة المقدمة ممنوع إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا اصلان
زيدت ما المؤكدة ولذلك صح دخول النون المؤكدة وقرأ حمزة والكسائى يبلغان
مسند الى ضمير الوالدين واحدهما بدل البعض وكلاهما بدل الكل لا توكيد لان احدهما
صارف عنه اذ لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ
لا تضجر ولا تستقذر منهما ما يستقذر من غيرهما صوت او اسم فعل ماخوذ من الانف على
وزن الفرس وهو الشىء القليل قرأ نافع وحفص بالكسر والتنوين وابو عمرو وحمزة و
الكسائى وابو بكر بالكسر بلا تنوين وابن كثير وابن عامر بالفتح بلا تنوين والحركة
لانها جارية على الاصل فى تحريك الساكن وَلَا تَنْهَرْهُمَا ولا تزجرهما اذا تعاطيا ما لا يعجبك
وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا مراعاة للادب قيل ان تقول لهما يا ابتاه كما قال ابرهيم ولا يناديهما
باسمهما مواجهة واما اذا كانا غايبين فلا باس قالت عايشه يا رسول الله ان ابا بكر
رجل اسيف لا يقدر ان يقوم مقامك وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ وتواضع لهما
غاية التواضع مشبه هيئة الانسان عند تذلله لوالديه بهيئة الطاير اذا خفض جناحه
على افراخه مشفقا عليها او جناح الذل استعارة بالكناية وتخييل كما فى قول لبيد
اذ اصبحت بيد الشمال زمامها وذكر الخفض ترشيح مِنَ الرَّحْمَةِ لاجل رحمتك اياهما وَقُلْ
رَبِّ ارْحَمْهُمَا ادع لهما ربك بان يرحمهما رحمته الباقية ولا تقتصر على الرحمة الفانية
كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا كما رحمانى بالتربية حين كنت احوج خلق الله اليهما وفى الحديث
ان رجلا قال لرسول الله ان ابوى بلغا من الكبر انى الى منهما ما وليانى فى الصغر فهل
قضيت حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان معك وهما يريدان بقاءك وانت تفعل
وتريد موتهما رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ حث على الاخلاص وانما تفعل معهما تكون
خالصا لوجهه تعالى لا خوفا من لائمة الناس والايات والاخبار فى بر الوالدين مستفيض
وقد اسند البخارى ان رجلا راهبا فى بنى اسرائيل يسمى جريجا كان يصلى فنادته
امه يا جريج فقال يا رب امى وصلوتى فنادته يا جريج فقال يا رب امى وصلوتى
فنادته يا جريج فقال يا رب امى وصلاتى فقالت رب لا تمته حتى ينظر فى وجوه المومسات
وكانت بغية من بغايا بنى اسرائيل زنت مع راع ياوى الى صومعة جريج فاتت بغلام فقالوا لها
ممن هذا الغلام قالت من جريج فجاؤا وهدموا صومعته واراد واقتله فقام وتوضأ وصلى
ركعتين ثم قال يا غلام من ابوك قال الى الراعى فخضعوا له وقالوا نبنى صومعتك بالذهب
قال لا اعيدوها كما كانت فاعادوها ربكم اعلم بما فى نفوسكم منكم لان علم البشر يعتريه
السهو والنسيان وعد لمن اضمر البر ووعيد لمن خالف إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ كانه قيل
كيف يقدر على الوفاء بحقهما والبشرية لا تنفك عن نوع تقصير فقيل ان قصدتم الصلاح
ثم وقعت اساءة فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ستارا لزلاتهم لطفا حاجردون عقاب
والاواب كثير التوبة من الادب وهو الجانب فكانه ياتى التوبة من كل الجهات وضع
موضع الضمير ليشمل كل جان تايب وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ
ذا القرابة مطلقا تعميم بعد التخصيص والحق يشمل المالى وغيره فان قلت كيف يشمل
المالى والزكوة فرضت بالمدينة قلت اراد ما كان فرضا فى المال من المواساة كقوله
واتوا حقه يوم حصاده وما فرض بالمدينة مقادير الزكوة الا يرى الى قوله فويل للذين
لا يؤتون الزكوة والاية مكية بلا خلاف قيل اراد بذى القربى اقارب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبالمسكين المحتاج فيشمل الفقر وابن السبيل وَلَا تُبَذِّرْ
تَبْذِيرًا التبذير التفريق ومنه بذر الذرع والمنهى عنه صرف المال بغير حاجة ولا طاعة
الله وفى المثل لا سرف فى الخير كما لا خير فى السرف وقصة ابى بكر الصديق مشهورة

شرح الزوانى
الوسنه

انّ المبذّرين كانوا اخوان الشياطين كاخوانهم في الشرارة وقرناهم او اصدقاهم
تشبيها لقرآن الصحبة بقران القرابة كانوا في الجاهلية يصرفون الاموال في غير طاعة الله رياء
وفخرا فامرهم بالانفاق في طاعته وبين لهم المصارف ثم نهاهم عما كانوا يفعلونه وكان
الشيطان لربه كفورا فلا يدعو الى الخير على للنهي عن التبذير اشارة الى انه بوسوسته
واغرآيه واما تعرضنّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها وان اعرضت عن هولاء الفقد ما ترحمهم
به من رزق ربك حال كونك راجيا ان يفتح الله عليك فتسدّ به خلتهم فوضع الابتغا
موضع الفقد اقامة للسبب مقام المسبب وفيه لطف وهو ان ذلك الاعراض لهم
مآلا وحقيقة وان كان عنهم حالا وصورة او الاعراض كناية عن عدم النفع والابتغا
مجاز عن عدم الاستطاعة والمعنى ان لم تقدر على نفعهم لعدم الاستطاعة فقل لهم
قولا ميسورا ذا يسر ولين مثل يفتح الله رزقك الله وفي الحديث الكلمة الطيبة صدقة
وقيل ابتغاء رحمة من ربك متعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي قل لهم قولا ميسورا
رحمة عليهم متبغيا بذلك رحمة الله عليك وانما يستقيم على مذهب الكوفية لان ما بعد
الفا لا يعمل فيما قبلها في غير اما عند غيرهم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط نهي عن الافراط والتفريط وهما الشح والاسراف ليلزم منه الاقتصاد المحمود وهو
الجود فالغل والبسط كنايتان عنهما روي انه كان عليه قميص لم يكن له غير ذلك
فاستكسته امراة فكساها اياه وقعد عريانا ثم اذن بلال فلم يقدر على الخروج وانتظره
الناس فنزلت فان قلت قد ذكرت انه لا اسراف في الخير وقد صح عنه انه قال لو كان
عندي مثل احد ذهبا ما ادخرت منه شيا الا ما ارصده لديني قلت ذاك حيث
لا يترتب عليه مفسدة ولا شك ان قعوده في البيت لعدم القدرة على الخروج فيه
فوات مصالح لا تحصى فتقعد ملوما يلومك الناس لاخلالك بمصالحهم فينسبوك
الى سوء التدبير وتلوم نفسك نادما على ما فعلت محسورا منقطعا عن الناس
من حسر بصره اذا كل وانقطع او ملولا من حسرت الناقة اذا كلت واعيت عن السير ومن الحسرة
وهي شدة التلهف على الفايت ان ربك يبسط الرزق لمن يشا ويقدر تسلية لبعد العتاب
بان ما فيه من ضيق ذات اليد ليس لهوان منه عليه تعالى وفيه ايما الى ان الله تعالى مع سعة
رزقه يبسط ويقدر فاستنوا به انتم ايضا انه كان بعباده خبيرا بصيرا عالما بسرا
يرهم وعلنهم يبسط لمن اقتضت الحكمة البسط ويقبض كذلك ولا تقتلوا اولادكم خشية
املاق من خوف الفاقة نحن نرزقهم واياكم ايضا فلا وجه للقتل اذا ان قتلهم
كان خطأ كبيرا لان قتل النفس من اكبر الكبائر وفيه قطع التناسل وعدم
الاعتماد على ضمان الله الرزاق ونسبة العجز اليه والخطاء كالاثم لفظا ومعنى مصدر
خطئ كالاثم وقرأ ابن ذكوان بفتح الخاء والطا مصدر خطئ ايضا كورم ورما
ذكره الزجاج وقيل اسم مصدر اخطا الصواب وقرأ ابن كثير بكسر الخاء ممدودا
مصدر خاطا بمعنى خطئ كسافرا ومصدر الثلاثي كقيام مصدر قام والمختار
الكسر مع القصر لوضوح المعنى وعدم التاويل ولا تقربوا الزنا فضلا عن
المباشرة والوقوع فيه انه كان فاحشة زايدة القبح لاشتماله على انواع من المعاصي
وساء سبيلا بئس طريقا طريقه لان غصب البضع ليس مشروعا في ملة ولا في حالة
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق الذي شرع وقد بينه بقوله عليه السلام
لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن
معصوم وهذا حال الاختيار فلا يشكل بقتل المسلم في ترس الكفار ولا بقتل
الصايل دفعا ومن قتل مظلوما لم يوجب القتل فقد جعلنا لوليه من يلي امره

فائدة القاضي

من يلي امره سلطانا فلا يسرف في القتل القاتل ابتدا بان يقتل عمدا فيقتص منه او الولي بالمثلة
او يقتل جماعة بواحد او غير القاتل كما كان دابهم في الجاهلية او بعد اخذ الدية او العفو او لا يراعي
المماثلة المعتبرة في القصاص وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب على تقدير يا قاتل ابتداء
او يا ولي القتيل والياء هو المحتار لقرب الولي ولان نهي القاتل ابتداء قد علم من قوله ولا تقتلوا
انه كان منصورا علة للنهي والضمير للولي المقتول اي لكونه منصورا في الدنيا بشفيه
بالقصاص او المقتول ظلما نصر بالقصاص بان لم يهدر دمه وفي الاخرة بالثواب
او القاتل ابتدا خطا لا يقتل فلو قتل كان اسرافا فيقتل قاتله ولا تقربوا مال اليتيم
فضلا عن اكله الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن الطرق من حسن النظر
فيه حتى يبلغ اشده كمال القوة والعقل فيستقل بالولاية واوفوا بالعهد بينكم
وبين الله وبين ساير الخلق ان العهد كان مسؤولا مطلوبا من المعاهد الوفاء به كسائر
الحقوق من سالت الشي طلبته او العهد مسؤول عن حاله كيف روعي تمثيلا على طريقة واذا الموؤدة
سئلت او الناكث يسال عن حال العهد ويعاتب عليه واوفوا الكيل اذا كلتم للناس وزنوا
بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي رومي اعرب فلا يقدح في كون القران عربيا لاجرا
احكام العرب عليه وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف كالقرطاس وهما لغتان ذلك
خير واحسن تأويلا مالا وعاقبة تفعيل من آل الامر الى كذا ولا تقف ما ليس لك به علم
لا تتبع شيا لا تعلمه قولا كان او فعلا من قفوت الشي وقفيته اتبعته وفي الحديث من قفا
مومنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج استدل به من نفى الاجتهاد ورد
بان الشرع قد اقام غالب الظن مقام العلم في الفروع وقيل هذا في العقايد والاصول
وحيث لا مساغ للاجتهاد ان السمع والبصر والفواد كل اولئك اي كل هذه الاعضا واولاء
يشار به الى العقلاء وغيرهم سوا قال جرير والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤولا
ضمير كان عايد الى كل وكذا المجرور في عنه والجار والمجرور قايم مقام فاعل مسؤولا ومنع
تقديم الفاعل وما يقوم مقامه لخوف اللبس بالمبتداء ولا لبس ههنا او في مسؤولا
ضمير المصدر المدلول عليه بلا تقف والمعنى ان هذه الاعضا تسال فيما استعملها صاحبها
ولا تمش في الارض مرحا ذا مرح هو الفرح الشديد وفي الحديث كان رجل فيمن
كان قبلكم يمشي في بردين قد اعجبته نفسه فخسف الله الارض به فهو يتجلجل فيها الى القيمة
انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا بما تفعله في تلك المشية تهكم به لسنة
الى السيف ناوله رسول الله يوم احد ابا دجانة سيفا كان بيده فاخرج عصابة حمراء وشدها
في راسه وكان يسميها عصابة الموت ومشى مرحا نحو العدو فقال رسول الله هذه
مشية لا يحبها الله الا في هذا الموطن كل ذلك كان سيئه اشارة الى ما ذكر من المامور
والمنهي ولفظ كل للشمول والسيئ المنهي فعله في المامور تركه او هو المنهي والاسنا بالاضافة
وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو على لفظ التانيث منصوبا خبر كان وكل للمنهي وحده وقوله
عند ربك مكروها خبر آخر او بدل او حال من المستكن في كان والتذكير هو المحتار لطهور
المعنى مع الشمول وكون الفعل مكروها لا ينافي الارادة كتناول المريض الدوا ذلك
اشارة الى ما تقدم من الاحكام مما اوحى اليك ربك بعض ما يوحى اليك
من الحكمة بدل مما اوحى او حال من العايد المحذوف سميت حكمة لعدم تطرق النسخ اليها
وكانت في غاية الاحكام او لان الاحكام الشرعية كلها حكم وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ان هذه الايات مكتوبة في توراة موسى عشر ايات ولا تجعل مع الله الها
آخر كرره للتنبيه على عظم شان التوحيد ورتب عليه اولا ما يترتب على تركه من
الذم والخذلان وثانيا ما يتم في الاخرة بقوله فتلقى في جهنم كما يلقى الحطب

هو عصابة اهل النار واصل الروع الاثم والطير والوصل التشديد

والحجر ملوما يلومك كل احد او تلوم نفسك نادما مدحورا بعيدا من رحمة الله افاصفاكم
ربكم بالبنين اثركم بهم من الصفوة الهمزة للانكار لما نهى عن الشرك اردفه بما هو رد بنفيه و
قريبه وهو نسبة الولد اليه تعالى واتخذ من الملائكة اناثا مفعول اول والثاني محذوف
اي اولادا ويجوز ان يكون متعديا الى مفعول واحد نحو قالوا اتخذ الله ولدا انكم لتقولون
قولا عظيما حيث تنسبون الى الذي ليس كمثله شيء الولد لاسيما وقد جعلتم له ما تكرهون
لانفسكم ولقد صرفنا في هذا القرآن كررنا القول بعبارات مختلفة الاشارة الى
البعض وهو الايات المشتملة على ابطال الولد لانه مما كرر او الكل اي ولقد صرفنا القول
في مواضع في هذا القرآن ليذكروا ليتذكروا ويتعظوا فان للتكرار تاثيرا بليغا وما يزيدهم
التكرار والتصريف الا نفورا تجافيا عن الحق وعدم طمانينة به وعن الثوري انه كان
اذا قرأ هذه الاية يقول لئن زاد ولك نفورا ما زادني لك الا خضوعا وقرأ حمزة و
الكسائي ليذكروا من الذكر بضم الذال وهو ذكر القلب ضد للنسيان والذهول والمعنيان
متقاربان الا ان في التذكر زيادة تعمل قل لو كان معه آلهة كما يقولون وقرأ ابن
كثير وحفص بيا الغيبة اي وقرأ الذي بعد عاصم وحده قل للمشركين مستدلا عليهم في
بطلان الشرك لو كان آلهة كما تزعمون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا اليه
طريقا طلبا للملك وسعيا في المغالبة كما هو ديدن الملوك ولذلك اثر لفظ ذي
العرش ولو كان معه آلهة لتقربوا اليه موسلين الى جوده مستكملين من فضله وفيضه
فادعاء الالوهية في المستكمل اعتراف بالنقص سبحانه وتعالى تنزيه له عما يقولون
عن مثل هذا القول وكيف عن ثبوته وتحقق مدلوله علوا كبيرا زائدا العلو وصف العلو
بالكبر الذي هو من اوصاف الاجسام المبالغة على فرط تسبح له السموات السبع والارض ومن
فيهن بدل على وجوده بحدوثها وامكانها وعلى وحدانيته باوصافها ونظامها شبه الدلالة
بالنطق وعبر عنه بالتسبيح استعارة بالكناية والاسناد الى بالايضح منه النطق قرينة وتخييل ومن
جوز استعمال المشترك في المعنيين حمل التسبيح في المعطوف على الحقيقة لان من اريد به الملائكة
والثقلان قرأ ابن كثير وحفص بالتاء والذي بعده قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم وان
من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم الخطاب للمشركين لانه قدم ذكر قبائحهم ثم
نزه ذاته وبالغ في تلك النزاهة ثم اقام البرهان عليها بان الاكوان شاهدة بها ولكن
انتم ايها المشركون ليس لكم فهم تدركون به تلك الشهادة لتوقفها على التدبر والنظر
الصحيح وقيل الخطاب للمؤمنين وعدم الفقه عدم العمل بمقتضى تلك المعرفة لاستيلاء
الغفلة على الاكثر والوجه هو الاول انه كان حليما لا يعاجل بالعقوبة بعد ظهور
سببها غفورا يغفر لمن تاب بعدها واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤ
منون بالآخرة حجابا مستورا ذا ستر مثل سيل مفعم او هو حجاب لا يرى فهو مستور عن
الابصار او حجاب دونه حجاب وجعلنا على قلوبهم اكنة حكاية ما كانوا يقولون
في آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب او ابتداء كلام تعليل للاعراض والاول
الصق بالمقام لان الكلام في عد قبائحهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه
وفي آذانهم وقرا صمما يمنعهم عن استماع القرآن المعجز بلفظه ومعناه وانما قدم المانع عن
ادراك المعنى وان كان الثاني مقدما في الوجود لكونه اهم واذا ذكرت ربك
في القرآن وحده منفردا عن آلهتهم يقال وحد يحد وحدا وحدة كوعد يعد عدة نصب
على المصدر قائم مقام الحال يقال فلان نسيج وحده اي منفردا في حديث عائشة
تصف عمر بن الخطاب لله دره ام درت عليه كان نسيج وحده ولوا على ادبارهم هربوا
كائنين على صفة القهقرى من شدة الانكار نفورا جمع نافر كقعود في قاعد او مصدر بمعنى

بمعنى التولية نحن اعلم بما يستمعون به بالشيء الذي يستمعون لاجله من الهزء بك
وبالقرآن الجار والمجرور في محل الحال او بما يستهزؤون به يستمعون اليك على التضمين قيل
كان اذا قرأ وقف على يمينه رجلان من عبد الدار واخران منهم عن شماله يصفقون
ويخلطون عليه بالاشعار اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم مبالغة في الوعيد بانا عالمون
بما فعلوه وبوقته لم يفته شيء واذ هم نجوى اي ونحن اعلم بتناجيهم ايضا حين
هم ذوو نجوى او جمع نجي اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم نجوى ان تتبعون الا رجلا
مسحورا بيان لما وقع به التناجي وضع الظالمون موضع المضمر دلالة على ان تناجيهم
من باب الظلم ولا يجوز ان يكون بدلا من اذ الاول لان هذا القول ليس من الاستهزاء
بل مما يسر به بعضهم الى بعض ولما يلزم ان يكون حديث النجوى فاصلا اجنبيا
والمسحور من سحر به فاختل عقله وقيل ذا سحر وهي الرئة اي بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا
لك الامثال مثلوك بالساحر تارة وبالمسحور اخرى وتارة يقولون انما يعلمه بشر والاولى
ان يقال ضرب الامثال له هو قولهم ائذا كنا عظاما الى اخر المقالات الثلث على انه
بيان وتفسير لذلك المجمل فضلوا عن طريق الصواب فلا يستطيعون سبيلا
طريقا اليه لانخراطهم في الطريق الذي انت عليه وهم عنه ناكبون وقالوا ائذا كنا
عظاما ورفاتا عطف على قوله فضلوا بابا اخر من ابواب الضلال او على مقدر دل
عليه الكلام اي قالوا الك مسحور وقالوا ائذا كنا لما ذكر استهزاءهم به وبما جاء به اتبعه
بالاستهزاء بالذي دل عليه ما جاء به وهو البعث بعد تفتت الاجزاء والرفات كل بادق
وكسر ائنا لمبعوثون خلقا جديدا انكار منهم ودعوى استحالة والعامل في اذا ما دل
عليه مبعوثون لا نفسه لتصدر الاستفهام وخلقا اما حال بمعنى مخلوق او مصدر قل كونوا
حجارة او حديدا اكانت شبهتهم في دعوى الاستحالة عدم التناسب بين العظام الرفات
وبين الحيوة لانها تقتضي كون المحل غضا طريا وقد استولى اليبس على تلك العظام ورد
ازاح الشبهة بانه قادر على ايجاد الحيوة فيما هو ابعد مناسبة من العظام الرفات وهو الحجارة
والحديد لان نسبة قدرته الى كل الممكنات سواء ومعنى الامر الاهانة وقلة المبالاة او خلقا
مما يكبر في صدوركم ابعد من الحديد في قبول الحيوة قيل هو الموت فان الله قادر
على احياء الموت وقد صح انه يؤتى به في صورة كبش فيذبح بحيى بن زكريا بين الجنة والنار
فسيقولون من يعيدنا ابد وا شبهة اخرى يتعلق بالفاعل بعد ازاحة الشبهة
عن القابل قل الذي فطركم اول مرة وانتم معترفون بذلك فسينغضون اليك
رؤوسهم يحركونها نحوك تعجبا واستهزاء يقال نغض رأسه اذا حركه وفي حديث ابن
الزبير ان الكعبة لما احترقت نغضت اي تحركت واشرفت على الانهدام ويقولون متى هو قل
عسى ان يكون قريبا فما اعذركم بعد الوقوع وكل آت قريب ولم يبين لهم الوقت لانه
متفرد بعلمه من الخمس التي لا يعلمها غيره يوم يدعوكم فتستجيبون هو نداء اسرافيل
للبعث وهو المنادي من مكان قريب اسنده الى نفسه اجلالا وقيل الدعاء والاستجابة استعارتان
للبعث والانبعاث تنبيها على سرعة وقوعهما وسهولة امرهما مع الدلالة على انهم مطلوبون للحساب
والجزاء بحمده قائلين سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين معترفين بوحدانيته حيث لا ينفع
وقيل ابتداء كلام مع المؤمنين وتظنون ان لبثتم الا قليلا اي في الدنيا الا في
القبور وذلك لما يرون من الهول وقل لعبادي اضافهم الى نفسه تشريفا لهم
يقولوا التي هي احسن الكلمة او الحجة التي هي احسن لخلوها عن الجدال والخشونة ان
الشيطان ينزغ بينهم يحمل على المخاشنة فعلى الحازم ان لا يغتر بوساوسه ان الشيطان
كان للانسان عدوا مبينا قديم العداوة واضحها ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم

او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا هذه الكلام لهم ونحوها ولا تقولوا انكم اهل النار وامثاله لتورثن الفتنة مع عدم العلم بالعاقبة وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم ان عليك الا البلاغ والجدال بالتي هي احسن دون الحاقة والمشاقة وربك اعلم بمن في السموات والارض رد لانكارهم ان يكون يتيم ابي طالب رسولا بان من اختاره للنبوة علمه محيط بمن في السموات والارض فلو لم يكن اهلا لها لما اختاره ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اى فضلناك على سائر الانبيا لعلمنا ان ليس فيهم من يوازيك واتينا داود زبورا ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون دل على كونه خاتم الرسل وامته آخر الامم ويجوز ان يراد ما بين الرسل من تفاوت الرتب بحسب ما سبق في علمه تعالى وذكر داود منفردا مقرونا بذكر الزبور للدلالة على ان فضله وشرفه انما هو بالكتاب والمعارف لا بالملك والامارة ونكره لانه اراد بعضه وهو المشتمل على تفصيل الرسول وامته او لانه من الاعلام المشتقة كالحسن فياتي باللام وبدونه وقرأ حمزة زبورا بالضم الزاء وهما لغتان قل ادعوا الذين زعمتم من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون كشف الضر عنكم رفعه وازالته ولا تحويلا عنكم الى اعدائكم فهم عن ايصال النفع ابعد اولئك الذين يدعون يسمونها الهة يبتغون الى ربهم الوسيلة خبر اولئك والذين يدعون صفته ايهم اقرب بدل من واو يبتغون واى موصول حذف صدر صلتها والمعنى اولئك المعبودون يطلب اقربهم منه الوسيلة بالطاعة والخضوع اليه وقيل يبتغون فيه تضمين معنى الحرص اى اولئك المعبودون يطلبون الى ربهم الوسيلة بالطاعة يحرصون على الاقربية ويتغالبون فيها فالابتغاء واقع على الوسيلة والحرص على الاقربية ويرجون رحمته ويخافون عذابه كما هو شان العبيد مع المولى فكيف يصح دعوى الالوهية فيها ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كائنا من كان لشدته هولا اعاذنا الله منه وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بهلكوا اهلها بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل والسبي وعن مقاتل الصالحة بالموت والطالحة بالعذاب وقيل المراد قرى الكفار كان ذلك في الكتاب مسطورا في اللوح المحفوظ لا بد من وقوعه وما منعنا ان نرسل بالايات مجاز عن ترك الارسال وان مع صلتها فاعل المنع جواب لقولهم لولا تأتينا باية كما ارسل الاولون الا ان كذب بها الاولون بالايات المقترحة وقد جرت سنتنا باستيصال من كذب بها وقد سبقت المشية بامهال بعضهم او ان لا نستاصل هذه الامة واتينا ثمود الناقة مبصرة مضيئة واضحة في كونها اية من ابصر اذا اضاء كقوله والنهار مبصرا وجاعلهم اياهم بصراء من ابصره جعله ذا البصيرة وانما افردها لكونها قريبة من ديارهم يشاهدها صادرهم وواردهم فظلموا بها كفروا بها او ظلموا انفسهم بعقرها الموجب لاهلاكهم وما نرسل بالايات الايات المقترحة فانها طلايع الاستيصال ان كذب بها او الايات الناذر من القرآن بعضها اثر بعض الا تخويفا من الاستيصال او من عذاب الآخرة الباء مزيدة او في موضع الحال واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس لقوله سيهزم الجمع وقوله قل للذين كفروا ستغلبون بشارة بنصره وشفا صدره والتعبير بالماضي كما في نظايره لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك راى في منامه مصرع وهلاك عدوه روى مسلم وابو داود عن انس انه لما ورد ماء بدر فقال هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان ويضع يده على الارض هاهنا هاهنا قال فما ماط احد موضع يده فلما سامعت قريش ضحكوا

منه سخرية فذلك قوله الا فتنة للناس وقيل هو رؤية عالم الملكوت ليلة الاسرا وبه تعلق من قال انها كانت في المنام وليس فيه دليل لعدم اختصاص الرؤيا بالمنام كيف وابن عباس رضي الله عنه من اعرف الناس باللسان وقد حملها على رؤية العين وقيل عبر عنها بالرؤيا لوقوعها بالليل وقيل هي رؤياه انه دخل مكة التي اخبر الله عنها بقوله لقد صدق رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام وكون السورة مكية لا يمنع وقوعها بها وحكايتها لهم بالمدينة وكونها فتنة انه لما صالح قريشا ولم يدخل مكة ورجع اضطرب الناس لذلك حتى قال له عمر اخبرتنا انا ندخلها ونطوف بالبيت فقال هل قلت لك هذا العام فقال لا فقال انك ستدخلها وتطوف به وقيل راى ان اعلمه من بني امية يرقون منبره نزو القردة والفتنة ما حدث في ايامهم اعطيها لعنهم على ابن ابي طالب على المنابر والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا هي شجرة الزقوم لما سمعوا انها شجرة تخرج من اصل الجحيم فقالوا واعجبا من محمد يقول نار جهنم تحرق الحجارة ثم يقول ان فيها شجرة وهذا الاستبعاد وانما كان لجهلهم بالله وصفاته اذ ليس نبات الشجرة في النار بابعد من وجود النار بين اجزاء الشجر الاخضر الغض وهم يعترفون بذلك يتعاطونه فيما بينهم افرايتم النار التي تورون ولعنها في القرآن الاخبار بانها طعام الاثيم او اسند اللعن اليها وهو لاصحابها او لانها في اصل الجحيم وهو ابعد مكان من رحمة الله وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقيل الحكم بن العاص ونخوفهم بانزال الايات الوعيد شيئا بعد شيء فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا تجاوزا عن الحد مفرطا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم استطراد قصة ابليس مع آدم اشارة الى ان هؤلاء من اتباع الذين لم يجد فيهم الايات والنذر فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا انكر ان يكون ساجدا لمن هذه صفته تحقيرا له وطينا نصب على الحال اما من الموصول والعامل فيه اسجد وهو وان لم يكن حال السجدة طينا الا انه جعل بنفس ما كان مبالغة في الاحتقار زاعما ان تلك الذلة نزل او من الراجع المحذوف اليه والعامل خلقت وهو طين او منصوب بنزع الخافض قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف للخطاب لا محل له من الاعراب والمعنى اخبرني عن شان هذا الذي فضلته علي لم فضلته ذلك والحال يقتضي عكس ذلك اذ انا خير منه حذف لدلالة السابق عليه ثم ابتدأ الكلام منفقا منه بقوله لئن اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا منهم لم ينفذ فيهم مكري الاحتناك قلع الشيء من اصله والمراد حملهم على الكفر الموجب لخلود العذاب الذي هو بمنزلة الاستيصال وقيل من حنكت الدابة اذا جعلت حبلا في حنكها الاسفل تستجرها وعلم بذلك اما من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد او لما عمل وسوسته في آدم او تفرس في خلقه وما ركب فيه من القوى الشهوية الغضبية قال اذهب امض الى ما طلب من الاغوا والتخلية لما هو بصدده فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا تغليب لما جر اليه سوء اختياره وغلب المخاطب على الغائب لانه الاصل في ذلك وقيل التفات الى من تبعه ونصب جزاء على الحال الموطئة والموكدة او المصدر لما دل عليه ان جهنم جزاؤهم والموفور الكامل دفع توهم خفة العذاب لاشتراك الجم الغفير فيه واستفزز من استطعت منهم بصوتك بدعائك استخف من الفز وهو الخف والمراد خفة العقل ونقصان الرأي واجلب عليهم بخيلك ورجلك من الجلبة وهي الصياح والخيل الخيالة اسم جمع وكذا الرجل كركب وصحب وقرا حفص بكسر الجيم على انه وصف كراجل يقال رجل راجل ورجل ورجل ورجلان اي ماش لا صوت ولا خيل ولا رجل وانما الكلام على التمثيل من تمكينه من الاغوا وازاحة موانعه وتوفير اسباب ما هو بصدده ويحتمل ان يكون له خيل ورجل

من الشياطين وجنده وفي الحديث ان ابليس ينصب عرشه على الماء ثم يفرق سراياه للفتن
فاقربهم عنده من فرق بين المرء وزوجه وشاركهم في الاموال كالبحيرة والسائبة
والوصيلة والخيانة وكل تصرف لامساغ له شرعا والاولاد بتسميتهم الاولاد بعبد العزى
وعبد يغوث وعبد الحارث وتحصيل الولد بالسفاح وعدهم بان الاصنام تشفع لهم
وبتسويف التوبة والاتكال على كرامة الاباء وما يعدهم الشيطان الا غرورا شيئا
لا حقيقة له من الغرة وهي الغفلة اعتراض لبيان مواعيده ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان وهم المخلص الذين قال ابليس الا عبادك منهم المخلصين دل على التخصيص
اضافة التشريف وكفى بربك وكيلا يتكلون عليه من وساوسه ودفع اغوائه
ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر عاد الى دلائل التوحيد واضافة النعم على غير الشاكرين
والازجاء السوق والمراد تسييرها بارسال الريح لتبتغوا من فضله بالتجارة
والربح وتحصيل ما يحتاجون اليه انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم اسباب
المعاش في البحر الذي هو مظنة الهلاك واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق
عند تلاطم الامواج ضل من تدعون لم يهتد الى انقاذكم من الضلال ضد
الرشاد وذهب عن خاطركم من تعبدونه من ضل عني اذا ضاع او من ضلني فلان
اذا ذهب وفارقك قال والسائل المبتغي كرامها يعلم اني يضلني علل الا اياه فانه
لا يزول في ذلك الوقت عن خاطركم لعلمكم بانه القادر على الانجاء وقيل الاستثناء
منقطع وذلك لانهم ما كانوا يدعون الله الا في الشدائد واما في حالة الرخاء فكان
دعاؤهم مختصا بالهتهم وحدها فكانه خارج عن المدعوين لذلك الاختصاص
فلما نجاكم الى البر اعرضتم عن التوحيد واختصاصه بالدعاء او اعرضتم في الكفران واتسعتم
فيه من عرض في كذا اتسع فيه وفي حديث الاعرابي لئن اقصرت الخطبة لقد اعرضت
في المسألة وقال ذو الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا
وكان الانسان كفورا كثير الكفران افامنتم استفهام تقرير وفيه معنى
الانكار والفاء عاطفة على مقدر اي انجوتم من الغرق فامنتم ان يخسف بكم جانب البر
فيجعلكم تحت الارض مقلوبة عليكم وهو عذاب من جنس الغرق فلا وجه لامنكم مع استواء
القدرة على النوعين من العذاب وايراد ذكر الجانب للدلالة على ان الجوانب والجهات كلها
مستوية بالنسبة الى قدرته ولو ذكر البر في مقابلة البحر كما في قوله فلما نجاكم الى البر فات
تلك الدلالة قرأ ابن كثير وابو عمرو يخسف بالنون وكذلك الافعال المذكورة بعده
التفاتا من الغيبة ابلغ في التهديد او يرسل عليكم حاصبا ريحا من جانب الفوق يحصب
وهي الحصباء الصغار فان القتل بها اشد عذابا كما ارسلها بابيل على اصحاب الفيل ثم لا
تجدوا لكم وكيلا يقوم بنصركم ومنه الوكيل في اسمائه تعالى ام امنتم ان يعيدكم
فيه تارة اخرى بان يخلق فيكم دواعي الركوب ويشجعكم على ذلك بعد نجاتكم في المرة الاولى
فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا يمر بشيء الا قصفه وكسره فيغرقكم بما كفرتم اوعد بغرق
البحر بعد ايعاده بنوعين من عذاب البر لكونهما قليل الوقوع فليس للانذار بهما
ما للغرق من الهول لاسيما وقد نقضوا العهد الذي عهدوه ابن كشف عنهم حين
الاشراف عليه ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يطالبنا لم فعلت ولقد
كرمنا بني ادم حيث للانسان على الشكر بعد ما قدم حفظه وكلاءته له وحملناهم
في البر والبحر على الدواب والسفن ورزقناهم من الطيبات من المستلذات وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلا بان سخرنا لهم ما في السموات والارض اسبابا
لمعاشهم وخصصناهم ببديع الشكل والصورة والحواس والقوى الدراكة بحث

بحث صار شيخ العالم عن الاصمعي دخلت يوما على الرشيد وبين يديه جام وخبيص وبيده ملعقة
فقال لي يا اصمعي فساعد قلت يا امير المؤمنين حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الله
بن عباس جدك في قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم بالاكل بالايدي فرمى بالملعقة و
الضمير لبني ادم الشامل للصالح والطالح وليس في الاية دليل على الافضلية بمعنى الاكرمية
عند الله على ما هو المتنازع فيه لا للبشر ولا للملك والذي عليه الجمهور تفضيل رسل
الملائكة تفضيل الرسل الملائكة على عامة المؤمنين وتفضيل عامة المؤمنين على عامة
الملائكة وقيل بل تفضيل عامة الملائكة على عامة المؤمنين ومنهم من فضل مطلقا
نبيا كان او وليا ومنهم من فضل الكروبيين مطلقا والحق ما عليه الجمهور لكونهم
ابعد من الخطا يوم ندعو كل اناس بامامهم منصوب باذكر او بدل من يوم يدعوكم
او ظرف لما دل عليه قوله هي لما بين كرامة النوع على الاطلاق في الدنيا اشار الى
التفاوت في الدرجات في الاخرة والامام هو الرسول المبعوث الى الامة ينادون
بالاضافة اليه يا امة موسى يا امة محمد وقيل الامام الكتاب ينادى يا اهل القران
يا اهل التورية وقيل هو المقتدى نبيا كان او غير نبي وقيل الامام الام ينادى يا ابن
فلانة اجلالا لعيسى بن مريم والحسن والحسين وسترا على اولاد الزنا فمن اوتي
كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم فرحا وسرورا بما فيه من الايمان والاعمال الصالحة ولا
يظلمون فتيلا هو ما يكون في شق نواة التمرة يضرب به المثل في القلة ومن كان
في هذه اعمى عن طريق الرشاد والاستدلال بالاكوان على المكون فهو في الاخرة اعمى
لا يهتدي الى حجة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفوات المحل وان كادوا
ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك قيل نزلت في ثقيف قالوا يا محمد نحن اصهارك وحولك
اعطنا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في الصلوة وكل ربوا لنا فهو لنا
وكل ربوا علينا يكون موضوعا عنا وان تترك اللات لنا سنة وان تمنع وادينا وج الطائف
كما حرمت مكة وقيل سألته قريش الكف عن سب الهتهم وقيل سألوه ان يمس وجوهها ليتمكنوا
من استلام الحجر ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى الشان قاربوا ايقاعك في الفتنة والازلال
بجاذبتك عن احكام ما انزل اليك لتفتري علينا غيره غير الذي اوحى اليك واذا لا
تخذوك خليلا صديقا واحلاحبك في خلال قلوبهم ولولا ان ثبتناك بالعصمة لقد كدت تركن
اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى طلبتهم ادنى ميل لشدة كيدهم وغاية اهتمامك
بايمانهم اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي العذاب المضاعف في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة حذف الموصوف لتبادر الفهم اليه والاضافة بمعنى في وقيل ضعف الحيوة حيوة
الاخرة وضعف الممات عذاب القبر والاول هو الوجه لتبادر الفهم الى هذه الحيوة عند
الاطلاق ولان الممات يشمل القبر وما بعده وفي الكلام دلالة على جلالة قدره صلى الله
عليه وسلم فان الركون هو الميل اليسير وقد قيد بادنى ركنه مقرونا بلفظ كاد الدال
على القرب دون الوقوع فهو منزه عن الهم بما دعوه اليه فمن قال انه طلب الكاتب
وامره ان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون
ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله فقالوا للكاتب اكتب فنظر الكاتب
الى رسول الله فقام عمر فسل سيفه فقال اسعر ثم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم
فقد اخطأ في اللغة واسند الى افضل الرسل ما لا يجوز اسناده على مسلم وهو التصميم
على الشروع في تغيير احكام الله بل الرضا بالشرك هدانا الله سواء السبيل واعاذنا من
خرف الاقاويل ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدافع عنك وان كادوا ليستفزونك
هم اهل مكة ارادوا اخراجه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك وقالوا

رد على الكشاف

او يخرجوك يريد ان الضمير في يستفزونك لليهود دون قريش من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا الا زمانا يسيرا وقد كان كذلك فان صناديدهم بعد سنتين من خروجه قتلوا ببدر وقيل الوعيد كان على الاخراج ولم يخرجوه بل خرج بارادته وما قيل من ان الارض ارض المدينة فان اليهود دعتهم الى سكنى الشام فانها موطن الانبيا ومهاجر ابراهيم عليه السلام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اميال فنزلت الاية فرجع الى المدينة فليس له اصل ولا نقله احد وكيف يغتر بقول اليهود وهو بين اظهر المهاجرين والانصار وقرا حمزة والكسائي وابن عامر خلافك وهما لغتان قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر وهي ان كل قوم اخرجوا رسولهم ان يهلكهم بعذاب عاجل ولا تجد لسنتنا تحويلا تغيرا دل على ان اضافة السنة الى الرسل مجاز لوقوعها لهم اقم الصلوة لدلوك الشمس قرر التوحيد والالهيات ثم اتبعها بذكر الفروع وبدا بالصلوة التي هي اعظم الاركان بعد التصديق والدلوك الميل والمراد به زوال الشمس عن كبد السما وهو وقت الظهر واللام فيه للتوقيت كما في قولك قدمت لثلث خلون من شهر كذا وهي اول صلوة صلاها رسول الله خلف جبريل حين اقام له اوقات الخمس الى غسق الليل الى وقت ظلامه يقال غسق واغسق اظلم وقران الفجر صلوة الفجر سميت قرانا لكون القراة ركنا فيها كما سميت بالسجود والسبح والاختصاص لكون القراة فيها اطول ان قران الفجر كان مشهودا تشهدها الملائكة ويجتمع عندها ملائكة الليل والنهار او تشهدها كثير من الناس لعدم الاشغال وكلما كثر الجمع ازدادت الفضيلة والاية جامعة للصلوات الخمس وحمل الدلوك على الغروب بعيد لوجب الفا ذكر الظهر والعصر ومن الليل فتهجد به وعليك بعض الليل اغرا وهو من قبيل فاياي فارهبون والتهجد ترك الهجود وهو النوم ويقال تهجد اذا نام فهو من الاضداد وضميره عايد الى القران نافلة لك فريضة زايدة على الصلوات الخمس لك خاصة دون امتك وقيل كان واجبا عليه وامته ثم نسخ باخر المزمل عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا هو مقام الشفاعة العظمى لاراحة الموقف وتميز الفريقين يرغب اليه الاولون والاخرون ويحمده على ذلك نطقت به الاحاديث وعن جابر بن عبد الله انه قال صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع الاذان اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القايمة ات محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا حلت له شفاعتي وانتصاب مقاما على الظرفية بتقدير اي فيقيمك في مقام او على تضمين البعث الاقامة لا استدعائه فعلا يكون فيه معنى الاستقرار فلا يصح ان يكون الفعل المذكور عاملا فيه وقل رب ادخلني مدخل صدق اي في القبر او حالا مرضيا من قبيل رجل صدق واخرجني مخرج صدق منه عند البعث ملقى بالاكرام وقيل ادخال مكة ظاهرا عليه واخراجه منها امنا وقيل ادخال الغار امنا واخراجه منها سالما او الحق النعيم في كل ما يلابسه من امر الدنيا والاخرة والصدق يستعمل في الافعال كما يستعمل في الاقوال ويراد بالاخلاص يقال فعل ذلك الامر بنية صادقة ومنه قوله ان لهم قدم صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة موبدة لعنايتك تنصرني بها على من عاداني وقيل ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر فاجابه الله بقوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقل جاء الحق وزهق الباطل جاء دين الاسلام وزال ما سواه من الاباطيل وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل رسول الله مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثماية وستون نصبا فجعل يطعنها بعود ويقول جا الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا كلام مستقل دال على حكم كلي جار مجرى المثل فان كل باطل وان كان له جولة وصولة يضمحل سريعا وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين من للبيان قدمت على المبين للاهتمام او للتبعيض لا بمعنى ان بعضه شفاء دون بعض

بعض بل المعنى ننزل بعاضه الشافية على حسب تجدد الدواعي شيا فشيا وانما كان شفا لانه يزيل عمى الجهل عن القلب ويجيء عن حيرة الشك ويستشفى ببركاته الامراض ولا يزيد الظالمين الا خسارا لازدياد الكفر بزيادة المكفور به كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالامن والعافية وسعة الرزق وتوفر الاسباب اعرض عن ذكر الله والقيام بالشكر ونأى بجانبه وترفع بنفسه لفظ الجانب مقحم للدلالة على بعده عن الشكر وقرا ابن عامر في رواية ابن ذكوان وناء بتقديم الالف على الهمزة او معناه نهض كما في بيت امرئ القيس واردف اعجازا وناء بكلكل والمختار قراءة الجمهور لكونها انص في المراد وهو البعد واذا مسه الشر كان يؤسا شديد الياس قل كل يعمل على شاكلته على طريقته التي جبل عليها من شكلت الدابة اذا قيدتها واليه اشار بقوله كل ميسر لما خلق له فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا لانه الذي خلقكم على تلك الشاكلة وجبلكم عليها واهدى من هدى لازما بمعنى اهتدى ويجوز ان يكون من المتعدي ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي يسالوه عن الروح الذي به حيوة الحيوان فان العقل لا يهتدي الى حقيقته روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنهما انه قال بينا انا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي في حرث المدينة وهو متكئ على عسيب فمر على اليهود فقال بعضهم سالوه عن الروح وقال بعضهم دعوه لا يستقبلكم بشي تكرهونه فقالوا سالوه فسالوه فامسك رسول الله فلم يرد عليهم فعلمت انه يوحى اليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي والمعنى انه تعالى استاثر بعلمه لا طريق لاحد الى معرفته ولذلك اردفه بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا والروح من الكثير الذي ما اوتيتم علمه وقيل معناه انه يحدث بامر الله وتكوينه وفيه ان هذا معلوم لكل من السائل والمسؤول عنه وقيل اسالوا لبيان ان الروح لا يمكن ادراكه الا بعوارض تميزه ولذلك اقتصر عليه كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين على ذكر صفاته وهو قياس للممكن على المستحيل وما الدليل على عدم امكان معرفة حقيقته وقيل الروح هو جبريل او القران او ملك اخر فان قلت ما وجه اتصاله هنا بما تقدم قلت ان اريد بالروح القران وجبريل فظاهر لقوله وننزل من القران ما هو شفاء وان اريد به الحيوة وهو المختار فهو كلام معترض لبيان خساسهم فان القران انما كان شفاء لاشتماله على الاحكام الدينية اصولا وفروعا وهم لا يتدبرون فيه لاقتباسها والتشفي عن ازالة ما فيهما من الاشتباه ويشتغلون بما لا ضرورة تدعوهم اليه لما نزل قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا اعترضت اليهود وقالوا ما اعجب شان محمد تارة يقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا وتارة يقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وهذا من قلة علمهم لان ما اوتي البشر من الحكمة قليل بالنسبة الى علم الله وان كان في نفسه كثيرا على ان الموصوف بالقلة والكثرة في ليس شيا واحدا لان القليل هو العلم والكثير هو الخير المترتب على ذلك العلم القليل نظيره ليلة القدر خير من الف شهر وما قيل لما قالت اليهود ذلك نزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام فليس بسديد لان سورة لقمان مكية وسورة البقرة مدنية من اخر القران نزولا ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ساقه امتنانا وحثا على استدامة الشكر بعد ما بين له انه شفاء ورحمة ومعنى اذهابه محوه عن الصدور والمصاحف وعن ابن مسعود رضي الله عنه يسرى على القران فيصبح الناس منه فقراء برفع المصاحف وتنزع ما في الصدور واللام موطية للقسم المحذوف لنذهبن جوابه نايب مناب جواب الشرط ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كفيلا يضمن رده عليك ويتوكل علينا بالمطالبة الا رحمة من ربك استثناء متصل اي الا رحمة فانها تقدر على الرد بعد الاذهاب والتوكل بالمطالبة او منقطع والمعنى لكن رحمتنا ادركتك فتركته غير مذهوب به ان فضله كان عليك كبيرا حيث انزل عليك القران الذي فيه تبيان كل شي بعد ما لم تكن تدري ما الكتاب ولا

العسيب غصن النخل

الاول قول الامام والثاني قول القاضي منه

رد على القاضي والكشاف

الايمان وقد وصف فضله عليه تارة بالكبر واخرى بالعظم بملاحظة الكم والكيف دلالة على كمال
عنايته به من كل وجه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران في الفصاحة
والبلاغة وحسن النظم استيناف لبيان ذلك الفضل الكبير لا ياتون بمثله لكونه
خارجا عن طوقهم جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة جاز ان يكون جواب الشرط
لكونه ماضيا كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرام ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا معونا لم يذكر الملائكة لكونه مبعوثا الى الانس والجن فهم المخاطبون بالتحدى
لا لان اتيان الملائكة بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة لان المعجزة فعل من افعاله تعالى دال على صدق
مدعي الرسالة فلو احتمل اتيان غيره بمثله لم يبق تلك الدلالة قطعية ولقد صرفنا للناس في هذا
القران من كل مثل كررنا بابسا ليس كل نوع من انواع الحكم التي هي في الحسن والغرابة كالامثال من مباحث
المبدا والمعاد ووقايع الانبيا مع الامم فابى اكثر الناس الا كفورا بهذه الحكم التي هي اجل النعم صح الاستثناء
ضربت الا زيدا لان ابى نفي معنى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا
لعدم الاعتداد بما في القران من الاعجاز الظاهر والمعنى الباهر وقصر النظر على المحدح الغالي
من الماء والاراضي والثمار كساير البهائم قائله نضر بن الحارث او ابو جهل والينبوع يفعول
من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر والياء للمبالغة اي عينا كثيرة الماء وقرا الكوفيون
تفجر مخففا واصل الفجر الشق والتخفيف هو المختار لافراد ينبوعا ولهذا اتفقوا على تشديد فتفجر
لوقوعه على الانهار ولان المعجزة تقتضي وجود الفعل لا كثرته او تكون لك جنة من نخيل وعنب
فتفجر الانهار خلالها تفجيرا اي بستانا يشتمل على هذه الاشيا او تسقط السما كما زعمت علينا
كسفا قطعا من كسفت الثوب قطعته يريدون قوله ان نشا نخسف بهم الارض
او نسقط عليهم كسفا من السما وقرا نافع وابن عامر وعاصم بتحريك السين والباقون
بالاسكان فعلى الاول جمع وعلى الثاني اسم جمع او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا ضامنا
لصحة ما تدعيه او مقابلا حالا من الله تعالى وحال الملائكة حذف للعلم به كما حذف الخبر في قوله فاني
وقيار بها لغريب او حال من الملائكة والقبيل بمعنى الجماعة من الثلثة وما فوقها او يكون لك
بيت من زخرف من ذهب هذا اصله ويطلق على الزينة والتمويه او ترقى في السما ولن نؤمن
لرقيك وحده لاحتمال ان يكون سحرا حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه فيه تصديقك
قل سبحان ربي تعجبا من عنادهم وتعنتهم او تنزيها لله تعالى عن ان يشاركه احد في القدرة
هل كنت الا بشرا رسولا كساير الرسل وشان الرسل الاتيان بالمعجزة الدالة على صدق
دعواهم مناسبة بحال المرسل اليهم وليس انسب بحالكم من القران معجزة وقد اجاب مفصلا
في ساير السور ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان
هذا الا سحر مبين ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا
وما منع الناس ان يؤمنوا يريد الكفار اذ جاءهم الهدى اي الوحي والرسول الا ان
قالوا فاعل منع ابعث الله بشرا رسولا انكار منهم ان يكون الرسول من الله بشرا
قل جوابا عن شبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي الناس لانهم يطيرون الى السما
وياخذون العلم هنالك مطمئنين مستوطنين احتراز من الملائكة المرسلين لامر الله
والسايحين لسماع الذكر لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا من جنسهم ليسهل الاخذ منه
ولذلك كان جبرئيل يتمثل رجلا في اكثر الاحيان وبشرا وملكا يجوز ان يكونا موصوفين
برسولا والاحسن جعلهما حالين لان مصب الغرض انكار كون الرسل بشرا واعتقاد كونه
ملكا والتقديم اوفق واعون قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به
وبذلت الجهد انه كان بعباده خبيرا بصيرا عالما باسرارهم وظواهرهم ومن يهد الله
فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يقدرون على هدايتهم ونحشرهم يوم

يوم القيمة على وجوههم لانها اشرف الاعضا اهانة لهم ولانهم لم يعفروها بالسجدة
لربهم تواضعا قيل يا رسول الله كيف يمشي الانسان على وجهه فقال الذي امشاه على رجليه
قادر على ان يمشيه على وجهه عميا وبكما وصما الكلام على التشبيه اي لا يرون شيئا تقر به
اعينهم ولا يسمعون ما يستلذ اسماعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم او على الحقيقة بان يحشروا
كذلك بعد الحساب الى النار لانهم يتكلمون ويرون ويسمعون قال تعالى يتخافتون بينهم
اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فسوف يعلمون حين يرون العذاب ماويهم
جهنم كلما خبت سكنت زدناهم سعيرا توقدا يقال سعرت النار اذا هيجتها وزدتها
لهبا والظاهر زدناها سعيرا وانما اوقع الفعل عليهم مبالغة ذلك جزاؤهم بانهم كفروا
كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اشارة الى الحكمة
في افنائهم بالنار واعادتهم على الدوام لانكارهم الاعادة بعد الفنا فجزاهم الله بالذي كانوا
يكذبون به اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم
الاستفهام للانكار داخل على النفي فيفيد الاثبات اي قد علموا يقينا ان من قدر على خلق
السموات والارض قادر على اعادتهم وفي لفظ المثل اشارة الى ان الاعادة مثل البدا كما
بداكم تعودون وجعل لهم اجلا لا ريب فيه عطف على اولم يروا لان العطف على الصلة
يمنعه الفصل بالخبر وعلى ما بعد ان المصدرية لا يحسن معنى والاجل يوم القيمة بدليل قولهم
ائذا كنا عظاما وقيل هو الموت والمعنى انهم قايلون بالموت لا محالة ولم يخلقوا
عبثا فلا بد من الجزاء وذا لا يمكن الا بالاعادة فقيم الانكار فابى الظالمون الا كفورا جحودا في
بالمظهر دلالة على انهم ظالمون في الانكار بعد وضوح الحق قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي
اذا لامسكتم خشية الانفاق انتم فاعل فعل محذوف يفسره تملكون لان لو الشرطية لا تدخل الا على الفعل
والمعنى ان هؤلاء الذين طلبوا منك ان تفجر لهم من الارض ينبوعا ارادوا به توسعة الرزق عليهم فهم
من الشح بحيث لو ملكوا خزاين رزق الله التي لا نهاية لها لبخلوا بها من خوف الفقر مع علمهم
بعدم نفادها شعر ولو ان دارا انبتت لك ارضها ابرا يضيق بها فناء المنزل واتاك يوسف يستعيرك
ابرة ليخيط قدقيصه لم يفعل ولما ابرز الكلام في صورة المبتدا والخبر افاد الاختصاص وان الناس
هم المختصون بالشح المتبالغ قلت وهذا اذا اقتضاه المقام اذ لا معنى للاختصاص في قوله وان
احد من المشركين استجارك وكان الانسان قتورا شديد البخل من قتر على عياله اذا ضيق
عليهم اصل الوقاية قال الحاتم والخاسر قاتر والحاتم ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات
متصل بقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا اشارة الى ان موسى قد اتى باعظم مما سالتم ولم يؤمن
به فرعون وقومه كما قال وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون والايات التسع هي
العصا واليد البيضا والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الما من الحجر وانفلاق البحر ونتق
الجبل فان قلت نتق الجبل وانفجار الما من الحجر ليسا من الايات المذهوب بها الى فرعون قلت
اراد بما اوتي موسى من المعجزات لا ما تحدى به فرعون الا يرى ان فلق البحر لم يكن في معرض
التحدي بل بعد ما حق عليه القول ويدل على ذلك قوله بعد هذا ما انزل هؤلاء لكون
الاشارة الى بعضها بالضرورة لان الكل لم يكن موجودة الا على التدريج والعام وما روي
صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول الله عن الايات التسع التي اوتي موسى
فقال هي الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق والزنا والسحر والسرقة واكل الربوا والمشي
بريء الى ذي سلطان ليقتله وقذف المحصنات والفرار من الزحف وعلى اليهود خاصة السبت فلا
يناسب تفسير الاية لنبو المقام عنها فاسال بني اسرائيل اذ جاءهم اي قلنا لموسى
اسال بني اسرائيل من فرعون وقت مجيئه لقوله انا رسولا ربك فارسل معنا بني
اسرائيل وقيل الخطاب لرسول الله وقوله فقال له فرعون اعتراض من باب زيد فاعلم

فقيه والمعنى اسأل يا محمد عما جرى بينه وبين فرعون اهل الكتاب اما لان تظاهر الادلة يوجب اليقين
واما لله لا على انه امر يحقق عندهم وليس المقصد منه السؤال حقيقة بل كونهم من اهل علمه
بحيث يؤمر مثلك بالسؤال منهم او متعلق باذكر على الاستيناف او بحرك على جواب الامر
ولا يجوز تعلقه بآتينا لانه لم يؤت التسع وقت مجيئه وضميرهم لا بآبائهم فقال له فرعون اني
لاظنك يا موسى مسحورا تخبط عقلك حيث تتكلم بما لا يعقل والظن اما بمعنى العلم بقرينة
انه تصدد تكذيبه او على طريقة كلام الملوك في ان ظنهم لا يكذب كما ان لعل وعسى عندهم
لازم الوقوع قال لقد علمت ما انزل هؤلاء اى الايات التى اراها اياه وقرا الكسائى
وابو بكر بضم التاء على الاخبار عن نفسه تكذيبا لظن فرعون والاحسن الخطأ لان علم الخصم بصحة الدعوى
ابلغ في الالزام مثل وقد تعلمون انى رسول الله اليكم الا رب السموات والارض بصائر
بصرك الحق وصدق نصب على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا اى هالكا او مصروفا
عن الحق من ثبره حبسه وفي حديث الجن موسى اتدرى ما ثبر الناس عن طاعة الله وشتان بين
الظنين فان ظن موسى مستند الى امارة كادت تلحق باليقين وظن فرعون كذب محض و
تسمية للزنجى بكافور فاراد ان يستفزهم من الارض اراد ازعاج موسى وبنى اسرائيل
من ارض مصر فاغرقناه ومن معه جميعا اراد شيئا واردنا غيره فكان ما اردنا فاغرقناه
في الماء الذى كان يفخر به او لما كان عاليا يقصد الصعود الى السما جعلنا سافلا تحت الماء
وقلنا من بعده بعد غرقه لبنى اسرائيل اسكنوا الارض التى كان فرعون يريد اخراجكم
منها فاذا جاء وعد الآخرة وعد الدار الآخرة او الحيوة الآخرة جئنا بكم لفيفا
من ههنا وههنا اللفيف الجماعات من قبائل شتى واصل اللف الخلط ومنه حديث ام زرع
واذا اكل لف اى خلط من انواع المآكل وبالحق انزلناه وبالحق نزل اى ما انزلنا القرآن
الا بالحكمة المقتضية لانزاله وبالحق نزل وملتبسا بالحق والحكمة نزل وانزاله بالحق
وان كان مستلزما لنزوله الا انه ذكره دفعا لتوهم تطرق التبديل اليه بعد الانزال
وقبل الوصول اليه وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا الا متصفا بهاتين
الصفتين فلا عليك بعدهما وقرآنا آتيناك دل عليه ولقد آتينا موسى تسع آيات
فرقناه بيناه وشرحناه في محل النصب على الوصف ويجوز ان يكون مفسرا الناصب قرآنا
فرقناه لتقرأه على الناس على مكث متمهلا تؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا بحسب الحوادث
شيئا فشيئا قل آمنوا به او لا تؤمنوا ليس معناه الامر والنهى مقابل الاعراض عنهم والازدراء بهم وعدم
المبالاة ان الذين اوتوا العلم من قبله من قبل القرآن وهم علماء اهل الكتاب تعليل لآمنوا
او لا تؤمنوا كانه قال لهم ان لم تؤمنوا فان من هو خير منكم آمن به وهم علماء اهل الكتاب فان قلت
السورة مكية ولم يكن بمكة من آمن بالقرآن من اهل الكتاب وانما آمن به عبد الله بن سلام
واضرابه بالمدينة بعد الهجرة قلت هو اخبار بما سيقع يدل عليه قوله اذا يتلى عليهم
او اراد من تنصر من مشركى العرب كورقة بن نوفل يخرون للاذقان سجدا يسقطون
على وجوههم ساجدين شكرا لله على بعث الموعود المنعوت في كتبهم ويقولون قائلين الا
من الحكاية لا المحكى سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا الشأن كل وعد
منه واقع لا محالة ويخرون للاذقان يبكون باكين اعاده لاختلاف الحال والسبب فان الاول
للشكر وقت الانجاز والثانى لما اثر فيهم مواعظ القرآن حال البكا فان قلت السجدة انما يكون بالجبهة
والانف فما وجه ذكر الذقن دونهما قلت اراد وصفهم بتمكين الجبهة والتحامل عليها خشوعا حتى
انه يلصق الذقن بالارض ايضا او اراد انهم يسقطون على الذقن مغشيا عليهم سرورا وخشية
او تعفير الذقن كناية عن غاية الخشوع وما قيل لان اول ما يلقى الارض من الساجد ذقنه
خلاف للواقع وايثار اللام والظاهر حرف الاستعلاء للدلالة على شدة الاتصال

رد على القاضي والكشاف

الاتصال والالصاق ويزيدهم سماع القرآن خشوعا لله تعالى لزيادة ايمانهم المقتضى لذلك
قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت لما قرأ على المشركين اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
لا نعرف الا رحمن اليمامة وقيل لما سمع ابو جهل رسول الله يقول يا الله ويا رحمن وقال ان محمدا
ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر والدعا بمعنى التسمية اذ لو كان بمعنى النداء يلزم الاشراك
ان تغاير مدلولا الاسمين وعطف الشئ على نفسه ان اتحدا والمفعول الاول محذوف
اى سموه بهذا او ذاك وقيل لما قالت اليهود لرسول الله انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر في التورية ذكر
الرحمن وما نزيك تكثر منه والغرض التسوية بين الاسمين في الحسن والافضا الى المقصود
اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى اى اى الاسمين ذكرته فهو من احسن الاسماء عدل عنه الى
المنزل سلوكا لطريق البرهان لان اسماءه تعالى اذا حسنت كلها اندرج فيها هذان الاسمان
ضرورة وما للتجريد والتنوين عوض المضاف اليه وما يؤكد ابهام اى وضمير له للمسمى وحسن
اسمائه تعالى لدلالتها على الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءتك في الصلوة
لان الجهر لا يوصف به سائر اركانها عن ابن عباس كان رسول الله وهو مختف بمكة اذا قرأ
في الصلوة رفع صوته فسمع المشركون سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به فقال الله لا
تجهر بقراءتك بحيث يسمع المشركون ولا تخافت بها بحيث لا يسمع من خلفك اصل الخفت الضعف
وفي الحديث نوم المؤمن سبات وصوته خفات وابتغ بين ذلك سبيلا قراءة بين
القرائتين دون الجهر وفوق المخافتة روى البخارى عن عائشة انها نزلت في الدعا روى
ابن جرير عن ابن سيرين مر رسول الله على ابى بكر وهو يقرأ خفيا ومر على عمر وهو يقرأ جهرا
وكان جهورى الصوت فقال لابى بكر لم تقرأ هكذا فقال لقد اسمعت من اناجى وقال
لعمر لم تقرأ جهارا قال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض
قليلا وقيل وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفاف نهارا وجهارا بالليل وقل الحمد لله الذى لم يتخذ
ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولى من الذل ناصر يمنعه من الذل او لم يوال
احدا ليدفع به الذل عن نفسه وانما يحبه لمن احب محض لطف وعناية فانه الغنى المطلق وانما
بنى الحمد على نفى الاوصاف الثلثة لكونه كناية عن الوصف بكمال الجود لان الولد مبخل والشريك
مانع من التصرف والاحتياج الى من يعزه ويذب عنه مع كونه منافيا للالوهية باعث على
الامساك والادخار كما هو شأن الملوك مع الجنود والاعوان ولان المانع من العطا اما من
دونه وهو الولد او مثله وهو الشريك او فوقه وهو الولى فنفى الكل على طريق الترقى فانحصر
الجود فيه تعالى وكبره تكبيرا عن كل نقيصة فوافق
الخاتمة الفاتحة تقديسا وتنزيها وصلى الله على مبلغ كلامه ومبين احكامه

سورة الكهف مكية وهى مائة عشر ايات بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب لما كان القرآن مشتملا على الارشاد الى اقامة الدين
بمعنى التوجه الكلى الى جناب قدسه او الاذعان القلبى والاعتراف باللسان وكلا القسمين
من اجل نعمائه رتب انحصار الحمد على انزاله ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج اصل الميل
قال ابن السكيت ما كان ينتصب كالحائط والعود قيل فيه عوج بالفتح وما كان في الارض
او في دين او معاش يقال فيه عوج بكسر العين والمراد نفى الاختلال عنه من جهة اللفظ
والمعنى قيما مستقيما لا زيغ فيه من الحق الى الباطل او قائما بامور الدين كافلا به من قام
بالامر ومنه قيم اليتيم وهو الوجه لقوله تبيانا لكل شئ ولان الاستقامة علمت سابقا منصوب
بفعل مضمر اى جعله قيما او حال على ان ولم يجعل ايضا حال آخر كانه قال منفيا عنه العوج مستقيما
ويجوز ان يكون ولم يجعل له عوجا عطفا تفسيريا من تمام الصلة كقوله وصد عن سبيل الله
وكفر به والمسجد الحرام على الاوجه هناك لان المراد منه الكتاب الكامل فيكون حالا

رد على القاضي والكشاف

من الكتاب لعدم الفاصل بالاجنبي ومن حمل على التقدم والتاخر فقد عدل عن الظاهر من غير نكتة
لينذر باسا شديدا اي الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول لان الغرض من لدنه
هو انذار الباس لبرتدع المؤمن والكافر بدليل اعادة الانذار بعد التبشير مذكورا معه المنذر
من لدنه من عنده في محل النصب حال او صفة تهويل للعذاب وقرا ابو بكر بسكون الدال
مع الاشمام وكسر النون لان لدن كعضد يجوز في مثله اسكان الوسط تخفيفا واشير بالاشمام
الى ان اصل الضم وكسر النون لالتقاء الساكنين والمختار هو الضم لانه الاصل والشايع و
يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هي الجنة عبر عنها بالاجر اعتدادا
بالاعمال كرما منه ماكثين فيه ابدا من غير انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله
ولدا خصهم بالذكر واعاد الانذار اشارة الى عظم كفرهم وانما لم يذكر المنذر به اكتفاء
بما تقدم ما لهم به من علم بالولد او باتخاذه ولا لآبائهم الذين قلدوهم فيه لان المراد نفي
العلم نفي المعلوم لكونه مستحيلا لا يصح تعلق العلم به لا انه ممكن والجهل في الطريق كبرت كلمة
عظمت تلك المقالة نصب على التمييز تخرج من افواههم صفة لها معنى التعجب كانه قيل
ما اكبرها كلمة لانما يكون فيه شين يتعاظم الانسان يتفوه به اذا وسوس اليه الشيطان فكيف
بتشبيه من ليس كمثله شيء بالحيوان في التوالد المحتاج الى الازدواج وفي تخرج من افواههم اشارة
الى انها مجرد صوت وحروف ان يقولون الا كذبا تصريح بما علم ضمنا واشارة الى ان عدم
العلم لا يخرج الكلام والمتكلم عن الكذب اذا كان غير مطابق للواقع فلعلك باخع نفسك
قاتلها من النخاع وهو عرق في صلب الحيوان متصل بعنقه فاذا وصل الذبح اليه كان غاية على آثارهم
شبه توليهم عن الايمان بمجال احبة الانسان عن منازلهم فهو يتلهف عليهم ويقتل نفسه وجدا
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القرآن اسفا مصدر في موضع الحال من فاعل باخع او مفعول
له وهو اشد الحزن انا جعلنا ما على الارض زينة لها ما عليها من زخارفها ازالة لما كان يتعاظمه
من بسط الدنيا عليهم مع ذلك الكفر المتبالغ كما تعاظم موسى في قوله ربنا انك آتيت فرعون
وملأه زينة واموالا لنبلوهم ايهم احسن عملا نعاملهم معاملة المختبر لتمييز الزاهد
فيها من المغتر بها لا ايثارا لهم ثم زهد فيها بقوله وانا لجاعلون ما عليها صعيدا
جرزا تجعلها كالارض البيضاء سمحا قبيحا باماتة الحيوان وتجفيف النبات فيبدل الزينة
شينا او نجعلها حطاما مساويا للارض والجرز الارض التي لا نبات بها وقيل ما كان فيها
نبات ثم قطع فلا يقال للسباخ جرز ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من
آياتنا عجبا ذكر ما يشتمل على اتهاب العجايب في صدر السورة من تزيين الارض بما خلق فوقها
من الانواع والاجناس الغاية الحصر ثم اعدامها كان لم تغن بالامس تمهيد الذكر قصة اصحاب
الكهف التي كان من اعاجيب الدهر عندهم وام للاضراب انما يحسن اذا كان الثاني اغرب واعجب مما
ذكر فاعلى عكس ذلك قلت تعجبهم منها دون ذاك هو المنكر الاغرب فالاضراب ماش على ذلك
السنن الخطاب له والمقصود السائل المتعجب اذ هو صلى الله عليه وسلم يعلم من قدرته ما لا يتعاظم و
الرقيم قيل لوح على باب الكهف مكتوب عليهم اسماؤهم وقيل الوادي الذي فيه الكهف و
قيل اسم قريتهم وقيل اسم مكانهم وهو مكان بقرب فلسطين وقيل اسم كلبهم قال امية
بن الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد وقيل اصحاب
الرقيم غير اصحاب الكهف وعجبا وصف بالمصدر اي كانوا آية عجبا من آياتنا او ذات عجب
وسبب النزول ان قريشا ارسلوا النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط الى يهود المدينة يسالون
منهم نعت رسول الله هل هو ذاك المنعوت في التورية ام لا فقالت اليهود سلوه عن ثلاث
اشياء عن رجل ملك مشارق الارض ومغاربها وسلوه عن الروح وسالوه عن
طائفة فارقوا قومهم وفروا بدينهم ووصفوا لهم اصحاب الكهف وقالوا ان اخبركم

ان اخبركم عن الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي اذ اوى الفتية الى الكهف شبان من اشراف الروم
وكان ملكهم دقيانوس ارادهم على الكفر فهربوا منه فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة
من خزاين رحمتك بلا واسطة شامل للامن والرزق والمغفرة وهيئ لنا من امرنا شاننا
الذي نحن بصدده رشدا اصابة الطريق المؤدي اليه او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رايت منك
اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على آذانهم انمناهم انامة ثقيلة
لا تنبههم الاصوات كما ترى من الفي عليه نومة ثقيلة يصاح به فلا يسمع ضرب الحجاب كناية عن سد
طريق الصوت واستحكامه فالمفعول الاول محذوف كما في بني على امراته اي القبة في الكهف سنين
عددا معدودة اي كثيرة فان القليل يعرف بدون العد او قليلة فان الكثير عند الله قليل
ان يوما عند ربك كالف سنة او بالتطويل مدة اقامتهم احياء الى آخر الدهر ثم بعثناهم
ايقظناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا اي ليتعلق علمنا تعلقا حاليا كما كان متعلقا به
تعلقا استقباليا او مجاز عن لازمه وهو التمييز واي لتضمنه معنى الاستفهام علق عنه العلم فهو
مبتدا واحصى فعل ماض خبره وما في لما لبثوا مصدرية وامدا مفعول احصى والمعنى ايهم ضبط
امدا وقات لبثهم فانهم لما استيقظوا اختلفوا في ذلك وقيل اختلاف الحزبين من غيرهم
وقيل احصى افعل التفضيل وفيه ان افعل التفضيل وان كان قياسا من المزيد عند سيبويه
الا انه لا يعمل النصب وتقدير فعل ناصبا تطويل بلا طايل ونصب امدا بلبثوا لا يساعد عليه
المعنى لان الاحصاء والضبط انما هو لمدة اللبث في الامد ولان تساءلهم في وقت الانتباه انما كان
عن المعارف لا عن الاعرف لقولهم ربكم اعلم بما لبثتم نحن نقص عليك نباهم بالحق
حديثهم ملتبسا بما هو ثابت في الواقع الى ان ما ينقله اهل الكتاب من قصتهم لم يسلم عن
اختلال بزيادة او نقصان انهم فتية آمنوا بربهم قيل كانوا شبانا متقاربي الاسنان من قبيلة
واحدة وزدناهم هدى على الفطرة التي يولد عليها كل مولود وربطنا على قلوبهم اذ
قاموا بين يدي ملكهم والربط تمثيل لايقاع الصبر على قلوبهم وتثبيت جاشهم فقالوا ربنا
رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا بعيدا عن الحق غاية في الظلم
من شط الدار اذا بعد وفي الحديث اعوذ بك من الضنة في السفر والشط هؤلاء قومنا
اتخذوا من دونه آلهة قالوه منكرين لولا ياتون عليهم بسلطان بين ببرهان واضح
دال على استحقاقهم الالوهية فان العقائد لا يجوز التقليد فيها وما لا دليل عليه مردود فمن
اظلم ممن افترى على الله كذبا لا اظلم ممن قال ان له شريكا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون
الا الله ما موصولة اي ومعبوديهم او مصدرية اي وعبادتهم او نافية اخبار من الله تعالى كلام معترض
ثنا على الفتية بانهم صادقون في الاعتزال فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته
جزموا بذلك الهاما من الله تعالى او علموا ذلك من مشاهدة توالي الرزق على ساير الحيوانات
او كان فيهم نبي او اخبرهم نبي موجود في زمانهم ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترفقون
به اي تنتفعون من الرفق وهو لين الجانب ضد العنف اسم آلة كالمفتح والمبرد وقرا نافع وابن
عامر بفتح الميم وكسر الفاء وهما لغتان وفتح الميم افصح لانها لغة الحجاز وترى الشمس ان حضرت
مكانهم الخطاب له او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل من الزور وهو الميل ومنه
للكذب لانه ميل عن الصدق واصل تزاور تتزاور فادغمت التاء في الزاء وقرا الكوفيون بتخفيف
الزاء مضارع تزاور وعلي وزن تباعد حذف احدى التائين وابن عامر تزور كتحمر والاول ابلغ
ذات اليمين جهة المسماة باليمين ولفظ الذات مقحم واذا غربت تقرضهم تتركهم
ذات الشمال قيل كان باب الغار مستقبل بنات النعش فتميل عنهم الشمس عند طلوعها وتتركهم عند
غروبها فلا يصل اليهم حرها وهم في فجوة منه في مكان يصل اليهم روح الهواء وهم في فجوة
من الغار اي مكان متسع معرض للشمس لولا ان الله يحجبها عنهم يونده قوله ذلك من آيات الله

قابله القاضي

اى كونهم معرض الشمس ولا تصيبهم وتصيب كل ما كان فى ذلك السمت اية من ايات الله على صحة
تلك الكرامة وعلى الاول شانهم وحديثهم من ايات الله من يهدى الله بالتوفيق
والارشاد فهو المهتدى الذى سلك طريق الصواب واصاب الفلاح ثناء عليهم بانهم
جاهدوا فى الله وصدعوا بالحق او ثناء على الله تعالى بانه الهادى والولى المرشد لقوله وزدناهم
هدى والاول اوجه لان الكلام لبيان حالهم وانهم اهل للولاية ومن يضلل بخذلانه
فلن تجد له وليا مرشدا يدله على طريق الصواب وتحسبهم ايقاظا خطاب لكل احد جمع
يقظ وهم رقود الحال انهم نيام ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ليلا تاكل
الارض اجسادهم قيل فى كل سنة تقلبتان وقيل تقلبة واحدة ليلة العاشورا وكلبهم
باسط ذراعيه بالوصيد بفناء الغار وقيل العتبة وقيل الباب وانما نصب باسط ذراعيه
لانه حكاية حال ماضية قيل مروا بكلب فتبعهم فطردوه فقال لم تطردونى انا احب احباء الله
ناموا انتم وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم يؤيده قراءة جعفر الصادق وكالبهم
لو اطلعت عليهم لو نظرتهم لوليت منهم فرارا ادبرت من خوفهم فرارا مصدر فى موقع
الحال او مصدر اذ التولية فيها معنى الفرار او مفعول له ولملئت منهم رعبا وذلك لما
البسهم الله من الهيبة وقيل لطول شعرهم واظفارهم وعظم اجسامهم والرعب خوف يملأ
الصدر من رعبت الحوض ملاته قال بذى هيد يا بما الرزى ... ودق واما كل وافرغ وقرانا فع
وابن كثير ملئت بتشديد اللام وهو ابلغ معنى والتخفيف اشهر روى ان معاوية غزا الروم فمر
على الكهف فقال لو علمنا خبر هولاء فقال ابن عباس قد منع الله عن ذلك من هو خير منك
فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال لا انتهى حتى اعلم حالهم فبعث جماعة فلما
دخلوا الغار هبت عليهم ريح فاحرقتهم وكذلك بعثناهم اى كما انمناهم تلك
النومة التى تشبه الموت كذلك بعثناهم تلك البعثة التى تشبه احياء الموتى او كما انمناهم
لحما كذلك بعثناهم من غير نقص فى تلك المدة المتطاولة ليتساءلوا بينهم يسال
بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم حتى اذا وقفوا عليها ازدادوا يقينا وشكرا على تلك
الكرامة التى خصوا بها قال قائل منهم كم لبثتم مذ نمتم قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم كما هو المتعارف لان اقصى ما ينام الانسان يوما كاملا وعن الحسن
دخلوا الكهف غدوة واستيقظوا وقت الظهيرة فظنوا انه ذلك اليوم او اليوم الذى
بعده ومعنى الكلام على الظن فلا كذب فلما نظروا الى طول اظفارهم وشعرهم قالوا
ربكم اعلم بما لبثتم لما راوا الامر ملتبسا اخذوا فيما يهمهم قايلين فابعثوا احدكم بورقكم
هذه الى المدينة الورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة قرا ابو عمرو وابو بكر وحمزة
باسكان الراء وهما لغتان ككبد وكبد الكسر اصل والاسكان اخف والمدينة قيل هى طرسوس وفى
حملهم الورق دلالة على ان حمل الزاد لا ينافى التوكل قيل ان بعض اهل العلم كان شديد الحنين
الى زيارة بيت الله وكان معدما لا استطاعة له فلو علم منه ذلك وكان كلما قصد فوج
من اعيان بلده الحج اتوه وبذلوا له مؤنة الحج من الزاد والراحلة يتعذر بمعاذير فاذا تولوا
عنه قال لمن حضره ما لهذا السفر الا شيئان الهميان والتوكل على الرحمن فلينظر ايها
اى اهلها كقوله واسال القرية ازكى طعاما احل وارخص فلياتكم برزق منه وليتلطف
وليتكلف اللطف فيما يباشره من الشراء لئلا يغبن فان طلب الربح كما عرض رسول الله
قدحا على البيع فقال رجل عندى فيه درهم فابى فقال الاخر عندى فيه درهمان فقال
بعتك او ليتكلف اللطف فى التخفى حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا لا يفعل ما يكون
مؤديا الى الاشعار سماه اشعارا لكونه سببا له انهم ان يظهروا عليكم يطلعوا عليكم
من ظهرت على فلان غلبته يرجموكم يقتلوكم شر قتلة قيل كان ذلك دابهم

دابهم او يعيدوكم فى ملتهم يصيروكم اليها والاعادة بمعنى التصيير شايعة وقيل كانوا
على دينهم اولا ولن تفلحوا اذا ابدا لان الارتداد شر انواع الكفر وكذلك اعثرنا عليهم
اى وكما انمناهم وبعثناهم اطلعنا عليهم غيرهم من العثور وهو الاطلاع ليعلموا ان وعد
الله حق اى المعثرون وان الساعة لا ريب فيها فى وقوعها من عطف الخاص على العام
لتاكيد الوقوعها لان حال الفتية فى نومهم وبعثهم دليل ظاهر على جواز الموت والبعث لما دخل
المبعوث للطعام المدينة واخرج الدراهم فوجد البياع عليها اسم دقيانوس اتهمه بانه قد
وجد كنزا فرفعه الى الملك وكان مؤمنا بعيسى عليه السلام فساله الملك فقال من اين لك
هذه الدراهم قال خرجت بها امس من هذه المدينة فقال الملك اظن بك جنونا فقال بعض
الشيوخ الحاضرين انا قد سمعنا ان فتية فى زمن دقيانوس هربوا بدينهم منه لعلهم هولاء فركب
الملك اليهم فوجدهم فى الكهف فسالهم عن حالهم فقصوا عليه القصة ثم قالوا للملك
نعيذك من شر الجن والانس ثم عادوا الى مضاجعهم فاماتهم الله تعالى فاتخذ الملك لكل
واحد تابوتا من ذهب ثم راهم فى المنام انهم يكرهون التابوت من الذهب فابدلهم
تابوتا من خشب وقيل لما قربوا المكان الذى هم فيه فقال المبعوث للملك مكانك حتى
اخبرهم بمجيئك فلما دخل عليهم القى الله النوم عليهم وعمى الكهف على الملك واصحابه وهذا
هو الصواب لقوله وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ولقوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال
اذ يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم متعلق باعثرنا او بيعلموا وكان بعضهم يقول
انما تبعث الارواح وبعضهم يقول يبعثان معا او امر الفتية فقال بعضهم ناموا نومهم اول
مرة وقال اخرون بل ماتوا وقال طايفة نبنى عليهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس كما بنى
على قبر رسول الله الحجرة الشريفة فقالوا ابنوا عليهم بنيانا وقوله ربهم اعلم بهم
من كلام المتنازعين فانهم لما تذاكروا احديثهم ولم يهتدوا الى حقيقة الحال احالوا العلم
الى الله تعالى او هو كلام الله تعالى رد لكلام المتنازعين قال الذين غلبوا على امر
هم كانوا اولى بهم وهم الملك وحاشيته لنتخذن عليهم مسجدا يصلى الناس
فيه تبركا بمكانهم سيقولون ثلثة رابعهم كلبهم اخبار بما سيقع بين اهل الكتاب
والمؤمنين فى عدتهم روى ان السيد والعاقب كانا عند رسول الله وهما من نصارى
نجران فتذاكروا اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم
وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب
استعارة جعل الكلام الغايب عن القائل علمه بمنزلة الرجام المرمى به بجامع قلة الاصابة
فان الرجام قلما يصيب المرمى على السداد واما ايثار الرمى فى قوله والذين يرمون المحصنات
لاعتبار التاثير فى العرض تاثير التهمة فى الرمية او الرجم بمعنى الظن لشيوع استعماله فيه
قال زهير وما هو عنها بالحديث المرجم ولم يذكر السين اكتفاء بذكره فى الاول فان
المعطوف فى حكمه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم سبعة خبر مبتدا محذوف
اى هم سبعة وثامنهم كلبهم صفة والواو لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما فى قولهم
جاءنى رجل ومعه اخر ومررت بزيد وفى يده سيف وذلك لان الصفة والحال متقاربان
الا يرى ان صفة النكرة اذا تقدمت صارت حالا وجدوى هذه المبالغة والتاكيد
ان هذه العدة هى الصواب ولذلك اتبعه بقوله قل ربى اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل
قال ابن عباس رضى الله عنه هذه الواو لما جاءت لم يبق بعدها عدة عاد
وانا من ذلك القليل وقال على هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا مشلينيا هولاء اصحاب
يمين الملك وكان عن يساره مرنوش وبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هولاء الستة
والسابع الراعى الذى تبعهم فى الفتية اهل الكتاب فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا

الا بجادلة بالتي هي احسن بان نقص عليهم ما اوحي اليك ولا تستفت فيهم منهم احدا لان السؤال
اما للاسترشاد وقد كف عنه واما للتعنت وليس من دابك فانك بعثت لمحاسن الاخلاق
مبشرا ومبينا ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا لم يرد الغد المتعارف بل الزمان
المستقبل كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر الا ان يشاء الله متعلق بالنهي اي
لا تقل اذا عزمت على فعل في الزمان المستقبل اني فاعل الا مقرونا بقولك ان شاء الله اولا
تقل لشيء افعل غدا الا ان يأذن الله لك فاذا لم يأذن لك لا تقل وعلى هذا المراد بالشيء
ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بافعال الجبل وكذا ما قيل ان قوله ان شاء الله كلمة تابيد كانه
قيل لا تقولنه ابدا ولا يجوز تعلقه باني لان استثناء اقتران المشية بالفعل فاسد واستثناء
اعتراض المشية دون الفعل وان صح الا انه لا يتوجه اليه النهي وهذا تاديب له من الله
تعالى فانه لما سأله المشركون عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال اخبركم غدا
ولم يقل ان شاء الله فعاتبه الله على ذلك بان لبث عنه الوحي اياما وكذبته قريش واذكر
ربك اذا نسيت تدارك ما فرط منك بان تقول ان شاء الله اذا تذكرت انك نسيت ولا دلالة
فيه على ما نقل عن ابن عباس من جواز الاستثناء بعد سنة لان الكلام في التدارك فيما يرجع
الى التفويض لا اخراج الحكم عن الجزم روي ان المنصور لما بلغه ان ابا حنيفة خالف ابن عباس
في ذلك دعاه وسأله عن ذلك فقال يا امير المؤمنين ضرر ذلك عايد اليك فانك
تأخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك ويقولوا استثنينا فاستحسن منه ذلك
او اذكر ربك بالاستغفار كانه جريمة توجب الاستغفار لها واذكر ربك اذا نسيت شيئا
فان ذكره يتسبب لتذكره وقد حمل على اداء الصلوة المنسية لقوله اقم الصلوة لذكري
وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي قل عند نسيان شيء لعل ربي ان
يهديني الى ما هو خير من هذا المنسي لقوله ما ننسخ من آية او ننسها نات بخير منها او هذا
اشارة الى خبر اصحاب الكهف اي عسى ان يهديني ربي الى ما هو اعظم دلالة على صدقي
في دعوى الرسالة وقد وقع ذلك حيث اتاه الله من القصص والاخبار بالمغيبات الى آخر
الدهر ما يضمحل نبأ اصحاب الكهف عنده ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين
وازدادوا تسعا بيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم وفيه اشارة الى ان اهل الكتاب
كما اختلفوا في عدة الاشخاص اختلفوا في مدة لبثهم الى وقت الانباء ايضا وانما اخر البيان
ليكون معجزة استقلالا وقرأ حمزة والكسائي باضافة مائة اشارة الى الاصل ان الاصل
في تمييز مائة الجمع كثلث واربعة او ترك المفرد للتخفيف ومن لم يضف جعل سنين بدلا قل الله اعلم
بما لبثوا وقد اخبرك به هذا التذييل كالتذييل بقوله قل ربي اعلم بعدتهم له غيب السموات
والارض علم ما غاب عنكم فيهما وامر اصحاب الكهف نزر من ذلك ابصر به واسمع
فعلا تعجب اريد تعجب المخاطبين اي ما ابصره واسمعه فانه لا يخفى عليه شيء مما يدرك
بهما والهاء تعود الى الله تعالى ومحل الرفع على الفاعلية عند سيبويه والباء زيدة اصله ابصر
نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم قابلية الصيغة له والنصب على المفعولية
عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل احد والباء زيدة ان كان الهمزة للتعدية و
معدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولي
من يتولى امورهم ايجادا او كلاءة ولا يشرك في حكمه احدا من خلقه وقرأ ابن عامر ولا
تشرك بالخطاب التفاتا على صيغة النهي والتفي ابلغ واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك
فان تلاوته اقرب الوسايل اليه واشرف العبادات لديه وفيه بيان كل مشكل وهو
اشرف معجزاتك فالواجب عليك القيام بحقه لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على
تبديله لكونه معجزا بخلاف ساير الكتب ولذلك وقع فيها التحريف ولن تجد من دونه من دون الله

من دون الله ملتحدا ملجأ تعدل اليه ان هممت بالتبديل فانهم كانوا يدعونه اليه وقال الذين
لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم با
لغداة والعشي وهذا ايضا مما كانوا يدعونه الى خلافه قالوا ان اردت مجالستنا فاخرج
هؤلاء العبيد والصعاليك من عندك يريدون بلالا وعمارا وصهيبا واضرابهم والغداة و
العشي كناية عن جميع الاوقات وقيل صلوة الفجر والعصر او اريد الدعاء في هذين الوقتين فانهما
اشرف الاوقات وقرأ ابن عامر بالغدوة والوجه انه علم لما قبل الضحى فدخل فيه اللام كما
في قوله والزيد زيد المعارك وعليه المختار قراءة الجمهور لعدم التاويل لكونه اسم جنس يدخل
عليه اللام والرسم لبيان الاصل كالزكوة والصلوة يريدون وجهه مخلصين له العبادة ولا تعد
عيناك عنهم متعد بنفسه عدي بعن لتضمنه معنى النبو والمعنى لا تقتحمهم عيناك مجاوزتين
الى غيرهم وفي اقحام العين واسناد الفعل اليه مضمنا معنى فعل آخر ليكون مؤديا بمجموع
معنى الفعلين مبالغة لا تخفى تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف كما في قوله واتبع
ملة ابراهيم حنيفا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا جعلنا قلبه غافلا عنه من اغفلته اذا صيرته
غافلا عنه وجعل من اغفلت الرجل وجدته غافلا لا اصل له ومن اغفلت الدابة اذا تركتها من غير
سمة تردته كلمة عن واتبع هواه ما سولت نفسه وكان امره فرطا متجاوزا الحد اسم من افرط
اذا تجاوز الحد في حدث على الجاهل اما مفرطا او مفرطا وقل الحق خبر مبتدأ محذوف اي ما تلوته
عليكم من ربكم حال مؤكدة او خبر بعد خبر او الحق مبتدأ ومن ربكم خبره والاول اوجه لقوله فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لانه لما امره بتلاوة كتابه والصبر مع الذين يتلونه حق تلاوته
مريدين وجهه ونهاه عن الالتفات الى زخارف الدنيا فكانه قال هذا الذي اوحي الي هو الحق من ربكم
فمن شاء فليدخل في زمرة الفايزين بهذه السعادة ومن شاء فليكن في ربقة الهالكين منهمكا في الضلال
وانما ابرز الكلام في صورة التخيير ازاحة للعلل انا اعتدنا للظالمين الكاملين في الظلم نارا
احاط بهم سرادقها ما يحيط بالخيم والبيوت معرب سرابرده وقيل هو دخان يحيط بهم قبل دخول
النار وقيل حايط من النار تطيف بهم لا يمكنهم من الخروج وان يستغيثوا من العطش يغاثوا
بماء كالمهل هو النحاس المذاب وعن ابن عمر وهو دردي الزيت وعنه ايضا القيح والصديد
يشوي الوجوه اذا قدم للشرب من فرط حرارته اعاذنا الله منه بئس الشراب
انشاء ذم بعد الاخبار عن الاوصاف مبالغة في الانذار والوعيد وساءت مرتفقا النار
والمرتفق ما يتكأ عليه شبه الوسادة يسمى مرفقة ولا ارتفاق لاهل النار فهو على المشاكلة لقوله
حسنت مرتفقا وقيل الارتفاق الاتكاء على المرفق وهي بيد المتحزن المتحسر ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ان الثانية بما في حيزها خبر ان الاولى واستغنت الجملة
عن العايد لان من احسن عملا نعم الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات او الخبر اولئك لهم جنات
عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول اما استيناف لبيان الاجر او خبر آخر يحلون فيها
من اساور من ذهب من الاولى للابتداء او مزيدة لقوله وحلوا اساور والثانية بيان
والاساور جمع اسورة جمع سوار وتنكيرها لتعظيم حسنها ويلبسون ثيابا خضرا الخضرة
احسن الالوان ولذلك استعارها للدنيا في قوله ان هذه الدنيا حلوة خضرة من سندس
واستبرق الاشرف والادنى فان الاستبرق ما غلظ من الحرير معرب استبرك
او السندس الظهارة والاستبرق البطانة لقوله بطاينها من استبرق وهذا اليق متكئين
فيها على الارائك جمع اريكة وهي السرير الذي عليه الحجلة وقيل كل ما يتكأ عليه من وسادة
او منصة وفي الحديث عسى رجل متكئ على اريكته يأتيه الحديث مني فيقول بيني وبينكم كتاب الله

اوله وقد كان منهم طلحة وابن عمر ابو خلدة والزيد زيد المعارك

ذكر صاحب الكشاف الوجهين ورد المذهب فرده اذ قوله لكن اعانت زيدا او اهلكته ليس معناه وجدته عالما او هالكا وان جاء اغفلته وجدته غافلا لانه غير مطرد ورد الثاني واضح منه الله

ذكر الجوهري فلا وجه الى المشاكلة منه

الا اني اوتيت مثل القران او اكثر نعم الثواب المذكور وحسنت الارايك مرتفقا واضرب
لهم مثلا مثل للفقرين بزخارف الدنيا القائلين لك لا نجالسك حتى يطرد الصعاليك
والعبيد حالهم حال هولاء الفقراء جال رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب قيل كانا
اخوين من بني اسرائيل احدهما كافر واسمه قرطوس والاخر مومن اسمه يهوذا قيل هما المذكوران
انه في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فكان
كلما انفق الكافر في الدور والبساتين والنساء وساير ما يتمتع به انفق المومن في سبيل الله وابوه
البر يتطهر راجيا من الله ثوابه وحففناهما بنخل جعلنا الجنتين محفوفتين بالنخل من حففت
الشي بالشي اذا الحفته به يتعدى الى مفعول والى الثاني بالباء ويجي لازما وترى الملايكة حافين
من حول العرش وجعلنا بينهما زرعا ليكونا جامعين بين الاقوات والفواكه مع حسن المنظر
والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها ما يوكل منها وهو الثمر قرا الكوفيون بضم الكاف
والباقون بالاسكان ولم تظلم منه شيئا ولم تنقص افرد الضمير حملا على لفظ كلتا لكونه
مفردا وفجرنا خلالهما نهرا فانه ملاك الامر ومادة الحسن في الكروم والبساتين
وكان له ثمر ساير انواع الاموال من الذهب والفضة قال مجاهد وساير الاثاث قرا
عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم مخفف ثمر والباقون بضمتين والمختار
قراءة عاصم للخفة وتناول الجنس الانواع فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام
كما يفعل الاصحاب والرفقة قيل اخذ بيده يريه شيئا فشيئا مفتخرا انا اكثر منك مالا واعز
نفرا هم رهط الانسان وعشيرته يطلق على الرجال خاصة من الثلثة الى العشرة وقيل
اولادا ذكورا لانهم ينفرون مع الاب دون الاناث فان قلت قد ذكرت انهما كانا اخوين
فلم اثر لفظ الصاحب على الاخ قلت لان المومن ليس اخا للكافر وان اتحد به نسبا ودخل جنته
افردها اشارة الى انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المتقون لان الاضافة تفيد الاختصاص
وقيل اراد دخول كل واحدة اولاتصالهما جنة واحدة والاول هو الوجه وهو ظالم لنفسه
لانه غرها بالفاني وعرضها للعذاب الدايم قال ما اظن ان تبيد هذه تفنى ابدا
لكمال غفلته وعدم تامله في القرون الخالية والقصور الخاوية وما اظن الساعة قايمة ولئن
رددت الى ربي على سبيل الفرض والتقدير لاجدن خيرا منها منقلبا مرجعا قرا نافع
وابن كثير وابن عامر بضمير المثنى عايدا الى جنتين قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي
خلقك من تراب يريد مادته واصل السابق ثم من نطفة ثم سواك رجلا معتدلا كامل
القوى انما كفره لكونه شك في قيام الساعة والشاك في قيام الساعة كافر من وجوه لكنا
هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصل لكن انا فنقلت حركة الهمزة الى النون ثم حذفت
وادغم النون في مثلها واثبت ابن عامر الالف في الوصل وحذفها الباقون قال الزجاج
اثبات الالف جيد جبر الكلمة واشارة الى الاصل قلت المختار حذفه جريا على الاصل في
الضمير المنفصل نحو انا يوسف والوقف بين الرسم للاتفاق على الوقف بالالف وهو الرسم
في الامام مصحف الي وهو ضمير الشان والجملة بعده خبر وهو مع خبره خبر انا والاستدراك من
اكفرت كانه قال انت كافر لكني مومن ولولا اذ دخلت جنتك وقت دخولك قلت ما
شاء الله لام على ترك هذه الكلمة اي ما شاء الله كاين على ان ما موصولة او اي شي شاء الله
كان على انها شرطية لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز وان ما تيسر لك بارادة الله ومعونته من
غير حول ولا قوة منك وفي الحديث من راى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله
لم يضره شي ان ترن انا اقل منك مالا وولدا انا ضمير الفصل ويجوز ان يكون تاكيدا

تاكيدا للمفعول فعسى ربي ان يوتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الاخرة جواب الشرط
ويرسل عليها حسبانا من السماء افة سماوية مثل الصاعقة والبرد والريح وعن يحيى
بن يعمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لا تجعلها حسبانا او مصدر بمعنى
الحساب والمراد التقدير كرا بها اي مقدارا من العذاب قدره او جمع حسبانة وهي السهام او الوسايد
الصغار والمراد ارسال اشيا بها فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملسا لا نبات بها او يصبح
ماؤها غورا غايرا في الارض مصدر وان وصف بها مبالغة يصبح اما فعل ناقص والمنصوب
بعده خبره واما بمعنى الدخول في الصباح فان طروق العذاب بالليل اشد فلن تستطيع
له طلبا للماء الغاير جعل طلبه غير مقدور لان طلب المحال كالمحال لا يصدر عن عاقل
واحيط بثمره كناية عن الهلاك راسا من احاط به العدو ولخلاف القران ذكر انفا
فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها كناية عن غاية الاسف والندم فان النادم يفعل ذلك
ولتضمنه معنى الندم عداه بعلى وهي خاوية على عروشها ساقطة كرومها على
ما كانت معروشة عليه من الاخشاب لزيادة الحزن والكمد اذا راها كذلك واختصاص
الكروم لانها اصل الجنة والنخيل الحافة بها كالتوشيح ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا
اما في نفسه او جهارا ولم تكن له فية ينصرونه من دون الله احد ينصره حال العذاب وانما اثر
لفظ الفية لان اكثر الانتصار بالشبان الاقوياء في الشدايد وما كان منتصرا دفع لما
يتوهم انه بذلك الندم صار تايبا فيذكر ان قدرة القادر على نصره فان قلت قوله يا
ليتني لم اشرك بربي احدا ظاهر في التوبة والايمان وقد قال وكان حقا علينا نصر المومنين
قلت ندمه انما كان اسفا على الدنيا وانه لو لم يشرك لم يصب جنته ما اصابها ولين
كان مخلصا في توبته فانما لم تقبل لانها كانت بعد ظهور الاية فلولا كانت قرية امنت فنفعها
ايمانها الا قوم يونس وقرا حمزة والكسايي بتذكير الفعل وهو المختار لوجود الفاصل
هنالك الولاية لله الحق اي في تلك الحالة التي حل فيها غضب الله لا نصرة ولا قدرة لاحد
غيره وقرا حمزة والكسايي بكسر الواو وعن الفرا انهما لغتان والمشهور ان الكسر معناه
السلطنة والفتح هو المختار لقوله وما كان منتصرا وقرا ابو عمرو والكسايي بجر الحق صفة الله
كقوله مولاهم الحق وهو المختار لسلامته عن الفصل بين الصفة والموصوف وقيل هنالك اشارة
الى الاخرة ولا يجي بعده هو خير ثوابا وخير عقبا قرا عاصم وحمزة بسكون القاف وهما
لغتان بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اتبع المثل الاول لمن اغتر بالدنيا وزخارفها
بما هو اظهر فان ذلك كان على طريق الحكاية دون المشاهدة وهذه امور مشاهدة لهم
على التوالي كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض خالط بعضه بعضا بسببه وتكاثف وقيل
نفع في النبات حتى روي ورف لدخول الماء في اجزايه وكان الظاهر على هذا فاختلط بنبات
الارض وانما عكس مبالغة وصفا للشي بوصف ما يجاوره فاصبح هشيما مهشوما مكسورا
متحطما والهشم الكسر ومنه قيل لجد رسول الله هاشم واسمه عمرو وقال شاعرهم عمرو العلى
هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف تذروه الرياح تفرقه شبه حال الدنيا في
نضرتها وما يعقبها من الهلاك والفناء سريعا بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يصير
عن قريب حطاما يطيره الرياح وكان الله على كل شي مقتدرا كامل القدرة وذلك
من اثار تلك القدرة المال والبنون زينة الحيوة الدنيا خصهما بالذكر لانهما مناط
الغرور وجعلت لما لا ممدودا وبنين شهودا والباقيات الصالحات خير عند
ربك ثوابا الاعمال الصالحة وصف للشي بوصف اثره وما يترتب عليه لان الباقي ثوابها
قيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله
وهو الوجه وخير املا لعدم خيبة الامل بخلاف امل الدنيا فانه تارات ويوم

نسير الجبال تهويل ليوم القيمة بعد القبر عن الاعتزار بالدنيا وزخارفها وقرا ابن كثير و
ابو عمرو وابن عامر بالتاء على بناء المفعول ورفع الجبال والباقون بالنون وهو المختار لكونه
اشد تهويلا وتسير الجبال اما قلعها وطيرانها في الجو لقوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي
تمر مر السحاب واما اذهابها وجعلها ترابا لقوله وكانت الجبال كثيبا مهيلا وكلا المعنيين
بحسب الاوقات وترى الارض بارزة ليس عليها جبل ولا نبات وحشرناهم وجمعناهم
الى الموقف اثر الماضي اشارة الى تحقق وقوعه كما في قوله ونادى اصحاب الجنة وقيل للدلالة
على ان الحشر قبل تسيير الجبال وليس لتشديد لقوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي بعد قوله لا
ترى فيها عوجا ولا امتا ولما روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يحشر الناس على ارض بيضاء عفراء ليس فيها علم فلم نغادر منهم احدا
لم نترك ومنه يسمى نقض العهد غدرا لكونه تركا للوفاء وعرضوا على ربك صفا كما تعرض
الجنود على الملوك صفا صفا لقد جئتمونا فرادى على اضمار القول وهو العامل في
يوم ويجوز تقدير اذكر كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا كما ظفاكم اول مرة
لا مال ولا ولد بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا اضراب الى ما هو اعظم من التعزير بالاحوال
وهو انكار البعث ووضع الكتاب اي كتاب كل احد وهو صحيفة عمله فترى المجرمين
مشفقين مما فيه من الذنوب الاشفاق الخوف من الشفق وهو الشيء الردي
ويقولون يا ويلتنا يا هلكتنا المختصة بنا تعالى هذا اوانك مال هذا الكتاب
استيناف للتعجب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ضبطها لا يشذ منها شيء
فان قلت كان الظاهر تقديم الكبيرة كما يقال فلان لا يملك دينارا ولا درهما قلت
ليس وزانهما واحدا لان محل المساغ الصغيرة فكان مظنة عدم احصائها ووجدوا ما
عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعله
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس بين حال الدنيا وزخارفها وكان الشيطان
اتم في بدا العداوة لا زين لهم في الارض اشار الى ان الاعتزار بها من تزيين ذلك العدو
كان من الجن استيناف يجري مجرى العلة كانه قيل لم يسجد قيل كان جنيا مطبوعا على
الفساد ففسق عن امر ربه الفاء للسببية ما قبلها اي كان فسقه لكونه من
الجن افتتخذونه اتعدما وجد ذلك منه تتخذونه انكار وتعجب وذريته اولاده ان
صح ان له اولادا او اتباعا مجازا اولياء من دوني بدلا مني وهم لكم عدو حال لتوكيد
التوبيخ فان موالاته بدلا من موالاته تعالى منكر يتعجب منه كيف وقد انضم اليه كونه عدوا لكم
قديم العداوة بئس للظالمين بدلا ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم لم يحضروا خلق شيء من المخلوقات فضلا عن الاعانة في التاثير وكيف
يستحقون العبادة واشهاد خلق انفسهم اشهاد بعضهم خلق بعض كقوله ولا تلمزوا انفسكم
وما كنت متخذ المضلين عضدا ابليس وذريته وضع المضلين موضع الضمير ذما لهم
والعضد مظهر القوة استعمل في المعوان والنصير كاستعمال الظهر فان قلت الوصف بالاضلال
مشعر بعلية الاتفاء فيوهم جواز الاعتضاد بغير المضلين قلت الاعتضاد في الايجاد والخلق
محال دلت القواطع عليه واما في اظهار الدين والشرايع فلا مانع منه يا ايها الذين امنوا
كونوا انصار الله وينصرون الله ورسوله ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم
ابليس وذريته او من عبد من دون الله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم بل تبرؤا منهم وقالوا
ما كانوا ايانا يعبدون وجعلنا بينهم موبقا مكانا مهلكا يشتركون فيه يقال
المال بين زيد وعمرو واسم مكان من وبق هلك الموبقات كباير الذنوب وعن الحسن
عداوة في الشدة كالهلاك وعن الفراء البين الوصل اي جعلنا تواصلهم هلاكا وان

وان اريد بالشركاء الملائكة وعيسى وعزير فالموبق البرزخ البعيد الذي يهلك فيه الاشواط
لفرط بعده وفي المثل بلد يهلك فيه اشواط الرياح ورأى المجرمون النار راوها من مكان
بعيد لها تغيظا وزفيرا فظنوا انهم مواقعوها ايقنوا ولا يقين اجلى منه او ظنوا مع بعدها
انها تاخذهم في الحال لشدة خوفهم ولم يجدوا عنها مصرفا مكانا يعدلون اليه ولقد
صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل كررنا كل معنى في الحسن مثل يضرب به وتقديم
القرآن على الناس في هذه السورة خاصة دون سايرها للاهتمام لان السورة مصدرة به وكان
الانسان اكثر شيء جدلا مراء بالباطل وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
طرقه وفاطمة وهما في الفراش فقال الا تصليان قلت ان نفوسنا بيد الله متى شاء ردها الينا
فضرب بيده على فخذه ثم قرا وهو مول وكان الانسان اكثر شيء جدلا وما منع الناس
ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى هو القرآن او من اتى به ويستغفروا ربهم لذنوبهم السالفة
الا ان تاتيهم سنة الاولين وهو هلاك الاستيصال اذ لم يبق لهم عذر او ياتيهم
العذاب قبلا معاينة اي عذاب الاخرة وقرا الكوفيون بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل
بمعنى انواع والمختار الكسر بخفة وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين
ويجادل الذين كفروا بالباطل عنادا باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات ليدحضوا به الحق
ليزيلوه من ادحض القدم ازلقها والدحض المكان الزلق وفي الحديث دون جسر جهنم طريق
ذو دحض واتخذوا اياتي معجزاتي التي صدقت بها رسلي وما انذروا والذي انذروا به هزوا
مهزوا به وقرا حمزة باسكان الزاء والباقون بالضم وهما لغتان وابدل حفص الهمزة واوا كذا حمزة وقفا
ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها لا اظلم منه لانه كفر بعد ظهور الحق مع كونه لا
عليه ونسي ما قدمت يداه من المعاصي وكان عليه ان يبادر الى قبولها لانه يذهب
الذنوب بها قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف انا جعلنا على قلوبهم اكنة
علة للاعراض اذ لا قصور في تلك الايات ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم
وقرا يمنعهم عن استماع الحق وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا لسد طرق
الادراك عليهم اذا جواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير سوال كانه قال ما لي لا ادعوهم
وجزاء لكونهم مطبوعا على قلوبهم فدعوتهم لا تنجع وربك الغفور ذو الرحمة
الواسعة لو يؤاخذهم بما كسبوا من الكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب اي عذاب
الاستيصال تعليل لامهالهم بعد ما تحقق من اهل النار بل لهم موعد لا بد من
مجيئه فالتاخير لذلك الوعد لا للاهمال يحل يوم بدر او يوم القيمة وتلك القرى
قرى عاد وثمود واصحاب الايكة اشار اليها لانهم شاهدوها اهلكناهم
خبر تلك لما ظلموا كذبوا الرسل ككفر قريش وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم مصدر
مضاف الى المفعول او لوقت اهلاكهم اسم زمان وقرا عاصم في رواية ابي بكر بفتح اللام
والميم مصدر هلك او اسم زمان وفي رواية حفص بكسر اللام مصدرا او اسم زمان على غير
القياس كالمرجع والمحيا وقراءة الجمهور لقوله اهلكناهم واذ قال موسى لفتاه اذكر وقت
قول موسى لفتاه يوشع بن نون اورد قصة موسى مع الخضر وان لم يسالوا عنها استظهارا لصدق
دعواه النبوة ودلالة على جهل اليهود الذين امتحنوه فان موسى نبيهم وقصة هذه اعظم و
قايعه وهم لا يعرفونها وقصة على ما رواه البخاري عن سعيد بن جبير قال كنا عند ابن عباس
في بيته اذ قال سلوني قلت اي ابا عباس جعلني الله فداك بالكوفة رجل قاص يقال له
نوف يزعم ان موسى ليس موسى بني اسرائيل انما هو موسى آخر فقال ابن عباس كذب عدو الله
حدثني ابي بن كعب انه سمع رسول الله يقول ذكر موسى يوما وفي رواية قام خطيبا
في بني اسرائيل حتى فاضت العيون ورقت القلوب فقال رجل اي رسول الله هل في الارض

رجل اعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم عليه فقال بلى لي عبد بمجمع البحرين
هو اعلم منك فسأل السبيل الى لقيه فقال احمل حوتا في مكتل فحيث فقدت الحوت فهو ثمه فقال
موسى لفتاه لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت فقال ما كلفت كثيرا فانطلقا حتى
اتيا الى الصخرة فوضع موسى رأسه فنام وكان في اصل الصخرة عين الحيوة فاصاب الحوت
منها شئ فاضطرب وانسل من المكتل فسقط في البحر فامسك الله الجرية عن الحوت فصار
عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي فتاه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما
وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فقال
له فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره
فاتخذ سبيله في البحر عجبا قال موسى ذلك ما كنا نبغي ولم يجد موسى نصبا في سفره حتى
جاوز الصخرة فارتدا على اثارهما قصصا يقصان اثرهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل
مسجى ببرده وفي رواية كان على طنفسة خضراء على كبد البحر فسلم عليه موسى فقال له الخضر
واني بارضك السلام قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت
رشدا قال يا موسى انك على علم علمكه الله لا اعلمه وانا على علم علمنيه الله لا تعلمه انك لن
تستطيع معي صبرا قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسألني
عن شئ حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلموهم ان
يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم ووقع عصفور على البحر فاخذ من الماء بمنقاره فقال الخضر لموسى
ما علمي وعلمك وعلم الخلائق من علم الله الا بمقدار ما غمس هذا العصفور منقاره فلم
يفجأ موسى الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال موسى قوم حملونا بغير
نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن
تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا وكانت هذه
من موسى نسيانا ثم خرجا من السفينة يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب
مع الغلمان فاخذه فاقتلع رأسه فقال له موسى اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد
جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد من
الاولى قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا
فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها
جدارا يريد ان ينقض فاقامه الخضر وقال بيده هكذا فقام وكان مائلا فقال موسى
قوم ابوا ان يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك فقال رسول الله
وددنا لو صبر موسى حتى يقص الله علينا من امرهما **لا ابرح** لا ازال فحذف الخبر لدلالة حال السفر
عليه ولقوله **حتى ابلغ مجمع البحرين** لان الغاية تستدعي ما هي غاية له اي لا ابرح اسير او لا يبرح
سيري فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الفعل من الغيبة الى التكلم فاخرجه
ابلغ وليس الاسناد مجازيا كما توهم ويجوز ان يكون فعلا تاما اي لا ازول عما انا عليه من
السير فلا يستدعي خبرا **او امضي حقبا** ثمانين سنة فان ما بعدها ازول العمر او دهرا طويلا
فلما بلغا موسى وفتاه **مجمع بينهما** المكان الذي وعده الله وهو ملتقى بحر الروم وفارس
مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية من بلاد المغرب وتفسير البحرين بموسى والخضر باطل
نسيا حوتهما اي نسي تفقده الناسي فتاه واسناده الى موسى لادنى ملابسة **فاتخذ سبيله**
في البحر سربا طاقا مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ **فلما**
جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا اشارة الى سفرهم بعد فقد الحوت
لان قبل لم ينصب ولعل الحكمة ان ذلك كان في طلب العلم وهذا كان خاليا عن
الفايدة **قال فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت** اي تفقده **وما**

وما انسانيه الا الشيطان بوسواسه وقرأ حفص بضم الهاء مراعاة للاصل المرفوض **ان اذكره** بدل من
الضمير **واتخذ سبيله في البحر** من كلام فتاه **عجبا** مفعول مطلق اي فعجب موسى وفتاه
عجبا لما روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان البحر للحوت سربا ولموسى
وفتاه عجبا وقيل مفعول ثان لاتخذ اي اتخذ سبيله في البحر عجبا اي اتخاذا عجبا وقيل
هو قول موسى اي قال يا عجبا كيف نسيت بعد تلك المشاهدة وامساك الماء **قال**
ذلك ما كنا نبغ نريد حيوة الحوت فانه دليل المطلوب **فارتدا** رجعا في الطريق الذي
جاءا منه **على اثارهما قصصا** يتبعان اثارهما من قصصت الاثر اتبعته **فوجدا عبدا**
من عبادنا هو الخضر كما صرح به في الحديث **آتيناه رحمة من عندنا** نبوة ان كان
نبيا وكرامة ان لم يكن **وعلمناه من لدنا علما** مختصا بنا لا يمكن الوصول اليه بالاكتساب
قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمني على هذا الشرط وانما لم يجزم القول
مراعاة للادب مع المعلم لئلا يكون متحكما عليه **مما علمت رشدا** علما ذا رشد وقرأ ابو عمرو
بفتح الراء والشين وهي كالبخل والبخل **قال انك لن تستطيع معي صبرا** لاني اركب ما لا يوافق
شرعك **وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا** الخبر علم الباطن فلما التقيا صدق الخبر نصب
على التمييز او على المصدر لان الاحاطة بمعنى الخبرة **قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا**
اعصي لك امرا عطف على صابرا لانه في تأويل المفرد اي غير عاص او على ستجدني
مقولا للقول وانما علق بالمشية لان افعال العباد بمشية الله تعالى او تمني اشارة الى ان
الصبر على ما يخالف الحق بظاهره وان كان في نفسه حسنا جميلا في غاية الصعوبة
قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ تنكره ويخفى عليك سببه **حتى احدث لك منه ذكرا**
حتى اكون انا البادي فان المعلم ادرى بحال المتعلم من نفسه كالطبيب مع المريض ولذلك
قال رسول الله دعوني ما تركتكم فاذا امرتكم بشئ فاتوا منه ما استطعتم **فانطلقا**
على هذا الشرط **حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها** استفهام انكار
وقرأ حمزة والكسائي بياء الغيبة وفتح الراء ورفع اهلها والخطاب بضم التاء ابلغ انكارا
لقد جئت شيئا امرا عظيما من امر بكسر الميم عظم عظيم وكبر وفي حديث هرقل قال ابو سفيان
لقد امر امر ابن ابي كبشة يريد رسول الله **قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا** ذكره بما
اعتذر اليه **قال لا تؤاخذني بما نسيت** بالذي نسيته فان النسيان لا يعاب عليه
نسيت والنسيان معتذر فان اول ناس اول الناسي **ولا ترهقني من امري** شأني **عسرا**
بالمضايقة وتكليف ما لا يطاق مفعول ثان يقال رهقه بالكسر اذا غشيه وارهقه اذا اغشاه
فانطلقا بعد الخروج من السفينة **حتى اذا لقيا غلاما فقتله** بان اقتلع رأسه كما سبق
وقيل ذبحه وقيل ضرب رأسه في الحائط قيل كان اسمه جيسون **قال اقتلت نفسا زكية**
بغير نفس وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو زاكية وهما لغتان والتشديد ابلغ وعن الزيدي
الزاكية التي لم تذنب البتة والزكية التي لم تذنب قط فتخلقت والرسم مختلف **لقد جئت**
شيئا نكرا ذا نكر مبالغ في الانكار وهذا اشد من الاول ولذلك **قال الم اقل انك لن**
تستطيع معي صبرا زيادة لك مكافحة بالعتاب على قلة الثبات بعد تقدم الوصية
ووقوع المخالفة عن قريب قرأ نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان وعاصم في رواية
ابي بكر بضم كاف نكرا والباقون بالاسكان وهما لغتان **قال ان سألتك عن شئ**
بعدها بعد هذه الواقعة **فلا تصاحبني** وان سألت صحبتك **قد بلغت من لدني**
عذرا تعذرت بمفارقتك وقرأ نافع وابو بكر بنون مخففة لان اصل لدن
تحركت نونه الساكنة بالكسر واشم ابو بكر الدال الساكنة ضمة اشارة الى الاصل
فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل الايلة قيل هي ابعد ارض

من السما وقيل برقة وقيل ارض برتر وقيل جروان وقيل ماخروان استطعما
اهلها طلبا طعاما في الحديث اهل قرية لياما بخلا فابوا ان يضيفوهما
يقال ضافه نزل به ضيفا من ضاف السهم اذا مال وضيفه انزله ضيفا فوجدا فيها جدارا
يريد ان ينقض مشرفا على السقوط من النقض وهو الكسر استعارة تبعية كقوله انذهر
يلف شملي بسعدى لزمان يهم الاحسان فاقامه بان اشار اليه بيده من غير مباشرة و
علاج قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا لاحتياجنا وعدم استحقاقهم الاكرام بالتبرع و
قرا ابن كثير وابو عمرو لتخذت عليه تخذ مرادف اخذ وهي لغة هذيل قال شاعرهم
وقد تخذت رجلي لدى جنب غرزها وقراءة الجمهور افصح وابلغ قال هذا فراق
بيني وبينك اشارة الى الفراق الموعود او الى وقته او الاعتراض والبين الوصل اي
هذا وقت فراق المواصلة او ظرف بمعنى الوسط اضيف اليه المصدر اتساعا وقرئ
سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا تلك الوقايع الثلث اما السفينة فكانت لمسا
كين يعملون في البحر قيل كانوا عشرة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر استدل به على
ان المسكين تطلق على من يملك شيئا وقيل سماهم مساكين لزمانتهم وعدم القدرة
على دفع الملك فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك اما بهم او خلفهم وكان طريقهم
في الرجوع عليه ياخذ كل سفينة غصبا كل سفينة سالمة لدلالة الكلام عليه وكان
الظاهر تقديمه على ارادة العيب لانه مسبب عنه وعن كون الملاك مساكين لكن لما كان
مسكنة الملاك هو اقوى الجزئين رتب عليه المسبب المعتنى بشانه تنبيها على انه في التامل
ما بدل الاخر ثم اردفه به على سبيل التتميم اذ عسى ان تهتدي اليه الخاطر واما الغلام فكان
ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا لنعمتهما لانه كان كافرا فيوجب حب الابوين
والرفق على الدخول فيما هو فيه كذا عن سعيد بن جبير وابن جريج وعن مقاتل والكلبي
كان غلاما طاغيا يقتل ويسرق وكان ابواه في عز وشرف فاذا طولب بجنايته يحلف
ابواه انه لم يفعل وقيل فخشينا حكاية قوله تعالى والخشية بمعنى الكراهة وكان سوال موسى
ومخاطبته مع الله والخضر واسطة ولا يخفى بعده وكذا ما قيل فخشينا ان يجتمع مؤمنان وكافر
في بيت واحد فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة طهارة ونقا من الذنوب وقرا نافع
وابو عمرو يبدلهما بالتشديد وهو ابلغ واكثر في القران واقرب رحما الرحم الرحمة و
العطف وقرا ابن عامر بسكون الحاء وهما لغتان روي انه ولدت لهما جارية فتزوجها
نبي فولدت نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم وقيل سبعين نبيا وقيل ولد لهما
ابن مؤمن واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم وكان
تحته كنز لهما هو مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه
عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن
يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن
يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا
اشارة الى علة الحفظ وعن جعفر الصادق رضي الله عنه كان بين الغلامين وبين
الاب الصالح سبعة اباء قيل جرى بين حسين بن علي وبين بعض الخوارج كلام فقال
الحسين بم حفظ الكنز للغلامين قال بصلاح ابيهما فقال له وجدي خير منه
فاراد ربك ان يبلغا اشدهما غاية القوة وهو ما بين ثمانية عشرة الى ثلثين
مفرد وعن سيبويه جمع شدة ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مفعول له او مصدر
منصوب باراد لانه في معنى رحمهما وقد راعى في المقالات الثلث ما يليق
فان خرق السفينة لما كان واقعا بمباشرته اسنده الى نفسه وابدال الغلام

بما هو خير منه كان بقتله وايجاد الله اسند الارادة الى نفسه والى الله وبلوغ الغلامين
وحفظ الكنز لهما لم يكن له في ذلك مدخل اسنده اليه تعالى وقيل هو باعتبار حال العارف
في النظر الى الوسايط وارتفاعها وما فعلته ما رايته عن امري صادرا عن شاني بل بامر الله
ذلك المذكور من الحكم الخفية تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اصله تستطع حذف التا تخفيفا و
اختص به دون الاول لانه اخر فتدل الاختصار على الاقصار وهذا من غامض اسرار كلامه
تعالى وسياتي في اخر الشعراء نظيره وقد اشتملت القصة على جمل من الاداب وهي ان العالم وان كان
فريدا في زمانه لا يعجب بعلمه اذ ربما يكون اعلم منه وفي المثل في الزوايا خبايا وان لا يبادر الى
انكار ما لا يستحسن اذ ربما كان فيه سر لم يطلع عليه ويراعي الادب مع المعلم ولا يبادر بالسوال
واذا راى خلاف الشرع ينكره وان كان من صدر عنه اجل منه ويعفو عن صاحب الجريمة اذا
رجع واعتذر فان قلت موسى كان اعظم رتبة ام الخضر قلت بل موسى فانه من اولي العزم
والخضر مختلف في نبوته ولا يقدح في ذلك اتباعه اياه في جزئيات لم يتوقف عليها شرعيته
وكم من مسئلة استفادها ابو بكر وعمر من اصاغر الصحابة فان قلت ما تقول في الخضر هل
هو حي ام لا قلت العلم عند الله في ذلك اذ لم يرد نص يدل على حيوته وموته ارباب القلوب
واصحاب الكشوف متفقون على حيوته اكثرهم يخبر عن الاجتماع به رزقنا الله الوصول الى
ذلك ويسئلونك عن ذي القرنين ثالث القصص التي امتحنه اليهود بها وذو القرنين
هذا كان نبيا او وليا وليس قاتل دارا فانه كافر فلسفي تلميذ لارسطاليس كان في زمن
ابراهيم وانما سمي بذي القرنين لانه ملك المشرق والمغرب وقيل لانه راى في نومه كانه
اخذ بقرني الشمس وقيل كان في راسه شبه القرنين وقيل كان له ضفيرتان وقيل كان لتاجه
قرنان وسال ابن الكوا علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال كان عبدا صالحا احبه الله فاحبه
ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله ثم ضرب على قرنه الايسر فسمي ذا القرنين
وفيكم مثله يريد نفسه فانه ضرب على قرن راسه يوم الخندق وضرب على قرنه الاخر ابن ملجم لعنه الله
او اراد انه يحب الله ويحبه وهو الظاهر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لاعطين الراية غدا
رجلا يحب الله ورسوله ويحبهما قل سأتلو عليكم منه من شانه وحاله ذكرا قرانا
او ما يذكر على وجه الزمان الى اخر الدهر لعدم اختلاله انا مكنا له في الارض جعلنا متمكنا
يتصرف فيها بلا مانع قيل ملك بسيط الارض مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران
نمرود والضحاك واتيناه من كل شيء سببا ما يتوصل به الى مقصوده من علم
وقدرة وساير الالات فاتبع سببا اراد سفر المغرب فاتبع طريقا يوصله اليه وقرا
الكوفيون وابن عامر اتبع من الافعال معدى الى مفعول كقوله فاتبعه شهاب او احد المفعولين
محذوف اي امره او سببا سببا والافتعال ابلغ مع عدم الحذف حتى اذا بلغ مغرب الشمس
وجدها تغرب في عين حمئة ذات حماة وهي الطين الاسود قال الزبيدي قرا معاوية
في عين حامية فقال ابن عباس رضي الله عنه حمئة فقال لابن عمر كيف تقرا فقال
حمئة فارسل الى كعب الاحبار كيف تجدها في التورية قال تغرب في ناط وهو الحماة وقد الم
تبع في شعره بصفة ذي القرنين فراى مغار الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثاط حرمد و
قرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية من حمي كرضي اي في عين حارة وعن
ابي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم عند غروب الشمس فقال لي هل تدري
اين تغرب الشمس قلت الله ورسوله اعلم قال انها تغرب في عين حامية وعن ابن
عمران رسول الله نظر الى الشمس حين غابت فقال في نار الله الحامية لولا ما يزعها
من امر الله لاحرقت ما على الارض ولا تنافي لامكان الوصفين ووجد عندها قوما
كفارا لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظ البحر قلنا يا ذا القرنين نداؤه

والحديث الذي ورد لو كان حيا لزارني موضوع منه

ذكر في الكشاف بدل الضحاك بخت نصر وليس
بصحيح لان بخت نصر كان عاملا على بابل
من جهة لهراسف منه

ان كان بلا واسطة وهو الظاهر فهو نبي والا فبالهام او لسان نبي اما ان تعذب واما
ان تتخذ فيهم حسنا خيره بين القتل والدعوة الى الاسلام قال اما من ظلم بالاستمرار
على الكفر فسوف نعذبه بالقتل ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا عذاب النار
التي لم يعهد مثله واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى حسنات اعماله او الكلمة
الحسنى وهي كلمة الايمان وقرأ حمزة والكسائي وحفص جزاء منصوبا منونا موكدا على
المصدر او الحال من الفاعل او المفعول او تمييزا وسنقول له من امرنا يسرا
ذا يسر وسهولة لا مشقة فيه ويجوز ان يكون التخيير بين القتل والاسر واتخاذ الحسنى ابقاء
ارواحهم وعلى هذا جوابه من الاسلوب الحكيم لانه تعرض للايمان الذي خلا عنه التخيير
وعلى الوجهين راعى تقديم ما من الله على ما منه ثم اتبع سببا طريقا موصلا الى
المشرق وفي لفظ ثم اشارة الى انه انما توجه بعد تمهيد جانب الغرب وضبط احواله
حتى اذا بلغ مطلع الشمس الموضع الذي تطلع عليه الشمس اولا من معمورة الارض
وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قيل ارضهم لا يمسك البناء لهم اسراب
يدخلونها عند طلوع الشمس فانهم لا يقفون على حرها فاذا ارتفعت خرجوا و
ترددوا في امر المعاش روي ان رجلين وصلا اليهم وهم وراء الصين فاذا احدهم
يفرش احدى الاذنين ويتغطى بالاخرى وقيل الستر اللباس وقد شاهدنا نحن ببلاد
مصر ما يجلب من السودان لا لبس لهم اصلا بل في طريق البحار خلق كثير كذلك
امر ذي القرنين كما ذكر في القوة ورفعة الشان او بلغ مطلع الشمس كما بلغ مغربها او مثل
ذلك القوم الذين تغرب عليهم الشمس في الكفر والضلال وقد احطنا بما لديه خبرا
زيادة تعظيم لامره على الاول وانه فوق ما وصف له اسباب لا يحيط بها الا علم
اللطيف الخبير وعلى الثاني تعظيم للاسباب الموصلة الى ذلك المكان الشاسع الذي
لم يصل اليه احد قبله وعلى الثالث تتميم يوكد انه سن بهم ما سن باولئك الذين عند مغرب
الشمس ثم اتبع سببا طريقا الى صوب الشمال حتى اذا بلغ بين السدين وهما
الجبلان اللذان بني السد بينهما قيل هما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل بمنقطع ارض
الترك من ورائهما ياجوج وماجوج وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحفص بضم السين وهما لغتان
وعن ابي عبيد الضم لفعل الخالق والفتح لفعل المخلوق ويتعارضان وبه اتقام وجد من دونهما
قوما لا يكادون يفقهون قولا لفرط جهلهم وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر
القاف اي لا يكادون افهام الغير لغرابة لغتهم قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج و
ماجوج مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه
ولا يابسا الا احتملوه. ارضها طايفتان عظيمتان وراء السد روي انه
لا يموت احدهم حتى يولد له الف نفس وهما من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك
وماجوج من الجيل او الديلم وقيل ياجوج الذكران وماجوج الاناث وهما اسمان
عجميان كهاروت وماروت وعن الاخفش انهما عربيان من همز وهو عاصم جعل الالف
اصلا فياجوج يفعول وماجوج مفعول ماخوذ من اجيج النار ومن لم يهمز جعل الالف
زايدة فياجوج من يجج وماجوج من مجج وعدم الانصراف للعلمية والتانيث
فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا بجريبا وقرأ حمزة والكسائي نجعل لك خراجا
والخراج واحد كالنول والنوال والحصد والحصاد وقيل الخرج الجعل والخراج ما يضرب
على الارض وقيل الخرج مصدر والخراج اسم وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك
وقيل الخراج اعم بناء على ان زيادة البناء لزيادة المعنى هذا وكل منهما يستعمل في
موضع الاخر قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير
مما تبذلون لي وقرأ ابن كثير مكنني بالاظهار اعتبارا للاصل لان نون الوقاية

الوقاية كلمة مستقلة وعليه رسم المصحف المكي وعلى الادغام ساير الرسوم فاعينوني بقوة
من الصناع والالات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا موثقا من قولهم ثوب مردم
اي رقاع فوق رقاع واردمت الحمى دامت اتوني زبر الحديد قطع الحديد واحدها زبرة
وهي القطعة الكبيرة من الزبر وهو القوي الشديد وهذا لا ينافي رد الخراج لان الايتاء بمعنى
المناولة او بمعنى الاتيان كقوله اتيناه غداءنا دل عليه قراءة ابي بكر ايتوني بهمزة الوصل
حتى اذا ساوى بين الصدفين بين راسي الجبلين صدف الشي اعلاه ولا يقال
الا اذا قابله مثله وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضم الصاد والدال وابو بكر بضم الصاد
واسكان الدال والباقون بفتحهما والفتح لغة الحجاز الافصح قال انفخوا في الاكوار والحديد
حتى اذا جعله نارا كالنار قال اتوني افرغ عليه قطرا نحاسا مذابا سمي به لانه يقطر
وقد حذف مفعول الاول لدلالة الثاني عليه ولم يعكس والاضمار في الثاني على ما هو
المختار وقرأ حمزة بهمزة الوصل ولابي بكر وجهان قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل
الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى
سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب
على الحديد فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا لا يقدرون عليه قيل بناه من
الصخر شبيه بالسدين بابه فرسخ فما اسطاعوا ان يظهروه لغاية علوه وما استطاعوا له نقبا لغاية
صلابته وثخانته وقرأ حمزة فما اسطاعوا بالادغام اصله استطاعوا مع التقاء الساكنين
اجراء للوصل مجرى الوقف روما للخفة قال هذا الردم رحمة من ربي على عباده ليس لي عليكم منه
فاذا جاء وعد ربي وقت خروج ياجوج وماجوج جعله دكا مدكوكا من دككت
الشي كسرته وساويته بالارض وقرأ الكوفيون دكاء فعلاء اي ارضا مستوية وعن العراق
مصدران كالياس والياسا وكان وعد ربي حقا ثابتا لا محالة وتركنا بعضهم
يومئذ يموج في بعض اي وقت مجي الوعد جعلنا ياجوج وماجوج يموجون مختلطين
من ماج البحر اضطرب وعن ابن عباس ماج الانس والجن يؤيده ونفخ في الصور فجمعنا
هم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا فشاهدوها ورات
الجحيم لمن يرى الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري اي عن النظر في الايات
المثبوتة في الافاق والانفس لتؤديهم الى ذكري بالجميل او الذكر هو القران والاعين
البصاير والغطاء التغافل والاعراض عن التامل فيه وكانوا لا يستطيعون سمعا
كناية عن غاية الاعراض ابلغ من قوله صم لان الاصم اذا صيح به يسمع وهولاء سلب عنهم
الاقتدار افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء عطف على كانت والمعنى
ابعد ذلك التعامي والتصام يعتقدون ان ولاية الملائكة وعيسى نافعة لهم ووضع المظهر
موضع المضمر دلالة على ان منشا ذلك الحسبان هو الكفر وقد نسب الى ابي بكر وهي قراءة علي رضي الله
عنه افحسب الذين كفروا ايكون الساترين والمعنى انكافيهم ذلك عدة لهم من دون ساير العقايد
وعلى هذا ان مع ما في خبره فاعل النعت انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا طعام يهيا للضيف
اذا نزل تهكم واشارة الى ان بعده عذاب يستحقر هذا دونه وعن الزجاج هو المنزل والماوى
قل هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا تمييز جمع للدلالة على الانواع وان كل نوع كاف لزيادة
خسرانهم وقد روى البخاري عن مصعب بن الزبير قال سالت ابي عنهم اهم الحرورية قال لا هم
اليهود والنصارى الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل خبر مبتدا محذوف لانه جواب
سوال او نعت للاخسرين والجواب اولئك وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا باتعاب
انفسهم في انواع العبادات مع فوات شرايطها اولئك الذين كفروا بايات ربهم
بالقران وما فيه من دلايل التوحيد والنبوة مستانف جار مجرى التعليل ولقايه لعدم

اعتقادهم بالبعث حبطت اعمالهم سقطت ولم يعتد بها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا نجعل

لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا لعملهم اذ ليس لسيئاتهم مقابل بخلاف الموحد وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال يؤتى برجل من امتي فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد بصره ثم يقول الله هل ظلمك

الحفظة فيقول لا يارب فيقول هل لك عذر فيقول لا يارب فيقول ان لك عندنا امانة فتخرج له

بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه

السجلات فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات فلا يثقل مع اسم الله شيء

او هو كناية عن الازدراء بهم يقال ليس لفلان عند الملك وزن اي مقدار وعن ابي هريرة رضي

الله عنه انه ليأتي الرجل العظيم يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة فاقرؤا ان شئتم فلا

نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك اي الامر ذلك جزاؤهم جهنم مبتدأ وخبر او ذلك مبتدأ

وجزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان او ذلك مبتدأ والجملة خبر والعايد محذوف اي به اولا

بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا سخروا بهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت

لهم جنات الفردوس نزلا هو اوسط الجنة روى مسلم والبخاري ان رسول الله قال اذا سألتم الله

فسلوه الفردوس فانه اوسط الجنة ومنه تتفجر انهار الجنة وهو كلمة رومية خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها

حولا لانقطاع الاماني فلا مطلب بعده قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي المداد اسم لكل ما يمد به والمراد هنا

ما يمد به الدواة لنفد البحر جنس البحر بجملته يتوهم منه شيء قبل ان تنفد كلمات ربي لا تنفد ابدا لان

هناك نفادا محققا او مقدرا على ما يتوهم من معنى القبلية وانما عدل اليه في المنزل للمزاوجة

وان ما لا ينفد عند العقول العامية ينفد دون نفادها وقرأ حمزة والكسائي ينفد

بالتذكير والتأنيث هو المختار لعدم الفصل ولو جئنا بمثله مددا عونا اذ لا نسبة للمتناهي

الى غيره قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لا افوقكم الا بذلك دفع لطعنهم

لما ابطأ في جواب السؤال الذي هو سبب نزول السورة فمن كان يرجو لقاء ربه رؤيته

او ثواب الطاعة عند العرض فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا لا يرائي بعمله روى

البخاري وابن ماجة واحمد بن حنبل ان رسول الله قال اذا جمع الله الناس يوم القيمة

نادى مناد من كان اشرك في عمل الله فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله اغنى الشركاء

واما ان احمده الناس من غير رياء فلا عليه لما روى مسلم عن ابي ذر انه قيل يا رسول الله

ارأيت الرجل يعمل الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن تمت

والحمد لله كما افضاله والصلوة على محمد وصحبه واله ما طلع القمر ببرائه واله

سورة مريم مكية وهي ثمان وتسعون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص اسم السورة او حروف التهجي ايقاظا وقرعا واماله

ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي يا من هذه الحروف والسوسي في وجه واماله ابو عمرو وابو

بكر والكسائي ها واماله نافع الف ها ويا امالة بين بين لان هذه الحروف اسماء واصل الفها

اليا بدليل الانقلاب في التثنية ذكر رحمة ربك خبر مبتدأ محذوف اي فيما يتلى عليك

او خبر ما قبله ان جعل اسم السورة عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعل على الاتساع

ذكر في جوهر بدر زكريا بدل او عطف بيان قرأ حمزة والكسائي وحفص بحذف الهمز مقصورا

وهي لغة اذ نادى ربه نداء خفيا لان الخفاء والجهر عند الله سيان ولانه يشعر بالضعف المناسب

للاجابة ولانه ادخل في الاخلاص او لئلا يلام على طلب الولد في ابان الكبر او لانه خاف من مواليه

الذين خافهم من ورائه فاستتره فان قلت النداء رفع الصوت فكيف يستقيم فيه الاخفاء قلت

النداء ممدود او مطلق الصوت والذي هو مقيد برفع مقصور قيل نادى وسنه خمس و

خمس وستون سنة وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون قال رب اني وهن

العظم مني خصه بالذكر لانه عمود البدن واشد ما تركب منه الجسد فاذا وهن كان

ساير اجزائه وهن وافرده لان الغرض ان هذا الجنس مع صلابته وشدته تطرق اليه

الوهن ولو جمع لكان المعنى ان الوهن قد اصاب كل فرد منه لا بعضا وليس هو بصدد بيان

ذلك لانه قصد الاستغراق وهو في المفرد اشمل فانه مع كونه ليس بغرض غير مسلم في المعرف

واشتعل الرأس شيبا شبه انتشار الشيب في الرأس باشتعال النار في الحطب والجامع

النشو والظهور ثم اخرجه في صورة الاستعارة مبالغة والقرينة اسناد الاشتعال الى الرأس

او شبه الشيب بالنار والوجه الانبساط فالاستعارة مكنية والاشتعال تخييل وانما اطنب لان

مقام اظهار العجز يقتضيه ولولا ذلك لكفى ان يقول رب شخت ولم اكن بدعائك رب

شقيا قط فيما سلف وطلب الولد من مثلي وان لم يكن معتادا متعارفا ولكن جودك

واجابتك دعوتي متعارف مستمر وقف سائل على كريم فقال له من انت قال انا الذي احسنت

اليه وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل الينا بنا واني خفت الموالي من ورائي مواليه

بنو عمه كانوا شرار بني اسرائيل فخاف ان يبدلوا بعده والجار يتعلق بمعنى الولاية في الموالي لا بخفت

لفساد المعنى وكانت امرأتي عاقرا فيما مضى لا يلد فهب لي من لدنك من كمال قدرتك

التي تخترع بها الاشياء وان لم يكن حصول الولد من العاقر والشيخ متعارفا وليا ولدا من

صلبي لقوله من لدنك ذرية طيبة يرثني ويرث من ال يعقوب وقرأ ابو عمرو و

الكسائي بالجزم على انه جواب الامر والرفع على الوصف لموت زكريا قبل يحيى على الاكثر

او على التقييد بظنه كما في قوله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن في جواب ذي اليدين اقصرت

الصلوة ام نسيت مع انه كان نابيا والحمل على الاستيناف علل للسؤال غير داخل في المسؤول بعيد

والوراثة النبوة والعلم لا المال لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبيا لا نورث ويعقوب

هو اسرائيل بن اسحق اراد بالارث من اله الملك او العلم والنبوة من للتبعيض لان اله ليسوا كلهم

انبيا ولا علماء وقيل يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب وعمران ابو مريم اخوان

من نسل سليمان واجعله رب رضيا مرضيا عندك او راضيا بقضائك وقدرك يا

زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى سماه الله باسم غريب من عنده تشريفا له والبشارة على لسان الملا

يكة لقوله فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك لم نجعل له من قبل

سميا لم يسم قبله احد بهذا الاسم وكذلك رسول الله لم يسم احد قبله محمدا وقيل لم نجعل

له من قبل شبيها كقوله هل تعلم له سميا قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد

بلغت من الكبر عتيا استبعد عادة وان كان موقنا بان الله قادر على ذلك او الاستبعاد

ليس راجعا اليه بل الى غيره فاذا اجيب بما اجيب ازداد المؤمنون ايقانا والمبطلون ارتداعا

وعن الحسن ليس هناك استبعاد بل انما سأل كيفية الحصول اهو على تلك الحالة او بعد عود

الشباب يؤيده قوله واصلحنا له زوجه والعتي نهاية السن من عتا الشيخ اذا كبر وولى اصله

عتو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين فكسروا التاء فقلبت الواو الاولى ياء لكسرة ما قبلها

فاجتمعت الواو والياء وسبقت احدهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء

وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر العين على الاتباع وهو اخف والمختار لاتفاقهم

في عصيهم قال كذلك اي الامر على ما ذكرت قال ربك هو علي هين وان كان

مستبعدا عادة ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب مفعول قال الثاني وهو مع قوله

مفعول الاول وقوله هو علي هين مفسر لما اشار اليه بذلك والخطاب لزكريا القول وقد

خلقتك من قبل ولم تك شيئا قط او شيئا يعتد به كقول ابي الطيب اذا رأى غير شيء

ظنه رجلا وهذا اعجاز شايع فلا يدل على كون المعدوم ليس بشيء وقرأ حمزة والكسائي

خلقتك قال رب اجعل لي آية علامة تدل على وقوع المبشر به لتشمر على القيام بشكره
قال آيتك ألا تكلم الناس ثلث ليال مع أيامها لقوله في آل عمران ثلثة أيام سويا
ليس بك آفة من خرس سأل الآية ليقوم بالشكر فسلب قدرة الكلام مع الناس لئلا يشوب
بذكر الله غيره فخرج على قومه من المحراب من مصلاه حين اعتقل لسانه فأوحى إليهم
أشار إليهم لقوله إلا رمزا وعن ابن عباس كتب على الأرض أن سبحوا بكرة وعشيا صلوا
أو نزهوا في الوقتين كأنهم أمر وان يوافقوه في العبادة أن مفسرة لأن الوحي
فيه معنى القول يا يحيى خذ الكتاب بقوة أي قلنا له بعد ولادته وبلوغه حد الفهم و
الكتاب هو التورية وآتيناه الحكم صبيا العلم والعقل وفي الحديث الصحيح حكم قيل دعاه
أترابه إلى اللعب فقال ما للعب خلقنا أو النبوة أحكم الله عقله وأرسله إلى الناس وحنانا
من لدنا رحمة وبركة على الناس يتبركون به لما رأى ورقة بن نوفل بلالا يعذب قال
والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا أراد اتخاذ قبره مزارا وزكوة صدقة على أبويه أو يزكو به
الناس ويطهرون من الذنوب أو جعلناه زكيا طاهرا من قبيل رجل عدل روى ابن
جرير وأحمد بن حنبل عن ابن عباس ما من أحد إلا وعمل سيئة أو هم بها إلا يحيى بن
زكريا وكان تقيا شديد التقى وبرا بوالديه شديد البر بهما ولم يكن
جبارا عصيا عاليا يجبر الناس على مراده نفى صريحا ما علم ضمنا مبالغة في وصفه وإيثار
عصيا على عاصيا مع كونه أوفق مراعاة لرؤس الآي وسلام عليه يوم ولد ويوم
يموت ويوم يبعث حيا سلام عليه وإخبار بأن خاتمته على وفق فطرته التي يولد عليها
كل مولود وعن ابن عيينة خصها بالذكر لأنها أوحش المواطن واذكر في الكتاب
مريم ابنة عمران إذ انتبذت اعتزلت غير مبالية بنفسها من النبذ وهو الطرح وإنما
تبع قصة زكريا بقصتها لأنها أغرب ترقيا من أهلها مكانا شرقيا شرقي بيت
المقدس أو شرقي دارها وعن ابن عباس لذلك اتخذت النصارى المشرق قبلة
فاتخذت من دونهم حجابا حائطا أو نحوه كان موضعها المسجد فإذا حاضت انتقلت
إلى بيت خالتها فإذا طهرت عادت إلى المسجد فأرسلنا إليها روحنا جبرئيل لأنه الآتي
بالوحي الذي هو سبب الحيوة الأبدية فتمثل لها بشرا سويا تام الخلق قيل
جاء في صورة أمرد وضيء الوجه جعد الشعر إذ لو بدا لها في صورته لم تقدر على سماع كلامه
وقيل لتحرك شهوتها فتحدر إلى الرحم قالت إني أعوذ بالرحمن منك آثرت اسم
الرحمن وله موقع لا يخفى إن كنت تقيا فإن التقوى هي الملاك في مثل ذلك المقام
وإيثار إن لبعد الرجاء مع التعرض والدخول عليها في خلوة بعيدة عن الناس من غير إذن
قال إنما أنا رسول ربك الذي استعذت به لأهب لك غلاما حيث لا كون
سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وقرأ أبو عمرو وورش وقالون في وجه ليهب لك
بالياء مسندا إلى المضاف وعليه رسم المصاحف فإن قلت قد ذكر في آل عمران
أن الملائكة بشروها بغلام اسمه المسيح وههنا ذكر أن المباشر لذلك هو جبرائيل وحده
قلت كلام الملائكة والبشارة به مع ذكره باسمه ولقبه إنما كان بعد قصة جبرئيل و
لذلك اقتصرت على الاستبعاد هناك ولم تستوعب الكلام بذكر البغي وما جرى
بينهما وبين القوم من المحاورة زكيا طاهرا من الذنوب ونامیا على الخير والصلاح
قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ربما لنكاح فإن السفاح لا يكنى عنه
ولذلك أردفت بقولها ولم أك بغيا فعول إذ لو كان فعيلا لقيل بغية وحمل على المبالغة
تشبيها بفعول أو على النسب كطالق وحائض بكلف قال كذلك قال ربك هو علي
هين قد سبق تقريره ولنجعله آية للناس معلل بمحذوف أي فعلنا ذلك

اوله
وضاقت الارض حتى كان
هذا لهم سلم الله منه

ذلك وهو مع العلة معطوف على قوله هو علي هين وفي إيثار الاولى اسمية دلالة على
لزوم الهون إزالة للاستبعاد قيل أو عطف على مضمر أي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية وفيه
تطويل بلا طائل ورحمة منا على العباد بإرساله وكان أمرا مقضيا لا محالة
لسبق العلم به أو حقيقيا بأن يكون لكونه آية من آيات الله فهو من تتمة العلة فحملته بأن نفخ
في الدرع لقوله فنفخنا فيه من روحنا فانتبذت به حاملة به كقوله تدوس بنا الجماجم و
الترابا مكانا قصيا بعيدا من أهلها قيل كان لها ابن عم يسمى يوسف وقد سمته فلما
ظهر الحمل عليها هرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بقتلها فأتاه جبرئيل فقال
إنه من روح القدس إياك أن تفعل فانثنى عزمه فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ألجأها وضع
الولادة قال الفراء أصله المجيء وقد جعلته العرب الإلجاء قال زهير وجار سار معتمدا إليكم أجاءته
المخافة والرجاء والجذع ما بين العرق والغصن واللام للجنس أو العهد إذ لم يكن هناك
غيرها قيل كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة فاخضرت وأثمرت رطبا وهو خرسة
النفسا وشأن النخل أن لا يثمر بدون التلقيح وكان الوقت شتاء حتى إذا رأوا ذلك
ارتدعوا عن اتهامها وأيقنوا بأن شأنها في الولادة من غير زوج بشأن النخل من
غير تلقيح في غيرها وأن الثمر قالت يا ليتني مت قبل هذا حياء من الناس لا كراهة
لحكم الله قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر مت بضم الميم من مات يموت
وهو المختار الأكثر وكنت نسيا شيئا حقيرا شأنه أن ينسى وقيل مصدر سمي به وقرأ
حمزة وحفص بفتح النون قال الفراء هما لغتان ومعظم العرب على الكسر منسيا لحقارته
لا يخطر بالبال فناداها من تحتها من تحت ثياب مريم عيسى أو جبرئيل فإنه كان
بمثابة القابلة لها أو من مكان أسفل منها وعن قتادة الضمير للنخل وقرأ نافع وحمزة
والكسائي وحفص بكسر الميم وحفص تحتها وفي ناداها ضمير عيسى أو جبرئيل والفتح هو
المختار لخفته وإغنائه عن الإضمار ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا [illegible] هو عيسى
من سرو الرجل يسرو في حديث شام زرع تزوجت سريا أي سخيا وجدولا ويؤيده قوله
أميلي إليك والباء صلة للتوكيد أو على معنى النهر كقوله يجرح في عراقيبها نصلي وهزي
إليك بجذع النخلة أميلي إليك والباء صلة للتوكيد أو على معنى افعلي الهز كقوله يجرح في عراقيبها
نصلي تساقط عليك تتساقط أدغمت التاء الثانية في السين وقرأ حمزة بحذف التاء رطبا تمييز على القراءتين
وقرأ حفص تساقط مضارع ساقط ونصب رطبا مفعولا والتشديد أبلغ جنيا طريا مجنيا من الشجر قيل ما للنفساء
من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل إذا عسر الولاد لم يكن لها خير من الرطب فكلي من الرطب واشربي
من السري أو من شراب الرطب وقري عينا طيبي بما يسر لك من الأكل والشرب اشتقاقه
من القر وهو البرد فإن العين تدمع باردا عند غاية السرور ودونه قرة عين فإما ترين
من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما صمتا أو نذرت صوما فلن أكلم اليوم إنسيا
ومن وكان الكلام حراما على الصائم أخبرتهم بالإشارة لقوله فأشارت إليه وقيل
البشر لا إخراج الملائكة فأتت به قومها بعد ما طهرت من النفاس تحمله قالوا
يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا أصل الفري القطع كأنها اخترعته من عندها
يا أخت هارون أرادوا أخا موسى لأنها كانت من أعقاب من كان في طبقته وكان
بينهما ألف سنة وعن السدي أنها كانت من أعقاب هارون وقولهم يا أخت هرون
كقولهم يا أخا العرب أي واحدا منهم وقيل كان في زمانها رجل صالح يسمى هارون
شبهوها به أما حقيقة أو تهكما وقيل كان رجلا فاجرا ما كان أبوك امرأ سوء وما
كانت أمك بغيا من أين سرى إليك هذا الفعل إشارة إلى أن ارتكاب المعاصي من أولاد
الصالحين أفحش فأشارت إليه أي اطلبوا الجواب منه فقالوا لسخريتها بنا أشد

علينا من رتنا ها قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا كان صلة من اى كيف نكلم
الذى كان بالامس صبيا ولم يزل عنه الصبا او صفة اى ما كلمنا موصوفا بالصبا حتى نكلم
هذا والعدول الى المضارع لتصوير الاستمرار او زايدة او بمعنى دد على الوجوه كيف
للتعجب قال انى عبد الله اتانى الكتاب استنطقه زكريا وقيل كان يرتضع فلما سمع
مقالتهم اتكى على يساره ورفع اصبعه وكان اول ما تكلم به الاقرار بالعبودية تكذيبا لمن
يدعى فيه الالوهية والكتاب هو الانجيل قبل استنباءه فى الصبا مثل يحيى وقيل هو باعتبار
المال وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا واى بركة اعظم من ابرا الاكمه والابرص واحياء
الموتى اعاد الفعل للدلالة على كمال الصفتين حيث استقلت كل واحدة اينما كنت
صرت او اكون وايثار الماضى دلالة على تحقق الوقوع واوصانى بالصلوة والزكوة
زكوة المال او طهارة النفس عن الرذايل وايثار الايصاء على الامر للدلالة على اللزوم
حتما ما دمت حيا دوام حياتى وبرا بوالدتى عطف على مباركا وتوسيط الامر
بالصلوة والزكوة صيام ولم يجعلنى جبارا متكبرا شقيا عنده والسلام على يوم ولدت
ويوم ابعث حيا اللام فيه للجنس تعريضا باللعن على اعدائه فانه كقوله
والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى وجعل
للعهد لتقدم سلام يحيى غير سديد لان ذلك السلام لا يكون لعيسى روى
سعيد بن ابى عروبة عن قتادة عن الحسن ان عيسى ويحيى التقيا فقال عيسى ليحيى استغفر لى
فقال انت خير منى استغفر لى انت قال كيف اكون خيرا منك وسلم الله عليك وسلمت
على نفسى وجعل من قبيل هذا الذى رزقناه من قبل يرده انقطاع هذا الكلام عن ذلك
واستقلال القصد ذلك عيسى ابن مريم مبتدأ وخبر المعرب بالعبودية الموصوف
بصفات المخلوقين من الحمل والولادة لا ما يصفه النصارى بصفات الالوهية ولا ما يصفه اليهود ولد
من غير رشدة قول الحق كلمة الله خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابن عامر و
عاصم بالنصب على انه مصدر مؤكد اى قلت لكم فى شأنه قول الصدق او على المدح والحق
هو الله والرفع ابلغ مع سلامته من الحذف الذى فيه يمترون يشكون او يجادلون اى اليهود
والنصارى ما كان الله ان يتخذ من ولد استيناف لكذب النصارى سبحانه نصب بفعل
لازم الحذف اذا قضى امرا تعلقت ارادته به فانما يقول له كن فيكون ومن هذا شأنه غنى
عن الولد واشار الى كون عيسى وكلمة كن اما حقيقة لان سنة الله جرت بان ايجاد الاشياء
مسبوقا بها او لما كان تكون الاشياء لازما لتعلق ارادته بها شبه ذلك بامر الآمر المطاع
اذا ورد على المامور الممتثل وان الله ربى وربكم قرأ الكوفيون وابن عامر بكسر ان على
الاستيناف او عطفا على انى عبد الله والباقون بالفتح عطفا على الصلوة او لان الله ربى
وربكم فاعبدوه والكسر ابلغ هذا صراط مستقيم لا زيغ فيه فاختلف الاحزاب
من بينهم الذين عادتهم التحزب على الانبيا وهم اليهود الذين لم يصدقوه وارادوا
قتله او الذين تحزبوا بعد رفع عيسى وهم الفرق الثلث من النصارى نسطورية قالوا هو ابن الله
ويعقوبية قالوا هو الله وملكانية قالوا هو عبد الله ورسوله وهؤلاء انما كفروا بانكار نبوة
محمد فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من الشهود مصدرا
وزمانا او مكانا والمعنى من شهود الحساب وهوله فالاضافة بمعنى فى او على الاتساع او
مكان الشهود فيه وهو الموقف فالاضافة للملابسة او وقت الشهود فالاضافة
بمعنى من او من الشهادة مصدرا او زمانا او مكانا والمعنى من شهادة الانبياء
والسنتهم وايديهم وارجلهم عليهم بالمعاصى او من وقت الشهادة او من مكانها
والاضافة على التفصيل اسمع بهم وابصر ما اسمعهم فى ذلك اليوم وابصرهم

وابصرهم بعد ما كانوا فى الدنيا صما عميا او المعنى شأنهم حقيق بان يتعجب منه المتعجبون
تعجبوا او لا وقيل لا تعجب بل خطاب له بان يسمعهم مواعيد ذلك اليوم ويبصرهم والجار والمجرور
محذوف من الثانى لدلالة الاول عليه وعن ابن مالك انه مستتر فيه وانما يستقيم عند من يجعل
المجرور فاعلا وهو مذهب سيبويه واما اذا جعل مفعولا او جعل الخطاب امرا فلا وجه له يوم
يأتوننا يوم القيمة لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين الكاملون فى الظلم مستغرقون
فى الضلال المبين باغفال النظر وانذرهم يوم الحسرة اغفلهم يتفكرون فيه عن ابى سعيد
الخدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت فى صورة كبش املح فينادى مناديا
اهل الجنة فيشرئبون فينظرون فيقول لهم هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا هو الموت وكلهم
قد عرفه ثم ينادى يا اهل النار فيشرئبون فينظرون فيقول لهم هل تعرفون هذا فيقولون
نعم هذا هو الموت وكلهم قد راوه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا اهل الجنة خلود فلا
موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثم قرأه رسول الله وانذرهم اذ قضى الامر بدل من
يوم او ظرف الحسرة وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون عطف على الظالمون فى
ضلال او حال من الضمير فى الظرف وانذرهم اعتراض يؤكد ما هم فيه من الضلال او متعلق
بانذرهم اى انذرهم غافلين غير مؤمنين حال لان فيها معنى التعليل ولا يرد انما انت منذر
من يخشاها لان ذلك باعتبار النفع كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وهذا باعتبار
التبليغ لقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم انا نحن نرث الارض ومن عليها فى ذلك
اليوم لا ملك ولا ملك لاحد لمن الملك اليوم والينا يرجعون للجزاء واذكر فى الكتاب
ابراهيم انه كان قدوة الموحدين تبكيتا لمن يدعى الانتساب اليه من اليهود والنصا
رى والمشركين والذكر وان كان هو الله الا انه اسند اليه لانه المبلغ عنه والناطق باوامره
ونواهيه او الذكر بمعنى التلاوة صديقا بليغ الصدق لانه صدق بكتب الله ورسله ومن
كان كثير التصديق كان كثير الصدق فى تصديقه فيفيد المبالغة كما وكيفا نبيا مخبرا عن
الله من باب الترقى لان النبوة اعلى فذكر الصديق تمهيد لها اذ قال بدل من ابرهيم
وما بينهما اعتراض او متعلق بكان اى كان جامعا بين الوصفين وقت دعوة ابيه او
بتصديقا وهو وجه حسن للدلالة على كمال صدقه ونصحه لابيه يا ابت هذه تاء التانيث
لحقت المنادى عوضا عن المضاف اليه ووقف عليها ابن كثير وابن عامر بالهاء على ما هو
الاصل فى تاء التانيث والباقون بالتاء مراعاة للرسم لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا
يغنى عنك شيئا لم ينصح بخطاه مع كونه موقنا به سلوكا لطريق الادب وامتثالا لقوله تعالى
وصاحبهما فى الدنيا معروفا ابل سأله سوالا منبها على تماديه فى الغى وافراطه فيه وتناهيه
مشيرا الى ان المعبود لو كان سميعا بصيرا نافعا ضارا الا انه يكون مخلوقا كسائر المخلوقات
لا يستحق العبادة لانها غاية الخضوع فلا يستاهلها الا من له غاية الكبرياء ونهاية العلو والثنا
فكيف بجماد لا شعور له بعبادة من يعبده فضلا عن الثواب او دفع العقاب ثم دعاه الى
الحق مترفقا به متلطفا يا ابت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا
لم يسمه جاهلا ولا وصف نفسه بالعلم الفايق بل ان عنده شيئا من العلم وذلك علم الدلالة
على الطريق السوى وكانه قال ها انى واياك فى مسير الى مقصد ولى علم طريقه فلا تستنكف
عن اتباع الدليل فانه امر متعارف لم يزل ذلك دأب الملوك فى قطع الفيافى والمفاوز
يقتدون بالادانى ولا يرون ان ذلك يعود عليهم بنقص يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمن عصيا ومن كان عصيا لحقيق بالمعادات فلا تتخذ من كان عدوا له صديقا
واقتصر على كونه عدوا لله دون آدم لاستلزامه اياه وقيل لترقبه فى الربانية يا ابت انى
اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا لم يجزم بلحوق العذاب بل ذكر خوفه

حسبى الله وحده
من الكتب التى وقفها الفقير
الى الله ربه ذى المواهب
محمد المدعو بعين الصدور بن ابراهيم عنب
وكفى عبد
١٢٧٥

والمس الدال على القلة مع تنكير العذاب المؤذن بيسير منه مع استحقاقه اشد العذاب لو استمر على الكفر جريا على مسلك الادب على السنن السابق وآثر ذكر الرحمن لتقدمه اولان ذلك ايضا مشعر بقلته لدلالته على فرط الرحمة وسبقها الغضب وما قيل ان تنكير العذاب للتعظيم وايثار لفظ الرحمن للمبالغة في ذلك على ما يقولون نعوذ بالله من غضب الحليم نمايابا المقام وانما ذكر ولاية الشيطان بعد العذاب لانها اشد كما ان رضوان الله من الجنة اكبر قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم ناداه باسمه ولم يقابل قوله يا ابت بيا بني والاستفهام للتعجب

ذكر صاحب المفتاح

قيل قدم الخبر لكونه اهم عنده والاولى جعل مبتداء وانت فاعل ساد مسد الخبر لئلا يقع الفصل بين اراغب ومعموله بالاجنبي لئن لم تنته لارجمنك بالشتم واللعن ومنه الرجيم للشيطان اولاقتلنك شر قتلة بالحجارة واهجرني عطف على مقدر دل عليه لارجمنك مليا دهرا طويلا من الملاوة اوسالما من تملت عمري اي استمتعت به قال سلام عليك متاركة الجاهل بالحسنى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ساستغفر لك ربي بالتوفيق للتوبة اولم يكن له علم بان الله لا يغفر لمن اشرك به ومنه قول عيسى عليه السلام وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وهو الوجه لانه نهى رسول الله عن الاقتداء وبين ان ذلك كان لموعدة وعدها اياه والا فالاستغفار بالتوفيق للايمان لا انكار فيه انه كان بي حفيا بالغا البر من الحفاوة وهي المبالغة والاستقصاء في الشيء ومنه في الحديث امران نحفي الشارب واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة الى الارض المقدسة كان بارض بابل وادعوا ربي خاصة ولا اشرك به عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اي بعبادته فان الدعاء مخ العبادة وفي ايثار عسى اشارة الى ان العبادة امارة النجاة لا جزم معها وفيه بضم النفس فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب عاش حتى رآه ولم يكن مظنة الولد لكونه شيخا وزوجه عجوز ولذلك لم يذكر اسماعيل وقيل اراد ذكر اسماعيل منفردا اشارة الى فضله وكلا جعلنا نبيا كلا من الولد الحافد لما هاجر في الله ابدله من الكفار الاعداء اولاد الانبياء ووهبنا لهم من رحمتنا بعضها وهي النبوة وقيل الاولاد والاموال وجعلنا لهم لسان صدق ثناء حسنا فان اللسان مظهره كاطلاق اليد على النعم لذلك عليا دائما الى آخر الدهر في الصلوة على ما ورد في التشهد او عاما في جميع الملل فانه ليس من محق ومبطل الا وهو يدعي انه من حزبه واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا في عبادته وقراء الكوفيون بفتح اللام اي مختارا وهو المختار لكون الاول موقوفا عليه وكان رسولا نبيا مبشرا ارسل بالنبوة وناديناه من جانب الطور الايمن من اليمن والبركة او كان عن يمين موسى وقربناه نجيا رتبة وشرفا كما يقال فلان مقرب الملك وقيل رفع فوق السموات ولا يليق لان السبعين سمع كلام الله معه في الطور ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا شددنا به ازره وجعلناه مؤيدا بالمعجزة ردءا يصدقه واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد عن ابن عباس رضي الله عنه واعد صاحبا له في مكان فاخلف صاحبه الوعد فانتظره سنة ولانه صبر على الذبح بعد الوعد به وصف بما غلب عليه والا فالانبياء كلهم مشتركون في صدق الوعد وكان رسولا نبيا وفيه دلالة على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب كتاب اوشريعة مستقلة وانما قدم الرسول لان الانبياء عن الله موقوف على الرسالة منه اولمراعاة رؤس الآي وكان يامر اهله بالصلوة والزكوة امته لانهم اهل دينه وقيل اهل بيته خاصة كقوله وانذر عشيرتك الاقربين فانهم اولى بالبر والاحسان ولانهم اذا اصلحوا اقتدى بهم غيرهم وكان عند ربه مرضيا لاتيانه

لاتيانه من الافعال بما يرضيه واذكر في الكتاب ادريس اسمه اخنوخ لقب به لكثرة درسه ويرده انه اعجمي ولذلك منع من الصرف الا ان يكون من توافق اللغتين انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا رآه رسول الله في السماء الرابعة او في السادسة اورفعناه بالنبوة وما يلفقه الوعاظ من انه اخا ملك الموت ومات ودخل الجنة كذب مختلق لان اول من يدخل الجنة رسول الله وامته قيل انه اول من خط بالقلم وخاط الثياب وكان قبل يلبس الجلود وانزل الله عليه ثلثين صحيفة اولئك الموصوفون الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنيوية من النبيين بيان للموصول من ذرية آدم بدل باعادة الجار او من تبعيض لان ذرية اعم من الانبياء والكل داخلون في المنعم عليهم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية من حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل يعقوب وقد دخل عيسى في الذرية لان مريم من ذرية اسرائيل ولزم منه ان يكون اولاد فاطمة ذرية رسول الله وانما ذكر انسابهم دلالة على انهم حازوا فضل الحسب والنسب وقدم الحسب لان من بطاء به عمله لم يسرع به نسبه وممن هدينا واجتبينا زيادة مدح لهم كما تقول زيد من اولاد الامراء وهو من الصالحين اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خبر اولئك ان جعل الذين وصفا وان جعل خبرا فاستيناف لبيان اخباتهم وخضوعهم لله تعالى مع علو طبقتهم بحيازتهم شرف الحسب الفاخر والنسب الزاهر خروا سجدا حال مقدرة لان الخرور قبل السجود وبكيا في الحديث اتلوا القرآن فابكوا فان لم تجدوا البكاء فتباكوا فخلف من بعدهم خلف خلفاء اي عقب والخلف والخلف صفة منه الا انه بالتحريك يستعمل في الخير وبالتسكين في الشر والمراد بنو اسرائيل من اليهود والنصارى او اعم فيشمل المشركين من بني اسماعيل اضاعوا الصلوة اما بالترك او بالتاخير عن الوقت او بنقص شيء من ابعاضها واتبعوا الشهوات عن ابن عباس هم اليهود والنصارى تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمور واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن علي رضي الله عنه بنوا المشيد وركبوا المنظور ولبسوا المشهور فسوف يلقون غيا كل شر عند العرب غي قال المرقش من يفعل الخير يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق اثاما وقيل هو واد في جهنم يستعيذ منه اودياتها وعن قتادة هو في هذه الآية الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة قراء ابن كثير وابو عمرو وابو بكر بضم الياء وفتح الخاء من الادخال وهو ادخل في الاكرام واوفق لقوله وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يظلمون شيئا ادنى شيء لان الايمان والتوبة يجبان ما قبلها جنات عدن بدل بعض من الجنة لانها جنات ثمانية على ما روى ابن عباس وعدن علم لمعنى الاقامة كامس وسحر للوقتين ولولا ذلك لم يقع جنات بدلا لان النكرة لا تبدل عن المعرفة ولم يوصف بالموصول التي وعد الرحمن عباده بالغيب غائبة عنهم او وهم غائبون عنها الباء للملابسة والحال عن الضمير المحذوف من الصلة او عن عباده او بايمانهم بالغيب فالباء للسببية والغيب بمعنى الغائب انه اي الله او الشان كان وعده مأتيا آتيا فان كل شيء اتيته فقد اتاك او الوعد بمعنى الموعود وهو الجنة فالماتي على ظاهره لا يسمعون فيها لغوا فضولا من الكلام وما حقه ان يلقى ويطرح الا سلاما استثناء متصل اي ان كان السلام بعد لغوا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول او لكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقص فمنقطع وعن المبرد السلام ههنا دعاء بالسلامة اريد به الاكرام لفشوه فيه لان الدعاء في دار السلام بالسلامة

لامعنى له ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا طرفي النهار على ما هو دأب الافاضل لو
سطا بين الزيادة والرغابة او اريد دوامه دروره تقول انا عند فلان صباحا ومسا
تريد اتصالا الصحيح تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا متقيا من الشرك
لقوله ويغفر ما دون ذلك فهو من قال لا اله الا الله دخل الجنة عبر عن الادخال
بالايراث لان الارث ملك لازم لا يمكن رده وقيل لان الجنة جزاء الاعمال
الفانية فكانها ارث وقيل لانهم يرثون من الكفار منازلهم المعدة لهم
لو آمنوا وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما
كان ربك نسيا تاركا لك كما زعمت الكفرة روى البخاري عن ابن عباس قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لجبرئيل لولا تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت وقيل نزلت لما
ترك ذكر المشيئة حين سألوه عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وابطأ عليه
الجواب وقال المشركون ودعه ربه وقلاه رب السموات والارض وما بينهما فاعبده
واصطبر لعبادته تسلية له عما اتت اليه وان مجئ جبرئيل ليس بارادته بل عبد مامور
منقاد لامر ربك فعليك بعبادته واصطبر على اذى قومه وفي ايثار الرب على سائر
الاسماء الحسنى اشارة الى ان ذلك الابطاء تربية له وتكميل وتحته فوايد هل
تعلم له سميا شبيها يعد له الى عبادته وتتوجه اليه وقيل لا شريك له في الاسم
فان لفظ الجلالة لم يطلق الا على ذاته المقدسة وكانه انعكس اليه اشعة التوحيد
فكلت اعين المشركين عن الحوم حوله ويقول الانسان اللام للعهد وهو العاص
بن وائل او الجنس لوقوع الفعل منهم كقولهم بنو فلان قتلوا زيدا قال الفرزدق
فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن راس خالد ائذا ما مت لسوف
لخرج حيا من الارض او من الفناء او هو من قولهم خرج فلان في العلم وخرجه
فلان اذا صار فيه ماهرا وهذا منهم على وجه التهكم والاستهزاء وتقديم الظرف
وايلاؤه حرف الانكار لان انكار الوقت مستلزم لانكار الحيوة فيه على وجه البرهان وتعلق
الظرف بفعل يدل عليه المذكور لان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبل وهي مجردة عن معنى الحال
للتوكيد ولذلك صح دخولها على حرف الاستقبال كما جردت في يا الله عن معنى التعريف اولا
يذكر الانسان عطف على يقول وسط الهمزة بين العاطف والمعطوف عليه
والاصل فيها التقدم عليهما لان الواو للجمع والمقصود انكاره وان ذلك القول لا يجامع
التذكر لان الاعادة اهون من البدء عرفا وقرانا فع وابن عامر وعاصم يذكر من الذكر ضد
النسيان والتشديد ابلغ انا خلقناه مفعول على الاول ويقدر الباء على الثاني من قبل
ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا فوربك لنحشرنهم اقسم بنفسه على تحقيق البعث
بعد اقامة البرهان توكيد الوقوع واضاف الى نبيه تشريفا له والشياطين عطف على
الضمير المنصوب وجعل مفعولا معه ابلغ لما في الحديث انهم يحشرون مقرنين في الاصفاد
مع الشياطين مشاة على وجوههم والضميران كان للكفرة خاصة فالمعنى ظاهر وان كان
للاناسي عموما فالمعنى انهم يحشرون والكفرة بينهم مقرنين مع الشياطين ليتشفى المؤمنون
برؤيتهم ثم لنحضرنهم حول جهنم الكفار والناس جميعا ليرى السعداء ما نجاهم الله منه
ويشمتوا باعدائهم فيزدادوا اساءة وحسرة جثيا حال مقدرة من المفعول والمعنى
انهم يجاثون عند موافاة شاطئ جهنم المؤمن والكافر لما يدهمهم من هول المطلع وان
كان الضمير للكفرة خاصة فهم يحشرون جثاة على ركبهم كما كانوا في الموقف لقوله وترى
كل امة جاثية وقرا حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم على الاتباع اصل جثوى
جمع جاث كقعود جمع قاعد ثم لننزعن من كل شيعة فرقة من المشايعة فان كل واحد

واحد منهم تشايع الاخر وتبايعه ايهم اشد على الرحمن عتيا اي اعصاهم و
اعتاهم فاعتاهم الى ان يحاط بهم من كل شيعة شيعة لان المعنى على استمرار النزع او رؤسا الكفر
وائمتهم فلا احاطة ولا استمرار وارتفاع ايهم على الحكاية عند الخليل اي الذي يقال فيهم ايهم اشد
وعن سيبويه مبني لاحتياجه الى صدر صلته المحذوف وعن يونس معلق لكون النزع سببا
للتمييز والتمييز مسبب عن العلم فاجرى مجراه والظاهر ما ذهب اليه سيبويه ويجوز جعل من
التبعيضية مفعولا كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي بعض كل شيعة وكان قائلا قال
من هم فقيل ايهم اشد عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي بعد
نزعهم واجتماعهم نحن اعلم بمراتبهم ودركاتهم فنقدم الاولى فالاولى ونحلهم من
العذاب بقدر اعمالهم وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر الصاد على الاتباع وهو
مصدر صلى النار لازمها وان منكم التفات من الغيبة الى الخطاب فان المكافحة بالوعيد
اشد زجرا وهو ابتداء كلام من غير التفات الى المذكور سابقا الا واردها
حاضرها الورود لغة الحضور قال تعالى ولما ورد ماء مدين اذ لا شك عاقل في
ان موسى لم يدخل الماء وقال تعالى في حق فرعون يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار
اي احضرهم من غير دخول ولذلك قال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب
وما روي عن ابن عباس الورود هو الدخول ان صح عنه فالمراد المرور على الصراط فوق
جهنم هذا الذي يجب اعتقاده والا يلزم دخول الانبياء في النار ولا يجتري عليه من في قلبه
مثقال ذرة من ايمان فان قلت اذا كان معنى الورود الحضور فاي فائدة في ذكره وقد
قال ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا قلت ان كان الضمير في لنحضرنهم للكفار خاصة فظاهر و
ان كان عاما فالمبالغة في الانذار ولذلك غير الاسلوب من الغيبة الى الخطاب وبالغ في التوكيد
بقوله كان على ربك حتما واجبا اوجبه على نفسه مقضيا حكم في الازل لا
يمكن تبديله ثم ننجي الذين اتقوا الشرك ونذر الظالمين الكافرين
فيها جثيا كما كانوا حولها فانها تهار بهم في النار ويفارقهم المؤمنون الى الجنة واذا
تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات المعاني ظاهرات الواجبة فيه وفي نظايره الحمل على الحال
المؤكدة لان ايات الله لا تكون الا بينات قال الذين كفروا للذين امنوا
اي في حقهم او معهم مواجهة اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا اذ الحموا ولم يقدروا
بعد التحدي على المعارضة اخذوا في الخرافات التي لا اساس لها بالمقام يفتخرون بما لهم
من الزينة والحظوظ الناقصة والندي والنادي موضع الاجتماع ويطلق على الجماعة
المجتمعين ايضا وفي الحديث ما كانوا ليصلوا عامرا وبني سليم وهم الندي وعن ابي سعيد
الخدري كنا انداء فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانداء جمع النادي
وكم اهلكنا قبلهم من قرن كم مفعول اهلكنا ومن بيان لابهامها وكل اهل عصر
قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم من قرن الشيء وهو اعلاه هم احسن اثاثا ورئيا
الاثاث متاع البيت لا واحد له وقال ابو زيد الاثاث المال والغنم والعبيد والمتاع الواحدة
اثاثة وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد تقادم العهد من ام الوليد
بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا والرئ حسن المنظر فعل من الرؤية بمعنى المفعول كالطحن
والذبح وقرا قالون وابن ذكوان بالتشديد بابدال الهمزة ياء ساكنة على قياسه فاجتمع
المثلان فادغم الاول في الثاني او هو من روي من الماء استعير لحسن المنظر والنعم و
الاول هو المختار لكونه نص في المطلوب قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا
لما قصر وانظرهم على الفاني واغتروا به مد الله لهم في العمر لئلا يبقى لهم عذر يوم القيمة
حين يقال لهم اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير واخرج الخبر في صورة

الامر الدال على الوجوب مبالغة وقطعا للمعذرة ويحتمل ان يكون دعاء كقوله ربنا
ليضلوا والمعنيان متقاربان حتى اذا راوا ما يوعدون من نصر المؤمنين او العذاب
غاية لمد العمر وقيل غاية لقول الذين كفروا اى يستمر بهم ذلك القول والافتخار الى ان يروا
ما يوعدون والآيتان اعتراض فى البين للابقاء وتوكيد الوعيد وحتى هى التى تحكى الجمل
بعدها ولذلك وقعت الشرطية بعدها اما العذاب فى الدنيا بالقتل واما الساعة
بدل من ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا اذا عاينوا على المسلمين
وقتلوهم شرقا او انكشف الغطاء عند قيام الساعة ايقنوا ان الامر على عكس ما كانوا يقدرونه
وانهم شر مكانا واضعف ناصرا لا خير مقاما واحسن نديا وذكر الجند دل على ان المراد بالندى
الجماعة ويحتمل ان يراد به المحل وقابل به الجند لان نحسن الندى باجتماع وجوه القوم فيه
واعيانهم وفى المثل السر فى السكان والاول اظهر ويزيد الله الذين اهتدوا
هدى عطف على قوله فليمدد لانه خبر فى المعنى كانه قيل من كان فى الضلالة نزيده الله
ضلالة ونزيد الله مقابله هدى والاولى عطفه على الشرطية بعد القول ليكون ذكر المقابل
محكيا ايضا اصالة والباقيات الصالحات الايمان وساير الاعمال الصالحة خير
عند ربك ثوابا مما متع به الكفرة من الحظوظ المخدجة او سمى عقابهم ثوابا تهكما
على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع وخير مردا نفعا مصدر رد نفع يقال هذا الامر ارد
اى انفع اومن الرد بمعنى الصرف اى عاقبة واسم التفضيل اما ان يراد به مطلق الزيادة
او هو من قبيل قولهم الصيف احر من الشتاء والمعنى ثواب هؤلاء اكثر من عقاب اولئك
ولا تخل بالتهديد لان الكلام ليس مسوقا له بل لبيان حال اهل الجنة فى مقابلة اى الفريقين
خير مقاما واحسن نديا افرايت الذى كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا لكانه قال بعد ما قصت
حال الكفار فى عقايدهم اخبر بقصة هذا الكافر فانها اعجب لكونها على وجه الاستهزاء ولما
كانت مشاهدة الاشياء من اقوى طرق الاحاطة بها علما والاخبار عن الشئ مسبوق بالعلم
استعملوا الرؤية فى الاخبار نزلت فى العاص بن وائل قال الخباب بن الارت كنت قينا فى الجا
هلية وكان لى على العاص دين فاتيته اتقاضاه فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا اكفر
حتى يميتك الله ثم تبعث فقال انى لميت ثم مبعوث قال نعم قال دعنى حتى اموت ثم احيا فساوتى
مالا وولدا فاقضيك فنزلت وقرا حمزة والكسائى ولدا بضم الواو وسكون اللام وهى لغة
كالنجل والنجل والفتح اخف واشهر اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا لا يمكن الوصول
الى ما ادعاه الا باحد هذين الامرين الاطلاع هو الاشراف على الشئ فكانه زاعم انه مشرف
مستقل على علم الغيب المخصوص بعلام الغيوب لفرط وقاحته وقيل العهد كلمة الشهادة
فانها عهد بين الله وبين عباده كلا ردع له وتنبيه على انه مخطئ فيما يعتقده سنكتب ما
يقول السين لمجرد التاكيد اى قد كتبنا او سنظهر له مقالته يوم القيمة كقوله اذا ما انتسبنا
لم تلدنى لئيمة ونمد له من العذاب مدا الى ما لا نهاية له او نزيد عذابا فوق العذاب
من المدد ونرثه ما يقول بموته قولنا بان نزوى عنه ما هو فيه من الاموال والاولاد
فضلا عن الزيادة ويأتينا فردا منفردا او نحول بينه وبين هذا القول فيأتينا
رافضا له او نضبط قوله هذا فى ديوان الكتب لنضرب به وجهه فى الموقف زيادة فى
حره واتخذوا من دون الله آلهة واللام فى الوجه الاول للتمر الفعل ليكونوا لهم عزا
ليتعززوا بهم وصلة بينهم وبين الله فان قلت كانوا كافرين بالبعث فما معنى اتخاذ الالهة
صلة وشفعا قلت كانوا يقولون ان صح ذلك على سبيل الفرض تشفع لنا او هذا مقول لطايفة
وتلك مقالة اخرى وهم الدهرية القائلون ما يهلكنا الا الدهر كلا ردع وتكذيب
لمقالهم سيكفرون بعبادتهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون او المشركون ينكرون

ينكرون عبادتهم كقوله والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا اى ذلا لا عكسيا
لرجائهم او عونا فى العذاب توقد بهم النار عليهم والعون يسمى ضدا لانه نظير المعاون والتوحيد
لوحدة المعنى الذى به مضادتهم كقوله صلى الله عليه وسلم فى المؤمنين وهم يد على من سواهم
وان رجع الضمير فى سيكفرون الى المشركين فمعنى كونهم ضدا كفرهم بعبادتها والتبرا عنها الم تر
انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بسلطناهم عليهم تؤزهم ازا تغريهم وتهيجهم على
المعاصى قال الحربى الازاز تحمل انسانا على امر بحيلة ورفق من الاز بصوت المرجل عند غليانه
والمراد تعجيب رسول الله صلى الله وسلم من الكفرة اعتزازهم بتسويلات الشياطين بعد
وضوح الايات وتماديهم فى الغى وعدم ارعوائهم فلا تعجل عليهم بان يهلكوا فتستريح
انما نعد لهم عدا اى بين ما تطلب وبينك ايام معدودة وساعات وانفاس محصورة
فعن قريب تنقضى وعن ابن عباس انه كان اذا قرا الآية بكى ويقول اخر العدد خروج نفسك
اخر العدد فراق اهلك اخر العدد دخول قبرك يوم نحشر المتقين الى الرحمن الى من غمرهم
بالبر والاحسان نصب باذكر او بمقدر اى نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف ويجوز تعلقه
بلا يملكون وفدا جمع وافد وهو الوارد على الملوك بالرسالة المنتظر لعطاياهم ونسوق المجر
مين الى جهنم كما تساق البهائم وردا عطاشا لان الوارد على الماء لا يرده الا للعطش
لا يملكون الشفاعة الطايفتان الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بالايمان والعمل
الصالح او اذنا من عهد اليه بكذا اذن له فيه وامره وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قول المشركين
الملائكة بنات الله لقد جئتم شيئا ادا منكرا عظيما وعن على رايت رسول الله فى المنام
فقلت ما ذا القت بعدك من الاود والاود اى الشدة والاعوجاج والتفت الى الخطاب لكافح بها
لتهم الشنيعة تكاد السموات قراه نافع والكسائى باليا وهو المختار لعدم الفاصل
يتفطرن منه وقرا ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر بالنون من الانفطار والتفطر ابلغ
معنى كالتهدم وتنشق الارض وتخر الجبال هدا مكسورة مضعضعة من هذه كسرة ان
دعوا للرحمن ولدا مجرور بدل من الهاء فى منه او منصوب بحذف الجار وافضا الفعل عله
لكاد وتخر او لهذا او مرفوع بهدا اى هدها دعاء الولد للرحمن والدعاء بمعنى التسمية او النسبة من
الدعوى وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا ما يليق به ولا يدخل تحت الصحة لاقتضائه الازدواج
والمجانسة وهو مستحيل فى حقه هذا ان اريد توليده وان اريد التبنى فكذلك لعدم احتياجه
وفى ايثار لفظ الرحمن اشارة الى ان بقاءهم مع تلك المقالة مقتضى تلك الرحمة ثم قرر ذلك
وبين بقوله ان كل من فى السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا اتى اسم فاعل من المواتاة وهى
المطاوعة او من لتى اليه يرجع والمعنى كل من الملائكة والثقلين منقاد مطيع لاوامره يقر بعبوديته
انى يكون له ولد لقد احصاهم ضبطهم وحفظهم وعدهم عدا عد اشخاصهم
وافعالهم وانفاسهم لم يخرج عن علمه وملكوته شئ وكلهم آتيه يوم القيمة فردا وحده لا
اتباع ولا اموال معه يقال جاء القوم فرادى اى واحدا واحدا ان الذين امنوا وعملوا الصا
لحات سيجعل لهم الرحمن ودا محبة فى قلوب العباد من غير اكتساب ولا مباشرة اسباب
روى البخارى عن ابى هريرة ان الله اذا احب عبدا نادى جبريل انى احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل
ثم ينادى جبريل اهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول فى
الارض والسين لان السورة مكية والمؤمنون كانوا بها ممقوتين بين الكفرة وقيل ذلك
يوم القيمة عند عرض حسناتهم ويرده الحديث وعن ابن عباس يحبهم ويحببهم فالسين
للتاكيد فانما يسرناه بلسانك بلغتك وهى العربى المبين كلام مستانف اشاد به الى
عظم موقع هذه السورة لما فيها من براهين التوحيد والرد على فرق الضالين المبطلين
ودلايل النبوة وان القرآن كلام الله تعالى وانما يتلوه بتيسير منه فانتظم آخر السورة باولها المشير الى

اعجاز القران على طريق الايقاظ والبا اما بمعنى على او ضمن التيسير معنى الانزال لتبشر به
المتقين يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ولا حاجة الى التاويل بالصابرين الى التقوى و
تنذر به قوما لدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة
وفي الحديث ابغض الناس الى الله الالد الخصم وكم اهلكنا قبلهم من قرن ترهيب للكفرة
وتشجيع له على التبليغ هل تحس منهم من احد هل ترى منهم احدا او تسمع لهم ركزا
صوتا خفيا فضلا عن القوي علق الرؤية باحد منهم والسماع بهم مبالغة لان انتفاء الرؤية
عن احد يستلزم انتفاءها عن الكل والسماع بالعكس والركز الخفاء ومنه الركاز للمال المدفون
تمت ولله الحمد والمنة والصلوة على شمس فلك السنة واصحابه نجوم الدجنة سورة طه مكية
وهي مائة وخمس وثلاثون ايات بسم الله الرحمن الرحيم طه امال حمزة وابو بكر والكسائي
الفطا من طه وامال ورش وابو عمرو حمزة والكسائي وابو بكر ها لانها صلها يا بدليل
الانقلاب في التثنية والحرفان اسم السورة او من حروف التهجي للايقاظ والتنبيه على الاعجاز
وعن ابن جبير معناه يا رجل بالنبطية وقيل هي لغة عك بن عدنان وقيل كلمة سريانية وقيل
اصل طاها امر من وطئ والها كناية عن الارض فانه صلى الله عليه وسلم كان يقف على
رجل في تهجده حتى ورمت قدماه فابدلت الهمزة الفا وعلى هذا كتبتهما على صورة الحروف
لموافقة اوايل ساير السور مع ان خط المصحف لا يقاس وقيل الحرفان على حساب الجمل اربعة
عشر فكانه قال يا بدر ما انزلنا عليك القران لتشقى جواب القسم ان جعل طه مقسما
واستينافا ان كان من حروف التهجي او جملة فعلية ومنادى له ان كان نداء وخبر مبتدأ ان
جعلا اسم السورة غير مقسم بهما سواء اريد بالقران السورة او الجنس لقيامه مقام العايد
للابحاء والاندراج والشقاء التعب ومن امثالهم اشقى من رايض مهر ولا تقدم شقي مهرا
اما لانه كان يتعب نفسه بالقيام فقيل له ما انزلنا عليك القران لتشقى وتتعب هذا التعب
المفرط الخارج عن حد الاعتدال اولما قال له ابو جهل والنضر بن الحارث انك شقي تترك دين
ابايك فرد ذلك بان القران سلم الى كل فوز وسعادة فالمراد به الخسران في الدين الا تذكرة
استثناء منقطع علة للفعل المذكور بدون اللام لاجتماع شرايط الحذف او مصدر في
موقع الحال من الكاف او القران ولا يجوز ان يكون احد الابدال او المعنى ما اشقيناك
بمتاعب التبليغ ومقاساة المرد بانزال القران عليك الا للتذكرة او الحال كونه تذكرة
فلا يكون الشقاء منفيا كقولك ما ضربتك للتاديب الا اشفاقا لمن يخشى لمن في قلبه
خشية فانه المنتفع به وقيل لمن علم الله منه الخشية ويؤل امره اليه على منوال هدى
للمتقين تنزيلا بدل من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا جعل مفعولا له لفساد المعنى او نصب
باضمار فعل او على المدح او بيخشى ممن خلق الارض والسموات العلى الى قوله
الاسماء الحسنى صفات سيقت لتفخيم شان المنزل لانه كلام من هذه صفاته
والعلى جمع العليا تانيث الاعلى وصف للسموات دال على عظم قدرة موجدها ولما
قدم الارض لكونه اقرب الى الحس وصف السموات جرا لما فاتها من شرف السبق التفت
من التكلم الى الغيبة لان هذه الصفات انما يتاتى سردها مع لفظ الغيبة ولانه فخم
شان المنزل باسناده الى المتكلم الواحد على وجه التعظيم ثم ثنى بالاسناد الى
الموصوف بتلك الصفات فافاد التفخيم من وجهين الرحمن على العرش استوى
رفع على المدح والجملة بعده خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف والاستواء على
العرش كناية عن نفاذ التصرف واجراء تدبير الكاينات على وفق ما اقتضته الحكمة كما ان
بسط اليد كناية عن الجود له ما في السموات وما في الارض وما بينهما من الاجزاء
الداخلة فيها والموجودات الخارجة عنها وما تحت الثرى وما تحت الارض من

من الموجودات التي لا يحيط بها الا علم الشامل والثرى التراب الندي لان ما فوق الارض
يعتريه اليبس احيانا ولما كان ايجاد الكاينات وتدبير امرها لا يتم الا بالعلم اشار الى شموله بحمل
طريق وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى منه ما خطر بالبال من هواجس النفس
والمعنى فان تجهر بالقول فان الله غني عن جهرك لاستواء الحالات عنده وفيه اشارة الى ان
ذكر اللسان جهرا انما هو لاستعمال العضو فيما خلق له واسماع الغير ليقتدي به وليشهد له يوم القيمة
وايماء الى ان الاخفاء افضل الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى فباي اسم ذكرته فهو
ذكر جميل ذيل به الكلام دلالة على استواء ما به الذكر من اسمائه الحسنى كما استوى عنده
كيفيات الذكر وهل اتيك حديث موسى الاستفهام بمعنى النفي ان كان اول
ما تلي عليه من قصته وان سبق ذكرها للتقرير والمراد تذكيره ليوطن نفسه على تحمل اعباء
النبوة وتبليغ الرسالة ومقاساة الشدايد لما قضى موسى الاجل استاذن شعيبا في زيارة
امه وكانت بمصر ولم يكن اوحي اليه بعد فاذن له فتوجه باهله وكان له منها ابنان
فلما وصل الى الوادي الايمن وكانت ليلة شاتية ذات مطر وثلج مظلمة اخذت زوجته
في الولاد فضل الطريق وتفرق ماشيته ولا ماء عنده فطفق يقدح الزند فصلد زنده
اذ رأى نارا ظرف للحديث لانه حدث يصلح ان يكون متعلقا او منصوب باذكر
او بمضمر اي حين رأى نارا كان من الامر كيت وكيت فقال لاهله امكثوا اي اقيموا
مكانكم وقرأ حمزة بضم الها اشارة الى الاصل والكسر لموافقة ما قبله وهو الافصح اني
انست نارا ابصرته ابصارا لا شبهة فيه يستعمل في مظان الوحشة لعلي اتيكم
منها بقبس بشعلة لما كان ابصاره مستيقنا بنى الاخبار على البت والتحقيق والاتيان
بالقبس كان متوقعا اذ ربما يحول دونه مانع لم يجزم به او اجد على النار هدى
هاديا يدلني على الطريق او مرشدا يدلني الى جناب القدس فان افكار الابرار مصروفة
اليه مغمورة به في جميع الاحوال ومعنى الاستعلاء الاشراف عليها من مكان قريب قال
الاعشى وبات على النار الندى والمحلق فلما اتيها قيل كانت نارا بيضاء تتقد في
شجرة خضراء نودي يا موسى اني انا ربك روي انه لما دنا منها بعدت منه فلما رأى
ذلك خاف ورجع فلما رجع دنت منه فازداد رعبا فالقيت عليه السكينة ثم كلم و
تكرير الضمير لتحقيق المعرفة واماطة الشبهة وقرأ ابن كثير وابو عمرو اني بفتح الهمزة اي باني والباقون
بالكسر لان النداء ضرب من القول استدل على انه كلام تعالى بانه سمع من الجهات و
بجميع اعضائه وعن الاشعري انه سمع الكلام القديم ولعل فيه تجوزا والا كيف يعقل سماع ما قام
بذاته تعالى فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس احتراما للبقعة كما يحترم الحرم و
المساجد وساير الاماكن الشريفة وقيل كانا من جلد الحمار غير مدبوغين والتعليل ناب عنه وقيل
نعليك المال والولد وقيل الدارين وذلك نهاية مقامات العارفين طوى بدل من الوادي
علم لذلك المكان نونه ابن عامر والكوفيون ومن لم ينونه لم يصرفه باعتبار البقعة وقيل
معدول عن طاو وانا اخترتك للنبوة والرسالة وقرأ حمزة انا مشددا بادخال ان
على الضمير واخترناك بالنون والمختار التخفيف لمناسبة ما تقدم وما تاخر فاستمع
لما يوحى اليك من الاحكام هذا كان اول بعثته صلى الله عليه وسلم انني
انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما يوحى اكد الكلام وجمع فيه بين العقايد والفروع
اهمهما وتكميلا للقوة النظرية والعملية واقم الصلوة افردها بالذكر لانها افضل
الاعمال بعد التوحيد لذكري تعليل لذلك الشرف بكونها مشتملة على ذكرى الذي
هو المقصود من شرع العبادة والذكر هو اللساني المقرون بذكر القلب روى البخاري
من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه وقيل لذكري اي لاذكرك

بالثناء عليك كقوله يقيمون الصلوة اقاموا الصلوة في معرض المدح او لان اذكرها في الكتب
المنزلة او لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة وهذا انما يستقيم اذا كان في شرع صلوات
موقتة او لذكر صلوتي اذا فاتتك نوما او نسيانا بتقدير المضاف لما روى انس ان رسول الله
صلى الصبح قضاء وقال لا تفريط في النسيان من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها
ثم قرا الاية ان الساعة اتية جار مجرى التعليل للامر فانه وقت المجازاة اكاد اخفيها
عنكم والمعنى ابالغ في اخفائها فلا اخبر بالاتيان اجمالا لكالم اخبر بذلك مفصلا وقيل
اكاد اخفيها عن نفسي مبالغة في اخفائها حتى بني على امر مستحيل واكد بان الاخفاء عن الغير
حاصل فتعين ذلك والحق انه بعيد والاخفاء الواقع انما هو عن المفصل لتجزى كل نفس
يتعلق باتية على الاول وباخفيها على الثاني بما تسعى بما تعمل وفي ايثاره اشارة الى
الجد والمسارعة في العمل فلا يصدنك عنها عن الايمان بالساعة او اقامة الصلوة من لا يؤمن
بها بالساعة او بالصلوة المقصود نهي موسى عن الانصداد اطلاقا للسبب على المسبب والعكس
لان عدم تصلبه يورث صد الكافر واتبع هواه لان عدم ايمانه لم يستند الى برهان بل الى مجرد هوى فتردى
من ردي بالكسر هلك من الردى مقصورا وما تلك مبتدأ وخبر بيمينك حال والعامل
فيه معنى الاشارة وقيل تلك موصول والجار والمجرور صلته يا موسى ناداه للاستيناس
قال هي عصاي اتوكؤا عليها واهش بها على غنمي اخبط بها الشجر فيتناثر منه الورق
فيكون علفا واصل الهش الخف واللين وعن عمر بن الخطاب هششت يوما فقبلت امراتي وانا صائم
ولي فيها مارب اخرى قيل كان ظاهر الجواب لما سئل ان يقول عصا وهي عصا وانما
اطنب لان الكلام يطال مع الاحبة فكيف به والمخاطب رب العزة والحق انه لم يقع منه اطناب
فانه لم يسأل عن ماهية العصا وحقيقتها بل عما فيها من الاوصاف فاذ ذكرها مستوفاة ثم
اوجد الله فيها من الصفات ما يضمحل تلك الصفات بالنظر اليه ازداد طمانينته بانضمام
عين اليقين الى علم اليقين فهو لم يستوف الصفات تفصيلا بل اجمل بقوله ولي فيها مارب اخرى
سالكا طريق الادب في تلك الحضرة التي يحق الخضوع لها والمارب التي لاجلها قيل كانت
ذات محجن وشعبتين فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار
القاها على عاتقه فعلق عليها اداوته وان كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى
عليها الكساء واستظل بها واذا قصر الرشاء وصله بها وكان يقاتل بها السباع وقد ذكروا
اشياء اخر والله اعلم قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى التسعي المشي
بسرعة وخفة قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وغلظت ولذلك سماها
تارة ثعبانا وهي العظيم وتارة جانا وهي الرقيق من الحيات وتارة باسم الجنس الشامل لهما
وهي الحية قال خذها ولا تخف لما راها حية خاف منها بمقتضى البشرية قيل لما انقلبت حية
تسعى ما كانت تمر بشجر ولا حجر الا ابتلعته سنعيدها سيرتها الاولى السيرة فعلة
من السير ثم اتسع فيها فنقلت الى المذهب والصفة يقال من طابت سيرته حمدت سيرته و
انتصابها على الظرف او بدل الاشتمال او على المصدر اي سنعيدها عصا كما كانت تسير سيرتها الاولى
اي تنتفع بها ما كنت تنتفع سابقا واضمم يدك الى جناحك مستعار من جناح الطائر شبه يدي
الانسان بجناحي الطائر لانهما قوام تعيشه والمعنى اضمم احدى يديك وهي اليمنى تحت الاخرى
وهي اليسرى وقيل جناحا الانسان جنباه والمعنى اضمم يدك الى جنبك تحت العضد تخرج بيضاء
قيل كان عليه مدرعة وكان رجلا ادم شديد السمرة كانه من رجال شنوءة فاخرج يده
من تحت المدرعة لها شعاع كشعاع الشمس تغشي البصر من غير سوء صفة بيضاء او حال
من ضميرها او متعلق بتخرج كني به عن البرص فانه ابغض شيء عند العرب اية اخرى بدل
من الاولى او حال من الضمير في بيضاء او في الجار والمجرور ويجوز ان يكون منصوبا بنحو

نحو خذ او دونك لنريك من اياتنا الكبرى متعلق بهذا المقدر او بما دل عليه اية او
القصة الكبرى صفة اياتنا او مفعول نريك ومن اياتنا حال منها اذهب الى فرعون
بهاتين الايتين انه طغى تجاوز عن حده قال رب اشرح لي صدري اجعله واسعا
بسيطا يحتمل الاذى ولا يعتريه الملل والضيق مما يأتي لي من متاعب التبليغ اصل الشرح الكشف و
البسط ومنه شرح الكتاب ويسر لي امري شاني كله بتسهيل الاسباب الموصلة الى ذلك
المطلوب ابهم في الموضعين ثم فصل لارادة المعنى الواحد في صورتي الاجمال والتفصيل المشتمل
على التكرير المفيد للتوكيد واحلل عقدة من لساني كان بلسانه رتة وذلك انه حمل فرعون
يوما في صباه فاخذ بلحيته وعجز فرعون عن اخراجها من يده فنتفها فامر بقتله فقالت امراته طفل
صغير لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضر الجمر والياقوت بين يدي موسى فمد يده الى الياقوت
فضرب جبرئيل على يده فوقعت على الجمر فلزقت بها جمرة فوضعها على فمه كما ترى من يحترق يده فيضع
يده على فمه فاحترق لسانه وبقي به رتة قيل كان للحسين بن علي رتة فقال رسول الله ورثها من
عمه موسى واختلف في زوال العقدة بعد هذا السؤال فقيل زالت بالكلية استدلالا بقوله
قد اوتيت سؤلك وليس بناهض لانه لم يسأل الفصاحة الكاملة بل قدر ما يحتاج اليه في
التبليغ يشير اليه قوله يفقهوا قولي ولقول فرعون ولا يكاد يبين ومن لساني صفة عقدة
والتقدير من عقد لساني لان العقدة للسان لا منها والظاهر ان جعل اللسان بمعنى القوة
النطقية والجار والمجرور متعلق باحلل واجعل لي وزيرا من اهلي الوزير من الوزر
وهو الثقل فانه يقوم باعباء الملك او من الوزر وهو الملجأ لان الملك يلتجي اليه في الاراء
والتدابير او ماخوذ من الازر وهو القوة قلبت واوه همزة لكونه بمعنى الموازر فقيس عليه
هرون مفعول اول قدم عليه الثاني عناية بشان الوزارة فانها المطلوب او لي
وزيرا مفعولان وهرون عطف بيان او بدل من وزير واخي على الوجهين بدل من هرون
او عطف بيان اخر من وزيرا اشدد به ازري واشركه في امري في النبوة قرا ابن
عامر بفتح الهمزة في الاول وضمها في الثاني على انهما صيغتا المتكلم والجزم لكونهما جواب
الامر والاولى قراءة الجمهور لانهما فيهما على انهما من جملة دعائه لكونه احرى بحاله وادعى
للاجابة كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون في العبادة تهيج الرغبة وتجلب
النشاط ولذلك شرعت الجمع والجماعات انك كنت بنا بصيرا باحوالنا وضمائرنا
وان هرون نعم المعين فانه اكبر سنا مني وافصح لسانا واحلم جنانا قال قد اوتيت سؤلك
يا موسى سؤلك فعل بمعنى المفعول كالاكل بمعنى الماكول ولقد مننا
عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ما لا يمكن علمه الا بالوحي او ما ينبغي ان يوحى ولا
يخل به لعظم شانه والوحي هو الالهام كقوله واوحى ربك الى النحل او ارسل اليها ملكا
لا على وجه النبوة كما ارسل جبرئيل الى مريم واما اخبار نبي في زمانها ففي غاية البعد
اذ لم يكن بمصر زمن فرعون من يدعي النبوة ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم
القذف الرمي ويستعمل بمعنى الوضع كقوله وقذف في قلوبهم الرعب والمراد الوضع في الاول
والرمي في الثاني لقوله فالقيه في اليم فليلقه اليم بالساحل الضماير كلها لموسى لما
كان مشتملا تبعا متعلقة بحصوله بالساحل وما تعلقت به ارادته واجب الوقوع جعل اليم
كانه ذو ارادة وتمييز مامور بذلك واذا اراد الله شيئا هيأ اسبابه بعدما اصلحت التابوت ووضعته
فيه وقيرته والقته في نيل مصر وكان يدخل منه نهر الى بستان فرعون وكان فرعون جالسا
على شاطئ ذلك النهر اذ دخل التابوت فاخرجه فاذا فيه صبي من املح الناس فالقى الله محبته
في قلبه فابقاه وكان قد امر بقتل الولدان لما اخبره المنجمون انه يولد مولود يكون زوال ملكه
على يديه فاخذه لعنه الله بجهله بربه لزوال ملكه وكان اجهل الناس لان المنجمين انما صادقون

فلا يجدى قتل الاطفال او كاذبون فاولى واولى والساحل شاطئ البحر من السحل وهو القشر
والكشط وفى الحديث سحلت ام حكيم له كتفا فاكل ثم صلى ولم يتوضا يأخذه عدو لى
وعدو له جواب الامر ولا تكرار لاختلاف النسبة والقيت عليك محبة منى
كائنة منى نعت لمحبة اى خلقت حبك فى قلوب الناس او متعلق بالقيت اى بان احببتك
ومن احبه الله احبه الخلق فان قلت كيف استقام محبة فرعون له مع اخبار الله بانه عدوه
قلت لم يكن حين احبه عدوا وايضا الحب ميل الطبع واستحسانه فرب محبوب طبعا منكر
شرعا كما قال فى وصف الخليل فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ولتصنع على عينى ولتربى
بمرأى منى استعارة تمثيلية فان الآمر باتخاذ شئ له به او فرعناية يامر الصانع بان يتخذ بمحضر
ومرآه وفى اشاد على اشارة الى كمال العناية كانه فوق عينه لا يمكن تجاوز النظر ولا زيغ
البصر عنه اذ تمشى اختك كان اسمها مريم ارسلتها امه تكشف اخباره فصادفتهم
وهم يفتشون على مرضعة له فانه ما كان يلتقم ثدى المراضع واذ ظرف لتصنع او بدل من
اذ اوحينا وهو اوفق لما فيه من تعداد النعم فى مقام الامتنان ولا يقدح فى ذلك اختلاف
الزمان لاتساع الوقت ولا يستقيم تعلقه بالقيت لكونه محبوبا قبل ومحفوظا فتقول
هل ادلكم على من يكفله قالت فدلتهم عليها فرجعناك الى امك وفاء بقولنا
انا رادوه اليك كى تقر عينها بلقائك ولا تحزن بفراقك وقتلت نفسا هو
القبطى الذى استغاثه عليه الاسرائيلى فنجيناك من الغم الذى اعتراك بقتله خوفا
من الله وفرعون بان غفر بالكف والهمناك الهجرة الى مدين وفتناك فتونا مصدر
كثبور او جمع فتن او فتنة لترك الاعتداد بالتاء كبدرة وبدور وسال ابن جبير ابن عباس
عن معناه فقال خلصناك من فتنة بعد فتنة ولد فى عام كان يقتل فيه الولدان وهذه
فتنة يا ابن جبير والقته امه فى البحر وهم فرعون بقتله وقتل القبطى واجر نفسه عشر سنين
وضل الطريق وتفرقت ماشيته وكان يقول عند كل واحدة يا ابن جبير فلبثت سنين فى اهل
مدين لما اجر نفسه او فى اقصى الاجلين ثم جئت على قدر يا موسى على زمان يستنبأ فيه
الانبياء وهو اربعون سنة واصطنعتك لنفسى اخترتك مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك
اهلا للقرب فيقربه ويكل اليه اذهب انت واخوك بآياتى مع معجزاتى التى ايدتكما بها
او باحكامى التى ارسلتما بها ولا تنيا فى ذكرى اى لا تفترا عن ذكرى من الونى فان تمشى
الامور ليس الا بذكر الله يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا
لعلكم تفلحون اذهبا الى فرعون خصه بالذكر بعد ما قدم ارسالهما مطلقا فانه القدوة
والرعايا تبع له ولذلك كتب رسول الله الى هرقل فان توليت فعليك اثم الاريسيين انه طغى
تجاوز عن حده فقولا له قولا لينا فانه ادعى له الى الانقياد مثل ان يقولا له هل لك
الى ان تزكى فانه نصح فى صورة المشورة كان ابو منصور الدوانقى يطوف بالبيت فلقيه
رجل فى المطاف وقال يا امير المؤمنين انى مخاطبك بكلام فيه شدة لا تواخذنى به فقال
لو قلت شيئا من ذلك ضربت عنقك قد ارسل من هو اعلى منك الى من هو اقسى منى
وقيل قولا له قولا لينا وقيل انما امر بذلك لانه كان له حق التربية والابوة لموسى
وقيل كنياه ولا تصرحا باسمه فانه اكثر احتراما وكان له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد
وابو مرة كنية ابليس والوجه هو الاول ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من
حولك لعله يتذكر بانه مخلوق عاجز عن احداث ذرة انى له دعوى الالوهية او يخشى
ان يفضى به الانكار الى الهلاك والاول مقام الراسخين ولذلك قدمه والجملة فى
محل النصب على الحال اما من الفاعل اى راجين منه احد الامرين او المفعول اى
مرجوا منه ذلك قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا يعجل علينا ويحول بيننا وبين

رد على الكشاف والقاضي

وبين الدعوة واداء الرسالة من فرط القوم سبقهم وانما عداه بعلى لتضمنه الحمل والتعدى
لم يكن خوفهما من القتل او لحوق ضرر آخر بل ان ينسبا الى التقصير وان لا يجدى سعيهما بطائل
او ان يطغى يزداد طغيانا ويقول فيك ما لا يليق بجلالك وكبريائك فان النجس
يزداد بالتحريك قبحا قال لا تخافا اننى معكما بالحفظ والكلاءة اسمع ما يجرى بينكم
من القول وارى ما يبدو منه من الفعل والاولى ان لا يقدر للفعلين مفعول والمعنى
اننى حافظ لكما سامع بصير واذا كان الحافظ سامعا وبصيرا استقل بالحفظ على اكمل وجه
تتميم للكلام الاول وليس من قبيل ان يرى مبصر ويسمع واع فأتياه فقولا انا رسولا ربك
افرده فى الشعراء لاتحاد المرسل فارسل معنا بنى اسرائيل الى الشام موطن
آبائهم ومستقر اسلافهم كانوا تحت يد القبط رعايا يكلفونهم الاعمال الشاقة فان قلت
ارسالهما كان لدعوة فرعون لقوله اذهب الى فرعون انه طغى وقوله ولقد ارسلنا موسى
باياتنا الى فرعون والآية دلت على انهما ارسلا لطلب بنى اسرائيل قلت كان ارسالهما الى
فرعون وابتداؤهما بقضية بنى اسرائيل من قبيل القول اللين والتدرج من الاهون الى
الاشد ولا تعذبهم بالتكاليف الشاقة وقتل الولدان قد جئناك بآية من ربك
جار مجرى التعليل لما وساله او التفسير لانا رسولا ربك فان دعوى الرسالة انما
تثبت بالحجة وانما وحد الآية وكان معه العصا واليد البيضاء لان القصد اظهار الحجة
لا بيان كثرة البراهين والسلام على من اتبع الهدى سلامة الدارين لمن اتبع الهدى
او سلام خزان الجنة حين يتلقون المؤمنين انا قد اوحى الينا ان العذاب على من
كذب وتولى سلكا معه مسلكا لطيفا بديعا فى الدعوة حيث عمما الامر فى
الطرفين الهداية والضلالة لئلا يقع مواجهة منهما له بما يكره وكذلك كان شان
رسول الله فى المواعظ لم يواجه احدا بمكروه بل يقول ما بال قوم يقولون كذا ويفعلون
كذا وانما ذكر العذاب مسندا الى الوحى دون السلام لانه المقصود اصالة اكد امره بانه
لا دخل لهما فى ذلك وانهما انما علماه بالوحى وان لهما ربا اوحاه اليهما ولذلك قال فمن
ربكما يا موسى خاطب وحده لانه الاصل وهرون رده يصدقه او لنزعته اراد اهانته
لعلمه انه ارت يدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا
الذى اعطى كل شئ كل موجود خلقه صورته وشكله اللائق به من الخلق بمعنى التقدير
او خليقه كل شئ يحتاجون اليه قدم المفعول الثانى لانه ادل على الاقتدار واعطى كل
شئ زوجه وقرينه من نوعه فهو الفرد الذى لا نظير له ثم هدى بين طريق الرشاد قال
فما بال القرون الاولى كذبوا وتولوا ولم يعذبوا وكان دهشته لم يقبل بالرجوع
الى الله ليس عنده العذاب الا عذاب الدنيا قال علمها عند ربى سيجازيهم
بذلك او ما حالهم فى السعادة بعد الموت نبأ على زعمك فى كتاب هو اللوح المحفوظ ويجوز
ان يكون تمثيلا لتمكنه فى علمه بما كتب واثبت فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الضلال
ان يخطئ طريق الشئ فلم يهتد اليه والنسيان ذهابه بحيث لا يخطر بخاطرك وفى الحديث
قال رجل لبنيه اذا انا مت فذرونى فى الريح لعلى اضل الله اى افوته فلم يدر مكانى وقيل
يجوز ان يكون قول فرعون استبعادا لاحاطة علم الله باحوال الامم الدارجة وتفاصيل
الجزئيات المتعلقة بها قياسا على نفسه الخبيثة ويكون معنى الجواب ان علمه محيط بها لا يفوته
شئ الذى جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربى او خبر مبتدأ محذوف والاحسن
نصب على المدح قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر مهادا بالالف كالبساط والفراش
لفظا ومعنى او جمع كنعل ونعال والكوفيون بالقصر اسما لما يمهد كمهد الصبى وعليه
صح الرسم والمختار المد لاتفاقهم فى الذى جعل الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا

جعل لكم فيها طرقا وقده من ارض ارض بكثر المنافع من سلكت الشئ في الشئ ادخلته فيه
وانزل من السماء ماء مطر فاخرجنا به التفت الى التكلم لان موسى حاك كلام ربه
تعا بدليل قوله جعل لكم دون لنا وفيه وراء الافتنان الاشارة بنون العظمة الى انه
السلطان المطاع الذى لا يتاتى على ارادته شئ ولا يخرج عن قدرته ولذلك اخرج بماء
واحد ازواجا من نبات شتى اصنافا متفرقة جمع شتيت كمرضى ومريض مختلف الا
لوان والطعوم والاشكال والروايح بعضها لكم وبعضها لدوابكم ومن نعم الله ان ارزاق
العباد يحصل بعمل الدواب وما لا يصلح لهم يصلح لها علفا كلوا وارعوا انعامكم
على ارادة القول حال من فاعل اخرجنا ان في ذلك لايات لاولي النهى لذوى
العقول الناهية عن اتباع الباطل والركون الى ما دليل عليه جمع نهية وفي حديث ابي
وايل لقد علمت ان التقي ذو نهية منها خلقناكم ابتداء كلام منه تعا والمراد خلق
آدم او خلق كل احد لما في الخبر من انه تعا اذا اراد خلق انسان من نطفة امر الملك بان
ياخذها في كفه ويعجنها هرية قبره وفيها نعيدكم بعد الموت ومنها نخرجكم تارة اخرى
يوم القيمة عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا يتقلبون
عليها وسلك لهم فيها سبلا يترددون فيها لنظم مصالحهم ولخرج لهم منها اضاف
النبات اقواتا لهم وعلوفات دوابهم وهي امهم التي منها تولدوا وهي كفاتهم احيا وامواتا
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة مشيرا الى معنى
الاية وكان يدخل على المريض فياخذ من ريقه ويخلط بالتراب ويمسح به المريض ويقول
تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى بها سقيمنا ولقد اريناه اياتنا كلها المعجزات التي
اوتيها موسى اليد والعصا وفلق البحر والدم والضفادع والحجر والجراد والقمل وعد نتق
الجبل سهو وقد اراه موسى الجميع في ابتداء الدعوة الى اوان الغرق وقيل المراد بالآيات
الدلايل التي اقامها موسى عليه من قوله اعطى كل شئ خلقه الى آخر ما ذكره وقيل
اراد ما اراه وما عدد عليه من معجزات ساير الانبيا لانه صادق لا فرق بين خبره و
فعله وفيه انه مع بعده يأباه لفظ الاراءة فكذب بالآيات كلها وابى ان يقبل شيئا — انه بعد عرفه
منها او كذب موسى وابى قبول الحق قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى كلام يدلا
من حيران فرايص او بعدت خوفا منه لا يبانه انه الرسول المؤيد الذى لو اشار الى الجبال
سارت عن مقرها والا فما قدر ساحر واحد حتى يخرج ملكا مثله من ارضه بعد ذلك
التمكن والعدد والعدد وكذا شان كل مبطل لا تراه عند الافحام يتشبث الا بما يكون
هاديا الدليل مبطلا لدعواه فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا مكان وعد
للاجتماع فيه لا نخلفه نحن ولا انت الضمير للوعد المدلول عليه كما في اعدلوا هو
اقرب والجملة صفة موعدا مكانا ثاني مفعولي اجعل سوى صفة مكانا عن ابن عباس معروفا
وعن مجاهد منصفا يستوى بعده الينا واليك وقرا ابن عامر وحمزة سوى بضم السين و
الكسر اخف واشهر قال موعدكم يوم الزينة من الاسلوب الحكيم لان يوم الزينة لهم — الاولى الكشاف لصاحب الكشف
فيه مكان معروف يجتمعون فيه كما هو شان الناس اليوم في اعيادهم ومواسمهم وقد
دل عليه تفسير ابن عباس رضي الله عنه وقيل الموعد مصدر ومكانا نصب على البدل من
المكان المحذوف مضافا الى المصدر الذى اقيم مقامه او نصب بالمصدر الموصوف
والطابقة في الجواب بتقدير مضاف في الظرف الواقع جوابا اى وعدكم وعد يوم
الزينة وفيه تطويل عنه غنية بما اثرناه وكذا جعل الموعد مكانا واسناد الاخلاف
اليه توسعا وطباق الجواب معنى ويوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم
كسر النيل وانما عينه ليظهر الحق على رؤس الاشهاد ويسير به الركبان في الافاق

في الافاق وان يحشر الناس ضحى عطف على يوم الزينة على تقدير مضاف اى وقت
جمع الناس فيه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكيد به موسى جمع السحرة من اطراف
بلاده ثم اتى الموعد بعد ذلك الجمع ومعه السحرة قال لهم موسى للسحرة ويلكم
لا تفتروا على الله كذبا بنسبة ايات الله الى السحر فيسحتكم بعذاب فيستأصلكم به
وقرا حمزة والكسائي وحفص بضم اليا وبكسر الحاء والباقون بفتحتين وهي لغة
الحجاز والاولى لغة نجد والسحت الاهلاك والاستيصال ومنه سمي الحرام سحتا لانه يسحت
البركة وقد خاب من افترى فتنازعوا امرهم بينهم تشاوروا واخذ بعضهم القول من بعض كقوله
يتنازعون فيها كاسا من النزع لا من النزاع واسروا النجوى فيما بينهم ولم يظهروه لموسى
وفرعون اسم كلام بين المتسارين عن ابن عباس كان نجواهم ان كان غالبا نتبعه وعن
قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله شان وعن وهب لما قال
ويلكم قالوا ما هذا بقول ساحر وقيل تشاوروا فيما يعارضون به موسى فاجالوا الرأى
كما ترى اليوم اذا اهم الملوك امر قالوا ان هذان لساحران اظهروا
بعد النجوى هذا الكلام تشجيعا لانفسهم كما يقول القرن لمن يقاتله قد عرفت كنه
امرك قرا ابو عمرو وهذين باليا كما هو المعروف من نصب المثنى وقرا ابن كثير
وحفص بتخفيف ان وهذان بالالف على ان المخففة غير عاملة نحو ان كل نفس لما عليها
حافظ وشدد نونه ابن كثير كما تقدم في سورة النساء والباقون شددوا ان
مع الف هذان وهي لغة بلحارث بن كعب وكنانة وبخيم والعنبر وزبيد يجعلون المثنى في
الاحوال الثلث بالالف فالاعراب عندهم مقدر على الالف قال الاسدي فاطرق
اطراق الشجاع ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمما وعن سيبويه ان بمعنى نعم وعن
على كرم الله وجهه سمعت رسول الله يقول ان الحمد لله وانما اخرت اللام لصورة ان او على
لغة من يجوز دخولها الخبر كقول ام الحليس لعجوز شهبرة يريدان ان يخرجاكم
من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الامثل لقوله اني اخاف ان يبدل
دينكم طريقة الرجل دينه ومذهبه او اشراف قومكم ارادوا بني اسرائيل فانهم كانوا
يميزوا في السحر وطريقة القوم اماثلهم حكاها ابن السكيت عن الفراء ومنه قوله تعالى
كنا طرايق قددا فالوصف بالمثلى من قبيل امس الدابر فاجمعوا كيدكم احكموه بالاتفاق
عليه وقرا ابو عمرو بالوصل على سنن فجمع كيده والقطع ابلغ ثم ائتوا صفا صفا
واحدا فانه اهيب وقيل صفا مصلى علم لمكان معروف عندهم وقد افلح اليوم من استعلى
علا وغلب والسين للتاكيد قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى
خيروه كما هو شان الاقران عند المبارزة والاعلام المهرة لدى المناظرة اما لعدم
المبالاة او اظهار الحسن الادب وان مع ما بعده نصب مفعول احترا او رفع خبر محذوف
اى الامر القاؤنا او القاوك قال بل القوا قابلهم بمثل ما بداؤه به فاذا حبالهم
وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اى القوا بعد ما اذن لهم اذا المجايئة ظرف مكان
والمعنى فاجاء موسى تخيل وقت تخيل سعيها وان مع ما في خبرها قايم مقام فاعل
تخيل وقرا ابن ذكوان بالتانيث مسندا الى ضمير الحبال والعصى وانها تسعى بدل
اشتمال والتذكير اشهر واسلم من التقدير فاوجس في نفسه خيفة موسى اضمر على طريقة
الجبلة وعدم الاختيار فيه كانوا سبعين الفا بيد كل واحد حبل وعصا لطخوها بالزيبق
والقوها في واد فلما اشرقت الشمس عليها اضطربت وقيل انما خاف على الناس ان
يداخلهم شبهة قبل ظهوره قلنا لا تخف انك انت الاعلى تعليل للنهى موكدا
لاستيناف وحرف التحقيق وتعريف الخبر وتكرير الضمير ولفظ العلو وصيغة التفضيل

والق ما في يمينك ابهمه اما تحقيرا اي الق هذا الجرم الصغير الذي في قبضتك
او تعظيما اي لا تبال بتلك الكثرة والق هذا العظيم الشان الذي بيدك تلقف ما صنعوا
من الحبال والعصي اصله تتلقف حذف منه التا وقراه ابن عامر في رواية ابن ذكوان بالرفع
على الاستيناف او على الحال المقدرة وحفص بالتخفيف مضارع واصل اللقف الحذف واخذ
الشيء بالسرعة يقال غلام ثقف لقف اي حاذق خفيف والتشديد مع الجزم ابلغ واسلم
من التقدير انما صنعوا ان الذي زوروه كيد ساحر قراه حمزة والكسائي كيد سحر اي ذي سحر او
جعلوا لتوغلهم في السحر عينه او اضاف الكيد للبيان كعلم فقه والتنكير لتنكير المضاف
لانه في نفسه معروف كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد مدت وانما وحد لانه اريد الجنس
ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اي مكان سلك والقي السحرة
اي بعد تلقف العصا ما صنعوا سجدا شكرا لله على ان هداهم وعن عكرمة لما سجدوا اراهم
في سجودهم منازلهم في الجنة والفاء دلت على انهم لم يترددوا في الايمان بعد تلقف العصا
قالوا امنا برب هرون وموسى قدموا هرون لانه ردء يصدق موسى فالايمان به يستلزم
الايمان بموسى من غير عكس وقيل لانه اكبر سنا او لان موسى ربي فرعون فلو قدم او
هم انه ربه قال امنتم له لموسى انكار منه واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع قبل ان
اذن لكم في الايمان انه لكبيركم الذي علمكم السحر استاذكم واهل مكة يسمون المعلم با
لكبير قيل كان يشهد ان السحرة كانوا اثنين وسبعين الفا الاثنان من القبط وسايرهم من بني
اسرائيل قوم موسى فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليمنى مع اليسرى ومن ابتدائية
لان القطع الواقع على موضع الخلاف ملابس له فكانه ابتدا منه ولاصلبنكم في جذوع النخل
على جذوعها شبه استعلاء المصلوب باستقرار المظروف في الظرف بجامع التمكن واللزوم
فاستعار له في قيل هو اول من صلب واختار النخل لكونه اطول الاشجار فالمصلوب عليه
اظهر وامره اشهر ولتعلمن اينا اشد عذابا مني ومن موسى لقوله امنتم له واللام في كلام
الله مع الايمان لم يقع استعماله لله وابقى ادوم قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات
المعجزات الواضحات والجمع اما باعتبار احوال العصا من انهم راوها حرس وهو نايم وابتلع تلك
الاجرام ولم يزدد حجمها واما لانهم لما سجدوا او انكشف لهم عالم الملكوت راوا امورا خارقة والذي
فطرنا عطف على ما جاءنا قدم عليه اهتماما واعتنا بشان المعجزات او قسم على عدم ايثارهم
اياه وهو معنى حسن فاقض ما انت قاض الذي انت قاضيه او مدة قضائك وايام حكمك
انما تقضي هذه الحيوة الدنيا في هذه الحيوة الدنية تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده انا امنا
بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي لم يقولوا امنا برب هرون وموسى كما قالوه اولا
بل وصفوه بانه ربهم الذي اوصلهم الى ذلك الكمال واكرمهم باجزل النوال وما اكرهتنا
عليه من السحر فانهم لما راوا العصا حرس وهو نايم قالوا ان هذا ليس بساحر فان الساحر اذا نام بطل
سحره والله خير وابقى اي خير ثوابا وادوم عقابا من عذابك الذي توعدتنا به انه الشان
من يات ربه مجرما بان يموت كافرا فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى لا يموت فيستريح
ولا حيوة نافعة ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات
العلى المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات لدلالته على الاقامة
التي هي الملاك تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حالان والعامل فيهما معنى
الاشارة وذلك جزاء من تزكى تطهر من الشرك عن ابن عباس من قال لا اله الا الله
قوله انه من يات الى هنا ابتداء كلام منه تعالى بعد تمام مقاله السحرة ترهيبا وترغيبا
او من كلام السحرة وعلمهم بذلك اما من موسى لما دعا فرعون الى الله واما تلقوه من
اسلافهم من كلام الانبياء ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي لما عالج فرعون

فرعون واراه الايات ولم يزدد الا طغيانا امران يسري ببني اسرائيل وقراه نافع وابن كثير
بالوصل وهما لغتان سرى واسرى ذهب بالليل والقطع اولى وفاقا للمجمع عليه فاضرب
لهم طريقا في البحر اجعل لهم من ضرب له بسهم في ماله وضرب اللبن اتخذها من الطين يبسا
يابسا مصدر وصف به مبالغة لا تخاف دركا لحوقا من فرعون وجنوده ولا تخشى
الغرق حالان من الفاعل وقراه حمزة لا تخف بالجزم خطابا على انه نهي او جواب امر وعطف
لا تخشى اما على لغة من لم يحذف حرف العلة بالجازم كقوله الم ياتيك والانباء تنمي او الالف للا
طلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا وحسنه توافق روس الاي او الجملة عطف على الحال اي
خاشيا الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده ادركهم ملتبسا بجنوده الباء للمصاحبة
لقوله اتبعهم فرعون وجنوده يقال اتبع القوم اذا ادركهم بعد سبقهم فغشيهم من
اليم ما غشيهم ما لا يمكن الاحاطة بكنهه تقول ادلخته شيئا وكان من الامر ما كان والضمير
للجنود لان فرعون القي الى الساحل البحر واضل فرعون قومه عن طريق الرشاد وما
هدى تهكم به لقوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او ما هداهم في انه لما راه منفلقا قال
ادخلوه فانه قد انفلق خشية مني يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم خطاب لهم بعد
غرق فرعون وقيل لاعقابهم في زمن رسول الله والاول هو الوجه لان في اثنا قصة موسى
وتعداد النعم عليهم بعد الانجا وواعدناكم جانب الطور الايمن لانزال التورية وصف
بالايمن لكونه موضع المناجاة مع الحق ومنزل التورية ونزلنا عليكم المن والسلوى
في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وقرا حمزة والكسائي انجيتكم
وواعدتكم ورزقتكم بتاء التكلم والنون افخم معنى واقرب مناسبة لقوله ونزلنا ولا تطغوا
فيه فيما رزقناكم بالاخلال بالشكر والتجاوز اي السرف والاشر فيحل عليكم غضبي
يجب ويلزم ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى هلك من الهوي وهو السقوط من مكان عال
وقيل هوى وقع في الهاوية وقرا الكسائي بضم الحاء في الاول واللام في الثاني من حل بالمكان
نزل والكسر اخف ولذلك اتفقوا في ام اردتم ان يحل عليكم ويحل عليه عذاب مقيم
واني لغفار لمن تاب من الشرك وامن بما يجب الايمان به ارشدهم الى التوبة بعد
ما بين لهم حلول عقابه بمن عصى وطغى وعمل صالحا ثم اهتدى استقام على الهدى
وما اعجلك عن قومك يا موسى واعده الله تعالى بعد غرق فرعون انه يكلمه على الطور
ويوتيه كتابا فيه تبيان كل شيء وامره ان يختار سبعين من نقباء بني اسرائيل ليسمعوا كلام
الله تعالى فاختار النقباء خلف هرون على بقية بني اسرائيل وكانوا ستماية الف فلما فارق موسى
بني اسرائيل تعجل شوقا الى الموعود فسبق القوم سال تعالى عن سبب العجلة والتقدم النقباء
قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى لما كان السوال للانكار
على العجلة التي هي نقيصة يتضمن الانكار على السبب الباعث اجاب اولا بان ليس هناك
ما يسمى عجلة وانما تقدمت بخطى يسيرة كما هو شان الوفود يكون رئيسهم امامهم واما السبب
فرضاك فان المسارعة اليها من اهم الامور وتغيير القوم بمن تخلف مع هرون يرده لفظ
الاثر وان الموعد كان مشروطا بحضور من اختاره قال فانا قد فتنا قومك من بعدك
ربنا اي عقب تقصيرك ابتلينا قومك المخلفين كان واعدهم اربعين يوما فلما مضى عشرون
عدوها العباد وتمم اربعين بلياليها وكان هذا الاخبار لموسى عند مقدمه قبل مضي ذلك
العدد بناء على ان ذلك من المترقب المنزل منزلة المحقق او اثر ما غاب موسى اخذ السامري
في اسباب ذلك فكان بداء الفتنة موجودا واضلهم السامري منسوب الى سامرة قوم
من اليهود يخالفونهم في بعض الامور وقيل كان من اهل باجرما وهي قرية بقرب الموصل
وكان علجا من كرمان منافقا اظهر الاسلام واسمه موسى بن ظفر من قوم يعبدون البقر فرجع موسى

رد على الامام والنسفي

بعد ما مضى الاربعون واوتي التورية الى قومه الذين كانوا مع هرون غضبان اسفا
ممتليا غضبا او حزينا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا خلف فيه او ان يؤتيكم التورية
فيه تبيان كل شيء افطال عليكم العهد يريد زمان مفارقته لكم ذلك او طال عليكم
زمان العافية وتوالي النعم بعد ان كنتم في اسر فرعون ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم
فاخلفتم موعدي وعدكم اياي بالثبات على الايمان واسناد الوعد الى موسى بمعنى وجدتم الخلف
في وعدي بردّه قولهم قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بملكنا امرنا وقرا حمزة والكسائي
بالضم ونافع بالفتح مصدر ملك فهو مالك والضم مجاز لعدم تحقق معناه وضم والباقون بالكسر
ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم قوم فرعون كانوا استعاروا الحلي منهم لعيد لهم
وخافوا ان ردّوها يعلموا بخروجهم ولذلك سموها اوزارا لان مال المستامن حرام ولان
الغنايم لم تحل الا لهذه الامة وقرا نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بضم الحا وكسر الميم
مشددة فقذفناها تلك الاوزار في النار وكذلك القى السامري كما القينا وهو
انه كان اخذ من موطي قدم فرس جبرئيل قبضة من التراب فامرهم بان حفروا حفرة وقذفوا فيها
الحلي فالقى هو تلك التربة واوهمهم انه انما القى الحلي فاخرج لهم عجلا على صورة العجل و
جسدا له خوار لحوار البقر فقالوا السامري ومن افتتن به اول ما راوه هذا الهكم واله موسى
فنسي موسى ان يطلبه هنا وذهب لطلبه في الطور او نسي السامري ما كان عليه من الاسلام
وترك والفا فصيحة على الوجهين افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا فضلا عن اثابته ابتداء
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا بوجه ابتداء كلام منه تعالى لبيان عبادة بني اسرائيل
ومخالفتهم العقل وقول هرون وكفرهم بالله الذي خلقهم واعتقادهم الحلول في جسم
حيوان يضرب بجهله المثل ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل ان يقول السامري
هذا الهكم علم من عبادتهم اول ما وقع عليه بصره انهم يقعون فيما وقعوا فبادر الى
تحذيرهم او قبل رجوع موسى يؤيده قوله يا قوم انما فتنتم به وقولهم لن
نبرح عليه عاكفين وان ربكم الرحمن الذي افاض عليكم جلايل النعم فاتبعو
ني واطيعوا امري بالثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع
الينا موسى قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا عن طريق الرشاد الا تتبعن في نصرة الدين و
المحاماة له لا مزيدة افعصيت امري اذ قلت لك اصلح ولا تتبع سبيل المفسدين
قال يا ابن ام نسبه اليها استعطافا بانهما كانا في بطن واحد دارتضعا ثدي ام وقيل
بل كان لاخاه من امه وقرا بكسر ميم ام ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر لا تاخذ بلحيتي
ولا براسي كان موسى كما اشتهر عنه شديد الغضب في الله متصلا لما راى بني اسرائيل قد عبد
والعجل بعد ما راوا الايات لم يتمالك ان القى الالواح وشاقه سقيقه بما يكره واخذ بلحيته التي
اشرف بحالت كما ياخذ العدو من عدوه روي ان هرون يدخل الجنة بلحيته تضرب الى سرته
اكراما لها لما الفت في الله ما الفت اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ان لو
قاتلتهم بمن معي كان معه ممن لم يعبد العجل اثنا عشر الفا ولم ترقب قولي في الاصلاح فصبرت
حتى ترجع اليهم وات ذلك اضر للشر واحفظ للدما مع انني بالغت في النصح حتى بلغ
السيل الزبي كما اخبر الله عنه ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني قال فما خطبك
يا سامري بعد ان ظهر له عذر اخيه توجه اليه لانه جر تومة الفتنة اي ما كان غرضك فيما
فعلت والخطب الامر الخطير الذي يقع له التخاطب قال بصرت بما لم يبصروا به بصرت بالشي
علمته وقرا حمزة والكسائي على الخطاب يريد موسى ومن كان معه والوجه الغيبة لان
الغرض عدم روية الحاضرين بعد ذهاب موسى فقبضت قبضة من اثر الرسول يريد جبرئيل
وقرى بالصاد فالاول للاخذ بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع وانما لم يسمه

لان الملك بالضم السلطنة

لم يسمه لانه لم يعرف انه جبرئيل واراد تنبيه على الوقت وهو وقت ارساله ليذهب به الى الطور وحين
ارسل لاغراق فرعون فانه كان راكبا فرس الحيوة وهي الرمكة التي تسمى حيزوم وكان ركبها يوم
بدر مع رسول الله قال قاتل ابي جهل حين ضربته سمعت راكبا يقول تقدم حيزوم فضربه بمقرعة
على راسه فقال رسول الله ذاك جبرئيل فنبذتها في العجل وكذلك سولت لي نفسي
زينته قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس ابتلاه الله ببلية عظيمة وهي انه كان اذا
مس رجلا او امراة حصل الحمى للماس والممسوس وكان لم يزل يقول لا مساس خوفا
من حصول الحمى فبقي وحيدا طريدا كالوحش فان لك موعدا لن تخلفه وهو
عذاب يوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو ولن تخلفه بكسر اللام اي لن تجد الله تخلف وعده
من اخلفت زيدا وجدته يخلف الوعد كاحمدته وجدته حامدا والفتح احسن واشهر ومال الكسر اليه
معنى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لازما على عبادته من الظلول خص بالذكر لانه
مشاهد ولانه اذا عكف عليه بالنهار فالليل اولى لانه محل العبادة لنحرقنه بالنار ثم لننسفنه
في اليم نسفا نذرينه ذري الرماد وهذه كانت عقوبة اخرى له ليشاهد معبوده
رمادا اذل من التراب انما الهكم المستحق للعبادة الله وحده الذي لا اله الا هو
المنفرد بالالوهية وسع كل شيء علما احاط علمه بكل شيء كذلك نقص عليك من
انبا ما قد سبق اي كقصة موسى نقص عليك على ابلغ النظام ساير القصص من احوال
الامم الماضية تكثيرا لمعجزاتك وتاكيدا للحجة على من عاندك وزيادة استبصار لمن امن بك
وتابعك وقد اتيناك من لدنا ذكرا كتابا فيه ذكر الوقايع الماضية والامم البارحة او كتابا
فيه ذكرك وشرفك كقوله كتابا فيه ذكركم وفيه اشارة الى ان التفكر فيه يورث السعادة
وتفسيره بالصيت والذكر الجميل لا يلايم قوله من اعرض عنه اي عن القرآن والاعتبار
والانتفاع بما فيه فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة سميت وزرا لانها جزاؤه خالدين فيها
في ذلك الوزر وسا لهم يوم القيمة حملا في سا ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص محذوف
لدلالة السابق عليه اي سا حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك وجعل سا
بمعنى احزن فيوجب المبالغة مع ان اللام تاباه عنه لغوا لان خلودهم في الناحزن واي خزن يوم
ينفخ في الصور بدل من يوم القيمة لانه اشد هولا وقرا ابو عمرو بالنون على بنا الفاعل
وهو ابلغ تحذير الاسناد الى ذاته ما يباشره الملايكة بامره ونحشر المجرمين يومئذ زرقا
زرق العيون لان الزرقة اوحش الالوان عند العرب ولذلك يقولون في ذم العدو ازرق
العين اصهب السبال اسود الكبد او عميا لان حدقة من ذهب نور عينه تزراق يتخافتون بينهم
يخفضون اصواتهم لما يملا صدورهم من الرعب ان لبثتم الا عشرا يستقصرون مدة
لبثهم في الدنيا لما يعاينون من الاهوال فيتذكرون ما كانوا فيه من الدعة والنعم فيتاسفون
عليها او ايام السرور قصارا ولانهم يوقنون بالخلود وما نسبة الفاني وان طال الى ما لا انتهاء
له وقيل ارادوا اللبث في القبور لقوله لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث نحن اعلم
بما يقولون نص مدة مكثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم ان لبثتم الا يوما فضل عليهم
لكونه اعلم بفظاعة الامر وشدة العذاب ويسئلونك عن الجبال قيل السائل رجل
من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا عن ابي زيد يقلعها قلعا وكذا عن الخليل وابي عبيدة ثم
وقيل يجعلها كالرمل تذروه الرياح فيذرها قاعا تترك مقارها مكانا واسعا يعلوه
الماء صفصفا مستويا لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا الوصفان
الاولان باعتبار الحس وهذا باعتبار القياس اي لو قاس ماهر في الهندسة لم يجد عوجا
في اجزائها ولا ادنى ارتفاع ولذلك اثر العوج بكسر العين الذي يكون في المعاني
كانه قيل لا يعقل فضلا عن الاحساس به الحاقا بالمعقول وقيل لا ترى استينافا فبيان

الحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت او بدل يوم نحشر بدلا ثانيا وقيل كونك استطرد وله موقع
حسن عند ذكر الحشر يتبعون الداعي الى المحشر هو اسرافيل يقف على صخرة بيت
المقدس وينادي ايها الناس هلموا الى المحشر يقبلون الى صوته من كل اوب لا عوج له اي لا
يعوج عنه مدعو واستعماله باللام لان الفعل كما يختص بالفاعل تقول لا اضرب لزيد كذلك
بالمفعول وخشعت الاصوات للرحمن ذووا الاصوات او مستعار للخفض فلا
تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل والاصوات اقدامهم كانهم
بكم من شدة الخوف يومئذ بدل ثالث من يوم القيمة وفيه ترقي حسن لا تنفع الشفاعة
الا من اذن له الرحمن رفع بتقدير المضاف على البدل اي الا شفاعة من اذن له الرحمن
او نصب على المفعول اي لا تشفع الشفاعة احدا الا من اذن الرحمن ان يشفع له ورضي له قولا
قول الشافع له او في حقه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما
يستقبلونه ولا يحيطون به علما بمعلوماته او بذاته او بمجموع ما ذكر فانهم وان علموا منه
شيئا لا يحيطون بتفصيله ولا بخفايا بواطن ما علموه مفصلا وعنت الوجوه للحي القيوم
ذلت وخضعت ومنه العاني للاسير وفي الحديث اتقوا الله في النساء فانها عوان في ايديكم
والاسناد الى الوجوه لانها اشرف الاعضاء او اريد بها الذوات كقوله ويبقى وجه
ربك والظاهر العموم وقيل الوجوه عظماء الكفرة وقد خاب من حمل ظلما كفرا
الجملة حالية لكونها في مقابلة قوله وهو مؤمن والاولى جعلها معترضة والتقابل المعنوي
كاف ومن يعمل من الصالحات بعضها وهو مؤمن اذ بدون الايمان لا يعتد بعمله فلا يخاف
ظلما نقصا من ثوابه الموعود وقراءة ابن كثير فلا يخف بالجزم نهيا وقراءة الجمهور ا
اكد لكونها اخبارا من اصدق القائلين ولا هضما هضم النفس وضعها عن مرتبتها والمعنى
لا يخاف نقصان الثواب ولا حط الدرجة والمنزلة اصل الكسر وقيل الظلم منع الثواب
والهضم نقصانه وكذلك انزلناه قرآنا عربيا عطف على كذلك نقص عليك
اي ومثل هذه الآيات في الوعد والوعيد انزلنا القرآن كله عودا الى ما بدأ به السورة من
وصف القرآن بالصفات الكمالية فان حديث موسى كان متصلا بقوله ما انزلنا عليك
القرآن لتشقى فانتظم الكلام احسن انتظام وصرفنا فيه من الوعيد والحال انا قد
كررنا فيه آيات الوعيد من بيانه لعلهم يتقون يبلغون به التقوى التي هي
نهاية مقامات العارفين او يحدث لهم ذكرا عظة وانزجارا في الجملة او للتنويع والامر
دائر على التحلية والتخلية فتعالى الله في ذاته وصفاته استعظام ان لا يكون انزال القرآن وما صرف
فيه من الوعد والوعيد بالغا حد الكمال وفيه استدعاء لمن كان له قلب ان يقبل الى تعظيم
كلامه ويتوجه اليه بشراشره الملك الحقيقي النافذ امره ونهيه وفيه دلالة على ان ما في
القرآن من قوارع الوعيد سياسات الهية من تحاماها فاز وسلم ومن تخطاها بادر وندم
الحق الدائم اللازم الدعومية في ذاته وصفاته وفيه اشارة الى ان ما في القرآن من الوعد
والوعيد حق لا يحوم حول حماه الباطل وان المحق من كان ممتثلا لاوامره والمبطل من لم
يتعظ بزواجره وتمهيد للنهي عن العجلة بقوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه
فان ذلك يخل بتعظيمه روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يعالج من الوحي شدة وكان يحرك شفتيه عند تلاوة جبرئيل
عليه يبادر الى الاخذ حذرا من فوت شيء منه فنهي عن ذلك وآمنه الله من ذلك الخوف
بقوله فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه لا انه نهي عن تبليغ المجمل قبل البيان
اذ كم مجمل بلغ الينا ما بينك بيان الخيط الابيض بالفجر بعد برهة من الزمان والبقرة من اوائل
ما نزل القرآن نزولا وقل رب زدني علما بدل العجل فان ما اوحي اليك محفوظ

الجملة حالية لكونها في مقابلة قوله وهو مؤمن والاولى جعلها معترضة والتقابل المعنوي

محفوظ لا يفوتك منه شيء لم يأمر بطلب الزيادة قط الا في هذه الآية اظهارا لشرف العلم
ولقد عهدنا الى آدم اي امرناه مع ما في لفظ العهد من المبالغة لدلالته على الحفظ على
قوله وصرفنا فيه من الوعيد دلالة على ان عصيان هؤلاء ليس لنقص منك في التبليغ او
لنقصان فيما منا القرآن بل ذلك لا يقتضيه شانهم فان اباهم آدم خاطبناه كفاحا وبينا له
عداوة ابليس صراحا من قبل من قبل هؤلاء فنسي العهد عن قريب ولم يتثبت واغتر بقول العدو
حتى تورط فيما تورط ولم نجد له عزما على ما امرناه وتصميما وتصلبا على ما عهدنا اليه بحيث يوئس
الشيطان عن اقترابه والوسوسة اليه اولم نجد له عزما فيما اتى به بل كان ذلك خطأ منه والوجه
الاول ولم نجد ان كان من وجد الشيء علمه فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود نقيض العدم
فله حال من عزما كانه قال عدمنا عزمه واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم المعنى
اذكر ذلك الوقت ليظهر لك نسيانه وعدم كونه ذا عزم مفصلا وفيه اشارة الى انما
اكرمه به من اسجاد الملائكة كان من البواعث التامة على التحفظ بالعهد فسجدوا الا ابليس
قد سبق الكلام فيه ابى استكبار استيناف كانه قيل لم لم يسجد فقلنا بعد الاباء
يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فلا يكون سببا لاخراجكما النهي لهما في
المعنى عن اتباعه توكيد للامر بالثبات والعهد السابق فتشقى افرده بالذكر
لان شقاءه مستلزم لشقائهما او لان المراد بالشقاء التعب في طلب المعيشة وذلك
الى الرجال فانهم قوامون على النساء قيل لما اهبط جاءه جبرئيل بثور احمر فكان يحرث
عليه ويمسح العرق عن جبينه ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى لوجود المأكل
والملابس من غير سعي ومباشرة اسباب وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى لوجود الانهار
والقصور يقال ضحيت الشمس اذا برزت من الضحى والضولحي النواحي البارزة عطف
على ان لا تجوع مع عدم جواز دخول ان على ان لان الواو نائب عنه والمستكره دخوله
صورة ذكر نقائض مطالبه منفية ولم يأت بتلك المطالب صريحا ليذكره بانساب
الشقاء الذي حذره منه فان قلت لم لم يذكر الظمأ مع الجوع الذي هو قرينه قلت
الشبع والكسوة اصلان والاخيران متممان مع ان الشبع اكتسى معنى الابري الى قوله فما
كنت عظام امرئ ما كان ليشبع طائره وقرأ نافع وابو بكر وانك عطفا على ان لك
فوسوس اليه الشيطان انهى اليه الوسوسة ويقال وسوس له باللام فعل
الوسوسة لاجله يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى بيان لوسوسته ولذلك
لم يعطف عليه وشجرة الخلد من اكل من ثمرها لم يمت على زعمه وروى ابو داود
عن ابي هريرة ان في الجنة شجرة تسمى شجرة الخلد والبلى الضعف والزوال من بلي
الثوب بكسر اللام قال العجاج والمرء يبليه بلاء السربال كر الليالي واختلاف
الاحوال فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة طفق يفعل كذا
شرع من افعال المقاربة والخصف الزاق الشيء فوق آخر من خصف النعل خرز عليه
الخصاف والورق ورق التين قيل كان مدورا فصار من تحت اصابعها على هذا
الشكل بارتكاب ما نهاه عنه فغوى فاخطأ طريق الرشد حيث اغتر بقول العدو
وترك نصح السيد الرؤف ثم اجتباه قربه من الجباية وهي الجمع فتاب عليه
قبل توبته بعد ما تاب اليه او وفقه للتوبة وهدى ارشده الى الاستقامة وعدم
الوقوع في مثله بعدها وما صدر من آدم وان كان على سبيل النسيان عبر عنه بالعصيان
والغواية اما لان حسنات الابرار سيئات المقربين واما ليكون لطفا بالتابعين
وايقاظا لهم فان صفية الله الذي اسجد الملائكة له اذا بدا منه صغيرة على وجه النسيان
جرى عليه هذا فانظروا انتم ايها المصرون على الذنوب واعتبروا قال اهبطا منها جميعا

رد على الكشاف والقاضي

الخطاب لادم وحوا بعضكم لبعض عدو يريد اولادهما لانهما اصل البشر فخوطبا
مخاطبتهم فاما ياتينكم مني هدى كتاب او رسول فمن اتبع هداى فلا يضل
في الدنيا ولا يشقى في الاخرة وعن ابن عباس رضي الله عنه ضمن الله لمن اتبع القران ان لا يضل
في الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم تلا الاية ومن اعرض عن ذكرى الهدى الذي هو سبب
ذكره فان له معيشة ضنكا وذلك ان المومن وان قل ماله متوكل على الله شاغل وقته بعبادة
فهو بما اوتي شاكر فرح وصدره شرح والمعرض عن ذكر الله وان اوتي ما لا لم يزل بكدو داسا عيا
في الجمع والازدياد لا يرتاع عيشه محروم لا ينال ما يريد خسر الدنيا والاخرة ونحشره يوم
القيمة اعمى لا يبصر شيئا او لا يهتدي له قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا امال حمزة و
الكسائي الفاعمى ولو كانا بيانا اماله ابو عمرو في الثاني امالة مقللة ولم يمل الاول يحافظ على
رؤس الاي قال كذلك اي كما يقول فعلت ثم بين ذلك وعلله بقوله اتتك اياتنا
فنسيتها تركتها وتعاميت عنها فكذلك اليوم تنسى تترك على عماك جزاء لك من
جنس عملك وكذلك نجزي من اسرف اي مثل جزاء هذا القائل نجزي كل مسرف منهمك
في اتباع الشهوات معرض عن تدبر الايات ولم يومن بايات ربه بعد مجيئها و
لعذاب الاخرة اشد وفظاعة والما وابقى وادوم من حشره اعمى بعد ضيق العيش في الدنيا
او الحشر اعمى لا يزول اشد من ضنك العيش المنقضي او تركنا اياه في العذاب اشد من تركه
لاياتنا وابقى وليس بوجه ولا القول بانه اذا دخل النار زال عماه ليرى موضعه افلم يهد لهم
الله او الرسول كم اهلكنا قبلهم من القرون مفعول الهداية معنى كان قيلا ولم يبين الله لهم مضمون
هذا الكلام والفعل معلق عنه لكونه في معنى الاعلام او الجملة فاعل لهم بها ومفسر لفاعل دال عليه وهي
الكتب يمشون في مساكنهم يريد قريشا يمرون على اثار الهالكين من عاد وثمود في اسفارهم ان في
ذلك لايات لاولي النهى العقول الناهية عن التغافل والتعامي ولولا كلمة سبقت
من ربك بتاخير العذاب لكان العذاب لزاما ملازما لهم لم يفارقهم طرفة عين
لكامل اسبابه قال ابو ذؤيب فلم تر غير عادية لزاما اي ملازما واجل مسمى لاعمارهم
عطف على كلمة او على ضمير كان المستكن لوجود الفاصل والمعنى لولا كلمة سبقت بتاخير العذاب
لكان العذاب واجل مسمى لازمين معا لهم تفرد الاجل عن العذاب العاجل فاصبر على
ما يقولون فان الله فيهاجيك به من القران وسبح بحمد ربك ترتيبا
شاكرا النعمة هدايته او صل وانت حامد ربك الذي وصلك الى هذا الكمال قبل طلوع
الشمس وقبل غروبها فان الذكر فيها اشرف لكونهما اشرف الاوقات او صلوة الفجر
وصلوة العصر لقوله ان قرآن الفجر كان مشهودا وقوله صلى الله عليه وسلم من فاته
صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله ومن اناء الليل ساعاته جمع اني بالقصر والكسر
او انا بالمد والفتح فسبح تنزيه لله وقدسه او صل فيها فان الوقت ابلغ والقلب
فيه اجمع لعدم التواصل والنفس بالعبادة فيها اخر تتجافى جنوبهم
عن المضاجع يدعون ربهم خوفا ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا
واطراف النهار وقبل الطلوع وبعد الغروب فيكون ذكر صلوة الصبح والمغرب
وانما جمع الطرف وللنهار طرفان لامن الالباس مع ما في ذلك من زيادة البيان
او لان ارادة جنس النهار والتطوع في اجزاء الطرفين من نصفي النهار لعلك
ترضى بما يعطيك ربك وقرأ الكسائي وابو بكر ترضى على بناء المفعول اي
لعل الله يعطيك ما يرضيك او يكون مرضيا عنده والمعتار بالفاعل ولعل للتحقيق من
الصادق المتفضل لاسيما والخطاب مع المقرب وتمام رضاه بقبول شفاعته في امته
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا نظر عينيك كم ننهي عن النظر بل عن مده وتطويل فان

فان من باده النظر الى الشيء المحسد به علمنا ثم كف النظر عنه بلا م وانما المنهي استغراق الطرف في
اعجابه وتمنيا ان يكون له مثل كما قالت نظارة قارون ياليت لنا مثل ما اوتي قارون
وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير وقد شدد العلماء واهل التقوى في النظر الى
ابنية الظلمة ومراكبهم وشاراتهم فانه اغرا لهم على طلب الزيادة والتعمق فيها ازواجا منهم
اصنافا من الكفرة مفعول متعنا ويجوز ان يكون حالا من الضمير المجرور في به اي لا تمدن
عينيك الى المتمتع به وهو اصناف بعضهم او ناسا منهم على ان من تبعيضية زهرة الحيوة
الدنيا مفعول ثان لمتعنا لتضمينه معنى الاعطاء او البدل من ... اي لا تمدن عينيك الى
الذي اعطينا سببه اصنافا من الكفرة زهرة الحيوة الدنيا اي بهجتها وزينتها او بدل من ازواجا بتقدير
مضاف او من المحل المجرور في به والابدال من العائد الى الموصول مختلف فيه والاحسن نصبه على الذم
لاضافتها الى الحيوة الدنيا المذمومة فمن الكل بنو الهدى يرى بحقيرها والادراء بها من
اقرب الى الغرب لنفتنهم فيه لنبلوهم فيه او لنعذبهم في الاخرة بسببه ورزق ربك
خير وما ادخرلك من الهدى والنبوة خير من ذلك الحطام فان الالتذاذ به روحاني مع قطع
النظر عن فائدته في الاخرة وقيل ما احلك من الثواب وابقى وادوم فان ما بايديهم منصب الافات
ويغني بالاتفاق وما لك يزداد وامر اهلك بالصلوة امر اهل بيتك او امتك فانك راع وكل
مسؤل عن رعيته وفي امرهم بها اعانة له ايضا فان الجماعة يتذ بعضهم بعضا ويزداد
الانسان نشاطا خلا في الانفراد فانه يورث الفتور ولتشاركهم في الثواب فان الدال على الخير
كفاعله واصطبر عليها ثم داوم المنافق في المداومة عليها لا نسئلك رزقا ان ترزق
نفسك واهلك فان ذلك علينا تفرغ بالك لامر الاخرة نحن نرزقك ومن يحب
عليك القيام بامره عن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند الملوك قرأ ولا تمدن عينيك
ثم ينادي الصلوة رحمكم الله والعاقبة للتقوى لذوي التقوى اشارة الى انهم فيه
سريع الزوال وقالوا لولا ياتينا باية من ربه على عادتهم في التعنت والعنا وعدم الاعتداد
عنادا بما جاءهم اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى يريد القرآن فانه مع كونه معجزا دال
على صدق دعواه برهان على صدق سائر الكتب المنزلة وهم يقرون بصدق تلك الكتب فاقرأ
هم بهذا آية اولى واوجب او المراد بينة الصحف الاولى نعت امته فيها كقوله اولم
تكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل وقرأ نافع وابو عمرو وحفص باتهم بالتذكير وهو
احسن لوجود الفاصل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد او البينة او محمد
لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل في الدنيا
ونخزى في الاخرة بيد ان هؤلاء لا يومنون ولو جاءتهم كل اية لانهم معاندون والايات
انما ينتفع بها المسترشد والارسال اليهم انما هو ليلا يكون لهم عذر يعتذرون به يوم
القيمة قل كل متربص منا ومنكم فتربصوا انتم فستعلمون عن قريب من اصحاب
الصراط السوي المستقيم ومن اهتدى سلك ذلك الصراط من الموضعين
استفهامية علق عنها العلم ختم السورة بما بداه كانه يقول له ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى مع هؤلاء المعاندين فبعد التبليغ لا تتهالك ودعهم في اودية الضلال يهيمون فسيعلم
الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تمت السورة ولله الحمد على نعم الموفقة والصلوة على من
نعت في الصحف مزبورة سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنا عشرة ايات بسم الله الرحمن الرحيم
اقترب للناس حسابهم اللام صلة اقرب اي اقرب منهم فان الاختصاص وابتداء الغاية
متعاد بان او تاكيد للاضافة والاصل اقترب حساب الناس اي لهم ثم قيل اقترب للناس
الحساب للاجمال والتفصيل ثم قيل اقترب للناس حسابهم باقامة الضمير مقام اللام
ثم قيل اقترب للناس والاقتراب امر نسبي والباقي من الدنيا قليل لقوله بعثت انا والساعة

كهاتين واشار بالسبابة والوسطى ولقوله بعثت في نسم الساعة او هو باعتبار المتكلم وان يوما عند
ربك كالف سنة اولان كل آت قريب وكل ماض بعيد والوجه هو الاول لوجود الاشراط وهم في غفلة
مستقرون فيها معرضون عن التدبر والفكر في العواقب خبر بعد خبر وجعل الظرف حالا
من المستكن في معرضون ضعيف ما يأتيهم من ذكر قرآن يوقظهم عن سنة الغفلة من ربهم
المربي لهم بانزال ذلك الذكر صفة ذكر محدث انزاله اية عقيب آية وسورة اثر سورة الا
استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفان او متداخلان والمعنى ما يأتيهم الذكر
المحدث المشتمل على فنون المواعظ وانواع البصاير في حال من الاحوال الا في حال استماعهم لاعبين
مستهزئين به يقولون لو نشا لقلنا مثل هذا قلوبهم شاغلة عن التدبر فيه والفكر في غرايب
اساليبه وبديع لطايفه واسروا النجوى اسم من التناجي ولا يكون الاخفيا فابقاع الاسرار
عليه مبالغة في اخفائه او اريد به نفس الفعل وهو التناجي بحيث لا يفطن له ولا يعلم احد انهم
يتناجون وهذا ابلغ الذين ظلموا بدل من واو اسروا لدلالة على كونهم موسومين
بالظلم في تناجيهم وقيل هو على لغة اكلوني البراغيث وهي لغة ازدشنوءة اول من تكلم به ابو عمرو
الهذلي وجهانه اريد بالاكل الاستيلاء والظلم وهو من فعل العقلاء فرشح بالحاق علامتهم
به وقيل منصوب على الذم وقيل مبتدأ قدم عليه خبره هل هذا الا بشر مثلكم افتأ
تون السحر وانتم تبصرون عطف بيان للنجوى او بدل منه وكان حق الكلام ان يقال بل هذا الا
ساحر او سحر ثم ترتب عليه الانكار لكن لما كان كونه مدعي الرسالة من البشر ساحرا وكون
معجزته سحرا امرا غامضا عندهم وضع المنزل موضعه ليكون ابلغ قل ربي يعلم القول في
السماء والارض القول العام الشامل للجهر والسر والاخفى فيتناول نجواهم الذي اسروه تناولا
اوليا واثر في الفرقان قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض لانه رد لما نسبوه اليه من
الافتراء على الله فاشار الى ما سموه افتراء انزله من يعلم باطن امر بيته ومقالتهم الحمقاء وقرأ
حمزة والكسائي وحفص قال اي ذلك البشر في جوابهم وهو المختار لكونه مدحا له في
الاهتداء الى هذا الجواب الذي طبق المفصل وهو السميع العليم برهان على علمه بذلك
القول بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر اما حكاية مقالتهم من غير تدرج وترق
في اباطيلهم والمراد انهم خاطئون متحيرون فتارة يقولون كذا وتارة كذا واما ابتداء اخبار
منه تعالى عنهم ملاحظا فيه التدرج فان قولهم القران سحر اقرب من كونه تخاليط الا
حلام لانه النظم الانيق الذي ابكم كل منطيق وهو اقرب من كونه مفترى بخلف لدلالة
القواطع على صدقه وهو اقرب من كونه شعر الكونه كلاما مخيلا لا حقيقة له اين هو من كلام
حار الحقايق النظرية والدقايق العلمية التي نيط بها امر المبدأ والمعاد وعلق بها صلاح العالم عن
الفساد فان قلت التدرج من الكذب ههنا الى الشعر عكس التدرج من الشعر الى الكذب في
سورة الطور فما وجه ذلك قلت الكلام ههنا في الذكر المتحدد النزول فكانه قيل قايله
كذاب بل شاعر شانه الاتيان بالاكاذيب وما لا حقيقة له بخلاف هناك فان الكلام في
رسالته وكونه شاعرا اقرب من كونه مفتريا لاشتهاره عندهم بالامانة والصدق فليأتنا باية
كما ارسل الاولون كابراء الاكمه والابرص واليد والعصا وصحة التشبيه لان الارسال للنبوة
الاتيان بالمعجزة ما امنت قبلهم من قرية اهل قرية اهلكناها صفة قرية افهم يؤمنون
استفهام انكار واستبعاد دلالة على انهم اعتى من السابقين وان ولكن بعد الاتيان بالاية المقترحة
لم يؤمنوا فاهلكوا فعدم الاجابة الى ما اقترحوه انما هو للابقاء عليهم وما ارسلنا قبلك
الا رجالا نوحي اليهم وقرأ حفص بالنون وهو المختار لكونه ادل على التصديق وانسب بارسلنا فاسئلوا
اهل الذكر اهل الكتاب ان كنتم لا تعلمون اذ لو كان كونه بشرا منافيا للرسالة كان
اهل الكتاب اول مكذب له لذلك وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام رد لقولهم

رد لقولهم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون وافراد جسدا لكونه مصدرا في الاصل او
بتقدير المضاف او ارادة الجنس او تأويل المصدر بكل واحد وهو اخص من الجسم لاختصاصه
بما له لون وما كانوا خالدين كانهم كانوا يعتقدون ان الملائكة لا يموتون او جواب لقولهم
يعيش كما نعيش ويموت كما نموت فلا يصلح للرسالة ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد كقوله
واختار موسى قومه فانجيناهم ومن نشاء المؤمنين بهم او من سبق في العلم ايمانه او
ايمان من يولد منه واهلكنا المسرفين المتجاوزين المفرطين لقد انزلنا اليكم كتابا
خطاب لقريش فيه ذكركم صيتكم وشرفكم لانه بلسانكم منزل على نبي منكم فانتم حملته او
اليكم المرجع في حل معاقده او تذكرة وموعظة لكم او فيه ما يحصل به الذكر الحسن والثناء الجميل
من مكارم الاخلاق التي كنتم تسابقون اليها افلا تعقلون ترجعون الى
عقولكم فتؤمنون به وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وصفت بوصف اهلها مبا
لغة القصم الكسر مع الابانة كناية عن الاستيصال لعدم بقاء الالتيام بعده وكم للتكثير وما روي
عن ابن عباس انها قرية ببلاد اليمن اسمها حضور ارسل الله اليهم فقتلوه فبعث عليهم بخت
نصر فقتلهم عن اخرهم معناه انها من جملة تلك القرى وانشأنا بعدها اي بعد اهلها المهلكين
قوما اخرين وسط في اثناء القصة اظهارا لعظمته وكمال اقتداره كقوله ان يشا يذهبكم و
يات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز فلما احسوا بأسنا شاهدوه اذا هم منها
يركضون الركض ضرب المركوب بالرجل وكانهم حين رأوا مقدمة العذاب هربوا على دوابهم
او عدوا على ارجلهم شبه بالركض بجامع السرعة لا تركضوا على ارادة القول والقايل اما
الملائكة او المؤمنون منهم او لا قول بل هم لحقاء بان يقال فيهم ذلك وارجعوا الى ما
اترفتم فيه من العيش الرافه الاتراف اطغاء النعمة والمترف المكثر الملاذ الموسع فيها ومسا
كنكم لعلكم تسألون عما جرى فتخبرون عن علم مشاهدة او ارجعوا الى مساكنكم وترشوا في المجالس
مباهين بها حتى يسألكم خدمكم وحفدتكم ماذا تأمرون به من المهمات او يسألكم من يستعين
بكم في الامور المهمة ويستضيء باراكم او المحاويج المستمطرون سحاب اكفكم المعترون اخلافكم و
كل ذلك على سبيل التهكم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين بتكذيب الانبياء فما زالت
تلك دعويهم اي قولهم يا ويلنا سماه دعاء لان المولول ينادي الويل وتلك مرفوع
على اسمية زال ودعويهم نصب على الخبر لانه مثل ضرب موسى عيسى ومن جوز العكس لم يلتفت
الى قاعدة النحاة ميلا منه الى المعنى حتى جعلناهم حصيدا مثل النبت المحصود
خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا مفعول ثان لجعل لانهما في حكم الواحد
اي جامعين لمماثلة الحصيد والخمود والمتعدد في مثل كالواحد سواء كان واحد حقيقة كقولك
جعلته حلوا حامضا اي مزا او لا كعالما شجاعا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
كما يفعل الجبابرة من رفع السقوف وبناء القصور وفرش الحرير وساير الزخارف وانما
رفعنا هذا السقف المرفوع وفرشنا هذا المهاد الموضوع وبثثنا بينهما من الخلايق مشحونة
بضروب البدايع ليكون تبصرة للمستبصرين وتذكرة للناظرين مع ما يتعلق لهم بهما من
المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به لا
تخذناه من لدنا مما يليق بنا من الحكم الالهية التي اتخذتموها انتم او المعنى ان صدور اللهو
منا مستحيل سوق الكلام لدفع المطاعن السابقة فيه صلى الله عليه وسلم بعد ما هدد بقوله
وكم قصمنا من قرية فان منكر الرسالة جاعل خلق السموات والارض من باب العبث
لان خلق السماء والارض وما بينهما انما هو لمعرفته تعالى وجزاء من قام بها ومن لم يقم ولن
يتم ذلك الا بارسال الرسل وانزال الكتب وحمل اللهو والمرأة ليس بذلك لان نفي الولد
سيجيء صريحا وقوله ان كنا فاعلين تكرير مبالغة في الاستحالة اي ان كنا نفعل ما يوصف باللهو

عن الشيخ العيني بيان
التبعي في تبيين

وهكذا يكون فعلنا والحمل على النفي ليكون كالنتيجة للسابق ايضا معنى حسن بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته تعالى عنه فيدمغه فيزيله ويقلع اثره استعار القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو الوصول الى الدماغ الموجب للهلاك تصويرا لابطاله ومحقه كانه جرم صلب قذف على جرم رخو اجوف فاذا هو زاهق هالك ذكره ترشيحا للمجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه من اللهو واللعب وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده من الملائكة الكروبيين افردهم بالذكر اظهارا لشرفهم ولفظ عند تصوير لقربهم وتمثيل بمن يكون عند الملوك ذا منزلة قربة لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون لا يملون من الحسور وهو الاعياء اثر الاستحسار على الحسور اظهارا لكمال قيامهم باعباء العبادة التي حقيق ان يستحسر منها يسبحون الليل والنهار لا يفترون مستمرون على التقديس لا يعتريهم فتور تقرير وتوكيد لما سبق من نفي اللهو لان من هذا شانه منزه عن مثل ذلك وتمهيد لما بعده ام اتخذوا الهة منقطعة للاضراب والترقي فان الحال الشرك ادخل في الانكار من انكار النبوة والقدح فيها وانما قدم عليه كونه مالك السموات والارض ومن فيها يستحق العبادة منهم وان المقربين عنده قايمون بها حق القيام ليشتد بها وجه الانكار من الارض صفة الهة ومنبئة لان الاصنام متخذة من جنس الارض كما تنحت من الحجر او تعمل من بعض الجواهر هم ينشرون الموتى من قبورهم والمشركون وان لم يقولوا بانشار الهتهم على ذلك ولكن لازم لادعاء الالهية لها لاقتضائها الاقتدار على كل الممكنات وفيه تهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم اختصاص الانشار بهم لو كان فيهما الهة الا الله الا وصف لالهة حمل على غير كما حمل عليه غير في الاستثناء ولا يستقيم فيه الاستثناء ولا البدل لفظا ومعنى اما لفظا فلان الاستثناء لا يكون بعد جمع منكر لعدم الشمول واما البدل فللفرع على المفرغ المنفي واما معنى فلان ما سيق له الكلام انتفاء التعدد المفضي الى الفساد والاستثناء والبدل مقتضيان الى ان دخول الاله الحق في عداد الالهة يدفع الفساد لفسدتا لم تكونا او خرجتا عن النظام للتمانع والتغالب تحقيق الحق في هذا المطلب الاجل ان موجد الكائنات خارج عنها واجب دونها فلو فرض اثنان اما ان يتحدا ماهية او يختلفا وكل باطل قطعا اما الاول فلاحتياج الى المقوم ولا اقل الى المميز وبطلانه ظاهر للزوم غناه عند الفرق واما الثاني فلان الاثر الواحد بالشخص اما بهما او بكل منهما او بواحد منهما والكل باطل وبطلان اللازم يوجب بطلان الملزوم هذا ان اريد بالفساد عدم التكون وان اريد الخروج عن النظام فكذلك لان حفظهما اما بهما او بكل منهما او باحدهما والكل باطل كما تقدم واما بالتوزيع واختصاص كل بالبعض فلان المخصص من الخارج لاستواء القدرة والامكان وذلك عين النقص والاحتياج فالاية برهان نير ولا اختصاص له بالفاعل المختار كما ظن فسبحان الله رب العرش عما يصفون اي اذا دلت السموات والارض على عدم جواز وجود الشريك فانزه مالك العرش عما يصفونه به من الشريك لا يسأل عما يفعل لانه عالم بالخفيات ووجوه الحكم والملوك الذين يتطرق على ارائهم الخطأ والزلل لا يسألون عن تدبير الملك فكيف بمن علم ما كان وما يكون وهم يسألون لانهم عبيد مامورون نخطاون ام اتخذوا من دونه الهة بل انكر اولا الالهة الارضية لظهور فسادها ثم الالهة مطلقا وبنى عليه نفي الحجة بقوله قل هاتوا برهانكم فان ما لا دليل عليه لا ثبوت له هذا ذكر من معي وهو القران ومن معه امته واضافة الذكر اليهم لانهم متعبدون باحكامه وذكر من قبلي وهو التورية والانجيل وفيها

وفيها دليل على عكس مدعاهم واكتفي بالسمعي لتقدم العقلي قدمه لكونه الاصل في العقايد بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون اضرب عن اقامة البرهان لكونهم فاقدي التمييز بين الحق والباطل فاي فايدة في ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون كشف عما كان في ذكر من قبل ازاحة لما عسى ان يخالج المشركين شبهة على الوجه الاعم وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون وقد سبق انه ابلغ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قدم نفي الشريك على نفي اتخاذ الولد ليكون تمهيدا له لانه اشد استحالة لاقتضائه الازدواج والانفصال الجزء منه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا والاية نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له بل عباد بل هم كسائر العبيد مكرمون مقربون تنبيه على محل الخطأ ولا يسبقونه بالقول لا يسبق قولهم قوله وانما نفى السبق عنهم اولا وجعل القول اداة ليكون اول ما يقرع السمع عدم السبق منهم مطلقا فيكون اشد واقوى في مدحهم نظيره قد طلبنا فلم نجد لك مثلا وهم بامره يعملون لا غير فلا قول ولا فعل الا بامره كما هو شان المقربين مع الملوك يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه شيء منهم الجملة تقرير وتوكيد لما قبلها ولا يشفعون مع قرب مكانتهم الا لمن ارتضى ان يشفع له واذن لهم في ذلك وهم من خشيته مشفقون من خوفه خايفون غاية الخوف من الشفق وهو السر الرقيق روي انه تعالى لما طرد ابليس بكى جبرئيل وميكائيل فقال تعالى لم هذا البكاء قالا يا ربنا انت اعلم خشية منك واشفاقا من مكرك فقال هكذا كونا والقول بان الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص به العلماء يرده قوله في حق فرعون لعله يتذكر او يخشى ولا دليل في قوله انما يخشى الله من عباده العلماء لارادة الكمال كقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ومن يقل منهم اني اله من دونه فرضا كقوله لئن اشركت فذلك نجزيه جهنم فكيف يكون ولدا وهل احد يلقي ولده في نار جهنم كذلك نجزي الظالمين المشركين اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا توقين ملصوقا احدهما بالاخرى فكشط السموات عن وجه الارض واوقع بينهما الفضاء السموات كانت سبلا صفة وكذا الارضون لا فرج بينها ففتقناهما فجعلنا بينهما فرجا والرؤية فعل القلب فان قلت اثبات ذلك العلم على اوكد وجه ومتى كان لابي جهل واقرانه علم بان السموات والارض كانتا رتقا فلت علمهم باعجاز القران المخبر عنه مستلزم له وانما اثر هذا الاسلوب وان كان الاستدلال بالايجاد كافيا بيانا لكيفية الايجاد الدال على كمال الاقتدار وقيل الرتق العدم لعدم تمايز الاشياء فيه وقيل فتقنا السماء بالمطر والارض بالنبات والقول بان السموات فتقت بالتحريكات الفلكية مع سماجة معناه مبني على ثبوت حركة الفلك وانما كانتا فالان المراد جماعة السموات والارض وجعلنا من الماء كل شيء حي اي خلقنا كل حي من نطفة ابيه كقوله والله خلق كل دابة من ماء او لفرط احتياجه الى الماء كانه مخلوق منه جعل بمعنى صير اي صيرنا كل شيء حي من الماء متصلا به لا يحيى دونه كقوله صلى الله عليه وسلم ما انا من دد ولا الدد مني اي لا اتصال بيننا افلا يؤمنون بعد ظهور هذه الايات وجعلنا في الارض رواسي جبالا ثوابت ترسخ فيها باشاع الاظهر الاخفى فان هذا محسوس وذاك معقول ان تميد بهم كراهة ان تضطرب بهم من ماد يميد مال وجعلنا فيها في الجبال فجاجا طرقا واسعة سبلا تسلكها السابلة بدل من فجاجا يدل ضمنا على انه خلقها كذلك للسابلة او حال قدمت وان كانت في الاصل وصفا لقوله سبلا فجاجا للدلالة على انه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فيكون بيانا لما ابهم هناك لعلهم يهتدون

الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع والاضطراب والخروج عن
الاوضاع والاشكال مع عظم الجرم وطول الزمان وقيل بالشهب عن استراق الشياطين الى
استماع سكانه وهم عن اياتها المودعة فيها من عظم الجرم بلا عمد وتزيينه بالكواكب وطلوعها
وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب معرضون لا يتفكرون في شيء منها ليؤديهم
الى الايمان بوحدة الصانع وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر تفصيل لبعض
تلك الايات كل كل واحد من الشمس والقمر في فلك يسبحون يسرعون على سطح الفلك
سراع السابح على الماء خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بالحال دون
المعطوف عليه لامن اللبس والجمع باعتبار كثرة المطالع وبالواو لان السباحة فعل العقلاء
هو صريح في ان الحركة للكوكب دون الفلك كما يزعمه اهل الهيئة وما جعلنا لبشر من
قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون كانوا يتربصون به ريب المنون كما هو دأب
الخصم المحجوج اذا لم يجد ما يتشبث به يتمنى هلاك خصمه فقيل ان مت انت كما يتمنونه فانت
وهم في ذلك سواء فقال للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا كل نفس ذائقة
الموت مرارة برهان على ذلك ونبلوكم بالشر والخير نعاملكم معاملة المختبر
بهما لنرى صبركم على البلاء وشكركم على النعم وقدم الشر لان الانسان يظهر السكون عنده
اول مكروه فهو الصق بالاختبار بخلاف الخير فان الله غفور ولذلك قدم الخير في قوله من يعمل مثقال ذره
فتنة مصدر من غير لفظه الفعل واليه ترجعون فنجازيكم على حسب الصبر والشكر واذا راك
الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا مهزوا به اطلق المصدر مبالغة اهذا الذي يذكر الهتكم قائلين
هذا الكلام والذكر يكون بالخير وبخلافه ارادوا عيب الهتهم لان العدو لا يذكر العدو بخير
واسم الاشارة للتحقير كما في قول عائشة عجبا لابن عمر هذا حين افتى بان على النساء نقض الظفائر
للغسل وهم بذكر الرحمن هم كافرون اي بما يجب ان يذكر به من الوحدانية او بذكر الرحمن
من اسمائه حيث قالوا وما الرحمن او بالقران الذي انزل الرحمن اليك والمعنى وهم بهذه
الصفة فهم احقاء بان يتخذوا هزوا وانا انت فبمعزل من ذلك واعادة الضمير لافادة التخصيص
خلق الانسان من عجل عن ابن عباس اراد بالانسان ادم حين بلغ الروح صدره اراد ان
يقوم وقيل لما بلغ الروح عينيه راى ثمار الجنة فلما دخل جوفه اشتهى الطعام والاية نزلت في
في النضر بن الحارث وليس فيه ما يدل على جواز تكليف المحال سأريكم اياتي التي تستعجلون بها
فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد استبطاء ان كنتم صادقين في وقوع العذاب
اما في الدنيا او يوم القيمة لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن
ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو محذوف اي لو عرفوا القيامة حق المعرفة وما يحيط بهم
فيها لما جسروا على ما جسروا وفي التعبير عنها بحين منكرا وهي العلم المعروف وتصويرها
بالوصف الكاشف تهويل لا يخفى ويجوز ان لا يكون للعلم مفعول اي لو كانوا من اهل
العلم لما استعجلوا وعلى هذا حين منصوب بفعل مضمر على تقدير السؤال كانه قيل متى
يعلمون فاجيب يعلمون حين لا يكفون بل تاتيهم بغتة فجأة مصدر او حال فتبهتهم
تجعلهم حيارى مغلوبين فلا يستطيعون ردها النار او العدة او القيمة لانها بحين
بمعنى الساعة ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا وتفسيح الوقت
عليهم وانه لا انظار بعد ذلك الامهال الطويل ولقد استهزئ برسل من قبلك
لما ذكر الاجوبة الدامغة لطعنهم في النبوة وادمج في ذلك من المعاني التي هي الباب المقاصد
سلاه بان له فيما ناله من الاذى اسوة باجلة الرسل فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا
به يستهزءون وعده بالنصر في العاقبة قل من يكلؤكم يحفظكم ويحرسكم بالليل
والنهار من الرحمن من بأسه وفي ايثار الرحمن اشارة الى ان لا كالئ لهم الا رحمته الغالبة

الغالبة وايماء الى انه وان عظمت نعماؤه ما اعظم غماؤه على ما يقال نعوذ بالله من غضب
الحليم والسؤال تقريع ولذلك اضرب عنه بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه
ببالهم فضلا عن ان يخافوا من بأسه تسجيلا عليهم بانهم ليسوا اهلا للسماع ام لهم
الهة تمنعهم من دوننا اضرب عن اعراضهم الى ما هو اشد دخلا في الانكار
كانه يقول دع اعراضهم وانظر الى من اعرضوا عن ذكر الرحمن والتجأوا اليه فان هذا اطم
لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استيناف لبيان ما هو مخاف عقولهم
بان من تركوا ذكر الرحمن له جماد لا يقدر على نصر نفسه ولا هو مصحوب من الله بنصر كيف
ينصر غيره بل متعنا هؤلاء واباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب الى بيان الداعي
الى كلاهم وهو التمتع استدراجا بما قدر لهم من الاعمار فحسبوا ان لا يزالوا كذلك
افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها بيان وتقرير لما هم فيه
من الاستدراج وانهم سيخرجون عما هم فيه والرؤية بمعنى العلم لتعلقها بمضمون الجملة
واللام للعهد يريد ارض الكفرة وهذا اخبار بما سيقع من تسليط المسلمين على الكفرة
لان السورة مكية وقد وقع ذلك كما اخبر فالاية معجزة مستقلة افهم الغالبون لا يكون
ذلك قل انما انذركم بالوحي بعد ما استوفى الكلام في الاحتجاج على النبوة
والتوحيد ارعد وابرق في الوعيد ثم امر ان يقول ان هذا الذي تلوته عليكم وحي من الله
ليكون فذلكة كما يقول احد خواص الملك لمن ينصحه بعد ان لم يبق له عذرا ما قلت لك
كلام الملك ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون الظاهر لا يسمعون ما ينذرون عدل
الى المنزل للدلالة على ان عدم السماع انما هو للتصام لا للقصور في الانذار لقد اسمعت
لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي وقرأ ابن عامر بالخطاب من الاسماع والغيبة
من السماع ابلغ لدلالته على عدم القابلية اذا نصب بيسمع او بالدعاء والتقييد بالانذار
لان الكلام فيه ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ادنى شيء منه من نفح الطيب اذا
فاح وفي الحديث ان لربكم في ايام دهركم نفحات فتعرضوا لها وفيه مبالغات ذكر المس الذي هو
اتصال ما والنفح وبناء المرة والتنكير الدال على القلة ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين
ندموا حيث لا ينفع ونضع الموازين القسط يوزن بها صحايف الاعمال او هو تمثيل للحساب
السوي والقسط هو العدل من اقسط عدل لا من قسط وافراده لانه مصدر او ذوات القسط
روى مسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام بيده القسط يرفع ويخفض ليوم القيمة اللام للتوقيت
كقوله لدلوك الشمس او لاجل اهل فلا تظلم نفس شيئا من اعمالها وان كان مثقال
حبة من خردل اي وان كان العمل في الحقارة ما يزن تلك الحبة تصوير لكمال عدله وانه
القليل عنده كثير اتينا بها احضرناها وقرأ نافع مثقال بالرفع على كان تامة وقراءة القوم
اظهر لان المراد عمل يوازن الحبة وكفى بنا حاسبين لكمال علمنا وشموله وانما وضع
الميزان اظهارا للعدل ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين
شرع بتفصيل الرسل الذين استهزئ بهم كالتسلية بعد الاحاطة باحوالهم وبدأ بذكر
موسى عليه السلام لكونه اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم في كثرة الايات وتكاثف
الامة ولم يستوف قصته لتقدمها في السورة السابقة مستوفاة ثم ذكر قصة ابرهيم لكونه على
ملته وكون قصته اغرب القصص لبلوغه اقصى مراتب المتوكلين والعطف باعتبار الصفات
فان التورية لكونه فارقا بين الحق والباطل فرقان لاشتماله على الاحكام الدينية ضياء
ولكونه موعظة ذكر وقيل الفرقان النصر لقوله تعالى يوم الفرقان ليوم بدر وقيل فلق
البحر بين موسى وعدوه الذين يخشون ربهم صفة المتقين والوجه الرفع او النصب
على المدح بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون

واعترض صاحب المفتاح على الرابع
بانه فقط لكون العقل معقولا
للسكاكي تمت

غاية الخوف وفي تقديم الضمير تعريض بغيرهم وهذا ذكر القران مبارك اودع فيه النماء و
زيادة الخير كلا جامعة تشمل اوصاف التورية وغيرها انزلناه افانتم له منكرون
توبيخ وتقريع بعد بيان الصارف عن الانكار ولقد اتينا ابرهيم رشده الاهتداء الى وجوه
الصلاح او النبوة والحجة على قومه واضاف الرشد للدلالة على انه رشد له شان كقوله
انزله بعلمه من قبل اي قبل البلوغ حين خرج عن السرب وراى الكوكب او من قبل موسى
وهرون او من قبل نبوة محمد عليه السلام وكنا به عالمين بما جبل عليه من
الزكاء وبديع الاسرار وقوة اليقين وكمال التسليم اذ قال لابيه وقومه متعلق
باتينا او برشده والاحسن تعلقه باذكر مقدرا اي اذكر من اوقاته هذا الوقت فانه
يسليك عما تلقى من قومك وهذه التماثيل التي انتم لها عاكفون عبر عنها بالتماثيل
التي هي الصور اشارة الى انها خالية عن المعنى واللام للاختصاص لان صلة العكوف
على والاحسن تضمين العكوف معنى العبادة لقوله قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين
ولان المنكر عبادتها لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين واضح غني عن البيان
لان من تمسك به لا يلتفت قصدا الى الجماد فضلا عن تعفير الوجه له قالوا اجئتنا بالحق
ام انت من اللاعبين استبعدوا ان يكون ما هم فيه ضلالا اي ما تقوله احد وحق ام لعب
وانما اثر والاسمية في معادل الهمزة ميلا الى ترجيحه وانه الذي يليق بحاله وعندي ان ام
منقطعة اضرابا عن كون ما جاء به فيه شائبة حق ولذلك قابلهم بمثل ما بدؤا وحيث
قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن ان يكون فيما جاء به شائبة
هزل والضمير في فطرهن للتماثيل او للسموات والارض والاول ادخل في تضليلهم وان كان
الثاني اقرب وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين الموقنين فان علم الشهود
اجلى اليقينيات وتالله لاكيدن اصنامكم في ايثار التاء التي هي للتعجب بين حروف القسم
ولفظ الكيد الدال على الاحتيال اشعار منه بان الغرض لها امر خطير وكان كذلك وكفى
اذا الله سنى عقد شئ تيسرا بعد ان تولوا مدبرين الى مكان عيدكم روي ان ازر وقومه
خرجوا الى عيد لهم فدخلوا بيت الاصنام وسجدوا لها ووضعوا طعاما بين ايدي الاصنام
وقالوا الى ان نرجع يحصل للطعام البركة فدخل ابراهيم كما وعد بيت الاصنام وكانوا سبعين
صنما فاخذ الفاس وكسرها الكل الا كبيرا لهم وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان فعلق الفاس
في عنقه فجعلهم جذاذا قطعا فعال بمعنى مفعول وقرا الكسائي بالكسر وهما لغتان
وقيل بالكسر جمع جذيذ كخفاف وخفيف والضم اكثر كحطام ورفات الا كبيرا لهم للاصنام
لعلهم اليه يرجعون الى ابرهيم فانه المنفرد بعداوتها فيبكتهم بها او الى الكبير فانه كبير
المعبودين ورأيهم فيبكتهم ايضا وجعل الضمير لله بعيد اذ لا فائدة في ابقاء الكبير
حينئذ قالوا حين رجعوا من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين بجراته وهتك
ما كان يحب توقيره او بتوريط نفسه قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم الفعل
الاول مع فاعل مفعول ثان لسمعنا والثاني صفة فتى ورفع ابرهيم على انه نائب عن فاعل يقال لان المراد
الاسم لا المسمى وقيل خبر مبتدا محذوف وقيل منادى قالوا فاتوا به على اعين الناس بمرأى منهم وايثار
على للمبالغة في تحقق الرؤية ثبوته وتمكنه في اعينهم تمكن الراكب من المركوب لعلهم يشهدون عليه ان انكر او
يشهدون عقوبته ان يشاهدوا الفاعل قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم الاستفهام للتقرير وهو على اصل
والاضراب الى قوله قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون معناه ان السؤال لا وجه له اذ لا
يصلح لهذا الفعل غيره وهذا النوع من الكلام من لطف المعاريض اثبت لنفسه الفعل على الوجه الابلغ متضمنا فيه
الاستهزاء والتضليل او هو من الاسناد الى السبب فانه لما كان غلظ كبيرها اشد
عليه واكثر تسبب ذلك لحطم البواقي او هو حكاية لما يلزم مذهبهم كانه قال من يكون

معادل بكسر الدال
ضعام المقدر منه

من يكون الها يجب ان يقدر على هذا واعظم روي انه لما سئل قال فعله كبيرهم غيظا من
الصغار لعدم رضاه بالاشراك معه اشارة الى ان الصنم الكبير اذا لم يرض بالاشراك
فكيف يرضى خالق الكائنات فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون باتخاذ هذه
الجمادات معبودا لا من ظلمتموه ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون النكس جعل
اسفل الشيء اعلاه والمعنى انحرفوا عن تلك الفكرة الصالحة الى ما كانوا عليه من الضلال
بانا علمنا انها لا قدرة لها ومع ذلك اتخذناها اربابا او رجعوا عن الجدال بالباطل
الى الجدال بالحق لان قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اقرار بعدم الالهية وانما عبر
عنه بالنكس وان كان حقا لانه خلاف معتقدهم والنكس عبارة عن غاية اطراقهم رؤ
سهم خجلا وقولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون كل حيرة اتوا بها وان كان حجة عليهم عن
الرجوع عن الجدال عنه في قوله انكم انتم الظالمون الى الجدال معه بالباطل في قولهم
لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وجوابه وهو قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم
شيئا ولا يضركم معللا بما ينافي الالوهية يؤيد الوجه الاول اف لكم ولما تعبدون
من دون الله اف صوت اذا صوت به علم ان المصوت متضجر واللام للبيان اي
تضجري لكم قرا ابن كثير وابن عامر بفتح الفاء بنا ونافع وحفص بالكسر منونا للتنكير المفيد
للتعظيم والباقون غير منون لان اصل بناء السكون والكسر اصل في تحريك الساكن افلا
تعقلون قبح فعلكم قالوا حرقوه بالنار اذ لا يتصور عذاب فوقه قال صلى
الله عليه وسلم لا يعذب بالنار غير الله لعظمه اختص بمن لا اعظم منه وانصروا
الهتكم عطف تفسيري ان كنتم فاعلين ان تنصروا الهتكم كنى عنه بالفعل
مبالغة وهذا دأب المحجوج اذا الزمت حجته وافتضح يأخذ في المناصبة ناكبا عن المعارضة والمشير
بالاحراق نمرود وقيل جلف من اعراب فارس قيل حبسوه شهرا حتى جمعوا حطبا كثيرا وا
ججوا له نارا يكاد يحترق الطير في الجو من وهجها قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم
اما كلمها على ما هو الظاهر او مجاز عن تعلق ارادته وعن ابن عباس رضي الله عنه
لو لم يقل سلاما لاهلكته ببرده وكانه اخذه من تنوين العظمة وحمل المصدر لخراج
النار عن طبعها خلاف المعتاد فاما ان يكون على الاطلاق او يختص بمن خصت به وهو
ابرهيم وتبقى في غيره على اصلها وعلى الوجهين معجزة له او ارهاص لنبوته اذ قيل انه
كان عمره ست عشرة سنة وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين لانقلاب الحجة
في المعارضة عليهم وضلال سعيهم في ايقاد النار واستحقاقهم عذاب الاخرة ونجيناه
ولوطا الى الارض التي باركنا فيها هي الارض المقدسة ضمن نجى معنى الدلالة فعدى بالى
للعالمين كافة لانها موطن الانبياء منها انتشرت شرائعهم التي هي مبادي الكمالات النا
الدينية التي بها ينوط بقاء الخيرات الدنيوية وهي محشر يوم المعاد وقيل ما من ماء عذب الا
واصله من تحت الصخرة ووهبنا له اسحاق لا دعا وطلب الولد بقوله هب لي من
الصالحين ويعقوب نافلة ولد الولد فانه عاش حتى راه او زيادة على سؤاله من النفل
وهو الزيادة ومنه نوافل الطاعات لزيادتها على الفرائض وكلا جعلنا صالحين
للنبوة او صالحين في الدين كاملين وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا صيرناهم مكملين
بعد الكمال واوحينا اليهم فعل الخيرات بان يحثوا الناس عليها تكميلا للقوة النظرية و
العملية واقام الصلوة وايتاء الزكوة من عطف الخاص على العام وحذف التاء
من الاقامة لقيام المضاف اليه مقامها وكانوا لنا عابدين لا غير ذكره تنبيها
على شرف العبادة كوصفهم بالصلاح ولوطا نصب على شريطة التفسير اتيناه
حكما وعلما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم ونجيناه من القرية التي كانت تعمل

ظلم مسند الى
الظلم منه

الخبائث من الكفر واتيان الذكور وعدم النهي عن المنكر والضراط في النادي
وحذف المارة بالحصى وصفها بوصف اهلها لقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين
وفي اضافة القوم الى السوء مبالغة كما في رجل صدق وادخلناه في رحمتنا في اهل
رحمتنا او في الجنة لانها محل الرحمة روى ابو هريرة ان رسول الله قال تحاجت النار والجنة فقال
الله للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء انه من الصالحين الذين صلحوا للكرامة ونوحا
اذ نادى من قبل من قبل المذكورين لاهلاك قومه رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان
وما كان فيه من تكذيب قومه ونصرناه جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا
قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لم يبق الا هو وذريته لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين
وان كان معه غير ذريته الا انه لم يبق غير ذريته ولذلك يقال انه ادم ثانيا وداود وسليمان اذ
يحكمان في الحرث في الزرع اذ نفشت فيه غنم القوم رعت فيه ليلا بلا راع واصل
النفش التفرق ومنه نفش القطن وكنا لحكمهم لحكم المتحاكمين والحاكمين وانما جمع و
نسب الفعل الى الفاعل بالقيام والى المفعول بالوقوع ارادة لمطلق الاختصاص
شاهدين حاضرين علما ففهمناها سليمان الضمير للحكومة حكم داود بالغنم
لصاحب الحرث فقال سليمان غير هذا اوفق بهما وكان عمره اذ ذاك احدى عشرة سنة
فقال داود وكيف يا بني قال ارى يا نبي الله ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون
بالبانها واصوافها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود ثم يترادان
فامضى داود حكمه لان حكم داود كان ايضا بالاجتهاد والحمل على انهما حكما بالوحي
بعيد لكون سليمان صغيرا دون البلوغ وفي لفظ فهمناها اشارة الى ان ذلك
كان بالاجتهاد فان قلت كيف نقض اجتهاد سليمان اجتهاد داود وقد ذكر
الفقهاء ان نقض الاجتهاد بالاجتهاد غير جائز قلت لم يكن هناك نقض بل
ذلك من توافق الاجتهادين ورجوع داود كما رجع ابو حنيفة عن كثير من اقواله
الى قول صاحبيه بعد ظهور الدليل والقول بان كلا الحكمين كان صوابا وحكم
سليمان اصوب غير سديد ونظير قول داود ما قال ابو حنيفة في العبد الجاني
يدفعه المولى بذلك او يفديه ونظير قول سليمان ما قال الشافعي في العبد المغصوب
اذا ابق من يد الغاصب يغرم القيمة للحيلولة فاذا ظهر العبد يترادان واما عين المسئلة
في شرعنا فابو حنيفة لا يوجب الضمان الا اذا كان صاحب الدابة معها لقوله صلى الله عليه
وسلم جناية العجماء جبار والشافعي يفرق بين الليل والنهار يوجب الضمان بالليل
لان المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالضمان
لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته وقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى
اهل الماشية حفظها بالليل وكلا اتينا حكما وعلما مدح لهما بعد ان قدم
ان الحق مع سليمان دلالة على ان المجتهد وان اخطأ ممدوح لبذله الوسع من اجتهد واصاب
فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد وسخرنا مع داود الجبال يسبحن اذا سبح كما سبحت
الحصا في يد رسول الله وكما حن اليه الجذع وقيل تسبح بمعنى صار من السباحة اي
يسرن معه حيث سار وفيه بعد وعلى الوجهين اما حال او استئناف والطير عطف على
الجبال او مفعول معه وكنا فاعلين مثل ذلك وان كان بعيدا عندكم او كنا نفعل
مثل هذه الكرامات مع الانبياء وعلمناه صنعة لبوس لكم صنعة الدرع عن
قتادة كانت قبل صفائح الحديد فاول من سردها وضم الحلق بعضها على بعض داود
لجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم من بأسكم بدل اشتمال من لكم قراءة ابو بكر بالنون

رد على صاحب الكشاف

رد على الكشاف

بالنون مسند اليه تعالى وابن عامر وحفص بالتاء مسند الى ضمير الصنعة
او اللبوس بتأويل الدرع والباقون بالياء مسند الى ضمير اللبوس وهو الظاهر
لكونه حقيقة من غير تأويل بدل اشتمال من لكم فهل انتم شاكرون هل انتم
تشكرون لان اصل دخول هل على الفعل فالعدول عنه لابراز ما يتجدد في صورة
الثابت فكان ادل على طلب الشكر ولسليمان الريح اي وسخرنا له وزيادة
اللام هاهنا دون الاول لان نفعه عائد الى سليمان بخلاف تسبيح الجبال او الطير
عاصفة شديدة الهبوب ولا ينافي وصفها بالرخاء وهي اللينة لانها كانت عاصفة
في العمل غدوها شهر ورواحها شهر وفي نفسها رخاء لا تزعزع بل تسير على وفق مراده
وكان ذلك اية الى اية ومعجزة مع معجزة تجري بامره وكيف يشاء حالا ثانية الى
الارض التي باركنا فيها هي الشام فانه كان يقيم بها وكنا بكل شيء عالمين فعلمنا
انه اهل لذلك الاكرام ولذلك وصف بكونه عبدا شكورا ومن الشياطين
من يغوصون له في البحار ويستخرجون له الجواهر النفيسة من موصوفة عطف على الريح او
مبتدأ خبره ما قبله ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون الى اعمال اخر كبناء
القصور واختراع الصنائع البديعة وكنا لهم حافظين ان يوجد منهم فساد
او زيغ عن امره وخروج عن طاعته وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر قيل كان
روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله تعالى وكثر ماله وولده ثم هدم البيت على
اولاده وذهب امواله وابتلي بمرض في بدنه حتى اكلت الدود لحمه وبلغت عظامه
واستمر به المرض ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبع
ساعات روي ان امرأته قالت له لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت
ثمانين سنة فقال استحي ان اسأل وما بلغت مدة بلائي مدة الرخاء فان قلت فكيف
سأل قلت روي ان الدود اكلت لحمه حتى دخلت الى قلبه فخاف ان تبلغ فلا يقدر على
ذكره تعالى والضر بالضم ما يلحق الجسم من سوء الحال والضر بالفتح يشمل كل ضرر وانت ارحم
الراحمين تلطف في السؤال حيث ذكر مس الضر نفسه ووصف ربه بغاية الرحمة ولم يصرح
بالمطلوب روي ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين
مشت جرذان بيتي على العصي فقال الطفت لاجعلنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها
حبا فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم احيى الله اولاده
ورزقه ضعفهم كذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وقيل ولد له ضعفهم
رحمة من عندنا على ايوب وذكرى للعابدين وموعظة للعابدين بعده ليصبروا كما
صبر فيثابوا ثواب الاجر وحسن العاقبة واسمعيل وادريس وذا الكفل هو الياس او
يوشع بن نون سمي بذلك لكونه ذا حظ من الله تعالى وقيل لكون عمله كان ضعف
عمل الانبياء في زمانه وقيل هو زكريا لانه كفل مريم او الكفل يحيى لانه رزق في غير
اوانه قيل خمسة من الانبياء لهم اسمان اسرائيل ويعقوب والياس وذو الكفل
وعيسى والمسيح ويونس وذو النون ومحمد واحمد كل من الصابرين على التكاليف
ومشاق النوائب وادخلناهم في رحمتنا في النبوة انهم من الصالحين لها او
كاملين في الصلاح لعصمتهم او للثناء عليهم لقيامهم بما اورثهم ذلك وذا النون
هو يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا قومه لما سئم من طول دعوتهم وشدة
شكيمتهم هاجر قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب ان لم يؤمنوا فابوا فخرج من بينهم
فتابوا الى الله وامنوا فكشف الله عنهم العذاب فجاء بعد ثلث فظن فرآهم على
حالهم ولم يعلم بتوبتهم فاستمر ذاهبا حياء فظن ان لن نقدر عليه من القدر

وهو الضيق ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله او مثل حاله بحال من يظن
ان لا يقدر عليه بجامع استقلاله وعدم انتظاره لامرنا القول بجواز ان يكون رد على الكشاف والقاضي
ذلك خطرة شيطانية سبقت اليه وهي خطاء لا يجوز اعتقاده وقياس على قوله وتظنون
بالله الظنونا باطل واطلاق الظن على الخطرة وان صح الا ان المحل آب عنه ولو سلم
كيف يعاقب على الخطرة التي لا اختيار فيها فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة
كقوله دليل يقول الناس في ظلماته سواء صحيحات العيون دعورها او ظلمة بطن الحوت
والبحر والليل وقيل ابتلع ذلك الحوت حوت اخر ان لا اله الا انت انه لا اله الا انت
سبحانك ان يعجزك شيء تجى اني كنت من الظالمين داخلا في عدادهم بالمهاجرة
من غير امرك فاستجبنا له عقيب الاعتراف ونجيناه من الغم الذي كان فيه
وكذلك ننجي المؤمنين من الشدائد والغموم اذا اعترفوا واخلصوا وعنه صلى
الله عليه وسلم ما دعا بها مكروب الا اتاه الفرج قيل لبث في بطنه اربع ساعات
وقيل ثلثة ايام وقراء ابن عامر وابو بكر نجي بنون مضمومة وجيم مشددة على
ان اصله ننجي مضارع انجي ادغمت النون في الجيم لتجانسهما في الانفتاح والاستعلاء
والجهر كما في اجاص واجانة وعن ابي عبيد هو مضارع نجى حذفت النون الثانية
لاجتماع المثلين مع عدم تاتي الادغام وعليه الرسم وقد صح النقل تواترا والنصح رد على الكشاف
الوجه فالقادح مباهت وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد
يرثني وانت خير الوارثين فلا ابالي ان لم ارزق ولدا فاستجبنا له ووهبنا له يحيى
واصلحنا له زوجه بعد ان كانت عاقرا او اصلحنا خلقها لانها كانت سيئة الخلق
وتقديم يحيى وان كان متاخرا عن اصلاحها لانه المقصود انهم الانبياء المذكورين
كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون اليها ويدعوننا رغبا ورهبا راغبين
راهبين قدم الرغبة ترجيحا لجانب الرجا وكانوا لنا خاشعين باكين الوجل
الخشوع فعل القلب والخضوع فعل الجوارح وعن الاعمش سالت عنه ابرهيم فقال
هو بين المرء وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه والمعنى ان ما نالوه من رفعة المحل
والكرامة انما نالوه بهذه الخصال ويجوز هذه الاوصاف لزكريا ويحيى ووالدته
لتقدم سائر الانبياء مع اوصافهم والتي احصنت فرجها ذكرها بين هؤلاء الكمل
وايثار لفظ الاحصان الدال على كمال التحفظ ينادي على عظم شانها وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه لما سال فاطمة رضي الله عنها عن طعام اصبح عندها من
اين لك هذا قالت هو من عند الله قال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء العالمين
فنفخنا فيها من روحنا فنفخنا في عيسى في بطنها من الروح الذي من امرنا او
من جهة روح القدس وهو جبرئيل اضافه اليه تعالى تشريفا له وجعلناها وابنها
اية للعالمين جنس الاية لان فيهما ايات كثيرة او اية قائمة بهما والبواقي تختص
بهذا او بتلك ان هذه امتكم فعل بمعنى المفعول لانها يطلب قال وهل يستوي ذمامه
وكفور اشارة الى ملة الاسلام وان لم يتقدم ذكرها لكونها مصورة في الاذهان ولكمال
تميزها لم يوصف اسم الاشارة امة واحدة غير مختلف بين الانبياء يريد العقائد
دون الفروع التي تتطرق اليها النسخ والتبديل وانا ربكم فاعبدون كان الظاهر
انا الهكم لانه رتب عليه العبادة الا انه اثر لفظ الرب اشارة الى ان دعاهم الى العبادة
تربية لهم ودعا بلسان اللطف والبسط وتقطعوا امرهم بينهم وتقسموا امر دينهم
كما يتقسم الشركاء كل ياخذ نصيبا غير نصيب الاخر صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة
ابعادا لهم كانه نعى عليهم صنيعهم الى مخاطب اخر وقال انظر الى هؤلاء اي دين

دين افسد واي ضلال ارتكبوه بعد ذلك الارشاد وهذا ابلغ من قوله فتقطعوا
بالفاء في سورة المؤمنين لمجئ الواو للمقارنة ولذلك امرهما بالعبادة وهناك بالتقوى
اشارة الى بعد هؤلاء عن تلك الرتبة كل الينا راجعون فنجازيهم على حسب اعمالهم
فمن يعمل من الصالحات بعضها بعد ذلك الفرق وهو مؤمن اذ بدونه لا يعتد
بعمل فلا كفران لسعيه مثل في حرمان الثواب فان قلت لم يذكر فمن يعمل هنا بالفاء
وقد ذكره في السورة السابقة بالواو قلت لانه ذكر ان بعد ذلك الفرق من عمل صالحا
لا يضيع اجره وهناك ابتداء كلام ترغيبا بعد اهوال القيمة وانا له كاتبون
بكتبة حفظتنا وحرام على قرية اهلكناها عزمنا على اهلاكها وقراء حمزة والكسائي
وابو بكر حرم بكسر الحاء وسكون الراء وهما لغتان انهم لا يرجعون الى التوبة لان مراده
واقع لا محالة او اهلكناها بالفعل والمراد رجوعهم الى الدنيا كذا عن ابن عباس وقيل
للجزاء ولا صلة على الوجوه والوجه هو الاول لقوله حتى اذا فتحت ياجوج وما
جوج فانهم في ذلك اليوم يرجعون الى التوبة حتى هي التي تحكى بعدها الجمل ولا يكون لوجود يعني الفاجاة منه
الابتدائية وقراء ابن عامر فتحت مشددا وعاصم الاسمين بالهمز اما لانهما الاصل ان
كانا عربيين او جارية مجراها ان كانا عجميين وهم من كل حدب مرتفع من الارض
ينسلون يسرعون من النسلان يقال نسل وعسل اذا اسرع قيد الحدب لان الاسراع
فيه اظهر قيل هم تسعة اعشار بني آدم واقترب الوعد الحق قيام الساعة فان خروجهم
بعد عيسى عليه السلام فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا شخوص البصر ارتفاع الجفن
من شدة الخوف والضمير للقصة تفسره الابصار والجملة جزاء الشرطية واذا الفجائية وان
قامت مقام الفاء الا انهما اذا تظاهرتا على ربط الجزاء يكون الاتصال اكد وتوهم اجتماع
البدل والمبدل ساقط لان اذا يراد بها معناها فلم تمحض بدلا يا ويلنا قد كنا في
غفلة من هذا مقدر بالقول بل كنا ظالمين اضراب الى ما هو اقبح وهو الاخلال
بالنظر انكم وما تعبدون من دون الله هي الاصنام وابليس واعوانه لما روي انه
رسول الله لما تلاه على كفار قريش قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة عبد عزير والمسيح
وعبد بنو مليح الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما عبدوا الشياطين
التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وقيل لما قال له ابن
الزبعرى ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجهلك بلغة قومك ما انما هي لغير ذوي
العقول حصب جهنم عن ابي عبيدة كل ما يلقى في النار حصب من حصب الشيء اذا رمى به الحصباء
انتم لها واردون لا لغيرها بخلاف المؤمن فانه وان وردها فهو بالعرض لو كان
هؤلاء الهة كما زعموا ما وردوها اذ لا يعقل ورود الاله على النار وكل من العابد والمعبود
فيها خالدون كانوا يرجون منها الشفاعة فاذا وجدوا الامر بالعكس لم يكن عليهم
عذاب اشد من مقاساتهم لهم فيها زفير اغتراق نفس من تراكم العذاب كالمخنوق او هو واخر شهيق منه
صوتهم وعويلهم شبه بصوت الحمير فان الزفير اوله وهم فيها لا يسمعون لانهم يجعلون
في توابيت لئلا يرى بعضهم بعضا ولا يسمع صوته وبعد الياس لقوله ونادوا يا مالك
وقولهم ربنا اخرجنا منها ان الذين سبقت لهم منا الحسنى السعادة او البشرى
تانيث الاحسن لم يعطف القصة لئلا يشعر بالتبعية اولئك عنها مبعدون عن النار
لا يسمعون حسيسها حال او استيناف لبيان البعد والحسيس الصوت الخفي وفيه دلالة
على غاية البعد فان صوتها يسمع من مسيرة سبعين عاما وهم في ما اشتهت انفسهم
خالدون مستغرقون في النعم مع الخلود الذي هو راس النعم لا يحزنهم الفزع الاكبر
هو عند النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض

وعن الحسن عند الانصراف الى النار وعن الضحاك عند اطباق النار وقيل عند الانصراف
الى النار وقيل عند ذبح الموت وتتلقيهم الملائكة بالتبشير والاكرام هذا يومكم الذي
كنتم توعدون على لسان الرسل يوم نطوي السماء مقدر باذكر اوظرف لا يحزنهم
اوتتلقيهم اوحال مقدرة من العايد المحذوف من توعدون والطى ضد النشر كطي السجل
للكتب هو الكتاب الكبير وفي الحديث توضع السجلات في كف ولا اله الا الله في كف والمراد به
الطومار والمناسب للكتابة النشر الا ان الطى جعل كناية عن تسويته حتى اذا احتيج اليه لا
يحتاج الى تسوية وقيل السجل اسم ملك يطوي سجل الاعمال والقول بان السجل اسم كاتب
رسول الله صلى الله عليه وسلم باطل وقرا حمزة والكسائي وحفص بضم الكاف والسين الاول
اخف ويحصل به الغرض كما بدانا اول خلق نعيده جملة منقطع عن الاول اى نعيد
اول كل مخلوق ونوجده بعد العدم كما اوجدناه سابقا والمعنى ان تحقق الاعادة مثل تحقق
البداء فالمعاد هو الاول وما كافة اومصدرية الكاف في محل النصب بيدانا تشبيها للاعادة
بالبدء وان جعلت موصولة اى نعيده مثل الذى بدانا ها فالمعاد هو المثل والمطلوب هو
العين وعدا علينا نصب بنعيده لانه عدة بالاعادة انا كنا فاعلين لا محالة او
قادرين ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر اى في الكتاب الذى انزل على داود
بعد ان كتبنا في التورية او في اللوح المحفوظ او في القرآن فان تاخر نزوله لا يقتضى تاخر
الكتب بشرى الى ان الزبور مع كونه غير مشتمل على الاحكام بل هو تحميد وتمجيد لم يخل عن
هذا الحكم وقرا حمزة الزبور بضم الزاء وهما لغتان او جمع زبر ان الارض يرثها عبا
دى الصالحون امة محمد لقوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في
الارض او عامة المؤمنين ان في هذا لبلاغا لموعظ وذكرى اسم بمعنى التبليغ او
بمعنى الكفاية والمراد من ذلك بالبلاغ لقوم عابدين همهم العبادة وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين سببا لاسعادهم ومن خالفك لا يلوم الا نفسه مكن منع نفسه
عن شرب الماء حتى مات لا يقدح ذلك في كون الماء به الحيوة وقيل كونه رحمة للكفار
لانهم بجوابه عن العذاب الاستيصال روى انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل قد
سماني الله ورحمة للعالمين فهل اصابك منها شئ قال والله انى اوقن نصيبا لم ازل كنت وجلا
حتى اثنى علىّ في سورة التكوير وقد ضم سورة الانبيا بختامهم ليكون الختام مسكا قل انما يوحى
الىّ انما الهكم اله واحد اى ما يوحى الىّ الا ان لا اله الا الله الموصوف بالوحدانية بمعنى ان
المقصود الاصلى والمقصد الاقصى هو ذلك ففي انما قصر الصفة على الموصوف وفي انما
بالعكس والثانى ليس كليا بل من المقام لقوله وظن داود انما فتناه فهل انتم مسلمون
بعد هذا الوحى المصدق بالحجة وفيه ان التوحيد يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن
التوحيد فقل آذنتكم على سواء اعلمتكم من اذن بمعنى علم وقد شاع استعماله
في معنى الانذار والمعنى بعد توليكم فقد اعلمتكم اعلاما شافيا وافيا انتم مستوون فيه
ان الغلبة والعاقبة للمسلمين لا محالة وان ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون
وما ادرى متى يكون ذلك لان الله لم يطلعنى عليه وقيل اعلمتكم انى على سواء اى عدل
وتوحيد انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون فهو مجازيكم على ذلك وان ادرى
لعله فتنة لكم لعل التاخير ابتلاء لكم وامتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين
الى وقت اقتضته مشيته قل رب احكم بالحق اسال انجاز ما وعدتنى من الوعد
الثابت الذى لا خلف فيه وقد فعل يوم بدر را فعا يديه قائلا اشدك وعدك
حتى سقطت رداءه وقرا حفص قال اخبارا عن نعله وربنا الرحمن المستعان
على ما تصفون من ان الغلبة لكم وان راية الاسلام تخفو ايابا لم يكن تمنون بذلك

رواه ابو داود والترمذي واحمد والحديث منه

بذلك انفسكم الا امانى معرضين عن الذكر لاهية قلوبكم اتصلت الخاتمة بالفاتحة والحمد
لله حق حمده ما هدر السحاب برعده سورة الحج مكية وهى ثمان وسبعون ايات
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا
ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم الزلزلة مضاعف من الزليل وهو انتقال الشئ
من مكان الى آخر والمراد بها شدة تحريك الارض وانتقال الاشيا عن مقارها ومراكزها
واضافتها الى الساعة على طريق المجاز الحكمى او للاتساع في المفعول فيه واجرايه مجرى المفعول
كقوله بل مكر الليل والنهار واختلف في وقتها فعن الحسن انها يوم القيمة وعن علقمة والشعبى
ان ذلك عند طلوع الشمس من مغربها والاضافة الى الساعة لانه من اشراطها علل الامر
بالتقوى بها لما فيها من الهول لحثا على التدرع بلباس التقوى الذى هو الملجا والمنجا في
الشدائد ومن يتق الله يجعل له مخرجا يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
يوم نصب بتذهل والذهول الذهاب عن الشئ بدهشة اثر مرضعة على مرضع لارادة
الحدوث لانها اذا ذهلت حال الارضاع ملقمة ثديها للرضيع كان الامر في غاية الشدة وما
موصولة او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها في غير اوان الولاد وترى الناس
سكارى ظاهرا وما هم بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد
فكذلك ذهب عقلهم وطار تميزهم وقرا حمزة والكسائي سكرى على وزن فعلى وهو
مطرد في عاهات البدن كمرضى وحمقى وعن الفراء جمع سكر كزمن وزمنى والمختار قراءة
القوم لان فعالى قياس جمع فعلان ككسالى ولاجماعهم في لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث كان جدلا يسافر
الى العجم ويتعلم من اقاصيصهم ويتبع في مجادلته كل شيطان مريد متجرد عن الخير واصل
المرودة الملاسة يقال غصن امرد لا ورق عليه كتب عليه انه من تولاه فانه يضله
مثل وتصوير كان من يتولاه مكتوب اضلاله ويهديه الى عذاب السعير بوصله اليه
استعارة تهكمية يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث في امكانه فانا
خلقناكم من تراب هو خلق آدم لقوله خلقه من تراب ثم من نطفة من منى من
النطف وهو الصب ثم من علقة قطعة دم جامد ثم من مضغة قطعة لحم قدر
ما يمضغ فعلة بمعنى المفعول مخلقة وغير مخلقة خالية عن العيب والنقص وغير خالية يقال
خلق العود اذا سواه وجعله املس وعلى ذلك الاصل التفاوت بين افراد الناس طولا وقصرا وتماما
ونقصانا والمعنى ان ارتبتم في شان البعث فانظروا في هذه المقدمات ليزول ريبكم العلم الحاصل
بحيث لا يبقى لكم شايبة ريبة عن انس بن مالك ان الله وكل بالرحم ملكا يقول يا رب علقة
يا رب مضغة فاذا اراد ان يقضى خلقه قال اذكر ام انثى شقى ام سعيد فما الرزق والاجل
فكتب في بطن امه لنبين لكم بهذا التدريج كمال قدرتنا اذ في كل انقلاب ايات شاهدة
بذلك وايراد الفعل غير معدى الى مفعول اشارة الى ان فعله هذا يتبين به من كمال علمه
وقدرته ما لا يمكن الاحاطة به ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره عطف على انا خلقناكم
والعدول الى المضارع لتصوير الحال والدلالة على زيادة الاختصاص الى اجل مسمى
الى وقت ولادة اقله ستة اشهر والاغلب تسعة اشهر ونهايته سنتان عند ابى حنيفة واربع
عند الشافعى ثم نخرجكم طفلا حال من المفعول مستوفيه الذكر والانثى والمفرد
والجمع قال او الطفل الذين لم يظهروا وثم للترقى رتبة كانه قيل ثم نخرجكم بعد تلك الا
طوار الخسيسة انشاء بديعا انسانا في احسن تقويم ثم لتبلغوا اشدكم معلل محذوف
اى ذلك الاقرار والاخراج لتبلغوا الاشد فانه وان الاستكمال علما وعملا فهو حقيق
بان يكون المقصود من الاقرار والانشاء اللذين هما لكالمقدمة للنتيجة ولذلك اسند
هما الى ذاته المقدسة دونه والاشد تقدم معناه في يوسف ومنكم من يتوفى

انما يقال للام من شانه ان يكون على خلاف ولذلك لا يقال للجارية مرضعة

من لا يصل الى بلوغ الاشد ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى ان يكبر ويخرف استوفى
الاقسام بعد الاخراج كما استوفى الاقسام قبل وقدمها اما نظرا الى الوجود او لانها ادل
على البعث فان قلت لم طوى ذكر الشيخوخة هنا وقد ذكرها فى سورة المؤمن حين عد اطوار
الانسان بعد الاخراج قلت الرد الى ارذل العمر لا يمكن بدون التجاوز عنها ولم يكن مقصودا
كليا فلما ذكرها هناك لم يعد ذكرها كما ان الاخراج طفلا لما لم يكن الا بعد المضغة و
قد ذكرها ههنا طوى ذكرها هناك كما هو شأن الكلام المعجز فى اشاراته ورموزه لكيلا
يعلم من بعد علم شيئا ليعود الى ما كان عليه حال الطفولية ضعيف البنية سخيف العقل
يشير الى انه قادر على الاشياء واضدادها على السواء فتارة يرقى الانسان فى مدارج الارتقاء
الى اوج الكمال وتارة ينزل الى حضيض النقصان ودرك الوهاء ولما استوفى ادلة الانفس
التى هى اقرب اخذ فى ادلة الافاق وترى الارض هامدة لا نبات بها من همدت النار
اذا خمدت واذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت و
انبتت من كل زوج من كل صنف الاسناد الى الارض اسناد الى المحل بهيج ذى
حسن ورواء من بهج بالضم ذلك المذكور من خلق بنى آدم وما بعده على النمط المذكور
بان الله هو الحق الثابت الوجود وانه يحيى الموتى وانه قادر على احياء
الموتى وانه على كل شىء قدير لاشتراك الامكان واستواء القدرة
وان الساعة آتية لا ريب فيها لان الصادق قد اخبر بوقوعها وقيل لان التغير
دليل الانصرام وفيه ان الجنة والنار حادثتان متغيرتان والانصرام لهما وان الله يبعث من فى
القبور بمقتضى وعده وزبدة الكلام انما كان ذلك لانه تعالى حق قادر حكيم لا يخل بمقتضى
الحكمة بل يميز بين الطائع والعاصى والمحق والمبطل فاتيان الساعة وبعث من فى القبور من
روادف الحكمة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم والنضر بن الحارث والتكرير للتأكيد
كاعادة الاقاصيص مع ما زيد من قوله ولا هدى ولا كتاب منير وعن ابن عباس
رضى الله عنهما هو ابو جهل وقيل الاولى فى المقلدين وهذا فى المتقلدين يؤيده ذكر
الاتباع هناك والمراد بالعلم العلم الضرورى وبالهدى النظر والاستدلال الموصل
الى العلم والكتاب المنير الوحى ثانى عطفه كناية عن التكبر والاعراض عن الحق
ليضل عن سبيل الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالفتح وانما جعل جداله خروجا من الهدى
وان لم يكن فيه قط فى شىء منه لتمكنه منه والمختار الضم لقوله وصدوا عن سبيل الله
ولان المختار انها فى المقلدين وهم الرؤساء المضلون له فى الدنيا خزى قتل واسر و
نذيقه يوم القيامة عذاب الحريق الاحتراق والنار العظيمة ذلك بما قدمت
يداك من الكفر والمعاصى يقال له ذلك او التفت اليه ليكون التوبيخ كفاحا وان الله ليس
بظلام للعبيد بان يعذب من لا جرم له بناء على ما جرت به سنته ومن الناس
من يعبد الله على حرف شبه حال من لم يطمئن قلبه بالايمان بحال من يكون على طرف
العسكر فى المحاربة فان رأى نصرة وظفرا قر والا فر بينه بقوله فان اصابه خير اطمأن به
وان اصابته فتنة انقلب على وجهه عن ابن عباس رضى الله عنه كان الرجل يقدم المدينة فان
ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح وان لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا
سوء خسر الدنيا والآخرة لانه ارتد لفقد الدنيا ذلك هو الخسران المبين الجلى اذ لا
خسران اظهر من خسران فاقد الدارين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه اعاد الموصول
مبالغة لدلالته على كل من الانتفائين استقلالا والعطف من قبيل الصفات ذلك هو
الضلال البعيد البعد وصف الضال وصف فعله مبالغة يدعو لمن ضره اقرب من نفعه نفى الضر
والنفع عن الاصنام اولا لانها جمادات لا حراك بها واثبت كونها سببا للضرر المحقق فى
الدنيا والآخرة وهى بمعزل عن النفع الذى كان يترقب منها ويدعو اما بمعنى الزعم والاعتقاد

والاعتقاد واللام معلقة او بمعنى القول والجملة بعده محكية والمعنى يقول الكافر اذا رأى
حرمانه من نفعها وقرنه معها والقى فى النار لمن ضره اقرب من نفعه او يدعو اتكرير كانه
قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم استأنف بخبر لمن ضره اقرب
من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير فان قلت لا نفع فى الاصنام بوجه فما معنى الاقربية
قلت هذا ونظايره من باب المجارات بناء على زعم الخصم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد لا مانع لقضائه ولا يسأل عما يفعل
من كان يظن ان لن ينصره الله لما ذكر المجادل بالباطل بانه لا يدل بحجة نظرية ولا
وحى سماوى وبين ماله فى الآخرة اتبعه بذكر من يجادل عن دين الله بادلة قاطعة وبراهين
ساطعة وهو الرسول المؤيد اختصر الكلام واشار اليه بالضمير دلالة على انه العلم المرفوع
الذى لا يشتبه وان الكلام معول وفيه وان عنى وان ذكر قبلا لنبع والعرض فى الدنيا
والآخرة فليمدد بسبب الى السماء الى سقف بيته ثم ليقطع ليختنق من قطع اذا اختنق
فان المختنق يقطع مجارى نفسه وفى الحديث اصاب ابن عمر قطاع اى ضيق نفس او
فليمدد بحبل الى السماء المظلة فليقطع الوحى النازل عليه وزبدته ان من يغيظ نصره
واعلاء شأنه فليستقص وسعه وليستفرغ جهده فلينظر ليتأمل هل يذهبن
كيده احتياله ما يغيظ وقيل الآية نزلت فى طائفة من المسلمين استبطؤا نصر رسول
الله واظهروا القلق فالآية حث لهم على الصبر على آكد وجه وقيل النصر الرزق من نصر
الغيث الارض قال اذا دخل الشهر الحرام فجاوزى بلاد تميم وانصرى ارض عامر وعلى
هذا الغرض حث المؤمنين على الرضا بما قسم الله لا كمن يعبد الله على حرف وكذلك
انزلناه اى مثل ذلك الانزال فى اثبات البعث قاطعا دابر الشبهة انزلنا سائر
القرآن لاثبات الاحكام والمقاصد آيات بينات واضحات وان الله يهدى
من يريد ولارادة هداية من يريد هدايته او زيادة هدايته انزل القرآن كل
كذلك ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين
اشركوا افراد الصابئين بالذكر دل على انهم مخالفون للنصارى فى عقائدهم
ان الله يفصل بينهم يوم القيامة بان لا يجمعهم فى مكان واحد ولا يجازيهم جزاء
واحدا بل تفاوتهم بحسب تفاوت اعمالهم او يقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون
ان الله على كل شىء شهيد حاضر بعلمه لا يفوته الم تر ان الله يسجد له من فى السموات
ومن فى الارض شىء يأتى من فيها وقابلية الاحداث ما اراد واقتضت حكمته فيه بادخل افعال
المكلف فى الطاعة وادلها على الانقياد اذ لا خضوع فوق السجود وتعفير اشرف الاعضاء
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد وفى السجود
تقبل شفاعته فى حق العصاة والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب خصها
بالذكر لانها اشرف الاجرام العلوية والسفلية بعد اولى العلم فاذا انقادت فما سواها
اولى وكثير من الناس من جوز استعمال المشترك فى المعنيين نظمه فى سلك المذكورات
المتناسقة واراد بالسجود ههنا وضع الجبهة ومن لم يذهب الى ذلك اما ان يجعل مبتدأ
خبره محذوف وهو مثاب او ما فى معناه لدلالة مقابله عليه او مرفوعا بمضمر دل عليه
الحال او يسجد المذكور دلالة مقاربة او مبتدأ ومن الناس خبره اى وكثير من الناس
الذين هم ناس حقيقة وهم المتقون اى كائن منهم او كرر كثير مبالغة فى تكثير من حق
عليه العذاب كانه قيل وكثير وكثير من حق عليه العذاب والمساق يأباهما لان
الكلام لبيان كبريائه وانقياد الكائنات ذاتا واحوالا وافعالا وكثير حق عليه العذاب
باباءه عن وضع الجبهة له تعالى طاعة والقول بانه يجوز عطفه على الساجدين بالمعنى العام

على معنى ان كثيرا من الناس من المسرين لا ارادة حق عليه العذاب مع ركاكته يوجب تفكيك النظم ومن
يهن الله بالشقاء فما له من مكرم اشارة الى علة الطاعة والاباء من المومنين ان الله يفعل
ما يشاء لا لمنة لصنع وان اشتمل على حكم هذان خصمان الخصم مصدر وصف به الفوج او الفريق
ولذلك قال اختصموا نظرا الى المعنى عن ابن عباس راجع الى الاديان الست روى البخاري
عن ابي ذر رضي الله عنه انه كان يقسم انها نزلت في الذين بارزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة
بن الحرث وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وروى ايضا عن علي بن ابي طالب انا اول من
يجثوا بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيمة وقيل ان اهل الكتاب قالوا للصحابة نحن احق بالله
منكم نبينا قبل نبيكم وقال المومنون بل نحن لانا امنا بمحمد ونبيكم فنزلت في ربهم في شانه
من صفاته واحواله او في قربهم منه فالذين كفروا مطلقا وان كان السبب خاصا
قطعت لهم ثياب من نار اشارة الى وجه فصل الخصومة الذي اجمل في قوله ان الله
يفصل بينهم وتقطيع الثياب من النار بان يجعل الله النار محيطة بهم طبقات كما كانوا
يلبسون في الدنيا ثياب الحلل وتنكير النار للتهويل يصب من فوق رؤسهم الحميم
الماء الحار لانه الصق واشد نفوذا في الاعماق يصهر به بذلك الحميم اي يذاب
ما في بطونهم من الاحشاء والجلود وفي تقديم ما في بطونهم على الجلود ايماء الى انها من
فرط حرارتها تؤثر في الباطن قبل تاثيرها في الظاهر لان ذلك اترف واشد
تاثيرا وهذا ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم لان الصب على الروس
اخشى من السقي والاذابة ابلغ من التقطيع وما في البطون اعم من الامعاء ولهم مقامع
من حديد سياط مختصة بهم من القمع وهو الكف كلما ارادوا ان يخرجوا
منها من النار من غم لغم عظيم يعتريهم اعيدوا فيها في النار في اماكنهم
ودركاتهم بعد قصدهم لان الاعادة ترتبت على الارادة لا الخروج او معنى الخروج
هو الظهور لانهم يرتفعون مع اللهب الى ضحضاح النار فيضربون بالمقامع فيهوون
فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اسماعا لهم ما يكرهونه زيادة في العذاب
من كل جهة اعاذنا الله منه بفضل رحمته ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار قسيم لقوله فالذين كفروا وغير الاسلوب وصدر
الجملة باسم المقدس تنويها بشان المومنين واشارة لمحلهم بان المباشر لذلك
هو بذاته تعالى من غير واسطة تلك يحلون فيها حال مقدرة من اساور جمع
اسورة جمع سوار من ذهب بيان ولؤلؤا عطف على ذهب اي اساور مر
كبة منهما وهو الترصيع وقراء نافع وعاصم بالنصب عطفا على محل من اساور اي يحلون اساور
ويحلون لؤلؤا وابدل ابو بكر الهمزة ابو عمرو واوا والمختار الجر لفظا لرجحان اللفظ على المحل ومعنى
لان المرصع اجمل ولباسهم فيها حرير غير الاسلوب لانه للتعارف وهدوا الى الطيب من
القول هو كلمة الشهادة وعن السدي هو القران وهدوا الى صراط الحميد الى دين الله
والحميد من اسمائه تعالى والمحمود في نفسه او المحمود عاقبته وقيل هدوا الى الطيب من القول
في الجنة مثل قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقولهم الحمد لله الذي هدانا لهذا والوجه
الاول اوجه لفظا ومعنى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله دين
الاسلام اثر في المعطوف المضارع للدلالة على الاستمرار والخبر محذوف لدلالة الكلام
عليه اي معذبون وجعله حالا خلاف المشهور في المضارع المثبت بالواو والمسجد
الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ذهب اسحق بن راهويه وابو حنيفة
في احدى الروايتين استدلالا بالاية على عدم جواز بيع دور مكة وذهب الشافعي الى
الجواز لان المذكور الموصوف بالسواء المسجد ولما روى البخاري عن اسامة قلت

[illegible]

قلت يا رسول الله اتنزل غدا بدارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار ولما ثبت ان عمر اشترى
دارا من صفوان بن امية باربعة الاف وجعلها سجنا ولا دلالة للاية على عدم الجواز لان المذكور
هو المسجد مع كونه معارضا بقوله ان الذين اخرجوا من ديارهم وسواء مصدر بمعنى مستو
مفعول ثان لجعلنا ورفعه حفص على انه خبر العاكف والجملة في محل النصب مفعولا ثانيا او
العاكف مرتفع به وان جعل للناس مفعولا ثانيا فالنصب على الحال والعاكف المقيم والباد
الافاقي ومن يرد فيه حذف مفعوله لارادة العموم اي اي مراد كان بالحاد ملتبسا به
وهو العدول من الحق من اللحد وهو الميل وفي الحديث هو احتكار الطعام فيه والظاهر انه
سبب النزول لعموم المراد ولما روي ان ابن عمر كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم
فاذا اراد ان يعاتب اهله خرج الى الحل فقيل له في ذلك فقال كنا نتحدث ان قول الرجل
بلى والله ولا والله في الحرم من الالحاد قيل لم يعلق الوعيد في نص على ارادة ما نهي عنه الا فيه
بظلم حال ثان او بدل عن الاول باعادة الجار او صلة اي بسبب ظلم كالشرك والاقتراف
الاثم نذقه من عذاب اليم جواب من واذ بوانا لابراهيم مكان البيت
اي واذكر لقومك ذلك الوقت وما امرنا به ابراهيم الذي يزعمون انهم على ملته ليظهر
لهم انهم ليسوا على شيء من دينه يقال بواه اتخذه مباءة والمباءة المنزل من باء رجع
لانه يرجع اليه وقيل اللام زائدة اي نزلناه وجعلنا مكان البيت مباءة له عن علي
ابن ابي طالب كان في موضع البيت البيت المعمور وهو ياقوتة حمراء فرفع في الطوفان فلما
امر الله ابرهيم بناء البيت ضاق به ذرعا ولم يدر موضع البناء فارسل الله اليه السكينة وهي
ريح خجوج فطوفت موضع البيت كالحجفة فظهر له الاس فبناه عليه ان لا تشرك بي شيئا
تفسير للتبوئة لان الغرض منها العبادة اي قلنا لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين
والقائمين والركع السجود لهولاء العابدين واذن في الناس بالحج نادهم
عن ابن عباس رضي الله عنه لما فرغ من بناء البيت امره الله ان ينادي الناس بالحج
فصعد ابا قبيس وقال يا ايها الناس حجوا بيت الله فاسمع الله نداءه الارواح في الاصلاب
والارحام فكل من سمع ذلك النداء واجاب حج لا محالة وعن الحسن ومقاتل بن حيان
ان هذا امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بان يدعوا الناس الى الحج
والحق ان الاية مكية والسياق انما هو لقصة ابرهيم ياتوك رجالا جمع راجل وعلى
كل ضامر اي ركبانا على كل بعير مهزول لبعد السفر ياتين من كل فج
طريق عميق بعيد ليشهدوا منافع لهم نكر المنافع لانه اراد منافع دينية و
دنياوية مخصوصة بالحج لا توجد في غيره وعن ابي حنيفة رحمه الله انه كان يفاضل بين
العبادات فلما حج فضله على سائرها لما راى تلك الخصايص ويذكروا اسم الله
في ايام معلومات في عشر ذي الحجة فانها ايام العبادة والطواف والاعتكاف وقيل
ايام النحر لقوله على ما رزقهم من بهيمة الانعام المراد ذكر اسم الله عند النحر والذبح
وانما عدل عنه الى المنزل دلالة على ان المقصود من شرع النحر وسائر الاعمال هو
ذكره تعالى واشار بالرزق الى انه محض فضل منه تعالى وفيه حث على الانفاق والتشويق
بالتقرب بها الى الرازق مع اشتماله على الاجمال والتفصيل فكلوا منها امر
اباحة لان اهل الجاهلية كانوا يتحرجون من اكلها او ندب مواساة للفقراء واطعموا
البائس هو الذي اشتدت حاجته الفقير وصف كاشف له كان الاعسار كسره
فقاره الامر فيه للوجوب ثم ليقضوا تفثهم ليزيلوا ما عليهم من الدرن وما يتبعه من
قص الشارب وقلم الاظفار فان الحاج اشعث اغبر وليوفوا نذورهم ما نذروا
من التقرب الى الله فانه كثير الوقوع في طريق الحجاز وتلك الاماكن الشريفة كرر لابو عمرو

الريح الخجوج السريعة المر [illegible]

وابن كثير في رواية قنبل وابن عامر وورش وليطوفوا هو طواف الزيارة كرر لامه ابن ذكوان
وقراه ابو بكر مشددة وكسر ابن ذكوان ايضا لام ليطوفوا لانه ركن لا يتم الحج بدونه او الوداع
لانه واجب او مطلقا لانه افضل الاعمال بالبيت العتيق القديم لكونه اول بيت
وضع للناس او العتيق من تسلط الجبابرة عليه ما قصده جبار الا قصمه الله والحجاج
لم يقصد اهانته ولذلك بناه بعد الانهدام وهو اليوم على ما بناه او الشريف والعرب
تسمى كل حسن عتيقا كانه عتيق عن الشين والعيوب ذلك الامر ذلك كانه قيل احفظ به
ومثله للفصل بين المقاصد انتقالا من نوع الى اخر واكثر ما يقع للحساب وارباب السياقة
ومن يعظم حرمات الله كل ما لا يحل انتهاكه جمع حرمة كظلمات وظلمة وقيل ما يتعلق
بالمناسك فهو خير عند ربه اريد به زيادة مطلقة من غير مفضل عليه
وأحلت لكم الانعام كلها رفع لقاعدة اهل الاوثان من تحريم البحاير والسوايب الا ما
يتلى عليكم لكن ما يتلى عليكم من الميتة والدم والموقوذة والمتردية والنطيحة وما
اكل السبع حرام فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي اذا اجتنبتم الانجاس
التي بينت فاجتنبوا الاوثان فانها نجس ايضا من بيانيه مبالغ في التنفير عن عبادتها
واجتنبوا قول الزور الكذب قرنه بعبادة الاوثان لقوله وروى الامام احمد ان رسول
الله قال شهادة الزور عدلت بالاشراك ثم تلا الاية حنفاء لله مائلين عن الباطل مخلصين له
غير مشركين به تصريح بما علم التزاما ومن يشرك بالله شيئا فكانما خر من السماء
فتخطفه الطير شبه حال المشرك وصوره بحال من يسقط من السماء الى الارض
فاختطفه الطير من كل جانب ففرق مزعا في حواصلها او شبه الايمان في علو شانه باوج السماء
وتاركه بالساقط من ذلك الاوج الى الكفر الذي لا حضيض بعده وقرا نافع تخطفه
بفتح الخاء وتشديد الطاء مضارع تخطف وهو ابلغ او تهوي به الريح في مكان
سحيق من باب او كصيب او بحال من عصفت به الريح فهوت به في بعض المطارح
البعيدة او شبه الشيطان الذي يطرحه في مهمه البوار بالريح التي تهوي بما عصفت به الى جهنام
بعيدة القرار ذلك الامر والشان ومن يعظم شعائر الله علايم دينه من الفرايض
والسنن والاداب جمع شعيرة واكثر استعماله في مناسك الحج لانها امور محسوسة او المراد
الهدايا فانها من اعظم شعاير الحج واوفق بما بعده وتعظيمها بان يختارها غالية الاثمان
عظايم الاجرام وفي الحديث سمنوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقد اهدى
صلى الله عليه وسلم في حجته مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب واهدى
عمر جملا اعطي منه ثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب واسناد التقوى
الى القلوب اسناد الى المحل لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق
اي لكم في تلك الشعائر منافع دينية الى وقت معلوم هو اخر ايام التشريق ثم
محلها اي انتهاؤها بالطواف للوداع من حل الاجل المسمى على الموت والبيت
على البيت المعمور او الجنة بعده لا ح وان خصت الشعاير بالهدايا فالمعنى لكم الانتفاع
بها درا ونسلا وركوبا الى وقت وجوب النحر من حل الدين وجب البيت العتيق هو
الحرم كل لعدم الالتباس ولقوله صلى الله عليه وسلم الحرم كل منحر ولكل امة
جعلنا منسكا مكان نسك او نسكا على انه مصدر واصل الغسل قال ولو نسكت
بالماء ستة اشهر ثم اطلق على العبادة لنبايتها على الطافة ثم غلب على اعمال الحج وقرا
حمزة والكسائي بكسر السين وهي لغة اسد والفتح الفصحى لغة الحجاز ليذكروا
اسم الله علة للجعل دال على ان المقصود من شرع المناسك ذكره تعالى باوصاف
الكمال على ما رزقهم من بهيمة الانعام فيه دلالة على اختصاص الهدي بالنعم

بالنعم فالهكم اله واحد اي بعد علمكم بوحدانية فله اسلموا اخلصوا في العبادة
وذبح النسائك لا كما كان يفعله اهل الاوثان من الذبح باسماء آلهتهم وبشر المخبتين
المنقادين لاوامره من الخبت وهو المكان المطمئن ومن دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم
اجعلني لك مخبتا الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة الجلال عليها
والصابرين على ما اصابهم من النوايب والمقيمي الصلوة في اوقاتها ومما رزقناهم
ينفقون في وجوه البر العطف باعتبار الصفات والبدن جعلناها لكم البدن
جمع بدنة وهي من الابل ما يقرب به ذكرا كان او انثى سميت بذلك لبدانتها فانهم كانوا
يسمنون الضحايا والنصب على شريطة التفسير والبقرة انما قامت مقامها الحاقا من حيث المعنى
لا لسنا ولا يجب الاسم من شعائر الله من معالم دينه لكم فيها خير منافع دينا ودنيا
فاذكروا اسم الله عليها عند الذبح اي اسم كان من اسمائها الحسنى والمندوب ان
يقول الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف واقفات على ارجلهن
هو الافضل في ذبح البدنة بخلاف البقر والغنم فاذا وجبت جنوبها سقطت
على الارض بعد النحر فكلوا منها واطعموا القانع السائل من قنع اذا سأل والمعتر
المتعرض للعطاء من غير سؤال من العرة وهي القذارة كذلك سخرناها لكم اي مثل ما
وصفنا من نحرها صواف سخرناها لكم مع عظم اجرامها وكثرة قوتها ترى الجمل اذا ند او هاج
لا يقدر عليه الجم الغفير لعلكم تشكرون نعمه لن ينال الله لحومها ولا
دماؤها لن يقع منه موقع الرضا والقبول ولكن يناله التقوى منكم بان تقصدوا
بذلك التقرب اليه من حيث الامتثال لاوامره كذلك سخرها لكم اعاده تذكيرا
بالنعمة وعلله بقوله لتكبروا الله اي لتذكروه بالتكبير والتهليل خاصة فان ذكر اللسان
اشبع وادل ولذلك جعل الحمد راس الشكر على ما هداكم اليه من المناسك او على
هدايته اياكم الى مصالح الدين والدنيا وبشر المحسنين المخلصين في الاعمال ختم به الكلام
اشارة الى انه ملاك الامر ان الله يدافع عن الذين امنوا متصل بقوله ان الذين كفروا
ويصدون عن سبيل الله وما وقع في البين من بناء البيت وذكر المناسك وتعظيم الشعاير
مستطرد لمزيد تهجين فعلهم لازدياد قبح الصد بازدياد عظيم ما صد عنه وبعظهر ان التسوية
بين العاكف والباد انما هي في المسجد الحرام لان الكلام في المناسك وقرا ابن كثير وابو عمرو
ويدفع مضارع دفع وعليه الرسم وعليه الرسم في بعض المصاحف وقراءة القوم ابلغ لان المفاعلة
مبالغة في المغالبة ان الله لا يحب كل خوان كفور كثير الخيانة شديد الكفران ستار للنعم علة
للدفع عن المؤمنين وايثار بناء المبالغة في الوصفين لانه في الامانة والشكر عزيز اذن
للذين يقاتلون اي في القتال حذف لدلالة يقاتلون عليه وقرا نافع وابو عمرو وعاصم
اذن بضم الهمزة مسندا الى الجار والمجرور وقرا نافع وابن عامر وحفص يقاتلون على
بناء المفعول وهو ابلغ لشمول الاذن لمن لا يقدر على القتال بانهم ظلموا اي بسبب
ظلمهم كان المشركون يؤذون اصحاب رسول الله وكانوا بين مضروب ومشجوج فيامرهم
بالصبر وتفرق اكثرهم الى الحبشة والى المدينة ان الله على نصرهم لقدير وعد لهم
بالنصر على سنن كلام الملوك لما ذكر الاذن في القتال وعلله بان الماذون له مظلوم ثم ذكر
النصر على الوجه الاكد لم يبق للمظلوم ريبة في انه منصور لا محالة الذين اخرجوا من
ديارهم من مكة بغير حق يوجب الاخراج الا ان يقولوا ربنا الله الا هذا القول
الذي هو اجل المناقب على طريقة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
ولولا دفع الناس بعضهم ببعض بان يسلط المؤمنين على الكافرين فالتشديد
للتعظيم وقرا نافع دفاع بالالف وكلاهما مصدر دفع لهدمت صوامع قرا نافع

وانما اخرالمشيد لئلا يقع الهدم عليه حقيقة وهذا بابه في البلاغة معروف

بالتخفيف والتشديد ابلغ وبيع معابد النصارى وصلوات كنايس اليهود اصل صلوتا
اسم للمصلى بالعبرانية ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة المساجد
تفضيلا لها ويجوز ان يكون عاما في الاربع وكذا يجوز ان يكون المراد تسليط اهل الملل على الكفار
في ازمنتهم وان يكون للمسلمين على المشركين وابقاء متعبدات اهل الكتاب الذين لهم ذمة
ولينصرن الله من ينصره ينصر دينه اي وقت كان وكائنا من كان ان الله لقوي
قادر عزيز غالب لا يعجزه شئ الذين ان مكناهم في الارض بدل لمن الذين
اخرجوا اشعار بان تمكينهم في الارض بعد الاخراج انما هو ليتمكنوا من القيام بما اخرجوا لاجله
ولذلك جعل جزاء الشرط اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر
وكذا ان جعل بدلا عن قوله من ينصره فانه بيانا وللمخرجين ثناء ولا وليا واثبار الشرطية
لكونه جاريا على سنن كلام الملوك مع الاشارة الى لزوم الوقوع بايقاعها صلة الموصول
التي تستدعي التحقق وفي الاية دليل على حقية الخلافة للراشدين لان المهاجرين الذين اخرجوا
من ديارهم والممكنون في الارض هم الخلفاء منهم ولله عاقبة الامور
فيه تاكيد لما وعده من نصر اوليائه وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح
وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين تضمن الشرطين اخرج من امته ظلما عقبه بذكر
الامم المكذبة للرسل تسلية له واشارة الى انه اولى بالصبر منهم لانه امثلهم وافضلهم
وكذب موسى غير الاسلوب لكون اياته او فرواشهر وقيل لان قومه لم يكذبه بل
غيرهم وهم القبط قوم فرعون وفيه انه قد كذبه من قومه قارون ومن تابعه الا ان
يقال يكذب اليسير كلا تكذيب كما ان تصديق اليسير من هولاء الاقوام كلا تصديق
فامليت للكافرين مهلتهم ثم اخذتهم استاصلتهم فكيف كان نكير
نكري من النكر بالضم وهو الدهاء او انكاري من منكره اذا غيره فكاين من قرية
اهلكناها اي اهلها وقرا ابن كثير كاء على وزن فاع وابو عمرو واهلكت بالتاء والنون
ابلغ في مقام السخط والمعنى بعدا ولئك الاقوام اهلكنا كثيرا من القرى او بدل من
كيف كان نكير لانه للتهويل فاستونف فيه على وجه ابسط على نحو امدكم بما تعلمون امدكم
بانعام وبنين وهي ظالمة نصب على الحال فهي خاوية على عروشها ساقطة عليها
بان وقعت السقوف اولا ثم الجدران فوقها من خوى النجم سقط او خالية من خوى البطن
خلا فقال لقد كنت اختار الخوى طاوي الحشا فالجار متعلق بخاوية اي خالية مع بقا
العروش وخبر بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها اي كائنة على ما كانت عليه دلالة
على جدة العهد بالهلاك يؤيده ما بعده من وصف البئر بالتعطيل دون الخراب والجملة
عطف على اهلكناها ولا يجوز ان يكون حالا لان الخلو والسقوط لم يكن وقت
الاهلاك ولا محل لها ان نصبت كاي على شريطة التفسير وان رفعته بالابتدا فكذلك
ان عطفته على الاسمية وان عطفت على الفعلية الواقعة خبرا ففي محل الرفع وبئر معطلة
اي وكم من بئر عامرة في البوادي عطلت باهلاك اهلها وقصر مشيد عال باق
على علوه من شاد البناء رفعه او محصن من الشيد بالكسر وقيل المراد بئر بسفح
جبل بحضرموت وبقصر مشيد قصر هناك كانا لقوم حنظلة بن صفوان وكان نبيا
ارسل الى قوم صالح بعد ان كفروا وعبدوا الاصنام فقتلوه فاهلكهم الله افلم يسيروا
في الارض حث لهم على السفر للاعتبار برؤية مصارع المهلكين فتكون لهم
قلوب يعقلون بها اي قلوب بهذه الصفة تستبصر وتعتبر بعد المشاهدة
لان عين اليقين لا يبقى معه ريبة او اذان يسمعون بها الاخبار المتواترة الموجبة
لزوال الريب او المعنى انهم اذا شاهدوا ذلك بعين الاعتبار يعقلون ما يجب تعقله

تعقله من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور اي الشان والقصة لا اعتداد بعمى البصر بل العمى الذي لا عمى غيره هو
عمى القلب او المعنى عيونهم سالمة وانما ابقت قلوبهم فعليهم السير في الارض والنظر بعين
الاعتبار فانه دواء لذلك المرض وذكر الصدر لان عمى القلب غير متعارف واكد وقرر و
يستعجلونك بالعذاب الموعود ولن يخلف الله وعده لامتناع وتنزهه عنه
وان يوما عند ربك كالف سنة فلذلك يستقصره وهم يستطيلونه او يوم من ايام
عذابه كالف سنة مما تعدون او يوم واحد من ايام عذابه كالف سنة من سني
العذاب لشدته وفظاعته وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي يعدون بالغيبة وكاين
من قرية وكم اهل قرية عطف بالواو دون ما تقدم لان هناك اما تعقيب او بدل
من فكيف كان نكير وههنا مع ما عطف عليه كالاعتراض تعليلا لانكار الاستعجال
امليت لها وهي ظالمة مثل هولاء ثم اخذتها بعذاب الاستيصال
والي المصير فاجازيهم بعذاب يستحقر ذلك الاخذ دونه يا ايها الناس انما
انا لكم نذير مبين اقتصر على الانذار لان قوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
ورزق كريم وما بعده تفصيل لمن نجع فيه الانذار فامن ومن بقي على
الكفر غير ناجع فيه وقيل لان قوله يا ايها الناس نداء للمشركين خاصة وانما ذكر المؤمنين
وثوابهم ليغيظ بهم الكفار والذين سعوا في اياتنا بالرد والابطال معاجزين
مسابقين اما من المفاعل بمعنى فعل او بمعنى المغالبة وقرا ابن كثير وابو عمرو بلا الف
مشددا على انه حال مقدرة وعليه الرسم اولئك اصحاب الجحيم الذين لم يفارقوها
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي عطف النبي على الرسول ظاهر في المغايرة
قيل الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه وفيه انه ذكر في الكتاب بلفظ الرسول
من لا كتاب له كاسمعيل ويونس والامثل ما قيل ان الرسول من جاءه الملك بالوحي والنبي
يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى قرا من الامنية وهي القراءة ومنه
اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني القى الشيطان في امنيته في قراءته
شيئا يلبس به على السامعين فينسخ الله ما يلقي الشيطان يزيله ويبطله ثم يحكم
الله اياته الدالة على صدق مدعي الرسالة والله عليم كامل العلم يميز الحق من الباطل
حكيم يفعل ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض فيقدحون
بذلك في رسالته او يزعمون انه كلامه والقاسية قلوبهم التي لا تؤثر فيها الايات
ولا تلين لذكر الله وان الظالمين لفي شقاق بعيد عن الحق حيث ينسبون اليه
كلام الشيطان ويعتقدون صدور ذلك منه وليعلم الذين اوتوا العلم انه
الحق من ربك اي النسخ او القران فكيف يكون فيه مدح الاصنام بل ليس
ذلك الا من الشيطان وقد روى ابن اسحق في سبب نزوله ان رسول الله كان
يقرا سورة النجم حتى بلغ ذكر اللات والعزى خلط الشيطان بقراءته تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهن لترتجى نطق المشركون انه هو القاري وفرحوا بانه مدح الهتهم
فبين الله ان ذلك من القاء الشيطان وان ذلك ليس مخصوصا به بل ما من نبي ولا رسول
قبله الا وقد القى الشيطان في قراءته لحكمة اقتضت ذلك هذا هو الحق الذي يجب اعتقاده
وما عداه مما ذكره المفسرون من انه تلاه بنفسه سهوا ثم جاءه جبرئيل واخبره به
الى غير ذلك من الخرافات فكذب بحت لا يحل لمسلم ان يتلفظ به على انه لو صحت
الرواية انه صلى الله عليه وسلم هو التالي لكانت الاشارة والمدح للملائكة على ما
يقتضيه السياق لقوله وان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى

فيؤمنوا به بالنبي او القران فتخبت له قلوبهم بالانقياد وان الله لهادي الذين
امنوا الى صراط مستقيم بتأويل ما تشابه وتلخيص الحق عما القاه الشيطان ولا يزال الذين
كفروا في مرية منه من الحق او من القران او من القا الشيطان حتى تأتيهم الساعة بغتة
فجأة او يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم بدر لقتل اولاد النسا فيه فصرن عقما فالاسناد
مجاز او يوم لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا على انه استعارة تبعية شبه
ما في اليوم من مانع الخير بالعقم او هو يوم القيمة اذ لا يوم بعده وكانه قال حتى تأتيهم الساعة
او عذابها وهذا اوجه لقوله الملك يومئذ لله اى يوم قيام الساعة او يوم يزول عنهم
الشك يحكم بينهم بين الفريقين لتقدم ذكرهما ولقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات
في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين ادخال الفاء في الخبر
هنا دون الاول اشارة الى ان دخول الجنة بفضل منه تعالى بخلاف دخول النار فانه
مسبب عن اعمالهم واما الاتيان بفي اولا واللام ثانيا فتنبيه على غلبة رحمته لدلالته على
الاستقرار والتمكن والذين هاجروا في سبيل الله في طلب دين الاسلام ثم قتلوا
او ماتوا حتف انفهم ليرزقنهم الله رزقا حسنا في الجنان وان الله لهو خير الرازقين
لانه رازق حقيقة وغيره سبب ظاهر او لدوام رزقه ليدخلنهم مدخلا يرضونه وهو
الجنة بدل من ليرزقنهم الله وقرأ نافع مدخلا بفتح الميم والباقون بالضم وهو ابلغ روى
ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اصحابنا الذين
قتلوا في سبيل الله وقد علمنا ما اكرمهم الله به ونحن ان متنا معك فما يكون حالنا فانزل
هاتين الايتين ان الله لعليم كامل العلم بالاحوال حليم لا يعاجل بالعقوبة ذلك الامر
ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد على حقه وتسمية الفعل ابتداء بالعقاب
للازدواج والمشاكلة او لانه سببه ثم بغي عليه ثانيا لينصرنه الله ثانيا لا محالة
ان الله لعفو غفور كثير العفو والغفران للمنتصر فانه مندوب الى العفو بقوله
ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وبقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
وبقوله فمن عفا واصلح فاجره على الله والمعنى مع انه لم يمتثل ما دعي اليه من الاولى
والاحد لم يؤاخذ بذلك بل منصور ان بغى عليه ثانيا ولذلك قدم لينصرنه الله على قوله
ان الله لعفو غفور مع ان الظاهر تاخيره اذ كان مظنة ان يخذل لعدم مسارعته الى المندوب
اليه وفي الكلام اشارة الى ان العفو عن الجاني بمكان عند الله فانه من اخلاقه وان خلافه
مظنة العقاب ولا دلالة على ان المحق منصور من الله في كلتا الحالتين عفى او عاقب وان
المبطل مخذول دائما سلوك في قرن من كان في مرية حتى تاتيه الساعة او عذاب يوم عقيم
ذلك اى ذلك النصر بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اى بانه
قادر ومن ايات قدرته على الاشيا ايجاده الليل موضع النهار وايجاده النهار موضع
الليل او زيادته في كل واحد ونقصه من الاخر فلا يزال احدهما غالبا والاخر مغلوبا و
ان الله سميع بصير وبسبب انه يسمع اقوال العباد ويبصر افعالهم فهو عالم بمن يستحق
الحق لان من تتمة الدليل لان القادر لا بد له من الوصفين ذلك الوصف بكمال القدرة وتمام
العلم بان الله هو الحق بسبب انه الاله الحق الثابت الالهية وان ما يدعون من
دونه هو الباطل فان قلت كونه الاله الحق مستلزم لذلك الكمال قدرة وعلما استلزاما
ظاهرا فمن اين يلزم ان يكون ما يدعون من دونه هو الباطل قلت لان غيره ليس بتلك
الصفة اتفاقا فلا يصلح للالوهية قرأ الكوفيون الا ابا بكر وابو عمرو يدعون بياء الغيبة
وهو المختار لشمول الغايب والحاضر ان الله هو العلي عن صفات النقص الكبير
من ان يكون له شريك ولما دل على كمال قدرته بايلاج الليل في النهار وعكسه وبين

وبين احاطة علمه باتباعه بانواع من الدلايل الدالة على ذلك مع كونها نعما جساما قال مقررا
الم تر ان الله انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة اثر الفا وان كان الظاهر ثم لتراخي الاخضرار
عن نزول المطر لانه يبتدئ عقب نزول المطر وان كان تمامه في مدة ولذلك اثر المضارع على
على الماضي ورفعه عطفا على انزل لكونه سببا عنه ان الله لطيف عليم بدقايق الصنع
او بار بعباده خبير ببواطن الامور علة لانزال الما مع ما ترتب عليه ويجوز ان يكون اللطيف
راجعا الى الانزال والخبير الى اصلاح الارض بخضرة له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
وان الله لهو الغني مطلقا الحميد في ذاته موصوف بكل كمال حمد او لم يحمد الم تر
ان الله سخر لكم ما في الارض من الدواب مذللة للركوب والحمل وساير الاشيا من المعادن
والنباتات والفلك عطف على ما او اسم ان تجري في البحر بامره حال او استئناف لبيان
وجه التسخير ويمسك السما بلا عمد بجوده وقدرته ان تقع على الارض كراهة ان
تقع الا باذنه بارادته عند قيام الساعة ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث بث ادلة
وجوده وتوحيده في الافاق ولم يخل شئ منها عن ضروب من النعم وهو الذي احياكم
بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة ثم يميتكم عند حلول الاجل ثم يحييكم
يوم القيمة للجزا ان الانسان لكفور كثير الكفران ولما كانت ايات الانفس
اقرب واظهر في كونها نعما واشمل واوفر ختم الاية بالكفران لكل امة جعلنا منسكا
شرعا ودينا هم ناسكوه متخذونه نسكا مستمرون عليه فلا ينازعنك في الامر الذي انت
عليه والشرع الذي شرع لك لان شانه اظهر من ان يمكن فيه النزاع ويجوز ان يكون
نهيا له صلى الله عليه وسلم عن تمكينهم من النزاع على وجه الكناية كقولك لا ارينك
ههنا وعن الزجاج نهى له عن منازعتهم لان من نازعك فقد نازعته والاول ابلغ
نزلت في كفار خزاعة قالوا للمؤمنين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله
يريدون الميتة وانما لم تعطف كما عطفت نظيرتها وهي قوله ولكل امة جعلنا منسكا
لان تلك في بيان الشعاير وان النسايك لم تزل يتقرب بها الى الله كساير العبادات
واما هذه فسوق الكلام فيها لتعداد الايات الدالة على التوحيد وادع الى ربك
الى توحيده انك لعلى هدى مستقيم طريق موصل الى الحق لا زيغ فيه وان جادلوك
بعد ظهور الحق عنادا فقل الله اعلم بما تعملون وعيد فيه رفق قريب من قوله
واعرض عن الجاهلين الله يحكم بينكم اعاد كلمة الجلال لدلالتها على الالوهية المنا
سبة للحكم والقضا يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم ان الله
يعلم ما في السما والارض من تتمة حديث الحكم استشهد بعلمه على ذلك كانه قيل
انت تعلم ان الامر كذلك وان جهلوه ان ذلك في كتاب هو اللوح كتب
فيه مقادير الاشيا قبل حدوثها ان ذلك على الله ان حفظ ذلك عليه
يسير لان علمه المتعلق بجميع المعلومات مقتضى ذاته فلا يعزب عنه مثقال ذرة
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا برهانا يدل على جواز عبادته
وما ليس لهم به علم ضرورة او استدلالا بل تقليدا او اتباع هوى وما للظالمين من
نصير اذا نزل بهم العقاب او يؤيد مذهبهم والغرض اظهار جهلهم حيث
لم يلتفتوا الى ايات الافاق والانفس وانهمكوا في عبادة ما لا دليل عليه واذا
تتلى عليهم اياتنا من القران بينات واضحات الدلالة على العقايد
الحقة تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لظهور اثاره على صفحاتهم
اثر الظاهر على المضمر دلالة على ان ذلك الانكار ناش عن كفرهم يكادون
يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا من شدة الغيظ السطو الوثوب والبطش والجملة

حال او استيناف قل افانبئكم بشر من ذلكم الغيظ والسطوا النار جواب سوال
كانه قيل ما هو ويجوز ان يكون مبتدا خبره وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير
النار يا ايها الناس ضرب مثل سمى القصة الرابعة المتلقاة بالقبول عند ذوى
العقول مثلا تشبيها لها ببعض الامثال السايرة فى الغرابة والحسن فاستمعوا له للمثل
استماع تامل وتدبر ان الذين تدعون من دون الله اى الاصنام لن يخلقوا ذبابا
لن يقدروا على خلقه ولو اجتمعوا له ولو تعاونوا وتعاضدوا على خلق احقر حيوان واذله
وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه اى ولو اختطف هذا الحيوان الاذل
شيئا واجتمعوا على استخلاصه منه لم يقدروا وهذا ادل على العجز وانتفاء القدرة ضعف
الطالب والمطلوب وان كان الطالب اضعف لكونه جمادا والمطلوب حيوانا ذا حس
وارادة ولما اجراها مجرى العقلاء اثبت لها الطلب مع الخيبة تهكما عن ابن عباس رضى الله
عنه كان المشركون يلطخون الاصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها
الابواب فيدخل الذباب من الكوى فياكل ما قدروا الله حق قدره ما عظموه حق
تعظيمه حيث جعلوا اذل الاشياء شريكا له فى العبادة من قدر الشئ يقدره اذا نظر فيه
وتدبر ومنه حديث عايشة رضى الله عنها ما قدروا قدر الجارية الحديثة السن ان الله
لقوى عزيز ذو قوة وغلبة لا يغلبه شئ وما يدعونه مرذول انا اذل من اذل الحيوان
الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس شرع فى اثبات الرسالة بعد هدم قواعد
الشرك واحكام دعايم التوحيد دلالة على ان له عبادا مصطفين يمكن التوسل بهم
الى معرفته تعالى ان الله سميع عالم باقوال المكلفين بصير باحوالهم يعلم ما بين
ايديهم ما مضى منها وما خلفهم وما يترقبون لا يخفى عليه خافية والى الله ترجع الامور
كلها والذى هذا شانه لا يسال عما يفعل لاحاطة علمه بكنه الاشياء فقولهم انزل عليه
الذكر من بيننا وقولهم لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم ناش
عن جهلهم ودليل على انهم ما قدروا الله حق قدره وقرا حمزة والكسائى وابن عامر
ترجع على بناء الفاعل يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا حث على
الشرايع بعد اثبات الرسالة فانها كالنتايج لها وبدا بالصلوة لانها عماد الدين
وعبر عنها بالركوع والسجود لانهما اعظم اركانها لاحتوائهما على غاية الخضوع والخشوع
الذين عليهما مدار العبادة وقيل اول ما اسلموا كانوا يركعون بلا سجود ويسجدون
بلا ركوع فامروا ان تكون صلوتهم بركوع وسجود واعبدوا ربكم اخلصوا له
الطاعة واقصدوا بها وجهه وقيل حجوا وصوموا واغزوا وفيه ان الاية مكية و
تلك العبادات مدنية وافعلوا الخير كلا من اغاثة الملهوف وصلة الارحام و
الامر بالمعروف لعلكم تفلحون حال كونكم راجين الفلاح فان الاعمال مارات
والاية اية السجدة عند الشافعى رحمه الله لما روى عقبة بن عامر قلت يا رسول الله
فى سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما وعن عمرو بن العاص رضى
الله عنه اقرانى رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سجدة منها سجدتان
فى سورة الحج وروى مالك عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان سورة الحج فضلت
بسجدتين وعن ابى حنيفة رحمه الله قرانها بالركوع دليل على انها سجدة الصلوة لا سجدة
التلاوة والحق انه لا تنافى بين كون السجدة صلوية وشرع السجود عند تلاوتها كما دلت
عليه الروايات وجاهدوا فى الله فى الجهاد فيه حق جهاده اصله جهادا حقا اضيفت
الصفة الى الموصوف مبالغة كقولك زيد عالم حق عالم واضيف الجهاد الى ضميره تعالى
لان الجهاد لوجهه فتلك الملابسة كافية ويجوز ان يتسع فى الظرف كقوله ويوم

ويوم شهدناه سليما وعامرا هو اجتباكم اختاركم وجعلكم خير امة وما جعل عليكم
فى الدين من حرج حيث شرع لكم الرخص والكفارات واحل لكم الغنايم و و
ضع عنكم الاصار والاغلال التى كانت على الامم فكما لطف بكم غاية اللطف جاهد
وافيه حق الجهاد ملة ابيكم ابراهيم نصب على الاغراء او الاختصاص ولما
كان ابا الرسول الله وهو اب لامته لكونه سببا لحيوتهم الابدية جعل اباهم ويجوز
ان يكون تغليبا لان قريشا كانوا من ذريته هو سماكم المسلمين اى الله سماكم
بهذا الاسم الشريف من قبل فى ساير الكتب المنزلة قبل القران وفى هذا اى فى القران
وقيل الضمير لابراهيم ومعنى من قبل قبل نزول القران وارسال محمد حيث قال ومن
ذريتنا امة مسلمة لك ويويد الاول قوله ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا
شهداء على الناس فانه يدل على ان الاجتباء والتسمية كانا لهذا الغرض لانهما بمثابة
التزكية فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة شكرا لتلك النعمة التى لم يشارككم فيها امة
واعتصموا بالله استمسكوا به فى كل ما تاتون وتذرون وهذا اقصى الكمال
ونهاية التقوى فانتظمت الخاتمة مع الفاتحة هو موليكم متولى اموركم فنعم المولى
ونعم النصير لان من تولاه لا يضيع ومن نصره لا يخذل ولان من نصر لا يبصر الا اذا
اراد فلا ناصر سواه تمت السورة ولولانا الحمد والثناء والصلوة على سيد الانبياء
وعلى اله وصحبه البررة الاتقياء سورة المؤمنون مكية وهى مائة وثمان وعشر ايات
بسم الله الرحمن الرحيم
قد افلح المؤمنون قد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وكان
المؤمنون يتوقعون نوع بشارة منه تعالى فصدر السورة بما دل على ثبوت متوقعهم على
ابلغ وجه بان ادخل قد على المضارع البارز فى صورة الماضى الدال على التحقق
فكانه قيل قد تحقق ان المؤمنين من اهل الفلاح والفوز بالامانى ويجوز ان
يكون جواب قسم محذوف فيزداد تاكيدا على تاكيد الذين هم فى صلوتهم خاشعون
الخشوع فعل القلب ويسرى اثره فى الجوارح ولذلك لما راى رسول الله صلى الله
عليه وسلم مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ومن
الخشوع فى الصلوة ان لا يحدث نفسه بما لا يتعلق بالصلوة ويتوقى كف
الثوب والالتفات وقلب الحصا والسدل والاختصار وتشبيك الاصابع وبلحظ
النظر بموضع السجود والذين هم عن اللغو معرضون كل ما لا يعنيك من قول
وفعل لغو من لغا الرجل لغا بالباطل ومنه لغو اليمين والغى ابن عباس طلاق
المكره اى ابطله ولما وصفهم بالخشوع فى الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض
عن اللغو جمعا لهم بين فعل ما ينبغى وترك ما لا يعنى اللذين عليهما مدار الكمال
فهو من تتمة الصلوة فلذلك فصل به بينها وبين الزكوة والذين هم للزكوة فاعلون
اى التزكية فانه اسم مشترك بين العين والمعنى القايم بالفاعل وعبر عن المزكى بالفاعل تجا
فيا عن التكرار مع ان كل فعل يعبر عن مصدره بلفظ الفعل ضرورة صدق العام على الخاص
ومن فسره بالذين يفعلون ما يفعلون ليزكيهم الله او ليزكوا انفسهم فالصلوة تنادى على
بطلان تخريجه وكذا نظيره فى سورة المعارج والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازوا
جهم او ما ملكت ايمانهم اى حافظون فروجهم فى الحالات كلها الا فى حال تزوجهم او تسريهم و
الاحسن تعلق الجار بحافظون من حفظت المال على اليتيم اى حافظون فروجهم على الازواج
لا يتعداهن ثم قيل غيرها فظين الا على الازواج تاكيدا على تاكيد والنفى الذى من لوازم
المفرغ من الساق فانهم غير ملومين فيه اشارة الى انه مباح لا ثواب فيه ولا حرج وهذا
اذا لم يقصد به عدم الوقوع فى الزنى لما روى البخارى انهم قالوا يا رسول الله ايأتى

احدنا شهوته ويكون له اجر قال نعم ارايتم لو وضعه فى الحرام اكان له وزر ونكاح المتعه
باطل اجماعا فلا وجه لعد المنكوحة متعه فى الازواج فمن ابتغى وراء ذلك
المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون فى العدوان والذين هم لاماناتهم و
عهدهم راعون لا يخونون فيما يؤتمنون فيه من حقوق الله وحقوق العباد ويرعون
العهود والمواثيق لا يغدرون ولم يجمع لانه اسم للحاصل بالمصدر بخلاف الامانة فان المراد
منه الشئ المؤتمن فيه وقرا ابن كثير بالافراد والجمع اولى لتناوله الافراد صريحا والذين
هم على صلواتهم اى المفروضه او المشروعه يحافظون يؤدونها فى اوقاتها
مرعيا فيه الاركان والابعاض والهيآت مواظبون على ذلك على الاستمرار وقرا حمزة
والكسائى بالافراد على ارادة الجنس وعليه الرسم والجمع اظهر لظهور تناول الافراد
مفروضه كانت اولا ولا تكرار لان الاول فى بيان خشوعهم والثانى فى مسارعتهم
اليها وقدم بيان الخشوع لانه الاصل فى العبادات اولئك هم الوارثون
الموصوفون بالصفات المذكوره احقاء باسم الوراثه وبان لا يسمى غيرهم وراثا الحقائق
ما ورثوه وانما سمى جزاء اعمالهم ميراثا دلالة على كمال الاعتداد بها وان الثواب فى مقابلتها
امر لازم كالميراث فانه ملك قهرى لا يقبل الرد وقيل لانهم ورثوا منازل الكفار فى
الجنة لو كانوا مسلمين لما فى الحديث ما من احد الا وكتب له مقعد فى الجنة ومقعد فى
النار الذين يرثون الفردوس ابهم اولا ثم فسرها للفخامة والفردوس
البستان الواسع الجامع لاصناف الثمار روى ان الله تعالى بنى جنة الفردوس لبنه
من ذهب ولبنه من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وغرس فيها من جيد الفاكهة
والرياحين هم فيها خالدون لا موت ولا انتقال اللهم اجعلنا اهل الفردوس
روى مسلم والبخارى ان رسول الله قال اذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس
فانه اوسط الجنة منه تتفجر الانهار ولما بين ان الفائزين لديهم المتصفون بتلك الاو
صاف المرضية المتحلون بها تلك الاخلاق الزكية اشار الى ان ذلك وحدانية استحقاق
ذلك من عباده بقوله ولقد خلقنا الانسان آدم من سلالة خلاصة فعالة
بمعنى المفعول وبناء فعالة تنبئ عن القلة كالقلامة والقلامة من طين من بيانيه و
الاولى ابتدائية ويجوز ان يكون ابتدائية على ما روى عن الحسن انه خلق من ما بين
ظهرانى الطين او تبعيضية لان المسلول خلاصة الطين وانما نكر الطين لكونه طينا
مجهول الاجزاء من وجه جميع الارض وهى القبضة التى قبضها ملك الموت ثم جعلناه
نطفة اى نسل نطفة فحذف المضاف فى قرار مكين القرار المستقر من
الارض استعير لمحل النطفة ووصف بالمكانة مبالغة فى وصف الرحم بالحصانة ثم خلقنا
النطفة علقة قلنا النطفة البيضاء دما جامدا علق بعض اجزائه فخلقنا العلقة
مضغة قطعة لحم مقدار ما يمضغ فخلقنا المضغة عظاما صلبة فكسونا
العظام لحما ساترا لها كالكسوة وقرا ابن عامر وابو بكر العظم مفردا فى
الموضعين على ارادة الجنس لعدم اللبس والجمع اظهر ثم انشأناه خلقا آخر
مباينا للخلق الاول بان كان جمادا فصار حيوانا وناطقا بعد ان كان ابكم وسميعا
بعد ان كان اصم وبصيرا بعد ان كان اكمه واودع فيه من القوى الظاهرة والباطنة
وانواع الادراكات التى لا يقدر على درك شئ منها الا على الشامل واحتج ابو حنيفة رحمه الله
بالآية على ان من غصب بيضة فافرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر
فان قلت لم ذكر العطف ثم اولا واخرا دون المتوسطات مع تساوى المدة كما
نطق به الحديث فيكون اربعين يوما نطفة ثم اربعين علقة ثم اربعين مضغة ثم

تمره الكشاف

ثم ينفخ فيه الروح قلت ثم فى الموضعين للتراخى رتبة فان انقلاب النطفة دما جامدا
ابعد حالا من انقلاب العلقة مضغة وانقلابها عظما واما نفخ الروح فظاهر ويجوز ان
يكون تفننا فى الكلام فان ابتداء كل انقلاب يتعقب ما تقدمه وان كان انتهاؤه متراخيا
فاستعمل الحرفين بالنظر الى الحالتين هذا ويمكن ان يكون ثم فى الاول للتراخى زمانا وذلك
ان النطفة اذا وقعت فى رحم المراة تتفرق اجزاء المراة كما اشار اليه فى الحديث بقوله يجمع
خلق احدكم فى بطن امه اربعين يوما نطفة وذلك بنزول النطفة الى الرحم بعد تفرقها
فتبارك الله احسن الخالقين تعالى شانه وكثر خيره على المخلوقين حيث اوجد من طين متدرجا
فى الاطوار انسانا فى احسن تقويم وعن ابن عباس ان عبد الله بن سعد بن ابى سرح كان
يكتب الوحى فلما املى عليه رسول الله هذه الآيات وكان بليغا وسمع ما بهر عقله فلم
يتمالك ان قال فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب
هكذا انزل فارتاب من ذلك وقال انزل الى مثل ما انزل اليه فارتد مدة ثم عاد الى
الاسلام احسن عود ثم انكم بعد ذلك لميتون لا محالة الفرق بين الميت والمائت
ان الاول يدل على الثبوت والثانى على الحدوث تقول زيد مائت الان او غدا ولا تقول ميت
ثم انكم يوم القيمة تبعثون للجزاء ولا دلالة للكلام على عدم حيوة اخرى فى القبر
وانما لم يتعرض لها لخفاء شانها فلا يحسن ذكرها فى معرض الاستدلال على كمال الاقتدار
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سبع سموات سميت طرائق لانه طورق بعض
فوق بعض وكل شيئين جعلت احدهما فوق الاخر فقد طارقت بينهما واصل من الطرق
وهى التطبيق او لانها طرق الملائكة والكواكب فى سيرها وما كنا عن الخلق غافلين
عن خلق السموات بل كما اوجدنا نحفظها عن تطرق الخلل كقوله ولا يؤده حفظهما
وعن المخلوقات بحسبها فانه جعلها معدن الارزاق بانزال الرحمة يؤيده وانزلنا من
السماء ماء بقدر بمقدار معلوم اقتضته الحكمة فاسكناه فى الارض فى اعماقها منه
تجرى العيون كقوله فسلكه ينابيع فى الارض وتخصيصه بالانهار الخمسة لا وجه له
وانا على ذهاب به لقادرون لانه اهون فى العرف من الانزال وانما نكر الذهاب
للدلالة على كثرة طرقه وتعدد اسبابه ومبالغة فى الابعاد به وهذا ابلغ فى الوعيد
من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا قيل ابلغ منه من ثمانية عشر وجها تعرف
بالتامل فانشانا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها فى الجنات
فواكه كثيرة تتفكهون ومنها تاكلون تغذيا كالتمر والزبيب فانهما من الاقوات
او تحصلون منها ارزاقكم واسباب معايشكم يقال فلان ياكل من حرفته اى منها
وجه معاشه ويجوز ان يعود الضمير الى النخل والاعناب لاشتمال ثمرها على هذه المعانى
كلها فان قلت قد جاء فى الزخرف لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون وههنا جمع الفاكهة
واتى بالواو العاطفة ما الحكمة فى ذلك قلت تلك فى وصف الجنة والنوع الواحد من ثمره
يوجد فيه طعم سائر الانواع كما بين فى قوله هذا الذى رزقنا من قبل فاشار بالافراد
الى ان نوعا منه فيه غنى عن سائر الانواع واما عدم العاطف فلان ما يؤكل هناك
بعض الثمر لدوامه وعدم انقطاعه ويؤكل تفكها فلا يوجد معنى آخر يعطف عليه وانما
رمحت بلفظ المفرد وههنا بلفظ الجمع مراعى التناسب وكذا زيادة الواو ههنا وحذفه هناك وشجرة
عطف على جنات هى شجرة الزيتون افردها بالذكر لشرفها قيل هى اول شجرة نبتت بعد
الطوفان وهى الشجرة المباركة تخرج من طور سيناء جبل نودى منه موسى بفلسطين
او بين مصر وايلة والطور لغة الجبل الشاهق اضيف الى سيناء اسم بقعة او هو مركب
كبعلبك وحضرموت وهو الطور سينين وسينا لفظ عجمى والمنع من الصرف للعلمية

تم الكشاف

قايده القاضي

والتانيث المعنوي وليت الف للتانيث لعدم النظير واما عليا فالف للالحاق تنبت
بالدهن اي الشجرة ملتبسة بالدهن الجار والمجرور في محل الحال وجعل البا صلة يفسد
المعنى وقراه ابن كثير وابو عمرو بضم التاء من الانبات اما لان انبت لازم كالمجرد وعليه
قول زهير رايت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا بها حتى اذا انبت البقل او تعدى
بالهمزة والمفعول محذوف اي زيتونها وعن ثعلب ان البا زايدة كقوله ولا تلقوا
بايديكم وعليه قوله نشرب بما البحر ثم ترفعت وقراة الفتح اقل تكلفا وصبغ للاكلين
عطف على الدهن عطف احد وصفي الشي على الاخر كانه قيل تنبت بالشي الجامع بين
كونه دهنا ادما واصل الصبغ والغمس ومنه في الحديث يؤتى بالكافر المترف فيصبغ في
النار صبغة فيقال له هل رايت من نعيم قط فيقول لا وان لكم في الانعام لعبرة ما
تعتبرون به وتستدلون على كمال علم الصانع وقدرته نسقيكم مما في بطونها
استيناف لبيان العبرة من ابتدائية اي كاينا من العلف الذي في بطونها او تبعيضية
لان اللبن جزء من العلف متكون منه وقرا نافع وابن عامر وابو بكر بفتح النون
وهما لغتان والفتح اخف واشهر وقد جمعهما لبيد في بيت سقى قومي بني مجد واسقى
نميرا والقبايل من هلال ولكم فيها منافع كثيرة من الركوب والحمل والاصواف
والاوبار ومنها تاكلون من اعيانها او تجعلونها اسبابا لمعاشكم بالبيع والاجارة
وعليها وعلى الفلك تحملون فان الابل والبقر يحمل عليهما وقيل المراد بالانعام
الابل لانها كانت غالب مال العرب وهي سفاين البر ولذلك قرنها بالفلك
قال ذو الرمة يمدح ناقته المسماة بصيدح سفينة بر تحت خدي زمامها وقال
اخر يمدح ناقة دعايم الزور نعمت زورق البلد ولقد ارسلنا نوحا الى قومه بعدما
شيد اركان التوحيد بايات الافاق والانفس شرح احوال الامم المكذبة وابتدا
بنوح فانه اول رسول عذب قومه فقال يا قوم اعبدوا الله وحده مالكم
من اله غيره استيناف لبيان علة الاختصاص افلا تتقون باسه وسطوته
الاستفهام للحث والطلب مثل فهل انتم شاكرون فقال الملأ الذين كفروا من
قومه اي اشرافهم لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم
فلذلك يدعي الرسالة ولو شاء الله ارسال الرسول لانزل ملايكة لاعتقادهم
ان البشرية تنافي الرسالة ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين قالوه اما عنادا
واما لتطاول الفترة وبعد العهد ان هو الا رجل به جنة جنون ما يدري
ما يقول فتربصوا به حتى حين الا ان يموت او يرجع عن دعواه قال رب
انصرني بما كذبون اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي فان كاني اهلاكهم نصرة
او الباء بدلية والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة او ما موصول والبا
للالة اي بالذي كذبوني فيه وهو العذاب الموعود بقوله اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم اي انجز ذلك الوعد فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظها
وكلاءتنا ووحينا وامرنا بذلك وقدم الحفظ على الوحي وان تاخر وجودا
لكونه الاصل الذي لا يتم شي بدونه فاذا جاء امرنا باهلاك القوم وفار التنور
بالما قيل لنوح اذا فار التنور اركب السفينة والخلف في موضعه قيل بمسجد الكوفة عن
يمين الداخل من باب كندة وقيل بعين وردة بالشام وقيل بالهند وعن ابن عباس
التنور وجه الارض وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر ولعل ذلك لان
هلاكهم كان بعد طلوع الفجر فاسلك فيها ادخل فيها يقال سلك غيره قال
عبد مناف الهذلي حتى اذا اسلكوهم في قتايدة من كل زوجين من كل صنفي

صنفي الذكر والانثى مفعول اسلك وقرا حفص من كل بالتنوين اي من كل جنس
او من كل ذكر وانثى وزوجين مفعول واثنين صفة للتاكيد كامس الدابر واهلك
واهل بيتك او لم ينج غيرهم لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين والحق ان غير ذريته كانوا معه
لقوله تعالى وامم ممن معك ولا تنافي كون ذريته هم الباقين الا من سبق عليه القول منهم
وهو ابنه الذي كان من المغرقين ولا تخاطبني في الذين ظلموا في استدفاع العذاب
عنهم اذا ادركتك رقة الجنسية او لا تدعني لاهلاكهم مرة اخرى بقولك انصرني
ولا تذر من الكافرين ديارا انهم مغرقون لا محالة لسبق بذلك القول فاذا
استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين فان النجاة
من العدو كل نعمة دونه وفيه اشارة الى علة النهي عن الخطاب في حقهم لان من هلاكهم نعمة
يحمد عليها كيف يليق السعي في خلاصهم وقل رب انزلني منزلا مباركا فيه مزيد خير
الدارين وقرا ابو بكر منزلا بفتح الميم من النزول مصدرا او اسم مكان وقراءة القوم اوفق
بقوله انزلني وانت خير المنزلين ثنا اخذ من لفظ الدعاء وامره ان يشفع به
الدعا توسلا به الى الاجابة وافرده به لانه سيد القوم لما امر به فهم مامورون به
ولان كبرياء الالوهية اجل من مخاطبة اي من كان بل لا يصلح لذلك الا نبي مرسل
او ملك مقرب ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه لايات كثيرة لمن تامل وتدبر
وان كنا لمبتلين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين عبادنا لننظر
من يتذكر لقوله ولقد تركناها اية فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم قرنا
اخرين هم عاد قوم هود لقوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح فارسلنا
فيهم رسولا منهم وانما جعل القوم موضع الارسال تاكيدا لالزام الحجة
لانه منهم لئلا يحتجوا بنفورهم عن اتباعه ونشأ فيهم وبين اظهرهم يعرفون ديانته
وامانته ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان مفسرة لارسلنا افلا تتقون
سخط الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة بلقاء ما فيها من الثواب
والعقاب وانما عطف مقالتهم على مقالة الرسول ههنا ولم يعطف في الاعراف وهود
لان الكلام هناك في حكاية المقاولة بين المرسل والمرسل اليه الا ترى الى قولهم
انا لنريك في سفاهة وقولهم ما نريك الا بشرا مثلنا واستحال ذلك الاستيناف
بين كانه قيل فما قالوا في جوابه قيل كيت وكيت واما ههنا فلم يحاطو بل قال بعضهم
لبعض كلاما فاشير الى الجمع بين قوله الحق وقولهم الباطل فلا مساغ للاستيناف
واترفناهم في الحيوة الدنيا بكثرة المال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم
لا مزية له ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون بيان لوجه المماثلة والعايد
الى الموصول الثاني منصوب محذوف وتقدير المجرور وحذفه مع الجار ضعيف ولئن
اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون حيث تضيعون انفسكم لمن لا يستحق واذا جزاء للشرط
وجواب لمن قاولهم من قومهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون من الاجداث
او من العدم حسن تكرار انكم لطول الفصل ومخرجون خبر عن الاول والظرف لغو
يتعلق به او انكم مخرجون مبتدا والظرف خبره والجملة خبر عن انكم على معنى ايعدكم انكم
اخراجكم كاين اذا متم او انكم مخرجون مرفوع بفعل هو الجزاء للشرط والشرطية خبر انكم
كانه قيل ايعدكم انكم اذا متم وقع اخراجكم هيهات هيهات من الاصوات المبنية
لكونها بمعنى الماضي لما توعدون اللام زايدة وما توعدون فاعل اي بعد ذلك
الموعود اي بعد ولذلك اكد ودا او هيهات معناه البعد كما نقل عن الزجاج والجار
والمجرور خبره وفي وجه بنايه على هذا تكلف او اللام لبيان المستبعد كانه لما صوت

به قيل لاى شئ هذا الاستبعاد قيل لما توعدون وفاعل هيهات على هذا ضمير البعد
كانه قيل وقع البعد لما توعدون ونظيره لقد تقطع بينكم بنصب بين اى وقع التقطع
وعن ابن جنى ان الفاعل هيهات وفيه نحول عن اللام لانه يمنع ان يكون ما توعدون
مفسرا ان هى الا حيوتنا الدنيا الضمير لمعهود ذهنى عدل عنه حذرا عن
التكرار اى ما الحيوة الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى يموت بعضها ويولد بعض
اويحيى ويموت لاحالة بعقل سواها قدم الموت لانه مظنة الترتيب وما نحن بمبعوثين
كما يزعم الرسول محمد ان هو الا رجل افترى على الله كذبا اخترعه قصدا
ارادة ان يفوقكم وما نحن له بمؤمنين يوما قال رب انصرنى بما كذبون
بسبب تكذيبهم قال عما قليل ما يؤكد معنى القلة او موصوفه ليصبحن
نادمين حيث لا ينفع الندم فاخذتهم الصيحة بالحق صاح بهم جبرئيل فهلكوا مكا
نهم ولا دلالة للصيحة على ان القوم قوم صالح لجواز ان يكون مع الريح صيحة جبرئيل
تغليظا للعذاب كامطار الحجارة على قوم لوط بعد ان جعل عاليها سافلها يؤيده
قوله ونجيناهم من عذاب غليظ اى هود ومن امن فجعلناهم غثاء سنه الغثاء
وهو حميل السيل شبههم به فى البلى وتفرق الاوصال والخروج عن عدم الانتفاع
فبعدا للقوم الظالمين اى بعد ذلك العذاب النازل بهم هلاكا لهم دعاء
عليهم للاهانة والاستحقاق كانه ما نزل بهم نزل نظرا الى ما اعد لهم من عذاب
الاخرة وهو من المصادر التى يجب حذف ناصبها يقال بعد بعدا بعدا كرشد
رشدا ورشدا ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين اى قرونا واتما فى ازمنة شتى افرده
لدلالة اخرين ما تسبق من امة اجلها على كثرة القرون وما يستاخرون
عن الوقت المقدر ثم ارسلنا رسلنا تترى واحدا بعد واحد من المواترة
وهى المتابعة بين الاشياء مع فترة وبينهما مداركه والتاء بدل عن الواو كتجاه و
تراث ونونه ابن كثير وابو عمرو على ان الالف للالحاق كلما جاء امة رسولها كذبوه
اضاف الرسول اليهم لوجود الملابسة فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث
فبعدا لقوم لا يؤمنون هلاكا لهم ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين
وحجة واضحة قيل هى العصا افردها لكونها اشرف المعجزات باعتبار اشتمالها على معجزات
شتى او هو الايات والعطف باعتبار الصفات الى فرعون وملائه اشراف قومه
خصهم بالذكر لان الرعايا والسوقة اتباع ولذلك قال رسول الله لهرقل فان
توليت فعليك اثم الاريسين فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما عالين
ذوى شرف وعز من علا بالكسر يعلى علاء فهو على اى شريف او من علوت الرجل غلبته
فى العلو على الوجهين جار مجرى علة الاستكبار او من علا فى الارض تكبر وكانوا قوما
دابهم التكبر فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا يطلق على الواحد والتثنية والجمع و
كذلك المثل وانما افرده كراهة توالى التثنية وقومهما لنا عابدون
زعم انحد منهم لعبادة لا عادة الالوهة او اراد بها الانقياد والخضوع فكذبو
هما فكانوا من المهلكين بالغرق ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون
اى بنى اسرائيل لان التورية نزلت بعد غرق فرعون وقومه وجعلنا ابن مريم وامه
اية دالة على كمال القدرة والعلم افراد الاية لانه اريد ما تعلق بهما من امر
الولادة او حذفت الثانية لدلالة الاولى عليها واويناهما الى ربوة الى ارض
مرتفعة هى بيت المقدس لانها ارفع اجزاء الارض واقربها الى السماء بثمانية عشر
ميلا وقيل رملة فلسطين وقيل دمشق وقيل مصر والوجه هو الاول ذات قرار

فائدة الفاضي

قرار مستقر من الارض يسكنها الناس لكثرة الثمار ومعين وماء جار من
معين الماء اذا سال بعيد القوته ومنه امعنت فى السير واسم مفعول من عانه ادركه
بعينه وجعله فعيلا من الماعون لا يناسب المقام يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
المعنى ان كل رسول خوطب فى زمانه وايراده على هذا الوجه ليعتقد السامع ان
امرا نودى به جميع الرسل حقيق بان يوخذ به ويجوز ان يكون هذا حكاية ما قيل
لعيسى وامه عند الايواء اى اعلمناهما ان الرسل كلهم مخاطبون بذلك وفيه
ابطال للرهبانية التى ابتدعها النصارى وبعض جهلة المتصوفة فى زماننا والطيبات
ما تستلذه النفس من الماكل والفواكه وقيل ما حل من الرزق وهو ثلثة اقسام حلال
وصاف وقوام فالحلال الذى لا يعصى الله فيه والصافى الذى لا ينسى الله فيه والقوام ما
يمسك النفس ويحفظ العقل وعنه صلى الله وسلم كل ما شئت والبس ما شئت ما
اخطاتك خصلتان السرف والمخيلة واعملوا صالحا فانه المقصود من ذلك
انى بما تعملون بصير فاجازيكم عليه وان هذه ولان هذه متعلق بفاتقون
وقرا الكوفيون بالكسر على الاستيناف او عطفا على انى وابن عامر ان بالفتح مخففة
والكسر هو المختار لعدم الحذف والتقدير امتكم دينكم وملتكم امة واحدة فى الاصول
والعقائد نصب على الحال على الوجوه الثلث وانا ربكم فاتقون فى مخالفة امرى
وقد بينت لكم ان الدين واحد فتقطعوا امرهم بينهم بعد تلك الوصية خالفوا و
توزعوا الدين وتقسموه زبرا قطعا جمع زبرة او جمع زبور وهو الكتاب اى كل اخذ بكتاب
وكفر بالاخر فهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا لتضمنه معنى الجعل
كل حزب بما لديهم فرحون معجبون بدينهم معتقدون انهم على الحق فذرهم
فى غمرتهم حتى حين الى ان يموتوا او يقتلوا شبه حالهم فى استغراقهم فى الجهالة بمن
غمره الماء وعلاه كانه قال دعهم فى هذا الجهل الذى لا جهل فوقه دلالة على الياس
وعدم نجع القول فيهم وادرج فيه التسلية ببيان الغاية وهو قتلهم او موتهم
ايحسبون انما نمدهم به اى نجعله مددا شيئا بعد شئ تقرير مع الانكار من مال
وبنين بيان نسارع لهم فى الخيرات اكراما لهم وايثارا فيما لهم فيه خير وخوف
ان يراد جزاء الخيرات كما للمؤمنين فى الاخرة والعائد محذوف اى نسارع به لهم
بل لا يشعرون لا شعور لهم ليتفطنوا اهلهم مستوجبون للاكرام ام ذلك استدراج
ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون خائفون غاية الخوف هم اضداد السابقين والذين
هم بايات ربهم المنزلة والمنصوبة فى الافاق والانفس يؤمنون يصدقون والذين
هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا فان كلا منهما يحبط العمل و
الذين يؤتون ما اتوا يعطون من الصدقات والبر ما اعطوا وقدروا عليه قليلا كان
او كثيرا وقلوبهم وجلة خائفة هل يقبل منهم ام لا استقلالا لها واعطاء
ما لجناب القدس تعالى انهم الى ربهم راجعون وهو قد احاط بما فى ضمائرهم
اولئك يسارعون فى الخيرات الباقية شهدا فيه تعريض لمن تقدم ذكرهم
بان همتهم فى المسارعة فى الفانى او يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية قبل
ثواب الاخرة بتلك الاعمال لقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا هذا وان كان لحسن
طباقا للاية المتقدمة فانه اثبت لهولاء ما نفى عن اولئك الا انه قاصر لان ثواب
الدنيا بالعرض لقوله من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة
وهم لها سابقون اى لتلك الخيرات سابقون الناس او فاعلون السبق
او سابقونها اى ينالونها قبل الاخرة واللام لتقوية الاسم لتقدم معموله ولا نكلف

نفساً إلا وسعها اعتراض للترغيب لانه امر سهل لا حرج فيه ومن تقاعد هو المقصر او
المعنى ان التكليف على قدر الوسع فمن بذل جهده ولم يبلغ تلك الرتبة فلا عليه
ولدينا كتاب ينطق بالحق هو اللوح او كتاب الحفظة لا يضيع فيه مثقال ذرة
فمن لم تتم همته الى الاول لا ينبغى ان تتقاعد به عن الثانى وهم لا يظلمون بنقص ثواب
او زيادة عقاب الضمير للفريقين بل قلوبهم فى غمرة فى غطاء وسترة اضراب
عن الاضراب الاول ترقياً فى وصفهم بالغفلة فان عدم الشعور قد يكون لعدم التوجه
واما المستور بالغطاء فلا يمكن الوصول اليه ولو توجه وبذل الوسع من هذا اى
مما وصف به المؤمنون ولهم اعمال من دون ذلك الذى وصف به المؤمنون
او متخطية عما وصفوا به من الشرك هم لها عاملون معتادون بها منهمكون
فيها لا يرعوون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب حتى هذه هى التى يبتدأ الكلام
بعدها والعذاب قتل المترفين يوم بدر وقيل القحط لما دعا عليهم رسول الله
فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فقحطوا حتى
كلوا الجيف وبرده قوله اذا هم يجأرون يصرخون بالاستغاثة لا تجأروا اليوم
انكم منا لا تنصرون لا تمنعون القحط قد ارتفع عنهم بدعائه صلى الله عليه وسلم
لما جاءه ابو سفيان وقال يا محمد انك تأمر بصلة الارحام وقد ترى ما اصاب
قومك فدعا فقال الله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون قد كانت
آياتى تتلى عليكم هى القرآن الدال باعجازه على انه كلامه تعالى فكنتم على اعقابكم
تنكصون ترجعون القهقرى كالخائف من الشىء اشارة الى غاية اعراضهم مستكبرين
به بالبيت الحرام زعماً منهم انهم ولاة البيت لا يؤاخذون بشىء شهرته اغنت
عن سبق الذكر الضمير او بالتكذيب او بالآيات وتذكير للسببية لانها فى معنى الكتاب
والقرآن او الجار متعلق بقوله سامراً او الضمير للقرآن والسمر حديث الليل اصله
ضوء القمر فانهم كانوا يجتمعون حول البيت ويأخذون فى مثالب القرآن وسب الرسول
تارة يقولون شاعر وتارة ساحر وتارة يقولون القرآن اساطير الاولين انما
يعلمه بشر والسامر اسم الجمع يقال هم سمار وسامر تهجرون من الهجر بضم الهاء
وهو الفحش من القول او من الهجر بالفتح وهو الهذيان والتخليط فى الكلام وقراءة
نافع بضم التاء من اهجر اذا اتى بالهجر اى الفحش او الهذيان فلا تأييد فى قراءة نافع
لاحد المعنيين أفلم يدبروا القول اى القرآن ليعلموا انه كلام الله المعجز بل تدبروه
مدة متطاولة ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين بل جاءهم الكتاب والرسول
ولم يأت آباءهم الاولين وليس ذلك موضع الانكار اذ قد تواتر عندهم مجىء الرسل
وانزال الكتب الى سائر الامم او جاءهم من الامن من عذاب الله ما لم يأت آباءهم
الاولين كاسمعيل واعقابه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا مضر
ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قساً ولا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة
ولا تميم بن مر فانهم كانوا مسلمين وما شككتم فى شىء فلا تشكوا فى اسلام تبع
فانه كان مسلماً على شرط سليمان بن داود ام لم يعرفوا رسولهم دينه
وامانته وصدق لهجته وشرف نسبه حيث اقتعد غارب المجد وحل ذروة سطة هاشم
فهم له منكرون لفقد شىء من تلك الكمالات ام يقولون به جنة فلا
يبالى بكلامه كلا قد يعلمون انه ارجح الناس عقلا واثبتهم رأياً ومن وقف على
خطبة ابى طالب عند نكاح خديجة علم ما كان فيه من صفات الكمال من اول نشأته
بل جاءهم بالحق بالتوحيد الذى لم يألفوه وقد اندرج على الشرك آباؤهم

قاله القاضى

آباؤهم واكثرهم للحق كارهون قيد بالاكثر لان قليلاً منهم ما كان يكره الايمان
ولكن يمنعه الاستكبار وخوف لائمة الناس كابى طالب كان يمدحه ويمدح دينه وبات
على الكفر خوفاً من لوم الناس ان يقولوا فى كبر سنه تبع تميمه وانما اعاد المظهر لئلا
يتوهم عود الضمير اليه ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن
لفسد النظام لان الاهواء مختلفة والدواعى متباينة او لو اتبع الحق اهواءهم انقلب باطلا
ولا بقاء للعالم مع الباطل بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذى فيه شرفهم او تذكرهم
وعظتهم او الذكر الذى كانوا يتمنونه يقولون لو ان عندنا ذكراً من الاولين لكنا
عباد الله المخلصين فهم عن ذكرهم معرضون جهلاً منهم وعناداً ام تسألهم
خرجاً قسيم لقوله ام يقولون به جنة وما بينهما اعتراض برهاناً على انه منزه من
الجنون بل بما جاء به هو الحق الابلج فخراج ربك خير فالاجر الذى وعدك ربك
خير من الفانى الذى بيدهم وقد رضيت بذلك فلا وجه لتقريعهم وقرأ ابن
عامر بقصرهما وحمزة والكسائى بمدهما والباقون بقصر الاول ومد الثانى وهما
لغتان وقيل الخرج الجعل والخراج الضريبة وقيل الاول مصدر والثانى اسم والا
وجه القصر لانه اخف والمعنى عليه اظهر وزيادة المبانى لزيادة المعانى انما
هو عند اتحاد المعنى وعدم المعارض وهو خير الرازقين لدوام رزقه و
سعته وعدم شوبه بمنة تقرير لكون خراجه خيراً وانك لتدعوهم الى صراط
مستقيم لا عوج فيه وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون
عادلون عنه لان اتباع الحق وسلوك طريقه انما هو من خوف العقاب
ومن لا يؤمن بالآخرة آمن من ذلك ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر
هو الجوع والقحط للجوا فى طغيانهم لتمادوا فيه يعمهون يتحيرون عن
الهدى ولقد اخذناهم بالعذاب القحط والجوع فما استكانوا لربهم
استفعال من الكون او افتعال من السكون ما انتقلوا من كونهم الاول الى
آخر وما يتضرعون بل استمروا على عتوهم الذى كانوا عليه حتى اذا فتحنا عليهم
باباً ذا عذاب شديد وهو القتل يوم بدر او عذاب جهنم اذا هم فيه مبلسون
آيسون من الابلاس اذ ابيس هذا وتفسير العذاب الشديد بالجوع وقول ابى سفيان قتلت
بعضهم بالسيف يوم بدر وبعضهم بالجوع لما منع ثمامة الميرة عن اهل مكة كل شهو لان
القحط وقع ورسول الله بمكة ورفع بدر بعده بالمدينة وكذا اسلام ثمامة رواه البخارى
وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة خص السمع والابصار والافئدة بالذكر
لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنياوية ما لا يتعلق بغيرها وقدم السمع والابصار
لانها الآلات الادراك وبها يدرك المعجزات قليلاً ما تشكرون تصرفها
الى ما خلقت له وهو الذى ذرأكم فى الارض خلقكم فيها بالتناسل واليه تحشرون
تجمعون بعد ذلك التفرق للجزاء وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار
مختص به لا يقدر عليه احد سواه افلا تعقلون تستعملون عقولكم فى النظر والتدبر
فيما خلقتم له قيل فوات الوقت بل قالوا مثل ما قال الاولون اعرض عن خطابهم
نعياً عليهم وجهل اسلافهم الذين اقتدوا بهم قالوا ءاذا متنا وكنا تراباً وعظاماً
ءانا لمبعوثون اى انه منكر محال لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل
قبل وجودنا وبعد محمد يريدون ان ما يقول قول قيل قبله دهراً وقد ظهر لمن تقدمنا
بطلانه ان هذا الا اساطير الاولين اكاذيبهم المختلقة جمع اسطورة كالاعجوبة والا
ضحوكة وهذا البناء لما يتلهى به وقيل جمع اسطار جمع سطر كافراش وفرس والسطر

صف من الكتابة والاول احسن واوفق قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات
من التغليب العقلاء ان كنتم تعلمون ذلك اهانة لهم حيث لا يعلمون هذا
الواضح الجلي فهم عن علم التوحيد ودقايقه بمعزل وان كنتم من اهل العلم حيث
زعمتم ان ما يقوله من اساطير الاولين سيقولون لله بلا ريث لا يتوقف على فكر
قل افلا تذكرون بعد هذا الاقرار فان توجه النظر الذي هو ايسر الاشياء كاف
في حل عقد تكم قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قراءه
ابو عمر بعده باللام وجر الها وهو طبق السوال معنى اذ معنى من رب الدار لمن الدار وعليه
الرسم الا الامام والبصري قل افلا تتقون عقاب من هذا صنعه قل من بيده ملكوت
كل شيء وهو يجير يغيث ويحرس من يشاء ولا يجار عليه ولا يغاث منه احد وتعديته
بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون اعاده زيادة في التوبيخ سيقولون لله قل
فانى تسحرون تخدعون عن الرشد مع ظهوره ساق الايات الثلث على اسلوب بديع
ذكر الارض اولا لانها اقرب اليهم ومنها نشأتهم ثم ترقى الى السموات والعرش
العظيم التي الارض بالنسبة اليها كلا شيء ثم الى بيده ملكوت كل شيء فاتى باعم العام
وكلمة الاحاطة ولفظ الملكوت الدال على سعة الملك وغاية الاختصاص وذكر اليد تصوير
العظمة وان كان الكائنات تحت قدرته كلعبة في يد قادر يقلبها كيف يشاء وراعى
في الفواصل ايضا ذلك حيث ذكر بعد ذكر الارض التذكر الذي هو ايسر النظر
ثم الاتقاء الدال على الوعيد ثم التعجب من خدع عقولهم وتخيل الباطل حقا والحق
باطلا بعد الاقرار والاعتراف بتلك المقدمات القواطع وكما انها تقرير للسابق
من ابطال شبهة منكري البعث كذلك تمهيد للاحق من ازاحة اوهام اهل الشرك
ورافضي التوحيد بل اتيناهم بالحق بالبرهان الدال على البعث والتوحيد وانهم
لكاذبون في انكارهما ما اتخذ الله من ولد قط لتقدسه عن المماثلة والمجانسة
وما كان معه من اله يشاركه في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق جواب
لمن حاجة من المشركين وجزاء الشرط محذوف دل عليه قوله وما كان معه من اله اي
لو كان معه الهة لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض كما ترون من ملوك
الدنيا قد تقدم الكلام عليه وافيا في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا سبحان
الله عما يصفون من اتخاذ الولد والشريك عالم الغيب والشهادة برهان
اخر دال على بطلان الشرك لان من يدعون له الالوهية جماد ليس من شانه الادراك
فتعالى عما يشركون قراه ابن كثير وابو عمرو وابن عامر عالم بالجر على الوصف
وهو المختار لسلامته عن الحذف قل رب اما تريني ما يوعدون يقولك واما
تريتك الذي نعدهم رب فلا تجعلني في القوم الظالمين داخلا في زمرة المعذ
بين كما برا دعية هضما لنفسه واظهارا للتواضع والعبودية مع علمه بانه قد غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكرر لفظ الرب اشارة الى ان التضرع والجوار عنده بمكان
وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون كانوا يقولون متى هذا الوعد فقيل ان الله
قادر على ان ينجز ذلك الوعد ولكن لكل امر وقت مقدر اقتضته الحكمة وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم ولان في اصلابهم من سبق في العلم انه سيؤمن ادفع بالتي
هي احسن السيئة اي ادفع السيئة بالحسنة التي هي احسن من غيرها من الحسنات
فانها متفاوتة واللايق بك ايثار اكمل الاخلاق وهي الصفح والاحسان بعده وبذل
الوسع فيه ومن عود نفسه بهذا هان عليه الصفح عن السيات واتباعها الحسنات
نحن اعلم بما يصفون اي يصفونك به على خلاف ما انت عليه فيه وعيد شديد لهم

شديد لهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسها واغرائها
على المعاصي الهمز النخس ومنه مهماز الرايض تشبيه للمعقول بالمحسوس بجامع الحث
على الفعل والجمع اما لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان
يحضرون اي يحوموا حولي فضلا عن الوسوسة حتى اذا جاء احدهم الموت
غاية لقوله ادفع دالة على كون الاية غير منسوخة وان المداراة مرغب فيها ما لم يؤد الى
ثلم دين او زراء بمروة او ليصفون على معنى ان طعنهم فيك وسوء القالة مستمر الى حين
الموت وعلى الوجهين ما بينهما اعتراض يؤكد شان الاغضاء والصفح مستعيذا بالله عن الشيطان
ان يستزله عن الحلم او لقوله وانهم لكاذبون وقوله ما اتخذ الله من ولد الى هنا كالاعتراض
يؤكد كذبهم ويحقق استحقاقهم البراءة منهم قال رب ارجعون اي اذا عاين
الموت ادركته الحسرة على ما فرط منه من الايمان وعنه صلى الله عليه وسلم اذا عاين
المومن الملايكة يقولون نرجعك الى الدنيا يقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى
الله تعالى واما الكافر فيقول رب ارجعون وخطاب الله بلفظ الجمع على قصد التعظيم كقوله
الا فارحموني يا اله محمد ويجوز ان يكون الخطاب للملايكة ورب جر على اضمار حرف القسم
لعلي اعمل صالحا فيما تركت اي في الايمان الذي تركته او في المال الذي خلفته كلا
ردع له عن تلك المقالة واستبعاد انها كلمة هو قائلها لا محالة لاستيلاء الندم
عليه كما نشاهد الواقع في بليته يتكلم بما هو موقن بعدم قبوله والكلمة طايفة من الكلام
ومن ورائهم برزخ امامهم حاجز عن الرجوع البرزخ ما بين كل شيئين الى يوم
يبعثون افناط كلي اذ بعد البعث لا رجعة فاذا نفخ في الصور نفخة البعث
فلا انساب بينهم يومئذ لا نفع لها وانما النافع هي الاعمال الصالحة روى احمد
بن حنبل عن المسور ان رسول الله قال ان الانساب تنقطع يوم القيمة الا نسبي وسببي
وصهري او لفرط الحيرة لا يتذكر احد نسبه ولا يتساءلون اي لا يسال بعضهم
احوال بعض لشدة الامر كيف ويفر المرء من اخيه وامه وابيه وهذا في اول الامر
لقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وفي الحديث يشفع المومن في سبعين من
اقاربه وخلانه فمن ثقلت موازينه موزونات اعماله الصالحة فاولئك هم
المفلحون الفايزون بكل بغية ومن خفت موازينه ومن لم يكن له عمل
يوزن لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا عبر عنه بالخفة لوقوعه في مقابلة الثقل
الذي هو ضده محسن الطباق فاولئك الذين خسروا انفسهم حيث اوردها
مورد هلاك الابد وفوتوا حظوظها في جهنم خالدون بدل من الصلة
لا محل له من الاعراب او خبر اخر لاولئك تلفح وجوههم النار تضربها على
الدوام اللفح والنفح حر النار ودويحها والاول اشد وهم فيها كالحون عابسون
تتقلص شفاههم وتبدو اسنانهم روى الترمذي تتقلص شفة الكافر العليا حتى
تبلغ وسط راسه والسفلى حتى تبلغ سرته الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم
بها تكذبون تذكير لهم بما لاجله استحقوا هذا العذاب وجمع بين عذاب النار
وعذاب الندامة قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا حتى بلغت بنا هذا الحال
قراء حمزة والكسائي شقاوتنا بفتح الشين والمد وهما لغتان كالسعادة والندامة
والقصاحف واشهر وهي لغة الحجاز وكنا قوما ضالين عن طريق
الرشاد ربنا اخرجنا منها من النار فان عدنا الى ما كنا فيه فانا
ظالمون لانفسنا قال اخسؤوا فيها انزجروا كما يزجر الكلاب نفيا لخسات

الكلب زجرته اخسأ انزجر لازم ومتعد ولا تكلمون في رفع العذاب او مطلقا وعن
ابن عباس رضي الله عنه لهم ست دعوات اذا دخلوا النار ينادون الف سنة ربنا
ابصرنا وسمعنا فارجعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون
ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك
فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من
قبل ما لكم من زوال فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم ما
يتذكر فيه من تذكر فينادون الفا ربنا ارجعون فيجابون اخسؤا فيها فلا كلام
لهم بعد الا الزفير والشهيق وعواء الكلاب وعن ابن عمر ينادون ربنا غلبت علينا
شقوتنا ربنا اخرجنا منها بقدر مدة الدنيا مرتين ثم يجيبهم بقوله اخسؤا فيها
ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي هم المؤمنون كافة او الصحابة
او اصحاب الصفة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين
فاتخذتموهم سخريا وقرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين وهما مصدر سخر
استهزأ ويا النسب للمبالغة وعن يونس والفراء ان الضم من العبودية والكسر من
الاستهزاء وهو المختار لكونه نصا في المراد واحق حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم
تضحكون اي استمر بكم التشاغل باستهزائكم الى انجركم الى ترك ذكري في اوليائي فلم
تخافوني وفيه دلالة على كمال الخصال المسخور فيهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا
على اذاكم وفي هذا الاكرام زيادة خسار لاولئك الاضداد انهم هم الفائزون
ثاني مفعولي جزيتهم وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستيناف والمفعول محذوف
اي الخير او الجنة قال كم لبثتم في الارض عدد سنين اي قال الله تعالى او الملك
الموكل بعذابهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي قل على صيغة الامر قالوا لبثنا يوما
او بعض يوم استقصروا مدة لبثهم لان ايام السرور قصار او لان الممتحن
يستطيل ايام المحن ويستقصر ايام الدعة او لان المنقضي في حكم ما لم يكن فسئل العا
دين الملائكة الذين كانوا يعدون اعمار العباد او فاسأل من يقدر على العد فانا في شغل
شاغل من ذلك الا انا على التخمين نظن يوما او بعض يوم قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم
كنتم تعلمون تصديق لهم على تقال المدة وتوبيخ على غفلتهم التي كانوا فيها وقرأ
حمزة والكسائي قل على صيغة الامر والمأمور منه في النار والافراد لارادة الجنس
ووافقهما ابن كثير في الاول وعليه رسم الكوفي والمد اوفق لقوله قال ان لبثتم
افحسبتم انما خلقناكم عبثا تقرير فيه توبيخ على ظنهم الفاسد وعبثا حال اي
عابثين او مفعول له اي للعبث وانكم الينا لا ترجعون عطف على انما خلقناكم
ويجوز عطفه على عبثا ان جعل مفعولا له اي للعبث ولتركم غير مرجوعين وقرأ حمزة
والكسائي بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله الملك الحق الثابت الملك الذي
لا يزول ملكه من البعث وكيف يليق به لا اله الا هو رب العرش الكريم وصف بالكرم
لانه مظهر الاحكام ومعدن البركات او لانه عرش اكرم الاكرمين وصف بوصف
مجازا حكيا كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما ومن يدع مع الله الها اخر
شريكا له في الالوهية لا برهان له به صفة ثانية للتوكيد لان في الاله ما يجوز قيام
البرهان او اعتراض بين الشرط والجزاء فانما حسابه عند ربه فيجازيه على قدر استحقاقه
انه لا يفلح الكافرون اي الشان لا يفلح الكافرون ومفهومه ان المؤمنين مفلحون
كما نطق به صدر السورة فانظر الفاتحة مع الخاتمة وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين الامر

الحديث في مسند احمد
والترمذي

الامر له والمراد امته ليتوسلوا بهذا الدعاء الى ذلك الفلاح وعن عمر بن الخطاب قال سمعنا
دويا كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ورفع يديه
وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا
وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ
قد افلح المؤمنون تمت السورة ولله الحمد

سورة النور مدنية وهي اربع وستون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدا محذوف اي هذه سورة انزلناها
صفة او مبتدا موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها
وفرضناها الزمناكم ما فيها من الاحكام اصل الفرض القطع والتقدير وشدد
ابن كثير وابو عمرو واما للمبالغة والتوكيد او لان فيها فرايض شتى ففيه براعة الاستهلال
كما في اوفوا بالعقود او بمعنى فصلنا وقيل لكثرة المفروض عليهم وفيه انه جار
في ساير الفرايض وانزلنا فيها ايات بينات واضحات لا تتوقف على فكر وتأمل
لعلكم تذكرون فتتقون المحارم الزانية والزاني مرفوعان على الابتداء
والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه اي فيما يتلى عليكم اي جلدهما ويجوز ان يكون
فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة خبر ودخول الفاء لتضمن الموصول
معنى الشرط قدم الزانية على الزاني عكس اية السرقة لان بواعث الزنى تبدوا اولا
منها ولانها المحل فلو امتنعت لم يمكن وقوعه والجلد هو الضرب على الجلد وفيه
اشارة الى التخفيف هذا حكم العزب الحر والعبد يجلد نصفه واما المحصن فالرجم
لقوله الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما وكان قرانا فنسخ لفظه وزاد الشافعي على
الجلد تغريب عام على الحر لما روى مسلم والبخاري مرفوعا البكر بالبكر جلد مائة و
تغريب عام ولم يقل به ابو حنيفة لان خبر الواحد لا يزاد به على الكتاب وشرط
ابو حنيفة الاسلام في الاحصان لقوله صلى الله عليه وسلم من اشرك بالله فليس
بمحصن وللشافعي ما في البخاري ومسلم ان رسول الله رجم يهوديين قيل ان المحصن
في ذلك الحديث من يقتص له من المسلم ولا تأخذكم بهما رافة هي شدة
الرحمة وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وهما لغتان في دين الله في نفسه ورفع شانه
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان بهما يقتضي ذلك وايثار
ان وايمانهم مقطوع به لان الجنسية وميل الطبع على المسامحة والمساهلة وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين فان الحكمة في شرع الحد الزجر عن المعاودة والنفوس
الابية تنزجر بالتشهير اكثر من الضرب والعذاب لا سيما بين قومه واهل حرفته
ولذلك قيد بالمؤمنين والطائفة الجماعة التي يمكن ان يكون حافة حول الشيء
من الطواف وعن ابن عباس من الاربعين ولا ينافي هذا ما روي عنه من واحد
فصاعدا لان الغرض هو التشهير ولا يحصل الا بالجمع وذلك يجب اللف وهو الطوف
والدوران الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك عن عائشة
رضي الله عنها ان حكمها باق وان تزوج بالزانية فهو زان على الدوام وبه قال
الامام احمد وعن سعيد بن المسيب ان الامر كان على ذلك فنسخ بقوله وانكحوا
الايامى منكم وقيل نزلت الاية في اصحاب الصفة كانوا فقراء وكان بالمدينة بغايا
موسرات فارادوا نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
والاصح انه تنفير عن نكاح البغايا وتزهيد واشارة الى ان اهل الايمان والصلاح لا
يليق بهم الرغبة الا في العفايف فان الاخلاق تسري والمصاحبة تؤثر عن المرء
الا شاكله وسل عن قرينه وتقديم الزاني عكس ما في صدر السورة لان النكاح

صفة الرجال وهم الاصل في ذلك **وحرم ذلك على المؤمنين** كراهة تحريم او
تنزيه على القولين **والذين يرمون المحصنات** يقذفون العفايف من النسا
بالزنا دل عليه ذكر الاحصان وتقييد الشهود بالاربعة وقرا الكسائي بكسر
الصاد **ثم لم ياتوا باربعة شهدا** يشهدون بزنا المقذوفة
بانهم راوا ذكر الزاني في فرجها كالميل في المكحلة **فاجلدوهم ثمانين جلدة**
اذا كان المقذوف محصنا والاحصان بالبلوغ والحرية والعقل والاسلام والعفة
من الزنا ولا فرق بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لنزول الايات فيهن
او لان قذف النسا اغلب ولا يشترط اجتماع الشهود وكذا لا تقبل شهادة
الزوج عند الشافعي خلافا لابي حنيفة فيهما واشد الضرب التعزير ثم حد الزنا
ثم شرب الخمر ثم القذف لتفاوت اسبابها فان قلت قوله الحدود تدرا بالشبهات
يقتضي ان لا يحد القاذف لكون خبره يحتمل الصدق قلت تلك الشبهة مضمحلة
حفظا لاعراض المسلمين التي هي كدمائهم ولذلك اكده بقوله **ولا تقبلوا لهم**
شهادة اي اي شهادة كانت زيادة في عقوبته حيث لم يستر على المؤمن عورته المامور
بسترها قال صلى الله عليه وسلم من ستر على مسلم ستر الله عليه يوم القيمة ولا يتوقف
رد الشهادة على استيفاء الحد عند الشافعي لان العطف بالواو لا يقتضي الترتيب
ولانه قبل الحد اسوء حالا لكون الحدود كفارات **ابدا** مدة حياتهم عند ابي حنيفة
او ما داموا قاذفين عند الشافعي رحمه الله **واولئك** الموصوفون **هم الفاسقون**
الكاملون فيه **الا الذين تابوا من بعد ذلك** راجع الى الاخيرة عند ابي
حنيفة لانها منقطعة عن الاولين فيتعلق الاستثنا بها لا محالة ولا بد منده
حيوة القاذف وعند الشافعي الاستثناء من الضمير المجرور واولئك هم الفا
سقون اعتراض يجري مجرى التعليل غير منقطع عن الاول ولذلك توسط بين
المستثنى والمستثنى منه ويجوز ان يكون الاستثنا عنده ايضا راجعا الى الاخيرة
لان الحكم يزول بزوال علته وان يرجع الى الجمل الثلث كما هو الاصل عنده من ان
الاستثنا بعد الجمل المتعاطفة عايد الى الكل كقولك وقفت على اولادي واولاد
اولادي الا الاغنيا منهم فان قلت كيف يستقيم رجوع الاستثناء الى الجمل الثلث مع
ان الجلد لا يسقط بالتوبة اتفاقا قلت الجلد او ما يقوم مقامه من الاستحلال
من تمام التوبة اولان ذلك الاصل ظاهر ترك بالاجماع على وجوب الجلد وخص
منه لانه حق العباد ويؤيده ما ذهب اليه ما رواه البخاري ان عمر حد ابا بكرة و
شبل بن معبد ونافعا حين شهدوا على مغيرة بن شعبة بالزنا ولم يوجد الرابع ثم
قال ومن تاب منكم قبلت توبته واليه ذهب عمر بن عبد العزيز وطاوس والزهري
والشعبي وشريح وسعيد بن جبير **فان الله غفور** لما فرط منهم **رحيم** بقبول التوبة
والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم روى البخاري
عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امراته بشريك بن سحماء فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني
لصادق ولينزلن الله في ما يبرئ ظهري عن الحد فنزلت فارسل رسول الله الى
هلال وامراته فاتيا فتلاعنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله يعلم ان
احدكما كاذب فهل منكما تايب فلما بلغت المراة الى الخامسة فقالوا لها انها الموجبة
فتلكات حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح قومي ساير اليوم فمضت في
الخامسة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصروها فان جاءت به

به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به على النعت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله تعالى لكان لي
ولها شان وروى مسلم والبخاري عن سهل بن سعد ان عويمرا جا الى رسول
الله وذكر انه راى رجلا مع امراته فوجده قد نزلت عليه فدعا لهما فتلاعنا
فقال عويمر كذبت عليها ان امسكتها ففارقها فكانت سنة المتلاعنين فقال
رسول الله ابصروها فان جاءت به اسحم ادعج العينين عظيم الاليتين فلا اراه الا
قد صدق وان جاءت به احيمر كانه وحرة فلا اراه الا كاذبا فجاءت به على النعت
المكروه **فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين** فيما رماها
من الزنى قرا حمزة والكسائي وحفص اربع بالرفع على انه خبر شهادة وبالنصب
على المصدر **والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين** فيما رماها
به هذا لعان الرجل وحكمه سقوط الحد عنه وحصول الفرقة بينهما على سبيل الابد لقوله
صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وعند ابي حنيفة رحمه الله لا بد
من تفريق القاضي على انه طلاق **ويدروا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات**
بالله انه لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنا **والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين**
قرا نافع ان بالتخفيف في الموضعين وكسر الضاد وفتح الباء ورفع الله **ولولا فضل الله**
عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم حذف الجواب اي لعاجلكم بالعقوبة ولفضحكم
ان الذين جاؤا بالافك هذه ثماني عشرة اية نزلت في عايشة رضي الله
عنها حين قال فيها اهل الافك ما قالوا روى البخاري عن عروة بن الزبير ان
عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر غازيا اقرع بين
نسائه من خرجت قرعتها سافرت معه فغزا غزوة فخرج سهمها فساقها فلما قفل
ودنى من المدينة اذن ليلة بالرحيل فخرجت وجاوزت الجيش لحاجة الانسان
فلما قضت شانها وعادت انقطع عقد لها فانجلست لالتماسه فاحتمل الرهط
الذي كان يرحلون هودجها فرحلوه على البعير وهم يحسبون انها فيه واستمر
الجيش فلما عادت الى مكان الجيش وليس به داع ولا مجيب اقامت بمنزلها الذي
كانت به ظانة انهم سيفقدونها وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش
متخلفا فراى سواد انسان فلما دنى منه عرفها وكان قد راها قبل الحجاب فعظم عليه
ذلك وقال انا لله وانا اليه راجعون حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل
من راحلته واناخها ثم ولى ظهره حتى ركبت ام المؤمنين فجاء بها وهم قد نزلوا
في منزل فرادها معه وكان في الجيش راس المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول فخاض
في حديث الافك واذاعه وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر
فصعد رسول الله المنبر وقال ايها الناس ما بال اناس يخوضون في عرض اهلي
والله ما علمت على اهلي الا خيرا ويذكرون رجلا ما علمت منه الا خيرا ووقع اللغط
وهموا بالقتال واستمر الامر على ذلك حتى نزلت الايات **عصبة**
منكم هو ابن سلول وحسان ومسطح واخرون والعصبة الرجال من العشرة الى
الاربعين **لا تحسبوه شرا لكم** اي الافك **بل هو خير لكم** لاكتسابكم به الثواب
العظيم ولكونه سببا لنزول الايات مشتملة على الحكم ومحاسن الاخلاق لطفا
بالسامعين والتالين الى يوم القيمة الخطاب لمن ساءه ذلك من المؤمنين
وخاصة رسول الله وابو بكر وعايشة وصفوان **لكل امرئ منهم ما اكتسب من**
الاثم جزاء بقدر ما خاض فيه واقاض **والذي تولى كبره** معظمه

منهم من اولئك الخائضين له عذاب عظيم مكافاة على جنايته العظيمة لولا اذ سمعتموه
ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا باخوانهم واخواتهم جعل المؤمنين كنفس
واحدة لقوله ولا تلمزوا انفسكم روى ان ابا ايوب الانصارى قال لامراته الا ترين ما يقال فقالت لو كنت
بدل صفوان اكنت تظن بحرم رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عايشة ما
خنت رسول الله فعايشة خير منى وصفوان خير منك وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة للتوبيخ بالاعراض
وللتصريح بالايمان الذى يوجب الاشتراك فيه الاتحاد والمحاماة وقالوا هذا افك
مبين صريح جازمين بذلك حملا على الصلاح كما يقول المستيقن لولا جاؤ عليه
باربعة شهداء كما هو الحكم فى مثله فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله
فى شرعه هم الكاذبون ولذلك اوجب عليهم الحد ولولا فضل الله عليكم ورحمته
فى الدنيا والاخرة لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والاولى للتحضيض والمعنى
ولولا انى قضيت ان اتفضل عليكم فى الدنيا بضروب النعم وفى الاخرة بالعفو والمغفرة
لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم لعاجلتكم على ما خضتم فيه من الافك بعذاب يستحقر
دونه الجلد واللوم اذ تلقونه بالسنتكم اذ ظرف لمسكم او افضتم وتلقى القول وتلقفه
اخذه من الغير ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وتقولون بافواهكم
من غير ان يستند الى ما فى القلب ما ليس لكم به علم بل يختص بافواهكم تجرى على
السنتكم ليس الا وتحسبونه هينا سهلا وهو عند الله عظيم لا يستكم حسبته
حيث بما هى عنه برئة وقصدكم بذلك القدح فى عرضه وخفض رفيع جنابه رب من العذاب
على اثام ثلثة تلقى الافك بالالسنة والتحدث به من غير تحقق واستحقار ذلك وعده هينا
لا تقولن لذنب انه حقير فلعل يكون عند الله وهو عندك نقير ولولا اذ سمعتموه قلتم ما
يكون لنا ان نتكلم بهذا اى لولا قلتم وقت سماعكم المعنى كان الواجب عليكم اول ما سمعتموه ان
تعرضوا عنه وتقولوا ما ينبغى لنا ان نتكلم به ولا يصح كقوله ما يكون لى ان اقول ما ليس لى
بحق سبحانك هذا بهتان عظيم تعجبا من شاعه او تنزيها لله من ان يكون حرم حبيبه
موسوما بشين وفضلا عما ذكروه فانه هادم لعرضه منفر عن اتباعه بخلاف الكفر
فانه ليس بما ينفر ولا يعود شاعته عليه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا
ما دمتم ان كنتم مؤمنين فان الايمان يستدعى الاتصاف بما يلائمه من الصفات
الجميلة والاداب الحسنة وفيه توبيخ وتقريع على ما وقع منهم ويبين الله لكم الايات
الدالة على الحكم والاداب ومحاسن الاخلاق والله عليم كامل العلم بالاشيا حكيم
ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة اى تشيعونها عن قصد ومحبة فى الذين امنوا لهم
عذاب اليم فى الدنيا بالحد والاخرة بعذاب النار ان لم يتوبوا والله يعلم وانتم
لا تعلمون فان المحبة فعل القلب ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله
رؤف رحيم كرره مع حذف الجواب لكونه معلوما وفى ايثار الرؤف الرحيم ما يدل
على ان هذا الذنب لا يتوسل الى دفعه الا بمحض رافته وانه اعظم من ان يرتفع بالتوبة
او شتان بين ما يتلقونه بافواههم وما يحبونه بقلوبهم يا ايها الذين امنوا
لا تتبعوا خطوات الشيطان اثاره وما يدعوكم اليه من المعاصى قراء بضم الطاء ابن عامر و
الكسائى وحفص وهى لغة الحجاز والباقون بسكون الطا وهى لغة تميم والضم افصح واشهر
ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشا والمنكر علة للنهى عن اتباعه والفحشا ما فرط
قبحه والمنكر ما انكره الشرع من عطف العام على الخاص ولولا فضل الله عليكم
ورحمته بتوفيق التوبة وشرع الحد ما زكى منكم من احد ابدا الى اخر الدهر اى ما طهر من
دنس الفاحشة التى ارتكبوها لعظمها ويجوز ان يكون الخطاب عاما لهم ولغيرهم اشارة

اشارة الى ان من لم يخض فيها وطهر من دنسها انما كان بتوفيق الله ولكن الله يزكى
من يشاء بتوفيق التوبة او بالعصمة والله سميع لاقوالهم عليم بالضماير ولا
ياتل اولوا الفضل منكم فى الدين كان من اهل الافك مسطح بن اثاثة وكان ابن خالة
ابى بكر فلما نزلت الايات فى براءة عايشة حلف ابو بكر ان لا ينفق على مسطح وكان
ينفق عليه فنزلت والايتلا افتعال من الالية الحلف او من الالو وهو التقصير والمعنى
لا يحلفوا على عدم الاحسان او لا يقصروا فى ان يحسنوا والسعة فى المال ان يؤتوا اولى
القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله صفات لموصوف واحد وهو مسطح فانه
كان جامعا لها ويجوز ان يراد هو ومن يتصف بها كاينا من كان وليعفوا ولتجاوزوا
عما فرط منهم وليصفحوا وليعرضوا عنه ولا يذكروه فانه يورث الوحشة بين
المؤمنين الا تحبون ان يغفر الله لكم كما غفرتم سيئة اخيكم المؤمن ولما تلاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصديق فقال بلى احب ان يغفر الله لى واعاد
النفقة على مسطح والله غفور ذنوب عباده رحيم بجزل الثواب فتخلقوا باخلاقه
ان الذين يرمون المحصنات العفايف الغافلات عن الفاحشا او
النقيات كقوله اكثر اهل الجنة البله المؤمنات بما يجب الايمان به قدم عليه
الغافلات لاقتضاء المقام ذلك لعنوا فى الدنيا بين المؤمنين والاخرة
عند الله ولهم عذاب عظيم لا يقادر قدره يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون يوم ظرف لعظيم او المعنى الاستقرار فى لهم وقرا حمزة والكسائى
بالياء الغيبة بالنا وهو اولى لعدم الفصل يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم
اللايق بهم الثابت ويعلمون ان الله هو الحق الثابت ذاته المبين الظاهر
الواضح عليه ذرات الوجود ومن هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم ولقد بالغ فى
ايعاد قذفة عايشة بما لم يوعد به اهل الشرك وعبدة الاوثان حيث اجمل وفصل و
جمع بين انواع العذاب لعن الدارين والعذاب الذى لا يحاط به فى الاخرة والتفضيح
الذى كل عذاب دونه فى مشهد يوم عظيم وعن ابن عباس انه كان يفسر القران بالبصرة
نسئل عن هذه الايات فقال كل من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا قذفة
عايشة ولعله اراد التغليظ كقوله فى قاتل المسلم عمدا انه مخلد فى النار الخبيثات
للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات
اى الكلمات الخبيثات مثل القذف وسائر اقوال الفحش مختص بالرجال الخبيثين
وكذلك الرجال الخبيثون مختصون بها وكذلك الطيبات والطيبون هذا كلام جار
مجرى المثل كقوله ان الباطل كان زهوقا فيتناول العايشة والقائل فيها تناولا اوليا
او الخبيثات من النسا للخبيثين من الرجال وكذلك الطيبات منهن للطيبين منهم
وعايشة زوجة سيد الطيبين فاولى ان يكون طيبة اولئك اى اهل البيت او عايشة
ورسول الله وصفوان مبرؤن مما يقولون اى اهل الافك من قال السوء لهم
مغفرة من الله لذنوبهم ورزق كريم فى الجنة قيل براء الله اربعة باربعة برا
يوسف بشاهد من اهلها وموسى من قول اليهود اسرائيل انه آدر بان فر الحجر بثوبه
حتى راوه عريانا ما به باس ومريم بانطاق ولدها وعايشة بانزال هذه الايات
قلت هناك خامس وهو جريج الراهب حيث جاءت بغية من بغايا بنى اسرائيل بولد
فقالوا لها ممن هذا قالت من جريج فاتوه وهدموا صومعته وارادوا قتله فسالهم
عن سببه فاخبروه فتوضا وصلى لله ركعتين ثم قال للطفل يا بابوس من ابوك قال ابى
الراعى فقالوا له نبنى صومعتك بالذهب قال لا اعيدوها كما كانت يا ايها الذين امنوا

لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا كان منشأ حديث الافك وجود الخلوة
فى موضع التهمة اردف الحديث بما يلائمه والاستيناس اما من الانس ضد الوحشة فان
طارق الباب اكثر ما يكون مستأنسا فالمعنى حتى يوذن لكم وضع الاستيناس موضعه
لانه يردف الاذن او استفعال من آنس اذا ابصر والمعنى لا تدخلوا حتى تستيقنوا هل
يراد دخولكم ام لا منه بيت النابغة على مستأنس وحد ويجوز ان يكون من الانس
كانه يتعرف هل ثمة انسان ام لا وتسلموا على اهلها فى ذلك الاستيذان يقول ثلث
مرات السلام عليكم فان اذن له والا رجع لما روى ابو داود ان رجلا استأذن
على رسول الله فقال لخادمه اخرج الى هذا وعلمه الاستيذان فقل له قل السلام عليكم
ادخل وروى البخارى ان ابا موسى الاشعرى استأذن على عمر فى خلافته ثلثا فلم يوذن
له فانصرف فقال عمر الم اسمع صوت عبد الله بن قيس فقالوا انصرف يا امير المؤمنين
فاستدعاه فلما حضر سأله عن الانصراف فقال كذا امر رسول الله فقال عمر اقم على
ذلك بينة والا وجعتك ضربا فجاء ابو موسى الى جمع من الانصار واستشهدهم فقالوا
لا يشهد لك الا اصغرنا فقام معه ابو سعيد الخدرى فصدق مقالة ابى موسى
وهذا عام فى المحارم والاجانب لما روى ان رجلا قال يا رسول الله ان امى
ليس لها خادم استأذن كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن
ذلكم خير لكم الاستيذان والتسليم خير لكم من الدخول بغتة وتحية الجاهلية فانهم
كانوا يدخلون بلا اذن ويقولون حييتم صباحا وحييتم مساء كما يفعل الجهلاء اليوم
فربما اصاب الرجل مع امرأته فى اللحاف لعلكم تذكرون اى قيل لكم ذلك او انزل
عليكم لكى تتعظوا وتعملوا به فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤ
ذن لكم لان المنع عن الدخول ليس لتخصص اضرره فى وقوع البصر على ما لا يحل بل لما لا او
لان لا يطلع على امور لا يريد صاحب البيت اطلاع احد عليها ولانه يشبه الغصب والتغلب
وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا فانه يوذى صاحب البيت ويجلب الوحشة
والخجل هو ازكى لكم اطهر من الدخول بغير اذن والوقوف على الباب لانه يخل بالمروة
والله بما تعملون عليم وعد ووعيد ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة
من الخانات والربط الموقوفة والخرب التى يدخلها الانسان للحاجة فيها متاع لكم
تمتع ومنفعة والله يعلم ما تبدون وما تكتمون تحذير لمن اذن له فى الدخول
ان يدخل لغرض غير صالح قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم عن ان يقع
عليها بصر من لم يحل نظره وانما زاد من فى الاول واطلق الثانى لان وجوه الحل فى
الاول اكثر والامر بالحفظ عن الافضاء الا على الازواج او من فى حكمها من الاماء لانه
لا يوجد بدونه الابداء ولان الابداء انما حرم لكونه وسيلة الى ذلك الافضاء
وعليه ينطبق ما روى عن ابن زيد وابى العالية ان كل ما فى القرآن من حفظ الفروج
اريد به الزنى الا هذا فانه اريد به التستر وفى جعل الغض عن بعض المبصر غض بعض
البصر كناية لطيفة ذلك ازكى لهم لبعده عن الريبة ووساوس الشيطان ان الله
خبير بما يصنعون فعليهم الاتقاء فى كل حركة وسكون ولما فى خائنة الاعين
من الخفاء فصل الآية بالخبر الدال على العلم ببواطن الاشياء والصنع الذى فيه مزيد
اعمال وفيه اشارة الى ان النظرة الاولى من غير تعمد لا يؤاخذ كما روى ابو داود عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال لعلى رضى الله عنه الاولى لك والثانية عليك وقل
للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن خصهن بالذكر وان كان الحكم معلوما
لان ما حرم من الرجال يحرم منهن بالطريق الاولى ليرتب عليه ما بعده من الاحكام

من الاحكام المختصة بهن ولا يبدين زينتهن كالحلى والثياب فضلا عن مواضعها
الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم وقيل المراد بالزينة مواضعها
على حذف المضاف وما ظهر منها الوجه والكفان عند عامة العلماء ومنع ذلك الشافعى
الا عند الضرورة والاصح ان هذا فى الصلوة لا فى النظر كما سيذكره مفصلا وما ظهر
منها فى الصلوة هو الوجه والكفان وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا للاعناق
عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها قالت رحم الله نساء المهاجرات الاول لما نزل
وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها ولا يبدين زينتهن
مواضعها الا لبعولتهن ازواجهن فانهم المقصودون بكل زينة او آبائهن او آباء
بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن
لعدم خوف الفتنة لان الطباع تنفر مقاربة الاقارب ولذلك يستحب ان لا يتزوج بقرابة
قريبة وما يحل نظر هؤلاء عليه ما يبدو فى العادة عند الخدمة كالساعدين والسا
قين وما فوق السرة وتحت الركبة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال اكتفاء بالاخوان لانهم
فى معناهم او لان الافضل التستر منهم لئلا يصفوهن لابنائهم فيورث الفتنة او نسائهن
اى المؤمنات دلت عليه الاضافة وعن ابى حنيفة الاطلاق لان المنع للفتنة
ولا فتنة فى نظر المرأة الى المرأة واللفظ لا يساعده اذ لا فائدة فى الاضافة حينئذ او ما
ملكت ايمانهن ليشمل الاماء والعبيد وبه قال مالك والشافعى لما روى ابو داود
عن انس ان رسول الله ذهب لفاطمة بعبد وكان عليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم
يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال ليس عليك بأس انما هو ابوك و
غلامك وعند ابى حنيفة هو كالاجنبى او التابعين غير اولى الاربة من الرجال
كالشيوخ الهم ومن لا حاجة له فى النكاح كالمعتوه والبله الذين لا يعرفون شيئا من امور
النساء والاربة الحاجة او العقل والدهاء من ارب الرجل بالضم اذا صار ذا خبرة او الطفل
الذين لم يظهروا على عورات النساء لم يطلعوا عليها ولم يعرفوا ما العورة لعدم التميز من
ظهر على كذا اطلع او من ظهر على كذا قوى عليه بمعنى انهم لم يقدروا على الوطى لعدم توقف
الحرمة على ذلك بل اذا صار مميزا حرم اتفاقا والطفل يقع على الذكر والانثى مفردا كان
او جمعا ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت النساء ذوات خلاخل
فلما نهين عن اظهار الحلى نهين عن اظهار صوته ايضا لان الغرض دفع الفتنة وصوت الحلى
يثير الميل اليهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يخلو احد من نوع تقصير
لان الاستقامة متعسرة او متعذرة او عما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فان الاسلام و
ان جبه فالاستمرار على الندم لازم الى ان يلقى العبد ربه لعلكم تفلحون تفوزون
فى الدارين وانكحوا الايامى منكم خطاب للاولياء والامر للوجوب عند الطلب
وظهور الحاجة والا فالنكاح مستحب ابقاء للنوع وفى الحديث تناكحوا تكثروا فانى اباهى
بكم الامم يوم القيامة ولو بالسقط ولانه سنة صلى الله عليه وسلم وقد رغب فيه قال
سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى والايامى جمع ايم على القلب اصله ايايم لان فعيلا
لا يجمع على فعالى والايم من لا زوج له ذكرا كان او انثى بكرا كان او ثيبا من ام الرجل
اذا فقدت شهوته وفى الحديث نعوذ بالله من الايمة والعيمة والصالحين من عبادكم
وامائكم ذكر الصلاح للترغيب فى تحصين من ثمة التحصن وليس بشرط كقوله فكاتبوهم
ان علمتم فيهم خيرا وفى الآية دليل على ان المرأة لا تلى النكاح والعبد بغير اذن
مولاه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله اى لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة
مانعا من الانكاح فان فى فضل الله ما يغنى والمال غاد ورائح وليس الوعد به على

رد على الشافعى

العيمة شدة الشهوة الى اللبن
منه

اللزوم لا محالة وان كل من تزوج يحصل له الغنى بل مشروط بمشيئته تعالى لقوله يغنيهم
الله من فضله ان شاء وعن عمر رضى الله عنه ابتغوا الغنى فى النكاح والله واسع فضل بيده
الخير كله عليم بمن يصلح له الغنى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض وليستعفف
الذين لا يجدون نكاحا اى ليجتهد فى العفة وقمع الشهوة لا يجد اسباب النكاح
روى مسلم والبخارى عن عبد الله بن عمر ان رسول الله قال يا معشر الشباب من استطاع
منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له
وجاء حتى يغنيهم الله من فضله فقد وعد لهم بالفضل والسعة ان صبروا واستعفوا
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب امرا ولا بغض البصر ابعادا عن
موقع الفتنة ثم بالنكاح الذى هو سبب التناسل وتحصين الدين ان امكن ثم بالصبر
وانتظار فضل الله الواسع والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم من العبيد
والاماء فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا ترغيب فيه فى كتابه من يرى فيه اثار الخير
والصلاح وليس بشرط وقيل المراد ما لخير القدرة على اداء بدل الكتابة ويسمى
هذا العقد كتابة لانه يكون منجما موجلا وجوبا كما قال الشافعى او حالا كما قاله
ابو حنيفة والموجل يكتب غالبا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم مال الصدقة
وبيت المال لقوله تعالى وفى الرقاب وهم المكاتبون وعند الشافعى يحط شئ
من بدل الكتابة ولا يمنع قران امر الندب لان القران فى الذكر ليس قرانا فى الحكم
واليه ذهب عمر بن الخطاب وانما حمل امر الكتابة على الندب لان عقود المعاوضة
على الاحتياط ولفظ اتوهم يساعد ابا حنيفة لان وضع الدين لا يسمى ايتاء فان قلت من
ابن للشافعى وجوب التنجيم وعدم جواز الحلول قلت من ان المكاتب فى الحال لا يملك
شيا ولا يقدر على البدل الا بالسعى والتكسب فلو كان حالا او غير منجم لعسر عليه
وللشارع اعتناء بفك الرقاب ولذلك من اعتق شقصا سرى الى المجموع وعليه
حصة شريكه ان كان قادرا والا سعى العبد فى خلاصه بخلاف ما لو باع جزأ منه او وهب
والاية نزلت فى حويطب بن عبد العزى كان له مملوك سأل الكتابة ولا تكرهوا فتيا
تكم على البغاء كانوا فى الجاهلية يشترون الاماء ويساعين على مواليهن وكان لعبد الله
بن سلول ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على الزنى والفتيات
جمع فتاة وهى الامة روى البخارى ان رسول الله قال لا يقل احدكم عبدى وامتى
كلكم عباد الله وآماؤه وليقل فتاى وفتاتى ان اردن تحصنا ليس للكلام مفهوم
اما لان الاكراه انما يتصور عند ارادة التحصن او لانه عارض بالاجماع وايثار ان
على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالنادر فيه نعى على من اكرهها بان امة خير منه
ولنا اذا لم يرد التحصن اكتفى ولم يرض ضده لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا علة للنهى
لا للنهى ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم للمكرهات او له ارباب
فان قلت المكره لا يواخذ بالاثم فما معنى المغفرة للمكرهات قلت معنى المغفرة فى
حقهن اسقاط العقوبة والاثم بعذر الاكراه وفيه اشارة الى ان المكره اذا
كان مع قيام العذر بصدد العقاب فما ظنك بالمكره والقول بان المراد بالاكراه
ما لم يبلغ حد الاكراه الشرعى شئ لا يدل عليه الكلام وكذا القول بان الاكراه
لا ينافى المواخذة بالذات استدلالا بوجوب القصاص على المكره لانه حق
العباد ولذلك سقط عنه حد الزنى والذى يقول عليه ان حق الله يسقط بالاكراه
والخطأ والنسيان لقوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتى الخطأ والنسيان وما
استكرهوا عليه دون حقوق العباد ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات موضحات

عن الاصمعى البغاء
زنى الاماء خاصة

الاول رد على الكشاف
والثانى على القاضى
منه

موضحات فى الدلالة على الاحكام وقرا حمزة والكسائى وحفص وابن عامر بكسر الياء اى
بين الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وهى قصة ام المومنين فانها
فى الغرابة تشبه غرائب قصص الاولين كقصة يوسف ومريم وموعظة للمتقين يريد
ما وعظ به فى تلك الايات من قوله ولا تاخذكم بهما رافة فى دين الله وقوله لولا اذ سمعتموه
وقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا وقيل الايات القران والصفات المذكورة
صفاته الله نور السموات والارض اى منورهما هو الهادى لاهل السموات
والارض بنوره يهتدى ذو العماية ويرشد ذو الغواية كقولك زيد كرم وعمرو
عدل اى ذو كرم وعدل دل عليه قوله مثل نوره بالاضافة اليه
كمشكاة فيها مصباح المشكاة الكوة فى الجدار غير النافذة والمصباح
سراج ضخم ثاقب فى زجاجة قنديلا من الزجاج الزجاجة كانها كوكب درى
تشبه كوكبا ازهر اللون منسوب الى الدر لصفائه وتلألؤه كزهرة وسهيل والمريخ
يوقد من شجرة مباركة اى ابتدا ثقوبه من الشجرة المباركة يريد زيت ذبالة
لتة برتيها ومعنى كونها اى قيلته مباركة انها تنبت فى الارض المباركة وهى
الارض المقدسة التى بارك الله فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعين نبيا زيتونة
لا شرقية ولا غربية فان الشام بين المشرق والمغرب وقيل لا فى
مشرق الشمس على الدوام ولا فى مغيبها بل بينهما فبان عليها وقيل ليست مما تطلع
عليها الشمس فى وقت شروقها او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشى فهى شرقية
وغربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار لفرط صفائه نور على نور اى نور
متضاعف من وجوه قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والزيت والمصباح ولم تبق
مما يزيد النور ويمده بالاضاءة بقية وذلك لان المصباح اذا كان فى مكان ضيق
غير نافذ كالمشكاة كان اجمع لنوره والقنديل اعون شئ على الاضاءة وكذلك
الزيت الموصوف مثل التوحيد وشرائع الاسلام مما دل عليه السمع والعقل
بالنور فى الاضاءة ثم بالغ فى المشبه به بما لا مزيد عليه دلالة على المبالغة فى
المشبه فكما ان هذا غاية فى المحسوس ما وراءه شئ فكذلك ذاك ايضا غاية فى المعقول
ليس اجلى منه معقول واليه اشار على كرم الله وجهه الله نور السموات والارض
نشر فيهما الحق وبثه فاضاءت بنوره قلوب اهلها وقيل الشجرة المباركة رسول الله
ومعنى كونها لا شرقية ولا غربية عدم اختصاص دينه بقوم دون قوم او مكان غير
اخر والمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح معرفته وكما ان نور الزيت لا دخان له
فكذلك عرفانه والحق الذى فى قلبه لا يشوبه باطل وقيل الشجرة المباركة ابراهيم لا
شرقية ولا غربية ما كان يهوديا ولا نصرانيا والمصباح المتوقد من تلك الشجرة رسول الله
وفيه تاويلات اخر وهى تخيلات فاعرض عنها يهدى الله لنوره من يشاء
اى يوفق من يشاء لاصابة الحق بالنظر والتدبر ويضرب الله الامثال للناس
بابراز المعقولات فى صور المحسوسات توضيحا وتبيينا والله بكل شئ عليم
يستوى عنده المحسوس والمعقول وانما يصور المعقولات فى صور المحسوسات ليسهل
فهمها على الناس قرا ابو عمرو والكسائى درى بكسر الدال والهمز على فعيل من درا الكوكب
دروا اذا طلع بغتة مع توقد وانتشار ضوء وقرا حمزة وابو بكر بضم الدال والهمز على وزن
فعول كسبوح وافقهما الكسائى بالمد والهمز والباقون بضم الدال والياء المشددة منسوبة
الى الدر لصفائه وبياضه وزنه فعلى والكسر مع الهمزة افصح وقرا نافع وابن عامر وحفص
يوقد بياء التذكير وحمزة والكسائى وابو بكر بتاء التانيث وابن كثير وابن عامر

او وقد ماضي تفعل في بيوت متعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد
كانه قيل مثل نوره كما ترى في المساجد نور المشكاة التي من نعتها كيت وكيت او بما بعده
وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت والتكرير للمبالغة والتوكيد كقولك زيد في
الدار جالس فيها او بمحذوف نحو سبحوا او بتوقد تقييد للممثل به بما يريده مبالغة لان
قناديل المساجد اعظم ومصابيحها اضوأ لاسيما اذا اريد المساجد الثلث وحمل التكثير على
التعظيم كما قيل اذن الله ان ترفع اي بني كقوله واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت
او تعظم وترفع قدرا واكراما كذا عن الحسن ويذكر فيها اسمه يشمل كل ذكر حتى
المناظرة في العلم اذا اريد بها اظهار الصواب يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال
صفة مدح ثانية لبيوت اي ينزهونه ويقدسونه في هذه الاوقات الشريفة او الصلوات
الخمس في الغدوات والعشايا لم يجمع الغدو لكونه مصدرا في الاصل والآصال جمع اصيل كاشراف
وشريف وقرأ ابن عامر وابو بكر يسبح بفتح الباء على بناء المفعول مسندا الى احد الظروف
الثلث واسناده الى الاول اولى ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح كقوله ليبك يزيد ضارع
لخصومة لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله التجارة تشمل البيع والشرى للربح وانما افرد
البيع لانه داخل في الالهاء اذ الربح فيه ناجز مستيقن وفي الشرا مظنون مترقب او
اطلق التجارة على الشرى اطلاق الجنس على النوع بقرينة ذكر البيع وقيل التجارة الجلب
يقال تجر اذا جلب المتاع نزلت في المهاجرين فانهم كانوا تجارا قال عمر شغلني الصفق
بالاسواق وفي الحديث التاجر فاجر الا من اتقى الله واقام الصلوة حذفت
التاء التي كانت عوضا عن العين القيام المضاف اليه مقامها وايتاء الزكوة
المفروضة يخافون حال كونهم خائفين يوما تتقلب فيه القلوب والابصار
تضطرب من الهول كقوله ليوم تشخص فيه القلوب والابصار او تتقلب
من حال الى حال فتفقه القلوب التي كانت في اكنة وتبصر الابصار التي كانت
عليها غشاوة ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن
ما عملوا جزاء احسن اعمالهم بان يجزي على الادنى كما يجزي على الاعلى ويزيدهم
من فضله فوق جزاء الاعمال ما لم يخطر ببالهم تفضلا والله يرزق من يشاء
بغير حساب تقرير لسعة فضله واشارة الى كمال قدرته ونفاذ مشيته والذين كفروا
اعمالهم كسراب بقيعة لما بين حال المؤمن ونتيجة سعيه في الدنيا والآخرة من
النعيم المقيم اردفه بذكر الكافر الذي يكد في العمل من غير ان يكون على الشرط
من الايمان والاخلاص فشبه تلك الاعمال بالسراب وهو ما يلمع وقت الظهيرة في المفاوز عند
شدة الحر من سرب اذا جرى كانه ما يجري والقيعة جمع قاع وهو المستوي المنبسط من الارض
يحسبه الظمآن ماء يتسارع اليه ويتحمل الجهد والمشقة حتى اذا جاءه لم يجده شيئا
من الاشياء لاضمحلاله وتلاشيه او لم يجد ما كان يظنه من الماء ووجد الله عنده اي عقابه
عند ذلك الموضع الذي كان يظنه ماء فان قلت الضمير في قوله جاءه ولم يجده ووجد الله
للظمآن فكيف رتب عليه قوله فوفيه حسابه وذلك انما هو للكافر يوم القيامة قلت
المراد بالظمآن هو الكافر الذي غلبه العطش بالساهرة وقد غشيها السراب من شدة
الحر فيحسبه ماء فاذا جاءه لم يجد ما رجا بل يرى الزبانية فيأخذونه الى جهنم ويسقونه
ماء حميما والله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان وفي الحديث يسأل الخلا
يق في مقدار حلب شاة وقيل كناية عن قرب الساعة كقوله اقترب للناس حسابهم
او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير كما في قوله او كصيب شبه اولا تلك
الاعمال بالسراب المرئي من مكان بعيد في عدم النفع مع الجهد البالغ والكد في الطلب

في الطلب دليته كان كفا فابل وجد خلاف ما كان يرجوه من الحميم والغساق وثانيا بالظلمات
المتراكمة بعضها فوق بعض لخلوها عن نور الايمان وضياء الحق عكس اعمال المؤمنين المؤسسة
على الايمان والاخلاص التي هي نور على نور في بحر لجي عميق شديد العمق منسوب
الى اللج وهو معظم البحر يغشاه اي البحر موج ما يرتفع عند اضطراب البحر من فوقه موج
اعظم منه واعلى من فوقه سحاب غمام قد ركب الموج وحجب انوار النجوم ظلمات
بعضها فوق بعض قرأ ابن كثير باضافة سحاب وجر ظلمات في رواية البزي و
بالتنوين وجر ظلمات على انه بدل من الاولى في رواية قنبل اذا اخرج يده لم يكد
يراها لم يقرب رؤيتها فضلا عنها كقول ذي الرمة اذا غير النأي المحبين لم يكد
رسيس الهوى من حب مية يبرح الضماير للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة الكلام
عليه ومن لم يجعل الله له نورا لم يوفقه ولم يهده فما له من نور شيء منه وكما وصف
نور الحق بست صفات دالة على كماله وصف ظلام الباطل بست حجب دالة على
شدة ظلمته وغاية تجمته الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض استطرد بعد
ذكر تسبيح الرجال تسبيح اهل السموات والارض تعميما واظهارا للعظمة والكبرياء
والاستفهام للتقرير وعلمه بذلك من قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وفي ذكر من
تغليب لذوي العقول وقيل المراد الملائكة والانس والجن والطير صافات
اي حال كونها في الهوا باسطة اجنحتها فاذا كانت تسبح في تلك الحالة وهي مظنة الاشتغال
فما ظنك بغيرها وفيه الدلالة على كمال قدرة الصانع لان وقوف الاجرام السفلية
في الجو دليل ظاهر على ذلك كل قد علم صلوته وتسبيحه كل من المذكورات قد علم
الله دعاءه وتقديسه ولكن لا يفقهون تسبيحهم او كل واحد قد علم صلوة نفسه لله
تعالى وتقديسه والله عليم بما يفعلون لا يعزب عنه شيء تذييل على الاول
يؤكد علمه بحالهم وتكميل على الثاني لانه دل على العالم البالغ بعد ما قدم ما يدل
على القدرة الكاملة ولله ملك السموات والارض مختصة لا شريك
له فيه والى الله المصير للجزاء الم تر ان الله يزجي سحابا يسوقه ومنه
البضاعة المزجاة لانها عرضية يزجيها كل احد الى آخر دليل آخر على كمال صنعه
تعالى ثم يؤلف بينه بين اجزائه المفرقة ثم يجعله ركاما متراكما بعضه
فوق بعض فترى الودق يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال جمع جبل
والودق المطر من ودق اذا قطر قال فلا مزنة ودقت ودقها وينزل من السماء من
جبال فيها في السماء من برد من الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة
للبيان او الاوليان للابتداء والثالثة للتبعيض والمفعول محذوف اي ينزل
منها بردا فيصيب به بالبرد من يشاء عقوبة له ويصرفه عمن يشاء سلامته وقيل
الضمير للودق اي يسقي به من يشاء سقيه ويصرفه عمن يشاء حرمانه والاول
هو الوجه يكاد سنا برقه ضوء برق السحاب يذهب بالابصار لقوته يقلب
الله الليل والنهار يذهب باحدهما ويأتي بالآخر او يخالف بينهما با
الطول والقصر او النور والظلمة او بغير احوال من فيهما ان في ذلك لعبرة لاولي
الابصار لدلالة يعبر بها الى العلم بوجود الصانع القادر لذوي البصائر والله
خلق كل دابة من ماء مثل قوله ويسقى بماء واحد استدل اولا باحوال السماء والارض
على وحدانيته وكمال قدرته وعلمه وثانيا باحوال الآثار العلوية وثالثا باحوال الحيوانات
المختلفة الانواع والاشكال والاحوال مع اتحاد الاصل والمنشأ فان قلت كثير من الحيوانات
خلق من غير ماء آدم من تراب وعيسى من نفخ جبريل والجن من النار قلت اصل

تمامه
ولا ارض ابقلت ابقالها

الكل من الماء على ما روي ان الله تعالى اول ما خلق جوهرة فنظر اليها بالهيبة فذابت ماء فمن ذلك
الماء تكون النار والنور والهوا والتراب وقيل من ماء صفة دابة وليس صلة خلق والمعنى
كل دابة متولدة من ماء فهي مخلوقة لله تعالى وهذا وجه حسن واوفق بتنكير الماء المراد به
نطفة ابيه او الماء المحض بتلك الدابة فان قلت فعلى هذا المعنى كل دابة متولدة من
ماء مخلوقة لله تعالى ومفهومه ان ما ليس كذلك ليس بمخلوق له قلت ذلك المفهوم ملغى
في مقابلة القاطع ولان الماء الذي به الحيوة اذا كان المتولد منه محتاج الى الصانع فالغير
من باب الاولى فمنهم من يمشي على بطنه كالحيات ومنهم من يمشي على رجلين
كالانسان ومنهم من يمشي على اربع كساير الحيوانات قدم الابدع فالابدع واطلاق
المشي على الزحف للمشاكلة او استعمال المقيد في المطلق استعارة او مجازا مرسلا في
يخلق الله ما يشاء ما تعلقت به ارادته كيف يشاء ان الله على كل شيء قدير
كامل القدرة سواء كان الشيء حقيرا او خطيرا لقد انزلنا آيات مبينات هي المذكورات
من قوله الله نور السموات الى هنا قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بكسر الياء والله
يهدي من يشاء هدايته الى صراط مستقيم موصل اليه وان كانت الايات
الدالة عامة للكل فان ملاك الامر توفيقه ويقولون آمنا بالله وبالرسول اشارة
في اثناء قصة المنافقين الى جمل من دلايل التوحيد الدالة على النعم الجسام والوعيد
الشديد توكيد للتوبيخ ثم عاد الى عد طايفة اخرى من امثالهم والاية نزلت في بشر المنافق
خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا المنافق الى
كعب بن الاشرف وقيل نزلت في المغيرة بن وايل كان بينه وبين علي بن طالب كرم الله
وجهه خصومة في ماء وارض فقال المغيرة لا اتحاكم الى محمد فانه مبغضني فاخاف ان يحيف
علي وكان يظهر انه مومن به واطعنا اي الله والرسول ثم يتولى فريق منهم
من بعد ذلك ثم للاستبعاد بعد ذلك القول اي القايلون كلهم كلهم لا المتولي و
حده وان كان المتولي وغل واغرق في الكفر او من تولى وفايدة الاخبار عنهم
بانهم ليسوا مومنين مع العلم بانهم بعد التولي لا ايمان لهم النعي عليهم بانهم
يقولون شيئا ثم ياتون بما يضاده واذا دعوا الى الله ورسوله ذكر الله للتعظيم
والحاكم رسوله لقوله ليحكم بينهم كقولك اعجبني زيد وكرمه اذا فريق منهم
معرضون اذا كان الحق عليهم اذا المفاجأة دالة على فرط كفرهم حيث لم يتوقفوا بعد
ظهور الحق عليهم بمحطرف وان يكن لهم الحق ياتوا اليه الى رسول الله او
هو متعلق بقوله مذعنين اي ان بان الحق لهم لم يرضوا الا بحكمك اليك يسرعون
لا الى غيرك وهذا اوجه لدلالته على شدة نفاقهم افي قلوبهم مرض ام ارتابوا
ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله قسم الامر في صدودهم ثلثة اقسام لان
الخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما موجودا ومترقب ومنصب النبوة ينافي الاخيرين
فتعين الاول فالاضراب عن الاخيرين بل اولئك هم الظالمون اشارة الى القسم
الاول واثبات لمرض القلب وهو النفاق على ابلغ وجه او اضراب عن الاخر وحده
بدليل انهم يسارعون اليه اذا كان الحق لهم وذلك يناقض توهم الحيف منه بل بل اعراضهم
لكونهم منافقين مرتابين او اضراب عن نفس القسم والحكم بانهم الجامعون لتلك الاوصاف
الكاملون في الظلم انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم
ان يقولوا سمعنا واطعنا سواء كان الحق عليهم او لهم واولئك هم المفلحون لا غير ومن يطع
الله ورسوله فيما يامران به كائنا من كان اي وقت كان دفع لتوهم اختصاص الفلاح
بمن كان في عصره ويخش الله اي عقابه ويتقه بامتثال اوامره والاجتناب عن

وما اولئك بالمؤمنين

عن معاصيه وعن ابن عباس رضي الله عنه من يطع الله في فرايضه ورسوله في سننه و
يخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما بقي من عمره قرأ ابو عمرو وابو بكر وخلاد وعن حمزة
في وجه بسكون الهاء اما لان العرب تسكن هاء الضمير اذا تحرك ما قبلها بخوضربه على ما نقل
الفراء او حملا على بناء الضمير على ما قاله الفارسي او اجراء للوصل مجرى الوقف والباقون بكسر مع
الاشباع الا حفصا وهشاما وقالون رووا للتخفيف والاشباع هو القياس وانفرد حفص
باسكان القاف قياسا على كتف فاولئك هم الفايزون بكل بغية واقسموا بالله
جهد ايمانهم الضمير للمنافقين فان ذكر المومنين كان استطرادا للتقابل وتباين الاحوال
والمعنى استفرغوا جهدهم في الايمان الكاذبة بعد ذلك التولي والاعراض كما هو دابهم
في النفاق وجهد منصوب بفعل مضمر كضرب الرقاب لئن امرتهم ليخرجن
جواب القسم والمعنى انهم كاملون في الايمان بحيث لو امرتهم بالخروج عن الديار والاموال
لفعلوا قل لا تقسموا كاذبين فان ذلك يحمل اثم فوق آخر طاعة معروفة المطلوب منكم
طاعة معروفة كطاعة الخلص او طاعتكم معروفة بانها بالقول دون الفعل فلا حاجة
الى الايمان او طاعة معروفة امثل بكم من هذه الايمان الكاذبة ان الله خبير بما تعملون
مطلع على ضمايركم فيجازيكم عليها قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واتركوا النفاق
لم يقل واطيعوني اشارة الى ان كونه رسولا هو المقتضي للطاعة فان تولوا فانما
عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ابتداء كلام منه تعالى القول فانما عليه دون عليك
والمعنى ان توليتم لا ضر عليه لانه ادى ما عليه وعليكم غضب الله وسخطه باعراضكم وان
تطيعوه تهتدوا الى الحق وتجردوا نفوسكم وما على الرسول الا البلاغ المبين
الموضح لما كلفتم به وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الخطاب لرسول
الله ومن يتابعه وقيل تتميم لقوله وان تطيعوه تهتدوا بيانا لما لهم في العاجل والآجل
رغبا ومن للتبعيض وفيه ان امنوا اياه وحمل على المترقب لا يلايم مع ان الخلفاء
لم يكونوا من اولئك المقتسمين فان قلت لم وسط الجار والمجرور بين الايمان والعمل
الصالح هنا واخره في سورة الفتح قلت اشارة الى الاصل في الاستخلاف هو الايمان ولذلك
لا يعزل الامام بالفسق ويصح ولاية ذي الشوكة الفاسق بخلاف المغفرة والاجر الموصوف
بالعظيم فان الايمان والعمل الصالح اصلان فيهما ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم
خلفاء فيها جواب قسم مقدر كما استخلف الذين من قبلهم بني اسرائيل اورثهم
ملك فرعون بمصر والعمالقة بالشام وناهيك ملك داود وسليمان وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم دين الاسلام لقوله ورضيت لكم الاسلام دينا وليبدلنهم من
بعد خوفهم امنا فان رسول الله واصحابه لما كانوا بمكة حالهم في الخوف ومقاساة الاعداء
معروفة ولما كانوا بالمدينة كانوا خايفين من ملك غسان وكان اهل النفاق يرجفون
الاخبار حتى انزل الله فيهم لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون
في المدينة فانجز الله وعده ونصر عبده فاورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا
لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا يعبدونني لا يشركون بي شيئا
حال من الذين لتقييد الوعد بثباتهم على التوحيد او استيناف لبيان مقتضي الاستخلاف
والامن ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسق حيث كفروا تلك
النعم العظام واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون عطف على
اطيعوا الله والفاصل ليس باجنبي بل هو وعد على المامور به مع ان الاصل في العطف
مغايرة المعطوف عليه والفاصل يوكدها اذ في المجاورة مظنة الاتصال وكرر طاعة
الرسول مبالغة في ايجابها ورتب عليه الرحمة ثانيا كما رتب عليها الهدى اولا لا تحسبن

الذين كفروا معجزين في الارض خطاب لرسول الله توكيد لذلك الوعد وقراءة
ابن عامر وحمزة بياء الغيبة اما باسناد الفعل الى الذين كفروا وعلى ان معجزين في الارض
مفعوله كانه قيل لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض او على حذف المفعول
الاول اى لا يحسبن الذين كفروا اياهم معجزين او في الفعل ضمير الرسول لتقدم ذكره
والخطاب اوجه لعدم الحذف ولكونه ابلغ تسلية ومن جوز ان يكون الفاعل في قراءة
التا الذين كفروا لم يصب لان قراءة الخطاب لا احتمال فيها لغير رسول الله ولا يمكن
تانيث الفعل المسند الى الذين ومأويهم النار عطف على مقدر كانه قيل مقهورون
في الدنيا بالاستيصال مجزيون في الاخرة بعذاب النار او في محل النصب على الحال كانه
قيل انى لك او للكافر هذا الحسبان والحال ان النار معدة لهم ولبئس المصير
المأوى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم متصل بقوله اطيعوا الله
واطيعوا الرسول والافراد بالذكر لانه من الآداب فربما يتساهل فيه وقيل
رجوع الى الكلام الاحكام النساء الى التى صدرت السورة بها بعد الفراغ من الالهيات
والوعد والوعيد والخطاب للرجال وتدخل النسا بالطريق الاولى لان التستر بهن
اولى نزلت في عمر بن الخطاب كان قايلا وقت الظهيرة متجردا عن الثياب فارسل اليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج ابن عمرو غلاما من الانصار فدخل على عمر من
غير اذن فقال عمر وددت ان الله نهى اولادنا وخدمنا من الدخول في هذه الساعات
الا بالاذن فلما جاء رسول الله وجده قد نزلت عليه وقيل نزلت في اسماء بنت مرشد
دخل عليها غلام كبير لها فكرهت دخوله في ذلك الوقت فشكت ذلك الى رسول الله
فنزلت والذين لم يبلغوا الحلم منكم اى الصبيان من الاحرار الذين لم يبلغوا حد
الرجولية فعبر عنه بالحلم لانه احد دلايله ثلث مرات في تلك اوقات من قبل
صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع والغالب فيه التجرد عن ثياب اليقظة
وحين تضعون ثيابكم للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد صلوة
العشاء لانه وقت التجرد من الثياب والالتحاف باللحاف ثلث عورات لكم
اى هذه ثلث عورات او ثلاث عورات مبتدا خبره لكم وقرا حمزة والكسائى وابو
بكر ثلث عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات وتسميتها بالعورات لكونها مظنة
لها وكل عيب وخلل عورة ومنه في الحديث لا يؤخذ في الزكوة هرمة ولا ذات عوار
اى عيب وخلل واعور الفارس اذا وجد منه خلل في لبسه وسلاحه ليس عليكم
ولا عليهم جناح بعدهن بعد الاوقات الثلث صفة ثلث عورات ان قرئ بالرفع
استيناف تعليل اى هن عورات مخصوصة بالاستيذان ليس وراءهن جناح واستيناف
يؤكد الامر بالاستيذان في تلك الاوقات ان قرئ بالنصب فان قلت بلا يجعل
وصفا في قراءة في قراءات النصب كما في قراءة الرفع قلت اذا امر بالاستيذان في
الاوقات الثلاثة فقد حصل الغرض سواء وصفت بان لا حرج وراءها اولم توصف
فيضيع الوصف بخلاف الرفع فان الوصف للخبر المقصود والاستيذان على اطلاقه
كما في النصب والاية في الصبيان والمماليك وآية الاستيذان السابقة في الاحرار البالغين
فلا تنافى فلا نسخ طوافون عليكم تعليل لرفع الحرج اذ كثرة المداخلة مع
الاستيذان في الاوقات كلها يوجب الحرج بعضكم على بعض مبتدا وخبر اى
بعضكم يطوف على بعض كذلك يبين الله لكم الايات سائر الايات في الوضوح و
الجلاء والله عليم كامل العلم حكيم فيما شرع لكم من الاحكام واذا بلغ الاطفال منكم
الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم يعنى الذين بلغوا من قبلهم والسن الذى

رد على القاضى

بنت مرشد بالشين المعجمة كذا في
الاستيعاب وروى غيره
بالثا المثلثة
منه الله

الذى يبلغ فيه الغلام عند ابى حنيفة ثمانى عشرة سنة والجارية سبع عشرة والشافعى
وعامة العلماء خمس عشرة سنة في الغلام والجارية وروى عن على رضى الله انه كان يقدر
القامة خمسة اشبار واليه اشار الفرزدق في قوله فما ادرك خمسة الاشبار واستدل به
من اوجب الاستيذان على العبد البالغ اذا دخل على سيدته ولا دليل فيه لان المراد به
ما عدا المماليك من الاحرار لتقدم المماليك في الذين ملكت ايمانكم كذلك يبين الله
لكم اياته والله عليم حكيم كرره مبالغة في شان الاستيذان واضاف الايات اليه تعالى
زيادة توكيد لان الاستيذان مما يتساهل فيه وعن ابن عباس رضى عنه ثلث
ايات جحدهن الناس الاذن كله وان اكرمكم عند الله اتقاكم واذا حضر القسمة اولو
القربى وعن ابن مسعود رضى الله عنه عليكم ان تستاذنوا على آبائكم وامهاتكم
واخوانكم والقواعد من النساء جمع قاعدة اى ذات قعود كطالق وحائض وهى
المسنة من النساء تقعد في البيت لعدم استطاعة الدخول والخروج اللاتى
لا يرجون نكاحا لعدم رغبتهن فيه او لعدم رغبة الرجال فيهن فليس عليهن
جناح ان يضعن ثيابهن الثياب الظاهرة كالجلباب والملحفة ودخول الفاء
في الخبر لان اللام في القواعد موصولة غير متبرجات بزينة الزينة الخفية
لسبق العلم باختصاص الحكم بها والتنكير لافادة الشيوع وان زينة ما وان
قلت داخلة في الحكم والتبرج التكلف في اظهار الزينة من البرج بفتح الراء وهو سعة
العين اذا ظهر احداق بياضها لسواده وفى الحديث في صفة عمر بن الخطاب
كان طوالا ابرج وان يستعففن خير لهن من وضع الثياب رغبة في
الافضل والتقوى بعد بيان الاباحة على نمط الفتوى والله سميع اقوالهن
عليم باحوالهن تحذير لهن عن التجاوز في الاقوال والافعال وقدم ما يتعلق
بالقول اهتماما كما في الحديث ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله هل نؤ
خذ بما نقول بالسنتنا قال ثكلتك امك يا معاذ وهل تكب الناس
في النار على مناخرهم الا حصايد السنتهم لا سيما النساء فان الغالب عليهن
كثرة اللغو في الكلام والخوض فيما لا يعنى ليس على الاعمى حرج ولا على
الاعرج حرج ولا على المريض كان المؤمنون لا يتحاشون في ادخال ذوى العاهات
على اقربائهم واصدقائهم واطعامهم مما يطعمون ثم كره الطاعم والمطعم
ذلك فانه اكل مال الغير بالباطل فتحرجوا فقيل لهم ليس ذلك من الاكل بالباطل
وقيل كان ذوو العاهات يتحرجون من مواكلة الاصحاء استقذارا لانفسهم لان الاعمى
لا يخلو تناوله الطعام عن نوع شين وكذلك الاعوج في جلوسه والمريض عن
كراهة رايحة ونحوها او لان الاعمى لا يرى الطعام والمريض لا يستوفى الاكل
والاعوج لا يتمكن من الجلوس فربما تحرجوا لئلا يظلموهم وقيل كانوا اذا غزوا اخلفوا
على اموالهم وتعلقاتهم القاعدين عن الغزو وكانوا ياذنون لهم في الاكل
منها فيحرجون حكى ان الحرث بن عمرو خرج غازيا وخلف على امواله مالك
بن زيد فلما رجع رآه مجهودا فسأله عن ذلك فقال لم يكن عندى شئ ولم اكل من
مالك شيئا وقيل الاية في القاعدين عن الغزو للاعذار وعلى هذا وجه العطف
في قوله ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت
اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم
الجامع بين المعطوف عليه كون كل منها منفيا عنه الحرج كما اذا استفتاك منه

عن جواز الافطار وحاج عن تقديم الرمي على الحلق قلت ليس على المسافر
حرج في الافطار ولا عليك ايها الحاج في تقديمك فان القضيتين
وان تباينتا كل التباين اذا تقاربتا في الاحتياج الى البيان قرب الجامع
والذي دعا الى ذكر بيوتكم امران ان يعطف عليه غيره واكتفا
بذكره عن ذكر بيوت الابناء للحديث المشهورات ومالك لابيك
او ما ملكتم مفاتحه كناية عما تحت يد الوكيل والقيم الامين او صديقكم
يطلق على الواحد والجمع كالخليط والقطين وهذا اذا دل الحال على
على الرضا كما كان داب السلف حكي ان الحسن دخل داره يوما فراى
جمعا من اصحابه قد اخرجوا من تحت سريره سلالا فيها اطايب الاطعمة وهم
مكبون عليها ياكلون فاستنار وجهه وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدنا
هم هكذا وجدناهم يريد كبرا الصحابة من البدريين وقد روي ان الشافعي
كان يذهب الى بيت الزعفراني ويقيم عنده في بيت الكتب اياما وكان
داب الزعفراني ان يكتب صبيحة كل يوم ما يطبخ في بيته على ورقة ديناار
ولها جارية ليسلمها الى الطباخ فوجد يوما في السماط طعاما لم يكن كتبه
فسال عن ذلك فاخبرت الجارية ان الضيف اخذ منها الورقة وزاد فيها ذلك
الطعام فقال ان كنت صادقة فانت حرة لوجه الله على بالورقة فاتوا بها فوجد
الامر كما اخبرته عليها ملحق بخط الشافعي وعن ابن عباس رضي الله عنه الصديق
اكبر من الوالدين الا يرى ان اهل النار لم يذكروا الاباء والامهات بل قالوا فما لنا
من شافعين ولا صديق حميم ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا
نزلت في بني عمرو بن ليث من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل
الرجل وحده وقيل في الانصار كانوا لا ياكلون الا مع الضيف و
قيل كانوا يتحرجون من الاجتماع على الاكل لتفاوت نهمة الناس فاذا
دخلتم بيوتا من هولاء البيوت وغيرها ولذلك نكره فسلموا على
انفسكم على من فيها فان المومنين كنفس واحدة تحية من عند الله
مشروعة باذنه او متعلق بتحية لان السلام دعاء بالسلامة والحياة
للمسلم عليه من الله وانتصابه على المصدر كقعدت جلوسا
مباركة يرجى بركتها طيبة يوجب الانس ويطيب بها قلب السا
مع ويسكن روى البخاري انه سئل عن افضل خصال الاسلام
فقال اطعام الطعام وافشاء السلام مشروع سواء كان في
البيت احد او لا وقيل اذا لم يكن فيه احد فليقل السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد و
ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
كذلك يبين الله لكم الايات كرره تفخيما للاحكام المذكوره
وجعل الفاصلة في الاولين العلم والحكمة المقتضيان لتبيين
الاحكام وهنا ما هو المقصود من ذلك البيان وهو قوله
لعلكم تعقلون اي تفقهون في الدين في البخاري من يرد الله
به خيرا يفقهه في الدين انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
يريد الكاملين في الايمان واذا كانوا معه على امر جامع وصف الامر

الامر بالجامع مجاز والمراد ما يكون الاجتماع لاجله كالجمعة والعيد
والمشاورة في مهم لم يذهبوا حتى يستاذنوه لقوة ايمانهم لا ياتون
ولا يذرون الا باذنه ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله
صدر الكلام اولا بانما المفيد للحصر واوقع الموصول خبرا عنه محيطا بالايما
نين ثم اعاد الكلام على وجه دل على ان مصداق الايمان هو الاستيذان
وفيه تعريض بان المنافق المتسلل ليس من الايمان في شيء فاذا استاذنوك
لبعض شانهم لمهم يعرض لهم فاذن لمن شئت منهم واستصوبت له
الاذن فوض الامر اليه في الاذن والمنع اجلالا له واستغفر لهم الله
مكافاة لهم على بذل الطاعة لك وفي الحديث من ابدى اليكم معروفا
فجازوه بمثله فان لم يقدروا فكافئوه بالدعا وقيل الاستغفار لهم على
الاذن فانه ترك الافضل لانه اشتغال بامر الدنيا ان الله غفور
لفرطات العباد رحيم بهم حيث بنى امرهم على اليسر وارسل اليهم من يستغفر
لهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فتنصرفون بغير اذنه توكيد
لامر الاستيذان او لا تجعلوا دعاءكم اياه كما هو المتعارف يا فلان ويا فلان
تدعونه باسمه يا محمد بل قولوا يا رسول الله يا نبي الله بالفاظ تدل على التعظيم كما
خاطبه الله بها يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر
لم يخاطب الله نبيا من الانبياء الا باسمه العلم يا نوح يا ابراهيم يا موسى
الا هذا المختار فانه لم يخاطبه الا بتلك الالقاب الشريفة او لا تجعلوا دعا
الرسول واستغفاره لكم مثل دعا بعضكم لبعض والاستغفار له فانه مستجا
ب حتما قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا يذهبون قليلا قليلا مثل
تدرج وتدخل واللواذ مصدر لاوذ الرجل اذا استتر بغيره ادخل قد على
العلم تحقيقا وتوكيدا لثبوته ليكون ذريعة الى تحقق الوعيد فليحذر الذين
يخالفون عن امره يعرضون عن طاعته فيشمل الامر الجامع وغيره
وعن الاخفش ان عن صلة وقيل بمعنى بعد كقوله طبقا عن طبق وقيل
يخالفون عن امره اي يصدون عنه المومنين فحذف المفعول لعدم
تعلق المقصود به ان تصيبهم فتنة في الدنيا بالقتل والاسر او
يصيبهم عذاب اليم في الاخرة ظاهر الاية ان الامر للوجوب عند عدم الصارف
الا ان لله ما في السموات والارض خلقا وملكا قد يعلم ما انتم عليه الخطاب
للمنافقين او عام لهم ولغيرهم ويوم يرجعون اليه اي المنافقون
للجزاء التفات على الاول فينبئهم بما عملوا بالتوبيخ والمجازات والله بكل
شيء عليم افتتح السورة بقوله انزلنا فيها ايات بينات وختمها بقوله انما
المومنون اشارة الى ان المنتفع بتلك الايات المومن الذي سلم كلا الى
صاحب الشريعة لا يقدم دون اشارته ولا يحجم وقد اورد بعض كبار المشايخ
هذه الايات في بحث اداب المريد مع الشيخ تمت السورة الحمد لله على ما انعم

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون ايات بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تعالى وتزايد خيره من هذا فعل اصله من
برك البعير اذا القى بركه وهو الصدر ففيه معنى اللزوم ومنه البركة لمكان
الحرب والبركة لمحبس الماء ولما كان القرآن الكريم خيره ومنافعه لا تحصى وهو
اصل الشريعة الدائمة الى انقراض الزمان وصف من تركه به تعالى ولا يتصرف

فيه والفرقان علم للقران لانه يفرق بين الحق والباطل او لانه مفصول بعضه عن
بعض في الاحكام او في النزول منجما ليكون للعالمين نذيرا العبد او
القرآن والثاني اوجه لقولهم اساطير الاولين الذي له ملك السموات والارض
بدل من الموصول الاول لان قوله ليكون تعليل للصلة من تتمتها او مدح مرفوع
او منصوب ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك كما توهمه اهل الضلال وخلق
كل شيء اوجده مراعى فيه التسوية فقدره تقديرا هيأه لما يطلب
منه من الافعال والملكات وان شئت فتأمل في الانسان لما كان مكلفا بمعرفة الصانع
والقيام بعبادته كيف افاض عليه القوى الدراكة والنطق للافهام وقيل
قدره للبقاء الى اجل مسمى واتخذوا من دونه آلهة اليهود والنصارى
والمشركون والمجوس لما بين انه تفرد بالالوهية ثم اخذ في مثالب من ضل عن
السبيل واتخذ له شريكا لا يخلقون شيئا قط وهم يخلقون مخلقون
وايثار المضارع لاستحضار تلك الحالة ولا يملكون لانفسهم ضرا دفع
ضر ولا نفعا ولا جلب نفع قدم دفع الضر لانه اهم عند العاقل وعكس في قوله
ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم لان غرض العبد من عبادته
هو النفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا واذا لم يقدروا على دفع الضر عن
انفسهم وجلب النفع لها فهم عن هذه الامور بمعزل ولا يصلح للالوهية الا من
هذا شانه وافعاله وقد روعي الاقرب فالاقرب في الترتيب وقال الذين كفروا
ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه اثر المظهر اشارة الى ان الباعث
على هذا القول هو الكفر افتراه اخترعه قصدا واعانه عليه قوم آخرون
ارادوا العداس مولى الحويطب بن عبد العزى ويسارا مولى العلاء بن الحضرمي
وابا فكيهة الرومي او قوما آخرين من الذين قرأوا اقاصيص الامم الدارجة فقد
جاؤا ظلما عظيما حيث جعلوا الكلام المعجز مفترى وزورا حيث نسبوا الاتي به
الى الزور وقالوا اساطير الاولين اي ما اتى به جمع اسطورة كاحاديث جمع احدوثة
كانوا حيارى في امره تارة يقولون شعر وتارة سحر وآخر مفترى واساطير الاولين و
هكذا شان المبطل لا يستقر على حال اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا
اراد كتبها لنفسه فهي تملى عليه طرفي النهار وهو يكتبها فهي في كتاب عنده يلقى اليه
طرفي النهار ليحفظ قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض مشتملا
على المغيبات التي لا يعلمها غيره مما خلا عنه كتب الانبياء فكيف يكون اساطير
الاولين وتخلقا انه كان غفورا رحيما ولذلك انزله اليك وارسلك
به نذيرا او لكونه غفورا رحيما لم يعاجلكم بالعذاب مع استحقاقهم وقالوا مال
هذا الرسول اتبعت المصاحف على فصل اللام والوجه فيه ان اللام لما
كان مستقلا نبه عليه بذلك في مواضع يأكل الطعام ويمشي في الاسواق
كسائر الناس وهذه شبهة ذكروها في مواضع بعبارات مختلفة ردها
الله تعالى بانواع الاجوبة القاطعة منها ما سياتي عن قريب قوله وما ارسلنا قبلك
من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق لولا انزل اليه
ملك فيكون معه نذيرا يعاونه على الانذار ويكون مصدقا له او يلقى اليه كنز
يستغني به عن التعيش في الاسواق والتردد في طلب المعاش او تكون له جنة ياكل
منها اقل الاحوال ان يكون له بيت يكون له قوت ما لديه فضلا عن الكنز وقال
الظالمون وضع الظالمين موضع الضمير تسجيلا عليهم بانهم ظالمون

في مقالتهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا اصيب بالسحر ولا يدري
ما يقول انظر كيف ضربوا لك الامثال الاقوال الغريبة التي يضرب بها المثل
لغرابتها بعدها عن حالك ورفعة محلك عن الاتصاف بها فضلوا في تلك المقالات
فلا يستطيعون سبيلا الى شيء يستقرون عليه او فضلوا عن طريق الحق فهم يخبطون
خبط عشواء تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك الذي ذكروه من الكنز والجنة في
جنات تجري من تحتها الانهار كما وعدك في الآخرة ويجعل لك قصورا
وايثار ان للدلالة على عدم وقوع ذلك في الدنيا وانها ليست محلا له لسرعة الانتقال منها
قرأه ابن كثير وابن عامر وابو بكر ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا
جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم و
استئنافا على معنى وهو يجعل لك في الآخرة قصورا والاول اوجه بل كذبوا بالساعة عطف
على ما حكي عنهم من قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام اضراب الى ما هو اطم فان ذلك
تكذيب الرسول وهذا تكذيب بها او متصل بقوله تبارك الذي ان شاء جعل لك
خيرا من ذلك انكارا منهم لذلك على ابلغ وجه فان من كذب بها كيف يصدق هذا
الخبر واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وعن الحسن
انه من اسماء جهنم فيكون صرفه باعتبار المكان او ليوافق التواصل كما في سلاسلا و
اغلالا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وذلك اذا كانت بمرأى لهم من مسيرة
مائة عام ولها تغيظ وزفير شبه صوت غليانها بصوت المتغيظ وزفيره والحق انه
على الحقيقة وقد روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال ان النار شكت الى ربها فقالت
يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الصيف ونفس في الشتاء فهو اشد
ما تجدون من الحر واشد ما تجدون من البرد ولما كان الحق ان البنية ليست بشرط في الحيوة فلله
ان يخلق فيها اي شيء كان واذا القوا منها مكانا ضيقا بالغ الحجر ابن عباس رضي الله عنه تضيق
عليهم الزج في الرمح لتشد عليهم الكرب مقرنين حال كونهم مقرنين في السلاسل
قرنت ايديهم الى اعناقهم وقيل تقرن كل منهم مع شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد
دعوا هنالك ثبورا هلاكا اي يقولون واثبوراه تعالى هذا واوانك لا تدعوا اليوم ثبورا
واحدا يقال لهم ذلك او هم احقاء بذلك القول وادعوا ثبورا كثيرا لعدم انقطاع
العذاب او لتكثر انواعه قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الذين اتقوا
الشرك لا انهم قبلوا بالمشركين المكذبين والاستفهام للتقريع والتفضيل على وجه التهكم
كما يقول من يضرب عنده لما لقيه امره هذا اطيب ام ذلك كانت لهم جزاء ومصيرا
اي يكون والتعبير بالماضي لجعل المترقب كالواقع وانما ذكر المصير مع الجزاء كما في قوله نعم الثواب
وحسنت مرتفقا وقوله بئس الشراب وساءت مرتفقا لان لذة النعيم لا تكمل الا اذا انضم
اليه طيب المنزل لهم فيها ما يشاؤن كل ما يشتهون فان قلت الجزاء على قدر الاعمال فكيف يكون
ادنى المؤمنين مثل اعلاهم وقد روى ابن عباس رضي الله عنه ان في الجنة مائة درجة بين
كل درجتين مسيرة خمسمائة عام اعدها الله للمجاهدين قلت ادنى المؤمنين اذا كان له مثل
ملك الدنيا عشر مرات فيرضى بذلك ولا يشتهي زيادة على ما هو فيه خالدين حال من
فاعل ما يشاؤن كان على ربك وعدا مسئولا موعودا حقيقا ان يسال ويطلب
او مسؤولا يسأله الناس في دعائهم ربنا آتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات
عدن التي ويوم يحشرهم اي الكفرة لان ذكر المتقين استطراد لاظهار مقام الفريقين
على وجه التقابل وقرأ ابن كثير وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير ربك والباقون بالنون
التفاتا وما يعبدون من دون الله كل معبود سواه استعمال ما في العقلاء اما

لكون وصف على العموم او لارادة الوصف كقوله والسماء وما بناها او تغليبا او تنزيلا للعقلاء
في مقام الالوهية منزلة غيرهم فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا
السبيل سؤال تقريع وتوبيخ للعبدة حتى اذا اجاب المعبودون بما اجابوا تزداد بذلك حسرتهم
ويفتضحون على رؤس الاشهاد وتقديم المسند اليه لكون الفعل واقعا بلا ريب وانما الكلام في الفا
عل وقرا ابن عامر فيقول باليا قالوا سبحانك ابعادا عن الانداد وتنحيا من نسبة الاضلال
اليهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات لا حيوة لها ما كان ينبغي لنا أن نتخذ
من دونك من أولياء ما يليق بنا ان نتولى احدا دونك فكيف نامر احدا بان يتولانا دونك
ولكن متعتهم وآباءهم بانواع النعم حتى نسوا الذكر حتى تسببوا بذلك التفضل
الذي كان حقه الشكر لنسيان ذكرك بالتوحيد والتدبر في آلائك وآياتك وكان حق الكلام
بل انت اضللتهم بافاضة النعم عليهم ولكن عبروا عن اللازم بالملزوم تأدبا وكانوا قوما
بورا هالكين في قضائك السابق جمع بائر كهود وهائد او مصدر وصف به فقد
كذبوكم ايها العبدة التفت اليهم كفاحا بالتوبيخ والتقريع بما تقولون اي في قولكم انهم
آلهة او هؤلاء اضلونا ويجوز ان يكون الجار والمجرور بدل اشتمال لان كذبته وكذبت به
واحد معنى فما تستطيعون صرفا دفعا للعذاب عنكم بعد ما كذبوكم او حيلة من صرف
اذا احتال وقرا حفص بالتا خطابا للعبدة والغيب ابلغ تبكيتا لاستلزامه تعجيز من
ادعوا الاستطاعة فيه ولا نصرا ولا اعانة لما انتم فيه ومن يظلم منكم ايها المشركون
نذقه عذابا كبيرا اصل الكلام نذيقهم او نذيقكم وضع ومن يظلم موضع الضمير
وقيل الخطاب لفرق المكلفين وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون
الطعام ويمشون في الأسواق جواب عن شبهتهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام والجملة
بعد الا صفة محذوف اي احد كقوله وما منا الا له مقام معلوم اي احد وجعلنا
بعضكم لبعض فتنة عذرا وابتلاء أتصبرون حث على الصبر بعد بيان موجبه كقوله
فهل انتم منتهون بعد تحريم الخمر وقيل علة للجعل اي لنعلم ايكم يصبر كقوله لنبلوكم ايكم احسن
عملا وكان ربك بصيرا بمن يصبر وبمن لا يصبر او بمن يصلح للرسالة والاصطفا
وقال الذين لا يرجون لقاءنا جزاءنا على الاعمال الصالحة او رؤيتنا او عقابنا بلغة تهامة
ما على ان الرجاء بمعنى الخوف لولا أنزل علينا الملائكة بالرسالة لعدم اعتقاد
هم جواز ارسال البشر او بتصديق محمد والاول هو الوجه لقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون
معه نذيرا أو نرى ربنا فيامرنا وينهانا بلا واسطة ولا حجاب لقد استكبروا في أنفسهم
اضمروا الكفر في قلوبهم وعقايدهم وعتوا وتجاوزوا الحد عتوا كبيرا تجاوزا مفرطا واللام
جواب قسم محذوف كانه قيل ما اشد استكبارهم وما اكبر عتوهم يوم يرون الملائكة منصوب
باذكر او بعذبون دل عليه ما بعده قولهم لولا انزل علينا الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين
لكل مجرم او لهم فوضع الضمير ليدل على عليه عموم البشرى ويقولون حجرا محجورا
من المصادر التي يجرد ذكر ناصبها والوصف للمبالغة كليل اليل هذه كلمة كانوا يقولونها
عند النوايب وشدايد النوازل في مقام الاستعاذة والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة
واذا نزلت استعاذوا من نزولها فانهم يلاقونهم بما يكرهون وقيل هو من كلام
الملائكة اي حراما عليكم محرما الغفران والجنة او البشرى واصل الحجر المنع ومنه قيل
للعقل الحجر لانه يمنع ارتكاب الرذايل وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا كانوا يسابقون الى المكارم من قرى الضيف وفك العاني وساير انواع البر
ويحسبون انها ذخر لهم عند الله ولما لم يكن لنبائهم اساس اذ الاعمال بدون
الايمان كبناء بلا اس رد الله عليهم في ذلك الحسبان ابلغ رد بان مثل حالهم بحال

قوم خالفوا امر سلطانهم واغضبوه غاية الاغضاب فقدم الى ناديهم واباح ما تحت ايديهم
وجعلها كان لم تغن بالامس والهباء ما يرى من الذرات عند دخول الشمس في الكوة شبه
الغبار والمنثور المفرق صفة هباء او المفعول ثالث لجعلنا على انه في الاصل خبر ثان اي جعلناه
جامعا للحقارة والتفرق بحيث لا يحصل منه على طائل أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
مكانا يستقرون فيه للمحاورة والمفاكهة مع الاصحاب كقوله على سرر متقابلين وأحسن
مقيلا مكانا للاستراحة والتمتع بالحور والازواج وتسميته مقيلا على التشبيه اذ لا
قيلولة في الجنة كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا مع انه في الجنة لا ليل ونهار او
المقيل عبارة عن الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم احسن ما يتصور والتفضيل
اما ان يراد به الزيادة المطلقة او بالاضافة الى ما للمترفهين في الدنيا وفي ايثار الا
حسن مع المقيل اشارة الى زيادة المحاسن هنا من الزخارف والوجوه الحسان
كما يكون للملوك في الدنيا في اماكن انسهم ويوم تشقق السماء بالغمام اي تتشقق
بسبب طلوع الغمام منه قيل هو غمام فوق السموات سمكه مثل سمك السموات وثقله مثل
ثقلها فاذا كان يوم القيمة القاه الله على السموات فتنشق وقرا الكوفيون وابو عمرو
بتخفيف الشين بحذف احدى التائين ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام
بايديهم صحايف الاعمال وقرا ابن كثير ننزل بزيادة نون مضارع انزل ونصب
الملائكة وعليه رسم المكي وعلى حذف ساير الرسوم الملك يومئذ الحق للرحمن اي الثابت
له دون غيره من الملوك لمن الملك اليوم الملك مبتدأ ويومئذ ظرفه والحق نعت
والرحمن خبره وكان يوما على الكافرين عسيرا اي يكون شاقا عليهم لسقوط حجتهم
ويوم يعض الظالم على يديه كل ظالم كناية عن شدة الندامة فان النادم
المتحسر يعض على الانامل وجمع اليدين اشارة الى فرطه عن ابن عباس نزلت
في عقبة بن ابي معيط كان اذا قدم من سفر اتخذ طعاما ودعا اليه الناس فدعا
من جملتهم رسول الله فلما قدم الطعام ابى ان يتناوله الا ان يشهد بالرسالة
فشهد بذلك وهو مضمر الكفر وكان صديقا لابي بن خلف فعاتبه ابي وقال له
صبات فقال ولكن كرهت ان يرجع ولم يطعم من طعام دعوته اليه فقال وجهي
من وجهك حرام ان وجدت محمدا فلم تبزق في وجهه ففعل ذلك فعلى هذا اللام في
الظالم للعهد والحق انه للجنس وان كان هو سبب النزول اذ لا ظالم الا وهو عاض
يديه في ذلك اليوم يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى
النجاة او طريقا واحدا وطريق الجنة فالتنكير للافراد شخصا او طريقا من الطريق
اشارة الى ان ما كان يسلكه لم يستحق ان يسمى طريقا والقصد الى صف السبيل وما
هيه يا ويلتى اصل اليا قلبت الفا كما في يا غلاما واما الفتح وقرا الدوري ابي عمرو
وكذا حمزة والكسائي ليتني لم أتخذ فلانا خليلا فان كناية عن علم المذكر يريد
ابيا ان اريد العهد وان اريد الجنس فكل من اتخذ خليلا لا بد وان يكون له علم
فجعل كناية عنه لقد أضلني عن الذكر ذكر الله او القرآن انا نحن نزلنا الذكر
او كلمة الشهادة والذكر بمعنى العهد لانها عهد بين الله وبين عبده بعد إذ جاءني
ولم يبق لي عذر وكان الشيطان للإنسان خذولا الى العقبة سماه شيطانا
لكونه مضلا مثله او ابليس لانه الذي حمل على ذلك او من اضل عن طريق الحق من الجن
والانس فهو شيطان حكاية كلام للظالم او هو ابتدا كلام من الله تحذيرا للسامع عن
الاغترار والخذلان ضد النصرة وقال الرسول يريد محمدا صلى الله عليه وسلم يا رب
إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا متروكا غير ملتفت اليه او مهجورا

فيه من الهجر بمعنى جعلوه هذيانا وسموه سحرا او اساطير الاولين او خلطوا الهجر به اذا قرئ لئلا يفهمه السامعون وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين كما جعلنا لك اقبل عليه بعد سماع شكواه مسليا له بان هذا شان الرسل مع الكفار لينالوا بذلك المثوبة العظمى وكفى بربك هاديا الى طريق الانتقام منهم ونصيرا معوانا لك عليهم فلا تبال واصبر وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران نزل بمعنى انزل القول جملة واحدة والا لكان متدافعا كذلك جواب لهم اى كذلك انزل مفرقا لان قولهم لولا نزل عليه القران جملة يتضمن انكار انزاله مفرقا لنثبت به فؤادك مفرقا منجما بحذب بكل نجم من نجومه قوى قلبك وازداد ثبات جاشك ولو انزل جملة واحدة مرة وتحتهم لم يكن له ذلك الواقع ولا لك الظهور التام واطمينان القلب وايضا اذا تردد اليه جبريل في الوقايع ازداد بذلك قوة وتوالت عليه الافراح كما تفعل الملوك مع الخواص المقربين يواصلونهم بالرسايل والكتب وما قيل انه كان امّيا يباين حاله حال موسى وعيسى وداود عليهم السلام فانهم كانوا قراء او كتبوا فلو القى اليه جملة واحدة لعجز عن فعل حفظه ففيه ان من انزله قادر على ان يجعل له القوة على حفظه في لمحة طرف بل كان ذلك معجزة اخرى له ورتلناه ترتيلا فصلنا بعضه عن بعض في الانزال تفصيلا امتناسبا بين العدو والقرب من رتل الاسنان وهو تباعد ما بين الثنايا والرباعيين وقيل رتلناه امرنا بترتيل في القراءة لقوله ورتل القران ترتيلا ولا يأتونك بمثل بكلام هو مثل في البطلان يجادلونك به الا جئناك في مقابلة بالحق جوابا عنه واحسن تفسيرا كشفا عن المقصود من الفسر وهو الكشف وصيغ التفعيل للمبالغة وذلك انهم قاسوه بموسى وعيسى في انزال الكتاب جملة واحدة وقد جهلوا ما في تنزيله مفرقا من الحكم الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم رفع او نصب على الذم روى البخاري عن انس ان رجلا قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيمة فقال النبي الذي امشاه على الرجلين في الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيمة اولئك شر مكانا منزلا واضل سبيلا ممن قدحوا في رسالته اى لو علموا حالهم لعلموا انهم شر مكانا وقيل متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال على طريقة المجاز الحكمي مبالغة في ضلال سالكه ولقد اتينا موسى الكتاب لما سلاه بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا فصل بعض احوال مشاهيرهم وقدم موسى لان امته اكثر وعناه مع الجهال او فروا اشهر وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا موازرا له معاونا اياه في تبليغ الرسالة ولا تنافي بين النبوة والوزارة فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فذهبا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا استاصلناهم وقلعنا شافتهم ولما كان الغرض التسلية وانه سينزل بالمشركين ما انزل باولئك اختصر الكلام بذكر طرفي القصة وكذلك سلك في القصص بعدها وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده ومن كذب رسولا فقد كذب ساير الرسل لاتحاد دعوتهم واشتراك دليلهم في الاعجاز اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم للناس اية عبرة الى يوم القيمة واعتدنا للظالمين عذابا اليما لكل ظالم او لهم واظهار المظهر للدلالة على علية الحكم وعادا وثمود عطف على هم او الظالمين بحسب المعنى اى وعدنا الظالمين وهولاء الاعلام

قاتناكتب

الاعلام في الظلم وقراء حمزة وحفص ثمود غير منون على تاويل القبيلة واصحاب الرس قوم شعيب والرس اسم بيرهم كذبوا شعيبا فبينا هم حول البير جلوسا خسف الله بهم الارض وقيل قرية عظيمة بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان وكانوا مبتلين بالعنقاء وهي طير عظيم سمي بذلك لطول عنقه وكانت تخطف اولادهم فدعا عليه حنظلة النبي فاصابها صاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكهم الله وقيل هم اصحاب الاخدود والرس الاخدود وقيل الرس ارض بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل اسم بير وانما سمي رسا لانهم قتلوا نبيهم ورسوه فيه اى دسوه وقرونا بين ذلك المذكور كثيرا لا يعلمها الا الله روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلا الاية قال كذب النسابون يقول الله وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال اى كل قرن بينا له القصص الغريبة مما جرى على الامم المكذبة للرسل انذارا وتحذيرا وكلا تبرنا تتبيرا حيث لم يعتبروا ولم ينجع فيهم ذلك الانذار التبار الكسر من التبر وهو قطع الذهب قبل الضرب وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا اى انذرنا والثاني بتبرنا لفراغ الفعل له ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء يريد قريشا في متاجرهم في التجارات الى بلاد الشام والقرية اسمها سدوم اعظم قرى قوم لوط سميت باسم قاضيها وكان اية في الظلم والجور حتى صار مثلا هذا قضاء سدوم ومطر السوء الحجارة افلم يكونوا يرونها الاستفهام للانكار الداخل على النفي فيفيد الاثبات اى قد راوها بل كانوا لا يرجون نشورا فلذلك لم يتاملوا ولم يتعظوا فان الانسان انما يتكلف النظر والتدبر اذا كان راجيا ثواب الاخرة خايفا عقابها ولا يخافون على اللغة التهامية واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اى المشركون لم يرضوا بترك الايمان حتى جعلوك مكان هزو او مهزوا به اهذا الذي بعث الله رسولا اسم الاشارة للتحقير كما في حديث عائشة يا عجبا لابن عمرو هذا حين افتى بنقض الظفاير وانما اخرجوا بعثه في معرض التسليم لجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكما به ان كاد ليضلنا عن الهتنا بكثرة الدعاء الى التوحيد وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية القصوى في الدعوة الى الله حتى شارفوا ان يزعمهم ان يتركوا دين اباءهم مع فرط عنادهم وشدة لجاجهم ان مخففة من المثقلة وضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة لولا ان صبرنا عليها وثبتنا لولا هذه للدلالة على انتفاء شيء لوجود غيره كما في لولا على لهلك عمر وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا انت او هم جواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لان من يضل غيره لابد وان يكون ضالا في نفسه ارايت من اتخذ الهه هواه تعجيب ممن هذا شانه في الجهل قدم المفعول الثاني للعناية به والقرينة معنوية كما في قوله بنونا بنو ابناينا افانت تكون عليه وكيلا مسلطا تجبره على الاسلام انكار اى لست كذلك بل انت مبلغ ولا اكراه في الدين ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون حتى يسمعوا كلامك او يفهموا خطابك وهذا اشد مذمة ولذلك اضرب عن الاول وقيد بالاكثر لان منهم من كان يابى عنادا واستكبارا ان هم الا كالانعام في عدم الادراك وفهم الايات بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها تفرق بين المحسن اليها والمسيء وتتعلم بالتعليم لا ترى اجهل من الحمار وقد راينا قد تعلم انواعا من الحيل وهولاء قد اتبعوا الشيطان وهو اعدى عدو والذي يجلب لهم شقاء الابد الم تر الى ربك كيف مد الظل اشارة الى صنعه البديع الدال على كمال العلم والقدرة بل الكمال المطلق من كل وجه على اكمل وجه لمحسوسات لان الخصم بعيد عن ادراك المعقولات

الفلج بفتح الفاء واللام قرية عظيمة من نواحي اليمامة وبسكون اللام واد بين البصرة وحمى ضرية

والتدبر فى علم الملكوت ولم يخاطبهم بل وجه الكلام اليه بتوكيد المتقدمة من انهم
اضل من الانعام فليس من شانهم الخطاب والاستفهام للانكار دخل النفى فافاد
التقرير اى قد رأيت صنع ربك كيف بسط الظل ولو شاء لجعله ساكنا لا صقا باصل
ذى الظل كالشجر والبناء والجبال وقيل الظل الذى مده ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس
فانه اطيب الاوقات اذ الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن
الجو ويبهر البصر اصل الكلام الم تر الى الظل كيف مده ربك وانما عدل الى المنزل
اشارة الى ان المعقول من هذا الكلام كالمرئى لوضوح برهانه ثم جعلنا الشمس عليه
دليلا متبوعا يتبعه الظل يزيد به وينقص ويمتد ويتقلص ثم قبضناه الينا رفعناه
بايقاع شعاع الشمس موقعه قبضا يسيرا على التدريج لما فى ذلك للعباد من المصالح
وثم فى الموضعين للترقى من الادنى الى الاعلى او على اصله وذلك ان الله خلق السماء كالقبة
المضروبة ثم خلق بعد ذلك الشمس وسلطها على ذلك الظل وجعل تابعا اياها ويجوز
ان يراد قبضه يوم القيمة يوم نطوى السماء ولفظ الينا ربما ايده وكذلك يسيرا كما فى
قوله حشر علينا يسير وهو الذى جعل لكم الليل لباسا ساترا كاللباس والنوم
سباتا راحة من السبت وهو القطع واستعماله فى نوم المريض عند العرب والشيخ
المسن وقال عمرو بن مسعود رضى الله عنه لمعاوية لا تسال عن شيخ نومه سبات دليل
هبات اوموتا لقوله وجعل النهار نشورا اى بعثا بعثهم من النوم بالبعث
بعد الموت قال لقمان لابنه يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وعلى الاول النشور
بمعنى الانتشار للمعاش وهو الذى ارسل الرياح نشرا بسكون الشين فى قراءة
الكوفيين وابن عامر جمع ناشر او جمع نشور كصبور خففت باسكان العين وابن كثير
ونافع وابو عمرو بضمتين على الاصل وحمزة والكسائى بفتح النون على المصدر لما فى
الارسال من معنى النشر او على الحال وقراءة عاصم بالباء جمع بشور بمعنى مبشر
كصبر وصبورا وبشير كقليب وقلب وقرأ ابن كثير الريح بالافراد على ارادة الجنس والجمع
هو المختار لكون المبشرات ثلثا صبا وشمالا وجنوبا وعليه حمل قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وهى الدبور قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
بين يدى رحمته امام جعل الريح مبشرا بقدومه تعظيما له فانه سبب بقاء
العالم وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا للاحداث والاخباث تقول من طهر
اسم آلة كالوقود والسحور لان الماخوذ من اللازم لا يكون متعديا وقول الفقهاء بمعنى المطهر
تسامح وسالب الطهورية عند ابى حنيفة ان كان الماء راكدا وقوع النجاسة قليلا كان او كثيرا
وعند مالك اذا غير طعمه او ريحه او لونه وعند الشافعى كابى حنيفة فيما دون القلتين وكما
لك اذا بلغ قلتين والجارى عنده كالراكد وعند ابى حنيفة الجارى لا ينجس اذا لم ير للنجاسة
فيه اثر وفى الاية اشارة الى ان الله تعالى لما اكرمهم بانزال الماء الطهور المزيل للخبث
والحديث عن ظواهرهم فعليهم ان يطهروا بواطنهم التى هى محل الاسرار عن قاذورات
الغل وساير الرذايل لنحيى به بلدة ميتا بالانبات وتذكير ميتا لكون البلدة فى
معنى البلد لقوله فسقناه الى بلد ميت او لانه غير جار على الفعل فالحق بالجامد ونسقيه
مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا وصف الانعام والاناسى بالكثرة لان
اكثر الناس يسكون بقرب الانهار والاودية فهم فى اكثر الاوقات فى غنية من
المطر وكثير منهم سكان البوادى لا يغيثهم وانعامهم الا المطر وماء الغدران وقدم
الاهتمام فالاهم وصف الماء اولا بالطهور لان المقصود الاصلى من انزاله تطهيرهم
ليكونوا فى حال المناجاة مع ربهم على اكمل الاحوال ثم احياء الارض بالنبات لانه

لانه ابدع ولانه سبب معاشهم ومعاش انعامهم ثم قدم الانعام على الاناسى لذلك
او لان الماء اذا وجد للاراضى والانعام فلهم من باب الاولى فذكر الاناسى والاناسى
جمع انسى او جمع انسان اصله اناسين قلبت النون ياء وقراءة حمزة والكسائى وحفص بفتح النون
ولقد صرفناه بينهم اى هذا القول بين الناس فى القرآن وساير الكتب والصحف المنزلة
اشارة الى انه من الادلة القاطعة على وحدة الصانع ومن الظهور بحيث لا يختص بهذه الامة
التى فاقت ساير الامم فى الفهم والذكاء او الضمير للمطر والمعنى قسمناه بينهم على ما روى
عن ابن عباس رضى الله عنه ان المطر لا يختلف كل عام قلة وكثرة ولكن يقع تارة هنا وتارة
هناك على وفق ما اقتضته الحكمة ومنه نشأ جواب آخر عن تنكير البلدة والانعام والاناسى
اى نحيى به بعض البلاد وبعض الانعام وبعض الاناسى ليذكروا بصرف المطر اليهم
وعنهم ليعلموا كمال القدرة وغاية الرأفة بهم ليصبروا اذا فقدوا ويشكروا اذا وجدوا
ولما كان من المحسوس الذى لا يحتاج الى تامل جعل الفاضل التذكر الذى هو ملاحظة
الحاصل المغفول عنه وقرأ حمزة والكسائى ليذكروا بالتخفيف من الذكر فابى
اكثر الناس الا كفورا بتلك النعم الجسيمة يراها من الغير ولا يرضى راسا براس
فايلا مطرنا بنوء كذا واما من يرى الكل منه تعالى ويجعل النوء من جملة الاسباب
والعلامات فذلك لا يقدح فى الايمان ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا يخفف
عنك بعض اعباء التبليغ وسلاه تعالى غاية التسلية بان جعلهم اضل من الانعام وانه
ليس عليهم بوكيل وعجبه من حال من اتخذ الهه هواه فاشار الى عموم رسالته وتكليفه التبليغ
الى كافة الناس اجلالا له لئلا يشاركه فى منصبه احد فامره بالمصابرة على المجاهدة وجعل
بها لكه على المجاهدة وجعل بها لكه على ايمانهم كالطاعة لهم فقال فلا تطع الكافرين
وجاهدهم به بالقرآن جهادا كبيرا فان الجهاد بالحجة اعظم من الجهاد بالسيف لا سيما مع
السفهاء الذين شانهم المراء والمكابرة قيل رأى الشافعى يوما مسرورا فسأله بعض اصحابه
فقال الزمت عاميا قيل له انت اجل من ذلك فقال لا شئ اشد واشكل من الحام الجاهل
وقيل كبيرا موقعه عند الله وهو الذى مرج البحرين نوع آخر من دلايل التوحيد
والمرج الارسال اى ارسلهما وخلاهما متجاورين متلاقيين هذا عذب فرات قامع
للعطش كاسره وهذا ملح اجاج شديد الملوحة وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته
غير محسوس وحجرا محجورا حدا محدودا او هى الكلمة التى يقولها المتعوذ كان كلا من البحرين يستعيذ من الآخر
بهذه الكلمة كقوله بينهما برزخ لا يبغيان لا يظلم احدهما الآخر بالممازجة قيل ان دجلة يصب
فى بحر فارس ويذهب فراسخ لا يتغير طعمه وهو الذى خلق من الماء بشرا شرع فى آيات
الانفس بعد آيات الآفاق والبشر آدم خلقه من تراب خلق من الماء فهو اصله ومادته
الاولى او من طين خمره بالماء او اولاده والماء النطفة فجعله نسبا ذا نسب ينسب
اليه فلان بن فلان اى ذكرا وصهرا ذات صهر اى انثى قال قطرب ما كان من قبل
زوج البنت اصهار وما كان من قبل المرأة احماء وكان ربك قديرا كامل القدرة
يخلق من ماء تارة ذكرا وتارة انثى وتارة يجمع بين النوعين بان يخلق من نطفة واحدة
توامين ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم بعد ظهور دلايل وحدة الصانع
وكان الكافر على ربه ظهيرا معاونا للشيطان فعيل بمعنى المفاعل كالكليم بمعنى المكالم
وهو ابو جهل فانها نزلت فيه او جنس الكافر لان الظهير كالصديق يطلق على الجمع كقوله
والملائكة بعد ذلك ظهير او هينا لا عبرة به كانه ملقى وراء الظهر قال الاخطل وجدنا
بنى البرصاء من ولد الظهر وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قدم المبشر رعاية للفاصلة
قل ما اسالكم عليه على التبليغ من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا الا فعل

من اراد ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى لديه جعل الايمان المنجي للمؤمن اجرا على
اداء الرسالة قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث جعل تعرضهم للثواب و
تخلصهم عن العقاب نفعا عايدا اليه وفيه اشعار بان له في ايمانهم ثوابا جزيلا
لانه الدال المرشد قال لعلي بن ابي طالب يوم خيبر حين اعطاه الراية ادعهم الى الايمان
فلان يهدي الله رجلا على يديك خير لك من الدنيا وما فيها وقيل الاستثناء
منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا
يموت فهو كافيك عن اجورهم او يتصل بقوله وجاهدهم به جهادا كبيرا اي فهو ناصرك
وحافظك من شرورهم وسبح بحمده ونزهه عما لا يليق بحضرة قدسه مما يصف
به هولاء الجهلة من الشريك والولد مثنيا عليه باوصاف الكمال شكرا لسوابق نعمه و
طلبا للمزيد وكفى به بذنوب عباده خبيرا ببواطنها وظواهرها فلا عليك بعد
التبليغ آمنوا ام كفروا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى
على العرش نصب على الاختصاص او خبر مبتدأ محذوف اي هو الذي
او مبتدأ خبره الرحمن ذكر هذه الاوصاف بعد الامر بالتوكل دلالة على ان من
هذا شانه حقيق بالتوكل عليه والمراد بالايام مقدارها لعدم الليل والنهار
حينئذ او ايام الاخرة والتقدير بالستة دون غيرها مما استاثر تعالى بعلمه كعدد
الركعات ونصب الزكوات وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة ايام وكان
قادرا على خلقها في لمحة طرف تعليما للعباد ان يرفقوا في امورهم ويتخلقوا باخلاقه
فاسأل به خبيرا الباء صلة السؤال والمعنى سل عنه رجلا عارفا به يخبرك عن
سعة رحمته قال الاخفش يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان او صلة خبيرا اي
اسأل الخبير به يخبرك وتجريديه اي اسأل بسؤاله خبيرا على معنى انك ان سألته وجدته
خبيرا اي بخبيرا والضمير لما تقدم من خلق السموات والارض وما بينهما امر بالسؤال عنها
خبيرا كامل العلم بما فيها من الاجزاء والصفات والاسرار المودعة فيها حتى يظهر له كمال
قدرته ودقة حكمته ونهاية رافته بعباده حيث خلق لهم الكائنات باسرها مشتملة
على حكم لا تحصى ونعم لا تستقصى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن سؤال
عن مسماه فانهم ما كانوا يطلقونه عليه تعالى او عن معناه لانه كان مذكورا في الكتب
السالفة وعلى هذا معنى فاسأل به خبيرا بهذا الاسم من اهل الكتاب فانهم عارفون به
وفي الآية اشارة الى ان الرحمن الذي شملتهم رحمته اذا ذكر لا يعرفونه انسجد لما تامرنا
من غير ان نعلم ما هو وكيف شانه وقرأ حمزة والكسائي بالياء يامرنا بالغيبة كانه
لما قال لهم اسجدوا للرحمن قال بعضهم لبعض تهكما واستهزاء انسجد لما يامرنا
به محمد اي لا يكون ذلك والخطاب احسن محاجا والغيبة اقعد لما هم بصدده من
الانكار وزادهم نفورا فرارا فاعل زاد ضمير اسجدوا تبارك الذي جعل في
السماء بروجا استيناف لاثبات رحمانيته جمل بدل صدرها على كثرة نعمائه ووفور
آلائه ودوامها وعلو شانه لما تقدم من معنى اشتقاقه والبروج منازل الكواكب التي
الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي
والدلو والحوت سميت بروجا لظهورها واشتهارها بكونها منازل الكواكب من برج
اذا ظهر فان قلت اي فائدة للناس في البروج حتى ذكرها في مقام الامتنان و
تقرير وصف الرحمانية قلت كل الفوائد عليها مدار الفصول التي نيط بها اسباب المعاش
وجعل فيها سراجا الشمس لكمال ضوئها استعار لها اسم السراج وقرأ حمزة والكسائي
سرجا على ارادة السيارة والافراد اوفق بقوله وقمرا منيرا ذا نور وهو الذي جعل الليل

الليل والنهار خلفة لم يعطف جعل على الصلة بل استانف دلالة على عظم صنعه في
ارداف كل من الليل والنهار بالآخر كانه قال هو المتفرد بهذا الصنع البديع والخلفة
اسم بمعنى الاختلاف اي ذوي اختلاف يخلف احدهما الآخر لمن اراد ان يذكر
يتذكر قدرة الصانع الحكيم او اراد شكورا لبعض الآية فان مدار امر الدين على
اختلافهما فلا نعمة اشمل واكمل منه وقرأ حمزة يذكر مضارع ذكر ثلاثيا والباقون
بادغام التاء في الدال مضارع تذكر وهو ابلغ واظهر وعباد الرحمن الذين يمشون
على الارض هونا ذكرهم في مقابلة الذين اذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
والمعنى عباده المختصون به الذين عرفوه بصفة الرحمانية وتخلقوا بها فاورثت لهم
هذه الصفات المتعاقبة والهون الرفق والتؤدة وفي صفته صلى الله عليه وسلم
انه كان يمشي هونا وفي كلام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه احبب حبيبك هونا
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي قولا سديدا يدل على المتاركة من
غير اثم ولا لغو سواء كان لفظ السلام او غيره ولا يخالفه قول سلام عليكم
لا نبتغي الجاهلين لانه من القول السديد ولا نسخ باية القتال لان متاركة السفهاء
والاغضاء عنهم من الآداب المستحسنة والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما يقضون
ليلهم في عبادته ساجدين قائمين يقال بات يفعل كذا اذا فعله ليلا وتاخير القيام للفا
صلة جمع قايم او مصدر وصف به والتقييد بالليل لانه اخلى عن شوب الريا واجلى للقلب
واشق على النفس والمراد اكثر الليل لقوله قليلا ما يهجعون والذين يقولون ربنا اصرف
عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما شرا لازما ومنه الغريم لملازمته الانسان وصفهم
بالجد البالغ في العبادة ثم وصفهم بالوجل والابتهال اليه مع تلك العبادة اشارة
الى انهم غير متكلين عليها بل لا يرونها شيئا نظرا الى كبريائه تعالى انها ساءت مستقرا
ومقاما انشاء ذم فاعله ضمير مبهم يفسره مستقرا وانما ذكره مع ان المفسر مؤنث
لانه في معنى الدار والمنزل والمخصوص محذوف اي هي وهذا الضمير هو الذي ربط
خبران باسمها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت ومستقرا ومقاما منصوبان
على الحال او التمييز ثم هذا وقوله ان عذابها كان غراما تعليلان يصح ان يكونا متدا
خلين ومترادفين وان يكونا ابتداء كلام منه تعالى وحكاية قولهم والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا القتر والاقتار والتقتير التضييق والتعليل في الرزق
والانفاق والاسراف الانفاق في المعصية وان قل وقيل التجاوز عن الاعتدال وان
حل وهذا اذا لم يكن في القربات وابواب البر يدل عليه قصة الصديق وعثمان ولذلك
قيل لا اسراف في الخير كما لا خير في الاسراف قرأ نافع وابن عامر يقتروا بضم الياء وكسر التاء
من الاقتار والكوفيون بفتح الاول وضم التاء وابن كثير وابو عمرو بكسرها وهما لغتان
كما في يعكف وكان بين ذلك قواما بين الاسراف والاقتار والقوام الاعتدال كا
لستواء لفظا ومعنى وذلك الذي امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وهكذا كان حال الصحابة لا ياكلون
الا سد جوعتهم ولا يلبسون الا ستر العورة ثم قيل ان علي بن ابي طالب دخل السوق
واشترى قميصا بخمسة دراهم فراى في كمه طولا فقال للبايع اقطع من كمه فقال اشتريته
قميصا بخمسة دراهم ثم تقطع كمه ايضا انك لمجنون فقال علي بارك الله فيك سمعت
رسول الله يقول لا يكمل ايمان المرء حتى يقال فيه انه مجنون والمنصوبان اعني بين
ذلك قواما خبران معا ويجوز ان يكون بين لغوا وقواما هو الخبر وان يكون الظرف
خبرا وقواما حالا موكدة وما اجازه الفراء من ان يكون بين اسم كان وانما بني لاضافته

الى غير المتمكن مع عدم المطاوعة عقبه انه من قبيل كان الذاهب جاريته صاحبها فليس فى الخبر
الذى هو محط الفايدة فايدة والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس
التى حرم الله حرم قتلها الا بالحق صفة المصدر المحذوف او متعلق بيقتلون ولا
يزنون نفى عن الموصوفين بتلك الخلال العظام عظايم الذنوب الموبقات تعريضا باعدا
يهم المشركين روى البخارى عن ابن مسعود انه قال سألت او سيل رسول الله صلى
الله عليه وسلم اى الذنب عند الله اكبر فقال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اى
قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم اى قال ان تزانى حليلة جارك
فانزلت هذه الآية تصديقا له ومن يفعل ذلك يلق اثاما الاثام بالفتح جزاء
الاثم فالمضاف محذوف يضاعف له العذاب يوم القيمة للشرك وللذنوب التى
ارتكبها معه لان الكفار متفاوتون فى الدركات كما ان المؤمنين متفاضلون
فى الدرجات قرأ نافع وابو عمرو وحفص وحمزة والكسائى بجزم الفعلين وتخفيف
يضاعف وابن كثير بتشديده وجزمهما وابن عامر وابو بكر برفع الفعلين الا ان
ابن عامر بتشديد الاول دون ابى بكر وجه الحال او الاستيناف والجزم الابدال من يلق
كقول ابن الحر متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ويخلد فيه مهانا
لاستكباره عن اتباع الحق الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات يمحو الله معاصيهم ويثبت مكانها لواحق الطاعات او يجعل اعدادها
فى صحيفة الحسنات بعد محوها من ديوان السيئات وبذا صح رويه مرفوعا عن ابى هريرة
وسلمان فان قلت لم يؤكد الفعل بالمصدر اعنى من عمل صالحا الا فى هذه الآية فكما
بالغ فى رأفته اشار الى العمل الذى يترتب عليه هذا الجزاء ينبغى ان يكون عملا معتدا به فى باب
الصلاح على ما قيل كما تدين تدان وكان الله غفورا رحيما ولذلك بدل السيئات
بالحسنات ومن تاب عن المعاصى وعمل صالحا واتى بالطاعات فانه يتوب الى الله
متابا اى يرجع اليه والى ثوابه اما على تقدير المضاف او على الرجوع اليه كناية عن نيل
ثوابه او فانه يرجع الى الله المتصف بالاسماء الحسنى وصدق الوعد ان الله يحب التوابين
وهو الذى يقبل التوبة عن عباده او متابا مرضيا على ان التنكير للتعظيم فان قلت
ما فايدة هذا التكرير وهل يكون الترغيب باكثر من جعل السيئات حسنات قلت لا تكرير
فان المراد من الاولى جعل اعمال التايب حسنات ومن الثانية بيان جزاء تلك الاعمال
والثواب عليها وقيل الاولى فى حق المشرك التايب وهذه فى المؤمن العاصى اذا تاب
والذين لا يشهدون الزور اى لا يحضرون مجالس الكذب تنزها عن مخالطة اهل الاثم
وصيانة عن الانسلاك فى سلكهم ولان فى ذلك تكثير سوادهم وفيه اغراؤهم على ما هم
فيه وقيل لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما جمع كريم وهو الجامع
لانواع الفضايل وشتات المحاسن واسباب الشرف اى معرضين عنه غير ملتفتين
اليه كقوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقيل اذا سمعوا الشتم من السفهاء صفحوا وتجاوزوا
كقوله ولقد امر على اللئيم يسبنى والذين اذا ذكروا بآيات ربهم بمواعظه وحكمه
لم يخروا عليها صما وعميانا بل اكبوا عليها والقوا اسماعهم على حفظها والاتعاظ بها
باذان واعية وابصار واعية لا كالذين لهم اذان لا يسمعون بها واعين لا يبصرون بها
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين سرورا بان نراهم مقبلين
على طاعتك مسارعين فى اسباب مرضاتك اصل القرة البرودة والمراد بها نهاية
السرور الفرح وذلك ان العين تدمع من غاية السرور دمعا باردا وعن يحيى بن كعب

بن كعب ليس شىء اقر لعين المؤمن من ان يرى اهله واولاده مطيعين لله لان الله سايلهم
عنهم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر و
ذريتنا على التوحيد وهو المحتاج لدلالة على الكثرة بمادته مع خفته ومن اما بيانية او
ابتدائية اى اجعل لنا قرة اعين من جهتهم وانما نكر قرة مبالغة كانه قيل هب لنا منهم
سرورا وفرحا تاما وانما جمع القلة لقلة المؤمنين الموصوفين بتلك الصفات واجعلنا للمتقين
اماما يقتدون بنا لننال بذلك زيادة الاجر فان الدال على الخير له مثل اجر
فاعله والافراد لعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر فى الاصل او التقدير
كل واحد منا او لان المؤمنين كنفس واحدة كما نطق به من لا ينطق عن الهوى اولئك
يجزون الغرفة العلية جمعها غرفات وغرف ووحد لارادة الجنس وعدم اللبس ولقوله
وهم فى الغرفات آمنون انما وهى على قدر الاعمال او التوحيد انما رتب على هذه الاو
صاف الكاملة وهى مضبوطة فالمتصفون بها متحدون فى الجزاء لاتحاد ما عملوا به
بما صبروا بصبرهم ويلقون فيها تحية وسلاما يحييهم الملائكة ويسلموا عليهم او
بعضهم بعضا وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر يلقون من اللقاء اى يصادفون والتشديد
ابلغ فى الاكرام خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما فى مقابلة ساءت مستقرا و
مقاما ومثلها اعرابا قل ما يعبؤا بكم ربى عبأت بالشىء باليت به واعتددت ما استفهامية
فى موضع المصدر والمعنى اى اعتداد يعتد بكم واى وزن ومقدار لكم عنده لولا
دعاؤكم ايمانكم او عبادتكم اى الكمال فى التحلى بالملكات النظرية والتخلى عن الشواغل
وقطع العلاقات بالتوجه الى جناب قدسه فقد كذبتم خطاب لمشركى قريش
خاصة بعد ان خاطب الجنس الشامل لهم ولغيرهم فانتظم الخاتمة مع الفاتحة لان السورة
كانت مصدرة بكذبهم فسوف يكون لزاما عذابا ملازما يوم القيمة وعن مجاهد هو القتل
يوم بدر لوزم بين القتلى لزاما وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خمس قد مضين الدخان
والقمر واللزام والبطشة والروم تمت السورة والحمد لله حق حمده والصلوة على نبيه وعبده

سورة الشعراء مكية وهى مائتان وسبع وعشرون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم طسم
حروف مبسوطة للايقاظ او اسم للسورة قرأ حمزة والكسائى وابو بكر بامالة
الطاء وورش بين بين واظهر السين حمزة اشارة الى ان اصل حروف التهجى عدم التركيب
والوقوف عليها تلك آيات الكتاب المبين الواضح اعجازه والمراد السورة او
القرآن باسره والمشار اليه ما دل عليه الحروف لعلك باخع نفسك
البخاع بالباء عرق فى الصلب متصل بالعنق وهو نهاية الذبح وبالنون دونه
وهو الخيط الابيض ومضى لعل الاشفاق اى اشفق على نفسك ان تقتلها اسفا
على ما فاتك من ايمان قومك وفيه نهاية مدح له قام به من الاجتهاد فى التبليغ
الا يكونوا مؤمنين حيث لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية ملجئة لهم على الايمان
فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين اقحم الاعناق لبيان موضع الخضوع ولما
وصفت باوصاف العقلاء اجريت مجراها فى الجمع بالواو والنون او الاعناق جمع عنق
بمعنى جماعة اى جماعاتهم وفى الحديث لا يزال الناس مختلفة اعناقهم فى طلب الدنيا
وفيه ايضا يخرج من النار عنق اى طايفة او رؤساؤهم والعرب تسمى سادات
الناس اعناقا وما يأتيهم من ذكر وحى يذكرهم من الرحمن محدث انزاله لتجديد
التذكير الا كانوا عنه معرضين الا استمروا على الاعراض فقد كذبوا حين اعرضوا
فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون ما اصابهم يوم بدر او يصيبهم يوم القيمة

واقحام الانباء للدلالة على عظم ما ينزل بهم فان الواقعة اذا عظمت شاعت في الاقطار
والبلدان وسارت باخبارها الركبان فان قلت ذكر مثله في الانعام مصدرا بسوف
وهنا بالسين فما وجه ذلك قلت الوجه والله اعلم ان كلتا السورتين مكيتان فالظاهر
ان اية الانعام سابقة نزولا لان التراخي في سوف اكثر من السين اولم يروا الى الارض
اولم ينظروا الى بدايعها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف من كل صنف
والجمع بين كم وكل لافادة الكثرة اجمالا والاستيعاب تفصيلا فكانه قيل انبتنا
فيها افرادا كثيرة من كل صنف صنف كريم شريف مرضي الصفات اما بسيطا او مركبا
ان في ذلك لاية افراد الاية مع كثرة الازواج الدال عليها كم وكل لانه اريد الانبات
المتعلق بها او باعتبار واحد واحد وما كان اكثرهم مؤمنين مع وضوح الاية لكون
منهم مخلوقين للنار وان ربك لهو العزيز الغالب على كل شيء فينتقم منهم الرحيم
حيث ارسل اليهم رسولا بالايات ولم يعاجلهم بالانتقام بعد التكذيب والانكار
واذ نادى ربك موسى بعد ما بين اعراض قومه وتكذيبهم واستهزاءهم به وبما
جاء به اتبع بقصص الانبيا مع اقوامهم وبما جرى لهم معهم في التكذيب والاستهزاء
وكيف صبروا على اذاهم ثم كان لهم العاقبة وشفا الصدور وقدم قصة موسى
لانه اقرب احوالا من رسول الله وامته اوفر الامم بعد هذه الامة ان ائت القوم
الظالمين فرعون وقومه كانوا مع شركهم قد استعبدوا بني اسرائيل يقتلون
ابناءهم قوم فرعون بدل من القوم او عطف بيان وفيه دلالة على كون
فرعون علما في الظلم والطغيان لان البدل مقصود بالنسبة ودلالته على المعنى
المراد من الكلام اوفى الا يتقون استيناف تعجب به عن تمادي القوم في الظلم
غير ناظرين في عواقب الامور وجعله حالا من ضمير الظالمين لكون انكار عدم التقوى
توبيخا لهم فيفيد انكار الظلم من باب الاولى وان عدم التقوى هو الذي حرضهم
على الظلم حسن الا ان دخول الهمزة على الحال لا يجوز الا توسعا قال رب اني اخاف
ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون يكذبون بعد اداء الرسالة ويضيق صدري
لما يعتريني منهم عند الغرض ولا ينطلق بعد ذلك لساني على المحاجة والمناظرة معهم
مع انهما من ضرورات مدعي الرسالة وكان هذا من كمال عقله اظهر عجزه واحتياجه
الى المؤازر والمعين ليكون ذهابه الى الخصم على يقظة وتوفر عدة واسباب فانى يتصور
منه التعلل بل كان هذا منه عين الطاعة ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون
قصاصا وليس لي على دفعه قدرة وانما اخر خوف القتل ووسط بلية وبين ثالث
العلل فارسل الى هرون لئلا يتوهم من ظاهر كلامه التعلل فان موسى لم يكن في
بسط المقال وسلاطة اللسان مثل هرون فاستعان به مع انه اخوه الشفيق الشفيق عسى
ان يحصل له شرف النبوة اذ معنى فارسل اليه اي بالنبوة والرسالة قال كلا فاذهبا
باياتنا اجابه الى ما سال من ضم اخيه وازال خوفه بقوله كلا اي ارتدع عن ذلك
الوهم وعليه عطف فاذهبا بعد تغليب المخاطب على الغايب انا معكم مستمعون
مقاولة الطرفين والمعية معية الحفظ والكلاءة والنصر وعبر عن السماع بالاستماع الذي
هو الاصغاء والاعتناء بشان المسموع اشارة الى كمال العناية بهم وهو خبر ثان
او هو الخبر ومعكم غير مستقر فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
خصه بالذكر بعد قوله ائت القوم الظالمين دلالة على انه قدوتهم والقوم تبع وانما
افرد الرسول مع كون المخبر عنه اثنين لاتحاد المرسل به او لكونهما اخوين متحدين في
الاخوة او على تقدير كل منا او لانه مصدر وصف به لقوله الا ابلغ ابا عمرو رسولا

رسولا باني عن فتاحتكم غني ان ارسل معنا بني اسرائيل الى بلاد الشام ان
مفسرة لتضمن الارسال معنى القول فان قلت كان مرسلا الى القوم الظالمين
ليدعوهم الى الله وهذا ظاهر في انه انما ارسل لطلب بني اسرائيل قلت الغرض الاصلي
هو دعوتهم وانما ابتدا بالاسهل والقول اللين لئلا يشمئز ويطغى ولذلك ذكر رب
العالمين ليدخل فيهم فرعون فتحمل الاستكبار عن السؤال عنه تجاهلا فيقع المناظرة
على وجه الرفق كما سياتي قال الم نربك فينا وليدا طفلا سمي به لقرب ولادته
ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج
بعد قتل القبطي ولبث في مدين عند شعيب عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله
ثلثين سنة ثم لبث رسولا بعد غرق فرعون خمسين سنة وفعلت فعلتك التي
فعلت يريد قتل القبطي عظم قتله لانه كان من خواصه قيل كان خباز فرعون واسمه
فاتون وانت من الكافرين بنعمتي لان من كان في نعمة شخص يجب عليه توقيره ورعاية
حقوقه او من الكافرين الذين تدعوهم الى الايمان الان او من الكافرين برب العالمين
وذلك افتراء منه اذ الانبيا قبل البعثة معصومون من الكباير وكان غرضه من هذه
المقدمات تبعيده عما هو بصدده بان من يكون ملتبسا بهذه الرذايل كيف يرشح للمراتب
العلية فضلا عن منصب الرسالة قال فعلتها اذا وانا من الضالين عن طريق الصواب
لا لكونه من خواصك بل لها لاقدام قبل الاذن او المخطئين فانه لم يتعمد قتله بل تاديبه فال
وكزة لا القتل او فاعلين فعل اولي الجهل اعتراف منه ففررت منكم لما خفتكم فوهب
لي ربي حكما فان الانبيا حكام على الناس وحكمة وهي علم الشريعة وجعلني
من المرسلين فبطل ما اثبت به وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل تلك مبتدا
ونعمة خبر وتمنها وصف وان عبدت عطف بيان والمعنى تلك الخصلة القبيحة وهي تعبيد بني اسرائيل
نعمة تعدها نعمة علي بانه قد ربيتك وجعلتني مسيئا في مقابلة احسانك واين الاحسان بل انت
المسيء اذ لو لم تفعل ما تفعل من قتل الابناء كنت مربى في اهلي وانما اورد الخطاب في تمنها وجمع
في الاولين لان المنة كانت منه وحده والفرار والخوف منه ومن قومه وعن الفراء ان هذا
الكلام اقرار واعتراف من موسى حيث عبد بني اسرائيل ولم يعبده واراد مكافاته احسانا
بارشاده الى طريق الصواب يقال عبده وتعبده اي اتخذه الناس عبدا قال فرعون وما
رب العالمين لما لم يجد تلك المقدمات اخذ في السؤال عن حقيقة من ارسل تعنتا
لا استرشادا قال رب السموات والارض وما بينهما اشارة الى انه
مباين للممكنات لان موجدها يجب ان يكون واجبا خارجا عنها فلا يمكن تعريفه الا بلوازمه
الخارجية لامتناع تعريفه بنفسه واستحالة الاجزاء لاستلزام التركيب الامكان ان كنتم
موقنين ذوي ايقان تحققون الاشياء مطلعين على احوالها بالادلة قال لمن حوله
الا تستمعون تعجب الملا حوله من قوله لانه ساله بما عن حقيقته واجاب باللوازم قال
ربكم ورب ابائكم الاولين اذ ربما يتوهم قدم السموات والارضين كما هو
مذهب الدهرية وكان فرعون دهريا لقوله تعالى وظنوا انهم الينا لا يرجعون
وانما خلقهم وخلق اباءهم فلا مجال للوهم فيه قال ان رسولكم الذي ارسل
اليكم لمجنون اضافه اليهم لانه نسبه رسولا على وجه التهكم قال رب المشرق و
المغرب وما بينهما من الكائنات موجدها وحافظها ان كنتم تعقلون ان كان
لكم عقل فقد اجبتكم جوابا شافيا لقد سمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن
تنادي قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين الداخلين في
زمرتهم وقد عرفت حالهم قيل كان اذا سجن انسانا القاه في بيوت ذاهبة

في الارض بعيدة العمق لا يرى شيئا ولا يسمع صوتا وهذا دليل على انه علم انه محق دخاف
ان لو امر بسجنه بصبه آفة والافما وجه التوقف اذ لم يكن على فرعون مصيبة اشد من ان
يدعى الى عبادة الغير وهو يقول انا ربكم الاعلى قال اولو جئتك بشيء مبين
واضح الدلالة على صدقي في الواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل اى اتفعل ذلك
ولو جئت على هذه الحال قال فأت به ان كنت من الصادقين في دعواك فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان مبين واضح لا يشتبه على احد انه ثعبان وهي الحية العظيمة
ونزع يده اخرجها من نكه فاذا هي بيضاء للناظرين قيل لما القى عصاه وصارت
ثعبانا قد رميل فاقبلت الى فرعون فاستغاث بموسى فاخذها فعادت عصا فقال
هل من آية غيرها فاخرج له يده فراها على هيأتها ثم ادخلها في جيبه فاخرجها بيضاء
لها شعاع يسد الافاق ويكاد يعشي الابصار وفي ذكر الناظرين دلالة على ان بياضها
كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه قال للملأ حوله مستقرين حوله نصب على
الحال للحال ولفظه نصب بنزع الخافض ان هذا لساحر عليم فائق في سحره يريد ان
يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون طار عقله من الرعب فنزل عن دعوى الالوهية
الى الاسترشاد والاستضاءة بآراء ملائه لعلهم يرشدونه الى الخلاص مما دهاه
قالوا ارجه واخاه اخره ولا تناظره وما فيه من القرآات والوجوه تقدم في
الاعراف وابعث في المدائن في مدائن ملكك حاشرين لك السحرة يأتوك
بكل سحار عليم كامل العلم في فنه فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به
من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة لقوله موعدكم يوم الزينة
وان يحشر الناس ضحى فان قلت المامور به كل سحار عليم والسحرة جمع ساحر فقد
حشروا ما لم يؤمروا به قلت الامر كذلك لئلا يقول لهم لم تأتوني بكل سحار و
قيل للناس هل انتم مجتمعون القائل فرعون او من قبله وهل للاستبطاء والمراد
حثهم على الاجتماع لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين كناية عن عدم اتباع موسى
لانه من لوازم اتباعهم لان من يقول انا ربكم الاعلى كيف يتبع الساحر فلما جاء
السحرة الموعد للمناظرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين موسى
في سحره قال نعم جزاء للشرط لان قولهم أئن لنا لاجرا دال عليه وانكم اذا لمن
المقربين عطف على جزاء الشرط فاذا جواب وجزاء على اصله زادهم على طلبهم
ترغيبا قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اثر ما يحقر ما هم ملقون وليس
الغرض امرهم بالسحر بل التوسل الى الحق فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على انهم غالبون لفرط اعتقادهم لانهم افرغوا جهدهم
في الاتيان باقصى ما يمكن من السحر واليمين بغير الله وصفاته وافعاله ورد النهي
عنه لانه من شعار الجاهلية فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبتلع وقرأ حفص
بالتخفيف ما يأفكون ما يزورونه ويخيلون به الناس اصل الافك صرف الشيء عن
وجهه وصفته التي هو عليها ويجوز ان يكون مصدرية تسمية للمأفوك به افكا مبالغة
فالقي السحرة ساجدين تيقنوا انه من عند الله لانها ابتلعت تلك العصي والحبال
ولم يبق وجرمها وانما اوثر القوا على خروا لذكره بعد الالقاء مشاكلة مع دلالة الا
لقاء على انهم من فرط يقينهم لم يتمالكوا فكانهم طرحوا كرها وفاعل الالقاء هو الله
او هم اى القوا انفسهم قالوا آمنا برب العالمين حال بتقدير قد رب
موسى وهارون بدل من رب العالمين دفعا لتوهم فرعون انه المراد برب العالمين
قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر وهذا نهاية جهله ومن شدة

من شدة جهله اراد التلبيس على الحاضرين والا فالسحرة المتفرقون في النواحي متى تمكنوا
من رؤية موسى والمجالسة فضلا عن التعلم الهمزة الثالثة مقلوبة الفا لكل القراء و
الثانية محققة لحمزة والكسائي وابو بكر مسهلة للباقين على اصولهم فلسوف تعلمون
وخامة ذلك وعيد لهم لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف على التعاكس اليمين
مع الشمال والعكس من اليد والرجل ولاصلبنكم اجمعين ليكونوا زمانا عبرة للنا
ظرين قالوا لا ضير لا ضرر علينا في القطع والقتل والصلب انا الى ربنا منقلبون
بالموت لا محالة فالقتل اهون اسبابه والشهادة اشرف احواله فما هددتنا به مرغوب
لا مرهوب ولا مهروب فكنوا عن الموت بالانقلاب الى ربهم الكريم ولا ترى احسن
منها كناية انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين من زمرة فرعون
او من اهل المشهد فان المسارعة الى الايمان بالرسول بعد دلالة المعجزة من اقوى و
سائل العبد الى الله والتقدير لان كنا وقرئ ان بالكسر اما هضما لانفسهم او بالنظر
الى العاقبة وعدم الثقة او على طريقة المدل بحاله والمتمكن الذي لا يظن خلافه كقوله
تعالى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك
انه طالت مدة دعوته واراهم الآيات ولم يؤثر فيهم امره الله تعالى بالخروج ببني اسرائيل
وقرأ نافع وابن كثير اسر بهمزة الوصل من السرى وهما لغتان انكم متبعون
يتبعكم فرعون وجنوده علة للامر بالاسراء فارسل فرعون في المدائن حاشرين
للعساكر حين اخبر بخروجهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون قائلا هذا الكلام وانما
بالغ في تقليلهم بلفظ الشرذمة وهي الطائفة القليلة ثم وصف الشرذمة بالقلة وانه جمع
القليل الدال على القلة ايضا وكانوا ستمائة وسبعين الفا قطرا الى ما له من الجنود والكثرة
على ما روى ابن عباس انه خرج بالف الف حصان سوى الاناث من الخيل وانهم لنا
لغائظون يفعلون افعالا توجب غيظا من خروجهم بغير الاذن وتركهم طاعته واخذ
هم حلى القبط فانهم استعاروها لعيد لهم ثم ذهبوا ولم يردوها وانا لجميع حاذرون
متأهبون مستعدون وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر في رواية هشام حذرون
على الصفة المشبهة اى خائفون متحذرون والمعنيان يلائمان المقام فاخرجناهم من جنات
وعيون وكنوز ومقام كريم منازلهم العالية حتى صار مثلا ذو الفراعنة و
اورثناها بني اسرائيل ملكناهم ملكا لازما لا يرد كذلك نصب على المصدر اى اخرجناهم
مثل ذلك الاخراج او جر على انه وصف مقام او رفع خبر مبتدأ محذوف فاتبعوهم مشر
قين ادركوهم داخلين في وقت شروق الشمس يقال اتبعت فلانا اذا ادركته بعد ما
سبق فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون لما رأى كل منهما الاخر قالوا
هذا الكلام لموسى خوفا قال كلا اى ارتدعوا عن هذا الكلام ان معي ربي سيهدين
طريق النجاة واذا قابلت قوله هذا بقوله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا ظهر
لك الفرق بين مقاميهما فان قلت قد فسرت اتبعوهم بادركوهم فما معنى ردع موسى
عن القول بالادراك بعد وقوعه قلت المراد بالادراك رؤية بعضهم بعضا وما نفاه
موسى ان يلحقوهم بحيث يصل شرهم اليهم قيل ان مؤمنا من آل فرعون كان بين يدي
موسى عليه السلام فقال ذا البحر امامك وقد غشيك فرعون بجنوده بماذا امرت
قال بالبحر امرت ولعلي اومر بما اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر
بحر القلزم وذلك المكان يسمى سويسا معروف عند اهل مصر لا يختلفون فيه
وتفسيره بنيل مصر فاسد وكيف يتأتى في نهر نيل ما اخبر الله تعالى عنه بقوله فانفلق
فكان كل فرق كالطود العظيم اى الجبل العالي من طاد الشيء اذا ذهب الى الجانب

قاله القاضي

السما صعودا وفي حديث عايشة رضي الله عنها تصف ابا بكر ذاك طود منيف والفا في فانفلق فصيح والانفلاق الانشقاق والفرق الجزء من الشيء كالفلق لفظا ومعنى وازلفنا قربنا ثم الاخرين فرعون وجنوده حتى سلكوا مسالك بني اسرائيل في البحر او قربنا بعض آل فرعون بعضا حتى لا ينجو منهم احد روي ان جبرئيل صلوات الله عليه كان بين بني اسرائيل وبين آل فرعون يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط يقول رويدكم حتى يلحق آخركم واذا اراد الله امرا هيأ اسبابه وانجينا موسى ومن معه اجمعين لا يشذ منهم واحد ثم اغرقنا الاخرين فرعون وجنوده ان في ذلك لآية وآية آية وما كان اكثرهم مؤمنين فان القبط الذين كانوا بمصر بعد ما سمعوا شان فرعون لم يرعهم ذلك ولم يؤمنوا بموسى واما بنو اسرائيل فكما اخبر الله عنهم وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقولهم ارنا الله جهرة واتخاذهم العجل الها وان ربك لهو العزيز الغالب على كل شيء المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم نبا ابراهيم قصة وحديثه مع قومه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سالهم ليعلمهم ان ما يعبدونه لا يصلح للعبادة كما يقول للتاجر ما مالك فيقول الرفيق فتقول الرفيق جمال لا مال قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كان حق الجواب اصناما وانما اطنبوا افتخارا وابتهاجا لم يرضوا بتعفير الجباه للجماد حتى افتخروا به وانما اثر نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار اشهارا لعبادتهم كما يفعل الجهال المراؤن او من اطلاق المقيد على المطلق قال هل يسمعونكم اي دعاءكم حذف لدلالة اذ تدعون عليه او ينفعونكم جزاء لعبادتكم او يضرون من اعرض عن عبادتها قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اعرضوا عن ظاهر الجواب تحاشيا عن الاعتراف بعدم شيء من صفات الالوهية فيها قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون اخبروني عن شان ما استمر على عبادته من تقدم من آبائكم فان تقادم العهد لا يجعل الباطل حقا فانهم عدو لي اي عدو لكم واضاف عداوتها الى نفسه تصويرا للمسئلة في نفسه مبالغة في اظهار النصح وانه لا يرضى لهم الا ما يرضى لنفسه ولانه من باب التعريض والتعريض اكثر جدوى من التصريح وادعى الى القبول حكي ان رجلا واجه الشافعي رحمه الله بمكروه فقال لو كنت بمكانك لاحتجت الى التاديب وراى علي بن سند وكان من المجاورين بمكة ناسا يتحدثون في الحجر فقال هذا ليس بيتي ولا بيتكم ومعنى العداوة ما اشار اليه بقوله سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا افرده لاطلاقه على الجمع كالصديق والظهير الا رب العالمين استثنا متصل لانهم كانوا يشركون ويزعمون انها شفعاء اذ لا يقول احد بان الجماد صانع العالم الذي خلقني فهو يهدين الذي عقب خلقي هدايته المتصلة ابتداؤها هدايته اذ كان جنينا الى امتصاص دم الحيض وانتهاؤها سلوك طريق الجنة والفوز برضوان الله ولذلك اثر الاسمية مع كون الخبر مضارعا والذي هو يطعمني ويسقين اي يكفيني من الطعام والشراب بان خلق في الشهوة والقوى والارادة والعقل الهادي الى ايثار النافع واذا مرضت فهو يشفين من مرضي وفي ايثار اذا على كلما اشارة الى ان مرضي الموت محتوم لا شفاء منه وغير الاسلوب حيث لم يقل واذا امرضني لانه بصدد عد النعم فلم يلائم اسناد الامراض اليه وقيل لان كثيرا من الامراض انما تحدث من تخليط الانسان في المطاعم والمشارب قال فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب فهو من روادفهما والوجه هو الاول والذي يميتني عده في النعم لانه وسيلة لقاء الله تعالى ثم يحيين يوم القيمة والذي اطمع ان يغفر لي

رد على من جعل الاستثنا منقطعا منه

يغفر لي خطيئتي يوم الدين قاله ضعا وهضما لنفسه كقوله ان لي ثلث كذبات ولم يكذب قط بل كانت معاريض او هي ترك الاولى والافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين فان قلت لم اتى بضمير الفصل في الافعال الثلث الاولى ولم يات به في الاخرين حيث لم يقل يميتني ثم هو يحييني واطمع ان يغفر لي هو خطيئتي قلت لان الاسباب الظاهرية لها دخل في تلك الافعال فدفع بضمير الفصل كون تلك الاسباب اسبابا مؤثرة بخلاف الاحياء بعد الموت ومغفرة الخطيئة يوم الدين اذ لا يتصور هناك سوى قدرته وارادته تعالى رب هب لي حكما علما احكم به بين الناس او مواعظ وامثالا انفع بها الناس وفي الحديث الصمت حكم وقليل فاعله ومنه الخلافة في قريش والحكم في الانصار يريد العلم والفقه فان اكثر فقهاء الصحابة منهم والحقني بالصالحين اي وفقني لعمل انتظم به معهم او احشرني في زمرتهم ولقد اجابه الله تعالى فقال وانه في الآخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في الاخرين اي ذكرا حسنا وثناء جميلا وقد اجيب الى ذلك لا ترى احدا من اهل الملل الا وهو ينتسب اليه فان قلت ما نفعه في هذا ولم طلبه وهل هذا الا طلب الشهرة والاتقياء منزهون عن ذلك فضلا عن جلة الانبياء قلت انما سال ذلك ليقتدي بسيرته السامعون الى آخر الدهر فانه اذا اثني عليه بمحاسن اخلاقه وكريم صفاته كان ذلك باعثا للسامعين على طلب اكتساب امثالها وقيل اراد من يدعو الى دينه صادقا في اقواله وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم واجعلني من ورثة جنة النعيم داخلا في زمرتهم واغفر لابي انه كان من الضالين طريق الحق دعا له لانه كان وعده ان يستغفر له بقوله لاستغفرن لك قال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه والقول بان هذا الدعا ان كان بعد موته فلعل ابراهيم كان يظن ان اباه مؤمن وانما يخفي ايمانه تقية من نمرود بعيد عن الصواب دل عليه منا ظرته كما تقدم في سورة مريم ولو كان كذلك لحكي كما حكي ساير احواله ولا تخزني يوم يبعثون من الخزي وهو الهوان والذل او من الخزاية وهو الخجل والحيا وقد روى البخاري ان ابراهيم يرى اباه في النار فيقول يا رب انك وعدتني الا تخزني واي خزي اعظم من ان يكون ابي في النار فيقول الله يا ابراهيم اني حرمت الجنة على الكافرين ثم ينظر اليه فيراه في صورة ضبع قد مسخ فيعرض عنه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم خالص عن الشرك وساير الرذايل والمعنى لا ينفعان الا من قبل بهذه الصفة او لا ينفعان الا من هذا شانه حيث انفق ماله في مرضاة الله وارشد بنيه الى طريق الحق وقيل الاستثنا من الكلام بحسب المعنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من قبل بهذه الصفة كما ورد في الحديث انما الغنى غنى القلب والاستثنا منقطع اي لكن من اتى الله بقلب سليم تنفعه سلامة قلبه ولا حاجة الى تقدير المضاف قبل من لان وصف القلب بالسلامة يعني عنه وعن الجنيد شيخ الطائفة ان السليم هو اللديغ بالحب فلا قرار له وعن التستري هو السالم عن ذكر غير الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين في ذلك اليوم وهم بعد في عرصة القيمة تعجيلا للسرور لهم وبرزت الجحيم للغاوين جعلت مكشوفة لهم يرونها والتخصيص بالغاوين لان المؤمنين لا يرونها لان نفس رؤيتها مما يكدر ويسوء ولم يصفها بالقرب كما وصف الجنة لان قربها يؤذي اهل المحشر من المؤمنين لما في الحديث من ان ريحها ونتنها يسري مائة عام وقيل اشارة الى غلبة رحمته وسبقها غضبه وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله فان هذا وقت نفع العبادة سؤال توبيخ هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم استفهام انكار تقريع لهم فكبكبوا فيها هم والغاوون اي الالهة ومن

قايل القاضي

عبدها والكبكبة القاء الشيء على وجهه معكوسا والكبكبة تكرير كبت جعل التكرير في اللفظ
دليلا على تكرير المعنى وتكثيره فانه اذا القي فيها انكب مرة بعد اخرى هكذا الى ان يصل الى
قعرها فان طبقتها السفلى للمشركين وجنود ابليس اجمعون من اتبع من الانس
والجن لقوله لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم قالوا وهم فيها يختصمون تالله
ان كنا لفي ضلال مبين واضح بعبادة غير الله والضمير في يختصمون للعبدة اي
يخاصم الاتباع الرؤساء لقوله واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا
انا كنا لكم تبعا او لهم ولمن عبدوه من الاصنام لقوله اذ نسويكم برب العالمين
فان الخطاب لها وما اضلنا الا المجرمون الكاملون في الاجرام وهم الرؤسا
الذين دعوهم فما لنا من شافعين كما للمؤمنين يشفع لهم الانبيا والملائكة
والعلما والاتقيا والاصدقا ولا صديق حميم رؤوف شفوق من الاحتمام وهو
كالاهتمام لفظا ومعنى الا انه ابلغ منه او من الحامة وهي خاصة الانسان وفي الحديث
انه قال صلى الله عليه وسلم اللهم هؤلاء اهل بيتي وحامتي اذهب عنهم الرجس
وانما جمع الشفيع دون الصديق لكثرة الشفعا وقلة الصديق قال الصاد الصديق و
كاف الكيميا معا لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا او لانه يطلق على الجمع كالواحد
مثل العدو والظهير فلو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا لو في مثله للتمني لان
في كل واحد منهما تقدير غير الواقع واقعا فلذلك يصح ان يجوز فنكون من المؤمنين
جواب التمني ان في ذلك لاية اي فيما ذكر من مقال ابرهيم فان العاقل يتعظ
بها ويتبصر وما كان اكثرهم مؤمنين لعدم التدبر وان ربك لهو العزيز
الغالب الرحيم بارسال الرسل كذبت قوم نوح المرسلين القوم من اسما الجموع
يطلق على الرجال خاصة ففيه تغليب وتانيث الفعل باعتبار معنى الجمعية ويقال في
تصغيره قويم بالتذكير والمراد بالرسل نوح كقولهم فلان يركب الخيل او هو وساير
من معه من المؤمنين او لان من كذب رسولا فقد كذب الجميع لاتحاد دعوتهم واشتراك
برهانهم اذ قال لهم اخوهم نوح سماه اخا لاتصال نسبه بهم كقول العرب يا اخا بني
فلان لواحد منهم الا تتقون الشرك وعبادة الاوثان اني لكم رسول امين كان
مشهورا بينهم بالامانة فاتقوا الله واطيعون في التوحيد وما اسئلكم عليه على اداء الرسالة من اجر
حتى اتهم ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتوكيد والتقرير في
نفوسهم كما هو شان الناصح الشفوق وفي الحديث كان رسول الله اذا تكلم بكلام اعاده
ثلثا ولانه علق الاول بكونه امينا والثاني بحسم طمعه قالوا انؤمن لك واتبعك
الارذلون اي الفقراء الذين لا مال لهم ولا جاه وهذا كما قال المشركون لرسول الله
يا محمد ما نرى معك الا العبد والرعاة قال وما علمي بما كانوا يعملون واي علم
لي بما كانوا يعملون لاجله فهم من كلامهم انهم يطعنون في ايمانهم بانهم امنوا
لغرض دنيوي فاجاب بانه انما يطلب الايمان بناء على الظاهر ان حسابهم الا
على ربي فهو المطلع على الضماير ويجوز ان يكون حمل الرذالة في قولهم على الرذالة في
الدين وان لم يقصد وهذا اشارة الى ان الرذالة المعتد بها رذالة الدين لو تشعرون
لعلمتم ذلك وما انا بطارد المؤمنين دفع لما اوهم كلامهم وايثار المظهر موضع
المضمر ايما الى ان وصف الايمان ينافي الطرد ان انا الا نذير مبين ما علي الا انذاركم
او لم تؤمنوا او ما علي ان كان ايمانهم لغرض قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من
من المرجومين بالحجارة او الشتم وهذا داب الجاهل المحجوج قال رب ان قومي كذبون
فيما ارسلتني به لم يدع الله لما اصابه من اذاهم بل لتكذيبهم فافتح بيني وبينهم فتحا احكم

احكم بيننا باظهار الحق واذهاب الباطل من الفتاحة وهي الحكومة لان الحاكم يفتح المشكل في
الدين وما استغلق على الناس ونجني ومن معي من المؤمنين من اذاهم او من العذاب
الذي يرسل عليهم فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملوء من الناس وساير
الحيوانات التي حملها نوح معه ثم اغرقنا بعد بعد انجائه الباقين وهم الكفار
ان في ذلك لاية شاعت وتواترت ولا قصة اشهر من طوفان نوح وما كان اكثرهم مؤمنين
بل اقلهم وهم ثمانون نفسا وان ربك لهو العزيز الغالب الذي لا يغالب
الرحيم بعباده حيث لا يعاجل بالعقوبة كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة
وهو في الاصل اسم رجل اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع اية
علامة والريع المكان المرتفع وعن عمارة هو الجبل اسم جنس واحده ريعة والجمع رياع
وهو الطريق ايضا ومنه قول المسيب بن علس في الطعن بلوح كانه سحل تعبثون
عابثين بالمارة لا غرض لكم سواه وقيل يبنون ابراج الحمام وقيل كانوا عارفين بعلم
النجوم يهتدون بها في اسفارهم وكانوا يبنون تلك الاعلام الطوال عبثا و
تتخذون مصانع المباني والقصور العالية وقيل مواضع الماء الحاصل من المطر جمع
مصنعة لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا او حالكم حال من يخلد واذا
بطشتم اخذتم بالعنف بطشتم جبارين قاتلين على الغضب والجبار من يقتل
اذا غضب فاتقوا الله واطيعون فيما ادعوكم اليه من الايمان وترك القبايح
واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون بالغ في
التبليغ انكر عليهم عدم تقواهم بحسب الفطرة ومقتضى العقل ثم ذكر انه رسول من الله
صادق امين فامرهم بالتقوى صريحا وبين ان فعله ليس لغرض يتعلق بالدنيا ثم ذكر
لهم ما هم فيه من القبايح وامرهم ثانيا بتقوى الله وطاعته ثم امرهم بالتقوى ثالثا
وعلقه بالموصول الدال صلته على ان من يطلب منهم تقواه ممد لهم نعما متوالية علمهم
محيط بها لا يجهلون شيئا منها ثم فصل ذلك المجمل مبالغة في الوعظ والنصح ثم اشار
بقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم الى انهم ان لم يمتثلوا ما امرهم به يلحقهم
عذاب لا يوصف ولما كان ممن طبع على قلوبهم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم
تكن من الواعظين فان وعظك وعدمه عندنا سيان غير الاسلوب في النفي
لانه ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق الاولين اي ما هذا الذي
جئتنا به من الاكاذيب الا عادة امثالك من الماضين او ما هذا الذي نحن عليه من
الدين والموت الا عادة السالفين واباءنا الاولين وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي
بفتح الخاء وسكون اللام اي ما هذا الذي جئتنا به الا كذب اختلقه الاولون من اساطيرهم
او ما خلقنا الا كخلق الاولين اخره الموت ولا بعث وما نحن بمعذبين في الدنيا
او في الاخرة فكذبوه فاهلكناهم بسبب تكذيبهم ان في ذلك لاية واية
بين كيفية هلاكهم في موضع اخر وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم
عليه على اداء الرسالة من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون في ما ههنا امنين
انكار لبقائهم على تلك الحال او تذكير للنعمة قبل فوت او ان الشكر عليها في جنات و
عيون وزروع ونخل طلعها هضيم تفصيل بعد الاجمال كما في قصة هود
افرد النخل لمزيد فضله او اراد وصف طلعه وهو ما يطلع منه على مثال نصل السيف
ثم ينشق فيخرج منه ثمره وهو الجمار الذي جاء في الحديث ان رسول الله اتي بجمار وهضيم

ان في ذلك لاية

في الاول يدفعها او يخفظها نصف اول
الضعف من اليهود تبع ساير
في بين التراب
منه

من الهضم وهو الكسر كانه يتكسر من ترائه وهو من احسن الفواكه عند العرب وعن ابن عباس هضيم يانع كانه قيل ونخل قد ارطب ثمره وطاب وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين رد على البيضاوي
حاذقين من الفراهة وهي الحذق او اشرين بطرين وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو فرهين على الصفة المشبهة والمد ابلغ لدلالته على تجدد الاشر والنظر ساعة فساعة فاتقوا الله واطيعون
كرره للتاكيد ولا تطيعوا امر المسرفين اوقع الاطاعة على الامر وهي للامر لما بينهما من التلبيس او استعيرت الاطاعة للامتثال لما بينهما من الشبه الذين يفسدون في
الارض مستمرون على الافساد ولا يصلحون ولا يوجد منهم اصلاح قط كساير المفسدين يخلطون بالافساد اصلاحا قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى
غلب على عقلهم ما انت الا بشر مثلنا اي تنزلنا عن كونك مسحورا الست بشرا مثلنا اني لك رتبة الرسالة فات باية ان كنت من الصادقين في دعواك قال
هذه ناقة اختصر القصص لان الغرض تسلية رسول الله وهو قد احاط بها علما في مواضع اخر فاكتفى بطرفيها لها شرب حظ من الماء كالقيت من القوت والسقي من السقي
ولكم شرب يوم معلوم فلا تتجاوزوه ولا تمسوها بسوء فضلا عن القتل والضرب فياخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم العذاب الواقع فيه على
طريقة المجاز الحكمي حتى كان شدة العذاب سرت الى الوقت فعقروها اسند العقر اليهم والعاقر واحد وهو قدار لرضى الكل به روي انه لم يعقرها حتى داروا على المخدرات
فرضين كلهن بذلك فاصبحوا نادمين على فعلهم خوفا من العذاب لا تصديقا لقول صالح والا لنجوا كما نجا قوم يونس او ندموا بعد فوات الوقت وهو ابان اليأس
فاخذهم العذاب صيحة جبريل ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قيل انما لم يصب قريشا ما اصاب تلك الامم ببركة من
امن منهم اسنده الى الاكثر بقوله وما كان اكثرهم مؤمنين وفيه ان رسول الله حين خرج من بينهم لم يكن امن من قريش الا قليل بل انما لم يصبهم ما اصاب اولئك لعدم
اتيانه باياتهم المقترحة كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين
الجار والمجرور حال من الذكران والمراد بالعالمين الناس لان الذكران منهم خاصة فالجمع بالواو والنون على اصله وخروج الملك والجن بقرينة العقل او
متعلق بتاتون فالمعنى كل من يتاتى منه الاتيان من ساير الحيوانات والجمع بالواو والنون للتغليب وخروج غير الاناث بتلك القرينة وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم
من اما بيان لما واريد به جنس الاناث او تبعيض ويراد بما خلق المحل المباح منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا ياتون من نسائهم في غير موضع الحرث بل انتم قوم
عادون متجاوزون الحد في انواع المعاصي وهذا الجريمة من ذاك او انتم احقا بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه العظيمة وهذا اوجه لدلالته على ان هذه الجريمة
كل العظايم ولذلك لم يلاحظ متعلق العدوان قالوا لئن لم تنته يا لوط عن مقالتك لتكونن من المخرجين من بيننا هددوه بالاخراج لان
مفارقة الوطن من اشد العذاب قال اني لعملكم من القالين من المبغضين اشد البغض فلا ابالي بالخروج من بينكم وهذا ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لدلالته
على انه داخل في زمرتهم معدود من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون من شوم عملهم فنجيناه واهله اجمعين حكمنا بنجاتهم الا عجوزا في الغابرين
الباقين في العذاب وهي امراته مستثناة من الاهل لشموله اياها ثم دمرنا الاخرين اهلكنا

قاله القاضي

اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا هي الحجارة لقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فان قلت اهلاكهم كان بقلب القرية عليهم كما تقدم من قوله عاليها سافلها فما فائدة
الامطار عليهم قلت اظهار القهر وشدة الغضب كما اهلكت عاد بالريح مع الصيحة وعن قتادة امطر الله الحجارة على شذاذ القوم ولا ينافي الامطار على الحاضرين لقوله و
امطرنا عليها حجارة فان الضمير للقرية فساء مطر المنذرين مطرهم فالمخصوص محذوف واللام في المنذرين للجنس ليصح وقوع ما اضيف اليه فاعل ساء ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين بل اقلهم وهم الذين مع لوط وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة الغيظة التي فيها ناعم الشجر الملتف وقرا نافع
وابن كثير وابن عامر ليكة على وزن ليلة وهما لغتان كمكة وبكة كذا عن ابن عباس والخليل فمن قال ان ليكة اسم لا يعرف انما شهد على النفي قال ابو عبيدة رسمت هنا وفي سورة ص ليكة
في الامام وفي الحجر وق الايكة وهم طايفة من اهل مدين ضاقت بهم البلد فخرج منها ارباب الاموال والمكنة الى ايكة هناك وبنوا بين تلك الاشجار وما قيل ان شعيبا ارسل الى
اهل مدين وهم قومه واهل الايكة ولم يكونوا قومه ولذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم فقد وهم كيف وفي الحديث انما كان يبعث النبي الى
قومه وبعثت الى الاحمر والاسود فان قلت لم لم يذكر باسم الاخ كما في ساير قصص الانبياء قلت كثر في هذه السورة ذكر الاخ وكانت قصة شعيب اخر القصص فحذف لذلك و
ليكون فيه اشارة الى ان القصص قد تمت وقد رمز الى ذلك بحذف التاء في كذب ايضا وهذا من غوامض اسرار القران واختصاراته اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اوفوا الكيل اذا كلتم للناس تموه ولا تكونوا من المخسرين حقوقهم بالتطفيف
تصريح بما علم ضمنا ولم يذكر الزيادة لانها غير واجبة ولا محرمة بل من الجميل فان فعلها والا فلا عيب وزنوا بالقسطاس المستقيم الميزان السوي عن الحسن هو
القبان والمفظ ان كان روميا كما قيل فالوزن فعلال والا فمن القسط وهو العدل فالسين زايدة بالاشتقاق والوزن فعلاس وليس من التضعيف والالحاق وزنه فعلال
وقرا حمزة والكسايي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم لا ينقصوها من بخست الشيء نقصته وهو عام في كل حق يهضم غصبا وسرقة وغيرهما ولا تعثوا في الارض
لا تفسدوا فيها بالقتل والغارة وقطع الطريق مفسدين حال مؤكدة واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين الخليقة الاولين مصدر بمعنى المفعول من جبل الله خلقه ذكره
لتوكيد الاستحقاق للتقوى لانه خلق الاولين الذين هم اصولهم واباؤهم وسميت هؤلاء كامات اولئك قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخل الواو بين
الوصفين للدلالة على منافاة كل منهما الرسالة استقلالا لا جلالا في قصة ثمود مع صالح وتكذيب قوم شعيب ابلغ واقوى من اولئك وان نظنك لمن الكاذبين في
دعواك فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين هذا غاية انكار منهم كما قالت كفار قريش ان كان هذا الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السماء وقرا حفص كسفا بالتحريك والباقون بالاسكان وكلاهما جمع كسفة وهي القطعة قال ربي اعلم بما تعملون فيجازيكم على وفق ذلك باسقاط الكسف
او غيره فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة قيل اخذهم بالحر الشديد و
منع عنهم الهواء البارد حتى قلقوا وخرجوا الى الفضاء فاظلتهم سحابة فوجدوا البرد و
الروح منها فامطرت عليهم نارا وكان ذلك اشد لمجيء العذاب من مظنة الرحمة

قاله صاحب الكشاف

كما فعل في قوم هود فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل
هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم انه كان عذاب يوم عظيم وصف اليوم
بالعظم لعظم الواقع فيه على طريق المجاز ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم كرر في اوايل القصص واواخرها ما كرر لانها تليت على الصم البكم
الذين لا يعقلون فالاجدر التكثير والتكرير بالوعظ والتذكير ازاحة للاعذار واشاعة
للابلاغ والانذار وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك خص
القلب لانه داعا العلوم ومدرك المعقولات والروح الامين جبريل لانه واسطة
بين الله وبين الرسل في تبليغ الاحكام وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو نزل مشددا
مسندا الى ضمير الله والروح الامين منصوبا لتكون من المنذرين داخلا في زمرتهم
بلسان عربي مبين واضح لئلا يقولوا لولا فصلت اياته أعجمي وعربي
متعلق بنزل وقيل يجوز تعلقه بالمنذرين بناء على ما قيل ان هودا وصالحا وشعيبا و
اسمعيل من العرب وهذا لو فرض صحته معنى ركيك وانه اي القران لفي زبر الاولين
اي ذكره او معناه وقد يستدل به لابي حنيفة ان القران هو المعنى دون النظم ولذلك
جوز القراءة بالفارسية والتحقيق ان المنزل هو النظم المنزل للاعجاز ولذلك صح
رجوع الامام الى قول الجمهور اولم يكن لهم اية ان يعلمه اي القران علماء بني
اسرائيل نعته في كتبهم وكانت كفار قريش يسألون اهل الكتاب عن احوال
رسول الله والمراد عبد الله بن سلام واضرابه ممن امن لا من حرف الكلم من بعد
مواضعه وقرا ابن عامر تكن مونثا ورفع آية على ان كان تامة وآية فاعلها وان
يعلمه بدل من الفاعل او خبر مقدرا والتقدير هي علم علماء بني اسرائيل او بان يعلمه اولان او ناقصة
واسمها ضمير القصة وآية ان يعلمه اسميته مقدما الخبر خبرها او الخبر لهم آية وان يعلمه على الوجوه
الثلث او هو من قبيل مزاجها عسل وماء وفيه ضعف والاولى التذكير والنصب لعدم الاضمار
والتقدير ولو نزلناه على بعض الاعجمين اي القران كما هو او بلغة العجم والعجمة لغة
اللكنة ولما كان من يتكلم بغير لسان العرب لا يفقهون كلامه سموه عجما والاعجمين جمع
اعجمي بتخفيف الياء لا اعجم لان افعل فعلاء لا يجمع بالواو والنون كذا نقل عن الزجاج و
الحق ان اللفظ منقول فلا مانع فقراه عليهم ما كانوا به مومنين لعدم فهمهم او
لفرط عنادهم واستنكافهم كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ادخلناه
اي الكفر والتكذيب دل عليه ما كانوا به مومنين او القران عرفوه باعجازه وانكروه
يؤيده قوله لا يومنون به اي بالقران حتى يروا العذاب الاليم حين
لا ينفع الايمان فان قلت لم اثر في سورة الحجر نسلكه بلفظ المضارع قلت لانه فرع
على قوله ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن الدال على استمرار الايمم المكذبة
على الاستهزاء والكلام ههنا في كفار قريش المختوم على قلوبهم فياتيهم بغتة
في الدنيا او في الاخرة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون تاسفا
على مقدار طرفة عين لما هم فيه اليوم والفاء للترتيب الرتبي فان مفاجاة العذاب
اشد من رؤيته افبعذابنا يستعجلون رد لقولهم امطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم الهمزة للانكار والفاء لترتبه على الكلام السابق والمعنى
ايستعجل بمثل هذا العذاب عاقل او يقال لهم يوم القيمة توبيخا لهم حكى لنا لطفا
والمضارع على هذا بمعنى الماضي واوثر لاستحضار تلك الصورة او يقدر كانوا ثم قال
افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما
كانوا يمتعون مرتبا على الاستهزاء والاستعجال تعجبا من حالهم وهذا كما يقول

كما يقول لمن اغتر بكثرة العشاير والاموال هب انك بلغت فوق ما تامل اليس بعده الموت
والخطاب عام اشارة الى ان هذه القصة من حقها ان يخبر بها كل احد ليتعجب منها كل سامع و
على الاول متعلق بقوله هل نحن منظرون وقوله افبعذابنا يستعجلون معترض للتبكيت
وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون من الانبياء والرسل ذكرى نصب
على المصدر بمعنى تذكرة لان ذكر وانذر متقاربان او مفعول له اي لاجل الموعظة
او حال من ضمير منذرون اي تذكرة او رفع خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه ذكرى
والجملة اعتراضية او صفة لمنذرون اما او بتقدير مضاف اي ذوو ذكرى او جعلوا نفس
الذكرى لمبالغتهم في التذكير وامعانهم فيه او متعلق بمقدار والمعنى ما اهلكنا من
قرية الا بعد الزام الحجة ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لمن يفعل مثل فعلهم وهذا
اليق بالمقام لدلالته على وعيد المستهزئين وانهم احقا بان يجعلوا عبرة لمن بعدهم
وما كنا ظالمين بان نهلك قبل الانذار وهذا على المتعارف اذ لا يتصور الظلم
من المالك الموجد تعالى وما تنزلت به الشياطين كما يزعم الكفار انه من
القاء الشياطين الى الكهان وما ينبغي لهم لسفالة محلهم وما يستطيعون
وما يقدرون على ذلك انهم عن السمع لمعزولون كانوا يسترقون السمع الى
الملائكة وياخذون منهم الاخبار ويلقونها الى الكهنة فلما بعث رسول الله حجبوا و
رجموا وهذا ما قالوا انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا
فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين الخطاب له والمراد غيره
فان شان الملوك خطاب الخواص بما لا يتصور وقوعه منهم مبالغة في زجر العامة
او هو من باب الالهاب لازدياد الاخلاص وانذر عشيرتك الاقربين
الاقرب فالاقرب ليكون تبليغه بعد ذلك في الابعد انجع ولان عشيرته ربما
اعتمدوا على قرابته فقطع دابر شبهتهم روى البخاري عن ابن عباس انها لما نزلت
صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عبد
مناف لبطون من قريش وكان الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر
ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال رسول الله ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد
ان تغير عليكم انتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين
يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت
يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب واخفض جناحك لمن اتبعك
من المومنين خفض الجناح مثل في التواضع ولين الجانب فان الطاير عند الانحطاط
يكسر جناحه من بيانية لان من اتبع اعم من المومنين ومن اتبع لغرض اخر او تبعيضية والمراد
بالمومنين المشارفون والمصدقون والقلب لا المومنون باللسان دون القلب فان
عصوك عشيرتك والمومنون فقل اني بريء مما تعملون من عملكم لم يقل منكم
اشارة الى ان المجانبة عارضة بخلاف قول ابليس اني بريء منكم لان المباينة ذاتية و
العداوة صلبية وتوكل على العزيز الرحيم فوض امرك الى من هو غالب لا يغالب
يقهر اعداءك وينصرك واولياءك وقرا نافع وابن عامر بالفاء عطفا على جزاء الشرط
او على قوله فلا تدع او بدل من جواب الشرط والواو اظهر وعليه الرسم العراقي والمكي
وعلى الفاء المدني والشامي الذي يراك حين تقوم للتهجد وتقلبك في الساجدين
لما نسخ قيام الليل طاف تلك الليلة على بيوت اصحابه لينظر ماذا يصنعون حرصا على
طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير ما بين تال ومصل وذاكر وقيل اراد قيامه وقعوده
وسجوده اذا امّهم في الصلوة روى ان قتادة سال ابا حنيفة رحمه الله هل تجد في القران

ذكر الصلوة جماعة فقال لم يحضرني فقرأ عليه قتادة هذه الآية وقيل اراد انتقال نوره
في اصلاب الانبياء وبطون الامهات الطاهرة وعلى الوجوه علل لاستحقاقه فهو اعداية
انصاره وليائه انه هو السميع لاقوالك العليم بنيتك واخلاصك هل انبئكم على
على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم كثير الكذب والعصيان كالكهنة والمتنبئة
مثل شق وسطيح وطليحة ومسيلمة ومحمد نبي معصوم لامناسبة بينه وبين الشياطين
يلقون السمع واكثرهم كاذبون اي يستمع الشياطين الى الملائكة كما
ورد يخطف كلمة فيقرها في اذان وليه كما تقر الدجاجة فيخلط وليه فيها اكثر من مائة
كذبة او يلقون المسموع الى اوليائهم او الضماير لكل افاك اي يستمعون الى الشياطين
فيتلقون وحيهم او يلقون ماسمعوه منهم الى الناس والضمير في اكثرهم ان كان للشيا
طين فقيد الاكثرية لاخراج من يصدق في الكلمة المخطوفة وان كان للافاك فلانه لا
يلزم ان يكون كاذبا في كل مايتكلم به فالاكثر باعتبار اقوالهم وقيل اريد بالاكثر
الكل ومحل يلقون اما نصب على الحال او جر صفة افاك او استيناف كانه قيل لم تنزل
الشياطين على كل افاك فقيل يفعلون كيت وكيت والشعراء يتبعهم الغاوون
ما يتبعهم الا الضالون واتباع محمد علما صديقون فكيف يكون شاعرا كما تزعمون
الم تر انهم في كل واد يهيمون في كل نوع من الكلام مدحا وذما او نسيبا او
غزلا يلفقون تخيلات باطلة والكاذيب صريحة فذكر الوادي والهيام تمثيل وانهم
يقولون ما لا يفعلون سمع سليمان بن عبد الملك قول الفرزدق وبتن بجانبي مصرعات
وبت افض اغلاق الختام قال يا فرزدق وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درأ الله
عني بقوله انهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا
استثنا الشعراء المؤمنين كحسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الانصاري وكعب
زهير المهاجري وفي صفتهم بذكر الله كثيرا اشارة الى انهم وان وقع منهم في اشعارهم
شيء من الغلو على ما هو داب الشعر فغير مواخذ به لكونه مغمورا بذكر الله وانتصروا من بعد
ما ظلموا كما فعل شعراء الصحابة حين هجا كفار قريش رسول الله فقابلوهم بالهجاء ومدح رسول
الله بما هو اهله روى البخاري ومسلم والترمذي عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يويد حسان بروح القدس ما نافح عن رسوله وسيعلم
الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون وعيد شديد لمن القى السمع وهو شهيد واطلق
الظلم ليتناول كل ظلم ويدخل فيه من كذب بالقران واعرض عنه وهو الذي صدر
السورة فانتظم الفاتحة مع الخاتمة وفي ابهام اي منقلب من التهويل ما لا يخفى ولما ايس
الصديق من الحيوة استكتب عثمان بن عفان كتاب العهد هذا ما عهد ابن ابي قحافة
الى المؤمنين في الحال التي يؤمن فيها الكافر اني استخلف عليكم عمر بن الخطاب فان عدل
فذلك ظني به وان لم يعدل فسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تمت السورة والحمد لله على الاية

سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون ايات بسم الله الرحمن الرحيم

طس اسم السورة او حروف مقطعة عددت ايقاظا واما الالف طاحمزة والكسائي
وابو بكر تلك ايات القران وكتاب مبين تلك اشارة الى اي السورة و
الكتاب المبين اما اللوح وابانته كونه مبينا للناظرين ما خط فيه او ظاهرا لهم فيه
ذلك واما السورة او القران وابانتهما اظهارهما ما اودع فيهما من الحكم والاحكام او
كون اعجازهما بينا مكشوفا وفيه احتمالات اخر ذكرت في اول الحجر والعطفان
اريد به القران باعتبار الصفات والتنكير للتفخيم وتقديم القران هنا وتاخيره في
سورة الحجر قد اشير الى وجهه هناك هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الايات

من الايات اي هادية ومبشرة والعامل معنى الاشارة او رفعا على خبره محذوف
او البدلية والخبرية بعد الخبر الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة اي الذين
يعملون الصالحات كلها اكتفاء بالاعمال البدنية والمالية وهم بالاخرة هم يوقنون
اعتراض توكيدا وصفوا به الايقان بالاخرة يستلزم الخوف المستلزم لتحمل مشاق
التكليف ولذلك كرر فيها الضمير كانه قيل بالاخرة يوقنون لا بغيرها وهم الموقنون
لا غيرهم او هو من تمة الصلة وتغير النظم للدلالة على كمال يقينهم والواو عاطفة لا
حالية ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم اتبع بالمؤمنين
من البشرى بما للكفار من سوء العذاب وتزيينها جعلها مشتهاة لهم وقول زين
لهم الشيطان اعمالهم مجاز باعتبار الوسوسة فهم يعمهون حايرون بعد ذلك لا يدركون
ما فيها من الضر والنفع اولئك الذين لهم سوء العذاب في الدنيا بالقتل
والاسر وضرب الجزية وهم في الاخرة هم الاخسرون لانهم خسروا جوار الله
في دار النعيم وقرنوا مع الشياطين في النار وانك لتلقى القران من لدن حكيم
عليم لتعطاه من تلقته الشيء اخذته وذكر العليم بعد الحكيم تعميم بعد التخصيص
اشارة الى اشتمال القران على البراهين والخطابات والتنكير للتعميم كانه قيل اي حكيم و
اي عليم اذ قال موسى لاهله امكثوا نصب باذكر او متعلق بعليم كانه قال بما اعلم
اذ فعل بموسى ما فعل وما يتوهم من تقييد العلم بالوقت مندفع لانه مفهوم اللقب
وانما جمع الضمير في امكثوا باعتبار لفظ الاهل اذ لم يكن مع موسى سوى امرأته
اني انست نارا ابصرتها سأتيكم منها بخبر من حال الطريق واتيان السين
لان النار بالليل وان ترى قريبة ربما كانت بعيدة او اتيكم بشهاب
مشتعلة من النار قبس مقبوسة يقال اقبست العلم وقبست النار فزاد الكو
فيون بالتنوين بدلا او وصف لعلكم تصطلون تستدفئون بها فانها كانت
ليلة شاتية من صلبت اللحم شويته ولا تدافع بين قوله ساتيكم هنا ولعلي اتيكم في
طه لان الراجي اذا قوي رجاؤه يقول سافعل او ذلك باعتبار الوقتين ولعطفه
على الواو وبناء على انه ان لم يظفر بكلنا البغيتين فلم يعدم احدهما ولم يخطر
بقلبه انه فايز بهما دونه كل الاماني من رتبة الرسالة فلما جاءها اي المكان القريب
منها نودي ان بورك من في النار اي في البقعة التي فيها النار وهم موسى
والملائكة الحاضرون ومن حولها ومن سكن حولها في الارض المقدسة يتناول
فانه يسكن بالشام وفي الحديث الشام كنز الله في ارضه وبها كنزه من عباده
وقيل من في النار الملائكة فانها كانت في نفس النار ومن حولها موسى والاول
هو الوجه لان تصدير الكلام به عند مجيء موسى بشارة بانه قضي امر عظيم
ينتشر بركته وسبحان الله رب العالمين من تمام النداء تنزيها له تعالى
عن التشبيه الموهم من ايجاد الصوت والحروف وتعجيبا لموسى من ذلك
وايذانا بان المقضي له من جلايل الامور وعظايمها لانه اثر تكوين رب العالمين
وجعل من كلام موسى تعجبا منه بعيد لان قوله والق عصاك من كلام الله
تعالى معطوفا على بورك وايضا لو كان من كلامه لكان الظاهر ترك الواو
وقد اظهر حرف التفسير في القصص في قوله وان الق عصاك وحذفه هنا و
كل منهما شايع تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت قلت ان حج واعتمر
يا موسى انه الشان انا الله العزيز الغالب الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه
حكمة تمهيد لما اراه من قلب العصا واليد البيضاء فلما راها تهتز اي القاها فصارت

وذلك القاضي حيث جوز ذلك لان الحالية تقتضي الاعراب دون الصلة منه

ذكره القاضي

حية فلما رآها تتحرك يقال هزه حركه فاهتز كأنها جان حية سريعة ولى مدبرا اعرض هاربا ولم يعقب ولم يرجع بعد الهرب كناية عن غاية الخوف يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما خاف لظنه ان قلب العصا حية لامر اريد به اذ كان ذلك اول الامر ولم يدر انه نبي ولذلك قال يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون لانهم مكرمون مقربون وانت منهم الا من ظلم نفسه منهم بترك الافضل او بارتكاب خلاف الاولى او بترك المأمور به سهوا فانه خايف ثم بدل حسنا بعد سوء تدارك ما فرط منه بالانابة كما قال يونس سبحانك اني كنت من الظالمين كما قال موسى رب ظلمت نفسي فاغفر لي وفيه تعريض لطيف بموسى حيث قتل القبطي من غير اذن من الله تعالى وان كان كافرا حربيا فاني غفور اتجاوز عما فرط منه رحيم اتفضل لها عليه بعد التوبة وادخل يدك في جيبك قيل كان عليه مدرعة صوف لا كم لها او اريد بالجيب القميص لانه من لوازمه تخرج بيضاء من غير سوء آفة برص في تسع آيات كلام مستانف اي اذهب الى فرعون وقومه في تسع آيات كقوله نقلت له الطعام فقال منهم فريق خمسة الانس لطعاما وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب واليد والعصا او متعلق بالمذكور اي الق عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في عدادها وجملتها واما نتق الجبل وفلق البحر فليسا من الآيات التي بعث بها الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا مبصرة اي يجعلهم بصراء او وصف بوصفهم لانهم بسبب منها نظرهم وتاملهم على طريق المجاز الحكمي او جعلت كانها تبصر فتهدي لان العمى لا اهتداء له فضلا عن الهداية على طريق الاستعارة المكنية قالوا هذا سحر مبين ظاهر لا اشتباه فيه وجحدوا بها الجحد هو الانكار مع العلم ضمن معنى التكذيب فعدي بالباء واستيقنتها انفسهم الواو للحال وقد مضمرة اي جحدوا باللسان موقنين بالقلب والاستيقان ابلغ من الايقان ظلما وعلوا حالان من فاعل جحدوا او منصوبا على العلة والعلو الترفع وقرئ علوا بالمعجمة وهو التجاوز فانظر كيف كان عاقبة المفسدين تامل يا محمد عاقبتهم وهي الاغراق في الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب والاتيان بالظاهر لبيان العلة ولقد آتينا داود وسليمان علما طايفة من العلم وهي علم الشرايع والاحكام او علما عزيزا وانما اورد قصة داود وسليمان عقب قصة موسى لان موسى ابتلي فصبر وهما اعطيا فشكرا اشارة الى حسن الاقتداء بهما في السراء والضراء وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين لم يعطف بالفاء كما يقول اعطيته فشكر لانه عطف على مقدر كانه قيل فعلا بذلك العلم قلبا وجوارحا وقالا الحمد لله اشارة الى ان شكر اللسان انما يحسن اذا كان مسبوقا بعمل القلب وساير الجوارح ففيه استيعاب لانواع الشكر على احسن وجه وهذا احسن مما قيل فوض الترتيب الى العقل لان المقام يستدعي مزيد الشكر وانما قيد بالكثير لان قليلا فضل عليهم وهم خواص الانبيا من اولي العزم وفي الآية دلالة على فضل العلم واهله وان ملك الدنيا باسره على اكمل وجه كما كان لداود وسليمان دونه وان من اوتي علما ينبغي ان يتواضع ويعلم انه وان فضل على بعض فقد فضل عليه البعض وورث سليمان داود ورث العلم والنبوة والملك ومعنى الوراثة فيها قيامه مقام داود في تلك الصفات وعن الحسن ورث المال لان النبوة عطية مبتداة ان صح عنه ذلك فلعله لم يبلغه الحديث نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركناه صدقة وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير نادى الناس اظهارا لنعمة الله

ذكر صاحب المفتاح

الله ودعا لهم على التصديق بالمعجزة التي هي فهم كلام الطير والمنطق هو الكلام المركب من الاصوات مفردا كان او مركبا قال قلتها لنقينا ما نطقت ولا حرفا وفهم كلام الطيور مثل فهمنا كلام الناس الا انا نفهم ذلك بالفاظ موضوعة والانبيا يفهمون من غير سبق وضع وتعلم باعلام الله تعالى كما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كلام الضب والظبي والبعير وتسليم الحجر روي ان سليمان مر ببلبل يصوت ويصيح فقال هل تدرون ما يقول قالوا لا قال يقول كما تدين تدان وسمع صياح هدهد فقال يقول استغفروا الله يا مذنبون واوتينا من كل شيء كناية عن الكثرة وايثار اوتينا باعتبار ملكه وملك داود او على طريقة الملوك ان هذا لهو الفضل المبين الواضح او كل من العلم والنبوة والملك فضل ظاهر وكيف بالجمع وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير الحشر الجمع من كل اوب وتقديم الجن لانهم اعتى وابعد من التسخير فهم يوزعون يحبسون اي يحبس سابق الجيش حتى يلحق التوالي وفيه دلالة على انهم مع كثرتهم كانوا مسوسين مضبوطا احوالهم لئلا يتاذى احد منهم او بهم روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة موزعا على الانواع خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وكان له بساط من الذهب والحرير نسجته الجن فرسخا في فرسخ وكان منبر من الذهب يوضع في وسط البساط يقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من الذهب والفضة يقعد على كراسي الذهب الانبيا وعلى كراسي الفضة العلما وكان يامر بحمل سريره الريح العاصف ويسيره الرخا وكان لا يتكلم احد بشيء الا القى الريح ذلك الى مسامعه حتى اذا اتوا على وادي النمل اي ساروا الى ان وصلوا ذلك الوادي وهو واد بالشام كثير النمل وتعدية الاتيان بعلى اما لان تحولهم كان من جانب الاعلى واما لانهم قطعوا الوادي من قولهم اتى على الشيء اذا بلغ نهايته قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم قيل كانت نملة عرجا اسمها طاخية فسمع سليمان كلامها من ثلثة اميال وما نقل عن قتادة انه دخل الكوفة فقال سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة اذ ذاك شاب حدث فقال سالوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا او انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة رحمه الله كانت انثى فقيل له من اين لك قال من التاء في قالت ولو كانت ذكرا لم يلحق التاء ففيه ان التاء لا تدل على تانيث المسمى بل هي تاء الوحدة تقع على القبيلين نحو حمامة ذكر وحمامة انثى ولو استدل بالضمير من قولها لكان اسلم لا يحطمنكم سليمان وجنوده يكسرنكم واصل الحطم الازدحام ومنه حطيم الكعبة وهو ما بين الباب والركن لازدحام الناس فيه ولا يحطمنكم اما جواب الامر ودخول النون لكونه نهيا في المعنى واما بدل من الامر لانه في المعنى نهي لان قوله ادخلوا مساكنكم في معنى لا تكونوا حيث انتم وهم لا يشعرون علمت ان نبي الله واتباعه لا يفعلون ظلما وقيل فهم سليمان قولها وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من اهتدائها الى الحذر والتحذير مع صغر جثتها او سرورا بما آتاه الله من الملك الجسيم والعدل العظيم من حيث ان الحيوان العجم يعلم ذلك وضاحكا نصب على الحال اي شارعا في الضحك وهذا ضحك الانبيا وما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه كناية عن التبسم الكامل لدلالة ساير الاحاديث عليه وقال رب اوزعني الهمني من الوزع وهو التقدم ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي ادرج ذكر والديه اما لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين لا سيما الدينية فانه اذا كان برا تقيا نفعهما بدعايه وشفاعته ودعاء المؤمنين لهما اذا رأوه خيرا بل الاجداد والاسلاف يقولون رحم الله اجدادك واسلافك ووالديك

النعمة على الوالدين نعمة على الولد كما تقدم في قصة بني اسرائيل في اوايل البقرة وان اعمل صالحا
ترضاه بقية عمري وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ادخلني الجنة
في عدادهم ذكر رحمته اشارة الى ان دخول الجنة بفضل رحمة الله كما ورد في الحديث وتفقد
الطير التفقد طلب الشيء بعد غيبته فقال ما لي لا ارى الهدهد نظر الى مكانه فلم
يره فتعجب ام كان من الغائبين ام منقطعة اضرب عن تعجبه واخذ يقول اهو غايب
كانه يريد تحقيق ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا بعد ما تبين له انه غايب والعذاب
الشديد الجمع من غير جنسه في قفص وقيل نتف والقاؤه في الشمس وقيل نتفه والقاؤه بين
النمل لتاكله وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل امره بخدمة اقرانه او لاذبحنه سياسة
لا لا تجري على فعل مثله آخر من جنسه او لياتيني بسلطان مبين بحجة واضحة
دالة على عذره والمحلوف عليه هو احد الاولين والثالث في معنى الاستثناء وقرا ابن
كثير باتيننني بنونين نون التاكيد والوقاية والاول احسن استغناء بالموكدة وعليه رسم
المصاحف سوى المكي فمكث غير بعيد زمانا قليلا دل على سرعة عوده وقرا عاصم
مكث بفتح الكاف والضم اشهر وقصة الهدهد ان سليمان عليه السلام لما زار البيت
الحرام سار على طريقة الملوك غدوة الى جنوب اليمن وكانت الريح تحمل سريره وكانت
كما اخبر الله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر فراى سليمان ارضا حسنا محضرة الجنات
فنزل وطلب الماء وكان الهدهد يعرف منابط الماء بخاصية خصه الله بها يرى الماء
تحت الارض كما يراه احدنا في الزجاجة فتفقد الهدهد فلم يوجد وكان حين نزل
سليمان راى الهدهد واحدا من ابناء جنسه ذكر له ملك بلقيس وما اوتيت من
الاسباب قيل كان تحت يدها اثني عشر الف قايد تحت كل قايد مائة الف فذهب
معه لينظر صدق مقالته ولما تفقد سليمان الطير ولم ير الهدهد فسال عريف الطير
عنه وهو النسر فلم يعلم خبره فقال لملك الطيور وهو العقاب علي به حيث كان
فارتفع العقاب الى الجو فراه مقبلا فانقض عليه فقال الهدهد ناشدتك الله الذي
اقدرك علي واعطاك هذه القوة الا ترحمني فقال ويلك يا هدهد ان نبي الله
عليك غضبان وقد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قال بلى فلما قرب من سليمان ارخى
جناحه تواضعا فلما دنى منه اخذ برأسه فمده فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين
يدي الله فارتعد سليمان فقال احطت بما لم تحط به الاحاطة ادراك الشيء
من الجهات كلها بحيث لا يبقى منه خافيه الهم الله الهدهد هذا الكلام فكافح به سليمان
ايقاظا له لئلا يظن انه ليس احد اعلم منه وجئتك من سبأ قرا ابو عمرو
وابن كثير في رواية البزي بفتح الهمزة غير منون على انه اسم القبيلة وفي رواية
قنبل باسكان الهمزة حملا للوصل على الوقف كما في يتسنه دعوجا وقرا الباقون
بكسر الهمزة منونا على انه اسم الحي وهو لقب لعبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان
قيل سمي بذلك لانه اول من سبا وفي الحديث سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن سبا اهو رجل ام واد فقال بل رجل ولد عشرة الاسد وحمير وكندة وانمار والا
شعرون ونشام ولخم وجذام وغسان وعاملة وما في الآية اريد به الناحية التي كانت
مساكنهم او القبيلة بنبا يقين اي بخبر مشتمل على العلم الذي لا شك فيه
كرجل صدق بالاضافة ونبا مع سبا من الجناس الملحق اني وجدت امراة تملكهم اي سبا
او اهلها وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان الملك في ابائها اربعين
جدا ولم يكن لابيها ولد ذكر فولوها الملك وفي الحديث لن يفلح قوم تولى عليهم امراة
واوتيت من كل شيء من اسباب الملك ولها عرش عظيم العرش سرير الملك

الحديث لا يدخل احدكم الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه

الملك قيل كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمك ثمانين وكان من الذهب والفضة
مكللا بالجواهر وكانت قوايمه من ياقوت احمر واخضر وزمرد وعليه سبعة ابيات
وعلى كل بيت باب مغلق وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
كانوا عبدة الشمس وزين لهم الشيطان اعمالهم من السجود لغير الله وغيره
من القبايح فصدهم عن السبيل عن طريق الحق فهم لا يهتدون الى الصواب
بعد ذلك الصد الا يسجدوا لله بدل من اعمالهم اي زين لهم عدم السجود او عن
السبيل ولا صلة اي فصدهم عن ان يسجدوا او مفعول يهتدون ولا صلة او مفعول له
اي فصدهم لئلا يسجدوا او رفع خبر مبتدا مقدر اي الاعمال ان لا يسجدوا والسبيل
ان يسجدوا وقرا الكسائي الا يسجدوا بالتخفيف حرف التنبيه والمنادى محذوف اي الا يا قوم
وعلى هذا يتم الوقف على يهتدون قيل على هذا هو ابتداء كلام من الله تعالى او من سليمان
وقيل هو من كلام الهدهد والتشديد ابلغ واوجه لسلامته عن الحذف وعليه صريح
الرسم ويفهم وجوب السجود على الوجهين اما من الامر او الذم على الترك الذي يخرج
الخبء في السموات والارض الخبء مصدر بمعنى المفعول وهو النبات من
الارض والمطر من السماء وغيرهما من الاشياء المستورة في غامض علمه ويعلم ما تخفو
ن وما تعلنون قرا حفص والكسائي بالخطاب فيهما اما الكسائي فقد جرى
على النسق الاول لان المنادى مخاطب واما حفص فعلى الالتفات تهديدا الله لا اله
الا هو رب العرش العظيم الذي يستحقر دونه عرش بلقيس كلام مستانف
للدلالة على استحقاق العبادة دون غيره لتفرده بالالوهية قال سننظر
سنعلم لان النظر من اسباب العلم او سنتامل ونفتش اصدقت ام كنت من الكاذبين
اي ام كذبت والعدول الى المنزل للمبالغة لانه اذا كان منخرطا في سلك الكاذبين يكون
كاذبا لا محالة اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم اي اليها ومن تحت حكمها قرا عاصم
وابو عمرو وحمزة باسكان الهاء ثم تول عنهم الى مكان قريب ليكونوا بمسمع منك
فانظر ماذا يرجعون يرجع بعضهم الى بعض القول اي يدفع عند التشاور وهو من
الرجعان اي ما يستقر عليه آراؤهم قالت يا ايها الملا اي بعد ما ذهب والقى
اليهم الكتاب اني القي الي كتاب كريم وصفه بالكرم لانه كان من ملك دانت
له الانس والجن والوحش او لشرف معناه وحسنه او لانه مصدر باسم الله او لانه مع
وجازته كان وافيا بالمقصود او لكونه مختوما وفي الحديث كرم الكتاب ختمه وعن ابن
المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به انه من سليمان مستانف
جوابا كانه قيل ممن هذا الكتاب الكريم ثم بين مضمونه بقولها وانه بسم الله الرحمن
الرحيم ان لا تعلوا علي واتوني مسلمين وانما كان قولها انه من سليمان بيان
عنوان الكتاب سقط سؤال تقديم اسمه على اسم الله قيل القي الكتاب اليها من الكوة
وهي نايمة مغلقة عليها الابواب وقيل القي اليها وهي على العرش جالسة حولها الملوك
والقادة والجنود فان قلت الدعاء الى الله من الانبياء انما يكون بعد اظهار المعجزة
فكيف استقام هذا من سليمان قلت الدعاء الى الاسلام لا يتوقف على اظهار المعجزة
وانما يجب الاظهار اذا طولب به مع ان مجيء الطير بالكتاب على الوجه المذكور من اظهر
المعجزات قالت يا ايها الملا افتوني في امري في شاني وما يليق به من جواب الكتاب
الفتوى والفتيا جواب الواقعة من الفتاء وهو حداثة السن او من الفتوة وهو
الارتفاع لان الناس يترافعون الى الفقيه ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون
كما هو داب الملوك لا يعزمون على شيء الا بعد المشاورة مع ذوي الآراء قيل كان

اهل مشورتها ثلثمائة ملك كل ملك تحت يده عشرة آلاف قالوا نحن اولوا قوة بالاجساد والالات والعدد واولوا بأس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك بعد هذا فانظري تأملي ماذا تأمرين فانا منقادون لك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها بالقتل والاسر وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وقتل اولادهم وتخريب ديارهم وكذلك يفعلون اى ذلك دأبهم المستمر كانت تعلم ذلك من المشاهدة والسماع لانها كانت ملكة بنت الملوك او ابتداء كلام من الله تعالى بين كلاميها تصديقا لها واني مرسلة اليهم بهدية سنية تليق بالملوك فناظرة بم يرجع المرسلون من اخباره واحواله فابنى على ذلك من الحرب والصلح ما كان اوفق فلما جاء سليمان قيل ارسلت برسم الهدية خمسمائة غلام في زى الجوارى وخمسمائة جارية في زى الغلمان وحقا فيها درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعث من اشراف قومها المنذر بن عمرو وآخرنا ذا رأى وقالت ان كان نبيا يفرق بين الجوارى والغلمان ويثقب الدرة ثقبا مستويا ويسلك الخيط في الجزعة فاخبره جبرئيل بذلك فامر الجن فضربوا اللبن من الذهب والفضة وفرش بها ميدانا طوله سبعة فراسخ وامر السباع فربطوا الدواب حول الميدان على فرش الذهب والفضة وامر باولاد الجن فاقيم في اليمين واليسار منهم خلق كثير واصطفت الانس والشياطين فراسخ وجلس على الكرسى ثم استعرض الرسل فوقفوا بين يديه بالهدية فامر باحضار الماء وامر الغلمان والجوارى بان يغسلوا وجوههم فكانت الجارية تأخذ الماء في احدى يديها وتضعه في الاخرى ثم تضرب بها وجهها والغلام كما يأخذ الماء يضرب به وجهه ثم طلب الحق وقال ان فيه كذا وكذا ثم استخرج الدرة وامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجر وامر دودة بيضا فاخذت الخيط بفيها ونفذت في الجزعة ثم نظر في وجه الرسل بوجه طليق قال اتمدونن بمال منكرا عليهم ذلك قرأ حمزة بنون واحدة مدغما وهو اخف والرسم على الاصل فما آتاني الله من الدين الذى هو الحظ الاوفر والنبوة والملك الذى لا مزيد عليه خير مما آتيكم من بعض الحطام بل انتم بهديتكم تفرحون اى بما يهدى اليكم من اضافة المصدر الى المفعول او الى الفاعل والمعنى انتم تفرحون بهذه الهدية مفتخرين بها على الملوك او تفرحون بما اذا اهديت اليكم لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا ارجع اليهم خطاب للمنذر بن عمرو رئيس الرسل وقيل للهدهد محملا كتابا آخر فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بقبل بمعنى المقابلة وفي الحديث ان الله تعالى خلق آدم وكلمه قبلا اى مقابلة ولنخرجنهم منها اذلة كما قالت وجعلوا اعزة اهلها اذلة وهم صاغرون والحال انهم مسترقون على الذل اى الاسر يتمنون ان يكونوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين اراد ان يريها ما خصه الله تعالى به من المعجزات الظاهرة والعجائب الباهرة وما قيل انه اراد ان يأخذ العرش قبل اسلامها فانها اذا اسلمت لا يحل اخذه ففيه ان الغنائم مخصوصة برسول الله وامته قال عفريت من الجن خبيث مارد من العفر وهو التراب لانه يعفر اقرانه والتاء فيه للالحاق بقنديل انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك اى مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار واني عليه لقوى على حمله امين لا اخون في شيء منه فانه كان مكللا بالجواهر قال الذى عنده علم من الكتاب هو سليمان نفسه واثر ما في النظم

على سليمان اشارة الى ان بلوغه تلك الرتبة انما هو بشرف العلم انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك الطرف تحريك الجفن وهو مقدمة النظر كما انه مقدمة الرؤية والخطاب للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك وقيل القائل جبرئيل او آصف بن برخيا وزير سليمان او كاتبه او رجل كان عنده الاسم الاعظم او هو الخضر فلما رآه مستقرا عنده قائما على هيئته بين يديه قال هذا من فضل ربي ملقيا للنعمة بالشكر ليبلوني ليعاملني معاملة المختبر أأشكر ام اكفر بدل من الياء وقد انسلخ عنه الاستفهام ومن شكر فانما يشكر لنفسه اذ بالشكر يرتبط العتيد ويستجلب المزيد ولذلك قيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للمفقودة ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم لا يعاجل بالعقوبة ولا يقطع عنه بره وافضاله قال نكروا لها عرشها غيروه عن هيئته بان يجعلوا اسفله اعلاه ومقدمه مؤخره ننظر جواب الامر أتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته او الى الجواب الصواب وانما غير الاسلوب بعدم المعادلة لان معرفة الشيء بعد تغيير هيئته غير عسير على ذوى الفطانة وكانت قد ذكرت لسليمان بسخافة العقل او الى الايمان اذا رأت العرش قد تقدمتها وكانت قد غلقت عليه الابواب ووكلت به الحرس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك القائل سليمان او احد الحاضرين ولم يقل اهذا عرشك بل اتى بكاف التشبيه احتيارا لعقلها قالت كأنه هو لم تجزم به لاحتمال ان يوجد الله مثله فدل ذلك على كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين عطف على مقدر كانه لما اصابت في الجواب اثنوا عليها وقالوا معترفين بما افاض الله تعالى عليهم من العلم والايمان قبل ايمانها وبما فضلوا به على مثلها او من كلامها كانها قالت قبل هذه الواقعة قد صح عندنا نبوة سليمان وقدرة الله تعالى على كل شيء وصدها ما كانت تعبد من دون الله عن التقدم الى الاسلام ابتداء كلام منه تعالى او صدها الله او سليمان عما كانت تعبد من دون الله على نزع الخافض انها كانت من قوم كافرين استيناف جار مجرى التعليل على الوجهين قيل لها ادخلي الصرح الصرح القصر المرتفع من الصراح وهو الظهور واما عرصة الدار فالصرحة بالتاء فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روى ان سليمان امر الجن فبنوا له قبل قدومها قصرا من الزجاج واجرى تحته الماء والقى فيها دواب البحر لما قيل له انها شعراء الساقين وفي عقلها شيء فاختبر عقلها بتنكير العرش وساقيها باتخاذ الصرح على الوجه المذكور او اراد ان يريها عظم ملكه وامرا غريبا لم تره في ملكها وتحقيرها بان تلبس عليها كما لبست هي عليه في الجوارى والغلمان فاهتدى هو ولم تهتد هي فظهر له الفضل من كل وجه وقرأ ابن كثير في رواية قنبل السأقين بالهمز على انها لغة كالؤوا او حملا للمفرد على الجمع وهو سؤق او على تطيره وهو الكأس قال انه صرح ممرد من قوارير كان جالسا على السرير في صدر القصر فلما نظر الى ساقيها ولم يكن بهما بأس اخبرها بالواقع الممرد الاملس قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادة غيرك او بظني بسليمان فانها ما ظنت الزجاج لجة بحيلة انه اراد قتلها بالغرق وقيل انها كانت من جنية فكره الجن ان يتزوجها لئلا يطلع سليمان على اسرار الجن واسلمت مع سليمان لله رب العالمين اثرت لفظ الجلالة الدال على الالوهية الموجبة لعبادته ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه فاذا هم فريقان يختصمون تفاجئوا الاختصام والتفرق فمنهم من آمن به ومنهم من كفر كما هو شان الرسل في اول البعثة او المؤمن

رد على الكشاف والقاضي

ذكره الكشاف وهذا القول منقول عن قتادة وزهير وليس اصل سلم الله منه

صالح والكافر قومه والوجه هو الاول لقولهم اطيرنا بك وبمن معك والخصام التشايع قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة اى بالعذاب قبل الايمان حيث قالوا يا صالح ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين وقيل كانوا يقولون ان وقع ما يعدنا به صالح آمنا فخاطبهم على وفق اعتقادهم ثم قال لولا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون ادخين وقوع العذاب لا ينفع الايمان والتوبة قالوا اطيرنا بك وبمن معك تشأمنا بكم لوقوع الشدايد منذ اخترعتم هذا الدين ماخوذ من تجر الطير وهو البارح الذى يمر من اليمين الى الشمال قال طايركم عند الله اى مقدر من عنده ليس لاحد فيه تاثير بل انتم قوم تفتنون باعقاب السراء والضراء او بوسوسة الشيطان اليكم الطيرة وكان فى المدينة تسعة رهط الرهط من الثلثة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة وافراده وان كان تمييز تسعة جمعا لاشماله على معناه يفسدون فى الارض ولا يصلحون اى كانوا مقصورين على الافساد البحت لا يخلطون به شيئا من الاصلاح قالوا تقاسموا بالله اى ليقسم بعضكم لبعض على انه امر ويحتمل الحال بتقدير قد على انه ماض لنبيتنه اى لنهلكنه واهله بالليل مبالغة انتهازا للفرصة وعن الاسكندر انه قيل فى بيات العدو فقال ليس من ايين الملوك استراق الظفر ثم لنقولن لوليه قراءة حمزة والكسائى بتاء الخطاب فى الفعلين على ارادة قول بعضهم لبعض والنون اوفق بقوله ما شهدنا مهلك اهله اى نقسم على عدم حضورنا ذلك فضلا عن المباشرة قراءة السبعة الا عاصما بضم الميم على انه مصدر اهلك او اسم مكان منه وفتح الميم مع اللام عاصم فى رواية شعبة على انه مصدر هلك او اسم مكان منه وكسر اللام فى رواية حفص على المصدر او اسم مكان على غير القياس كالمرجع وانا لصادقون والحال انا لصادقون فى الحلف لانا لم نشاهد هلاك اهله وحدهم ذنا سكت بقبح الكذب ان الكفار مع كفرهم احتالوا فى الاجتناب عنه ويجوز ان يكون بلفظ فى المقسم عليه فلا يحتاج الى التكلف ومكروا مكرا هو ما دبروه ومكرنا مكرا من باب المشاكلة وهم لا يشعرون ان ما دبروه وباله عايد اليهم وذلك انهم دخلوا دار صالح بالليل وكانت داره ممتلئة بالملائكة فقتلوهم عن آخرهم وقيل خرجوا بالنهار يظهرون السفر وعادوا بالليل فتسوروا جدران داره فرمتهم الملائكة بالحجارة فقتلتهم وقيل كان لصالح مسجد فى الشعب يصلى فيه بالليل فلما دخلوا الشعب قاصدين قتله ليعودوا بعد قتله الى اهله فارسل الله عليهم صخرة فطبقت عليهم فلم يدر احد اين ذهبوا فلم يدر واما يفعل بقومهم نعذب بالله تعالى كلا فى مكانه فانظر كيف كان عاقبة مكرهم يا محمد او يا من يتأتى منه النظر انا دمرناهم وقومهم اجمعين استيناف لبيان عاقبتهم وكان اما تامة او ناقصة كيف خبرها وقراءة الكوفيون انا بفتح الهمزة على ان كان تامة وعاقبة فاعلها وكيف حال او ناقصة وكيف خبرها او حال والخبر انا او بدل من الفاعل اى كان تدميرنا او خبر مبتدأ مقدر فتلك بيوتهم خاوية نصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة اى خالية من خوى البطن او ساقطة من خوى النجم خيا اذا سقطت ولم يمطر فى نوءها بما ظلموا بسبب ظلمهم ان فى ذلك لاية لقوم يعلمون حقايق الاشيا فانهم المتعظون وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون احدثوا الايمان واستمروا على ذلك ولوطا اذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول ظرف على الثانى اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون اى يبصر بعضكم بعضا كقوله وتاتون فى ناديكم

فى ناديكم المنكر ولا شك ان الجهر بالمعصية اشد فحشا روى ان بعض اكابر الاشراف كان له ابن يجاهر بالخمر فقال يا بنى الم تسمع قول الحكيم اذا ابتليت فاستتر فقال فى جوابه يا اباه اهى عبادة حتى يكون فى الخلوات وقد الم به ابو نواس حيث قال فخ باسم ما تاتى ودع ذكر الكنى فلا خير فى اللذات من دونها ستر او وانتم عالمون من بصر القلب فان قبح الذنب من العالم اشد ائنكم لتاتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم بالفاحشة وتعليل بالشهوة اشارة الى انه من فعل البهايم لان الحكمة فى المواقعة طلب النسل وقضاء الوطر داع اليه مقصود بالعرض من دون النساء بل انتم قوم تجهلون مستمرون على فعل القبيح كمن يجهل قبحه او تجهلون العاقبة وايثار الخطاب والموصوف هو القوم لتكلفهم بالجهل فانه اشد توبيخا فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون عن افعالنا ويستقذرونها وعن ابن عباس انما قالوا ذلك هزوا كما قال قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين الباقين فى العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مطرهم قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى لما قص عليه ما انعم على اخوته من الرسل من الاصطفا بالرسالة واهلاك اعدائهم امره بان يحمده على تلك النعمة شكرا له تعالى اشارة الى انه ما وصل اليهم وصل اليه فان المؤمنين كنفس واحدة فكيف بالانبيا وبان يسلم عليهم لحسن اصطبارهم على شدايد اذى الجهال وقيامهم باعبا التبليغ وجعل ذلك تمهيدا للتخلص الى قصة مع المشركين ايماء الى ان العاقبة له تقوية لجاشه فى اقامة البراهين على وحدانيته تعالى بقوله الله خير اما يشركون ساق الكلام هذا المساق تبكيتا لهم والزاما وتنبيها على الخطأ المفرط والجهل المورط والا كيف يلتبس تكون الكاينات بالجمادات امن خلق السموات والارض تفصيل لذلك الخبر وام منقطعة وذكر السموات والارض تمهيد لقوله وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدايق ذات بهجة الحدايق جمع حديقة وهى البستان الذى له حايط من الاحداق وهو الاحاطة وافراد الذات على ارادة الجماعة كقولك النساء ذهبت والبهجة الحسن من بهج بالضم ويجوز ان يكون من بهج بالكسر بمعنى السرور لان صاحبها يسر بالنظر اليها وانما التفت الى التكلم فى الانبات اشارة الى انه فعله الخاص الذى لا يمكن اسناده الى غيره ولذلك اكده بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عما فيها من المنافع واصناف الفواكه المختلفة لونا وطعما وشكلا ورايحة ولما اثبت الاختصاص به على الوجه الابلغ قال ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون منكر ان يكون له شريك وجعل القايل بالشرك عادلا عن نهج الصواب او عادلا به من لا يستحق امن جعل الارض قرارا مكانا يستقر فيه الحيوان بدل من امن خلق السموات ترق الى ما هو اعظم من انبات الحدايق بل لولاه لا يتم الانبات وجعل خلالها انهارا جارية وجعل لها رواسى جبالا ثابتة كالاوتاد تسكنها من الاضطراب مع ما فيها من ساير المنافع وجعل بين البحرين حاجزا بين العذاب والملح ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون فلذلك يشركون به امن يجيب المضطر اذا دعاه حض به اجابتهم عند الاضطرار ويكشف السوء والمضار وتنفعون ترق عما تقدم لكونه لصيقا بهم دون واسطة ويجعلكم خلفاء الارض بها على اى وجه شئتم مباشرة وامرا ونهيا وهذا اتم واجل موقعا ولذلك قال ءاله مع الله قليلا ما تذكرون بجعل الفاصلة التذكر الذى لا يحتاج الا الى التفات النفس امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر اذا سافرتم فيها بالنجوم فى السماء وعلامات فى

الارض ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وهذا من متممات امر الخلافة
لاشتمال على اجابة المضطر وكشف السوء وجلب المنافع الكثيرة وقراء حمزة والكسائي
الريح بالتوحيد والكوفيون وابن عامر نشرا بسكون الشين وفتح نون حمزة وعاصم
بالباء مكان النون ونافع وابن كثير بضم النون والشين أإله مع الله يقدر على
شيء من ذلك ولما في ذلك من تاثير القدرة القاهرة مع الجلاء قال تعالى الله عما
يشركون أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده اضرب عن ذلك الاسلوب الى ذكر نعمتي الايجاد
والاعادة اللتين كل نعمة دونهما وهما مبدا كل نعمة في الدارين والكفرة وان كان بعضهم
منكرا للاعادة الا انه لظهور الادلة بحيث لا يعتد بانكاره فهو محجوج ومن يرزقكم من
السماء والارض اجمال لما تقدم كعذلك القصة أإله مع الله يفعل ذلك
قل هاتوا برهانكم على شيء يخالف ما ذكرنا ان كنتم صادقين في اشراككم يستحيل
عليهم بالكذب وان ما يقولون مختلق وهوى النفس قل لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله اشارة الى انه كما تفرد بالقدرة التامة كذلك متفرد بالعلم
الشامل والاستثناء منقطع ورفعه على اللغة التميمية لظهور انه تعالى منزه عن المكان
والحيز وايثار الرفع للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات والارض ففيهم من
يعلم الغيب مبالغة في نفي علم الغيب عنهم ويجوز الاتصال بضرب من التاويل اي من
تعلق علمه بها واطلع عليها فانه عام فيه تعالى وما يشعرون ايان يبعثون اي وقت
بعثهم الذي هو اهم الامور عندهم تاكيد لنفي علم الغيب عنهم وايان بمعنى متى نعال
من آن شئ والضمير لمن بل ادارك علمهم في الآخرة افتعال من الدرك وهو
الوصول واللحوق وهي قراءة نافع وابن عامر والكوفيين والمعنى انما تتابع علمهم
واستحكم بمعنى استحكام اسبابه وظهور دلائل ان القيمة كائنة لا محالة لا علم لهم
فاين هم من علم الغيب وقراء ابن كثير وابو عمرو وادرك على وزن اكرم اي انتهى وتكا
مل والمعنيان متقاربان ويجوز ان يكون الكلام على سبيل التهكم لانهم اذا لم يعلموا
اما دلت عليه الحجج فهم عن علم الغيب بمراحل وما روي عن الحسن ان معنى ادرك علمهم
اضمحل يناسب التهكم لان مآل النفي عليهم بل هم في شك منها يتحيرون لا يجزمون
بشيء بل هم منها عمون لا يدركون شيئا من دلائلها والاضرابات الثلث لبيان
احوالهم وصفهم اولا بعدم الشعور بوقت البعث ثم ترقى الى انهم لا يقرون بالآخرة
راسا ثم الى انهم خابطون في شانها خبط عشواء ثم الى ما هو اسوأ حالا وهو عمى البصيرة
وقيل باعتبار الفرق وهذا يختص بالمشركين واسناده الى من في السموات والارض لوقوعه
بينهم كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أإنا
لمخرجون اثر الظاهر موضع المضمر اشارة الى ان منشأ ذلك العمى لا غير ولذلك
كانت هذه الآية كالبيان للاولى والعامل في اذا معنى الاخراج الذي دل عليه مخرجون
لا هو لان الاستفهام وان واللام كل منها مانع من العمل فكيف بها مجتمعة لقد وعدنا
هذا نحن وآباؤنا من قبل اي قبل محمد المشار اليه البعث قدم هنا على نحن
هنا واخره في سورة المؤمنين لان ما قبل هناك اذا متنا وكنا ترابا وعظاما ففيه
دلالة على بقاء بعض الاجزاء على صورتها واما هنا فلا دلالة على ذلك وقد ضموا الى
انفسهم آباءهم ولا شك ان هذا ابعد عندهم فاستلزم زيادة الاعتناء فصار اهم
بالتقديم ان هذا الا اساطير الاولين اكاذيبهم الذي لا حقيقة لها كالاسمار
قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين اي المكذبين و
التعبير بالاجرام ليكون لطفا بالمسلمين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم لعدم

اتباعهم اياك ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقراء ابن كثير بكسر
الضاد وهما لغتان مما يمكرون لاجل مكرهم فان الله عاصمك ويقولون
متى هذا الوعد اي العذاب الموعود استعجالا لانهم ان كنتم صادقين
في قولكم ان لم نؤمن نعذب قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون
اي تبعكم كل شيء اتبع آخر فهو ردف ومن ثم سمي الليل والنهار ردفين واردف لغة
منه قال لما اذا الجوزاء اردفت الثريا وعسى ولعل وسوف في كلام الملوك يدل على
الوقوع قطعا والمراد ما وقع عليهم يوم بدر من القتل والاسر وان ربك
لذو فضل على الناس بتاخير العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون نعمة الامهال
ويستعجلون العذاب وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون من المكايد وانواع المكر
تسلية لرسوله وتقوية لجاشه بعد ان قدم قوله ولا تكن في ضيق مما يمكرون وما من غائبة
في السماء والارض الا في كتاب مبين برهان على احاطة بما تكن صدورهم لانه من جزئيات
ذلك العائب والتاء للمبالغة كما في الراوية او للنقل من الوصفية الى الاسمية كما في
الذبيحة والنطيحة والوجه الاول والكتاب المبين اللوح او علمه الشامل ان هذا القرآن يقص
على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون لما كان القرآن اعظم معجزاته وكان
الاعجاز فيه من وجوه اشار الى الوجه الذي هو اعرق في الاعجاز وهو الاخبار
عن احوال الكتب السماوية فان المنزل عليه امي لم يزاول دراسة الكتب وما اختلفوا
فيه احوال الجنة والنار وامر عيسى وعزير وقيد بالاكثر لان اخفضه باطل في بادي
الرأي فلا حاجة الى ابطاله وانه لهدى ورحمة للمؤمنين لانهم المنتفعون به ان
ربك يقضي بينهم بين من آمن ومن كفر بحكمه اي بعدله او بحكمته وهو العزيز
الغالب فلا يرد قضاؤه العليم بالامور كما هي فتوكل على الله بعد ما تبين
انك رسول بالكتاب الذي هو ابهر معجزاتك انك على الحق المبين علة للتوكل
فان صاحب الحق مؤيد انك على الحق المبين علة للتوكل فان صاحب الحق مؤيد انك
لا تسمع الموتى كلام مستانف تسلية لرسول الله وانه قد بلغ الرسالة فلا عليه
بعد ذلك فانهم مختوم على قلوبهم شبه حالهم بحال الميت حيث لا يسمعون سماع تدبر
وقيل تعليل ثان للامر بالتوكل كانه قيل اتباعهم اياك امر قد يئست منه فلم يبق
الا الاستنصار عليهم واستكفاء شرورهم فان قلت روى البخاري ان رسول الله وقف
على قليب بدر ونادى اهلها باسمائهم وقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني قد
وجدت ما وعدني ربي حقا فقال له عمر تنادي اجسادا لا ارواح لها فقال لستم باسمع
منهم ولكن لا يقدرون على الجواب فكيف التوفيق بينه وبين الآية قلت بناء الكلام
هنا على المتعارف تسلية لرسول الله الا ترى انه قد شرع السلام على المقابر واذا كان
لاحساس بالعذاب فما المانع من السماع ولا تسمع الصم الدعاء قراء ابن كثير
يسمع بياء الغيبة مضارع سمع ورفع الصم والباقون بالخطاب من اسمع مسندا الى النبي
وهو اوفق بالمقام واقوى معنى اذا ولوا مدبرين فان اسماعهم في تلك
الحالة ابعد وفيه اشارة الى غاية بعدهم عن الايمان وما انت بهادي العمي عن
ضلالتهم لان اهتداء الاعمى مستحيل قراء حمزة تهدي العمي بالفعل المضارع ونصب
العمي ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فان يسمع سماع تدبر وينظر نظر اعتبار فهم
مسلمون مخلصون ظاهرا وباطنا واذا وقع القول عليهم استوفي دلائل
التوحيد والمبدأ والمعاد ونبوة المخبر الصادق وافاض في بيان احوال القيمة وآيات
الساعة والقول هو الوعد بقيام الساعة ومعنى وقوعه ثبوت معناه ووجوبه

اخرجنا لهم دابة من الارض اى دابة عظيمة المنظر والشان وقد ذكر
فى وصفها اشيا والذى صح فى الحديث انها دابة طولها ستون ذراعا ذات قوايم اربع
فيها الوان الحيوانات بتصدع جبل الصفا فتخرج منه والناس سايرون الى منى وفى رواية
تخرج من ارض الطايف معها عصى موسى وخاتم سليمان لا يدركها طالب ولا يعجزها
هارب تضرب بالعصا فى وجه المؤمن تكتب فيه مؤمن وتطبع وجه الكافر بخاتم
سليمان تكتب فيه كافر تكلمهم يا فلان ويا فلان بلسان عربى وقيل ان الناس
كانوا باياتنا لا يوقنون كلامها عند خروجها تحكى كلام الله الدال على وقوع
ايات الساعة التى هى منها او هو كلامها حكاه الله تعالى بتقدير حذف المضاف اى
بايات ربنا او لكونها من خواص خلقه اضافت الايات الى نفسها كما يفعل خواص الملوك
من اضافة ما للملوك الى انفسهم وقرا الكوفيون بكسر استينافا جاريا مجرى العلة
ويوم نحشر من كل امة فوجا جماعة ممن يكذب باياتنا بيان للفوج
ومن الاولى للتبعيض فهم يوزعون يحبسون ليلحق بهم اواخرهم والمعنى
ان الله يحشر من كل امة رؤساها بين يديهم الى شفير جهنم حتى اذا اجتمعوا كبكبوا
كلهم فيها وعن ابن عباس رضى الله عنه ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن
ربيعة يساقون بين يدى مشركى مكة حتى اذا جاؤ الى المحشر قال اكذبتم باياتى
ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اى كذبتم باياتى مفاجاة من غير تدبر فيها لينظهر
لكم انها جديرة بالتكذيب ام التصديق او عاطفة اى جمعتم بين التكذيب وعدم النظر
والتامل فيها فان من ورد عليه كتاب من صاحبه وان لم يصدق بانه كتابه لا ينقص
عن الاحاطة بما فيه فالمنكر فى الوجه الاول التكذيب بادى الراى وفى الثانى التكذيب
وعدم الالقا الذهن اماذا كنتم تعملون الظاهر ام صدقتم عدل الى المنزل
دلالة على انتفا الشق الثانى وانه انما جىء به للتبكيت كانه قيل اهو ما عهد من التكذيب
ام حدث امر لغو ولذلك ادخل ام على ما الاستفهامية الدالة على الشك والترديد وضعا
ووقع القول عليهم بما ظلموا اى العذاب بسبب ظلمهم فهم لا ينطقون لشغلهم
بالعذاب وهذا حين وقوع العذاب فلا ينافى محاجتهم قبل لقوله انظر كيف كذبوا
على انفسهم بعد قولهم والله ربنا ما كنا مشركين الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه
بالنوم والاستراحة والنهار مبصرا مجاز حكمى لان الابصار لمن فى النهار ان
فى ذلك لايات لقوم يؤمنون تتمة الايمان والاستدلال باثار الصانع الدالة
على وجوده ووجوبه وتوحده وذلك ان من قدر على ترتيب الليل والنهار وابدال
النور من الظلمة وبالعكس على هذا النظام والنمط قادر على ابدال الموت بالحيوة
مع ان النوم نوع من الموت والشمس روح العالم فاى دلالة اوضح من هذه الدلالات
ويوم ينفخ فى الصور هو القرن الذى بيد اسرافيل او تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث
الجيش اذا نفخ فى البوق ففزع من فى السموات ومن فى الارض عبر بالماضى لتحقق وقوعه
لكونه كلام من لا خلف فى قوله الا من شاء الله بان ثبت قلبه قيل هم جبرئيل و
ميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهدا فانهم
احيا عند ربهم وقيل موسى ولا يستقيم الا اذا كانت نفخة الفزع نفخة الصعق على ان النفخات
ثلث دل عليه حديث لطم اليهودى وهى نفخة الفزع فانهم يموتون من شدة الخوف ونفخة
البعث وكل اتوه اى الموقف بعد النفخة الثانية او الله بالانقياد والرجوع اليه وقرا
حمزة وحفص اتوه على صيغة الفعل واسم الفاعل هو المختار لكون الاصل فى الخبر الافراد
مع قوة المعنى داخرين صاغرين اذلا وفى الحديث لم ير الشيطان ادحر من يوم

عرفة لما يرى من كثير عفو الله عن عباده الا ما كان من يوم بدر وترى الجبال تحسبها
جامدة ثابتة فى مكانها وهى تمر مر السحاب اى تسير سيرا حثيثا فان الاجرام
الثقال اذا تحركت فى سمت لا يكاد يظهر حركتها واليه اشار النابغة فى وصف جيش
كثيف بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج صنع الله مصدر
مؤكد لقوله تمر مر السحاب وقيل مصدر مؤكد لناصب يوم ينفخ تقديره ويوم ينفخ
فى الصور اثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله اى الاثابة والعقاب وهذا
انما يستقيم باعتبار امتداد ذلك اليوم الذى اتقن كل شىء احكمه انه خبير بما
تفعلون مستانف كانه قيل ماذا يكون بعد تلك الاهوال فقيل انه خبير بواطن افعالكم
فيجازيكم على قدرها وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام عن ابن عامر يفعلون بيا الغيبة
جريا على سنن اتوه والخطاب احسن لقرب وترى الجبال ثم فصل ذلك المجمل بقوله من
جاء بالحسنة فله خير منها اذ اقل ما يقابلها عشر امثالها الى سبعماية الى ما شاء الله
تعالى وهم من فزع يومئذ امنون اى من الخلود فى النار على ما روى عن ابن عباس
رضى الله عنه ان الحسنة هى كلمة الشهادة او الهول العظيم لقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر
قرا الكوفيون فزع منونا وهو احسن للتهويل بالابهام وقرا نافع والكسايى بفتح
الميم فى يومئذ لكونه مبنيا لاضافته الى المبنى ومن جاء بالسيئة اى بالشرك فكبت
وجوههم فى النار القوا فيها منكوسين ليكون اول ما يصل الى النار اشرف اعضايهم
التى استكبروا ان يعفروها بالسجود لله وفى الكب معنى اللزوم والازدحام ولذلك
سميت الجماعة كبة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات او بتقدير
القول وفايدة الاعلام بان الله ليس بظلام انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة
الذى حرمها امره بهذا الكلام اشارة الى انه قد ادى ما عليه فلم يبق له شان
الا الاستغراق فى العبودية التى هى اشرف صفات العبد وفى وصف البلد بالتحريم
اشعار بانهم اولى بتعظيم قدره فانهم سكانه ويفتخرون على ساير الناس واسم الاشارة
القرب للتعظيم وانما وصف ذاته تعالى دون البلدة لان اجرا الوصف عليه تعالى
يدل على عظم الوصف وعظم ما تعلق به الوصف ولا كذلك لو وصفت البلدة
وله كل شىء خلقا وملكا لا البلدة وحدها وامرت ان اكون من المسلمين
المنقادين له او امره المخلصين له الدين وان اتلوا القران وان ادوم على تلاوته
لينطهر لى اسرار كنوزه او هو من التلو اى اتبعه لقوله واتبع ما يوحى اليك فمن
اهتدى بعد البيان الشافى فانما يهتدى لنفسه فان نفعه لا يتجاوزه
ومن ضل فقل انما انا من المنذرين لا غير فلا على من وبال ضلاله شىء وقل
الحمد لله على ما خصكم به من رتبة الرسالة وفقك لادائها سيريكم اياته
القاهرة من القتل والاسر تهديد لهم فتعرفونها انها ايات لكونها من
الخوارق التى لا يقدر عليها غيره وقيل هو كقوله سنريهم اياتنا فى الافاق وفى
انفسهم وعلى هذا لا تهديد وما ربك بغافل عما تعملون وعد لمن امن وشكر
ووعيد لمن تولى وكفر وقرا نافع وابن عامر وحفص بالخطاب جريا على الخطاب فى سيريكم

سورة القصص مكية وهى ثمان وثمانون ايات بسم الله الرحمن الرحيم
طسم اسم السورة او حروف مقطعة للايقاظ تلك ايات الكتاب المبين اى ايات
السورة ايات الكتاب الواضح اعجازه نتلوا عليك بلسان جبرئيل من نبا موسى
وفرعون بعض نباهما بالحق ملتبسا به او محقين لقوم يؤمنون ليقوى بذلك
جانبهم ويعلموا ان العاقبة لهم ان فرعون علا فى الارض استيناف كانه قيل كيف

بناؤها والارض ارض مصر لم يجاوز حكمه منها وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد
ويطيعونه اوجعلهم اصنافا فى خدمته عين لكل طايفة نوعا اوجعلهم احزابا بان اغرى
بعضهم على بعض والقى بينهم العداوة لئلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم
بنو اسرائيل حال من فاعل جعل اوصفة شيعا اوكلام مستأنف يذبح ابناءهم ويستحيى
نساءهم بدل من يستضعف انه كان من المفسدين ولذلك كان يقتل بلا فايده
لان الكاهن الذى اخبره انه يولد منهم مولود يكون ذهاب ملكه على يديه ان كان صادقا
فاى فايدة فى قتل الاطفال وان كان كاذبا فبالاولى ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا فى الارض ارض مصر عطف على قوله ان فرعون علا فى الارض داخل تحت المنبأ به ولا
يجوز عطفه على نتلوا لاستلزامه خروجه عنه وهو منه بل اعظمه واهمه وكذا عطفه على يستضعف
سواء جعل حالا عن ضمير جعل اوصفة لشيعا اوكلاما مستأنفا وقيل حال من ضمير يستضعف
بناء على ان ارادة الله يجوز تعلقها بتكوين شىء مترقب الوجود وفيه ان المضارع المثبت لا يقع
حالا مع الواو وتقدير المبتدأ تكلف ونجعلهم ائمة يقتدى بهم فى الدين وعن قتادة ولاة
لقوله وجعلكم ملوكا ونجعلهم الوارثين ملك فرعون وقومه ونمكن لهم فى الارض
ارض مصر والشام مكنت للشىء جعلت له مكانا ثم اشتهر فى التسليط والاطلاق فى التصرف
ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون من زوال ملكهم على
على يد مولود من بنى اسرائيل وقرأ حمزة والكسائى يرى بفتح اليا والف مما له مضارع رأى
ورفع الاسماء الثلثة على الفاعلية والنون اشد تهويلا واوفق بالافعال السابقة واللاحقة
واوحينا الى ام موسى بالهام اورؤيا وعن الامام الماتريدى يجوز ان يكون بارسال
ملك كما ارسل جبريل الى مريم وكلمها شفاها ان ارضعيه ما امكنك فاذا خفت عليه
فالقيه فى اليم فى نيل مصر ولا تخافى عليه ضيعة والخوف المكتب او لا تخوف القتل ولا تحزنى
لفراقه الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لكاين اوفايت انا رادوه اليك تسلية لها
وجاعلوه من المرسلين بشارة بما يلاء بها غبطة وسرورا روى انها لما ضربها الطلق
دعت قابلة من الموكلات بحبالى بنى اسرائيل وكانت مصافية لها فلما وضعته رأت القابلة
نورا ساطعا بين عينيه واحبته حبا شديدا وقد تقدم فى قوله تعالى والقيت عليك محبة منى
انه لم يره احد الا احبه فقالت لام موسى كنت ما جئت الا لاخبر فرعون بولادته ولكن دخل
فى قلبى حبه فاحتفظى به لئلا يراه عيون وسعاته فاخفت شانه وارضعته ثلثة اشهر فلما
الح فرعون فى طلب المواليد اوحى الله تعالى اليها فجعلته فى تابوت والقته فى اليم فالتقطه
ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا لم يلتقطوه الا ليكون لهم قرة عين لكن لما لم
يترتب على الالتقاط الا ذلك شبه بما يكون مقصودا وغرضا من الفعل فاستعير له اللام
كما استعير الاسد لمن يشبه الحيوان المعروف فى الجراءة وقرأ حمزة والكسائى حزنا بضم الحاء
واسكان الزاء وهما لغتان والفتح لغة الحجاز الشايعة ان فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين مستمرين على خلاف الصواب فليس ببدع منهم ان يربوا من يكون زوال
ملكهم على يديه بعد ان قتلوا الوفا من خوفه اوكانوا مجرمين من الخطء وهو الاثم ولذلك
عاقبهم الله بان ربى على يديهم من يكون سببا لهلاكهم فالكلام مستأنف للتعليل
واللام على هذا جارية على اصلها كانه قال دبرنا ما دبرنا ليكون لهم موسى عدوا وحزنا لانهم
كانوا مجرمين احقاء بذلك وقالت امرأت فرعون قرة عين لى ولك اراد قتله قالت له ذلك
وجزمت به لانها رأت منه مخايل النجابة وقيل كانت لفرعون بنت برصاء عجزت الاطباء عن
علاجها وقالوا شفاؤها من ريق حيوان فى البحر يشبه الانسان فلما اخرجوه من البحر لطخوها بريقه
فبرأت على الفور لا تقتلوه الخطاب لفرعون والجمع للتعظيم وللموكلين بقتل الولدان

ردعلى القاضي والكشاف

الولدان عسى ان ينفعنا لما راوا فيه من دلايل اليمن اثر النجابة ساطع البرهان او نتخذه
ولدا نتبناه فانه يصلح لان يكون من اولاد الملوك وهم لا يشعرون حال من آل
فرعون اى التقطوه وهم لا يشعرون انهم على خطاء عظيم فى ذلك وقوله ان فرعون اعتراض
بين المعطوف والمعطوف عليه يؤكد خطاءهم واصبح فؤاد ام موسى فارغا خاليا من
العقل لما سمعت بوقوعه فى يد فرعون وفيه دليل على ان القلوب مراكز العقول ان كادت
لتبدى به اى بامر موسى من فرط الوله والضجر لولا ان ربطنا على قلبها
بالهام الصبر القلب وسط الفواد وانما ذكر الفواد اولا لان فراغه يستلزم فراغ القلب
ولم يكتف به فى لوتبط مبالغة فى سلب القلق والاضطراب عنها اواصبح فوادها فارغا من
الحزن حين سمعت بان فرعون عطف عليه وابقاه وكادت تظهر شانه فرحا وسرورا
لولا ان الله سكن جاشها واذهب قلقها لتكون من المؤمنين المصدقين بوعد الله
حين قال لها انا رادوه اليك اوليكون واثقة بحفظ الله وكلاءته لا تبنى فرعون وقالت
لاخته مريم قصيه تتبعى اثره لتعلمى ما يفعل به فبصرت به عن جنب فقصت اثره
فرأته من بعيد وهم لا يشعرون انها جاءت بقص اثره وانها اخته وحرمنا عليه
المراضع من قبل قبل مجيئها مجاز عن المنع فان من حرم عليه شىء فقد منع عنه و
المراضع جمع مرضع وهى التى ترضع اومرضع اسم مكان اومصدر فقالت هل ادلكم على اهل
بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون لا يقصرون فى تربيته روى ان هامان قال هذه تعرفه
فقالت انما اردت انهم للملك ناصحون وما يقال ان مرجع الضمير مختص بلغة العرب ساقط
لعدم الاختصاص اولان فرعون كان من العمالقة وهم كانوا يتكلمون بالعربية فرددناه
الى امه ردى انها لما جاءت وجدت موسى على يد فرعون معللا فناولته منه
والقمته الثدى فقال فرعون من انت منه فانه ابى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة
طيبة الرايحة طيبة اللبن لا ادنى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها واجرى عليها والكلام فى انها
كيف اخذت الاجر مبنى على اختلاف الشرايع بل المذاهب فى ذلك مختلفا وانه كان
مال الحربى كى تقر عينها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علما بزول
معه الشبهة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعد الله حق فيرتابون اشد ذلك مما وقع بعد
العلم وفيه تعريض بام موسى حيث اصبح فوادها فارغا بعد سبق وعد الله تعالى اومن العلم
اى ولتعلم ان الرد انما كان لهذا الغرض وهو علمها بصدق وعد الله وما عداه من
قرة العين وذهاب الحزن تبع ولما بلغ اشده المبلغ الذى لا يزيد عليه نماؤه
وذلك اربعون سنة مفرد على وزن الجمع وعن سيبويه جمع شدة واستوى
اعتدل جسمه وعقله اتيناه حكما نبوة وعلما علم الشرايع واحوال الامم هذا
اجمال فى القصة فلا ينافى كون نبوته بعد مراجعته من عند شعيب وكذلك نجزى
المحسنين وكما جازينا موسى وامه على احسانهم نجزى ساير المحسنين ودخل
المدينة مدينة فرعون وهى مصر فان قلت اين كان حتى قال دخل المدينة قلت كان
هاجرهم بعيدا لله خاليا كما كان يفعل رسول الله بغار حراء ولا يدخل الا الضرورة
مستخفيا ولذلك قال على حين غفلة من اهلها اى بين العشائين اووقت
القيلولة وقيل بل كان ابيا من قصر فرعون وقيل من الاسكندرية فوجد فيها
رجلين يقتتلان يختصمان فى الدين هذا من شيعته وهذا من عدوه
احدهما قبطى والاخر سبطى واسم الاشارة لتصوير الكاين فى صورة الحاضر فاستغاثه
الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى عليه السلام بعد ما دعاه الى
الحق فلم يرعو دالوكز الضرب بجمع الكف وفى حديث المعراج فجاء جبريل فوكزنى بين كتفى فقضى

عليه قيل اصل القضاء اتمام الشئ قولا او فعلا قال هذا من عمل الشيطان
اى قتل القبطى سماه عمل الشيطان لانه لم يكن مأمورا بقتله او لكونه مأمونا بينهم وذلك لا يقدح
فى عصمته لانه كان خطاء لم يقصد به كره القتل واستغفاره وعده ظلما وعمل الشيطان
وتسميته نفسه ضالا على دأب المقربين فى عد المحقرات عظايم انه عدو للانسان مضل
مبين لا اشتباه فيه قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له بعد الاستغفار
انه هو الغفور كثير الغفران الرحيم وافر الرحمة قال رب بما انعمت على من المغفرة
وغيرها لاتوبن قسم محذوف الجواب او استعطاف اى بحق ما انعمت على اعصمنى فلن
اكون ظهيرا للمجرمين لمن اعانته تؤدى الى الاجرام كمظاهرة الاسرائيلى وقيل اراد
بمظاهرة فرعون فانه كان يركب معه ويكثر سواده فاصبح فى المدينة خائفا يترقب
المكروه من الاستقادة وغيرها مما يقال فيه فاذا الذى استنصره بالامس
يستصرخه يستغيث به على قبطى اخر يشاجره قال له موسى انك لغوى مبين شديد
الغواية ظاهرها لانك بالامس تسببت فى هلاك رجل والان تسعى فى هلاك اخر
فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما لموسى وللاسرائيلى قال يا موسى
اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس اى قال الاسرائيلى لما سماه غويا وهم
بالبطش بعدوهما ظن انه يقصده فخاف عليه او القبطى لما سمع قول موسى للاسرائيلى
انك لغوى مبين وكان قتل القبطى قد اشتهر ولم يعلم قاتله ففهم انه القاتل ان تريد
الا ان تكون جبارا فى الارض تقتل الناس على الغضب او متكبرا لا يتواضع لامر
الله وما تريد ان تكون من المصلحين بين المتخاصمين فان شأن المصلح الدفع بالاحسن
لا قتل احد الخصمين وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى بعد وصف رجل او
حال من رجل لانه نكرة موصوفة فان قلت فى سورة يس وجاء من اقصى المدينة
رجل يسعى بتقديم الجار والمجرور على عكس ما وقع ههنا فما وجه اختصاص كل بموضعه
قلت الكلام ههنا جار على اصل وانما غير هناك لان مساق الحديث لبيان سوء معاملة
اهل القرية الرسل فكان مظنة ان يتردد السامع هل هناك من فيه خير ام الكل على
الباطل فلذلك وان القرية شر تواب اخرجت لم يلبث بها من نشأ فاخر ذكر الرجل الذى
الى اتباع الرسل موخرها قال يا موسى ان الملأ اى اشراف قوم فرعون يأتمرو
ن بك اى يتشاورون لاجلك الايتمار التشاور لان كلا من المتشاورين
يأمر صاحبه بما يظهر له من الرأى ليقتلوك قصاصا عن القبطى الذى قتل فاخرج
انى لك من الناصحين اللام للبيان كما فى هيت لك وليست صلة للناصحين
لان معمول الصلة لا يتقدم على الموصول فخرج منها من مصر خائفا يترقب
اللحوق به قال رب نجنى من القوم الظالمين خلصنى من شرهم ولما توجه تلقاء
مدين صوبه وما يحاذيه ماخوذ من اللقاء ومدين قرية شعيب سميت باسم بانيها
مدين بن ابرهيم وبينها وبين مصر ثمان او سبع مراحل قال عسى ربى ان يهد
ينى سواء السبيل اى الطريق السوى والسوى العدل الذى لا انحراف فيه كان
قاصدا مدين ولم يعرف الطريق وقيل لم يكن قاصدا لمكان معين بل اخذ طريقا
يوصل الى اى بلد كان فسنح له ثلث طرق فاخذ فى اوسطها فجاء الطلب فى اثره
فاخذوا فى الاخيرين ولما ورد ماء مدين بئرا لهم معروفا يقال وردت الماء اذا
جئت للشرب والورد بكسر الواو ذلك الماء وجد عليه اى على مكان قريب
منه امة من الناس جماعة من ناس مختلفين يسقون اى مواشيهم وو
جد من دونهم اى فى ادنى مكان منهم امرأتين تذودان تمنعان

تمنعان اغنامهما عن الورد وحذف المفعول لمجرد الاختصار وقيل لان الفعل هو المقصود
وذلك لان الترحم انما كان لكونهما على الذود واما ان مذودهما غنم او غيره فلا دخل له
فى ذلك وهذا اذا لم يلاحظ اضافة المفعول واما اذا لوحظ فلا شك ان ترحمه انما
كان لكونهما على ذود غنمهما والقوم على سقى مواشيهم حتى لو كان القوم على سقى غنمهما وهم
على ذود مواشيهم لم يكن للترحم وجه قال ما خطبكما اى ما الموجب لمنعكما الخطب الامر
المهم الذى يقع الخطاب فى شأنه قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء الصدر بفتح الدال الرجوع
بعد الورد وقرأ نافع وابن كثير والكوفيون بضم الياء وكسر الدال من الاصدار وهو رد
المواشى بعد الايراد والفتح اولى لان الغاية رجوع القوم لا رد المواشى اذ به يرتفع المانع
والسلامة عن الحذف وابونا شيخ كبير لا يستطيع الخروج للسقى فيه استعطاف ودفع
لما يتوهم من العار فى استرعاء العواتق فانه يخل بالمروة فسقى لهما ثم تولى الى الظل ظل سمرة
فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير اى لاى شئ انزلته من قليل وكثير محتاج
وانما عدى الفقر باللام لتضمنه معنى السؤال قيل لما قال هذا الكلام الا وكان يرى خضرة البقل
فى بطنه من الهزال او المعنى انى لاجل ما انزلت الى من المعرفة بك وبصفاتك صرت فقيرا من خير الدنيا
الناس فعلى هذا يكون بحامنه وسرورا بحاله كما هو دأب النفوس القدسية فجاءته احديهما
تمشى على استحياء عن وجه الحياء والحفر مصوبة رأسها كما هو دأب العواتق لا سيما بنات
الانبياء قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا لم يكن اجرا حقيقة بل ارادت المكافاة
على الاحسان ولو كان اجرا لم يقدح فى كمال موسى لانه كان محتاجا وقيل بل لم يتناول طعاما
لما قدمه اليه وقال انا اهل بيت لا نأخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب كذلك عادتنا مع
كل وارد علينا فلما جاءه وقص عليه القصص مصدر كالعلل بمعنى المقصوص يعنى ما جرى
من امره قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين فرعون وقومه فان حكم فرعون لم يتجاوز
بلده قطعا قالت احديهما وهى التى دعته الى ابيها وهى الكبرى واسمها صفرا واسم الصغرى يا ابت
استأجره لرعى الغنم ان خير من استأجرت القوى الامين قال لها ابوها من اين علمت قوته
وامانته قالت اما قوته حيث رفع الحجر من رأس البئر وحده وكان لا يقله الا جماعة واما الامانة
فانى كنت امشى امامه فقال امشى خلفى وانعتى لى الطريق وانما جعل خير اسم ان مع كون القوى
الامين اعرف عناية لخيرية الاجير واثر الماضى دلالة على انه امر مجرب معروف وعن ابن مسعود
رضى الله عنه افرس الناس ثلثة صاحب يوسف حيث قال عسى ان ينفعنا وبنت شعيب وابو بكر
حين استخلف عمر قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج
اى نفسك ثمانى سنين جمع حجة سميت السنة بها لاشتمالها عليها وهذا كان مواعدة بينهما
لا نكاحا واما اجارة الحر فى المهر قال به الشافعى ومنعه ابو حنيفة رحمهما الله ولعل الشرايع
فى ذلك مختلفة او كان المهر شيئا اخر وانما اراد ان يكون راعى غنمه لامانته وقوته فان
اتممت عشرا فمن عندك تفضلا وهذا يدل على ان المهر كان اجارة نفسه وما اريد
ان اشق عليك بان اكلفك ما يوقعك فى التعب او يحرجك وهذا شأن الانبياء
فى امورهم ومعاملاتهم وعن السايب بن يزيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
شريكى فكان خير شريك لا يدارى ولا يمارى ولا يشارى ستجدنى ان شاء الله
من الصالحين الوافين بالعهد مع حسن المعاشرة ولين الجانب قال ذلك بينى
وبينك اى الذى شارطتنى عليه قايم بيننا لا اخرج عنه انا ولا تخرج انت ايما الا
جلين قضيت فلا عدوان على بطلب الزيادة اى كما انى ان قضيت اطول الاجلين
لا اطالب بالزيادة فكذا ان قضيت اقصرهما لا تطالبنى بالزيادة والله على ما نقول
وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل اطول الاجلين رواه البخارى عنه

عباس روى ان شعيبا كان عنده عصى الانبيا فامر موسى ان يدخل البيت ويأخذ احديها
فدخل وخرج بواحدة وكان شعيب قد كف بصره فلمسها فوجد العصا الذى هبط بها آدم من
آس الجنة فقال ردها وخذ غيرها سبع مرات فلم يقع فى يده غيرها وعن الكلبى انها كانت
من الشجرة التى نودى منها شجرة العوسج وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا
لما اصبح قال له شعيب اذا وصلت الى مفرق الطريق فلا تأخذ ذات اليمين لان هناك
تنينا اخاف عليك منه فلما وصل اخذ الغنم ذات اليمين فلم يقدر على كفها فتبعها فاذا بريف
وارف لم ير مثله فنام موسى فاقبل التنين فحاربته العصا فقتلته فاستيقظ موسى فابطر العصا
وامية فرجع الى شعيب واخبره الخبر ففرح بذلك وعلم ان لموسى وللعصا شأنا ثم قال انى وهبت لك
نتاج غنمى هذا العام كل ادرع ودرعا فجاء النتاج كلا على الصفة المذكورة فوفى له بالشرط وسار
باهله قاصدا مصر وكان بها هرون واخته مريم وامه وساير اقربائه آنس من جانب
الطور نارا اى من الجهة التى فى صوب الطور الايناس الابصار فى الموضع الذى لا يعهد
قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة من النار
هى العود الغليظ سواء كان فيه نار اولا والشعل من النار ايضا وقرا حمزة بضم الجيم
وعاصم بالفتح والباقون بالكسر وهى لغات لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما
اتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن شاطئ الوادى جانبه والايمن الذى
يقع فى صوب اليمين والوادى المقدس يقع فى جانب يمين الذاهب الى مصر فى البقعة
المباركة حال من الشاطئ او صلة نودى من الشجرة من ابتدائه والجار والمجرور
بدل من قوله من شاطئ بدل الاشتمال ان يا موسى اى يا موسى انى انا الله
رب العالمين فان قلت قد قال فى طه انى انا ربك وفى النمل انه انا الله وهنا انى انا الله
بالفاظ مختلفة والقصة واحدة قلت قد خاطبه فى ذلك الموطن بهذه الالفاظ كلها
وذلك انه كان ابتداء رسالته فبسط الكلام معه وعرفه بعض صفاته العليا او نقل
بالمعنى فى بعض المواضع وان الق عصاك فلما رآها تهتز تضطرب كانها
جان حية صغيرة فى السرعة وان كانت ثعبانا عظيم الهيئة ولى مدبرا ولم يعقب
هرب ولم يرجع من شدة الخوف يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين نودى
بهذا الكلام ليسكن روعه اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء
من غير آفة برص واضمم اليك جناحك مستعار من ضم الطاير جناحه لعدم الخوف
فان الطاير اذا خاف نشر جناحه وما قيل ان يديه كانتا مبسوطتين يتقى بهما الحية ففيه
انه لما رآها تهتز ولى مدبرا ولم يقابل الحية من الرهب اى لاجل الرهب وقرا ابن
عامر وابو بكر وحمزة والكسائى بضم الراء والكوفيون وابن عامر باسكان الهاء
فذانك برهانان العصا واليد وقرا ابن كثير وابو عمرو فذانك بنون مشددة زادوا على نون
التثنية نونا آخر بدلا عن لام ذلك والتخفيف هو الشايع المختار من ربك كائنين
او مرسلا بهما منه الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن
طاعة ربهم فهم احقاء بالانذار قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان
يقتلون واخى هارون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا يصدقنى الردء العون والناصر
قرا نافع ردا وقرا عاصم وحمزة يصدقنى بالرفع والباقون بالجزم لكونه جواب الامر
وهو المختار لبقاء الردء على الاطلاق فى التصديق انى اخاف ان يكذبون فى دعوى
الرسالة فان قلت اذا كذبوا موسى مع العصا واليد البيضاء فما فايدة تصديق هرون
قلت ليس المراد من تصديقه ان يقول صدقت فان سحبان وايل وباقلا فيه سواء
بل التصديق مجاز عن تلخيص الحجة وازاحة الشبهة لكونه افصح من موسى او المراد تصديق

تصديق المرسل اليهم اى يصدقونى واسناده الى هرون اسناد الى السبب ويؤيده انى
اخاف ان يكذبون قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به من باب الكناية
لان اليد تشتد بالعضد لانه قوامها والشخص يشتد باشتدادها او استعارة تمثيلية بان
شبه حال موسى فى تقويه باخيه بحال اليد فى اشتدادها بالعضد ونجعل لكما سلطانا
عليه او حجة واضحة فلا يصلون اليكما بمكروه بآياتنا يتعلق بنجعل اى نسلطكما بآياتنا
او بلا يصلون على معنى يمتنعون منهم بآياتنا او هو قسم محذوف الجواب لدلالة لا يصلون
عليه او القسم الذى يتوسط الكلام فلا يحتاج الى الجواب او صلة لما بعد انتما ومن اتبعكما
الغالبون لا لعدم جواز تقدم الصلة على الموصول فلما جاءهم موسى بآياتنا
بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى مختلق من تقدمك صفة مخصصة او ظاهر افتراؤه لا تشبهه
بالمعجزة من باب لمحة آتيك او مفترى كساير انواع السحر ثم وصفه بالافتراء تغليب لانه من
صف الاقوال والسحر اعم وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين اى كاينا فى زمانهم حال
من هذا والمشار اليه اما النبوة على معنى انكار ان يكون الرسول بشرا او السحر والمراد
تقطيعه وكونه سحرا لم ير مثله ولم يسمع وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده
فهو عالم انى محق وانتم مبطلون وقرا ابن كثير قال بحذف الواو على الاستيناف وعليه رسم
المكى والباقون بالواو على العطف حكاية للقولين ليميز السامع بين الصحيح والفاسد منهما
وعليه ساير الرسوم وهذا اوفق معنى ومن تكون له عاقبة الدار هذه الدار لانها
المنزل الاول وعاقبتها الجنة لقوله اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن انه لا يفلح الظالمون
فى الدارين لهم خزى فى الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وضرب الجزية وفى الآخرة عذاب النار
وقال فرعون ما علمت لكم من اله غيرى جعل عدم علمه مستلزما لعدمه لانه يدعى
الالوهية فلو كان هناك اله لعلمه وقيل اراد بنفى العلم نفى المعلوم وهذا انما يصح فى العلوم
العقلية لكونها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها فاوقد لى يا هامان
على الطين نادى هامان وهو وزيره باسمه وامره بالايقاد على طريقة الجبابرة ولم يقل اتخذ
لى آجرا لكونه اول من وضع صنعة الآجر روى ان عمر بن الخطاب لما دخل الشام ورأى القصور
المشيدة قال ما كنت اظن ان احدا بنى بالآجر غير فرعون فاجعل لى صرحا قصرا
لعلى اطلع الى اله موسى بالجهل ظن ان الاله جسم فى مكان ثم لو فرض انه كما ظن من
اين يلزم ان يكون فى محاذاة قصر فرعون ولئن سلم من اين علم ان القصر يبلغ السماء ولو سلم
من اين له انه اذا بلغ السماء يجد فى ذلك طريقا اليه وانى لاظنه من الكاذبين
فى ان له الها غيرى وهذا ايضا جهالة اخرى حيث ظن ان هناك الها آخر بعد علمه بان
لا اله غيره واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق تجاوزوا عن طورهم لان
الكبرياء رداء الله وظنوا انهم الينا لا يرجعون كانوا دهرية لا يقولون بالمعاد و
لذلك اقدموا على ذلك الاستكبار والطغيان قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يرجعون
بضم الياء وفتح الجيم فاخذناه وجنوده اخذ عزيز مقتدر فنبذناهم
فى اليم كما ينبذ الشىء الحقير فما ظنك بمن الارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه فانظر تأمل كيف كان عاقبة الظالمين الكاملين فى الظلم
وسوف ترى عاقبة مكذبيك وجعلناهم ائمة يدعون الى النار الى موجباتها من
الكفر والمعاصى ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب كما يدفع الاتباع عن
القادة فى الدنيا واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة لعن الناس لا ترى احدا
من الناس الا ويلعن فرعون وقومه او طردا من رحمته حيث اهلكهم عن آخرهم ويوم
القيمة هم من المقبوحين المطرودين يقال قبحه الله نحاه وطرده او ممن قبح وجوههم

ومن قرأ هذه الآية ثم قال بإيمان فرعون فهو أكفر من فرعون ولقد آتينا موسى
الكتاب التورية من بعد ما أهلكنا القرون الأولى من قوم نوح إلى فرعون بصائر
للناس ذلك الكتاب لاشتماله على المعارف التي هي أنوار القلوب وهدى إلى طريق
الجنة ورحمة لأن من عمل به يصل إلى رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال
يرجى منهم التذكر وما كنت بجانب الغربي بالوادي الذي في الجانب الغربي من الطور
إذ قضينا إلى موسى الأمر أرسلنا إليه الوحي وما كنت من الشاهدين للوحي
أو عليه وهم السبعون المختارون للميقات وهذا أوجه لأن الحضور قد علم من قوله
وما كنت بجانب الغربي وسياق الآية للدلالة على أن أخباره بتلك الوقائع ليس إلا بإعلام الله
ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر لكنا أوحينا إليك لأنا أنشأنا قرونا كثيرة
من بعد موسى وتطاول الزمان وتحرفت الأخبار وخفيت أعلام الشرائع فأرسلناك
بعده فحذف المستدرك وأقيم سببه مقامه وما كنت ثاويا مقيما في أهل مدين
قوم شعيب تتلو عليهم آياتنا تتعلم منهم يقال تلوت على فلان القرآن إذا تعلمت
منه أو لم تكن أنت مرسلا إليهم تتلو عليهم آياتنا بل كان شعيبا فأخبارك بإعلام الله
وقيل الضمير لأهل مكة ولكنا كنا مرسلين إياك وما كنت بجانب الطور إذ نادينا
موسى حين قربناه نجيا واستنبأناه وهذا أولى لتقدم ذلك ولكن رحمة من ربك
أعطاكها والتفت إلى الغيبة لدلالة لفظ الرب على التربية الملائمة للرحمة لتنذر قوما
ما أتاهم من نذير من قبلك لوقوع الفترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة و
خمسون سنة وقد روى البخاري عن سلمان أنها ستمائة سنة اللام متعلق بالفعل
المقدر لعلهم يتذكرون إذا تلوت عليهم تلك الوقائع فيعلمون أنك رسول من
عند الله ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا
لولا الأولى امتناعية والثانية بمعنى هلا تحضيضية والمعنى لولا أنهم قائلون إذا عوقبوا
بما قدمت أيديهم من الشرك والمعاصي هلا أرسلت إلينا رسولا لما أرسلنا إليهم
رسولا وكان الظاهر دخول حرف الامتناع على القول وإنما دخل على العقوبة لأنها السبب
لذلك القول والقول هو السبب لإرسال الرسل وإنما لم يكتف بهذا القول بل ذكر
سببه منبها على أن قولهم هذا ليس تأسفا على فوات الإيمان بل لما نالهم من العقوبة
وفيه دلالة على استحكام كفرهم ولما كان في التحضيض معنى الأمر لكونه باعثا على الفعل
مثله دخل الفاء في قوله فنتبع آياتك جوابا له كما يجاب الأمر بالفاء ونكون من
المؤمنين بتلك الآيات فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي
موسى يريدون الكتاب جملة والعصا واليد البيضاء تعنتا أولم يكفروا بما أوتي
موسى من قبل يريد أبناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم من العناد والتعنت وعن
الحسن قد كان للعرب أصل في أيام موسى وذلك أن فرعون وقومه كانوا من أولاد
العمالقة وهم عرب فعلى هذا يتعلق الجار والمجرور بأولم يكفروا وهذا وجه حسن لدلالته على
أن مشركي مكة لهم قدم راسخ في الكفر وعرق أصيل في العناد والحسن منه أن كفار مكة
كانوا كافرين بموسى فلما طلبوا من رسول الله معجزات موسى رد الله عليهم بأنهم قبل
محمد كانوا كافرين بموسى قالوا سحران أي موسى وهرون أو موسى ومحمد تظاهرا
تعاونا على السحر وقرأ الكوفيون سحران على حذف المضاف أو على المبالغة أو إرادة الكتابين
التورية والقرآن لقوله لولا أوتي مثل ما أوتي وعليه الرسم وهو أبلغ معنى وإن كان
المد أشهر وقالوا إنا بكل كافرون أي بكل واحد من الرسولين أو الكتابين وقيل
بكل الأنبياء ولا يستقيم بأن كفار مكة لم يكفروا بإبراهيم وإسمعيل قل فأتوا بكتاب من

من عند الله هو أهدى منهما من الكتابين وهذا يؤيد أن المراد بالسحرين هما القرآن والتورية و
الساحران موسى ومحمد أتبعه إن كنتم صادقين أنا سحران الإتيان بهما مستحيل
وحرف الشك إرخاء للعنان تبكيتا لهم فإن لم يستجيبوا لك فإن لم يستجيبوا دعاءك إلى
الكتاب الأهدى فحذف المفعول لأن الغالب أن فعل الاستجابة إذا عدي إلى الداعي باللام
يحذف الدعاء فاعلم ازدد علما أو دم على علمك أنما يتبعون أهواءهم إذ لم يبق
لهم شبهة فضلا عن الحجة ومن أضل ممن اتبع هواه أي لا أضل منه بغير هدى
من الله في موضع الحال للتوكيد لا للتقييد بناء على أن هوى النفس قد يوافق
الحق لعدم الاعتداد بتلك الموافقة إن الله لا يهدي القوم الظالمين المجترئين
على الظلم المنهمكين فيه ولقد وصلنا لهم القول أي تبعنا بعض القرآن بعضا في
الإنزال متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا ونصائح وهذا جواب عن قولهم لولا أوتي
مثل ما أوتي موسى لعلهم يتذكرون بعد التذكر في ذلك المنزل المتواصل الذين
آتيناهم الكتاب من قبله أي من قبل القرآن أو محمد عليه السلام هم به يؤمنون
تقديم هم للاختصاص وبه للاهتمام نزلت في مؤمني أهل الكتاب كسلمان وعبد الله
بن سلام وعن رفاعة بن قرظ في عشرة وأنا منهم اثنان وثلثون من الحبشة قدموا
في السفينة مع جعفر وثمانية قدموا من الشام فهذا إخبار بما سيقع لأن السورة مكية
وعن محمد بن إسحق هؤلاء عشرون رجلا بعثهم النجاشي ورسول الله بمكة فقرأ عليهم
القرآن فآمنوا وعن سعيد بن جبير هم سبعون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به أي بأنه
كلام الله تعالى إنه الحق من ربنا تعليل للإيمان به لأن كونه من عند الله
حقيق بأن يؤمن به إنا كنا من قبله مسلمين استئناف لبيان أن إيمانهم به ليس
محدثا بل كانوا سمعوا من آبائهم وقرأوا في كتبهم أنه سينزل كتاب نعته كذا والمسلم
اسم لكل موحد يؤمن بالله وكتبه ورسله أولئك يؤتون أجرهم مرتين ضعف أجر
من آمن بمحمد من المشركين روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله
قال ثلثة لهم أجران رجل آمن بنبيه وآمن بمحمد وعبد مملوك أدى حق الله ومواليه
ورجل له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها فتزوجها بما صبروا على الكفاء أو
على تكاليف الشرائع ويدرؤون بالحسنة السيئة ويدفعون ما نالهم من المكروه
من الشتم والسخرية بالقول الجميل أو المعاصي بالطاعات لقوله صلى الله عليه وسلم
أتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير تقربا إلى الله بعد
الثواب وإذا سمعوا اللغو الباطل وما لا طائل تحته أعرضوا عنه تكرما و
قالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم أمان منا لكم عن المقابلة بالمثل لا نبتغي
الجاهلين لا نرضى بالخلق بأخلاقهم عن محمد بن إسحق هذا كلام بعث النجاشي فإنهم لما
آمنوا أعرض عنهم أبو جهل ونفر من قريش وقالوا أخيبكم الله أرسلكم صاحبكم لتعلموا
خبر الرجل فما استقر بكم المجلس حتى فارقتم دينكم إنك لا تهدي من أحببت
لا تقدر على إدخال الإيمان في قلبه ولكن الله يهدي من يشاء بخلق الإيمان روى
البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أبي
طالب حين حضرته الوفاة وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال أي عم قل لا إله إلا
الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله أترغب عن ملة عبد المطلب
فلم يزل رسول الله يعرضها عليه ويعيدان تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم
هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فأنزل فيه إنك لا تهدي من أحببت
وعن ابن عباس رضي الله عنه قيل له أنت شفيع الجناة لا شريك الهداية وهو أعلم

قائله القاضي

بالمهتدين بالقابلين له وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج منها نزعا
قالته قريش وقيل القايل هو الحرث بن عثمان بن نوفل واسناده اليهم لوقوعه بينهم
تعللوا بعلة باطل فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما امنا اى جعلنا مكانهم
حرما ذا امن يجبى اليه ثمرات كل شئ يحمل اليه ثمرات اكثر الاشيا كقوله
واوتيت من كل شئ واذا كان هذا حالهم وهم على الشرك فكيف لو ضموا الى حرمة البيت
شرف الايمان وقرا نافع تجبى بالتا والياء احسن لوجود الفاصل رزقا مصدر لان
يجبى في معنى يرزق او مفعول له وان جعلته بمعنى المرزوق فهو حال من الثمرات
لتخصصها بالاضافة من لدنا تفضلا من غير استحقاق منهم ولكن اكثرهم لا يعلمون
ذلك مع ظهوره لكونهم نحو ما على قلوبهم وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها
اهلكنا كثيرا من اهل القرى كان حالهم كحال هولاء في الامن ولين العيش والبطر
شدة الفرح بالدنيا والغفلة عن شكر المنعم وفيه تخويف بليغ لاهل مكة وانتصاب
معيشتها اما بحذف الجار كقوله واختار موسى قومه او بحذف الزمان المضاف اى
ايام معيشتها او بتضمين بطرت معنى كفرت فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم
الا قليلا من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المارة ساعة للاستراحة وقيل
لم يسكنها الا الطيور والوحوش او لم يسكن من سكن الا قليلا بشوم معاصيهم لزاية
الى كل ساكن وكنا نحن الوارثين بان تركناها بلاقع دائرة وبذلك يدخل في
عداد خالص ملك الله لانقطاع تعلق الغير وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث
في امها رسولا يتلو عليهم اياتنا الزاما للحجة وقطعا للمعذرة اى ما كان الله ليهلك القرى التى على وجه
الارض الا بعد ان يرسل في امها رسولا وهي مكة او كل قرية عظيمة في كل وقت سائر القرى
توابعها وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اى ما كنا في الزمان السالف مهلكي قرية
الا والحال ان اهلها ظالمون بتكذيب الرسول المبعوث اليهم وفيه تخويف لاهل
مكة بانهم بتلك الصفة فهم بصدد ذلك وما اوتيتم من شئ فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها
اى شئ كان وان كان ملا الارض ذهبا ليس الا متاعا قليلا لانه في مقابلة الباقى
الذى اشار اليه بقوله وما عند الله خير وابقى لانه ابدى وفي الحديث لو كانت
الدنيا من الذهب والاخرة من الخزف لاختارها العاقل فكيف والامر بالعكس
ولذلك عقبه بقوله افلا تعقلون لان ايثار الفانى على الباقى ليس من افعال
العقلاء وقرا ابو عمرو بالياء على الالتفات وهو اشد ذما والخطاب ابلغ موعظة
افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه تقرير وايضاح لما تقدم والمعنى ابعد
ذلك التفاوت الظاهر بين الفانى والباقى يستوى بين ابناء الدنيا والاخرة
والوعد الحسن الوعد بالجنة والفاء الثانية للدلالة على سببية الاول لكن متعناه متاع
الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين الى النار ثم لبيان تراخى حال الاحضار
عن حال التمتع لا للتراخى في المدة لكونه معلوما لا طايل في ذكره وقرا نافع في
رواية قالون والكسائى ثم هو بسكون الهاء لان الواو والفاء ولام هو منزلة الجزء
لعدم استقلالها فصار هو كعضد فخفف ثم حمل عليها بجامع العطف ويوم يناديهم
منصوب باذكر فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون اضاف الشركاء
الى نفسه على زعمهم تهكما بهم ومفعولا زعم محذوف اى تزعمونهم شركائى والدال
على الحذف تقدم الذكر قال الذين حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وهو
الخلود في النار ربنا هؤلاء الذين اغوينا اى اغويناهم فحذف الراجع
اغويناهم كما غوينا خبر هؤلاء والكاف في موضع المصدر ومعنى التشبيه انهم

يجوز في عضد سكون الضاد
فكذا فيما يشبهه مثل
وهو فحمل على
هو ثم بجامع
العطف
سلمه

اعترض ابو علي بان الاخبار
باغويناهم غير مفيد
لانه قد علم
ذلك من الصلة
فقدره بتقدير
...
سلمه
منه

انهم غووا باختيارهم والمعنى اغويناهم فغووا غيا باختيارهم مثل ما غوينا وان كان ذلك
بتسويلنا ويجوز ان يكون اغويناهم استينافا والذين اغوينا خبرا تبرانا اليك
من كفرهم باختيارهم ما كانوا ايانا يعبدون بل كانوا يتبعون اهواءهم والجملتان
مقررتان للكلام السابق ولذلك خلتا عن العاطف وجعل ما مصدرية حذف عنها الجار
لتعلق تبرانا تكلف وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا
لهم لعجزهم عن الاستجابة والنصرة وراوا العذاب وتيقنوا انهم صائرون الى النار
لو انهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب لدفعوا او لو كانوا
يهتدون في الدنيا لما راوه او تمنوا الاهتداء لما راوا العذاب وتحيروا ويوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين وبخهم اولا على اتخاذ الشركاء ثم بما يقوله الشياطين
او ائمتهم حين تبرؤا منهم ثم بما يشبه الشماتة والتهكم بهم لما امرهم بدعائهم والاستغاثة
بهم بعد التبرؤ منهم ثم بالسؤال عما اجابوا به الرسل ازاحة للعلل وتبكيتا فعميت عليهم
الانباء يومئذ اصله فعموا عن الانباء وانما عكس مبالغة فكان عماهم سرى الى الانباء
فلم تجد اليهم سبيلا والمراد عمى القلب وتعدى الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون
اى لا يسال بعضهم بعضا لتساويهم في عمى الانباء عليهم فاما من تاب من الشرك وامن
بما يجب الايمان به وعمل صالحا بعد الايمان فعسى ان يكون من المفلحين ترغيب
في الاقلاع فكانه قال لما ذكر حال المصر واما التائب فمن الفائزين وعسى الكرام انجاز فما
ظنك باكرم الاكرمين ويجوز اتصاله بقوله افمن وعدناه وحديث الشركاء مستطرد لذكر الا
حضار وربك يخلق ما يشاء ويختار من هداية احد الفريقين واضلال الاخرى
فان قلت ما الفرق بين المشية والاختيار حتى جمع بينهما قلت الاختيار هو القصد الى ايجاد
ما تعلقت به الارادة وترجيح احد الطرفين بعد ملاحظة الاخرى ما كان لهم الخيرة
بيان لقوله ويختار ولذلك لم يدخل العاطف والخيرة من التخير كالطيرة من التطير
رد لقول الوليد بن المغيرة حين قال لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
وقيل ما موصولة والمعنى ويختار للعباد الذى لهم فيه الخيرة كخلق الانبياء ودلايل
الافاق والانفس وعلى الوجهين لا يلزم سلب الاختيار عنهم في افعالهم الجزئية سبحا
ن الله تنزيها له عن منازع او مزاحم فيما يشاء وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او مما
يشركون به وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون من عداوة رسول الله والطعن
فيه وهو الله لا غيره لا اله الا هو لا يستحق الالوهية غيره توكيد وتقرير لذلك له
الحمد في الاولى والاخرة لانه مولى النعم في الدارين يحمده المؤمنون في الاخرة تلذذا
وابتهاجا كما يحمدونه في الدنيا تعبدا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى هدانا
لهذا الحمد لله الذى صدقنا وعده روى مسلم وابو داود عن جابر ان رسول الله قال
اهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون يلهمون التسبيح والتهليل كما يلهمون النفس
وله الحكم لا حاكم غيره واليه ترجعون لا الى غيره قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل
سرمدا الى يوم القيمة لما ذكر تفرده بالالوهية واستحقاق الحمد في الدارين اردفه
بنعمتين لا يمكن الانتفاع بسائر النعم بدونهما ولا يشك احد انهما منه اذ لا مجال لتوهم
مشاركة الغير والسرمد الدائم من السرد وهو المداومة على الشئ من اله غير الله ياتيكم
بضياء قدم ذكر الليل لان انكشافه عن النهار بالنير الاعظم ابلغ في المنافع واجلب
للمصالح ولذلك اثر ذكر الضياء على النهار مع كونه ظاهرا في التقابل للدلالة على ان المقصود
من النهار والانتفاع بالنهار من روادفه ولذلك جعل الفاصلة افلا تسمعون

لان مدرك العقل بواسطة السمع اكثر من مدركات البصر اذ ما لا يمكن ادراكه بحاسة يمكن ان يعبر عنه بعبارة بخلافه قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون لم يقابل الضياء بالظلام لكونه غير مقصود فى نفسه اشمئزاز النفس من سماعه فى معرض الامتنان وذكر السكون فى الليل ولم يقابل بالتصرف فى النهار لانحصار نفع الليل فيه دون النهار فى التصرف فالتوبيخ فى افلا تسمعون ابلغ منه فى افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله لف ونشر مرتب وهو من محسنات الكلام ولعلكم تشكرون ولكى تعرفوا نعم الله فتشكروه جعل ذلك ويوم يناديهم فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا اخرجناهم وهو نبيهم لان الانبياء شهداء على الامم فقلنا بعد احضار النبى هاتوا برهانكم على الشرك وتكذيب الرسل فعلموا ان الحق لله فى الالوهية وضل عنهم غاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون من الباطل وبخهم اولا على اتخاذ الشركاء بقوله ويوم يناديهم فيقول اين شركائى لبيكتهم بعدم صلوحها ولذلك عقبه بقوله ادعوا شركاءكم تهكما بهم وثانيا بقوله اين شركائى الذين كنتم تزعمون وعقبه بقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون ليدل على ان ذلك الاتخاذ لم يكن لتحقيق وقيل الاول لبيان فساد رائهم والثانى لبيان ان ذلك لم يكن لسند ان قارون كان من قوم موسى لما كان افتخار المشركين بما كان لهم من الاموال البنين وما كان فيه رسول الله والمؤمنون من ضيق ذات اليد هددهم الله اولا بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها واردفه بمن ضرب به المثل فى الثروة والعناد ما آل اليه امره وجر عليه غروه وكيف صار هلاكه عبرة لاولى الابصار واشارة فى اثناء القصة الى انه قد اهلك قبله من كان اشد منه قوة واكثر مالا قال الكلبى كان ابن عم موسى وعن محمد بن اسحق كان عم موسى وعن ابن عباس كان ابن خالته فبغى عليهم بان طغى وخرج عن اتباع موسى وذلك ان موسى جعل الحبورة والقربان لهرون فقال قارون الامر لكما ولست على شئ قال موسى هذا صنع الله وقيل بغى اى ظلم وذلك ان فرعون كان جعله واليا على بنى اسرائيل فظلمهم وقيل تكبر بكثرة الاموال والاولاد واتيناه من الكنوز من انواع الاموال المدخرة من الكنز وهو الجمع ما ان مفاتحه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به او مفتح بالفتح وهو خزانة المال لتنوء بالعصبة اولى القوة يقال ناء به اذا اثقله والعصبة الجماعة الكثيرة وقيل من عشرة الى اربعين من العصوبة وهى الاحاطة ومنه عصبة الميت وقد بولغ فى اظهار الكثرة حيث ذكر الكنوز والنوء والعصبة ذوى القوة قيل كان يحمل مفاتح خزائنه ستون بغلا وكان كل مفتاح لا يزيد على اصبع اذ قال له قومه ظرف تنوء لا تفرح بالدنيا التى حبها هو راس كل خطيئة ان الله لا يحب الفرحين بزخارف الدنيا وابتغ فيما اتيك الله الدار الاخرة فانها دار الاقامة والمال نعم الوسيلة اليها وفى الحديث نعم المال الصالح للرجل الصالح ولا تنس نصيبك من الدنيا بان تخرج من مالك كلا بل خذ منه قدر كفافك كقوله ولا تبسطها كل البسط او ما تصلح به اخرتك فان نصيب المومن من الدنيا كقوله صلى الله عليه وسلم يقول ابن ادم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت به فابقيت ويويده قوله واحسن كما احسن الله اليك اى انعم به على المحاويج كما انعم الله عليك ولا تبغ الفساد فى الارض لا تطلبه فضلا عن الوقوع فيه ان الله لا يحب المفسدين والعاقل لا يدخل نفسه فى زمرتهم قال انما اوتيته على علم عندى اى

اى على كاين عندى استوجبت به التفوق على الناس وذلك انه كان اعلم بنى اسرائيل بالتورية وقيل اراد علم الكيمياء فانه كان تعلم من موسى وقيل علم التجارة والمكاسب وقيل علم بكنوز يوسف والوجه ان عندى جملة مستانفة تقرر ما ذكره اى هكذا الامر عندى وفى اعتقادى اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا اى قد علم ذلك قراءة فى التورية وسمع من المورخين اخبار نمرود والضحاك وما كانوا فيه فكيف لم يتنبه واغتر بما فيه ولم يقس حاله عليها ولئلك ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون لان سوال الاستعلام محال فى حقه تعالى وسوال المعاتبة يكون بين الاحبة هذه مقدمة تدل على هلاك قارون بغتة فخرج على قومه فى زينته مفتخرا عليهم فى زينته المخصوص به قيل كان راكبا بغلة شهباء وعليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف من الغلمان على زيه وقيل ثلثمائة غلام عن يمينه وثلثمائة جارية عن يساره وعليهن الحلى والديباج وقيل فى تسعين الفا وعليهم المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا وهم عوام المؤمنين يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون تمنوا مثله لئلا يكون حسدا وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى ويصرفوه فى وجوه الخير وقيل بل كانوا كفارا انه لذو حظ عظيم لذو النصيب والبخت فى المثل الدنيا احاظ وجدود وقال الذين اوتوا العلم بسرعة زوال نعيم الدنيا ودوام الاخرة ويلكم اصله الدعاء بالهلاك ولم يريدوا به معناه بل التعجب من ذهولهم وتمنيهم الفانى ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا مما اوتى قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الا الصابرون على الطاعات وعن الشهوات والضمير لما قاله العلماء لانها كلمة او للثواب لانه بمعنى المثوبة او للجنة او للايمان والعمل الصالح لانه فى معنى السيرة والطريقة فخسفنا به وبداره الارض كان مع بغيه يداريه موسى للرحم الذى بينهما حتى طالبه بزكوة ماله وشارطه على دينار من كل الف فاستكثره فجمع بنى اسرائيل وقال ان موسى يريد اخذ اموالكم فقالوا انت سيدنا فمرنا بما رايت فقال قد دبرت لتجعل لبغى من بغايا بنى اسرائيل الف دينار وقيل بل حكمها فى ماله فقام موسى يوم عيد خطيبا فقال يا معشر بنى اسرائيل من سرق منكم قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه وان كان محصنا رجمناه فقال قارون وان كنت ذاك الرجل قال بلى قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك زنيت بفلانة فلحضرها موسى وناشدها الله بالذى فلق البحر وانزل التورية فقالت كلا ولكن جعل لى قارون جعلا لا فترى عليك فخر موسى ساجدا يبكى وقال يا رب ان كنت لك رسولا فاغضب لى فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال موسى خذيهم يا ارض وكان يتبعه رجلان وبقية بنى اسرائيل قد اعتزلوا عنه مع موسى فاخذتهم الارض الى الركب ثم ناداها خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم ناداها خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وكان فى اثناء ذلك يناشده بالرحم ويستغيث به وموسى لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم ناداها فانطبقت عليهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قيل ناداه ربه بعد هلاك قارون ما اقسى قلبك يا موسى استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتى لو دعانى مرة لاجبته ثم اصبح بنو اسرائيل يتناجون ان موسى لم يدع على قارون الا طمعا فى ماله فانه لم يكن له وارث غيره فدعا الله ان يخسف بماله فخسف به بعد ثلث فما كان له من فئة من اعوان فارجع لان بعضهم يرجع الى البعض عند الانتصار والمحاماة ينصرونه من دون الله من دون عذابه وما كان من المنتصرين وما كان من الممتنعين بغيرها من الاسباب واصبح الذين تمنوا مكانه الذين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون بالامس يقولون قبل هلاكه بقليل ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من

عباده ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة المرزوق ولا لهوان الذي قدر عليه ويكان
يقول المتندم والمتعجب قال الخليل هذا قول قوم تنبهوا وتندموا والكاف جردت عن التشبيه
كقوله صلى الله عليه وسلم كانك بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل وعليه قول امرئ
القيس كاني لم اركب جوادا لغارة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال وعند الكوفيين اصله
ويلك حذفت اللام تخفيفا لكثرة استعمالها لهذه الكلمة وعليه قول عنترة قبل الفوارس ويك
عنتر اقدم وفتحت ان لتقدير العلم وعن قطرب لتقدير اللام ورسمت مركبة لتوقف
المعنى عليه وقد وقف الكسائي على الياء وابو عمرو على الكاف والباقون على النون
لولا ان من الله علينا لخسف بنا كما خسف بقارون وتحنث متمنينا ان نوتى مثل ما اوتي
قرا حفص خسف على بناء الفاعل ويكانه لا يفلح الكافرون لا محالة تلك الدار
الآخرة اشارة تعظيم اي التي بلغك خبرها وبلغك شانها العجب نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا كما اراد فرعون ولا فسادا كما
اراد قارون وعلق بالارادة مبالغة في الردع عنهما والعاقبة للمتقين
اي الجنة او العاقبة المحمودة وهذا التذييل يدل على ان ملاك الامر هو التقوى ولا يكفي
في النجاة عدم تلك الارادة من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع المظهر موضع المضمر للدلالة
على ان لا فرق بين من ارتكب سيئة او سيئات ولما يفيد تكرار الاسناد من تقبيح حال
المسيئ المقتضي لتنفير السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثله وانما حذف المضاف وبولغ
في المماثلة كما بولغ في جانب الحسنة بلفظ الخير الدال على الكثرة ان الذي فرض
عليك القرآن اي تلاوته وتبليغه والزمك مشاقه لرادك الى معاد واي
معاد وهو المقام المحمود الذي خصك به وقيل اراد مكة وتنكيره لان فتح مكة كان له
شان روي انها نزلت في مهاجره حين بلغ الجحفة واشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم
ابرهيم قل ربي اعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين امره ان يقول للمشركين
ان الله اعلم بمن هو على الهدى وله الثواب في المعاد ومن هو بضد ذلك وان اريد بالمعاد
فتح مكة فالمعنى ان ذلك ادنى ما اوتيته وانما النعم العظمى ما نؤتاه في العقبى واشار اليه بالمهتدي
المتبرز والضلال المتمرضة لاعدائه فان قلت قد امر موسى بهذا القول ايضا ورادا كما
ومن عنده قلت كلام موسى كان جوابا لهم حيث قالوا ما هذا الا سحر مفترى فكان
خليقا بالتاكيد وهنا الكلام مذكور ابتداء لبيان رفعة شانه وما يؤول اليه امره فاقتصر
على ما يؤدي ذلك الغرض وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب كنت امينا ناشيا بين
الكفار الذين لا يقرؤن كتابا ولا يدينون دينا اين كنت من القرآن المعجز وهذا دفع لما
يختلج في الوهم من استبعاد رده الى معاد الا رحمة من ربك لكن رحمة ربك
ادركتك ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القي عليك الكتاب الا
رحمة من ربك لان نفي الرجا نفي للالقا على ابلغ وجه فلا تكونن ظهيرا للكافرين
عونا لهم في امرهم فانه اغراء لهم ولا يصدنك عن آيات الله عن تلاوتها وتبليغها
بعد اذ انزلت اليك اذ لم يزل الا للتلاوة والعمل وادع الى ربك
الى توحيده ولا تكونن من المشركين بترك الدعوة الى التوحيد ولا تدع مع
الله الها آخر من باب الالهاب وقطع اطماع المشركين لا اله الا هو استيناف
كالبرهان على عدم صلوحه للغير كل شيء هالك الا وجهه ذاته كقوله كل من
عليها فان وقيل كل ممكن قابل للعدم وقيل كل عمل باطل الا ما اريد به وجهه له
الحكم القضاء النافذ واليه ترجعون للجزاء تمت والحمد لله على نعم عمت

عـ سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آيات بسم الله الرحمن الرحيم
الم اسم السورة او حروف مقطعة ايقاظا أحسب الناس انكار للحسبان المتعلق
بما بعده وهو ان يتركوا للوثوق سادا مسد مفعوليه ان يقولوا آمنا متعلق
بيتركوا بتقدير اللام والترك بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع وثاني مفعوليه محذوف
لدلالة الحال عليه اي كما هم وهم لا يفتنون اي غير مفتونين وقيل ان يتركوا مفعول
اول وان يقولوا ثاني المفعولين بتقدير اللام وهم لا يفتنون ثاني مفعولي يتركوا وفيه
قلق لدخول الواو على الخبر والفصل بين مفعولي يتركوا بثاني مفعولي حسب وهو ان
يقولوا والمعنى انكار حسبان الناس بمجرد اجراء كلمة الايمان على السنتهم ان يسلموا بذلك
عن كل آفة في هذه الدار مع انها دار المشاق نحو قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم ولقد فتنا الذين من قبلهم اي سنة الله في المؤمنين
ان يمتحنهم روى البخاري عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله ما نلقى من المشركين
فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض
ثم يجعل فيها ويؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد
ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين صدقوا و
ليعلمن الكاذبين علما حاليا به يقع التمييز بين الصادق في ايمانه والكاذب او اريد
لازمه وهو التمييز او المجازاة ام حسب الذين يعملون السيئات جميعها من
الكفر والمعاصي ان يسبقونا ان يفوتونا ثم نجد ثوابه نفسهم ولكن لتماديهم في الغفلة
كانهم طامعون ذلك واصله ان لاشتمالها على المسند والمسند اليه سدت مسد مفعولي
الحسبان كما اشرنا اليه في الاول ويجوز ان يكون حسب بمعنى قدر ومعنى ام الاضراب للدلالة
على ان هذا الحسبان ابطل من الاول لان سرف الايمان ربما تخيل ان من اتصف به يسلم عن
الآفات والشرور وتحامل فظن عدم المجازاة على سيئ العمل فانه ظاهر البطلان ولذلك
اردفه بقوله ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف
المخصوص من كان يرجو لقاء الله حقيق في الجنة لما روى البخاري انكم سترون
ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب او الوصول الى الحساب والجزاء
مثلت تلك الحالة بحال عبد قدم بعد عهد طويل الى مولاه فان اجل الله لآت
اي الموت كائن لا محالة وهو الطريق الى تلك الحالة كما يقول من يرجو لقاء الامير فات
العذر قريب اذا علم انه يقدم فيه والمعنى فليبادر الى ما يصدق رجاءه ويحقق امله وهو
السميع لاقوال العباد العليم بافعالهم فهو حقيق بالتقوى والخشية ومن جاهد فانما
يجاهد لنفسه نفع مجاهدته مقصور عليها وانما الترغيب والحث عليها لكمال الرأفة
بالعباد ان الله لغني عن العالمين تصريح بما علم ضمنا وتوكيد لذلك المفهوم
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن
الذي كانوا يعملون لما بين ان العمل الصالح لا يتعدى نفعه العامل بين كيفية جزائه المجاهد
ترغيبا وهي تكفير ما مضى من السيئات والمجازاة باحسن الجزاء بان يجازيه في مقابلة ادنى
عمل ما يجازيه على افضل تفضلا منه ووصينا الانسان بوالديه حسنا لما بين
ثمرة الايمان والعمل الصالح اشار الى بعض ما يعن الانسان فيه والوصية بالشي الامر به
موكدا من وصيت الشي بكذا اذا وصلته به ويقال وصيت الارض اذا اتصل نباتها والمعنى
امرنا بايتاء والديه ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه ويجوز نصبه بفعل مضمر
للوصية اي قلنا افعل بهما حسنا وعلى هذا يحسن الوقف على بوالديه وعلى الاول يقدر
القول في قوله وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم وان امراك بالاشراك وبلغا

طاقتها فلا تطعهما اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وانما نفى العلم والمراد نفي المعلوم اشارة
الى ان ما لا يعلم لا يجوز اتباعه فضلا عما علم بطلانه فان قلت قد ذكر في سورة لقمان وان
جاهداك على ان تشرك بعلى وههنا باللام فما وجه اختصاص كل بموضعه قلت الكلام في سورة
لقمان معترض في اثنا وصية لقمان فيدل على شدة الاهتمام بعدم الاشراك وعلى يدل على
القسر والالجاء اي وان تشرك عليه فلا تطعهما وما في الاية انما اشير به الى الصاد عن الايمان
الذي سبق له الكلام الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون المؤمن منكم والمشرك
وعد ووعيد والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد
شمس وكانت مشركة فلما اسلم سعد قالت صبأت يا سعد فحلفت لا تاكل ولا تشرب ولا
تظلها ظل حتى يرجع سعد عن الاسلام فبقيت على ذلك حتى غشي عليها فنزلت والذين
امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء
الصلاح صفة جامعة لساير الكمالات ولذلك طلبها الانبيا قال سليمان وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين ويوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين وابرهيم
رب هب لي حكما والحقني بالصالحين ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا او
ذي في الله هذا اخبار عما يكون في المستقبل لان الاية مكية ولم يكن بها نفاق ولا
قتال ولا غنيمة وانما اعاد لفظ الجلالة اشارة الى ان الايذا في الله حقيق بان يحمل
جعل فتنة الناس كعذاب الله كما ان عذاب الله صارف المؤمن عن
الكفر فكذلك عذاب الناس صارف المنافق عن الايمان ولئن جاء نصر من ربك
فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين يتوسلون بذلك الى سهم الغنيمة اوليس الله
باعلم بما في صدور العالمين اي يكذب لهم على ابلغ وجه اي لو كان في صدورهم
ايمان لعلمه وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين اي ليميزن بين الفريقين
بحيث لا يشتبه بعضهم ببعض وكذلك وقع كما قال قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا
الله من اخباركم وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم
مقالة صناديد قريش قالوا لمن امن منهم ان كان بعث على ما يزعم محمد فانا نحمل عنكم
الاثام ان اتبعتمونا علقوا الحمل بالاتباع واتوا بصيغة الامر مبالغة في التشجيع ولذلك
بالغ في الرد عليهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون
من الاولى بيانية والثانية تبعيضية اي ادنى جزء منه وقيل مزيدة والتكذيب راجع الى
الوعد بالضمان لان الانشا لا يتصف بالكذب او انهم كاذبون عند انفسهم بمعنى
انهم يعلمون ان ذلك الوعد غير مطابق للواقع وليحملن اثقالهم اوزارهم
التي اقترفوها واثقالا مع اثقالهم بسبب الاضلال فان الدال على الشر كفاعله
على من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وليسئلن يوم القيمة
عما كانوا يفترون سوال توبيخ ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم
الف سنة الا خمسين عاما ذكر بعد مقال المشركين بعض قصص الانبيا تسلية لرسول الله
وابتدا بنوح اذ لم يكابد من الانبيا ما كابده احد ولبث في قومه هذه المدة كان بعد
بعثته فانه بعث على رأس اربعين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب
انه عاش الفا واربعماية سنة وعن عون بن شداد الفا وستماية وخمسين سنة وانما اثر ما
في التنزيل على تسعماية وخمسين لئلا يتوهم تجوز مع كونه اخصر واعذب ولكون الالف
اشد ابنا عن طول المدة ونهوا وفق فاخذهم الطوفان طوفان الما والمطر الغالب
غث يغشى كل شيء من طاف حول الشيء قال الخليل وقد شبه العجاج ظلام الليل بذلك
وعم طوفان الظلام الاثانا وهم ظالمون بالكفر فانجيناه واصحاب السفينة
قيل

قيل كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث وعن ابن اسحق كانوا عشرة
خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انهم كانوا ثمانية نوح
واهله وبنوه الثلثة سام وحام ويافث مع اهاليهم وجعلناها اية للعالمين اي السفينة
او الواقعة يضرب بها المثل وابراهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر اذ قال لقو
مه اعبدوا الله واتقوه ظرف لارسلنا على الاول وبدل اشتمال على الثاني ذلكم خير لكم
من عبادة الاصنام ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون بينهما واشار ان لله لا له على
ترجيح عدم العلم انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا في تسميتها
الهة تصرفون به الناس عن سبيل الحق ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا شيئا مما يطلق عليه اسم الرزق دليل ثان على بطلان ما هم عليه
ابلغ من الاول لان اقل درجات المعبود ان يكون له نفع في الحال فابتغوا عند الله
الرزق كله فانه القادر واعبدوه توسلا بالعبادة الى مطالبكم واشكروا له على ما اولاكم
اليه ترجعون وعد ووعيد وان تكذبوا اي تكذبوني فقد كذب امم
من قبلكم اي كذبوا الرسل ولم يضرهم تكذيبهم بل ضروا انفسهم وما على الرسول الا
البلاغ المبين الواضح او الموضح المزيح للشبهة هذه الاية وما بعدها الى قوله فما كان جواب
قومه اما قول ابراهيم لامته والامم المكذبة قوم شيث وادريس ونوح او ابتداء كلام
من الله لقريش وساير العرب اعترض به في اثنا قصة ابراهيم وذلك ان ذكر هذه القصص
انما هو للتسلية رسول الله فكانه قال ان تكذبوا يا معشر العرب محمدا فقد كذب ابرهيم
قومه ومن نحو ما نبي به محمد وكذا ساير الرسل قبله وبعده اولم يروا كيف يبدئ الله
الخلق اي علموا علما واضحا كالرؤية بالباصرة والهمزة وكيف مسلوب عنهما معنى الاستفهام
وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالخطاب اما من ابرهيم او منه تعالى بناء على ما تقدم ولا
حاجة الى تقدير القول ثم يعيده عطف على اولم يروا لا على يبدئ لان الرؤية ليست بوا
قعة على الاعادة لان الابداء ايضا كذلك والرؤية بمعنى العلم يصح تعلقه بهما بل لان العلم
بالابدا دليل على العلم بالاعادة ومستلزم له فلا يحسن نظمهما في سلك واحد ان ذلك
على الله يسير اذ لا يحتاج الا الى تعلق الارادة قل سيروا في الارض اي قل يا
ابراهيم او قل يا محمد فانظروا كيف بدا الخلق تاملوا في عجايب صنعه في انواع مخلوقاته
يدلكم ذلك على سهولة امر الاعادة عليه ولما كان دليل الانفسي اقرب من الافاق اثر
في الاول الروية وفي الثاني النظر ولذلك قيل الاول حدسي والثاني فكري ثم الله ينشئ
النشاة الاخرة اي يخرجهم ثانيا كما ابتدعهم اولا واصل النشا الارتفاع يقال نشات في
بني فلان فكان الله بالايجاد اخرجهم من حضيض العدم الى اوج الوجود وقرا ابن كثير وابو عمرو
والنشاءة بالف بعدها همزة مفتوحة على انهما لغتان او الثاني اسم المصدر والقصر اخف وانما
ابرز اسمه لكون الاسم الدال على الاوصاف المعتبرة في الابداء من العلم والقدرة والحكمة وكانه
قال الموصوف هو الذي ينشئ النشاة الاخرة ان الله على كل شيء قدير لاستواء
نسبة القدرة الى الكل دليل على المدعى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه
تقلبون تردون يجازي كلا على وفق ارادته وما انتم بمعجزين الله في الارض
بالتواري والهبوط في مهاويها ولا في السماء التي هي افسح وابسط لو قدرتم صعودكم اليها
او القدير ولا من في السماء فحذف كما في قول حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره
سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لا في الارض ولا في السماء اي لا تقدرون
انتم على دفع قضائه ولا لكم من يحامي عنكم في ذلك والذين كفروا بايات الله
الدالة على وحدانيته والبعث وما يعقبه من الجزاء ولقائه اولئك يئسوا من رحمتي بياسو

يوم القيمة لان المنكر للبعث لا يوصف بالياس لانه من يوصف بالرجاء او المراد بيان مبا
حالهم حال المؤمنين فذكر الياس للمشاكلة او استعارة تبعية شبهوا بمن مات على الكفر او بمن
ايس فهنا اشارة الى توغلهم في الكفر وانما التفت الى التكلم اشارة الى قوله ورحمتي وسعت
كل شيء ولذلك لم يصف العذاب في قوله واولئك لهم عذاب اليم فما كان جواب قومه
قومه اي قوم ابراهيم الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه قابلوا نصحه بابلغ مكروه
وهو القتل والحرق واثر واصيغة التفعيل الدال على التكثير والمبالغة فانجاه الله من النار
بان قال لها كوني بردا وسلاما فصارت روضة وانما اختصر كيفية الانجاء لان الغرض بيان
ما قاساه من امته ليكون تسلية لرسول الله ان في ذلك لايات هي اخمادها
دفعة وانشاء روضة مكانها وسلب الحرارة عنها واحداث البرودة مكانها لقوم
يؤمنون لانهم بالتامل فيها يزدادون ايمانا ويوقنون بان العاقبة لهم وقال انما
اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا قرأ نافع وابن عامر بتنوين
مودة ونصب الكلمتين على ان مودة مفعول له وبينكم ظرف اي اتخذتموها لتوادوا وتتوا
صلوا لاجتماعكم على عبادتها كما ترى اليوم اهل كل مذهب كذلك او مفعولا ثانيا كما
في قوله اتخذوا ايمانهم جنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي مودة مرفوعا مضافا
الى بينكم على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار على ان ما موصول والعائد محذوف
ومودة خبرها او مصدرية اي ان سبب اتخاذكم اوثانا ارادة مودة او كافة ومودة خبر
مقدر اي انعكافكم عليها مودة او مبتدأ وفي الدنيا خبره اي تواصلكم في الدنيا وعلى هذين
الوجهين الجملة صفة اوثانا وقرأ حمزة وحفص مودة بينكم منصوبا مضافا والمختار
نصب منونا لظهور المعنى والاستغناء عن التقدير والجري على الاصل ثم يوم القيمة يكفر
بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي بعض العبدة يلعن بعضا كقوله تعالى الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او العبدة والاصنام لقوله ويوم القيمة يكونون
عليهم ضدا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين فان قلت لم يذكر هذا قبل جواب
قومه ليكون كلامه منتظما في سلك واحد قلت ما تقدم كان نصحا وارشادا وهذا وعيد
وتهديد وما يؤول اليه امرهم فلم يحسن نظمه معه فامن له لوط وهو اول من امن به
حين رأى النار لم يؤثر فيه وهو ابن اخيه وقال اني مهاجر الى ربي الى حيث امرني
انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمر الا بما فيه حكمة كان
بكوثى فسار الى حران بديار بكر ثم الى الشام وفلسطين ثم صعد الى مصر وملك مصر هو
الذي اعطاه هاجر ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة حين
سأل الولد ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب جنس الكتاب
فيدخل تحته الكتب الاربعة واتيناه اجره في الدنيا اجر الهجرة من الثناء الحسن الا ترى
انه لا وهم ينتمون اليه وانه في الاخرة لمن الصالحين لمن الجامعين لمحاسن الافعال
والاخلاق ولوطا عطف على ابرهيم ان نصب باذكر وعلى ما عطف عليه ان كان معطوفا على
نوحا اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعل البالغ في القبح قرأ انكم بالاخبار
نافع وابن كثير وابن عامر وحفص اكتفاء بالثاني ما سبقكم بها من احد من العالمين
استيناف مقرر لزيادة القبح فيها حيث اشمأزت الطباع باسرها عن ارتكابها اسالف الدهر
ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل تتعرضون للسابلة اتفق السبعة على
الاستفهام هنا للانكار والتعجب وتأتون في ناديكم المنكر مثل اللواط في المجلس والضرط
والحذف ورمي البندق وفرقعة الاصابع وحل الازرار فما كان جواب قومه الا ان قالوا
ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في دعوى النبوة او في نزول العذاب

قوله ولليري على الاصل
احترازعن المنقوص
منه

العذاب قال رب انصرني على القوم المفسدين بانزال العذاب وصفهم بالافساد توسلا بذلك
على استعجال نزول العذاب فلما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة بالولد و
النافلة او باهلاك قوم لوط قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية اشارة الى قرية سدوم وفي
المثل اجور من قاضي سدوم ان اهلها كانوا ظالمين مصرين على الظلم في الزمن الماضي قال ان
فيها لوطا بيان للمانع وسوال عن كيفية الهلاك مع وجوده بين اظهرهم وهو بريء عما كانوا
يفعلون قالوا نحن اعلم بمن فيها تسلية له على ابلغ وجه بانهم اعلم بعدم استحقاقه العذاب
لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين الباقين في العذاب لكونها
كافرة مثلهم وقرأ حمزة والكسائي لننجينه مخففا من الانجاء والتشديد ابلغ ولما ان
جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ان صلة يفيد اتصال الفعلين كانه قيل لما جاء تاله
فاجأته المساءة من غير ريث خوفا عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا كناية عن
فقد القدرة على تدبيرهم وذلك ان طويل الذرع ينال ما لا يناله قصير الذرع فضرب ذلك
مثلا في العجز والقدرة وقيل في عكسه رحب الذراع وقالوا لا تخف ولا تحزن لما
رأوا فيه اثر الضجرة انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين كانت في علم الله
تعالى في عدادهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وابو بكر منجوك مخففا والتشديد
ابلغ ونصب اهلك بالعطف على محل كاف منجوك انا منزلون على اهل هذه القرية
رجزا من السماء الرجز والرجس القلق والاضطراب اطلقا على العذاب لاضطراب المعذب
وقرأ ابن عامر منزلون مشددا بما كانوا يفسقون على الاستمرار ابلغ من قولهم ان
اهلها كانوا ظالمين ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون فان اثارهم
باقية ما دامت نطق القران لسوء حالهم وتواترت بها الاخبار والى مدين اخاهم شعيبا
فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب
او هو على اصله والرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم
الرجفة الزلزلة الشديدة او صيحة جبريل لان القلوب ترجف منها فاصبحوا في ديارهم
في ارضهم او في ديارهم اكتفى بالواحد جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمود
منصوبان باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه وقرأ حمزة وحفص
ثمود غير منصرف بتأويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم منازلهم وخرابها فان
اهل مكة كانوا يمرون عليها في اسفارهم وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي
فصدهم عن السبيل عن طريق الحق وكانوا مستبصرين ذوي بصائر
عالمين بحقية الدين ولكن لجوا حتى هلكوا او كانوا متمكنين من الاستبصار ولكن تغافلوا
وقارون وفرعون وهامان عطف على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه وتاخيره
في سورة غافر نظرا الى الوجود ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض
وما كانوا سابقين فائتين امر الله فيهم بل ادركهم لا محالة فكلا اخذنا بذنبه فمنهم
من ارسلنا عليه حاصبا ريحا فيها الحصباء او ملكا يرميهم بها الضمير لقوم لوط ومنهم
من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم
من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وجيشه وما كان الله ليظلمهم ليفاجئهم بالعذاب
ويعاملهم معاملة الظالمين ولكن كانوا انفسهم يظلمون بان عرضوها للعذاب مثل الذين
اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا شبه ما اتخذوه
معتمدا ومتكلا في دينهم بما هو مثل عند الناس في الوهن والغرض من التشبيه تقرير وهن
دينهم وانه بلغ الغاية التي لا غاية بعدها وهذا كتشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل
بالراقم على الماء من تشبيه المركب بالمركب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت تذييل

تقرير الغرض لو كانوا يعلمون جهلهم اولا في الاتخاذ ثم زادهم تجهيلا بانهم لا يعلمون
هذا الجهل البين ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ما نافية ومن زائدة او استفهامية
ومن للبيان والعلم معلق توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا ويجوز ان
يكون مصدرية او موصولة والعايد محذوف وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحمزة
والكسائي بتاء الخطاب على اضمار القول والغيبة احسن لجريه على سنن السابق وعدم
التقدير وهو العزيز الغالب على كل شيء الحكيم الذي لا يعمل شيئا الا وفيه حكم
وفي الوصفين رمز الى عبادتهم حيث تركوا عبادة الموصوف بهما وعبدوا من لا يطلق عليه
اسم الشيء وتلك الامثال نضربها للناس اي هذا المثل ونظايره كشفا للحجب عن وجوه
محاسن الفرايد وتقريبا للمعاني الدقيقة الى الافهام وما يعقلها الا العالمون
تعريض بالمشركين الطاعنين في القرآن لاشتماله على ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
وعن رسول الله انه تلاها وقال العالم من عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق
الله السموات والارض بالحق خلقا ملتبسا به والمعنى خلقها لتكون مساكن
عباده ودلايل قدرته وعلمه وعظم شانه ولذلك قال ان في ذلك لآية للمؤمنين
المتاملين فيها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بتلاوته فانه من افضل
الاعمال وعنه صلى الله عليه وسلم يروي عن ربه من شغله تلاوة القرآن عن دعائي
ومسلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر اذ الاشتغال بها والمحافظة على شرايطها ومراقبة اوقاتها يمنع عن الاشتغال
بغيرها ولان الصلوة معراج العبد فاذا واظب عليها وذاق حلاوة المناجاة ينسى ساير
اللذات فلا يكون له هم سواها ولكن شرط ذلك ان يقبل عليها بقلبه ويطرح ما سوى
الله وراء ظهره روي ان فتى من الانصار كان مسرفا على نفسه لا يدع شيئا من المنكر
الا ارتكبه فوصف لرسول الله فقال كيف صلوته فقالوا هو يصلي الصلوة مع رسول
الله فقال ان صلوته ستنهاه ثم تاب عن قريب ولذكر الله اكبر اي الصلوة اكبر
الطاعات وعبر عنها بالذكر اشارة الى ما هو العمدة فيها بل في ساير العبادات وهو
بلاحظ كبريا المذكور او ولذكر الله اكبر من الصلوة لقوله افضل ما قلت انا والنبيون
قبلي لا اله الا الله او ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه والله يعلم ما تصنعون
لا يخفى عليه منه شيء وفي ايثار الصنع على العمل حث على الطاعة بالقلب والجوارح
لانباه عن زيادة تعمل وتكلف ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن لما بلغ
الغاية القصوى في بيان طريق ارشاد المشركين شرع في بيان مجادلة اهل الكتاب و
المناظرة معهم والجدال بالاحسن هو مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم و
السورة بالاناءة وقيل منسوخ باية السيف وليس كذلك لانه مشروط بعدم نفع
الجدال بالاحسن وقيل المراد ذووا العهد منهم وقيل الداخلين في الذمة ولا يصح الا
بالتاويل لان السورة مكية الا الذين ظلموا منهم او طوا بنسبة الولد اليه تعالى
او وصفه بالبخل كقولهم يد الله مغلولة وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم
من جنس المجادلة بالتي هي احسن روى البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله لا تصدقوا
اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله والهنا والهكم واحد
ونحن له مسلمون منقادون لا لغيره تعريض باهل الكتاب وكذلك انزلنا
اليك الكتاب اي ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب مصدقا لما بين
يديه من الكتب فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به وهم عبد الله بن سلام
واضرابه ومن هؤلاء العرب من يؤمن به وهم الصحابة وقيل الذين اتيناهم الكتاب هم

هم المقدمون على البعث ومن هؤلاء هم اهل الكتاب الذين في عهد رسول الله وما يجحد
باياتنا الا الكافرون المتوغلون في الكفر لانهماكهم الظهور في اقصى الدرجات وما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وهذا امر مسلم عندهم اذا لارتاب
المبطلون وقالوا انه تعلم من غيره وكان اذ ذاك للارتياب في الجملة وجه ان اريد
بالمبطلين مشركو مكة وان اريد بهم اهل الكتاب كان لهم ان يقولوا لسنا بالموعود ذ
شرط ان يكون اميا فان قلت على ذلك التقدير ليسوا بمبطلين لان نعته في الكتابين انه امي
فكيف سماهم مبطلين قلت لان مدار النبوة على المعجزة وكونه اميا لا يخط ليس مما يتوقف
عليه امر فكانه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريبة رتيا
بهم مع كونه اميا بل هو اي القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم
يحفظونه عن التحريف والتبديل بخلاف ساير الكتب وما يجحد باياتنا الا الظالمون
لان التكذيب بعد ازاحة الشبهة في غير موضع وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه
كماية عيسى عنادا منهم بعد ما الزموا قل انما الايات عند الله لو شاء انزلها وقرأ
نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص ايات من ربه لموافقة الثاني وانما انا نذير مبين
مقصود على الانذار ليس لي قدرة على انزال ما تقترحونه اولم يكفهم انا انزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم شيئا فشيئا يتاملون معانيه وسلاسة الفاظه وجعل الضمير لليهود
بعيد لكون السورة مكية والاستفهام للتقرير ان في ذلك الكتاب الموصوف
لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وموعظة لقوم يؤمنون لقوم قصدهم الايمان
لا التعنت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يصدقني بالمعجزة الدالة على نبوتي
او كفى شهيدا باني قد بلغت ما ارسلت به واديت الامانة يعلم ما في السموات والارض
برهان على كونه كافيا والذين امنوا بالباطل هي الاوثان وكفروا بالله اولئك
هم الخاسرون في صفقتهم استعارة تبعية ويستعجلونك بالعذاب بقولون
متى هذا الوعد ولولا اجل مسمى مدة موقتة لعذابهم لجاءهم العذاب
اذ لا مانع سواه وليأتينهم بغتة فجاءة كوقعة بدر وهم لا يشعرون باتيانه
يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين اعاد ذكر استعجالهم وساق ما
التعجب واثر الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة والمراد احاطتها بهم يوم القيمة
او الان لتكامل اسبابها مع الكفر والمعاصي يوم يغشاهم العذاب ظرف لمحيطة
على الاول ومنصوب بمضمر على الثاني اي كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم
اي من جميع الجوانب ويقول الله او بعض الملائكة الموكل بعذابهم وقرأ ابن كثير وابن
عامر وابو عمرو بنون العظمة اسنادا مجازيا اذ لا يكلمهم الله يوم القيمة ذوقوا ما كنتم
تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي
فاعبدون كان المؤمنون بمكة لا يقدرون على اظهار دينهم والقيام به على الوجه الاكمل
ناداهم الله واضافهم الى ذاته تشريفا لهم وبين لهم ان الاقامة بين اعداء الله المانعين
من عبادته لا وجه له مع اتساع بلاد الله والفاء في فاياي للسببية عن قوله ان ارضي واسعة
كما يقول زيد اخوك فاكرمه وفي فاعبدون فاء الجزاء كل نفس ذائقة الموت تجرع
مرارتها فعلى العاقل المبادرة الى العمل قبل فوات الفرصة ثم الينا ترجعون للجزاء
ثم للتراخي رتبة فان اول الجزاء بعقب الموت وقرأ ابو عمرو وابو بكر يرجعون بالغيبة
والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي
وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم من الثواء وهو الاقامة وعلى نصب غرفا على تضمين
معنى الانزال او بتقدير في او بحمل المكان المعين على المبهم تجري من تحتها الانهار

خالدين فيها ونعم اجر العاملين المخصوص محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا
على مفارقة الاوطان واذى المشركين وعلى ربهم يتوكلون في جميع الامور وكاين من دابة لا تحمل رزقها الضعف بيتها او لا يدخره توكلا على الله يرزقها
واياكم بان اقدركم على الكسب بتشجيع لهم على هجرة الاحباب ومفارقة الاوطان
وان لا يهمهم امر المعيشة وهو السميع لقولكم حين قلتم كيف نقدم بلدا ليس لنا فيه اسباب
المعيشة العليم بضمايركم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر
الضمير لاهل مكة وايراده لتوكيد ما تقدم كانه قال ان الذي اوجد ابتداء احرى بان يكون
قادرا على الابقاء وكما اوجد بلا مادة هذه الاجرام يقدر على تيسير الرزق على هؤلاء الضعاف من
غير اسباب ليقولن الله لما تقرر في العقول بحيث لا يقدر احد على انكاره فانى يؤفكون
كيف يصرفون عن التوحيد بعد هذا الاقرار تعجب من حالهم الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له فكم من سالح لا يقدر على قوت يوم وكم من فارغ البال ياتيه الارزاق
من كل اوب ويجوز ان يكون الموسع عليه والمضيق واحد والبسط والقبض على التعاقب ان الله
بكل شيء عليم يعلم من يصلح له البسط والقبض او وقت كل منهما ولئن سالتهم من نزل
من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله اعترافا منهم بانه
الموجد للكاينات قل الحمد لله اي اذا كان الكل منه فالحمد مختص به لا يشاركه فيه احد وفيه
رد على المشركين وتسفيه لهم لانهم يقرون بالمقدمات وينكصون عند النتيجة وامتنان عليه
صلى الله عليه وسلم حيث عصم عن مثل تلك الضلالة ووفق لاظهار الحجة بل اكثرهم لا يعقلون
فلذلك يناقضون اضراب عن جهلهم الخاص الى ما هو ابلغ وهو انهم سلبوا العقول وقوله
قل الحمد لله اعتراض لتقرير الاستحقاق العبادة والزاما لهم او لا يعقلون لما ذا الحمد عند
مقالتهم الحمقاء فهو من تتمة قل الحمد لله ومعنى الاضراب انهم اذا لم يفطنوا لتلك المناقض الظاهرة
فبالاولى ان لا يفطنوا لمكان حمدك وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب اذ درابهذه
الدنيا الدنية التي لا يساوي عند الله جناح بعوضة فهي كالشيء الذي يتلهى به الصبي ويلعب
ثم يتركه بعد لحظ وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي الحيوة الدايمة وكما بالغ في
تحقير الدنيا بالغ في تعظيم الاخرة بتاكيد اجل انواع تاكيدات تصديرها بان وادخال اللام و
ايثار المصدر الدال على انها نفس الحيوة ثم ايثار الحيوان على الحيوة لما في بناء فعلان من معنى
الحركة والاضطراب اللازمين للحيوة لو كانوا يعلمون لو كانوا من اولي العلم لما استبدلوا
بالشريف الخسيس وبالباقي الفاني فاذا ركبوا في الفلك نوع آخر من جهالاتهم متصل
بما قبله بما دل عليه حالهم دعوا الله مخلصين له الدين لعلمهم بان لا قدرة لغيره
فلما نجاهم الى البر نجاهم من الغرق واوصلهم الى البر اذا هم يشركون فاجاؤا
الشرك من غير تلبث ليكفروا بما آتيناهم من النعمة وهي النجاة من الغرق وكان الواجب عليهم
شكرها واللام فيه لام كي ويحتمل ان يكون لام الامر لقوله وليتمتعوا بسكون اللام وهي
قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون لان لام كي لا يجوز اسكانها الحذف ان بعدها
وضعف عوامل الافعال ويؤيد هذه القراءة قوله في سورة الروم ليكفروا بما آتيناهم
فتمتعوا فسوف يعلمون وخامة العاقبة اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا اي
قدرناه وتوجيه لاهل مكة خاصة بين المشركين لاختصاصهم بهذه النعمة وهي الامن في اشرف
البقاع ويتخطف الناس من حولهم التخطف سلب الشيء بخفة وكان هذا شان العرب
لم يزالوا في الغارات والنهب افبالباطل يؤمنون بعد وضوح هذه النعمة تعجب
من حالهم وبنعمة الله يكفرون بالاشراك به وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص
مبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا اظلم منه وفي الحديث ليس الكذب علي

على كالكذب على احد واذا كان الكذب على رسول الله لا يشبه كذبا فعلى الله من باب الاولى
او كذب بالحق لما جاءه اي بالرسول او الكتاب والتعبير عنه بالحق لدلالته ولما نطق
اذا الفجائية في الدلالة على انهم كذبوه من غير توقف كما يفعل العقلاء المراجيح عند سماع
الخبر أليس في جهنم مثوى للكافرين استفهام تقرير كقول جرير الستم خير من ركب
المطايا والمعنى لا يستوجبون الثواء وقد افتروا على الله او قد صح عندهم ان في جهنم مثوى
للكافرين ومع ذلك قد اجترؤا على الافتراء فمدار الاول على تثبيت حالهم للغير واستحقاقهم
والثاني على توبيخهم تذكير الماضي عندهم والذين جاهدوا فينا خاصة من غير اشراك
جعل ذاته مستقر المجاهدة واطلق المجاهدة لتعم الظاهرة والباطنة لنهدينهم سبلنا
الطرق الموصلة الينا وسبيل الحق وان كان واحدا الا انه جمع باعتبار انواع المجاهدة وفي
الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم وان الله لمع المحسنين المخلصين في
عبادتهم تقوية لجاش المجاهد في العبادة بان الله معه بالنصر والاعانة تمت السورة و
والصلوة على خير البرية وعين الانسان سورة الروم مكية وهي ستون آيات
بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض
اي ارض العرب لانها المعهودة عندهم وهي اذرعات وبصرى من بلاد دمشق وبها
كانت غلبة فارس على الروم او ادنى ارضهم اي ارض الروم الى العدو وهي الجزيرة والروم
بنو اولاد عيص بن اسحق بهذه الطايفة من ذريته وكانوا على ملة عيسى بن مريم والفرس كانوا
مجوسا والمشركون عبدة الاوثان ولما بلغهم الخبر فرحوا بغلبة الفرس لانهم ليس لهم
كتاب كالمشركين فنزلت الآية وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ففرح بذلك
المؤمنون وكثر التشاجر بينهم وبين المشركين حتى راهن ابو بكر رضي الله عنه ابي بن
خلف على عشر قلايص ان لم يغلب الروم الفرس في سبع سنين فذكر ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع من الثلث الى التسع فزايده في الخطر والمدة
فرجع ابو بكر رضي الله عنه الى ابي بن خلف وتوافقا على تسع سنين ومائة قلوص فلما دخلت
السنة السابعة غلبت الروم وجاء الخبر بذلك ورسول الله بالمدينة وكان ابي قتل يوم احد
فاخذ ابو بكر رضي الله عنه القلايص من ورثته وكان ذلك قبل تحريم القمار لان آية الميسر
المايدة وهي آخر القرآن نزولا وكان هذا من دلايل النبوة وباهر اياته لله الامر من
قبل ومن بعد اي له الحكم والارادة من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين
ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله
الروم لانهم اهل الكتاب وشريعة مثلهم وفي ذلك تفاؤل لهم وعن ابن عباس رضي الله
عنه والثوري ان غلبة الروم على فارس كانت يوم بدر وعن قتادة وعكرمة والزهري
انها كانت يوم الحديبية سنة ست من الهجرة وهذا اقرب لما روي ان هرقل كان قد نذر
لئن نصره الله على الفرس ليزورن بيت المقدس فلما انتصر ذهب الى بيت المقدس فلقيه دحية
بن خليفة الكلبي بكتاب رسول الله يدعوه الى الاسلام ينصر من يشاء وهو العزيز
يذل من اراد بالخذلان الرحيم يعز من يشاء بالنصر وعد الله مصدر مؤكد
كقولك له علي الف اعترافا لا يخلف الله وعده لكونه كذبا وهو عليه محال و
لدلالته على العجز وعدم العلم بعواقب الامور تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ذلك لعدم النظر الصحيح يعلمون ظاهرا من الحيوة
الدنيا بدل من لا يعلمون بدل الكل او في باداء المقصود لدلالته على ان العلم بظاهر
الحيوة كلا علم لان الغرض من الدنيا باطنها وهو انها مزرعة الاخرة وانما نكر ظاهر
اشارة الى كمال بلادتهم وانهم لم يعلموا من ظاهرها الا نزرا قليلا فان من العلم

بظاهرها معرفة حقايقها وصفاتها وكيفية الصدور منها والتصرف فيها وهم عن الآخرة هم غافلون
لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى وتاكيد وغافلون
خبره والجملة خبر الاولى وعلى الوجهين تحقيق لما تقدم أولم يتفكروا في أنفسهم
توبيخ على عدم التفكر فيما يعود نفعه اليهم بدل اشتغالهم بالبحث عن نفس المحسوس
وفرحهم بذلك والمعنى هلا احدثوا التفكر في انفسهم الفارغة عنه والتفكر لا يكون
الا في النفس فذكرها لتصوير الحال كقولك ابصرته بعيني ويجوز ان يكون في صلة يتفكروا
كقولك تفكر في المسئلة واجال الرأي فيها والمعنى ان انفسهم اقرب الاشياء اليهم وقد
اشتملت على نظائر ما يعرف من الكائنات من العالم العلوي والسفلي فلم لا يتفكرون فيها
ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق يتعلق بمقدر اي فيعلموا بعد التفكر
ان خلق هذا العالم ليس عبثا بل للحكمة بالغة وهي الابتلاء ليجازي المحسن والمسيء والباء في
بالحق مثل الباء في اشتريت الفرس بلجامه دالة على المقارنة واللزوم وأجل مسمى
معين لا يتجاوزونه وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون جاحدون لكونهم دهرية
لا يقولون بالمعاد أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كعاد وثمود وقوم لوط استئناف تقرير اي قد وقع ذلك السير والنظر مع عدم التفاتهم
اليه وتأملهم واعتبارهم كانوا أشد منهم قوة في الحديث خلق الله آدم على
صورته طوله ستون ذراعا فلم يزل ينقص الخلق حتى الآن وأثاروا الأرض وعمروها
أكثر مما عمروها قلبوا الارض لرفع البنيان وطلب المعادن وغرس الاشجار
اكثر مما فعل اهل مكة لطول اعمارهم وقوة اجسادهم وكثرة اموالهم واولادهم
فلم يقدروا على دفع العذاب النازل بهم فكيف بسكان واد غير ذي زرع لا تبسط لهم
في المآل ولا تسلط على البلاد وجاءتهم رسلهم بالبينات المعجزات الواضحات فلم يبق
لهم عذر يعتذرون به فما كان الله ليظلمهم بعد ذلك الارسال وقطع الاعذار
ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بتعريضها لسخط الله ثم كان عاقبة الذين أساءوا
السوأى اي كان عاقبتهم العقوبة السوأى وهي جهنم وضع الظاهر موضع
المضمر للدلالة على ان تلك العقوبة السوأى جزاء لاساءتهم أن كذبوا بآيات الله
وكانوا بها يستهزئون اي لان كذبوا ويجوز ان يكون مفسرة للاساءة لانها تكون
قولية وفعلية او السوأى مفعول اساءوا اي اقترفوا الخطيئة القبحى وان كذبوا عطف
بيان والخبر محذوف اي جهنم وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على
خبر كان فالسوأى اسم بمعنى العذاب او دخول جهنم او هي مفعول اساءوا وان
كذبوا هو الاسم الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون للجزاء ثوابا وعقابا
فيه وعد ووعيد ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يبأسون من الابلاس وهو
البأس ومنه ابليس للشيطان او يدهشون ويتحيرون ومنه الم تر الجن وابلاسها
ولم يكن لهم من شركائهم اي ممن اشركوه بالله في الالوهية شفعاء كما كانوا يزعمون
وكانوا بشركائهم كافرين اي يكفرون بهم في ذلك اليوم وايثار الماضي
لتحقق وقوعه او الباء للسببية اي كانوا كافرين في الدنيا بسببهم ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله وامتازوا اليوم ايها
المجرمون وقوله فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض ذات ازهار
وانهار واشجار وثمار يحبرون يسرون سرورا تهللت له وجوههم من الحبرة وهي البهاء والحسن في كل شيء
ومنه حديث ابي موسى الاشعري لما استمع رسول الله لقراءته واستحسن لو كنت اعلم
انك تستمع لحبرته تحبيرا وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك

قال المحشي رحمه الله لما انتهب
عند بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم
سلم الله منه

فأولئك في العذاب محضرون لا يغيب عنهم وما هم عنها بمخرجين وانما لم يكتف بالكفر بل اضاف
اليه التكذيب بآيات الله ولقاء الآخرة لكونه في مقابلة الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشيا
وحين تظهرون كأنه قال اذا صح عندكم حال المعرضين عن عبادته والمقبلين على طاعته فسبحوه
في هذه الاوقات هربا من نيل عقابه وطلبا لنيل ثوابه وانما صدر الكلام بالتنزيه واوقع
الحمد اعتراضا لان الكلام مع المشركين فالتقديس هو الغرض المسوق له الكلام وخص
الاوقات المذكورة لظهور دلالتها على باهر قدرته سئل ابن عباس رضي الله عنه هل
تجد في القرآن ذكر الصلوات الخمس فقال نعم وقرأ الآية وذلك ان تمسون يدل على
المغرب والعشاء وتصبحون على الصبح وعشيا على العصر وتظهرون على الظهر وما روي
عن الحسن ان الآية مدنية والصلوات الخمس فرضت بالمدينة منكر لانها فرضت
ليلة المعراج بلا خلاف وعن ابن عباس رضي الله عنه من قرأ حين اصبح هذه الآية
ادرك ما فاته في يومه ومن قرأها حين امسى ادرك ما فاته في ليلته ثم استأنف بما يدل
على استحقاق التقديس والتحميد بقوله يخرج الحي من الميت الانسان من النطفة
او المؤمن من الكافر او العالم من الجاهل ويخرج الميت من الحي في عكس ذلك
ويحيي الأرض بعد موتها باخراج انواع النبات منها مع عدم التجانس
وكذلك تخرجون اذ لا فرق بين اخراج النبات الاخضر واخراج البشر بل
الثاني اظهر لكون تلك الاجزاء كانت محل الحيوة مرة وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء
وضم الراء ولابن ذكوان خلاف ومن آياته بعض آياته الدالة على العلم والقدرة أن
خلقكم من تراب اي اصلكم وهو آدم او كل واحد لما في الحديث من ان النطفة
التي يخلق منها الانسان تعجن بالتراب الذي يدفن فيه اذا مات ثم إذا أنتم بشر
تنتشرون اي خلق كثير متفرقون في اقطار الارض واكناف البلاد لاسباب المعايش
وساير الاغراض فان قلت كيف استفاد الجمع بين ثم واذا الفجائية مع تنافي مقتضاهما
قلت لا تنافي لان ثم للدلالة على بعد هذه الكثرة من ذلك الاصل الواحد الكائن من
تراب ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا اي من جنسكم اناثا او من نطفكم
او لان حوا خلقت من ضلع آدم وساير النساء خرجن من اصلاب الرجال لتسكنوا
إليها لتميلوا اليها وتطمئنوا الا ان في الوحدة وحشة وفي اختلاف الجنس تنافر
وجعل بينكم مودة بواسطة شهوة ركبها في كل من الزوجين ورحمة لرقة
الجنسية والف الازدواج وعن الحسن الرحمة الولد لقوله تعالى ورحمة منا إن في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون في ذلك ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف
ألسنتكم لغاتكم كالعربي وساير اللغات بان علمها آدم بالهام او خلق علم ضروري
كما قال الاشعري او بالاقدار على وضعها كما قاله غيره والاول هو الظاهر وألوانكم في
اصولها كالبياض والسواد والحمرة وما يتركب منها لا ترى بين افراد البشر اتحادا في لون
قط إن في ذلك لآيات للعالمين من الملك والانس والجن وقرأ حفص بكسر
اللام والفتح ابلغ لان الآيات وان لم يعقلها الا العالمون الا انه اعم مفهوما ومن آياته
منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله اي في النهار وكان ظاهر اللف ومن
آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه عدل عنه اهتماما باللطف
لان الآية انما تحصل به وقدم المنام لكونه آية مستقلة مع قطع النظر عن الليل بخلاف
الابتغاء إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر ومن آياته يريكم البرق
الفعل مقدر بان او بعد حذف ان نزل الفعل منزلة المصدر وازيل اثره كما في تسمع بالمعيدي

روى عمد الحديث
ابو داود منه

الترمذي الرتبة الاناسر
المفاجأة منه

منه القاضي

وقوله وقالوا ما تشاؤ فعلك الهولاء الاصباح اثر ذي اثير او التقدير من اياته ما يتلى
عليكم ثم بين بقوله يريكم البرق وقيل حال من البرق مقدم اي ويريكم البرق خوفا وطمعا
حال كونه من اياته وقيل صفة حذف موصوفه اي ومن اياته آية يريكم بها البرق **خوفا** من
الصاعقة او من الاخلاف او للمسافر **وطمعا** في المطر او للحاضر ونصبهما على العلية بتقدير مضاف
اي ارادة خوفكم او الخوف بمعنى الاخافة ويجوز كونهما حالين اي خائفين طامعين كقوله
كلمة شفاها **وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض** بالنبات مجاز حكمي **بعد موتها**
يبسها وذهاب نضارتها مجاز لغوي **ان في ذلك لايات لقوم يعقلون** يستعملون
عقولهم ولما كان خلق الازواج للالفة والاطمئنان اليها وايقاع المودة والرحمة بين
الزوجين الذي لا يتم امر التعيش الا به فيه غموض يحتاج الى تامل وتدبر جعل الفاصلة
التفكر وخلق السموات والارض واختلاف الالسن لما كان محسوسا لا يحتاج الا ان
يكون الناظر فيها من اولي العلم او العقل فصل الاية به ولما كان وجه الحكمة في تعاقب الليل
والنهار للاستراحة وكسب المعاش في غاية الظهور اكتفى فيهما بالسماع وفي ارادة البرق
وانزال الماء لاحياء الارض بالنبات بعد ذهاب نضارتها وكيفية تكونها ليظهر كمال
قدرة الصانع نوع خفاء يحتاج الى توجيه العقل نحوه اوقع الفاصلة يعقلون واما قيام السما
والارض بامره فامر بين فلم يحتج الى ذكر شيء من ادوات الادراك ولذلك قال **ومن اياته
ان تقوم السماء والارض بامره** ولما كان وجه الحكمة في تعاقب الليل والنهار
للاستراحة وكسب المعاش في غاية الظهور اكتفى فيها بالسماع وفي ارادة البرق وانزال
الما لاحيا الارض بالنبات بعد ذهاب نضارتها وكيفية تكونها ليظهر كمال قدرة الصانع
نوع خفا يحتاج الى توجيه العقل نحوه اوقع الفاصلة يعقلون **ثم اذا دعاكم دعوة من
الارض اذا انتم تخرجون** اذا الاولى شرطية والثانية فجائية داخلة على الجزاء قائمة
مقام الفا والجملة الجزائية في تاويل المفرد معطوفة على ان تقوم وانما غير الاسلوب اشعارا
بان هذه الاية خارجة عن جنس تلك الايات مستقلة مقصودة في ذاتها دون مقد
ماتها ومن الارض متعلق بدعا كقولك دعوته من المسجد اذا كان المدعو فيه ولا يجوز
تعلقه بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها والداعي هو اسرافيل لقوله يوم يسمعون الصيحة
بالحق ذلك يوم الخروج ولما روي ان اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس وينادي ايتها
العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن بالحضور للقضا وقيل
هو الله تعالى وذكر دعوة اشارة الى سرعة خروجهم وانه لا يتوقف الا على مجرد ما ينطلق
عليه اسم الدعا والعطف بثم للدلالة على عظم ذلك الامر وكمال اقتدار الله ويجوز ان
يكون للتراخي زمانا **وله من في السموات والارض** خلقا وملكا **كل له قانتون**
نافذ فيهم امره طوعا او كرها اصل القنوت الطاعة وقد جا بمعنى الدعا والخشوع و
الصلوة والقيام وطول القيام والسكوت كما في حديث زيد بن ارقم كنا نتكلم في الصلوة
حتى نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين فسكتنا وعن ابي سعيد مرفوعا كل قنوت في القران
بمعنى الطاعة **وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه** من البدء في مجاري عرفكم
وان كان الكل تحت قدرته على السواء وفيه تسفيه لهم حيث جهلوا هذا القياس الجلي
وعن ابن عباس الاهون بمعنى الهين وقيل الضمير في عليه للخلق ويرده ما رواه البخاري
من الخبر القدسي كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك يقول لن يعيدني كما بداني وليس اول
الخلق باهون علي من اعادته **وله المثل الاعلى** الوصف العجيب الشان عن ابن عباس هذا
مثل قوله ليس كمثله شيء يريد ان ذاته لا تشبه الذوات ولا صفاته تماثل الصفات وعن قتادة
هو قول لا اله الا الله يريد التوحيد **في السموات والارض** يتعلق بالاعلى او بالخبر الذي

بالخبر الذي يتعلق بالجار اي يشهد له من فيهما من الاشجار وما فيهما من الاحجار اما نطقا او دلالة
وهو العزيز الغالب الذي لا يغالب **الحكيم** الذي لا يفعل شيئا الا بالحكمة ولذلك **ضرب لكم
مثلا من انفسكم** منتزعا منها فان للامثال شانا في ابراز المعاني وتقريرها في النفوس لا
راءتها المعقول في صورة المحسوس لا سيما اذا كان المثل حالا من احوال الممثل له **هل لكم
من ما ملكت ايمانكم** من الاما والعبيد **من شركاء في ما رزقناكم** من الاموال **فانتم
فيه سواء** تتصرفون فيه على السواء **تخافونهم كخيفتكم انفسكم** كما يخاف الاحرار بعضهم
من بعض من الاولى ابتدائية والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد النفي واذا كنتم
تانفون عن مشاركة ما ملكتم وانتم وهم سواء في البشرية فكيف تجوزون ذلك لرب
الارباب خالق السادات والمماليك **كذلك نفصل الايات** مثل هذا التفصيل الجلي
نفصل ساير الايات **لقوم يعقلون** يتدبرون بعقولهم في الامثال عن ابن
عباس كان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك فنزلت **بل اتبع الذين
ظلموا اهواءهم بغير علم** اي لا خفا في هذا المثل ولكن المشركين اتبعوا اهواءهم جا
هلين لا علم لهم يكفهم عن ذلك **فمن يهدي من اضل الله** اي لا احد يقدر على هدايته
من اراد الله ضلاله **وما لهم من ناصرين** لامتناع وقوع خلاف مراده او كما لا هادي
لهم في الدنيا لا ناصر لهم في الاخرة من العذاب **فاقم وجهك للدين حنيفا** اي بعد ما
بلغت اصرف كلك الى طاعته مايلا عن غيره غير ملتفت الى سواه والتعبير بالوجه لان
من اهتم بشيء سدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه ويحتمل ان يكون حنيفا حالا
من الدين **فطرت الله** اي عليكم او الزموا فطرة الله هي ما جبلوا عليه من القابلية والتمكن
من الايمان **التي فطر الناس عليها** لما روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما من مولود يولد الا على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه ولما رواه
عياض ان الله تعالى يقول خلقت عبادي كلهم حنفا فاجتالتهم الشياطين عن دينهم
وقيل الفطرة العهد في عالم الارواح **لا تبديل لخلق الله** خبر في معنى الانشاء اي
لا تغيروا تلك الفطرة او اعتراض كانه قيل الزموا تلك الفطرة اذ لا قدرة لكم على
هداية من خلق شقيا **ذلك الدين القيم** اي الدين المامور به هو الدين الذي
لا اعوجاج فيه **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ذلك لا ضلالهم بالنظر الصحيح
منيبين اليه حال من ناصب فطرة الله او من فاعل اقم ومعنى كونه خطابا للامة باعتبار
الحكم وشموله والانابة الرجوع الى الله بالتوبة مرة بعد اخرى من التوبة **واتقوه واقيموا
الصلوة ولا تكونوا من المشركين** معطوفات على ذلك المضمر الناصب **من الذين
فرقوا دينهم** بدل من المشركين اي امنوا ببعض وكفروا ببعض او كل ذهب الى راي
وقرا حمزة والكسائي فارقوا بالف بعد الفاء اي تركوه وهذا ابلغ **وكانوا شيعا**
فرقا كل فرقة شيعة امامها الذي اضلها **كل حزب بما لديهم فرحون** مبتدا و
خبر اي مسرورون بدينهم حقا كان او باطلا او كل حزب مبتدا ومن الذين فرقوا خبره
فيختص بالدين الباطل وفرحون خبر بعد خبر وقيل صفة كل وفيه انه لبيان الكمية فلا
يوصف الا ما دخل عليه فلا تقول كل عالم فاضل في الدار برفع فاضل **واذا مس
الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه** راجعين اليه بالتوبة **ثم اذا اذاقهم منه
رحمة** شفاء من المرض ونجاة من الشدة **اذا فريق منهم بربهم يشركون** فاجا
فريق منهم الاشراك وفي ايثار لفظ الرب زيادة توبيخ لهم **ليكفروا بما اتيناهم**
اللام للعاقبة او تعليل لما دل عليه الكلام اي افاض عليهم ليكفروا او لام الامر للتهديد
كقوله اعملوا ما شئتم بدليل قوله **فتمتعوا** وانما التفت مبالغة **فسوف تعلمون**

الحديث الاول رواه البخاري والثاني مسلم منه

رد على القاضي فانه جوز ان يكون حالا من فاعل اقم ... خطاب ... لان ... ان قوله ... النبي الا انه ... عليكم ... الاعراب ... لان ... منه

وبال منعكم أم أنزلنا عليهم سلطانا اضراب الى ما هو ابعد فهو يتكلم بما
كانوا به يشركون اى بكونهم مشركين بالله ويجوز ان يكون ما موصولة والتكلم مجاز عن
الدلالة او يقدر مضاف اى ذا سلطان اى ملكا وإذا أذقنا الناس رحمة سعة
وعافية يريد بعضهم لقوله فى سورة هود الذين صبروا فرحوا بها بطرا وإن تصبهم
سيئة شدة بما قدمت أيديهم بسبب معاصيهم إذا هم يقنطون فاجاؤا
القنوط لا كالمؤمنين الشاكرين فى السراء والضراء أولم يروا أن الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر تتميم للانكار على من بطر بالنعمة ويئس عند زوالها وقد علم
ان القابض والباسط هو الله فهلا رجع اليه بالتوبة لتعيدها إن فى ذلك لآيات
لقوم يؤمنون بان الكل منه تعالى اذا سلبوا نعمة ذكروا الله فآت ذا القربى
حقه بالبر اومن بسط له اذا علمت ان البسط وضده من الله فآثر الاحسان ليكون تحلية
لاحسان الله اليك واستدل به ابو حنيفة على وجوب نفقة المحارم اذا كانوا فقراء وفيه
ان ذى القربى يعم المحارم وغيرهم وحقه سائر انواع البر والمسكين وابن السبيل
حقهما من الزكوة ذلك خير للذين يريدون وجه الله اى يقصدون بمعروفهم اياه
خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى وقيل النظر اليه وجه وأولئك هم المفلحون
الفائزون وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس ما اعطيتم اكلة الربوا بادة
على حرمته فلا يربوا فلا يزكوا ذلك عند الله ولا يبارك فيه لكونه حراما وعن
ابن عباس هذا الربوا المباح وهو ان يهدى الرجل اليك مريدا ان يثيبه اكثر من هديته
واستدل بقوله تعالى ولا تمنن تستكثر وبالحديث المستغزر يثاب من هديته وقرا ابن
كثير اتيتم بالقصر من الاتيان بالفعل ونافع لتربوا بضم التاء واسكان الواو وخطابا
من الاربا اى لتزيدوا فى اموالهم او لتزدادوا انتم وما آتيتم من زكوة تريدو
ن وجه الله يشمل الواجب والنفل فأولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف من
الثواب لم يجر الكلام على السنن السابق كانه يعرف ملائكة وخواص عباده مكان المصدقين
عنده ولما فى اسم الاشارة من الاشعار بعلية الوصف ويجوز تقديم الكلام فهو توه
اولئك وكم بين الوجهين الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من
شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء مبتدأ والذى خلقكم خبره او صفته وهل من شركائكم هو
الخبر والرابط اسم الاشارة هذه خواص الالوهية اثبتها لذاته بكلام خال عن التوكيد
لكونها امورا مسلمة لا نزاع لهم فيها من الاولى للتبعيض تفيد ان ما منهم فاعل قط
والثانية ايضا كذلك تفيد ان بعضا من تلك الافعال لا يتأتى من احد من شركائهم
فضلا عن الكل والثالثة مزيدة لتوكيد شمول النفى اى ما ينطلق عليه اسم الشىء
ولما بين استحالة الشريك قد نزه ذاته قائلا سبحانه وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم او ما اشركوه به ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى
الناس عن ابن عباس البر هو المفازة والبحر المدن والقرى لما روى
البخارى ان رسول الله صلعم ملك ايلة وكتب له ببحره اى بلده وقيل هما البر والبحر
المعروفان ومعنى ظهور الفساد فيهما محق البركات وقلة المنافع فى كل صنف من اصناف
الاموال وانواع الحرف بشؤم الظلم والمعاصى وفى الحديث اذا مات الفاجر استراح منه
العباد والبلاد والشجر والدواب وعن الامام احمد بن حنبل وجد فى زمن ابن زياد صرة
فيها البر كل حبة مثل نوى التمر مكتوب على الصرة هذا نبت فى زمان العدل ليذيقهم
بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون انما فعل بهم ذلك ليذيقهم فى الدنيا بعض جزاء تلك
المعاصى عسى ان يعتبروا ويقلعوا عنها قراءة ابن كثير فى رواية قنبل لنذيق بالنون وهو

اسم فاعل من استغزر اذا طلب اكثر مما اعطى منه

وهو اشد تهويلا قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل
اى اذا قصر ادراككم عن المعقولات سيروا فى الارض لتشاهدوا بالابصار آثار الامم المكذبة
وما حل بهم فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا كان أكثرهم مشركين مثلكم فأقم
وجهك للدين القيم الشديد الاستقامة من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله
لا يقدر على رده احد الجار متعلق بيأتى ويجوز تعلقه بمرد لانه مصدر بمعنى الرد اى لا رد له
من جهته لابرام القضاء بعد تعلق الارادة يومئذ يصدعون يتفرقون تفرقا لا اجتماع
بعده فريق فى الجنة وفريق فى السعير من كفر فعليه كفره لا يتجاوزه الى الآخر ومن عمل
صالحا فلأنفسهم يمهدون يسوون المنزل ويفرشونه فى الجنة كمن اراد الرقاد فى مكان لا يبقى فيه
شيئا مما يؤذى الراقد او يشفقون على انفسهم كناية عن كمال الشفقة وفى المثل ام فرشت فانامت
قال قراد بن عوية وكنت لهما الطيفا والدا رؤفا واما فرشت فانامت ليجزى الذين آمنوا
وعملوا الصالحات تعليل ليمهدون دل بمنطوقه على اختصاصهم بالجزاء وبمفهومه على انهم اهل
الزلفى والمحبة من فضله اى ذلك تفضل منه لا اداء للواجب إنه لا يحب الكافرين
دل صريحا على ان عدم المحبة اقتضى حرمانهم وبمفهومه على ان مقتضى الجزاء موفر لاضدادهم فيلزم
منه محبة المؤمنين ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات بأيام المطر وهى الصبا والشمال
والجنوب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا يريد به الدبور
فانه للعذاب قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وليذيقكم من رحمته عطف
على مبشرات كانه قال ليبشركم وليذيقكم او على علة محذوفة دل عليها مبشرات او على يرسل
باضمار فعل معلل دل عليه ولتجرى الفلك بأمره بارادته لا بمجرد الرياح اذ ليس كل
ريح مواتية وقيل اراد انه من اللوره الخاصة التى لا يقدر عليها غيره ولتبتغوا من
فضله هو تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولكى تشكروا نعمة الله فيها ولقد أرسلنا
من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا
اى فكذبوهم فانتقمنا من المجرمين للذين آمنوا وكان حقا علينا نصر المؤمنين
على المجرمين رفع من شأن المؤمنين واهلهم للكرامة حيث جعلهم مستوجبين للنصر منه
وقد يوقف على حقا اى كان ذلك الانتقام حقا ثم يبتدئ علينا نصر المؤمنين اى فى كل
اوان وعن ابى الدرداء ان رسول الله قال ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان
حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا هذه الآية الله الذى يرسل الرياح فتثير
سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء اشارة الى كيفية انشاء السحاب ترى السماء صاحية
فيرسل رياحا فتثير سحابا اما انشاء من العدم او من البحر كما قيل فيكثره شيئا فشيئا ويمده كيف
يشاء متصلا ومتفرقا كثيفا ورقيقا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح مفردا لارادة
الجنس ويجعله كسفا قطعا جمع كسفة كقطع فى قطعة وقرأ ابن عامر فى رواية ابن ذكوان
واحدى روايتى هشام بالسكون اما لانه مخفف بالاسكان او مصدر فترى الودق
اى المطر يخرج من خلاله فى تلك الحالة فإذا أصاب به من يشاء من عباده
اى بلادهم واراضيهم إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من
قبله لمبلسين كرر لفظ قبل للتأكيد دلالة على ان ابلاسهم وقنوطهم كان فى غاية
الاستحكام فيكون الاستبشار الواقع بعده فى اقصى الدرجات فانظر إلى آثار
رحمت الله من النبات والاشجار والثمار اشارة الى تحقيق طرف المعاد بعد
البرهان على طرف المبدأ من ارسال الرياح وانشاء السحاب وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو
وابو بكر اثر بالافراد والجمع احسن لتنوع الاثر كيف يحيى الأرض بعد موتها بعد
يبسها إن ذلك لمحيى الموتى اى الذى احيى الارض هو الذى يحيى الموتى لان احياءهم

اعادة للحياة فى تلك المواد كما ان احياء الارض اعاده للنضارة واحداث القوى النامية
بعد تلاشيها وهو على كل شئ قدير برهان على ذلك لاندراجه فى هذه الكلية ولئن
ارسلنا ريحا فرأوه اى اثر الرحمة وهو الزرع او الريح لانه اذا كان مصفرا لا ينبت مصفرا
لظلوا من بعده يكفرون اللام الاولى موطئة والثانية داخل على جواب القسم الساد
مسد الجوابين والريح المصفر هو الذى يضرب الزرع بالصفا وهو آفة يصفر منه الزرع ذم
المشركين بانهم لا يستدلون بالايات على وحدانية ولا يشكرون نعمة ولا يصبرون على
بلائه فهم احقا بالانتقام وفى ذلك تسلية له ووعد بالنصر فانك لا تسمع الموتى ولا
تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم الفا بدل على سببه
ما قبلها فيل كيف تفكر عن الاستعمال بهم وذلك انه لما اكثر البراهين القاطعة والادلة
النيرة الساطعة ولم يزدادوا الا طغيانا جعلهم موتى لا حس لهم وصما لا اسامع لهم و
قيد الادبار اشارة لا شدة الامتناع فان الاصم اذا كان مقبلا ربما فهم بالاشارة وعميا
لا يبصرون وفى هذا الترتيب تنزل من الاقوى الى الاضعف مع اشتراك الكل فى الاستحالة وقراء
ابن كثير ولا يسمع بالياء وضم الصم والخطاب ابلغ مع موافقه للاول ان تسمع الا من يؤمن
باياتنا الصرفهم القوى والحواس الى التدبر فى ايات الله ويجوزات يراد المشارفون فهم
مسلمون منقادون لاوامر الله ولما لم يجع فيهم ايات الافاق تلا عليهم ايات الانفس
فى اطوارها من اول النشاة الى الانتها فانها ادل دليل واعدل شاهد على الصانع القدير
الله الذى خلقكم من ضعف بنى عليه اساسكم لقوله خلق الانسان ضعيفا او من نطفة لقوله
من ماء مهين قرء عاصم فى رواية ابى بكر واحد وجهى حفص وحمزة بضم الضاد وهما لغتان
الفتح لغة تميم والضم لغة الحجاز ثم جعل من بعد ضعف قوة وقت البلوغ واوان الشبيبة
ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة بالشيخوخة والتنكير فى المعانى للتغاير يخلق ما يشاء
وهو العليم القدير كامل العلم والقدرة ولذلك يحدث فى مادة اطوارا متباينة ويوم
تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة فى الدنيا او فى القبور لاستعظامهم عذاب
يوم القيمة او فيما بين فناء الدنيا والبعث لما روى انه لا يجذب احد اذ ذاك الساعة الاولى
علم ليوم القيمة كالنجم للثريا والكوكب للزهرة والثانية ما يتعارف الناس من الزمان
كذلك كانوا يؤفكون يصرفون فى الدنيا عن الحق ويبنون امرهم على الباطل
بيان لحال المجرمين فى الجهل المفرط واشارة الى ان ما اغتروا به من زخارف الدنيا التيسر
الاساءة باعترافهم وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس
لقد لبثتم فى كتاب الله فى اللوح او علمه او قضائه والتعبير بالكتاب للدلالة على عدم
التبدل كالشئ المكتوب او القرآن لقوله ومن وراءهم برزخ الى يوم البعث فهذا
يوم البعث الذى انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه كاين لعدم تصديقكم
الرسل والكتب فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اعتذارهم لفوات وقته وقرا
الكوفيون لا ينفع بالتذكير وهو حسن لوجود الفاصل ولا هم يستعتبون يدعون
الى الاستعتاب كما كانوا يدعون اليه فى الدنيا يقال استعتبنى فلان اى طلب منى ازالة العتاب
فاعتبته اى ازلت عقابه ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل من كل نوع
من انواع الدلايل الدالة على التوحيد وكمال الصفات وصدق الرسل هى كالامثال فى
الحسن والغرابة ولئن جئتهم باية من ايات القرآن الدالة على شئ من تلك الامثال
ليقولن الذين كفروا من قسوة قلوبهم واستحكامهم حديث الاخرة ان انتم الا
مبطلون مقصورون على التزوير لا تحظونه كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على
قلوب الذين لا يعلمون لا يسعون فى تحصيل العلم بزوال اسبابه فاصبر ان وعد الله

وعد الله حق فهو ناصرك ومظهر دينك ولا يستخفنك الذين لا يوقنون لا يحملنك
على الجزع والقلق بتكذيبهم وعده بالنصر فى اول السورة واوسطها وخاتمتها وامره بالصبر الى ان
الى ان بين يدى ذلك شدايد يليق بمثلها ان يحملها ليوطن نفسه على تلقيها بصدر رحيب اذا وقف
صلى الله عليه صلوة توازى غناه وتجارى عناه والحمد لله على الشدة والرخا فى كل صباح ومسا

سورة لقمان مكية وهى اربع وثلاثون ايات بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك ايات الكتاب الحكيم اى ايات السورة ايات الكتاب وصف الكتاب بالحكيم
لاشتماله على الحكم او لكونه كلام الحكيم او لكونه محكما اياته هدى ورحمة للمحسنين المخلصين
فى الدين لانهم المنتفعون به او الذين يعملون الحسنات او جميع ما يحسن من الاعمال الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون وصف كاشف
على الاول والاستيناف موقعه اولئك على هدى من ربهم دعلى الثانى الموصول مبتدا
وخبره اولئك على هدى وهو استيناف بذكر الصفة الموجبة للاستيناف لكمالها والمصف الما
دحة محل حسن واولئك هم المفلحون الفائزون بالبغية لاجل تلك الاوصاف ومن
الناس من يشترى لهو الحديث ما يلهى الاضافة بيانية وهو الحديث المنكر
وكل ما يصد عن ذكر الله وفى الحديث الحديث فى المسجد ياكل الحسنات وروى الترمذى عن
ابى امامة ان الاية نزلت فى ناس كانوا يشترون المغنيات والاضافة بيانية كخاتم الحديد و
قيل الاضافة بمعنى من التبعيضية على ان المراد بالحديث مطلقا فلا يجب تقييد الحديث بالمنكر
كما فى الوجه الاول لان الغرض تمييز اللهو القولى والغرض تعجيب السامعين ممن يختار اباط
طيل الحديث على الايات والحكم ليضل عن سبيل الله كما كان يفعل النضر بن الحرث يقول
ان كان محمد يحدثكم باحاديث عاد وثمود فانا احدثكم ايضا مثله ويحكى لهم حروب الفرس
من وقايع رستم واسفنديار وقراء ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وهو ابلغ لاستحقاقه العذاب بمجرد
الضلال ولسلامته من الحذف والمراد زيادة الضلال والاستمرار او اريد به الاضلال
لان الضلال المضاعف لا ينفك عنه بغير علم اى بجهله وانما آثر ما فى التنزيل لدلالته
على فقده اشرف الاشياء ويتخذها اى سبيل الله هزوا سخرية وقراء حمزة والكسائى
وحفص ويتخذ بالنصب وهو اولى لقرب المعطوف عليه والباقون بالرفع اما استينافا
او عطفا على يشترى اولئك لهم عذاب مهين جزاء من جنس عملهم لاستهزائهم
بالدين واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها مترفعا متجا
نفا كان فى اذنيه وقرا ثقلا لا يقدر على السماع فالاول حال من المستكن فى
مستكبرا او فى ولى والثانى من المستكن فى لم يسمعها لا بدلا من الحال الاولى لفوات المبالغ
المقصوده وذلك انه شبه المتكبر بمن لا يسمع ولما احتمل عدم السماع لعدم الالتفات سلب
عنه القابلية بطريان الافة فى الالة وقراء نافع باسكان الذال فبشره بعذاب اليم
اثر التبشير على الاعلام والاخبار تهكما ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم
جنات النعيم كما ان لاضدادهم العذاب الاليم خالدين فيها حال من ضمير لهم
او من جنات ان جعل فاعل الظرف وعد الله حقا مصدران موكدان الاول لنفسه
لان الاخبار السابق وعد بلا احتمال واما كونه حقا اعم مفهوما فهو موكد غيره
وهو العزيز الغالب لا يمنعه شئ عن انجاز الوعد الحكيم الذى لا يفعل الا ما
اقتضته حكمته من مجازاة الفريقين على وفق اعمالهم خلق السموات بغير عمد
ترونها استيناف يؤكد اذ لا علم اجلى من المحسوس ويجوز
ان يكون فى محل الجر صفة عمد والاول هو الوجه لايهام الثانى نفى المركب من حيث هو
والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم جبالا ثوابت كراهة ان تميل لان جرم الارض

اى خبر اول الصفة منه

رواه الترمذى وفى اسناده ضعف منه

رد على القاضى

بالنسبة الى الماء في غاية الصغر فلا يخلو عن اضطراب وبث فيها من كل دابة من كل
نوع من انواع ما يدب على الارض وانزلنا من السماء ماء التفت الى التكلم لان
انزال الماء من جهة العلو ابدع واغرب فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنافع
هذا خلق الله مخلوقه فاروني ماذا خلق الذين من دونه مما تشركون به بكتهم بما لا مجال
لهم عن رده بل الظالمون في ضلال مبين جلي لا يخفى على ناظر لله لا لا على ان
الاشراك بعد هذه الحجة النيرة كمال الظلم ولقد اتينا لقمان الحكمة كان المشركون
يرجعون الى اهل الكتاب في امر رسول الله وقصة لقمان ونهي ولده عن الاشراك مشهورة
عندهم وكانت حجة على المشركين ولقمان هذا عند حبشي وقيل نوبي كان اولا راعيا فاتاه الله
الحكمة وكان قاضيا في بني اسرائيل الى ان بعث داود فترك القضاء فقيل له في ذلك فقال كيف
لا اتركها وقد كفيت بغيري وقيل لم يكن عبدا بل كان من اولاد آزر عاش الى زمن داود وعمر
الف سنة واتفق المفسرون من الصحابة والتابعين على انه لم يكن نبيا الا ما تفرد به عكرمة
ومجاهد وعن قتادة انه خير بين النبوة والحكمة فاختارها فقيل له في ذلك فقال خفت
ان اضعف عن القيام بحق النبوة روي ان مولاه امره بذبح شاة وقال له ائتني باطيب
المضغتين منها فاتى بالقلب واللسان ثم امره بذبح شاة اخرى بعد ايام وقال ائتني باخبث
المضغتين منها فاتى بهما ايضا فقال له كيف وجه فعلت فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث
اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه وقف عليه اسود فقال له لا تحزن فانه كان من خير
الناس ثلثة من السودان لقمان وبلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب والحكمة العلم المشفوع بالعمل
وهذا معنى استعمال النفس بحسب القوة النظرية والعملية ولذلك فسر ايتاءها بقوله ان اشكر لله
ليتناول اعتقاد الجنان وعمل الاركان والقول باللسان ومن يشكر فانما يشكر لنفسه
لان نفعه لا يتخطاه يجوز ان يكون مما قيل للقمان وان يكون اعتراضا حثا على الشكر ومن كفر
فان الله غني حميد لا ينقص بذلك عن ملكه شيء حميد في حد ذاته حمد ذاته قيل
حمد الحامدين او حميد بلسان الحال حيث افاض الوجود على الماهيات وانار بضيائه
الكائنات واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اسمه اشكم وقيل انعم وقيل ماثان كان
هو وامه كافرين فلم يزل يعظهما حتى اسلما يا بني تصغير اشفاق وقرا حفص بفتح الياء
في الكل ووافقه البزي في الثالثة لدلالة على حذف الالف المقلوبة من الياء واسكن الاولى
وكسر الثانية وقنبل باسكان الطرفين وكسر الوسط ونافع وابو عمرو وابن عامر وحمزة
والكسائي وابو بكر بالكسر بحذف ياء المتكلم اكتفاء بدلالة عليه لا تشرك بالله
في الالوهية ان الشرك لظلم عظيم لا يحاط بكنهه قبحا اذ ليس من يخلق كمن لا يخلق
والوقف على لا تشرك وجعل بالله قسما ضعيف ووصينا الانسان بوالديه عطف
على ولقد اتينا لقمان الحكمة دفع لما يتوهم من عدم جواز القيام بحجها لانه يشيد العبادة
وقيل هو كلام معترض في قصة لقمان للدلالة على ان شكر الوالدين مقرون بشكر الله
ومع ذلك لا يجوز ارتكاب الشرك لرضاهما فكيف بالغير وقيل عطف على مضمر اي وقلنا
له ووصينا الانسان اي لم يزل يضاعف ضعفها مذ حملته الى حين الوضع اعتراض يؤكد حق
الام روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
ابر قال امك ثم امك ثم اباك وفصاله في عامين لان اقصى مدة الرضاع لقوله يرضعن
اولادهن حولين كاملين ان اشكر لي ولوالديك تفسير للوصية او بدل اشتمال
من والديه او علة لوصينا الي المصير وعد ووعيد وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس
لك به علم اي ما ليس بشيء حقيقة ولا يصح ان يتعلق به العلم حقر شان الشريك في جعله دون
المعدوم فلا تطعهما في ذلك اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وصاحبهما في الدنيا معروفا

معروفا صحابا يرتضيه الدين والمروة واتبع سبيل من اناب الي في التوحيد والاخلاص
ثم الي مرجعكم للجزاء فانبئكم بما كنتم تعملون فاجازيكم على وفق اعمالكم نزلت
في سعد بن مالك حين اسلم حلفت امه لا تاكل ولا تشرب ولا تقعد في ظل حتى يرتد و
لذلك قيل من اناب الي ابو بكر لان اسلام سعد كان على يده يا بني انها ان تك
مثقال حبة من خردل اي الفعلة من الحسنة والسيئة مثقال الشيء ما يوازنه والخردل
نبت حبه يضرب به المثل في الصغر وقرا نافع بالتذكير على ان كان تامة والتانيث لان
الفاعل مضاف الى المؤنث او لان المراد به الحسنة او السيئة وقرا نافع مثقال بالرفع فتكن
في صخرة او في السموات او في الارض الصخرة هي التي عليها الثور وهي خارجة عن السموات
والارض او المراد داخل الصخرة واعماقها والغرض بيان احاطة علمه بها وان كانت في اخفى
مكان يتصور يات بها الله يوم القيمة ان الله لطيف يصل علمه الى الشيء
وان دق مسلكه خبير ببواطن الاشياء يا بني اقم الصلوة فانها عماد الدين
دل هذا على انها عبادة قديمة في ساير الملل وامر بالمعروف وانه عن المنكر فانه كمال
وتكميل روى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله قال لتامرون بالمعروف ولتنهون
عن المنكر او ليبعثن الله عليكم عذابا من عنده واصبر على ما اصابك من المكاره في
الاوقات كلها لا سيما عند الامر والنهي اذ قل ان يسلم من اذى الاشرار ان ذلك من
عزم الامور اي المذكور من اقامة الصلوة الى آخره من الامور المفروضة المقطوعة
ومنه الحديث سجدة ص ليست من عزايم السجود وقوله صلى الله عليه وسلم اذا سالت فاعزم
المسئلة مصدر بمعنى المفعول او بمعنى الفاعل من عزم الامر اذا جد ولا تصعر خدك
للناس لا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون وفي الحديث ياتي على الناس زمان
ليس فيهم الا اصعر او ابتر والصعر داء يصيب البعير يلوي منه عنقه وقرا نافع وابو عمرو
وحمزة والكسائي تصاعر بالمد وهي لغة الحجاز الفصحى على نمط سافر ولا تمش في الارض
مرحا بطرا وهو شدة الفرح عرورا حالا او مصدرا اي تمرح مرحا او للمرح وفي الحديث كان
رجل يمشي وعليه برد فنظر في عطفيه فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة
ان الله لا يحب كل مختال في مشيته فخور على الغير نشر لما تقدم وتغيير الترتيب ليوافق
رؤس الآي واقصد في مشيك اي توسط بين الاختيال والتماوت فيكون مشيا بين
مشيين وفي الحديث نظرت عايشة رجلا كاد يموت تخافتا فقالت ما لهذا قالوا رجل
من القراء فقالت كان عمر سيد القراء وكان اذا مشى اسرع واذا قال اسمع واذا ضرب اوجع
وفي وصف مشيه صلى الله عليه وسلم كان اذا مشى كانه ينزل من صبب واغضض من
صوتك وانقص منه ولا ترفع صوتك الا مقدار ما تسمع جلساءك اصل الغض النقص
والكسر ومنه في الحديث كان اذا فرح غض طرفه لئلا يكون اشرا ان انكر الاصوات
اقبحها لصوت الحمير بالغ في التحذير عن الافراط في رفع الصوت باخراج الكلام مخرج
الاستعارة واثر لفظ الجمع لان الصوت المنكر اذا توافقت عليه الحمير كان انكر هذا مع ان
الحمار مثل في الذم حتى ان اهل الادب يكنون عنه بطويل الاذنين تحاشيا عن
لفظه فان قلت من الاصوات ما هو اشد نكرا من صوت الحمار قلت اذا كان المراد بالانكر
القباحة لبشاعة منه صوت هذا مع ان ساير الحيوانات انما تصوت عند اصابة مكروه والحمار لا
يصوت الا بطرا الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب
اسبابا لمنافعكم وما في الارض من الاشجار والانهار والزروع والثمار واسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة ما يتعلق بظاهر الانسان مثل الاستقامة وسائر الخلقة من المحاسن
والباطنة هي القوى المدركة ونتايجها من المعارف وما في اعماق الاجسام من الاشياء

التي لا شعور للانسان بها وقرا نافع وابو عمرو وحفص بكسر النون وفتح العين على
صيغ الجمع مضافا الى الضمير وهذا ابلغ واشمل ومن الناس من يجادل في الله بغير
علم مستفاد من طريق العقل ولا هدى ولا هداية من رسول ولا كتاب
منير انزل الله ارشادا واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا
عليه اباءنا انهما كافي التقليد اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب
السعير عطف على مدخول الاستفهام توبيخا اي يتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم
الى عذاب النار والمنصوب في يدعوهم اما لهم او لاباءهم ويويد الثاني قوله اولو كان
اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ومن يسلم وجهه الى الله اذاته بالكلية الفرق
بين اللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله وبين الى كما في الاية ان اللام تفيد الاختصاص اي
جعل نفسه خالصة لله لا شركة فيها لاحد والى تفيد التفويض كما يسلم الرجل متاعه الى الغير
وهو محسن في عمله كانه يرى ربه فقد استمسك بالعروة الوثقى مثل حال
المتوكل بحال من اراد الارتقاء الى شاهق فاستمسك باوثق حبل مامون الانقطاع والى
الله عاقبة الامور فيجازيه بما يليق بكرمه ومن كفر فلا يحزنك كفره
اذ عليك البلاغ وقد وفيت به وقرا نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاء من احزنت
والباقون بفتح الياء وكسر الزاء قال الخليل حزنته جعل فيه حزنا واحزنته جعله حزينا
كادخلته جعله داخلا فالاول ابلغ وعن الفراء انهما بمعنى فالقول بان احزن ليس بمستفيض
وهم الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا نجازيهم عليه ان الله عليم بذات الصدور
بخفيات الضماير اثر في الالتفات لفظ الجلالة لان الالوهية مستلزمة للاحاطة بالسر وما
خفي نمتعهم قليلا ليزدادوا اثما عبر عنه بالقليل لان الفاني وان طال قليل بالنسبة
الى الدايم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ استعار الغلظ من الاجرام اشارة
الى شدته كانه تجسد من عظمه ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
لا يقدرون على غير ذلك لغاية الظهور قل الحمد لله على هذه النعمة اذ فيه الزام
لهم وقلع دابر شبهتهم بل اكثرهم لا يعلمون اضراب الى جهل هو اقوى من الاول اذ المعنى
ان جهلهم انتهى الى انهم لا يعرفون ان قولك الحمد لله انما هو لاحجاجهم لله ما في السموات
والارض من الجزئيات الخارجة والاجزاء الداخلة ان الله هو الغني المطلق الحميد
بلسان الحال وان لم يحمد مقالا لان الكل خلقه وملكه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله قرا السبع
الا ابا عمرو البحر رفعا عطفا على محل ان ومعمولها اي لو ثبت كون الاشجار اقلاما وكون البحر
ممدودا بسبعة ابحر او رفعا على الابتداء والواو للحال وقراءة ابو عمرو بالنصب اما عطفا على اسم
ان او بفعل يفسره يمده وهو المختار لرجحان عطف اللفظ على المحل وعدم الاحتياج الى
التقدير والمعنى لو ان اشجار الارض اقلام والبحر المحيط يمده سبعة ابحر وكتبت تلك
الاقلام بذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت تلك الاقلام والمداد
وانما اثر القلة اشارة الى ان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير كذا قيل وانما يستقيم
اذا لم يجعل الجمع المضاف مستغرقا اذ عند ذلك لا تفاوت بين الجموع ان الله عزيز
غالب لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه شيء ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
لاستغنائه عن الاسباب والالات بل على وجود الاشياء انضمام الارادة الى القدرة
الشاملة ان الله سميع جميع المسموعات في ان واحد بصير يبصر المبصرات كذلك
فكما لا يشغل سمعه وبصره شيء عن شيء فكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل
من النيرين

ردع على الخشاف والقاضي اذ لا استفاضة فوق التواتر رحمه الله

قائلا نافع

من النيرين يجري الى اجل مسمى دل بتعاقب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وجري
كل من النيرين في فلكهما كل ذلك على حساب وتقدير على عظيم قدرته وكمال علمه وايقاع الى
صلة الجري بمعناه الانتهاء واللام للاختصاص ولما كان الثاني ابلغ كثر في القران ولم يقع
الى الا في هذه الموضع والمراد بالاجل اخر السنة في الشمس واخر الشهر في القمر وعن الحسن
هو يوم القيمة لانقطاع جريهما حينئذ وان الله بما تعملون خبير يعلم بواطن
اعمالكم ذلك بان الله هو الحق ذلك الوصف العجيب من كمال القدرة وباهر الحكمة
لاجل انه الثابت الالوهية التي من لوازمها الكمال المطلق في كل وصف يليق بكبريائه
وان ما تدعون من دونه الباطل لعجزه عن الاتصاف بوجوده الا من ذلك الحق قرا
ابو عمرو والكوفيون الا ابا بكر يدعون بالياء وهو المختار لاخراجهم عن شرف خطابه اذ عبدلا
عنه الباطل فان قلت قد زاد في مثل هذا الاسناد لا ضمير الفصل في قوله وان ما تدعون
من دونه هو الباطل في سورة الحج فما الوجه في تركه هنا قلت الكلام هناك كان في نصر المظلوم
والمشركون يزعمون ان الهتهم تنصرهم ولذلك لما انهزم المسلمون يوم احد نادى ابو سفيان
باعلى صوته اعل هبل اعل هبل فكان المقام حقيقا بالتاكيد وان الله هو العلي الكبير
العلي شانه الكبير سلطانه وما عداه حقير صغير تحت قهره الم تر ان الفلك تجري
في البحر بنعمة الله بالريح المرسل التي هي من نعم الله لقوله ان يشا يسكن الريح فيظللن
رواكد ليريكم من اياته من عجايب البحر كما اراكم بدايع البر ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور اي لكل مومن لان الصبر على البلاء والشكر على النعماء من صفاته
كناية يراد بها الموصوف وفي ايثارها اشارة الى ان الوصفين هما عمدتا الايمان واذا
غشيهم موج كالظلل جمع ظلة وهي كل ما اظلك اراد الامواج المتراكبة عند هيجان البحر
دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من شدة الخوف فلما نجاهم
الى البر فمنهم مقتصد متوسط في كفره قد خفض من غلوائه او مومن موحد باق على
ذلك الاخلاص وفي الكلام شايبة انكار اذ بعد النجاة من تلك المهالك كان اللايق
ان يكون من الكمل السابقين وما يجحد باياتنا الا كل ختار الختر شدة الغدر قال و
انك لو رايت ابا عمير ملأت يديك من غدر وختر كفور بنعم الله يا ايها الناس اتقوا
ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا
لما شيد اركان البراهين على قيام الساعة بما لم يبق للريب فيه مجال حذر كافة الناس بان
لا يتكل احد على احد فان اقرب الناس واجدرهم بالنفع الوالد والولد واذا لم يقدر احد
هما على نفع الاخر فالغير بالاولى وغير النظم في جانب الولد عن السنن الاول موكد الضمير
الفصل لان المولود لا يقال الا لمن ولد منك بخلاف الولد فانه يطلق على الحافد واذا
لم ينفع من ولد منه فالاحفاد من باب الاولى ان وعد الله حق لا بد من وقوعه
فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بالاشتغال بزخارفها ولا يغرنكم بالله الغرور
الشيطان بالاغراء على المعاصي قايلا ان الله عفور رحيم بالتسويف عن التوبة ان الله
عنده علم الساعة لا عند غيره كقولك عند زيد الخبر وينزل الغيث يعلم
وقت نزوله دون غيره لانه معطوف على المختص به ولقرينة المقام لان المسوق له الكلام
شمول العلم والاختصاص لا القدرة على الانزال ويعلم ما في الارحام من الكمية
والكيفية وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت عطف على
جمل ان الله عنده علم الساعة ولما كان الكلام مسوقا للاختصاص لا لافادة اصل
العلم لزم من النفي على سبيل الاستغراق اختصاصه تعالى على الوجه الابلغ كناية وفي
ايثار الدراية من جانب العبد اشارة الى انه لا يعلم ان بذل مجهوده في الحيل ان الله

في المغرب غلا وبعه غلوا اذا العدمنه

عليم كامل العلم بالاشيا كلها خبير عالم ببواطنها كما يعلم ظواهرها تمت سورة لقمان
والحمد لله على الانعام والاحسان والصلوة على المبعوث من عدنان سورة السجدة
مكية وهى ثلاثون ايات بسم الله الرحمن الرحيم

الم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب ان جعل اسم السورة او القرآن وان جعل تعديدا للحروف
ايقاظا تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره لا ريب فيه او من رب
العالمين ولا ريب فيه اعتراض وهو الوجه لان قوله ام يقولون افتريه انكار على
الزاعم انه من عند غير الله يعجب من ذلك القول مع وجود نافى الريب فيحسن موقع الا
عتراض وبعد انه لا التفات الى شغب المكابر ثم اضرب عن ذلك الى اثبات كونه هو الحق
بعد اماطة الشبهة بقوله بل هو الحق من ربك وفى اضافة الرب اليه بعد اضافته الى
العالمين تخلص الى اثبات نبوته وفيه اشارة الى انه العبد الذى جمع فيه ما فرق فى
العالمين وفى اسلوب الترقى اشارة الى ان الكمال فيه اتم مما فى كل العالم لتنذر قوما
ما اتيهم من نذير من قبلك اى بعد الضلال لقوله وان من امة الا خلا فيها نذير
ولانهم كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم واما دعوة موسى وعيسى فلم تكن عامة لعلهم
يهتدون راجيا هدايتهم الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام
ثم استوى على العرش دليل على استحقاق العبودية دون غيره تعالى ما لكم من
دونه من ولى ولا شفيع اى ما لكم مجاوزين رضا الله ولى يتولى امركم ولا شفيع على انه من دون
حال من ضمير المخاطبين والشفيع مجاز عن الناصر ومن دون الله حال مقدم كانه قيل ما لكم
ولى ولا ناصر غير الله افلا تتذكرون هذه المواعظ الجلية يدبر الامر من السماء
الى الارض اى المأمور به من الطاعات ضمن معنى الانزال ثم يعرج اليه فى يوم كان
مقداره الف سنة مما تعدون العروج هو الصعود والمعنى لا يصعد اليه ذلك المأمور
خالصا الا فى مدة متطاولة لقلة العباد الخلص فذكر الالف للاستطالة لا نهاية العقود
ثم للاستبعاد ويدل على هذا الوجه قليلا ما تشكرون او امر الدنيا كلها من السماء الى
الارض فالامر بمعنى الشان والعروج مجاز عن الثبوت فى صحف الملائكة والمعنى ان لكل يوم
من ايام الله وهو الف سنة تدبيرا لشان الدنيا ثم على التدريج يقع ذلك فى الوجود
ثم اذا تمت تلك المدة دبر لالف آخر وهلم جرا الى قيام الساعة فكانه قيل يجدد هذا
التدبير مستمرا او هو الوحى ومقدار ما بين السماء الى الارض خمسمائة سنة فيقع النزول
والعروج فى الف سنة ولا ينافى هذا قوله فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة لان
ذلك عروج الى العرش او المراد امر الدنيا الى قيام الساعة فالامر بمعنى الشان و
الظرف يتعلق بالعروج كانه قيل يدبر الامر الى يوم القيمة ثم فى ذلك اليوم الذى
مقداره الف سنة يصير اليه ذلك الامر كله فيحكم بموجبه والتوفيق بينه وبين قوله
خمسين الف سنة على هذا التفاوت فى الاستطالة بحسب الشدة وقيل فيه خمسون
موطنا بعضها وكل موطن الف سنة ذلك عالم الغيب والشهادة اى ذلك المدبر
يعلم الغائب والشاهد بلا تفاوت وهذا يدل على كمال اتقانه فى ذلك التدبير العزيز
الغالب على امره الرحيم بعباده يراعى مصالحهم تفضلا الذى احسن كل شىء
خلقه ما يليق به واقتضته حكمته بدل اشتمال من كل شىء وقراءة نافع والكوفيون خلقه
بفتح اللام على انه ماض ومحل الجملة النصب على انه صفة كل او جر صفة شىء وهذا ابلغ
وبدأ خلق الانسان من طين هو آدم ثم جعل نسله ذريته سميت نسلا لانها تنسل
اى تنفصل من سلالة فعالة بمعنى المفعول اى مسلول من ماء مهين هى النطفة
لانها مستقذرة او ضعيفة ثم سواه قومه بتصوير الاعضاء فى احسن تقويم

تقويم ونفخ فيه من روحه اضافه تشريف كقوله فى جبريل فارسلنا اليها روحنا وحديث
من عرف نفسه على تقدير صحته لا يدل الا على ان النظر يوجب العلم بالصانع كالنظر فى الافاق
لقوله وفى انفسكم افلا تبصرون وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الات الادراك
لتستنبطوا الكليات من المحسوسات والتفت الى الخطاب مكافحا بقوله قليلا ما تشكرون شكرا
قليلا تشكرون وقالوا ائذا ضللنا فى الارض صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض
لا نتميز بين اجزائنا واجزائها قراءة ابن عامر اذا بدون الاستفهام ائنا لفى خلق جديد
الاستفهام فى الموضعين للتعجب مقالة كلهم وقيل القائل ابى بن خلف وقراءة نافع والكسائى
بالاخبار وما دل عليه هو العامل فى الظرف المتقدم بل هم بلقاء ربهم كافرون
اضراب الى ما هو اعم من انكار البعث وهو جميع ما يكون بعد الموت من الحشر والحساب
والمجازاة قل يتوفيكم ملك الموت الذى وكل بكم لا كما تزعمون نموت ونحيى وما يهلكنا
الا الدهر ولا ينافى هذا قوله تتوفيهم الملائكة لانهم اعوانه وقيل ينزعون الروح الى الحلقوم
فاذا بلغ قبضه ملك الموت والتوفى اخذ الشىء بتمامه وكذا الاستيفاء لان التفعيل والاستفعال
يلتقيان كثيرا ثم الى ربكم ترجعون للمجازاة ولو ترى يا محمد او من يتأتى منه الرؤية
اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزى لرأيت امرا فظيعا والمراد
وجود الرؤية فلا يقدر له مفعول ويجوز ان يكون تمنيا لرسول الله ليشمت بهم حين تجرع
الغصص ولو واذ وان اختصا بالماضى الا ان المترقب فى كلامه تعالى كالثابت قطعا ربنا
ابصرنا وسمعنا ابصرنا ما وعدته وسمعنا تصديق رسلك منك او كنا عميا وصما فابصرنا و
سمعنا فلا يقدر مفعول فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون اذ لا علم اجلى من المشاهدة
ولو شئنا لاتينا كل نفس هديها ما تهتدى به الى الايمان بخلق قدرة الطاعة فيها
ولكن حق القول منى ثبت وتحقق الحكم ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس
لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين هذا لازم لذلك الحكم او القول هو
هذا فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا اى بترككم النظر والتدبر فيه ترك الناسى
ما انتم فيه من الخزى مفعول ذوقوا وقيل صفة يومكم والاية صريحة فى ان الله لم يرد ايمانهم
بناء على التوسط الذى هو مناط التكليف وكون الامر بين الامرين لا جبر ولا قدر انا نسيناكم
تركناكم فى العذاب ترك المنسى وفى الاستيناف وبناء الفعل على ان واسمها اشارة الى شدة
الانتقام وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون من الكفر وساير المعاصى
الخطاب للمشركين فلا يدخل فيه اصحاب الكباير انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا
بها وعظوا وفى ايثار التذكير اشارة الى انها من الوضوح بحيث لا يحتاج الى تأمل
خروا سجدا لله وفى لفظ الخرور اشارة الى انهم لم يتمالكوا حين ذكروا وسبحوا قدسوا
الله عما لا يليق به بحمد ربهم ملتبسين بحمده على التوفيق وهم لا يستكبرون تصريح بما
علم وتعريض بالمشركين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ترتفع وتبعد مستمرين على ذلك
يدعون ربهم خوفا من عقابه وطمعا فى ثوابه عن اسماء بنت زيد قالت قال رسول
الله اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة نادى مناد بصوت يسمع الخلايق سيعلم اهل
الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم فيقومون
وهم قليل ومما رزقناهم ينفقون فى وجوه الخير جمعا بين انواع ما يتقرب به فلا تعلم نفس
ما اخفى لهم من قرة اعين مما تقر به اعينهم والفاعل هو الله تعالى وانما ابهم لعدم ذهاب
الوهم الى الغير وقراءة حمزة اخفى بسكون اليا مضارع اخفى وما موصولة او استفهامية والعلم
بمعنى المعرفة جزاء بما كانوا يعملون اى جوزوا جزاء او اخفى جزاء وعن الحسن اخفوا عن
الناس اعمالهم اخفى الله جزاءهم لم يطلع عليه لا نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا وعن ابى

هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم
نفس أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن الدين رد لما كانوا يزعمون ان لو
كان بعث فنحن احسن حالا من هؤلاء الصعاليك قياسا للدار الاخرة على الدنيا وعن عطاء بن
يسار والسدي انها نزلت في علي بن ابي طالب وعقبة بن ابي معيط وقيل في علي والوليد بن عقبة
وليس بصواب لان المراد بالفاسق هنا الكافر ولان السورة مكية فنزول الاية بعد بدر غير
مستقيم لا يستوون في الرتبة وجمع الضمير بالنظر الى المعنى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات المأوى لانها دار الاقامة فهي المأوى حقيقة والدنيا كمنزل المسافر وقيل
جنة المأوى جنة مخصوصة عن يمين العرش يأوي اليه ارواح الشهداء نزلا طعاما يعد للنازل
ثم صار عاما في كل عطاء بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم واما الذين فسقوا فمأواهم
النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فهم خالدون فيها لما في كلما من التكرار
وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون يقال لهم هذا زيادة في العذاب
بتوبيخ خاصة السمع كقول ابي نواس الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولنذيقنهم من
العذاب الادنى في الدنيا من القحط والاسر دون العذاب الاكبر اي عذاب
الاخرة لعلهم يرجعون بالتوبة عن مجاهد العذاب الادنى عذاب القبر ومعنى لعلهم
يرجعون يطلبون الرجوع من باب فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا او الترجي
راجع اليهم ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها اي لا اظلم
منه وثم لاستبعاد الاعراض مع الجلاء كقول الحماسي يرى غمرات الموت ثم يزورها انا
من المجرمين منتقمون طرا فكيف باظلمهم ولقد اتينا موسى الكتاب كما
اتيناك فلست ببدع من الرسل فلا تكن في مرية من لقائه من لقاء الكتاب وان
ما اوتيته نظير ما اوتي موسى وقيل من لقاء موسى الكتاب وقيل من لقائك موسى
يوم القيمة او ليلة الاسراء والاول هو الوجه لقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وجعلناه هدى لبني اسرائيل اي كتاب
موسى او موسى وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس بامرنا توفيقنا او بامرنا اياهم
بذلك وفي الحديث اخذ الله العهد على العلماء كما اخذ على الانبياء ليبيننه للناس ولا يكتمونه
لما صبروا على الطاعات وقرأ حمزة والكسائي لما بكسر اللام وتخفيف الميم اي لصبرهم ومآل
الوجهين واحد وكانوا باياتنا يوقنون لتدبرهم فيها فكانوا احقاء بالامامة لكمال قوة
يقينهم العملية والنظرية وتقديم الاول لكونها المقصود من العلم ان ربك هو يفصل بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اي يميز بين المحق والمبطل من ساير الامم او من بني
اسرائيل اولم يهد لهم اي لاهل مكة عطف على منوي مثل الم يكشف والفاعل ما دل
عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة المهلكين او هذا الكلام بمضمونه كقولك
لا اله الا الله يعصم الدماء والاموال وقيل فيه ضمير الله يمشون في مساكنهم
في اسفارهم ويرون مساكن عاد وثمود وقوم لوط ان في ذلك لايات افلا يسمعون سماع
تدبر فان قلت كان الظاهر بعد ذكر المشي في مساكنهم وروية غضب الله تعالى افلا يبصرون
قلت تلك الروية كانت وقت مرورهم وقد ذهلوا عنها فلما ذكرهم اياها احذرهم الذهول
عنها بان حثهم على سماع الاتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز
التي انقطع نباتها لعدم المطر جرز الشيء قطعه لا الارض التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا
المراد كل ارض هذه صفتها وعن ابن عباس ارض اليمن وذلك لانها مربع انعام اهل مكة تأكل
منه انعامهم من التبن والاوراق وانفسهم من الحب والثمر افلا يبصرون ابصار

ايضا باعتبار فيستدلون به على ان من قدر على ذلك قدر على الاحياء ويقولون متى هذا
الفتح ان كنتم صادقين يوم الفتح يوم القيمة لقوله قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا
من الفتاحة وهي الحكم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة وعلى هذا معنى قوله قل يوم الفتح لا ينفع
الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون هم المقتولون في ذلك اليوم وانطباق هذا
الجواب على سؤالهم من حيث التهكم والاستهزاء بهم كما كانوا يستهزؤن في سؤالهم واستعجالهم
فكأنه قال كأني بكم وقد جاء ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه ايمانكم فاعرض عنهم بعد ما بلغت
الغاية القصوى من التبليغ والانذار وانتظر انهم منتظرون ما تمنيهم
انفسهم من العاقبة والغلبة تمت السورة والحمد لله على الاية الموفورة والصلوة على محمد ذي
الايات المشهورة سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون ايات
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله لم يناده الا ملقبا بما يدل
على رفعة محله من الرسول والنبي والمزمل بخلاف ساير الانبياء من قوله يا موسى ويا ادم جلالا
لا له واما ذكر اسمه في قوله محمد رسول الله وقوله وما محمد الا رسول فللحكم عليه بالرسالة الا
يرى الى قوله لقد جاءكم رسول وقوله امنوا بالله ورسوله اتق الله دم على التقوى وازدد في
المساق غير متناهية ولا تطع الكافرين والمنافقين روي ان ابا الاعور السلمي وابا
سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل قدموا المدينة فنزلوا على ابن ابي رأس المنافقين وجد بن
قيس فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا دع ذكر اللات والعزى وقل ان لها شفاعة
فقال عمر يا رسول الله ايذن لي في قتلهم فقال قد اعطيتهم الامان فنزلت وقيل نزلت في بني
قريظة والنضير ويهود بني قينقاع كان ناس منهم امنوا على النفاق وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلين لهم الجانب ويتجاوز عنهم اذا اتاه قبيح منهم وقيل ان اهل مكة دعوا
رسول الله الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان يزوج شيبة بن ربيعة ابنته ان
الله كان عليما بما هم فيه من المنكر حكيما في عدم معالجتهم بالعذاب واتبع ما يوحى
اليك من ربك لا تعدل عنه تأكيد للنهي ان الله كان بما تعملون خبيرا
فيوحي اليك ما تصلحون به اعمالكم انت وامتك وقرأ ابو عمرو بالياء على انه وعيد للكافرين
والمنافقين وتوكل على الله في مجامع امورك وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه
الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قام يوما يصلي والمنافقون يصلون معه فسهى في صلوته فقال المنافقون
ان له قلبين قلب معكم وقلب مع اصحابه وعن الزجاج ان عبد الله بن خطل كان يقول ان لي
قلبين وقيل هو ابو معمر وكان من احفظ العرب وقيل هو جميل بن اسد الفهري فلما انهزم
المشركون يوم بدر ولى هاربا فمر بابي سفيان فقال ما فعل القوم قال هم بين مقتول وهارب و
كان قد علق احدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له ما بال احدى نعليك في يدك فقال
ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وجعل ذلك اصلا بنى عليه شيئان لا حقيقة
لهما وهما التبني والظهار وذكر الجوف لزيادة التصوير وتقوية الانكار وما جعل ازواجكم
اللائي تظاهرون منهن امهاتكم كان الظهار في الجاهلية طلاقا وحقيقته ان يقول
الرجل لزوجته انت علي كظهر امي وكالام ساير المحارم فاخبر الله تعالى بان ذلك القول لا اصل
له ولم يثبت له حكم في علم الله تعالى كما لم يتعلق ارادته بخلق القلبين في جوف وقيل لان هذا
يؤدي الى التناقض وان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل ولان الام مخدومة
والزوجة خادمة وفيه نظر لان هذا فتح عملي وكون الفتح والحسن عند بعض عقليين ولان الراسخ اقوى
واكمل وكون الحسن شرعيا ولتضمن الظهار معنى التجنب عدي بمن قرأ الكوفيون وابن عامر
واللائي بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على الاصل والباقي فرو بغير ياء وورش بهمزة مكسورة

مستهل في الوصل ويقف بيا ساكنة ولابي عمرو والبزي وجهان اليا الساكنة ومختلسة
الكسرة وقراء قالون وقنبل بهمزة مكسورة لا يا بعده وقرا ابو عمرو والحرميان بفتح التا
في تظاهرون والها وتشديدها والظا بلا الف وابن عامر بالفتحتين وتشديد الظا و
تخفيف الها والف بينهما وعاصم بضم التا وكسر الها وتخفيفها والف بينهما وحمزة والكسائي
بالفتحتين والالف وتخفيف الها فيهما والوجه في الكل واضح لكن التخفيف اشهر وَمَا
جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ جمع دعي وهو الذي يدعى ابنا من غير ولاد وهذا هو المقصود
من سوق الكلام وذلك ان رسول الله كان دعا زيد بن الحارثة ابنا قبل النبوة لانه كان
قد سبي ووقع في حكيم بن حزام فوهبه لخديجة زوج رسول الله فوهبته له فجاء بعد ايام ابوه
وعمه في طلبه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم احبه فلما طلباه منه قال رسول الله
تخيره فان اختاركم فهو لكم وان اختارني دعوه فقالوا رضينا ظنا منهم بانه لا يختار على ابيه
احدا فلما خير اختار رسول الله وقال اني رايت منه شيئا لم يره احد من ابويه فاخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد زيد واخرجه الى المسجد الحرام ونادى يا معشر
قريش ان زيد بن الحارثة ابن لي فلما تزوج زينب قدح المنافقون وقالوا كيف
يتزوج زوجة ابنه وهو ينهى عن ذلك فرد الله ذلك بان الادعيا ليسوا ابنا ذَٰلِكُمْ
قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ من غير ان يترتب عليه امر في الاحكام الشرعية وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ
وما سواه باطل وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ طريق الحق وقد وقع النظم في رد مقالتهم
احسن موقع وذلك بان بناه على قضيتين هما كالشاهدين مسلمين عندهم ثم اتى
بالفذلكة للدلالة على ان الثالث معهما نذر في قرن بلا انفصام ثم ذيل الكل بقوله
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل تاكيدا على تاكيد وتمهيدا لما بعده من قوله ادْعُوهُمْ
لِآبَائِهِمْ الى اخر السورة فانه تفصيل لقول الحق وهداية السبيل هُوَ أَقْسَطُ
عِندَ اللَّهِ اي النسبة الى الآباء هو القول الصوت اسم التفضيل اريد به الزيادة المطلقة
فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة وَمَوَالِيكُمْ واولياؤكم
فيه فقولوا يا اخي يا مولاي وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ قبل ورود النهي او بعده
على سبيل الخطا وسبق اللسان وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ مجرور عطف على ما اخطاتم
او مبتدا خبره محذوف اي ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح ويجوز ان يراد العموم في
الخطا والعمد كقوله صلى الله عليه وسلم لا الخطا اخشى عليكم ولكن العمد ويدخل في العموم
خطا التبني وعمده دخولا اوليا لكون السياق لهما وعلى الوجهين ذكرهما يؤكد امتثال ما نُدبوا اليه
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا للمخطي رَّحِيمًا بقبول توبة العامد النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ
أَنفُسِهِمْ فيجب عليهم وقايته بالارواح والمهج وايثار رضاه على رضاهم ولذلك تحرم مرغوبته
على زوجها وفي الحديث لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده و
الناس اجمعين وهذا دفع لما عسى يقال وان لم يكن الدعي ابنا فليس في المروة نكاح
زوجته او المعنى اراف بهم من انفسهم لما روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما من مؤمن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والآخرة فاقرؤوا ان شئتم النبي
اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا فان ترك دينا
او ضياعا فليأتني فانا مولاه وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ في الاحترام والتعظيم و
حرمة النكاح لا في تحريم بناتهن وامهاتهن وفي قراءة ابي وهو اب لهم وقيل لا يقال
لرسول الله ابو المؤمنين لقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم والصواب الاول وَأُولُو
الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ في التوارث نسخ توارث الموالاة بين المهاجرين
والانصار فِي كِتَابِ اللَّهِ في اللوح او في القرآن وهي آية الانفال او هذه الآية

الآية مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ من بيان اي اولو الارحام الذين هم هؤلاء بعضهم اولى
ببعض في التوارث من الاجانب او ابتدائية او تبعيضية اي اولو الارحام الكائنين
من هؤلاء او هم بعضهم إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا واحسانا استثناء من اعم
العام كقوله لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد والمراد بالاولياء المؤمنون والمها
جرون من اقامة المظهر مقام المضمر على تقدير الابتداء والتبعيض دون البيان لان
الاجانب مدلول عليهم سياقا اذ ذاك كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا اي المذكور
من الاحكام والكتاب وما ذكر انفا وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ اي اذكروا
الميثاق اخذ العهد عليهم بان يبلغوا رسالته وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَ
عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هؤلاء اولو العزم من الرسل افردهم بالذكر تنبيها على عظم شانهم وقدم نبينا
هم اشارة الى انه المقدم رتبة وان تاخر زمانا وعن الزجاج هو اولهم خلقا وان كان اخرهم بعثا
اخره في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا لان المراد بيان اصالة دينه وقدم عهده وَأَخَذْنَا
مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا هو ذلك الميثاق استعاره الغلظ من الاجرام اجلالا له وقيل
هو العهد المؤكد باليمين لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ اي الانبيا عن صدق عهدهم
في اداء الرسالة او عن تصديق الامم اياهم تبكيت لمن كذب من وضع المظهر موضع المضمر
مدحا للرسل بالصدق او المؤمنين الذين صدقوا في عهدهم حين اشهدهم على انفسهم
الست بربكم ليشهد لهم الانبياء بوفاء العهد واداء الامانة التي حملوها او تصديقهم الرسل
فان تصديق الصادق صدق وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا عطف على
اخذنا من النبيين معنى لان التقدير اكد الله العهد على الانبيا في اداء الرسالة لاثابة المؤ
منين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسأل الصادقين كانه قال فاثاب هؤلاء
واعد لهؤلاء وذلك لان سوال الصادقين عن صدقهم اثابة لهم وعنوان كل خير انه لا يسال
المجرمون يومئذ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ
قريش وقائدهم ابو سفيان وغطفان وقائدهم عيينة بن حصن وانضم اليهم بنو قريظة و
النضير من اليهود وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة وسبب هذا الاجتماع ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اجلى بني النضير من المدينة الى خيبر فذهب اشرافهم الى ابي سفيان واتفقوا على حرب
رسول الله وبذلوا في ذلك وسعهم فاتوا واحاطوا بالمدينة وامر رسول الله صلى الله عليه و
سلم بحفر الخندق حول المدينة باشارة سلمان الفارسي فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا
لَّمْ تَرَوْهَا وذلك بعد ان اقاموا على محاصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من
شهر فارسل الله عليهم ريح الصبا والقاهم الملائكة فكبروا حول عسكرهم وقطعوا اطناب
خيامهم والقوا قدورهم وسفت الريح في وجوههم والقى في قلوبهم الرعب فقال طلحة بن
خويلد الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر النجا النجا فنادوا بالرحيل وانصرفوا خائبين
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا لا يخفى عليه شيء قراه ابو عمرو بالغيبة إِذْ جَاءُوكُم
مِّن فَوْقِكُمْ من اعلى الوادي بنو غطفان من شرقي المدينة وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ من جهة
الغرب وهم قريش وكانوا عددا كثيرا قريبا من اثني عشر الفا وخرج رسول الله صلى الله في ثلثة
الاف واسند ظهره الى سلع وحصن الذراري والنسا في اطام المدينة وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ
عن مستوى نظرها حيرة او مالت عن كل شيء وشخصت نحو العدو وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
جمع الحنجرة وهي منتهى الحلقوم وهذا مثل في اضطراب القلوب من شدة الخوف وقيل اذا
خاف الانسان او غضب انتفخت الرية وارتفعت الى الحنجرة وارتفع القلب بارتفاعها وَتَظُنُّونَ
بِاللَّهِ الظُّنُونَا يظن المؤمنون ان الله منجز ما وعده رسوله من النصر ولكن ما يخافون ضعف
الاحتمال والمنافقون يظنون ان الكفار يستاصلون محمدا واصحابه حتى قال معتب

بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يذهب الى الغائط والمؤمنون الذين في ايمانهم ضعف وليس لهم فيه قدم راسخ يقولون لو كان الله اراد نصر المؤمنين لما بلغ الامر في الشدة والضيق هذا المبلغ قرأ ابو عمرو وحمزة الظنون بالقصر في الحالين وابن كثير وحفص والكسائي بالقصر وصلا والمد وقفا ونافع وابن عامر وابو بكر بالمد في الحالين مناسبة للفواصل وعليه الرسم في الامام وفي غيره بحذف الالف والقصر هو الاصل هنالك ابتلي المؤمنون امتحنوا فامتاز الثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا روى مسلم باسناده الى حذيفة بن اليمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يصلي تلك الليلة التي رحلت الاحزاب ثم قال من يأتيني بخبر القوم ويكون له الجنة حتى اعاد الكلام مرارا فلم يجبه احد ثم قال لي يا حذيفة فلم اجد بدا من الجواب فقمت وبي من البرد والجوع ما لا يعلمه الا الله فقال يا حذيفة ادخل في القوم وانظر ما يفعلون ولا تحدث شيئا قال فقمت ومشيت كانما امشي في الحمام ولا ادري اثر الجوع فلما دخلت فيهم رأيت ابا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد القوس ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدث شيئا فرجعت واخبرت رسول الله بخبرهم واخذني البرد الذي كان بي اولا فالبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عباءة كان يصلي فيها فنمت حتى الصباح فقال لي رسول الله قم يا نومان واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض من عطف الصفات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام او من في قلبه مرض وضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا باطلا لا حقيقة له واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم قاله اوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه وعن السدي قاله ابن ابي ويثرب اسم المدينة في الجاهلية سميت باسم رجل من العمالقة نزل بها ثم ورد النهي عن تسميتها بذلك وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طابة وقرأ حفص مقام بضم الميم من الاقامة والباقون بالفتح وهذا ابلغ والمعنى لا قيام لكم او لا اقامة او لا امكان لكم عند رسول الله في وجه العدو فارجعوا الى بيوتكم او فارجعوا عن دينه واسلموه الى عدوه ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة اي معرضة للعدو واصل العورة كل عيب وخلل يستحيى منه وما هي بعورة تكذيب ان يريدون الا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم من اقطارها من جوانب المدينة ولم يذكر الفاعل اذ لم يتفاوت الحال سواء كان الداخل هؤلاء او غيرهم ثم سئلوا الفتنة الردة عن الاسلام لاتوها لارتدوا وما تلبثوا بها الا يسيرا ريثما يسئلوا لعدم ذوقهم حلاوة الايمان او لم يلبثوا في المدينة بعد الردة الا زمانا يسيرا او يقلع الله شأفتهم وقرأ الكوفيون وابو عمرو وابن عامر وآتوها بالمد بمعنى لاعطوها والقصر ابلغ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار هم بنو حارثة لما نزل في الغازين يوم احد ما نزل عاهدوا الله ان يعودوا بعدها وقيل هم السبعون الذين عاهدوا ليلة العقبة ان يمنعوا عن رسول الله ما يمنعوا عن انفسهم وقيل هم طائفة غابوا عن بدر عاهدوا الله تعالى لئن حضروا قتالا ليقاتلن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكشفوا الكربة عن وجهه وكان عهد الله مسؤولا عنه للمجازاة قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل اذ الموت لا بد منه اما حتف انف او قتلا واذا لا تمتعون الا قليلا جواب وجزاء اي وان نفعكم الفرار لا يكون ذلك الا زمانا قليلا لا يرغب العاقل في مثله قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اي لا احد يقدر على خلاف مراده وكان اصل الكلام او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاختصر الكلام او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع وهذا مقرر ومؤكد لعدم نفع الفرار ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا

قال عليه السلام من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله رواه الامام احمد

في حال من الاحوال قد يعلم الله المعوقين منكم المانعين من العوق وهو المنع والتفعيل للتكثير الفعل والمبالغة فيه وقد للتحقيق وهم المنافقون المثبطون للمسلمين عن القتال والقائلين لاخوانهم من اهل المدينة من الانصار هلم الينا قربوا انفسكم منا وتمتعوا بظل الاشجار واكل الثمار وما محمد واصحابه الا اكلة رأس وهلم اسم الفعل يطلق على الواحد وما فوقه عند اهل الحجاز وعند تميم تثنى وتجمع ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا قليلا يوهمون بذلك انهم مع المؤمنين اشحة عليكم بخلاء بالمعاونة والانفاق في سبيل الله قيل اضناء بكم مشفقين عليكم متحابين كما يفعل الرجل بالذاب عن المناضل عنه والشح البخل اذا قارنه الحرص ونصبه على الحال او الذم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم احداقهم لا تستقر في مكانها من شدة الخوف كالذي يغشى عليه من الموت كمن وقع في سكرات الموت فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم بالسنة حداد استقبلوكم بها السلق رفع الصوت ومنه في الحديث لعن الله الحالقة والسالقة اشحة على الخير على الغنيمة كانها عين اموالهم ويقولون لولا نحن وشوكتنا لم تظفروا وانتصب على الحال ايضا او على الذم اولئك الموصوفون لم يؤمنوا فقط لان الايمان فعل القلب فاحبط الله اعمالهم لم يعتد بها وجعلها هباء منثورا لعدم الاساس وكان ذلك على الله يسيرا لكونها حقيقة بالاحباط لا صارف عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وقد ايقنوا بذهابهم وذلك من غاية جبنهم وغلبة الوهم على القوة العاقلة وان يأت الاحزاب مرة اخرى يودوا لو انهم بادون في الاعراب ساكنوا البدو بين الاعراب لا يبالون بفراق المال والوطن يسألون عن انبائكم كل ما دام من جانب المدينة او يسأل هؤلاء القائلون لاخوانهم هلم الينا عما جرى بينكم وبين الاحزاب ولو كانوا فيكم في حينكم حاضرين ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا ثم يفرون لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الاسوة ما يؤتسى اي يقتدى والمعنى انه في نفسه اسوة حسنة اي قدوة كما تقول في البيضة كذا منا من الحديد اي هي في نفسها عشرون منا او فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وقرأ عاصم بضم الهمزة وهي لغة تميم والكسر لغة الحجاز الفصحى لمن كان يرجو الله واليوم الاخر اي يأمل ثوابه او يخاف عقابه وخصوصا اليوم الاخر فان هوله شديد والجار صلة حسنة لا اسوة لان المصدر الموصوف لا يعمل او مع المجرور بدل من كم بدل بعض اي لمن كان يرجو الله منكم وامتناع الابدال من المتكلم والمخاطب انما هو في بدل الكل وايضا ذلك في الابدال عن الضمير وهذا ابدال الجار والمجرور وذكر الله كثيرا في احيانه جامعا بين الرجاء والذكر وهذه كانت صفة المقتدى به صلى الله عليه وسلم فيحصل بها كمال التأسي ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ورسوله حيث قال ان الاحزاب سائرون اليكم في آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم وزلزلوا زلزالا شديدا ايقنوا بالنصر والعاقبة وصدق الله ورسوله اي ظهر صدقهما فيما وعدا واظهار المظهر في الاسمين للاستلذاذ ولان اسناد الصدق الى الصريح ابلغ وما زادهم الا ايمانا بصدق وعد الله وتسليما لقضائه وانقيادا له من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه لما ذكر صدق وعده اردفه بذكر صدق العهد من عباده الذين قد علقوا باخلاف ونزلت في انس بن النضر لم يكن شهد بدرا فقال اول مشهد شهده رسول الله غبت عنه لئن شهدت معه مشهدا ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد نادى سعد بن معاذ يا ابا عمرو واها لريح الجنة اجدها من قبل احد قال سعد فاردت

الحالقة التي تحلق شعرها عند المصيبة والسالقة التي ترفع صوتها

بين علي القاضي

ان اصنع مثل ما يصنع فلم اود فقتل شهيدا قالت اخته ما عرفته الا ببنانه ووجدت فيه
بضعا وثمانين من ضربة وطعنة فمنهم من قضى نحبه كانس وحمزة ومصعب بن عمير النحب
النذر اريد به الموت لانه لازم لزوم النذر ومنهم من ينتظر كطلحة وعثمان والزبير
وما بدلوا تبديلا كما فعل المنافقون الذين عاهدوا الله من قبل ليجزي الله الصادقين
بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم متعلق بالمثبت والمنفي
على سبيل النشر والمعنى قصد الذين صدقوا بصدقهم العاقبة الحسنى والمبدلون العذاب
وعكس ذلك وجعل التبديل للعذاب مجازا كقوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا
وحزنا وبعد الاستعارة اسلكك في سلك الحقيقة ان الله كان غفورا لما فرط
من الصادقين رحيما بقبول توبة المنافقين ان تابوا ورد الله الذين
كفروا اى الاحزاب بغيظهم ملتبسين به لم ينالوا خيرا قط بوجه
مع ما حشر وامن الاموال ومشاق السفر ثم ولوا هاربين بيان لسبب الغيظ وكفى الله
المؤمنين القتال بارسال الريح والملائكة عليهم وهذا زيادة امتنان على
المؤمنين حيث انجاهم من تلك البلية العظمى من غير حول منهم ولا قتال وكان الله
قويا عزيزا ذا قوة بالغة لا يغالب وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب اعانوهم
وهم بنو قريظة كانوا معاهدين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد من صياصيهم
من حصونهم جمع صيصية وهي ما يدفع به الشيء ويحصن ولذلك يقال لقرن
الثور صياص وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا تقتلون الكبار
وتأسرون الصغار والنسا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من مقا
تل الاحزاب دخلت ام سلمة رضى الله عنها ووضع السلاح وشرع يغتسل تبدى له
جبرئيل معتجرا بعمامة فقال وضعت السلاح قال بلى قال لكن الملائكة لم تضع السلاح
وهذا الان رجوعي من طلب القوم اخرج اليهم واشار الى بني قريظة وكان بعد صلوة الظهر
فاذن رسول الله صلى الله عليه بالمسير اليهم وقال لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة
فصلى بعضهم في الطريق وقالوا لم يرد الا سرعة النهوض اليهم ولم يصل اخرون امتثالا
لقوله فلم يعنف على احد فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فرضوا بان ينزلوا
على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه يرجون ان يستطلقهم من رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما فعل ابن ابي بيهود بني قينقاع وكان سعد قد جرح يوم احد فحكم في الحكم فاتوا به
راكبا على حمار فلما قرب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم فقاموا
فانزلوه فقال رسول الله ان هؤلاء قد نزلوا على حكمك فاعرض عن رسول الله اجلالا
وقال قد حكمت بان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله فوق سبع ارقعة ثم امر بالاخاديد فخدت في الارض ثم
قدمهم وضرب اعناقهم وكانوا بين سبعماية الى ثمانماية واورثكم ارضهم بلادهم وديارهم
بيوتهم واموالهم سائر ما يملكون من الصامت والناطق وارضا لم تطؤوها بعد
بشارة بفتح مكة وقيل خيبر وقيل فارس والروم انها كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على
كل شيء قديرا لا يعجزه شيء يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة
الدنيا وزينتها اى متاع الحيوة الدنيا وزخارفها فتعالين امتعكن اعطكن المتعة واسرحكن
اطلقكن سراحا جميلا من غير بدعة ولا مضارة عن جابر رضى الله عنه ان ابا بكر
وعمر رضى الله عنهما دخلا على رسول الله وحوله نساؤه وهو واجم فقال عمر لا قولن كلاما اضحك
رسول الله فقال يا رسول الله لو رأيتني اليوم وقد سألتني بنت زيد نفقة فقمت فوجأت
عنقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حولي يطلبن النفقة فقام ابو بكر الى عايشه

الى عايشه وعمر الى حفصة يريد ان يضربهما فقالتا ما نسئل رسول الله فنزلت فبدا بعايشه وقال
يا عايشه اني ذاكر لك امرا فلا تستعجلي حتى تستامري ابويك فلما تلا عليها الاية قالت
افي هذا استامر ابوي اني اختار الله ورسوله وقالت له لا تذكر لازواجك اني اخترت
الله ورسوله فقال لا تسألني واحدة الا اخبرتها انما بعثت مبلغا معلما والتخيير لنفسه
ليس بطلاق لقول عايشه خيرنا رسول الله فلم يكن ذلك طلاقا واما اذا اختارت
نفسها قبل الاشتغال بما يدل على الاعراض فطلقة رجعية عند الشافعي وباينة عند
ابي حنيفه رحمهما الله وعنده لا متعة حيث لا مهر وكان كل المهر وعند ابي حنيفة رحمه الله
اذا لم يكن مدخولا بها ولم يفرض لها في العقد شيء متعتها واجبة وساير المطلقات متعتهن
مستحبة وتقديم المتعة على التسريح المسبب عنه اهتماما بما هو من محاسن الاخلاق
وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن
من بيان لانهن كلهن محسنات وايثار المظهر موضع المضمر للدلالة على ان اختيارهن
الله ورسوله اتيان بالحسن اجرا عظيما لا يحاط به ولا نسبة بينه وبين زخارف
الدنيا يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة كبيرة مبينة يضاعف
لها العذاب ضعفين اذ الذنب منهن اقبح وكما ان ثوابهن يضاعف فكذلك
العذاب قراءة نافع والكوفيون يضاعف بالياء والفتح والتخفيف ورفع العذاب وكذا
ابو عمرو الا انه قصر وشدد وابن كثير وابن عامر بالنون والقصر وكسر العين والتشديد
ونصب العذاب والياء هو المختار للعلم بالفاعل لعدم التصريح بالفاعل في تضعيف العذاب
بخلاف ايتاء الاجر مرتين المقابل له جريا على سنن سبق رحمته وكان ذلك
على الله يسيرا لا يمنعه اما الله واحترامكن انما هو لطاعة الله ورسوله فاذا خرجتن
عن ذلك زال موجبه ومن يقنت منكن لله ورسوله يطع لامرهما وتعمل صالحا من الاعمال
والتذكير في احد الفعلين والتانيث في الاخر بالنظر الى لفظ من ومعناه نؤتها اجر
ها مرتين مرة على فعل الطاعة ومرة لكونها في شرف صحبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقرا حمزة والكسائي يعمل ويؤتها بالياء باعتبار من في الاول ولفظ الجلالة في
الثاني واعتدنا لها رزقا كريما زايدا على ذلك الاجر تفضلا يا نساء
النبي لستن كاحد من النساء همزة احد اصلية وهو اسم لمن يخاطب مفردا كان
او اكثر مذكرا كان او مؤنثا والمعنى لستن كجماعة من النساء لتطابق المشبه لان الغرض
تفضيلهن من حيث كونهن نساء النبي على ساير النساء لا تفضيل كل واحدة منهن
على كل واحدة ومثله لا نفرق بين احد وما منكم من احد عنه حاجزين ان اتقيتن
ان صح بما توصفن به من التقوى سوقا للمعلوم مساق المجهول او ان اردتن التقوى
فكيف وانتم متقيات فلا تخضعن بالقول لا ترخمن اصواتكن في خطاب الاجانب
فيطمع الذي في قلبه مرض ريبة وفجور وقلن قولا معروفا بعيدا
عن الريبة وقرن في بيوتكن ملازمات للطاعة فانه افضل واستر وفي الحديث صلوة
المراة في مخدعها خير من صلوتها في بيتها وصلوتها في بيتها خير من صلوتها في حجرتها
قراءة نافع وعاصم وقرن بفتح القاف اما لانه من قر مكسور العين والاصل منه اقررن
حذفت الراء الاولى استثقالا لا بعد نقل حركتها الى القاف ثم حذف الهمزة استغناء
عنها او من قار يقار كخاف يخاف اذا اجتمع والامر منه قرن كخف والباقون بكسر
القاف اما من قر بفتح العين يقر بكسرها وحذف الراء والنقل كما تقدم واما من وقر
وقارا فالامر منه قر كعد من وعد ولا تبرجن لا تظهرن زينتكن تبرج الجاهلية
الاولى قيل هو بين نوح وادريس عليهما السلام وقيل بين ادم ونوح وقيل زمن

ولادة ابرهيم وقيل بين داود وسليمان عليهم السلام وكانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ
ثم تمشي فيه تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين رسول الله صلى الله عليه و
سلم وعيسى عليه السلام او جاهلية في الاسلام تشبه جاهلية الكفر لما في حديث ابي ذر
قال ساببت رجلا فعيرته بامه فقال لي رسول الله اعيرته بامه انك امرئ فيك جاهلية قلت
جاهلية الكفر قال نعم وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ وَآتِينَ الزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ في ساير الطاعات
وافرد الصلوة والزكوة بالذكر لانافة محلهما إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ
أَهْلَ الْبَيْتِ اي ما يريد الله بهذه الاوامر والنواهي الا اذهاب الآثام عنكم ولما استعار
الرجس الذي هو النجس للاثم لانه يدنس العرض رشحه بقوله وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا
مبالغة في التطهير واهل البيت نصب على النداء او على المدح وهذا نص على ان نساءه
اهل بيته واتفاق الكل على انهن سبب النزول وما رواه ام سلمة ان رسول الله صلى الله
عليه خرج وعليه كساء اسود فجاء علي وفاطمة وابناه الحسن والحسين فجلس ولف عليهم
الكساء وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي فلا يقتضي الحصر والحق ان كل من حرمت عليه الصدقة من
نسائه وآل علي وآل جعفر وآل عباس رضي الله عنهم كلهم داخلون في اهل البيت على ما رواه زيد
بن ارقم وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ اي اشكرن هذه
النعمة وهي الكتاب الجامع بين كونه معجزة دالة على النبوة وعلم الشرايع وانتم قارون في مهبط
جبرئيل وبالوحي خلال منازلكم فمن اولى بالشكر منكم إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا بدق
مسالك علمه ولذلك جعل الكلام معجزا خَبِيرًا ببواطن الامور ولذلك جعله مع اعجازه
مشتملا على الحكم والشرايع إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ المنقادين لامر الله المتوكلين عليه
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ المصدقين بما يجب التصديق به وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ
المداومين على الطاعة وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ في القول والعمل وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ على مشاق الطاعات وترك المعاصي وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ
المتواضعين لله بالقلوب والجوارح وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ الصدقة المفروضة
او اعم وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ ما فرض عليهم وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
عن الحرام وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ بالقلب واللسان وفي الحديث سيروا فقد
سبق المفردون قالوا يا رسول الله ما المفردون قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً لما فرط منهم وَأَجْرًا عَظِيمًا على طاعتهم وعن ابي سعيد سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم من افضل العباد قال الذاكرون الله كثيرا قلت
ومن الغازي قال ولو ضرب بسيفه حتى يتكسر ويختضب دما وعن ام سلمة رضي الله عنها
قلت يا رسول الله ذكر الله الرجال ولم يذكر النساء فما لنا نذكر وقيل لما نزل في
ازواج النبي ما نزل قالت النساء ما لنا لم نذكر فنزلت وعطف الاناث على الذكور
في الآية لا بد منه لتغاير الذوات والقصد الى الاشتراك في الحكم واما عطف
الزوجين فلا لاتحاد الذوات وكما في قوله تائبات عابدات وانما عطف اشعارا
باستقلال كل من اتصف بتلك الصفات بالخبر ويجوز تركه اعتمادا على الالتيام
وشدة الاتصال معنى وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا
أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ نزلت في زينب بنت جحش الاسدية خطبها رسول الله لزيد
بن حارثة فاستنكفت فلما نزلت رضيت بقضاء الله ورسوله وعن عبد الرحمن بن
زيد بن اسلم نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط اول من هاجرت الى رسول
الله بعد الحديبية مع اخيها خطبها رسول الله لزيد بن حارثة بعد فراق زينب فسخطت
هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فلما نزلت استسلما للقضاء الله ورسوله وعن

وعن انس بن مالك ان امرأة من الانصار خطبها رسول الله لجليب فابت امها فقالت الجارية
لا تردوا على رسول الله قد رضيت بجليب فزوجها اياه فلم ينفق ايم في الانصار ما انفقت والمعنى
ما صح في الدين ان يخالف رسول الله في اراداته وذكر الله للتعظيم والاشعار بان قضاءه قضاء الله
وجمع الضمير المجرور نظرا الى المعنى لوقوع النكرة في سياق النفي والخيرة على وزن العنبة المختار من
الشيء يقال محمد خيرة الله في خلقه وقرأ الكوفيون وهشام عن ابن عامر يكون بالتذكير وهو
المختار لكون المؤنث غير حقيقي معه وجود الفاصل وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ
ضَلَالًا مُّبِينًا جليا لا يخفى على احد وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بشرف صحبتك و
الاسلام والخروج عن الرق وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ بتقرر ورفع شانه هو زيد بن حارثة عبده الذي
تقدم ذكره أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وذلك ان رسول الله رأى زينب بعد ما تزوجها
زيد فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وكما القى محبتها في قلبه القى بغضها في
قلب زيد لما اراد الله واقتضت الحكمة ان لا يأبى احد نكاح زوجة دعيه ولا يستقبح فشاوره زيد
في فراقها فقال له هل رابك منها شيء قال لا ولكن تفتخر على بشرفها فقال لا تفعل امسك
عليك زوجك وَاتَّقِ اللَّهَ فان الطلاق من غير ضرورة انكر المباحات الى الله وَتُخْفِي
فِي نَفْسِكَ نكاحها ان طلقها زيد وقيل تعلق قلبه بها وقيل مودة فراق زيد والاول
هو الوجه لقوله مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ولم يبد سوى نكاحها ولما روى ابن ابي حاتم عن الامام
زين العابدين ان الله كان اعلمه انه سيزوجها له بعد فراق زيد فعاتبه الله على قوله امسك
عليك زوجك بعد علمه بان ذلك واقع لا محالة وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول
الله شيئا مما انزل اليه لكتم هذه الآية وَتَخْشَى النَّاسَ ان يقولوا تزوج امرأة ابنه وَاللَّهُ
أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ وقد اعلمك انها زوجك بعد زيد هذا على الوجه الاول وان كان فيه
ما يخشى والواو للحال وعلى هذه المعاتبة ليس على الاخفاء وحده فانه مستحسن بل على الاخفاء مخافة
قالة الناس واظهار خلاف ما في الضمير فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا حاجة الرجال من النساء وملها
زَوَّجْنَاكَهَا اي بعد انقضاء عدتها وعن الشعبي ان زينب قالت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اني ادل عليك بثلث ليس احد يهاني نسائك جدي وجدك واحد وزوجني
الله اياك فوق السماء وجبرئيل كان السفير وقد روى البخاري عن انس رضي الله عنه ان
زينب كانت تفتخر على ساير ازواجه زوجني الله وزوجكن اهاليكن لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا علة للتزويج وفيه دليل على
ان حكمه ما لم يقم دليل وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا مكونا لا محالة مثل ما اراده من تزويج زينب
مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ قسم له وقدر سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ
خَلَوْا مِن قَبْلُ اي سن به سنة بالانبياء وهو انه لا حرج عليهم فيما اباح لهم من النساء والسراري
روي ان سليمان كان له ثلثمائة مهيرة وسبعمائة جارية وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ ارادته انما تعلقت
بشيء قَدَرًا مَّقْدُورًا قضاء مستوما وهذا ابلغ من الاول الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ
اللَّهِ بدل من الذين خلوا او رفع او نصب على المدح وما بينهما اعتراض وَيَخْشَوْنَهُ
وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وحده ليس فيه تعريض كما ظن لانه لم يكن ما اضمره مما امر
بتبليغه ولذلك قالت عائشة لو كتم شيئا لكتم هذه الآية كيف وقد قال انا اخشى الناس و
اتقاهم وهو اصدق القائلين الذي لا ينطق عن الهوى وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا كافيا
للمخاوف فلا ينبغي ان يخشى غيره او محاسبا على الصغير والكبير مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ
مِّن رِّجَالِكُمْ حقيقة يريد ابا الولادة فلا ينافيه التبني لزيد ولا كونه جد الحسنين واما او
لاده الذكور لم يبلغوا مبلغ الرجال بل ماتوا صغارا او ما قيل لو عاشوا لكانوا انبياء
لا يساعده النقل والعقل وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ لا نبي بعده

وقرأ عاصم وخاتم بفتح التاء وهو ما يختم به وقراءة القوم اولى ويؤيدها قراءة ابن
مسعود رضي الله عنه وختم النبيين وكان الله بكل شيء عليما كامل العلم وقد علم انه يليق به
ان يكون خاتم الرسل يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا في اغلب الاوقات يعم ذكر
القلب واللسان بانواعه وسبحوه بكرة واصيلا خصوصا في هذين الوقتين الشريفين كما
التسبيح فانه اشرف الاذكار لكونه تنزيها عما لا يليق بكبريائه وقيل الفعلان موجهان اليهما
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اريد بالتسبيح الصلوة الخمس في اوقاتها هو الذي
يصلي عليكم بترحم وملائكته لانهم يستغفرون للمؤمنين مجابو الدعوة فكانهم
مترحمون او اريد بالصلوة مطلق العناية باصلاح الاحوال وقيل الصلوة لاشتمالها على الركوع
والسجود واستعيرت للانعطاف المعنوي والحنو ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمة
المعصية الى نور الايمان والطاعة حيث امركم بالذكر واكثاره والمواظبة على الصلوة والطاعة
وكان بالمؤمنين رحيما بلغ الرحمة حيث لم يكتف برحمته حتى شغل ملائكته المقربين
تحيتهم يوم يلقونه اضافة المصدر الى المفعول واللقاء بعد الموت او عند الخروج من القبر
او عند دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه واعد لهم اجرا كريما الجنة
وما فيها من النعيم روي انه لما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر رضي الله
عنه يا رسول الله ما خصك الله بشرف الا واشركنا فيه فنزلت يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا على من بعثت اليهم بالتصديق والتكذيب ومبشرا بالجنة لمن امن ونذيرا بالنار لمن
كفر وداعيا الى الله باذنه بتيسيره وفيه اشارة الى ان الدعوة الى التوحيد امر صعب
لا يتاتى الا بتيسيره فان قلت كونه داعيا الى الله هو عين كونه مبشرا ونذيرا فما وجه الجمع قلت
روعي في الجمع حال المرسل والمرسل اليه صريحا وان كان كل منهما مستلزما للاخر وسراجا منيرا
يستضاء به في ظلمات الجهل وكما يمد نور السراج نور الابصار كذلك امد الله بنور نبوته نور البصائر
وانما وصف السراج بالانارة لان من السراج ما لا يضيء كما اذا قل سليطه ودق فتيلته وفي كلامهم
ثلاثة تضني القلب رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر عليها من يجيء وقيل السراج هو القرآن و
المعنى ذا سراج او تاليا سراجا ويجوز ان يكون عطفا على كاف ارسلناك اي ارسلناك والقرآن
اما على سبيل التبعية واما من باب متقلدا سيفا ورمحا وبشر المؤمنين عطف على مقدر اي
فراقب احوال امتك بان لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الامم وفي الحديث تقدكم
سبعون امة انتم خيارها او فضلا زائدا على مقدار الجزاء ولا تطع الكافرين والمنافقين
اي دم والثبت على ما انت عليه تهييج والهاب ودع اذاهم ما يؤذونك به لا تلتفت اليه
وما تؤذيهم به مجازاة او مؤاخذة على الكفر مصدر مضاف الى الفاعل او الى المفعول وعن ابن
عباس رضي الله نسخت باية السيف وتوكل على الله فانه فيه كفاية وكفى بالله وكيلا
موكولا اليه الامر وصف خير خلقه بصفات خمس ثم قابل كلا منها بما يناسب فقابل الشاهد
بالمراقبة وحذفه لان ما بعده دال عليه مفصلا والمبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي
عن طاعة الكفار وعدم المبالاة بهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج
المنير بالاكتفاء لان من جعل نورا اضاء الشرق والغرب جدير بان يكتفي يا ايها الذين امنوا
اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن النكاح لغة الوطء
واطلاقه على العقد اطلاق على السبب وقيد المؤمنات اشارة الى ما هو اولى بالمؤمن
من ان يؤثر لنطفته وان لا يجمع فراش ولي الله وعدوه وانما اثر لفظ ثم لدفع ما عسى يتوهم من
ان طول المدة يؤثر في ايجاب العدة والمس كناية عن الوقاع وجعل ابو حنيفة رحمه الله اعم منه
ومن المس بالشهوة وجعل الخلوة الصحيحة قائمة مقامه فما لكم عليهن من عدة تعتدونها
تستوفون عددها من عددت الدراهم اذا عدها لنفسه كقولك اكتاله واتزنه وفي الاية دلالة وعلى

الاغشا من الغشا وهو المرض منه

وعلى دلالة على ان وجوب العدة انما هو للرجال وكونه من حقوقهم فمتعوهن شطر المهر ان
كان لها فرض والا فالمتعة الواجبة ومن جوز استعمال المشترك في اكثر من معنى او الجمع بين الحقيقة
والمجاز فالتمتع يشمل الموجب والمسنون عنده وسرحوهن سراحا جميلا اخرجوهن
من غير ضرر ولا منع حق يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن
مهورهن سماه اجرا لكونه في مقابلة البضع والتقييد بايتاء الاجر وان صح النكاح بدونه اشارة
الى ايثار الافضل على ما هو اللائق به كما في قوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك
اي اغنمك فان الجارية اذا كانت مما غنمها بسيفه احل واطيب من المشتراة من شق الجلب وبنات
عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك توسط بين الافراط والتفريط فان
اليهود ينكحون بنت الاخ وبنت الاخت والنصارى لا ينكحون الا اذا تباعد بسبعة اجداد و
افراد العم والخال للتخفيف وايثارهما بذلك للشرف نظيره عن اليمين والشمائل وفي ذلك ايماء الى
اجمال الناقص بصيغة الجمع اللاتي هاجرن معك من قبيل الاولى والافضل كما تقدم
لا ان غير المهاجرات لا تحل وقيل لم تحل له غيرهن لما روى ابن ابي حاتم باسناده الى ام هانئ انها
قالت خطبني رسول الله فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية فلم اكن احل له لاني
كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي ان يستنكحها
اي واحللنا لك امراة مؤمنة ان وقع انها تهب وتستنكحها انت وايثار لفظ النبي اشارة
الى ان علة هذا الاحلال شرف نبوته ولذلك عدل الى الخطاب في خالصة لك من دون
المؤمنين وعن الشافعي ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى والمعنى مختص
به وعند ابي حنيفة رحمه الله الاختصاص في المعنى دون اللفظ ولا لزوم بين اللفظ والمعنى لان
دلالة الالفاظ وضعية واختلف في انه هل قبل نكاح واهبة نفسها ام لا والحق انه لم يثبت وقيل قبل
اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة وام شريك وخولة بنت حكيم وخالصة مصدر مؤكد
كوعد الله اي خلص لك احلال الواهبة او وصف مصدر اي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم
في ازواجهم من اشتراط الولي والشهود والمهر والحصر في الاربع وما ملكت
ايمانهم لا يملكون شيئا الا ارثا او هبة او بالعوض ولك صفي المغنم ما شئت لكيلا
يكون عليك حرج متعلق بخالصة وما بينهما اعتراض يؤكد معنى اختصاص بما
اختص به وان هذه الاثرة مما يليق بمنصبه ناشئة عن علم تام بحال من فضل عليه من المؤمنين
وقيل خالصة مصدر مؤكد للاحلال الاربع ولكيلا يكون عليك حرج متعلق به والاعتراض
بحاله وفيه ان ما عدا الواهبة ليس من خصائصه لتساوي امته معه في الاحلال واد لو به ايثار
الافضل وكان الله غفورا لما يقع مما يعسر التحرز عنه رحيما للتوسعة في مظان الحرج
ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من
تشاء وتضم اليك من تشاء من ازواجك او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم
لمن تشاء او تترك تزوج من تشاء وتتزوج بمن تشاء من نساء امتك فالارجاء والايواء باطلاقهما
يعمان ولان هذه الاقسام وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر ترجئ بالهمز والباقون
بالياء اما معتل او مخفف الهمز والمعنى واحد ومن ابتغيت ممن عزلت وتراجع من تشاء
من المطلقات فلا جناح عليك في شيء من ذلك وفي الاية دليل على انه لم يجب عليه
القسم بين زوجاته ودل عليه ما روت معاذة عن عائشة رضي الله عنها لما نزلت هذه الاية
كان يستاذن المراة منا فقلت ما كنت تقولين قالت كنت اقول ان كان ذاك الي فاني
لا اوثر عليك احدا ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن
اي ذلك التفويض اليك اقرب الى قرة اعينهن وقلة حزنهن ورضاهن كلهن لانك
ان قسمت علمن ان ذلك الذي تفعل انما تفعل تفضلا منك واحسانا وان لم تقسم لم يجدن

الطلقاء الذين اسلموا يوم
فتح مكة منه

من خواص صفي المغنم وهو انتخاب
لنفسه ما يشاء انه
سيف او ضيعة من غنائم خيبر
رد على القاضي

عليك لعلمهن بانه حكم الله والله يعلم ما في قلوبكم من الميل الى البعض دون
البعض وقد روت عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم
بين نسائهم ثم يقول اللهم هذا فعلي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك و
كان الله عليما بالمصالح حليما لا يعاجل بالعقوبة حقيق بان يتقى لا يحل لك النسا
من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج عن مجاهد والضحاك وابن عباس رضي الله
عنهم انها نزلت بعد ما اختارت نساؤه الله ورسوله كرامة ومجازاة لهن فلم يكن له
بعد نكاح امراة لكن له التسري وعن عايشة وام سلمة رضي الله عنهما انه احل له ونسخ
هذه الاية بقوله ترجي من تشا فانها وان تقدمت في ترتيب المصحف فهي متاخرة نزولا
وقيل انما حرم عليه غير الاجناس المذكورة من الاعرابيات في ازاء المهاجرات
والغراب في ازاء القرايب والكتابيات بازاء المومنات ونكاح الاماء اكتفاء بما ملكت
يمينه وعن ابي بن كعب انما نهي عن التبدل الذي كان في الجاهلية كان يقول احدهم
انزل عن زوجتك لي وانزل عن زوجتي لك روى البزار باسناده ان عيينة بن
حصن دخل على رسول الله وعنده عايشة رضي الله عنها فقال له رسول الله اين
الاستيذان يا عيينة فقال ما استاذنت على احد من مضر منذ ادركت يا رسول الله
ثم قال ما هذه الجميلة الى جانبك فقال عايشة ام المومنين فقال انزل لي عنها و
انزل لك عن احسن الخلق قال ان الله قد حرم ذلك فلما ادبر قالت عايشة
من هذا قال احمق مطاع في قومه ولو اعجبك حسنهن حال من فاعل او من المجرور
في من ازواج لانه في سياق النفي مستغرق كما يصلح مبتدا ذا حال
الا ما ملكت يمينك استثنا من النسا وكان الله على كل
شيء رقيبا حفيظا ومهيمنا تحذير عن تخطي حدوده يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الا وقت الاذن لكم
الى طعام متعلق بيوذن لانه في معنى يدعى غير ناظرين اناه حال من ضمير لكم
وقيل حال من ضمير لا تدخلوا والاستثنا واقع على الوقت والحال كانه قيل لا تدخلوها
الا وقت الاذن الا غير ناظرين والاول اولى اذ في تعدد الاستثنا المفرغ كلام وهذا
مختص بطايفة يتحينون طعام رسول الله والا لما جاز دخول بيوته الا اذا اذن للطعام
واني الطعام ادراكه يقال اني الطعام اني كقلاء قلي ومنه قوله من حميم ان اي بالغ غاية
الحرارة ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا مستانسين لحديث
لا تطلبوا الجلوس لاستيناس بعضكم ببعض لحديث او ان تستانسوا حديث اهل البيت تسمعا
وتحسسا مجرور معطوف على ناظرين او نصب على الحال من مقدر اي ولا تدخلوها مستانسين
لحديث كما لم تدخلوها ناظرين انا الطعام ان ذلكم كان يوذي النبي فيستحيي منكم
فيحتمل ولا يظهر لكم حيا والله لا يستحيي من الحق وهو اخراجكم وكان حقا
ابلغ اذ ليس لهم الجلوس في بيته بغير رضاه طرد عنه فكيف وقد تاذى بذلك وهو
اعز الخلق واكرمهم على الله تعالى والمعنى لا يترك ترك من يستحيي نزلت في وليمة زينب بنت
جحش لما بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم لها وليمة لم يولم على امراة وليمة
مثلها ذبح واشبع الصحابة خبزا ولحما فخرج القوم بعد الطعام وتخلف ثلثة نفر يتحدثون
في بيته فثقل ذلك عليه واستحيى منهم فخرج ودار على حجر نسايه وسلم عليهن ودعت
كل واحدة منهن له بالبركة في اهله وعاد فوجدهم في الحديث فشق ذلك عليه فاحسوا
بذلك فخرجوا فقال انس كنت باسكفة الباب حين نزلت عليه فتلاها وارخى الحجاب
وحرم النظر الى نسايه وهذه هي اية الحجاب وعن ابن ابي حاتم باسناده الى عايشة ان رسول

رد على القاضي والكشاف

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعشى وانا آكل معه فمر عمر فدعاه الى الطعام فاصاب اصبعي اصبعه
بيده وقال لو اطاعني فيكن ما راتكن عين وذلك انه كان يحث رسول الله على ضرب الحجاب على
نسايه ويقول يراهن البر والفاجر فلما وقع اصبعه على اصبع عايشة وقال ما قال نزلت الاية واذا
سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب لحرمة النظر اليهن وان كن امهات
احتراما واجلالا ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن دفعا لهواجس النفس وخواطر الشيطان
الجاري من الانسان مجرى الدم وما كان لكم ان توذوا رسول الله في وقت من الاوقات
توبيخ لهم على عدم احتياطهم والتوجه الى مراقبة احواله حتى يدركوا بالقراين ما يرضاه ويباد
رون اليه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا فانهن ازواجه حيا وميتا واختلف فيمن
فارقها في حياته ولم يبتها والحق جوازه ان ذلكم كان عند الله عظيما ذنبا لا يعا
دله ذنب اجلالا له من ان يطا فراشه غيره وتصل يد الغير الى حرمه ان تبدوا شيئا او تخفوه
فان الله كان بكل شيء عليما كامل العلم الحال والان عنده سواء وعيد شديد لمن يخفي في صدره
شيئا مما يوذيه وان لم يقل او يفعل لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن
ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن لما نزل الحجاب سال هولاء الاقارب عن حالهم في
الحجاب فنزلت وانما لم يذكر الخال والعم لانهما بمنزلة الوالدين وعن عكرمة والشعبي لانهما
يصفان لابنايهما وهم غير محارم فكره ذلك سدا لمسالك الشيطان ولا نسايهن
اي نساء المومنات وهن المومنات ولا ما ملكت ايمانهن من الارقاء ذكورا و
اناثا وعن سعيد بن المسيب اناثا لا ذكورا واتقين الله في السر والعلن ان الله
كان على كل شيء شهيدا حاضرا فخافوه في السر كما تخافونه في العلن ان الله
وملايكته يصلون على النبي لما استدرك ان شرف رسول الله بما اختصه بين عباده
المومنين من خصايص الاحكام بما عسى يذهب الوهم الى انه لا مزيد على هذا في الاكرام
اشار الى انه قد بلغت كرامته الى انه تعالى وملايكته المقربون من الملا الاعلى والكرو
بيين مستمرون على اظهار شرفه والاعتناء بتجليل شانه يا ايها الذين امنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما بجلوه بما في وسعكم وقد روى البخاري باسناده الى كعب
بن عجرة قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف نصلي قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد اللهم
بارك على محمد كما باركت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد وحمز الكلام
ان الله تعالى امر العالم العلوي والسفلي بالاشتغال بما فيه تجليله كلا بما في وسعه
وكان في ذلك اشارة الى انه المقصود والنتيجة وهما المقدمتان اللتان رتبهما العلام
الحكيم ولذلك كان مقدما خلقا وان تاخر بعثا وقد اختلف في وجوب الصلوة عليه
امامرة في الدهر فاتفاقا واما كلما جرى ذكره فقيل لا يجب والحق وجوبه لظاهر الاحاديث
الكثيرة ولدلالة يصلون على الاستمرار والتجدد واما الصلوة على غيره من الانبيا فالافضل
ان يصلى عليهم عند جرى ذكرهم واما غيرهم من الصحابة والتابعين فلا يجوز الا تبعا لانه
صار شعار الرفضة ان الذين يوذون الله ورسوله ذكر الله للتوطية اشعارا بان
ايذا رسول الله ايذاوه وايذاوه نسبة ما لا يليق بجلاله وكبريايه اليه لما روى
ابو هريرة رضي الله عنه يوذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر اقلب الليل والنهار و
ايذاء رسوله اما بقولهم ساحر وشاعر واما بفعلهم كما كسروا رباعيته وشجوا راسه
الى غير ذلك لعنهم الله في الدنيا بالقتل والاسر والاخرة بعذاب النار واعد لهم
عذابا مهينا مجازاة على اهانتهم رسوله هذا فيمن اذاه قصدا واما ايذاء
المومنين لم يكن كذلك بل عن غفلة والذين يوذون المومنين والمومنات

بغير ما اكتسبوا بغير جناية تستوجب ذلك قيده لان ايذاء المؤمن قد يكون حقا
بخلاف ايذاء الله ورسوله فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا يشمل
السب والغيبة والروافض اول داخل فيه نزلت في المنافقين الذين كانوا يؤذون عليا
بن ابي طالب وقيل في الزناة الذين كانوا يتبعون او يتعرضون للعفايف وهن كارهات
وهذا اوفق بقوله يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن كانت بيوت المدينة لا كنف لها وكانت النساء يخرجن لقضاء حاجة
الانسان الى المناصع اذا اختلط الظلام وكان الفساق والشطار يتعرضون لهن
لاشتباههن بالاماء فامر الله رسوله بان يأمر نساءه وبناته ونساء المؤمنين بلبس
الجلباب وهو ازار فوق الخمار او ملحفة ليمتاز سماتهن عن سمات نساء الجاهلية والاماء
ومن تبعيضية اي بعض الجلباب وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلماني عن معناه فغطى
وجهه وابرز عينه اليسرى ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين لعدم اللبس وكان الله
غفورا لما سلف رحيما يراعي مصالح عباده لئن لم ينته المنافقون عن النفاق
والذين في قلوبهم مرض وهم الزناة واهل الفجور لقوله فيطمع الذي في قلبه مرض
وقيل قلة ثبات في الايمان والمرجفون في المدينة ناس من المؤمنين يخبرون عن
سرايا رسول الله اخبار السوء من القتل والانهزام وغير ذلك من الرجف وهي الزلزلة
لانه خبر يتزلزل قلوب المؤمنين لنغرينك بهم لنسلطنك عليهم من الاغراء وهو
ما يلصق به الشيء بالشيء ولذلك عدي بالباء ثم لا يجاورونك فيها اي في المدينة الا قليلا
عطف على لنغرينك جوابا للقسم وايثار ثم للدلالة على ان جلاء الوطن اعظم المصايب
عندهم ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا ولا يجوز تعلقه
بقوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله
سنة الله في الذين خلوا من قبل من الامم الماضية مصدر مؤكد كوعد الله ولن
تجد لسنة الله تبديلا اذ لا يقدر احد على تبديلها وما تعلق به ارادته كاين لا محالة يسألك
الناس عن الساعة عن وقت قيامها والسائل المشركين استهزاء او اليهود تعنتا لما
في التورية وساير الكتب ان علمها مما استأثر الله به قل انما علمها عند الله لا عند غيره
وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون عن قريب تهديد
للمستعجل كقوله ماذا يستعجل منه المجرمون واسكات للممتحن ان الله لعن الكافرين
واعد لهم سعيرا نارا ذات هيجان ولهب خالدين فيها ابدا اي لا نهاية له لا يجدون
وليا من يتولى حفظهم ولا نصيرا يدفع عنهم العذاب يوم تقلب وجوههم
في النار تصرف فيها من جهة كما ترى البضعة من اللحم في القدر حال غليانها او تغيرها
او يطرحون منكوسين والتعبير بالوجه لانه اشرف الاعضاء يقولون يا ليتنا اطعنا الله
واطعنا الرسولا تمنيا على ما فات وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا اشرافنا وعلماءنا
فاضلونا السبيلا بما زينوه لنا يقال ضل السبيل واضله غيره والالف في الرسولا
والسبيلا كالالف في الظنونا والتوجيه ما تقدم ربنا آتهم ضعفين من العذاب
للضلال والاضلال والعنهم لعنا كبيرا افراده وقرأ عاصم بالباء الموحدة اي
اشد اللعن واعظمه وقراءة القوم اوفق لدلالة ضعفين على التعدد يا ايها الذين آمنوا
لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا روى البخاري عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى بن عمران كان رجلا حييا وكان بنو اسرائيل
يغتسلون عراة وكان موسى لا يغتسل الا متسترا فقالوا ما يمنعه ان يغتسل معنا عريانا
الا انه آدر فاغتسل يوما ووضع ثوبه على الحجر ففر بثوبه فاخذ العصا وعدا خلف الحجر

الحجر وهو ينادي ثوبي حجر فوقف الحجر على ملأ من بني اسرائيل فقالوا والله ما بموسى من بأس
وقيل اتهموه بقتل هرون وقيل اغراء قارون عليه بالزنى كما مر في القصص وكان
عند الله وجيها ذا مكانة ورتبة فكان جديرا بان يبرأ عما يشينه وشتان ما بين وجاهة
الكليم والحبيب يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في كل الامور لا سيما فيما يؤذي رسول الله
وقولوا قولا سديدا جوابا مستقيما لا اعوجاج فيه فيشمل قصة زينب وغيرها يصلح
لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم جواب الامر اي اذا فعلتم ما امرتم به حصل لكم ما هو غاية طلبة
كل عاقل وهو تقبل حسناتكم او التوفيق لجعل اعمالكم في المستقبل مرضية وهذه الاية مقررة
لما تقدمها مع اشتمالها على الوعد كاشتمال تلك على الوعيد فيقوى الصارف عن الاذى ومن
يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما النجاة من عذاب الدارين ونيل ما لا عين رأت انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان لما علق
بالطاعة الفوز العظيم عظم شأنها وفخم امرها وعبر عنها بالامانة اشارة الى انها لا
زمة الرعاية واجبة الاداء والمراد منها ما يعم اللايق بالجماد من حيث كونه مسخرا لما اريد
منه ولم يمتنع عن المشية وبالانسان من الانقياد لاوامره ونواهيه بحيث جرت تلك
الاجرام واستمرت على ما سخرت له والانسان خاس به ولم يف بما كان في وسعه حكم عليه بالخيانة
من قولهم حمل فلان الامانة اي استمر على حملها ولم يؤدها الى صاحبها فعلى هذا الاباء والعرض
والاشفاق مجازات متفرعة على تمثيل حال الجماد بالمامور الذي اذا ورد عليه امر سيده
المطاع بادر بالامتثال وفيه تعريض بالانسان وانه كان احق بذلك انه كان ظلوما
في ترك الاداء مع التمكن جهولا شديد الجهل بوخامة العاقبة لتفويته الفوز العظيم
وتوريطه نفسه في العذاب المقيم واشارة الى عظم شأن الطاعة حيث كان ما شأنه تما
يتبادر اليه الجماد وقيل اريد بها الطاعة حقيقة والامر مبني على الفرض والتصوير وذلك
بان مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله وما في المحافظ على الامانة الى حين الاداء
على الوجه الاتم لو كان في هذه الاجرام العظام الاقوياء فهم وادراك الخطاب وعرضت
الامانة عليها لما حملتها ولا آثرتها اختيارا والانسان الذي خلق ضعيفا آثره واحتمله
وكان ظلوما واضعا لنفسه غير موضعها لحمل عليها ما عجزت عنه السموات والارض
والجبال جهولا بوخامة العاقبة وان ترك حفظها مع الامكان يورث الهبوط من اوج
السعادة الى حضيض الشقا وقيل الامر على ظاهره وان الله تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق
فيها فهما واهلية خطاب وقال اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني ونارا لمن عصاني
فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا له لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا نرضى لانفسنا عقابا
والوجه ان يقال العرض مجاز عن نسبة الامانة اليها واباء الحمل عن عدم الاستعداد والقا
بلية لها وحمل الانسان عن استعداده وكمال القابلية في اصل نشأته على ما اشير اليه
بفطرة الله التي فطر الناس عليها وبكل مولود يولد على الفطرة وكان ظلوما حيث
افسد تلك الفطرة التي بمثابة الاكسير جهولا شديد الجهل بما يترتب على ذلك هلا
فضل على القوة العاقلة التي هي بمثابة الملك على ساير القوى ويقهر بها جنود القوة
الغضبية والشهوية التي هي بمنزلة الشياطين ليعذب الله المنافقين والمنافقات و
المشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات التعذيب نتيجة حمل الامانة
مجازا كما ان التأديب نتيجة الضرب حقيقة والمعنى ليعذب الله الخاين في الامانة الخاسر
في ضمانه ويتوب على الامين الوافي بحق الامانة القايم بما ضمنه وفي هذا نوع آخر من عذاب
الخاين الغادر وكان الله غفورا رحيما لفرطات المؤمنين متفضلا بثواب
طاعاتهم تمت سورة الاحزاب والصلوة على من نزل عليه الكتاب وآله وصحبه

بدى التبالى الى يوم الحساب سورة سبا مكية وهى اربع وخمسون ايات
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض ما دخل فى قوامها
وما يكون فيها واستقر فان كل ذلك نعم دنيوية يحمد مولها وله الحمد فى الاخرة
على تلك النعم مكانه قال هو المحمود على نعم الدارين لا غير وكما دل على الاختصاص هنا تقديم
الظرف دل عليه الامان اولا فسقط ما قيل قدم الظرف هنا لان نعم الدنيا قد يكون
بواسطة من يستحق الحمد الابرى الى دوله فى سورة القصص له الحمد فى الاولى والاخرة تبعد
الظرف فيهما مع ان قوله نعم الاخرة لا يكون بواسطة من يستحق الحمد ممنوع واى واسطة اقوى
من شفاعة رسول الله والملائكة والصالحين وانما سمى مقام شفاعته مقاما محمودا
لانه يحمده الاولون والاخرون كما رواه البخارى وهو الحكيم المتقن امر الدارين
الخبير ببواطن الامور وفى الوصفين اشارة الى ان كل ذلك انما هو على وجه
الحكمة وعلم تام بموضع الاستحقاق يعلم ما يلج فى الارض من الامطار والدفاين
والاموات وساير ما الارض كفاة وما يخرج منها من الاشجار والفلزات وانواع
النبات وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والملائكة باصناف البركات
وما يعرج فيها من الاعمال والعبادات تقرير لوصف الخبرة وتفصيل لما اجمل فى قوله
ما فى السموات وتبصر لانواع النعم الكلية وهو الرحيم المتفضل بافاضتها الغفور
لفرطاتهم وتقصيرهم فى شكرها وتقديم وصف الرحمة لان الكلام فى الانعام فذلك
اوفق بالمقام وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكار لمجيئها واستبطا سخرية
كقولهم متى هذا الوعد قل بلى وربى لتاتينكم رد لانكارهم واكده بالقسم
ثم امد ذلك التاكيد بقوله عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات
ولا فى الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر لان هذا الوصف بمنزلة الشاهد على وقوع
المقسم عليه من غير مجال ريب واو ترس بين صفاته العلى احاطة علمه بالمغيبات فى العالم
العلوى والسفلى لان العلم بوقت الساعة من امهات الغيوب فاذا وصف بالعلم الشامل
دخل ذلك تحته فقيه رعاية حسن الادا قرا حمزة والكسائى علام على صيغ
المبالغة بالجر ونافع وابن عامر بالرفع على انه خبر مبتدا لا مبتدا خبره ما بعده والباقون بالجر
وقرا والكسائى لا يعزب بكسر الزاء الا فى كتاب مبين هو اللوح وجعل الضمير فى
عنه للغيب على معنى لا ينفصل عن الغيب شئ الا مسطورا فى اللوح لا يلايم المقام ليجزى
الذين امنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتاتينكم رد لانكار صدق المخبر المؤكد
خبره بالقسم البالغ كانه قيل القدرة التامة على ايجاد العالم والعلم الشامل بجليات
الاشيا وخفياتها والحكمة تقتضى جزاء المحسن والمسئ وهذا ايضا مركوز فى غرايزهم
فقد تم المقتضى وارتفع المانع اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من و
الذين سعوا فى اياتنا فى ابطالها والصد عنها معاجزين مغالبين فى زعمهم يقال
عاجز فلان اذا ذهب فلم يوصل اليه وقرا ابن كثير وابو عمرو بلا مد وهو المختار لانه
ابلغ اولئك لهم عذاب من رجز اليم من عذاب اليم من بيان اى لهم حظ من
العذاب الاليم وقرا ابن كثير وحفص برفع اليم والجر اولى لعدم الفصل ولانه اكثر
معنى ويرى الذين اوتوا العلم عطف على قال الذين كفروا هم الصحابة ومن
لجدهم او علماء اهل الكتاب الذين امنوا الذى انزل اليك من ربك هو الحق
مفعولا يرى وهو ضمير الفصل ويجوز عطفه على ليجزى والمعنى وليعلم الذين
اوتوا العلم اذا عاينوها علما لا مزيد عليه فى الاتقان فيحتجوا به على من انكرها وليعلم
من لم يؤمن بها من الاحبار فيزداد حسرة ويهدى الى صراط العزيز الحميد هى

رد على البيضاوي

هى دين الاسلام وقال الذين كفروا بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل
نكره وه متجاهلين به كانه غريب جاء بامر بديع لا يقبله العقول ينبئكم اذا مزقتم
كل ممزق اى كل تمزيق على انه مصدر او ذهبت بكم السيول وصرتم فى اجواف الطير
ونسفت بكم الريح على انه مكان انكم لفى خلق جديد ما دل عليه هو العامل فى اذا
كما تقدم فى سورة السجدة والجديد فعيل بمعنى الفاعل كالحديد وعند الكوفيين بمعنى المفعول
لقولهم ملحفة جديد والجواب انه من قبيل رحمة الله قريب افترى على الله كذبا ام به
جنة حصروا خبره الكاذب فى الكذب قصدا وغير قصد اذ لا اعتقاد لهم فى صدقه
والعدول عن الفعل فى الثانى ايما الى انه الكاين انهم لم يجربوا عليه كذبا قبل النبوة بل الذين
لا يؤمنون بالاخرة فى العذاب والضلال البعيد اضراب عن ذلك الحصر الباطل الى ما هو
الحق وتقديم العذاب على الضلال المتقدم عليه اشارة الى تحقق استحقاقهم وتوفر
اسبابه ووصف الضلال بالبعيد وهو للضال على طريق المجاز الحكمى مبالغة فيه وانهم
لا يرجى خلاصهم افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشا
نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء اى اعموا فلم ينظروا الى السماء والارض
المحيطين بهم حيث كانوا سفرا وحضرا والمعنى قد علموا ذلك ولهم علم بانا ان نشاء
نخسف بهم الارض كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم قطعة من السماء نهلكهم بها
واذا علموا ذلك وايقنوا فهلا استدلوا بذلك على القدرة على الانشا والاعادة ثانيا
وقرا حمزة والكسائى الافعال الثلث بالياء اسنادا الى ضمير الله والباقون بالنون
وهذا ابلغ وعيدا لقوله ولقد اتينا وقرا حفص بفتح السين فى كسفا ان فى ذلك
لاية لكل عبد منيب راجع الى الله بالتوبة فانه الناظر فى ايات الله ثم ذكر ما يرغب
فى الانابة وما يفضل الله على المنيب بما اتبع من قصة داود لا سيما انها على انابته وما ترتب
عليها ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اوبى معه اى قلنا يا جبال اوبى معه اى رجعى معه
فى التسبيح لقوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن والترجيع هو الرجوع الى الصوت الاول
ومنه ترجيع الاذان والفضل المبين الجمع بين النبوة والملك وتسبيح الجبال الراسيات
والطيور السارحات وقيل كانت تصير معه بالنهار حيث سار والتاويب سير النهار
والطير بالنصب معطوف على محل يا جبال او على فضلا او مفعول معه مثل ويحزنا والنا
له الحديد كالشمع نقيل بيده من غير نار والدان اعمل سابغات اى امرناه
بعمل الدروع الوافية من سبغ الشئ اذا وفى ومحل ان مفسرة او مصدرية وقدر
فى السرد فى النسج بان يناسب بين الحلق ومنه سرد الصوم اذا تابع الايام وقيل
قدر فى السرد اى اعمل المسامير على قدر الحلق لا دقيقا يقلق ولا غليظا يخرق واعملوا
صالحا الخطاب له وللاتباع انى بما تعملون بصير فاجازيكم عليه عن وهب بن منبه
ان داود كان يتنكر ويسال الركبان عن حال داود وكانوا يثنون عليه فارسل الله
ملكا فى صورة رجل فساله فقال هو خير الناس لولا انه ياكل هو واهله من بيت المال
فسال الله ان يعلمه صنعة ياكل منها هو واهله فعلمه الله عمل الدرع ليكون سببا لمعاشه
والة لجهاده فكان كل يوم يفرغ من درع ويبيعه باربعة الاف وقيل بستة الاف ينفق على
نفسه واهله منه ثم يصرف الباقى الى مصالح بنى اسرائيل ولسليمان الريح
اى وسخرنا له الريح غدوها شهر جريها سيرة شهر بالغدوة ورواحها
شهر سيرها اخر النهار كذلك كان غدوها من دمشق الى اصطخر فيعدى به ثم
يروح الى كابل فيتعشى به وكل من المنافقين شهر يحكى ان رجلا وجد مكتوبا كتبه
بعض اصحاب سليمان عليه السلام بناحية دجلة نحن نزلنا وما بنيناه ومبنيا

وجدناه عند وهما من اصطخر فقلناه ونحن رايحون منه فبايتون بالشام ان شاء الله تعالى واسلنا له عين القطر النحاس المذاب جعل ينبع نبوع الماء وكان ذلك باليمن ببلدة صنعاء ومن الجن من يعمل بين يديه مبتداء وخبر او من يعمل عطف على الريح و من الجن حال فتقدمت اهتماما لان كونه من الجن هو المستغرب باذن ربه بارادته وتيسيره وفيه اشارة الى ان تسخيرهم امر في غاية البعد لولا تسهيل لما تيسر ومن يزغ منهم عن امرنا عما امرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير الحريق يعملون له ما يشاء من محاريب قصورا حصينة واماكن شريفة لانها تحارب عنها وتذب وتماثيل صور الملائكة والانبيا ليروها على تلك الصور تذكيرا للناس بحالهم ليعبدوا عبادتهم وتحريم الصور شرع مجدد او كانت بلا راس او لم تكن صور حيوان لان التمثال كل ما صور على صورة غيره وجفان كالجواب كالحياض جمع جابية لان الما يجبى فيها اي يجمع قال الاعشى تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق وقدور راسيات ثابتات في اماكنها لا تنزل من الاثافي اعملوا آل داود شكرا حكاية ما قيل لآل داود وشكرا نصب على العلية لان العمل لله تعالى للشكر وفيه اشارة الى ان العبادة يجب ان تؤدى شكرا او مصدر لان اعملوا معنى اشكروا او مفعول به اي اعملوا انتم شكرا لان الجن تعمل لكم ما شئتم وقليل من عبادي الشكور المتوفر للشكر باللسان والجنان والاركان الباذل وسعه في القيام وعن ابن عباس رضي الله عنه الشكور من يشكر على الاحوال كلها وقيل من يشكر على الشكر وقيل من يرى العجز عن الشكر وقد روى البخاري ومسلم رحمهما الله باسنادهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال احب الصلوة الى الله تعالى صلوة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه واحب الصيام اليه صيام داود كان يصوم يوما و يفطر يوما وقيل لم يخل بيت آل داود من قائم يصلي لا ليلا ولا نهارا فلما قضينا عليه الموت على سليمان ما دلهم على موته اعاد المظهر لئلا يتوهم عود الضمير الى سليمان الا دابة الارض دويبة تسمى سرفة والارض فعلها ولذلك يقال لها الارضة تاكل منساته عصاه لانه ينسأ بها اي يطرد ويؤخر وقرا نافع وابو عمرو بالالف بدلا عن الهمزة من غير قياس مبالغة في التخفيف وابن ذكوان عن ابن عامر باسكان الهمزة نقلا من الخفيف الى الاخف والالف هي لغة الحجاز فلما خر تبينت الجن علمت علما جليا ان لو كانوا يعلمون الغيب كما كانوا يزعمون ويوهمون الناس وذلك ان مع صلتها بدل من الجن بدل اشتمال ما لبثوا في العذاب المهين وذلك ان داود اسس بيت المقدس مكان فسطاط موسى ثم مات قبل تمامه فوصى به سليمان فاستعمل فيه الشياطين فلما دنى موته ولم يكمل بعد سال ربه ان يعمي موته على الجن حتى يتموا المسجد فامر الجن ان يبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب واتكا على المنساة يصلي فقبض في الصلوة على تلك الهيئة فاكلت الارضة العصا فخر على الارض فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فقاسوه فكان موته منذ سنة وكان عمره حين ملك ثلث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلث وخمسين سنة وابتداء بنا المسجد لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبا هو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان اريد به القبيل لقوله في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال اي كان لكل رجل له بستانان احدهما عن يمين مسكنه والآخر عن شماله او كانت البساتين عن الجانبين متصلة متضامة كانها جنتان وقرا ابو عمرو والبزي سبا بفتح الهمزة من غير تنوين لارادة القبيلة وقنبل باسكان الهمزة اجراء للوصل مجرى الوقف والباقون بالكسر والتنوين باعتبار الحي وقرا حمزة والكسائي

والكسائي وحفص مسكنهم بفتح الكاف مفردا لارادة البلد او مسكن كل واحد والكسائي بالكسر على الشذوذ كالمسجد والباقون جمعا على التوزيع وهو الظاهر كلوا من رزق ربكم حكاية لما قال لهم نبيهم قيل بعث اليهم ثلث عشر نبيا او قيل لهم بلسان الحال او احقاء بان يقال لهم ذلك واشكروا له طلبا للمزيد وحافظا على العتيد بلدة طيبة ورب غفور استيناف لبيان موجب الشكر وعن ابن عباس كانت اخصب البلاد واطيبها كانت تخرج المراة وعلى راسها المكتل فتسير بين الاشجار لحاجتها فيمتلئ مما يتساقط فيه و قيل لم يكن فيها ذباب ولا بعوض ولا برغوث فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم هو الجرذ الذي كان نقبه بلقيس الملكة بالصخر والقار يجتمع فيه ماء العيون والامطار وكانت جعلت فيه ثقبا على قدر الحاجة يفتح في وقت وقيل العرم السكر وهو السد وقيل المطر الشديد وقيل اسم واديهم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط ثمر مر بشع عطف بيان او صفة وقرا ابو عمرو بالاضافة على ان الخمط هو الشجر شجر الاراك عن ابن عباس وقيل كل شجر ذي شوك مر وعن الزجاج كل شجر مر واثل هو الطرفاء عطف على اكل لا على خمط لان الطرفاء لا ثمر له وشيء من سدر قليل عطف على خمط وهو النبق وله ثمر حسن والحكمة في ابقائه زيادة العذاب عليهم كلما راوه تذكروا ما فاتهم ولذلك قلله وتسمية ما بدل لو الجنتين تهكم او مشاكلة ذلك جزيناهم بما كفروا اي ذلك الجزاء الذي جزيناهم لاجل كفرهم النعمة او الرسل بالتكذيب وهل نجازي الا الكفور اي لا نجازي ذلك الجزاء البالغ الا المبالغ في الكفر والمراد الجزاء عقابا وما يصيب المومن تمحيص لذنوبه ولانه اريد العقاب على جميع ما فعل من السوء ولا كذلك المومن لان حسنا يذهبن السيئات وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر بالياء على بناء المفعول والباقون بالنون وهو ابلغ تهويلا وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة هي قرى الشام وقيل قرى بصنعاء قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة وقدرنا فيها السير على ما يلائم السائر يقيل الغادي في قرية والرائح يبيت في اخرى سيروا على ارادة القول حالا او مقالا ليالي واياما امنين لا يختلف الامن باختلاف الاوقات ليلا ونهارا او سيروا فيها مدة اعماركم فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وسئموا العافية و بطروا وسالوا الله خراب تلك القرى ليكون مكانها مفاوز يركبون فيها الرواحل و يتزودون الازواد كما استبدلت بنو اسرائيل الثوم والبصل بالمن والسلوى وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام عن ابن عامر بعد بتشديد العين وهما لغتان بمعنى والمتكاثر وظلموا انفسهم حيث عرضوها للشقا بعد النعيم والرخا فجعلناهم احاديث يتحدث بعدهم بما جرى عليهم ويضربون بهم الامثال اذا بالغوا في وصف القوم بالفرق فالواذ هبوا ايدي سبا ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم كل تفريق لحق غسان بالشام والانمار بيثرب والاسد بالبحرين وخزاعة بتهامة والازد بعمان والآية والتي قبلها تفصيل لما تقدم من حال الجنتين واربابهما وما جروا على سبيل النشر وقدم جعلهم احاديث على التمزيق لانه الغرض ان في ذلك لآيات لكل صبار شديد الصبر على البلا شكور كثير الشكر على النعم والمزايا ولقد صدق عليهم اي على اهل سبا ومن هو على طريقتهم ابليس ظنه محقوظنه وتيقنه لما كفروا وكذبوا الرسل هو الظن الذي حصل له لما وسوس الى آدم وحواء ودلاهما بغرور او لما سمع مقالة الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقرا غير الكوفيين صدق مخففا على ان ظنه مفعول فيه او مفعول مطلق لمقدر فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين من بيان

اى الا فريقا هم المؤمنون او تبعيض اى الا فريقا من المؤمنين وهم المخلص ويؤيد الاول قوله
لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم وما كان له عليهم من سلطان
من تسلط واستيلاء بالاغواء والوسوسة الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها
في شك اى لنميز بين المؤمن والشاك او لنعلمها موصوفين بالصفتين او علما يترتب
عليه الجزاء او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله فالمراد من حصول العلم ما تعلق
به مبالغة وفي اسلوب نظم الصلتين اشارة الى نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ
مراقب فعيل بمعنى المفاعل وعد ووعيد قل ادعوا الذين زعمتم اى زعمتموهم آلهة حذف
المفعولان لطول الصلة من دون الله صفة آلهة ولا يصح ان يكون هو المفعول الثاني لعدم
الالتئام مع الاول لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض اى في العالم
العلوي والسفلي ولا يعبد المعبود الا لجلب نفع او دفع ضر وفيه تبكيت لهم وانهم لا ينطقون
بغير هذا وما لهم فيهما في العالمين من شرك لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير
من عون يعينه في امر ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له دفع لما كانوا يتوهمون
من الشفاعة ان لو كان بعث ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله والمعنى لا تنفع الشفاعة
الا لمن اذن الله له ان يشفع او يشفع له فاللام هي المقدرة في شفاعة زيد اما فاعلا او مفعولا
ويجوز ان يكون لام العلة اى الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله كقولك اذن لزيد لعمرو اى
لاجله وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي اذن على بناء المفعول بضم الهمزة والفتح اولى والخف
ولذلك اتفقوا عليه في لمن اذن له الرحمن حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمقدر
دل عليه المقام اى يتربصون فزعين فهم في ذلك الفزع يتوقفون ملقى عليهم رداء الهيبة
اذا كشف عنهم ذلك الفزع بالاذن في الشفاعة سال بعضهم بعضا وقرأ ابن عامر فزع
على بناء الفاعل وهو اولى لكونه الاصل واخف قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو الاذن
في الشفاعة ولا ينبو لفظ الترتيب لا يخفى وما روى ابو هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله امرا في السماء ضربت الملائكة
اجنحتها خضعانا كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم
قالوا الحق وكذا روى عن ابن مسعود رضي الله عنه مثله فلا تنافي بينهما وكلاهما
واقع واما ان ذلك تفسير للآية فلا لعدم الارتباط ومن قال به انما نظر الى طباق اللفظ
ضمنا وتقدم الملائكة ضمنا لا يجدي وهو العلي شانه الكبير سلطانه بحوله
ان لا يتكلم احد الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض تقرير لقوله لا يملكون
مثقال ذرة قل الله اذ لا جواب له سواه وان تلكئوا مخافة الالزام وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين بعد البرهان النير والتقرير الوافي البليغ تنزل
وردد الامر بين الفريقين بان الحق واحد وفاقا فليتأمل من المصيب منا ومن المخطئ ومثله
يسمى كلام المنصف لان من سمعه من موال ومخالف يقول للمخاطب قد انصفك ولا يرى
اشد تسكينا منه للخصم ولا اوصل بالمناظر الى الغرض ولا اهجم منه بالغلبة ولا ادفع
لشغب المكابر ومنه بيت حسان يخاطب ابا سفيان اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء
وانما خالف بين الصلتين لان المحق كانه عال جواد يركض حيث يشاء
والمبطل كانه مرتبك في ظلام لا يدري اين يتوجه قل لا تسألون عما اجرمنا ولا
نسأل عما تعملون فانا لا غرض لنا في دعائكم الا النصح وفيه تنزل ابلغ من
الاول حيث عبر عما نسبه الى انفسهم بالاجرام وعما نسب الى الخصم بالعمل قل
يجمع بيننا ربنا للحجاج والخصام ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويجازي المحق
والمبطل كلا على حسبه وهو الفتاح الحاكم بالصواب العليم لا يحتمل تطرق

الخلل الى حكمه قل اروني الذين الحقتم به شركاء كان يريهم ويعرفهم ولكن
اراد التنبيه على خطاهم وقياسهم كلا ليس الامر كما زعموا بل هو الله العزيز الحكيم
واين تلك الجمادات من هذه الصفات الضمير لله او للشان وما ارسلناك الا كافة
للناس صفة مصدر اى الارسال عامة بكف خروج احد منهم وعن الزجاج حال من الكاف
والتاء للمبالغة كعلامة والمعنى كافا لهم اى جامعا في الابلاغ والانذار كقوله بعثت الى الاحمر
والاسود وعن ابن مالك حال من المجرور بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لعدم التدبر في شانك او علمهم كلا علم حيث قارنه الانكار ويقولون متى هذا
الوعد المبشر به والمنذر عنه ان كنتم صادقين خطاب له ولامته وفي
قل لكم ميعاد يوم وعد او زمان وعد لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون
جواب تهديد موافقا لما قصدوا بسؤالهم من التعنت والانكار فلوحظ المقصود
دون ما يعطيه ظاهر اللفظ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذ
ي بين يديه من الكتب الدالة على قيام الساعة ونشر الاموات وذلك ان
كفار مكة سألوا اهل الكتاب نعت رسول الله فاخبروهم انهم يجدونه في كتبهم
فاغضبهم ذلك فكفروا بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيمة الذي دل
القرآن على وقوعه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم في ذلك اليوم لبكى
يكون يرجع بعضهم الى بعض القول يتجاوبون في الحوار كل ينسب الذنب الى الآخر
يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا للرؤساء لولا انتم اى اضلالكم
لكنا مؤمنين بما جاءت به الرسل قال الذين استكبروا للذين
استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم ادخلوا همزة الانكار على الاسم
لان الغرض انكار كونهم صادين عن الايمان لا انكار الفعل من اصله وانما اضيف
بعد الى اذ وهو لازم الظرفية كما يضاف الزمان الى الجمل اتساعا بل كنتم مجرمين
بسوء اختياركم وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا كروا عليهم ثانيا و
ابطلوا اضرابهم بقولهم بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله
ونجعل له اندادا اى غرنا مكركم بالليل والنهار دائما وحملكم ايانا على الكفر بالله وعلى
اتخاذ الانداد واضاف مكرهم الى الليل والنهار للملابسة والاتساع في الظرف باجرائه
مجرى المفعول به او جعل الليل والنهار ماكرين على الاسناد المجازي واسروا الندامة
لما راوا العذاب اى كل من الضال والمضل مخافة التعيير او اظهروها وازالوا
سترها ونظيره في الوجهين تشكي كقوله فما زالت الايام الاشكاية وما زالت الايام
تشكي ولا تشكى وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا في اعناقهم والاظهار
للدلالة على الموجب هل يجزون الا ما كانوا يعملون اى لا شيء سوى ذلك
ومحل ما نصب بنزع الخافض او بتضمين الجزاء معنى القضاء وما ارسلنا في قرية
من نذير الا قال مترفوها بعد استيفاء الدلائل على التوحيد والرسالة وضرب
الامثال بالقوارع التي اصابت من لم يقابل النعم بالشكر سلى رسوله بان من قبلك
من الرسل كل قد كابد من الجهلة ما كابدت انا بما ارسلتم به كافرون عنادا
وجحودا من غير شبهة في الطريق فضلا عن امارة او برهان وقالوا نحن اكثر
اموالا واولادا اللذين هما زينة الدنيا وما نحن بمعذبين في الآخرة قياسا
على الدنيا جهلا وسفاهة ولم يدروا ان الدنيا بحذافيرها لا تساوي عند الله
جناح بعوضة وتلك الدار في جواره دار اوليائه واهل عرفانه فكيف يقاس
احديهما على الاخرى قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى ضخوط

الدنيا انما هي بمقتضى مشيئة الله وحكمته في البسط والقبض ولا يلاحظ فيها القرب و
المحبة بخلاف الثواب والجزاء فانها في مقابلة الايمان والعمل الصالح ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ليسوا في زمرة العلماء فيجرون على احد النقيضين ما يجرونه
على الاخر وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى اي قربة مفعول مطلق
اي وما اموالكم واولادكم توجب عندنا زلفى وقربا او التي كناية عن التقوى
اي ما اموالكم ولا اولادكم بالتي هي التقوى حتى تقربكم عندنا زلفى ولا مقرب سواها
الا من امن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم والاموال من امن فانه يقربه
لصرفه في وجوه البر وعلى الثاني استثناء من اموالكم على معنى الاموال من امن وفيه
مبالغة حيث جعل مال المؤمن ولده نفس التقوى ولا يصح الاستثناء على هذا من مفعول تقر
بكم لانه مثبت فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اي الموصوفون بالايمان والعمل
الصالح يجازون اضعاف استحقاقهم واقل العشر واكثره لا يعلمه الا الله وهم
في الغرفات امنون في القصور امنون عن المكاره وعن علي ابن طالب رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة قصورا يرى ظاهرها من باطنها
وباطنها من ظاهرها فقال اعرابي لمن يا رسول الله قال لمن اطعم الطعام وادام الصيام
وطيب الكلام وقرأ حمزة الغرفة على ارادة الجنس كقوله يجزون الغرفة والذين يسعون
في اياتنا معاجزين مغالبين وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالقصر مشددا اولئك
في العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق اخرى الاولى في رد مقالتهم وهذه
في الحث على الانفاق بدليل قوله وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فلا تكرار اي وما
انفقتم مما يصدق عليه اسم الشيء فالله تعالى يجعل له خلفا في الدنيا قليلا او كثيرا
وفي الحديث المشهور ان الله ملكين ينزلان كل صباح ينادي احدهما اللهم اعط كل منفق
خلفا والاخر ينادي اللهم اعط كل ممسك تلفا وهو خير الرازقين اذ من
عداه انما يكون رازقا مجازا كانه قيل فلينفق فان الله يرزقه من حيث لا يحتسب ويوم
يحشرهم جميعا الرؤساء والضعفاء والعابدين والمعبودين ثم نقول للملائكة
خصوصا لكونهم اشرف من عبدوه ولانهم ما عبد والاصنام الا انها صور
الملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون الغرض من هذا السؤال تقريع المشركين
وزيادة تعذيب بان من عبدوه ليكون شفيعا يتبرأ عنهم مولجة ويكذبهم احوج
ما كانوا قالوا سبحانك تنزيهك عن الشريك انت ولينا من دونهم متجاوزين عنهم
ولا مودة لنا الا لك بل كانوا يعبدون الجن حيث اطاعوهم وقيل كانوا
يعبدون الاصنام والجن تدخل في اجوافها فيعبدون بعبادتها وقيل صورت
الشياطين صور الجن وقالوا هذه صور الملائكة اكثرهم اي كلهم بهم مؤمنون
الضمير الاول للمشركين والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا
اذ لا اضرار في ذلك اليوم ولا نافع الا الله وتقديم النفع اهتماما لانه الغرض من عبادتهم
ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون عطف على يملك مبين
للغرض من تمهيده واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا اي محمد الا رجل
يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم اراد وانفي رسالته وحصر وصافي هذا
الغرض الفاسد وقالوا ما هذا اي القرآن الا افك كذب لا يطابق الواقع مفترى
في نسبته اليه تعالى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم اي القرآن او كل ما جاء به رسول
الله ان هذا الا سحر مبين واضح لا ستره به وفي ايثار المظهر موصولا وما في لما من معنى

من معنى المبادرة على التكذيب من غير تأمل انكار شديد كانه قال اولئك الكفرة المتمردة
دون قالوا لذلك الحق النير قبل ذوق معناه ليس شيئا سوى السحر وما اتيناهم
من كتب يدرسونها ليكون لهم في قولهم الباطل مستند كاهل الكتاب وما ارسلنا
اليهم قبلك من نذير يدعوهم الى الشرك ويتوعدهم بالعقاب على تركه فهم
جهلاء اميون ثم توعدهم بقوله وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم
اي كذب الذين من قبل هؤلاء وما بلغ كفار مكة عشر ما اتينا اولئك من المال والقوة
او ما بلغ اولئك معشار ما اتينا كفار مكة من الايات والهدى فكذبوا رسلي
عطف المقيد على المطلق وما بينهما اعتراض وجعل الاول للتكثير عائدا الى الاطلاق
او عطف على بلغوا من تتمة الاعتراض والضمير لاهل مكة وتكذيبهم للرسل هو تكذيب
محمد عليه السلام فانه تكذيب لهم من وجهين فكيف كان نكير انكاري عليهم
بالتدمير تنزيلا للفعل منزلة القول قل انما اعظكم بواحدة خصلة وصفا ان تقوموا
لله تفسير لواحدة الجار والمجرور في محل النصب اي مخلصين من غير اتباع هوى ولا
تقليد والقيام انما هو المتعارف او النهوض بالراي والتهمم مثنى اثنين اثنين وفرادى
واحدا واحدا لان الكثرة تشوش الخاطر وتفرق البال والاثنان كل منهما يعرض رايه على
الاخر والواحد يوامر نفسه ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة فتعلموا انه ليس بمجنون
وذلك ان ما ادعاه من الشان الذي دونه ملك الدارين لا يدعيه الا احد رجلين
مجنون لا يدري ما يقول او مؤيد من عند الله بمعجزة باهرة اذ العاقل لا يرضى بافتضا
حه لدى المعارضة بما يثور به دعواه ومحمد بريء من الجنون فقد صاحبتموه دهرا وتبين
لكم انه اصدق الناس لهجة وارجحهم عقلا وارزنهم حلما بل هو مركز دائرة الفضائل والمجد
هذا وقد ايده الله بمعجزات باهرة من انواع شتى لا تبقي شبهة في امره ويجوز ان يكون ما
بصاحبكم مستانفا منه تعالى تنبيها لهم على وجه النظر وهذا الحم واشد طباقا وما نافية
والاستفهام وجه حسن اي اي شيء فيه من اثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي
عذاب شديد قدامه قال بعثت في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر فهو لكم
اي اي شيء سألتكم من الاجر تجاوزت عنه وتركته لكم نفي لسؤال الاجر على ابلغ وجه
ويجوز ان يكون ما موصولا والذي سأل منهم هو قوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة
في القربى وقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ولا شك
انه لهم لا له ان اجري الا على الله الذي ارسلني وهو على كل شيء شهيد
مهيمن يعلم صدق مقالتي وضميري قل ان ربي يقذف بالحق القذف الالقاء بدفع
واعتماد استعير للايجاد والانزال او يقذف به الباطل فيدمغه علام الغيوب
لا يخفى عليه شيء فهو يعلم من يستحق الاصطفاء او ما هو جدير بان يدمغ والاذهاب وقرأ
حمزة وابو بكر بكسر العين لمناسبة الياء والباقون بالضم على الاصل كالقلوب قل جاء
الحق وهو القرآن او دين الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد الباطل ما
عبد من دون الله لا يقدر على الانشاء ولا على الاعادة اللذين هما من لوازم الالوهية
او كناية عن الهالك كقولهم لا يأكل ولا يشرب كناية عن الميت فان الحي يبدئ الفعل
ويعيده وقيل الباطل ابليس لانه ذو الباطل او لانه هالك وفيه تقرير لما تقدم من ان
اثبات الحق وهذا ازالة الباطل وعن الزجاج ما استفهامية قل ان ضللت فانما
اضل على نفسي عليها وزره لانها الامارة بالسوء فكل ضار امرت به وبالها لا يتخطاها
وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فبهداية الله وتوفيقه وان كان لها مدخل في اكتسابها
هذا وان خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد دخل تحته كل مكلف انه سميع

الوجه الثاني فهو ان يكون التي كناية عن التقوى فلا يصح الاستثناء من تقربكم فتامل منه

رواه البخاري ومسلم منه

جاعل القضاء

احد الوجهين انهم اخبروا انه نبي ... منه

قريب لا يخفى عليه شيء من مقالي ولو ترى اذ فزعوا يوم القيمة او عند الموت
او يوم بدر فلا فوت منا واخذوا من مكان قريب من الموقف الى النار
او من ظهر الارض الى بطنها او صحراء بدر الى القليب وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت
في خسف البيداء وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغزو جيش الكعبة
حتى اذا كانوا بالبيداء يخسف بهم قالت عايشة رضي الله عنها فقلت كيف بمن كان يسكرها
ومنهم الاسواق قال يخسف بهم بكلهم ثم يبعثون على نياتهم واخذ واعطف على فزعوا
او على فلا فوت على معنى فلم يفوتوا واخذوا والاول اوجه لانه يقتضي اعادة فلا فوت
تقديرا فيفيد تاكيدا ولو واذ والافعال الواقعة بعدهما من فزعوا واخذوا وحيل وان كانت
للمضي اريد بها المستقبل لان فعل المستقبل كالواقع وقالوا امنا به وانى لهم
التناوش هو التناول السهل اى قال الكفار حين اخذوا امنا بمحمد لتقدم ذكره
في ما بصاحبكم من جنة من مكان بعيد اى مثل حالهم بحال من يريد تناول
الشيء مع بعد المكان وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر التناوش بهمزة مضمومة
من ناش تناول من بعد والباقون بالواو من ناش ينوش والمعنى واحد وقد كفروا به
من قبل اى او ان التكليف ويقذفون بالغيب يرجمون به عطف على كفروا و
المضارع لحكاية الحال من مكان بعيد وذلك قولهم في رسول الله شاعرا
وساحرا وفي القران شعر واساطير الاولين اذ لا مظنة للالتباس مثل حالهم بحال
من يقذف شيئا من بعيد لا يظن لحوقه او قولهم ان كان هناك بعث نحن احسن
حالا من اصحاب محمد قياسا بلا جامع مع ظهور الفارق وحيل بينهم وبين ما
يشتهون حيث امنوا حين لم يقبل منهم او ما كانوا يتصورون من انهم احسن حالا كما
فعل باشياعهم من قبل باشباههم من الامم المكذبة الذين كانوا يشيعونهم في الاعتقاد
انهم كانوا في شك مريب موقع في الريب او شك ذا ريب كلاهما اسناد مجازي
والوجه يختلف تمت السورة والحمد لله على جزيل نعمه والصلوة على من فاق البرية باخلاق
وشيمه سورة فاطر مكية وهي خمس واربعون ايات بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله فاطر السموات والارض خالقهما من فطر الشيء شقه كانه شق العدم واخرجهما
منه والاضافة محضة ولذلك وصف به المعرفة جاعل الملائكة رسلا بينه وبين عباده
في الايحاء وكتب الاعمال اولي اجنحة ذوي اجنحة والوجع ذو من غير لفظه كالمخاض وهي حوامل
النوق مفرده خلفة مثنى وثلاث ورباع نصبها على الوصف غير منصرف للعدل و
الوصف وفي الاختلاف في الكمية تنبيه على تفاوت رتبهم فلا دلالة فيه على عدم الزيادة
ولذلك اردفه بقوله يزيد في الخلق ما يشاء من الاجنحة وغيرها على ما اقتضته الحكمة
راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته الحقيقية له ستمائة جناح بين كل
جناحين ما بين المشرق والمغرب والاية باطلاقها تتناول كل ما قيل في تفسير الزيادة
بالوجه الحسن والصوت والخط الحسن والملاحة وغيرها من السجايا والمزايا ان الله
على كل شيء قدير فالموجب للتخصيص تعلق الارادة ما يفتح الله للناس ما يرسل
ويطلقه عبر بالسبب عن المسبب من رحمة نعمة سماوية او ارضية كالمطر والامن
والعافية فلا ممسك لها لا يقدر احد على منعها وما يمسك فلا مرسل له من بعده
بعد امساكه وتذكير الضمير العايد الى ما تارة وتانيثه اخرى نظرا الى المعنى واللفظ واو
ترما في التنزيل دون العكس لان الاول فسر بالرحمة فحسن التانيث في ذلك اشارة الى
سبق رحمته وترك تفسير الثاني لدلالة الاول عليه او اطلق ليتناول كل ما يمسك
من غضب ورحمة وهو العزيز الغالب يرسل ويمسك على وفق مشيئته

الاول منقول عن ... حقيقي والثاني ... قيل شعر شاعر ... منه

بتبيه الحكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة يا ايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم بالقيام
بشكرها وصرف القلب والجوارح الى طاعة موليها هل من خالق لتلك النعم او مطلقا
فيتنا ولها اولياء والاستفهام الزام وتبكيت غير الله صفة خالق على المحل او بدل وقرا
حمزة والكسائي بالجر على اللفظ يرزقكم مستانف فلا يمنع اطلاق الخالق على غيره تعالى
وان جعل صفة رفعا او جرا او مفسرا للرافع من خالق محلا امتنع لاختصاصه بالرازق من
السماء والارض لا اله الا هو مستانف كيرزقكم في الوجه الاول اذ لو جعل صفة لخالق
لزم التناقض لان هل من خالق غير الله اثبات للخالقية له تعالى فاذا وصف ذلك الخالق
بانه لا اله الا هو كان تناقضا فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن التوحيد بعد هذا
البيان وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فصبروا فاصبر انت فانك اولى بذلك
لانك سيدهم المقدم والى الله ترجع الامور فيجازيكم على قدر النصب وقرا ابن عامر
وحمزة والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم يا ايها الناس ان وعد الله حق ثابت لا محالة تقرير
لما تقدم فلا تغرنكم الحيوة الدنيا التمتع بلذاتها بعد علمكم بزوالها عن قريب ولا
يغرنكم بالله الغرور الشيطان بالاغراء على المعاصي والوعد الكاذب ان الشيطان لكم
عدو قديم عداوته عادى اباكم قبل كونه بشرا سويا فاتخذوه عدوا واحذروا عن
كيده لان ازالة عداوته غير ممكنة انما يدعوا حزبه شيعته ومن يتبع خطواته بالوسوسة
وتزيين المعاصي ليكونوا من اصحاب السعير الملازمين لها اللام للعاقبة الذين كفروا
لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير بعد التحذير عن اتباع من حال
حزبه وحزب الله ترغيبا وترهيبا وفي وصف العذاب بالشديد اشارة الى ان مخالفة
الهوى ليس امرا شاقا بالنسبة الى ذلك العذاب افمن زين له سوء عمله فراه
حسنا اى راى القبيح حسنا لقوله يحسبون انهم يحسنون صنعا والجواب محذوف اى
كمن وفقه وهداه الله حذف لدلالة قوله فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
عليه وعن الزجاج ان الكلام على التقديم والتاخير اى افمن زين له سوء عمله ذهبت
نفسك عليهم حسرة فحذف لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات والمعنى اذا علمت
ان الاضلال والهداية بيده تعالى فلا تاسف ولا تذهب نفسك وتفارقك للحسرات على
عدم اهتدائهم والاوجه ان يكون حالا كان نفسه صارت عين الحسرات وفي ايثار
الجمع مبالغة كان لحسرات بعدد كل شخص منهم او بعدد كل سيئة الجار والمجرور يتعلق
بتذهب او بحسرات وتقديم معمول المصدر شايع ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم
عليه والله الذي ارسل الرياح من جهات مختلفة فتثير سحابا حكاية للحال تصوير
لتلك الهيئة البديعة ولان المراد بيان احداثها بتلك الخاصة ولذلك اسند الفعل
اليها ويجوز ان يراد باختلاف الافعال الاستمرار وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
الريح بالافراد على الجنس فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض اى بالمطر دل عليه
ذكر السحاب او بالسحاب لانه سبب السبب ولما كان في الفعلين مزيد صنع التفات الى
ضمير المتكلم لانه ادخل في الاختصاص وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر ميت
مخففا بعد موتها بعد يبس نباتها وذهاب نضارتها كذلك النشور في
محل الرفع مثل احياء الموات باحياء الاموات وعن ابي رزين قلت يا رسول الله كيف
يحيي الله الموتى قال هل مررت بوادي قومك يا ابا رزين محلا ثم مررت به يهتز قلت بلى
قال فكذلك يحيي الله الموتى وقيل الكلام في الكيفية المخصوصة لما روي انه ينزل مطر
من تحت العرش مثل المني تنبت منه الموتى الشيء من كان يريد العزة الرفعة و
الشرف فلله العزة جميعا في الدارين فليطلبها منه فان الله يطلب عنده ما لكه و
عزة رسوله والمؤمنين عزته تعالى رد لتعززهم بالاصنام لقوله واتخذوا من دونه

رد على القاضي حيث منع تعلقه بالمصدر منه

الآلهة ليكونوا لهم عزا الا يرى الى ابى سفيان يوم احد لما رأى بالمسلمين اضطرابا كيف نادى لنا
عزى ولا عزى لكم ثم قال اعل هبل اعل هبل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه اشارة الى ما ينال به العز من عند الله تعالى وهو الايمان والعمل الصالح روى
الطبرى باسناده الى ابن مسعود ان الكلم الطيب سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر اذا قال العبد اخذهن الملك تحت جناحه لا يمر على الملائكة فى السموات الا استغفروا لقا
يلها فيجى بها وجه الرحمن وعن ابن عباس رضى الله عنه العمل الصالح اداء الفرايض فمن ذكر
الله وادى الفرايض حمل عمله ذكره ومن لم يؤد رد ذكره فعلى هذا المستكن فى يرفع للعمل وقيل
للذكر انه لا يقبل العمل الا من الموحد وقيل الرافع هو الله والحق ان الكلم الطيب يتناول كل
كلم صالح وقراءة القرآن افضل من الذكر والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد
حث على الاخلاص فى العمل الصالح فلا يدنسه بالرياء قاله مجاهد وسعيد بن جبير وقيل
هم المشركون الذين اداروا الرأى فى شانه صلى الله عليه وسلم لقوله واذ يمكر بك الذين
كفروا والصعلوك اخبار بالغيب قبل وقوعه ونصب السيئات على المصدر لان مكر فعل لازم
اى المكرات السيئات ومكر اولئك هو يبور لا غيره وهو مكر الله حيث اسند رجعهم الى
الدرك الاسفل والى قليب بدر ثم الى العذاب السرمد والله خلقكم من تراب اى آدم
ثم من نطفة ساير ذريته ثم جعلكم ازواجا ذكرا وانثى وما تحمل من انثى ولا
تضع الا بعلمه اى ملتبسة بعلمه محفوظا احوالها اشار بقوله والله خلقكم من تراب الى
الحول الكامل وبهنا الى العلم الشامل ثم الى القضا والقدر بقوله وما يعمر من معمر
ولا ينقص من عمره خطابا لافراد الانسان اى ما يمد فى عمر احد ولا ينقص من عمر آخر الا فى
كتاب الا فى علمه او فى اللوح وقيل التعمير والنقص راجع الى شخص على الفرض والتقدير
وذلك انه كتب عمره اربعين ان لم يتصدق بكذا وستين ان تصدق لما روى ان الصدقة
وصلة الارحام تزيدان فى العمر وعن سعيد بن جبير نقص العمر ما مر من عمره والكتاب كتاب
الحفظ يكتب فيه مضى يوم مضى يومان وهكذا وعن قتادة المعمر من بلغ عمره ستين و
المنقوص من مات دونه وهذا راجع الى الوجه الاول الا انه اشار الى غالب الاعمار ان
ذلك المذكور على الله يسير لحصوله بتعلق الارادة لا غير وما يستوى البحران هذا
عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج العذب الحلو والفرات ما يكسر العطش من الوت والسا
يغ السهل الانحدار والاجاج الذى يحرق بملوحته مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ثم استطرد
وصف البحرين بما نيط بهما من المنافع بقوله ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون
حلية تلبسونها لان الكلام فى ادلة وحدانيته وكمال قدرته وقيل هو من تتمة المثل
لتفضيل المشبه به على المشبه استبعادا لدعوى الاشتراك فى الملح خاصة لاشتماله على
فوايد لم توجد فى المشبه فلا ترشيح وقيل هو من تتمة التمثيل على معنى ان البحرين وان
اشتركا فى بعض الفوايد لكن خالط احدهما ما افسد فطرته الاصلية كذلك المؤمن
والكافر وان اتفقا فى بعض الاخلاق والمكارم تفاوتا فيما هو الاصل لبقاء احدهما
على الفطرة دون الاخر وترى الفلك فيه مواخر شواق من مخر شق وقيل هو
صوت جريها وانما قدم الجار والمجرور هنا واخره فى النحل لان الكلام هناك
تعداد النعم وكون الفلك ماخرة سبب قريب لها وهنا وقع استطرادا او تتمة للغرض
لتبتغوا من فضله بالمسافرة للتجارة ولعلكم تشكرون تلك النعم حرف
الترجى باعتبار ظاهر حالهم يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس
والقمر كل يجرى لاجل مسمى هو تمام دوره او منتهاه وهو يوم القيمة ذلكم الموصوف
مبتدأ الله ربكم له الملك اخبار مترادفة وفى اسم الاشارة اشارة الى علية الوصف
لثبوت الاخبار ويجوز ان يكون له الملك كلاما مبتدأ فى قران قوله

قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده
بالالوهية والقطمير لفافة النوى وانما ايقاع اسم الجلالة صفة لاسم الاشارة فلا يصح
لفظا لكونه علما ولا معنى لان الغرض انه متفرد بالالهية لا ان المتفرد بالالهية هو ربكم
وكذا عطف البيان لايهامه تخيل الشركة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد
ولو سمعوا فرضا اذ كانوا من جهلهم يزعمون ذلك ما استجابوا لكم لعدم القدرة
وهذا محسوس لا يكابرون فيه ويوم القيمة يكفرون بشرككم ينكرون عبادتكم كقوله
ويكونون عليهم ضدا لنفى النفع وثبت الضر اى ضر ولا ينبئك مثل خبير اى لا يخبرك
بالامر مخبر مثل عالم خبير بحقايق الاشياء وبواطنها وهو الله تعالى وفيه تحقيق وتقرير لما اخبر
عن حال آلهتهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله فى ذاتكم واحوالكم وتعريف الفقراء
لافادة ان فقر غيرهم كلا فقر لشدة احتياجهم من باب ذلك الكتاب وحاتم الجواد و
الله هو الغنى فى ذاته وصفاته وافعاله الحميد المحمود على الآلاء من باب التكميل
اذ ليس كل غنى جوادا وسوق هذا الكلام لدفع توهم ان دعاءهم الى التوحيد والعبادة
ليس للاحتياج ان يشا يذهبكم ويات بخلق جديد بان ينشئ عالما آخر او من يوحده
وما ذلك على الله بعزيز بمتعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى الوزر الثقل
اريد به الاثم اى لا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى وانما سيق للدلالة على ان الله غنى عن عبادتكم
ورسوله لا يحمل وزركم فليس له سؤاله ودعاؤه الى الايمان الا رحمة لكم وان تدع مثقلة
الى حملها لا يحمل منه شئ اى ان تدعوا كل نفس مثقلة بالاوزار كل من يمكن ان يكون
مدعوا لحمل بعض الاوزار لا يجيبها الى ذلك المدعو لشدة الهول فالاولى دلت على كمال
العدل وهذه على شدة الهول ولو كان ذا قربى اى المدعو له عليه ان تدع و
كيف ينفع ذو القرابة فى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه انما تنذر الذين يخشون
ربهم بالغيب اى لا تقدر الا على انذار هؤلاء لانتفاء القابلية عن غيرهم ومحل بالغيب
نصب على الحال من الفاعل اى غائبين او من المفعول اى غائبا عنهم او الباء صلة اى فى
خلواتهم واقاموا الصلوة حلوا ظواهرهم بالعبادات كما زينوا بواطنهم بالخشية
والايمان بالغيب والاكتفاء بالصلوة لاستجلابها ساير الطاعات ومن تزكى تطهر ظاهرا
وباطنا اعتراض يؤكد ما تقدم فانما يتزكى لنفسه نفعه لا يتخطاها والى الله المصير
للجزاء وعدلهم وما يستوى الاعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن او للصنم والمعبود
بالحق فعلى الاول عطف على قوله وما يستوى البحران وعلى الثانى من تتمة قوله ذلكم ربكم له
الملك والاول اولى لانهما شبها اولا بالبحرين ثم فضل المسلم على الكافر ثم بالاعمى و
البصير ففيه ترق ولا الظلمات ولا النور ولا اشتباه الكفر ولا الاسلام ولا
الظل ولا الحرور الحرور السموم وقيل الحرور بالليل والسموم بالنهار وما يستوى
الاحياء ولا الاموات المؤمنون والكفار ترق ثان هذا وكلمة لا فى ولا الظلمات ولا
الظل مذكرة للنفى مؤكدة له كما فى ولا الضالين واما التى فى ولا النور ولا الحرور ولا
الاموات فليست كذلك اذ لا يصح تقدير الفعل بعدها لان الفاعل مجموع المتقابلين
فهى زايدة للتوكيد وقيل قصد بها نفى الاستواء من كل منهما مقيسا الى الآخر فان
قلت لم تعد لا المؤكدة فى البصير كما اعادها فى ساير المعطوفات قلت لانه تمهيد للترقى
الى التشبيه بالاحياء والاموات الا يرى كيف اعاد وما يستوى وما بينهما من التمثيلين
مقصودان ذاتا فلذلك اعيدت وانما وسط ما بين فقدان نور البصر والنور الخارجى
من الاسلام ان الله يسمع من يشاء هدايته وما انت بمسمع من فى القبور ترشيح لتشبيه
المصرين على الكفر بالاموات ان انت الا نذير وقد انذرت وليس عليك الاسماع

انا ارسلناك بالحق محقين او محقا حال من الفاعل او من المفعول او منهما او صفة
للمصدر او يتعلق بقوله بشيرا ونذيرا بالوعد الحق والوعيد الحق وان من امة اهل
عصر الا خلا فيها نذير اى ليس من امة الا بعث اليها نذير فاذا ذهب واندرست اثاره
بعث اخر ويجوز ان يكون النذير اعم من النبي والعالم القايم مقامه وانما اكتفى بالنذير لكونه
قرين البشير غالبا ولتقدم ذكره آنفا ولم يعكس لان الانذار هو الاهم وان يكذبوك فقد
كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات الشواهد على نبوتهم وبالزبر الصحف
وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل والزبور والمجي بالكتاب لا يقتضي الاتيان باصله
لقوله يحكم بها النبيون وقيل الاسناد الى الكل بمعنى شمول البعض للكل كالبينات والخصاص
البعض بالبعض كالتورية والزبور ثم اخذت الذين كفروا بالاستيصال ودام شانهم
فكيف كان نكير انكارى بعجيب مما صنع بهم الم تر ان الله انزل من السماء ماء
فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها انواعها واصنافها ومنه تلوين الكلام ورجل يتلون
او المتعارف من الحمرة والصفرة وغيرهما كقوله واختلاف السنتكم والوانكم ومن
الجبال جدد ذو جدد اى خطط جمع جدة من الجد وهو القطع لانها مقطوعة
من ساير الالوان وعن ابن عباس رضي الله عنه هي الطرايق بيض وحمر مختلف الوانها
في الشدة والضعف بقيق وقان ودونهما وغرابيب سود اى متحد اللون جمع غربيب
وهو الذي تناهى سواده صفة مضمر فسره سود اذ لا يجوز ان يكون سود تاكيدا له او سود
بدل منه ومن الناس والدواب كل ما يدب على الارض والخيل والبغال والحمير والانعام
الابل والغنم والبقر من عطف الخاص على العام على الاول مختلف الوانه اى بعض
منها مختلف الوانه كذلك كاختلاف الثمرات والجبال نصب على المصدر او رفع اى
الامر كذلك ولما خاطب وعدد عليه دلايل التوحيد وكمال الصفات من العالم العلوي
والسفلي من البسايط والمركبات من الحيوانات والنباتات وساير الهيات من الالوان
والصفات قال انما يخشى الله من عباده العلماء كانه قال انما يخشاه مثلك او من يليك
في المعرفة من الذين قدروا الله حق قدره وسلك في ذلك طريق الكناية كقولهم العرب
لا تخفر الذمم على ان العلم صفة تناسب الخشية وراعى في ذلك براعة المطلع لذكر اوليائه
ان الله عزيز لا يغالب غفور لفرطات من خشيه ان الذين يتلون كتاب
الله يداومون تلاوته فانها من افضل الاعمال او يعملون بما فيه وقيل اريد به جنس
الكتب على المصدقين من الامم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا
وعلانية اى في الاوقات كلها وقيل السر في التطوع والعلانية في الفرض وآثر
في التلاوة المضارع دون التاليين اشارة الى استغراقهم الماضي والمستقبل بالطاعات
يرجون تجارة لن تبور لن تكسد من البوار وهو الهلاك خبر ان ليوفيهم
اجورهم علة لما دل عليه لن تبور اى تنفق عند الله ليوفيهم بها اجورهم ويزيدهم
على ما يقابل اعمالهم من فضله كقوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما وذلك ان يجعل
يرجون حالا عن فاعل ما قبله اى فعلوا جميع ذلك راجين لهذا الغرض وخبر ان انه
غفور شكور اى غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم والذي اوحينا
اليك من الكتاب من بيان اريد بالكتاب القرآن وتبعيض ان اريد به الجنس
الشامل للوحي المتلو وغيره هو الحق مصدقا لما بين يديه حال موكدة لان الحق
لا ينفك عن هذا التصديق ان الله بعباده لخبير بصير كامل العلم بواطن احوالهم
وظواهرها فلو لم يكن اهلا لهذا الكتاب المعجز المهيمن على ساير الكتب لما اثرك به وتقديم
الخبير اهتماما لان الاطلاع على الخفايا والسراير هو المختص به تعالى وذكر البصير على طريقة

قوله ان الذين يتلون
كتاب الله
سلمه الله
منه

على طريق التتميم وقيل لان العمدة في ذلك الامور الروحانية عند اهل الحق ثم اورثنا
الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه واثار الماضي كما في نظايره لتحقق وقوع ما اخبر به او اورثناه
من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذي اوحينا اليك اعتراض
لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا هم امة محمد كنتم خير امة اخرجت للناس
وقيل العلماء ويرده قوله فمنهم ظالم لنفسه بترك الاعمال وارتكاب المحرمات ومنهم
مقتصد متوسط خلط عملا صالحا واخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات بالاتيان
بالطاعات وترك المنكرات باذن الله بتوفيقه وتيسيره هذا الذي عليه اكثر المفسرين
من الصحابة ومن بعدهم ودل عليه التعظيم بالايراث والاصطفاء وكيف لا وقد اشار الى التقسيم
بعده بقوله والذين كفروا لهم نار جهنم وبه فسر من انزل عليه الكتاب روى الترمذي باسناده
الى ابي سعيد ان رسول الله لما تلا هذه الاية قال هولاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم اهل الجنة
وقد وافقه رواة اخر يكاد ان يتواتر وترتب النظم على هذا لان الظالم اكثر والمقتصد كثير
والسابق قليل وقيل الظالم هو الكافر والضمير عايد الى عبادنا ذلك هو الفضل
الكبير اشارة الى الايراث او الاصطفاء جنات عدن يدخلونها مبتدا وخبره
الضمير للفرق الثلث بدل عن الفضل الكبير يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة من
اساور من ذهب من الاولى تبعيضية والثانية للبيان ولؤلؤا عطف على اساور
في قراءة نافع وعاصم بالنصب وعلى لفظ ذهب في قراءة غيرهما والمعنى من ذهب مرصع
باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير على الدوام بخلاف الاسورة
ربما تنزع كما هو المتعارف في الدنيا وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
جنسه او كل فرد منه مما يشفق منه في الدنيا والاخرة وعن ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في القبور ولا في النشور وكاني بهم
ينفضون التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور لكثير
الغفران شكور لليسير الذي احلنا دار المقامة من فضله اذ لا يستحق العبد
على مولاه اجر العمل لا يمسنا فيها نصب مشقة اذ لا تكليف هناك ولا آفة ولا
طلب رزق واذا لم يوجد المزكيف بما فوقه ولا يمسنا فيها لغوب فتور يعتري
الانسان من النصب وانما نفاه صريحا مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم
يختص بهم لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا ثانيا ويستريحوا نصب باضمار ان ولا يخفف
عنهم من عذابها طرفة عين كما وكيفا كذلك نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او في
الكفران وقرأ ابو عمرو يجزى بالياء على بناء المفعول والنون اشد تهويلا وهم يصطر
خون فيها يتصارخون من الصراخ وهو الصياح بشدة استعمل في الاستغاثة لان المستغيث
يجهد في الصياح ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اذ كان في حسبانهم
على عمل صالح قال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا او المراد التحسر على ما فاتهم من العمل
الصالح فالوصف على الاول مميز وعلى الثاني موكد اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
جواب منه تعالى على وجه التوبيخ والاسكات وجاءكم النذير وهو النبي الصادق
لقوله وان من امة الا خلا فيها نذير احتجاجا عليهم بالعمر القابل للعمل مع الرسول المرخ للنبا
وقيل الشيب او العقل او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين اى لكم والاظهار
للاشارة الى العلة من نصير يدفع عنهم العذاب ان الله عالم غيب السموات
والارض لا يخفى عليه شيء وقد علم انهم اهل الطبع وانهم لو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه انه عليم بذات الصدور وهي الضماير التي لم تبرز واذا علمها فعلمه بغيرها اولى
هو الذي جعلكم خلايف في الارض جمع خليفة وهو الذي استخلف على الشيء والقى

لم يجعل الضمير في يدخلونها للسابق و
المقتصد باعتبار الجنس لانه
على الوجه الثاني
وقد زيفه
سلمه
منه

اليه مقاليد التصرف فيه وفيه تقرير لقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فمن كفر
فعليه كفره اى جزاؤه ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا لانه كلما
ازداد واجرما بالاصرار ازدادوا بعدا وعكس ذلك المؤمن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
خير الناس من طال عمره وحسن عمله والمقت اشد البغض ولا يزيد الكافرين كفرهم
الا خسارا فى الاخرة لازدياد العذاب بازدياد الاثام والتكرير لافادة ان استقلال
الكفر باقتضاء كل من الامرين قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اخبرونى
عن حالها هل يستحق الشركة واضافها اليهم لانهم المثبتون لها اروني ماذا خلقوا
من الارض اى جزء من اجزائها بدل اشتمال من ارايتم ام لهم شرك فى السموات بان
شاركوه فى خلقها فيشاركونه فى الالوهية ام اتيناهم كتابا ينطق بذلك فهم على
بينة منه على حجة واضحة والكلام على الترقى فى اثبات الشركة لان الاستقلال بخلق شئ
من الارض شركة ما والاشراك معه فى خلق السموات ادل على انزال الكتاب ثم انزال الكتاب
بانهم شركاؤه ادل وادل ويجوز ان يكون على التدرج من الاستقلال الى الشركة ثم الى
حجة مكتوبة بها وان يكون الضمير فى اتيناهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرا نافع
وابن عامر وابو بكر والكسائى بينات بصيغة الجمع وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد له من
دلايل والافراد ابلغ لان الكلام مسوق للتبكيت وان ليس لهم فى ذلك شبهة فضلا عن
دليل وعليه الرسم بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا اضراب عن تلك
الاقسام الى ما هو الواقع وهو قول الرؤساء للاتباع هؤلاء شفعاؤنا عند الله ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا كراهة زوالها قبل وانها لما بين عجز الشركاء
عن خلق ذرة فى العالم العلوى والسفلى اتبعه بما يدل على كمال قدرته وفيه دلالة على ان
الممكن حال بقائه يحتاج الى مبق ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده من بعد
الزوال او من بعد الله من الاولى زايدة والثانية ابتدائية انه كان حليما لا يعاجل بالعقوبة
وفيه ايماء الى ان دعوى الشريك له مما يزيل هذه الاجرام عن مقارها لولا حلمه كقوله تكاد
السموات يتفطرن منه غفورا لمن تاب عن الشرك ما قد سلف واقسموا بالله جهد
ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم هذه كانت مقالة مشركى
العرب قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدحون فى الامم المكذبة من اليهود
والنصارى وغيرهم فكذبهم الله فى تلك المقالة ومعنى احدى الامم افضلها كقولهم
زيد واحد القوم وقولهم للسيد او يرتبط بعض النفوس حماها او بعض الامم من غير تعيين
فلما جاءهم نذير محمد صلى الله عليه وسلم ما زادهم شيئا الا نفورا تباعدا عن الحق
استكبارا فى الارض مفعول له او بدل من نفورا ومكر السيء برسول الله ومن
امن به عطف على استكبارا او على نفورا اصله وان مكروا السيء اى المكر السيء ثم حذف
الموصول استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرا حمزة ومكر السيء اولا
باسكان الهمزة اجراء للوصل مجرى الوقف ولا يحيق المكر السيء الا باهله اى لا يحيط و
كذا كان يوم بدر ومن امثالهم من حفر لاخيه قليبا وقع فيه قليبا ومن حفر لاخيه
جبا وقع فيه منكبا فهل ينظرون ما ينتظرون الا سنة الاولين من الامم
المكذبة وان ينزل بهم ما نزل باولئك فلن تجد لسنة الله تبديلا تغيرا بان يجعل
مكان العقاب ثوابا ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقل عقاب العاصى الى الطايع
اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اى قد ساروا وشاهدوا فى
اسفارهم الى العراق والشام واليمن اثار تلك الامم ولا يبقين اعلى واجل من المشاهدة وكان
ينبغى ان يعتبروا ويعلموا اصدق مقالك وكانوا منهم قوة عددا واجساما واموالا

الضمير فى الوجه الاول للشركاء

واموالا وما كان الله ليعجزه من شئ ليسبقه ويفوته فى السموات ولا فى الارض انه
كان عليما كامل العلم قديرا تام الاقتدار اشارة الى انه امهلهم بعد الاصرار مع كمال
الاقتدار لما فى علمه الشامل من الحكم ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصى ما ترك على
ظهرها اى على ظهر الارض من دابة مما يدب على الارض من ساير الحيوانات بشوم المعاصى
وقيل الدابة الانسان وعن انس بن مالك ان الضب ليموت فى جحره هزالا بذنب بنى ادم وفى
رواية ان الحبارى ليموت ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى آخر اعمارهم او يوم القيمة فاذا جاء
اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على حسب حالهم تمت والحمد لله حق حمده و
الصلوة على رسوله وعبده واله وصحبه الذين قاموا بشكره وحمده سورة يس مكية
وهى ثلاث وثمانون ايات بسم الله الرحمن الرحيم
يس اسم السورة او حروف مقطعة كما تقدم وعن ابن عباس معناه يا انسان بلغة طى وجهه
الاقتصار على شطر الكلمة لكثرة الاستعمال بعد ان صغر على انيسين وعن ابن جنى حروف معجم و
فاتحة مقام انيسين كما نقل عن ابن عباس الم معناه انا الله اعلم ونحوه امال ابن عامر وحمزة والكسائى
وابو بكر ياء وادغم النون فى الواو ابن عامر وابو بكر والكسائى وورش وحمزة والقرآن
الحكيم ذى الحكمة على نسبة كلابن او ناطق بالحكمة استعارة مكنية او وصف بوصف صاحبه
مجاز حكمى انك لمن المرسلين على صراط مستقيم خبر ثان او حال من المستكن فى الجار والمجرور
هو التوحيد ودين الاسلام والمرسل وان كان من لوازمه ان يكون على صراط مستقيم الا ان الغرض
وصفه ووصف ما جاء به صريحا وتنكير الصراط لتعظيم منهاجه على طريق ساير الرسل لكونه حنيفية
سمحة تنزيل العزيز الرحيم خبر مبتدأ محذوف وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص
بالنصب على المصدر لمقدر او على المدح وهذا ابلغ واولى وقرئ بالجر لتنذر قوما متعلق
بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر اباؤهم اى الادنون كقوله وما ارسلنا اليهم قبلك
من نذير فلا ينافى قوله وان من امة الا خلا فيها نذير او ما موصولة اى لتنذرهم الذى انذره
اباؤهم او مصدرية اى انذار ابائهم فهم غافلون متعلق بالنفى على الاول بمعنى ان
سبب غفلتهم عدم انذار ابائهم وبقوله انك لمن المرسلين لتنذر على الثانى بمعنى الباعث
كقولك اسقه ماء فانه عطشان لقد حق القول على اكثرهم بانهم يموتون على الكفر لقوله
ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقوله خلقت هؤلاء للنار ولا ابالى فهم لا يؤ
منون نتيجة ذلك القول وفيه تسلية لرسول الله انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى
الى الاذقان اى واصلة اليها والغل قد يجمع به الايدى الى العنق ولذلك يقال له الجا
معة ويكون ملتقى طرفيه تحت العنق فيه عمود يمنع المغلول من ان يطاطئ راسه ويوطئ قذاله
فهم مقمحون من قمح البعير رفع راسه اى تركنا الاغلال رؤسهم مرتفعة من الضيق وهذا
مثل ضربه الله لمنع التوفيق ولبيان حالهم من التصميم على الكفر والاعراض وعدم التامل
فى ايات الله استكبارا بالمغلول الذى لا يقدر على النظر خلفه ولا قدامه ثم قررنا ذلك واكده
بقوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا حاجزا قراء ابن كثير وحمزة والكسائى
وحفص بفتح السين والباقون بالضم وعن ابى عبيدة الضم لفعل الخالق والفتح لفعل المخلوق
ويقاربهما فاغشيناهم فهم لا يبصرون شيئا اما الافاق فلان السدين قد احاطا به واما الانفس
فلان الشئ اذا قرب غاية لا يمكن رؤيته وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
لانهم اهل الطبع انما تنذر من اتبع الذكر اى الانذار الذى يترتب عليه الغرض لان مطلق
الانذار عام لهم ولغيرهم والذكر القرآن او اعم وخشى الرحمن بالغيب حال كونه ملتبسا
بالغيب لا حاجة له او بقلبه الذى هو غايب عن الخلق وفى ذكر الرحمن مع الخشية اشارة الى ان لا يغتر برحمانيته
فانه شديد العقاب فبشره بمغفرة واجر كريم لا من فيه ولا تعب انا نحن نحيى الموتى

بغيهم للجزاء وعد ووعيد وعن الحسن نخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما قدموا
من الاعمال الصالحة والطالحة قال حكيم بن حزام يا رسول الله ارايت اشياء كنت اتحنث بها
في الجاهلية فقال اسلمت على ما اسلفت وآثارهم الباقية بعدهم من علم علموه وولد صالح تركوه
وسنة حسنة سنوها واضدادها من السيئة وقيل الآثار هي الخطى الى المسجد لما روى جابر
ان بني سلمة ارادوا الانتقال الى قرب مسجد رسول الله فقال يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم
دياركم تكتب آثاركم رواه مسلم وكل شيء احصيناه في امام مبين في اللوح المحفوظ
واضرب لهم مثلا لنفسك ولهم من قولهم عندي من هذا الضرب كذا اي اذكر لقومك
قصة عجيبة اصحاب القرية اي قصة اصحاب القرية وهي انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل
اشتمال من اصحاب القرية اذ ارسلنا اليهم اثنين هما يحيى ويونس وعن ابن اسحق باروص
وعن مقاتل تومان ومالوص واسناد الارسال اليه لانه فعل رسوله المرسل باذنه فكذبوهما
فعززنا بثالث هو شمعون اي قويناهما من عزز المطر الارض لبدها وقرأ ابو بكر
مخففا من عزه غلبه والتشديد ابلغ وانما حذف المفعول لان الغرض ذكر المعزز به فقالوا
انا اليكم مرسلون وذلك ان اهل انطاكية كانوا عبدة الاصنام فارسل اليهم
عيسى اثنين يدعوانهم الى عبادة الله فلما قربا المدينة رايا حبيبا النجار يرعى غنما له فاخبراه
فقال هل معكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ابن مريض فمسحاه فشفي ثم
شفي على يديهما خلق كثير ونما خبرهما الى الملك فدعاهما وسألهما فاخبراه الخبر فامر بحبسهما
ثم ارسل عيسى شمعون فدخل متنكرا وصاحب حاشية الملك حتى اتصل به ونال مكانة
عنده وكان يدخل معه بيت الاصنام ويتذلل لها فقال يوما للملك سمعت انك حبست
رجلين فقال نعم قال سمعت مقالتهما قال لا قال لو سمعت فارسل فدعاهما فاخبراه الخبر
فقال ما آيتكما فقالا ما تتمنى فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله فشق له بصر فاخذا
بندقتين فوضعا موضع العينين فصارتا مقلتين فقال له شمعون ايها الملك لو سألت
آلهتك حتى تفعل مثل هذا لكان شرفا لك قال ليس لي عنك سر ان آلهتنا لا تبصر ولا
تسمع ولا تنفع ولا تضر ثم قال الملك ان قدر الهكم على احياء ميت آمنا به فدعا بغلام مات
منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال اني دخلت سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه
وقال اني نظرت السماء فتحت ابوابها فرايت شابا جميلا يشفع لهؤلاء الثلاثة فلما راى شمعون
ان القول قد اثر فيه دعاه الى الله فامن وآمن معه جمع وصاح جبرئيل على من لم يؤمن فهلكوا
قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية لكم زعما ان البشر لا يكون رسولا وما انزل الرحمن
من شيء من الوحي لا عليكم ولا على غيركم ان انتم الا تكذبون تصح بما علم
ضمنا قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون اكدوا الكلام بان واللام ولا يجري مجرى
القسم لما قوي الانكار منهم وما علينا الا البلاغ المبين الواضح المؤيد بالمعجزات
قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم اي بما سمعنا منكم نخاف ان يحط علينا آلهتنا
وقيل حبس عنهم المطر لئن لم تنتهوا لنرجمنكم بالحجارة او بالشتم وليمسنكم منا
عذاب اليم مولم قالوا طائركم معكم شؤمكم داير معكم بسبب كفركم ائن ذكرتم
جواب الشرط محذوف اي تطيرتم انكروا ان يكون التذكير الذي هو سبب السعادات
كلها جالبا للشوم بل انتم قوم مسرفون دابكم الاسراف في العصيان وذلك
اجلب شيء للشوم او اضراب عن مجموع الكلام اي انتم قوم مسرفون في الضلال
ولذلك جعلتم سبب السعادة من اسباب الشوم والشقاء وجاء من اقصى
المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان في غار يعبد الله فلما بلغه ان القوم عزموا على
قتل الرسل سعى اليهم وباح باسلامه ليشغلوا به عن الرسل قال يا قوم اتبعوا

اتبعوا المرسلين اضاف القوم الى نفسه واطلق الرسل اظهارا للنصح اتبعوا من لا
يسألكم اجرا بدل من الاول واوفى بالمقصود وهم مهتدون الى الخير فلا
خسار لكم في الدنيا ولا في الاخرة وما لي لا اعبد الذي فطرني اي ما لكم لا تعبدون
بدليل قوله واليه ترجعون وانما اسنده الى نفسه ابرازا له في معرض المناصحة والله
لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه ءاتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن
عني شفاعتهم شيئا اي كيف افعل وكيف يترك عاقل عبادة من بيده ملكوت كل شيء
الى عبادة من لا يغني في الدارين شيئا ولا ينقذون بالنصر والمغالبة اني اذا لفي
ضلال مبين واضح لا يخفى على احد اني آمنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا قولي
واطيعوا فقد ارشدتكم بما لا مزيد عليه وقيل لما اراد واقتل خاطب الرسل اي اسمعوا
كلامي واشهدوا لي عند الله قيل ادخل الجنة استيناف كانه قيل ماذا كان جزاؤه
بعد ذلك التصلب والسخي بنفسه في نصر دينه فقيل قيل له ادخل الجنة وانما حذف
له لان الغرض بيان عظم المقول لا المقول له ولكونه معلوما قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي
ربي وجعلني من المكرمين ليكون ذلك باعثا لهم الى اكتساب الايمان وقد روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه للعالم ان لا
يشتغل بالشماتة باعداء الجهل ويتلطف معهم لعل ان يقتدوا به الا يرى الى هذا العبد
كيف تمنى الخير لقتلة الشافكين لدمه وقيل تمنى ان يعلموا انهم على خطاء وانه كان على
الحق وقد فاز ليكون ذلك زيادة في سروره والاول اوجه للحديث المرفوع وللتشبيه
المذكور وما مصدرية او استفهامية او موصولة وما انزلنا على قومه من بعده
جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم بل كانوا احقر من ذلك اذ كفى ذلك
صيحة جبرئيل بهم وما كنا منزلين وما اقتضت حكمتنا ذلك وفيه اشارة الى انزال
خمسة الاف من الملائكة مسومين او الف مردفين انما كان اجلالا لقدرك واعظاما
لرتبتك التي لم يوهل لها احد من اولي العزم فضلا عن حبيب النجار الا يرى كيف رفع جبرئيل
مداين لوط بريشة من جناحه ان كانت الا صيحة واحدة اي ما كانت الاخذة الا
صيحة واحدة من جبرئيل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه زقية واحدة من زقا الطير زقوا
اذا صاح فاذا هم خامدون كما تخمد النار استعارة تبعية اي ميتون يا حسرة على
العباد اي المشركين كانه قال تعالى فان هذا اوانك وهو ما دل عليه ما يأتيهم من
رسول الا كانوا به يستهزءون فان من استهزأ بناصح دال على خير الدارين حقيق بان
يتلهف عليه او الملائكة والمؤمنون يتحسرون عليهم كما تمنى حبيب ايمان قومه بعد موته
او تحسر من الله تعالى على عظم ما جنوه على انفسهم كالتعجب والضحك على سبيل الاستعارة
الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون اي قد علموا ذلك فما لهم لا يعتبرون و
الفعل قد علق عن العمل في كم لان الخبرية اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون
بدل من كم اهلكنا معنى اي الم يروا كثرة اهلاكهم غير راجعين وان كل لما جميع
لدينا محضرون ان مخففة واللام هي الفارقة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم
وحمزة لما مشددا بمعنى الا وان نافية وانما جمع بين كل وجميع لافادة كل معنى الاحاطة
وجميع الاجتماع كقوله ذلك يوم مجموع له الناس لانه فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف
له او لمحضرون وآية لهم الارض الميتة قرأ نافع مشددا احييناها استيناف لبيان
كونها آية او صفة الارض اذ لم يرد بها معينة او خبر الارض والجملة خبر آية واخرجنا
منها حبا جنسه الشامل لانواع شتى فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على
ان الحب اعظم واعم معاشهم وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب لم يذكر التمر مع الحب

رواه البخاري

والاعناب لاختصاص شجرهما بمزيد النفع وكثرة المنافع وفي الحديث انه مثل المسلم وفجرنا
فيها من العيون صفة محذوف اي شيئا من العيون او من زائدة كما قال الاخفش
ليأكلوا من ثمره اي ثمر المذكور او ثمر النخيل ويعلم حال الاعناب منه او الاصل
من ثمرنا فالتفت الى الغيبة اشارة الى انحطاط الثمر عن الحب وقرأ حمزة والكسائي ثمره بضمتين
لغة منه او جمع ثمار وما عملته ايديهم ما موصول او موصوف اي الذي او اي شيء عملته
ايديهم وليس فيه صنع وهو ما يتخذ من الثمار كالدبس واشباهه او نافية اي ليس
ذلك الثمر بصنعهم وان غرسوا وسقوا بل هو خلق الله كقوله ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون
وهذا اشبه لكونه آية وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بحذف الها لجواز حذف المفعول
عايدا كان او غير عايد وليس فيه تأييد للوجه الاول لان حذف العايد الى الموصول
او الموصوف انما يكون احسن اذا لم يعارضه قوة المعنى ومناسبة المقام افلا يشكرون
ابلغ من الامر لانه انكار على الترك سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت
الارض ومن انفسهم نزه ذاته عن الشريك لتفرده بخلق ما في الافاق والانفس من
الاجناس والاصناف ومما لا يعلمون ماهياتها وخواصها مفصلا وانما اعلمهم
بها مجملا للدلالة على كمال القدرة روي ان موسى تكون تلك الدابة قال في مرج من
المروج قال يا رب واين يكون ذلك المرج قال في غامض علمنا وآية لهم الليل نسلخ
منه النهار نزيله ونكشط عن مكانها وملقى ظلها والكلام في الاعراب
ما سبق في وآية لهم الارض الميتة فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس
تجري لمستقر لها لمكان استقرار لها من فلكها وهو ما تنتهي اليه في آخر السنة شبه
بمستقر المسافر او منتهى المشارق والمغارب وهو اقصى ما تنتهي اليه منهما ثم ترجع وللحد
من مسيرها كل يوم وهو المغرب او الوقت الذي ينقطع فيه جريها عند خراب العالم ويؤيد
هذا ما روى ابو ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس اذا غربت تذهب
فتسجد تحت العرش فيقال لها اذهبي فاطلعي حيث كنت تطلعين ويوشك ان تستأذن
فلا يؤذن لها ويقال ارجعي حيث جئت فتطلع من مغربها ذلك الجري على هذا المنوال
تقدير العزيز الغالب القاهر العليم الكامل العلم بالاشيا ودقايق احوالها
التي يتيسر منها العطن والقمر قدرناه منازل ذا منازل او سيره في منازل
نصب باضمار المفسر وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بالرفع على الابتداء وما بعده
خبر والعطف على الشمس بقدوة هو المختار للتقوى والسلامة عن التقدير ويجوز
انتظامه في سلك الآيات كانه قيل ومن آيات الليل ومن آيات الشمس ومن آياته
القمر وهي ثمانية وعشرون موزعة على اثني عشر برجا ثم يستتر ليلتين او ليلة حتى
عاد كالعرجون القديم العرجون فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وهو ما عليه حبات
الرطب بمثابة العنقود من العنب والقديم ما تقادم عهده لانه يدق وينصغر وينحني فيشبه
به من ثلاثة اوجه لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر فيزيل سلطانه ويطل ما ينطبه من الفوائد
ولا الليل سابق النهار اي آيته اذ الكلام فيهما بدل عليه السابق واللاحق
وانما اوثر طريق الكناية ليدرج فيه الاشارة الى اختلاف الليل والنهار ايضا
ولما ذكر في الشمس الادراك الدال على انها طالبة للحاق اردفه بلا ينبغي اي لا يصح
ذلك لها ولما نفي السبق في القمر لانه اسرع سيرا اكده بالجملة الاسمية ولم يسق لذكر الابتغاء
وجه وكل في فلك اي كل واحد والتنوين عوض يسبحون يسيرون سريعا من سبح
الفرس اذا جرى او من السباحة في الما وهذا صريح في ان الحركة للكوكب خلافا لما عليه اهل
النجوم وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون المملوء من نحن السفينة او قرها وهي

وهي سفينة نوح عليه السلام وانما ذكر ذريتهم دون انفسهم لانه ابلغ في الامتنان
او اريد سائر السفن والذرية الاولاد ونساؤهم فان الذرية تطلق عليها اطلاقا والنساء
على المطر وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم بالجمع وخلقنا لهم من مثله ما يركبون
اي من مثل سفينة نوح او من الابل فانها سفاين البر وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم
فلا مغيث لهم مصدر في الاصل كالصراخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت الا رحمة
منا الا لرحمة ومتاعا ولتمتيع بالحيوة او لكن رحمة وتمتيعا الى حين الى وقت اجالهم التي لا بد لهم
منها واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم ما تقدم وما تأخر من الذنوب او نوايب السما و
الارض او عذاب الدنيا والآخرة او ما تقدم من عقوبات الله للامم المكذبة ان ينزل بكم
مثلها وما تأخر من عذاب الآخرة لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف
دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين اي دابهم الاعراض
عند مجيء كل آية واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على الدهرية قال الذين كفروا اي الذين قيل لهم
للذين آمنوا اي في شأنهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه تهكما بالمؤمنين القا
يلين بان الله متصف بالمشية والاقتدار ولما كان مدار الايمان على تعظيم الله والشفقة على خلقه
سلب عنهم الوصفين في الاثنين ان انتم الا في ضلال مبين من كلام الكفار او جواب
المؤمنين او قول الله تجهيلا لهم ويقولون متى هذا الوعد هو الذي اشير اليه بقوله
وما خلفكم اي عذاب يوم القيمة ان كنتم صادقين في دعواكم ما ينظرون
الا صيحة واحدة هي نفخة الفزع وهي الاولى تأخذهم وهم يخصمون اي تأخذهم
وهم غافلون مشتغلين بالخصومة في متاجرهم ومعاملاتهم او تأخذهم وهم يختصمون
المؤمنين مدلين بحججهم الفاسدة على ان لا بعث قرأ ابن كثير وورش عن نافع وهشام عن
ابن عامر بفتح الخا وتشديد الصاد على ان اصله يختصمون فادغمت التا في الصاد للتقارب وابو
عمرو وقالون كذلك الا انهما اختلسا الفتحة لكونها اخف وكافيا في تحريك الساكن وقرأ عاصم
والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر بكسر الخا وتشديد الصاد تحريكا للساكن بالكسر الذي هو
الاصل فيه وحمزة باسكان الخا وتخفيف الصاد فلا يستطيعون توصية في امر
من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون بل يموتون حيث اخذتهم وقيل يحيط بهم النار
ويسوقهم احياء الى المحشر ثم تبعثهم حيث يأتوا كما جاءت به الاحاديث ونفخ في الصور
نفخة البعث فاذا هم من الاجداث جمع جدث وهو القبر الى ربهم ينسلون
يسرعون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا من موضع نومنا لما شاهدوا اهوال القيمة
عدوا عذاب القبر راحة وعن مجاهد والحسن وقتادة يرفع الله عنهم العذاب بين النفختين
فيهجعون هجعة هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مبتدأ وخبر او هذا صفة مرقدنا
وما وعد الرحمن مبتدأ وخبره محذوف اي ما وعده الرحمن وصدق فيه المرسلون
حق ووقع او خبر محذوف وما موصولة او مصدرية وهو من كلام الكفار اقرارا بما
كذبوا به من قبل او كلام الملائكة او المؤمنين او كلام الفريقين معا والسؤال وان
كان عن الباعث الا انهم عدلوا عن السنن الظاهر تخطية لهم حيث حسبوه بعث
النايم كانهم قالوا الباعث معلوم وليس ذلك البعث الذي تظنونه بل هو بعث آخر ذو
الاهوال والافزاع الذي جاءت به الرسل والكتب ان كانت الا صيحة واحدة
هي النفخة الاخيرة فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد الصيحة تهوين لامر الساعة وانها الا عتلج اليه
اسباب فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون تصوير لذلك الموعود في صورة الحاضر
تمكينا له في النفس وترغيبا للسامعين ولطفا بهم وكذلك قوله ان اصحاب الجنة اليوم
في شغل فاكهون الفاكه والفكه المتنعم ومنه الفكاهة وهي حديث ذوي الانس

والعشرة والشكر في شغل للتعظيم اي في اي شغل عن ابن عباس رضي الله عنه هو افتضاض الابكار وضرب الاوتار وعن ابن كيسان التزاور وعن الحسن عن اهل النار وعذابهم وقيل في ضيافة الله تعالى وروى ابن ماجة باسناده الى اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا مشمر الى الجنة ورب الكعبة نور كلها يتلألأ دار سلامة وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وزوجة جميلة وحلل كثيرة قالوا يا رسول الله نحن مشمرون قال قولوا ان شاء الله وقرا الكوفيون وابن عامر بضم الغين **هم وازواجهم في ضلال** جمع ظل كقول وظلال وقراء حمزة والكسائي في ظلل جمع ظلة وهو الساتر العالي كقوله في ظلل من الغمام **على الارائك متكؤن** على السرر وهي هيئة جلوس اهل الدعة والفراغ هم مبتداء وازواجهم عطف عليه وفي ظلل خبرها كقولك زيد وعمرو منطلقان وعلى الارائك جملة مستانفة او خبر ثان **لهم فيها فاكهة** ما يتفكهون به ويتلذذون لان الاكل هناك ليس لدفع الجوع **ولهم ما يدعون** لانفسهم من الملاذ كقولك اكتال واتزن اذا كال ووزن لنفسه والمعنى لهم كل ما يطلب احد لنفسه لان هناك طلبا او لهم الطلب والاجابة فان الاجابة من الملك المفضل بعد الطلب توجب لذة سنية او يدعون بمعنى يتداعون كقولك ارتموا بمعنى تراموا والمعنى كل ما يصح ان يطلب احد من صاحبه فهو حاصل لهم او الدعاء بمعنى التمني اي لهم ما يتمنونه وما موصولة او موصوفة **سلام** بدل من ما لانه موصوف بقوله اي سلام يقال لهم **قولا من رب رحيم** او ما يدعون مبتداء وخبره سلام اي لهم ما يدعون سلام خالص لا شوب فيه او صفة لما بعد صفة وقولا مصدر مؤكد او نصب على المدح وهو احسن الوجوه والمعنى يسلم الله عليهم بواسطة الملائكة او بلا واسطة مبالغة في اكرامهم ولذلك آثر من الاسماء الرب الرحيم **وامتازوا اليوم ايها المجرمون** عطف قصة المجرمين على قصة المؤمنين كقولك زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر يا فلان عمرا بالعفو والاطلاق والانشاء في معنى الخبر كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون او ترصون الطلب لانه ابلغ في التهويل كقوله اصلوها وعن قتادة معناه اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت ينفرد به لعقوله في عمده والقولان في اثبات الطلب كما تقدم **الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان** من جملة ما يقال لهم في ذلك اليوم توبيخا لهم وقطعا للمعذرة والعهد التوصية والمراد ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية وعبادة الشيطان الاغترار بوساوسه او عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها المزين **انه لكم عدو مبين** ظاهر العداوة تعليل للنهي **وان اعبدوني هذا صراط مستقيم** اشارة الى عبادته او الى العهد والتنوين للتعظيم ويجوز التبعيض اي لو كان بعض الصرط المستقيمة لكفى ذلك في استهجانه فكيف وهو الحق الذي ليس بعده الا الضلال **ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون** فتحذرونه قراء نافع وعاصم بكسر الجيم والباء وتشديد اللام جمع جبلة كقوله والجبلة الاولين بمعنى الخليقة وابن كثير وحمزة والكسائي بضمهما والتخفيف جمع جبيل بمعنى مجبول كسبيل وسبل وابو عمرو وابن عامر بالضم والاسكان مخفف جبلا **هذه جهنم التي كنتم توعدون** على لسان الرسول يقال لهم اذا برزت الجحيم للغاوين **اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون** ذوقوا حرها بكفركم في الدنيا **اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون** عن انس بن مالك انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الكافر يا رب اني لا اجيز علي الا شاهدا من نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتشهد عليه بما عملت فيقول سحقا لكن فعنكن كنت اناضل وتاويل الكلام والشهادة بظهور آثار المعاصي

المعاصي على الاعضاء مستغنى عنه **ولو نشاء لطمسنا على اعينهم** مسحنا عليها ومحونا آثارها **فاستبقوا الصراط** اي الى الصراط بحذف الجار وايصال الفعل او ضمن الاستباق معنى الابتدار او نصب على الظرف اي استبقوا في الطريق او مفعول به اي جاوزوه من فوقهم استبق الصراط خلف اي لو شئنا اعميناهم فلو ارادوا سلوك طريق غير الذي الفوه ما قدروا عليه كما ان العميان لا يقدرون الا على سلوك الطريق المالوف دون غيرها **فانى يبصرون** كيف يبصرون بعد ذلك والغرض ان الله تعالى سلب بصائرهم فضلوا طريق الآخرة فلو شاء سلب ابصارهم فلم يقدروا على الاهتداء الى مقاصدهم لكن لم يفعل ذلك لاقتضاء الحكمة امهالهم **ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم** المسخ تحويل الصورة الى ما هو اقبح منها والمكان والمكانة بمعنى كالمقام والمقامة والمعنى لو تعلقت ارادتنا لجعلناهم جمادا في مكانهم وعن ابن عباس جعلناهم قردة وخنازير وعن قتادة جعلناهم زمنى والاول اشد وعيدا واوفق بقوله **فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون** ولا رجوعا ايثار المضارع للدلالة على الاستمرار وليوافق الفواصل **ومن نعمره ننكسه في الخلق** اي من نطل عمره نقلبه ونرده من قوة الشباب ونضارته الى ضعف الهرم وانتقاص القوى وانعدام الادراك وهو ارذل العمر وقراء عاصم وحمزة ننكسه مضارع التفعيل اشارة الى كثرة المراتب من الصبا الى الشباب الى الكهولة الى الشيخوخة الى الهرم **افلا يعقلون** ان من قدر على انشاء هذه الاطوار قدر على الطمس والمسخ ولذلك عطف عليه عطف العلة على المعلول **وما علمناه الشعر** رد لقولهم شاعر قال قتادة القايل عقبة بن ابي معيط قال عنا واني يلتبس بالشعر كلام مشتمل على تلخيص امر المبداء والمعاد واخبار القرون الخالية المتضمن للمنافع الدينية والدنياوية على اسلوب افحم كل منطيق **وما ينبغي له** وما يليق به ان يكون في طبعه وسجيته ان يكون شاعرا ليكون ابعد من مخايل الشبه لكونه اميا الا يرى الى قوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وما صدر منه من الكلام الموزون انما وقع اتفاقا بحسب السليقة كما وقع مثله في القرآن من ساير الابحر وشرط الشعر ان يكون موزونا مقفى بالقصد وما روي عنه من ذم الشعر ومدحه محمول على ما يتعلق به من الغرض كهجاء المشركين ومدح الله ورسوله والتغزل بالحسان والاكاذيب **ان هو الا ذكر وقرآن مبين** واضح اعجازه والعطف باعتبار الصفة ذكر لما فيه من المواعظ والارشاد وقرآن يتعبد بلفظه يتلى في الصلوة وغيرها وبمعناه من الاحكام النظرية والعملية **لينذر من كان حيا** عاقلا ساعيا في امر الآخرة اذ الغافل المعرض كالميت **ويحق القول على الكافرين** اي كلمة العذاب وقرا نافع وابن عامر لتنذر بالخطاب الغائبا وهو احسن اذ هو المنذر حقيقة ولا نفاقهم في اول السورة ففي الخاتمة عود الى الفاتحة ثم الانتقال من حديث المعاد الى كون الرسول والقرآن منذرا الا يرى احسن تخلصا منه **اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا** اي قد علموا ذلك توبيخ لهم على الاشراك بعد العلم بذلك وذكر الايدي على طريقة التمثيل وزيادة التصوير وفي ايثار المثنى اشارة الى كمال الاقتدار **انعاما** خصها بالذكر لكثرة وجودها عندهم وهي بمرأى منهم على الدوام في طرفي النهار الا يرى الى قوله ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ولما فيها من بدايع الفطرة وكثرة المنافع التي فصل بعضها بقوله **فهم لها مالكون** لا يزاحمهم فيها ولهم في ذلك عز وسرور او متمكنون من ضبطها متسخرا كقوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا ويؤيد الاول قوله **وذللناها لهم** اتماما للنعمة اذ لو كانت مملوكة وهي نادة لم تتم النعمة **فمنها ركوبهم** مركوبهم كقوله وتحمل اثقالكم **ومنها ياكلون** ما يؤكل منها تفريع على كونها مذللة **ولهم فيها منافع** اخر من جلودها

واصوافها واوبارها واشعارها ومشارب وما يشرب من اللبن وما يتخذ منه ويجوز ان يكون اسم مكان وهو ما يتخذ من جلودها من الروايا والقرب والمزاود افلا تشكرون واتخذوا من دون الله الهة لم يرضوا بترك الشكر على تلك النعم حتى اشركوا في الوهية جمادات لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروا ولا يستطيعون نصرهم الذي كانوا يتوقعونه وهم لهم جند محضرون والمشركون جند لالهتهم يخدمونهم ويذبون عنهم كقولهم حرقوه وانصروا الهتكم وهذا كمال السفاهة او الالهة جند واتباع يحضرون يوم القيمة ليكونوا وقود النار عليهم فلا يحزنك قولهم في الله ما تنزه عنه جناب قدسه وقرا نافع بضم اليا من احزنه انا نعلم ما يسرون من العقايد وما يعلنون من الافعال والاقوال فنجازيهم على ذلك اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين ظاهر الخصومة وضرب لنا مثلا امرا عجيبا بان شبهنا بالمخلوق حيث سلب القدرة عنا على الاعادة ونسي خلقه من تلك النطفة القذرة التي لم تكن حل فيها حيوة قط فضلا عن ان يكون انسانا مكرما في احسن تقويم فا يما ناطقا قال من يحيي العظام وهي رميم القايل ابي بن خلف او عاص بن وايل كان جمع من قريش جلوسا قال احدهما ان محمدا يزعم ان الله يبعث الموتى فاخذ عظما باليا وقال والله لاصرن اليه والرميم بمعنى الرمة والرفات اسم لما بلي من العظام وليس بفعيل حتى يسال لم لم يونث وبه استدل الشافعي على نجاسة عظم الميت لان الحيوة تحله والجواب ان المراد بالحيوة ردها الى ما كانت عليها غضطرية قل يحييها الذي انشاها اول مرة فان نسبة القدرة لا تختلف وفي العرف الاعادة اهون كما اشار اليه بقوله وهو اهون وهو بكل خلق عليم بكل مخلوق كامل العلم باجزائه وصفاته فاذا تقرر عندكم انه قادر على كل شيء عالم بكنه احوالها فما وجه انكاركم المعاد ثم انتقل من الدليل العقلي الى المحسوس الذي لا يمارون فيه بقوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وهو المرخ والعفار المرخ الذكر والعفار الانثى او بالعكس يكون بارض الحجاز وفي المثل استمجد المرخ والعفار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار قيل يوخذ منه قضبان طيبان فيحك الذكر على الانثى فيسيل منه الما ومن ذلك الما تحصل الحقيقة النارية وهل بعد يتوهم ابعد من ما بين النار والماء فالذي قدر على ذلك كيف لا يقدر على ايجاد الحيوة في الاجزا التي هي مادة لها مدة من العمر ثم ترقى الى دليل اخر اجلى واظهر من كل جلي وقال اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم اي اولم يكن تلك الاجزا باقية حتى تعيد فيها الحيوة من خلق هذه الاجرام العظام وفطرها من العدم كيف لا يقدر على ايجاد صغير حقير وهل يتوقف في هذا من به مسكة اولئك كالانعام بل هم اضل بلى وهو الخلاق العليم بل قادر على ذلك واشار الى الوصفين اللذين هما العمدة في الايجاد وهما الاقتدار الكامل والعلم الشامل ثم اشار الى ان الايجاد والانشاء الذي يعدونه مستبعدا بل مستحيلا في مقام كبريائه اهون شيء ولا توقف له الا على تعلق ارادته واقتضاء حكمته بقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان كلمة كن مجاز عن سرعة التكون بعد تعلق الارادة فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه وتعجب عما قالوا من نفي قدرته على هذا الشيء اليسير مع تلك البراهين القواطع والملكوت من الملك بضم الميم يدل على مبالغة الاستيلاء على كل ما يطلق عليه الشيء في العالم العلوي والسفلي فهو تحت قهره وسلطانه اخذ بناصيته واليه ترجعون للجزاء فاختاروا بعد هذا البيان ما شئتم وتحته وعيد

المعنى سكنه نشر النار من محدث الابدان وقعت في وسع واسع عنه

وعيد ليس فوقه ولذلك التفت الى الخطاب روى ابو داود والنسائي واحمد بن حنبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء قلب وقلب القرآن يس من قراها يريد بها وجه الله غفر له وانما كانت قلب القرآن لان لب كل شيء وخلاصته قلب ذلك الشيء وانزال الكتب وارسال الرسل مقدمات بل خلق العالم وانشاوه لمعرفة المعاد ولا شك ان السورة تشتمل على فنون من الدلايل الدالة على تحقق ذلك بلا مرية عند من له قلب او القى السمع وهو شهيد فكان هذا معنى تلك الاشارة منه عليه الصلوة والسلام تمت السورة والحمد لله على نعمه وصلى الله على افضل الخلق واشرف امه

سورة الصفات مكية وهي مائة واثنان وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا اقسم تعالى بطوايف من ملايكة قدسه الكمل الواقفين في مقام العبودية صفا على وجه الخشية لان هيئة الصف اجتماع الانفاس والهمم واتحاد توجه الكل لشان عند الله تعالى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه الا تصفون كما تصف الملايكة عند ربها فالزاجرات زجرا يزجرون السحاب ويسوقونه الى حيث امروا بالامطار فيه من البقاع او الناس بالهام الخير وفي الحديث ان للملك لمة وهي ايعاده بالخير فالتاليات ذكرا ايات الله تعالى من كتبه المنزلة وغيرها يتلونه تعبدا او تلذذا او يتلونه على الانبياء وهو جبرئيل واتباعه من المقربين او بطوايف العلما الراسخين الصافين في عبادته تعالى متفقين على اعلاء كلماته التالين لكتابه المتدبرين في رموزه واسراره او بنفوس الغزاة الصافين عند اللقا الزاجرين الخيل في الكر التالين لذكره لا يشغله الخوف والجزع عند اللقاء والمبارزة وهذه كانت صفة علي بن ابي طالب علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول عند اخذ المضجع ثلثا وثلثين تسبيحة وثلثا وثلثين تحميدة وثلثا وثلثين تكبيرة قال ما تركتها منذ سمعتها قيل له ولا ليلة الصفين قال ولا ليلة الصفين والعطف لتغاير الصفات ان قدر الموصوف متحدا والا فباعتبار الذات والفا تفيد الترتب في الرتبة يحتمل ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او العكس وقيل الصافات الطير لقوله والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عما نهى الله تعالى والتاليات كل من تلا كتاب الله ادغم حمزة وفاقا لابي عمرو التا في الكلمات الثلث ان الهكم لواحد جواب القسم رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق دليل على تحقق المقسم عليه لانهم يسلمون انه متفرد بخلق السموات والارض وجمع المشارق لان للشمس في كل يوم مشرقا والاكتفاء به لدلالته على المغارب وايثارها دون العكس لانه ابلغ في النعمة واكمل في القدرة وابهر انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب من اضافة المصدر الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها في رأي الناظر بحسنها او الى الفاعل بان زانت الكواكب السما وقرا حمزة وحفص بزينة الكواكب بالتنوين وجر الكواكب على انه عطف بيان او بدل والزينة على هذا اسم ما يزان به او جعلت الكواكب نفس الزينة مبالغة وابو بكر بالتنوين ونصب الكواكب على انها مفعول المصدر او على ان الزينة اسم والكواكب بدل على الموضع او نصبا بمعنى والمختار الاضافة لانها اخف واعم والسماء الدنيا القربى وهي فلك القمر وتزيين الكواكب بالاضواء والاشكال والاوضاع والشروق والغروب ولا يلزم ان يكون محلها لعدم توقف الزينة على ذلك وحفظا عطف على المحل او مصدر لمقدر من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة كقوله وجعلناها رجوما للشياطين لا يسمعون الى الملأ الاعلى صفة كل شيطان على معنى لا يتمكنون من السماع مع الاصغاء او لا يتمكنون من التسمع مع سعيهم في ذلك الجملة في محل الحال مع المبالغة كما هو قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد او استيناف عن سوال كيفية ما يكون عند الحفظ فان قول وحفظا مما يحرك الخاطر لذلك لا يسمعون وقيل كلام مبتدا مستطرد لبيان حالهم بعد الحفظ وقراءة

الجمهور لا يسمعون من السماع ابلغ لان نفي السماع لا يستلزم نفي الاستماع والقول ابن عباس
يتسمعون ولكن لا يسمعون لقوله فمن يستمع الآن يجد له شهابا وقوله انهم عن السمع لمعزو
لون واستعماله بالى لتضمن معنى الاصغاء وهو امالة الاذن للسماع فيفيد مبالغة في
نفيه ويقذفون من كل جانب من جوانب السماء دحورا علة للرمي والدحور
الطرد او مصدر ليقذفون كقعدت جلوسا او حال ولهم عذاب واصب في الاخرة
دائم من وصف الامر دام او من الوصب وهو المرض اي شديد الا من خطف الخطفة
اختلس كلمة الملائكة استراقا ومن في محل الرفع بدل من واو يسمعون فاتبعه شهاب ثاقب
نجم مضيء وانقضاض الكوكب من مركزه ممكن وقيل شعلة من النار وقوله ولقد
زينا السماء الدنيا بمصابيح لا ينافيه لان كل ما في الجو من النيرات مصباح والاول
هو الظاهر من السياق ولقوله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا انقض
كوكب واتبعه بمعنى تبعه ادركه وفي الحديث يحرقه لما روى ابن عباس كانت للشياطين مقاعد
في السماء يسمعون الوحي فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قعد شيطان
مقعده جاءه شهاب فلم يخطئ حتى يحرقه وقيل منعوا حين ولد فاستفتهم بعد ما تلوت
عليهم هذه الآيات والاستفهام وان كان للتقرير الا انه لوحظ معناه قيل فاستفهم اهم
اشد خلقا اي اصعب واشق انشاء بعد الوفاة ام من خلقنا من العالم العلوي والسفلي
وما فيهما من الاجرام والاوضاع وآثر من تغليبا لاولي العقل وقيل من عاد وثمود
وسائر الامم الدارجة من المكذبين لما ادا الآيات وكذبوا بها
وكانه قال لهم انظروا الهلاك من قبلكم ويرده قوله انا
خلقناهم من طين لازب اذ لا فارق بين السابق واللاحق
في ذلك ويدل عليه الاطلاق ايضا اكتفاء ببيان السابق واللازب اللزج الذي يلزق
بعضه بعضا وفيه رد لانكارهم لانهم خلقوا منه ابتداء ولم يكن لهم مثال فكيف ينكرون
الاعادة وتلك الاجزاء المائية والارضية بحالها والمقتدر الذي انشأ اشد منهم خلقا
قدرته كما كانت لانها ذاتية بل عجبت ويسخرون اضراب من الاستفتاء لانهم لا يحسبو
بما هو الحق اي بل مثلك يقرب ويتعجب من تلك الدلايل الدالة على كمال الاقتدار او من
انكارهم الوحي او من انكارهم البعث وهو اهون من البدء وهم يسخرون من امر البعث
او هم يسخرون من تعجبك لكمال سفاهتهم وقرأ حمزة والكسائي عجبت بصيغة التكلم
والتعجب انفعال يعتري النفس عند رؤية شيء خفي سببه وهو على الله محال فالمعنى ان حالهم
حقيق بان من يراها يقول عجبت او قال انت عجب او هو على الفرض من الله تعالى استعظاما
لانكارهم ويسخرون هم من تعجبك لكمال سفاهتهم ثم قرر ذلك بقوله واذا ذكروا
لا يذكرون اي دأبهم انهم اذا وعظوا لا يتعظون فاذا لم يقدروا على الخطاب بيان
فهم عن تحقيق القطعيات بالبراهين بمعزل واذا رأوا آية اي اذا شاهدوا بالابصار
معجزة يستسخرون يبالغون في السخرية او طلب بعضهم من بعض ان يسخر بها واذا كان
حالهم في المحسوسات بالبصر هذا فلا يبعد منهم انكار البعث وقالوا ان هذا
الا سحر مبين ظاهر لا سترة به ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا
لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا
الاستفهام مبالغة في الانكار لان البعث في هذه الحالة عندهم اشد استحالة و
قرأ ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة الجمهور ابلغ او آباؤنا الاولون
وهذا ابعد عطف على محل ان واسمها او على المستكن في مبعوثون للفصل بالهمزة
وقرأ نافع في رواية وابن عامر بسكون الواو على الترديد والباقون بفتح الواو على عادة

تمام الحديث كنا نقول
يموت كبير منه

على عادة همزة الانكار وهو ابلغ انكارا واوفق بقوله ائذا كنا ترابا وآباؤنا قل نعم
وقرأ الكسائي بكسر العين وانتم داخرون صاغرون اذ لا كما تزعمون ان كان
بعثنا احسن حالا من صعاليك المؤمنين فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر
اي اذا كان ذلك والضمير مبهم يفسره والزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه صاح بها فانها بعد
زجر في عرف السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم فاذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا
يوم الدين الجزاء الذي انكرناه وكذبنا فيه الرسل هذا يوم الفصل الذي كنتم
به تكذبون هو كلام بعضهم لبعض او جواب الملائكة والفصل القضاء بين عباده احشروا
الذين ظلموا وازواجهم امر الله للملائكة او الملائكة بعضهم لبعض وازواجهم اخوانهم من
الشياطين او اضرابهم عابد الصنم والزاني مع الزاني والسارق وفي الحديث يحشر المرء على
دين خليله فلينظر احدكم من يخالل او نساؤهم اللاتي كانت على دينهم وما كانوا يعبدون
من دون الله من الآلهة خرجت الملائكة وعيسى بقوله ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى فاهدوهم الى صراط الجحيم عرفوهم طريق النار وهذا يدل على ان الحشر من الموقف
الى النار وقوله وقفوهم انهم مسئولون لا ينافيه لان الواو لا ترتيب فيه وتقديم
الحشر الى النار لانه اشق او حبس على السمع من الوقوف للسؤال ما لكم لا تناصرون
ينصر بعضكم بعضا تهكم بهم اذ كانوا في الدنيا يقولون نحن جميع منتصر بل هم اليوم
مستسلمون منقادون خاضعين لا يقدرون على المكابرة واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون تساؤل خصام وتوبيخ قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين اي قال
الضعفاء للرؤساء بيان للتساؤل الواقع بينهم واليمين اقوى الجانبين واشرفه ولذلك سمي
يمينا من اليمن وكان على هذا اهل الجاهلية يؤثرون لليمين الافعال الحسنة وينسبوا اليه الخير
واليمن وقرره الشرع وايده لان الحكمة اقتضت المناسبة وفي الحديث كانت يمين رسول الله
للطيبات كالاكل والشرب والسواك فاستعيرت لجهة الخير والمعنى كنتم تأتوننا من تلك
الجهة وتصدوننا عن الايمان والخير او اليمين مجاز عن القهر والتسلط قالوا بل لم تكو
نوا مؤمنين اجابهم الرؤساء بان ما وقعوا فيه من الضلال لم يكن بصدهم
اياهم عن طريق الخير بل لم تكونوا مصدقين في عقايدكم وما كان لنا عليكم من
سلطان قهر واجبار بل كنتم قوما طاغين شأنكم الطغيان والتجاوز عن الحق
وعدم الاكتراث به فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين اقروا
على انفسهم بانهم الذين سبقت كلمة الله فيهم انهم اصحاب النار وترتب على ذلك انا
اغويناكم ودعوناكم الى الضلال فآثرتم باختياركم انا كنا غاوين استيناف جار مجرى
التعليل فانهم يومئذ في العذاب مشتركون كما اشركوا في الدين والعقايد وان
زاد المضل على الضال في العذاب انا كذلك نفعل بالمجرمين بكل مجرم منهم ومن
غيرهم انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون عن الاقرار بالتوحيد بيان
لاجرامهم ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ويقدحون في المؤيد بالمعجزات والكلام
الذي جاء به بانه مجنون وما اتى به شعر مجنون لا يدري ما يقول فان الشعر كان مما يجي عندهم
فلذلك سموه شعر مجنون بل جاء بالحق الابلج وصدق المرسلين بقرآن عربي
مصدقا لما بين يديه فكيف يكون مثله شعر مجنون انكم لذائقو العذاب الاليم
لاشراككم وما تجزون الا ما كنتم تعملون من انكار الحق بعد ظهوره بالبراهين القاطعة
الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع اي لكن حال المخلصين المختارين من عباده
بخلاف هؤلاء اولئك لهم رزق معلوم حال بانه للتلذذ لا للقوت ودفع الم الجوع
فواكه بيان له لان الفاكهة لا يقصد باكلها الا التنعم او معلوم باوصاف وخصايص

ابو عرفه كنيه عباس عم رسول الله
في الجاهليه وفي الاسلام
ابو الفضل منه

من طعم ورائحة ممتزة له عن ارزاق الدنيا وفواكه على هذا يدل دلالة على انه مع تميزه بذلك
وهم مكرمون ينالهم ذلك الرزق من غير سعي وتعب في جنات النعيم ظرف مكرمون
او حال من مستكنه او خبرا اولئك على سرر حال او خبر متقابلين لا ينظر احد في قفا احد
ليكمل لذتهم بالمشاهدة يطاف عليهم بكأس يدار عليهم بالقدح او بالشراب كقول
الاعشى وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها من معين يجري كانهار الدنيا
لقوله وانهار من خمر والمعين الجاري وفيه اشارة الى كمال لطافته باق على خلقته لم تمسه
يد ولا مزاوله عمل بيضاء بلا كدورات البصر برديتها لذة للشاربين هي عين اللذة
لا يشوبها خمار ولا يعتري شاربها تعتري لكن تعلم الباري امريه ايتها المعيشة من بابها
شارب الخمر لا فيها غول صداع وسلب عقل تقريره وتقديم الظرف للاختصاص اي
لا كخمور الدنيا ولا هم عنها ينزفون بضم الياء وفتح الزاء يسكرون من انزف الخمر اسكره وقرأ
حمزة والكسائي ينزفون بكسر الزاء من انزف الرجل سكر كقوله لعمري لئن انزفتموا وصحوتم
او من انزف نفد اي لا ينفد شرابهم بل دايم وعندهم قاصرات الطرف على ازواجهن
لا ينظرون الى غيرهم عين نجل العيون كانهن بيض مكنون مصون في الكن عن
الغبار ونحوه باق على صفائه من البياض المشوب بادنى صفرة كما يكون في بيض النعام
وهو احسن الوان البدن بخلاف البياض المفرط فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون
عما جرى لهم في الدنيا كما هو عادة الندماء اذا جلسوا على الشرب قال واذا جلست على
المدام وشربها فاجعل حديثك كله في الكاس وقال الاخر وما بقيت من اللذات الا احاديث
الكرام على المدام قال قائل منهم في اثناء المحاورة اني كان لي قرين مجالس في الدنيا
يقول أئنك لمن المصدقين بالبعث منكرا على موبخا أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمدينون لمجزيون باعمالنا اي لا يكون ذلك قال القائل المذكور هل
انتم مطلعون لاريكم ذلك القرين او القائل هو الله اي ان شئتم اريكم لتعرفوا منزلتكم
او بعض الملائكة فاطلع فرآه في سواء الجحيم في وسطه قال تالله ان كدت
لتردين ان هي المخففة واللام فارقة والمعنى لكنت يا رب اهلاكي وايثار التاء للتعجب
كيف بحاشه ولولا نعمة ربي بالتوفيق لكنت من المحضرين معك في العذاب أفما
نحن بميتين عطف على محذوف اي انحن مخلدون فما نحن بميتين اي بمن شانه الموت الا
موتتنا الاولى التي في الدنيا وبعدها وليس في القبر بعد الاحياء لانه في حكم الدنيا كذا
قيل والحق ان ذلك لا يسمى موتا لانه اما منعم او معذب وما نحن بمعذبين ان هذا
لهو الفوز العظيم اذ لا طيب للعيش مع مراقبة الموت هو كلام القائل او الكل او كلام الله
تعالى وكذا قوله لمثل هذا فليعمل العاملون في الاحتمالات أذلك خير نزلا أم شجرة
الزقوم عاد الى ذكر الرزق المعلوم بعد استطراد مقال المؤمن لان الكلام والشيء
بالشيء يذكر والنزل ما يعد للنازل من الرزق كالسكن وهو الرزق المعد لساكن البيت
واصله الريع وما يحصل من الشيء ومنه في الحديث العسل ليس من انزال الارض وبه استدل
الشافعي على عدم الزكوة فيه لانه من انزال الطير والتفاضل بين النزلين على التهكم اذ لا
خير في نزل اهل النار ونصبه على التمييز والحال وهذا اوجه لان المفاضلة بين الرزقين
في هذه الحال لا بين الوصفين وشجرة الزقوم شجرة صغيرة الورق مرة كريهة الرائحة
يكون بتهامة انا جعلناها فتنة للظالمين عذابا لهم في الاخرة او سبب ضلال لهم فانهم
لما سمعوا قالوا ما اعجب هذا ان محمدا يقول نار جهنم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها
الشجر وعن ابن عباس رضي الله عنه لما سمع ابو جهل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم خلط
التمر بالزبد حتى ازبد فم وذلك لان الزقوم كان اسم طعام لهم من التمر والزبد فانزل الله

فيحدث الاستقا والنزل
في ارضا باشا رحمه الله

فانزل الله تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم في قعرها ويرتفع اغصانها الى دركاتها في
مقابلة طوبى لاهل الجنة طلعها كأنه رؤوس الشياطين في تناهي القبح ونهاية الكراهة لما
تقرر في النفوس ان الشيطان اقبح الاشياء كما ان الملك احسنها والطلع ثمر النخل استعير لثمر الزقوم
نخلا على وجه التهكم وقيل الشياطين حيات هائلة في النار لها اعراف فانهم لآكلون
لغاية الجوع او اجبارا وقسرا فمالئون منها البطون اي من الشجرة او من ثمرها ثم ان لهم
عليها لشوبا من حميم ماء حار مخلوط بصديد والاتيان بثم للتراخي زمانا لانهم لا يسقون
منه الا بعد زمان ليتناهى عطشهم تعذيبا لهم او رتبة اشارة الى ان كراهية ذلك الحميم وبشاعته
فوق الزقوم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم اي بعد ذلك الاكل والشرب مصيرهم اليها فان ذلك
نزلهم قبل الاستقرار في دركاتها وقيل يخرجون من مقارهم الى شجرة الزقوم فاذا ملأوا وانطلقوا
او رد واعلى الحميم ثم يرجعون الى تلك المقار وقيل الحميم خارج عن الجحيم لقوله هذه جهنم التي
يطوفون بينها وبين حميم آن ولا دليل فيه انهم ألفوا آباءهم ضالين فقلدوهم تعليل
لما هم فيه فهم على آثارهم يهرعون يسرعون من اهرع اسرع وبناؤه للمفعول مبالغة
كأنهم يزعجون قسرا فلا التفات لهم الى التأمل والنظر ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين
من الامم ولقد ارسلنا فيهم منذرين الرسل فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
تشديدا وتحذيرا لقومه فانهم سمعوا اخبارهم وشاهدوا آثارهم الا عباد الله المخلصين
في التوحيد والايمان استثناء من الاولين او من المنذرين وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام
وهو المختار كما تقدم ثم اورد احوال مشاهير الرسل مع المكذبين وبدأ بنوح لانه ابو البشر
ثانيا واول رسول عذب قومه فقال ولقد نادانا نوح حيث قال اني مغلوب فانتصر
فلنعم المجيبون نحن حذف لدلالة الكلام عليه واللام جواب القسم والفاء تدل على
سرعة الاجابة ونجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الغرق واذى قومه وجعلنا
ذريته هم الباقين لم يبق احد ممن كان معه في السفينة الا بنوه الثلاث وهم سام ابو العرب
وفارس والروم وحام ابو القبط والسودان ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا
عليه في الآخرين سلام على نوح اي هذا القول جيء به على صورة الحكاية اي
يسلمون عليه وقيل هو من الله تعالى ومفعول تركنا محذوف اي ذكرا في العا
لمين دعاء بالثبات كانه قيل ثبت هذه التحية وادامها في الملائكة والثقلين انا كذلك
نجزي المحسنين تعليل لاكرامه بتلك الاكرامات دلالة على ان موجب ذلك احسانه
لا غير ترغيبا فيه انه من عبادنا المؤمنين بيان لاحسانه اشارة الى شرف الايمان
وجلالته وانه مستجلب لكل كمال ثم اغرقنا الآخرين وان من شيعته لابراهيم
ممن شايعه في اصول العقايد والتصلب في الدين ومصابرة الاعداء المكذبين ويجوز توافق
شرعيهما في اكثر الاحكام وكان بينه وبين نوح الفان وستماية وقيل الف ومائة واثنان و
اربعون سنة اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى الفعل اي شايعه في دينه حين جاء ربه
بقلب سليم عن آفات القلوب من الشرك والغل والحقد وهذا ما اشار اليه ابن عباس
رضي الله عنه كان يحب للناس ما يحب لنفسه او بقلب حزين من قولهم لديغ سليم تفاؤلا او ذكر
المجيء على المثل كانه جاء به متحفا اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاول أئفكا
آلهة دون الله تريدون افكا مفعول له قدم على المفعول به واولى همزة الانكار لان الغرض
مكافحتهم على الباطل او هو مفعول به وآلهة بدل منه على انها نفس الافك مبالغة او وقع
الحال اي آفكين او بتقدير مضاف اي عبادتها فما ظنكم برب العالمين
حتى الحدتم له شريكا اذ توحده في الالهية اظهر من ان يختلج فيه شبهة او اي شيء من الاشياء
ظننتم حتى جوزتم ان يكون له الاصنام شريكا او ما ظنكم بعقابه حتى اجترأتم على ذلك

فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس انما نظر في النجوم لان قومه
كانوا يتعاطون علمه فاوهمهم بذلك ليتمكن من التخلف او النظر بمعنى التأمل في علم النجوم
اذ ذلك الايهام فقال اني سقيم اي من كونكم على الشرك وعبادة غير الله او ساسقم كقوله
انك ميت او من الحمى خارج عن الاعتدال وما رواه ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم غير ثلث كذبات ثنتين في ذات الله قوله اني سقيم
وقوله بل فعله كبيرهم فالمراد بها المعاريض لقوله في المعاريض لمندوحة عن الكذب فهو
كقوله نحن احق بالشك من ابرهيم فان قلت ما تفعل بقوله في حديث الشفاعة حيث اعتذر
بقوله لست لها ويذكر كذباته فلو كانت معاريض لم يكن له كذب حقيقة حتى يعتذر به
قلت هو من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين ولما كانت صورتها صورة الكذب
عدها كذبات فتولوا عنه مدبرين الى معبدهم فراغ الى آلهتهم مال اليها
خفية من روغان الثعلب واصل الميل بحيلة فقال الا تأكلون وذلك انهم
كانوا وضعوا قدامها من اطعمة العيد لتبرك عليها ما لكم لا تنطقون قاله تهكما
واشارة الى انحطاطها عن درجة عبدتها فراغ عليهم ضربا باليمين ضربا مصدر
راغ لانه بمعناه او لمقدر اي يضربهم ضربا او حال اي ضاربا وذكر اليمين لانها اقوى
الجارحتين وقوة الآلة تستلزم قوة الفعل او اليمين هو الحلف اي بسبب وهو قوله وتالله
لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه يزفون يسرعون من زفيف النعامة وقرأ
حمزة يزفون من ازف دخل في الزفيف كاصبح او معدى اي يزف بعضهم بعضا
ثم اسند الى الكل لان كلا منهم حامل ومحمول قال اتعبدون ما تنحتون الذي
تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون الذي تنحتونه فان جواهرها بخلق الله
وليس لكم فيه الا التشكيل والتصوير فكيف يجوز عبادة مخلوق لآخر يحتاج اليه وقيل
ما مصدرية اي وعملكم وفيه فوات الاحتجاج لان الغرض المسوق له الكلام كون
المخلوق عابدا لآخر والمناسبة لان ما في ما تنحتونه موصول والاستدلال بالمصدرية
بناء على ان فعلهم اذا كان بخلق تعالى فالموقوف عليه وهو المعمول من باب الاولى لا يجدي
لان الخصم قايل بان العبد وارادته وقدرته بخلق تعالى والفعل المتوقف عليها بخلق العبد
والحق ان القوم ما كانوا ينكرون ان تلك الاجرام قبل الصنع مخلوقة له تعالى ولا تصلح
للالوهية وانما يصلح لذلك بتأثيرهم فيها فكانه قيل لهم ذلك التأثير ايضا بخلقه
تعالى فلم تردد بتلك الابعد عن تلك الرتبة فيتم الحجاج سالما واما ترجيح المصدرية
على الموصول وجعل العمل بمعنى المعمول لسلامتها عن الحذف والمجاز فمعارض بكثرة
الموصول وكون المصدر بمعنى المفعول مجازا مشهورا قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه
في الجحيم كل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك
البنيان فارادوا به كيدا لما قهرهم بالحجة قصدوا احراقه فجعلناهم الاسفلين
بان جعل نارهم عليه بردا وسلاما وكان ذلك برهانا على علو شانه وقال اني
ذاهب الى ربي حيث يأمرني او الى عبادته سيهدين الى ما فيه صلاح ديني وانما
بت القول لسبق وعد الله بذلك او لفرط توكله او لبنائه على عادته معه ولانه تعالى
تجلى له بصفة الرحمة وتجلى لموسى بصفة الغنى ولذلك قال عسى ربي ان يهديني
سواء السبيل رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين ليؤانسني في الغربة
اراد الولد لان الهبة شايعة فيه فبشرناه بغلام حليم انطوت البشارة على
ثلث بشارات كون الموهوب له ذكرا وكونه يبلغ اوان الرجال فان الصبي
لا يوصف بالحلم وكونه حليما فيه صبر من ابيه شاهد لطهانة اصل ولم يوصف

ولم يوصف من الانبياء احد بالحلم غيره وغير ابيه وحالهما المذكور بعده يكشف عنه
العظا فلما بلغ معه السعي او ان يسعى مع ابيه في اشغاله وذكر الاب لانه ارفق
فانه كان ابن ثلث عشرة سنة لم يستحكم قواه وتعلق مع لا يجوز ان يكون ببلغ لاقتضائه ان
يكون بلوغهما حد السعي لان معمول المصدر لا يتقدم لا سيما وهو معرف فبقي ان يكون بيانا
كانه قيل فلما بلغ حد السعي قيل مع من قيل مع الله كذا قيل وعندي انه متعلق بالسعي لانه
في الظرف اذ يكفيه رايحة الفعل قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك قيل لما طلب
الولد وبشرته الملائكة به قال هو ذبيح الله فلما بلغ حد السعي معه قيل له في المنام اوف بنذرك
فلما اصبح روى ذلك اليوم يسمى يوم التروية فراى ذلك المنام في الليلة القابلة فلما
اصبح علم ان ذلك من الله تعالى فسمي يوم عرفة وفي اليوم الثالث عزم على نحره فسمي يوم النحر
وانما راى في المنام دون ان يؤمر بذلك في اليقظة ليعلم بذلك تساوي حالتيه في الاحكام
الشرعية ولذلك كانت رؤيا الانبياء وحيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام
عيناي ولا ينام قلبي وانما شاوره مع انه كان امرا لازما مضايقا ليوطن نفسه على
شدة تلك البلية ويتلقاها بصدر رحب وليكون المشاورة سنة بعده وفي المثل ما خاب
من استشار ولو شاور آدم الملائكة لما اصاب الخطيئة فانظر ماذا ترى المراد النظر
بالبصيرة وترى من الراي بمعنى الفكر وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء وكسر الراء قال يا ابت
افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين اجابه بانه ليس من مجاز المشاورة بل يجب
المدار اليه فلما اسلما انقادا لامر الله تعالى اسلم وسلم واستسلم بمعنى اصله من سلم المال
لفلان اذا خلص له عن منازع وتله للجبين صرعه على احد الجبينين وانما القاه على هذا
الوجه لئلا يشاهده فيرق له وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بمباشرة المقد
مات وقيل امر السكين على المذبح فصار صفحة نحاس وقيل كلما قطع مكانا التحم وليس بشيء
اذ لو كان كذلك لم يحتج الى الفداء وجواب لما محذوف اي كان من الامر ما ينطق به الحال
ولا يحيط به المقال من السرور والحمد من ذلك الفداء انا كذلك نجزي المحسنين
المخلصين الصابرين على البلاء الشاكرين في الرخاء ان هذا لهو البلاء المبين
الاختبار الجلي الذي لا يكون فوقه اختبار ولذلك قال في حقه وابراهيم الذي وفى
او المحنة التي لا محنة اشد منها او النعمة العظمى وهي نجاة الولد من الذبح وفديناه
بذبح ما يذبح بدله عظيم قدره من كباش الجنة ارسله تعالى عفوا من عنده و
عطاء الملوك جليل القدر وان قلت كما ترى الآن اذا القى الملك لاحد خواصه تفاحة
فرزله قايما وربما قبل الارض وليس الافتخار بها للملك معه من العناية وايضا فدى
ابن خليل وابو حبيب الله واي عظم فوق ان يكون كبش وقاية لتلك النفس الزكية
والشجرة المثمرة وعن قتادة كان الكبش الذي تقرب به هابيل وكان يرعى في الجنة ويرتع
لهذا المقصد المنيف وفي كون هذا من قبيل النسخ قبل الفعل كلام طويل الذيل قال به
الشافعية وانكره الحنفية وتركنا عليه في الآخرين الذكر الحسن والثناء الجميل سلام
على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين اعاده توكيدا لما سبق من حسن استسلامهما وانهما
معدودان من المحسنين داخلان في زمرتهم دخولا اوليا انه من عبادنا المؤمنين
الكمل الذين يؤثرون رضا الله في كل الاحوال ثم الولد الموصوف هو اسمعيل لانه
اكبر من اسحق اتفاقا ولانه الذي نشأ ببلاد الحجاز وبنى البيت مع ابراهيم الذي نبعت له
بئر زمزم ولكونه وصف بصدق الوعد وهو قوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين
واثنى عليه تعالى بالصبر في قوله واسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين ولقوله
صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين ولقوله وبشرناه باسحق ومن وراء اسحق

يعقوب ومن بشر بانه يولد له ابن اسمه فلان كيف يكلف بذبحه وهو غلام مراهق
ولقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين بعد استيفا ذكر صفاته والذى
وقع لبعض انه اسحق من تخاليط اهل الكتاب حسدا منهم ان يكون الذبح من اجداد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وباركنا عليه وعلى اسحق بان وهبنا ابرهيم اسحق واخرجنا
انبيا بنى اسرائيل من نسله وبان افضنا عليهما بركات الدنيا والدين ومن ذريتهما
محسن وظالم لنفسه بالكفر والمعاصى مبين ظاهر وانما قيد الظلم بالظهور
لان النفوس الكاملة قلما تخلو عن ادنى خطرات بارتكاب خلاف الاولى وفى بيان
كون ذريتهما منقسما الى المحسن والظالم اشارة الى ان الظلم اعقابهما لايعود عليهما
بنقص فان المرء لايواخذ بسوء فعل غيره كاينا من كان ولقد مننا على موسى وهرون
بالنبوة التى كل نعمة دونها ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ظلم فرعون وطغيانه و
قتل الابناء ونصرناهم اى ونصرناهم فكانوا هم الغالبين على عدوهم وهذا ابلغ
فى الامتنان من الانجاء لانه هلاك العدو وحسم مادة الاوهام والامن الكلى و
اتيناهما الكتاب المستبين الواضح الجلى او المبين للاحكام يقال استبان الشئ واستبنته
وهديناهما الصراط المستقيم وهو دين الاسلام وسبيل الذين انعم الله عليهم
اوفيه تعريض باليهود والنصارى واللام للعهد وتركنا عليهما فى الاخرين سلام
على موسى وهرون اى هذا الكلام اورده على وجه الحكاية انا كذلك نجزى المحسنين
انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين من سبط
هرون وقراء ابن ذكوان عن ابن عامر بالوصل على ان الاسم ياس واللام للتعريف وبفتح
فى الابتداء الهمزة والباقون على انه عجمى غير منصرف الا تتقون من الشرك اتدعون
بعلا اسم صنم لهم والبعل لغة المالك وكانهم سموا ماعبدوه بعلا لذلك المعنى وهم اهل
المدينة المشهورة ببعلبك وتذرون احسن الخالقين اى عبادته وفيه اشارة
الى علة الانكار وكونه احسن الخالقين لايقتضى جواز كون غيره خالقا لقوله هل من
خالق غير الله الله ربكم ورب ابائكم الاولين الله ربكم مبتدا وخبر ورب
ابائكم عطف على الخبر وقراء حمزة والكسائى وحفص بنصب الاسماء الثلثة على البدل
او البيان فى الاول والنعت فى الثانى والعطف فى الثالث فيحسن الوقف على الخالقين
فى الوجه الاول ويقبح فى الثانى فكذبوه فانهم لمحضرون فى العذاب وانما اطلقه لا
شتهاره فى الشر الا عباد الله المخلصين مستثنى من واو كذبوا لا من المحضرين
وقراء الكوفيون ونافع بفتح اللام وتركنا عليه فى الاخرين سلام على الياسين
بكسر الهمزة قطعا هو الياس المذكور انفا لغة فيه كطور سيناء وطور سينين وقراء
ابن كثير وابو عمرو والكوفيون آل ياسين كال محمد وعليه الرسم وهو المختار لكثرة القائل
وزيادة الدلالة على شرف المضاف اليه وقيل الياسين صيغة الجمع اراد به نفسه
واتباعه وقيل ياسين محمد اضيف اليه او القرآن وذكر ياسين لانه قلب القرآن
والوجه لايناسب نظم ساير القصص انا كذلك نجزى المحسنين انه من
عبادنا المؤمنين اى الياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين
الا عجوزا فى الغابرين سبق مرارا ثم دمرنا الاخرين وانكم اى اهلكنا هم من الدمار
وهو الهلاك يا اهل مكة لتمرون عليهم اى على منازلهم واثارهم
فان قرى لوط على طريق الشام مصبحين داخلين فى الصباح وبالليل وتعيين
الوقتين لان المسافر اكثر ما يكون سايرا اول النهار وبالليل ويستريح فى اثنا
النهار اولعلها كانت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء

سباء افلا تعقلون وتحذرون عن سخط الله وان يونس لمن المرسلين
اذ ابق اى كان رسولا زمان اباقه الى الفلك المشحون المملو فساهم
فقارع من فى السفينة وذلك انه زعم البحارى ان السفينة اذا كان فيها آبق لاتجرى
فكان من المدحضين مغلوبين فى المقارعة من الادحاض وهو الازلاق فالتقمه
الحوت وهو مليم نفسه على مافعل او واقع فى الملامة فلولا انه كان من
المسبحين اى مصلين او الذاكرين الله بالتقديس وفيه دلالة على ان المعرفة السابقة
والعمل الصالح ينفعان فى المضايق وقد دل عليه دلالة صريحة حديث الثلثة فى الغار الذى
رواه البخارى ولذلك ايمان فرعون لم يقبل لعدم سابقة المعرفة وعلى هذا داب الملوك
مع خدمهم اذا جنى احد منهم يجعلون سالف خدمته سببا للعفو عن تلك الجريمة يقولون لولا
ان لك علينا لفعلت بك كذا وكذا وقيل اراد تسبيحه فى بطن الحوت حين نادى فى الظلمات
ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون
حيا وقيل ميتا فنبذناه بالعراء بالمكان الخالى عن الشجر والنبات وذلك حين
استجيب دعاؤه واراد الله انجاءه فامر الحوت ان يلقيه الى البر واختلف فى مدة لبثه فقيل
اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلثة وقيل بعض يوم وفى شعر امية بن
الصلت وانت بفضل منك نجيت يونسا وقد بات فى اضعاف حوت لياليا وهو سقيم
بدنه مما ناله فى تلك الواقعة الهايلة او قلبه مما ارتكبه من الخروج والذهاب بغير اذن الله
تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين كل ما انبسط على الارض من النبات والشجر كالقثا
والدباء من القطن وهو الاقامة روى انه صلى الله عليه وسلم قال فى الدبا انها
شجرة اخى يونس عليه السلام والحكمة فى انباتها ان ورقها يستظل به ولايقربها الذباب
ويوكل نيا ومطبوخا وقيل شجرة الموز وقيل التين وقيل سخر الله له ظبية يختلف اليه يشرب
من لبنها ويحكى ان المسك اول ماخلق فى تلك الظبية مكافاة لها وارسلناه الى
مائة الف هم قومه اهل نينوى وبها قبره الآن يزار فى الموصل يقطع بينهما الشط قيل ارسل
اليهم ثانيا فامنوا به وقيل ارسل الى الآخرين او يزيدون بل يزيدون عن ابن عباس
رضى الله عنه كانوا مائة وثلثين الفا وروى الترمذى عن ابى بن كعب انه سال رسول
الله فقال يزيدون عشرين الفا فامنوا فمتعناهم الى حين الى اجالهم المسمى
وانما لم يسلم على لوط ويونس كما سلم على من تقدم من الرسل لانه مكرر فاختصر
الكلام ولقوله وسلام على المرسلين فى اخر السورة فيتناولهما وقيل تفرقة بين
ارباب الشرايع واولى العزم وفيه ان الياس ليس منهم فاستفتهم الربك البنات ولهم
البنون عطف على استفتهم فى اول السورة وما بينهما اخذ بعضه بحجزة بعض وذلك انه
استفتاهم اولا عن انكروا البعث بقوله اهم اشد خلقا امن خلقنا من السموات والارض
تبكيتا لهم والزاما واردف بقصص المكذبين المنكرين للبعث تسجيلا على المشركين
بانه سيحل بهم ماحل باولئك ثم استفتاهم ثانيا عاطفا على الاول اشارة الى ان كونه خالق
السموات والارض كما يدل على توحده وكمال اقتداره يدل على تنزهه عن الولد الا ترى
الى قوله بديع السموات والارض انى يكون له ولد ثم لم يرضوا باثبات الولد مطلقا
بل اثبتوا له اخس النوعين وهو الانثى التى لا يرضى بها ادناهم واذا بشر احدهم بما ضرب
للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وقد زادوا على الشرك انواعا من الكفر التجسيم فان الولد
يستلزمه وتفضيل انفسهم ونسبة الملائكة الاعلى الى الانوثة التى يانف منها ادنى الناس
بل كل عيب دونها ام خلقنا الملائكة اناثا لم يذكر كونه منزها عن الولد بل نفى الانوثة
عن الملائكة لان استحالة الولد منه تعالى جلى لايتوقف فيه الا من هو كالانعام بل اضل

قائدة القاضى

مع انه سلم عليه فى الاية منه

وهم شاهدون تهكم واستهزاء بهم بان العلم بوصف الانوثة لا يمكن الا باخبار صادق
ولم يصدقوا رسولا او باستدلال عقلا ولا سبيل للعقل اليه او بالمشاهدة ولا يشكون
في انتفائها او مبالغ في وصفهم بالكفر اي يجزء على هذا القول الذي تكاد السموات يتفطرن
منه كانهم شاهدوا ذلك الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله اي بعض اكاذيبهم هذا
القول وفيه تقرير لسفاهتهم وان نسبة الله الولد لا يستبعد من جهلة ان يثبت للملائكة
ما لا يليق بهم من وصف الانوثة وانهم لكاذبون في ذلك القول اصطفى البنات
على البنين اي آثرها واختارها استفهام انكار على الذكور وهل يفعل ذلك من به مسكة
الذلك جهلهم بقوله مالكم كيف تحكمون تعتقدون شيئا لا يقدره العاقل على خطاره
بقلبه فضلا ان يتخذه دينا افلا تذكرون تتعظون بعد هذا البيان ام لكم
سلطان مبين نزل عليكم نص قاطع لا يمكنكم العدول عنه وان كان معناه
غير معقول كبعض نصوص الشارع فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين في دعواكم
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا حيث قالوا ان الملائكة بنات الله وانما عبر بالجنة
لاستتارهم عن الابصار وفيه دلالة على حقة مقدارهم عن مجانسة الاله وفي حد ذاتهم
مقربون وعباده المكرمون واشارة الى ان ما من شأنه الاستتار الذي هو من خواص
الاجسام كيف يجانس المنزه عن سمات الحدوث وقيل كانوا من غاية سفاهتهم يقولون
ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل كانوا يقولون والرحمن اخوان ولقد علمت
الجنة انهم لمحضرون في العذاب اي الكفرة الذين بعبده ونهم بكفرهم وافترائهم
او الانس والجن ان فسرت الجنة بغير الملائكة سبحان الله عما يصفون الا عباد الله
المخلصين استثناء منقطع من المحضرين او متصل من ضميره ان فسر بما يعمهم وما بينهما
اعتراض او من واو يصفون فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين حقرشانهم
وما هم عليه من الاضلال اي انتم يا ايها الكافرون ومعبودكم لا تفسدون على الله
من عباده بالاغواء والاضلال الا من هو صال الجحيم الذي خلق للنار ضالا مثلكم من
قولهم فتن غلام فلان امرأته افسدها ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع سادا مسد الخبر كقولك
كل رجل وضيعته اي انتم وما تعبدون لا تبرحون قرناءهم ثم قال ما انتم عليه بفاتنين اي
على معبودكم حاملين على عبادتها الا من يكون ضالا مخلوقا للنار مثلكم وما منا الا له
مقام معلوم قوله سبحان الله عما يصفون الى هنا من كلام الملائكة فانهم كذبوا
من نسبتهم الى الله واستثنوا من ذلك المخلصين ثم هونوا شأن الكفرة بانهم لا يقدرون
الا على اغواء مثلهم ثم اعترفوا بانهم عباد منقادون لامر الله لكل واحد منهم مقام في
العبودة لا يتجاوزه وقوله فانكم وما تعبدون التفات كقوله فقد كذبوكم بما يقولون
ويجوز ان يكون حكاية قولهم وان يكون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل
فاستفتهم وقل وما منا الا له مقام معلوم اي انعم عليهم مثالهم في كفرهم وانعت لهم
ما انت واصحابك متصف به من اضدادها وموقع الاستطراد على هذا القول وان كانوا
ليقولون وانا لنحن الصافون في طاعة تعالى على الاقدام منا قايم وراكع وساجد
وصافون باجنحتنا مذعنين لاوامره خاشعين من هيبته او صافون حول العرش يستغفرون
للذين آمنوا روى مسلم باسناده عن حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا
على الناس بثلث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وقال
يوما لجلسائه اطت السماء وحق لها ان يئط ما فيها موضع قدم الا عليه ملك راكع او ساجد
وقال لاصحابه الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها قالوا وكيف ذلك قال يتمون
الصف الاول فالاول وانا لنحن المسبحون المقدسون عما لا يليق بكبريائه

بكبريائه وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين
ان هي المخففة واللام الفارقة اي كانوا يؤكدون كلامهم قاطعين ان لو اتاهم كتاب من الله
تعالى لتلقوه وعملوا بما فيه مخلصين لله لا كاهل التورية والانجيل المخالفين لما فيه من الا
وامر والنواهي فكفروا به اي بذلك الكتاب الذي كانوا يتمنونه وفي الفاء دلالة على
انهم كفروا به بغتة من غير روية فسوف يعلمون ما يحل بهم من الانتقام ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين هي قوله انهم لهم المنصورون ولا يقدح في
ذلك ما يقع من الانهزام في بعض المواضع لان الامور بخواتيمها وعن الحسن لم يقتل
نبي في حرب ولا غلب وكذلك كان شان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يول في
حرب قط وعن ابن عباس رضي الله عنه ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الاخرة وان
جندنا لهم الغالبون هم الطايفة التي تقاتل في سبيل الله بالسيف او بالحجة سواء كان
فيهم نبي او لا والمذكور وان كان كلمات سماها كلمة لانتظامها في معنى واحد كما يقول بعث
بمرة بستاني وان كان فيه ثمرات فتول عنهم بعد ما افرغت جهدك في التبليغ
حتى حين الى زمان قريب يؤذن لك في القتال او هو يوم بدر او وقت الموت او يوم
القيمة وابصرهم وما يقضي عليهم من القتل والاسر في ايثار الابصار والامر تنفيس عنه
وتقريب للمدة كأنما يحل بهم قدام عينيه فسوف يبصرون ما يكون لك من النصر والتا
ييد والدرجات العلى في الاخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون
اي اسلبت عقولهم فبعذابنا الذي يحق له ان يستعاذ من شره يستعجلون فاذا نزل
بساحتهم بفناءهم نزل لهم شبه عذاب النازل اعاذنا الله منه بجيش اغار على قوم انذرهم
بعض نصحائهم فلم يلتفتوا اليه فاجتاحهم وقطع دابرهم فساء صباح المنذرين
صباحهم ترشيح للاستعارة والصباح من اسماء الغارة من دأبهم اذا وقعت الاغارة ينادون
واصباحاه وذلك انهم كانوا يغيرون في الصباح وعن انس بن مالك ان رسول الله لما
اصبح بخيبر قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم
حتى حين وابصر فسوف يبصرون تسلية بعد تسلية وتاكيد الى تاكيد واطلاق الفعلين
للدلالة على ان ما يبصر ويبصرون من انواع المسرة والمساءة مما يضيق عنه نطاق البيان وقيل الاول
ما يبصرون في الدنيا وهنا في الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام
على المرسلين سوق الكلام من اول السورة الى هنا لاثبات التوحيد وازاحة شبه المشركين
وابطال ما نسبوا اليه تعالى مما تقدس ساحة عزه ومقام كبريائه عنه فنزه ذاته المقدسة بهذه الاية
التي هي من الجوامع الكوامل فذلكة لذلك واثنى على المرسلين الذين قدروه حق قدره وجاهدوا
في اعلاء كلمته حق جهاده ثم ختم بالختام المسكي بقوله والحمد لله رب العالمين اشارة
الى اختصاص المحامد كلها تعالى وان ثناءه على الرسل تفضل منه اذ هو الذي اختارهم ووفقهم
لما اكتسبوا به الثناء الجميل فسبحان الذي يعطي ويثني عن زيد بن ارقم عن ابيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قال في دبر كل صلوة سبحان ربك رب العزة الى آخره ثلث مرات فقد اكتال
بالجريب الاوفى وعن علي بن ابي طالب من سره ان يكتال اجره يوم القيمة بالمكيال الاوفى فليقل
آخر مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى الاية تمت والحمد لله رب العالمين سورة

ص مكية وهي ثمان وثمانون آيات بسم الله الرحمن الرحيم

ص بالسكون على الوقف حرف من حروف الهجاء للتحدي والايقاظ والقرآن قسم حذف جوابه
لدلالة التحدي عليه كانه قيل والقرآن المؤلف من هذه الحروف لمعجز واسم السورة خبر مبتدأ
كانه قال هذه السورة اعجزت العرب والقرآن كقولك هذا حاتم والله تريد انه ذلك المشهور
بالسخاء ويجوز ان يكون مقسما بها اسما للسورة او القرآن والعطف باعتبار تغاير الصفات

١

والجواب محذوف اى انه لمعجز ذى الذكر اى الشرف كقوله وانه لذكر لك ولقومك او الموعظة او ذكر ما يحتاج اليه فى الدين والدنيا من الشرايع والقصص بل الذين كفروا فى عزة وشقاق اى انه لمعجز وما كفر به من كفر الا لاستكبار وشقاق مع الله ورسوله وتنكير الاسمين مع ايراد فى الدال على الاستقرار اشارة الى كمال اتصافهم بالوصفين واستغراقهم فيهما وايماء الى ان من لم يكن بهذه المثابة لا ينكر ذلك الامر الجلى كم اهلكنا من قبلهم من قرن اى كثيرا من القرون المكذبة اهلكنا قبل هؤلاء فنادوا رفعوا اصواتهم بالاستغاثة والجوار ولات حين مناص ذهب الخليل وسيبويه الى انها لا التى شبهت بليس زيدت عليها التا كما زيدت فى رب وثم لتوكيد النفى وحدث لها احكام بعد هذه الزيادة اختصاصها بالاحيان وبروز احد جزئى مدخولها دون الاخر اما الاسم او الخبر بعد وعن الاخفش انها النافية للجنس زيدت عليها التا وحين منصوب كانك قلت ولا حين مناص لهم وعنه انما ينصب بفعل مضمر اى ولا ارى حين مناص لهم وعندهما ان النصب على ولات الحين حين مناص والرسم فيه مختلف فى الامام ولا يخبر بانفصال التا بالجا وفى غيره ولات وعجبوا ان جاءهم منذر منهم كاين من انفسهم يعرفون صدق قوله وامانته وقال الكافرون هذا ساحر كذاب لم يقل قالوا اشارة الى ان هذا القول بعد ذلك الاعجاز لم ينشا الا عن كفر بواح وانهماك فى الغى اجعل الالهة الها واحدا روى الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنه لما مرض ابو طالب دخل عليه سبعة قريش وقالوا ان ابن اخيك يشتم الهتنا فلو نهيته فبعث اليه ابو طالب فلما حضر قال ابن اخى ان قومك يشكونك انك تشتم الهتهم فقال يا عم انى اسالهم كلمة تدين لهم بها العرب ويؤدى الجزية اليهم العجم فقالوا ما هى تلك الكلمة نعم نعطيك عشرا قال تقولوا لا اله الا الله فقاموا ينفضون ثيابهم يقولون اى جعل الالهة الها واحدا قيل كان هذا بعد اسلام عمر ان هذا لشىء عجاب بلغ العجب غاية لما اطبق عليه اباؤنا الاولون ولم يكونوا ينكرون ان مدبر الكاينات وموجدها هو الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلا وجه لما قيل انما قالوا لان الواحد لا يفى علمه وقدرته بالاشيا وانطلق الملا منهم ان امشوا اى انطلق اولئك الاشراف بعد ما سمعوا مقالته وان بمعنى اى لان المنطلقين عن مجلس اللقاء لا يخلون عن تقاوض واصبروا على الهتكم على عبادتها والتمسك بها ان هذا الامر الذى انتم فيه لشىء يراد يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه او ان هذا شىء اراده الله تعالى فلا محالة كاين او ان هذا الذى يطلبه من الترفع على كافة الخلق يراد كل احد او هذا من ريب الدهر ونوايبه الذى اريد بنا فلا بد من وقوعه ما سمعنا بهذا فى الملة الاخرة اى ملة النصارى التى هى اخر الملل يرون ان لو كان التوحيد حقا لم يثلثوا او ملة قريش التى ادركوا عليها اباءهم او فى الملة الاخرة حال اى كاينا فى الملة وليس متعلقا بسمعنا كما فى الوجهين الاولين اى لم نسمع من احد اهل الكتاب ولا الكهان ان يحدث فى الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق افتراء مخترع لم يسبق له نظير ءانزل عليه الذكر من بيننا انكروا اختصاصه بشرف النبوة مع كونه واحدا منهم بل وفيهم من له الاسباب من الاموال والاولاد والحشم اكثر منه ولهذا قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا منهم منشاؤه الحسد لا غير وتلك الخرافات التى تقدمت ناشئة منه بل هم فى شك من ذكرى اى جزمهم بالاختلاق ليس عن اعتقاد ثبت بل قول بافواههم اذ الشاك لا حكم له فان قلت الشك فى الذكر وهو القرآن لا ينافى الجزم بان التوحيد مختلق قلت بلى به فيه لاشتماله على دلايل والمرتاب فيها شاك فيه بل لما يذوقوا العذاب اضراب عن حديث الحسد والشك والمعنى انهما لا يزولان الا

الا بذوق العذاب كقوله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ام عندهم خزاين رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم وتحت تصرفهم خزاين من اتصف بالغلبة والفيض المطلق حتى يجعلوها لمن يشاؤا والاضراب عن قولهم ءانزل عليه الذكر نظير قوله اهم يقسمون رحمة ربك وفى وصف بالعزة اشارة الى بطلان ما هم فيه من الترفع والتجبر على من خص بالنبوة لانهم تحت قهر غالب لا غالب وبالوهاب الى ان النبوة محض موهبة ربانية فلا وجه للشقاق وذكر الوهاب يناسب الخزاين وفيه اشارة الى ان النبوة ليست عطية واحدة بل عطايا جمة ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما يريد ان ملك السموات والارض شىء من خزاينه الدنية لان العالم الجسمانى لا يقاس بعالم الروحانيات واذا كانوا عاجزين عن التصرف فيه فهم عن غيره اعجز ثم بين عجزهم بقوله فليرتقوا فى الاسباب الموصلة الى العرش والاستيلاء عليه وانزال الوحى الى من يختارونه ثم حقر شانهم وخساهم بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ما مزيدة للتعليل وهنالك ظرف مهزوم اشارة الى المحل والرتبة كقول الخليل عليه السلام فى حديث الشفاعة لست هناك والمعنى هؤلاء الكفار اعوان وانصار قليلون من الذين يتحزبون على الانبياء عما قريب مكسورون فى المحل الذى وضعوا انفسهم فيه اين هم من التعرض لتلك المقالة والاعراض على مالك الملك والملكوت وقيل هناك اشارة الى يوم بدر او يوم الخندق او يوم فتح مكة والاول هو الوجه كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد هؤلاء الاحزاب الذين اهل مكة منهم وصف فرعون بذى الاوتاد اشارة الى طول مدته استعارة من اوتاد البيت المطنب للثبات كقوله فى ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يعذب بالاوتاد يجعل اعضاءه الاربعة الى اربعة اطراف ويضرب على كل واحد وتدا ويتركه الى ان يموت وكان يرسل عليه وهو كذلك الحيات والعقارب او الاوتاد مجاز عن الجموع لان بعضهم يشد بعضا وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة قوم شعيب والايكة الغيضة وقرا نافع وابن كثير وابن عامر ليكة على وزن ليلة اولئك الاحزاب اى الاحزاب الذين منهم جند مهزوم هم هؤلاء او المعنى المشار اليهم هم الذين يقال لهم الاحزاب لقوتهم بالاموال والاسباب وطول الاعمال لا جند مكة كما تقول بعد ذكر زيد وعمرو زيد الرجل ان كل الا كذب الرسل اعاد التكذيب ثانيا على اوكد وجه وافاد ان كل واحدة من تلك الامم كذبت كل رسول الله لان تكذيب واحد منهم تكذيب لسايرهم لان بعضهم يصدق بعضا فحق عقاب بعد ذلك الافراط فى التكذيب وما ينظر هؤلاء اى اهل مكة الا صيحة واحدة هى النفخة وقيل العذاب المفاجئ من قولهم صاح الزمان بفلان فالصاح الزمان بال بربك صيحة حزوا لشدتها على الاذقان ما لها من فواق من لبث ماخوذ من فواق الناقة وهو ما بين الحلبتين فانها تدر دفعة بل تترك ادنى زمان وقرا حمزة والكسائى بضم الفا وهى لغة وقالوا ربنا عجل لنا قطنا القسط من الشىء من القط وهو القطع اى نصيبنا الموعود من العذاب يريدون تكذيبه او نصيبنا من الجنة لما روى ان رسول الله لما وعد المؤمنين الجنة قالوا هذا الكلام استهزاء قبل يوم الحساب قبل يوم القيمة او لنؤمن به كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا اصبر على ما يقولون اى تحمل اذاهم واذكر لهم قصة داود فانه لم يكن واذكر عبدنا داود ذا الايد فى زمان نبوته على وجه الارض اكرم على الله ولا اعز منه ومع ذلك جرى عليه من ادنى خطر خطرت له ما جرى وبكى على ذلك مدة طويلة ونقش جنايته فى باطن كفه حتى لا ينساها فما ظن هؤلاء المسرفين المستهزئين بالله واياته او اصبر على ما يقولون واذكر لنفسك حال داود وحافظ على تذكرها لئلا يقع لك فى المصابرة ما تعاتب عليه كما عوتب ذلك وعلى

وانما كان اوجه لانه متسق بما قبله غاية الاتساق منه

قال القاضي

هذا الذكر ذكر القلب **ذا الأيد** ذا القوة في الدين والمحافظ على الطاعات بدليل قوله **إنه أواب** وقوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وأفضل الصلوة صلوة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ولأن الأوابية لا مدخل لها في قوة البدن **إنا سخرنا الجبال معه يسبحن** على الدوام **بالعشي والإشراق** أي في هذين الوقتين يقال شرقت الشمس شروقا أضاءت وصفا شعاعها وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه لما سمع أم هاني تقول جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره فلما اغتسل التحف بثوب وصلى ثمان ركعات وذلك ضحى فقال قد ظننت أن لهذه الساعة صلوة وتلا هاتين قلت كيف دل تسبيح الجبال معه على الصلوة في تلك الساعة قلت لما روي في الحديث ولأن تسبيح الجبال مجاز فحمل تسبيح داود على المجاز لأن المجاز بالمجاز أنسب **والطير محشورة** جملة واحدة ولذلك لم يراع المطابقة بين الحالين إذ حشرها على هذا الوجه أدل على كمال الاقتدار **كل له أواب** رجاع إلى الله رجوعا بعد رجوع ويلزمه الذكر والتسبيح فكأنه قال كل معه يسبح على الدوام أو الرجاع كناية عن المرجع ومعلوم أن الترجع في التسبيح لا في فعل آخر **وشددنا ملكه** قويناه بالرجال والعدد قيل كان يحرس محرابه أربعون ألفا من ذوي اللامة وقيل كان ألقى عليه المهابة وذلك أن رجلا ادعى على آخر بقرة فأنكر المدعى عليه فأوحى إلى داود أن اقتل المنكر فقال لم يؤاخذني الله بهذا بل قتلت أباه غيلة فأمر بقتله فهابه الناس **وآتيناه الحكمة** النبوة وعلم الشرع كل كلمة وافقت الحق فهي حكمة **وفصل الخطاب** المفصول الذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه مصدر بمعنى المفعول أو الفاصل بين الحق والباطل في القضايا والتدابير فإنه إذا انضم إلى العلم والحكمة كمل شأن الحاكم وتحقيقه أنه كان كاملا في البلاغة يورد كل كلام على ما يقتضيه الحال خاليا عن الإملال والإخلال ويدخل فيه كل ما ذكر من الوجوه وهذا مثل ما جاء في وصف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نزر ولا هذر **وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب** الاستفهام للتشويق والدلالة على أنه من الأمور المستغربة التي العلم بها أمر خطير والخصم مصدر في الأصل يقع على الواحد والجمع مثل الضيف كقوله حديث ضيف إبراهيم المكرمين تسوروا المحراب تصعدوا السور حائط المدينة أراد حائط مسجده والمحراب الغرفة وصدر المجلس وإذ يتعلق بالنبأ لأنه وإن كان بمعنى القصة إلا أنه في الأصل مصدر والظرف يكفيه رائحة الفعل أو متعلق بمقدر أي تحاكم الخصم وتعلقه بأتاك لا يستقيم **إذ دخلوا على داود** بدل أو ظرف تسوروا أو بدل من إذ والضمير للخصم **ففزع منهم** لأنهم نزلوا من الحائط من غير إذن وهم ناس أجانب لا يعرفهم وكان خاليا للعبادة كان جزأ الزمان يجعل يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما يعظ فيه بني إسرائيل ويوما يشتغل فيه بخاصته **قالوا لا تخف** لما شاهدوا منه آثار الخوف **خصمان** أي نحن فوجان بدليل قوله تسوروا ودخلوا فهو كقوله خصمان اختصموا ولا ينافيه أن هذا أخي لأنه قول بعضهم **بغى بعضنا على بعض** وهذا على التمثيل والعرض فلا يمتنع صدوره عن الملائكة **فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط** ولا تجر في الحكم من الشطط وهو مجاوزة الحد في كل شيء وفي الحديث لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط **واهدنا إلى سواء الصراط** إلى وسط الطريق أي الحق الذي لا ميل فيه **إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة** هي الأنثى من الضأن يكنى بها عن المرأة للين عريكتها وضعف بنيتها وكثيرا ما يطلق أهل مصر على الرجل الجبان الخوار نعجة **فقال أكفلنيها** أي اجعل أمرها إلي لأكفلها كما أكفل ما تحت يدي وحقيقته القيام بأمرها كقوله صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم كهاتين

كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى **وعزني في الخطاب** غلبني في الجدال لا أقدر على رده وقيل غلبني في الخطبة دينا فيه ولي بجر وقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك وقوله أكفلنيها إذ لا يخاطب به الخاطب بل ولي المخطوبة إلا أن يجعل مجازا **قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك** جواب قسم محذوف وإنما أقسم مبالغة في الإنكار وحكم عليه بالظلم إما لاعتراف أو على تقدير صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف إلى المفعول **إلى نعاجه** ضاما إليها **وإن كثيرا من الخلطاء** من الأصدقاء المتعارفين كقوله إن الخليط أجد والبين فانصرموا **ليبغي بعضهم على بعض** فلا عجب مما يجري بينكم **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم** أي في غاية القلة وما زائدة وهذا الكلام منه على طريق الموعظة والترغيب في استهجان مسلك ذلك القليل وإيثار عادتهم والتدرع بلباسهم وحمل الخلطاء على الشركاء حديث الجلائل ناب عنه **وظن داود أنما فتناه** أي تيقن أنا ابتليناه استعار الظن لليقين الظن الغالب يدانيه **فاستغفر ربه وخر راكعا** ساجدا لله لأن الركوع وحده ليس بعبادة فأطلق على السجود لأنه مبدأ ويدانيه في الخضوع أو أراد به الصلوة مجازا **وأناب** رجع إليه بالاستغفار وإنما بدأ بالسجود أو الصلوة المشتمل عليه لأنه مظنة الإجابة وإليه أشار بقوله صلى الله عليه أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد وهذا من عزائم السجود عند أبي حنيفة رحمه الله لما روى ابن عباس رضي الله عنه سجد رسول الله في ص وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا واستدل الشافعي بما رواه ابن عباس سجدة ص ليست من عزائم السجود ولكن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها فقال بها استحبابا فإن قلت ما صدر عن داود حتى أوجب هذا الابتلاء والأنبياء عن الصغائر قصدا فضلا عن الكبائر منزهون قلت هذا على طريقة حسنات الأبرار سيئات المقربين وغاية ما يمكن في حقه أنه رأى بغتة امرأة أوريا وهو رجل من غزاته تلقاء فسأله أن ينزل له عنها فاستحى منه فنزل وهي أم سليمان وقيل لم يكن امرأته بل خطب على خطبته فعوتب في ذلك وقيل له ما كان ينبغي لمثلك أن يمد عينيه إلى متاع الدنيا مع ما خولناك من الملك المديد وكثرة النساء كيف تسأل رجلا له امرأة واحدة أن ينزل لك عنها بل كان الواجب عليك إن لو سألك هو أن تنزل عنها الإباء الكلي وقهر النفس ومغالبة الهوى كما فعل سيد الرسل حين شاوره زيد في فراق زينب هذا إن صح عنه كان مباحا غايته أنه خلاف الأولى وقد روى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف أنه لما نزل على سعد بن الربيع قال له لك نصف مالي وانظر أي امرأتي أعجبتك نزلت لك عنها وإن كان أمرا آخر لم يحكه الله مفصلا بل ستره عليه فنحن أولى بذلك فما لنا وللخوض فيه ولذلك لما حكي عند عمر بن عبد العزيز رجل قاص على غير هذا الوجه من تلك الخرافات التي لا يجوز إشاعتها وكان رجل من أهل المعرفة حاضرا فقال أيها الرجل إن كانت القصة على ما في كتاب الله فاعظم بما ذكرت فرية وإن كانت كما ذكرت وقد سترها الله على عبده فكنت أولى بذلك فقال عمر لسماعي لهذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس وعن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب قال من حدثكم بحديث داود على ما يحكيه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ما وقع منه هو قوله لقد ظلمك بمجرد قوله قبل أن يسأل المدعى عليه ويؤيده قوله بعد هذا فاحكم بين الناس بالحق **فغفرنا له ذلك** بعد الإنابة **وإن له عندنا لزلفى** قربة ومكانة لم يحصل له بتلك الجناية تنزل **وحسن مآب** مرجع هو جوار الله في أعالي الجنان **يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض** يقال استخلفه على كذا إذا جعله إليه متصرفا فيه كقوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه أو خليفة عن الأنبياء الذين

رد على القاضي

الخليط يطلق على الواحد والجمع منه

بفقد ما واحكم بين الناس بالحق الذي امرك الله به اي بحكم الله ولا تتبع
الهوى فيضلك عن سبيل الله طريقه الموصل اليه ان الذين يضلون عن سبيل
الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اي ذلك الضلال بسبب
نسيان ذلك اليوم اذ لو تذكروه راقب احواله واعمال المعرفة في ذلك اليوم على
العلاّم الخبير لم يرتكب ضلالا قال عبد الملك بن مروان يوما لابي زرعة انك قرات
الكتاب الاول والقرآن ونزل وجدت ان الخلفاء لا يجري عليهم القلم فقال يا امير المومنين
الخلفاء اعظم ام الانبياء ثم تلا هذه الآية وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
عبثا خاليا عن الحكمة كقوله ما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين بل انما خلقنا
هما ابتلاء لكم بالتكليف والشرايع ذلك ظن الذين كفروا اي كونهما مخلوقين
باطلا مظنون الكفار فويل للذين كفروا من النار من بيانه او ابتدائيه ام نجعل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض انكار لذلك وكيف تسوى الحكم بين
المومنين والكافر ام نجعل المتقين من المومنين كالفجار كالفساق منهم او تكرير للاول
باعتبار الوصفين واذا كان التساوي منكرا وليس هذا الدار دار الجزاء ولذلك ترى
اكثر اهل الدين والتقوى ناقص حظوظهم فيها فلا بد وان يكون دار اخرى تقع فيها
المجازاة كتاب انزلناه اليك مبارك لما بين جملة من المقاصد الصحيحة التي
يدعو لها العقل الصريح اردفه بوصف الكتاب المشتمل عليه بالبركة واي بركة اعظم
من الارشاد الى البقاء سرمدا فيما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر ليدبروا آياته ويستنبطوا منها دقايق حكمه وليتذكر اولوا الالباب
ذووا العقول الخالصة المبرؤون عن العوايق المويدون بالتوفيق الناظرون بنور الله
فان تلك الدقايق كالمعلوم عندهم لا يحتاج الا الى التفات الذهن ووهبنا
لداود سليمان اردف فضل الوالد بفضيلة الولد لانه فتن مثل ما فتن واناب
مثل ما اناب عبر عن اعطائه بالهبة اشارة الى جلالة قدره نعم العبد حذف المخصوص
للعلم به اي سليمان انه اواب رجاع الى الله او تواب اي مسبح ولا يكون الا اوابا اذ
عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد الصافن من الصفون وهو الوقوف على ثلث قوايم
وطرف سنبك الرابعة وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يكون الا في العراب
الخلص وقيل الصافن القايم مطلقا ولا يكون الا في العراب
وقال الصفون مما يقوم على الثلث كيلا والجيا وجمع الجواد من
الجودة بضم الجيم الفرس الواسع الجري وهو الواسع العطاء ايضا من الجودة بفتح الجيم
وصفها بالصفون والجودة جمعا المحسن في حاليها كانه قال سائلة عند الوقوف سراع عند
الجري وقيل الصفون وصف لها بالاصالة فانه يكون في العراب دون الهجن قيل
غزا سليمان دمشق فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصاب ابوه من العمالقة
وقيل خرجت من البحر وكانت ذات اجنحة وهذا هو الوجه اذ في الارث والاصابة
غنيمة اشكال لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ولقوله اوتيت
خمسا لم يوتهن احد من قبل وعد منها حل الغنايم فقال اني احببت حب الخير
عن ذكر ربي استعمال الحب بمعنى التضمين معنى انبت او الجار متعلق بمقدر حالا
اي معرضا عن ذكر ربي والخير المال لقوله تعالى ان ترك خيرا الوصية للوالدين والمراد به الصا
فنات المذكورة وكان احلا حيث الخير وانما الحب الحب اشارة الى فرط المحبة كانه احبها
حتى احب حبها حتى توارت بالحجاب الشمس وفاته صلوة العصر وقيل توارت
الخيل بالحجاب اي بظلام الليل وفيه بعد ردوها علي فطفق مسحا بالسوق
والاعناق اي شرع بقطع اعناقها وعراقيبها قربانا في سبيل الله وخصها بذلك

بذلك لانها كانت سببا في الاشتغال وهذا كقطع يد السارق لانها آلة الجناية وفي الحديث
سمع رسول الله رجلا يقول لناقته يا ملعونة فقال ردوها لا يصحبنا دابة ملعونة ولما فاته صلوة
الصبح ارتحل من ذلك الى مكان آخر ثم قضاها كراهة له حيث نام عن الصلوة فيه وقيل مسح
اعرافها وعراقيبها احتراما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح اعراف الخيل وقال
الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيمة من اعزها اعزه الله ولقد فتنا سليمان و
القينا على كرسيه جسدا روى البخاري باسناده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان سليمان قال يوما لاطوفن الليلة على اربعين امراة تاتي كل واحدة بغلام يجاهد في
سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل فما حملت الا واحدة اتت بشق ولد فو الذي
نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وروي انه كان له ابن يخاف عليه من الجن
فكان يربيه في السحاب فكان يوما جالسا فوقع على كرسيه ميتا فعلم انه كان تاركا لما هو الاليق
من التوكل ثم اناب رجع الى الله تعالى بالتوبة وما ذكره بعضهم من ان خاتمه وقع في يد
صخر الجني وانه استولى على ملكه اربعين يوما وما يضمون الى ذلك من الخرافات فلا يجوز ذكرها
لانها اكاذيب لا يساعدها عقل ولا نقل قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي كان ناشيا في بيت الملك سال معجزة تناسب حاله وقيل قاله شفقة
على اخوانه النبيين حيث راى الدنيا غدارة لا سيما ابهة الملك فطلب من الله ان يزويه عن
غيره ويخصه به وقيل لم يرد الا سعة الملك وعظمه لا الاختصاص ويرده قوله صلى الله عليه
وسلم تفلت علي البارحة شيطان فقصدت ان اربطه بسارية من سواري المسجد فيلعب
به صبيان المدينة ثم تذكرت دعوة اخي سليمان قيل للحجاج انك حسود قال احسد من سليمان
حيث قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وقد كفر في ذلك كما كفر في قوله طاعتنا
اوجب من طاعة الله لان الله تعالى قال فاتقوا الله ما استطعتم وقال واولي الامر منكم فاطلق
وقد عمي في كفره لان اولي الامر عطف على طاعة الله ورسوله فكيف يكون احدهما مطلقا والاخر
مقيدا وايضا ما استطعتم قيد الاطلاق انك انت الوهاب لا غيرك فسخرنا له
الريح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة وهو الخصب او طيعة وفي ذلك تمام النعمة كالفرس
الذلول حيث اصاب قصد وحكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطا و
قصد رؤبة الشاعر رجلان اشكل عليهما هذا اللفظ فقال لهما يصيبان فقالا هذا الجواب والشياطين
كل بناء وغواص في البحار لاستخراج الدراري والجواهر وآخرين مقرنين
في الاصفاد في القيود كفا للشرهم جمع صفد بالتحريك وهو العطاء ايضا لربط المنعم عليه
عليه بالمنعم قال ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا ويروى من برك اسرك ومن جفاك
اطلقك والفعل للعطاء اصفد وللقيد صفد عكس وعد واوعد هذا عطاؤنا اشارة
الى الملك الممدود فامنن اعط ما شئت منه او امسك بغير حساب حال كونك
غير محاسب بل الامر مفوض اليك تتصرف كيف تشاء كما هو شان الملوك وعنه صلى الله عليه
وسلم خيرني الله بين ان اكون عبدا نبيا او نبيا ملكا فاشار الى جبريل ان تواضع فاخترت ان اكون
عبدا نبيا ولذلك كان مامورا لم يطلق له التصرف قال انما انا قاسم والله المعطي ولما تواضع ولم
يلتفت الى ملك الدنيا عوض المقام المحمود وان له عندنا لزلفى قربة ومنزلة و
حسن ماب مرجع في جوارنا ولم ينقص ملك الدنيا شيئا من مكانته واذكر عبدنا ايوب
هو ايوب بن عيص بن اسحق لما ذكر اولي النعم والالاء ارادف بذكر ذوي العاهات والبلاء
ليعلم انهم كانوا مع الله في السراء والضراء ولذلك قال بعد شرح ملك سليمان ونصب
ايوب في كل منهما نعم العبد ومن ذلك افترق اهل الحق في الغني الشاكر والفقير الصا
بر ايهما اقرب الى الله اذ نادى ربه بدل اشتمال اني مسني الشيطان

بنصب تعب ومشقة في بدني وعذاب الم في القلب وقيل الاول في البدن والثاني
في المال والاولاد وانما نسبه الى الشيطان وان كان كل ذلك بخلق الله تعالى تادبا او لانه
ما حصل له فعل ترتب على وسوسته اذ اعجب بكثرة المال او استغاثه مظلوم فلم يغثه او
كانت مواشيه في ناحية كافر فداهنه او كان يغريه على الجزع والقنوط وان لو كان لعند الله
منزلة لما ابتلاه اركض برجلك اضرب بها اي فقيل له ذلك اما بلا واسطة او بواسطة
هذا مغتسل بارد وشراب وانما قدم البارد لانه اهم للمريض المحرور ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم فابردوها بالما وان صح ما يقال لما ركض
برجله نبعت عينان حارة وباردة فتقديم بارد للفواصل وعن ابي هريرة رضي الله عنه
صلى الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل خر عليه رجل من جراد ذهب ووهبنا له اهله
ومثلهم معهم اي اضعاف ما كان رحمة منا عليه وذكرى وموعظة لمن
يسمع بحاله فيصبر على بلائه لاولي الالباب لارباب العقول الخالصة عن شوايب الاوهام
ومن الامثال لكل شي آفة والصبر نعم الناصر وخذ بيدك ضغثا حزمة من حشيش
او ريحان او غيره واصل الاختلاط اضغاث الاحلام فاضرب به ولا تحنث في يمينك
فان زوجته ذهبت في حاجة فابطات عليه فحلف ليضربنها مائة ضربة فحلل الله تعالى يمينه
وهون عليه وتلك السنة باقية في الحدود انا وجدناه صابرا ولا ينافيه الشكوى
الى الله تعالى ولخلق في دفع بلائه وقد تقدم في سورة الانبيا نعم العبد انه اواب
رجاع بالذكر والتوبة واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب هولا ايضا اهل البلاء
وقدم ايوب لانه علم في ذلك وقرا ابن كثير عبدنا بالافراد اما لقصد الجنس او لارادة
ابراهيم عليه السلام اشارة الى شرفه والجمع هو المختار لقوله آبائك ابراهيم واسحق
ويعقوب اولي الايدي والابصار ذوي القوة في الاعمال والبصاير النافذة في
التدبر والافكار وفيه تعريض بالبطلة الجهال فانهم كالزمنى والعمى انا اخلصناهم
جعلناهم خلصا اصفيا لا كدر فيهم ثم بينه بقوله بخالصة اي بخصلة لا يشوبها شي
ذكرى الدار بيان لتلك الصفة وحاصله نزعنا من قلوبهم حب الدنيا فليس لهم
الا هم الدار الاخرة وانما اطلقها لانها الدار حقيقة وانما الدنيا كمنزل راكب اراح عشيا
وهو في الصبح راحل وقرا نافع وهشام بالاضافة اما الى الفاعل اي بان خلصت ذكرى
الدار لهم ولم تشب بغيرها او الى المفعول على ان الخالصة مصدر متضمن بمعنى الاخلاص
اي بان ذكروا الناس ورغبوهم في الاخرة وزهدوهم وهذا الوجه احسن لانه تكميل
يستدعي سبق الكمال وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار جمع خير بكسر الخاء كشرور واشرار
وبفتح الخاء جمع خير مشددا او مخففا كميت واموات واردف المصطفين به اذ المختار قد لا يكون
خيرا واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل هما ابناعم وكل من الاخيار اي كل هولا
هذا ذكر اي القرآن شرف تذكرون به او هذا ذكر من مضى من الانبيا او لما اريد
نقل الكلام من ذكر الانبيا الى ذكر الجنة وهما لونان من الكلام قال هذا ذكر كما يقول
الكاتب اذا فرغ من باب واراد الشروع في باب آخر هذا وان للمتقين لحسن مآب
مرجع جنات عدن بدل او عطف بيان وهو من الاعلام الغالبة مفتحة
لهم الابواب حال والعامل فيه هو العامل في الجار والمجرور والتقدير جنات عدن
استقرت للمتقين حال كونها مفتحة لهم والابواب بدل اشتمال بلا راجع اكتفاء بدلالة
المعنى كقولك في بدل البعض ضرب زيد اليد او الرجل متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة
كثيرة وشراب حالان مترادفان من ضمير لهم او متداخلان وايثار المضارع في الثانية
دون الاولى لتجدد الدعا بهما دون الاتكا والاقتصار على الفاكهة والشراب لان مائدتنا ولهم

في الجنة انما هو للتلذذ لا لدفع الم الجوع وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرون
الى غير ازواجهن اتراب لذات لهن في السن او لازواجهن فان التحاب بين الاقران اشد
جمع ترب بمعنى المتارب كالمثل بمعنى المماثل لان التراب مسهن معا هذا ما توعدون
ليوم الحساب اي لاجله فان الحساب لاجل الوصول الى الجزا وقرا ابن كثير وابو عمرو
يوعدون بالياء جريا على سنن ما تقدم والباقون بالخطاب التفاتا وهو احسن معنى
واوفق لقوله وانتم فيها خالدون بعد قوله يطاف عليهم ان هذا لرزقنا ما له
من نفاد انقطاع هذا تقدم الوجه فيه آنفا وان للطاغين لشر مآب جهنم بدل
او بيان يصلونها فبئس المهاد مهادهم مستعار من فراش النائم هذا فليذوقوه
حميم هذا مبتدا وحميم خبره وفليذوقوه اعتراض على نحو زيد فافهم رجل صالح او
فليذوقوه بالاضمار على شريطة او خبر مبتدا اي العذاب هذا وغساق عطف على حميم
وهو ما يسيل من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها قيل هو شراب يحرق بالبرودة
كما ان الحميم يحرق بفرط الحرارة وعن الحسن عذاب لا يعلم عظمته الا الله تعالى مقابل لما اعد
لاهل الجنة الذي اشار اليه بقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرا حمزة
والكسائي وحفص مثقلا عن القرا هما لغتان وقيل الاول اسم كالنكال والعذاب
والمشدد صفة او نسبة كالتمار وآخر من شكله من مثل هذا المذوق عطف على
حميم وغساق ازواج صفة للثلاثة او لآخر لانه ضروب واجناس وقرا ابو عمرو واخرى
اي مذوقات اخر او نوع آخر جمع اخرى ككبر وكبرى وازواج خبره ومن شكله صفة المفرد اخف والجمع اظهر ولاخفي
ما في ابهام آخر من التهويل هذا فوج مقتحم معكم كلام الروسا من الطاغين للاتباع
دخول النار كقوله كلما دخلت امة لعنت اختها الا ان اللاعنة هناك هي الاتباع وهنا في
بالعكس والاقتحام الدخول في الشي بشدة وقيل هو كلام الخزنة وقوله لا مرحبا بهم
انهم صالوا النار كلام الروسا تعليل لاستيهال الاتباع هذا الدعا وقيل
الكل كلام الخزنة قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم انتم قدمتموه لنا
بالاغوا والاغرا فانتم احق بهذا الدعا فبئس القرار مكاننا قالوا ربنا من قدم
لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار اي مضاعفا للضلال والضلال كقوله ربنا
هولا اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وان تجعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة
فوجه قوله بل انتم لا مرحبا بكم ان يكون كلام الاتباع للروسا لما دعا عليهم الخزنة
صرفوا الدعا اليهم لانهم السبب وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم
من الاشرار استفهام تعجب في غيره اتخذناهم سخريا صفة رجالا ام زاغت
عنهم الابصار ام منقطعة متصل بقوله ما لنا لا نرى كانهم لما لم يروهم في
النار ولم يجدوا من ذلك قياسا على حظوظ الدنيا سلوا انفسهم بعض التسلي
وقالوا بل زاغت عنهم الابصار فلا نريهم في النار وهم فيها وقرا نافع وابن
عامر وابن كثير وعاصم بالاستفهام انكارا على انفسهم كيف اتخذوا سخريا من
كان اعلى شانا منهم ثم اضربوا الى قولهم ابل زاغت عنهم الابصار او متصل و
معادلها اتخذناهم على انكار الامرين جميعا كانهم قالوا منكرين على انفسهم اي
الفعلين فعلنا بهم السخرية او الازدرا والتحقير اذ المسخور منه ربما كان محبوبا وفي
اسناد الزيغ الى الابصار اشارة الى شدة الازدرا بهم كانهم لفرط كراهتهم يجهم
الاعين وان قد تاخذ فهمزة الاستفهام في الوجه الاول لدلالة ام عليه ليستوي
القراتان وقرا نافع وحمزة والكسائي سخريا بضم السين وعن مجاهد ان الضمير
في قالوا لصناديد قريش ولا دليل له فالوجه التعميم في كل طاغ ان ذلك لحق

اى بما ذكر من التقاول لكاين لامحال تخاصم اهل النار بيان له وكان الظاهر ان ذلك التخاصم
حق وانما قدم الحق اهتماما قل يا محمد لمشركى مكة انما انا منذر لا ساحر كذاب كما تقدم منهم
فى اول السورة وهذا الدعوى منهم بعد ما قدم ما يدل على كونه رسولا باثبات كون القرآن معجزا
وبما ورد فيه من ذكر الانبياء مع اممهم مما يستقل بانواع من الاعجاز وما من اله الا الله
الواحد القهار اى مبعوث بهذين الامرين الانذار والدعوة الى التوحيد والمعنى انما انا
منذر ولست لى علم بمقدار عقاب من هذا شانه فالانذار هو المبعوث به وهذا تحقيق له والاول
هو الوجه لقوله رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار اذ التعقيب بهذه الصفات
دليل على كون الدعوة مقصودة لان هذا ملخص ما تقدم ومن ذلك قولهم اجعل الالهة
الها واحدا قل هو نبأ عظيم اى ما انبئ به من الانذار والدعوة الى التوحيد وقيل يوم
القيمة وقيل القرآن انتم عنه معرضون لتمادیكم فى الغفلة ما كان لى من علم
بالملأ الاعلى دليل على كونه رسولا اذ يختصمون يتعلق بمقدار اى بكلامهم فى ذلك الوقت
ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين لا انما انا نذير كقولك لمرسل فى امر ما كلفتك الا انك حكيم
ترشده او كم اومر الا بهذا الامر المشتمل على الامور كلها صريحا والتزاما اولم اومر الا بهذا الانذار
دون الهداية اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون فان قلت
اذ يختصمون طرف لكلام الملائكة وهذا الكلام الله فكيف يصح ابداله منه قلت ذلك زمان
ممتد وقع فيه الفعلان فان قلت ما كان ذلك الاختصام قلت هو تقاولهم فى شان ادم
وابا ابليس فان قلت الملأ هم الاشراف وذلك التقاول انما كان من جميع الملائكة كما صرح به
فى البقرة بقوله واذ قال ربك للملائكة وقوله مدلولا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
قلت القول نسب الى الكل لكونه صادرا عن البعض كما يقال بنو فلان قتلوا زيدا ولا شك
ان المتصدى بحوار الله انما هو الاشراف فان قلت الملأ اسم الجمع فلم وصف بالمفرد قلت بالنظر
الى اللفظ وما قيل من الجابرانه يكون مقاولة الله اياهم بواسطة الملك وان يكون الملأ الاشا ملا
لله والملائكة فلا يخفى بعده من غير ضرورة يدعو الى ارتكابه هذا والاوجه ان يكون المراد
باختصام الملأ الاعلى ما فى الحديث وهو قوله رايت ربى فى احسن صورة فقال لى فيم يختصم الملأ
الاعلى قلت لا اعلم فوضع كفه بين كتفى فوجدت برده فى صدرى فعلمت ما بين السماء والارض
ثم قال لى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت فى الكفارات والحد ودكم اشار بسنا فالى قصا بعد
واعرب بقوله اذ قال ربك للملائكة ومما يوبيه قوله ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين فاصلا
فى البين فاذا سويته عدلت خلقه ونفخت فيه من روحى الاضافة للتكريم
فقعوا له ساجدين من غير تراخ لم يذكر جواب الملائكة لانه يكرر مرارا ولان
مصب الغرض ههنا حديث ابليس اشارة الى انه يخالف امر من الاوامر جرى عليه ما يلى عليهم
فكيف بهم وهم مغمورون فى الكفر وانواع المعاصى وايماء الى انه امامهم فى الدنيا لانه اول
من سن العصيان وفى الاخرة قائدهم الى النار فسجد الملائكة كلهم اجمعون التاكيد
بكل واجمعين للمبالغة فى الاحاطة والشمول وقيل للدلالة على ان سجود الكل كان فى زمان
واحد وذلك لملاحظة المعنى الاصلى فى لفظ الجمع وان كان علما من اعلام التاكيد ولمناسبة
المقام لان الاحاطة على وجه الاجتماع فى زمان اتم واكثر مدحا للملائكة واشد تقريعا
لابليس الا ابليس استكبر ترفع عن قدره لم يذكر اباؤه لان الاستكبار يستلزمه
وكان من الكافرين فى علم الله فى الازل او صار بين الملائكة كافرا قال يا ابليس
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى ذكر اليد تمثيل وتصوير والتثنية للدلالة على
كمال الاعتناء بشانه وان لو كان خلقه مما يحتاج الى الجارحة واستعمال الالة لكان من العظم
بحيث لا يزاول الا باليدين استكبرت ام كنت من العالين اى رفعت من غير استحقاق ام

ام كنت من العالين بعضا ناشيا بينهم معدودا من جملتهم قال انا خير منه خلقتنى من
نار وخلقته من طين هذه الشبهة الفاسدة لم يلاحظ شان الامر وانه المالك
المتصرف لان يامر الاشرف بخدمة الاخس وان الحسن ما حسنه والملائكة الذين هم الملأ الاعلى
لم يبحثوا عن حال المادة ولا نظروا فى التفاضل بين الاصلين بل بادروا بعد الامر الى ما امروا به
هذا وهم مخلوقون من النور وجواب ابليس اختيار للشق الثانى ودعوى انه فى نفسه من العالين
معللا بكونه مخلوقا من النار وقد بينا فساد تعليله فى الاعراف قال فاخرج منها فانك رجيم
مرجوم مطرود من دار الكرامة ومحل الانس لان العادة رجم المطرود بالحجارة او مرجوم بالشهب
وان عليك لعنتى البعد من جوارى ذكرها بعد من الرجم اشارة الى كمال الخزى بعد
من الله الى يوم الدين الى انقطاع التكليف وحرف الغاية ليس للانقطاع بل لانه يرى
بعدها من العذاب ما هو اطم قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم اجابة لسؤاله وانما عبر عنه باليوم المعلوم اشارة الى ان ذلك
كان فى علم الله قبل سؤاله بل فى الازل وقيل لم يجب الى ما سأل اذ قصد ابليس ان يوم البعث
لا موت فيخلو منه قال فبعزتك بصفات جلالك التى انا من مظاهرها ومحل حلولها لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قرا نافع والكوفيون بفتح اللام وهو المختار قال
فالحق والحق اقول نصب الاسمين على ان الاول مفعول مطلق اى احق الحق او على
الاغراء اى الزموا او على حذف حرف القسم وايصال الفعل كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه
لاملان والثانى نصب باقول والجملة اعتراض بين القسم وجوابه توكيدا وقرا عاصم وحمزة الاول
بالرفع مبتدأ خبره لاملان او منى كقوله الحق من ربك او خبرا اى انا الحق نحو فتعالى الله
الملك الحق او قولى الحق نحو قوله الحق لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
توكيد للضمير المجرور فى منهم على معنى انى لا ابالى بمن تبعك من الناس كائنا من كان وترك ذكر
التابع من الشياطين اكتفاء اذ هم اولى بذلك من الناس لقوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا
من الجن والانس او تاكيد لضمير منك اى من جنسك والمجرور فى من تبعك فيشمل الكل
والاول اوجه لان التقاول بينه تعالى وبين ابليس انما هو فى شان عباده الذين عادى
اباهم ولعن لاجلهم قل ما اسالكم من اجر وما انا من المتكلفين بان اقول على الله ما لم يقل
شيئا ليس عندى وليس الغرض من قوله هذا اعلامهم بفائدة هذا الخبر بل استشهادا بمعرفتهم
حاله على صدق مقاله ان هو الا ذكر للعالمين اى القرآن موعظة للثقلين وهذا ابلغ
من قوله ذى الذكر فى اول السورة فانتظم الخاتمة مع الفاتحة ولتعلمن نبأه بعد حين
بعد الموت او قيام الساعة او ظهور الاسلام وفيه تهديد ووعيد شديد تمت السورة
والحمد لله

سورة الزمر مكية وهى خمس وسبعون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب مبتدأ مخبر عنه
بقوله من الله العزيز الحكيم او خبر مبتدأ محذوف اى هذا والجار صلة التنزيل
او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف او حال عمل فيه معنى الاشارة لان المقدر كالملفوظ
والكتاب على الاول القرآن لاطلاق اللفظ وفخامة المعنى وعلى الثانى السورة بقرينة الاشارة
والاول اوجه لما ذكرنا ولقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا به او بسبب اظهاره
فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين عن شوب الشرك والرياء الا لله الدين
الخالص اى تنبهوا ايها السامعون بان الذى يجب ان يخلص له الدين هو لا غير لاتصافه
بصفات الجلال والجمال والاطلاع على الاسرار والذين اتخذوا من دونه اولياء
المسكن فى اتخذ والموصول وهم العابدون والخبر يقولون مقدرا قبل قوله ما نعبدهم

تمام توجه كرها او نرمانا

بان تكون علاوة اللفظ ونجازة المعنى ١٢ م

الا ليقربونا الى الله زلفى او الخبر ان الله يحكم بينهم والقول حالا والموصول للمعبودين والمساكن للمشركين وان لم يسبق ذكرهم لدلالة السياق والعايد الى الموصول محذوف اى الذين اتخذهم المشركون اوليا ويتعين ان الله يحكم بينهم للخبرية والقول المقدر حال وقيل بدل من الصلة وليس بذلك اذ حذف البدل مناف للمقصود منه فيما هم فيه يختلفون اى العابدون والمعبودون واختلافهم انهم يلعنونهم ويتبرؤن منهم وهم يرجون تقربهم الى الله او الفريقان من المؤمنين والكفار واختلافهم ظاهر والحكم بينهم او حال المحق الجنة والمبطل النار ان الله لا يهدى لا يوفق من هو كاذب كفار اى لا يهديهم والاتيان بالمظهر لتعليل الحكم وايثار صيغ المبالغة فى الوصف الثانى لانه منشا الاول لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشا اى لو اراد اتخاذ الولد لا متنعت تلك الارادة اى تعلقها لان الاتخاذ محال والارادة صفة ترجح بعض الممكنات فحذف الجواب وجى بدله لاصطفى اشارة الى ان الممكن فى حقه هو هذا لان المخلوق لا يماثل الخالق فلا يتاتى التوالد حقيقة فلو ههنا مثلها فى قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ثم اشار الى دليل الامتناع بقوله سبحانه هو الواحد هو الاله لا غير فلو كان له ولد لكان جزء منفصلا منه والواحد الحقيقى من كل جهة لا يعقل فيه ذلك ولانه يماثل الوالد فى تمام الماهية فيمتاز كل منهما بتعين ولا يستند ذلك التعين الى الماهية والا لانحصرت فى فرد فيكون لسبب منفصل وهو عين الاحتياج تعالى عن ذلك القهار الذى لا يغالب وكل شئ تحت قهره فينافى الزوال المحوج الى الولد الذى يقوم مقامه ثم بين ذلك بما لا مزيد عليه بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل التكوير اللف من كار العمامة وكورها لفها على راسه ولما كان الليل والنهار خلفة يعقب كل منهما الاخر شبه احاطة كل منهما بالاخر اى بمكانه بان يصير اسود مظلما بعد ما كان ابيض مشرقا وبالعكس باللباس الملفوف على صاحبه او شبه تغييب كل منهما الاخر بستر الشئ الظاهر عن مطامح الانظار ولما كر كل منهما على الاخر كرورا متتابعا كتتابع اكوار العمامة شبه وهذا اوجه لاشتماله على الزيادة وهى الاطراد الدال على كمال الاقتدار ولا يضر كون الاكوار فى العمامة متظاهرة وفيهما متعاورة وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى منتهى دوره ومنقطع حركته الا هو العزيز الغفار لما كان الدليل الذى ساقه يحسم مادة توهم الولد بل الشريك مشتملا على كمال الاقتدار ومنه مجاز فيه معنى الراقة بما اشار اليه من التكوير الذى هو مدار الراحة والكسب ذيله بالوصفين ترغيبا للمذنب فى التوبة وترهيبا للمصر بالعقاب خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها قدم دلايل الافاق لكونها اظهر وقد يقدم دلايل الانفس لكونها اغرب وابدع باعتبار المقامات وفيها ثلث دلالات الاول خلق ادم من تراب ولم يصرح به لشهرته الثانى اخراج حوا من ضلعه الاقصر وثم للتراخى رتبة لان خلقها على النمط المذكور ابدع من تشعب الخلق الكثير من ام واب او عطف على مقدر اى خلقكم من نفس واحدة خلقها ثم خلق منها زوجها وقيل خلقكم اشارة الى اخراجهم فى عالم الذر وخلقها فى هذا العالم وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج هى التى عدها فى الانعام من الابل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضان اثنين والمعز اثنين والانزال اما انزال الماء الذى هو سبب معيشتها او لان قضاياه تعالى توصف بذلك لانها مسطورة فى اللوح او لانه انزل هذه الاجناس من الجنة والزوج اسم لكل شئ معه آخر من جنسه فاذا انفرد فهو فرد وتر يخلقكم فى بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر وخص الانسان لانه المقصود ويعلم حال البواقى منه او هو على طريق التغليب خلقا من بعد خلق بشرا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد مضغ من بعد علق من نطف فى ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والبطن والرحم ذلكم الموصوف الله ربكم الذى اوجدكم له الملك السلطان دون غيره لا اله الا هو فانى تصرفون كيف يعدل بكم بعد هذا البيان الى الشرك تعجيبا ان تكفروا فان الله غنى عنكم لان ذاته كافية فى كل كمال تعالى عن ان ينتفع بخير او يتضرر بشر ولا يرضى لعباده الكفر لكل عبد فان الرضى ايثار الشئ مع الاستحسان فهو اخص من الارادة يقابل السخط والارادة الكراهة فيهما غيران بالضرورة ثم فى العدول من الخطاب اشارة الى كونهم عبيده يقتضى ان لا يرضى لهم بذلك وانهم اذا اتصفوا بالكفر خرجوا عن ربقة العبودية ثم اشار الى مزيد الاختصاص بقوله وان تشكروا يرضه لكم قراه ابو عمرو فى رواية السوسى وهشام عن ابن عامر والدورى عن ابى عمرو فى احد الوجهين باسكان الهاء لما نقل الفرآء ان العرب تسكن ها الضمير اذا تحرك ما قبلها وضم بلا صلة عاصم وحمزة وهشام فى وجه ونافع وبالضم والصلة ابن كثير والكسائى وابن ذكوان والدورى فى الوجه الاخر وهو الاصل لوقوع هاء الضمير بين متحركين ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور بمضراته واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه لا يخطر بباله غيره لزوال ما ينازع العقل ثم اذا خوله اعطاه مالا وملكه من الخول وهو العطا الذى لا يقصد به عوض اذا كان له وقع لان اصله التعاهد والحفظ يقال فلان خايل مال اذا اصلحه وقام بامره ومنه حديث ابن عمر كان رسول الله يتخولنا بالموعظة كراهة السآمة علينا او من الخول وهو الافتخار والتكبر ومنه الخيال لانه يوقع فيما لا حقيقة له نعمة منه كاينة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل قبل الضر الذى كان يدعو الله لكشفه او الله الذى كان يتضرع اليه وما كما فى قوله والسما وما بناها اريد بها الصفة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله تعليل للجعل وان لم يكن غرضا وقرا ابن كثير وابو عمرو ويضل بفتح الياء والضم ابلغ دلالة كل مضل ضال قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد لا يراد منه وجود الفعل انك من اصحاب النار افناطا عن نعيم الجنة امن هو قانت اناء الليل قايم بوظايف الطاعات فى ساعات الليل لان القيام فيها اشق واستر وابعد من الريا واقرب الى الاجابة ام متصل ومعادلها محذوف لتقدم ذكر الكافر ولقوله قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون والاستفهام للتبكيت كانه بعد ما لخص الموجب لا خلاص لدينه قال سلهم بل من اثر الكفر كمن قام بشكر النعمة ويجوز ان يكون منقطعة كانه قال اعرض عن بيان الموجب لانه جلى وقل اهذا خير ام ذاك وقرا نافع وابن كثير وحمزة امن مخففا على انها همزة استفهام دخلت على من الموصول والمعادل محذوف لما تقدم ساجدا وقايما حالان يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه حال اخرى او استيناف للتعليل قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون اى هل يستوى القانت وغيره وانما اثرنا فى التنزيل دلالة على ان ذلك مقتضى العلم وان العلم اذا لم يقترن بعمل ليس بعلم سواء جعل من قامه المظهر مقام المضمر او استيناف سوال تبكيت ويجوز ان يكون على طريق التشبيه اى كما لا يستوى بين العالم والجاهل فكذا بين القانت وغيره ولا ارتياب لهم فى الثانى لانه مركوز فى الطبع وقيل همزة امن حرف النداء كانه قيل يا من هو قانت اناء الليل قل لهم هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون على ان المنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم والوجه هو الاول لوقوف قوابله انما يتذكر اولوا الالباب العقول الخالصة من شوايب الوهم قل يا عبادى الذين امنوا اتقوا ربكم اذ قد علمتم ان الطايع ليس كالعاصى للذين احسنوا فى هذه الدنيا اى اخلصوا الدين لله فيها حسنة واى حسنة وارض

اللهِ وَاسِعَةٌ اعتراض لدفع ما عسى يتعلل به المفرط إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ
أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ من تتمة الاعتراض كانه لما ازاح عللهم بان في ارض الله سعة حال
في خلدهم بل يمكن ان يكون الانسان فارغ البال في غير بلده اجيبوا بان اجر الصابرين بغير حساب
انما هو لاولئك مشقة الهجرة ومفارقة الحباب وعن السدي ان حسنة مبتدأ وفي هذه الدنيا
بيان وللذين احسنوا الخبر والمعنى ان لهم في هذه الدنيا حسنة يسيرة هي الصحة والعافية وتمام
نونه الاجر في الاخرة قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ جواب لقريش لما دعوه
الى ملة عبد المطلب وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ وامرت بذلك الاخلاص لاكون
مقدما في الدنيا والاخرة حائزا قصب السبق ويجوز ان يكون اللام مزيدة يدل عليه قوله
امرت ان اكون اول من اسلم اول المؤمنين اول المسلمين وفائدتها تاكيد الطلب والارادة
ولا تزاد الا مع ان لجبر المنافات من الاصل اذ الاصل في المفاعيل صرائح الاسماء والمعنى امرت
ان اكون اول الذين دعوتهم الى الاسلام اسلاما ويلزم ان يكون اول مسلم في زمانه ومن
قومه واول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ بترك الاخلاص قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي وليس فيه تكرار
الان للاخبار بانه مامور بالاخلاص والثاني امر بالاخبار باختصاصه تعالى به دون غيره
فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ امر تهديد كما تقدم قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ
خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اي ان الكاملين في الخسران الذين اوردوا انفسهم واهليهم
في النار او خسروا اهليهم بان فارقوهم مفارقة لا رجوع بعدها ان كان الاهل من
اهل الجنة او اهليهم في الجنة ان لو كانوا مؤمنين وفي الحديث ما من عبد الا وله مقعد في
الجنة ومقعد في النار أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ استيناف صدره بحرف التنبيه
والمبتدأ اسم الاشارة ووصف الخسران بالمبين بعد توسيط الفصل وتعريف الخبر
مبالغ في خسرانهم ثم زاد عليه بقوله لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ
اي يحيط بهم النار المتكاثفة من جميع الجهات واطلاق الظلل على الاطباق السفلى من اطلاق
اسم الضد او المماثل لتساويهما في الحرارة وقيل لانها ظلل لاخرين ويرد عليه اهل الدرك
الاسفل مع ان التكاثف هناك اشد ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ اي ذلك العذاب المذكور
يخوف الله به عباده يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ اي عبادي المؤمنين فاتقوا العذاب المعد للكافرين
وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ اصله طغيوت او طغووت من الطغيان قدم اللام على العين
فيه مبالغات من حيث التاء والتسمية بالمصدر والقلب اذ لا يصار اليه الا للمبالغة يطلق
على الشيطان حقيقة لانه راس في الضلال وعلى غيره مجازا أَنْ يَعْبُدُوهَا بدل اشتمال وَأَنَابُوا
إِلَى اللهِ اقبلوا اليه بشراشرهم لَهُمُ الْبُشْرَى من الله على لسان الرسل والملائكة
عند الموت فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ اي فبشرهم وايثار المظهر لبيان تعدد
موجب الاستحقاق فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ اي احسن الجائزين بايثار الراجح كالعفو
على القصاص والاغضاء على الانتصار والاصغاء على الاباء وحاصله حراص على ايثار
الافضل فالافضل نقادا وفيه تحقيق الانابة وعن ابن عباس هو الرجل يسمع الحديث
فيه الحسن وغيره فيحدث بالحسن ويكف عما سواه أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ ووفقهم
لذلك الايثار ادكرامنا نا وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ العقول الخالصة عن شوائب
الوهم ثناء عليهم بانهم لم يدنسوا الفطرة أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ
تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ جملة شرطية عطف على مقدر اي انت مالك امرهم فمن حق عليه
العذاب فانت تنقذه وكررت الهمزة لتاكيد الانكار لان الشرط والجزاء جملة واحدة
والاستفهام انما يتوجه الى مضامين الجمل ويجوز تزيدها على الجملتين بتقدير افمن حق

حق عليه كلمة العذاب فانت تخلصه افانت تنقذ من في النار على ان الثانية استيناف
يدل على الجزاء المحذوف وحاصل الوجهين انه نزل استحقاقهم العذاب وهم في الدنيا
منزلة دخول النار اما لان ضلالهم موصل اليه او مثلت حاله صلى الله عليه
في المبالغة في دعوتهم بحال من يريد انقاذ من في النار لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ
غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ قصور عالية مقابل لقوله لهم من فوقهم ظلل
من النار ومن تحتهم ظلل مَبْنِيَّةٌ محكمة لا كعلالي الدنيا تكون اضعف من
الاسافل تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لان الماء الجاري جالب للسرور وَعْدَ اللهِ
مصدر مؤكد لانه كذب وعجز تعالى عنه وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه و
سلم قال ان في الجنة غرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها فقال الاعرابي لمن
هي يا رسول الله فقال لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وصلى بالليل والناس نيام
وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراءون
اهل الغرف كما تتراءون الكواكب الدري في الافق الشرقي او الغربي فقالوا يا رسول
الله اولئك النبيون قال والذي نفسي بيده واقوام امنوا بالله ورسوله أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً المطر او سائر المياه لما روي انه نزل تحت الصخرة ثم يقسمه الله فَسَلَكَهُ
يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ادخله في اعماق الارض حال كونه عيونا تجري في المجاري
كالعروق في الجسد ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ انواعه واصنافه من بر وشعير
وسائر الحبوب او اشكاله وهيأته من السواد والبياض ثُمَّ يَهِيجُ ييبس فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا
من غاية اليبس ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا فتاتا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى تذكيرا يدل على
ان للعالم صانعا مدبرا او على ان هذا مثل الدنيا وسرعة زوال نعيمها فيكون
تنفيرا عنها بعد الترغيب في الاخرة لِأُولِي الْأَلْبَابِ اذ غيرهم لا يتذكر أَفَمَنْ
شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ اشارة الى علة عدم قبول المشركين
ما يدعوهم اليه من الايمان وان ذلك ليس لقصور في الدلائل ولا لعي وفتور
في المبلغ بل لما اسائر الله به من الهداية وفي الحديث ان الله خلق الخلق في الظلمة
ثم القى عليه نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطأ غوى وشرح
الصدر كناية عنه لانه محل القلب الذي به الادراك واليه اشار بقوله اذا دخل
النور القلب انشرح له الصدر فقيل هل لذلك علامة قال نعم التجافي عن دار
الغرور والانابة الى دار الخلود والتاهب لما بعد الموت وهذا مثل امن هو قانت
في حذف الخبر وجوده والدال عليه فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ في اسناد حرج
الصدر اليه تعالى والقسوة الى قلوبهم اشارة الى سبق رحمته أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ ظاهر بادي التامل نزلت في حمزة وعلي وابي لهب وولده اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ
الْحَدِيثِ عن ابن مسعود رضي الله عنه ملوا يوما فقالوا حدثنا يا رسول الله فنزلت
ثم ان ايقاع اسم الجلالة مبتدأ وبناء نزل عليه دليل على احسنيته لصدوره
ممن لا يتصور اكمل منه فهو احسن حديث صدر من اكمل متكلم كِتَابًا مُتَشَابِهًا بدل من
احسن اي متشابها ابعاضه في الصحة والاحكام والبناء على الصدق والحق وتناسب الالفاظ
وتجاوب النظم وتاليف في الاعجاز مَثَانِيَ جمع مثنى من التثنية او مثنى مفعل من الثني لان
اقاصيصه واحكامه ومواعظه تكررت في اساليب مختلفة وفيه رمز الى نوع اعجاز وذلك ان كل
حديث اعيد يمج في المسامع بخلاف القرآن فانه كلما اعيد حلا وازداد جمالا فكان الوصف
مؤكد الاحسنية او جمع مثنية لاشتماله على الثناء على الله والرسل والملائكة والمؤمنين وانما

رواه الترمذي
لا يخلف الله الميعاد

رد على الكشاف حيث جعلها وجوها متعددة منه

رد على البيضاوي والكشاف منه

بناء طاغوت للمبالغة كالرهبوت والرحموت منه

وصف الكتاب باعتبار تفاصيله لقيام المعنى بها لا بالجملة ويجوز ان يكون مثاني بيانا لمتشابها
كقولك رأيت رجلا احسن شمائل فيفيد التشابه والاول املا، معنى تقشعر منه جلود الذين
يخشون ربهم تضطرب للخوف بذكر اثاره وتشبيه حاله باخرى على طريقة التمثيل او ذكر
لذكر لازمه او هو تحقيق الواقع وانهم اذا سمعوا تلاوة القرآن تعتريهم تلك الحالة والاقشعرار
انقباض الجلد ووقف الشعر ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله الى رحمة الواسعة وانما لم
يذكر لاشتهاره تعالى بسبق الرحمة فلا يسبق من ذكر الله الى الخاطر غيرها وقد دل عليها لين
الجلود والقلوب ايضا وانما لم يذكر القلب اولا لان اقشعرار الجلد منشاؤه خشية القلب وقدم
الجلود ثانيا اشارة الى فرط رحمة وشدة سرايتها ذلك هدى الله يهدي به من
يشاء ذلك الكتاب والمنعوت نفس الهداية التي يوفق الله بها كقوله هدى للمتقين
في ايثار من يشاء على الضمير تفخيم لشأنهم كأنهم ممتازون من سائر العباد لكونهم مصب
المشيئة ومن يضلل الله فما له من هاد اذ خلاف مراده محال افمن يتقي بوجهه سوء
العذاب مثل آخر للمؤمن والكافر كقوله امن هو قانت وقوله افمن شرح والمقابل محذوف
للعلم به اي كالآمن وذكر الوجه لان الكافر يلقى في النار منكوسا مغلولة يداه الى عنقه فلا
يقدر ان يتقي الا بوجهه يوم القيمة متعلق يتقي او هو من تتمة سوء العذاب والمعنى افمن
يتقي عذاب يوم القيمة كالمصر على الكفر ويجوز ان يراد بالوجه الجملة والاصل العذاب السوء
وصفا بالمصدر ثم قدم الوصف واضيف مبالغة وقيل للظالمين يقال لهم
وايثار المظهر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بالموجب والواو للحال ذوقوا ما كنتم
تكسبون اي وباله كذب الذين من قبلهم شرع يهددهم بعد ضرب الامثال
وشرح مباين الاحوال وما للكفار من الويل والاهوال كانه يقول ان لم يكن لهم قلوب
يعقلون بها فلا اقل من ان يدركوا المحسوس فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
فاجاءهم بغتة من جهة لا يتصورون مجيء الشر منها وذلك افظع لان توطين النفس على الشدة قبل
اللقاء مما يهون فاذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا بالقتل والسبي والخسف وغيرها
ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون اولئك او هؤلاء لاعتبروا ولقد ضربنا للناس
في هذا القرآن من كل مثل مما يحتاج اليه تتميم لما تقدم من الامثال وتمهيد لما سيضربه
لعلهم يتذكرون لان المثل يجعل المعقول كالمحسوس قرآنا عربيا حال مؤكدة
لان ذكر الموصوف للتمهيد كانه قال عربيا محققا غير ذي عوج لا عوج فيه
بوجه قط لانه في سياق النفي وهو ابلغ من قولك لا عوج فيه لانه يحتمل المبالغة كما لا في
الاعلى ولذلك اوثر على مستقيما وغير معوج والاختصاص بالمعاني لعلهم يتقون بعد ذلك
التذكر ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل ارشده الى
طريق المحاجة النكت في اوانها فكأنه قال اضرب لقومك هذا المثل وقل لهم ما تقولون في عبد
مشترك بين شركاء مختلفين فيه متعالين فيه يتنازع في خدمته كل منهم على حسب اغراضهم ثم هو مع
هذا التعب متحير في شأنه لا يدري على من يعتمد وممن يطلب مؤنته فهو دائما ضائع الحال مضطرب
فهمه شعاع وقلبه اوزاع وآخر لواحد من غير شركة فيه فهو فارغ البال رضي الحال احواله مضبوطة
ومقاصده بالنجاح منوط فهذا مثل من يثبت آلهة شتى يتغالبون فيه فلا يدري على ايهم يعتمد
ولا احد منهم يقوم بامره ومن لا يثبت الا الها واحدا يقوم بما كلفه والمولى راض عنه بلا
خطه بعين عنايته وقرأ ابن كثير وابو عمرو سالما بالالف بعد السين اسم فاعل اي خالصا
عن الشركة والباقون بفتح اللام من غير الف مصدرا بمعنى الخلوص اما بتقدير مضاف او
جعل عينه مبالغة كرجل عدل وعليه الرسم هل يستويان مثلا نصب على التميز اي

اي هل يستوي المثلان مثلين كلا لا يستويان وهم معترفون بذلك فهم اذا محجوجون مبكتون
مثلا الحمد لله اي قل الحمد لله على ما انعم عليك بل اكثرهم لا يعلمون انك لم تحمد الله اولا
يعلمون ان المحامد تختص به لا يشاركه فيها احد انك ميت وانهم ميتون اثر الميت
على المائت مع ان المعنى على الاستقبال لان من كان الموت طوق نحوته عين موته وان طال المدى
ثم انكم يوم القيمة على تغليب المخاطب عند ربكم تختصمون بالبرهان على انك احتججت وبالغت
وتعتذرون بما لا طائل تحته مثل قولهم انا وجدنا آباءنا وقولهم انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
وقيل الاختصام اعم من ان يكون بينه وبينهم او بين المؤمنين والكفار والمؤمنين بعضهم مع
بعض وهذا منقول عن جل الصحابة والتابعين وذلك لان ضرب المثل للقبلين ولعموم الموت
والتعبيد في قوله بل اكثرهم واما قوله فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق
وقوله والذي جاء بالصدق فانما يدل على دخولهم معهم دخولا اوليا والكذب على الله بنسبة
الولد اليه والصدق ما جاء به محمد جعل نفس الصدق مبالغة اذ جاءه من غير تأمل بل
عنادا ومكابرة اليس في جهنم مثوى للكافرين فهو كاف لهم مجازاة والذي جاء
بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وصدق به ابو بكر وفيه
ان تقدير الموصول غير جائز ويجوز ان يراد الجنس ويقدر قبل فوج او فريق لقوله
اولئك هم المتقون والاحسن ان يراد رسول الله والاتباع يدخل بدلالة السياق
لقوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون لهم ما يشاؤن عند ربهم من انواع
الكرامة ذلك جزاء المحسنين كل محسن ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم
باحسن الذي كانوا يعملون اضافة الاسوأ والاحسن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه كاعلم قريش
والاشج اعدل بني مروان من غير مشاركة المضاف اليه في اصل المعنى مع قصد التفضيل على
معنى ان الزلة المكفرة عندهم هو الاسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو
الاحسن عند الله حيث جازاهم على الحسن مجازاته على الاحسن اليس الله بكاف عبده
رد لمقالة المشركين حيث زعموا ان محمدا اصابه آفة لذمه آلهتهم سمة الانكار دخلت على النفي فافادت
تقرير الاثبات اي كاف وقرأ حمزة والكسائي عباده اي الانبياء كلهم او رسول الله واتباعه و
الافراد اوفق بقوله ويخوفونك بالذين من دونه وقوله انا كفيناك ومن كفايته كفه
امته فهذا هو الوجه وعليه الرسم ويؤيده انها نزلت حين ارسل خالدا لكسر العزى فقال له سادنها
احذرك يا خالد ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل
اذ لا راد لقضائه ولا شيء دون ارادته اليس الله بعزيز غالب ذي انتقام من اعدائه فما
لهم يخوفونك بعد علمهم بهذا ثم استدل على ذلك بقوله ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله لا يقدرون على غير هذا القول قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان
ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
اي انقرون بانه المنفرد بالخلق فاخبروني عن حال آلهتهم ان اراد ذلك الموصوف المنفرد بايصال
خير او ضر الي بل تقدر على منع شيء من ذلك وانما انث الضمير بعد قوله بالذين من دونه تحقيرا
وتبعيدا عن رتبة الضر والنفع لان الانوثة تنبئ عن الرخاوة والعجز وتقديم الضر لان دفعه
اهم واهون وقرأ ابو عمرو كاشفات ممسكات منونا ناصبا ما بعده لانه اسم فاعل معتمد على
صاحب روي انه لما تلا عليهم سكتوا فنزل قل حسبي الله اي كافيني عليه يتوكل المتوكلون
لتفرده بايجاد الضر والنفع قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انه ترادف المكان شاعت
في الاحوال والرتب استعارة محسوس لمعقول وقرأ ابو بكر بالجمع للتوزيع اني عامل لم يقل
على مكانتي ليقابل به مكانتهم لعدم استمراره على حال بل شأنه في التزايد كل يوم وقد دل
عليه قوله فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه في الدنيا ويحل عليه عذاب مقيم دائم

في الاخرة فانه اشارة الى كونه منصورا مظهرا دين الله على الدين كله انا انزلنا عليك
الكتاب للناس لاجل نفعهم بالحق بالتوحيد والدين الثابت فمن اهتدى
فلنفسه اذ نفعه لا يتجاوزه ومن ضل فانما يضل عليها كذلك وما انت عليهم
بوكيل مسلط تجبرهم كان عليك البلاغ وقد قمت به قيام الايد الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها تقرير لما تقدم من تفرده بالالوهية
واشارة الى ان الاضلال والهداية كالاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والنفس ترادف
الروح وهي الجسم النوراني في البدن باتصاله الحيوة وبانفصاله الممات فان قلت التوفي
اخذ الشئ كملا فكيف يستقيم في النايم قلت النايم والميت في عدم الحس والارادة سواء
وبقاء التعلق لا يمنع ذلك الاطلاق وما روى عن ابن عباس ان في ابن ادم نفسا وروحا
بينهما مثل شعاع الشمس فبالنفس التعقل والتميز وبالروح التحرك فالمقبوض عند النوم النفس
دون الروح لم يوافق عليه ولا دل في ذلك برهان الله اعلم بصحة النقل عنه فيمسك التي
قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى الوقت المضروب لموته وقرا حمزة والكسائي
قضى على بناء المجهول ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون في نوعي الاماتة الامساك والارسال
ام اتخذوا من دون الله شفعاء تشفع لهم قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون
اي او يشفعون ولو كانوا جمادات لا قدرة ولا علم لها قل لله الشفاعة جميعا لا يملك احد
منها شيئا الا باذنه كانوا يقولون ان الاصنام تماثيل لاناس مقربين عند الله او الملائكة رد ذلك
بان اولئك ايضا لا يملكون شيئا من الشفاعة لاختصاصه به تعالى له ملك السموات
والارض تقرير لذلك الاختصاص ثم اليه ترجعون يوم القيمة وله الملك
في ذلك اليوم على ابلغ وجه لانقطاع التعلقات كلها لقوله لمن الملك اليوم واذا
ذكر الله وحده اشمازت انقبضت من التوحيد من شمز شمزة زايده وعن ابي زيد اشماز
ذعر قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه مما يعبدونه اذا هم يستبشرون
فاجاوا الاستبشار والامتلاء سرورا لشدة غفلتهم واغراقهم في الكفر حتى لم يتوازوا مبدع الكاينات
بتلك الجمادات قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة بلغ غلوهم في
الكفر وشدة شكيمتهم الى انه لم يبق الا الالتجاء الى رب العباد بان يحكم بينه وبينهم وفيه
اشارة الى ما اتى به من بذل المجهود وبلوغ اقصى الغايات بمكان عند الله حيث امره بهذه
المقالة انت تحكم بين عبادك في ابتنائه على قوله احكم بيني وبينهم مبالغة اخرى وكذا
في اجراء الاوصاف الدالة على كمال الاقتدار واحاطة علمه بالجناية ايماء الى ان الانتصار والبطش
الشديد فيما كانوا فيه يختلفون من التوحيد والشرك والحق والباطل ولو ان للذين ظلموا
ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة اجابة لدعائه بانه قد
اعد لهم عذابا لو كان لاحدهم الدنيا ومثلها معها لافتدى نفسه بها لم يقبل منه وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون من العذاب الذي لم يخطر على قلب بشر كما لاهل الجنة ضد ذلك
وقيل من اعمال عملوها على انها حسنات فاذا هي سيئات قال ابن دريد حسبت كذا اجرا عند
الله وبدا لهم سيئات ما كسبوا من اعمالهم حين عرضت الصحايف او جزاؤها كقوله
وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن احاط بهم جزاؤه فاذا مس
الانسان ضر دعانا لكشفه والعطف بالفاء دون ما تقدم اول السورة لسببية ما قبل
كانه قال انا اذا ذكر الله وحده اشمازوا واذا مسهم ضر والم دعوا الذي كانوا يشمازون من
ذكره ونسوا ما كانوا يستبشرون بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم
ثم اذا خولناه نعمة منا كائنة منا تفضلا وتحقيق معنى التخويل تقدم في اول السورة قال
انما اوتيته اي ذلك الحظ من النعمة او ما في انما موصولة والضمير لها على علم مني بوجوه

بوجوه كسبه او باني ساعطاه لما في من الاستحقاق او لعلمه تعالى بذلك بل هي فتنة ابتلاء وامتحان
ليمتاز الشاكر من الكافر وتانيث الضمير باعتبار اللفظ او الخبر كقوله هذا حاجتك
ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك دليل على ان الانسان للجنس او الاكثر بمعنى الكل كالقليل
بمعنى المعدوم قد قالها الذين من قبلهم اي مقالة مثل مقالة هؤلاء وهم قارون والذين
قالوا نحن اكثر اموالا واولادا فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من تلك الاموال فاصابهم
بعد تلك المقالة عن قرب سيئات ما كسبوا جزاؤها والذين ظلموا
من هؤلاء المشركين سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وما هم
بمعجزين الله اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر باعتبار الاوقات فدل
ذلك على ان البسط ليس لذاته وانما هو بمشيته تعالى ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون
بان المؤثر في الكاينات هو وحده ولما شدد في الوعيد وبدد اردفه بما يدل على رحمته
الواسعة كل شئ السابقة غضبه بان امر رسوله بان يسكن خوف المؤمن والكافر بقوله قل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا في الظلم حاملين عليها لا تقنطوا من
رحمة الله روى البخاري ومسلم ان ناسا من اهل الشرك كانوا قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا
قالوا يا محمد ان ما تدعو اليه لحسن لو علمنا ان لما عملناه كفارة فنزلت فبسط ما قبلت
اضافة العباد اليه تخصص بالمؤمنين ثم توسيط ان الله يغفر الذنوب جميعا
مصدرا باسم الجلالة الدال على الالوهية المستلزمة للغنى المطلق وانه لا يبالي في كل ما
يفعل ويحكم بين المعطوف والمعطوف عليه وتعقيبه بقوله انه هو الغفور الرحيم الدال
على انحصار الغفران والرحمة فيه كون الجمع المحلى باللام مفيدا للاستغراق نص على ان شرط التوبة
كلام من حاد عن الحق هذا وله نظاير كقوله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وتقييد المشية بالتوبة كنسج العنكبوت وقرا ابو عمرو
والكسائي لا تقنطوا بكسر النون وقد تقدم انها لغات وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل
ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اي توبوا الى الله واخلصوا له العمل قبل فوات وقته لان مغفرة
لغير التائب ليست بلازمة والعاقل يفر من مظان الاذى واتبعوا احسن ما انزل
اليكم القران لانه احسن الحديث او الناسخ منه او المامور به دون المنهي عنه او العزايم
دون الرخص من ربكم من سيدكم المربي لكم بالارشاد الى الكمال من قبل ان ياتيكم
العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه ان تقول نفس كراهة ان تقول والتنكير لان القايل
بعض النفوس وهي الكافرة او النفس الممتازة بشدة الكفر وعظم العذاب او للتكثير يا حسرتا
على ما فرطت في جنب الله في طاعة مستعار من الجارحة لما يلزم الشئ كقول سابق البربري
اما تتقين الله في جنب عاشق له كبد حرى عليك تقطع وان كنت لمن الساخرين كانه
قال فرطت وانا ساخر او للحال او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين الشرك
والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين ثم وجه
هذا الترتيب ان النفس اذا رات اهوال يوم القيمة عند تطاير الصحف ومجازاة الناس
باعمالهم تتحسر على التفويت ثم تتعلل بان التقصير لم يكن منها ثم تتامل في ان هذا لا يجدي
نفعا لوقوع التقصير منها فتاخذ في تمني الرجوع واذا تقرر هذا علم ان او ههنا مثل او في
او كصيب دلالة على ان كل واحد يكفي صارفا عن الكفر وداعيا الى اتباع احسن ما انزل
بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد للقرينة الثانية
وهي قوله لو ان الله هداني وانما فصل عنها لئلا ينفك نظم القراين ولو اخرت الثانية لاختل
الترتيب الذي عليه الوجود كما تقدم انفا وتذكير الخطاب على ارادة الشخص ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله كل كذاب على الله وجوههم مسودة جملة موضحة حال من تعلق به

رد على القاضي

الرؤية اوحالية وقيل في محل النصب مفعول ثان لان الرؤية القلب وفيه ان الغرض بيان تصاحبهم بلايم رؤية القلب اى لهم وابراز المظهر للاشعار بالعلية اليس في جهنم مثوى للمتكبرين والاستفهام للتقرير وينجي الذين اتقوا بمفازتهم بفلاحهم اسم مصدر من فاز بكذا ظفر به اواسم مكان بمعنى النجاة لان النجاة من اعظم الفلاح او المراد العمل الصالح او الايمان من اطلاق اسم المسبب على السبب وقراء الكوفيون غير حفص بصيغة الجمع لمطابقة المضاف اليه لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون استيناف لبيان الفوز على الوجه الاول وحال على الثاني الله خالق كل شيء عاد الى ادلة التوحيد بعد توفيه مقام الوعد والوعيد حقه وهو على كل شيء وكيل حافظ رقيب له مقاليد السموات والارض كناية عن كونه مالك الامور بيده ازمتها لان حافظ الخزاين هو الذي بيده مقاليدها جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كالمذاكير جمع ذكر وقد روى ابن ابي حاتم عن عثمان انه سأل رسول الله عن المقاليد فقال له يا عثمان ما سألني احد قبلك هي لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ولعل المراد ان من مجده بها فاضت عليه سجال نواله والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بينجي الله الذين اتقوا والتقدير وينجي الله المتقين والذين كفروا بايات الله اولئك المخصوصون بعدم النجاة او بما يليه كانه قيل له مقاليد السموات والكافرون يجحدون ذلك اولئك هم الخاسرون وهذا الحسن لقربه ولان قوله وينجي الله متصل بقوله ويوم القيمة ترى الذين كذبوا فلا يحسن ان يقال بعده والذين كذبوا كذا وكذا والمراد بايات الله دلايل قدرته قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون اى اترون هذه الدلايل فغير الله تأمروني اعبد وانتصاب غير اما باعبد وتأمروني اعتراض والمعنى افغير الله اعبد بامركم ولولا هذا التقدير لما صح لان ما في حيز المصدر لا يتقدم او بما دل عليه تأمروني اعبد اى التعبد وني بمعنى يقولون لي اعبد غيره والاصل ان اعبد فحذف ان كما في قوله الا ايها الزاجري احضر الوغى قرأ نافع تأمروني بنون واحد اكتفاء بها وابن عامر بنونين الاولى نون الاعراب والاخرى نون الوقاية والباقون مشددا بادغام الاولى في الثانية ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك اللام الاولى موطئة والثانية لام جواب القسم السادّ مسد الجوابين وهذا الكلام على سبيل الفرض في الرسل لايقاظ المؤمنين واقناط الكفار والمعنى اوحي اليك والى كل واحد من الرسل هذا القول لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين لحبوط عملك مقيد بالموت عليه لقوله فيمت وهو كافر او في الدنيا بعد الكفر اتفاقا والسابق عليه ايضا عند طايفة والقول بان هذا من خصايصهم لا سند له مع فوات الغرض وهو تحذير الامة بل الله فاعبد رد لما كانوا يدعونه اليه من استلام اوثانهم اى اقصر عبادتك عليه وكن من الشاكرين على هذا التوفيق وما قدروا الله حق قدره من عرف قدر شيء عظمه على حسبه فعبر عن اللازم بالملزوم ثم نبه على عظمته وكبريائه والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولما دلت البراهين على انه منزه عن الجارحة والقبض بها فاما ان يؤول المفردات بمعان مجازية تناسب التي تجري فيها الافهام والاوهام بالنسبة الى قدرته على طريق التمثيل والتخييل فان قلت اللفظ المستعمل في المعنى لا يخلو عن كونه حقيقة او مجازا فما وجه ما ذكرته قلت المراد عدم الالتفات الى معاني المفردات بالنظر الى الموصوف المجرى عليه وهو الله تعالى شانه اخذ الزبدة الكلام ولا يقدح ذلك في استعمال المفردات في احد المعنيين من حيث هي والارض

والارض اى الارضون السبع لقوله والسموات ولاقتضاء المقام ذلك ولذلك اكد قبل مجي الخبر بقوله جميعا ومنه يظهر ضعف ارادة الابعاض البادية والغامرة قبضته والقبضة من القبض اطلق على المقبوض تسمية بالمصدر كما روى انه صلى الله عليه وسلم نهى عن خطف السبع والماء على اصبع وكقولهم الجزور اكلة لقمان واشار بلفظ اليمين في السموات لدلالته على زيادة الاقتدار اللايم لعظمهن روى البخاري باسناده الى ابن مسعود رضي الله عنه ان حبرا من احبار اليهود قال يا محمد ان الله يجعل السموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والثرى والماء على اصبع والخلايق على اصبع فيقول انا الملك فضحك رسول الله ثم قرأ الاية سبحانه وتعالى عما يشركون به من الجمادات ما ابعد ما راموا ثم بعد ما لم يبق ريبة في ادلة التوحيد بضرب الامثال في طرق شتى حتى وضح الصبح لذي العينين شرع في المقصود وهو بيان كيفية وقوع الساعة وما فيها من الاهوال ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله هذه هي النفخة الاولى التي يموت فيها كل حي الا الحي القيوم وقيل هي الثانية لمغايرتها نفخة الفزع والمستثنى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يموت ميكائيل واسرافيل ثم جبرئيل وملك الموت واتهما مقدم خلاف وقيل الشهداء وقيل موسى عليه السلام لما تقدم في سورة النمل ثم نفخ فيه اخرى وهي نفخة البعث فاول من يحيى بعد الصعق اسرافيل صاحب الصور والعطف بثم لما روى ان بين النفختين اربعين يوما فاذا هم قيام ينظرون ينظرون ما يفعل او يقلبون ابصارهم حيرة كالمبهوت واشرقت الارض بنور ربها عبر عن الحق والكتاب والدليل بالنور الذي هو الظاهر في نفسه المظهر لغيره وقد استعير هنا للعدل الذي يقيمه في ذلك اليوم وقد دل على ذلك اضافته الى اسمه ثم اضافة اسمه الى الارض اذ بنشر العدل وبسطه رونقها وكما افتتح الاية ختمها بنفي الظلم ولقوله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة ولان ما عطف عليه من وضع الكتاب وما بعده تفاصيل العدل وملايماته وقيل هو عرض يخلق في الارض من غير شمس ولا قمر وقيل هو نور التجلي الجلالي او الجمالي باعتبار الاوقات ووضع الكتاب ديوان القضاء وهو اللوح المحفوظ فيه كل حركة وسكون او كتاب الحفظة واكتفى باسم الجنس وجيء بالنبيين والشهداء المؤمنين من امتهم يشهدون لهم بالتبليغ او الكتبة او من استشهد في سبيل الله فانهم كانوا حول العرش طايفين متقلدي السيوف يحضرون ذلك اليوم وجاءت كل نفس معها سايق وشهيد وقضي بينهم بالحق بين العباد وهم لا يظلمون بنقص حق او زيادة عقاب ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه تقرير لما تقدم لان القضاء بالحق لا يكون الا كذلك وهو اعلم بما يفعلون من الاعمال وصفاتها من الاخلاص والريا وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ساقهم الملايكة بعد القضاء الى جهنم سوق الدواب بالعنف عطاشا عميا والزمر جمع القليل شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة ولعله بالنظر الى الجمع والمراد طوايف الكفار مع ما عبدوه يتبعونه الى النار حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها حين وصولهم بلا لبث وقال لهم خزنتها على وجه التوبيخ الم يأتكم رسل منكم من جنسكم استفهام تقرير يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا لقاء ما فيه من الجزاء وفيه دليل على انه لا تكليف قبل البعث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين اى علينا وذكر المظهر للاشعار بالعلية والكلمة قوله لاملأن جهنم اعترفوا بان لم يكن للرسل تقصير ولا في الايات من خفاء وانما الصارف القضاء الازلي الذي لا يتبدل قيل ادخلوا ابواب جهنم طبقاتها بقدر مراتبهم في الكفر وابهم القايل تهويلا اذ من حقهم ان يقول لهم هذا القول كل قايل خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين جهنم اللام للجنس لان كل من ستر الحق وانكره

فهو متكبر وفي الحديث الكبر هو الترفع على الناس وغمط الحق وسيق الذين اتقوا ربهم
الى الجنة زمرا طوايف النبيين والشهداء والعلماء والزهاد وسوق هولاء سوق مراكبهم
ليصلوا الى الحور والقصور سريعا كما كانوا يسارعون الى الخيرات حتى اذا جاؤها وفتحت
ابوابها وجدوها مفتحة الابواب قبل مجيئهم اكراما واجلالا كما نرى الملوك في الدنيا كذلك
وقال لهم خزنتها سلام عليكم امن من كل مكروه طبتم فادخلوها خالدين
اى طهرتم عن الذنوب فادخلوا طبقاتها على مراتبكم وترتب الدخول على الطيب والطهارة
اشارة الى انه لا يدخل الجنة الا من طهر عن دنس الاثام اما ابتداء او بالتوبة او بالشفاعة
او بعد تمحيص الذنوب ويجوز ان يكون دعاء من الملايكة كما تقول لمن يكون في سرور طاب
عيشك وقالوا الحمد لله تلذذا لا تعبدا الذي صدقنا وعده بقوله ان
المتقين في جنات واورثنا الارض ارض الجنة ترابها المسك نتبوأ منها حيث
نشاء لغاية اتساعها فنعم اجر العاملين الجنة من كلام الله او من
كلامهم بعد الدخول وترى الملايكة حافين من حول العرش محدقين به دايرين حوله اجلالا
من مزيرة يسبحون بحمد ربهم ملتبسين به حال اخرى او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين
في طوافهم صفات جلاله وجماله وقضي بينهم بالحق اى بين العباد كلهم وقيل الحمد
لله رب العالمين اعاده لان الحمد الاول على التفريق بينهم في الوعد والوعيد والسخط
والرضا وهذا على التفريق في الايمان فريق في الجنة وفريق في السعير وقيل القضاء الثاني
بين الملايكة والحمد منهم على تخصص كل منه بمنزلته ومقامه اللايق والقايل هو المقضي بينهم
او الكون كل ولذلك ابهم ختمت سورة الزمر والصلوة على خير البشر واصحابه اشرف الزمر
من اهل المدر والوبر

سورة الطول مكية وهي خمس وثمانون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم حم امال الحاء حمزة والكسايي وابو بكر وابن ذكوان لان الفها
تنقلب ياء في التثنية اسم للسورة امتنع صرفه للعلمية والتانيث او للتركيب والعلمية او لكونه
على وزن العجمي كقابيل وهابيل او حروف مقطعة وامال امالة كبرى ابن عامر في رواية ابن
ذكوان وعاصم في رواية سعة وحمزة والكسايي صغرى ورش وابو عمرو تنزيل الكتاب
خبر حم او مبتدا خبره من الله العزيز العليم ايثار الوصفين للدلالة على ان من
يجادل اياته جاهل مقهور غافر الذنب وقابل التوب الايتان بالواو للدلالة على
ان التايب فايز بالطلبين غفران الذنوب وقبول التوبة الذي هو من اعظم المقاصد
ولا يمنع ذلك غفران غير التايب والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمع والاضافة حقيقية
لارادة الاستمرار شديد العقاب اضافة لفظية تفيد تنكيره لدلالته على زيادة الانذار
كقوله عند مليك مقتدر لكمال الاقتدار اى لا يوصف ملكه ولا يكتنه اقتداره فهو بدل
على ما نقل عن الزجاج وحده او الكل ابدال او وصف بنية اللام كما قال الخليل في قولك
ما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل كذا انه على نية اللام ذي الطول الفضل الوافر
من الطول بالضم اطول الاستطاعة وفي توحيد صفة العذاب وتكثير صفات الجمال
دلالة على علبة رحمته وانها مغمورة بها لا اله الا هو الا ذلك الموصوف اليه المصير
للجزاء لا الى غيره فلا يعبد غيره ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا بعد ما تبين
ان القرآن تنزيل من الاله الموصوف بالجلال والجمال اشار الى ان المجادل فيه كافر واراد
الجدال بالباطل لقوله وجادلوا بالباطل ولقوله صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن
كفر اراد نوعا منه وهو المراء واما الجدال فيه لايضاح مشكل وازاحة الشبه وبحثه
الفوايد واستخراج الفوايد فهو شان رسول الله والراسخين في العلم فلا يغررك
تقلبهم في البلاد في رحلتي الشتاء والصيف الى الشام واليمن بالتجارات النافعة والمكاسب

والمكاسب المربحة والفاء للسببية مما قبلها اى اذا تبين انهم كفار عند الله فلا ينبغي لاحد ان يلتفت
الى ما هم فيه من الحطام او لكن ايها الرسول كقوله فلا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
كذبت قبلهم قوم نوح رسولهم كما كذبوك هولاء والاحزاب من بعدهم
الذين تحزبوا على الرسل كعاد وثمود وفرعون وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه
قتلا او اسرا يقال للاسير اخيذ وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ليزلقوه عن مقره وفي
لفظ الحق اشارة الى عدم امكان ادحاضه فاخذتهم اى لم يتم لهم ما راموه وتسبب ذلك
لاخذي اياهم جزاء مشاكلا لما هموا به فكيف كان عقاب تعجبوا منه ايها السامعون
فانكم قد شاهدتم تلك الاثار وفيه مزيد تسلي رسوله بانهم ماخوذون عما قليل وكذلك
حقت كلمت ربك على الذين كفروا وقضاؤه انهم اصحاب النار بدل من كلمة و
المعنى كما ثبت للكفار العذاب المستاصل في الدنيا كذلك ثابت لهم عذاب النار و
الموصول معهود وهم كفار قريش واللام محذوف من ان وذا اشارة الى الامم المتحزبة اى
كما حق اهلاك اولئك فكذلك اهلاك هولاء لانهم معاندون يجادلون بالباطل فاتون
باخذك فالعلة متحدة وانما لم يعلل وعلى ان التخلية قبل التحلية بتلك الصفات لان كونهم اصحاب
النار اخرها ونتيجتها الذين يحملون العرش ومن حوله وجه اتصاله بما تقدم هو ان
الجامع بين من يجادل من هولاء بين الاحزاب الكفرة وبين هولاء الملايكة المقربين وبين
المومنين هو الايمان يسبحون بحمد ربهم يقدسونه عما لا يليق بكبريايه مثنين عليه بكل
كمال وانما جعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح لانهم مظهر
الجمال ويؤمنون حامل العرش المقدس الحامد لا يكون الا مومنا وانما ذكر لاظهار شرف الايمان
والدلالة على ان ايمانهم وايمان غيرهم سيان في كونهما بالدليل والبرهان دون المشاهدة و
العيان والمانع خارج عن الطريق السوي ويستغفرون للذين امنوا ربنا فالمعنى
وسعت كل شيء رحمة وعلما توسلوا اليه برحمته الواسعة وعلمه الشامل وجعلوهما تمهيدا
لما طلبوه بقولهم فاغفر للذين تابوا اى رحمتك واسعة وعلمك محيط بما اخفوا وما
اعلنوا وهما يقتضيان ذلك وفيه اشارة الى طهارتهم من كدر الرياء والهوى فان قلت اى
فرق بين هذا وبين قوله ويستغفرون لمن في الارض قلت يحتمل ان يكون هذا مفسرا لذلك وان
يكون من عاما في المومن ترك المعاجلة بالعقاب وادرار الرزق والارتفاق بما خلق من المنافع و
ان كان المومنون هم الاصل في ذلك فان قلت هل لحمل التوبة على التوبة من الشرك وجه قلت لا لفقد
ذكر المومن ولان التوبة عند الاطلاق تنصرف الى التوبة عن الذنوب فان قلت التايب المتبع
سبيل الحق اى حاجة له الى استغفار الملايكة والتايب من الذنب كمن لا ذنب له قلت ليس فايدة
الاستغفار منحصرة في طلب الغفران بل لاظهار شرف الايمان وان المومنين بمكان عند الله حتى
ان حملة العرش والمقربين من الكروبيين يشتغلون بالدعاء لهم الا ترى انا مامورون
بالصلوة على رسول الله الذي يصلي الله عليه وملايكته وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
واتبعوا سبيلك الطريق الموصل الى رحمتك التوبة اشارة الى التخلية وهذا الى التحلية
وقهم عذاب الجحيم تصريح بما علم ضمنا فان المغفور له لا عذاب عليه والتقييد بالجحيم لشدته
ربنا اعادوه تلذذا بذكره وتذللا لعزه وتوسلا به الى ما طلبوه وادخلهم جنات عدن
التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اى ادخلهم
معهم او على الثاني لعموم الوعد انك
انت العزيز الذي لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذي لا يفعل الا الحكمة ومنه الوفاء بالعهد
وقهم السيئات العقابات او على تقدير مضاف اى جزاء السيئات تعميم بعد التخصيص
لان عذاب الجحيم منها وقد علم ان الغرض اظهار شرف المومنين فلا يقدح ان الكبار يكفره

رد على صاحب التقريب

رد على الواحدي

بالتوبة والصغاير باجتناب الكباير او الضمير لمن صلح او المعاصي في الدنيا لقوله ومن تق
السيئات يومئذ فقد رحمته اي من وقيته في الدنيا فقد رحمته في الاخرة وذلك
هو الفوز العظيم لانه ملك الابد بعمل يسير ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة
لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان المقت اشد البغض واذ
تدعون ظرف للمقت الاول ولا يمنعه فصل الخبر للاتساع في الظروف والمعنى ان مقت الله لكم
في الدنيا حين دعاكم الرسل الى الايمان فتكفرون فكفرتم بالله وكذبتم الرسل اشد
من مقتكم انفسكم الان وايثار المضارع للدلالة على استمرار الرسل على الدعوة واستمرار
هم على الكفر او مقت الله يوم القيمة اكبر من مقتكم فيه واذ تدعون تعليل للثاني لانه لم يكن
حين الدعاء قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين الاماتة الاولى السابقة على
افاضة الحيوة على النطف والثانية عند انقضاء الاجال والاحياءة الاولى هي المتعقبة لتلك
الاماتة والاخرى الابدية التي بعد البعث وطوى ذكر الاماتة والاحياءة في القبر لان المنكر
الحيوة بعد البعث منكر لهما هكذا عن ابن عباس وابن مسعود واليه اشير بقوله وكنتم
امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم والتحقيق ان الاماتة لا تستدعي سبق الحيوة حقيقة لانه صرف
المصنوع عن احد الجايزين كنقله عنه كما يقولون للراسم اوسع الدائرة هذا ومن قال ان
الاماتتين هما الاولى المعروفة والتي في القبر لزمه ثلث احياءات فاجاب بان احيا القبر و
البعث نوع واحد وهم ينكرونه بقسميه فكذلك اقتصر على احدهما ورد عليه ان الاماتة في
القبر على ما قال دليل على ان التعدد تخصيص اللهم الا ان يقال المراد بالاحيائين احياءة
القبر واحياءة البعث لانهما المنكرتان ويتفرع عليه قولهم فاعترفنا بذنوبنا
وهي التكذيب بالاماتة الثانية والاحيائين فهل الى خروج من سبيل من طريق فنسلكه
سريعا او بطيئا كلام القانط يقوله تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم اي ما انتم فيه بانه
اذا دعي الله وحده كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك مستمرين
على ذلك الايمان لا ارعواء ولا تدبر فالحكم لله بعد ما اعترفتم العلي الكبير ذي
العظمة والكبرياء فلا يكون عذابه لمن كفر به الا ابدا سرمدا لوقوع افعاله على اتم الوجوه وهو
اللائق بجبروته هو الذي يريكم اياته وينزل لكم من السماء رزقا المطر الذي هو سبب
الماكل والمشرب وما يتذكر وما يلتفت الى هذا الامر الجلي الا من ينيب يرجع عن
الانكار والتقليد ويتدبر فادعوا الله مخلصين له الدين خطاب للمنيبين مسبب عن
الانابة التفت اليهم تقريبا لهم وتنشيطا للاقبال على العبادة او مسبب عن قوله هو الذي يريكم
يعم المؤمن والكافر وما يتذكر الا من ينيب اعتراض يفيد ان الانتفاع بتلك الايات انما هو
للمنيب ولو كره الكافرون ولو غاظ ذلك اعداءكم فكان قد حصل ذلك ووقع التضاد
بينهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران اخران لهو او لمبتدأ محذوف والدرجات مصاعد الملائكة
كقوله ذي المعارج ورفعها دليل على عزته وملكوته كما ان ذي العرش كناية عن ملكه وسلطانه
او درجات ثوابه التي ينزلها اولياءه وهذا انسب بقوله فادعوا الله مخلصين له الدين كما
ان قوله يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده انسب بالاول والروح هو الوحي
الذي به الحيوة الابدية ولذلك اوثر عليه ومن بيان للوحي فالامر هو الحث على الخير
كفا او امتثالا لان تلك الحيوة انما يكون بعد التخلي والتحلي لينذر يوم التلاق
اي الله او الروح او الملقى اليه وهو الرسول وهذا اقرب لفظا واسد معنى ويوم التلاق
يوم القيمة لتلاقي الخلايق والعابد والمعبود بالطلاق او حقا يوم هم بارزون
بدل من الاول اي خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء حفاة عراة او اعمالهم
وسرايرهم لقوله يوم تبلى السراير لا يخفى على الله منهم شيء من ذواتهم وصفاتهم

وصفاتهم واعمالهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قد سبق في حديث موت
الخلق ط ان الله يقول ثلث مرات لمن الملك اليوم ثم يجيب نفسه تعالى بقوله لله الواحد
القهار وقيل ينادي مناد في اهل المحشر لمن الملك فيجيبونه بقولهم لله الواحد القهار اليوم
تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم خيرا فخير وشرا فشر ولا ظلم بنقص ثواب
او زيادة عقاب ان الله سريع الحساب لا يشغله شان عن شان هذه نتايج
تفرده بالملك في ذلك اليوم والتقييد بذلك اليوم لانقطاع العلايق المجازية فيه و
انذرهم يوم الازفة يوم القيمة سميت بها لازوفها اي قربها او الخطة الازفة وهي
حال مشارفتهم دخول النار كقوله فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا اذ القلوب
لدى الحناجر مرتفعة الى حلوقهم زايلة عن اماكنها من شدة الخوف كاظمين عليها
من كظم القربة اذا ملأها وشد فاها والمعنى ممسكين انفاسهم حابسين اياها على
القلوب لئلا يخرج معها او حال من القلوب اي كاظمة على الغم والجمع بالواو والنون لاسناد
فعل العقلاء اليها ما للظالمين اللام فيه للجنس المشار اليه الى الكامل في الظلم وهم الكفار
من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع اذا توجه النفي الى المقيد اما النفي القيد
وحده كما اذا كان عندك كتاب لا تريد بيعه فتقول ليس عندي كتاب ابيعه وتارة يتوجه الى
اصل الكلام فينتفي القيد مع المقيد كما في الاية اذ لا شفيع لهم راسا لقوله ولا يشفعون
الا لمن ارتضى وفايدة ذكر القيد ثم سلبه مع المقيد الاستدلال بانتفاء الموصوف على انتفاء
الصفة كانه قيل كيف يتصور الاطاعة ولا شفيع لهم يعلم خائنة الاعين الخائنة صفة
النظرة وهي الثانية قصدا الى غير المحارم او مصدر كالعافية وجعل صفة العين للابلاغ وما
تخفي الصدور اي مضمراتها والله يقضي بالحق لانه الغني العليم الحكيم ولذلك اعاد
الاسم الجامع والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يحكم به
فضلا عن الحكم والقضاء وقرا نافع وهشام بالخطاب على الالتفات تقريعا وهو احسن ان الله
هو السميع البصير تقرير لعلمه خائنة الاعين ومضمرات الصدور ووعيد لهم بان ما يفعلون
ويقولون بمرأى منه ومسمع وفيه اشارة الى ان شرط القاضي ان يكون سميعا بصيرا او لم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اي قد ساروا و
نظروا في احوالهم لا يعتبرون حتى لو لم يكن عذاب الاخرة كان الواجب ان يحذروا عذاب الدنيا
كانوا هم اشد منهم قوة اجسادا وعددا وايقاع ضمير الفصل بين اسم كان وافعل من لمضارعته
المعرفة في امتناع دخول اللام وقرا ابن عامر منكم تغليبا وعليه رسم مصحف الشام واثارا في
الارض كالقلاع والحصون والمدن الحصينة او اكثر اثارا كقولك تقلدت سيفا ورمحا
فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق من عذاب الله ذلك الاخذ بانهم كانت
تاتيهم رسلهم بالبينات المعجزات الظاهرة فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد
العقاب وقد دل عليه تلك الاثار ولقد ارسلنا موسى باياتنا معجزاتنا لما ذكر انه
اهلك اشد منهم قوة اراد ان يبشرهم وهو فرعون وهامان وقارون فرعون بالعتو وها
مان بالدهاء وقارون بالمال وسلطان مبين حجة واضحة العطف باعتبار الصفات
او اريد اشهرها كاليد البيضاء والعصا الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر
كذاب جعلوا افعاله سحرا واقواله كذبا فلما جاءهم بالحق من عندنا بالرسالة
قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم عن ابن عباس اعيدوا القتل
فانه كان امر اولا بالقتل خوفا من المولود الذي اخبر به الكهان فلما مضت تلك السنة رفع
القتل فلما جاء موسى واظهر المعجزات اعاد القتل غيظا وتخويفا لبني اسرائيل عن مظاهرته
وما كيد الكافرين الا في ضلال اي كيدهم واثار المظهر ليوسموا بالكفر ويقاس عليه

للابلاغ للمبالغة الخائنة
الصدور
المختفية

القلاع الكرفيلادها العرب معافة
وحصن بن سعد وغمران
العاصر
سنة

كيد كل كفار ويشار به الى ان كيد قريش كذلك وقال فرعون ذروني اقتل موسى
وليدع ربه كان سفاك الدماء في اهون شيء فكيف يمن جاء يثل عرشه ويهدم ملكه
ولكنه يفرق من اياته انه رسول العزيز المقتدر وخاف انه لو هم بقتله ان يعاجل بالبوار
يعلل بهذا الكلام وموه انه لا يبالي بموسى وربه اني اخاف ان يبدل دينكم الذي شرعته لكم
كان قد امر باتخاذ اصنام وامر بعبادتها ليتقربوا بذلك اليه فانه الرب الاعلى او ان
يظهر في الارض الفساد من التهارج والتحارب وابطال اسباب المعايش وقرا الكوفيون
او على معنى الخوف من احد الامرين والباقون بالواو لقصد الجمع بين الامرين وهو اوفق
بالمقام اذ فصيح الشغير عنه وقرا نافع وابو عمرو وحفص بضم يا يظهر وكسر الها ونصب
الفساد والباقون بفتحها والاول ابلغ واوفق بما تقدم وقال موسى اني عذت بربي
وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب لما خاطب فرعون قومه مستشيرا ايهم ليجيلوا الراي
في شانه خاطب موسى قومه ايضا واضاف الرب اليهم حثا لهم على الاقتداء واشار
الى ان الاعتماد في هذه القضية على الالتجاء الى الله وانه لفظ الرب دلالة على ان المربي
يراعي احوال مرباه والمتكبر بمعنى المستكبر ذكره على طريقة التعريض ليلا يلبس جلد النمر
وعدم ايمانه بيوم الحساب هو الذي بعثه على هذه الجراءة وكان لعنه الله دهريا وقال
رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه يكتم ايمانه من فرعون وقيل من آل متعلق
بيكتم وهو اسرائيلي والاول هو الصواب لقوله يا قوم مكررا ولقوله رجل مؤمن لكثرة
مؤمني بني اسرائيل وقد دل عليه قول فرعون ابناء الذين امنوا معه واختلف في اسمه قيل سمعان
بالمهملة او المعجمة وقيل حبيب وقيل غيرهما والله اعلم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
اتقصدون قتل من هو بهذه الصفة التي هي واسطة العقد واخص المناقب واشار الى اثبات
مدعاه بقوله وقد جاءكم بالبينات من ربكم حججا مسكتة وقواطع فلا وجه لانكاركم
على من ثبت انه رسول ربكم ثم ترك معهم وقال وان يك كاذبا فعليه كذبه وان
يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي لا نفرض الا انه كاذب اثم كذبه لا يتجاوزه ولا يصيبكم منه
ضرر شيء ويحتمل ان يكون محقا اقل ما يصيبكم بعض ما يعدكم وهذا يقتضي ان يكون
المقدم على قتل مقدما على فعل ليس له فيه متشبث الا العناد ان الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب رجح جانب صدقه بانه لو كان مسرفا كذابا لما عضده الله بالبينات
ويحتمل ان يريد انه ان كان مسرفا كذابا كما تزعمون فيفتضح امره عن قريب لان الباطل
كنار العرفج وفيه تعريض بفرعون بانه مسرف كذاب وسوف يلاشي شانه يا قوم لكم
الملك اليوم ظاهرين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا
ادخل نفسه معهم اكمل للنصح قال فرعون ما اريكم الا ما ارى ما اشير اليكم الا بما ارى
من استصواب قتله وما اهديكم الا سبيل الرشاد وما ادلكم عليه من قتله
هو الصواب كان يعلم انه كاذب في قوله وان ما يدل عليه انما هو عين الهلاك وانما
كان يقول ما يقول خوفا ومكابرة وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب
افرد اليوم اختصارا لدلالة المضاف اليه وعدم اللبس كقوله كلوا في بعض بطنكم
تعفوا ولان بينه بقوله مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والمعنى جزاء ما كانوا دائبين
عليه ملازمين من الكفر والتكذيب وسائر المعاصي والذين من بعدهم كقوم لوط وما
الله يريد ظلما للعباد واذا لم يرده فعن ارتكابه ابعد ولذلك كان ابلغ من قوله وما
ربك بظلام للعبيد او لا يريد الظلم للعباد اي لا يترك الظالم حتى ينتقم منه واليه المعنى
اشار في الحديث القدسي يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وحرمته فيما بينكم
ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيمة ينادي بعضهم بعضا استغاثة او نادى اهل

اهل الجنة واهل النار واصحاب الاعراف كما تقدم او المناداة بالويل والثبور او مناداتهم مالك
النار ليقض علينا ربك يوم تولون من الموقف يؤيد الاول مدبرين منصرفين
الى النار وعن مجاهد فارين من النار ما لكم من الله من عاصم زيادة تهديد ومن
يضلل الله فما له من هاد لما ايس من قبولهم لا تلين شكيمتهم بعد ذلك الارشاد والتناصح
البليغ عرض بانهم الذين ختم الله على قلوبهم ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن
يعقوب على ان فرعون يوسف قد عاش الى زمن موسى وقيل هو يوسف بن ابرهيم
بن يوسف الصديق عاش فيهم قبل موسى عشرين سنة من قبل بالبينات
بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده
رسولا ليس هذا اقرارا برسالته بل الغرض تكذيب من يدعي الرسالة بعده مضموما
الى تكذيب رسالته كذلك يضل الله مثل هذا الاضلال من هو مسرف في العصيان
مرتاب في المعجزات الذين يجادلون في ايات الله بدل من من لانه في معنى كل
مسرف بغير سلطان اتيهم بل لمجرد تقليد واتباع هوى كبر مقتا عند الله وحد
الضمير باعتبار من لان الذين بدل منه كاعتبار التذكير والتانيث في قوله ومن يقنت
منكن لله ورسوله وتعمل صالحا او الذين يجادلون مبتدا بتقدير مضاف اي جدال الذين
وضمير كبر عايد اليه او الذين مبتدا وبغير سلطان خبره وفاعل كبر ضميره وعند الذين
امنوا ايضا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استئنافا فيبلغا موجب
الجدال وقرا ابو عمرو وابن ذكوان قلب منونا بقطع الاضافة وهو الوجه لانه محل الكبر و
سائر الاوصاف النفسانية والجملة انما توصف بها بالواسطة وقال فرعون يا هامان
ابن لي صرحا اردف وصفه بالتكبر افعاله الدالة عليه والصرح القصر العالي الظاهر
من صرح الشيء ظهر لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات الطرق الموصلة اليها ابهمها اولا
ثم فسرها لما في الابهام والايضاح من المبالغة وتشويق السامع لمطمح التسماع لانه امر بديع
فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وقرا حفص فاطلع بالنصب حملا للترجي على التمني
بجامع عدم التحقق وكذلك زين لفرعون سوء عمله المزين هو الشيطان لقوله وزين
لهم الشيطان والله تعالى لقوله زينا لكل امة عملهم وصد عن السبيل الفاعل فيه
هو الفاعل في الاول وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر وابن كثير صد على بناء الفاعل
وهو فرعون الذي صد الناس عن اتباع موسى وهو المختار لان الحديث عنه والسوق
لعد مثالبه وما كيد فرعون الا في تباب في خسار من تب هلك مبالغ في خسرانه
وقال الذي امن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد لله دره ما ادراه بايراد
الكلام في الحجاج لما لم ير عوا فرعون عن غوايته وجهله المفرط صرح بمعارضته وانه الدال
على سبيل الرشاد دونه يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع شيء يتمتع به يسيرا وان
الاخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ان لم
يعف عنها فلا تزيد على المثل ومن عمل صالحا من ذكر او انثى سيان في جزاء
العمل لا تفاضل كما في الدنيا وهو مؤمن اذ لا عبرة بعمل دونه ولذلك اوقع قيدا
فاولئك يدخلون الجنة بتلك الاعمال وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون
على بناء المفعول وهو ابلغ معنى واوفق بقوله وادخل الذين امنوا يرزقون
فيها بغير حساب تفضلا منه تعالى ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني
الى النار كرر نداهم لما لاح لهم انهم مستغرقون في بحر الغفلة واعاد الواو هنا
دون الثاني لانه بيان لما اجمل لانه ذم الدنيا وعظم الاخرة وهو عين الارشاد
والدلالة على سبيل الرشاد واما قوله ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني

رد على ابن الحاجب

رد القاضي

الى النار فقابل موازنة بين دعوته التي ثمرتها الجنة ودعوتهم التي ثمرتها النار فليس من تفسير الارشاد
تدعونني لاكفر بالله بدل عن الاول والدعا كالهداية يتعدى باللام وبالى واشرك
به ما ليس لي به علم ماليس بالٓه نفي للمعلوم على طريق الكناية وانا ادعوكم الى العزيز
الغفار الى المستجمع للصفات فانهما مستلزمان للعلم والارادة المسبوقان بالحيوة
لاجرم انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة رد لما يدعونه اليه
واستدلال على بطلان صلوحه للاشراك اي حق بطلان دعوته لانه لا يدعوا الى دعوته
في الدنيا وشان المعبود ان يدعو عباده المكرمين كالانبياء ولا ثم يدعو بعضهم بعضا
وفي الاخرة اذا خلق الله فيه الادراك يلعن العباد ويتبرا منهم او ليس له استجابة دعوة في
الدارين تسمية للاستجابة باسم الدعوة كما يسمى الفعل المجازى عليه باسم الجزاء يؤتيه
قوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء او جرم بمعنى كسب والفاعل
مستكن اي كسب ذلك الدعا منكم ان لا دعوة لما تدعونني اليه بمعنى انه لم يظهر
الا بطلان دعوته او معناه لا بد فعل من التبديد وهو التفريق اي لا قطع لبطلان
دعوة الاصنام بل مستمر وقد سبق في النحل ان هذا اصله لكن اكثر استعماله في
معنى حق ولذلك يجاب باللام كما يجاب بالقسم وان مردنا الى الله
بالموت وان المسرفين المبالغين في العصيان السفاكين الدماء بغير موجب
تعريض بما افتتح به من قوله اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله هم اصحاب النار
الملازمون لها ملازمة المالك ملكه فستذكرون ما اقول لكم اذا جاء باس الله
اما في الدنيا كوقت الغرق او عند معاينة عذاب الاخرة وافوض امري الى الله
لما رآهم لا يدعون وقد بان لهم انه على دين موسى التجا الى الله في دفع مكرهم
ان الله بصير بالعباد فيجازي كلا على حسب حاله فوقيه الله سيئات
ما مكروا شدايد مكرهم قيل فر منهم فامر فرعون بطلبه فوجدوه يصلي والوحوش
حوله فرجعوا الى فرعون فقتلهم وحاق بال فرعون سوء العذاب اي الغذاب
السوء النار بدل منه وقوله يعرضون عليها غدوا وعشيا حال منها او من الال او
خبر مبتداء محذوف كانه قيل ما سوء العذاب قيل هو النار او مبتداء خبره
يعرضون عليها والجملة استئناف يا نا تفسير القول وحاق بال فرعون سوء العذاب
وهذا اوجه للابهام والتفسير ولافادة الاولى احاطة سوء العذاب والثانية ان لا اسوء
من ذلك المحيط وهو النار المعروض هم عليه غدوا وعشيا وتخصيص الوقتين لانهما
اطيب الاوقات فاذا ذاقوا فيهما اسواء العذاب كان افظع وما بينهما مسكوت عنه اما
لانهم يعذبون بذلك العذاب ايضا او بجنس آخر او ينفس عنهم وقيل كناية عن الدوام
لقوله ويوم تقوم الساعة اي هذا دايم الى ذلك الوقت وفيه دليل على ان عذاب القبر
حق ادخلوا ال فرعون اشد العذاب وهي جهنم او اشد عذابها وقراء نافع
وحمزة والكسائي وحفص بقطع الهمزة وكسر الخاء والوصل ابلغ توفيه لحظ المسامع من
العذاب فانه نوع آخر منه واذ يتحاجون في النار اي واذكر لقومك محاجة اهل النار
لعلهم يرعوون فيقول الضعفاء اي الاتباع تفصيل للمحاجة للذين استكبروا
هم الرؤسا انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم جمع خادم او ذي تبع فهل انتم مغنون عنا
نصيبا من النار بالرفع او بالحمل ونصيبا مفعول ما دل عليه مغنون او على
المصدر او مصدر كشيئا في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا
قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم سوا فكيف نغني عنكم ان الله
قد حكم بين العباد فريق في الجنة وفريق في السعير لا تبديل لحكمه وقال الذين في

النار كلهم التابع والمتبوع لما يئس الاتباع من نصرة الرؤسا لخزنة جهنم للموكلين
بها وايثار جهنم والاختصار على الخزنة للتهويل وقيل لان جهنم ابعد طبقات النار قعرا من
قولهم بئر جهنام وهذا انما يستقيم اذ لو كان اللفظ عربيا والاكثر على انه اعجمي ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما من العذاب شيئا من الاوقات قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم
بالبينات المعجزات الدالة على صدقهم وينذرونكم لقاء يومكم هذا استفهام توبيخ و
تقريع قالوا بلى قالوا فادعوا انتم اذ لا نقدر على الشفاعة الا بشرط ان يكون المشفوع
له مؤمنا ويؤذن لنا في الشفاعة وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع
لا ينابر له انا لننصر رسلنا مبنى السورة على بيان مجادلة الكفار مع الرسل ولما
امتد الكلام في الرد عليهم عاد الى تسلية رسوله وانه منصور لا محالة والذين امنوا
لانهم اتباع الرسول في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين وان
وقع لبعضهم فتور في شانهم فذلك امتحان ولهم العاقبة والاشهاد جمع شاهد وهم
الذين يشهدون على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين والتعبير عن يوم القيمة بيوم
يقوم الاشهاد للتهويل ولذلك ابدل عنه يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
ظاهره انهم يعتذرون ولا يقبل منهم والحق انه مبني على الفرض اي لو اتوا بمعاذير لا تنفع
لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقرا الكوفيون ونافع ينفع بالتذكير وهو احسن لوجود
الفصل ولهم اللعنة الطرد من رحمة الله ولهم سوء الدار هو ما يسوء من النار
تقرير لعدم قبول المعذرة اذ من كان هذا حاله كيف يرجى قبول عذره ولقد اتينا موسى
الهدى التورية وساير ما يحتاج اليه في باب الدين واورثنا بني اسرائيل
الكتاب اي جعلناهم متصرفين فيه تصرف الوارث في مال مورثه وفي ذكر الكتاب اشارة
الى ان ما عداه ذهب بذهابه عليه السلام وان الكتاب كالقول هدى وذكرى
لاولي الالباب اي هاديا ومذكرا لذوي العقول وهذا مثل قوله في هذه الامة ثم او
رثنا الكتاب الذين اصطفينا وفيه بيان نصر المؤمنين في الدنيا بالحجة بعد ذهاب
الانبياء فاصبر ان وعد الله وهو قوله انا لننصر رسلنا وقوله ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون حق كاين لا محالة وقد سمعت حال
موسى ومن كذبه واستغفر لذنبك لذنب امتك لقوله واستغفر لهم او تهيج لامته
او لما وقع منهم من خلاف الاولى بحاله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار طرفي
النهار لشرفي الوقتين او داوم على ذكره بصفات الجلال والجمال في جميع الاوقات او
المراد الصلوة الخمس وقيل كان بمكة الواجب ركعتين بكرة وركعتين عشيا ولا يسند له
مع انه يوهم ان الخمس وجب بالمدينة والاجماع انها وجب بمكة ليلة المعارج ان الذين
يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتيهم ان في صدورهم الا كبر عاد ذكر المجادلين
لبيان الموجب لجدالهم وهو الكبر والترفع خوفا من فوات الرياسة اذ تغلب النبوة
كل ملك ورياسة ما هم ببالغيه ليسوا ببالغين موجب ذلك الكبر وهو ما تعلق
به اراداتهم من الترؤس او دفع الايات فاستعذ بالله من شرهم انه هو السميع
البصير لاقوالكم وافعالكم نزلت في المشركين وقيل في اليهود قالوا سيخرج صاحبنا
المسيح بن داود ويسير معه الانهار ويبلغ سلطانه البر والبحر يريدون به الدجال لعنهم الله
ويؤيد الاول قوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فانه استدلال به على من
انكر البعث واليهود لا ينكرونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لاغفالهم النظر
الصحيح وما يستوي الاعمى والبصير ضرب مثلا للمحسن والمسيء والذين امنوا وعملوا
الصالحات ولا المسيء عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير

قال ابن الاثير في النهاية لفظ
عجمية اسم لنار الاخرة و
قيل عربية
سميت بها
لبعد
قعرها

الوصفين في المقصود او الصراح والتمثيل ولا في المسيء مذكره واذا لم يتساويا فلا
بد من مجازاة وليس ذلك في الدنيا فلا بد من ان يكون بعد البعث قليلا ما
تتذكرون الضمير للناس او الكفار والقلة بمعنى العدم لقوله وما يتذكر الا من
ينيب وقرأ الكوفيون بالخطاب اما تغليبا او امر للرسول بالمخاطبة او التفاتا
وهذا اوفق لان العدول الى الخطاب في مقام التوبيخ اشد تعنيفا وابلغ في الانكار
ان الساعة لآتية لا ريب فيها لا ارتياب في وقوعها لما تقدم من الادلة ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون بذلك لقصور النظر وقال ربكم عطف على ان الذين
يجادلون عطف قصة على اخرى ادعوني اعبدوني استجب لكم لقوله ان الذين يستكبرون
عن عبادتي ولما روي عن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء
اراد ان ترك الذنوب من اجل العبادات وسئل الحسن عنه فقال اعملوا وابشروا
او الدعاء والاستجابة على اصلهما وقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي معناه عن
دعائي لان الغرض من العبادة الخضوع ولا شك ان ذلك في الداعي اظهر وايقاع العبادة
صلة الاستكبار مما يؤيد هذا لان الداعي مسكين خاضع سيدخلون جهنم دا
خرين صاغرين وقرأ ابن كثير وابو بكر بضم الياء وفتح الخاء وهذا ابلغ اهانة الله
الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا اي خلق الليل باردا مظلما ليؤدي الى
ضعف الحركات وهدوء الحواس ولما كان السكون والاستراحة غاية في الليل دون الابصار
في النهار بل العلة ابتغاء الفضل صرح به في الاول واشار اليه في الثاني رمزا مع ما افاده
الاسناد المجازي من المبالغة حتى كان الابصار سرى في نهار المبصر ان الله لذو فضل على
الناس اي فضل لا يوازيه فضل ولذلك نكره واثره على المفضل ولكن اكثر الناس
لا يشكرون نعم الله تكرير الناس لايقاع عدم الشكر على صريح اللفظ ذلكم الموصوف
بصفات الالوهية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة او كل بدل عن سابقه
ان جوز البدل عن البدل والا فالكل عن الاول فان قلت قد وقع مثل هذا التركيب
في سورة الانعام خالق كل شيء مؤخرا عن كلمة التوحيد وقدم ههنا فما وجه ذلك
قلت وجهه والله اعلم ان خالقيته لكل شيء دليل توحيده وفي الانعام قدم قوله
خلق كل شيء وهو بكل شيء عليم وكان نتيجة المقدمتين لا اله الا هو ثم اردفه بقوله
خالق كل شيء على سبيل التقرير والتوكيد وههنا لم يتقدم مثله فكان حقه ان يقدم
ليكون كلمة التوحيد نتيجة له فانى تؤفكون من اي وجه تصرفون عن عبادته انكار
وتوبيخ كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون مثل صرف هؤلاء صرف الذين
كانوا قبلهم ينكرون آيات الله عنادا فهم على آثارهم مقتدون الله الذي جعل
لكم الارض قرارا تستقرون فيها احياء وامواتا والسماء بناء قبة العرب تسمي
القباب ابنية على التشبيه وصوركم فاحسن صوركم خصكم باحسن الصور في احسن
تقويم وفي الحديث خلق الله تعالى آدم على صورته طوله ستون ذراعا ورزقكم من
الطيبات اللذائذ الانواع طعاما وشرابا وفاكهة ذلكم الله ربكم اي الموصوف الممتاز
فتبارك الله رب العالمين فان ما سواه مربوب مفتقر ولما كانت الادلة المذكورة
من الآفاق والانفس مع كونها ادلة نعما جساما عقبها بقوله فتبارك الدال على كثرة
نعمائه وتوافر الآية هو الحي لا غير لان من عداه اما ميت او بصدده لا اله الا هو
لان من يعتريه الموت كيف يصلح للالوهية فادعوه مخلصين له الدين فكما
انفرد بالالوهية افردوا له العبادة لانه المستحق الحمد لله رب العالمين
قولوا الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل بعده

بعده الحمد لله وذلك للدلالة على انحصار الحمد فيه كانحصار الالوهية قل اني نهيت ان اعبد
الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي شامل لادلة العقل
والنقل او الآيات الدالة على صدقه فانها كلام معجز يؤيد الادلة العقلية وتنادي الادلة
اقوى في ابطال مذهبهم وامرت ان اسلم لرب العالمين انقاد له اشار الى
انه لا يريد لهم الا ما اراد لنفسه هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة
ثم يخرجكم طفلا لما امتن عليهم بانه خلقهم في احسن الصور اشار الى بدء خلقهم من
التراب الذي هو مادة ابيهم آدم او مادة كل واحد منهم لما ورد ان النطفة تعجن بالتراب
التي يكون مضجع الميت ثم بعده الانقلابات البديعة الدالة على كمال الاقتدار وافراد طفلا
لارادة الجنس او كل واحد ثم لتبلغوا اشدكم اللام متعلق بمقدر اي يبقيكم وكذا
ثم لتكونوا شيوخا قرأ نافع وابو عمرو وهشام وحفص بضم الشين اتباعا لضم الياء
ومنكم من يتوفى من قبل قبل الشيخوخة او قبل هذه الاحوال كما اذا وقع سقطا و
الاول هو الوجه ولتبلغوا اجلا مسمى اي وفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت
الموت او يوم القيمة والاول اوجه لقوله اذا جاء اجلهم واوفق بالسياق ولعلكم
تعقلون ما في ذلك من دلائل كمال الصانع والعبر هو الذي يحيي ويميت اي
القادر الذي نقل النطفة من تلك الاطوار بعضها الى بعض هو الذي شأنه الاحياء والاماتة
ثم هون شأن ذلك بقوله فاذا قضى امرا توجهت ارادته اليه فانما يقول له كن
فيكون بلا احتياج الى آلة وتعمل كان اسرع شيء وقرأ ابن عامر يكون بالنصب بتقدير
ان الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون كرره لان مبنى السورة على
رد المجادلين في آيات الله الدالة على التوحيد والبعث بفنون مختلفة من الدلائل ولما
استوفى تلك الفنون ولم تؤثر فيهم عجب السامع من حالهم الذين كذبوا با
لكتاب بالقرآن او بجنسه وبما ارسلنا به رسلنا من الآيات يؤيد الوجه الثاني
فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم والاتيان بسوف
واذ لان المترقب في كلامه تعالى كالكائن والسلاسل عطف على الاغلال يسحبون
في الحميم الماء الشديد الحرارة حال من الفاعل او خبر سلاسل ان لم يعطف
بحذف العائد ثم في النار يسجرون يخرجون الى ظاهرها ليراهم اهل الجنة من سجرت
التنور اوقدتها واصله الملء يقال سجرت الثماد اذا مليت من المطر والمعنى يملؤن نارا
ظاهرا وباطنا كقوله نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ثم قيل لهم اينما كنتم
تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا يقال لهم توبيخا ومعنى ضلوا عنا غابوا
ولا ينافي قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لجواز كونهم غيبا اوان
التوبيخ او لما لم ينفع حضورهم كانهم غيب بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا
لعدم غناهم كانهم ليسوا بالشيء او قالوه كذبا على انفسهم كقولهم والله ربنا ما كنا
مشركين كذلك يضل الله الكافرين اي مثل ضلال آلهتهم يضلهم الله في
الدنيا عن طريق الحق وقيل يضلهم عن آلهتهم حتى لا يتصادفوا فلو طلبوا لم يجدوه
نظر ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم
تمرحون تبطرون وتفرطون في الفرح والعدول الى الخطاب لكونه ابلغ في التقريع ادخلوا
ابواب جهنم طبقاتها على قدر الاعمال كقوله لكل باب منهم جزء مقسوم
خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين مثواكم جهنم
فاصبر على اذاهم وجدالهم الباطل ان وعد الله حق في نصرك واتمام ما
ارسلت به فاما نرينك ان شرطية وما زائدة للتوكيد ولذلك لحق نون التأكيد

وجواب الشرط محذوف اى فذاك **بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ** من العذاب كالقتل و
الاسر يوم بدر **أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ** قبل **فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ** فنسيرهم اشد العذاب
فان قلت قد تقدم مثل هذا التركيب فى الوعد ولم يقدر لكل واحد من المعطوف و
المعطوف عليه جزاء فهلا تلك الطريقة قلت مساق الكلام هنا لانجاز الوعد
بالنصر وهم رسول الله والمؤمنين معقود به فاقتضى تقدير الجزاء مستقلا وتعجيلا للمسرة
بخلاف ما فى الوعد فان الكلام فى الجواب تبليغه وانه ليس عليه الا ذاك كيف ما دارت
القضية **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ**
نَقْصُصْ عَلَيْكَ دل على انه لم يخبره بتفاصيل ساير الانبيا وقد روى ابو ذر انه سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عدتهم فقال مائة واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلثمائة
وثلثة عشر او خمسة عشر جما غفيرا **وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**
بارادته وتيسيره جواب لاقتراحهم الايات عليه كانه قيل لهم اذا كان الامر فى
الايات الى الله تعالى ولم يكن لاحد ممن تقدم ان يأتى باية فمن اين لى اذا اتى باية **فَإِذَا**
جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ بالعذاب **قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ** اى
اذا جاء يوم القيمة الذى هو يوم الفصل قضى بينك وبينهم بالحق وخسر اذ ذاك المبطلون
فى الاقتراح المجادلون عنادا **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا**
تَأْكُلُونَ من جنسها ما يوكل كالغنم ومنها ما يوكل ويركب كالابل والبقر **وَلَكُمْ فِيهَا**
مَنَافِعُ كالالبان والجلود والاوبار **وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ** من
المسافرة لمقاصدكم **وَعَلَيْهَا** فى البر **وَعَلَى الْفُلْكِ** فى البحر **تُحْمَلُونَ** وانما قال على الفلك
دون فى الفلك فيها كما فى قوله قلنا احمل فيها لان الفلك وعاء ما فيها وحمولة له مع ما
فى الثانى من المزاوجة وانما غير النظم فى الجمل الاربع لان الركوب وبلوغ الحاجة
قد يكون فى مهم دينى واجب او مندوب بخلاف الاكل وساير الانتفاعات فكانا اولى
بدخول اللام الدال على العلة والغرض وقيل فرقا بين العين والمنفعة وانما جعلا
مكتنفين بما خلا عنه اشارة الى قصوره عنهما وعن الزجاج ان الانعام هى الابل
خاصة وعلى هذا يتضح الوجه لان الركوب وبلوغ الحاجة من اتم الغرض منها **وَيُرِيكُمْ**
آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ لم يقل اية لان التفرقة فى غير الصفات بالتا
نحو حمار وحمارة غريب وفى اى لو صفه على الابهام اغرب **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ**
فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ
قصورهم المشيدة ومصانعهم المحكمة وقيل مشيهم بالاقدام لعظم اجرامهم وبعده
لا يخ **فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة المحل والثانية
موصولة او مصدرية اى مكسوبهم او كسبهم رفع على الفاعلية **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ**
بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العلم بامور الدنيا واسباب المعاش يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
او علم الفلاسفة والدهرية ويدفعون بتلك الاوهام علم الانبيا كما روى ان سقراط كان
فى زمن موسى فقيل له هلا تتبعه فقال نحن قوم مهذبون او سمى جهلهم المفرط علما اى لم يفرحوا بعلم
الرسل وفرحوا بجهلهم المفرط سماه علما على طريقة التهكم او المراد علم الرسل وفرحهم
بما اوتوه من العلم سيود عاقبة الكفار وشكرهم لله على ما منحهم وفيه تفكيك الضماير
او المعنى فرح الكفار بما عند الرسول من العلم فرح ضحك واستهزاء يؤيده قوله **وَحَاقَ**
بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ الا انه لا دلالة على هذا المعنى غموضا **فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا**
قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ البأس شدة العذاب لقوله بعذاب
بئيس **فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا** لفوات وقته الوجه فى ترتيب الفاآت ان

ان قوله فما اغنى نتيجة ما كانوا فيه من التكاثر بالاموال والاولاد وقوله فلما جاءتهم رسلهم
الى قوله وحاق بهم ايضاح لذلك المجمل وكيف انقلب الحال بهم الى عكس ما املوه وقوله فلما راوا
بأسنا مترتب على قوله فلما جاءتهم تابع له كانه قال لما جاءتهم رسلهم كفروا فلما راوا باسنا
آمنوا الا انه فصل ذلك الكفر المشتمل على سوء معاملة الرسل وكفران اعظم نعم الله وكذا فلم
يك مع الايمان **سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ** اى سن الله ذلك سنة ماضية فى العباد
مصدر موكد **وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ** هنا استعار من المكان للزمان اى خسروا وقت
رؤية البأس لزوال ما كانوا فيه من النعيم ولزوم الخلود فى عذاب الجحيم تمت سورة غافر و
الحمد لله على فضله الوافر والصلوة على سيد الاوايل والاواخر وآله وصحبه ذوى المحاسن والمآثر

سورة فصلت مكية وهى اربع وخمسون اية **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

حم ان جعلته اسم السورة كانت مبتداء **تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** خبره وان جعل
تعديدا فتنزيل خبر مبتداء محذوف **كِتَابٌ** بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتداء محذوف
او تنزيل مبتداء لتخصصه بالصفة وكتاب خبره **فُصِّلَتْ آيَاتُهُ** جعلت تفاصيل فى معان
مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد او ميزت باعتبار اللفظ والمعنى **قُرْآنًا**
عَرَبِيًّا نصب على المدح ويجوز الحال وفى كونه عربيا امتنان لسهولة تلاوته وفهم معناه
لانه افصح اللغات **لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** صفة اخرى لقرآنا اى كائنا لقوم يعلمون العربية او
لاهل العلم والنظر وقيل يتعلق بتنزيل وفيه الفصل بين المتعلقين وهو كتاب الى قوله عربيا
وبين الصفات ايضا لان بشيرا ونذيرا صفتا قرآنا وقيل بفصلت وفيه التفريق بين
الصفات والفصل بين الصلة وموصولها ايضا **بَشِيرًا وَنَذِيرًا** للمقبل والمعرض
فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ انكروا العجائه ولم يقبلوا بشارته ونذارته **فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**
لا يذعنون له مع العلم بانه الحق **وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ** فى اغطية
جمع كنان **وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ** صمم اصله الثقل اى جمعوا بين الاعراض وهذا القول
مبالغة فى الانكار فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما فى سورة بنى اسرائيل والكهف
قلت المراعى فى البلاغة جانب المعنى وهو كذلك فى الاسلوبين لان الاستعلاء والاحتواء
من واد واحد مع رعاية النفس فان قلت كان العكس محصلا لذلك فلا بد من اختصاص
كل بموضعه من نكتة قلت الكلام فى بنى اسرائيل والكهف منسوب اليه تعالى فالاستعلاء
والقهر انسب وهنا حكاية مقالهم فالاحتواء اقرب **وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ**
البين هو الوسط بالسكون يصدق على كل جزء من المسافة استوعب اولا فزيد من
ليدل على الاستيعاب الذى هو غرضهم وذلك لان من لابتداء الغاية الذى هو طرف
المتكلم فيقع الطرف الاخر غاية **فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ** اعمل فى دينك او فى ابطال
ديننا فانا على ديننا او ابطال دينك **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ** واحد
كان انكارهم نبوته لكونه بشرا مثلهم قلب عليهم القول بان البشرية هى التى تناسب الرسالة
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا **أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** اشارة الى ما هو الغرض من البعث وهو التوحيد
فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ فاستقيموا على التوحيد والاخلاص متوجهين اليه واعرضوا عن
اعراضكم معرجين على تقليد ابائكم الضالين **وَاسْتَغْفِرُوهُ** واطلبوا الغفران منه على
ما ضيعتم فيه الاعمار من عبادة الجماد **وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**
توكيد للامر بالاستقامة وترغيب فيه وترهيب عن الشرك قرن به الزكوة من بين
ساير الاعمال لانها شقيقة الروح والمعيار على الايمان المستكن فى القلب والزكوة
على هذا الوجه المقرر فى الاحاديث والفروع وان فرض بالمدينة الا ان اخراج طايفة من
المال على وجه القربة كان شايعا اطلاق اسم الزكوة عليه فى الجاهلية ايضا كما وقع فى

شعر امية بن ابي الصلت الفاعلون للزكوة والى ذلك اشار في اخر المزمل واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة والمزمل من اوايل القرآن نزولا وهم بالآخرة هم كافرون
دهرية لايقولون بالمعاد ولا يعترفون بالجزاء وفيه اشارة الى علة منع الزكوة فان
قلت اذا كانوا دهرية فلم يكونوا يعبدون الاصنام قلت شركا بها في در الارزاق واندفاع
البلايا ولو فرض وقوع المعاد كانت شافعة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم
اجر غير ممنون غير مقطوع او غير مشوب بمنة لان الواهب غني عن ذلك مقابل
لسابقه كانه قال ويل للمشركين وطوبى للمؤمنين وفيهما من التحذير والترغيب ما يوكد
امر الايمان والاستقامة تاكيدا لا يخفى وقيل نزلت في المرضى والهرمى فانه يكتب لهم
من الاجر على قدر الطاعة حال العافية ولا يقطع من ذلك شيء قل أئنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين بعد تقرير دليل التوحيد والامر بالاستقامة انكر
على من يعلم منه هذه الصفات ثم يعدل الى عبادة غيره ثم اعترض في البين بقوله وتجعلون له
اندادا اي من لا يتصور له ند واحد اتخذتم له اندادا ذلك الذي خلق الارض في يومين رب
العالمين موجد الكائنات كلها وجعل فيها رواسي عطف على خلق مقدرا او استئناف
اذ لا يعطف على خلق المذكور للزوم الفصل بين اجزاء الصلة من فوقها لتقع بارزة للنظار ليشا
هد واما فيها من ضروب الاستبصار اظهارا لاتمام النعمة وكمال الاقتدار وخص بالذكر هنا
لانه تم موضع تفصيلا لهذا البناء في القرآن وبارك فيها بان جعلنا منابع المياه ومنابت
الاشجار ومرابع الحيوان وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين كل نوع لما يليق به او خص
كل قطر بنوع منه تحسينا للنظام في اربعة ايام سواء فذلكة ما تقدم ومجمل ما فصل
كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كوامل مستوية ولو قال يومين اخرين لاحتمل الاطلاق
على اكثرهما تجوزا وقال الزجاج في اربعة ايام اي في تتمة اربعة وهما يومان والاول
اسلم فانه بلا تقدير حذف والمراد المقدار الذي وقع فيه الخلق لا اليوم المصطلح وقرا حمزة
والكسائي وحفص سواء بالنصب للسائلين متعلق بمقدر اي هذا الحصر للسائلين عن المقدار
او بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين للرزق وانما يستقيم على تقدير الزجاج ثم استوى
الى السماء توجهت ارادته الى ايجادها من قولهم استوى الى كذا قصده قصدا لا يلوي
الى غيره وثم على اصله من التراخي زمانا لا رتبة استدلالا بان وجود الارض متاخر لقوله
والارض بعد ذلك دحاها لان خلق الاقوات فيها قبل الدحو غير ممكن فان قلت
التقدير لا يستلزم الخلق بالفعل قلت فسره قوله في سورة البقرة قوله خلق لكم ما في
الارض جميعا فان قلت نحمل الخلق على التقدير قلت لا يلايم مقام الامتنان فالوجه ان
دحاها ليس عاملا في بعد ذلك بل هو جملة مستانفة كما تقدم الاشارة اليه في سورة البقرة
قيل كان عرش الرحمن على الماء فصعد منه دخان فخلق منه الارض ثم فتقها ارضين وخلق
من ذلك الدخان السماء ثم استوى السماء فقال لها وللارض ائتيا اي كونا مسخرين
لما اريد منكما بان يكون احديكما مقلا والاخرى مظلا وابرزا ما اودعتما من الاوضاع
المختلفة والكائنات المتنوعة ويكونا على ان معنى الخلق اولا التقدير والكلام على
التمثيل بان مثل حالهما في سرعة التكون على وفق الارادة ومقتضى الحكمة بحال المامور
المطيع المبادر الى امتثال الامر المطاع طوعا او كرها مثل لزوم تاثير قدرته فيهما
وامتناع عدم حصول ما اريد منهما وحاصل تصوير كمال عظمته وكبريائه وعدم تخلف
مراده في شيء استدلالا بالعالم العلوي والسفلي قالتا اتينا طائعين منقادين
اجرى عليهما وصف العقلاء لما جعلهما مخاطبين كقوله رايتهم لي ساجدين فقضاهن
سبع سموات الضمير للسماء على المعنى كقوله اعجاز نخل خاوية او مبهم فسر بسبع

رد على القاضي

لسبع سموات تمييز وعلى الاول حال في يومين خلقهن وما فيها في يومين فتم شان
العالمين في ستة ايام خلق الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلثا
وخلق الاشجار والمياه يوم الاربعا وخلق السما يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم
والملائكة يوم الجمعة في ثلاث ساعات وفي اخر ساعة خلق آدم قيل هي الساعة التي
تقوم فيها الساعة واوحى في كل سماء امرها ما امر به ودبر او اوحى الى اهلها بما اراد
وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا وحفظناها حفظا من ان يقع فيها خلل او مفعول له
على المعنى كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا وانما قدم اليومين
مع ان ما ذكر بعدهما من تدبير امر السموات واقع فيهما للاهتمام اشارة الى ان العالم العلوي
الذي نسبة السفلي اليه نسبة الحلقة الى الفلاة تكون وتم امره في قصر من مدة تكونه فيعلم
ان ايقاع هذه الافعال على وجه التدريج انما هو لارشاد العباد الى التاني في الامور
والا فامره تعالى في الايجاد انما هو بين الكاف والنون ذلك تقدير العزيز العليم
اي المذكور صنع الغالب على كل شيء العالم به فان اعرضوا بعد هذا البرهان
النير فقل انذرتكم صاعقة عذابا شديدا يشبه الصاعقة في الدفع والشدة
مثل صاعقة عاد وثمود مثل ذلك العذاب في الشدة كان ابو جهل في ملأ
من قريش فقال قد التبس علينا امر محمد فهل منكم احد ياتينا ببيان منه قال عتبة
بن ربيعة انا لكم فاني قد علمت من السحر والشعر والكهانة ما لا يخفى فاتى رسول الله و
دعاه الى ترك سب الاصنام وذكر آبائهم فلما فرغ من كلامه تلا عليه السورة الى ان
بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ان يكف وولى
هاربا اذ جاءتهم الرسل صفة صاعقة الثانية لا الاولى ولا ظرف انذرتكم لفساد
المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من كل جانب واجتهدوا في كل حيلة وعن الحسن
حذرهم بالوقايع في الامم الماضية وبعذاب الاخرة او ان هودا وصالحا كل منهما دعا
قومه الى الايمان به وبمن تقدم من الرسل وبمن ياتي من بعد فان الايمان بالكل واجب
فكان الكل قد جاؤا او الحمل على الكثرة كما في قوله ياتيها رزقها رغدا من كل مكان لا يستقيم
لاختصاص كل قوم بنبيهم الا تعبدوا الا الله ان مخففة حذف منها ضمير الشان
او مفسرة قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة بالرسالة فانا
بما ارسلتم به كافرون ليس اقرارا بالرسالة بل قالوه تهكما والخطاب لهما ولمن
دعوهم الى الايمان به من ساير الرسل فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير
الحق بغير استحقاق وذكر اولا كفرهم ثم بين ما خص كل طايفة وقالوا من اشد
منا قوة اي لا احد كانوا طوالا غلاظا حتى كان الرجل منهم يقلع الصخرة من
الجبل بيده فاغتروا بذلك اولم يروا ويعلموا ان الله الذي خلقهم هو اشد
منهم قوة اذ هم لا يقدرون على مثل فضحه انه اقوى واقدر وكانوا باياتنا يجحدون
اي كانوا يعلمون ذلك الاقتدار منا وغيره من الآيات الا انهم كانوا ينكرون
عنادا وعتوا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا ريحا باردة تقصر ما اصابته اي تقبضه وتشده
ومنه الصرة لانها تجمع الدراهم او من الصرير وهو صوت هبوبها في ايام نحسات
هي الثمانية في قوله تعالى سبع ليال وثمانية ايام والنحس ضد السعد وقرا الكوفيون
وابن عامر بكسر الحاء والباقون بالاسكان والكسر اولى لانه قياس الصفة من فعل
كحذر وقيل ونهم وروي امالة السين عن الكسائي لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة
الدنيا اي الذل صفة للمعذب وصف به العذاب كشعر شاعر على الاسناد المجازي
مبالغة كان الخزي سرى من المعذب الى العذاب ولعذاب الآخرة اخزى لكونه اشد

رد على القاضي

واعمه وهم لا يبصرون في الدارين بدفع العذاب بنصب الادلة وارسال الرسول فاستحبوا العمى على الهدى اي هديناهم على طريقي الضلالة والرشاد لقوله فهديناه النجدين وفيه دلالة على ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وفي الاستحباب اشارة الى عدم استقلال العبد بالايمان لان القاء المحبة في القلب ليس بقدرة العبد وان كان ايثار العمى باختياره وهذا مما يلقم القدرية حجرا فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء والهون الهوان والكلام في اضافة العذاب اليه كما تقدم في عذاب الخزي بما كانوا يكسبون من الكفر ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار اراد بيان عذاب الاخرة بعد ذكر عذاب الدنيا وقرأ نافع بالنون على نحشر ونصب اعداء والباقون بالياء على بناء المفعول والنون اشد تهويلا فهم يوزعون يحبس اولهم حتى يلحق آخرهم كناية عن الكثرة حتى اذا ما جاؤها ما مزيدة للدلالة على ان وقت مجيئهم لا محالة وقت الشهادة شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يكسبون وفي الحديث ان الكافر يقول يوم القيمة يا رب اليس قد وعدتني انك لا تظلمني فيقول اني لا اقبل الا شاهدا من نفسي فيختم الله على فيه وينطق جوارحه بالاعمال التي صدرت منه فيقول سحقا لكن فعنكن كنت اناضل وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا توبيخا لهم على عدم مراعاة الصحبة مع ان العذاب مشترك والخطاب للجلود وحدها لشمولها سائر الاعضاء قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء عندروا بان ذلك لم يكن باختيارهم بل بمن انطق كل حي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون اي الذي انطقنا هو الذي انشأكم ابتداء واليه تردون للجزاء فلا عجب منه اذا انطقنا ويجوز ان يكون ابتداء كلام تعالى يؤيده قوله اليه ترجعون وقوله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي ما كان استتاركم وقت فعل القبائح خيفة من شهادة الجوارح كيف وانتم منكرون للبعث ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون اي لكن كان استتاركم من الناس دونه لانكم ظننتم انه غير عالم بخفيات اموركم وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم اهلككم خبر ان لذلكم او ظنكم بدل عنه اي ما اهلككم الا ذلك الظن الكاذب فاصبحتم من الخاسرين داخلين في زمرة الكاملين في الخسران وعلى العاقل ان يكون في خلواته اشد حياء وهيبة واوفر تحفظا لعلمه بانه لم يزل عليه منه تعالى عين كالئة ورقيب مهيمن فان يصبروا فالنار مثوى لهم فيقاسون حرها واحراقها وان يستعتبوا يطلبوا العتبى وهو الرضا عنهم فما هم من المعتبين من الذين يعطون الرضا ويفوزون به والعدول الى الاسمية من لم يعتبوا مبالغة في اخراجهم عن زمرة المعتبين وقيضنا لهم قرناء قدرنا لهم شياطين يستاهونهم فصاروا اخوانا واحبابا واصل القيض المساواة يقال ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين ومنه القيض للبيض القيض لانها تقد وكذا المقايضة لتقدير تساوي الثمن في البدلين فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم ما تقدم من قبائحهم وما هم عازمون عليها في المستقبل او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الاخرة بان لا بعث فاقتحموا اللذات قبل فواتها وحق عليهم القول كلمة العذاب في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس في جملة اولئك الذين كانوا على مثل اعمالهم ليكونوا في العذاب قرناء كما كانوا في الدنيا احباء واخلاء انهم كانوا خاسرين في استبدال الضلالة بالهدى تعليل لاستحقاق العذاب واشارة الى ان ذلك التقييض نتيجة هذا الخسران والصبر لهم ولا لوم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه كانوا يعلمون فصاحة الفاظ القرآن وحلاوة

وحلاوة معناه وانه جلاب للقلوب سلاب للعقول والنهى ومن سمع سماع تأمل وتدبر آمن به وايقن انه ليس بشعر ولا سحر وانه خارج عن طوق البشر فتواصوا بانهم اذا سمعوا قارئا يكثرون اللغط والاباطيل حتى لا يفهم ويشوش القارئ لعلكم تغلبون الخصم فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا هم هؤلاء وايقاع الكفر صلة اشارة الى علة العذاب او عامة الكفار ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي اسوأ جزاء اعمالهم او جزاء اعمالهم او جزاء العمل الاسوأ والاول اولى لقوله ذلك جزاء اعداء الله فانه خبر عن الاسوأ النار عطف بيان او خبر مبتدأ محذوف لهم فيها دار الخلد هي دار الاخرة فانه كما تقول لك في هذه الدار دار سرور على طريقة التجريد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون يكذبون بها عالمين عنادا ولذلك جوّز والجزاء الاوفى وفيه اشارة الى ان عذاب الاخرة كالاسوأ بالنسبة الى عذاب الدنيا وقال الذين كفروا ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس الشياطين على قسمين كما اشار اليه بقوله من الجنة والناس ولقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقيل هما ابليس وقابيل سنا الكفر والقتل نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين لكونهما اشد كفر الضلال الاضلال انتقاما منهم كقوله هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ان الذين قالوا ربنا الله آمنوا به معترفين بربوبيته ثم استقاموا ولم يزل قدمهم عن طريق العبودية قلبا وجوارحا وهذا مقام عزيز واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله شيبتني هود واضرابها وروى الامام احمد عن سفيان بن عبد الله الثقفي انه قال يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به فقال قل ربي الله ثم استقم تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ان مفسرة بمعنى اي او مخففة حذف منها ضمير الشأن الخوف يكون من مكروه مترقب والحزن على فائت في الماضي والمعنى لا تخافوا على ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم من الاهل والمال وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون على لسان الرسل قيل يبشر الملائكة في ثلثة مواطن عند الموت وفي نزول القبر وعند البعث والظاهر ان ما في الآية هو الاول لقولهم نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا بالمحافظة عن الشياطين والهام الخير وفي الحديث ان للملك لمة وللشيطان لمة اما لمة الملك فايعاد بالخير واما لمة الشيطان فايعاد بالشر وفي الآخرة بالشفاعة والتلقي بالاكرام هؤلاء في مقابلة القرناء للكفار ولكم فيها ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون تطلبون من الدعاء بمعنى الطلب اعم من الاول وحمل الدعاء على التمني لا يلائم المقام نزلا من غفور رحيم حال من الضمير في لكم لا من خبر ما تدعون اي المدعى كائن لكم حال كونه نزلا لا من المحذوف العائد الى ما لان الادعاء والتمني ليسا في حال كونه نزلا وفيه اشارة الى ان هذا نزل الضيف وله بعده الذي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا اي وافق فعله قوله وقال انني من المسلمين اي اتخذ الاسلام دينا كما تقول هذا قول ابي حنيفة اي معتقده وما يدين به وقيل قاله مفتخرا به وهذه الرتبة اعلى من الايمان والاستقامة فانها اكمال وتلك كمال ولذلك قيل هو رسول الله والحق انها عامة وهو اول داخل فيها وما يروى انها نزلت في المؤذنين يرده كونها مكية والاذان شرع بالمدينة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة اي الحسنات تتفاوت الى حسن واحسن وكذلك السيئات الى السيء والاسوأ ادفع بالتي هي احسن اي ادفع السيئة والاسوأ باحسن الحسنتين كما اذا قدرت على من اساء اليك فالحسنة ان تعفو عنه والاحسن ان تحسن اليه مقام اساءته وانما ترك الفاء لانه لاستيناف اقوى الوصلين فهو على تقدير قائل وقيل لا مزيدة والمراد نفي المساواة بين الحسنتين والاعلام بان بينهما بونا بعيدا او كان الظاهر ادفع بالحسنة السيئة عدل الى المنزل لان من دفع بالاحسن هان عليه

الدفع بالحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي اذا جاريت المسيء بالاحسان
صار عدوك المشاق كانه ذو قرابة مشفوق وفي معناه قال ان العداوة تستحيل مودة بتدارك
الهفوات بالحسنات وما يلقيها الا الذين صبروا اي ما يعطي هذه الخليقة الا من حبس نفسه
على المكروه وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الحلم وكمال النفس وعن الحسن ما عظم
حظ والله دون الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ هو النخس اريد به وسوسته
وبعثه على الشر وهو الانتقام والدفع بالاسوء وقيل من قبيل جد جده او وصف للشيطان
بالمصدر على طريقة التجريد فاستعذ بالله من شره انه هو السميع لاستعاذتك
العليم بقصدك ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر دلايل اقتداره ووحدته
ذكران لا احسن قولا من الداعي الى الله ثم ارشده الى ما يدعو به من ادلة الافاق لا تسجدوا
للشمس ولا للقمر كانوا يسجدون للكواكب على قصد التقرب الى الله فنهوا عن ذلك
واسجدوا لله الذي خلقهن فانه المستحق وحده والضمير للاربعة لانها جماعة ما لا يعقل
ان كنتم اياه تعبدون ان كنتم موحدين غير مشركين فان استكبروا
عن الامتثال فالذين عند ربك ملايكة المقربون يسبحون له بالليل والنهار
يداومون على تقديسه وهم لا يسامون لا يملون هذا موضع السجود عند ابي حنيفة و
الشافعي في اصح الوجهين لانه تمام المعنى واحتياطا لانه ان كان عند تعبدون فالفصل
يسير والتقديم غير جايز وفي وجه تعبدون لاتصاله بواسجدوا ومن اياته انك ترى
الارض خاشعة ذليلة اصل الاخشاع من قولهم اكمة خاشعة اي لاطية فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت وربت انتفخت وتزخرف بالنبات كالمختال في زيه بعد ما كانت كالذليل
في اطمارها ان الذي احياها بالنبات النضر البهيج لمحيي الموتى لا محالة انه
على كل شيء قدير كامل الاقتدار ان الذين يلحدون في اياتنا الحد والحد مال عن
الاستقامة استعير لصرف الكلام عن وجهه وقرا حمزة يلحدون بفتح اليا والحا لا يخفون
علينا وعيد لهم افمن يلقى في النار خير امن ياتي امنا يوم القيمة تهديد
لمن يلحد في ايات الله بانه كما انحرف في تاويل الايات كذلك يعدل به عن الصراط الموصل الى النعيم
الى الجحيم اعملوا ما شئتم اذ قد علمتم حال الرجلين وما لهما الامر للتهديد لا لايجاب الفعل
انه بما تعملون بصير مجازي عليه وفق ما علم ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
بدل من الذين يلحدون واشارة الى ان الحامل على الالحاد مجرد كفرهم وفيه امداد التحذير بوضع
الذكر موضع الايات تحسيرا لهم وبما في لما من الدلالة على انهم كفروا اول ما قرع سمعهم من
غير تدبر تمهيد للتهديد عن كمال الكتاب بقوله وانه لكتاب عزيز شريف جم المنافع
وغالب لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مثل حال بحال الشيء المحمي من
جميع الجوانب فلا يمكن للعدو الوصول اليه وفيه اشارة الى انه محفوظ من حين النزول
الى اخر الدهر كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ورد لالحاد الملحدين فيه بان
سعيهم في ذلك كالرقم على الما تنزيل من حكيم واي حكيم حميد افعاله واقواله
على وجه الايقان والكمال فكيف يتطرق الباطل الى وجهه ما يقال لك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك اي ما يقول لك كفار قريش الاشيا قيل لمن تقدمك من الرسل
مثله كقوله وان كذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة
لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائه او ما يقول لك الله الا ما قد قال للرسل قبلك
وهو الوعد بالمغفرة لمن امن وبالعقاب لمن كفر وانما وصف العقاب دون المغفرة
لان الكلام في الترهيب ولو جعلناه قرانا اعجميا اي لو فرض كذلك لقالوا لولا
فصلت اياته بينت بلسان عربي نفهمه والغرض ان تعنتهم لا سبيل الى دفعه ااعجمي وعربي اي

الاظهار جمع ظهر وهو الثوب الخلق منه

٢٠٢

اي هذا امر منكر والاعجمي هو الذي لا يفصح كلامه من اي لغة كان والياء للنسبة والعجمي منسوب
الى الطايفة المعروفة وانما اتى بالمفرد مع ان المنزل عليهم امة العرب لان القصد بيان تنافي
حالتي الكتاب والمكتوب اليه فلو جمع كان اثباتا بما لا مدخل له في الغرض وهذا اصل كلي في الاثبات
والحذف والاطلاق والتقييد الى غير ذلك في كلام بليغ وقرا حمزة والكسايي وابو بكر بتحقيق
الهمزتين على الاصل والباقون بتسهيل الثانية تخفيفا سوى هشام فانه قرا باسقاط الاولى
اما على الاخبار على معنى لولا نوعت اياته فيكون بعضها اعجميا وبعضها عربيا ليكون لكل طايفة
منه حظ او على حذف وتقدير فيوافق الاولى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء
هاديا الى كل خير وشفاء عن داء الجهل والشبه والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر
عطف على المجرور اي هو للذين امنوا هدى وشفاء وللذين لا يؤمنون وقر في اذانهم بيان
لمحل الوقر او حال من المستكن في الظرف عايد الى وقر وهو من العطف على عاملين مختلفين
او مبتدا ما بعده خبره اي والذين لا يؤمنون هو في اذانهم وقر او وقر منه في اذانهم بحذف
الرابط وهو عليهم عمى استولى على بصايرهم ولم يتعرض لحال القلب لانه علم
مما في شفاء من التعريض انه مريض بعلة الطبع اولئك ينادون من مكان بعيد
لا يمكن لحوق الصوت اليهم لبعدهم عن الحق ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
فقال بعضهم حق وكذب البعض فكذلك حالك وحال من ارسلت اليه ولولا كلمة سبقت
من ربك لقضي بينهم باستيصال المكذبين وانهم اي اليهود والذين كفروا لفي
شك منه من التورية او القران مريب موقع للقلق والاضطراب من عمل صالحا
فلنفسه ومن اسا فعليها لا يتجاوزها خير وشر وما ربك بظلام للعبيد بان
يواخذ من غير جرم والكلمة السابقة هي العدة بالفصل يوم القيمة وفيه تخلص الى
ذكر الساعة بقوله اليه يرد علم الساعة ارشاد للمؤمنين الى الجواب ان سيل
احدهم عنها بان يقول لا يعلمها الا الله وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل من انثى
ولا تضع الا بعلمه والاكمام جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمر والاستثنا من الكل اي لا يحدث
شيء من هذه الاشيا الا ملتبسا بعلمه وليس من الاستثنا المعقب للجمل المختلف في متعلقه
لاتحاد المقصود ولاختصاص ذلك بغير المفرغ وقرا نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع
لاختلاف الانواع ويوم يناديهم اين شركايي قالوا اذناك ما منا من شهيد اي اعلمناك
ان احدا منا لا يشهد اليوم انهم شركاؤك فاعادة السؤال عليهم لزيادة التوبيخ او ما منا
احد يشاهدهم لقوله وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل او معناه انك علمت بوا
طننا انا لم نعتقد الان فيك شريكا فالاعلام بلسان الحال او اذناك انشا فلا يقتضي
سبق اعلام ويجوز ان يكون من كلام المعبودين والضلال مجاز عن عدم النفع وفيه تفكيك
الضماير وظنوا ما لهم من محيص ايقنوا بان لا مهرب الظن معلق بحرف النفي لا يسام
الانسان من دعاء الخير من طلب الزيادة في المال والجاه وان مسه الشر
في بعض الاوقات فيؤس كثير الياس قنوط ظاهر عليه اثاره فالاول فعل القلب والثاني
للجوارح بولغ فيه بناء وتكريرا وهذا شان الكافر ولين اذقناه رحمة منا من بعد ضراء
مسته ليقولن هذا لي لاني كنت مستحقه ولا يرى في ذلك منة المنعم ولا يتلقاه بالشكر
عظم الرحمة بالتنكير والوصف وحقر الضر بلفظ المس وما اظن الساعة قايمة جلب
له الاغترار بذلك سوء الاعتقاد في المعاد ولين رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى اي لو فرض ذلك ان لي عند الله الحالة الحسنى قياسا امر الاخرة على الدنيا
فلننبين الذين كفروا بما عملوا عكس ما اعتقدوه ولنذيقنهم من عذاب غليظ
مفرط في العظم وفوق جهلهم المفرط واذا انعمنا على الانسان اعرض عن شكر المنعم

وقد قال الاخفش والمحققون بعده مثله

التعليق ابطال العمل لفظا لا معنى منه

وَنَأىٰ بِجَانِبِهِ تكبر ولفظ الجانب مقحم اشارة الى تعاظمه كقول الكتاب الجناب العالى
والمجلس السامى او على اصل فانه عند الاعراض يثنى عطفه كقوله تولى بركنه وقرا ابن
ذكوان عن ابن عامر ناء بتقديم الالف على الهمزة مقلوب نأى او من ناء ينوء نهض والقلب
اولى ليوافق الاولى فى معنى البعد زايدا على الاعراض وَاِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ
كثير استعير عما لعرض وهو ابلغ من الطويل فانه اقصر الامتدادين فاذا كان كذلك فالطول
اولى ذمه اولا على شدة حرصه على الجمع وغاية جزعه على الفقد وثانيا بطيشه المتولد عن
الاستكبار عند وجود النعمة والاستكانة عند فقدها لا فى حالة النعمة شاكر ولا فى حال الفقد
صابر مدمجا فيه الاشارة الى غاية حماقته فان اليأس والقنوط ينافيان الدعاء العريض و
ابن ادعاء استحقاق الحسنى عند الله من هذا بل هو كالغريق فى المثل قُلْ اَرَاَيْتُمْ اِنْ كَانَ
مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ اَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ اى اخبرونى ان صح ان القرآن
من عند الله فانكم لستم على حجة فى انكاره وقد كفرتم به من يكون اغرق فى الشقاق منكم و
ايثاره ثم لبيان بعد الكفر بالقرآن والا فقد كذبوا به لما جاءهم من غير تلعثم اورده
على اسلوب كلام المنصف حثا على التامل واستدراجا الى الاقرار ثم تمم بقوله سَنُرِيهِمْ
اٰيَاتِنَا فِى الْاٰفَاقِ وَفِىٓ اَنْفُسِهِمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ اَنَّهُ الْحَقُّ اى عن قريب نريهم ما يدل على ان
القرآن حق لا ريب فيه او الرسول او التوحيد بما يجرى على يدى رسولنا ومن بعده
من الخلفاء وساير الصحابة من الفتوح فى مشارق الارض ومغاربها لا سيما فى ناحية العرب
وساحتها وفى ذلك من الدلالة على قوة الاسلام واهله ووهن الباطل وحزبه ما يحقق
صدق قوله ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وبه يتبين انه الحق الذى لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه اَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ اَنَّهُ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ يعلم الاشياء علما شهوديا
يستوى عنده كل غيب وشهادة تحقيق لتلك الاراءة فانها نزلت والمؤمنون فى غاية الضعف
والقلة كذا عن مجاهد والحسن والسدى وعن عطاء آيات الآفاق والانفس ما فى اقطار السماء
والارض وما فى الانسان من بدايع الصنع ولطايف الحكم والالتفات الى التكلم لزيادة الا
ختصاص تحقيقا لثبوت الاراءة ومعنى تبين لهم انه الحق اى الله ذاتا وصفة وقولا وفعلا
فهو الحق من كل وجه اذا تبين لهم ذلك تبين حقية القرآن فانه كلامه ثم قيل اولم يكف
بربك شهوده على كل شىء فمنه يشهد الاشياء على التحقيق لانه استدلال بالمؤثر على الاثر
على طريق البرهان اللمى وهو اقوى من الاستدلال بالاثر وفى اضافة الرب اليه اشارة
الى ان ذلك ليس للعمل فيه مدخل بل هو محض عناية كما اشير اليه جذبة من جذبات
الرحمن توازى عمل الثقلين اَلَآ اِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ لعدم ذلك الشهود
فهم فى ظلمة متكاثفة اَلَآ اِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُحِيطٌ علما وقدرة فمن شهده شهد كل شىء

سورة الشورى مكية وهى ثلاث وخمسون آيات بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

حٰمٓ عٓسٓقٓ مقطعات للايقاظ او اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما اوليوافق
ساير الحواميم كَذٰلِكَ يُوحِىٓ اِلَيْكَ وَاِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اى مثل المعانى التى فى هذه
السورة اوحى الله اليك فى ساير السور والى الرسل من قبلك فى ساير الكتب امتنانا
لما فى التكرير من التقرير والتذكير والدلالة على انها امور مهمة وايثار المضارع حكاية
الحال الماضية لافادة الاستمرار وان ايحاء مثله عادته وقرا ابن كثير يوحى بالفتح على
ان كذلك مبتدا وهو خبره والله مرتفع بما دل عليه يوحى كارتفاع رجال فى يسبح بفتح
الباء كانه قيل من الموحى فقيل يوحى اَللّٰهُ على ان قوله الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وصفان له او يوقف
على من قبلك وقف التمام والله مبتدا والاسمان بعده خبران او الاول خبر والثانى
نعت او كلاهما نعت والخبر ما بعدهما وايثار الوصفين للدلالة على انه غالب على امره

على امره مختار من يشاء لرسالته حكيم فى افعاله يوحى الى ارسله ما لعباده فيه خير الدارين
لَهُ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ مالكهما وخالقهما وَهُوَ الْعَلِىُّ شانا الْعَظِيمُ سلطانا تَكَادُ السَّمٰوٰتُ
قرا نافع والكسائى يكاد بالياء والتانيث اولى لعدم الفصل يَتَفَطَّرْنَ يتشققن وقرا نافع
وابن كثير والكسائى وحفص يتفطرن بالتاء المفتوحة وتشديد الطاء من التفعل وهو اولى
لدلالة الصيغة على المبالغة اللايقة بالمقام وانفطارها مما من عظمة الله وكبريائه كما دل عليه العلى
العظيم او من نسبة الولد اليه لما ياتى من قوله ام اتخذوا من دونه اولياء ولقوله فى سورة مريم
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض ان دعوا للرحمن ولدا والاول اولى بالمقام مِنْ فَوْقِهِنَّ
من جهة الفوق كالعرش والكرسى دلالة على ان كل ما عظم وعلا من الكاينات اخضع لجلال
جبروته او من اعالى سطوحهن فان الكلمة الفحشاء وهو اتخاذ الولد جاءت من تحتها فحيث
اثرت فى جهة الفوق كان تاثيرها من جهة التحت من باب الاولى وَالْمَلٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ مداومون على تقديسه وتمجيده خاضعين لكبريائه حامدين على ما اولاهم او تقديسا
عن اضافة الولد اليه حامدين على ما عصمهم عن موجبات سخط وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِى
الْاَرْضِ اى للمؤمنين لقوله ويستغفرون للذين امنوا او لاهل الارض قاطبة حرصا
على نجاة الخلق بان لا يعاجلهم بالعذاب عسى ان يتوب المسىء اَلَآ اِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ حث على الاستغفار وان الناس اولى بذلك من الملائكة ولذلك صدر الكلام بحرف
التنبيه وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ اَوْلِيَآءَ اللّٰهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ رقيب فيجازيهم على وفق عملهم وَمَآ
اَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ موكول اليه امرهم وَكَذٰلِكَ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا
ذلك اشارة الى كونه رقيبا وحده وهذا المعنى مكرر فى القرآن والكاف مفعول به وقرآنا عربيا
حال منه او الى مصدر الايحاء اى مثل ذلك الايحاء اوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك تفهمه
لِتُنْذِرَ اُمَّ الْقُرٰى وهى مكة لان الارض دحيت من تحتها فهى اصلها وَمَنْ حَوْلَهَا
من العرب انذره وانذر به بمعنى وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ يوم القيمة لاجتماع الخلق فيه او
الارواح والاجسام او العامل والعمل وعلى افراده بالذكر لعظم اهواله وليوقع عليه لفظ الانذار
صريحا لَا رَيْبَ فِيهِ اعتراض لا محل له الاضافة بيانه فَرِيقٌ فِى الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى
السَّعِيرِ اى من المجموعين لدلالة الجمع عليه والمعنى بعد الجمع والقضاء يتفرقون
وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ لَجَعَلَهُمْ اُمَّةً وَاحِدَةً فى الهدى او الضلال وَلٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَآءُ فِى
رَحْمَتِهِ وهم المؤمنون بالتوفيق وَالظّٰلِمُونَ المتخذون من دونه وليا اتى بالظالم ليكون على
قوله مَا لَهُمْ مِنْ وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ او عام فيدخلون دخولا اوليا وتغيير المقابلة للمبالغة فى
الوعيد لان الكلام فى الانذار اَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ اَوْلِيَآءَ انكار لاتخاذهم اولياء
من دونه وما بين الاتخاذين اعتراض فَاللّٰهُ هُوَ الْوَلِىُّ جواب شرط مقدر اى ان ارادوا وليا
بحق فالله هو ذلك الحق ارشاد الى من يصلح بعد انكار من لا يصلح وفيه شدة لعضد الانكار
وَهُوَ يُحْىِ الْمَوْتٰى وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ومن هذا شانه حقيق بالولاية وَمَا اخْتَلَفْتُمْ
فِيهِ مِنْ شَىْءٍ من امور الدين انتم والكفار حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فَحُكْمُهُٓ اِلَى اللّٰهِ مفوض اليه يثيب المحق ويعاقب المبطل او ما وقع بينكم ايها المؤمنون
من الحكومات فتحاكموا الى رسول او ما اشتبه من الكتاب ردوه الى المحكم او فى المجتهدات لجواز
الاجتهاد فى زمانه وبصحته دل عليه حكم الصديق فى سلب ابى قتادة رواه البخارى من غير
معارض ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فى امورى وَاِلَيْهِ اُنِيبُ فى حل المعضلات
فانتم اولى بذلك فَاطِرُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ خبر آخر او مبتدا خبره جَعَلَ لَكُمْ مِنْ
اَنْفُسِكُمْ اَزْوَاجًا نساء وَمِنَ الْاَنْعَامِ اَزْوَاجًا اناثا للتوالد والتناسل يَذْرَؤُكُمْ
يكثركم الذرء والذر اخوان اى فى هذا التدبير والجعل الضمير لما دل عليه الفعل

رد على الكشاف

وفي يذرؤكم تغليب العقلا والخطاب ليس كمثله شيء نفى لمن يماثله على طريق الكناية
وذلك ان البرهان دل على نفى مثله فلو كان لمثل مثل كان مثلا له وهذا اسلوب معروف بين
البلغا يقولون ايفعت لداته وبلغت اترابه وفي المدح بالجود مثلك لا يبخل ولا فرق بينه وبين
قولك انت لا تبخل الا بما تعطيه الكناية من المبالغة من وجهين الدلالة على موجب عدم البخل والثاني
ادخاله في زمرة من لا يبخل فهو اول على عدم البخل وقيل حرف التشبيه للتاكيد والوجه ما تقدم
وهو السميع لكل المسموعات البصير بكل المبصرات تقرير لنفى المماثل له مقاليد السموات
والارض خزائنها او مفاتيحها تضمن ذكر ساير الصفات الذاتية وافراد السمع والبصر لانهما
اخص اوصاف المعبود من حيث الا يرى الى قول ابرهيم عند تناصح ابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق انه بكل شيء
عليم فيغنى ويفقر على حسب علمه شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا
اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى تفصيل لما اوحى اليه والى الذين من قبله وهو باب الالهيات
والعقايد التي لا تتبدل لا الفروع لقوله لكل جعلنا منكم شرعة ان اقيموا الدين بدل من
مفعول شرع او استيناف جواب ماذا شرع ولا تتفرقوا فيه اى في هذا الاصل كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب
الضمير لله والاجتباء الاصطفاء وقد تهم على اهل الاهتداء وان اتحد واتى التوحيد لشرفهم او
للدين والاجتباء من الجباية وهي الجمع لانه لما نهى عن التفرق وان ذلك شاق على المشركين اردفه
بان الله يجمع على دينه من يشاء توفيقه على رغم المشركين والاول املا لافادته لدلالته على ان لله عبادا هم
صفوته ولان الاجتباء في الاصطفاء اظهر والثاني اوفق بالمقام وما تفرقوا الا من بعد ما جاء
هم العلم اى لم يتفرق الامم بعد موت الانبياء من لدن نوح الا بعد علمهم ان التفرق ضلال
وفسادا وما تفرق ابناء الموحدين الا بعد العلم من الانبياء بان التفرق ضلال لان الناس
كانوا بعد الطوفان امة واحدة مؤمنين فاختلفوا وما تفرق اهل الكتاب الا بعد ما جاءهم
العلم من المبعوث المصدق لكتابهم امن بعضهم وكفر اخرون بغيا بينهم ظلما فيما بينهم
لطلب الدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى هي العدة الى قيام الساعة لقضى
بينهم باستيصال المبطل وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم اعقابهم
الذين كانوا في عهده لفي شك منه من كتابهم ضموا الى التفرق الشك في الكتاب
الذي هو اصل دينهم وعلى الثالث هم مشركوا مكة اورثوا القرآن فهم في شك منه مريب
متعلق فلذلك فادع اى لاجل تشعب الكفر في الامم فادع الى الملة الحنيفية القديمة والاتفاق
عليها او اشارة الى مضمون شرع وما يتصل به اى لاجل ما شوركت معه اولئك الرسل من الامر
باقامة الدين والنهى عن التفرق فادع واستقم كما امرت على الدعوة ولا تتبع اهواءهم
الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب اى كتاب انزله فانهم امنوا ببعض وكفروا ببعض
وامرت لاعدل بينكم ان تحاكمتم الى فالاول اشارة الى القوة النظرية وهذا الى
العملية الله ربنا وربكم لا الاغيره لنا اعمالنا نجازى بها ولكم اعمالكم
كذلك تجازون فالنظر والنفسكم لا حجة بيننا وبينكم لا احتجاج لان الحق قد
ظهر والمراد ترك المقاولة الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير لا الى غيره
والذين يحاجون في الله اى في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب
له الناس ودخلوا او استجاب الله لرسوله بالنصر والوعد باظهار دينه حجتهم
داحضة عند ربهم ساقطة هم المشركون والذين كانوا يصدون عن سبيل الله
بان ما اتى به سحر او شعر او سحر وقيل هم اليهود كانوا يعرفون نبوته ويستفتحون به فلما جاءهم
كفروا فان قلت التقيد بقوله من بعد ما استجيب له يدل على ان قبل الاستجابة كانت

كانت حجتهم ناهضة قلت لا دلالة فيه بل انما ذكر اشارة الى فرط جهلهم اذ بعد ظهور تباشير
النصر وشروق شمس الحق لا وجه للانكار او للانكار بعد الاقرار حماقة وهم في ذلك كالراقم على الماء
وعليهم غضب واى غضب ولهم عذاب شديد ملايم لشدة جهلهم الله الذي
انزل الكتاب بالحق والميزان تهديد للكفار بعد ظهور الحق والميزان العدل والمعنى الله
الذي انزل جنس الكتاب مشتملا على الحق وامركم باقامة العدل بينكم وما يدريك لعل
الساعة قريب فيفاجيكم اليوم الذي يحاسبكم فيه فيوفى لمن وفى ويطفف لمن طفف
والساعة في تاويل البعث لذلك قيل قريبا او على تقدير المجئ واختصاصه بالخطاب لانه اذا لم يدع
وقد رعلمه فغيره من باب الاولى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها يقولون متى هذا
الوعد خايفون منها غاية الخوف كيف وهو يوم يجعل الولدان شيبا ويعلمون انها الحق
الذي لا مرية فيه يؤكد الاشفاق الا ان الذين يمارون في الساعة يجادلون في وقوعها
من المراء او من المرى يقال مريت الفرس اذا استخرجت ما عنده من الجرى فان كلا من المناظرين
يستخرج من قريحته ما يقدر عليه لفي ضلال بعيد عن الحق لتوافق العقل
والنقل على وقوعها الله لطيف بعباده بليغ البر بهم ولذلك اخر العذاب عن منكرى
الساعة مع تحقق استحقاقهم واللطف ايصال نفع له موقع بدقة وهو القوى العزيز
ما يشاء مترتب على السابق ترتب الانواع على الجنس فالكل للكل يخص هذا بنعمة وذاك باخرى
بليغ القدرة الغالب على ما اراد ولما شمل رزق الدارين قال من كان يريد
حرث الاخرة الحرث القاء البذر في الارض شبه به العمل الذي يطلب به الثواب فان الدنيا
مزرعة الاخرة نزد له في حرثه اى في ثواب عمله الحسنة بعشر امثالها الى ما شاء الله تعالى
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيا منها وهو المقدر له اذ ليس كل ما يتمناه يدركه
ولم يذكر ما للمؤمن من الدنيا لحقارته ولانه ليس مرادا بل وسيلة الى المراد كانيا بالعرض وما
له في الاخرة من نصيب اذ لم نزرع لها شيا ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم
ياذن به الله من الشرك وانكار البعث وقصر النظر على حرث الدنيا الهمزة في ام للتقرير والتوبيخ
اضراب عن قوله شرع لكم من الدين وما في البين اعتراض تتميما للاول وتاخير الاضراب عنه ليدل
على ان ما شرعوه يخالف لشرع الله من كل وجه ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق
بتاجيل العذاب او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضى بينهم بين المؤمنين
والكافرين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم يوم القيمة
وكل ات قريب ثم هول شانه بقوله ترى الظالمين في ذلك اليوم مشفقين
مما كسبوا من وباله وهو واقع بهم لا محالة اذ قد فات ذلك التلافي والذين امنوا
وعملوا الصالحات في روضات الجنات في انزه اماكن الجنة واطيبها لهم ما يشاؤن
عند ربهم عند ربهم نصب بالظرف لا بيشاؤن لفوات غرض المبالغة لانك
اذا قلت لي عند فلان ما شئت افاد ان كل مطالبك ثابتة عنده واذا قلت ما شئت عند
فلان فهو ثابت لا يفيد حصول كل مطلوب والاولى جعله خبرا اخر وانما اخر قيام من
الاولى وذلك ان الوافد المكرم ينزل اولا في انزه الاماكن ثم يقدم اليه الذ متناول
ثم يقرب رب المنزل وجعله حالا يفيد هذا المعنى ايضا الا انه فضل ذلك هو
الفضل الكبير اى ما يعطى المؤمن هو الذي يصغر دونه كل فضل ذلك الذي يبشر
الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات اى به حذف الجار ثم العايد او ذلك
التبشير الذي يبشر الله عباده وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بفتح
الياء واسكان الباء وضم الشين مخففا والتشديد ابلغ قل لا اسئلكم عليه
اجرا على تبليغ الرسالة الا المودة في القربى الا ان تودوني لقرابتي منكم

وذلك انه لم يكن في قريش بطن الا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة كذا رواه البخاري
عن ابن عباس لما سئل عن تفسير القربى في الآية وقيل الا التقرب الى الله بالطاعة وقيل الاستثناء منقطع
والمعنى لا اسألكم عليه اجرا قط لكن اسألكم المودة وفي القربى حال اي ثابتة متمكنة في حق القرابة وما
يروى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من هؤلاء الذين امر الله بمودتهم قال فاطمة وعلي وابناهما
فحديث منكر لان الآية مكية اتفاقا وعلي انما تزوج فاطمة بعد بدر وما رواه مسلم باسناده
الى زيد بن ارقم انه صلى الله عليه وسلم قال في خطبته اذكركم الله في اهل بيتي اني تارك فيكم
الثقلين كتاب الله وعترتي ولم يفترقا حتى يردا على الحوض ففيه كفاية في ايجاب حب اهل بيته
واجلال قدرهم وايثارهم على الارواح والمهج واذا كان الحب في الله من المؤمنين
من الايمان فكيف بحب ذريته اللهم اني احبهم واحب من يحبهم اللهم ابقني على محبتهم
واحشرني في زمرتهم اللهم اشدد وطأتك على من ناواهم واو من اواهم ومن يقترف
حسنة يكتسب طاعة وعن السدي هي المودة في القربى والحق عمومها لكن تناولها
اولى لانصالها بها نزد له فيها حسنا لمضاعفة ثوابها ان الله غفور لمن اذنب
شكور مجاز عن اعتداده بالطاعة ام يقولون افترى على الله كذبا
اضراب اخر اطم من الاول فان شرع الشركاء لهم الذين وان كان شرا الا انه لا يبلغ الحب
رتبة الافتراء على الله من مدعي الرشاد والاستفهام للتوبيخ كانه قال ايقدرون على اجراء
هذه الكلمة على افواههم ولا يخافون ان تصيبهم قارعة من السماء فان يشا الله يختم
على قلبك لتكون مثلهم اشارة الى ان الجرأة اليه تعالى شان من كان مختوما على
قلبه وفيه تعريض بهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته استيناف يؤكد مفهوم السابق
اي كيف يكون افترا وعادة الله القذف بالحق على الباطل وازهاقه وما اتى به يزداد
كل يوم فهو الحق الذي يؤيد بوحيه او قضاياه وقيل عدة لرسول الله بالنصر و
محق باطلهم بالقرآن فهو اعتراض يؤكد كونهم مبطلين في نسبة الافترا الى من هو اصدق
الناس لهجة باصدق حديث من اصدق متكلم وعن قتادة يختم على قلبك يقطع
الوحي عنك او يربط الصبر على قلبك حتى لا يشق عليك قولهم فيك انه عليم
بذات الصدور مضمراتها فيجازيهم على ما اضمروا من بغضهم وحسدهم اياك فضلا
عما اظهروه وهو الذي يقبل التوبة عن عباده لما عظم جرمهم دعاهم الى التوبة اشارة
الى ان الذنب وان عظم فعفوه اعظم واضافهم اليه ايما الى انهم لم يخرجوا بالذنب عن
حوزته ولم تنقطع بذلك العلاقة وحقيقة التوبة الاقلاع عن الذنب خوفا منه تعالى واما
الندم على الماضي والعزم على ان لا يعود فمن شرائطه ويعفو عن السيئات لمن
يشاء صغيرها وكبيرها الا ما استثناه من الشرك ويعلم ما تفعلون من خير وشر
وقرا حفص وحمزة والكسائي بالخطاب التفاتا مقبلا عليهم ليكون ادعى لهم الى
الرجوع ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب لهم بحذف اللام
وايصال الفعل او دعاهم بحذف المضاف ويزيدهم من فضله زيادة على ما سألوه
وقيل الاستجابة فعل المؤمنين حين دعاهم الى التوحيد وما يروى عن ابراهيم بن
ادهم قدس سره انه قيل له ما لنا ندعو فلا نجاب قال لانكم دعيتم فلم تجيبوا ثم قرا
والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا يؤيده وهو من قبيل كما تدين تدان ومن
تقرب الى شبرا تقربت اليه باعا ويزيدهم من فضله على هذا معطوف على مقدر اي فيوفيهم
اجورهم ويزيدهم والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من النعيم
ولو بسط الله الرزق لعباده بان يفيض عليهم فوق حاجتهم لبغوا في
الارض لافسدوا فيها بطرا واشرا فان المال سطرة ما شرة وكفى بحال قارون عبرة

عبرة وفي الحديث والله لا الفقر اخشى عليكم ولكن اخاف ان يبسط عليكم فتنافسوها
كما تنافس من قبلكم وفيه عنه تعالى ان من عبادي من لا يصلح له الا الفقر والمراد البغي
الذي يخل بالنظام فلا يرد ان البغي كائن والحالة هذه ولكن ينزل بقدر
ما يشاء بمقدار جرت به المشيئة واقتضته الحكمة انه بعباده خبير بصير يعلم
بواطنهم وظواهرهم تقرير للسابق وهو الذي ينزل الغيث المطر النافع الذي
يغيثهم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد من بعد ما قنطوا ايسوا بعد
العهد وعدم ظهور العلامات وينشر رحمته بركات الغيث ومنافعه او رحمته
من سائر الوجوه قيل شكي الى عمر قحط المطر فقال اقطروا اشتاقوا الآية وهو الولي
الحميد السيد الذي يستحق ان يحمد ومن آياته خلق السموات والارض فانها بذاتها تدل
على انه صانع حكيم وما بث فيهما من دابة مما رفوع او مجرور اي من آياته ما بث او خلق ما بث
قيل نسبة الدابة الى السموات والارض مع اختصاصها بالارض نسبة اللؤلؤ الى العذب
والاجاج وكقولهم بنو فلان فعلوا كذا ولا داعي الى هذا لوجود الدواب فيها حقيقة
دل عليه حديث البراق وكبش اسماعيل ومراكب اهل الجنة وهي كائنة الآن في السما
وهو من مفردات القرآن لبناء السورة على بيان كمال الاقتدار وفي تغليبها على العقلاء
اشارة الى كثرة الانواع والاصناف وما يعلم جنود ربك الا هو وهو على جمعهم
اذا يشاء قدير اي وقت اراده واذا تدخل المضارع دخولها على الماضي كقوله والليل
اذا يغشى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم من المعاصي فتلك كفارة لها وعن
بعض العارفين اني اذا ارتكبت معصية اعرف ذلك من خلق دابتي وذكر الايدي معظم لان اكثر
الاعمال بها وقرأ نافع وابن عامر بدون الفاء لان ما الموصول لا تستلزمها فيؤتى بها تارة
ويحذف اخرى حطا للمشبه عن المشبه به مع ما يفيده الباء من معنى السببية والنظم لا يدل
على الحصر فما يصيب اهل العصمة كالانبياء والاطفال فلرفع درجاتهم درجات آبائهم
بالصبر ويعفو عن كثير لا يؤاخذ به وما عفا عنه فهو اكرم من يرجع عن عفوه
ولذلك قال علي رضي الله عنه هي ارجى آية وما انتم بمعجزين في الارض
بفائتين لما قضي عليكم وما لكم من دون الله من ولي يتولى امركم ولا نصير
يدفع عنكم ما قضاه فلولا لطفه بكم لما عفا عن كثير ومن آياته الجوار في
البحر في آيات كمال اقتداره السفن الجارية في البحر مسخرة تحت امره كالاعلام
كالجبال كقول الخنساء كانه علم في راسه نار ان يشا يسكن الريح فيظللن
رواكد على ظهره اي يبقين وافقات على ظهر البحر من ركد الماء سكن ان في
ذلك التصرف لآيات لكل صبار شكور اي لكل مؤمن لانهما صفتاه حالتي
الضرا والسرا او يوبقهن بما كسبوا يهلك السفن بسبب معاصيهم عطف على
يسكن الريح وايقاع الايباق عليها مع ان العرض اهلها لدلالة على ان شؤم معاصيهم
قد سرى الى تلك الجمادات ويعف عن كثير عطف على يوبقهن بمعنى
ان يشاء يهلك بالريح العاصفة ما يشاء وينج اخرين وقيد الكثرة في مقام الانتقام
اشارة الى سبق رحمته ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص استيناف
او عطف على مجموع الشرطية كانه قال ليعترف بآياتنا المتدبرون ويعلم المجادلون
فيها ما لهم من محيص او على ومن آياته الجوار وما بينهما اعتراض بما يدل على
وعيد المجادل فيها مع الاشارة الى اشتمال تلك الآية آيات وقرأ نافع وابن عامر
بالنصب عطفا على تعليل مقدر نحو لينتقم منهم وكم مثله في القرآن نحو ولتجزى
كل نفس وقدر الزجاج ان ناصبة ولم يستحسن سيبويه تقدير ان بعد الواو والفاء

في مثل ان تاتي آتك واكرمك اوفاكرمك لكونه عدولا عن الاصل بلا فايدة فما
اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله من الثواب خير افضل وابقى
وادوم للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون عن علي رضي الله عنه كان عند ابي بكر مال فتصدق
فلامه المسلمون فنزلت والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش عطف على للذين
آمنوا وكذا ما بعده اي الكبائر من هذا الجنس وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم اي الشرك
كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما او الجنس ولان فعيلا يقع موضع الجمع نحو وحسن
اولئك رفيقا والجمع اظهر واذا ما غضبوا هم يغفرون اي هم الاخصاء بالغفران والتجاوز
عن المسيء اذ لا يغتال احلامهم الغضب والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة
نزلت في الانصار لما دعاهم رسول الله بعد ان دعا ساير العرب فلم يجيبوه وامرهم
شورى بينهم ذو شورى بمعنى التشاور كانوا على ذلك قبل مقدم رسول الله
فلذلك عطف الاسمية على الفعلية وبالغ بجعل الامر نفس الشورى ومما رزقناهم
ينفقون اي بعض في وجوه البر والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون
اي هم مخصوصون بالانتصار وهو الاقتصار على قدر الاستحقاق دون غيره فانهم
يعتدون لانهم ينتصرون ولا يغفرون لما تقدم وجزاء سيئة سيئة مثلها
والثانية سيئة لانها تسوء من تنزل به وقيل للازدواج وفيه اشارة الى ان طريق الانتصار
غير مامون العثار لانه انما يحمد بشرط رعاية الاحتياط وهي عسرة ولذلك فرع عليه
فمن عفا واصلح تجاوز عن خصمه واصلح ما بينه وبينه فاجره على الله
لا يقادر قدره انه لا يحب الظالمين فليحذر المنتصر عن التجاوز لئلا يدخل في
زمرة الظالمين فقد ارشد الى ايثار الاحسن على ابلغ وجه ولمن انتصر بعد ظلمه
فاولئك ما عليهم من سبيل لان موثر الحسن لا عتب عليه بترك الافضل
لا حالا ولا مالا انما السبيل على الذين يظلمون الناس ابتداء مستمرين عليه
ويبغون في الارض بغير الحق يتكبرون ويفسدون اولئك لهم عذاب اليم
على بغيهم ولمن صبر وغفر لمن ظلمه ان ذلك لمن عزم الامور الامور
المطلوبة المرغوبة وهذا اذا لم يرد طغيان الظالم بالعفو عنه لما روى عروة بن الزبير عن
عايشة رضي الله عنها دخلت علي زينب وهي غضبى فاغلظت الكلام على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم اقبلت علي فاعرضت عنها حتى قال رسول الله دونك فانتصري فاقحمتها حتى
يبس ريقها في فيها ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده يتولى امره عطف على اولئك لهم
عذاب اليم كني به عن الظالم تسجيلا عليه بالضلال وما في البين اعتراض تحذيرا عن الظلم
وترى الظالمين لما راوا العذاب يرونه والماضي لكونه لازم التحقق والخطاب عام و
يقولون هل الى مرد من سبيل الى الدنيا وتريهم يعرضون عليها
على النار دل عليه العذاب خاشعين من الذل متقاصرين لما يلحقهم من الذل
ينظرون من طرف خفي من بين الاجفان كالمصبور اذا نظر السيف وقال الذين
آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب يوم القيمة
يتعلق بالخسران على ان قول المؤمنين في الدنيا او بالقول على طريق التنازع بينه وبين
الخسران والاصل انه والعدول الى المنزل للتسجيل عليهم بكمال الخسران والقول كالرؤية
وان كان عاما الا انه اسند الى المؤمنين لابتهاجهم بالنجاة الا ان الظالمين في عذاب
مقيم دايم من كلام المؤمنين او تصديق من الله وما كان لهم من اولياء ينصرونهم
من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا
لربكم اذ لم يبق في البيان موضع اشتباه من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله صلة

مرد اي بعد ما قضى به لا يرده او متعلق بياتي اي ياتي لا يقدر احد على رده ما لكم
من ملجا يومئذ وما لكم من نكير انكار يجدي وذلك بعد شهادة الجوارح عليهم فان
اعرضوا بعد الدعاء عن الاستجابة فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا فيما تضبط احوا
لهم حتى تهالك على هدايتهم ان عليك الا البلاغ وقد قمت به قيام الابد وانا
اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها فرط بطر الاستبشار بما يتفضل به تلقيا اياه بالشكر
وان تصبهم سيئة افة في المال او في البدن بما قدمت ايديهم بشوم ما كسبوا من الكفر و
المعاصي فان الانسان كفور بليغ الكفران والمراد بالمجرم لما تقدم فاللام للعهد وانما
موقع المضمر للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بالكفران مثل قوله ان الانسان لظلوم كفار وايثار
اذا في الحسنة وان في السيئة لتحقق الحسنة وشيوعها وندرة السيئة ووقوعها لله ملك
السموات والارض يذيق تارة الحسنة واخرى السيئة كما يشاء بيده الالاء والبلاء وفيه اشارة
الى انه كان يجب عليه عند اذاقة الرحمة الاستكانة شكرا لموليها لا البطر والاشر وعند
اذاقة ضدها الرجوع بالتوبة الى مبليها لا الجزع والكفور يخلق ما يشاء احوال الكاينات
من الالاء والبلاء ثم بينه بامر مسلم لا يمارون فيه فقال يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن
يشاء الذكور ولما كان الكلام فيما لا يهواه الانسان ولم يكن عندهم بلاء اعظم من الاناث
وحديث واد البنات اصدق شاهد قدم الاناث وجبر ما فات الذكور من رتبة التصدير بان
عرف اشارة الى انه الحاضر في خواطرهم اول كل خاطر ثم اعطى بعد ذلك كلا منهما
حقه بقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا فلم يعد لفظ الهبة لتركب الاولين واعاد في قوله ويجعل من
يشاء عقيما لا يولد له اصلا لانه قسيمهما انه عليم قدير وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء اشارة الى انه كما خص من شاء ما شاء من الاناث والذكور
كذلك تكليمه لخواص البشر اطوار على مقتضى المشية والظاهر الحصر في الاوجه الثلاثة واراد
بالوحي ما يعم الالهام كما لام موسى والمنام كما لابراهيم ومن وراء حجاب كما كلم موسى او يرسل
رسولا ملكا كاكثر احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم او رسولا من البشر الى الامم
وهم الرسل ووحيا وان يرسل ومن وراء حجاب احوال من فاعل يكلمه او مفعوله او الثلثة
موضوعة موضع كلاما لان الوحي كلام خفي والارسال كلام على السنة الرسل او التقدير
بان في الثلاثة هذا وليس في الاية دليل لمثبت الرؤية ولا لنافيها بل انها لو وقعت لم يكن
في احد الاحوال الثلثة وعلى الكمل الواصلون اذ في مقام الشهود يرتفع حجاب المخاطبة لكون
البقاء به تعالى وفي ايرادها روعي اسلوب الترقي وقرا نافع او يرسل بالرفع خبر مبتدا او هو
يرسل وكذا فيوحي انه علي متعال في ذاته وصفاته وافعاله فلذلك كان كلاما على
النحو المذكور حكيم يضع كل شيء موضعه وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا كما اعلمناك مراتب الكلام اوحينا اليك القرآن الذي يحيى به القلوب الميتة
بداء الجهل وقيل هو جبرئيل ارسل بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الايمان اي شرايعه وتفاصيله اذ كان اكمل المؤمنين قبل النبوة اما تعبدا بالاجتهاد او
بشرع او نفس الايمان فان الذي نفي هو العلم به لا وجوده ولا تلازم بينهما ولكن جعلناه
نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالتوفيق وانك لتهدي الى صراط
مستقيم لا عوج فيه صراط الله الذي شرعه لك الذي له ما في السموات
وما في الارض ومن يكون هذا شانه صراطه اقوم السبل الا الى الله تصير الا
مور ويرى كل جزاه تمت الشورى والحمد لله في الاخرة والاولى

سورة الزخرف مكية وهي تسع وثمانون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالقرآن

على انه جعل قرآنا عربيا وهو من بدايع الايمان للتناسب الظاهر وللاشارة الى انه لا شئ اعلى
منه يقسم به ولا اهم من وصفه فيقسم عليه مثله قول ابي تمام وثناياك انها اغريض المبين
الواضح لمن تدبر او الموضح طريق الهدى او ما يحتاج اليه في الدين او باعجازه صدق المرسل به و
جعل بمعنى صير معدى الى مفعولين او خلق فالى واحد وقرآنا عربيا حال ان والاول اوفق اذ لم يقع
الكلام في كونه مخلوقا بل في كونه وارداً على اسلوب كلامهم ليدركوا اعجازه لعلكم
تعقلون لكي تفهموا معانيه وانه في ام الكتاب في اللوح لانه اصل الكتب منه
تنقل وقراء حمزة والكسائي بكسر همزة ام لدينا لعلي شانه ذو شرف او
عال على ساير الكتب باعجازه او عن نظرق التحريف ووجوه الفساد انا له لحافظون
حكيم ذو حكم او محكم لا ينسخ ابداً وهما خبراان وفي ام الكتاب يتعلق بهما واللام غير
مانع لاتساع الظروف ولدينا بدل منه او حال من الكتاب افنضرب عنكم
الذكر صفحا عطف على مقدر اي انتركم ونذود عنكم انزال القرآن ونتحيه بمثل
تنحية حال الذكر وتحية بجال غرايب الابل وورودها كقول طرفة اضرب عنك الهموم طارقها
ضربك بالسيف قونس الفرس والمعنى انكار ان يكون الامر على خلاف ما تقدم من
انزال القرآن عربيا ليعقلوه وصفحا مصدر من غير فعل او حال اي صافحين او مفعول
له او ظرف بمعنى الجانب اي نتحيه عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين لان كنتم وقرأ
نافع وحمزة والكسائي بالكسر شرطا لقصد التحقيق وان كانا العلم بكونهم مسرفين قطعيا كقول
الاجير ان عملت لك فاعطني حقي وكم ارسلنا من نبي في الاولين في الامم وما
يأتيهم من نبي حكاية الحال الماضية دلالة على استمرارهم الا كانوا به يستهزؤن فاهلكنا
اشد منهم بطشا من المسرفين صرف الخطاب عنهم بعد الانكار ومضى مثل الاولين
قصتهم وحالهم ما نزل بهم من الامر العجيب الذي ينبغي ان يسير مسير المثل وسينزل بهؤلاء
مثله سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل مضى سلف في القرآن ذكر قصتهم في مواضع
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم
الوصفان وما بعدهما من الصفات من كلامه تعالى لقوله الذي جعل لكم الارض مهدا
ولقولهم خلقهن الله في مواضع والمعنى ليسندن خلقها الى الموصوف بهذه الصفات
كما اذا سميت لمخاطبك رجلا باسمه العلم ليبلغ عنك كلاما فسماه عند التبليغ بلقبه الدال
على المدح وقيل هما من كلامهم وما بعده استيناف الذي جعل لكم الارض مهادا
فراشا وقرأ الكوفيون مهدا اسم لما يمهد فيرجع الى الاول وجعل لكم فيها سبلا
طرقا تسلكونها الى اقصى الاوطار وما يوصلكم بالتدبر فيها الى الصانع ووحدانيته في
لعلكم تهتدون لكي ترشدوا والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار
وحد اقتضته الحكمة لا افراط ولا تفريط فانشرنا به بلدة ميتا غلبها اليبس
وفارقها النضارة والنماء وتذكيرميتا باعتبار المكان كذلك تخرجون من
القبور اذ كل منهما نوع لحياة وانما وسط بين الصفات اهتماما لكونها الغرض المسوق
له الكلام وليكون محاطا بالادلة واشارة الى ان كلا من السابق واللاحق كاف على حياله
دليلا وقرأ حمزة والكسائي يخرجون بفتح التاء والذي خلق الازواج كلها
الاصناف بلا وساطة وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون تركبونه يقال ركب في
الفلك وركب الانعام غلب المتعدي لقوته وتقديم الفلك لكونه اعرق في كونه نعمة
لتستوا على ظهوره ظهر المركوب الضمير لما باعتبار اللفظ ثم تذكروا نعمة
ربكم اذا استويتم عليه بالسان والقلب ولذلك اثرها على الحمد والمراد مقابلتك
النعمة بالشكر وفي ثم اشارة الى انه لا يفوت وقته بالتراخي لو ذهل عند الركوب

ولعله ... ومنه ... والاقوة وبرق ... فبطاح منزع في ... في ... الصباح ... منه

رد الكلام الكشف

انما سعيهم اذا سبق نزول هذه السورة منه

ولعل احتياج الفلك الى الجار لكونه غير مخلوق للركوب سلمه الله منه

روى الحديث ابو داود واحمد والترمذي والنسائي منه

الركوب وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين لولا تسخيره اصله
من القران وهو الجمع ومنه الاقران لاجتماعهم في الزمان والصفات عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بدابة فلما اراد الركوب قال
بسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ثم ضحك فقلت
مما تضحك يا رسول الله قال تعجب الرب من عبده اذا قال رب اغفر لي فيقول علم عبدي
ان له ربا يغفر الذنوب وانا الى ربنا لمنقلبون بعد الموت يذكره سيره الحقيقي و
ركوب الجنازة ولانها حالة اعتبار وللنفس في ذلك الوقت شموح فيذكرها الموت و
الرجوع اليه تعالى حافيا عاريا لا مركب له سوى العمل الصالح هذا في ركوب الدابة ويقول
عند ركوب السفينة بسم الله مجريها ومرسيها وجعلوا له من عباده جزءا متصل
بقوله ولئن سألتهم حال من فاعل ليقولن اي بعد ذلك الاعتراف المنافي لهذا القول
ارتكبوه ولم يحتشوا وصمة التهافت والتناقض وهو قولهم الملائكة بنات الله وعبر بالجزء
لان الولد بضعة من ابيه كقوله صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني وفيه اشارة الى
استحالة مقالهم لان الواحد الحقيقي لا يعقل له جزء بوجه وقرأ ابو بكر باسكان الزاء وهم
لغتان كالكفو والعقب ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران ام اتخذ مما يخلق
بنات واصفاكم بالبنين انكار وتعجب من فرط جهلهم حيث اثبتوا له
اخس الصنفين ثم بين ذلك بقوله واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالبنات
سماه مثلا لانه يلغ في الشناعة الى حيث جدير بان يسير مسير الامثال ظل وجهه مسودا
صار اسود غاية من شدة الحياء وهو كظيم مملوء غيظا او كاظم على غيضه او من
ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين انكار آخر اشد من الاول لشرح حال ذلك
الاخس والمعنى اجعلوا له من يربى في الزينة والحال انه لا يقدر على اقامة برهان عند الجدال
والحجاج فالاول اشارة الى ضعف البنية والثاني الى نقصان العقل وقلما تصدت امرأة الى محاجة
الا اتت بما هو عليها وقرأ حمزة والكسائي وحفص ينشؤ بضم اليا وتشديد الشين وهو
اولى لدلالته على زيادة الاحتجاج وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
اي جعلوا عباده المكرمين والملائكة الاعلى المقربين اناثا مع انه ادني محالوق ويستنكف من
هذا الاسم والغرض من ذكره على وجه الاعتراض الدلالة على ان ما هم عليه من اعتقاد
والولد مثل ما هم عليه من تانيث الملائكة وانه مع عدم ملاحظة نسبة الولد اليه في
نفسه كفر عظيم وتحقير لما عظمه الله وافتراء على سكان ملكوته وفي العباد ايما الى
تكذيبهم وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير عند الرحمن كقوله الذي عند ربك والمراد
وقربهم رتبة وهذا ابلغ ذما اشهدوا خلقهم وذلك لم يكن قط ولا دليل لهم
عقلا ولا يساعدهم نقل فليس ذلك الا افتراء وقرأ نافع اشهدوا بزيادة همزة مضموم
مسهل كالواو وسكون الشين ولقالون عنه وجه آخر هو الفصل بينهما بالالف ستكتب
شهادتهم على الملائكة اي كتبت لا محالة والسين للتوكيد ويسئلون
سوال التقريع وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم قالوه استهزاء ولو قالوه جادين لكانوا
مؤمنين لما تقرر ان لا كاين دون مشيته هذا والحق انهم لم يكفروا بمجرد قولهم ما
الكفر بمشيته تعالى بل لقولهم انه اذا شاء ذلك لا يجوز منه الامر بالايمان ولذلك
جهلهم بقوله ما لهم بذلك من علم لاعتقادهم عدم الانفكاك بين الامر والارادة
مع تحققه ان هم الا يخرصون يكذبون ويجوز ان يكون الاشارة الى جميع ما سبق
من قوله وجعلوا له من عباده جزءا والاول اقرب للقرب وللتعقيب كل بانكار

مستقل ولطباقه ما في الانعام ام اتيناهم كتابا من قبله ابطال لطريق النقل في ذلك
بعد ابطال طريق العقل فهم به مستمسكون معصمون لا يقدرون على تركه بل قالوا انا
وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون اى ليس لهم في ذلك دليل عقلا
او نقلا بل مبنى امرهم على تقليد ابائهم الضالين والامة الطريقة التى تقصد من الام
كالرحلة لمن يرحل اليه ثم اشار ان هذا الضلال طريقة امثالهم في تكذيب الرسل بقوله
وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون في ذكر المترفين دون غيرهم اشارة
الى ان التنعم يوجب البطالة وعدم النظر في العواقب او لان غيرهم اتباع لهم لقوله
صلى الله عليه وسلم فان توليت فعليك اثم الاريسيين قل اولو جئتكم باهدى مما
وجدتم عليه اباءكم اتقتدون بهم ولو جئتكم بما هو اهدى من دين ابائكم وهذا على
زعمهم اذ لا هداية من ابائهم والمخاطب رسول الله او النذير ويؤيده قراءة ابن عامر
وحفص قال قالوا انا بما ارسلتم به كافرون كناية عن الثبات على دين ابائهم واشارة
الى ان مقصودهم غير حاصل ولو انتقلوا من دين ابائهم لانهم كافرون بما ارسلوا به
تامل وتسل فانك سترى مثله فيمن كذبك واذ قال ابرهيم لابيه وقومه اى اذكر لقومك
وقت قول لاعزته انني براء مما تعبدون من الاصنام كيف ترك التقليد وتبرأ منه
وهم يفتخرون بالانتماء اليه فهلا اتبعوه وهب انهم لا يرعون عن تقليد الاباء وكان تقليد
الاب الافضل الاعلم اولى واخلق وبراء كسماع مصدر وصف به الا الذي فطرني
استثناء منقطع او متصل لشمول المعبود الحق والباطل ويجوز ان يكون بدلا لان قوله
انني براء مما تعبدون لا اعبد ما تعبدون فانه سيهدين يثبتني على الهداية او يزيدني
وجعلها كلمة باقية اى كلمة التوحيد كقوله ووصى بها ابرهيم بنيه او الضمير لعلكم
يرجعون يرجع المشرك عن الاشراك بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء واباءهم
بطول العمر وبسط الرزق والعافية فاشتغلوا به عن التوحيد والنظر في دلايل حتى
جاءهم الحق ورسول مبين واضح الرسالة بالمعجزات فلما جاءهم الحق اى القران
قالوا هذا سحر وانا به كافرون اى لما جاءهم الرسول بالحق لينبههم عن سنة الغفلة
ويزجرهم عن الانهماك في الملاذ عكسوا وجعلوا ما هو سبب للتنصل موجبا للتوغل
فضموا الى الشرك والغفلة هذه القبايح بعد مجيء ما يقلعه عن اصل وقالوا لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين باب اخر من كفرهم اخذوا في التحكم والاعتراض
على العلام الخبير كانوا ينكرون ان يكون الرسل من البشر فلما تكرر عليهم الحجج قاسوا امر
النبوة على حظوظ الدنيا اى لو كان الامر كذلك كان اللايق بهذه الرتبة رجل من
مكة او من طايف ذو مال ووجاهة قيل اراد الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي
وقيل الوليد وحبيب بن عمرو الثقفي وقيل عتبة بن ربيعة وابن عبد ياليل وعن ابن
عباس رضي الله عنه جبار من جبابرة قريش وهذا اظهر اهم يقسمون رحمة
ربك وهي النبوة انكار وتعجب من تحكمهم نحن قسمنا بينهم معيشتهم في
الحيوة الدنيا ما يعيشون به ويتمتعون ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات في المال
والجاه والقوة والضعف فمنهم الموالي ومنهم الخدم ليتخذ بعضهم بعضا
سخريا يسخره في اشغاله ويستعمله في خدمه واعماله حتى يتم النظام ويحصل بينهم
التالف والتضام واذا كانوا عن تدبير المنزل عاجزين اين هم من تدبير الدارين
والخيار من يكون واسطة بين الله وبين عباده ورحمة ربك النبوة والدين خير مما يجمعون من

اى الاكاذيب الاتيج منه

فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين

او لان التبرؤ لا يكون في الموجب ... منه

من الحطام الفاني ثم حقر شان ما هم فيه من الدنيا وزخارفها بقوله ولولا ان يكون الناس
امة واحدة بالكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من
فضة ومعارج جمع معرج وهي المصاعد عليها يظهرون الى العلالي والسطوح وانما نفى
الثاني لوجود الاول وهو كراهة اجتماع الكل على ملة الكفر المنافي للحكمة لبيوتهم بدل اشتمال
وقرا ابن كثير وابو عمرو سقفا بفتح السين مفرد الدلالة جمع البيوت ولبيوتهم ابوابا و
سررا عليها يتكئون ترونها وزخرفا اى وجعلنا لهم زخرفا زينة من الذهب في كل شيء من
الاواني والالات ويجوز عطفه على محل من فضة اى بعضها ذهبا والغرض تحقير زهرة الدنيا
وفي معناه قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا
شربة ما وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا يتمتع به ان هي المخففة واللام هي الفارقة
وقرا حمزة وعاصم وهشام بخلاف عنه لما بتشديد الميم بمعنى الا وان نافية و
الاخرة عند ربك للمتقين الكفر والمعاصي ومن يعش عن ذكر الرحمن يقال عشي الرجل
اذا صار لا يبصر بالليل دون النهار فهو اعشى واذا نظر نظر الاعشى ولم يكن به افة يقال
عشا يعشو نقيض له شيطانا يزين له المعاصي ويوسوس اليه فهو له قرين
مصاحب ملازم وانهم اى الشياطين ليصدونهم عن السبيل الطريق الموصل الى
الله وجمع الضمير لارادة الجنس لقوله وقيضنا لهم قرناء وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم و
حمزة يصدون بكسر الصاد لغة ويحسبون انهم مهتدون باتباع الشياطين كذلك
يضل الله من يشاء حتى اذا جاءنا العاشي وقرا نافع وابن كثير وابن عامر وابو بكر
بلفظ المثنى اسنادا للفعل الى القرينين والاول اولى لان الاتي قصدا هو العاشي قال
يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين القايل هو العاشي والمعنى بعد المشرق من المغرب
لانه غاية البعد لا بعد بعدهما من شيء اخر فاقتصر لامن اللبس وفيه تغليب الاشرف فبئس
القرين انت ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون اى لا ينفعكم
اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في بلية اشتراكهم بتحمل الاعباء وتقسيم العناء لان
كلا منكم قد حمل ما لا يبلغه طاقته او لا ينفعكم هذا التمني لان حقكم ان تشتركوا في العذاب
كما اشتركتم في سببه وانكم تعليل اوليس لكم ما يجده المكروب من الروح والتاسي اذا راى
من شاركه في العذاب كقول الخنساء اعزي النفس عنه بالتاسي واذ بدل من اليوم بتقدير
ماض اى تبين او صح افانت تسمع الصم او تهدي العمي انكار وتعجب من ان يكون
له القدرة على ذلك فانه من خواص مقام الربوبية وفيه مدح له حيث بالغ في تحصيل هدايتهم
الى ان بلغ هذا الحد شبههم بالاعشى لطرا البداية وحكم بالصمم والعمى بعد التمرن ومن كان
في ضلال مبين مستغرق فيه لا يرجى خلاصه عطف على العمى باعتبار الوصف وفيه
اشارة الى ان ذلك الاستغراق هو علة العمى والصمم فاما نذهبن بك قبل نصرك
واهلاكهم فانا منهم منتقمون اشد انتقام في الاخرة لا محالة او نرينك الذي
وعدناهم او نحن في حياتك العذاب الموعدهم فانا عليهم مقتدرون لانهم
تحت ملكتنا لا يفوتوننا فاستمسك بالذي اوحي اليك سواء عجلنا لك الظفر او
اخرنا لا تضجر وتمسك بما اوحي اليك وتصلب على الحق كما يتصلبوا هم على الباطل انك
على صراط مستقيم استيناف في موضع التعليل وانه لذكر لك ولقومك اى
القران مع كونه هاديا الى سبيل السعادة شرف لك ولقومك في الدنيا وسوف تسألون
عن معاملتكم اياه وهل وفيتم بحقه واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
كان انكارهم عليه انه نهى عن عبادة الاوثان اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء
عجاب فاستشهد عليهم باجماع الرسل على التوحيد وانه شرع قديم والمراد سؤال اتباعهم

الذين آمنوا كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من
قبلك اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون هل اذنا بذلك في ملة من الملل ولقد
ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب
العالمين كما قلت فكذبوه كما كذبوك وافتخروا بما اوتوا من زهرة الدنيا كما افتخرت
قريش على من تفضل فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون اي فاجاؤا وقت مجيئها
الضحك من غير تامل ليظهر لهم الصدق من الكذب ولذلك لم يصفها بالبينات لان
فايدة ذلك انما تظهر لمن تدبر وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها الا اخت الآية
ما يكون مثلها ولما كان نعت سياق النفي افاد ان كل واحدة اكبر من البواقي اذا نظر الى فرد
فرد معتصلا وان لوحظ الكل يتوقف كقول الانمارية في بنيها الكملة وقول الحماسي من
تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري والمعنى ان الكل موصوفا
بالكبر لا تفاوت بينها في افادة المقصود على التمام واخذناهم بالعذاب الطوفان
وما عداه اجمل لانه بصدد بيان كفرهم لا بيانه لعلهم يرجعون لكي يرجعوا وقالوا
يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك من النبوة او من استجابة دعائك او كشف
العذاب عمن آمن بك او بما عهد اليك من الايمان والطاعة فوفيت اننا لمهتدون
لا ينافي هذا قسميتهم اياه ساحرا لانهم لفرط حيرتهم سبق لسانهم الى ما تعودوا به او لان
السحر كان عندهم نضيل يسمون العالم الماهر ساحرا وقيل كان هذا من حماقتهم وقيل قولهم
اننا لمهتدون وعد منوي فيه الاخلاف فلذلك سموه ساحرا وكلاهما بعيد اذ حال التضرع
ينافي اظهار الاخلاف والحمق فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجاؤا نكث
عهدهم ونادى فرعون في قومه لما حشرهم او امر بان ينادي في المجلس والاسواق
والاسناد مجاز قال يا قوم اليس لي ملك مصر تفسير للنداء وهذه الانهار تجري
من تحتي تحت امري او قصري او بين يدي في جناني وحدايقي الواو اما عاطفة للانهار
على الملك فتجري حال منها او هذه الانهار مبتدأ موصوف وتجري هو الخبر افلا تبصرون
ام انا خير ام متصل وذلك انه لما تقدم ذكر اسباب التقدم عقبه بافلا تبصرون اشارة
الى انه من الوضوح بحيث لا يخفى على ذي بصر ثم وضع ام انا خير مكان ام تبصرون دلالة على
ان هذا الشق هو الواقع كانه يحكيه على لسانهم وقيل هو من اقامة المسبب مكان السبب لان
تلك الاسباب سبب ان يقال فيه انت خير وقيل لان علمهم بانه خير مستفاد من الابصار
من هذا الذي هو مهين يريد موسى من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين لا يقرب
من بيان المقصود واراد ما كان به من الرتة فلولا القي عليه اساورة من ذهب كناية
عن اسباب الملك فانهم كانوا اذا ملكوا رجلا سوروه وطوقوه وقرأ حفص اسورة جمع
سوار وقراءة القوم اساورة جمع الجمع اوفق لان المعنى على الكثرة او جاء معه الملائكة
مقترنين حافين به يعينونه ويصدقونه فاستخف قومه استخف احلامهم واستركك
عقولهم فاطاعوه وعن الرشيد لما تلا اليس لي ملك مصر قال لاولينها اخس عبيدي
فولاها خصيبا وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر لما ولي مصر سار اليها فلما اشرف عليها
قال هذه القرية التي ادعى فرعون الربوبية بملكها والله لهي اقل عندي من ان ادخلها فثنى
عنانه انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك عبدوا فاسقا مثلهم فلما آسفونا
اغضبونا من الاسف وهو شدة الغضب انتقمنا منهم ادنا الانتقام فاغرقناهم
اجمعين التابع والمتبوع فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين قدوة في
العذاب لمن عمل مثل عملهم وحديثا عجيبا يضرب به المثل كما نرى في الاستطالة
فرعون على كل جابر مسرف وقرأ حمزة والكسائي سلفا بضم السين واللام جمع

الاول للقاضي الثاني
للكشاف
منه

كان قصير القامة اكرم اهل
زمانه اكثر في مدحه
ابو نواس
منه

جمع سلف كاسد واسد او سليف كرغيف ورغف وسالف كصابر وصبر ولما ضرب
ابن مريم مثلا يا باب آخر من كفر قريش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم تلا عليهم قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال ابن الزبعرى
الناولا لهتنا يا محمد ام عامة فيمن عبد من دون الله قال بل عامة فقال خصمتك ورب
الكعبة عبدت الملائكة والمسيح فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وقيل لما سمعوا ان مثل
عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب فقالوا ان النصارى وهم اهل الكتاب قد عبدوا
من هو مخلوق من تراب ونحن عبدنا الملائكة وقيل لما سمعوا ان مثل عيسى عند الله
كمثل آدم قالوا يريد محمد ان نعبده كما عبد عيسى وليس بظاهر وفيه فك الضماير
وقيل لما انكر عليهم عبادة الملائكة فقالوا لم نفعل بدعا فان النصارى ايضا قد عبدوا
عيسى المعاني الغريبة والحجج البديعة تسمى امثالا لانها تسير مسيرها والاول ابلغ وعن الفراء
لغتان اذا قومك منه يصدون يضجون من الصديد وهي الجلبة واللغط وقرأ نافع وابن عامر والكسائي
بضم الصاد وهو الاعراض والاول ابلغ وعن الفراء هما لغتان وقالوا آلهتنا خير
ام هو اي عيسى او محمد ما ضربوه لك الا جدلا لاجل الجدل او جدلين ابطال لقولهم
اجمالا اشارة الى ان ما قالوه لم يكن اعتقادا بل عنادا اذ لا يقول بان عيسى والملائكة
في النار ذو مسكة لكن التعصب يغطي على الابصار والبصاير بل هم قوم خصمون لداء
اشداء في الخصام ان هو الا عبد انعمنا عليه بالرسالة رد لما ادعته النصارى وما فرعه
اليهود وجعلناه مثلا لبني اسرائيل شأنه بديعا اشارة الى وجه افتنان النصارى
واليهود فيه ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض
يخلفون كما يخلفكم اولادكم تذييل للدلالة على كمال اقتداره والاشارة الى بعد المسيح عن
ذلك الافراط والتفريط وانه لعلم للساعة شرط من اشراطها يعلم به وفي تهذيب روى
البخاري مرفوعا يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا يكسر الصليب ويقتل الخنزير
ويضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام او لانه كان يحيى الموتى فدل على جواز البعث فلا تمترن
فلا تشكوا احدا في بها واتبعون هداي او رسولي او قل واتبعون فلا يحتاج الى التقدير
هذا صراط مستقيم اشارة الى ما ذكر من الجواب وبيان شأن المسيح ولا
يصدنكم الشيطان عن اتباعي انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة من لدن آدم و
البغض والحب يتوارثان ولما جاء عيسى بالبينات المعجزات الواضحات والاحكام
الجلية قال قد جئتكم بالحكمة الانجيل او الشريعة ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه
مما يتعلق بامر الدين عطف على مقدر اي لادعوكم الى الله فاتقوا الله واطيعون
فيما امركم به ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه وحده واثبات ضمير الفصل ههنا دون
غيره لان الكلام في كونه عبد من دون الله فكان المقام جديرا بالتاكيد هذا صراط
مستقيم من كلامه عليه السلام او من كلامه تعالى ثناء عليه ودلالة على ما يقتضي
اتباعه فاختلف الاحزاب من بينهم الذين تحزبوا بعد عيسى وهم الملكانية واليعاقبة
والنسطورية وقيل اليهود والنصارى الضمير لمن خاطبهم عيسى فويل للذين ظلموا من عذاب
يوم اليم وعيد للاحزاب بعد الجواب عن شبهتهم اشارة الى ان حال عيسى مع من ارسل
اليهم مثل حالك دعاهم الى الله فاختلفوا فيه كما اختلف فيك قريش ثم هددهم بقوله
هل ينظرون الا الساعة اي لا ينتظرون شيئا سواها لقيام البراهين وانزياح الشبه
ان تأتيهم بغتة بدل من الساعة وهم لا يشعرون غافلون في اشتغالهم قيد للاتيان
لجواز اجتماع البغتة والشعور الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين شرع بعد

ترهيبهم عن الساعة يتبين بعض احوالها والمعنى ان فى ذلك اليوم تنقطع المحبات وتنقلب
عداوة ويلعن بعضهم بعضا الا محبة المتقين الذين احبوا لله واتقوا ان يشوب حبهم غرض
غير الحق فان ذلك باق لانه من اوثق عرى الايمان يا عباد لا خوف عليكم اليوم
ولا انتم تحزنون حكاية ما ينادى به المتقون المتحابون فى الله وعن معتمر بن سليمان اذا كان
يوم القيمة ينادى بها فيرجوها كل احد ثم يتبعها الذين آمنوا بآياتنا فييأس
غير المؤمنين فالعام مخصوص اما بالسابق او باللاحق والاول اوفق وكانوا مسلمين
مخلصين حال من الواو ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون تسرون من الحبار وهو
الاثر او تزينون من الحبرة وهى المبالغة فيما وصف به الجميل يطاف عليهم بصحاف من
ذهب اوانى المكل جمع صحفة قصعة تشبع خمسة واكواب جمع كوب كوز لا عروة لها على
ما يتعارفه اهل السكر من السراحيات وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين اى
يتوافق فيه العين والقلب وهو الغاية والعين رائد القلب وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا
لقلبك يوما اتعبتك المناظر ومدركات سائر المشاعر ادرج فى مدرك القلب وانتم فيها
خالدون هذا راس النعم لانه بدونه قال لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بادكار الموت
والهرم وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون اى الموصوفة هى الجنة التى اورثتموها
جزاء لعملكم والتعبير بالايراث مبالغة لان ملك الارث لازم لا يمكن رده وقيل لان المؤمن
يرث ما كان معدا للكافر لولا امن لقوله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وكتب له مقعده
من الجنة ومقعده من النار لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون من الفاكهة تأكلون
لا من غيرها اذ كل اهل الجنة لا يكون الا تفكها وقيل من تبعيضية لانهم لا يأكلون الا بعضها
ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون اردف الوعد بالوعيد على الدأب المستمر و
المراد الكاملون فى الاجرام لا يفتر عنهم لا يخفف من عذابها من فتر الحمى سكن حرها قليلا
ومن قال يعادون فلا يألمون فقد كذب القرآن وهم فيه فى العذاب مبلسون ايسون
وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين تعريضا للسخط ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
بالموت لتستريح ولا ينافيه الابلاس لاختلاف الاوقات وله نظائر او لشدة ما بهم لا يدرون
ما يقولون كما ترى الواقع فى شدة يتناقض كلامه معترفا بذلك قال انكم ماكثون
اقام المكث مقام الخلود للاشعار بالانقطاع تهكما والقائل هو الله تعالى لقوله لقد
جئناكم بالحق اى بالارسال وانزال الكتب ولكن اكثركم للحق كارهون
لما فيه من ترك الترؤس ومفارقة المألوف واحتمال اعباء التكاليف روى ان اعشى
اراد القدوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه احد المشركين فسأله عن حاله فقال
بأمر ويبهى فقال عما ذا ينهى قال ينهى عن كذا وكذا حتى بلغ الخمر فقال ان للنفس فيه لذاذة
اقضى منه الوطر هذا العام واقدم فى القابل فمات قبل تمام السنة ام ابرموا امرا
احكموا واتقنوا تهكم بهم بان ما هم فيه من انواع المكر وما يخترعونه من الحيل دقم على الما
فانا مبرمون تدبيرا لمجازاتهم ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ما فى انفسهم
قبل التكلم به ونجواهم وتناجيهم فى شأن رسول الله بلى نسمع ورسلنا لديهم
ملازمون يكتبون كل حركة وسكون ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قل
ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين ان صح برهان ان له ولدا فانا اول من يعظم
ذلك الولد وهذا على الفرض لغرض المبالغة فى نفى الولد تعليقا بالمحال وقيل اول
الجاحدين لقولكم الموحدين لله وقيل اول الانفين من عبد بالكسر استنكف واشتد
انفه وقيل ان نافية اى ما كان له ولد يؤيده ما روى انه لما نزلت فقال النضر قد
صدقنى الله فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد ثم

نزه ذاته المقدسة بقوله سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اى
من هذا شانه كيف يكون جسما يتولد منه آخر وان هذه الاجسام لما كانت اصولا ذات
استمرار تنزهت عن التوالد فكيف مبدعها الذى ليس كمثله شئ فذرهم يخوضوا
فى اباطيلهم ويلعبوا فى دنياهم ودنياهم كالصبيان والسد الذين لم يجر عليهم القلم
وفيه اشارة الى انهم اهل الطبع حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يوم جزائهم
وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله اى المعبود فيهما ولذلك صح تعلق فى السماء و
فى الارض به والعائد محذوف لطول الصلة وزاده طولا ان المعطوف داخل فى خبر الصلة
ويجوز ان يكون فى السماء صلة الذى واله خبر مبتدأ محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه
فى السماء الهية لا بمعنى الاستقرار وهو الحكيم فى صنعه العليم كامل العلم وتبارك الذى
له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة مختص به متصل بقوله حتى يلاقوا يومهم
مسوق للوعيد واليه ترجعون وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بياء الغيبة على سنن
السابق والخطاب على الالتفات اشد تهويلا ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة
الا من شهد بالحق بالتوحيد استثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله
لشموله الملائكة وان خص بالاصنام فمنقطع وهم يعلمون ما يشهدون به موقنين
مخلصين ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله لا يقدرون على غيره قدم السؤال عن الآفاق
ثم عن انفسهم وذكر الجواب عنهم متحدا ثم عجب من حالهم بقوله فانى يؤفكون
يصرفون عن التوحيد بعد هذا الاقرار وقيله يا رب الضمير لرسول الله صلى الله
عليه وسلم القيل والقال والقول مصادر بمعنى جره عاصم وحمزة عطفا على الساعة
اى عنده علم قيله ونصبه الباقون عطفا على محل الساعة واثره الزجاج ولا يقدح وجود
الفاصل لان الاتصال معنى وارتباط اللاحق بالسابق او مفعول مطلق او عطف على
سرهم ونجواهم او النصب على حذف حرف القسم والجر على اضماره ان هؤلاء قوم
لا يؤمنون جوابه والاقسام بقوله تعظيم لجنابه فاصفح عنهم اعرض آيسا من ايمانهم
وقل سلام متاركة لا تحية فسوف يعلمون عاقبة امرهم تسلية له ووعيد لهم
وقرأ نافع وابن عامر بالخطاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اوفق لعدم
الفصل واشفى لعليل وانكى لخصمه تمت والحمد لمن تعم حمده سورة الدخان مكية
وهى تسع وخمسون آيات بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين الواو للقسم ان جعلت حم تعديدا او اسم السورة خبر مبتدأ
محذوف وللعطف ان جعل حم مقسما به انا انزلناه فى ليلة مباركة جواب
القسم وهى ليلة القدر لقوله انا انزلناه فى ليلة القدر ولقوله شهر رمضان الذى انزل
فيه القرآن وكونها فى رمضان كادا ان يتواتر وكونها مباركة لكثرة منافع الدين و
الدنيا فيها وكفى بانزال القرآن فيها بركة وقيل هى ليلة النصف من شعبان وليس له
دليل سوى حديث مرسل ومعنى انزاله الى السماء الدنيا جملة كما تقدم فى شهر رمضان
الذى انزل فيه القرآن انا كنا منذرين مستأنف لتعليل الانزال اى انزلناه
لان شأننا الانذار والتحذير فيها يفرق كل امر حكيم جواب عن تخصيص الانزال
بتلك الليلة كانه قال هى حديرة بذلك لان الله اثرها بفصل كل امر محكم لا يبدل من
الارزاق والآجال وغيرهما من شئون الكائنات الى القابلة فيدفع نسخ الارزاق
واسبابها الى ميكائيل ونسخ الحروب وما يلائمها من الزلازل والطواعن الى جبرئيل
ونسخ الموت والمصائب الى ملك الموت ونسخ الاعمال الى اسماعيل صاحب سماء
الدنيا امرا من عندنا نصب على الاختصاص وما فيه من التشكير والوصف و

الاختصاص يزيد فخامة الامر الحكيم والمعنى امرا كائنا من لدنا كما اقتضاه تدبيرنا ويجوز
نصب على المصدر لان يفرق بمعنى يؤمر قيل يؤمر فيها بكل شان على وجه الحكمة امرا او ان
يكون حالا من فاعل انزلناه او مفعوله والفاصل بين الحال وصاحبه ليس باجنبي انا كنا
مرسلين بدل من انا كنا منذرين اى انا انزلناه لان من عادتنا ارسال الرسل
بالكتب رحمة من ربك اى لاجل الرحمة على العباد وابراز لفظ الله لا على ان
مقام الربوبية اقتضت ذلك لانه من اجل انواع النعم وافراده بالخطاب اشارة الى ان
كونه ربك وارسلك رحمة للعالمين اقتضى ارسال الرحمة او علة لنفرق او امرا ورحمة
مفعول به والمعنى في تلك الليلة نفصل كل امر او نصدر الاوامر من لدنا لان من شأننا
ان نرسل الرحمة ولا يستقيم ان يكون على هذا مفعولا له انه هو السميع لاقوال
عباده العليم بحاجاتهم وبهما يكمل الربوبية رب السموات والارض وما بينهما
ان كنتم موقنين في قولكم حين تسألون من خلق السموات والارض الله وكالدليل
على ان الانزال للرحمة وان المنزل له في غاية الشرف لانه كلام من هذا شانه وقرأه
الكوفيون رب بالجر بدلا من ربك او صفة والباقون رفعا بدلا من السميع العليم او
صفة وهو المختار لعدم الحذف والفصل لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب
اباءكم الاولين والنعم على الاصل افضال على الفرع بل هم في شك يلعبون
نزلهم اولا منزلة الشاكين ثم سجل عليهم بالشك قطعا لانهم وان اقروا لم يكن
اقرارهم عن علم ولذلك الحدوا في صفاته واشركوا به ولما لم ينتفعوا بالمنزل عليه
وقابلوا النعم بالكفران اردف بقوله فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين
دلالة على انهم اهل السخط والخذلان لا اهل الرحمة والغفران عن ابن مسعود رضي الله
عنه ان قريشا ابطأت عن الاسلام فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبعا كسبع يوسف فاصابتهم السنة حتى اكلوا الجيف وكان الرجل ينظر الى السماء
ويرى شبه الدخان من غاية الجوع ثم قال مضى خمسة الدخان والروم والقمر والبطشة
واللزام وقيل الدخان مرتقب بعد لما روى حذيفة بن اسيد الغفاري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات قبلها فعد منها الدخان
يمكث اربعين يوما يملأ ما بين المشرق والمغرب اما المؤمن فيأخذه كهيئة الزكام واما
الكافر فكالسكران ولا تنافي لجواز الامرين الا ان الباقي بما رواه ابن مسعود اشد ملاءمة
يغشى الناس يحيط بهم هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب
مقدر بقول وقع حالا انا مؤمنون وعد بالايمان على تقدير الكشف انى لهم
الذكرى بكشف العذاب وقد جاءهم رسول مبين واضح الشان باهر
البرهان ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون اعرضوا عنه ولم يكتفوا بالاعراض
حتى قال بعضهم يعلمه غلام اعجمي وبعضهم لما رأى انه صدر مثله عن الاعجمي محال
قال انه مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون الى الكفر في ذلك الزمان
القليل اشارة الى ان ذلك الايمان لم يكن عن ايقان بل كان اضطرارا عن خوف
العذاب هذا على قول ابن مسعود ظاهر وعلى قول حذيفة هو مثل قوله ولو ردوا لعادوا
يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر او يوم القيمة ونصب يوم بما دل عليه
انا منتقمون لا به لان ان حاجزة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون بان وسعنا
عليهم الارزاق واسباب البطر من العافية وطول العمر وجاءهم رسول كريم على الله
او على المؤمنين او في نفسه شريف النسب كريم الحسب ان ادوا الي عباد الله
وهم بنو اسرائيل الذين استعبدهم القبط كقوله ان ارسل معنا بني اسرائيل ان مفسرة

رد على صاحب الكشف منه

حديث ابن مسعود رواه البخاري ومسلم

ان مفسرة لان الرسالة في معنى القول او مخففة حذف منها ضمير الشان اى بان ويجوز ان
يكون عباد الله منادى والمعنى ادوا حق الله من الايمان وقبول الدعوة اني لكم رسول
امين على وحي الله وقد بان بالمعجزات صدقي وان لا تعلوا على الله لا تتكبروا اني
اتيكم بسلطان مبين علة للنهي ولا يخفى حسن المراعاة في ذكر الامين مع الاداء
والسلطان مع العلاء واني عذت بربي وربكم ان ترجمون ضربا او شتما وان لم تؤمنوا
لي فاعتزلون لا موالاة بيننا او كفوا شركم عني الى ان يفعل الله ما يشاء فدعا
ربه ان هؤلاء قوم مجرمون اى بان هؤلاء الجار صلة الدعاء كما يقال دعا
بهذا الدعاء وقيل هو قوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم او قوله
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقوله ان هؤلاء قوم مجرمون من كلامه
تعالى بيانا لما استوجبوا به الدعاء من موسى والاجابة منه وانه ما دعا الا بعد اليأس
فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون بقطع الهمزة وقرأه نافع وابن كثير بالوصل
وهما لغتان والتقدير فقال اسر بتقدير شرط اى ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي
بني اسرائيل اضافة تشريف واترك البحر رهوا ساكنا قارا على حاله ليدخله فرعون
وجنوده فانه اراد بعد العبور ان يضربه بالعصا ليعود بالمكان لئلا يلحق القبط
او مفتوحا من رها بين رجليه اذا وسع انهم جند مغرقون لا محالة كم تركوا من
جنات وعيون وزروع ومقام كريم كم خبرية للتكثير والمقام الكريم منازلهم
الحسنة او المنابر ونعمة كانوا فيها فاكهين ناعمين وقرئ فكهين بطرين كذلك
مثل الاخراج اخرجناهم الكاف في محل النصب او مرفوعة اى الامر مثل ذلك
وهي مقحمة للدلالة على ان الوصف لا يفي به فكانه قال الامر مثل ذلك وما اشبهه
واورثناها قوما آخرين اجانب لا قرابة بينهم وهم بنو اسرائيل لقوله واور
ثناها بني اسرائيل فما بكت عليهم السماء والارض تمثيل على سبيل التهكم وعدم
الاكتراث بهم او اهل السماء والارض من المؤمنين والملائكة او هو حقيقة لما روى
ابو يعلى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات العبد
المؤمن بكت السماء والارض عليه وتلا هذه الآية وابن جرير اذا مات المؤمن بارض
غربة وغابت عنه بواكيه بكت عليه السماء والارض عن ابن عباس رضي الله عنه
تبكي عليه الارض اربعين صباحا وما كانوا منظرين طرفة عين سنة الله في الذين
خلوا ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين علم نجاتهم من هلاك عدوهم الا
انه ذكر ليبني عليه ما خولهم به من النعم من فرعون بدل من العذاب المهين
جعل نفس العذاب لافراط ولذلك علله بقوله انه كان عاليا من المسرفين
متكبرا متجاوزا في عتوه خبران او الاولى خبر والثاني حال من المستكن في الاول وقرئ
من فرعون بفتح الميم على الاستفهام للتقرير اى تعرفونه في عتوه كايف كان ولقد اخترناهم
على علم بانهم احقاء بذلك او مع علمنا بانه قد تفرط منهم فرطات على العالمين
عالمي زمانهم كقوله في موسى اني اصطفيتك على الناس او على الكل من حيث ان فيهم
الانبياء فلا ينافي تفضيل الاحاد عليهم نعمة ظاهرة سميت بلاء لوقوع الاختبار
بها او اختبارا ظاهرا وحمله على المحن لا يلائم لانه في مقام الامتنان ان هؤلاء ليقولون
اشارة الى كفار قريش الذين هم في شك يلعبون
ان هي الا موتتنا الاولى
وقصة موسى كانت استطرادا الموتة الاولى هي التي اشير اليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم
وذلك انهم لما قيل لهم لكم حيوة بعد الموت قالوا لا نعرف الا الموتة الاولى
التي يعقبها والاظهر ان الموتة الاولى هي التي بعد الحيوة الدنيا وهي المنادرة

وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين

المتعارف وذلك انهم انذروا بان في القبر احياء ثم موتا الى وقت البعث فانكروا
موتة القبر وما بعدها بقولهم وما نحن بمنشرين على انا الاولى لا تقتضي ان يكون
لها ثانية كما تقول قتلة بادلى ضربه وضرعه اولى مسكه فاتوا بابائنا ان كنتم صادقين
في ان هناك حشرا احيوا لنا واحدا ممن سلف لنشاهده ونسائله وقيل سالوه ان يحيى
قصا لنشاوره هل يتبع ام لا اهم خير ام قوم تبع ملك اليمن اسمه اسعد
بن كدب اول سلاطين بني قحطان وكان مسلما وقد اسلم قومه على يده ثم بعده
كفروا قيل انه عاش ملكا ثلثمائة سنة وهو اول من سن كسوة الكعبة وكان قد
عزم على تخريب الكعبة ثم ندم وتاب وقرب قربانا كثيرا واحسن على اهل مكة
مات قبل البعثة بسبعمائة سنة ولما اجتاز بالمدينة قالت احبار اليهود ان نبي
اخر الزمان هذه البلدة مهاجره قال في ذلك ابيات تتوارثها اهل المدينة وقد
صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا تبعا فانه كان مسلما ولا ادري
اكان نبيا ام لا والذين من قبلهم كعاد وثمود والتفاضل في الخيرية ولا خير في
الكل انما هو باعتبار القوة والاسباب اهلكناهم استيناف او حال بتقدير
قد انهم كانوا مجرمين بيان للموجب الجامع وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما لاعبين من غير حكمة بل لا بد من محاسبة ومجازاة لا يفوت مثقال ذرة
كقوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا ما خلقناهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق
هو الايمان والطاعة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولكن اكثرهم
لا يعلمون هذه الحكمة لا غفالهم النظر والتامل ان يوم الفصل يوم القضاء بين
المحق والمبطل او يوم الفصل بين المرء واحبائه ميقاتهم اجمعين يجمع هولاء المشركين
واولئك المتقدمين يوم لا يغني بدل من ميقاتهم او صفة او بدل من الفصل ومعمول
لما دل عليه الفصل لا له لوجود الفاصل مولى صديق اي صديق كان من قرابة او
غيرها عن مولى شيئا عن اي صديق كان شيئا نزرا يسيرا من الاغناء ولا هم
ينصرون لو طلبوا النصر الضمير للمولى الاول والجمع لانه عام الا من رحم الله بالعفو
عنه او بقبول الشفاعة رفع على البدل من واو ينصرون او نصب على الاستثناء انه هو
العزيز الرحيم الغالب لا ينصر من خذله ولا يبعد من استقاه ذكر رسول الله ان طعام
اهل النار الزقوم واهل اليمن اكل الزبد والتمر يسمونه التزقم فدعا ابو جهل بزبد
وتمر وقال هلموا الى ما يخوفكم محمد فنزلت ان شجرة الزقوم طعام الاثيم الكافر
الكثير الاثام كالمهل كالحديد او النحاس الذي اهل في النار حتى ذاب وقيل هو دردي
الزيت يغلي في البطون خبر اخر والمستكن فيه للطعام دون المهل لفساد المعنى
وقرا ابن كثير وحفص بياء التانيث مسندا الى ضمير الشجرة والاول احسن لكونه
اقرب ولسلامته عن الحذف كغلي الحميم الماء الحار الذي انتهى غليانه خذوه
فاعتلوه فردوه والعتل الاخذ بتلابيب الرجل بعنف وغلظ ثم جره الى ما يكره
الى سواء الجحيم الى وسط واقبح اماكنه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم
جعل العذاب مصبوبا دون الحميم كما في قوله يصب من فوق رؤسهم الحميم
ايثارا للابلغ وهو طريق الاستعارة لانه في مقام الكبرياء واظهار السخط العظيم
وقرا نافع وابن كثير وابن عامر فاعتلوه بضم التاء وهما لغتان ذق انك انت
العزيز الكريم استهانة وتهكما به وايقا لحقحاق التسمع من العذاب
نزلت في ابي جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بين جبليها اعز ولا
اكرم مني ان هذا ما كنتم به تمترون تشكون ضمن معنى التكذيب ان المتقين في مقام

عماد بن قيس
والعود
٤٣

في مقام امين هو موضع القيام ثم اتسع فيه فاستعمل في مطلق المكان والا
مين من الامانة ضد الخيانة استعير لما لا مكروه فيه في جنات وعيون بدل من مقام
لدلالته على الماكل والمشارب التي بها قوام الملاذ يلبسون من سندس مارق
من الديباج واستبرق ما غلظ منه معرب وبالتعريب صار عربيا بالتصرف واجراء
احكام لفظ العرب عليه على ان وقوع الفاظ يسيرة لا يخرجه عن العربي متقابلين
ينظر بعضهم بعضا في مجالس الانس كذلك وزوجناهم بحور عين زوجات
حسان الحور شدة بياض العين مع شدة سوادها وعن ابي عمرو هو ان يكون العين
كلها سودا كاعين الظباء وفي الانسان على التشبيه والعين جمع العيناء واسعة العين
يدعون فيها بكل فاكهة اي نوع ارادوا في اي وقت كان امنين من كل المكاره
لا يذوقون فيها الموت هذا راس النعم كلها الا الموتة الاولى التي في الدنيا
من التعليق بالمحال لان موتة الدنيا لا يمكن وقوعها في الجنة او لان المومن لا يموت
حتى يرى مقعده من الجنة فكان موته فيها او الضمير للاخرة والموت اول احوالها
او الاستثناء منقطع ووقاهم عذاب الجحيم اي والحال انهم حفظوا من عذاب
النار ولا ينافي دخول بعض المومنين لان الكلام في المتقين فضلا من ربك
اي اعطوا كل ذلك تفضلا لا لسابقة وجوب اذ العبد لا يستحق على المولى اجرا ذلك
هو الفوز العظيم لانها نعم خالصة عن شوب كدر فانما يسرناه بلسانك
فذلكة للسورة تذكيرا بما سلف من انزال الكتاب وما ترتب عليه واجمال بعد التفصيل
لعلهم يتذكرون يتعظون به فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون
منتظرون ما يحل بك روى الترمذي باسناده الى ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وباسناده ايضا
من قراها في ليلة الجمعة غفر له تمت سورة الدخان والحمد لولي الاحسان والصلوة على
المبعوث من عدنان واله وصحبه السابقين الى الايمان سورة الجاثية مكية وهي
سبع وثلثون ايات بسم الله الرحمن الرحيم
حم حروف مقطعة تنزيل الكتاب مبتدا من الله العزيز الحكيم خبر او اسم
السورة مبتدا بتقدير مضاف اي تنزيل حم فان اريد بالكتاب السورة فمن اقامة الظاهر
مقام المضمر اشارة الى انه الكتاب الكامل وان اريد به القران فللاشعار بان انزاله
كانزال كل في غرض التحدي والهدى فان قلت فلم لم يوثر هذا الاسلوب في حم
تنزيل من الرحمن الرحيم قلت قد افاد هذا المعنى بقوله كتاب فصلت مع الافتنان
في الكلام ان في السموات والارض لايات للمومنين اي في انفسهما لما فيهما من
فنون الدلالة على القادر الحكيم او فيما خلق فيهما من الكواكب والجبال وساير الكيفيات
والاول ابلغ وفي خلقكم عطف الخاص على العام على الثاني وما يبث فيهما من
دابة اي وخلق ما يبث لان العطف على المجرور بدون اعادة الخافض غير فصيح
ايات لقوم يوقنون قرا حمزة والكسائي بنصب ايات عطفا على لفظ
الايات والباقون رفعا على الابتداء اما عطف مفردا وعطف جملة واختلاف
الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر لانه سبب الرزق فاحيا به
الارض بعد موتها هيج النبات بعد اليبس وتصريف الرياح تغييرها
من جهة الى اخرى قرا حمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس لايات لقوم
يعقلون عطف على معمولي عاملين مختلفين رفعت الايات او نصبت كقراءة
حمزة والكسائي ففي الرفع الابتداء وفي النصب ان وفي فاجانه الفراء والكوفيون

سلطنا والاخفش اذا تقدم المجرور المعطوف ومنعه سيبويه والبصريون معللين
بقصور الحرف عن نيابة العاملين فالوجه عندهم النصب والرفع على الاختصاص او
بقدر في لتقدمه في الاوليين وفي ترتيب الفواصل نوع الترقي في الدليل والمدلول
وذلك ان السموات والارض اظهر الكاينات جعلت دليلا على اصل الايمان ثم
ثم نظر الانسان في حاله وحال ساير الحيوان لكثرته وتكرره ادخل في نفي الشكر ولطلب
لاطمينان القلب جعل دليلا على الايقان الذي هو اعلى درجات الايمان ولما كان
التامل في الاختلاف والتصريف ومابينهما ادل على استحكام اليقين لانه يتجدد
فيه النظر والاعتبار جعل دليلا على التعقل الذي هو مدار الايمان واليقين تلك
آيَاتُ اللَّهِ الدلايل الدالة على وحدته وكمال اقتداره نَتْلُوهَا عَلَيْكَ
حال الفاعل والعامل معنى الاشارة بِالْحَقِّ ملتبسا به او ملتبسين فَبِأَيِّ حَدِيثٍ
بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ اي بعد آيات الله وتقديم الاسم الاعظم لتعظيم
لايات الله كقولك اعجبني زيد وعلمه دلالة على انه لابيان ازيد من هذا البيان ولذلك
اشار اليها بما وضع لاكمل التمييز واضاف الايات الى ضمير اخرى او بقدر مضاف
اي بعد حديث الله وهو القرآن وحسن الاضمار لتقدمه وعطف الايات عليه عطف
المفصل على المجمل واريد مافيه من الدلالات وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة و
الكسائي بالخطاب وهو ابلغ تعريضا وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ كذاب أَثِيمٍ كثير الاثم يَسْمَعُ
آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ليتاملها او يؤمن بما فيها ثُمَّ يُصِرُّ يقيم على كفره من اصر
الحمار اذنيه مُسْتَكْبِرًا عن الايمان وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماعها كقوله يرى
غمرات الموت ثم يزورها ويجوز ان يكون على اصله لان اصراره يكون بعد تردده
كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا حال فاعل مستكبرا اي مثل غير السامع وكأن مخفف كأن حذف
منه ضمير الشان كقوله كان ظبية تعطو الى ناضر السلم فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
استعار البشارة تهكما وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ترقى من الاصرار الى
الاستهزاء بايات الله بعد علمه بانها آيات الله ولم يقل اتخذه اشارة الى افراط
في طغيانه بانه اذا علم شيئا ما من الايات خاض في الكل ولم يقتصر على مابلغه او اذا علم
ادنى شيء من المواضع التي يمكن التلبيس والمغالط فيها كما فعل ابن الزبعرى والنضر
جعل دستورا للباقي وزعم ان الكل من هذا القبيل فالاول قبل التامل وهذا بعده
والضمير للايات او للشيء لانه في معناها أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ لاهانتهم
بايات الله مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ قدامهم او خلفهم اي بعد آجالهم والوراء اسم
لما يواريه الشخص من قدام وخلف وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا من العذاب
وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ من الاوثان وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ لايحاط بكنهه
هَذَا هُدًى اي القرآن لان الكلام فيه وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ
مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ لهم من العذاب اليم وقرأ ابن كثير وحفص بجر اليم على انه
صفة الرجز وهو اشد العذاب اي لهم عذاب من هذا الجنس وهو ابلغ واوفق
لعدم الفصل اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ بان خلقه على وجه يمكن الانتفاع به
لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ باذنه وتسهيله وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ بالتجارة و
الغوص على اللآلي والصيد وغيره وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ عقب به الايات المتلو
زيادة في توبيخهم ولذلك رتب عليه الاعراض العاجلة التي يستجلب بها الشكر
من الكافر غالبا فكانه قال تلك اولى بالشكر من هذه وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ حالان من فاعل يخر او منه خبر مبتدا اي هي منه

هو الفيض

هي منه والمعنى كان التسخير منه كذلك الايجاد والتكوين او وسخر لكم تاكيد الاول والعطف
لتغقيبه بقوله إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ لان المتفكر يزداد ايقانا فكان
الثاني غير الاول وعلى هذا ما في السموات مبتدا خبره منه قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ وقايعه وانزال باسه بالمكذبين نقلا لايام العرب لوقايعها او الاوقات
التي وقتها الله للجزاء من الثواب والعقاب في ابتداء الكلام كانوا مامورين بالصفح وقيل نزلت
في عمر بن الخطاب شتمه رجل من غفار والقول بنزولها في غزوة بني المصطلق سهو لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ من الغفران والصبر على الامر وتنكير قوما للتعظيم كانه قيل قوما واي قوم
ففي هذا التنكير كمال التعريف ايماء الى انهم لايحصون عرفوا او نكروا مع العلم بان المجزي لايكون
الا الفاعل ومن حمل قوما على الكفار او على الشيوع استبد لا الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرأ ابن
عامر والكسائي وحمزة لنجزي بالنون التفاتا ليكون اشد تعظيما مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ
وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا تقدم مرارا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ للجزاء وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ
الْكِتَابَ التورية وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ اي الحكمة او الفقه او فصل الخصومات وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ
الطَّيِّبَاتِ المن والسلوى وساير الماكل والثمار وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ بالملك
والنبوة لم يجتمعا في غيرهم وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ معجزات دالة على حقية دينهم
فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ جعلوا ما هو سبب الالفة موجب الاختلاف
ظلما وحسدا إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ويجازي المحق والمبطل
ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ على منهاج خاص من امر دينك والتنوين للتعظيم كما اشار
اليه بقوله جئتكم بالحنيفية السمحة ولو كان ابن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي فَاتَّبِعْهَا اي اثبت
على سلوكها وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ بدع الجهال كانوا يدعونه الى ما عبد
المطلب إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ان خالفت امره من قبيل المالهاء والتهييج
وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ اذ الجنسية علة الضم وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ
يتولاهم وانت امامهم فعليك بموالاته هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ اي القرآن والمراد بما فيه
من المعارف والحكم بصاير للقلوب كما جعل روحا وحيوة وَهُدًى من الضلالة وَرَحْمَةٌ
من العذاب لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ لمن آمن وايقن أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ
اكتسبوا ومنه جوارح الطيور لكواسبها أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
نصيرهم مثلهم سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ كما للمومنين المنكر حسبان المجترحين تساوي
حالهم على معنى انهم وان ساووا المومنين في الحيوة الدنيا في شمول الرحمة لم تساووهم
مواتا لانهم في النعيم وهولاء في الجحيم او على معنى ان لاتساوي في الحالين لانهم في
الطاعة وهم في المعصية وفي الاخرة هم اهل الزلفى والرضوان وهولاء اهل الخذلان والخسران
وعلى التقديرين ان كان الضمير للموصول الاول فالجملة بدل من الكاف وان كان للفريقين
فاستيناف يدل على ان المشابهة بمعنى التشابه والتساوي دون التفاضل ويجوز ان
يكون كلاما مستانفا غير داخل في حكم الانكار يبين حال المومنين في الحالين خاصة
وكذلك حال المجترحين فهو تعليل للانكار دال على عدم المماثلة في الحالين لان المومنين
تساوي حالهم كما انا ولئك كذلك وان اختلف وجه التساوي وقرأ حمزة والكسائي
وحفص سواء بالنصب على انه حال من الضمير المنصوب او من الكاف وما اضيف اليه
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ بئس حكمهم هذا وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
دليل على الحكم الاول لان العدل يقتضي عدم تساوي المحسن والمسيء وليس ذلك
في المحيا فلابد وان يكون في الممات وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ عطف على علة محذوفة
مثل ليدل على قدرته او على بالحق لكونه في معناها بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ

بنقص ثواب او بزيادة عقاب وقد تقدم مرارا ان مثله جار على المتعارف لانه لو فعله
كان ظلما لعدم امكانه افرأيت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال من تبع ما يهواه
من غير نظر وتأمل كما كان المشركون عليه يعبد واحد منهم حجرا ثم اذا رأى حجرا احسن منه
رمى الاول بعد تغيير وجهه لمرمانا اصل الكلام اتخذ هواه الهه وفي اسلوب اتخذ واضا
له وانما قلب مبالغة واضله الله على علم اى على علم منه تعالى بانه يستحق الاضلال
لكونه مخلوقا للنار او بعد بلوغ العلم اليه وقيام الحجة عليه وختم على سمعه وقلبه فلا يلقي
سمعه الى ما يتلى ولا يوجه قلبه الى التدبر في ايات الله وتقديم السمع على القلب عكس ما في البقرة
لان الكلام في المعرض عن الهدى المتبع لما يهواه المستكبر عن الايات كانه لم يسمعها وما في
البقرة ابتداء كلام منه تعالى اشارة الى الجبلة والقلب هو الاصل في ذلك وجعل على
بصره غشاوة لا تجلي ايات الله بعين الاستبصار وقرأ حمزة والكسائي غشوة و
هما لغتان والاول اشهر ولذلك اتفقوا عليه في البقرة فمن يهديه من بعد الله
استفهام انكار اى لا احد افلا تذكرون ان الكل منه تعالى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عن تهالكه على ايمانهم وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا ما الحيوة الا
هذه التي نحن بها نموت ونحيى يموت بعضا ويحيى بعضا او يكون نطفا ويحيى بعد
ذلك او يموت نحن ويحيى اولادنا او تصيبنا الامراض وما يهلكنا الا الدهر الزمان
كسائر الاشجار والنبات في الاصل اسم لمدة بقاء العالم من المبدا الى الانقضاء
وقوله تعالى انا الدهر انا الجالب لحوادث الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون
تقليد الابائهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات الدالة على عكس ما يظنونه لعلهم
يرشدون ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين سماها
حجة تهكما او على زعمهم قل الله يحييكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه اجاب
عن حجتهم بما هو اثبات للمطلوب وذلك انهم معترفون بان الاحياء والاماتة منه
تعالى ومن سلم قدرته على هذا يلزمه ان يسلم على ذلك وعدم الاتيان بالاباء لحكمة
اقتضت ذلك ولكن اكثر الناس لا يعلمون لاخلالهم بالنظر والتدبر في الايات المثبتة
في الافاق والانفس ولله ملك السموات والارض هو الخالق لهما والمدبر ومن هذا
شانه فالاعادة منه اهون ما يكون ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون
المنكرون لها سماهم مبطلين لان انكار الحشر ابطال لحكمته تعالى العامل في يوم يخسر ويومئذ
بدل منه وترى كل امة جاثية باركة على الركب من شدة الخوف وللخصومة ومنه قول
علي بن ابي طالب انا اول من يجثو بين يدي الله للخصومة او مجتمعة لما روى ابن عمر ان الناس
يكونون جثا كل امة تتبع نبيها كل امة تدعى الى كتابها كتاب اعمالها كقوله ووضع
الكتاب اليوم تجزون ما كنتم تعملون على تقدير القول كقوله ينبأ الانسان يومئذ
بما تقدم واخر هذا كتابنا اضاف اليهم اولا لانه صحايف اعمالهم وثانيا اليه تعالى
لانه كتب بامره ينطق عليكم بالحق ما هو ثابت في نفس الامر من غير زيادة
ولا نقصان انا كنا نستنسخ على ايدي الكتبة ما كنتم تعملون من تغيير وتطهير
تقرير وتوكيد لشهادته بالحق فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم
ربهم في رحمته في الجنة ذلك هو الفوز المبين الجلي لا يحتاج الى تردد واما الذين
كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم جوابه محذوف اى فيوبخون ويقال لهم هذا
القول وفيه دلالة على ان اهل الجنة يدخلون الجنة وهم في الموقف بعد فاستكبرتم
عن الايمان وكنتم قوما مجرمين دابكم الاجرام اشارة الى علة الاستكبار واذا قيل
ان وعد الله حق كائن لا محالة والساعة لا ريب فيها افردها بالذكر ما بشأنها

ما بشأنها وقرأها حمزة بالنصب عطفا على اسم ان والرفع احسن للاستقلال والتأكيد
حاصل لا بد راجحا في المؤكد قلتم ما ندري ما الساعة تجاهلتهم كانكم ما تعلمون سمعنا
ها ان نظن الا ظنا اى ظنا ضعيفا ولا اعتقادا ولا فعل اطلاقا للخاص على العام
او ما الثابت الا ذلك الظن اشارة الى ان المورد كل مظنون وقيل لنفي ظنهم فيما سوى ذلك
مبالغة ولا دلالة للكلام عليه وما نحن بمستيقنين توكيد للظن بسلب نقيضه يؤيد الوجه
الاول وبدا لهم سيئات ما عملوا اى جزاؤها من اطلاق السبب على المسبب او ما يسوؤهم
والالتفات الى الغيبة لحكاية حالهم بعد تمام التوبيخ وحاق بهم ما كانوا به
يستهزءون احاط بهم جزاء استهزائهم بحيث لا يخرج عنه وقيل اليوم ننساكم
اى نترككم في العذاب لان من نسى شيئا تركه او نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي على الاستعارة
التمثيلية كما نسيتم لقاء يومكم هذا اى كما تركتم الاستعداد له تكثير ثوابه واضاف اللقاء الى اليوم
اضافة المصدر الى الظرف اما اجراء له مجرى المفعول به واما مجرى الفاعل لان ما لقيك فقد لقيته و
مأويكم النار وما لكم من ناصرين يدفعون عنكم العذاب ذلكم بانكم اتخذتم ايات
الله هزوا اى بما تركتم الاستعداد لاستهزائكم بايات الله ولم تتأملوا فيها وغرتكم الحيوة
الدنيا فظننتم ان لا حيوة بعدها فاليوم لا يخرجون منها لسبق القول وقرأه
حمزة والكسائي بفتح الياء والضم ابلغ واوفق بقوله ولا هم يستعتبون يطلب منهم
ان يعتبوا ربهم لفوات وقته يقال استعتبه استرضاه بمعنى ازال عتبه التفت الى الغيبة بعد تمام
التقريع كانه بحر غيرهم سوء جزائهم ليعتبر فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب
العالمين اى له المحامد كلها نطقا وحالا سواء حمده الحامدون او لا اذ الكائنات
كلها شاهدة ببقائها وله الكبرياء في السموات والارض لا يشاركه فيها احد ولا يليق
الا بجلال جبروته وهو العزيز الغالب الذي لا يغالب تقريرا لكبريائه الحكيم
الذي اتقن كل شيء فلا يحمد غيره اذ له الكمال المطلق ختم السورة بما افتتح به وله الحمد و
الكبرياء والصلوة على افضل اهل الارض والسماء واصحابه البررة الاتقياء سورة الاحقاف
مكية وهي خمس وثلاثون ايات بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام في اعرابه كما تقدم في اول السابقة
ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الذي تقتضيه الحكمة المستدعية
لاثابة المحسن وعقاب المسيء واجل مسمى وبتقدير اجل مضروب وهو يوم القيمة
الذي ينتهي اليه امر الكل وقيل كل واحد وهو اخر بقاء مدته ولا يلايم لان الكلام في تقرير
ما ينكره المشركون من البعث والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك اليوم
او عن انذاره على ان ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه ولا يستعدون للقائه قل ارايتم
ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات
اى اخبروني عن حال الاوثان التي تعبدونها هل خلقت جزءا من الارض او مما ينشأ منها من النبات
والحيوان اشير واليه فانه يرى منكرا ام لكم دليل على ان لها شركا في شيء من السموات وقيل تخصيص
الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية قلت فعلى
هذا كان اللازم قلع ذلك الوهم كما في سورة الرعد يسقى بماء واحد ومع ذلك لا يسلم
لقوله في سبا وما لهم فيهما من شرك ائتوني بكتاب من قبل هذا اى
القران اذ ليس فيه ما يدل على ذلك او اثارة من علم بقية من علوم الانبياء من اثر
الحديث نقل ومنه الاثار للاخبار ان كنتم صادقين في دعواكم ولما ابكمهم
نعى عليهم بقوله ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة
لا يقدر على الجواب لكونه جمادا فضلا عن كشف ملمة او دفع بلية وهم عن دعائهم

غافلون لانهم اما جمادات او ملائكة مكرمون ليس لهم علم بعبادتهم في الدنيا واذا حشر
الناس فالاصنام كانوا لهم اعداء لعبادهم او العباد لهم يلعن بعضهم بعضا
وكانوا بعبادتهم كافرين قائلين كانوا يعبدون الجن والعباد يقولون والله
ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات قال الذين كفروا للحق
لما جاءهم هذا سحر مبين نوع آخر كفرهم عناد كما ان الاول كان جهلا عبرا ولا بالبينات وثانيا
بالحق واتى بالمظهر الدال على علة العناد ولما الدال على كفرهم كما جاء من غير تدبر كما هو شان
اللبيب الحازم دلالة على اغراقهم في الكفر ام يقولون افتراه اضراب عن تسمية السحر الى ما
ما هو ادخل في الانكار وذلك ان السحر امر خارق لا يقدرون على الاتيان به مع انه ما كان
عندهم صفة ذم واما الكذب فكان عندهم اقبح ما يوصف به كما دل عليه حديث ابي سفيان
مع هرقل لاسيما الكذب على الله قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا
ان اراد عقوبتي فكيف اجترئ على الافتراء واي فائدة لي في ذلك هو اعلم بما تفيضون
فيه افاض في الحديث اندفع فيه من غير روية كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي
بالتبليغ وعليكم بالتكذيب وهو الغفور الرحيم ترغيب لهم في التوبة مع الاشعار
بكمال حلمه عنهم مع عظم جريمتهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا مثله خف بمعنى
خفيف والمعنى لست اول رسول حتى تستبعدوا عليكم شانا بل تقدمني رسل دعوى الكل
الكل واحدة وكلهم من البشر ولم يقدر احد على الاتيان بآية الا باذن الله قل ما كنت
بدعا من الرسل مفصلا لانه غيب وعن ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة رضي الله
عنهم نسخت بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ولما نزلت قال المؤمنون
هنيئا لك يا رسول الله فما لنا فنزلت ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وعن ابي هريرة
ان هذا في امر الدنيا وما يؤول اليه حاله معهم يوتبع قوله ان اتبع الا ما يوحى اليه
وما لا قدرة لي على الاتيان بما تقترحون وما انا الا نذير مبين لا ساحر ولا كذاب
قل ارايتم ان كان من عند الله اي القرآن وكفرتم به عطف على فعل الشرط وشهد
شاهد من بني اسرائيل عطف على الشرط وما عطف عليه على مثله على المعاني
المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد فآمن بالقرآن واستكبرتم انتم
وشاهد بني اسرائيل موسى او عبد الله بن سلام فان قلت الآية مكية وعبد الله بن سلام
بالمدينة قلت نزل ما سيكون منزلة الواقع وتحقيقه ان مناط الالزام ايمان شاهد ما من
بني اسرائيل لما رآه موافقا للتوراة اي لو وقع ذلك الستم اضل الناس ثم آمن عبد الله بعد
مدة فكان هو ذلك الشاهد هذا تاويل ما روي انها نزلت فيه ان الله لا يهدي القوم
الظالمين دليل على الجواب المحذوف واشعار بان ضلالهم ناش عن ظلمهم
وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قالوا في حقهم ولاجلهم
اراذل واعمارا وبلالا وصهيبا واضرابهم من فقراء الصحابة وقيل قاله غطفان وبنو عامر و
اشجع واسد طوائف من الاعراب لما اسلم غفار واسلم ومزينة وجهينة واذ لم يهتدوا
به ظرف لمحذوف اي ظهر لعدم جواز تعلقه بقوله فسيقولون لتنافي دلالتي المضي والاستقبال
وليس من قبيل فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم نظما للمستقبل في سلك المقطوع لان
عدم الهداية محقق ولا تاويل سيقولوا بمعنى قالوا والعدول للاستمرار لكون الشين مانعا
هذا افك قديم كقولهم اساطير الاولين ومن قبله كتاب موسى مبتدا وخبر
اماما ورحمة نصبا على الحال والعامل الظرف وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب
موسى ولغيره لسانا عربيا حال من فاعل مصدق وفيه دلالة على انه كما دل على
صدق كتاب دل باعجازه على انه في نفسه كلام الله لينذر الذين ظلموا اي القرآن

وما ادري ما يفعل بي ولا بكم

اي القرآن وقرا نافع وابن عامر والبزي فرويه بالتاء مسندا الى رسول الله او الله وبشرى
للمحسنين اي هو بشرى او عطف على محل لتنذر ومفعولا له لما استشهد بشاهد بني اسرائيل على
صدق القرآن وكونه كتاب الله استطرد كتاب موسى بانه والقرآن متطابقان كل منهما يصدق
الآخر وذلك كاف شهد الشاهد او لم يشهد وتقديم من قبله للاهتمام بان انزال الكتاب امر
مستمر او نزلوا منزلة من لا يعرف ان كتاب موسى انزل من قبله لعنادهم نقدم تخصيصا ان
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على ما يلزمهم اعتقادا وعملا فلا خوف عليهم من
لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها
حال من المستكن في اصحاب جزاء بما كانوا يعملون يشمل العقايد لانها عمل القلب
ووصينا الانسان بوالديه افرده بالذكر بعد اندراجه تحت الاستقامة اهتماما لان
طاعتهما شقيقة طاعة الله حسنا فعلا ذا حسن وقرا الكوفيون احسانا وعليه رسم مصحفهم
واسلم من الحذف حملته امه كرها ووضعته كرها ترجيح لجانبها في البر على الاب اي ذات كره
او حملا ذا كره وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان والضم في المشقة
اشهر والفتح في الاجبار وحمله وفصاله مدة حمله وفطامه ثلاثون شهرا ومنه علم
ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لقوله حولين كاملين في مدة الرضاع ولذلك عبر عن الفطام بالفصال
اذ قد يفطم قبل الرضاع التام حتى اذا بلغ اشده ثلثا وثلثين سنة وبلغ اربعين سنة
وتكامل قواه واستحكم عقله ولذلك لم يبعث نبي الا بعد اربعين سنة وذلك لان القوى
الشهوانية تاخذ في الانتقاص فيقل نزاعها مع العقلية قال رب اوزعني الهمني
اصل الايزاع الاغراء بالشيء ان اشكر نعمتك التي انعمت علي بالتوفيق لدين الاسلام
وعلى والدي كذلك قيل نزلت في ابي بكر فانه اسلم هو ووالداه واولاده واولاد
اولاده ولم يتفق في المهاجرين والانصار اربعة ابطن صحابيون غيرهم وما يقال لم يكن
في المهاجرين والانصار من اسلم هو وابوه غيره سهو في المهاجرين ابن عمر وابوه وابن
عباس وابوه وفي الانصار جابر وابوه وغيرهم وان اعمل صالحا ترضاه نقبل
واصلح لي في ذريتي اجعلهم مكان الصلاح وموقعه اني تبت اليك واني
من المسلمين المخلصين جعله وسيلة اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا جميع
حسناتهم كقولهم الاشج اعدل بني مروان او غير المباح فانه حسن لا ثواب عليه ونتجاوز
عن سيئاتهم ذكره لان قبول العمل لا يستلزم العفو عن الزلل في اصحاب الجنة كائنين
في زمرة الانبياء والصديقين والشهداء والصالحين وعد الصدق الذي كانوا
يوعدون مصدر مؤكد لان نتقبل ونتجاوز في معنى الوعد وقرا حفص وحمزة والكسائي
الفعلين بالنون ونصب احسن والسيئات وهو احسن لكونه نصا على الفاعل مع التعظيم والذي
قال لوالديه اف لكما هذا العاق ضد ذلك الصالح والمراد به الجنس الذي هذا شانه ليدل
عليه الاخبار باولئك وما قيل انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر كذب لان عبد الرحمن من
كبار الصحابة وقد اخبر في الآية ان هذا حق عليه العذاب ولما روي ان عائشة رضي الله عنها لما بلغها
ان مروان بن الحكم هو الذي قال هذا القول لما طلب من عبد الرحمن البيعة ليزيد وابي عبد الرحمن قالت
والله عبد الرحمن ليس بذلك ولكن انت لعنك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت في ظهر ابيك اراد
الحكم بن العاص طريد رسول الله الى الطايف وقرا ابن كثير وابن عامر اف بفتح الفاء والباقون بالكسر
ونونها نافع وحفص تنكيرا والكسر احسن لانه الاصل عند التقاء الساكنين اتعدانني
ان اخرج من القبر وقرا ابن عامر في رواية هشام بالادغام وقد خلت القرون من قبلي
ولم يخرج واحد منهم وهما يستغيثان الله من شره كيلا نضبهما او ان يوفقه ويلك
آمن اصل الويل الدعاء بالهلاك اريد به الحث على الايمان لدلالة على ان مرتكبه جدير

بان يدعو عليه بالهلاك ان وعد الله حق بقيام الساعة والجزاء على الاعمال فيقول ما هذا
الا اساطير الاولين الاباطيل التي سطرها الناس اولئك الذين حق عليهم القول
بانهم اهل النار في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس كقوله في ضده في اصحاب الجنة انهم كانوا
خاسرين استيناف لتعليل الحكم ولكل درجات اي لكل من الفريقين والدرجات على التغليب
او لكل مؤمن ويعلم حال المقابل منه او اريد مراتب اعم لهم مما عملوا من جزاء اعمالهم وليوفيهم
اعمالهم اي جزاءها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وابن ذكوان بالنون وهو دال على التعظيم
وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب بعد ما حذف معلل كانه قيل ليوفيهم اعمالهم
ولا يظلمهم قدر لهم جزاء اعمالهم على مقادير ما ولما كان مبنى السورة على تهديد الكفار
ومن يقابلهم بذكر اعتراضا شرح حالهم بقوله ويوم يعرض الذين كفروا على النار
العرض على النار التعذيب بها يقال عرض على السيف اذا قتل به وعن ابن عباس رضي الله عنهما
يكشف لهم عنها اذهبتم استوفيتم هو العامل في يوم وقرأ ابن كثير وابن عامر بالاستفهام
تقريرا طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها تمتعتم تمتع الانعام فاليوم تجزون
عذاب الهون عذاب الهوان بما كنتم تستكبرون في الارض تتكبرون بغير الحق
ولم تكونوا اهلا لان الكبرياء لله وبما كنتم تفسقون تخرجون عن الطاعة والاحسن رد
الفسق الى العذاب والهون الى الكبر نشرا بعد اللف واذكر اخا عاد اي هودا مع قومه لقومك
فان غلوهم واغراقهم في الكفر يشبه اغراق اولئك اذ انذر قومه بالاحقاف
بدل اشتمال والاحقاف جمع حقف وهو الرمل المستطيل الذي فيه انحناء من احقوقف
الشيء اعوج عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه واد بحضرموت يلقى فيه ارواح الكفار وعن قتادة
مكان ببلاد اليمن يقال له الشحر وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه حال من الفاعل اي
معلما اياهم انذار الرسل او المفعول اي عالمين بذلك اما باعلامه او بما تواتر عندهم فان قلت
من لم يأت من الرسل كيف يصدق عليه قد خلت قلت نظمها لما يأتي في سلك الماضي لتحقق وقوعه
او اعتراض بين المفسر والمفسر والمعنى اذكر لهم اخا عاد وساير الرسل الذين قبله والذين
بعده وغير الاسلوب اشارة الى ان المذكور اصالة قوم هود وهذا اسلم من التكلف في الجمع
بين الماضي والمستقبل الا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل قالوا
اجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا لتصرفنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا ان كنت من
الصادقين في وعدك العذاب كما قال في حق قريش يستعجلونك بالعذاب قال انما العلم
عند الله ما يعلم ذلك الوقت الا هو وابلغكم ما ارسلت به ما لم يأت العذاب
وكنت بينكم وقرأ ابو عمرو وابلغكم مخففا ولكني اريكم قوما تجهلون غارقين في الجهل
مستمرين لا يجدي فيكم الآيات والنذر وهل يكون اجهل ممن يطلب حلول بأس الله به سريعا
قال معاوية لم يكن اقل عقلا من اهل سبا حيث ولوا عليهم امرأة فقال رجل من اهل سبا
بلى اقل عقلا منهم من قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا لما استمروا
على تكذيبه امسك الله تعالى عنهم الغيث فارسلوا رجالا منهم يستسقي فقالا ليستسقي لهم عند الكعبة
فلما استسقى ظهرت لهم سحابة فظنوا انه سحاب ممطر علينا لما تعارفوه والعارض السحاب الذي
يعرض في افق السماء والضمير في رأوه اما عايد الى ما تعدنا او مبهم يفسره عارضا حالا او تمييزا
وهذا احسن للاجمال والتفصيل والاضافة في مستقبل وممطرنا اضافة الصفة الى معمولها بل هو
ما استعجلتم به من العذاب القائل هود وقيل كلام الله تعالى ويؤيده فك الضماير مع ان المناظرة
بينهم وبين هود ريح بدل منها فيها عذاب اليم صفتها تدمر كل شيء بامر ربها
تهلك كل شيء تمر به من اموالهم وانفسهم عام خص واضاف الرب اليها للدلالة على انها

على انها في تصريفه وتحت ارادته وان شأن المربى ان يكون في طاعة المربي ساعيا في قضاياه وعن
ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم ينفتح على عاد من الريح الا قدر
موضع الخاتم ثم عتت على خزانها فلا يعلم قدر ما خرج الا علام الغيوب قيل اول ما رأوا هاتطير
بمواشيهم واهل الحرث بين السماء والارض كالجراد دخلوا البيوت واغلقوها فخربت البيوت وامال
ت عليهم الاحقاف فبقوا سبع ليال وثمانية ايام تحت الرمل لهم انين ثم اخذتهم والقتهم في
البحر فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم ايها الرائي او يا محمد وقرأ عاصم وحمزة بالياء
لا يرى المار بديارهم والخطاب ابلغ واسلم كذلك نجزي القوم المجرمين كل مجرم
كامل ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ما موصولة وان نافية والمعنى مكنا عادا في
شيء من الاسباب والاموال ما مكناكم فيه ولم نعطكم ما اعطينا اولئك وقد علمتم حالهم
وما جرى عليهم وقيل ان شرطية اي ان مكناكم فيه كنتم اكثر بغيا منهم وقيل صلة والوجه
هو الاول لقوله كانوا اشد منهم قوة وآثارا في الارض وجعلنا لهم سمعا وابصارا
وافئدة ليستدلوا بها على وجود المنعم ويقابلوا النعم بالشكر فما اغنى عنهم سمعهم ولا
ابصارهم ولا افئدتهم من شيء ادنى شيء من الاغناء اذ كانوا يجحدون بآيات الله اذ منصوب باغنى
جار مجرى التعليل لان مؤدى التعليل والظرف واحد كقولك ضربته لاساءته وضربته اذ اساء الا
ان اذ وحيث خصا بذلك دون ساير الظروف وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون
من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى اي اهل القرى وهم عاد بحضرموت وسبا باليمن
وقوم شعيب بمدين وثمود بالحجر وقوم لوط بسدوم وكانوا يمرون على الكل في اسفارهم
وصرفنا الآيات كررناها عليهم قبل الاهلاك فلم تبق لهم حجة لعلهم يرجعون فلولا
نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة هلا نصرهم لما جاءهم بأسنا كما كانوا يزعمون
انهم شفعاؤهم وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى احد مفعولي اتخذوا والعايد المحذوف
والثاني آلهة وقربانا حال او مفعول له وجعل مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه غير سديد لان
المنكر اتخاذهم آلهة دون الله يتقربون بهم لا اتخاذهم قربانا دون الله اذ ليس من شأن الله ان
يكون قربانا حتى يكون التجاوز عنه منكرا بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وقت الاحتياج
وذلك افكهم وما كانوا يفترون اي ذلك الامتناع عن نصرهم اثر افكهم وصرفهم
عن الحق وهو الاتخاذ وافتراؤهم على الله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن اي اذكر
لقومك وقت صرفنا اليك نفرا من الجن كيف لم يتوقفوا في الايمان لما سمعوا القرآن روى
البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنه انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيل بين الجن وبين خبر السماء فقالوا ما هذا الا لامر حدث فاضربوا مشارق الارض ومغا
ربها فانصرف نفر منهم نحو تهامة فوافوا رسول الله بنخلة في طايفة من اصحابه عامدين سوق عكاظ
يصلي بهم الصبح ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء والنفر
ما بين الواحد الى العشرة قيل كانوا تسعة مقدمهم زوبعة يستمعون القرآن
استيناف او حال اي مقدرين استماعهم فلما حضروه القرآن او الرسول قالوا
انصتوا اي قال بعضهم لبعض الانصات السكوت لقصد الاستماع فلما قضي
ولوا الى قومهم منذرين بما فهموا من كلام الله قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل
من بعد موسى كانوا يهود آمنوا بموسى ولم يسمعوا بعيسى او لم يكن شرعه ناسخا بل كان
اكثر احكامه بالتورية وهذا اوجه مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية يهدي
الى الحق الى الثابت من العقايد التي لا تتبدل والى طريق مستقيم شرعة لا عوج فيها
يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم ولا ينافي في قوله ان
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف لانها في الحربي وهؤلاء كانوا مؤمنين بنبيهم ثم برسول الله

لان الغنى يحتاج الى تقدير
الفاعل منه

والمؤمن لا يسقط عنه تبعات الناس الا بالاداء او الاستحلال مع ان غفران البعض لا ينافي
غفران الكل فانه مفهوم اللقب ويجركم من عذاب اليم استدل به من قال ان الجن لا يدخل
الجنة اذ لم يذكر والا النجاة من العذاب وهو يروى عن الامام ابي حنيفة رحمه الله والحق دخولهم
لانهم مكلفون بما كلف به الانسان ولقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان فباي الاء ربكما
تكذبان ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي منه مهرب وليس له
من دونه اولياء يمنعونه منه اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا عن الحق بعد
ظهوره اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن صدر
السورة بما حقق به المبدأ وختمها بما يحقق المعاد وقرر بينهما التوحيد والنبوة وهذه
هي المقاصد وما عداها فروع وتوابع يقال عيي بالامر اذا كل ولم يهتد لوجهه بقادر على
ان يحيي الموتى خبر ان وادخل الباء لان المقصود اثبات القدرة ولهذا عجب من
عدم رؤيتهم كانه قال اليس الله بقادر ولذلك اجاب بقوله بلى انه على كل شيء قدير
تقريرا لها ويوم يعرض الذين كفروا على النار نصب بقول مضمر مقوله اليس هذا
بالحق والمشار اليه العذاب لقوله قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون معنى الامر الاهانة فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا
الثبات والجد من بيان فيشمل الرسل كلهم او تبعيض لقوله في ادم فنسي ولم نجد له عزما وفي
يونس فلا تكن كصاحب الحوت وهم اصحاب الشرايع الذين جدوا وسعوا في تقريرها وصبروا
على اذى الطاعنين ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على البلاء وهم
نوح كان يضرب حتى يغشى عليه وابراهيم القي في النار وامر بذبح ولده واسمعيل صبر على
الذبح ويعقوب على فقد يوسف ويوسف على السجن وايوب على الضر وموسى على طغيان فرعون
عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صام ثلثة ايام مواصلا ثم قال يا عايشة ما ينبغي
هذه الدنيا لمحمد ولا لال محمد ان الله لم يرض من اولي العزم من الرسل الا الصبر وقد كلفني
ما كلفهم فقال فاصبر كما صبروا اولوا العزم من الرسل واني لاصبرن كما صبروا ولا تستعجل
لهم لكفار قريش كانهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا الا ساعة
من نهار استقصروا المدة من هول العذاب بلاغ اي هذه السورة او هذا الذي و
عظتم به كفاية في الموعظة لمن كان له قلب او القى السمع او تبليغ من الرسول وقيل
مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض والمعنى لهم وقت يبلغونه فاذا بلغوه وراوا
ما فيه استقصروا مدة لبثهم فهل يهلك الا القوم الفاسقون اي بعد هذا البلاغ لا
يهلك الا الخارج عن الطاعة تمت سورة الاحقاف والحمد لمن له المن والالطاف و
الصلوة على من كملت عن نعته الاوصاف واله وصحبه اهل التقى والانصاف

سورة محمد عليه السلام مكية وهي ثمان وثلاثون ايات
بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا عن الاسلام او منعوا الغير عن الدخول
فيه والاول اوفق بقوله والذين امنوا عن ابن عباس هم المطعمون يوم بدر وعن
مقاتل اثنا عشر رجلا من اهل الشرك وقيل هم اليهود اضل اعمالهم المكارم
التي كانوا يباهون بها من فك الاسارى وصلة الرحم وقرى الاضياف والذين امنوا
وعملوا الصالحات يشمل كل مؤمن وقيل ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل مؤمنوا
اهل الكتاب يؤمن قوله وامنوا بما نزل على محمد وعلى الاول افراده اشعار بتعظيمه
وانه الاصل الذي لا يعتد بالاعتقاد ولا بعمل دونه ولذلك اكده بقوله وهو الحق
من ربهم اي الثابت الذي لا يعتريه نسخ كفر عنهم سيئاتهم سترها خبرنا او حال
بمقدر قد واصلح بالهم وسدد حالهم في الدين ذلك اشارة الى ما مر من اضلال

من اضلال طايفة وتكفير سيات اخرى مبتدأ خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان
الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم اي ذلك كان بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق
او خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك والجار والمجرور منصوب على الحال والعامل فيه معنى
الاشارة والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد هو الشيطان كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله
للناس امثالهم اي امثال الناس او امثال المذكورين للناس ليعتبروا وذلك بان
جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين وجعل الاضلال مثلا
لخيبة الكفار وتكفير السيات مثلا لفوز المؤمنين فالمثل على هذا مستعار وبناء الوجهين على
اختلاف المشار اليه بذلك فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب اي بعد ما علمتم من
ضرب المثل اذا حاربتم الكفار واللقاء اسم الحرب فاضربوا الرقاب حذف الفعل واقيم المصدر
مقامه اختصارا مع ما بينه من التاكيد والمراد به القتل كيف كان وايثاره لما جرت العادة بان
يقتل بضرب عنقه مع ما في اللفظ من الغلظة وتصوير القتل بشع صورة وهو اطارة الراس الذي هو
رئيس الاعضاء ونادى على مزيد الغلظة في قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان حتى اذا
اثخنتموهم كثرتم القتل من الثخين وهو الغليظ فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم
بالوثاق وهو ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اما تمنون عليهم بالاطلاق او هم يفدون
فداء ويفكون رقابهم وهذا دليل على ان الاية نزلت بعد بدر اذ لو نزلت قبلها لم يكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجتهد في اخذ الفداء وعند ابي حنيفة رحمه الله المن مأول بالاسترقاق او بان يخلى
ليكون ذمة للمسلمين ولا فداء عنده وعند الشافعي رحمه الله الامام يخير بين القتل والاسترقاق والمن
والفداء استدلالا بما روى البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من على ثمامة بن اثال وفادى
رجلا من المسلمين برجلين من المشركين وقتل عقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث بعد الاسر حتى
تضع الحرب اوزارها الاتها من السلاح والكراع سميت اوزارا لان الحرب لا تستقل بدونها فكانها
حاملة لها وقيل اثامها حتى لا يبقى لاهل الشرك شوكة غاية لما تقدم من الضرب وما بعده والمعنى ان
هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين وقيل ذلك عند نزول عيسى
لما في الحديث ان الجهاد ماض في امتي حتى يقاتل اخرهم الدجال ذلك الامر ذلك او افعلوا
ذلك اشارة الى ضرب الرقاب وما بعده ولو يشاء الله لانتصر منهم لاستاصلهم ولكن
ليبلو بعضكم ببعض بان يستوجب المؤمنون الاجر العظيم ويرى الكفار على ايديهم
بعض العذاب لكي يرتدع اخرون والذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها
ترغيب في الجهاد وقرأ ابو عمرو وحفص قتلوا اي استشهدوا وعليه الرسم وهو المختار لما روى قتادة
انها نزلت في قتلى احد سيهديهم طريق الجنة ويصلح بالهم حالهم الذي افسد بالقتل من ان
يبدل لهم اعضاء خيرا من اعضائهم ولذلك سمي جعفر بن ابي طالب الطيار لان الله تعالى عوضه عن
يديه المقطوعتين في الحرب جناحين مرصعين يطير بهما في الجنة ويدخلهم الجنة عرفها
لهم من العرف وهو الرايحة اي طيبها لهم او اعلمهم طريقها وعن مقاتل الملك الذي
وكل بعمل يتقدمه حتى يدخل الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان احدهم
لاعرف بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وذلك لانه يفتح له في قبره باب الى منزله في الجنة فقد
راى منزله مرة متطاولة يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله تنصروا رسوله ودينه
ينصركم على عدوكم في مواقف القتال ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام
فلا يعتريكم شكوك وريب والذين كفروا فتعسا لهم عثورا وسقوطا في مقابل التثبيت
للمؤمنين نصب على المصدر اي فتعس الذين كفروا دعاء من الله دال على استحقاقهم الهلاك
وتحققه ويقال في عكسه والدعاء بالسلامة لعا قال الحا الله قوما لم يقولوا لعاثر ولا لابن
عم ناله الدهر لعا واضل اعمالهم جعلها ضايعة عطف على ناصب تعسا اما دعاء او على

الكراع اسم للخيل خاصة لانها تحمل اعمالها اي تقوم احمالها ويقاتل بها منه

بتدمير قضى تعالى لهم ذلك الهلاك بانهم كرهوا ما انزل الله من الاحكام والشرايع لكونها
على خلاف ما الفوه من اطلاق العنان والانهماك فى الشهوات والملاذ فاحبط اعمالهم كرره
اشارة الى شدة اللزوم وعدم الانفكاك ومبالغة فى التحذير افلم يسيروا فى الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اى قد ساروا وشاهدوا فما لهم لا يعتبرون دمر
الله عليهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك كل ما له من نفس ومال وولد ومتشا فحذف
المفعول وجعل متنازع الايتان بكلمة الاستعلاء وللكافرين امثالها اى لهم امثال
تلك العاقبة او السنة لقوله سنة الله التى قد خلت وجمع الامثال للدلالة على ان لكل من هولاء
امثال عاقبة اولئك لغلظ جناياتهم لان الكفر بمحمد والقرآن ليس كالكفر بساير الانبيا والكتب
او على التوزيع ذلك بان الله مولى الذين آمنوا ناصرهم وان الكافرين لا مولى
لهم لا ناصر لهم ومعنى قوله ثم ردوا الى الله مولاهم الحق اى مالكهم وسيدهم فلا
تناقض لما راى ابو سفيان يوم احد بالمؤمنين بعض انهزام نادى باعلى صوته اعل هبل اعل
هبل ثم قال لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله لاصحابه وهو جالس يداوى جرحه الا تجيبونه
قالوا ماذا نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجرى من تحتها الانهار تقرير لتوليه والذين كفروا يتمتعون اياما
قلايل ويأكلون كما تأكل الانعام غافلين فى الكفر غافلين عن العاقبة غفلة الانعام عما هى بصدده
من النحر والذبح والنار مثوى لهم منزل ومقام نصب على الحال وكاين من قرية هى اشد
قوة من قريتك التى اخرجتك وقرا ابن كثير وكاين على وزن فاع بعد بيان ما للفريقين التفت
اليه مسليا اى وكم من اهل قرية كانوا اشد قوة من هولاء واكثر اسبابا واولادا واموالا اهلكناهم
لما كذبوا الرسل فلا ناصر لهم اى لم يكن لهم من ينصرهم والعدول الى الماضى لاجرائه مجرى
الحال المحكية كانه قيل فهم لا ينصرون افمن كان على بينة من ربه اراد به رسول والبينة
ما معه من القرآن المعجز الدال على الوعد والوعيد او كل مؤمن لقوله افمن يعلم ان ما انزل اليك
من ربك الحق كمن هو اعمى كمن زين له سوء عمله هم مشركو مكة واتبعوا اهواء
هم لا شبهة فضلا عن حجة مثل الجنة التى وعد المتقون مبتدا خبره كمن
هو خالد فى النار مرتب على الانكار السابق فى افمن كان والمعنى امثل الجنة التى وعد
المتقون كمثل جزاء من هو خالد فى النار فحذف المضاف لدلالة ما تقدم عليه وفايدة
التعرية عن حرف الانكار الدلالة على ان من اشتبه عليه الاول فالثانى مثل واذا كذلك يسقط
عن رتبة الخطاب فيها انهار من ماء غير آسن تكرير للصلة وتفصيل للموعود ولذلك لم
يدخل العاطف او حال موكدة او استيناف بتقدير مبتدا كانه قيل ما مثلها فقيل مثلها
كذا وكذا والجملة خبر المبتدا وعن سيبويه فيما قصصنا عليك مثل الجنة وعلى الوجهين كمن
هو خالد خبر مبتدا محذوف اى ليس المتقى الذى له الجنة كالخالد فى النار وقرينة المحذوف
وعد المتقون والآسن المتغير من اسن باسن وباسن سرنا وقرا ابن كثير اسن على فعل
والاول ابلغ لان نفى العام يستلزم نفى الخاص دون العكس وانهار من لبن لم يتغير
طعمه حموضة وغيرها وانهار من خمر لذة للشاربين اى لاجل لذة الشاربين
خاليا من آفات خمر الدنيا من دها بعقل وغول وخمار تانيث لذ لجد وجدة او مصدر
وصف به مبالغة وعنه صلى الله عليه وسلم من سال منكم الجنة فليسال الله الفردوس
فانه اوسط الجنة منه تفجر الانهار وانهار من عسل مصفى خلق كذلك لا يخالط
شمع ولا رواح نور ولهم فيها من كل الثمرات ما عدا المذكور ومغفرة من ربهم من سيدهم
هنا اجل من تلك النعم اذ لا توازى لرضى الله شى كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما
بالغا فى الحرارة يشوى الوجوه فقطع امعاءهم من شدة الحرارة ومنهم من

من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا كان المنافقون
يحضرون خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجالس تذكيره ومواعظه ولا يلقون
السمع الى مقالته ولا يكترثون به فاذا خرجوا من عنده سالوا الصحابة ماذا قال محمد فى اول الساعة
القريبة منا استهزاء وايذانا بانهم يحضرون بابدانهم دون قلوبهم وقرا ابن كثير فى رواية
البزى انفا مقصورا قال ابو على هما لغتان كفاكه وفكه اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
فلا يمكنهم ادراك مقالتك واتبعوا اهواءهم فلذلك يستهزئون ولا يبالون بها والذين
اهتدوا الى الايمان وادراك المعارف والحكم زادهم هدى بالتوفيق والالهام و
الايمان بما يجدد من الوحى والاحكام وآتاهم تقواهم جزاء تقواهم او بينهم تقواهم الخاص
وهو ربط السر على الله وكما ان المعاصى بالمداومة عليها يؤدى الى الطبع والرين فكذلك الطا
عات تؤدى بالسالك الى الغنا عن وجوده فيكون الرب تعالى سمعه وبصره فهل ينظرون
الا الساعة ان تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة اى ما ينظرون الا اتيانها فقد جاء
اشراطها علة للانتظار كانه قال ما ينظرون الا اتيان الساعة بغتة لان اشراطها قد جاءت
وبعد مجيها لا بد من مجى الساعة والاشراط جمع شرط بفتح الراء بمعنى العلامة والمراد بها
رسول الله وما فتح على المسلمين من الاموال والاولاد والاسباب وكثرة السبايا وعن
سهل بن سعد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير باصبعه الوسطى والتى تليها بعثت
انا والساعة كهاتين ثم عجب من نفع التذكر بعد وقوعها بقوله فانى لهم اذا جاءتهم
ذكراهم توبيخا على ترك التشمر لها قبل فوات الوقت فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر
لذنبك مسبب عن جملة ما سبق من اول السورة من حال الفريقين كانه قال اذا
علمت ذلك فدم على موجبات السعادة وتمسك بها وللمؤمنين والمؤمنات
واطلب لذنب متبعيك المغفرة من الله تعالى يقال استغفر لذنبه ومن ذنبه والاول
ابلغ كانه قيل لانك مذنب وفى اعادة الجار دلالة على ان ذنوبهم نوع آخر اذ لا يجوز
فى حقه الا ترك الاولى نادرا والله يعلم متقلبكم بالنهار فى نحو الحكم ومثواكم
واستقراركم بالليل كقوله الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون فراقبوه
فى الاحوال كلها او فى حيوتكم وفى القبور او فى اعمالكم ومثواكم فى الجنة فاخلصوا العمل
وفيه اشارة الى فضل العلم وان لا عمل بدونه وان فضله انما يظهر اذا شفع بالعمل ويقول
الذين آمنوا لولا نزلت سورة قبل الاذن فى القتال حين كانوا مامورين بالصبر فاذا
انزلت سورة محكمة فى شان القتال لم يعترها نسخ ولا اشتباه وذكر فيها
القتال الامر به رايت الذين فى قلوبهم مرض هم المنافقون لقوله فى قلوبهم مرض فزادهم
الله مرضا ولقوله ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فاولى لهم اى فاهلكهم الله
اهلاكا اقرب من كل شى ولا يمكن هذا فى حق مؤمن ضعيف الايمان طاعة وقول
معروف امثل لهم او امرهم طاعة او مقول قولهم قبل القتال لقوله ويقولون طاعة
فاذا برزوا من عندك بيت طايفة منهم غير الذى يقول فاذا عزم الامر جد هو
فعل صاحب الامر اسند اليه مجازا كقولهم قام الحرب فلو صدقوا الله اى المنافقون
لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم نقل الكلام
معهم الى الخطاب ليكون انكى واشد توبيخا والاستفهام للتقرير والمعنى انكم تقولون
كيف نقاتل العرب وهم من جلدتنا تظهرون هذا من ديانتكم وفور مروتكم وكمال توكم
فلو فوض الامر اليكم وتوليتم واستقام لكم الامر بلا منازع هل يتوقع منكم الا الافساد فى
الارض وقطع الرحم الذى لا شى اقبح عند العرب منه ولا فى الشرع اشنع منه وان كان بعض
الكباير اكبر منه وهذا منه تعالى على لسان العباد كانه قال يقول لكم قايل هذا الكلام

ثم كشف عن حالهم بما لا مزيد عليه بقوله اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى
ابصارهم طردهم عن مظان رحمته ومهاب نسيم لطفه وازال حاسة السمع عنهم فلا
يستطيعون تلقي المعارف والحكم ولم يصل بصاير الوحي الى شغاف قلوبهم وازال
ابصارهم فلا يدركون الايات المبثوثة في الافاق والانفس وههنا التقرير يرشدك
ان الكلام كل بعضه مرتبط ببعض في شان الكاملين في النفاق والاعجال لتوهم ارادة
ضعفا المومنين الغير الراسخين في الايمان مع هذا الغضب الشديد على ان الالتفات لا يقع
موقعه الا اذا كان الكلام مع المنافقين افلا يتدبرون القران الفاظه الرايقة ومعانيه
المونقة التي لو انزلت على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ام على قلوب اقفا
لها ام بمعنى بل والهمزة تقرير لهذا الشق من الترديد وان القلوب سقفل مختوم عليها
والتنكير في القلوب اما للتهويل وتقطيع شانها في القسوة كانه لا يمكن تعريفها ولا يقادر
قدرها او لانها قلوب متميزة عن ساير القلوب وهذا ايضا معنى حسن واما اضافة الاقفال
فهي التي لا يجوز غيرها لانها تفيد ان تلك الاقفال مختص بها لا يمكن رفعها ابدا ان
الذين ارتدوا على ادبارهم هم المنافقون من بعد ما تبين لهم الهدى
ظهر لهم بحيث لم يبق شبهة الشيطان سول لهم اي سهل لهم ارتكابه وهو من
السول لجوف وادي وقيل من السؤال مهموز العين بمعنى التمني وفي صحته تصريفا واشتقاقا
نوع تكلف واملى لهم ارخى لهم العنان ومد لهم في العمر ومناهم الاماني والامال
قرا ابو عمرو واملى على بنا المجهول ماضيا ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله
القايلون هم المنافقون والذين كرهوا ما انزل الله هم اليهود لقوله تعالى بيسما اشتروا
به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشا وقيل القايل
يهود والذين كرهوا المنافقون وقيل قول المنافقين لقريظة والنضير واحد الفريقين
للمشركين والوجه هو الاول كما اشير اليه مرارا سنطيعكم في بعض الامر
وهو المهم الذي يحتاج الى التظاهر والتعاون كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاتفاق على تكذيبه والتكذيب بالتوحيد والله يعلم اسرارهم وان
هذا من تلك الاسرار وقرا حمزة والكسايي وحفص اسرارهم بكسر الهمزة مصدرا اسر
وهذا ابلغ وذاك اظهر وانسب بالفواصل فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون
وجوههم وادبارهم اي حالهم حال كونهم يضرب اشرف اعضاهم واخسها ذلك
بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه اتبعوا الطاغوت وكرهوا الكلام المنزل وسماه
رضوانا مبالغة لانه سبب رضوانه او الاسلام او رسول الله فاحبط اعمالهم اسقطها
عن درجة الاعتبار وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ام حسب الذين
في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم اي بلى كان حسبانهم ذلك اذ لو علموا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين سيطلعون على ما هم فيه من النفاق لم يركبوه
ولو نشا لاريناكهم لعرفناك زيهم وهياتهم فلعرفتهم بسيماهم بتلك العلامات
التي اعلمناك ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف لحن القول اسلوبه و
نحواه واصله امالة الكلام من ظاهره الى نحو من الانحاء قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا و
اللحن يعرفه ذوو الالباب ومنه اللحن في الاعراب لانه عدول عن الصواب وعن ابن عباس رضي
الله عنهما هو قولهم ما لنا من الثواب ان اطعنا ولم يقولوا ما علينا من العقاب ان عصينا وعن
عثمان رضي الله عنه ما استاجد سريرة الا ابداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه والله
يعلم اعمالكم ولنبلونكم بالاوامر والنواهي الدالة على التكاليف الشاقة حتى نعلم
المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها علما متعلقا بوقوعها ونبلو اخباركم اي

ردعلى القاضي

اي اعمالكم فان الخبر على وفق المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح واذا تميز الخبر الحسن
عن الخبر القبيح فقد تميز المخبر عنه كذلك فيصح ان يكون بلاء الاخبار كناية عن بلاء الاعمال
الاعمال وقرا ابو بكر الافعال الثلث بالياء ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا
الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى قريظة والنضير والمطعمون يوم بدر لن يضروا
الله شيئا لا ينقص ذلك من ملكه شيئا او رسول الله صلى الله عليه الصلوة والسلام
ولفظ الجلالة مفخم وسيحبط اعمالهم يبطلها ولا يثيب عليها او مكايدهم وحيلهم التي
بنوها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين فلا يصلون الى مقاصدهم منها يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم كما ابطل
هؤلاء بالنفاق اي لا تاتوها على وجه لا يثاب عليها بان تقرنوها بالعجب والمن والاذى
عبر عن ذلك بالاحباط بجعل ما كان بصدد الثبوت كالثابت مبالغة في التحذير وعن ابن
عمر كنا معشر اصحاب محمد عليه السلام نرى كل حسنة مقبولة حتى نزل لا تبطلوا اعمالكم قلنا
ما هذا الذي يبطل اعمالنا حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ولا دليل فيه لمن يقول
الكبيرة تحبط العمل ولذلك اردفه بقوله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم
ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم وقد دل مفهومه ان من لم يمت على تلك الحالة
جايز ان يغفر له كاينا ما كان من ذنوبه فلا تهنوا اي بعد ما علمتم ان الغرض من
الامر بالقتال وساير التكاليف تعلق علمه بالمجاهدين الصابرين فلا يكن منكم وهن
بل تجلد لتنالوا اجر الصابرين وتدعوا الى السلم الصلح وترك القتال ابتداء
فانه يطمع العدو ولا ينافي ما صالح عليه في الحديبية اذ لم يكن ذلك الا بسوال المشركين
وقرا حمزة وابو بكر بكسر السين وانتم الاعلون والحال انكم الغالبون في
الوقايع والحروب والله معكم بالنصر والاعانة فلا وجه للوهن ولن يتركم
اعمالكم ينقص من ثوابها شيئا دفع لما يتوهم من ان الضرر اذا كان منه تعالى فاي لاجرهم يقال
وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا قريبا كالولد والاخ فانك افردته عن قريبه فشبه به الافراد
عن العمل في عظم المصيبة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلوة العصر فكانما وتر
اهله وماله ولا بد من تضمين معنى السلب ليتعدى الى المفعول الثاني انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو اللعب ما يجلب به السرور واللهو ما يدفع به الهموم والغموم وان
تؤمنوا تدوموا على الايمان وتتقوا مخالفة اوامره ونواهيه يؤتكم اجوركم كامل
ولا يسالكم اموالكم عطف على الجزاء وفيه مقابلة حسنة بين اعطا الاجور
كلها واخذ بعض المال وهو العشر او ربع العشر يسير ان يسالكموها فيحفكم يجهدكم
الاحفاء المبالغة في السوال من احفى الشارب اذا استاصله تبخلوا باعطا جميع
المال ويخرج اضغانكم يظهر كراهيتكم ومقتكم لمحمد ولدينه لذهاب اموالكم والضمير
في يخرج لله تعالى او للبخل فانه سبب الاضغان ها انتم هؤلاء هذا شانكم ايها
المخاطبون وصفتكم تدعون استيناف كانهم قالوا ما وصفنا ويجوز ان يكون
هؤلاء موصولا تدعون صلته لتنفقوا في سبيل الله في الجهاد والفقراء يشمل الزكوة
فمنكم من يبخل بهذا القدر ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اذ ضرره لا يتعداه والبخل
لتضمنه المنع والتضيق يعدى بعن نظرا الى الاول وبعلى الى الثاني ثم قرر ذلك بقوله
والله الغني وانتم الفقراء اي كما ان الغنا لازم ذاته لا يفارقها كذلك الاحتياج لكم
قال فالفقر وصف لذاتي دايم ابدا كما ان الغنى ابدا وصف له ذاتي وان تتولوا
تعرضوا عطف على تؤمنوا يستبدل قوما غيركم لقوله ان يشا يذهبكم ويات
بخلق جديد ثم لا يكونوا امثالكم بل يكونوا سامعين مطيعين روى ابن جرير باسناده

الى ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية قالوا من
هولاء يا رسول الله فضرب بيده على كتف سلمان وقال هذا وقومه ولو كان الدين بالثريا
لتناوله رجال من الفرس تمت سورة القتال والحمد لمولى النعم والتوالي والصلوة على السيد المفضال
واله وصحبه خير صحب وال **سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون ايات**
بسم الله الرحمن الرحيم **انا فتحنا لك فتحا مبينا** نزلت بعد صلح الحديبية
بكراع الغميم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قصد زيارة البيت قبل الفتح سنة
ست قبل الهجرة فحالت كفار قريش بينه وبين البيت واجتمعوا بالحديبية وهي بئر بقرب
مكة فوقع بينهم الصلح على ان يدخل في القابل مكة ويطوف بالبيت ويقيم بها ثلثة ايام فلما
فلما تلاها على الناس قال عمر بن الخطاب اوفتح هو يا رسول الله قال اي والذي نفسي بيده وانما
كان فتحا لانه سبب لفتوح كثيرة لانه تفرغ لقتال سائر العرب وفتح في تلك السنة خيبر وا
من الناس واجتمع المومن بالكافر والصديق بالصديق وسمعوا القران واسلم بشر كثير وانتشر
العلم والايمان وقيل هو فتح مكة والتعبير بالماضي على دأب اخباره تعالى وفيه فخامة حيث
جعل المترقب كالمتحقق وان الازمنة كلها عنده على السواء فاذا اخبر عن حادث فهو كائن
لا محالة **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر** علة للفتح من حيث انه مسبب عن الجهاد
والسعي في ازاحة الكفر وتكميل النفوس واعلاء كلمة الله او مع ما بعده معلول الفتح من
حيث المجموع فانه علة للنصر العزيز والذنب المغفور لهما لا يخلو البشر عنه من خلاف الاولى
وقيل ما تقدم تحريم مارية وما تاخر قضية لخفا قضية زينب متقدمة **ويتم نعمته عليك**
نعمة الاسلام واعلاء كلمته **ويهديك صراطا مستقيما** موصلا لا عوج فيه
وهي الملة الحنيفية وشرعة الغراء **وينصرك الله نصرا عزيزا** غلبة على العدو ومع العز اذ النصر
يخلوا عنه وذلك صلح الحديبية لانه كان بسوالهم لما القى الله في قلوبهم من الرعب والعز
للمنصور فالاسناد مجازي **هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين** لما اصطلح
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحر الهدي انكر اصحابه ذلك وقالوا كان بعدنا انا
نطوف بالبيت حتى قال لهم ذلك ثلث مرات لم يتحرك منهم احد فدخل على ام سلمة
وشكا اليها ما راى منهم فقالت انحرانت هديك واحلق راسك حتى يتبعوه فالسكينة هي
الطمانينة التي كانت بعد القلق والاضطراب او انزل السكون الى ما جاء به رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الشرايع **ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم** اذ لم يكن في بدء
الاسلام الا التوحيد ثم نزلت الصلوة والزكوة وساير الشرايع قالت عايشة رضي
الله عنها لو نزلت الفرايض جملة لم يومن منهم احد **ولله جنود السموات والارض**
لو اراد املاك اعدائه لاهلكهم طرفة عين ولكن اجرى الامور على وفق حكمته ومن
ذلك قضية الحديبية وما كان في ذلك من الحكم **وكان الله عليما حكيما** كامل العلم حكيما
في كل ما دبر **ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها**
معللا بحذوف اي دبر ما دبر وقضى ما قضى ليعرف المومنون نعمة عليهم فيشكروها
ويثابوا بها هذه الرتبة او بدل اشتمال ليزدادوا **ويكفر عنهم سيئاتهم وكان**
ذلك عند الله فوزا عظيما اذ هو منتهى المطالب وغاية الغايات عند حال من المستكن في
عظيما **ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات** عطف على
ليدخل الا اذا جعل بدلا فعطف على المبدل وتقديم المنافقين لان عز الاسلام واهل
كان اغيظ لهم **الظانين بالله ظن السوء** وهو ان الله لا ينصر رسوله والمومنين
او ان الله لا يعلم كثيرا مما يعملون والسوء القبح والذم والاضافة فيه كرجل صدق والمعنى
ظن الشي الفاسد **عليهم دائرة السوء** دائرة ذلك الفساد الذي يظنونه بالمومنين

بالمومنين الدائرة ما احاط بالشي من جميع جهاته خيرا كان او شرا غلبت في الشر كغلبة الدولة
في الخير فالاضافة للبيان كشمس النهار وقرا ابن كثير وابو عمرو بضم السين في الثاني وهو الشر
والعذاب والبلاء وهو ابلغ واصرح **وغضب الله عليهم** ارادة الانتقام منهم لان المصاب قد
لا يكون مغضوبا عليه **ولعنهم** طردهم عن رحمته اذ الغضب ربما لا يودي الى الطرد ثم اشار
الى ما لهم في الاخرة بقوله **واعد لهم جهنم وساءت مصيرا** ولم يعطف الاخيرين بالفا
مع ان كل واحد مسبب عن سابقه اشارة الى استقلال الكل بالوعيد **ولله جنود السموات**
والارض فلو شاء لانتقم منهم واستاصلهم كما فعل بعاد وثمود **وكان الله عزيزا حكيما**
غالبا لا يغالب حكيما في تاخير العذاب لما فيه من المصالح **انا ارسلناك شاهدا** على
امتك **ومبشرا ونذيرا** على الطاعة والمعصية **لتومنوا بالله ورسوله** اي المرسل اليهم
وتعزروه التعزير النصر القوي **وتوقروه** تعظموه **وتسبحوه** تنزهوه **بكرة واصيلا**
دايما او في هذين الوقتين لانهما اشرف الاوقات وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد صلوة
الصبح والظهر والعصر الضماير لله وقرا الكوفيون ونافع وابن عامر بتا الخطاب في الافعال الاربعة
والمخاطب رسول الله وامته لانه يومن بما جاء به قبل كل احد فغلب على الغايب **ان الذين يبا**
يعونك المضارع لتصوير الماضي بصورة الحال **انما يبايعون الله** لانك رسوله والواسطة
بين الله وبينهم **يد الله فوق ايديهم** اراد يد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المبايعة والله
منزه عن الجارحة بل هو على سبيل التخييل وان العقد والميثاق مع رسول الله انما هو معه تعالى وهذه
البيعة هي بيعة الرضوان واهلها كلهم في الجنة وهم الف وثلثماية او اربعماية او خمسماية وسببها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعا عمر بن الخطاب ليرسله الى كفار قريش ورئيسهم ابو سفيان ليخبرهم انه
انما جاء زايرا لا يريد حربا فقال عمر يا رسول الله قد علمت كفار قريش ما كان مني من الغلظ وليس
بمكة من بني عدي من يحميني ولكن ادلك على من ترسل عثمان بن عفان فانه من بني امية فارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فارجف الناس ان الكفار قتلوا عثمان فعند ذلك دعاهم الى البيعة
واختلفت الرواية في كيفية البيعة عن سلمة بن الاكوع انهم بايعوه على الموت وعن جابر انهم على
ان لا يفروا ولما بايع الحاضرين رفع يده وقال هذه يد عثمان ووضعها على الاخرى ثم قال كلكم
في الجنة الا صاحب الجمل الاحمر قال جابر فابتدرنا اليه فقلنا تعال بايع رسول الله وكان
ند اضل جملا فقال لان اصيب جملي خير لي من ان ابايع صاحبكم **فمن نكث فانما ينكث**
على نفسه اذ لا يعود ضرره الا اليها قال جابر ولم ينكث احد منا **ومن اوفى بما عاهد عليه**
الله فسيوتيه اجرا عظيما لا يحاط به وقرا حفص بضم ها عليه وقرا نافع وابن كثير
وابن عامر بالنون التفاتا وهو ابلغ في الترغيب **سيقول لك المخلفون من**
الاعراب هم المنافقون منهم بنو لحيان وغطفان وعصية والديل وعد غفار واسلم ومزينة
وجهينة غير سديد لانهم خلص استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الحديبية حذرا
من قريش ان يحاربوه او يصدوه عن البيت فاعتذروا بالاموال والاهل ولما رجع رسول الله
قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا لم نجد من يقوم مقامنا **فاستغفر لنا**
قالوه نفاقا واستهزاء **يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم** تكذيب لهم في الاعتذار و
الاستهزاء **قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا** اي قل لا احد
يملك من ضر ولا نفع فليس الشغل بالمال والاهل عذرا اذ لا يرد ذلك من الضر شيئا ولا يمانع
العدو ويمنع النفع ان اراده واللام اما للبيان كما في هيت لك او صلة وقرا حمزة والكسائي
بضم الضاد على انهما لغتان او هو الاذى وسوء الحال وبالفتح ضد النفع مصدر وهو اوفق
وارجح ثم ترقى الى التهديد بقوله **بل كان الله بما تعملون خبيرا** بما كنتم في انفسكم ثم كشف
العطاعنه بقوله **بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا** وذلك انه عليه

رد على القاضي الكشاف في روي البخاري عن رسول الله غفار غفر الله لها اسلم سالمها الله منه

قال الجوهري الديل بكسر الدال حي من كنانة منه

السلام لما استفزهم قالوا ان في المدينة وقتلوا اصحابه وشاورهم فاعلموا قبل كيف يذهب اليهم وزين
ذلك في قلوبكم المزين هو الله حقيقة والشيطان سبب وظننتم ظن السوء
الفساد وهو ان لا ينصر الله رسوله وكنتم قوما بورا هلكى وصف بالمصدر مبالغة او جمع بائر
كعائذ وعوذ قال كعب عوذ مطافيل ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا ومن لم يؤمن بالله ورسوله ظاهرا وباطنا فانا اعتدنا لهم وضع الظاهر موضع المضمر و
تنكير سعيرا لانها نار مخصوصة كما في نارا تلظى ولله ملك السموات والارض
يتصرف فيه كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا علة لصنعه وفيه ترغيب
لمن افق وتخلف في التوبة وكان الله غفورا رحيما كثير الغفران والرحمة سيقول
المخلفون عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعني غنائم خيبر وعد الله رسوله
والمؤمنين ان يعوضهم عن غنائم قريش بشرط ان لا يشاركهم فيها احد والتعبير بالمغانم و
الاخذ اشارة الى سهولة حصولها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله حكم السابق
لاهل الحديبية بان يكون غنائم خيبر لهم دون شريك الا ان رسول الله صلى الله عليه و
سلم اعطى جعفر بن ابي طالب ومن قدم معه من الحبشة فانهم جاؤا ورسول الله على
خيبر وقرا حمزة والكسائي كلم الله جمع كلمة وقراءة الجمهور اولى اذ لا بد من تاويل هذا الى
الكلام قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل هو ذلك الوعد فسيقولون
بل تحسدوننا يكذبون كلام الله كما هو دابهم بل كانوا لا يفقهون الا قليلا
اضراب عن اضافة الحسد الى المؤمنين الى ما هو اقبح منه وهو الجهل وعدم الفهم الذي كل داء
دونه ولذلك نسبوا الحسد الى من طلق الدنيا وضرتها ومازاغ البصر الى شيء دون جناب القدس
وماطغى قل للمخلفين من الاعراب كرر هذا الاسم لبشاعة تشفيرا للسامعين ستدعون
الى قوم اولي باس شديد يخبرا يمانكم قيل هم هوازن وثقيف قاتلهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد الفتح وقيل فارس والروم وعن الضحاك هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب قاتلهم
خالد بن الوليد في خلافة الصديق تقاتلونهم او يسلمون مستانف وليس بصفة قوم لانهم
دعوا الى قتال قوم لا الى قتال قوم موصوفين بالمقاتلة والايراد بانه لا بد من تاويله بالامراد قد
يتركوا سدى او هذا غير قادح اذ الكلام في قوم مخصوصين وقد وقع الانقياد على اي تفسير فسر
القوم اما ايمانا او جزية او للشيوع والحصر اذ لا ثالث فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا
حسنا الغنيمة في الدنيا والجنة في العقبى وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية
يعذبكم عذابا اليما ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على
المريض حرج استثنى المعذورين عن المخلفين ووعيدهم ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما نعذبه
قراءة نافع وابن عامر ندخله ونعذبه وهو ابلغ ترغيبا وترهيبا لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة هي السمرة نوع من شجر الطلح عن سعيد بن المسيب ان اباه اخبره انهم خرجوا
في العام القابل فنسوا عليها فلم يظفروا بها وكان ذلك حكمة من الله لئلا يضل بها اقوام فعلم ما
في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة الى قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال عمر لما عاهد قريشا على ان يرد اليهم من جاءه مسلما قلت الست رسول الله
حقا قال بلى قلت الست تعدنا ان نطوف بالبيت قال بلى قلت فلم نعطي الدنية على ديننا قال
اني رسول الله ولم يضيعني الله هل قلت لك انك تطوف بالبيت في هذا العام قلت لا قال فانك
اتيه ومطوف واثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا غالبا حكيما راعى حالهم
واخلافكم وعدكم الله مغانم كثيرة هي ما يفي الله على المؤمنين الى يوم القيمة تاخذونها
ذكر الاخذ في الموضعين للدلالة على سهولة الحصول فعجل لكم هذه غنائم خيبر كانت ارضا

قابل الكشاف

قابل القاضي

قابل الكشاف

ارضا ذات عقار واموال نقسمها عليهم وكف ايدي الناس عنكم اهل خيبر وحلفاءهم اسد
وغطفان حاؤا لنصرهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالحديبية حين سالوا الصلح
ولتكون اية للمؤمنين اي هذه الكفة ليعلموا انهم بمكان من الله وعين كالئه والعطف
على علة محذوفة مثل لينفعكم بها او لتكون الكفة اية للمؤمنين فعل ذلك ويهديكم صراطا
مستقيما اذا وحدتم وبالله ورسوله صادقا ازددتم ايقانا وتفويضا اليهم لانه العالم
بعواقب الامور واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها عن ابن عباس رضي الله
عنهما هي الفتوح التي تفتح الى يوم القيمة اخرى مجرور برب او مرفوع بالابتداء قد احاط الله بها
الجملة خبره وقيل عطف على هذه والمراد بها غنيمة هوازن يوم حنين ومعنى لم تقدروا عليها
انهم انهزموا والمعنى عنكم الله من غير حول وقوة وفي جعلهما من الغنيمة المعجلة وهي بعد فتح
مكة بعد وقيل فتح مكة وهذا البعد اذ لم يكن فيها غنيمة سواء قلنا فتحت صلحا او عنوة وعن
ابن ابي ليلى انها الروم والفرس وكان الله على كل شيء قديرا لا تفاوت نسبة الممكنات
الى قدرته ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا
سنة الله مصدر مؤكد اي سن غلبة انبيائه التي قد خلت من قبل
في الامم الماضية ولن تجد لسنة الله تبديلا تغيير كتب الله لاغلبن انا ورسلي تشجيع
لهم ليثبتوا في مواطن الحرب بعد ان علموا ذلك وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم
عنهم ببطن مكة روى انس مالك ان ثمانين رجلا من المشركين نزلوا من جبل التنعيم يوم
الحديبية يريدون غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذهم المسلمون واتوا بهم رسول الله
فقال هل نزلتم على عهد احد من اصحابي قالوا لا وكذا عن سلمة بن الاكوع وعكرمة مولى ابن
عباس الا ان في رواية سلمة سبعين وفي رواية عكرمة اربعين فعفا عنهم وقال دعوهم يكن
بدء الفجور منهم وثناؤه وقيل ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسماية فارس يريد قتال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فارسل اليه خالد بن الوليد فهزمه حتى ادخله حيطان مكة وفيه ان خالدا
لم يكن اسلم يوم الحديبية بل كان طليعة للمشركين كما رواه البخاري وقيل كان ذلك يوم الفتح
وبه استدل على ان مكة فتحت عنوة ولا يستقيم اذ لم يكن يوم الفتح مع رسول الله هدي بل جاء في
جيش كثيف محاربا من بعد ان اظفركم عليهم وكان الله بما تعملون من اعمال البر ومحاسن الاخلاق
بصيرا لا يخفى عليه وقرا ابو عمرو يعملون بياء الغيبة والخطاب اوجه لان الكلام في مناقب
المؤمنين هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ
محله الهدي ما يهدى الى الكعبة من الانعام معكوفا محبوسا عن البلوغ الى محله المعهود
وهو منى لقوله صلى الله عليه وسلم نحرت هنا ومنى كلها منحر واستدل به الشافعي رحمه الله على
ان المحصر ينحر حيث احصر كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية وقال ابو حنيفة رحمه
الله يبعثه الى الحرام لان الاراقة قربة فلا يقع موقعها الا في زمان ومكان اعتبره الشارع وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاج مكة كلها منحر وكان مضارب رسول الله في الحل
ومصلاه في الحرم فدل على انه نحرها في الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
لم تعلموهم ان تطؤهم اي تهلكوهم وتستاصلوهم اصل الدوس بالقدم عبر به عن الاهلاك
لان من وطئ برجله على شيء فقد استقصى في هلاكه قال ووطئتنا وطا على حنق وطا المقيد
نابت الهرم وفي حديث خولة بنت حكيم انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر وطاة و
طاها الله بوج فتصيبكم منهم معرة بغير علم مشقة وكراهة من الغزو وذلك انهم لو
قاتلوا القتل من بمكة من المستضعفين وكان يجب بقتلهم الدية والكفارة ولا شاع المشركون
ان محمدا قتل من آمن به في الحرم والجار والمجرور متعلق بان تطؤوهم على انه حال من ضمير المجا
طبين ولا تكرار سواء جعل ان تطؤهم بدل اشتمال من رجال ونساء او من المنصوب في

لم تعلموهم لان عدم العلم فى الاول بالايمان وفى الثانى بالاهلاك وجواب لو محذوف دل عليه
الكلام وفى حذفه اشارة الى شدة غضب الله اى لولا حق المؤمنين ومكانهم عند الله
لاوقع بمن صدكم عن بيته ما لا يدخل تحت الوصف ليدخل الله فى رحمته من يشاء
كان ذلك الكف وذلك بان يسلم المؤمنين من القتل ويدخل فى الاسلام من وفقه
ممن كان مشركا لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما لو تفرقوا وامتاز بعضهم عن
بعض من زال يزيل كما زميز لفظا ومعنى ومنه قوله تعالى فزيلنا بينكم وجوزان يكون
لو تزيلوا تكرار القوله لولا رجال مؤمنون لان مآل المعنى واحد ويكون لعذبنا هو
الجواب اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية ظرف لعذبنا او صدوكم او نصب باذكر
حمية الجاهلية التعصب الباطل لا لحمية الاسلام من المحافظ على حرمات الله فانزل
الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين اى الوقار والطمانينة وقد تقدم ماكان
من عمر واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الامتناع عن نحر الهدى ولما كتب على
كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله اهل مكة فقال له
سهيل بن عمرو اما الرحمن فلا نعرفه اكتب باسمك اللهم ولو عرفناك انك رسول الله ما قاتلناك
اكتب محمد بن عبد الله فقال لعلى امح رسول الله قال والله لا امحاه ابدا فاخذ منه ومحاه و
كتب محمد بن عبد الله والزمهم كلمة التقوى الوفاء بالعهد وذلك انه لما وصل
الى الحديبية بركت ناقته فقالوا خلأت القصوا فقال والله ما خلأت وليس ذلك لها بخلق و
لكن حبسها حابس الفيل والله لا يسألونى خطة يعظمون فيها حرمات الله الا اعطيتهم فكل
ذلك كان وفاء بما عاهد الله عليه وقيل كلمة الله وقيل بسم الله الرحمن الرحيم اختارها
له وللمؤمنين وان ابى المشركون والاضافة الى التقوى لانها سببها وكانوا احق بها
واولى من غيرهم لا من غيرها كما توهم واهلها ومستاهلها وكان الله بكل
شىء عليما علم استحقاقهم لها وانهم اهل للهداية لقد صدق الله رسوله الرؤيا
بالحق لتدخلن المسجد الحرام راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الحديبية فى المنام انه دخل هو واصحابه
المسجد الحرام وطافوا وحلقوا وقصروا فقصها على اصحابه ففرحوا بذلك وايقنوا انه يكون ذلك
فى تلك السنة فلما كان من امر الصلح ما كان تغيرت خواطرهم ووسوس اليهم الشيطان حتى قال عمر ما قال
واجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اجاب فانزل الله ان ذلك المنام حق ولا بد
من وقوعه على الوجه الذى رآه وما قيل ان عبد الله بن ابى وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث
قالوا والله ما حلقنا وما قصرنا ولا راينا المسجد الحرام لا يستقيم لانه لم يكن معه فى الحديبية منافق
الا صاحب الجمل الاحمر كما تقدم بالحق صفة مصدر اى صدقا ملتبسا بالحق اى الحكمة البالغة
من الابتلاء او حال من الرؤيا اى لم تكن من اضغاث الاحلام او قسم اما باسمه تعالى او بنقيض
الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله
آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تبدل
ولا نقصان والتقييد بالمشية تعليم للعباد فى العزم على المترقب واشارة الى ان ذلك
بمجرد مشيته تعالى لا بجلادتهم او هو حكاية ما قاله ملك الرؤيا او رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين قص الرؤيا وقيل المعنى باسركم ان لم يمت منكم احد او يغب وبرد عليه
ان علمه تعالى بانى ذلك لا تخافون اى بعد الدخول حال مقدرة لان الاحوال المقدرة
احوال مقدرة فعلم ما لم تعلموا من الحكمة الفاء للتعقيب فى الذكر فجعل من دون
ذلك فتحا قريبا صلح الحديبية لما تقدم ان عمر رضى الله عنه قال او فتح ذلك قال اى
والذى نفسى بيده وقيل فتح خيبر هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ملتبسا بالهداية ودين الله الذى ارتضاه له او الدين الحق اضيف اليه مبالغة كرجل

٢٦١

كرجل صدق ليظهره على الدين كله يجعله غالبا بجنسه ما يتعلق لتلك الاديان بقاء واذا كان
عناية الله معه فى هذه الرتبة فكيف يستبعدون فتح مكة ودخول المسجد آمنين وكفى بالله
شهيدا على نفسه فى انجاز المواعيد محمد رسول الله صرح باسمه العلم دفعا لتوهم غيره من
لفظ الرسول اى ذلك الرسول الموصوف بمحمد ورسول الله عطف بيان ولا يكون تركيب
ابلغ منه ويجوز ان يكون مبتدأ ورسول الله خبره والذين معه اشداء على الكفار
رحماء بينهم وصفهم بكمال الرجولية والحكمة حيث وضعوا كل شىء موضعه وفى الحديث المؤمنون
فى توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو منه تداعى له ساير الجسد بالحمى والسهر ولما
تمشى ابو دجانة القايل يتبختر فنظر اليه الناس وهو يختال فى مشيته قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه مشية يكرهها الله الا فى هذا الموطن تريهم ركعا سجدا هذه معاملتهم مع
الله وتلك معاملتهم مع الناس يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضا
الذى هو اعلى المطالب وفيه تعريض بالمنافقين الذين يراؤن الناس سيماهم فى وجو
ههم من اثر السجود السيما العلامة من السومة والياء بدل الواو ومن بيان اى سيماهم التى
هى اثر السجود وقد روى ابن ماجة باسناده من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار واليه اشار
صلى الله عليه وسلم فى قوله الصلوة نور ولذلك ترى تارك الصلوة على وجهه ظلام ولو فعل
من البر ما فعل وعن منصور سألت مجاهدا فقال هو الخشوع فقلت ما ارى الا الاثر فى الوجه فقال
ربما كان ذلك بين عينى من هو اقسى قلبا من فرعون ذلك الوصف العجيب مثلهم فى التورية
ومثلهم فى الانجيل فى الكتابين الذين لم ينزل قبل القرآن اعظم منهما ثم ابتداء فقال
كزرع اى هم كزرع وقيل تم الكلام فى قوله مثلهم فى التورية ثم ابتدأ بقوله ومثلهم فى
الانجيل كزرع اخرج شطأه فرخه والجمع اشطاء ما يخرج حول السنبلة من الفروع وقرأ
ابن كثير وابن عامر فى رواية ابن ذكوان بفتح الطاء لغة منه فآزره قواه واعانه من الازر او
من الموازرة وقرأ ابن ذكوان ازره كنصره لغة والمد اشهر واكد فاستغلظ صار من الدقة
الى الغلظ او استحكم غلظ فاستوى على سوقه على قصبه جمع مبالغة فى استحكامه وقرأ ابن
كثير فى رواية قنبل بالهمز على ان مفرده سؤق كالكاس يعجب الزراع بقوته وحسن
منظره اى مثل محمد فى قيامه وحده بمكة ودعواه الرسالة ثم تايده بالصحابة كسنبلة هذا
شانها ليغيظ بهم الكفار تعليل لما دل عليه الكلام اى كونهم بهذه الصفة
لغيظ الكفار بهم او لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
مغفرة واجرا عظيما من بيان كقوله واجتنبوا الرجس من الاوثان تمت والحمد لمن الاؤه جمت
والصلوة على من عليه الاملاك صلت سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشرة ايات
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا
لا تقدموا بين يدى الله ورسوله التقديم جعل الشىء متقدما فاما ان يجعل مفعو
له محذوفا ليذهب النفس كل مذهب او نسيا كقيمى ويميت وجاء بمعنى تقدم ومنه مقدمة الجيش
والاول ابلغ واشهر يقال فلان بين يدى زيد اذا كان قريبا منه بين الجهتين المسامتين
ليمينه وشماله وذكرها مع الله على سنن المجاز المسمى تمثيلا وفيه تصوير لشناعة ما نهوا عنه
والمعنى لا تقطعوا امرا دونهما ولا تحكموا به من دون اذن الله ورسوله والاولى ان يجعل ذكر
الله توطية من قبيل اعجبنى زيد وكرمه لان الكلام مسوق لاجلال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفى ذلك من قوة الاختصاص والمكانة ما لا يخفى وهو الموافق لقوله تعالى
فما اتاكم الرسول فخذوه ثم اذا علم شان التقديم بين يديه علم شان التقديم بين يدى الله
من باب الاولى واتقوا الله فان التقوى ملاك الامر ومن تمسك بها حاز كل ادب وجانب
كل شبهة وريب ان الله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمايركم يا ايها الذين آمنوا

لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اذ من كان مقامه ومكانته عند الله من القرب والحظوة ما تقدم
كان خفض الصوت والتخافت بالكلام بين يديه ادنى ما يجب له من التوقير والاجلال ولذلك اعاد
النداء حثا على الاستبصار وايقاظا عن سنة الغفلة تذكيرا واعتبارا روى البخاري باسناده الى
ابن ابي مليكة قال كاد الخيران ان يهلكا ابو بكر وعمر رفعا اصواتهما عند رسول الله لما قدم
عليه ركب بني تميم اشار الصديق بان يؤمر القعقاع بن معبد عليهم واشار الفاروق الى الاقرع
بن حابس فارتفعت في ذلك اصواتهما فنزلت فقال ابو بكر والله لا اكلمك بعد هذا الا كاخي
السرار وكان عمر اذا خاطب رسول الله لا يسمع حتى يستفهم ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
فضلا عن رفع الصوت فوق صوته ان تحبط اعمالكم فان الاستخفاف به كفر محبط للعمل والمعنى
انتهوا عن ذلك خشية من حبوط العمل على ان المنهي معلل او الفعل لاجل الحبوط منهي على ان
المعلل منهي لانه لما ادى اليه فكانه فعل لاجله ولما نزلت افتقد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثابت بن قيس الانصاري فذهب اليه عاصم بن عدي فوجده يبكي في بيته فاخبر
بذلك رسول الله فدعاه فقال ما يبكيك يا ثابت فقال قد خفت ان يكون قد حبط عملي
وكان جهوري الصوت قال لست هناك تعيش حميدا وتموت شهيدا قال انس لما كان
يوم قتال مسيلمة الكذاب تحنط ولبس كفنه فقاتل حتى قتل في كفنه وانتم لا تشعرون
بذلك وعنه صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا
يكتب له بها الجنة وان الرجل ليتكلم بكلمة من سخط الله لا يلقي بها بالا يهوى به في النار ابعد
ما بين السماء والارض ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله يخفضونها
كل شيء كففته فقد غضضته اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي علم
انها اقوياء على احتمال التكاليف والمشاق لان الامتحان سبب المعرفة الجار والمجرور
حال اي كائنة للتقوى خليقة بها كقولك انت لهذا الامر اي مختص به لا يتجاوزك او
ضربها بانواع المحن ليظهر تقواها لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند الابتلاء او اخلصها
للتقوى من امتحن الذهب اذابه وخلص ابريزه وعن عمر اذهب شهواتها ثم في جعل اسم ان
المؤكدة موصولا مشيرا بصلته الى وجه بناء الخبر وتعريفه والاتيان باسم الاشارة و
الاشارة باللام الى الاختصاص والاستيناف في لهم ابهام الجزاء وتنكيره في مغفرة
واجر عظيم احماد وارتضاء لمن تادب بهذا الادب وسلك مع رسوله سبيل التوقير
والاجلال وتعريض باضدادهم نزلت في الشيخين ايضا ان الذين ينادونك من وراء
الحجرات ناس من بني تميم مقدمهم الاقرع بن حابس نادوه باسمه وهو في حريم الحجرات
بيوت ازواجه جمع حجرة فعل بمعنى المفعول من الحجر وهو المنع والوراء وان كان تحقق في
الخلف والقدام الا انهما لم يرادا بخصوصهما لان مناط الانكار نداؤه على الوجه
المذكور في اي جهة كان والجمع لانها كانت متصلة فالمنادي من وراء احديها مناد من
وراء الكل او تفرقوا فيها او على التعاقب وانما علم انه كان داخلا الحجرات من زيادة من
اذ لا بد ان يختلف المبدا والمنتهى اكثرهم لا يعقلون اي كلهم واطلاق القلة على النفي
والعدم غير عزيز او يكون فيهم من لم يرتض ذلك ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم
لكان خيرا لهم في الدنيا لان الاداب مغناطيس القلوب والاخرة فان توقيرك من
اجل الطاعات والقربات وفي التقييد باليهم اشارة الى ان خروجه لو لم يكن اليهم بل
لامر اخر لم يكن لهم ان ينادوه بالخطاب فضلا عن ندائه على ذلك الوجه والله غفور
رحيم واف الغفران والرحمة ترغيبا لهم في التوبة ولما ارشدهم الى طريق السلوك
معه وشيد اركان اجلاله بما لا مزيد عليه شرع يبين معاملة المؤمنين بعضهم مع بعض
بقوله يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا نزلت في الوليد بن عقبة

بن عقبة بن ابي معيط ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق ليأخذ صدقاتهم
فاستقبلوه اكراما لرسول الله وكان بينه وبينهم مشاحنة ظن انهم مقاتلوه فكر راجعا و
اخبر انهم منعوا الزكوة واراد واقتله فبعث اليهم بعثا فلما كانوا بالطريق لقوا الحرث بن ضرار
وهو ابو ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فسالوا البعث فقالوا جئنا
مقاتلين اردت قتل الوليد ومنعت الزكوة فقال معاذ الله فورد مع قومه الى رسول الله
وحلف له فنزلت وروي انه بعث بعد الوليد خالدا فراهم مواظبين على الطاعات فاتى
بصدقاتهم وقصد بتنكير فاسق ونبا العموم اي اي فاسق كان باي نبا كان فان النكرة
في الشرط تعم والفسق الخروج عن الطاعة باتيان الكبيرة والاصرار على الصغيرة وفي تركيب
هذه الحروف معنى الخروج كيف ركبت وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا بالثاء وقراءة الباء اوفق
لانه المقصود من التثبت ولما روي انه قال بعد نزولها الا ان التبين من الله فتبينوا وفيه دلالة
على رد خبر الفاسق وقبول خبر العدل ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم
نادمين كراهة اصابتكم قوما بمكروه وهم براء عن موجبه حال كونكم جاهلين بحقيقة الحال فتصيروا
ذوي ندم وهو الغم اللازم اما القوته او لعدم غنيته موجبا او لكثرة تذكره كالتائب الصادق
في توبته وتركيب الحروف يدل على الدوام ومنه النديم والدمنة والادمان واعلموا ان فيكم
رسول الله نعى عليهم ما فرط من الوليد وما كان من بعض المؤمنين من حث رسول الله على الايقاع ببني
المصطلق قبل التثبت ونزلهم منزلة من لم يعلم انه بين اظهرهم هذا وقد تقدم لهم النهي عن التقديم بين
يدي الله ورسوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم نصب على الحال من المستكن في الفعل والبارز
المجرور اي هو فيكم على حالة يجب تغييرها وهي ارادتكم استتباع رايه لما يظهر لكم في كثير من الامور و
ذلك مما يوقعكم في المشقة وفي ايثار لو اشارة الى ان ما ارادوه حقه ان يكون مفروضا كالمستحيل وايده
بالمضارع تصويرا لاستهجان ما كانوا عليه من ارادة الاستمرار فيما حقه ان يكون مفروضا وبالعنت
الذي هو الكسر بعد الجبر الى اشد المحذور مع الرمز الى انه ليس باول بادرة منهم وتعميم الخطاب ليكون
تعريضا وهو اردع لمرتكبه وازجر لغيره فان قلت انا نزلوا منزلة الجاهل كان قوله واعلموا ان فيكم رسول
الله كلاما مفيدا وكان الاستيناف في لو يطيعكم ظاهرا كان قائلا قال ماذا نفعلوا حتى نسبوا الى ذلك
التوبيخ ويجاب بانهم يريدون ما يوقعهم في العنت بسبب استتباع من يتخطى على المجرة في الكمال
ونصاء لا يستمدون دا به لدى الظهيرة قبل الزوال قلت ذلك وجه حسن لولا ارتباط الكلام
بما تقدم من شان الوليد ومبادرة البعض الى تصديقه وحث رسول الله على الايقاع فيفوت
التعريض وينفك النظام ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم
الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهوان فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر
وما يخالف طاعة الله ورسوله حملهم على ذلك او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا له و
ذما لغيره تعريضا اولئك هم الراشدون يؤيد الثاني والكفر عدم الايمان والفسوق
الكبائر والعصيان الصغائر وكل ما انكره الشرع والرشد الاستقامة على الحق من الرشادة وهي
الصخرة فضلا من الله ونعمة متحدان ذاتا الاول بالنظر الى المنعم عليه ونصب على المصدر
لان الرشد فضل او مفعول له لمقدر اي جرى ذلك فضلا او لحبب وما عطف عليه و
اولئك هم الراشدون اعتراض او للراشدين لان الرشد لما كان بتوفيقه فكانه فعل ولا يخلو
عن تعسف والله عليم باحوال الناس حكيم يتفضل وينعم على ما اقتضت حكمته وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع وايثار ان مع كثرة
الاقتتال اشارة الى ان الايمان خليق بان لا يوجد معه الاقتتال الا نادرا فاصلحوا بينهما
بين الطائفتين فان بغت احديهما على الاخرى تعدت فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى
امر الله ترجع الى حكمه وايثار المضارع لان المقاتلة باعتبار البغي الحالي فان فاءت

ردّ على القاضي

رجعت فاصلحوا بينهما بالعدل قيده بالعدل دون الاول اشارة الى ان الباغى بعد الفئ
حكمه حكم العادل والتائب من الذنب لا سيما وكانت لهم شبهة واقسطوا فى ساير الامور او
تاكيد للاصلاح بالعدل ان الله يحب المقسطين يثيبهم على فعلهم وفى الحديث
المقسطون على منابر من نور يوم القيمة يقال قسط ظلم مصدره القسط بالفتح واقسط
ازال القسط من القسط بالكسر العدل نزلت فى الاوس والخزرج ركب رسول الله صلى الله
عليه وسلم حمارا يعود سعد بن عبادة فمر على مجلس فيه الانصار وابن ابى المنافق فاخذ بانفه
وقال لا تؤذنى بنتن حمارك فقال عبد الله بن رواحة ان حماره اطيب ريحا منك فوقع بين
الطايفتين القتال بالايدى والنعال انما المؤمنون اخوة فى الدين اتى بالحصر اهتماما
بشانها واشارة الى ان مع الايمان زالت الاجنبية وهى اشرف من اخوة النسب لانقطاع
الانساب يوم القيمة واخوة الدين باقية ابدا صافية لا كدر فيها بخلاف اخوة النسب
اذ قل ما تخلو عن كدورة وعداوة فاصلحوا بين اخويكم ان وقع شنان وايثار المثنى
لان اكثر ما يكون بين الاثنين ولانه اذا وجب الاصلاح بينهما ففى الاكثر الزم واتقوا الله
فى مجامع اموركم او فى ترك الاصلاح بين الاخوين فانه كثيرا ما يتساهل فيه لعلكم
ترحمون حال كونكم راجين رحمة الله يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى
ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن القوم الرجال خاصة
ولذا قوبل بالنساء ولانهم قوامون على النساء ولقول زهير اقوم ال حصن ام نساء وقوم
نوح ونظايره تغليبا ولانهن توابع مصدر فى الاصل لقولهم اذا اكلت احببت نوما وابغضت
قوما اى قياما او جمع قايم كزور فى زاير والتنكير لارادة البعض او الشيوع ولم يقتصر على التوحيد
لان السخرية اكثر ما يكون فى المحافل والراضى بها كالساخر ولم يعطف عسى بالفاء لكونه مستانفا
جوابا عن سؤال الموجب للنهى ولا تلمزوا انفسكم اى لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين
كنفس واحدة كقوله ولا تقتلوا انفسكم او لا تفعلوا ما تلمزون بسببه كقوله صلى الله عليه
وسلم لا يسبن احدكم اباه قالوا وهل يسب احد اباه قال نعم يسب ابا احد فيسب اباه و
اللمز فى الاصل الاشارة بالعين شاع فى القول كالهمز فى الفعل ولا تنابزوا بالالقاب
النبز بالتحريك اللقب والمراد به ما يسوء الانسان وفى الحديث على المؤمن ان يدعو اخاه باحب
اسمائه وقد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا من الاسماء بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان المراد بالاسم الذكر يقال طار اسمه فى الافاق اى ذكره والفسوق
مصدر فضح الحمل والمعنى ذم الاجتماع فان الايمان يابى ذلك كما تقول بئست الصبوة
بعد الكبر او ذكر المرء بالفسق بعد ما اتصف بضده كما لو قيل لمن اسلم من اليهود يا
يهودى او بئس الفسوق بدل الايمان تغليظا كانه بذلك يخرج عن الايمان والاية
نزلت فى الانصار كانوا يتنابزون بالالقاب رواه ابو داود وقيل فى نساء النبى عليه
السلام عيرن زينب الهلالية بالقصر او صفية شكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان نساءك يقلن لى يا يهودية بنت اليهوديين فقال هلا قلت ان ابى هرون نبى وعمى
موسى نبى وانا زوجة نبى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون الكاملون فى الظلم
لاستمرارهم على الباطل بعد العلم به يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن بان تكونوا فى
جانب منه ونكر كثيرا ليلا يجترا على اى ظن كان لا بعد التامل ولو عرف لكان المنهى عنه الظن
الموصوف بالكثرة ان بعض الظن اثم الاثم ذنب يوجب العقاب من الوثم وهو الكسر
الهمزة بدل من الواو عن مالك عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن
فانه اكذب الحديث وعن عمر رضى الله عنه لا تظن بكلمة تسمعها من اخيك سوءا وانت
تجد لها محملا ولا تجسسوا ولا تفتشوا على عورات المسلمين من الجس وهو الاختبار باليد

روى الحديث ابو داود
منه

باليد شاع فى الشر كالتحسس بالحاء فى الخير كقوله فتحسسوا من يوسف واخيه وعن عقبة بن مسعود ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ستر على مسلم عورته فكانما احيا موؤدة من قبرها ولا
يغتب بعضكم بعضا الغيبة ذكر المسلم بما كان فيه مما يكرهه وان لم يكن فيه فبهتان وعن
عايشة رضى الله عنها ذكرت صفية عند رسول الله بالقصر فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بالبحر
مزجته وعنه عرض المؤمن كدمه الا اذا كان المغتاب مجاهرا بالفسق كما روى عن الحسن لما مات الحجاج
قال اللهم امته فاقطع سنته اخفش اعمش لا من الله يتقى ولا من الناس يستحيى او احتيج اليه للجرح او استشير فيه
وما لم يبلغ المغتاب اذا تيب عنه سقط الاثم ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تصوير
وتمثيل لما ينال المغتاب من عرض اخيه على افحش وجه بابلغ طرق استفهام التقرير الذى
لا يكون الا فى كل مسلم محقق عند كل سامع وجعل اكره الاشياء محبوبا وتخصيص لحم الانسان
الذى تنفر منه الطباع حال كونه ميتا من غير ذكره وكون ذلك من اخيه واسناد الفعل الى
احد دلالة على ان احدا من الاحاد لا يرضى بذلك وقرأ نافع مشددا فكرهتموه لا محالة
انتم قايلون به فقد تم الالزام والفاء فصيحة مثل فقد جئنا خراسانا وعن ابى هريرة لما رجم
ماعز فقال رجلان قد ستر الله عليه فلم يستر على نفسه حتى رجم رجم الكلب فسار رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسرنا معه حتى مر بجيفة حمار فقال اين فلان وفلان فقالا ها
نحن يا رسول الله فقال انزلا فكلا من لحم هذا الحمار فقالا يغفر الله لك يا رسول الله و
هل يوكل لحم هذا فقال ما نلتما من عرض اخيكما اشد من هذا وعن ابن عباس رضى الله عنهما
ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة فنام يوما عن شانه فبعثاه الى اسامة وكان على طعام
رسول الله يطلب لهما اداما فقال ما عندى شىء فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها
فانطلقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارى خضرة اللحم فى افواهكما قالا ما اصبنا
طعاما منذ نزلنا قال اغتبتما سلمان وفى الخضرة زيادة تهجين لانه من خواص لحم الجيفة
فنزلت واتقوا الله ان الله تواب رحيم شديد الاعتناء بقبول التوبة وافر الرحمة بعد الاسف
ومن طوبى له اذا تاب قبل الغرغرة للحظ يبدل معاصيه طاعات يا ايها الناس انا خلقنا
كم من ذكر وانثى ادم وحوا وكل منكم من اب وام فلا وجه للتفاخر وجعلنا
كم شعوبا وقبايل للعرب فى الانساب مصطلح حصروها فى ست مراتب الشعب و
القبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة على هذا الترتيب اعلاها الشعب فخزيمة
شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة لتعارفوا
الانساب فلا يعتزى احد الى غير ابيه وسهل نقل الاخبار فلان بن فلان ورعاية
الاصول فى صلة الارحام ومراعاة الاكفاء فى الازواج وتحمل الدية ان اكرمكم عند
الله اتقاكم لا دخل للانساب فى امر الاخرة من ابطا به عمله لم يسرع به نسبه
روى البخارى باسناده الى ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل
عن اكرم الناس عند الله قال اتقاهم وعنه لا فضل لاحد على احد الا بالتقوى
ان الله عليم خبير يعلم حقيقة التقوى تحذير عن شوب الريا بعد حصر الكرامة
فيها قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا لما ذكر ان
ملاك الامر هو التقوى اشار الى ما به قوامه وهو الايمان الذى لا يعتد بعمل دونه
وساق الكلام لهذا الغرض مساقا بديعا حيث ادمج فى غرض اخر وهو توبيخ من
يزعم انه احاط بهذا المطلب الشريف وهو عنه بمراحل ولم يصرح بتكذيبهم ليلا
يقابلوا الحق ويلبسوا جلد النمر وليرشد المنزل عليه فى سلوك هذا المنهج
مع الجاهلين وكون احدى الجملتين خبرية والاخرى انشائية ونفى الايمان مقابلة
اثبات الاسلام دون الامر به لا يقدح فى الغرض بعد وجود المطابقة المعنوية

مع ما فيها من الفوايد الزوايد ولما يدخل الايمان في قلوبهم في موقع الحال من واو
قولوا اسلمنا والحال ان الايمان غير داخل محله بعد لما للتوقع لا يستلزم وقوع ما دخل وان
تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيا لا ينقصكم من لاته نقصه ومنه الحمد لله الذي لا
يفات ولا يلات لغة اسد والحجاز وقرا ابو عمرو في رواية الدوري ما لتكم من الت السلطان
حقه وهي لغة غطفان ان الله غفور لما فرط منكم من الدعوى المجردة رحيم حيث ارشدكم
الى طريق الصواب انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا في هذا
الحصر تعريض وكشف عن حقيقة الايمان ومعنى ثم انهم استمروا على ذلك ولم يعترهم ما ينافي الايمان
من الارتياب بل هم على ثلج الصدر ودوام حياتهم او هو من عطف جبريل على الملايكة وايثار
ثم للدلالة على ان حالهم في الايمان على الترقي والازدياد اما في الكمال او في اصل الايقان عند
القايل بالزيادة والنقصان ومن لم يقل به فانضمام العيان الى البيان وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله يشمل ساير العبادات لانها اما مالية او بدنية او مركبة ثم اما ان
ينوي يجاهد كالشيطان والهوى او يكون فاعل بمعنى فعل جيي على صيغة المغالبة ليكون ابلغ واقوى
وفي تاخير الانفس غاية الترقي اولئك هم الصادقون اي الذين لم يكذبوا او الذين ايمانهم
ايمان جد وثبات على ان الصدق شامل للقول والفعل والعقد وعلى الوجهين تعريض بالاعراب
والثاني احسن واوفق بقوله لم يؤمنوا الا انه في معنى كذبتم قل اتعلمون الله بدينكم توبيخ
لهم على تلك الدعوى المجردة اي سبان دعواكم اشتبهت علينا لان الايمان محل خفي وكيف
شانكم مع الله يعلمونه ما لا يعلم والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم
اعاد لفظ الجلالة مبالغة في احاطة علمه لاقتضاء الالوهية ذلك ودل على ان خارج السموات
والارض اشياء لا يحيط بها الا علمه يمنون عليك ان اسلموا اي تلك الايمان الذي
ليس بنا ورآه الاسلام الذي هو الانقياد يمنون عليك به قل لا تمنوا علي اسلامكم
باسلامكم على نزع الخافض وفي اضافته اليهم اشارة الى خساسته وانه شيء يليق بامثالهم
بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان دلكم على ما هو ايمان حقيق ولم يضف اليهم لعدم الملايمة
ولذلك اكدى بقوله ان كنتم صادقين دلالة على ان ذلك كذب والخلاق والجواب
محذوف لدلالة ما قبل عليه ان الله يعلم غيب السموات والارض يطلعك على ما يخفى عليك
ويفيض من المعارف والحكم ما ليس لك اليه سبيل والله بصير بما تعملون عيان
عنده سركم وعلانيتكم وقرا ابن كثير يعملون بياء الغيبة مسندا الى ضمير المانين تمت
سورة الحجرات والحمد لخالق الارض والسموات والصلوة على المبعوث باهر المعجزات واله
وصحبه ذوي المكارم واولي الكرامات سورة ق مكية وهي خمس واربعون ايات
بسم الله الرحمن الرحيم ق حرف الهجاء او اسم السورة مقسم به والجواب
محذوف اي الاتي به لصادق والقرآن المجيد عطف على القسم او قسم والمجد الشرف
المتسع من مجدت الابل اذا رعيتها في مرعى واسع فهو ابلغ من قوله ذي الذكر ولذلك عقب
بقوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار التعجبهم دالا على جهلهم لان التعجب يكون
من شيء خفي سببه وكونه مجيدا اما لانافته على ساير الكتب او وصف بنعت منزله او لان
من احاط به علما مجد فقال الكافرون هذا شيء عجيب في اضمار ذكرهم ثم اظهاره
اشارة الى ان اقدامهم على هذا القول ناش من الكفر وهذا اشارة الى الرجع الدال
عليه الانذار ائذا متنا وكنا ترابا ذلك مستانف لبيان موجب تعجبهم دعولوا
على المنذر به دون التعرض للمنذر لانه ادخل في الانكار لاستقصارهم القدرة
بخلاف كون واحد منهم رسولا فانه مجرد استبعاد ذلك رجع بعيد
من كلامه تعالى مصدر بمعنى المفعول تخطية لهم في المناظرة اي مرجوع كلامهم و

رد على الكشاف حيث زعم ان امنوا بعد ذلك من كلام البخاري لا من كلام المصنف رحمه الله منه

وحصل جوابهم بعيد عن الصواب لكون ما انكروه اهون مما يشاهدونه لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس ويجوز ان يكون من كلامهم وذلك اشارة الى ائذا متنا والناصب لاذا البعث الدال
عليه قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تاكل من اجسادهم والقدرة على الانشا مستلزمة عندهم فالانكار
لماذا وعندنا كتاب حفيظ ضابط للحوادث ما كان وما يكون فلو فرض خروج شيء من
علمنا بناء على جهلهم لم يخرج من ذلك الكتاب او محفوظ عن التبدل وفيه كما ابدانا اول خلق
نعيده وعدا علينا بل كذبوا بالحق لما جاءهم بالنبوة راسا فان انكارها انكار
المنبا به الذي البعث وما يتبعه من جزئياته او الاخبار بالبعث فان التكذيب به اسوء من التعجب
منه او القرآن فان قوله بل عجبوا اضراب عن حديث القرآن ومجده وما يدل عليه اعجازه من
صدق من اتى به فانكار حقيته ادخل في الانكار من انكار ما يلزم منه من النبوة والبعث وعلى
كل تقدير الاضراب الثاني ابلغ دالهم من الاول فهم في امر مريج مختلط تارة
يسمون المؤيد بالمعجز الباهر ساحرا وتارة شاعرا الى غير ذلك من خرافاتهم افلم ينظروا الى
السماء فوقهم كيف بنيناها من غير سبق مثال فيدلهم ذلك النظر على ان اعادة امثالهم
اهون شيء اي قد نظروا ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وزيناها بزينة الكواكب
وما لها من فروج فطور وفتوق بان خلقت ملسا ولا شك ان هذا الصنع اتقن من
ذي خشونة ومسام والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا
ثوابت شامخات اوتادا لها وانبتنا فيها من كل زوج بهيج من كل صنف يبهج به لحسنه ورونقه
تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى الله في التدبر في بدايع صنعه علتان للافعال المذكورة
الاولى للراسخين والثانية للقاصرين ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير الخير والمنافع
فانبتنا به جنات اشجارا ذوات ثمار وحب الحصيد ما شانه ان يحصد مما يقتات
واخره لقلته عند العرب فان اكثر ما يعيشهم الماء والتمر ولذلك عقبه بقوله والنخل باسقات
لها طلع نضيد بعد تناول الجنات اياها الباسق الطويل والطلع ثمر النخل والنضيد
المنضود اما للتراكم لكثرته او لكثرة ثمره رزقا للعباد علة للانبات او مصدر لانه
بمعناه واحيينا به بلدة ميتا ارضا يابسة بايجاد النبات والنضارة فيها ولم يؤنثه
باعتبار المكان والبلد كقوله والبلد الطيب كذلك الخروج الخروج من القبور مثل ذلك
على انه مبتدا والكاف خبر وقيل عكسه والاول اظهر والثاني ابلغ كانه قال مثل هذا المحسوس الخروج
الذي يستحيلونه والمشار اليه خروج النبات لا الاحياء كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب
الرس قوم شعيب وثمود وعاد وفرعون اي قومه وانما ذكره دلالة على كونه
السبب لتكذيبهم والداعي اليه فاستخف قومه فاطاعوه واخوان لوط اي قومه كقوله
واذكر اخا عاد والاخلاف للفعل واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل اي كل
فرد او كلهم وافراد الضمير باعتبار اللفظ فحق وعيد حل بهم واستقر افعيينا بالخلق
الاول العي عدم الاهتداء الى وجه المطلوب ضمن معنى الارسال فعدي بالباء والمعنى
انهم معترفون بالاقتدار على الخلق الاول لا ينكرونه ومن اعترف بذلك لزمه الاعتراف
بالثاني بل هم في لبس من خلق جديد مستغرقون في الحيرة لاجل ذلك انكر وانكير الخلق
ووصف بالجديد تنبيه على مكان شبهتهم الناشية من الوهم الحاكم باستحالة العظم الرميم ما
انسانا في احسن تقويم ولذلك قلع شافة شبهتهم بقوله ولقد خلقنا الانسان ونعلم
ما توسوس به نفسه ما تحدث به من الهواجس ووسوسة الحلي الصوت الخفي ومن علمه بخفايا
المعقولات هكذا فباجزاء الاجسام اجلى اصغر ما يكون والقدرة قد شاهدوا اثارها
في الافاق والانفس ويجوز ان يكون ما مصدرية والباء للتعدية والمعنى ان النفس تجعل الانسان
قايما به الوسوسة فالانسان هو المحدث والوسوسة حديثه كقول لبيد واكذب النفس اذا حدثتها

قايلا الكشاف

ونحن اقرب اليه من حبل الوريد تمثيل لعلمه او من اطلاق السبب وارادة المسبب لان القرب من
شئ سبب العلم به والوريدان عرقان يكتنفان بصفحتي العنق سميا بذلك لانهما يردان من الرأس او
لان الروح يرد فيهما واضافة الحبل اليه بيانية كشجر الاراك او هو في الاصل للعاتق اضيف اليه
للمجاورة **اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد** اذ لا ظرف لاقرب وان لم يكن افعل التفضيل
عاملا في المظهر فاعلا او مفعولا للاتساع في الظرف والمعنى نحن اقرب من حبل الوريد في تلك الحال
توكيل الملكين لا لاستفادة علم بل لطفا بالانسان فانه اذا علم بذلك وان ما يعمله يلزم في عنقه يخرج له
يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا كان ازجر واكبح لعنانه الا يرى انه اذا ارتكب معصية تستر
من الناس مع علمه بان الله تعالى يراه ولذلك كان ظلوما جهولا ويجوز تعلقه باذكر والقعيد
بمعنى المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وحذف احدهما لدلالة الاخر عليه **ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد** حافظ حاضر لا يفوته شئ وتخصيص القول مع ان المراقبة عامة
لان السياق في حديث الانسان نفسه ولفظ ما مع زيادة من يدل على كتابة كل نقيرة
قال الحسن وقتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كان من خير وشر وصاحب اليمين
امين على صاحب اليسار فاذا اذنب الانسان لا يمكنه من كتابته الى سبع ساعات لعله يستغفر
وجاءت سكرة الموت بالحق بعد ما ابتت ما انكروه من امر المعاد بما دل على شمول
علمه بالجزئيات واحاطة قدرته بالممكنات اشار الى ان هذا المنكر انتم لاقوه عن قريب تحذيرا لكم
والباء للتعدية كقولك جاء زيد بعمرو اي احضرت الامر الذي بعث الرسل لاجله او حقيقة الحال من
السعادة والشقاوة ومن ان كل نفس ذائقة الموت او للملابسة اي ملتبسة بحقيقة الامر وسكرة
الموت شدته الذاهبة بالعقل **ذلك ما كنت منه تحيد** اشارة الى الموت والخطاب للكافر
لان الكلام معه وفي احواله او للانسان القابل والحيد الميل والنفرة وقيل الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وفيه فك النظم وركاكة المعنى **ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد**
اي وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد**
ملكان احدهما يسوق الى المحشر والاخر يشهد عليه او ملك واحد جامع للوصفين ومحل معها
سائق النصب على الحال من كل لكونه في معنى كل النفوس **لقد كنت في غفلة من هذا**
مستغرقا فيها لا ترى شيئا **فكشفنا عنك غطاءك** ازلنا الساتر بينك وبين الحق
فبصرك اليوم حديد شديد الرؤية نافذ **وقال قرينه** الملك الموكل **هذا ما
لدي عتيد** صفة ان كانت موصوفة وبدل ان كانت موصولة وفيه ابدال النكرة من
المعرفة او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف اي هذا الذي من اعماله محفوظ عندي
حاضر بلا زيادة ولا نقصان او الشيطان الذي قرن به تقول هذا الذي في ملكتي اعددته
لجهنم باغوائي ولا ينافيه قول ربنا ما اطغيته لانه مثل قول ابليس وما كان لي عليكم من سلطان
بعد قوله ووعدتكم فاخلفتكم **القيا في جهنم كل كفار عنيد** خطاب للسائق والشهيد فان
كان واحدا فالالف بدل نون الخفيفة اجراء للوصل مجرى الوقف كقول الحجاج يا حرسي اضربا
عنقه او تثنية الفعل للدلالة على تعدده في قام الزيدان لما بينهما من شبه الاتحاد لفظا
ومعنى كانه قيل الق الق او لان العرب اكثر ما تخاطب بلفظ المثنى خليلي صاحبي الى غير ذلك
فنشأ هذا على ذلك المنوال كقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر وان تتركاني احم عرضا ممنعا
مناع للخير كثير المنع عن البر والمعروف او الاسلام على ما روي انها نزلت في
الوليد لما منع بني اخيه عن الاسلام والوجه الاول لنا ولا الاسلام لانه رأس الخير
معتد متجاوز **مريب** شاك في دين الله تعالى **الذي جعل مع الله الها اخر** رفع او نصب
على الذم **فالقياه في العذاب الشديد** من ذكر الخاص بعد العام او الذي جعل مبتدأ
تضمن معنى الشرط فالقياه خبره او بدل من كل كفار فالقياه توكيد للاول والفا

ء للدلالة على ان الالقاء لتلك الصفات المذكورة **قال قرينه ربنا ما اطغيته**
جواب للكافر حين ادعى على القرين انه السبب في ضلاله كقوله لقد اضلني عن الذكر بعد اذ
جاءني ولذلك لم يعطف بخلاف الاولى فان العطف فيها لازم للدلالة على الجمع بين مجيء كل نفس
وقول قرينه **ولكن كان في ضلال بعيد** حيث ترك الحق بعد ظهوره بوسوستي ووعدكاذب
قال لا تختصموا لدي استيناف كانه قيل ماذا قال تعالى في جوابه والمعنى ان دار الجزاء
ليس محل الخصام لعدم الجدوى **وقد قدمت اليكم بالوعيد** والحال اني لم ابق لاحد حجة
وقد صح عندكم ذلك والباء في بالوعيد مزيدة مثلها في ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او صلة
قدم على انه بمعنى تقدم او الجار والمجرور حال من الفاعل او المفعول مبنيا عليه والفعل واقع
على قوله **ما يبدل القول لدي** اي بيّنت لكم مضمونه **وما انا بظلام للعبيد** اي لا احد شيئا
من الظلم والمبالغة اما بالنظر الى الافراد واما لانه لو ظلم لكان كساير صفاته وافعاله في غاية الكمال
يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد يوم ظرف لظلام او نصب باذكر او اذكر
بنفخ واشار بذلك الى اليوم كانه قيل ذلك اليوم اي يوم القول يوم الوعيد وفيه بعد لوقوع
الفصل بما لا يصلح اعتراضا على ان زمان النفخ ليس يوم القول الا على فرض الامتداد وقرأ
نافع وابو بكر يقول بالياء التفاتا والنون ابلغ ترهيبا روى البخاري عن انس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلقى في النار من يلقى وهي تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه
فيقول قط قط بعزتك فعلى هذا الاستفهام على اصله وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه
وعكرمة هل من مزيد هل بقي في من مكان اي لم يبق في موضع ابرة وكذلك ما روى مسلم عن
ابي سعيد ان الله تعالى وعد لكل من الجنة والنار ملأها محمول على ما بعد وضع القدم ولا
ضرورة من صرف السؤال والجواب عن الحقيقة وقيل هو من التخييل الذي يقصد به التصوير
والتبيين **وازلفت الجنة للمتقين** قربت لهم **غير بعيد** مكانا غير بعيد نصب على الظرف
او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالقديد والوجيب او على حذف الموصوف اي
شيئا وعلى كل تقدير توكيد لازلفت **هذا ما توعدون** جملة اعتراضية وقرأ ابن كثير
بالياء **لكل اواب** رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار **حفيظ** حافظ لحدوده
من خشي الرحمن بدل بعد بدل او من موصوف اواب لان جواز حذف المبدل ولا
يجوز ابداله من اواب لان من لا يوصف به او مبتدأ خبره ادخلوها بسلام او منادى
حذف حرف النداء منه جعل بمنزلة الحاضر عناية ورفعا للمحل وايثار الرحمن من بين اسمائه
تعالى وجعله مقرونا بالخشية للثناء على الخاشي بانه يخشاه مع علمه بسعة رحمته او لعلمه بشدة
عقابه فلم يأمن ولم يغتر بكثرة رحمته **بالغيب** زيادة في الثناء اي يخشيه وغاب عنه حال
من المفعول او من الفاعل اي في خلواته غائبا من اعين الناس او بسبب الغيب الذي اوعده **وجاء
بقلب منيب** تائب والاقتصار على القلب لان الجسد وساير الحواس الات وجنود وفي — رواه البخاري
الحديث ان في الجسد مضغة اذا اصلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي
القلب **ادخلوها بسلام امنين** سالمين من العذاب او من زوال النعم او مسلما عليكم من
ذلك يوم الخلود اي يوم تقدير الخلود لان ذلك اشارة الى زمان الدخول ويجوز
ان يشار به الى ما بعده نحو هذا اخوك او يجعل يوم الخلود مبتدأ بما من حين الدخول مستغنيا
عن التقدير **لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد** الذي لم يخطر بخاطرهم روى مسلم عن صهيب
انه النظر الى وجه الله تعالى **وكم اهلكنا قبلهم من قرن** اي قبل قومك **هم اشد منهم
بطشا** كعاد وفرعون **فنقبوا في البلاد** اي نقروا في البلاد وجالوا في الارض من
كل جانب حذر الموت **هل من محيص** من ملجأ او منجا من عقاب الله واهلاكه ويجوز ان يراد
اهل مكة ونقبهم اسفارهم ومسايرهم على ديار المهلكين كقوله فسيروا في الارض والفرض

منه انهم وان عموا عن دلايل البعث فكان عليهم الحذر من العقاب العاجل لما شاهدوا من
حال امثالهم ان في ذلك فيما ذكر من حال الامم او ما ذكر في السورة لذكرى
موعظة واعتبارا لمن كان له قلب فاهم عن الله او القى السمع الى من له ذلك
الاستعداد مستفيدا منه وهو شهيد اى حاضر بقلبه متهئ للتفطن اذ غيره بمثابة الغايب
ويجوز ان يكون من الشهادة اى القى السمع والحال انه مؤمن بما يتلى عليه او من الذين
قال الله فيهم لتكونوا شهدآء على الناس والاول اوجه والعتق بالمقام ولقد خلقنا السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب اد فى لغب تكذيب لليهود
في قولهم بدأ بخلق العالم يوم الاحد ووقع الفراغ يوم الجمعة واستراح يوم السبت فاصبر
على ما يقولون اى المشركون او اليهود والاول اوجه وسبح بحمد ربك
نزهه حامدا قبل طلوع الشمس وقبل الغروب لشرف الوقتين ومن الليل فسبحه
في جزء من الليل ايضا وهو الثلث الاخير وقيل المراد بالصلوة قبل طلوع الشمس الصبح
وقبل غروبها العصر والظهر ومن الليل المغرب والعشا وادبار السجود وخلف الصلوة
روى مسلم باسناده انه صلى الله عليه وسلم قال من قال في دبر كل صلوة ثلثا وثلثين تسبيحة
وثلثا وثلثين تحميدة واربع وثلثين تكبيرة غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وعن على رضى الله
عنه ركعتان بعد المغرب وعن ابن عباس رضى الله عنهما الوتر وقراه نافع وابن كثير وحمزة و
ادبار بكسر الهمزة مصدر ادبر انقضى بتقدير مضاف اى وقت انقضا السجود واستمع يوم
ينادى المنادى اى استمع لما اخبرك به من احوال يوم القيمة وفيه تهويل روى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ استمع ثم اخبره بعد سبعة ايام والمنادى اسرافيل
ينفخ في الصور ينادى ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة
هلم لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ في الصور وجبرئيل ينادى وقرا ابن كثير ينادى باثبات اليا
في الوقف لانها جزء الكلمة وحذفها الباقون اتباعا للرسم من مكان قريب من صخرة
بيت المقدس وهى اقرب ارض الى السما باثنى عشر ميلا وهى وسط الارض او من تحت اقدامهم او من
منابت شعورهم يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادى وانتصابهما بما دل عليه الخروج
اى يخرجون من القبور يوم ينادى بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والصيحة النفخة الثانية
ذلك يوم الخروج من اسما يوم القيمة انا نحن نحيى ونميت والينا المصير للجزاء جرده عن الدليل
لما تقدم من الادلة مستوفاة يوم تشقق الارض عنهم بدل بعد بدل او ظرف للمصير او نصب
بما دل عليه حشر علينا وقراه نافع وابن كثير وابن عامر بتشديد الشين لان اصل تشقق والباقون
مخففا بحذف احدى التائين سراعا مسرعين حال من المجرور ذلك حشر علينا يسير قدم
الظرف للاختصاص اذ لا يتيسر ذلك الامر البديع الا لمن امره بين الكاف والنون نحن
اعلم بما يقولون منك تسلية له وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار بقهار تكرههم
على مرادك انما انت منذر لا غير وقد وفيت بما ارسلت به فذكر بالقران من يخاف
وعيد اى لا ينتفع به غيره فان الدوا لا يجدى الا اذا صادف محلا قابلا للشفاء تمت سورة
قاف والحمد لمن لا يحيط بمجامع الاوصاف والصلوة على خير خلقه واله وصحبه اولى المكارم والانصاف

لان السورة مكية

سورة الذاريات مكية وهى ستون ايات بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا الرياح التى تذرو التراب وغيره وادغم ابو عمرو وحمزة التاء في
الذال فالحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر فالجاريات يسرا السفن
الجارية في البحر جريا ذا سهولة فالمقسمات امرا الملايكة تقسم الامور كل واحد
موكل بشان جبرئيل بالوحى واهلاك المكذبين وميكائيل بالارزاق واسبابها وملك
الموت بالارواح واسرافيل بالنفخ وملك الجبال بالجبال وملك البحار بالبحار الى غير ذلك مما لا

يحيط به الا الله هذا هو المروى عن عمر بن الخطاب وعلى والترتيب باعتبار ما سيق له الكلام من
الدلالة على كمال القدرة المحقق لما اقسم عليه من صدق الوعد بالبعث الاظهر فالاظهر لان الكلام
مع المجاحد وقيل الكل صفات الرياح لانها تثير السحاب وتحمله وتجرى به في الجو وتقسمه على الاماكن على ما امرت
فالعطف باعتبار الصفات انما توعدون من البعث ابهمه لتعظيمه لصادق مطابق للواقع او الوعد
الصادق كعيشة راضية وان الدين الجزاء لواقع والسماء ذات الحبك ذات الطرايق
وهى طرايق النجوم في مسيرها او اراء النظار الذين يتفكرون فيها من حبك الريح الرمل والماء اذا اثر
فيه بالتجعيد والتكسير قال زهير يصف غديرا مكلل باصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحى مائه حبك
ولما كان في ذلك التكسر حسن منظر قال الحسن الحبك النجوم لانها زينة السما وقيل صفاقتها
من حبك النساج اذا احكم النسج وعن ابن الاعرابى كل شئ احكمته فقد حبكته جمع حبيكة كطريقة
وطرايق او حباك كمثال ومثل انكم لفى قول مختلف في الرسول منكم مكذب و
منكم مصدق او منكم من يقول شاعر ومنكم من يقول ساحر وفى القران كذلك وقد روعى
في القسم اولا وثانيا ملاءمة المقسم عليه وذلك ان المقسم عليه اولا لما كان البعث وما يتبعه
جعل القسم بما ينشا من القدرة من الاثار والاطوار وثانيا كونهم مختلفين فيما لا يقبل
الاختلاف جعل المقسم به طرايق مختلفة يؤفك عنه من افك يصرف عنه
من صرف الضمير للرسول او للقران ولما اسند الفعل الى الموصوف به جاءت المبالغة اى
صرفا لا يمكن اشد منه وقوعه ثم على كونهم مختلفين فيه وقيل الضمير للقول المختلف اى
يصد رافكهم عن القول المختلف وفيه تعسف وفوات تلك المبالغة قتل الخراصون
لعن الكذابون اى هؤلاء المكذبون بالدين والعدول الى المنزل لان تكذيبهم من جملة الكذب
اصل الدعا بالقتل ثم شاع في اللعن لانه فوق القتل الذين هم في غمرة في جهل عظيم
غارقون فيه اصل الماء الساتر ما تحته ساهون غافلون عما امروا به يسئلون ايان
يوم الدين تكذيبا به واستهزاء والمعنى اى زمان زمانه او فى اى زمان وقوعه بان يجعل
الزمان لكونه مرتقبا منتظرا زمانيا ملحقا بالزمانيات وهذا شايع في كل زمان له شان كيوم
العيد والنيروز يوم هم على النار يفتنون يحرقون يقال للحرة فتين لان حجارتها
السود كانها محرقة ويوم منصوب بما دل عليه السؤال اى يقع او مفتوح لاضافته الى
الجملة والعامل فيه ذلك الفعل المدلول عليه او خبر مبتدا اى هو يوم هم وعلى اى تقدير
كان قايم مقام الجواب ذوقوا فتنتكم عذابكم بتقدير القول هذا الذى كنتم به
تستعجلون ويجوز ان يكون بدلا من فتنتكم والموصول صفته ان المتقين في جنات
وعيون اخذين ما اتيهم ربهم اى قابلين لكل ما اعطاهم راضين به من اخذت اخذ
فلان سرت سيرته الحسنة والمعنى ان كل ما اعطاهم حسن مرضى انهم كانوا قبل ذلك
محسنين تعليل لاستحقاقهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون بيان لاحسانهم ما مزيدة
وقليلا صفة مصدر محذوف اى يهجعون قليلا ومن الليل صفة اى مبتديا منه او لغو متعلق بيهجعون
او موصولة او مصدرية فاعل قليلا ومن الليل حال لمقدم على الاول بيان على الثانى لان
معمول المصدر لا يتقدم ولا يجوز ان يكون نافية لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه
مبالغات لفظ الهجوع الذى هو قليل من اليوم وتاكيده بالقلة وذكر الليل الذى هو
محل الراحة ولفظ كان الدال على الاستمرار وبالاسحار هم يستغفرون يستقصرون
عملهم كان ما فعلوه من الطاعات في تجدهم جرايم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقا
بالاستغفار دون غيرهم لكمال خشيتهم وعنه صلى الله عليه وسلم اذا بقى الثلث الاخير من
الليل نزل ربنا الى السما الدنيا ويبسط يده ويقول هل من تايب فاتوب عليه هل من مستغفر
فاغفر له الى طلوع الفجر وذلك كل ليلة وفى اموالهم حق للسايل والمحروم المستجدى الذى

الحرة ارض ذات حجارة سود انتهى

لابالا اما لعدم قدرته على السؤال او بمنع الحيا وعنه صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذى
ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان انما المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق
عليه وعن الحسن بن على رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق
وان جاء على فرس وفى الارض آيات للموقنين عطف على انما توعدون لصادق وقصة
المنافقين معترضة وفى تخصيص الموقنين مع ان الكلام مع الجاحدين لانهم الذين تجدى عليهم
الآيات والنذر وآيات الارض ما فيها من الصفائح وما عليها من النبات والحيوان وما اشتملت عليه
من الاشكال والالوان والخواص التى يفوتها الحصر وفى انفسكم من الآيات اذ ليس فى العالم
شئ الا وفى الانسان نظيره بل هو الذى اختص به من بدايع الاوصاف وغرايب المعانى والمعقولات
ولذلك افنى بعض العارفين العمر فى التامل فى قوله افرأيتم ما تمنون أانتم تخلقونه ام نحن
الخالقون ولم يقض منه الوطر افلا تبصرون تبصرون نظر اعتبار والتعبير بالابصار
اشارة الى غاية الظهور وفى السماء رزقكم اسبابه من الامطار والثلوج والكواكب وما
توعدون ثواب اعمالكم والجنة فانها فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن فورب
السماء والارض انه لحق كل ما تقدم من اول السورة وقيل الضمير لما توعدون مثل ما انكم
تنطقون كما لا يشك احدكم فى نطقه فكذلك لا يجوز له ان يشك فى حقيته وقرأ حمزة و
الكسائى وابو بكر مثل بالرفع صفة حق والباقون بالفتح لبنائه بالاضافة الى المبنى ومحله
الرفع على الوصف او نصب صفة مصدر اى حقا مثل نطقكم او حال من مستكن حق وعن
الاصمعى ان بدويا سمعنى اقرأها فقال من ذا الذى اغضبه حتى حلف له بذاته لم يصدقوه
حتى الجاؤه الى اليمين قالها ثلثا وخرجت روحه هل اتاك حديث ضيف ابراهيم
لما استوفى ادلة المعاد بما دل على كمال اقتداره بحيث لم يبق ريبا للذى عينه تمهيدا لاثبات
نبوته وفخم شان الحديث اشارة الى انه من العلم الذى لا يمكن الوصول اليه الا بالوحى فعلى
من يتلى عليه الاتباع لمن اتى به لانه صادق مؤيد بهذا المعجز الباهر وضمن فيه تسلية
المنزل عليه من تكذيب من ارسل اليه بان له اسوة بخير قدوة الانبيا وسيد الموحدين
خليل رب العالمين قيل كانوا اثنى عشر وقيل ثلثة والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق
على الجمع وسموا ضيفا لانهم كانوا فى صورته المكرمين عند الله او عند ابراهيم حيث خدمهم واخدمهم
زوجته او عجل لهم القرى اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او للضيف ونصب باذكر او بما فى
فى المكرمين من الاكرام ان فسر باكرام ابراهيم فقالوا سلاما اى نسلم سلاما قال
سلام اى حياهم باحسن من تحيتهم لما فى الرفع من الدلالة على الدوام بمعونة المقام قوم
منكرون اى انتم لم يكونوا على اشكال الناس المعهودين او لان السلام تحية الاسلام
ولم يكن بارضه كقول الخضر لما سلم عليه موسى وانى بارضك السلام او كان على طريق السؤال
اى عرفونى فانى لا اعرفكم فراغ الى اهله ذهب اليهم خفية من الضيف اذ ليس من الفتوة
اعلام الضيف بضيافته ليبعى فى قراه فجاء بعجل سمين وكان عامة ماله البقر وقيل لحمه
خير اللحوم فقربه اليهم قال الا تاكلون لما راهم لم يتناولوه منكرا عليهم او الهمزة للعرض
على ما هو داب المضيف فاوجس منهم خيفة اضمر يؤيد الاول وكذا قوله فلما راى
ايديهم لا تصل اليه نكرهم قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم كامل العلم اذا بلغ
مبلغ الرجال وهو اسحق فاقبلت امراته لما سمعت حديث الغلام فى صرة فى
صيحة من الصرير الصوت والضرب فصكت وجهها قيل لطمت وجهها على داب النسا عند سماع
امر غريب وقالت عجوز عقيم ليس من شانها الولاد فى اوانه فكيف تلد بعد سن الياس
قالوا كذلك قال ربك ليس منا من عندنا انه هو الحكيم المتقن فى صنعه
العليم بالاشيا واوقاتها فلا استبعاد ولا وجه له قال فما خطبكم ايها المرسلون اى

رواه الامام احمد منه

اى فما الامر العظيم الذى جئتم بسببه فان الاجتماع وهذه الهيئة ليست الا لذلك قالوا انا ار
سلنا الى قوم مجرمين ارادوا قوم لوط لقوله انا ارسلنا الى قوم لوط لنرسل
عليهم حجارة من طين طبخ حتى تحجر وهو السجيل مسومة معلمة من السومة مكتوبا على كل
حجر اسم من يهلك به او علامة انها حجر العذاب او انها ليست من حجار الدنيا عند ربك بعلمه
واذانه فيه تهويل للمسرفين المجاوزين الحد سماهم مجرمين ومسرفين وتارة عادين تشويها والشعا
ر باستحقاقهم العذاب فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين امرناهم بالخروج لقوله فاسر
باهلك فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين اى اهل بيت هو وبناته وفيه دلالة على اتحاد الايمان
والاسلام صدقا لا مفهوما لان المعنى اخرجنا من كان فيها من المؤمنين فلم يكن المخرج الا اهل
بيت وفى ايرادهما والاتيان بمن دلالة على استقلال كل سببا للنجاة الموصوف بهما كائنا من كان
اين كان وتركنا فيها آية علامة ماء اسود منتن لا ينتفع به بعد ان كانت ارضا ذات اشجار
للذين يخافون العذاب الاليم لان غيرهم لا يتدبر ولا يعتبر وفى موسى عطف على وتركنا
فيها آية او على وفى الارض آيات والاول اولى لقربه ولدخوله فيما تسلى به رسول الله صلى الله عليه و
سلم كما فى ساير السور مع ان الثانى لا يستقيم الا على تقدير وجعلنا فى موسى كقوله علفتها تبنا وماء
باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين هو معجز ظاهر ولم يذكره الا فى معجزة موسى
ولعل الحكمة فيه اشتقاقه من السلاطة وهو القهر المناسب لمن ارسل اليه من فرعون وقومه فتولى
بركنه كناية عن الاعراض كنأى بجانبه وثانى عطفه والبا للتعدية او بمعنى مع وجنوده لانه ركن
الشئ جانبه الاقوى وما به قوامه فالبا للمصاحبة وقال ساحر او مجنون اى مابه من الجن اما
تعلما او اصابة دون اختيار فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم فى البحر وهو مليم آت بما يلام
عليه من الام الرجل اى بما يلام عليه قال ومن يخذل اخاه فقد الام وفى المثل رب لائم وهو مليم
حال من ضمير اخذناه وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم هى الدبور على ما رواه البخارى نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور سميت عقيما لانها لا تلقح سحابا ولا شجرا او لانها خربت ديارهم
واعدمت آثارهم من قولهم الملك عقيم ويوم القيمة عقيم لانه لا يوم بعده ما تذر من شئ اتت
عليه الا جعلته كالرميم كل ما بلى وتفتت من عظام ونبات وغير ذلك فهو رميم وفى ثمود
اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ثلثة ايام لقوله تمتعوا ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم استكبروا ترتب
على تمام القصة لا على تمتعوا القول لعقروها فقال تمتعوا فاخذتهم الصاعقة النار النازلة من السما
وقرأ الكسائى الصعقة مقصورا ساكن العين وهى الصوت الذى مع النار لقوله ومنهم من اخذته الصيحة
وهم ينظرون لانها جاءت معاينة بالنهار ولا يقدرون على دفعها فما استطاعوا
من قيام اى قياما من صرعهم بل اتوا جاثمين مكانهم او لم يقدروا على دفع من قام بالامر اذ كفاه ومنه
قوله تعالى ولا تؤتوا السفها اموالكم التى جعل الله لكم قياما وما كانوا منتصرين بوجه لا سبا
شئ ولا معاونة وقوم نوح من قبل قبل هؤلاء المذكورين عطف على مفعول فاخذتهم
معنى اى اهلكنا قوم نوح او على مفعول نبذناهم اى اغرقناهم وقوم نوح وفيه لطف او نصب باذكر وقرأ
حمزة والكسائى وابو عمرو بالجر على تقدير الجار اى وفى قوم نوح انهم كانوا قوما فاسقين
على الاهلاك والسماء بنيناها بايد بقوة مصدر آد اشتد قوى دا واسطاعة وقوته
وانا لموسعون
على كل شئ فضلا عن بناء السماء من اوسع صار ذا وسع وطاقة وفيه رد لوهم الجارحة او لموسعون
الرزق المطر النازل من السما او لموسعون ما بين السما والارض والارض فرشناها فنعم
الماهدون نحن ومن كل شئ خلقنا زوجين صنفين ليل ونهار ظلام وضياء شمس وقمر وبحر
موت وحيوة سعادة وشقاوة وسماء وقيل من كل حيوان ذكرا وانثى لعلكم تذكرون
بالتدبر فيها وتعلمون ان موجدها واحد ليس كمثله شئ وان من قدر على هذا لا يعجز عن الاعادة
ففروا الى الله اى قل لهم يا محمد بعدما علمتم من كمال قدرته وما اخل بمن

نقد مكم من الامم اعتصموا به والجاؤا اليه انى لكم منه نذير مبين واضح امره ولا تجعلوا مع الله
الها آخر انى لكم منه نذير مبين كرره لاتصال الاول بالامر والثانى بالنهى وقيل الانذار
بترك العمل والثانى بالتوحيد كقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ولا يدل على عدم نفع
المجرد كذلك الامر مثل ذلك تقرير وتوكيد لما تقدم او فصل خطاب اى مثل الخلاف فيهم
تنبيه على ان ذلك اشارة الى القول المختلف فى الرسول عليه السلام ثم بينه بقوله ما اتى
الذين من قبلهم من قبل هولاء من رسول الا قالوا ساحر او مجنون فاختلفوا فيه
اتواصوا به اى اوصى الاولون الاخرين استفهام انكار ولذلك اضرب عنه بقوله بل هم
قوم طاغون اى ليس الجامع التواصى بل الطغيان والعناد فتول عنهم لان المناظرة
لا تجدى المكابرة فما انت بملوم بعد الابلاغ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين
المستعدين للايمان او الراسخين فيه زيادة وتثبتا وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون اى بحيث يتأتى منهم العبادة بسلامة الاسباب والدلالة على انها غاية كمالية ورائها
هاغاية الغايات وعدم وصول البعض لعلايق لا يقدح وقيل ليقروا بالعبادة طوعا وكرها
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقيل المراد منهم المؤمنون ويرده
ما اريد منهم من رزق لاختلال مفهومه والبعد منه الا الاقرار بالعبادة وما اريد
ان يطعمون كما هو شأن السادات مع العبيد وتقديم الرزق وتنكيره وتأخير
الاطعام وتخصيصه به تفاوته ترق اى لا اريد منهم تحصيل الرزق ولا تقديم الحاصل كما هو
داب الملوك مع خواص خدمهم ان الله هو الرزاق حقيقة وغيره اسباب واعادة
المظهر لدلالة لفظ الجلالة على الالوهية المستلزمة لذلك ذو القوة القدرة التامة
المتين من المتانة وهى الصلابة تاكيد بعد تاكيد فان للذين ظلموا رسول الله
بالتكذيب ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم الذين تقدموهم فى تكذيب الرسل
والذنوب الدلو ملآن تمثيل لتوفر حظهم من العذاب فلا يستعجلون بقولهم متى هذا
وقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فويل للذين
كفروا من يومهم الذى يوعدون يوم القيمة او يوم بدر فالموصول معهود تمت
سورة الذاريات والحمد لمن الآلاء متواليات والصلوة على المؤيد بالبينات

سورة الطور مكية وهى تسع واربعون آيات بسم الله الرحمن الرحيم

والطور وطور سينين جبل كلم الله موسى عليه وقيل ما طار من عالم الغيب الى عالم الشهادة
من المعارف والاشواق لانبيائه وكتاب مسطور مكتوب فى رق منشور
الجلد الذى يكتب فيه اى والقرآن او التورية او ما فى قلب العارف من المعارف والحكم او
صحيف الاعمال والبيت المعمور بالعبادة هو الذى كان فى الارض ياقوتة حمراء رفع
فى الطوفان الى السماء الرابعة يدخله سبعون الف ملك كل يوم لا يأتيهم النوبة الى آخر الدهر
والسقف المرفوع والبحر المسجور المملو او الموقد كذا فسره باب العلم كرم الله وجهه
ان عذاب ربك لواقع لا محالة اقسم عليه بامور متعلقة بالمبدأ والمعاد كلها دالة على كمال
اقتداره مع اشارة الى ان ذلك لاقامة العدل لانه مدون فى الكتاب كما تدون الحقوق ما له
من دافع قط اذ غيره لا يقدر وهو لا يريد يوم تمور السماء مورا تدور وتردد مارا بالمجيء والذهاب وقيل المور تحرك
فى تموج وتسير الجبال سيرا سريعا مر السحاب فويل يومئذ للمكذبين
يوم وقوعه الذين هم فى خوض يلعبون اصل يخولها ثم غلب على الشروع فى الباطل
كالاخضار فى العذاب يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف بان يؤخذ بالنواصى
والاقدام ويلقون فيها على وجوههم زخا فى اقفائهم هذه النار التى كنتم بها تكذبون
اى يقال لهم توبيخا وتوفير الحظ الاسماع من العذاب افسحر هذا كما انتم تقولون

تقولون للوحى انه سحر ام انتم لا تبصرون ما انتم فيه وهذا كما تقول لمن يجادلك فى مسئلة بعد ظهورها
فاوردت عليه ما لا محالة له لدفعه افسحر هذا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا لابد
من صلاها سواء عليكم مبتدأ حذف خبره او بالعكس انما تجزون ما كنتم تعملون
تعليل للاستواء فان الجزاء لما كان واجب الوقوع فالصبر وعدمه سيان ان المتقين
فى جنات ونعيم اى جنات ونعيم واى نعيم او جنات مخصوصة بهم ممتازة عن غيرها ولذا نكرت
فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم بالذى او بالايتاء ووقاهم ربهم
عذاب الجحيم اعاد المظهر دلالة على استقلال كل نعمة عطف على جنات او آتاهم
وبتقدير فى المعطوف عائدا ان كانت ما موصولة او حال باضمار قد من المستكن فى الظرف
او من فاعل آتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا يقال لهم هنيئا اكلا وشربا
هنيئا او طعاما وشرابا وهو الذى لا غصة فيه او مصدر اى هنأكم هنأ كقول كثير هنيئا مريئا
غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت وقيل فاعل بما كنتم تعملون على ان الباء زائدة
وفيه ان زيادتها لا تسمع من غير كفى متكئين على سرر على طريقة المتنعمين مصفوفة
لتقع المواجهة من الاخوان والاحباب وزوجناهم بحور عين بيض نجل العيون
والذين آمنوا عطف على حور اى قرناهم بحور وبالذين آمنوا او مبتدأ خبره الحقنا بهم
واتبعتهم ذريتهم اعتراض لتعليل الحكم وقرأ ابو عمرو واتبعناهم وهو ابلغ واوفق بالسابق
واللاحق بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اى بايمان رفيع المحل وهو ايمان الآباء او بايمان
يسير لولا كرامة الآباء لم يكونوا اهلا لتلك المنزلة فان قلت هذا حال الذرية فما حال الاصول
ان قصرت عن رتبة الفروع قلت هم بذلك اولى لزيادة استحقاق الكرامة وكثرة الحقوق واليه يشير
قوله وكم اب قد علا بابن ذرى شرف كما علت برسول الله عدنان وقد روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يرفع المؤمن فى الجنة درجة يستقصر نفسه دونها فيقول يا رب بدعاء ولدك واستغفاره و
قرأ الكوفيون وابن كثير ذريتهم بالتوحيد لدلالة الكلمة على الكثرة وما التناهم من
عملهم من شئ اى ما نقصنا الآباء ادنى شئ بل كان ذلك تفضلا واكراما لهم كل امرئ
مرهون عند الله بكسب ما افترض عليه فان اداه اليه فك رقبة كل نفس
بما كسب رهين
بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين فانهم فكوها وامددناهم بفاكهة زدناهم وقتا بعد
وقت ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأسا يتعاطون متجاذبين فيه كما هو داب اهل
الشرب يتباهون بكثرة الشرب لا لغو فيها ولا تأثيم لا يتكلمون بسقط الكلام ولا يفعلون
اثما مما يقع امثاله فى الدنيا من متعاطى الخمر بل يشكرون الله على ما خولهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو
الاسمين بالفتح غير منون ويطوف عليهم غلمان لهم سقاة مخصوصون بهم كأنهم لؤلؤ
مكنون مصون فى الصدف فى غاية الصفاء والطراوة او مخزون يحفظ لكماله وشرفه واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون عما جرى عليهم فى الدنيا كما يفعله السكارى اذا اخذت منهم الخمر قالوا
حاكين استيناف لبيان تساؤلهم فمن الله علينا
انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين
بما نخوض فيه من الكفرة والتردد ووقانا عذاب السموم النار التى تدخل فى المسام انا كنا
من قبل ندعوه من قبل هذا فى الدنيا انه هو البر المحسن الرحيم المتفضل بالنعم وقرأ نافع والكسائى
بالفتح بتقدير اللام والكسر ابلغ فذكر فدم على التذكير فان الذكرى تنفع المؤمنين ولا تبال فما انت
بنعمت ربك بحمد الله بكاهن ولا مجنون كما يزعم من يحسدك انما حالك مباين لحال الكهنة
والمجانين ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ام منقطعة دلت على ان هذا هو الراجح
عندهم والمنون الدهر لانه يقطع الاعمار قال الاعشى الا رات رجلا اعشى اضر به ريب المنون
ودهر متبل خبل والموت لانه يقطع العلائق والاسباب قل تربصوا فانى معكم من المتربصين
بكم ما تربصون بى من الدوائر من باب مجاراة الخصم ام تأمرهم احلامهم بهذا عقولهم

جمع نجلا واسع العين

وكانت سكان مكة بين العرب مدعما ولي الارحام لورود واهل الافاق عليهم واكتساب الاخلاق
والاداب منهم وفي الكلام تهكم بهم لتناقض كلماتهم أم هم قوم طاغون مجاوزون
طور العقل عنادا أم يقولون تقوله افتراه بل لا يؤمنون بشيء ولذلك اضطربت
اقوالهم فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين انه شاعر وكاهن جواب عن كل ما تقدم
او عن المتقول فانه اوغل في الانكار لاشتهاره عندهم بالصدق والامانة فلا يفتري امثاله ابدا شيئا
والاول اوجه أم خلقوا من غير شيء احدثوا من غير خالق موجد لهم والا لا ينبغي لهم البحث عنه و

انما كان اوجه لاشتماله على الثاني مع زيادة
منه

عن صفاته وافعاله او المعنى ام خلقوا سدى من غير خطاب ولا تكليف أم خلقوا السموات والارض
ولذلك علموا انك شاعر وكاهن او متقول أم خلقوا السموات والأرض اذ خالهم
في الكبر والعلو شبه شأن من يكون هذا فعله كناية عن غاية عنادهم وتماديهم في الاستكبار و
الا لم تصدر عنهم هذه المقالات صريحا بل لا يوقنون امرا فلذلك في ريبهم يترددون و
لا يعولون على شيء كل يوم في محال أم عندهم خزائن ربك خزائن رحمته ليختاروا للنبوة
من شاؤوا او يعلموا انك متقول لانهم لم يرسلوك رسولا للناس والاول اوجه لما سيشير الى
خزائن العلم في قوله ام عندهم الغيب أم هم المسيطرون الارباب الغالبون الذين يدبرون
امر العالم كيف شاؤوا يقال سيطر عليه فقرأ ابن كثير وابن عامر في رواية هشام وقنبل بالسين
على الاصل وحفص بالوجهين وحمزة في رواية خلف باشمام الصاد وفي رواية خلاد بالصاد خالصا
والرسم بالصاد ولما ابطل مقالتهم بالدليل العقلي ولم يبق لهم الا المشاهدة والعيان اشار
الى بطلانه على وجه التهكم بقوله أم لهم سلم يصعدون به الى السماء يستمعون فيه
كلام الملائكة وما يوحى اليهم فليأت مستمعهم بسلطان مبين بدليل واضح على
ذلك اذ مثل هذا الامر العظيم لا يثبت الا بمثل ذلك أم له البنات ولكم
البنون ومن يكن هذا حاله في الحجا حتى جعل لرب الارباب ما لا يرضاه لنفسه لا يبعد
منه تلك الخرافات وكانه قال لو ناهيك بذلك تسفيها ولما لم يكن مقال اشنع منها ولا ابحاث
جلي منه التفت اليهم في مقام السخط مكافحا بها ضاربا في وجوههم المسودة أم تسألهم
اجرا فهم من مغرم مثقلون فلذلك زهدوا فيك واعرضوا المغرم التزام ما لم يلزم وفيه تعريض
لحسدهم لان من برئت ساحته عن لوث الطمع فلا وجه لاتهامه أم عندهم الغيب خزائن
علمه تعالى فهم يكتبون منه ما شاؤوا من غير مانع فاسد لو ابدلك على عدم نبوتك
ولما كان العلم اشمل مورد اخره جريا على سنن الترقي ثم اضرب عن الانكار الى الاخبار عن
حالهم بقوله أم يريدون كيدا بك حين يجيلون الرأي في دار الندوة فالذين
كفروا اي هم هم المكيدون المصابون بوبال كيدهم ويحتمل الموصول العموم ثم حقق
ذلك بقوله أم لهم اله غير الله ينجيهم من عذابه سبحان الله عما يشركون به
او عن اشراكهم وإن يروا كسفا من السماء ساقطا جواب لقولهم اسقط علينا كسفا
من السماء اتفق السبعة على اسكان سينه يقولوا سحاب مركوم ركم بعضه فوق بعض
وليس باساً لناه لفرط عنادهم فذرهم اذ لا مناظرة مع المكابرة حتى يلاقوا يومهم الذي
فيه يصعقون يموتون فيعرفون ما اعد لهم وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على
بناء المفعول اما من صعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا من الاشياء بدل من يومهم
ولا هم ينصرون من عذاب الله بوجه اخر وإن للذين ظلموا بالتكذيب
عذابا دون ذلك قبل عذاب القيمة القحط والقتل والاسر ولكن اكثرهم
لا يعلمون وقيد الاكثر لان بعضهم كان يعلم ذلك واختار النار على العار واصبر لحكم
ربك مترقبا لرقان وعده كان فانك بأعيننا جمع العين مبالغ في العناية
بك لابتناء الكلام على التمثيل الا يرى كيف افرده في قوله ولتصنع على عيني في قصة موسى

موسى لبيان زيادتك مقام الحبيب عن مقام الكليم وسبح بحمد ربك حين تقوم اي من
اي مكان تقوم منه او من منامك فان النوم شاغل عن مقامك وعلو شأنك يقتضي استيعاب الازمان
بذكره او للصلوة ومن الليل فسبحه في بعضه فان العبادة فيها اشق واحلى وابعد عن الرياء و
اقرب الى القبول وادبار النجوم بعد طلوع الفجر فانه وقت شهيد ان قرآن الفجر كان مشهودا واتفق السبعة
على كسر الهمزة تمت سورة الطور والحمد لله على فضله الموفور والصلوة على رسوله وآله وصحبه الى يوم
النشور سورة النجم مكية وهي اثنتان وستون ايات بسم الله الرحمن الرحيم
والنجم اذا هوى اقسم بالثريا فانه ابدع الكواكب صفا والنجم علم غالب له عند العرب وفي
امثالهم اذا طلع النجم عشاء طلب الراعي كساء وقيل جنس النجوم ملا احها لزينة السماء ورجوم الشيا
طين وهوى من الهوي بفتح الهاء وهو السقوط او بضمها وهو الطلوع لانه ادل على كمال الاقتدار
كقوله والليل اذا عسعس او نجم القرآن لانه نزل منجما وهذا اوفق لوجود نظائره والصق بقوله ما
ضل صاحبكم وما غوى الضلال ضد الاهتداء والغواية ضد الرشد وهما جواب القسم اي
ليس هو كما تزعمون ضالا ولا غاويا في ترك دين ابائه وفي لفظ الصاحب واضافته توبيخ لهم حيث
عرفوا امانته وصدق لهجته ثم نسبوه الى الضلال وما ينطق عن الهوى في امر الدين والدعوة
اليه وفي الاتيان به مضارعا بعد قوله ما ضل وما غوى اشارة الى انه اذا لم يكن له سابقة ضلال
قبل النبوة فبعدها ابعد ان هو الا وحي يوحى استدل به من منع اجتهاده وليس بتام لانه
اذا قال له تعالى تعبد بما ظننت فهو حكم يكون اجتهاده وحيا لا بالوحي وغيره ليس كذلك

يرد بالاول قول القاضي وبالثاني قول من قال غير مستقل
منه

علمه شديد القوى جبريل والاضافة لفظية اي قواه الجسمانية من البطش والسمع والبصر
ذو مرة عقل كامل ورأي وافر اتى به في اسلوب الترقي فاستوى على صورته الحقيقية
وهو بالافق الاعلى مطلع الشمس وانما ظهر له في تلك الصورة لينظر انه ذلك اذا اتاه في غير
تلك الصورة ثم دنى فتدلى قرب من محمد فتعلق به فكان قاب قوسين او ادنى
اي كان البعد بينهما مسافة قوسين او اقرب في مراكم لو رأيتم القاب والقيب كالقاد والقيد
هو المقدار وقيل القاب ما بين المقبض الى السية فلكل قوس قابان او ادنى على تقديركم كقوله
او يزيدون وهذه الرؤية كانت بعد مجيئه بحراء اول ما بعث لما فتر الوحي على ما رواه الثقات انه
لما اشتد به الكرب من تكذيب قريش حتى قالوا به شيطانه قال فاردت ان القي نفسي من شاهق
فلما خرجت فاذا هو جالس على كرسي بين السماء والارض وقال لا تفعل فانك رسول الله حقا
فرعبت منه فرجعت الى اهلي فقلت دثروني فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر فهذا معنى الدنو و
التدلي والقرب لانه تمثيل للعروج به فأوحى الى عبده الموحى هو جبريل وضمير عبده لله
ولا لبس فيه والقول بان الضماير لله فالدنو والتدلي على التأويل خلاف الظاهر بعيد عن
المساق ما اوحى لم يأت بالضمير تفخيما لشأن المنزل وانه مما يجل عن الوصف اي يتوهم
التباسه بالشعر والكهانة وكما فخم شان المنزل كذلك شأن المنزل اليه بايثار لفظ العبد المضاف
اليه تعالى اشارة الى انه العبد الحقيقي الكامل الذي لا يذهب الوهم منه وايماء الى انه حقيق
بالحظوة والاصطفاء ما كذب الفؤاد ما رأى اي ما رآه من صورة جبريل اي لم يكن

رد على القاضي ولا وجه لما ذكره لان هذه الرؤية الاولى بعد فترة الوحي فاني معنى للعروج
منه

قلبه منكرا له اذا رآه مرة اخرى في غير صورته وقيل ما رآه من جلال الله تعالى لما روى مسلم عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده مرتين و
الحق ان ذلك ليس تفسير الاية وان صح افتمارونه على ما يرى تجادلونه من المراء واصل
المري يقال مريت الناقة اذا حلبت ضرعها لتدر وقرأ حمزة والكسائي افتمرونه على
المغالبة من ماريته فمريته ولقد رآه نزلة اخرى فعلة من النزول اي مرة اخرى ولذلك
نصبت على الظرف عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء وهي شجرة النبق كل نبقة كقلال من
قلال هجر واوراقها كاذان الفيلة وقد غشيها من الانوار ما لا يقدر على نعتها الا الله وسميت

بالمنتهى لانتهاء علم الخلايق اليها وهي في السماء السابعة كذلك رواه البخاري عندها
جنة المأوى الجنة التي تأوي اليها ارواح الشهداء او المتقون اذ يغشى السد
رة ما يغشى من الانوار والالوان ما يجل عن الوصف وقيل ملائكة كالغربان على
كل ورق ملك يسبح ما زاغ البصر ما مال عن سنن الاستقامة وما طغى وما تجاوز
عن المرئي لما قرر ان الفؤاد لم يكذب ما رأى ازال شبهة من يتوهم ان آلة الادراك قد تخطى
في الادراك كما بين في موضعه اوما ما للنظر ولا تجاوز عن مطلبه وهو الحق تعالى وهذا مقام مخصوص
به لم يتيسر لفرد من البشر لقد رأى من آيات ربه الكبرى استيناف يؤكد ما تقرر
اي قد رأى من عجايب الملكوت ما لا يمكن وصفه فضلا عن رؤية جبريل ويجوز ان يكون
الكبرى مفعول الرؤية اي رأى كبرا من وبه يتمسك من اثبت الرؤية اذ لا اكبر منها آية افرأيتم

السمر نوع من الشجر منه

اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هذه اصنام كان اهل الجاهلية يعبدونها اللات
كانت لطايف يعبدها ثقيف والعزى سمرة بجيلة يعبده غطفان ومناة صنم كان على الساحل يعبده
هذيل وخزاعة وقد همزه ابن كثير جعله مفعلة من النوء لانهم كانوا يستمطرون عنده بالانواء
ومن لم يهمزها اخذها من منى اراق فانهم كانوا يريقون دماء النسايك عليها والعزى تأنيث
الاعز قطعها خالد بن الوليد فخرج منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل فضربها خالد بالسيف
وقال كفرانك يا عزى لا سبحانك فلخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك
العزى ولن تعبد بعد اليوم ابدا واللات قيل اسم رجل كان يلت لها السويق وعن مجاهد
اسم رجل كان يلت السمن ويطعمه فلما مات اتخذوا قبره وثنا والمعنى ابعد هذا البيان تستمرون
على الضلال فترون هذه الاصنام آلهة تستحق العبادة وتجعلونها شركاء الله الاخرى صفة
ذم اي الوضيعة فانهم كانوا يرون التقدم للات والعزى ألكم الذكر وله الانثى وانتم
تقتلون الاناث ولا ترضونها وتأنفون منها عارا فكيف تجوزون ان يكون اولادا له وشركاء في
الالوهية واذا كان شأنكم في الجهالة والضلال هذا فكيف تضللون من يدعو الى التوحيد
والى عبادة من له الخلق والامر تلك اذا قسمة ضيزى جايرة من ضازه يضيزه اذا ظلمه اصل
ضيزى لان فعلى صفة لم يثبت على ما ذكره سيبويه الا مع التاء كغرهات فكسر الفاء لتسليم الياء
كما فعل ببيض وقرأ ابن كثير بالهمز من ضازه ظلمه ان هي اي الاصنام الا اسماء
سميتموها اي لا حقيقة لها باعتبار الالوهية انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان
برهان يدل على جواز اطلاق اسم الآلهة عليها وفيه تهكم بهم بان العقل لا يجوز اطلاق
الآلهة على الجماد لو فرض ذلك لم يكن الا تعبدا محضا من الله ان يتبعون الا الظن تقليدون
آباءهم ولا اعتبار للظن في العقايد ولا تقليد وما تهوى الانفس انفسهم ولقد
جاءهم من ربهم الهدى الرسول او الكتاب الذي هو مناط الايقان ام للانسان ما تمنى
ام منقطعة ومعنى همزتها الانكار اي ليس للانسان ما يتمناه حاصلا له وهو طمع هؤلاء
في شفاعة تلك الجمادات او ما كانوا يقولون لئن كان رسالة بعث نحن احسن حالا من محمد
واصحابه كعقود ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ولولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم او هو قول عاص بن وايل لاوتين مالا وولدا فلله الآخرة والاولى
يعطي ما يشاء لمن يشاء ليس لاحد فيهما شركة وقدم الآخرة لان الكلام فيها وكم من ملك
في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا ادنى شيء مع مكانتهم وقربهم عند الله فكيف تشفع
هذه الجمادات التي هي اخس الكاينات والمراد اشراف الملائكة ليدل بالاولوية على انتفاء الشفاعة
من غيرهم ولذلك نكر الملك وخصه بمن في السموات الا من بعد ان يأذن الله لمن
يشاء ان يشفع ويشفع له ويرضى بتلك الشفاعة اي يكون مقبولا لان الاذن في الشفاعة
لا يستلزم القبول ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى حيث قالوا هم

بنات الله قالوا تزوج سروات الجن فولدت له الملائكة والتقييد بالآخرة اشارة الى فرط
جهلهم بانهم يعتقدون ان الانسان يترك سدى ومن كان هذا شأنه لا يبعد منه تلك المقالة
وما لهم به من علم اي بما يقولون ان يتبعون الا الظن لما سمعوه من آبائهم وان الظن
لا يغني من الحق الذي لا يمكن تبدله باختلاف الشرايع وتبدل الاعصار وهي المسايل الاصلية
والمباحث الالهية شيئا ادنى شيء فاعرض عمن تولى عن ذكرنا اعرض عنه ولم
يتأمله والمراد به القرآن وفي اضافته الى نفسه اشارة الى انه كان حقيقا بالاقبال ولم
يرد الا الحيوة الدنيا الا هذا الخسيس لان ذلك كان لعايق آخر ذلك مبلغهم
من العلم اعتراض يؤكد الامر بالاعراض لان السعي في الارشاد انما يجدي لمن له قابلية
الترقي ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى يعلم من يجيب ومن
لا يجيب وقد علم ان هؤلاء اهل الطبع وفي اعادة العلم ثانيا مبالغة دالة على كمال تمايز الحزبين
عنده ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا نفي به توهم الاهمال وتركهم سدى
من قوله فاعرض ولذلك عقبه بقوله ليجزي الذين اساؤوا بما عملوا بجزاء اعمالهم و
يجزي الذين احسنوا بالحسنى غير النظم للدلالة على ان جزاءهم ليس على قدر اعمالهم ويجوز
ان يتعلق ليجزي بقوله ان ربك هو اعلم وقوله ولله ما في السموات اعتراض يؤكد حديث الجزاء
بانهم تحت ملكه الذين يجتنبون كباير الاثم بدل من الذين احسنوا او صفته او نصب
او رفع على المدح اي الكباير من الاثم فانه جنس الذنوب والكبيرة ما توعد عليه الشارع بخصوصه
كالقتل والزنى او كان قبحه ازيد منه او مساويا وقرأ حمزة والكسائي بالافراد على ارادة
الجنس والفواحش ما زاد قبحه من الكباير من عطف الخاص على العام الا اللمم ما قل قبحه فانه معفو

وكلمة ما الغايات لمام فقط اعتراض على النصب الكشاف منه

عنه اذا اجتنب الكباير وهو ما دون الكبيرة كمقدمات الزنى والسرقة والقتل قبل الوقوع واصل
التركيب يدل على القلة ومنه اللمة لشعر جاوز الاذن والمام الضيف فالقاء اخلاء الصفاء لمام
وهو استثناء منقطع او صفة كانه قيل كباير الاثم غير اللمم لان المضاف الى المعرف الجنسي في
حكم المنكر ان ربك واسع المغفرة حيث تجاوز عن الصغاير التي قل ان يخلو عنها الانسان
اليه اشار صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك ما الما هو اعلم بكم
منكم اذ انشأكم من الارض لما خلق اباكم آدم واخرجكم من ظهره ذرية واذ انتم اجنة
في بطون امهاتكم فعلم بكم الآن وبما يصدر منكم اجلى واظهر فان قلت اذا كان اعلم بهم
وقت الانشاء من الارض فلا يخفى انه اعلم بهم حال كونهم اجنة فما الفايدة في ذكره قلت
اراد ان علمه لا يتفاوت بجلاء المعلوم وخفائه كما هو شأن العلم الحادث فلا تزكوا انفسكم
هو اعلم بمن اتقى فان محل التقوى هو القلب والوقوف على احواله واسراره ينقطع دو..
التقوى والمنهي تزكية النفس تمدحا لا شكرا وترغيبا للغير ويجوز ان يراد مدح المؤمن اخاه
لما روى ابو بكرة ان رجلا مدح رجلا عند رسول الله فقال قطعت عنق صاحبك فاذا كان
احدكم مادحا اخاه فليقل احسب كذا ولا ازكي على الله احدا افرأيت الذي تولى
اي بعد علمك بان الله هو اعلم بحال الانسان منه بنفسه اخبرني عن حال من اراد سلوك
سبيل الآخرة والوصول الى الله استثقالا لا تعجب منه واعطى قليلا واكدى وامسك
بعده عن الحركتفا بذلك القليل اصل اكدى الحافر وهو ان يلقاه كدية اي صخرة فيمسك عن
الحفر والآية نزلت في الوليد بن المغيرة اراد ان يتبع رسول الله فعيره بعض المشركين وقال اتترك
دين الاشياخ فقال اني اخاف عذاب الله فقال اعطني بعض مالك وانا احمل عنك العذاب
ففعل معتقدا ذلك ونزولها في عثمان وتفسير التولي بالفرار يوم احد باطل لان السورة من
اول ما نزل بمكة اعنده علم الغيب ما فيه العلم بالمغيبات وهو اللوح فهو يرى

رد على الكشاف

يشاهد ما فيه فلذلك اكتفى به واستغنى عن اتباع الرسول ام لم ينبأ بما في صحف موسى

وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى والمعنى ان هذا شرع قديم ليس من خواص
ما جاء به محمد فهلا استفتى في ذلك علماء اهل الكتاب ليخبروه بجلية الحال وتقديم موسى لكون
كتابه اشهر والاطلاع على ما فيه ايسر ولا ينافيه قوله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى
لان الغرض ثمة تقرير كون الاخرة خيرا وابقى وذلك مما سطر في صحف ابرهيم فضلا عن
التورية الذي هو اعلى واجل ولما تاخر ذكره زاده وصفا وهو التوفية المبالغ في الوفاء
واطلقه ليتناول كل وفاء من تبليغ الرسالة والقيام بساير المكارم من ذبح الولد والصبر على
نار نمرود وقيل كان عاهد الله ان لا يسأل غيره فلما القي الى النار لقيه جبرئيل فقال له هل من
حاجة يا خليل الله فقال اما اليك فلا فقال سل ربك فقال علمه بحالي يغنيني عن سؤالي وروى الترمذي
عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم لم سمى الله ابرهيم الذي وفى كان
اذا اصبح يقول كل يوم سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى اخر الاية وليس معنى الحديث
انه لمجرد هذا الذكر بلغ تلك الرتبة بل اشارة الى انه كان يحافظ على محاسن الاعمال وان
ليس للانسان الا ما سعى الا سعيه اي كما لا يؤاخذ احد بذنب غيره كذلك لا يصل اليه ثواب
عمله وما يصل الى المؤمن من ثواب دعاء المؤمنين واستغفار الملائكة والصدقة له هو ايضا من
سعيه لانه اعم من المباشرة والتسبب واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى
فله اجر فاعله وان سعيه سوف يرى يوم القيمة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يجزيه
يجزي العبد سعيه اي على سعيه نصب على نزع الخافض الجزاء الاوفى الانسب باستحقاقه
ولذلك يرى على الحقير نصب على المصدر ويجوز ان يكون البارز المنصوب ضمير الجزاء المدلول
عليه والجزاء الاوفى بدل منه وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلايق كلهم وهذا وما بعده
ايضا من جملة ما في الصحف وانه هو اضحك وابكى اي خلق الضحك والبكاء واسبابهما
وانه هو امات واحيى خلق الموت والحيوة وفيه مراعاة النظير مع اللف والنشر وانه خلق
الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق يقال منى وامنى او يقدر من منى الماني اي قدر
واكد في الاولين بضمير الفصل لمظنة وهم الغير الا ترى الى قول من حاج ابرهيم انا احيي واميت
وقولهم اضحكني الدهر دون هذه اذ لا مجال لذلك الوهم وان عليه النشاة الاخرى وفاء
بوعده وقرأ ابو عمرو وابن كثير بالمد كلاهما مصدر نشأه وانه هو اغنى بالمال
اي اعطاه ما يقنيه زيادة على قدر حاجة من القنية وهي المال المحفوظ لا للتجارة او ارضاه
من القنا وهو الرضي وعن ابي زيد تقول العرب من اعطي مائة من المعز فقد اعطي القنا ومن
اعطي مائة من الضان فقد اعطي الغنا ومن اعطي مائة من الابل فقد اعطي المنا وعن ابي
عبيدة اقناه الله اعطاه ما يقتني من المال والنشب وانه هو رب الشعرى
كوكب معروف يتبع الجوزاء وهو كوكب وقاد يقال له مرزم الجوزاء كانت خزاعة تعبده واول
من عبدها ابو كبشة احد اجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة امه يسمى ابا كبشة ولهذا لما دعى رسول
الله النبوة وفارق دين ابائه سموه ابن ابي كبشة كما جاء في حديث هرقل من قول ابي سفيان وفيه
اشارة الى رد قولهم الباطل فانه وان وافق جده في مخالفة دينهم فقد خالفه ايضا في عبادتها
وانه اهلك عادا الاولى والكلام في تاكيد الاولين بضمير الفصل وتركه في الاخير كما تقدم
انفا وعاد الاولى قوم هود والثانية ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد
قوم نوح او المتقدمون الاشراف وثمودا عطف على عادا لان ما بعد ما النافية لا يعمل
فيما قبلها فما ابقى اي من الفريقين احدا كقوله فهل ترى لهم من باقية وقرأ عاصم
وحمزة وثمود بغير تنوين والوقف بالالف لمن قرأ بالتنوين وقوم نوح من قبل
من قبل عاد وثمود نصب بما نصبه انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين
لانهم وان لم يؤمنوا بنبيهم فلم يؤذوه كما اذى قوم نوح نوحا اذ قد تواتر انهم كانوا

كانوا يبطشون به ويضربونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
والمؤتفكة قرى قوم لوط ائتفكت انقلبت قلبها عليهم جبرئيل جعل عاليها سافلها اهوى
اسقطها بعد ان رفعها والاسناد الى الله لانه الامر فغشيها ما غشى فبأي الاء
ربك تتمارى المذكورات بعضها وان كانت نقما لاقوام فهي نعم للانبياء واتباعهم
قال ابو الطيب بذا حكم الايام ما بين اهلها مصايب قوم عند قوم فوايد تتمارى تتشكك
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الهابا وتهييجا وتعريضا بالغير او للانسان على الاطلاق
وهذا اوفق هذا نذير من النذر الاولى اي هذا القرآن من الانذارات الاولى اي
من جنس الكتب المنزلة فذلكة لما عدد من الاي والاحكام التي اشتمل عليها الصحف اولما
افتتح به السورة او الرسول قل ما كنت بدعا من الرسل ازفت الازفة قربت القريبة
وهي الساعة المخبر عن قربها في قوله اقتربت الساعة واقترب للناس حسابهم ليس لها من
دون الله كاشفة لا يعلمها غيره لقوله لا يجليها لوقتها الا هو او ليس نفس تقدر على كشفها
اذا وقعت الا هو ولكنه لا يكشفها او ليس احد يقدر على كشفها الان بالتاخير لو وقعت ويجوز
ان يكون كاشفة مصدرا كالعافية افمن هذا الحديث تعجبون اي من القرآن وتضحكون
استهزاء ولا تبكون وكان الواجب عليكم ذلك كما يفعله الموقنون يخرون للاذقان يبكون
وانتم سامدون مستكبرون من سمد رفع راسه تكبرا او لاهون من سمد البعير في سيره
فاسجدوا لله واعبدوا بعد هذا البيان والترهيب اعبدوه ولا تعبدوا غيره تمت
النجم والحمد لكاشف الغم والصلوة على من فضله عم سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة اي قرب
قيام الساعة وانشق القمر وانشقاقه من اياتها روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود
رضي الله عنهما ان اهل مكة سألوا رسول الله ان يريهم اية فاراهم القمر شقتين حتى راوا حراء بينهما
وان يروا اية اهل مكة وان لم يسبق لهم ذكر للعلم بهم كقوله توارت عليها للظلام رواق
يعرضوا ويقولوا سحر مستمر دائم اي ليس هذا وحده من سحر محمد بل كله من هذا يريدون
ما سبقه من المعجزات او محكم من استمر مريره او مر ذاهب لا نقدر على ازالته من استمر الشيء قوي
مرارته او ما رد لا بقاء له يسلون بذلك انفسهم ويمنونها وكذبوا واستمروا على التكذيب ودفع
الحق واتبعوا اهواءهم ما سولت لهم انفسهم وكل امر مستقر اي كل امر له نهاية
يثبت فيه كلام مستقل جار مجرى المثل كقوله لكل شيء له اخر والصبر نعم الناصر اي كل امر ينتهي
اما الى السعادة او الى الشقاوة او كل من امره وامرهم يستقر على حالة من خذلان او نصر وقرأ
ابو جعفر مستقر بجر وراعطفا على الساعة اي اقترب كل امر مستقر على ان انشق القمر حال
بتقدير قد وان يروا اية اعتراض وفي قرانه زيادة تسلية وتهويل ولقد جاءهم من
الانباء في القرآن مما نزل بامثالهم ما فيه مزدجر ازدجار افتعال من الزجر
قلبت تاؤه دالا لتناسب الدال والزاء حكمة بالغة غايتها في الاحكام بدل من ما او خبر
مبتدأ محذوف فما تغن النذر نفي او استفهام انكار اي اي غناء تغني النذر
بعد وصول الامر الى الغاية فتول عنهم اعرض يوم يدع الداع اسرافيل
نصب بيخرجون او باذكر اثبت ياء الداع البزي عن ابن كثير في الحالين وابو عمرو وورش
وصلا الى شيء نكر منكر تنكره النفوس لفظاعته وقرأ ابن كثير بضم الكاف خشعا
ابصارهم كناية عن الذل لان العز والذل يظهر اثارهما في العيون واسناد جمع
التكسير الى المظهر فاش فصيح وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي خاشعا وهو المختار ولم يؤنث
لعدم الفاصل وانتصابه على الحال من فاعل يخرجون من الاجداث وقرئ خشع بالرفع
على الخبرية فيكون الجملة حالا كانهم جراد منتشر في الكثرة والتفرق مهطعين

الى الداع مسرعين مادين اعناقهم اليه اثبت ابن كثير يا الداع في الاولين ونافع وابو عمرو في الوصل
يقول الكافرون هذا يوم عسر شاق كذبت قبلهم قوم نوح لتسليه وترهيب
فكذبوا عبدنا تفصيل لما اجمل اوكذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما مضى قرن تبع قرن اخر او
كذبوا الرسل راسا فكذبوه لانه من جملتهم وقالوا مجنون اصابه الجنون وازدجر
زجروه شتما وضربا عطف على قالوا او تركنا المفعول تطهيرا للالسنة عن ذكرهم ودلالة
على ان فعلهم اسوء من قولهم ولتوافق الفواصل او وهو من قولهم انه مجنون وقد ازدجرته
الجن والاول اوجه واوفق لقوله فدعا ربه اني مغلوب بعدما ايس وجرب الاولاد و
الاحفاد فانتصر انتقم ففتحنا ابواب السماء اى بعد الامر باتخاذ السفينة والفراغ
منها وركوبه بمن معه بماء منهمر منصب بكثرة وتتابع مطاوع بمره قيل لم ينقطع اربعين
يوما وفجرنا الارض عيونا جعلنا الارض كلها كانها عيون اصله فجرنا عيون الارض
عدل الى المنزل مبالغة فالتقى الماء على امر قد قدر اى ماء الارض وماء السماء التقيا
على مقدار سواء او على امر قدر في اللوح من هلاك قوم نوح او على امر قدره الله تعالى وقضية
حكمه وحملناه على ذات الواح ودسر اى السفينة عبر بالوصف عن الموصوف كناية
كقولهم في الانسان حي مستقيم القامة عريض الاظفار وفيه تفخيم ليس في الاصل واشارة
الى كمال الاقتدار لبعد حال الخشب والحديد عن دفع ذلك الطوفان العظيم والدسر جمع
دسار وهي المسامير من الدسر وهو الدفع تجري باعيننا محفوظة بكلاءتنا جزاء
لمن كان كفر علة للفتح وما بعده والذي كفر نوح لان كل نبي نعمة من الله او على حذف
الجار وايصال الفعل اى كفر به ولقد تركناها اية اى الفعلة او السفينة تواتر
خبرها في اقطار الارض في الاعصار كلها الى اخر الدهر فهل من مدكر معتبر يتعظ
بها فكيف كان عذابي ونذر وانذاري جمع نذير بمعناه استفهام تعجيب وتهويل
ولقد يسرنا القران للذكر للاتعاظ لاشتماله على بناء الاولين والاخرين وبيان ما اصاب
من كذب الرسل وسهلناه للتلاوة لانه عربي مبين يتلوه اهل كل لسان او حفظ دون
ساير الكتب او بان انزلناه على سبعة احرف بحسب لغة القبايل تيسيرا على العرب ازاحة
لعذرهم والاول اوفق بالمقام ولذلك اعاده مرارا فهل من مدكر متعظ كذبت
عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم قبل نزول العذاب وبعده لمن
بعدهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا من الصر بكسر الصاد او شديد الصوت
من الصرير في يوم نحس شوم مستمر شومه او اليوم على ارادة الحين لانه كان
سبع ليال وثمانية ايام او على اشخاصهم لم يدع صغيرا ولا كبيرا او شديد مرارته
تنزع الناس تقلعهم بيان لشومه كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع
من مغارسها وتذكير الصفة باعتبار لفظ النخل وتانيثه في قوله اعجاز نخل خاوية باعتبار
المعنى روي انهم كانوا يصطفون اخذا كل واحد بيد الاخر ويدخلون في الشعاب ويحفرون
فتنزعهم وتدق رقابهم وقيل تقطع روسهم وتبقى الجثث ساقطة على الارض فكيف
كان عذابي ونذر كرره للتهويل والاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني
لما يحيط بهم في الاخرة لقوله في شانهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب
الاخرة اخزى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذارات
او بالايات او بالرسل فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انكروا ان يكون الرسول
بشرا لا سيما وهو ليس من طايفة اخرى ليكون له المزية موصوفا بالوحدة والانفراد
فكيف يتبعه الجم الغفير ونصب بشرا بمضمر على شريطة التفسير وفي مثله يختار النصب لمكان
الاستفهام انا اذا لفي ضلال وسعر وجنون يقال ناقة مسعورة اى مجنونة او عكسوا

او عكسوا عليه لما دعاهم الى التوحيد ليلا يقعوا في سعر فقالوا لو اتبعناه وقعنا فيما على ان
السعر جمع سعيرة ءالقي الذكر عليه من بيننا وفينا من هو اكثر اموالا واسبابا كقول
قريش لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم بل هو كذاب شديد
الكذب حتى اخترع هذا الكذب البديع اشر بطر حمله عليه بطره سيعلمون غدا
من الكذاب الاشر اى يوم القيمة فان الدنيا والاخرة يومان وقرا ابن عامر وحمزة بالتا
على حكاية قوم صالح او التفات من الله تعالى اليهم كانهم حضور ينعى عليهم جناياتهم ثم حكاه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلالة على انهم كانوا احقاء بذلك الوعيد انا مرسلوا
الناقة فتنة لهم امتحانا وذلك بعد ان سالوها فارتقبهم انتظرهم مراقبا احوالهم
مع الناقة واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم ذو قسمة لهم شرب يوم
ولها شرب يوم معلوم وفي الضمير تغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه خاصة
فنادوا صاحبهم قدار بن سالف اشقى الناس نطق به القران وقال رسول الله اشقى
الناس رجلان عاقر الناقة وقاتل علي فتعاطى اجترا على تعاطي الامر العظيم من باب
يعطى ويمنع او تعاطى قتل الناقة او السيف والتعاطي تناول الشي بتكلف فعقر اى
الناقة فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صاح بهم جبريل
فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر المنكسر اليابس الذي مر عليه زمان طويل والمحتظر
من يعمل الحظيرة لماشيته او هو الحشيش الذي يجمعه ليعلفها به في الشتاء ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر لم يعد حديث الانذار كما اعاده في قصة هود اكتفاء به وكذا لم يعده
في قوم نوح لانهم بذلك اولى لانهم اظلم واطغى وتركه راسا في قصة لوط لتكرره مرارا او ترك
ذكر التيسير والادكار في ال فرعون لانها اخر القصص فاختصر ليدل الاختصار على الاقتصار
فهذا من اسرار التنزيل لله دره كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا
ريحا تحصبهم اى ترميهم بالحجارة وقد جمع الله عليهم انواعا من العذاب قلب الارض وامطار
الحجارة عليهم والرمي بالحصباء الا ال لوط نجيناهم بسحر هو قبيل الصبح صرف لانه لم
يرد به معين والا فعلم وعدل قد يطلق على ما بعد انصداع الفجر فيقيد الاول بالاعلى
ومنه حديث عايشة رضي الله عنها ما الفاه السحر الاعلى عندي الا نايما وذلك ليكون في
صلوة الصبح على انشاط بخلاف اذا وصل بين التهجد وبينهما نعمة من عندنا انعاما عليه
تفضلا كذلك نجزي من شكر بالايمان والطاعة كما كان ولقد انذرهم بطشتنا
اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر كذبوا بها متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه
جبريل ومن معه من الملايكة فطمسنا اعينهم مسحناها بحيث لم يبق لها اثر بل بقيت
كساير الوجه طمسها جبريل لما دخلوا بيت لوط بقوا يترددون في الازقة لا يهتدون
الى منازلهم وشرعوا يهددون لوطا ان اصبحنا لنفعلن بك كذا وكذا فكانوا وقت الصبح في
منهم اخر فذوقوا عذابي ونذر على تقدير القول من الملايكة ولقد صبحهم بكرة اول
طلوع الفجر عذاب مستقر يستقر بهم لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي
ونذر الاول قيل لهم عند الطمس وهذا عند قلب الارض ولقد يسرنا القران للذكر
فهل من مدكر اعاده في كل قصة تجديدا للايقاظ وحثا على الاتعاظ لئلا يستولي عليهم الغفلة
وهذا شان كل تكرير في القران ولقد جاء ال فرعون النذر الانذارات واكتفى بذكر ال
للعلم بانه شر منهم كذبوا باياتنا كلها مع كثرتها وهي الايات التسع لم يعطف
بالفا اكتفاء بالاتصال معنى واشارة الى شدة كفرهم كان تكذيبهم كان مع مجي تلك
الايات فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر بان طبق البحر على ذلك الجيش الكثيف في لمحة طرف
كان لم يكونوا اكفاركم يا اهل مكة خير من اوليكم مهلكين زينة واموالا وقوة

راسيا يا اولين شكيمة وعنادا اى ليس الامر كذلك بل هولاء اقل اسبابا واكثر كفرا وعنادا ام لكم
براءة فى الزبر بان لا عذاب عليكم الزبر الكتب السماوية جمع زبور من زبره كتبه ام
يقولون نحن جميع منتصر افرد الضمير باعتبار لفظ الجميع وعدل عن الخطاب كانه يحكى
جهلهم لغيرهم كما يقول المولى بعد استيفاء عتاب عبده او به جنون سيهزم الجمع ويولون
الدبر الادبار وافرده لارادة الجنس او باعتبار كل واحد روى البخارى عن ابن عباس رضى الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر من القبة يثب فى درع وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون
الدبر وعن عكرمة ان عمر قال كنت اقول اى جمع يهزم فلما رايت رسول الله يوم بدر يثب فى الدرع و
هو يتلوها عرفت تاويلها بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر من القتل والاسر و
الداهية داء لادواء لها وانما اعاد لفظ الساعة تهويلا ولئلا يتوهم عود الضمير الى وقعة بدر ان
المجرمين فى ضلال فى الدنيا وسعر ونيران فى الاخرة او فى ضلال وجنون ناقة مسعورة اى
مجنونة يوم يسحبون فى النار على وجوههم ظرف لسعر او بدل اشتمال منه ذوقوا مس سقر
اى يقال لهم هذا القول فى ذلك الحين تقريعا والحق السامعة من العذاب والمس مستعار
للايلام كما يقال ذاق طعم الموت وسقر علم نار الاخرة من صقره وسقره اذا لوحه قال ذو الرمة
اذا ذابت الشمس اتقى سقراتها بافنان مربوع الصريمة معبل انا كل شىء خلقناه بقدر
منصوب بمضمر مفسر اى خلقنا كل شىء واوجدنا ملتبسا بما سبق من تقدير فى الازل وسطر فى اللوح
روى مسلم والترمذى انها نزلت فى اهل القدر وعن زرارة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما تلاها قال هذه فى اناس من امتى يكونون فى اخر الزمان يكذبون بالقدر وما امرنا الا
واحدة الا فعلة واحدة دفعة بلا الة واسباب كلمح بالبصر فى سرعة التكون كقوله كن
فيكون ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم ومن شايعكم فى الاعتقاد فهل من مدكر
متعظ بمصيبة اولئك وكل شىء فعلوه فى الزبر ثابت فيه مسطور فيجازون به وكل
صغير وكبير قولا كان او فعلا او اعتقادا مستطر مكتوب لا محالة ان المتقين
فى جنات ونهر وضيا وسعة او فى انهار واكتفى باسم الجنس فى مقعد صدق
بدل من فى جنات سميت به لانها منزل الصادقين او لانها مكان مرضى كما يقال رجل
صدق اى مرضى الخصال محمود الفعال عند مليك مقتدر حال من المستكن
فى الخبر اى مقربين ذوى رتب عند سلطان كامل الاقتدار ولا الذ للنفس من قرب الملوك
ولذا يبذل الاموال والارواح دونه مع ملوك الدنيا تمت سورة القمر لله الحمد فى الاصال
والبكر والصلوة على صفوة عدنان ومضر واله وصحبه من هاجر اواوى ونصر سورة الرحمن
مدنية وهى ثمان وسبعون ايات بسم الله الرحمن الرحيم
الرحمن علم القران هذه السورة معقودة على بيان نعم الدارين التى لها شان لان
احصاء الكل محال فلذلك صدرها بالاسم الدال على جلائل النعم براعة للاستهلال و
بدا باجلها وهى نعم الدين ثم اختار اعلاها شانا واسناها مكانا وهى القران الحاوى لاصول
الدين وفروعه الموضح للسبل المصدق لساير الكتب والرسل ولما كان كمال الانسان فى تكميل
قوته النظرية وهو الغاية المطلوبة من خلقه قدم تعليم القران ثم اردف بما يتوقف عليه
بقوله خلق الانسان علمه البيان المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير الذى لا يمكن تعلم
القران وتعليمه الا به واتى بالجمل الثلث على نمط التعديد اشارة الى تقاعد الانسان عن
الوفاء بشكرها كما تقول فيمن قصر فى مكافاة معروفك بإهمال كنت صغيرا ربيتك محتاجا
اعطيتك اويتك ثم بعد قضاء الوطر من هذا الاسلوب افاض فى تعداد النعم واحدة اثر
اخرى على النمط المعروف بحرف النسق مراعيا التقارب والتناسب بقوله الشمس
والقمر بحسبان يجرى كل منهما فى منازله ودرجه بلا اختلال لينضبط به كثيرا احوال

احوال الكاينات ويتميز به الفصول والاوقات والنجم والشجر يسجدان ينقادان لامره
فيما خلقا له شبه ذلك بسجدة المكلف النجم نبت لا ساق له والشجر ما له وارتباط الجملتين بما تقدم
معنوى وذلك انه لما رمز الى تقاعده فى الشكر اخذ فى تعداد نعم اخرى حثا له على ما طلب منه ولو عطف
لم يفد هذا الغرض وفيها اشارة الى ان ما فى العالم العلوى والسفلى قايم بما خلق له والانسان
مع كونه المقصود من الكون خص بذلك وكان ظلوما جهولا والسماء رفعها شرفا ورتبة
لانها منشا احكامه ومصدر قضاياه ومنزل اوامره ونواهيه او مكانا فوق الارض كقوله وجعلنا السماء
سقفا محفوظا دال به على علو شانه وعظم كبريائه وسلطانه مع كونه مبدا جوده واحسانه ووضع
الميزان الشرع الذى به النظام والوفاق بين الانام الذى هو لافعال المكلفين
كالمكيال والمقياس الذى يعرف به الاشباه والامثال الا تطغوا فى الميزان لا تتجاوزوه
بالزيادة والنقصان فيورثكم الندم والخسران واقيموا الوزن بالقسط جعلوا وزن
اعمالكم قويما لا عوج به بالعدل السوى وهو موافقة الشارع ولا تخسروا الميزان
لا تنقصوا ما وجب عليكم عن حقه اعاده مبالغة فى التوصية والارض وضعها للانام
بسطها مدحوة لئلا يشق عليهم التصرف والتردد فى اكتساب المعاش والمعاد والانام الانس
والجن كذا عن الحسن او كل ذى روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام
جمع كم بالكسر وهو وعاء الطلع او اريد به كل ما يغطى من ليف وسعف وكفراة وبالجملة ليس فى شجر
النخل ما لا ينتفع به ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشجر شجرة مثلها كمثل
المسلم ثم قال انها النخل وعلى هذا ذكرها بعد الفاكهة ليس كذكر جبرئيل بعد الملائكة و
الحب ذو العصف كالبر وساير الحبوب العصف ورق النبات والريحان لب
الحب وما يوكل منه ولذلك فسر بالرزق استوعب اقسام ما يمنا وله فى حالة الرفاهية لانه
اما للتلذذ وهو الفاكهة اولا او للتغذى وهو ثمر النخل او للتغذى وحده وهو الحب وفى ذكرها
على هذا الاسلوب ترق من الادنى الى ما ادخل فى الامتنان وقرا ابن عامر الثلثة بالنصب عطفا
على الفعلية بتقدير خلق وعليه رسم الشام ونافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم برفعها عطفا
على الاسمية اى فيها فاكهة وفيها الحب وعليه بقية الرسوم وقرا حمزة والكسائى بجر الثالث
ورفع الاولين اى ذو العصف والريحان والريحان اصله روحان قلبت واوه ياء تخفيفا او ريوحان
حذف واوه لو زنه فيلان فباى الاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين لما تقدم ذكرها
فى الانام ولقوله انها الثقلان عن جابر قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا سورة الرحمن
الى اخرها ثم قال قراتها على الجن كانوا احسن ردا منكم كلما اتيت الى فباى الاء ربكما تكذبان
قالوا لا بشىء من الائك نكذب ربنا خلق الانسان من صلصال من طين يابس له
صلصلة اى صوت كالفخار كالخزف وعبر عنه بالطين اللازب والحماء المسنون والتراب
ايضا باعتبار انقلابه فى الاطوار وخلق الجان ابا الجن وهو ابليس من مارج
من نار من لهب صاف او مختلط بالدخان ومنه الامر المريج من بيان او من نار مخصوصة
ممتازة عن هذه النيران فلذا نكره فمن ابتدائية فباى الاء ربكما تكذبان اذ افاضة الوجود
اجل الانعامات واولاها رب المشرقين ورب المغربين مشرقى الشتاء والصيف و
مغربيهما فباى الاء ربكما تكذبان لما فى ذلك من الفوايد التى لا تحصى مرج
البحرين يلتقيان ارسلهما متلاقيين من مرجت الدابة ارسلتها بينهما برزخ
لا يبغيان حاجب من قدرته يمنع احدهما من التعدى على الاخرى بالاختلاط فباى
الاء ربكما تكذبان اذ فى ذلك من الايات ما يدل على كمال اقتداره الموصل
الى الايمان الذى كل نعمة دونه وتفسير الالتقاء بتماس السطوح ثم تفسير البرزخ بحاجب
من الارض وحمل البحرين على بحر فارس والروم غير سديد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان

يصف ثغور الوحش بانه اذا اصابه حر الشمس اتقى باغصان الشجر والقبة معظم الرمل والفيل العظيم الغليظ وهو ورق العكث المفتول الشجر الله اعلمه

الكلام الفاضح دون فساده انه نبه الى انه لا يخرج من البحرين فذلك ينبغى ان لا يجمعاعند بحر فارس والروم مستقلا علامة

احدهما ابيض يقق والآخر احمر قانٍ وهما من خواص الملح دون العذب وانما قال منهما لا
تصالهما في المرائي والقول بانهما يخرجان من مجمع البحرين يرده المشاهدة وقرأ نافع وابو عمرو
بضم الياء وفتح الراء والباقون بالعكس والاولى الاصل والثانية التعبير باللازم فبأي
آلاء ربكما تكذبان وكونهما من فواخر النعم غني عن البيان وله الجوار السفن الجارية في البحر
المنشآت المرفوعات الشرع وقرأ حمزة بالكسر اي الرافعات الشرع او الموج والسير
انشاعا او المبتديات في الفعل من انشأ شرع في الفعل كالاعلام كالجبال الشامخة قالت
الخنساء كانه علم في راسه نار فبأي آلاء ربكما تكذبان لما في ذلك من الدلائل الدالة
على كمال علمه تعالى واقتداره وما في ضمنه من منافع العباد كل من عليها فان اي على الارض
من الموجودات ومن لتغليب العقلاء كقوله كل شيء هالك الا وجهه والاقتصار على
من على الارض لانه في تعداد النعم واشار الى العموم بقوله ويبقى وجه ربك اي ذاته تجوزا به
او لا عن الجملة كاليد والعين ثم اشتهر حتى صار حقيقة فاستعمل فيمن تنزه عن الاجزاء ذو
الجلال والاكرام اي الذي يجله الموحدون وينسبونه الى الكرم او الذي حدير بان
يقال له ما اجله وما اكرمه قيل او لم يقل وتقديم صفة السلب لانه في مقام الجلال وقهر الخلق
بالفناء فبأي آلاء ربكما تكذبان لما في ذلك من العلم بجلال الصانع وكبريائه مع الوصول
الى الجزاء والحيوة الابدية يسأله من في السموات والارض لافتقار الكل اليه ابتداء
وبقاء روي انه تعالى لما لعن ابليس وطرده من جواره وكان من الحافين بالعرش بكى جبرئيل
وميكائيل فسألهما الرب تعالى وهو اعلم بهما لم تبكيان فالا ربنا من خوفك فقال
هكذا كونا راهبين كل يوم هو في شأن يسعد ويشقي ويحيي ويميت ويغني ويفقر شئون
يبديها لا شئون يبتديها فبأي آلاء ربكما تكذبان لما في ذلك من دفع الضر وجلب النفع
والاعتبار والتذكر المنجي من عقابه سنفرغ لكم ايها الثقلان كناية عن التوفر للانتقا
ولتوجه الارادة او تمثيل بان مثل حاله تعالى بعد انتهاء الشئون لكل واحد وهو الاخذ بالجزاء
بحال من له سابقة اشتغال عن شيء ثم فرغ له والثقلان الانس والجن لانه لا ارض لهما كالحمول وقرأ
حمزة وابو بكر في وجه سيفرغ بالياء فبأي آلاء ربكما تكذبان لما في هذا الترهيب على
الطاعة يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض
من ملكوتي لتنجوا بذلك من قهري فانفذوا امر تعجيز وفي معناه ام حسب الذين يعملون
السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون وقيل المراد به يوم الحشر فان الملائكة تحدق بهم
سبع صفوف يقول الانسان يومئذ اين المفر وتقديم الجن لانهم اعتى واشد قوة لا
تنفذون الا بسلطان واني لكم ذلك يرسل عليكما شواظ لهب مركب من النار والدخان
وعن ابن عباس نار لا دخان فيه وقرأ ابن كثير شواظ بكسر الشين من نار ونحاس
صفر مذاب يحشر الناس الى الموقف وقرأه ابن كثير وابو عمرو بالجر عطفا على المجرور اي
من نار ونحاس على ان المراد به الدخان وانشد يضيئ كضوء السراج السليط لم يجعل الله
فيه نحاسا والرفع ابلغ واليه ذهب ابن عباس فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان
فان في التهديد كف عنان العاصي وحث الطايع على المزيد فاذا انشقت السماء فكانت
وردة قطعة حمراء كلون الورد عن ابن عباس رضي الله عنهما الوردة اديم احمر كالد
هان كالزيت المذاب الذي يدهن به كقوله يوم يكون السماء كالمهل والمعنى انها تذوب
من حر نار جهنم والدهان كل ما يدهن به كالحرام والشام فبأي آلاء ربكما تكذبان
فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان هذا في اول الحال قبل شفاعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم للفصل والقضاء فلا ينافيه فوربك لنسألنهم اجمعين والهاء للانس
والجان لتقدمهما رتبة فبأي آلاء ربكما تكذبان لما في ذلك الوقت من النعم في ظل

الشرع على وزن الكتب جمع شراع كالكتاب وهو الذي يسمى القلع بالفارسية بادبان

في ظل عرش الرحمن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعرف المجرمون بسيماهم بعلاماتهم
سواد الوجه وزرقة العين فيؤخذ بالنواصي والاقدام مجموعا بينهما او على التعاقب
فبأي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن بلغ نهاية
الحرارة يحترقون بالنار ويشربون من ذلك الحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان
ولمن خاف مقام ربه الوقوف بين يديه يوم يقوم الناس لرب العالمين لقوله ذلك لمن خاف
مقامي او لفظ المقام مقحم اي لمن خاف الله كقول الشماخ ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين
جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان اي لكل واحد احديهما للاعتقاد والاخرى للعمل او
احديهما لترك المعاصي والاخرى لفعل الطاعات وجعل احديهما للخايف من الانس والاخرى
للخايف من الجن بعيد مخالف للاحاديث ذواتا افنان جمع فنن وهو الغصن خصها
بالذكر لانها التي ينتفع بظلالها وثمارها وحسن المنظر باوراقها او جمع فن اي انواع من
الثمار فبأي آلاء ربكما تكذبان حيث اعد لكم هذا وانتم بعد في العدم فيهما عينان
تجريان كيف شاءوا احديهما السلسبيل والاخرى التسنيم روي انهما ينبعان من جبل
من مسك والوصف بالجريان لتوفير حظ الباصرة فان النظر الى ماء الجاري كالزلال لا جلب
شيء للسرور فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان مما تعلمون ومما
لا تعلمون او رطب ويابس لئلا يمل فبأي آلاء ربكما تكذبان واي نعيم افضل من
هذا النوع متكئين على فرش بطائنها من استبرق من حرير غليظ وظهايرها من سندس
نصب على المدح او حال من فاعل خاف لانه في معنى الجمع وجنا الجنتين دان قريب
يناله القاعد والمتكي اسم بمعنى المجني فبأي آلاء ربكما تكذبان اي في الجنان
التي لكل واحد منهما جنتان او في الجنتين لاشتمالهما على الامكنة او في الآلاء المعدودة قا
صرات الطرف على ازواجهن لا ينظرن الغير لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان
فهي ابكار كما خلقن وقرأ الكسائي في رواية الدوري بضم الميم وكسرها في الثانية
وفي رواية الليث عنه بالعكس وفي رواية خير الكسائي بين ضم احديهما وكسر الاخرى على
المعاند وهذا احسن جمعا بين اللغتين بلا ترجيح من غير مرجح كأنهن الياقوت
والمرجان في صفاء الياقوت وبياض المرجان روى مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لكل واحد زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وفي رواية ابن مسعود رضي
الله عنه من وراء سبعين حلة فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان
الا الاحسان اي لا يكون الا ذلك فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما
جنتان دون الجنتين الاوليين في الشرف هما للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين روى
البخاري عن عبد الله بن قيس عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من
ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وفي اللفظ دلالة على مزية الاوليين
فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان سوداوان من الري في مقابلة ذواتا افنان فبأي
آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان في مقابلة عينان تجريان والنضخ الفوران
اقل من الجري فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان افردهما لبيان شرفهما على
ساير الفواكه كانهما جنسان آخران او لاشتمالهما على غير التفكه كالتغذي في التمر والتداوي
في الرمان ولذلك ذهب ابو حنيفة رحمه الله الى ان من حلف لا ياكل الفاكهة لا يحنث باكلها
حدهما والوجه هو الاول اذ هذا انما يتصور في فاكهة الدنيا لان كلما يتناول في
الجنة لا يتناول الا على وجه التفكه فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات
حسان خيلات حسان الاخلاق وتخفيف خيرات صفة لا اسم تفضيل اذ ذاك لا يجمع هذا
الجمع فبأي آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام مخدرات لا يخرجن او مقصو

قائل القاضي

مرفوعتين على ازواجهن فبأي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأي
آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وسائد من حرير اخضر لانه لون مفرح ويقال انها
للبسط ولاطراف الخيمة وكل ثوب اخضر وعبقري حسان بسط حسنة منسوب
الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد للجن ينسبون اليه كل شيء عجيب ومنه في وصف عمر فلم ار
عبقريا يفري فريه والمراد به الجنس ولذلك جمع وصفه فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك
اسم ربك كثر خيره وازداد اراد لفظ الرحمن الذي يعقب هذه النعم او كل اسم له
فانه لا يبدأ به شيء الا فسار ذا بركة ويمن ذي الجلال والاكرام تقدم الكلام فيه وقرأ
ابن عامر ذو مرفوعا صفة للاسم وفيه مبالغة حسنة تمت سورة الرحمن والحمد لمن له الفضل والاحسان
والصلوة على المبعوث الى الانس والجان وآله وصحبه ذوي الرتب والشان

سورة الواقعة مكية وهي ست وتسعون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة اي القيمة عبر عنها بالواقعة دلالة على تحقق وقوعها لا محالة كقولك كنت
حدثت الحادثة واذا ظرف لليس او نصب باذكر او لمقدر اي اذا وقعت يكون كيت وكيت وهذا الجزء
ليس لوقعتها كاذبة نفس تكذب في الاخبار عن عدم وقوعها كاليوم كقوله لما راوا بأسنا قالوا
آمنا بالله او من كذب نفسه عند الخطب اذا شجعت على امر لا طاقة له به كانه قال هذا الخطب ليس من
الخطوب التي تقدر نفس على الكذب مع صاحبها في احتماله وعلى الوجهين اللام للوقت مثلها
في قدمت لحيوتي او كلام على طريق التمثيل اي بعد وقوعها ليس نفس تكذب بلسان الحال
او المقال وتقول لها لم تكوني او مصدر بمعنى الكذب كما يقال حمل عليه حملة صادقة اي
ذات صدق خافضة لاقوام رافعة لآخرين او ويل لقوم ونيل لقوم اذا رجت الار
ض رجا حركت تحريكا عنيفا كقوله اذا زلزلت الارض وبست الجبال بسا
سيرت وفي الحديث اذا فتحت العراق يأتي قوم يبسون باهليهم او فتت لقوله فكانت
هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلثة فاصحاب الميمنة
ما اصحاب الميمنة اي اصحاب الجنة هل تدري ما صفتهم وما هم فيه اقام المظهر مقام المضمر
لما فيه من الفخامة والميمنة الجهة التي تسامت قوى الكائنين من اليمن وهو البركة والعرب
تتيامن باليمن وتتشأم بالشمال ويسمونها الشومى او لان اهل السعادة يؤخذ بهم
ذات اليمين واهل الشقاوة ذات الشمال واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة
اي ما هم وما صفتهم سيق للتعجب والسابقون السابقون مبتدأ وخبر اي السا
بقون الى الايمان هم الذين بلغك خبرهم في علو الرتبة ورفعة الشان كقوله انا ابو النجم
وشعري شعري وتخصيصهم بالانبياء مما لا وجه له اولئك المقربون في جنات
النعيم اي الموصوفون بالسبق هم الذين قربت درجاتهم من الله تعالى واعليت منازلهم في
الجنة استيناف لبيان ذلك الابهام ثلة من الاولين جماعة كثيرون من الثل
وهو الصب والهدم خبر محذوف اي هم وقليل من الآخرين وفي تفسير الاولين
وجهان قيل السابقون على هذه الامة من لدن آدم الى محمد عليهما السلام فالسابقو
ن اولئك اكثر من سابقي هذه الامة ورد واهذا عن الحسن وهذا قول لا سند له بل السا
بقون واللاحقون من هذه الامة وذلك لما صح ان اهل الجنة مائة وعشرون صفا
ثمانون من هذه الامة واربعون من ساير الامم وقد نطق القرآن بان هذه الامة خير
الامم روى البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال نحن اقل عملا واكثر اجرا
فكيف يكون السابقون من اربعين اكثر من السابقين من ثمانين مع ان هولاء اكثر اجرا وخير
من اولئك بنص القرآن والحديث بل الاولون هم اوائل هذه الامة الذين اشار اليهم بانهم
خير القرون السابقون الاولون من المهاجرين والانصار على سرر موضونة منسوجة

منسوجة بالدر والياقوت داخلا بعضها في بعض كحلق الدرع وقيل متواصلة ادني بعضها من
بعض متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على سرر يطوف عليهم ولدا
ن مخلدون مبقون على تلك الهيأة ابدا لا يعتريهم تغير وتبدل من كبرهن او في آذانهم
الخلدة وهي القرط وعن الحسن هم اولاد الكفار اذا حق انهم اهل الجنة وقيل هم الاولاد والاطفال
الذين ماتوا من غير عمل باكواب واباريق متعلق بيطوف والكوب ما ليس له عروة
ولا خرطوم والابريق عكس ذلك وهذا التنوع على طريقة اهل الشرب في الدنيا وكاس
من معين هو القدح الذي يشرب به والمعين الجاري اي ليس مثل خمر الدنيا توخذ من
مخادن الدنان لا يصدعون عنها لا يحصل لهم بشربها صداع ولا هم ينزفون
يسكرون يقال انزف سكر قال لعمري لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا او لا ينفد
شرابهم من انزف نفد والمعنى لا تنفد عقولهم ولا شرابهم وقرأ غير الكوفيين بفتح الزاء
على بناء المفعول من نزف اسكره وهذا فوق بقوله لا يصدعون وفاكهة مما يتخيرون
يرتضون ولحم طير مما يشتهون يستلذون وحور عين بيض نجل العيون عطف على ولدان
معنى اي لهم ولدان وعندهم حور او على فاعل متكئين لوجود الفاصل كقوله ما اشركنا ولا
اباؤنا وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات اي في جنات ومعاشرة حور عين
وعن الزجاج عطف على باكواب اي يطوف عليهم الولدان بالحور كما هو دأب الملوك
بالي الخادم بخطاياهم الى اماكن انسهم وعن الفراء الجر على الجوار كامثال اللؤلؤ المكنو
ن في الصدف في الصفا والطراوة او المخزون لشرفه وبهائه جزاء بما كانوا
يعملون مفعول له اي هذا الذي تحفناهم جزاء اعمالهم لا يسمعون فيها لغوا
كلاما باطلا ولا تأثيما ولا شيئا لو كان في الدنيا اوجب اثما كما يقع في اهل السكر في
مجالسهم الا قيلا الا قولا سلاما سلاما بدل منه او الا سلاما ما اثر
سلاما بعد سلام تحيتهم فيها سلام واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين اي لهم شان واي شان ثم
شرع بتفصيله في سدر مخضود عن الشوك كانه خضد وقيل هو موقر بالحمل من خضد اذا
ثناه وامال وطلح منضود نضد بالثمر من اسفله الى اعلاه هو شجر الموز او ام غيلان
وقيل شجر في البادية والظاهر انه انما خصا بالذكر لكثرتهما في ارض العرب وليس لهما ثمر فاخر
فاشار الى انهما في الجنة ليسا على ما كانا عليه وقيل انما ذكر المعنى الضليل دون الثمر و
ليس بوجه لذكر الظل بعده ولكون الوصف بالخضد والنضد غير ملائم وقيل هذا كلام
مع اهل الوبر وام غيلان له رايحة طيبة وله شوك فاشار الى ان ما في الجنة لا شوك له مع كونه
موقرا بالثمر وظل ممدود لا فرج فيه ولا يتقلص كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس
وماء مسكوب على الدوام كيف شاؤا وفاكهة كثيرة الانواع لا مقطوعة
في وقت كفاكهة الدنيا ولا ممنوعة من الوصول اليها وفرش مرفوعة على السرر او
نضد بعضها فوق بعض فارتفعت روى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله قال في تفسير فرش مرفوعة
ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمسماية عام او هو كناية عن الحور انا انشأناهن
انشاء اي خلقناهن خلقا جديدا اما ابتداء وهن الحور او نساء الدنيا والضمير للفرش ان كانت
كناية عن النساء او لما دل عليه ذكر الفرش وان لم يسبق له ذكر وعن ام سلمة رضي الله عنها سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله انا انشأناهن قال هن اللاتي كن في الدنيا شمطا مصعطا
نجعلنا هن ابكارا عربا جمع عروب متحببة الى ازواجهن قرأ ابو بكر وحمزة بسكون الراء
مخففا اترابا لدات هن والازواج في سن واحد ثلثين وطول آدم ستين ذراعا في عوض سبعة اذرع
لاصحاب اليمين متعلق بانشأنا او صفة اخرى لابكارا ثلة من الاولين وثلة من
الآخرين خبر مبتدأ محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سوء الحال

في سموم في نار تنفذ في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل من يحموم دخان
اسود من الحمة وهي السواد لا بارد ولا كريم ليس فيه برد وروح كسائر الظلال نفى
لهم الظل ثم نفى برده وروحه تهكما وتعريضا بان ذلك انما يستحقه اضدادهم انهم كانوا
قبل ذلك مترفين متنعمين اذهبوا طيباتهم في الحيوة الدنيا من اترف النعمة اطغيه وكانوا
يصرون على الحنث العظيم الكفر بالله وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون منكرين ذلك مكذبين للرسل نافين لقدرة المقتدر او آباؤنا
الاولون مع تقادم العهد هذا اشد بعدا والعطف على المستكن في مبعوثون لوجود
الفاصل او على محل اسم ان وقرأ ابن عامر وقالون بسكون الواو وتعين العطف على المحل قل ان
الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم الميقات ما وقت به الشيء ومنه مواقيت
الاحرام اي الى وقت معين من يوم معلوم والاضافة بمعنى من ثم انكم ايها الضالون
المكذبون بالبعث وقدم الضلال لانه منشأ التكذيب لآكلون من شجر من زقوم من الاولى
لابتداء الغاية والثانية بيان فمالئون منها البطون لغلبة الجوع فشاربون عليه من
الحميم المتناهي في الحرارة وتأنيث الضمير اولا ثم تذكيره ثانيا باعتبار اللفظ والمعنى وحمل التذكير
على الاكل تفك الضماير فشاربون شرب الهيم جمع هيماء وهي التي لا تروى من العطش
لداء بها قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها او جمع
هيام وهو الرمل الذي لا يمسك الماء والعطف باعتبار الصفة لان شربهم الحميم
لدفع العطش بديع كما ان شربهم كشرب الهيم عجيب وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
والكسائي بفتح الشين وهما لغتان والضم اشهر هذا نزلهم يوم الدين هو ما يعد
للضيف النازل واذا كان هذا النزل فما بعده اطم نحن خلقناكم لا تشكون في ذلك فلولا
تصدقون بالاعادة فانها اوضح من البدء افرأيتم ما تمنون تلقون في الارحام من النطف
أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون وهب انكم لا تعلمون خلق انفسكم الستم تشاهدون ما تولد
منكم نحن قدرنا بينكم الموت قضيناه بذلك وسوينا بينكم فيه مع الاختلاف في الاعمار
كالارزاق وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم يقال سبقته على كذا غلبته عليه و
ننشئكم فيما لا تعلمون ما هو وما عهد ثم مثله قدرتنا على الامرين سواء ولقد علمتم
النشأة الاولى فلولا تذكرون فانها في غاية الظهور لا تحتاج الى ترتيب مقدمات
افرأيتم ما تحرثون تشقون الارض وتلقون فيها من البذر أأنتم تزرعونه
تنبتونه وتوصلونه الى الكمال ام نحن الزارعون الفاعلون لذلك لو نشاء لجعلناه
حطاما متكسرا فظلتم تفكهون فصليتم نهاركم تتعجبون وتندمون على تعبكم فيه
او على المعاصي التي تسببت له وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا يقل احدكم زرعت وليقل حرثت انا لمغرمون لذاهب رزقنا من الغرام
او ملزمون بغرامة ما انفقنا فيه من الغرامة وقرأ ابو بكر بالاستفهام تعجبا والاخبار ابلغ
بل نحن محرومون مصابون بالحرمان والشقاء افرأيتم الماء الذي تشربون
عذبا فراتا أأنتم انزلتموه من المزن جمع مزنة السحاب الابيض فان ماءه اعذب ام
نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا مرا زعاقا لا يسوغ فلولا تشكرون
هذه النعمة وانما حذف اللام الفارقة منها قربا مع اشتهار لوجوبها ولان المشروب تبع للماكول
ليدل على ان فقده اهم والاهتمام به اتم افرأيتم النار التي تورون تقدحون بالزند
والزندة أأنتم انشأتم شجرتها المودعة فيها النار ام نحن المنشئون نحن جعلناها
تذكرة تدل على قدرتنا على الاعادة وانموذجا من نار الآخرة ومتاعا للمقو
ين النازلين بالقواء ممدود ومقصور من القي وهو المكان القفر وخص بالذكر لفرط

انما تعين العطف على المحل لان
الترديد بين بعثهم وبعث
آبائهم منه

لفرط الاحتياج فيه او من القوى وهو الخلو فيعم المسافر والمقيم فسبح باسم ربك العظيم
نزهه عما لا يليق بجلاله بذكر اسمه العظيم شكرا لعظيم الآلاء او اذكره باسمه العظيم تعجبا ممن يرى
هذه النعم ثم يكفر والباء للاستعانة او للملابسة فلا اقسم بمواقع النجوم بمساقطها
اذ في ذلك الوقت زوال سلطانه فيكون ادل على وجود الصانع وعن الحسن انكدارها يوم
القيمة وقيل منازلها وقيل اوقات نزول القرآن ولا مزيدة وقرأ حمزة والكسائي بموقع
النجوم لارادة الجنس وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فيه اعتراض لما في المقسم
به من كمال القدرة ونهاية الرأفة انه لقرآن كريم شريف نيط به امر المعاش والمعاد
او كريم عند الله وانما بالغ في القسم وجعل القرآن مقسما به لكون السورة مصدرة بامر المعاد
وقد استوفى فيها ادلة الآفاق والانفس على وجه يحار فيه الالباب ولا يبقى لذي العينين ارتياب
في كتاب مكنون مصون عن يد الاغيار لم يقع فيه شائبة تبديل لا يمسه الا المطهرون
من دنس الآثام وهم السفرة الكرام البررة او المطهرون من الاحداث رواه مالك وابو داود
فالنفي بمعنى النهي تنزيل من رب العالمين مصدر نعت به صفة اخرى للقرآن افبهذا الحديث
انتم مدهنون متساهلون من الدهن فان المتهاون يلين جانبه وتجعلون رزقكم
شكر ما رزقتم من فهمه او رزقكم الذي بين في السورة من نعم الدارين انكم تكذبون
وقيل الرزق المطر وتكذيبهم نسبته الى الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم اي النفس
والخطاب للذي حول المحتضر وانتم حينئذ تنظرون نظر المحتاج العاجز ونحن اقرب
اليه منكم ولكن لا تبصرون ذلك فلولا ان كنتم غير مدينين
مربوبين مملوكين من دان السلطان رعيته ساسها ترجعونها النفس الى البدن ان كنتم
صادقين في ان لا صانع وانكم تتركون سدى وهؤلاء وان لم يصرحوا بنفي الصانع الان
تكذيبهم الرسل وانكار البعث والجزاء سوق اليه ثم استطرد ذكر الازواج الثلثة التي صدر بها السورة زيادة
في الترغيب والترهيب وليجاوب طرفاها رد العجز على الصدر فقال فاما ان كان من المقربين فروح
وريحان وجنة نعيم راحة ورزق ومقام كريم قدم الاهم فالاهم واما ان كان من اصحاب
اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي من اخوانك المؤمنين من ابتدائه وقيل مسلم انك منهم
واما ان كان من المكذبين الضالين اي من اصحاب الشمال عبر عنهم بالوصف دلالة على
ان ذلك الوصف اورثهم الشقاء فنزل من حميم وتصلية جحيم في ذكر النزل تهكم بهم
ان هذا ما ذكر في السورة او في شان الازواج لهو حق اليقين حق اليقين لا يقين
فوقه كقولك امين حق امين فسبح باسم ربك العظيم اي بعد ما بلغت هذا البلاغ المبين
نزه ربك عما لا يليق بجلاله مستعينا باسمه الاعظم وذرهم في خوضهم يلعبون تمت سورة الواقعة والحمد
لمن رحمته واسعة والصلوة على من شفاعته شايعة وعلى آله وصحبه دائمة متتابعة

سورة الحديد مدنية وهي تسع وعشرون آيات بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض جاء بلفظ الماضي في مواضع والمضارع اخرى دلالة
على ان شان من اسند اليه الفعل الاستمرار في جميع الازمان وحيث كان هذه اطول ما صدرت
بلفظ التسبيح لم يعد الجار في المعطوف بخلاف سايرها ولم يغلب العقلاء اشارة الى انهم
في القلة مغمورون في جنب لا يحصى كثرة وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد وان من شيء الا يسبح
بحمده وهو العزيز الغالب القاهر الحكيم المتقن في صنعه فهو حقيق بالتسبيح له ملك
السموات والارض يحيي ويميت مرفوع خبر مبتدأ او منصوب حال من المجرور او
استيناف مقرر لما تقدم وهو على كل شيء قدير كامل القدرة احياء واماتة وغيرهما
هو الاول قبل كل شيء والآخر الباقي بعد فناء كل شيء والظاهر في كل شيء
والباطن عن كل شيء لا يحيط به شيء علما ولا دليل فيه لنافي الرؤية وتفسير البطون

الواو فاذا فسر الموقع باوقات
النجوم القرآن
منه

رد على الكشاف

بعدم ادراك الحواس فيصور بل بطونه عدم ادراك كنهه ازلا وابدا حسا وعقلا تعالى عن ذلك علوا كبيرا
والواو الاولى والثالثة لعطف المفرد على المفرد والوسطى لعطف المركب على المركب والمعنى انه جامع لهذه
الصفات ازلا وابدا ولما اوهم بطونه عن الاشيا بطونها عنه كما في الشاهد رفعه بقوله وهو بكل
شيء عليم يستوي في علمه الظاهر والباطن هو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش لتدبير الكائنات بمثيل يعلم ما يلج في الارض من ماء
وحب وما يخرج منها من نبات وزرع وما ينزل من السماء من مطر وثلج وبرد واقدار و
احكام وما يعرج فيها من الملائكة والارواح والاعمال وهو معكم اينما كنتم والله بما
تعملون بصير شاهد لا يخفى عليه الاخلاص والريا واعادة الجلالة دلالة على ان ذلك من لوازم
الالوهية له ملك السموات والارض اعاده ليقرن به امر المعاد كما قرن به المبدأ والى
الله ترجع الامور فيجازي كلا على حسبه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وهو عليم بذات الصدور بمضمراتها ابلغ من قوله بما تعملون بصير امنوا بالله ورسوله اذ لم يبق
لكم شبهة وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي بايديكم اذ هي في الحقيقة
لله تعالى وانتم بمنزلة الوكلاء والخزان وانتم تحت امره فكما يامركم به يجب عليكم الامتثال ولا ينبغي
ان يشق عليكم اذ لا اخس ممن يشح بمال الغير فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير
مع كونكم غير مالكين لكم اجر لا يحاط به ترغيب ووعد فيه مبالغات بناء الخبر على الموصول واعادة
الايمان والانفاق وتكثير الاجر والوصف بالكبر وما لكم لا تؤمنون بالله ما تصنعون
غير مؤمنين بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون وهو من ضمير
تصنعون حالان متداخلان وقد اخذ ميثاقكم حال من احد ضميري يدعوكم او حال بعد
حال من ضمير تؤمنون والحال انه قد اخذ عليكم الميثاق قبل الرسول بما ركب فيكم من العقل
ونصب الادلة فقد ازاح الشبهة عنكم من كل وجه وقرا ابو عمرو واخذ على بناء المفعول
ان كنتم مؤمنين بموجب الايمان فقد بان لكم الموجب بما لا مزيد عليه كقولك
لتارك الصلوة هذا الماء والمحراب ان كنت تصلي والعتاب عام لمن لم يؤمن ومن امن
ولم ينفق هو الذي ينزل على عبده ايات بينات واضحات الاعجاز والدلالة
على الاحكام ليخرجكم اي الله او الرسول والاول اولى لقوله تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم حيث بين لكم واوضح وما لكم
ان لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه من الجهاد والصدقة على المحاويج ولله ميراث
السموات والارض هو الباقي بعد فناء من في السموات والارض فاي فائدة
في الامساك هلا يقدم العاقل ماله بين يديه ويشتري بالفاني الباقي عنه صلى الله عليه و
سلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت
فابقيت لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح فتح مكة وقيل حديبية في حال شدة الاحتياج   رواه مسلم منه
ومن بعده حذف لوضوح الدلالة عليه وقاتل بيان لتفاوت الانفاق وحث على طلب
المحل القابل وتقديم الاولى والاحوج اولئك المنفقون اعظم درجة من الذين انفقوا
من بعد وقاتلوا بعد فتح مكة وكلا وعد الله الحسنى من المنفقين السابقين واللا
حقين موعود بالجنة وان تفاوت حالهم وقرا ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء
والفعل خبر بحذف العائد والنصب احسن لعدم التقدير والله بما تعملون خبير
يعلم نية المنفق اخلاصا ورياء قيل نزلت في الصديق انفق ماله في سبيل الله حتى تخلل
بعباء فجاء جبريل فقال لرسول الله يقول الله تعالى قل لابي بكر بل هو راض عني في فقره
وسلم عليه مني من ذا الذي يقرض قرضا حسنا مثل حال المنفق في سبيل الله بحال من
اقرض انسانا بما يؤديه اليه وقت احتياجه والقرض الحسن ما لا يجر نفعا ولا يطلب فيه

ذكره الحديث بحجر ... منه

فيه زيادة فيضاعفه له اضعافا فالاجر لا يعلمها غيره وقراءة بالنصب ابن عامر وعاصم بانه مضمر بعد الفاء
جوابا للاستفهام معنى وقرا ابن كثير وابن عامر يضعف مشددا اي وكما زاد كما فكذلك عظم كيفا
بقوله وله اجر كريم شريف لا كسائر الاجور يكون مع مهانة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
مقدر باذكر فانه يوم عظيم او ظرف ليضاعف او له اجر كريم يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم اي يسرع نورهم قدامهم وعن اليمين والشمال بل على قدر سيرهم فمنهم من سيرهم
كالبرق الخاطف ومنهم كالريح ومنهم كالجواد الخيل وكذلك انوارهم على قدر اعمالهم حتى
ان فيهم من يقوم ويقع لضعف نوره وفي لفظ الايمان تغليب بشراكم اليوم اي تقول
لهم الملائكة الذي تبشرون به اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر بشراكم
ذلك هو الفوز العظيم اي الفوز الذي بشروا به من كلامه تعالى يوم يقول المنا
فقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين امنوا انظرونا نقتبس
من نوركم بعد القضاء بين العباد يؤخذ بالكفار الخلص الى النار وبالمؤمنين الى الجنة
ويتبعهم المنافقون كما كانوا في الدنيا يعدون انفسهم منهم ويعطون نورا مجازاة لخداعهم فاذا
توسطوا الصراط انطفى نورهم بيادر والمؤمنون انتظرونا او انظروا الينا ناخذ قبسا اي
شعلة من نوركم كما يفعله الاصحاب في الدنيا اذا انطفى مصباح احدهم قيل ارجعوا
وراءكم الى الدنيا القايل المؤمنون او الملائكة فالتمسوا نورا اخر لانه محل الاعمال
التي صارت اليوم انوارا وقرا حمزة انظرونا بهمزة القطع اي امهلونا وهو قريب من الاول
فضرب بينهم بسور هو الاعراف حائط الجنة له باب يدخل منه المؤمنون الجنة
باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وتغيير الاسلوب للدلالة على ان داخله كل نعمة
بخلاف ظاهره لبعد النار عنه ينادونهم الم نكن معكم في الدنيا متفقين في الدين قالوا بلى
ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وقلتم ريح الاسلام
تهب ساعة ثم تسكن وارتبتم في امر الساعة وقلتم ما الساعة ان نظن الا ظنا وغرتكم الا
ماني الكاذبة وقلتم ان كان بعث سيغفر لنا حتى جاء امر الله قيام الساعة او اثر بدخول النار
وغركم بالله الغرور الشيطان بوعده الكاذب فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ان لو كان لكم
ما تفدون وقراءة ابن عامر بالتاء والتذكير احسن لوجود الفصل ولا من الذين كفروا
ظاهرا وباطنا ماويكم النار مقامكم هي مولاكم اي اولى بكم من غيرها لما
معكم بما يلابسها من الاعمال او هي التي تتولى امركم او ناصركم تهكما وبئس المصير مصيركم
الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق اي القرآن من عطف العام
على الخاص او عطف باعتبار الصفة وقراءة نافع وحفص نزل مخففا والتشديد ابلغ يان
من انى يانى الامر اذا جاء اناه اي وقته والهمزة للاستبطاء كقولك للغلام الم ادعك
والمعنى ليس للمؤمنين عذر في عدم خشوع قلوبهم وما رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله
عنه لم يكن بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله الا اربع سنين وما رواه قتادة عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان الله عاتب المؤمنين على راس ثلث عشرة من نزول القرآن يدل
على ان السورة مكية فان قلت اذا كانت السورة مكية فما وجه قصة المنافقين والنفاق
انما نجم بالمدينة قلت اخبار بما يقع كسائر الاخبار عن المغيبات ولا يكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل عطف على تخشع ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اولئك فطال عليهم
الامد الزمان فقست قلوبهم فغلب عليها القسوة والجفا لتراكم الذنوب وظلمات
المعاصي فاحدثوا التحريف والبدع وكثير منهم فاسقون خارجون بالكلية عن دينهم
لفرط قسوتهم اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها مثل حال القلوب النابية عن
الخشوع ثم تاثرها من ذكر الله وما نزل من الحق بحال ارض غلب عليها اليبس ثم اصابها

العبث فاحضرت قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون في تصدير الكلام باعلموا وختمه
بلعلكم تعقلون نوع عتاب اذ كان الاولى بهم التدبر بدون هذا الجلا الحال ان المصدقين
والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على المصدقين لكونه في معنى الذين
صدقوا وفيه تغليب ليلا يقع فصل بالاجنبي والمعنى الذين تصدقوا واخلصوا في ذلك واخرجوا
من مالهم الطيب وقرا ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد من التصديق اي آمنوا بالله ورسوله و
التشديد اولى لذكر الايمان بعد يضاعف لهم ولهم اجر كريم تقدم تفسيره آنفا والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اي بمنزلة
هولاء وان كانوا قاصرين تنزلوا منزلتهم لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر اولئك
ونورهم لا في الاضعاف اي جميع ما يحصل لهم من الاجر والاضعاف بل مثل مجرد اجر الصديقين
وحده فان قلت فاي ترغيب في ذلك لان احاد المؤمنين اذا جعل ثواب عمله مثل ثواب عمل الصديق
فاي احسن فوق ذلك واما الاضعاف فذلك ليس راجعا الى الاعمال بل ذلك فضل الله تؤتيه
من يشاء ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم اجرهم خبره وليس بقوي والذين كفروا و
كذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم الذي لا يفارقونها لافادة الكلام الحصر اعلموا انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو لما ذكر ما للفريقين في الآخرة حقر امر الدنيا بان حصر ما فيها في
امور خيالية قليلة النفع ترغيبا فيما عنده وتحذيرا عن الاعتزاز بها واللعب ما يجلب السرور
واللهو ما يدفع الهم وزينة بالاموال والبنين وتفاخر بينكم انا ابن فلان وانت
ابن فلان وتكاثر في الاموال والاولاد انا لي كذا مالا وولدا وانت لا تملك
ما املك كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما مثل حال الدنيا
في قلة جدواها وسرعة تقضيها بحال نبات انبته الغيث فاستوى على سوقه اخضر ناضرا
دارقا فاعجب الزراع شانه او الكفار بالله لقصور نظرهم الى الدنيا والمؤمن اذا رآه
علم ان ما عند الله هو الباقي وان هذا عن قريب زايل ثم اصفر بعد ذلك النضارة
وتبدل حاله ثم تكسر وذهب كان لم يكن وفي الآخرة عذاب شديد تنفير عن الركون
اليه ومغفرة من الله ورضوان حث على العمل الثمر ذلك وما الحيوة الدنيا
الا متاع الغرور الا شيء يسير ونفع قليل يغتر به سابقوا الى مغفرة من ربكم
مسابقة الفرسان الى احراز قصب السبق وجنة عرضها كعرض السماء والارض انما
ذكر العرض لانه اقصر الامتدادين واذا كان حال كذلك فما ظنك بالطول والمراد
جنس السماء لقوله عرضها السموات والارض فان قلت ايهما ابلغ قلت الثاني بحذف
ادات التشبيه والتصريح بما يدل على العدد فان قلت لم اختص كل بموقعه قلت لان
الثاني في آل عمران وهو متاخر نزولا فلو عكس لم يبق فائدة في ذكره اعدت للذين
آمنوا بالله ورسله الاستدلال به على ان مجرد الايمان كاف ليس بناهض لقوله
في آل عمران اعدت للمتقين الذين نعتهم كيت كيت ذلك فضل الله يؤتيه
من عباده من غير ايجاب لان العبد لا يستحق على المالك اجرة والله ذو الفضل العظيم
من يشاء لا يحاط بفضل خلق وهدى واعطى ما لم يخطر على قلب من غير
وجوب ولا استحقاق ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب
في اللوح من قبل ان نبراها نخلقها اي الانفس او المصيبة والاول اوجه لما روى
مسلم ان الله كتب مقادير الخلايق قبل خلق السموات والارض بخمسين الف عام
وكان عرشه على الماء ان ذلك على الله يسير لعلمه بالاشيا قبل وقوعها كعلمه بها
حال وقوعها ثم اشار الى الحكمة في ذلك بقوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا
تفرحوا بما آتاكم فان من علم ان ما اصابه من الضر كان مقدرا عليه في الازل

كما ظن صاحب التقريب منه

في الازل لم يحزن الحزن الشديد لانه قد وطن نفسه على ذلك وكذا في جانب الخير لانه كان
مترقبا والمراد بهما ما يخرج الى الجزع وعدم الصبر والفرح المطغي المفضي الى البطر لا ما يعتري
الانسان من الهم والسرور وشكر النعمة لله وقرا ابو عمرو اتاكم مقصورا اي جاءكم وهي قراءة
حسنة فسرها الكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم ان الله لا يحب كل مختال فخور
متكبر فخور على الناس بكثرة المال واكتفى باحد الشقين لدلالته على الآخر واثر الثاني لانه
اشد نكيرا الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال واوفى منه لدلالته
على ان عز المال وحبه بلغ حد الشح بما لا الغير وقرا حمزة والكسائي البخل بفتح البا وهما لغتان
كالرشد والرشد ومن يتول بعرض ولم ينته عما نهى الله فان الله هو الغني لا يحتاج
الى انفاق المنفق الحميد محمود في ذاته وان تولوا عن شكره وقرا نافع وابن عامر بحذف
ضمير الفصل وعليه رسم مصحف المدينة والشام والاثبات آكد وعليه بقية الرسوم
ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي الملائكة الى الانبياء بالمعجزات لا الانبياء الى الناس لقوله
وانزلنا معهم الكتاب والميزان قانون الشرع يشمل الميزان الذي به يعامل الناس وكل
ما يعرف به الاوصاف من امور المعاش والمعاد ولذلك علله بقوله ليقوم الناس
بالقسط بالعدل وانزلنا الحديد فيه بأس شديد يتخذ منه آلة الجهاد و
القتل وفيه اشارة الى ان امر الشرع لا يستقل بدون السيف والسنان الظلم من
شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم وعنه صلى الله عليه وسلم رزقي تحت ظل
رمحي ومنافع للناس اذ لا صنعة الا وللحديد فيه مدخل وليعلم الله من ينصره
ورسله عطف على محذوف دل عليه السياق اي لينفعهم وليعلم الله وفي الحذف اشارة
الى ان الثاني هو المطلوب بالذات بالغيب حال من المستكن في ينصره اي غايبا
عنه عن ابن عباس رضي الله عنه ينصرونه ولا يبصرونه ان الله قوي ذو قدرة بالغة
عزيز غالب على كل شيء وانما انزل الحديد وامر بالقتال ليبلوا بذلك القربة عنده
والزلفى ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب اي الوحي
المتلو اشار الى ان قانون الشرع والامر بالقسط بين الناس قديم من لدن نوح الى
محمد عليهما السلام واقتصر على نوح لانه البشر ثانيا ليس في الدنيا الا ذريته فمنهم
مهتد وكثير منهم فاسقون غير الاسلوب للدلالة على ان الغلبة لاهل الضلال ثم قفينا
على آثارهم برسلنا اي آثار نوح وابراهيم والجمع للتعظيم او هما ومن عاصرهما
من الرسل او من ارسلا اليه وقفينا بعيسى ابن مريم اي انتهى ارسال الرسل
اليه وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية مصدر
رهب وهو شدة الخوف والمراد تعبدهم في الجبال والمغاير والكهوف وذلك ان بني
اسرائيل بعد صعود عيسى افترقوا اثنين وسبعين فرقة ثلث فرق على الحق والباقون على
الضلال فدعوا الملوك والجبابرة الى دين عيسى وقاتلوهم حتى لم يبق منهم الا قليل فلم تقد
روا على المقاومة فتفرقوا في الجبال ابتدعوها اخترعوها من عند انفسهم ما كتبناها
عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي لكن
ابتدعوها طلبا لمرضاة الله فما رعوها حق رعايتها ما قاموا بها حق القيام وفيه
اشارة الى ان التعمق في العبادة فوق ما سنه الله ورسوله مذموم وقد روى البخاري عنه
صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فان بني اسرائيل شددوا
على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع رهبانية ابتدعوها وانتصابها
بمضمر مفسر وجعلها من المجعولات عدول عن الظاهر مخالف للاحاديث فآتينا الذين
آمنوا منهم اجرهم الذين وفوا بها ندوا وكثير منهم فاسقون لم يحافظوا

رد على [illegible] منه

على ما عاهد والله عليه يا ايها الذين امنوا احدثوا الايمان اتقوا الله في اوامره
ونواهيه وامنوا برسوله محمد عليه السلام عن ابن عباس والضحاك رضي الله عنه انها
نزلت في مومني اهل الكتاب ويدل عليه قوله يؤتكم كفلين من رحمته وذلك لما رواه
البخاري ومسلم رحمهما الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلثة يؤتون اجرهم
مرتين رجل امن بنبيه وامن بمحمد وعبد مملوك ادى حق الله وحق مواليه ورجل له امة
فادبها ثم اعتقها فتزوجها والكفل الحظ الوافر والنصيب الكامل كانه يتكفل بالكفاية
ويجعل لكم نورا تمشون به على الصراط يسعى بين ايديكم وبايمانكم او نورا ينقذكم به
عن ظلمات الجهل ويغفر لكم ماسلف لكم والله غفور رحيم عن سعيد بن جبير رضي الله
عنهما افتخر مومنوا اهل الكتاب بان لهم الاجر مرتين فانزل الله تعالى لمومني هذه الامة
وزادهم النور والمغفرة ويويده ما رواه البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال مثلكم ومثل اهل الكتابين مثل رجل استاجر قوما ما فعلوا له الى الظهر واستاجر
اخرين فعلوا الى العصر ثم استاجر قوما فاكلوا بقية اليوم فاعطاهم مثل اجر الفريقين
فغضبوا وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال هل نقصتكم مما شرطت لكم قالوا لا قال
فذلك فضلي اوتيه من اشاء وما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل
جعفرا يدعو النجاشي الى الايمان فامن به وارسل سبعين رجلا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجاؤا ورسول الله قد تهيأ لوقعة احد كلام لا اصل له وجعفر
انما قدم مع من هاجر الى الحبشة ورسول الله في محاصرة خيبر بعد احد بثلث سنين رواه
البخاري مكررا في مواضع لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله
لا مزيدة والمعنى على الاول انما وعدنا من امن من اهل الكتاب كفلين من رحمتنا ليعلم
الذين لم يومنوا منهم ان ايمانهم السابق لا يورثهم شيئا من فضل الله قط وعلى
الثاني اثبتوا ايها المومنون على ايمانكم واتقوا الله يؤتكم ما وعد من امن من اهل الكتاب من
الاجر مرتين ويزيدكم النور والمغفرة وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقيل
لا غير مزيدة والمعنى انما فعلنا كذا وكذا لئلا يعتقد اهل الكتاب ان رسول الله و
المومنين لا يقدرون على حصر فضل الله فيمن امن بمحمد وقوله والله ذو الفضل
العظيم عطف على لا يعلم ولا يخفى بعده تمت سورة الحديد ونحمد الله على العدو
نسئله من فضله المزيد والصلوة على الماجد الفريد واله وصحبه الذين فلقوا بالحديد
هام كل جبار عنيد سورة المجادلة مدنية وهي اثنتان وعشرون ايات
بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله
عن عايشة رضي الله عنها تبارك الذي وسع سمعه كل شيء لقد جاءت المجادلة خولة
بنت ثعلبة زوجة اوس بن صامت الانصاري الى رسول الله تشكو زوجها وانا في ناحية
البيت يخفى علي بعض كلامها وكان اوس ولاج الخوالف وكان به حدة فدعاها الى الفراش
فابت فظاهر عنها فاستفتت رسول الله فقال حرمت عليه فقالت ان لي منه صبية ان
ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال قد حرمت فقالت اشكو الى الله فاقتي فنزلت
وروي انها استوقفت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما زمانا طويلا فدنا منها واصغى
اليها فقال رجل يا امير المومنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز قال ويحك
هذه خولة التي سمع الله تعالى شكواها من فوق سبع سموات لو لم تنصرف لوقفت معها الى
الليل وفي قد دلالة على ان رسول الله والمجادلة كانا يتوقعان ان الله تعالى سينزل
في شانها ما يفرج كربتها والله يسمع تحاوركما تراجعكما في الكلام ان الله
سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظاهرون منكم من نسائهم الظهار

الظهار كان طلاقا في الجاهلية موكدا باليمين وفي اقحام منكم توبيخ للعرب وتصوير لزيادة
التهجين لانه كان مخصوصا بهم وقرا حمزة والكسائي بفتح والهاء والتشديد من اظاهر
وعاصم بضم الياء وكسر الهاء والتخفيف من ظاهر ما هن امهاتهم حقيقة بكسر التاء
قراءة السبعة على ان ما عاملة ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم والمرضعات وازواج الرسول
ملحقات بهن احتراما قرا الكوفيون وابن عامر اللائي بالهمزة والياء وابو عمرو وابن كثير في رواية
قنبل بالياء ساكنة ونافع في رواية ورش كالياء مكسورا وفي رواية قالون وابن كثير في رواية
البزي بالهمزة وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا باطلا منحرفا عن الصواب
اذ بين الزوجات والامهات ابعد مما بين الضب والنون فان قلت الظهار كالطلاق فكيف
يوصف بالزور الذي هو من خواص الخبر قلت باعتبار ما تضمن من الحاقها بالام وان الله
لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا
الظهار قول الرجل لزوجته انت علي كظهر امي او كراسها او كجسدها وساير المحارم كالام
الاية الاولى في ذم المظاهر وهذه في بيان حكمه ثم العود عند الظاهرية ان يعود الى لفظ الظهار
فيكرره وعند ابي حنيفة رحمه الله باستباحة ما حرم ولو بالنظر بالشهوة وعند الشافعي
رحمه الله بان يمسكها زمانا يمكنه ان يفارقها وعند الامام احمد رحمه الله ان يعود الى الجماع او
يعزم عليه وعند مالك العزم على الوطي او الامساك فتحرير رقبة اي كفارته تحرير
رقبة قيده الشافعي رحمه الله بالمؤمنة بناء على اصله من حمل المطلق على المقيد والفاء للسببية
وفايدتها الدلالة على تكرر الكفارة بتكرر الظهار من قبل ان يتماسا يستمتع
كل من المظاهر والمظاهر بالاخر لعموم اللفظ او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل
التكفير ذلكم التكفير على هذا الوجه توعظون به تزجرون به لان المظاهر اذا علم
بوجوب الكفارة وهي اعتاق رقبة ينزجر والله بما تعملون خبير حث على الاتيان
على الوجه الاكمل فمن لم يجد ما لا يعتق به رقبة ومن ماله غايب واجد فلا يعدل عن
العتق فصيام شهرين متتابعين فان افطر يوما لغير عذر او نسي النية او مرض بطل
التتابع دون الحيض والقربان بالليل لقطعه عند ابي حنيفة ومالك دون الشافعي رحمهم الله
من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع لفرط سبق او لهرم او مرض لا يرجى زواله فاطعام
ستين مسكينا وهو نصف صاع من بر او صاع من شعير اعتبارا بالفطرة وعند الشا
فعي رحمه الله مد بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث وكل خمسة ارطال
وثلث ستماية درهم وثلثة وتسعون درهما وثلث درهم والدليل للشافعي حديث الاعرابي
الذي جامع في رمضان وانما لم يعد التماس لتقدمه مكررا او لجوازه في خلال الاطعام كما
قال ابو حنيفة رحمه الله واجراه بعضهم على الظاهر ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله
اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله فيما شرعا من الاحكام وتتركوا ما كنتم عليه
في الجاهلية وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة فلا تتجاوزوها وللكافرين
الذين لم يصدقوا عذاب اليم جزاء لكفرهم ان الذين يحادون الله
ورسوله يشاقونهما من الحد لان كلا من المتعاديين في حد او يقابلونهما في شرع الحدود
وخلاف ما شرعا كبتوا كما كبت الذين من قبلهم اخزوا واهلكوا امثالهم قبل
الضمير في كبتوا لبني قريظة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلهم وسبى ذراريهم بعد
الخندق ومن قبلهم المشركون يوم بدر وقد انزلنا ايات بينات واصحاب
لا لبس بها وللكافرين بتلك الايات عذاب مهين لاستكبارهم عن الايمان بها
يوم يبعثهم الله جميعا ظرف لمهين لان الخزي في الجمع الكثير اشق او منصوب باذكر
فينبئهم بما عملوا من التكذيب وساير المعاصي على رؤس الاشهاد تكميلا للخزي

والاهانة ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم احصاه الله علما مفصلا ونسوه
لتهاونهم والله على كل شيء شهيد كلما يطلق عليه اسم الشيء من الذوات شهيد حاضر
يعلم عيانا ثم اقام البرهان عليه بقوله الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما
في الارض من الاجزاء والجزئيات والخطاب عام ما يكون من نجوى ثلثة اسم
من النجو وهو القطع لان السر منقطع عن الغير او من النجوة وهي الارتفاع لعدم وصول العين
اليه والمعنى ما يكون شيء من نجوى ثلثة نفر على ان نجوى مضاف الى الثلثة او موصوف بها اي
من اهل نجوى فحذف الاهل وجعلوا نفس النجوى مبالغة الا هو رابعهم في العلم ولا خمسة
الا هو سادسهم كذلك وتخصيص العددين اما بالنظر الى الواقع وهو ما روي انها
نزلت في حبيب وربيعة بني عمرو وصفوان بن امية كانوا يتناجون باحوال المؤمنين وذكر معه
الخمسة لتناسب الوترين او لان النجوى انما يكون من ذوي الاحلام والنهى وهم قليلون
في الاغلب لا يعدون عشرة فذكر الوترين لان الله وتر يحب الوتر ثم اشار الى الطرفين بقوله
ولا ادنى من ذلك ولا اكثر على انه لو ذكر الاربعة لم يتبادر الى الاوفق الاثنين
الا على التوسع الا هو معهم اينما كانوا اذ علمه بالاشياء لا يتفاوت والقرب
والبعد منه محالان ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة اي يجازيهم عليه او توبيخهم به
تفضيحا ان الله بكل شيء عليم الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه
تعجيب للسامع لو قاحتهم عن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في المنافقين وعن مجاهد
في اليهود كانوا اذا راوا المؤمنين سار بعضهم بعضا وغمزوهم فشكوا ذلك الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنهاهم فلم ينتهوا ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول
بالكذب والظلم ومخالفة الرسول بيان وكشف عن حال نجواهم بما يؤكد وقتهم اذ لو كان
تناجيهم بما فيه خير كان امر الرسول موجبا للانتهاء والامتثال وقرا حمزة ينتجون مقصورا
عن القراءة كلاهما بمعنى واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك و
السام هو الموت ويقول الله وسلام على عباده الذين اصطفى روى البخاري انه نهوا
مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعايشة رضي الله عنها عنده فقال السام فقالت
عايشة وعليكم السام واللعن فقال رسول الله لا يكون فحاشة قالت الم تسمع ما قال
قال اولم تسمعي ما قلت قلت وعليك فيستجاب لي ولا يستجاب له ويقولون في انفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول ان كان نبيا كما يزعم حسبهم جهنم كافيهم في العذاب
يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم والفاء للسببية مبالغ في استحقاقهم
وليس في القرآن غيره يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصيت الرسول صرح بما علم ضمنا ليرتب عليه قوله وتناجوا بالبر والتقوى
بما فيه الثواب والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله الذي اليه تحشرون
في مجامع اموركم انما النجوى من الشيطان اي نجوى المنافقين ليحزن الذين
امنوا الشيطان او النجوى وقراء نافع يحزن بضم الياء على انهما لغتان وقال الخليل احزنه
ادخل فيه الحزن فهو ابلغ وليس بضارهم شيئا الا باذن الله فعلى المؤمن اذا راى
شيئا من ذلك ان لا يحزن وعلى الله فليتوكل المؤمنون لعلمهم بان لا ضار ولا نافع
غيره يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس توسعوا وتباعدوا عن ابن عباس
رضي الله عنه نزلت في مواضع الحرب كانوا يتشاحون فيها وعن مقاتل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الصفة يوم الجمعة فجاء البدريون والصفة غاصة بالناس فلم يجدوا
موضع الجلوس فوقفوا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرا حتى جلس البدريون
فنزلت روى البخاري ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقم احدكم اخاه ثم

عدل عن عبارة القاضي الكاتب
اذ لا وجود لها فلا يقتضي
طرفا سلم اته
منه

ثم يجلس مكانه ولكن تفسحوا وقرا غير عاصم المجلس مفردا وعليه الرسم فافسحوا
يفسح الله لكم المجلس قيل لم يضق المكان قط عمن جاء بعد التفسح او في اموركم كلها
بركة الامتثال واذا قيل انشزوا فانشزوا عن الحسن انهضوا الى الحرب وعن قتادة
الى كل معروف وعن ابي زيد ارتفعوا عن مجلسه وقرا نافع وابن عامر وحفص بضم الشين
وابو بكر بخلاف عنه وهما لغتان والكسر اخف يرفع الله الذين امنوا منكم جزم على
الجواب اي امتثلوا امر الله يرفع الله لهم المنزلة لاجل تواضعهم والذين اوتوا العلم
خاصة درجات للجمع بين العلم والعمل وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم
والله بما تعملون من الامتثال خبير فليكن ذلك عن اخلاص وصفا قلب يا ايها الذين
امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة كان يخاطبه المؤمن والمنافق ولاجلاف
البوادي والاماء والعبيد ويبرمون فيما لا طائل تحته فاراد الله اظهار كرامته فاوجب لمن اراد
ان يناجيه ان يتصدق امام نجواه بشيء فبقي الامر على ذلك عشرة ايام وقيل ساعة ثم نسخ
بالذي بعدها وعن علي بن ابي طالب لم يعمل بها غيري كان معي دينار فصرفته وكنت اذا ناجيت
تصدقت قبله بدرهم وعن ابن عمر كانت في علي ثلث لو كانت في واحدة كانت احب الي من جميع
النعم مصاهرة رسول الله بفاطمة والنجوى والراية يوم خيبر ذلك خير لكم اي التصدق
من الامساك واطهر فان الصدقة طهرة الذنوب لا سيما في مناجاة رسول الله فان لم
تجدوا فان الله غفور رحيم اباح المناجاة من غير تقديم صدقة ءاشفقتم ان
تقدموا بين يدي نجويكم صدقات اي اخفتم مما امرتم به من الصدقة بين يدي
النجوى والجمع باعتبار كثرة المخاطبين والهمزة للتقرير ولم يرد نص على اظهارهم الخوف ولكن الله
اخبر عما حدثت به انفسهم فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ترك الصدقة
امام النجوى الجمهور على ان هذا ناسخ لوجوب الصدقة وقيل نسخت بوجوب الزكوة فاقيموا
الصلوة واتوا الزكوة مسبب عما قبله كانه قال لا تقصروا في ادائهما كما قصرتم في الصدقة
وفيه نوع تعيير لهم واطيعوا الله ورسوله في ساير الامور وان كانت شاقة عليكم و
الله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا فيجازيكم على حسب ذلك الم تر الى الذين تولوا
قوما غضب الله عليهم تعجيب من حال المنافقين يتولون اليهود الذين غضب الله عليهم
ما هم منكم ولا منهم اي المنافقون ليسوا من المسلمين ولا من اليهود ويحلفون
على الكذب الذي هو ادعاء الاسلام وهم يعلمون انهم كاذبون فيتعمدون الكذب
وهي اليمين الغموس اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا منه متفاقما انهم ساء ما
كانوا يعملون في الازمنة المتطاولة او هو حكاية ما يقال لهم يوم القيمة اتخذوا
ايمانهم جنة يستترون بها ويدفعون اطلاع المؤمنين على حالهم فصدوا عن
سبيل الله الذين يريدون الاسلام يوهنون امر الاسلام وانه لا بقاء له عن ابن عباس
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من اصحابه رضي الله عنهم
في ظل حجرة من حجره فقال سياتيكم الان رجل ينظر بعين شيطان فدخل عليه عبد الله بن
نبتل فقال له رسول الله على ما تشتمني انت واصحابك فجاء باصحابه فحلفوا انهم لم يفعلوا
فنزلت فلهم عذاب مهين لكفرهم وصدهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الاخرة
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من عذاب الله او شيئا من
الاغناء وذلك انهم كانوا يقولون لنا الاموال والاولاد ان كان لقول محمد اصل
نفتدي بها يوم القيمة اولئك اصحاب النار الملازمون لها هم فيها خالدون
ايا يوم يبعثهم الله جميعا مجتمعين فيحلفون انهم مؤمنون حقا كما يحلفو
ن لكم في الدنيا ويحسبون انهم على شيء ان تلك الايمان تروج عنهم

كما اجترؤا فى الدنيا جاهلين بعلم علام الغيوب الا انهم هم الكاذبون
الغالون فى الكذب كان من عداهم ليس بكاذب استحوذ عليهم الشيطان استولى
على قلوبهم بيان لذلك الكذب المفرط فانساهم ذكر الله فلا يتأملون فى صفاته
ليتميز لهم ما لا يليق بكبريائه اولئك حزب الشيطان جنده الا ان حزب
الشيطان هم الخاسرون الكاملون فى الخسران اعاده ليفصل احوالهم المجملة فى
كبتوا ويقرن بها احوال اضدادهم المؤمنين حزب الرحمن اولئك فى الاذلين
فى زمرة هم اذل خلق الله كتب الله فى اللوح لاغلبن انا ورسلى بالسيف
والبرهان وذكر الله لبيان ان الرسل عنده بمكان كانه معهم فى المناظرة والمحاربة ان
الله قوى ذو قدرة كاملة عزيز غالب قاهر لا تجد قوما يؤمنون بالله
واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله لا تجتمع بين الضدين قال تود عدوى
ثم تزعم اننى صديقك ليس النوك عنك بعازب والمعنى لا ينبغى الوجدان وانما عبر عنه
مبالغة فان الواقع عدم الانبغاء لا الوجدان فصور بصورته ابرازا لما يسمع ممتنعا ولو كانوا
اباءهم او اخوانهم او عشيرتهم كما فعل ابو عبيدة بن الجراح قتل اباه يوم بدر
وكان اباه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يليق به فضرب عنقه وابو بكر دعا ابنه
على البراز يوم بدر ومصعب بن عمير قتل اخاه يوم بدر ولما استشار رسول الله صلى الله عليه
وسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الاسرى قال هؤلاء رؤس الكفار مكنى من فلان لقريب له
ومكن عليا من عقيل وفلانا من فلان ليعلم المشركون ان لا هوادة فى قلوبنا اولئك كتب
فى قلوبهم الايمان الزمه فيها الزام المكتوب فى الرق وايدهم بروح منه بقوة من
عنده حتى اجترؤا على قتل اعزتهم او بنور الايمان فانه حيوة للقلوب ومن كان ميتا فاحييناه
وفيه دليل على ان الايمان فعل القلب ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها رضى الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بما حباهم به اولئك حزب الله
جنده الا ان حزب الله هم المفلحون اولئك هم الفائزون فى الدارين بالغلبة فى الدنيا
والجنة فى العقبى تمت المجادلة والحمد لمن الاؤه شاملة والصلوة على سيد الزمرة الكاملة وآله
وصحبه دائمة متواصلة

سورة الحشر مدنية وهى اربع وعشرون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات وما فى الارض
وهو العزيز الحكيم سبق الكلام عليه هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
من ديارهم لا انتم والمراد بنو النضير وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاء الى
المدينة ودعاهم الى الايمان وابوا عاهدهم ان لا يكونوا لا له ولا عليه حتى قتل عمرو بن امية
رجلين من بنى عامر خطأ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بنى النضير يستعين بهم
فى دية الرجلين وكان بنو عامر حلفاء بنى النضير فقالوا نفعل ذلك يا ابا القاسم واجلسوه
فى ظل جدار واخذوا فى المشاورة وقالوا ما نرى فرصة احسن من هذه فانتدب عمرو بن
جحاش لقتله بان يصعد ويلقى عليه صخرة فاتاه خبر السماء بكيدهم فكر راجعا وكان معه
ابو بكر وعلى وعمر رضى الله عنهم فتجهز لقتالهم وسار اليهم وكانت لهم حصون منيعة
فتحصنوا بها على ما يفصل بعد كان بعد احد وقيل بعد بدر بستة اشهر لاول الحشر
اللام للتوقيت مثل قدمت لحيوتى ومعنى اولية الحشر انهم لم يكن اصابهم جلاء واول حشرهم
من الشام الى ارض العرب كان باختيار منهم او انهم اول من اخرج من جزيرة العرب او ان
هذا اول حشر اهل الكتاب والثانى اجلاء عمر اهل خيبر وآخر حشرهم يوم القيمة حاصرهم
ستة ايام ثم اتفقوا على ان لهم ما حملت الابل فاجلاهم الى الشام ولحق بعضهم بخيبر واسلم
منهم رجلان يامين بن عمرو وابو سعيد بن وهب واستدلال عكرمة بالآية على ان ارض

والفعل من الشؤم التى جادت على الاصل كما استحوذ سلمه الله منه

على ان ارض الشام هى المحشر غير تام ما ظننتم ان يخرجوا ايها المؤمنون لكثرة عددهم وعددهم
وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله كان الظاهر وظنوا ان لا يخرجوا فالعدول
الى المنزل لما فى تقديم الخبر ثم اسناد الجملة الى الضمير من الدلالة على ان ظنهم قارب اليقين لا كظن
المؤمنين فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اى بأسه ولم يكن ذلك فى حسابهم لاعتمادهم
على شدة بأسهم وحصانة حصونهم وقذف فى قلوبهم الرعب الخوف الذى يملأ
الصدر واكده بلفظ القذف الدال على القوة يخربون بيوتهم بايديهم عن قتادة
كانوا يخربونها ليصلحوا به ما انهدم من السور وكانوا يفعلون ذلك لئلا تبقى للمسلمين جنة
وايدى المؤمنين لانهم تسببوا لذلك فاعتبروا يا اولى الابصار ولا تخالفوا
امر الله ورسوله ولا تعتمدوا على قواكم واتكلوا على الله فى اموركم وفيه دليل على جواز القياس
فيما لا نص فيه بشرائطه المعلومة فى موضعه وقرأ ابو عمرو بالتشديد وهو ابلغ لدلالته على
التكثير ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الذى هو اشق لعذبهم فى الدنيا بالقتل
وسبى الذرارى كما فعل ببنى قريظة ولهم فى الآخرة عذاب النار الذى القتل والجلاء
عنده اهون شىء ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله اى ذلك الغضب الذى اورثهم
عذاب الدارين لاجل انهم عادوا رسول الله وكذبوه وذكر الله تعالى للدلالة على ان
مشاقة رسوله مشاقته ولذلك اكتفى به فى قوله ومن يشاق الله فان الله شديد
العقاب وفيه تهديد لغيرهم ما قطعتم من لينة هى النخلة ما عدا العجوة والبرنية
اللون سميت به لاشتمالها على الالوان قلبت الواو ياء للكسرة والجمع لين او تركتموها قائمة
على اصولها فباذن الله لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطعها وتحريقها
وقع فى قلوب المؤمنين وسوسة وقيل ارسلت قريظة يقول يا محمد كنت تنهى عن الفساد فنزلت
وفيه يقول حسان بن ثابت وهان على سراة بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير وانما بقوا العجوة
والبرنية لانهما احسن وليخزى الفاسقين اليهود اذا شاهدوا ذلك والمعلل محذوف
اى اذن لكم وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب لقرب حصونهم ولم يقع
منهم قتال والايجاف الاسراع والركاب الابل التى يسار بها لا واحد لها من لفظها ولكن الله
يسلط رسله على من يشاء بالقاء الرعب فى قلوب عدوهم نزلت حين طلبوا منه قسمة
اموالهم كما قسم اموال المشركين ببدر والله على كل شىء قدير ينصر بالملائكة وبدونها
ما افاء الله على رسوله من اهل القرى لم يدخل العاطف لانه بيان للاول شامل
لما لبنى النضير ولساير اموال الفىء الى يوم القيمة فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل هذه مصارف مال الفىء وهى مصارف خمس الغنيمة فلما قطع عنه
اطماع انظار اهل العدو امر ان يضعها هذه المواضع فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ
من ذلك قوت سنة واهله ثم يصرف الباقى فى هذه المصارف وكذلك فعلت الخلفاء مع امهات
المؤمنين وذكر الله للتعظيم وقيل تصرف سهمه فى عمارة الكعبة شرفها الله ولساير المساجد وذهب
الشافعى الى ان المصروف فى هذه المصارف فى زمانه كان اربعة اخماس الخمس واما الاخماس
الاربعة مضافا اليه خمس الخمس كانت خالصة رسول الله يأخذ منه نفقة اهله ويصرف الباقى
الى الكراع والسلاح وهى الآن تصرف الى المرتزقة واستدل بحديث رواه البخارى عن عمر
بن الخطاب كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم اى انما بينا مصارف الفىء كيلا يكون جدا
وحظا بين الاغنياء يتكاثرون به والدولة ما يدول مع الانسان من الحظ اى يدور فعلة
بمعنى الفاعل او كيلا يكون دولة جاهلية وكان اهل الشوكة يختصون بها ويقولون من عزبز
او بمعنى المفعول اى يتداولونه ويتعاورونه كالغرفة لما يغرف وقرأ هشام فى احد الوجهين
بالتاء تأنيث الفعل ونصب دولة على ان كان ناقصة وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم

عنه فانتهوا لا تخالفوه في شيء ولا تتوهوا في افعاله واقواله غير الحق واتقوا الله بطاعة رسوله
ان الله شديد العقاب حقيق بان يتقى للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى
باعادة الجار لامن الرسول وما عطف عليه لخروجه عنهم بقوله وينصرون الله ورسوله ولكونه
اجل من ان يطلق عليه اسم الفقير ولان المبدل منه في حكم التسقوط وذلك يخل بتعظيم الله لان الاسم
الاعظم وان كان مذكورا توطئة وتمهيدا الا انه لا يليق ان يقال انه في حكم التسقوط الا يرى انه لا يقال
لاعلاقة لكان لنا الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم استولى عليها المشركون
يبتغون فضلا من الله الجنة ورضوانا ورضاه حال مقيدة وينصرون
الله ورسوله دينهما اولئك هم الصادقون في دعوى الايمان لتنور دعويهم بالبرهان
والذين تبوءوا الدار والايمان هم الانصار عطف على المهاجرين اي دار الهجرة ودار
الايمان فاللام في الاول بغني عن الاضافة وحذف المضاف من الثاني او اخلصوا الايمان كقوله
علفتها تبنا وماء باردا او جعل الايمان مستقرا ومتوطنا على انه استعارة مكنية وهذا ابلغ الوجوه
واطلاق الدار حينئذ للتنوية كانها الدار التي يحق لها ان تسمى دارا من قبلهم من قبل هجرة
المهاجرين وقيل سبقوا المهاجرين بالتبوء والايمان ولا يضر اذ سبق الانصار بالايمان على
كل من هاجر غير مسلم ولا يستقيم الا بتقدير الاضافة يحبون من هاجر اليهم ولا يعدونه
كلا قال سعيد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخا بينهما
كما آخا بين المهاجرين والانصار اشاطرك مالي وانظر اي زوجتي اعجبتك اطلقها فتزوجها
ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا مما اعطي المهاجرون وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يعط من مال بني النضير الانصار شيئا الا ابا دجانة وسهل بن حنيف
والحارث بن الصمة وقد بالغ في مدحهم حيث نكر الحاجة وذكر الصدر والوجدان اي لم يخطر ببا
لهم ما يبتغي حاجة فضلا عن توجه النفس الى طلبها ولذا اوثر الوجدان دون العلم ويؤ
ثرون على انفسهم اي يختارون المحتاج على انفسهم بما لهم فكيف يطمح احدهم الى شيء ليس
لهم ولو كان بهم خصاصة فقر وحاجة من خصاص الاثا في الفرج بين الحجار وروى
البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اصابه
الجهد فارسل الى نسائه فلم يجد شيئا فقال الا رجل يضيف هذا فقام رجل من الانصار فقال
انا يا رسول الله فذهب به فقالت امرأته ما اجد الا قوت الصبية قال نومي الصبية وقدمي الطعام
ثم قومي كانك تصلحين السراج فاطفئيه ليأكل وحده ونحن نرانا نأكل معه فانه ضيف رسول الله
ففعلت فلما اصبح جاء الى رسول الله فقال لقد عجب الله منك فنزلت ومن يوق شح
نفسه الشح البخل مع الحرص واضافه الى النفس لانه غريزة فيها اي ومن يحفظ عن هذه الرذيلة
فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء من الله عاجلا والثواب آجلا والانصاف داخلون
اول دخول والذين جاءوا من بعدهم اي من بعد الفريقين وهم الذين اتبعوهم باحسان الى
يوم الدين وقيل الذين هاجروا بعد السابقين الاولين وفيه انه لا يستوعب مستحق الفيء و
يرده قوله يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
لان الاخوة بالهجرة يجوز ان يكون اسبق ايمانا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا
غشا وحقدا من الغل وهو الماء بين الاشجار وعن مالك ان ساب السلف لا يستحق من
الفيء شيئا لعدم اتصافه بما في الآية ربنا انك رؤوف رحيم حقيق باجابة دعائنا
الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب ابن ابي واصحابه
فقيل ومن تبعه وسموا الى اهل الكتاب بما اخبر الله به رسوله والمراد بالاخوة توادهم و
اتفاقهم في الكفر فلا ينافيه قوله ما هم منكم ولا منهم لئن اخرجتم من دياركم
لنخرجن معكم اذ لا عيش لنا بدونكم ولا نطيع فيكم في قتالكم احدا ابدا يحمدا

يحمدا وغيره وان قوتلتم لننصرنكم لا محالة والله يشهد انهم لكاذبون في كل
ما قالوه ثم رد مقالتهم مفصلا بقوله لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا
لا ينصرونهم ولئن نصروهم فرضا وتقديرا ليولن الادبار انهزاما
ثم لا ينصرون اي المنافقون بل يخذلون لظهور نفاقهم وقيل الضمير لليهود وليس
بوجه لان سوق الكلام لذم المنافقين لانتم اشد رهبة في صدورهم من الله
اي مرهوبية والمعنى يخافونكم في السر اكثر من خوفهم من الله او من اظهارهم الخوف من الله لكم
اذ لم يكن لهم خوف من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون عظمة الله ليعلموا انه الحقيق
بان يخاف لا يقاتلونكم جميعا المنافقون واليهود الا في قرى محصنة لضعف
قلوبهم واستيلاء الجبن عليها او من وراء جدر جمع جدار لحصرهم بمحاربيه وقرأ ابن كثير
وابو عمرو جدار مفرد القصد الجنس او ارادة السور الجامع والجمع اظهر واوفق بالقرى بأسهم
بينهم شديد انا تقاتلوا واما اذا حاربوا صاف تحسبهم
جميعا ذوي الف واتحاد ظاهرا وقلوبهم شتى جمع شتيت متفرقة هولاء عبدة الاصنام
واولئك اهل الكتاب ذلك بانهم قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب والارا مما يورث الفشل والوهن كمثل الذين
من قبلهم اي مثل اليهود في محاربة رسول الله كمثل المشركين يوم بدر وعن ابن عباس بنوا
قينقاع اجلاهم رسول الله قبل هولاء قريبا اي في زمان قريب وانتصابه على الحال
اي وجد مثل هولاء مثل وجود مثل اولئك قريبا لم ينطمس بعد اثره فكان لهم عبرة فيهم
ذاقوا وبال امرهم بيان للمشبه به بتقريره وفيه زيادة تجهيل لليهود الوبال سوء
العاقبة من قوله مرعى وبيل اي وخيم ولهم عذاب اليم في الآخرة كمثل الشيطان
اي مثل حال اليهود بحال اهل بدر ومثل المنافقين بحال الشيطان يوم بدر جاءهم في صورة سراقة
بن مالك وقال للمشركين اني جار لكم فلما تراءت الجمعان نكص على عقبيه هاربا وقال اني بريء منكم
اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين والمراد
بالانسان الجنس او كفار قريش وقيل راهب حمله على الفجور بامرأة وله قصة يرويها القصاص
فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها نصب على الحال والظرف خبر
كان وفيها تأكيد وذلك جزاء الظالمين كلكامل في الظلم وهم الكفار يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد يوم القيمة سماه غدا لقربه
او لان اليوم يومان وتنكيره لاستقلال الانفس النواظر كانه قال ولتنظر نفس واحدة او للتعظيم
وهي النفس المطمئنة كانه قال ولتنظر النفس التي لها قدر وا ما جعله من قبيل علمت نفس بانا ما لمقام
لان سوق الكلام لبيان استيلاء الغفلة والفسوق على الانسان وتنكير الغد للتعظيم اي غد
اي غد واتقوا الله اعاده لان الاول فيما قدم من الاعمال وهذا جار مجرى الوعيد ولذا
عقبه بقوله ان الله خبير بما تعملون وفي تحتهما مطلقين من الخاتمة ما لا يخفى ولا تكونوا
كالذين نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم حيث لم يرشدهم الى الطريق
المهدى او اراهم يوم القيمة ما نسوا انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسق
لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة كان الناس لاستيلاء الغفلة عليهم لم يفرقوا
بين الفريقين فاحتاجوا الى الاعلام وما يستوي الاعمى والبصير واستدل الشافعي بالآية
على ان المسلم لا يقتل بالذمي وذلك لانه لما نهى المؤمنين ان يكونوا كالذين نسوا الله اشار الى
عدم مساواة الحزبين في احكام الدارين وان كان الملحوظ بالقصد الاول احكام الآخرة و
لذلك عقب بقوله اصحاب الجنة هم الفائزون بما لم يخطر على قلب بشر لو انزلنا هذا
القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتصوير لزجر
القرآن وما فيه من الوعيد والآيات الدالة على شدة سخطه على من كفران لو كان في الجبل فهم

وعلمت نفس ما [illegible]

وكان هو المكلف والمخاطب لتكبر وتفرقت اجزاؤه من الخوف وتلك الامثال هذا المثل
ونظايره نضربها للناس لعلهم يتفكرون وفيه من الدلالة على قسوة قلبه وعدم تدبره
ما لا يخفى هو الذي لا اله الا هو لما اثنى على القرآن واعلى شانه بما لا مزيد عليه
اقام البرهان على ذلك بانه كلام من هذه اوصافه ونعوته عالم الغيب والشهادة
ما غاب عن الضمير وما شاهده او الموجود والمعدوم او الدنيا والآخرة او السر والعلن هو
الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلطان المنزه عن وصمة النقص والزوال
والاختلال لملكه كساير الملوك السلام ذو السلامة عن الآفات كانه عينها المؤمن
الجاعل غيره آمنا المهيمن الرقيب الحافظ من الامن الا انه ابلغ منه وهاؤه منقلبة من الهمزة
وقيل من الامانة لان الامين هو الحافظ العزيز الغالب الجبار الذي جبر الخلق على ما اراد
او كثير الجبر للمنكسر ماكسر الاوجبر المتكبر البليغ الكبريا كلت العقول عن ادراك ذاته
سبحان الله عما يشركون ليس كمثله شئ فكيف يكون له شركا هو الله الخالق
المقدر للاشيا على وفق حكمته البارئ الموجد لها بريئة عما لا يريغ بل حاجات كما اراد
المصور المفيض للصور والاشكال على القابل له الاسماء الحسنى الدالة على
صفات الجلال ونعوت الكمال وهذه نبذة منها عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الله
تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة وقيل انما يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون
تنينا لانه لم يعرف الله بهذه الاسما ولم يؤمن بها يسبح له ما في السموات والارض
من الاجزا والجزئيات وان من شئ الا يسبح بحمده وهو العزيز الغالب الحكيم
المتقن في صنعه فذلكة للسورة ورمز الى اجلا اليهود وابرات اموالهم لرسول الله والمؤمنين
روى الامام احمد بن حنبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم ثلث مرات ثم قرا ثلث آيات من آخر الحشر وكل الله به
سبعين الف ملك يصلون عليه الى ان يمسي وان مات في يومه مات شهيدا تمت سورة
الحشر والحمد للرؤف البر والصلوة على المؤيد بالعز والنصر وآله وصحبه الى آخر الدهر

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة آيات بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء كان رسول الله صلى الله عليه و
سلم هادن قريشا سنة الحديبية ثم نقضوا العهد فاراد ان نغزوهم وكان وقت الفتح الموعود
فقال اللهم اعم عن المشركين شاننا مكتب حاطب ابي بلتعة وهو رجل من المهاجرين ولم
يكن من قريش بل كان حليفا لعثمان رضي الله عنه وكان قد تخلف عنه اهله وماله كتابا
الى اهل مكة يخبرهم بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصدهم واعطاه لعجوز من
مجزينة وقيل لسارة مولاة ابي المطلب فلما توجهت اخبر جبرئيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم بشانها فارسل عليا والزبير وابا مرثد والمقداد بن الاسود وقال ائتوا روضة
خاخ فان بها ضعينة معها كتاب فخذوه منها قال علي رضي الله عنه فذهبنا نعادى بنا خيلنا فادركنا
ها فقالت ليس معي كتاب فقلت ما كذب رسول الله لتخرجن الكتاب او لاجردنك فلم يجته من حجرتها
وكانت نخرة بكسا وفي رواية لخرجته عقاصها فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب حاطبا وقال
ما هذا الكتاب قال يا رسول الله لا تعجل والله منذ اسلمت ما ازددت الا ايمانا ولكن كان من هاجر من
اصحابك لهم قرابات يحمون بها اهليهم وكنت لصيقا فيهم فاردت اذ فاتني ذلك ان اصطنع يدا عند
هم يحمون بها قرابتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صدقكم فلما تقولوا له الا خيرا فقال عمر يا
رسول الله منافق دعني اضرب عنقه فقال يا عمر وما يدريك ان الله قد اطلع على اهل بدر وقال اعملوا
ولا حرج قد غفرت لكم ففاضت عينا عمر فنزلت والعدو فعول من عداه جاوزه ولكونه على زنة المصدر
كالقبول يطلق على الجمع وفي تقديم اشارة الى انه المهم وان فرض انه لم يكن عدوا لهم تلقون اليهم

بالمودة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة اولياء جرت على غير من هي له من دون الابراز لكو
نها فعلا او استينافا والبا مزيدة للتوكيد كما في ولا تلقوا بايديكم او للسببية والمفعول محذوف اي
اخبار رسول الله بسبب المودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل يلقون ان
جعل مستانفا والاجاز ان يكون منه او من فاعل لا تتخذوا يخرجون الرسول واياكم ان
تؤمنوا بالله ربكم استينافا جاريا مجرى التفسير كانه قيل كيف كفروا فقيل كفروا اشد الكفر لاخراجهم
الرسول والمؤمنين لايمانهم بالله مولاهم خاصة لا لغرض آخر وهذا استينافية من جعله حالا من
فاعل كفروا ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي حذف جواب الشرط لدلالة ما قبله
عليه تسرون اليهم بالمودة جواب لسؤال مقدر كانه قيل ماذا فعلوا حتى
عوتبوا ولذلك او ثران على اذا او يجوز ابدا له من تلقون والبا فيه كما في تلقون وانا
اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم منكم واطلع رسولي عليه فاي فايدة في الاسرار بعد علمكم
بهذا وايمانكم به ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل الطريق القديم ان يثقفوكم يكونوا
لكم اعداء ان يظفروا بكم يظهر لكم منهم نتيجة العداوة من الاضرار بما يمكنهم ويبسطوا
اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بالقتل والشتم جاريا مجرى تفسير العداوة وودوا لو
تكفرون يرد ونكم كفارا واتيانا بالماضي هنا وان كان الماضي والمضارع لا يتفاوتان بعد وقو
عهما جزاء الشرط للاشارة الى ان ودادتهم لكفر المؤمنين اهم لانحسام مادة العداوة وارتفاع المشا
جرة حينئذ والمراد ودادة مقارنة للقدرة على ردهم كفارا فلا يرد ان ودادتهم مستمرة فلا يفيد التقييد
بالشرط ليوثر العطف على الشرطية لا الجزا كما ثم لا ينصرون في سورة الحشر لن تنفعكم ارحامكم
قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار لاجلهم خطا هم او لا في موالاة من هو خالص
العداوة لهم ثم في من يوالون لاجله ثم بين وجه ذلك بقوله يوم القيمة يفصل بينكم يفرق
بينكم يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه فاي فايدة في موالاة اعداء الله لمن لا بقا ولا نفع في وده وقرا غير
عاصم بضم اليا وكسر الصاد الكوفيون بتشديد حمزة والكسائي وابن عامر وهو ابلغ وادفق بالمقام والله
بما تعملون بصير مشاهد له قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين
معه الاسوة اسم لما يؤتسى به كالقدوة لفظا ومعنى كسر همزته عاصم اذ قالوا لقومهم
ظرف لخبر كان وهو لكم انا برءاء منكم جمع بري كظرفا جمع ظريف ومما تعبدون من دون
الله كفرنا بكم اي بكل شئ تلتبسون به مما يدان به والكلام على المشاكلة والتهكم اذا
الكفر انما يكون بالحق وما اتى به الرسل وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى
تؤمنوا بالله وحده فحينئذ ينقلب العداوة والبغضا محبة وموالاة الا قول ابرهيم لابيه
لاستغفرن لك مستثنى من اسوة حسنة لانها عبارة عن قولهم انا برآء الى آخره وما
املك لك من الله من شئ هذا وان صح ان يكون من الاسوة لكونه كلاما حقا الا انه
جعل تابعا للاستغفار مبالغة في تحقيق الوعد كانه قال ابذل جهدي ولو ملكت غير الاستغفا
ر لفعلته ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير كلام مستانف التجا الى الله بعد اظهار
العداوة والتبرؤ عنهم وكفاية شرهم او تعليم من الله للصحابة بعد النهي عن موالاة الكفار والامر
بالاقتدا بابراهيم عليه السلام تتميما للوصية كقوله انه هو خير لكم ربنا لا تجعلنا فتنة للذين
كفروا محل فتنة بان تسلطهم علينا فيفسدوا علينا ديننا واغفر لنا ما فرط ربنا انك
انت العزيز الحكيم حقيق باجابة الدعا وتحقيق رجا المتوكلين لقد كان لكم فيهم اسوة
حسنة كرره مبالغة في الحث على الايتسا ولهذا اكده بما هو غاية في التوكيد وهو القسم
وابدل عن قوله لكم لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اشارة الى ان من توقف ليس
يؤمن بالآخرة وعقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلا يضره توليه
بل ضر نفسه عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة توكيدا للامر بالتصلب

رد على كلام [illegible]

ويهون عليهم بان ذلك عن قريب سيقلب مودة وسببا لسعادة اولئك بدخولهم في الايمان عكس ما كانوا
يودونه من كفر المؤمنين ويظهر ان حزب الله هم الغالبون ولفظ عسى على داب الملوك في المواعد التي
لا يخلفون في انجازها والله قدير على ذلك والله غفور لما فرط منهم من موالاتكم
سابقا رحيم يجمع بينكم في الايمان عن قريب لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في
الدين ولم يخرجوكم من دياركم كالنسا والضعفة ان تبروهم بدل من الذين بتقدير مضاف
اي مبرة الذين وتقسطوا اليهم تعاملوهم بالعدل بينكم من الحقوق ان الله يحب
المقسطين روى البخاري ومسلم عن اسما بنت ابي بكر انها قالت يا رسول الله اتى قدمت وهي
راغبة اما اصلها قال نعم صلي امك وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر حلة من حرير فكساها
اخا مشركا له بمكة انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم
وظاهروا على اخراجكم سعى بعضهم في الاخراج وعاون عليه البعض ان تولوهم
بدل اشتمال من الذين ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون الكاملون في الظلم اذ لا عذر له بعد
هذا البيان يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن عن ابن عباس
رضي الله عنه كان الامتحان ان تقول لا اله الا الله محمد رسول الله ثم تقول بالله ما خرجت عن بغض
زوجها ولا رغبة في ارض عن ارض بل حبا لله ورسوله وكان الذي يتولى الامتحان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الله اعلم بايمانهن منكم وانما امركم بالامتحان لاجرا الحكم وعدم اللبس
فان علمتموهن مؤمنات بالامارات اراد الظن واطلاق العلم عليه شايع وفايدة الا
معان في الامتحان فلا ترجعوهن الى الكفار لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرط
في صلح الحديبية ان من جاء مسلما يرده اليهم فجاءت نسا مؤمنات وهو باسفل الحديبية
على ما رواه الزهري فنزلت فكانت ناسخة للسنة وقيل كان ذلك منه اجتهادا او لاجتهاده
الخطا لا يقر وعن عروة والضحاك ان الشرط كان في الرجال خاصة لا هن حل لهم ولا
هم يحلون لهن اي الحل مرتفع من الجانبين لا كالكتابية مع المسلم واتوهم ما
انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وكان هذا مخصوصا بتلك الواقعة في المهاجرات
وبعد الفتح لا هجرة فانتهى الحكم بانتفا سببه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن المهاجرات
لوقوع البينونة وعدم حلهن لازواجهن اذا اتيتموهن اجورهن مهورهن
لان المهر اجر البضع وانما تعرض له لئلا يظن ان ما اعطي الازواج بدل ما انفقوا يغني عن
المهر وبه استدل ابو حنيفة رحمه الله على ان من اسلمت من الحربيات وتخلف زوجها في دار الحرب
وقعت الفرقة ولا عدة واجاب الشافعي رحمه الله بان عدم التعرض للعدة ليس تعرضا لعدمها
وعدم العدة يؤدي الى اختلاط المايين ولا تمسكوا بعصم الكوافر اللاتي تخلفن في دار
الكفر جمع عصمة وهي النكاح يقال هي في عصمة الزوج اي في نكاحه عن المسور بن مخرمة ان عمر طلق
يومئذ قريبة بنت ابي امية فتزوجها معاوية وام كلثوم بنت عمرو فتزوجها ابو جهم واسئلوا ما
انفقتم من مهور المشركات وليسئلوا ما انفقوا من مهور المهاجرات اعاده توكيدا
لئلا يتهاون به من حيث انهم مشركون ولذلك امرهم بالسؤال فانه حق من حقوقهم ذلكم
حكم الله اي ما ذكر يحكم بينكم مستانفا او حال والله عليم باحوال العباد حكيم فيما شرع
وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار راجعة عن الاسلام كان في صلح الحديبية ان
من ذهب اليهم لا يردونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءكم منا فسحقا و
لذلك نكر الشيء استهانة بالرجعة وقيل لزيادة العموم فعاقبتم جاءت عقبكم اي نوبتكم
فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا عن الزهري ان المؤمنين لما سئلوا ما انفقوا
ابى المشركون فكان الحكم ان ما كان يعطى زوج المهاجرة من المهر يعطى زوج المرتدة وعن
ابن عباس رضي الله عنه عاقبتم غنمتم امروا بان يعطوا زوج المرتدة ما انفق من الغنيمة وهو

هو الوجه واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به حامل على التقوى يا ايها النبي
اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا
من الاشيا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن كما كان الوائدات يفعلن ذلك
كانت احديهن
ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
تلتقط لقيطا وتقول لزوجها ولدته منك وما بين ايديهن وارجلهن البطن والفرج ولا
يعصينك في معروف هذا القيد مع انا امر لا يكون الا بمعروف للدلالة على ان لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق ولو فرض ان يكون انت فبايعهن على هذه الشرايط روى
البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر ثم
شق الرجال واتى النسا فقرا عليهن هذه الاية ثم قال انتن على ذلك فاجابته واحدة ثم
قال تصدقن فجعلن يلقين الخواتم والاقراط في ثوب بلال وعن ام عطية لما قال ولا يعصينك
في معروف قالت امراة ان فلانة اسعدتني تريد النياحة وانا اريد ان اجزيها فذهبت ثم عادت
فبايعت وعن عايشة رضي الله عنها والله ما مست يده يد امراة قط وانما بايعهن بهذه الاية
واستغفر لهن الله سالف ذنوبهن ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا لا تتولوا
قوما غضب الله عليهم روي ان بعض فقرا المؤمنين كانوا يوالون اليهود لعل ان يصيبوا منهم بعض
ثمار قد يئسوا من الاخرة لعنادهم نبوة محمد عليه السلام مع علمهم انه الموعود
في التورية كما يئس الكفار من اصحاب القبور من بيان اي كما يئس من مات على الكفر
من رحمة الله او كما يئس الكفار من الموتى لعدم اعتقادهم الحشر تمت سورة الامتحان ولله
المن والاحسان والصلوة على المبعوث من عدنان واله وصحبه الى انصرام الزمان سورة الصف
مدنية وهي اربع عشرة ايات بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات
وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها لم تقولون ما لا تفعلون
الاستفهام للانكار ولما صار الجار والمجرور لشدة الاتصال كشيء واحد حذف منه الالف
مثله عم وبم ويوقف عليه بالاسكان وبها السكت عن مقاتل تمنوا احب الاعمال فنزلت ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله صفا فلما ولوا يوم احد عوتبوا بهذه الاية وعن قتادة كانوا يقولون
قتلنا ضربنا ولم يكونوا فعلوا ذلك روي ان صهيبا قتل كافرا شديد النكاية في المسلمين وراه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتحل اخر قتله فقال عمر ذلك لصهيب فقال انما قتلته لله ويشمل
كل قول خالف الفعل وبه استدل مالك على ان الوعد ملزم وحمل الجمهور على امر الاخرة كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون بالغ في تعجبه لما في كبر من معنى التعجب المراد منه تعظيم
الجناية واسناده الى القول او لاثم تمييزه بالمقت وتقديمه وجعله عند الله مع كون المقت
اشد البغض ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا صافين فانه ابين في عين العدو واشد
تقوية لقلب المقاتل كانهم بنيان مرصوص محكم من الرصاص وهو لا لتك حال من المستكن في الحال
واذ قال موسى لقومه لم تؤذونني اي اذكر للمؤمنين ذلك الوقت وقد تعلمون اني
رسول الله اليكم والذنب مع العلم اشد فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم صرفها عنه
والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يوفقهم لانهم اهل الذين الذين خلقوا
للنار واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل لم يقل يا قوم تذكيرا لهم بانهم
اولاد اسرائيل الذي وصى بنيه ان لا يعبدوا الا الله لانهم ليسوا من قومه لانه لا نسب فيهم
لدخول في ذرية اسرائيل كما تقدم في الانعام اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي
من التورية ومبشرا برسول ياتي من بعدي اي انا على ما عليه ساير الرسل من تقدم
ومن تاخر هذا كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنت بدعا من الرسل وانتصاب
مصدقا ومبشرا على الحال والعامل فيه معنى الرسالة في رسول الا في اليكم لان حروف

رد على الكشاف والقاضي

الجر اذا وقعت صله ليس فيها معنى الفعل اسمه احمد قيل كذا كان مكتوبا فى الانجيل ولعل ذلك
لما فيه من الاشارة الى انه اكمل الرسل روى البخارى عن جبير بن مطعم عن ابيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان لى اسماء انا محمد وانا احمد وعن ابى اسحق انا دعوة ابراهيم وبشرى
عيسى ورؤيا امى فلما جاءهم بالبينات كاحيا الموتى وابراء الاكمه والابرص قالوا هذا
سحر مبين اى ما جاء به او عيسى مبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائى ساحر والرسم على
الاول ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اى لا احد اظلم منه
اذ الاجابة فوقه مع عدم العذر وزوال الاشتباه والله لا يهدى القوم الظالمين
الكاملين فى الظلم يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم هم اليهود الذين حرفوا الكلم
وبدلوا نعته مثل حالهم بمن يريد اخفاء نور الشمس بنفخة فى الهواء والاصل يريدون
ان يطفئوا كما فى سورة براءة وانما جئ باللام توكيدا للارادة لما فى اللام من معناها والله
متم نوره لا محالة وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر وابو بكر منونا ناصبا ما بعده
ولو كره الكافرون الساترون نعمة الله هو الذى ارسل رسوله بالهدى و
دين الحق الذى لا يتطرقه نسخ ولا تبديل ليظهره على الدين كله اذ لم يات احد بما جاء به
وضع الاصر والاغلال بالحنيفية السمحا ولو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعه ولو كره
المشركون عباد الاوثان واليهود القايلون عزير ابن الله والنصارى المثلثون يا ايها الذين
امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم قراءة ابن عامر بتشديد الجيم وهو ابلغ تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف كانهم
قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون واشارة على آمنوا مبالغة فى الحث عليه كانهم امتثلوا فهو يخبر عنهم
وهذا سبيل كل داع الى بصيغة الاخبار ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انه خير لكم لسعيكم
فى تحصيل بذل الاموال والانفس يغفر لكم ذنوبكم ما بينكم وبينه جزم جوابا للامر المد
لول عليه بلفظ الخبر او شرط مقدر اى ان تؤمنوا او استفهام اى هل تتجرون بالايمان
يغفر لكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك المذكور
الفوز العظيم الذى لا يحيط به الوصف واخرى تحبونها اى ولكم النعمة الاخرى
الدنية بالنسبة الى الاولى وبالوصف بالمحبة بعد الدلالة على انها دون الاولى نوع تعيير لهم
وفى ايثار الاسمية مع العطف على الفعلية معنى وهى يغفر لكم دلالة على ان هذه الدنية امكن
فى نفوسهم وهى اليها اميل نصر من الله بدل او بيان وفتح قريب فتح مكة وعن
الحسن فارس والروم وبشر المؤمنين عطف على تؤمنوا لانه بمعنى آمنوا وما فى
البين ليس باجنبى كانهم قالوا دلنا يا ربنا على تلك التجارة فقال آمنوا وبشرت يا محمد
وفيه تنويع الخطاب وايقاع المظهر موضع المضمر فهو اسلوب فائدته من تقدير فابشر يا محمد
وبشر والعطف على قل مقدر او القول بان ذلك انما يحسن اذا اعيد حرف النداء لا سندله
ولو سلم فلعدم تعين المخاطب بدونه واما اذا تعين فذكره وطيه سيان يا ايها الذين
امنوا كونوا انصار الله انصار دينه كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصار
ى الى الله من جندى متوجها الى نصرة دينه وقراءة نافع وابن كثير وابو عمرو انصارا
منونا والمعنى كونوا من جملة من ينصر الله والاضافة اقوى معنى واخف لفظا ولذلك اتفقوا
عليه فى آل عمران قال الحواريون نحن انصار الله الاضافة الاولى اضافة احد المتشا
ركين والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه بحسب المعنى اى قل لهم كقول عيسى
او كونوا ايها المؤمنون انصار الله كالحواريين وقت قول عيسى عليه السلام كانوا اثنى
عشر رجلا قصارين يقصرون الثياب ولذا قيل لهم حواريون وعنه صلى الله عليه وسلم
لكل نبى حوارى وحوارى الزبير فامنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة بعيسى

عدل اصلحا الفتاح والايضاح
كلام الكشاف وعلوا بما ارده
لانهم جوزوا ذلك اذا
اعيد النداء واى فرق
بين لبشر يا محمد بين
لبشروا لا غاية
بعد نقه
...

بعيسى فايدنا الذين امنوا على عدوهم على الكافرين وايثار لفظ العدو لاشعاره
بالتشفى فاصبحوا ظاهرين غالبين بالسيف والحجة غلبة لا خفاء بها تمت السورة و
الحمد لمن الآؤه مشهوره والصلوة على من سيره مشكوره وآله وصحبه الذين آثارهم مشهورة

سورة الجمعة مدنية وهى احدى عشرة ايات بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس البليغ التنزه عن وصمة
النقص والشين العزيز الحكيم الغالب البالغ حكمته توطية لقوله هو الذى بعث
فى الاميين رسولا لفرط احتياجهم اليه لانهم لا يكتبون ولا يقرؤن
منهم يعرفون صدقه امانته لكونه اشفق بهم وارفق يتلو عليهم اياته مع كونه اميا
مثلهم اشارة الى معجزته الموقوف نبوته عليها ويزكيهم من الاخلاق الذميمة او عند الله
حيث يشهد لهم بالايمان يوم القيمة ويعلمهم الكتاب والحكمة الشرايع وان كانوا
من قبل لفى ضلال مبين ظاهر يعبدون الحجر وياكلون الجيف ويطوفون بالبيت عراة واخرين
منهم عطف على الاميين اى وفى آخرين من الاميين لما يلحقوا بهم بعد وسيلحقون
لما فى لما من معنى التوقع روى البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنهما لما نزلت سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم من هم هؤلاء وفينا سلمان فوضع يده عليه وقال هم قوم هذا
لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء وليس فيه منع الغير فيتناول كل من ياتى بعد
الصحابة رضى الله عنهم الى آخر الدهر وهو العزيز الحكيم فى تمكينه من هذا الامر العظيم
واختياره له ذلك فضل الله كونه رسولا للاولين والآخرين وفى ايثار اسم الاشارة
بلفظ البعيد واضافة الفضل الى كلمة الجلالة اشارة الى ان كل فضل دونه يؤتيه من يشاء
تفضلا والله ذو الفضل العظيم الذى لا يحاط به مثل الذين حملوا التورية
تعلموها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها ولا حملوها على محاملها كمثل الحمار يحمل اسفارا
كتبا كبارا من كتب العلم مثل حالهم فى حمل التورية بحال الحمار الحامل لاسفار من الكتب والجامع
الحرمان من الانتفاع بابلغ نافع مع الكد والتعب والجملة فى محل النصب على الحال او الصفة اذ لم يرد
بالحمار معين وهذا ابلغ ذما واتصاله بما قبله انهم علموا فى التورية نعت المبعوث فى الاميين
رسولا وكتموه بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله اى مثل الذين كذبوا فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او حذف المخصوص اى هو والضمير لمثل اليهود او بئس مثلا
مثل الذين على حذف المفسر وهذا قليل والله لا يهدى القوم الظالمين اى اليهود الذين
لم يحملوا التورية قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون
الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فى زعمكم لان من علم ان ماواه جنة عدن تمنى
الخلاص من دار العناء وانما خوف الانسان من عدم علمه بحاله وانما اتى بان مع الزعم اشارة
الى ان الاولى بحال من على طريقهم الشك والدعوى الباطلة ولا يتمنونه ابدا بما قدمت
ايديهم من الكفر وتحريف ايات الله واختصاص آية البقرة بلن لان
دعواهم هناك ان اختصاصهم بها مكشوف فبولغ فى الرد عليهم والله عليم
بالظالمين ظاهرا وباطنا قل ان الموت الذى تفرون منه ولا تجرؤن
على تمنيه فانه ملاقيكم ودخول الفاء فى خبر الموصوف بالموصول للسببية باعتبار الوصف
كانه قيل ان الفرار الذى تظنونه سبب النجاة سبب الملاقات مبالغة فى عدم الفوت ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه يا ايها الذين
امنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله لما نعى على اليهود ما
يمنون به انفسهم من الامانى الباطلة امر المؤمنين بالسعى الى ما فات اليهود من ادراك فضل
يوم الجمعة لما روى البخارى ومسلم ان يوم الجمعة هو اليوم الذى فضل على ساير الايام

واختلف فيه اهل الكتابين فلم يهتدوا اليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدانا
الله تعالى اليه نحن الآخرون السابقون يوم القيمة هو سيد الايام فيها ساعة يستجاب
فيها الدعا والاصح انها من وقت خروج الامام الى الفراغ من الصلوة وقيل بعد العصر وكانت
العرب تسميه يوم العروبة فسماه الله يوم الجمعة والمراد النداء بين يدى الخطيب فان الاول شرع عثمان
على الزورا عند كثرة الناس والبيع والشرا وساير الاشغال حرام اتفاقا والمراد بالسعى القصد
والاهتمام لا الاسراع لورود النهى عنه والمراد بذكر الله الخطبة لانها موعظ وتذكير ذلكم
خير لكم ان كنتم تعلمون وايثار ان على اذا مع علمهم بذلك تعيبا لما بدا منهم من الخروج
وتركه قايما لاشعاره بعدم علمهم فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله من رزقه جر الما فاتكم روى ابن ابى حاتم عن بعض السلف ان من باع او
اشترى بعد الجمعة بارك الله له سبعين مرة وكان عراك بن مالك اذا صلى الجمعة وقف على
باب المسجد وقال اللهم انى اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتنى فارزقنى
وانت خير الرازقين وقيل المراد به الطاعة كعيادة المريض وتشييع الجنازة وزيارة الاخوان
فى الله واذكروا الله كثيرا فى الاحوال كلها لعلكم تفلحون تفوزون برضاته واذا راوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها روى البخارى ومسلم عن جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان على المنبر يخطب فقدمت عير من الشام بميرة فخرجوا الا اثنى عشر
رجلا قال مقاتل العير كانت لدحية قبل اسلامه وكان معها طبل وهو الذى اريد باللهو و
الضمير للتجارة لان انفضاضهم اليها اذا كان مذموما فالى اللهو اولى وتركوك قائما فيه
غاية التعيير اذ لو لم يكن الا تركه على هذه الحال دون ان يكون خطيبا كان شنيعا قل ما
عند الله مدخر لكم خير من اللهو ومن التجارة لكونه باقيا صافيا بلا كدر والله خير
الرازقين هو الرازق حقيقة والبواقى وسايل اليه توجهوا فى طلب الرزق تمت السورة
ولله المنة والصلوة على رسوله وصحبه السابقين الى الجنة سورة المنافقون مدنية وهى احدى
عشرة ايات بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله انشا جار مجرى القسم ولذلك اكد بان واللام
تتضمن ادعاء المواطاة بين القلب واللسان والله يعلم انك لرسوله وان ما قالوه
كلام مطابق قطعا والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فى ادعاء المواطاة لانهم
يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم او كاذبون فى انفسهم لا يعتقدون صدقه ومقالهم
ومطابقتها للواقع وانما اعترض بقوله والله يعلم انك لرسوله ليميط رجوع التكذيب
الى قولهم انك لرسول الله اتخذوا ايمانهم جنة وقاية استيناف لبيان فايدة تلك
الشهادة التى هى بمثابة اليمين او كلام مستقل لغدر قبايحهم وان من دابهم الاتقاء با
لايمان الكاذبة كما استجنوا بالشهادة الكاذبة فصدوا عن سبيل الله اعرضوا ومنعوا
غيرهم عن سلوكها انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق انشاكانه قيل ما اسوء
ما ارتكبوه ذلك كل بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم منع دخول نور الحق فيها
فهم لا يفقهون اشيا من الحق فلذلك جروا على تلك العظايم وانما قال امنوا
ثم كفروا مع انهم لم يؤمنوا طرفة عين لانهم نطقوا بالشهادة ثم ظهر كفرهم او يطلعوها
عند المؤمنين وكفروا عند شياطينهم والحمل على اهل الردة بعيد ناب عنه المقام واذا
رايتهم تعجبك اجسامهم هياكلهم لرواء منظرهم وحسن متهم وان يقولوا تسمع
لقولهم لفصاحة كلامهم وحلاوة الفاظهم قيل كان ابن ابى راس المنافقين — ذكر الكشاف
وبعض اتباعه جسما مارسا فصحا بلغا والخطاب فى رايتهم اما لرسول الله صلى الله
عليه وسلم او عام والاول اوجه لتقدم اذا جاءك ولانه اذا اعجبته فغيره اولى

امثل كانهم خشب مسندة الى الحايط لعدم الانتفاع بها بوجه او كالاصنام المنحوتة
الى الحيطان فى حسن الصور وبهجة المنظر قرا ابو عمرو وقنبل والكسائى باسكان الشين
اما مخفف خشب او جمع خشبا وهى الخشبة المجوفة وهذا اخف واقوى شبها وناهيك بسفا
النفاق خطة حيث شبه اهله بجماد هذا شانه وشبه الكفار بالانعام يحسبون كل
صيحة عليهم واقعة عليهم وقيل كانوا خايفين من ان ينزل فيهم ما يهتك استارهم و
يظهر اسرارهم ويبيح دماهم وديارهم هم العدو لاغير لانهم اعدى الاعداء ومن يلقاك
بوجه الصديق لوقوفه على اسرارك وتمكنه من اشاعة اخبارك وقيل عليهم صلة وهم
العدو المفعول الثانى والتذكير باعتبار الخبر وليس بوجه فاحذرهم حذرك منهم
ولا تغتر قاتلهم الله لعنهم الله دعاء منه تعالى نهى عن فرط التسخط او تعليم للمؤمنين انى
يؤفكون يصرفون عن الحق تعجيب عن العدول بعد موجب الاقبال والقبول واذا
قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم اما لوها ولم يلقوا السمع اليه
قرا نافع لووا مخففا وقراءة القوم ابلغ ورايتهم يصدون يعرضون فضلا
عن الاستماع وهم مستكبرون انفعون انفسهم فوق حدها اتفق الثقات على ان
السورة نزلت فى ابن سلول كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك او بنى
المصطلق فاقتتل على الماء جهجاه بن سعد الغفارى وكان اجيرا لعمر بن الخطاب وسنان بن
يزيد وكان حليفا لابن سلول فبلغ ذلك ابن سلول وكان عنده جمع من الانصار فقال او
فعلوها والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك ياكلك والله لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل فنقل كلامه زيد بن ارقم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فارسل رسول الله الى ابن سلول فحلف انه لم يقل شيئا من ذلك فقال عم زيد له ما اردت
الى ان كذبك رسول الله ومقتك قال فبت فى شر ليلة فلما نقل رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقينى فى الطريق ضحك فى وجهى وفرك اذنى فلقينى عمر فقال ماذا قال لك
رسول الله قلت ما زاد على ان ضحك فى وجهى وفرك اذنى وكذلك سالنى ابو بكر
فلما نزل قرا عليهم السورة وقال ان الله قد صدقك يا غلام ثم ارسل اليهم ليستغفر
لهم لووا رؤسهم سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لا يؤمنون بك ولا يعتدون
باستغفارك لن يغفر الله لهم لعلمه بانهم اهل الدرك الاسفل ومن الذين ذراهم لجهنم
ان الله لا يهدى القوم الفاسقين المنهمكين فى الكفر والنفاق هم الذين يقولون
لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا قاله ابن سلول ذلك اليوم ولله خزائن
السموات والارض قادر على اغنا محمد واصحابه عن انفاق الانصار وانما وفق الانصار
لذلك لينالوا به القربة والزلفى ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك يقولون لئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يريد بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يختص بهم لا حظ لغيرهم فيها ولا ينافيه
ان العزة لله جميعا لان عزة الرسول والمؤمنين عزة الله تعالى ولكن المنافقين
لا يعلمون ليسوا من ذوى العلم ليدركوا هذا اعاد المظهر ليلا يفارقهم هذا الوصف
الامر الجلى ولما كان فى امر الرزق نوع خفا فى بادى الراى جعل الفاصلة الفقه المبنى
عن نوع تعمل وعن قتادة ان ابن عبد الله لما بلغه ذلك جاء الى رسول الله وقال ان
كنت قايلا الى فمرنى به لاحمل اليك راسه والله لقد علمت الخزرج ان ليس فيهم
ابر بوالديه منى واخاف ان يقتله غيرى فلا احمله فادخل النار فقال لا نقتله بل
نحسن صحبته وعن عكرمة وابن زيد انه وقف بباب المدينة وسل سيفه فلما جاء ابوه
قال له وراءك حتى جاء رسول الله وهو حابسه فشكى اليه فقال له خل سبيله وقيل

لم يمكنه حتى اقرانه الاذل ورسول الله هو الاعز فقد عاله رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها
الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لما كان اعتزار المنافقين بالحطام
الفاني وانهم اذا لم ينفقوا على المؤمنين ينفض امرهم ورد الله عليهم بانه مالك خزاين
السموات والارض وكان فيه اشارة الى انه سيغني المؤمنين ويفيض عليهم من خزاينه
بما ليس في حسابهم نهاهم عن الاشتغال بها عن ذكر الله قبل وجودها ليوطنوا انفسهم على
ذلك والمنهي المتوجه اليها بحيث يفوت القيام بحق العبادة الا يرى الى قوله في معرض المدح
رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون
لاستبدالهم الخسيس بالشريف وانفقوا مما رزقناكم بعض ما رزقناكم من قبل ان
ياتي احدكم الموت اماراته ومخايله فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق
واكن من الصالحين يعني العاقل المبادرة الى التصدق اذ كل لمحة بصدد الموت ولا يغتر بالصحة
اذ كم صحيح مات وكم سقيم عاش قال تعجبين من سقمي صحتي هي العجب وقرا ابو عمرو واكون بالنصب
عطفا على لفظ فاصدق وهو الاظهر لاحتياج الجزم الى التقدير اي ان اخرتني اصدق واكن
ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها انتهاء عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز
لكم ما شئتم وقرا ابو بكر بالياء الغيبة نظرا الى اولئك هم والخطاب لقوله لا تلهكم هذا
لشد تهديدا تمت سورة المنافقون والحمد لله رب العالمين والصلوة على صفوة المرسلين
واله وصحبه اجمعين

سورة التغابن مدنية وهي ثمان عشرة ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض تقدم الكلام في مثله له الملك وله الحمد
قدم الظرفان لتاكيد الاختصاص وازاحة الشبهة راسا فان قلت اذا اختصت المحامد به
فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله قلت الكلام في حقيقة الحمد
واما حمد غيره فلجريان نعمة الله على يديه فهو حمد لله حقيقة وهو على كل شيء قدير كامل
القدرة لا يقاومها قدرة ولا يشاركها في التاثير دليل على الاختصاصين هو الذي
خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن باختياركم لا جبر فمن راى خيرا فليحمد الله ومن راى شرا
فليستغفر الله والله بما تعملون بصير مشاهد فيجازي عليه خلق السموات و
الارض بالحق بالحكمة البالغة مرتبا اسباب معايشكم فيها وصوركم فاحسن صوركم
فخصكم باحسن الصور بين المخلوقات لبس فيها رشاقة قده ولا صباحة خده وانظار
شتيت العجب في تركيب بنانه وجواهر اسنانه وقوس حاجبه ونبال اهدابه بعد ما اودع
من القوى الدراكة ولذلك كان نسخة عالم الملك والملكوت واليه المصير
فينبيكم عن الصغير والعظيم فاشكروا انعمه واحذروا عذابه ونقمه يعلم ما في السموات
والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور بمضمراتها فضلا عن السر والعلن
فاستعملوا في عباداتكم ظواهركم وطهروا اسراركم واخلصوا ضمايركم لتحمدوا عواقبكم الم ياتكم
نبا الذين كفروا من قبل قبلكم اي كفار مكة بلى قد اتاكم فذاقوا وبال امرهم وخامة
كفرهم في الدنيا بالاستيصال ولهم عذاب اليم في الاخرة ذلك المذكور من عذاب الدارين
بانه بان الشان كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا ان يكون
البشر رسولا مثلكم يطلق على الواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا اعرضوا واستغنى
الله عن كل شيء فضلا عن طاعتهم والله غني في ذاته وصفاته وافعاله حميد ذاتا
وصفة وفعلا دلت على ذلك ذرات الكون زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا اي كفار مكة
او هم ومن حذوا على الاعتبار بهم الزعم بمعنى العلم وان مع ما في خبرها قايم مقام المفعولين
قل بلى تبعثون وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله
يسير لغناه عن الالات ودورانه بين الكاف والنون فامنوا بالله ورسوله
والنور الذي انزلنا القران والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه منه شيء
يوم يجمعكم متعلق بخبير او بلتنبؤن وذلك على الله يسير وقوله فامنوا اعتراض الاول يؤكد
القدرة والثاني ما سيق له الكلام من الحث على الايمان به وبالقران وبمن جاء به وبما تعملون
خبير من تمة الثاني او نصب باذكر ليوم الجمع اليوم خاص بالجمع يجمعكم فيه والاولين
اللام للتعليل كقوله اعد ذلك لهذا اليوم ذلك يوم التغابن هو ان يغبن التاجر
شاريه استعارة لنيل السعداء ونيل الاشقياء وكان لا تغابن الا ذلك فلذلك عرف واطلق لكونه
علما له ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سياته ويدخله جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قرا نافع وابن عامر الفعلين بالنون
التفاتا وهو ابلغ في الترغيب والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار
خالدين فيها غير الاسلوب اشارة الى سبق رحمته وبئس المصير مصيرهم الايتان
بيان لوجه التغابن ما اصاب من مصيبة الا باذن الله بتقديره كقوله الا في كتاب من قبل
ان نبراها ويدخل فيها كفر الكافر اولا اذ لا مصيبة اعظم منها ومن يؤمن بالله يهد
قلبه يثبته ان ابتلاه صبر وان اعطاه شكر وان ظلمه احد غفر ومن كان قابلا مستعدا
للايمان يوفقه له يؤيده والله بكل شيء عليم يعلم من هو اهل للهداية واطيعوا الله
واطيعوا الرسول لان عصيانهما اعظم المصايب فان توليتم اعرضتم
فانما على رسولنا البلاغ المبين الواضح وقد وفى به الله لا اله الا هو وعلى الله
فليتوكل المؤمنون لعلمهم ان لا مؤثر في الكون غيره وفيه حث لرسول الله والمؤمنين
على الصبر لما يصيبهم من اذى الكفار يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم لانه يتلهى به عن امر الدين كقوله لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم وفي الحديث
الولد مجبنة مبخلة فاحذروهم خذوا حذركم ولا تغفلوا عن العدو وعن ابن عباس رضي الله
عنه نزلت في اناس ارادوا الهجرة منعهم نساؤهم واولادهم فلما هاجروا بعد برهة وجدوا
السابقين قد فقهوا في الدين تعاصبوا وهموا بالانتقام منهم فنزلت وان تعفوا وتصفحوا
وتغفروا العفو محو الجريمة عن الخاطر والصفح الاعراض والغفران الستر كان لم يكن ولما كان
الصبر على اذى من احسنت اليه اشق وابعث على الانتقام جمع بين الثلثة فان الله غفور
رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة ابتلاء لينظر هل تؤثرون حبهم على طاعة الله والله
عنده اجر عظيم حث على ايثار طاعته فاتقوا الله ما استطعتم ما بلغ
جهدكم اذ لا تكليف فوق وذلك فسرت قوله اتقوا الله حق تقاته واسمعوا لاولي الامر واطيعوا
اوامرهم ما لم يكن معصية اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وانفقوا خيرا
لانفسكم نصب خيرا بيكن اي ان تنفقوا يكن خيرا لكم او صفة مصدر او بفعل مقدر اي
ايتوا والقرينة كون السوابق كلها من ايتان الخير ومن يوق شح نفسه فاولئك هم
المفلحون الفائزون ان تقرضوا الله قرضا حسنا عن طيب نفس خالصا لوجه
الله والتعبير عن الصدقة بلفظ القرض تلطف في الطلب يضاعفه لكم بالواحد عشرة
الى سبعماية الى ما لا يعلمه غيره ويغفر لكم ما فرط لان الحسنات يذهبن السيئات
والله شكور يقابل القليل بالكثير حليم لا يعاجل بالعقاب عالم الغيب والشهادة
على سواء حث على الاخلاص وهو العزيز الغالب لا مانع لعطايه الحكيم في كل

سورة الطلاق مدنية وهي اثنتا عشرة ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ناداه اولا لانه يستبد
واشارة الى انهم لا يصدرون الا عن رايه والمعنى اذا اردتم

الطلاق كقوله اذا قمتم الى الصلوة وله نظاير تنزيلا للمشرف على الشئ منزلة المباشر والطلاق
المامور به ان يكون في طهر لم يجامع فيه او حامل استبان حملها واللام للتوقيت فالذي يقول ان الاقراء
الاطهار فلا اشكال عنده والذي يقول بالحيض يقدر مستقبلات كقولك جيتك لليلة بقيت
في الشهر روى البخاري عن ابن عمر انه طلق امرأته وهي حائض فسأل عمر رضي الله عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه وقال مره فليراجعها فاذا طهرت ثم حاضت ثم طهرت
فليطلقها ان شاء فان قلت اذا كان الغرض ايقاع الطلاق في الطهر فما معنى تكرار الطهر في
الحديث قلت ان لا يكون الرجوع للطلاق ولان طول المدة عسى تؤثر في تبدل الحال و
الطلاق ابغض المباحات فاحتيط لذلك وقوله مره فليراجعها دل على وقوع الطلاق
في الحيض واطلاقه دل على ان الثلث دفعة لا بدعة فيها وما روي ان رجلا طلق امرأته
ثلثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلعبون بكتاب الله لا اصل له ولا ذكر
للثلث في كتاب الله في معرض الذم وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ واحفظوها وَاتَّقُوا
اللَّهَ رَبَّكُمْ في التطويل في العدة والاضرار بالنسا لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ
مساكنهن الى انقضا العدة وَلَا يَخْرُجْنَ ايضا استقلالا وان اذن الزوج لان ذلك
حق الشارع ليس لاحد اسقاطه إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ هي الزنا او
النشوز بان طلقت وهي ناشزة لان النشوز يسقط الحق حال الوفاق فاولى ان
يسقط حال الفراق فالاستثنا راجع الى الامرين او البذاء وايذا الزوج فيرجع الى الاول
وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ الاحكام وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ عرضها
لسخط الله لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا الرغبة في المطلقة والندم على
فراقها واستدل الامام احمد على ان المبتوتة والمتوفى عنها زوجها لا سكنى لها فَإِذَا بَلَغْنَ
أَجَلَهُنَّ شارفن اخر العدة فَأَمْسِكُوهُنَّ راجعوهن ان شئتم بِمَعْرُوفٍ بحسن عشرة
لئلا يؤدي الى فراق آخر أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ بايفا الحق واتقا الضرار بان يراجعها ثم
يطلقها تطويلا للعدة وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ عند الفراق والرجعة لانه ابعد
من الريبة واقطع للنزاع امر ندب وعن الشافعي رحمه الله قول بالوجوب في الرجعة
وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ادوها من غير ميل ولا غرض ايها الشهود ذَلِكُمْ المذكور من ايقاع
الطلاق على وجه السنة واحصا العدة والكف عن الاخراج واقامة الشهادة وقيل اشارة
الى الاخير والاول اوجه لقوله يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ سيما
اذا جعل وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ اعتراضا مؤكدا لتلك الامور
وان كان الاوجه ان يكون استطرادا دالا على ان التقوى ملاك الامر به ينتظم سعادة
الدارين ويتناول امر الزوجين اول تناول عن ابن اسحق ان عوف بن مالك الاشجعي اسر ابنه
فشكى الى رسول الله الفاقة فامره بالصبر وكثرة قول لا حول ولا قوة الا بالله فلم يجا ابوه
الا وهو بالباب بابلها ومعه سرح القول قد استاقها فنزلت وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ
في اموره فَهُوَ حَسْبُهُ كافيه إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ الذي يريده ولا يفوته فالحفص
بالاضافة قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا تقديرا وتوقيتا لا يتقدمه ولا يتجاوزه وفي الحديث
يستجاب لاحدكم ما لم يتعجل ويقول دعوت فلم يجب وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ
مِنْ نِسَائِكُمْ روى ابن جرير عن ابي بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
عدد النسا لم تذكر في الكتاب فنزلت والآيسة هي التي انقطع دمها لكبر السن والخلاف
القرآن في اللاتي تقدم في الاحزاب إِنِ ارْتَبْتُمْ جهلتم وشككتم في عدتهن فَعِدَّتُهُنَّ
ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ من الصغر طلقت او توفي عنها زوجها أُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ
يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ذهب علي وابن عباس رضي الله عنهما الى ان عدة المتوفى زوجها

السائد هذا الحمله معدودا
العقيس بالقول
سلمه

في زوجها ابعد الاجلين من اربعة اشهر وعشر ومدة الحمل للتعارض من غير علم بتأخر احدهما وذهب
ابن مسعود رضي الله عنه الى ان هذه الآية البقرة في قدر ما تناولته من الحوامل وقال من شاء باهلته
ان سورة النسا القصرى بعد التي في البقرة والعام المتأخر ناسخ للخاص المتقدم فاولى اذا كان
العموم من وجه ويؤيد قول ابن مسعود رضي الله عنه ما روى البخاري ومسلم ان سبيعة الاسلمية
كانت تحت سعد بن خولة توفي زوجها وهي حامل فوضعت بعده باربعين يوما فانكحها رسول الله
صلى الله عليه وسلم واما كون العموم هنا بالذات وهناك بالعرض وكون الحكم معللا هنا فلا يعد
مرجحا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا يسهل عليه امره ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ
إِلَيْكُمْ لتعملوا بموجبه وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا يوم الجزا ولقد بالغ
في امر النسا بالحث على التقوى مرارا وذلك لضعفهن ونقصان عقلهن وما يبدو منهن مما يوجب
النفرة والغضب وفي آخر خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنسا خيرا لخلقهن
من ضلع اعوج ان ذهبت تقيمه كسرته أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ ما تقدرون
عليه الوجد الوسع وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ فتحيجوهن الى الخروج وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ
حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ تعميم الاسكان وتخصيص الانفاق باولات
الاحمال دليل ظاهر للشافعي رحمه الله على ان المبانة لا نفقة لها والحنفي ان هذا مفهوم لا يعارض
ما روى عثمان وعمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها السكنى والنفقة وفايدة التقييد
دفع وهم من يذهب الى ان المدة اذا زادت على اربعة اشهر وعشر لا يستحق الزيادة فَإِنْ أَرْضَعْنَ
لَكُمْ بعد انقطاع النكاح فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ على الارضاع مقيد
غالبا وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ اتفقوا على امر الولد بلا مشاقة ولا تضارّ
والدة بولدها ولا مولود له بولده تضايقتم وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ تضايقتم فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى امرأة وفيه معاتبة
للام وحث على المساهلة لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا
آتَاهُ اللَّهُ كل من الموسر والمعسر على قدر حاله لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا من المال
سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا وعد للفقرا بان الحال تتبدل كقوله ان مع العسر يسرا و
وحث على الانفاق بقدر الطاقة وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فحل بهم
باس الله تعالى فخذوا حذركم بعد بيان جمل من الاحكام اشار الى ان اهل قرى كثيرة عاندوا و
اشتغلوا عن امتثال اوامره قرأ ابن كثير كاعلى وزن فاع فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا
اهلكناهم لقوله صلى الله عليه وسلم من نوقش في الحساب هلك وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا
كالخسف والغرق فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وخامة الامر الذي خالفته وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا
خُسْرًا لا ربح فيه أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا يوم القيمة وقيل الحساب والعذاب
يوم القيمة والتعبير بالماضي كقوله ونادى اصحاب الجنة لان المترقب من وعده ووعيده كالكائن وقوله
اعد الله لهم عذابا شديدا تكرار للوعيد فَاتَّقُوا اللَّهَ بعد هذا البيان يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
العقول الخالصة الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا الذكر القرآن ورسولا بدل
منه بدل اشتمال والمراد به جبريل او الشرف فبدل كل ويجوز ان يراد محمد عليه السلام او نصبه
بارسل مقدرا دل عليه الانزال وهذا هو المتبادر ويدل عليه قوله يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ
اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لان تلاوة جبريل عليه السلام تجوز وجعل الخطاب شاملا
له وللمؤمنين تكلف لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اي ليخرجكم والاتيان
بالظاهر للاشارة الى فايدة الارسال مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ من الضلالة الى
الهدى وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قرأ نافع وابن عامر بالنون وهو ابلغ في الوعد قَدْ أَحْسَنَ
اللَّهُ لَهُ رِزْقًا اي رزقه فيه تعجيب اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ

رد على القاضي وذلك ان اهل الاصول
لم يذكروا في باب الترجيح
ما ذكره
سلمه الله

سبع ارضين ايضا روى البخاري عن سعيد بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من غصب شبرا من الارض طوقه من سبع ارضين وفي الحديث ما السموات السبع والارضون
السبع عند الكرسي الا كحلقة في فلاة وحملها على الاقاليم باطل يتنزل الامر بينهن
اي قضاء الله بالاماتة والاحيا وساير احكامه لتعلموا ان الله على كل شيء قدير
ان الله قد احاط بكل شيء علما علة الخلق او ليتنزل او لمقدر يعمهما فان كل واحد دل
على كمال القدرة تمت سورة الطلاق والحمد للملك الخلاق والصلوة على الكامل بالاتفاق واله
وصحبه الحلوم التلاق سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة ايات
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اضطرب الروايه في سبب
نزولها وما الذي اوجب تحريم ما احل وما المحرم روى البخاري عايشه رضي الله عنها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على زينب فشرب عندها عسلا فتواطيت انا وحفصة
على ان ايتنا دخل عليها تقول نجد منك ريح مغافير وكان يكره الرايحة الكريهة فدخل على
حفصة فقالت له ذلك فقال شربت عسلا عند زينب وقد حلفت لا اعود اليه فلا تخبري
احدا وفي رواية عن عايشة رضي الله عنها ايضا ان التي سقته هي حفصة وعايشة وسودة رضي
الله عنهما اللتان تواطاتا وروى النسائي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصاب
مارية في يوم حفصة في بيتها فقالت اي رسول الله في يومي وفي بيتي فقال قد حرمتها فلا تقولي
لاحد فذكرته لعايشة تبتغي مرضات ازواجك حال او تفسير يفيد زيادة تهجين او استيناف
كانه قيل ما وجه العتاب وقد تقدمه في ذلك الانبيا كقوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه فقيل
بجل بمثله عن طلب رضا النسا في ترك ما اباحه الله فالمنكر هو الباعث لا التحريم والله غفور
غفر لك ما تقدم وما تاخر رحيم اعطاك ما لم يعط احدا من العالمين قد فرض الله
لكم تحلة ايمانكم بينها لكم بشرعية الكفارة فاذا حلف احدكم على فعل وراى غيره خيرا فليات
وليكفر او شرع استثنا اليمين بان يقول ثم حلف ان شاء الله واستدل به الامام على ان
من حرم شيا ثم فعله يلزمه الكفارة وليس فيه دليل لما في رواية البخاري حلفت والله
مولاكم متولي اموركم وهو العليم باحوالكم الحكيم المتقن في احكامه فبادر الى
ما امرتم به واذ اسر النبي الى بعض ازواجه هي حفصة والله مولاكم متولي
اموركم وهو العليم باحوالكم الحكيم المتقن في احكامه فبادروا الى ما امرتم به واذ
اسر النبي الى بعض ازواجه هي حفصة او سودة حديثا تحريم العسل او مارية
وما قيل من ان الخلافة بعدي لابي بكر وعمر منكر فلما نبات به واظهره الله عليه اطلع على
افشائه عرف بعضه واعرض عن بعض عرف مقدار ما علمت اطلاعه واعرض عن الاستقصا
على ما هو دأب الكرام وقرأ الكسائي عرف مخففا اي جازاها على البعض اطلاقا للسبب
على المسبب كقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله فلما نباها به قالت من انباك تعجبا
لنبا الامر على الكتمان بينهما قال نباني العليم بالاشيا الخبير ببواطنها ان
تتوبا الى الله عايشه وحفصة او سودة فقد صغت قلوبكما اي حق لكما التوبة
لوجود موجبه وهو ميل قلوبكما الى مخالفة الرسول والتفت اليهما مكافحا زيادة توبيخ
وان تظاهرا عليه مرة اخرى وقرأ الكوفيون بالتخفيف بحذف احدى التايين فان الله
هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين اي فلن يعدم مظاهرا من هذا نعته وهو رئيس الكروبيين
الذي يباشر عقاب المخالف وصالح المؤمنين الذين هم اعوانه واتباعه والملائكة
بعد ذلك عطف على قوله ان الله مولاه وما عطف عليه وفي بعد ذلك دلالة على ان وجوه
نصرة الله وان تنوعت اقواها نصرة الملائكة وفيهم جبريل لان افراده بالذكر اولا
لعلو شانه عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن عن انس رضي الله عنه

الغافير جمع مغفور وهذا النبات في
الجموع قليل وهو شوك
ذو نور باكل النحل
منه

بين به ساير الروايات
منه

ذكر القاضي

عنه ان عمر رضي الله عنه قال اجتمعت نسا النبي في الغيرة قلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
ازواجا خيرا منكن فنزلت وقرأ نافع وابو عمرو ان يبدله بالتخفيف والتشديد ابلغ مسلمات
منقادات او مؤمنات مؤمنات بانها لفة عصبا قانتات طايعات تائبات عن
الذنوب عابدات متذللات الاخلاق سائحات صائمات لما في الحديث سياحة امتي
الصيام وقيل مهاجرات ثيبات وابكارا ادخل الواو هنا دون ساير الصفات لا
نهما متنافيان فلا يجمعهما العاطف يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي
واهليكم ايضا بان تامروهم بالطاعات وتنهوهم عن المعاصي وفي الحديث كلكم مسؤول عن
رعيته نارا وقودها الناس والحجارة حجر الكبريت متقد بهما كما يتقد غيرها بالحطب عليها
ملائكة الزبانية تسعة عشر غلاظ الاخلاق شداد القوى لا يلحقهم في تعذيب اعدا الله رافة لا يعصون الله
ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون في المستقبل او يقبلون الاوامر ويأتون
بموجباته يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم يقال لهم حين يساق بهم الى النار اذ لا عذر
لهم او لانه لا يقبل الاعتذار انما تجزون ما كنتم تعملون جزاءه يا ايها الذين
امنوا توبوا الى الله بالاقلاع عن الذنب والندم على الماضي توبة نصوحا النصح
لغة خلوص كل شيء يقال عسل ناصح صاف والنصوح صيغة مبالغة منه اي بالغة في الصفاء
عن شوب الذنوب ويجوز ان يكون من النصح بفتح النون اصلاح الثوب بعد الخرق وفي الحديث
من اغتاب خرق ومن استغفر رفا فهي تنصح صاحبها او تدعو غيره الى التوبة لظهور اثارها
على الاسناد المجازي وفسرها خير الامة باليقين بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع
بالجوارح والاستمرار على الترك وقرأ ابو بكر بضم النون مصدرا بمعنى ذات خلوص
عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار اردف
التوبة النصوح بعسى على داب الملوك واشعارا بان لا وجوب بل تفضل منه يوم لا
يخزي الله النبي والذين امنوا معه طرف ليدخلكم ومعنى المعية الاجتماع في الايمان
لا في الزمان نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم استيناف للتعريض بمن ناداهم وقيل خبر للذين امنوا
وليس بوجه يقولون ربنا اتمم لنا نورنا لما راوا نور المنافقين قد انطفى بغير
بهم الخوف على ما هو مقتضى البشرية وان كانوا جازمين بالاتمام والنجاة او هو قول من يكون
نوره ضعيفا فان الانوار على قدر الاعمال فيسالون اتمامه تفضلا او يقولون ذلك على
وجه التقرب والتلذذ كساير الاذكار في الجنة يؤيده قوله واغفر لنا انك على
كل شيء قدير اذا عطا النور انما هو بعد الغفران يا ايها النبي جاهد الكفار
والمنافقين بالحجة والسيف لان الرفق قد بلغ مداه واغلظ عليهم وماويهم جهنم و
بئس المصير مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة
لوط مثل الله حال الكفار في عدم الانتفاع بما لهم من الانبياء والمؤمنين
من العلائق صهرا ونسبا بحال المراتين كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
ممتازين عن ساير العباد بالصلاح والزلفى فخانتاهما في الدين لا في الفجور لانها فراش
النبي ولا عار عليه في كفرها فلم يغنيا عنهما من الله شيئا يسيرا من الاغنا وقيل
ادخلا النار مع الداخلين الذين لا علاقة بينهم الانبيا وفيه تهديد للبين تظاهرا
على رسول الله لا سيما التي افشت سره كارادة لوطحين دلت على اضيافه واشارة الى ان
شرف صحبة انما تفيد زيادة الكرامة اذا نصحت لله ولرسوله وضرب الله مثلا للذين
امنوا امرأة فرعون اعدى عدو لله هي اسية بنت مزاحم اذ قالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة ومعنى عندك مرتفع الدرجة كقوله عند مليك مقتدر ونجني من فرعون
وعمله من عذابه والابتلا بعمله قيل لما علم بانها هددها لترجع فابت وتدها اوتادا

هو ابو بكر
منه

فربطها وارسل عليها الحيات ونجني من القوم الظالمين هم القبط اتباع فرعون ومريم
ابنت عمران التي احصنت فرجها عطف على امرأة فرعون جمع في المثل بين ذات الزوج
التي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لقلوبهن على المحافظة وتحصين الفروج فنفخنا فيه في الفرج
هو نفخ جبريل والاسناد اليه للتشريف من روحنا مخلوق بلا واسطة وصدقت
بكلمات ربها باحكامه او الصحف المنزلة عبر بها عنها لقصرها وكتبه وقراء
غير ابي عمرو وحفص كتابه مفردا على ارادة الجنس او الانجيل والمؤمن به حقا مؤمن بسائر
الكتب وكانت من القانتين من جملة العابدين غلب التذكير اشارة الى ان طاعتها لم
تقصر عن طاعة الرجال الكمل ويجوز ان يكون من ابتدائية لانها كانت من اعقاب هرون
فيكون مدحا لها بشرف النسب بعد مدحها بكرم الحسب روى مسلم والبخاري رحمهما الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة
فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على
سائر الطعام وفيه دليل ظاهر على ان عائشة افضل النساء على الاطلاق ولان الرفعة وعلو الشأن
انما هو بالعلم ولم يدانيها كثير من الرجال فضلا عن النساء تمت سورة التحريم والحمد لمن فضله
عميم والصلوة على النبي الكريم وآله وصحبه ذوي الفضل الجسيم سورة الملك مكية
وهي ثلاثون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك تعالى وكثر خيره ودام من في قبضته الملك المطلق ذكر
اليد مثل لاستغنائه عن الكل وافتقار الكل اليه وهو على كل شيء قدير ما يصح ان
يكون كان او لم يكن مما يطلق عليه اسم الشيء كالدليل على تلك الاحاطة والاستغناء والانتقام
الذي خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحيوة واعدمها وقدم الموت لانه اقوى
شيء داعيا الى العمل وفي الحديث كفى بالموت واعظا وفيه اكثروا ذكر هادم اللذات ليبلوكم
ايكم احسن عملا ليعاملكم معاملة من يبلو ويختبر ايكم احسن عملا الجملة في محل النصب
مفعول ثان للبلوى المتضمن معنى العلم وليس من باب التعليق لانه مشروط بايقاع الجملة
موقع المفعولين وقد تقوم المفعول الاول الاستفهام فانتفى الشرط روى مرفوعا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال احسن عملا اتم عقلا عن الله واورع عن محارمه واسرع في طاعته
وهو العزيز الغالب العفور للذنوب ترهيب وترغيب للعاصي في التوبة الذي
خلق سبع سموات طباقا بعضها فوق بعض مصدر طابق النعل او وصف
بعضها فوق بعض ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي في خلقهن صفة مقوية لطباقا
وانما اقام الظاهر مقام المضمر تعظيما ودلالة على ان سبب سلامتهن صدورها من الموصوف
بنهاية الرحمة واشارة الى ان كونها مبدعة على تلك الصفة كما دل على كمال الاقتدار تحتمن
جلائل النعم ما لا يحصى وقرأ حمزة والكسائي من تفوت عن سيبويه وابي زيد انهما بمعنى
كتعاهد وتعهد فارجع البصر ثانيا لان النظر الاول حمقاء هل ترى من
فطور من شقوق جمع فطر كبدر وبدور ثم ارجع البصر كرتين ثم بعد النظرة الثانية
داوم على النظر متفحصا احوالها ملتمسا خللا التثنية للتكرير مثل لبيك ينقلب اليك
البصر خاسئا وهو حسير بعيدا كالمطرود عنه لوجدان الخلل كليلا اذا اعيى في الطلب ولقد
زينا السماء الدنيا بمصابيح هذا ادل على كمال الاقتدار من كونها ملساء
مستوية والمصابيح النجوم المضيئة في السقف المرفوع كالسرج في سقوف البيت والدنيا
بالنسبة الى من في الارض وكونها زينة لها لا يقتضي ان يكون مركوزة فيها وجعلنا
ها رجوما للشياطين بانفصال الشهب منها كالنار المقتبسة وعليه يحمل انقضاض الكوكب
في الحديث واشعار العرب لان كونها زينة السماء يقتضي استمرارها وقيل جعلناها رجوما

رجوما اي ظنونا لشياطين الانس اي سبب ظنونهم التي يرمون بها الغيب جمع رجم بالفتح
مصدر سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الاحراق بالشهب
في الدنيا وللذين كفروا بربهم بعد هذه الدلائل النيرة عذاب جهنم وبئس المصير
جهنم او عذابه اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمار اما منها او ممن
تقدمهم وهي تفور فورانا لمرجل تكاد تميز من الغيظ تتميز لشدة شغفها
واشتعالها بالنار او يخلق الله فيها ادراكا كما يدل عليه ظواهر النصوص كلما القي فيها
فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير ينذركم عذاب اليوم سؤال توبيخ قالوا بلى قد جاءنا
نذير فكذبنا النذير وقلنا ما نزل الله من شيء قط ان انتم الا في ضلال
كبير كلام الكفار للنذير لانه مصدر وصف به الجمع مبالغة في انذارهم كرجل عدل
او بتقدير مضاف اي اهل انذار او من كلام الخزنة على طريق حكاية ما كانوا عليه او الضلال
الهلاك او سمي عقابه باسمه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل سماع تفهم وتدبر او نعقل
تأمل آيات الآفاق والانفس نستدل بها على ان الانسان لم يخلق سدى ما كنا في اصحاب
السعير في جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفع الاعتراف فسحقا لاصحاب السعير
بعدا لهم اي اسحقهم الله اسحاقا فاحذف منه الزوائد كانبت نباتا وقراء الكسائي بضم الحاء على
انها لغة ان الذين يخشون ربهم ذكر الكفار كان بالعرض لان الذي سبق له الكلام بيان
حال من هو احسن عملا كانه قيل ما ذا حال من سبق له الكلام فاثبت لهم كمال العلم الذي
اشير اليه بقوله انما يخشى الله من عباده العلماء وكمال التقوى بقوله بالغيب بالغائب
او غائبين عنه او بالغائب المخفي وهو القلب لهم مغفرة لما فرط منهم واجر كبير
لا يبلغ تصورهم واسروا قولكم او اجهروا به خطاب عام كما في ليبلوكم اي اتقوه في السر
والعلن لاستوائهما في علمه حث للخاشي على الاستدامة والترقي الى حق الخشية وللغافل المغتر
على الانابة ويجوز ان يكون التفاتا الى اصحاب السعير لما روي ان المشركين كانوا يقولون
اسروا قولكم لئلا يسمع آله محمد فنزل انه عليم بذات الصدور بضمائرها قبل ان تعبر
عنها سرا وجهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من خلق الاشياء
الصادر عنها سرا وجهرا وهو اللطيف الدقيق في صنعه دقت حكمته في كل شيء الخبير ببواطن
الاشياء كلها وحذف المفعول من خلق للتعميم ولا يجوز ان يكون من قبيل يعطي ويمنع لان ارتباط
بما تقدم من حديث السر فلا بد من ملاحظة المفعول ويجوز ان يكون من مفعولا وفي يعلم
ضمير الرب اي الا يعلم الله مخلوقه وهذا شأنه والاول وجه لاقامة الظاهر مقام المضمر ولكونه
ادل على المحذوف ولعموم المقدر المتناول له تناولا اوليا هو الذي جعل لكم الارض
ذلولا لينة يسهل عليكم سلوكها فامشوا في مناكبها في جوانبها مثل في فرط التذلل
لان منكب البعير ارق شيء فيه وابناه عن وطي الراكب بقدمه فاذا ذلل ذلك فقد بلغ الذل
غاية التذلل وقيل مناكبها جبالها فالاستعارة في لفظ المنكب وكلوا من رزقه ما اخرج منها اقواتا وثمارا
واليه النشور فاجتهد وافي الشكر فانه يسألكم عنها أأمنتم من في السماء ملكوته
وسلطانه او نفسه على زعم جهلة العرب وقيل الملك الموكل للعذاب وليس برضي ان يخسف
بكم الارض كما خسف بقارون في مقابل لقوله فامشوا بدل اشتمال من من فاذا هي تمور
تضطرب في ذهاب ومجيء من هيبة الله وشدة غضبه ام امنتم من في السماء ان يرسل
عليكم حاصبا ريحا فيه الحصباء والاحجار كقوم لوط مقابل لقوله وكلوا من رزقه
وفي السماء رزقكم فستعلمون كيف نذير اذا شاهدتم المنذر به وقراء الكسائي
بالياء في الغيب ولقد كذب الذين من قبلهم كفار قريش فكيف كان نكير انكاري بالانتقام
وقد شاهدوا آثاره وتواتر عندهم خبر ما لم يشاهدوه اولم يروا الى الطير فوقهم

وفي الحديث اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف اه

ذكره القاضي

صافات باسطات اجنحتهن في الجو فانها اذا بسطت في الاجنحة صفت القوادم و
يقبضن لم يقل قابضات لان الطيران كالسباحة الاصل فيه المد والقبض تارة والفعل
دال على التجدد والحدوث ما يمسكهن الا الرحمن بلبغ الرحمة بان خلقها على وضع وهيأة تمكن بها
من الطيران بان جعل لها القوادم تشق بها الريح والخوافي تشدها والاذناب تقيمها كما في
السفن انه بكل شيء بصير عليم عيانا لا يخفى عليه شيء مما يدمش الفطن وفي ذكره
عقيب الخسف وارسال الحاصب اشارة الى ان من هذا شانه ذلك اهون شيء عنده وايما الى ان
دافع العذاب عن هؤلاء مع موجباته وتكامل اسبابه منهم انما هو تلك الرحمة البالغة التي
امسكت الطير في الهواء امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن متعلق
بحديث الخسف لان قوله ولقد كذب اعتراض سد من عضد التحذ وكذا قوله اولم يروا التصوير
لقدرته الباهرة والمعنى ام الذي يقال فيه هذا الذي هو جند لكم امنكم من عذاب الله على ان
ام منقطعة والاستفهام تهكم والمشار اليه اما فوج مقدر او اصنامهم من مبتدا وهذا
خبره والموصول صفة هذا وينصركم وصف لجند محمول على اللفظ ان الكافرون الا
في غرور مستغرقون في الغفلة امن هذا الذي يرزقكم اى ام الذي يقال فيه
هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه اى الله تعالى بامساك اسبابه من المطر والانبات
متعلق بارسال الحاصب بل لجوا في عتو تمادوا في العناد ونفور واعراض وهذا
ادل على اعراقهم في الكفر من قوله الا في غرور كما ان توهم الرزق من الاصنام او من
فوج مقدرا بعد من تخيل النصر منها افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى يقال
كبه فاكب وعدوه من النوادر لان القياس كون المجرد مطاوعا للمزيد وقيل ليس
من ذلك بل المعنى صار ذا كب كاغد البعير ومعنى مشيه مكبا على وجهه يقع تارة ويقوم
اخرى لكونه ماشيا في غير الطريق او لكونه اعمى لا يبصره امن يمشي سويا على
صراط مستقيم هذا مثل ضربه للكافر والمؤمن فان الكافر في ظلمات الشبه و
الشكوك كمن لا يرى جهة قصده او يسلك مكانا وعرا فهو بين قيام وسقوط و
المؤمن في نور ايمانه كمن يرى مواطئ قدميه او كمن سلك طريقا جادة سهل السلوك
وان شئت شبهت الدينين بالمسلكين قل هو الذي انشاكم من تراب وجعل
لكم السمع والابصار والافئدة آلات الادراك واي بعد ابعد ما بين
التراب وهذه الامور قليلا ما تشكرون حيا تصرفونها الى ما خلقت له فلا سمعتم
سماع تفهيم ولا نظرتم نظر اعتبار ولا تدبرتم في دلايل الانفس والافاق قل هو
الذي ذراكم في الارض بثكم فيها متمكنين في اى تصرف شئتم واليه تحشرون
للجزاء فتشروا له ويقولون متى هذا الوعد اى الحشر او العذاب كالخسف وارسال
الحاصب ان كنتم صادقين الخطاب له ولمن آمن به قل انما العلم عند الله
لا يعلم ذلك غيره وانما انا نذير مبين فلما راوه زلفة الضمير للموعود وعبر عنه
بالماضي لتحقق وقوعه سيئت وجوه الذين كفروا ساءها رؤيته العذاب وغشيها القترة
وقيل هذا الذي كنتم به تدعون تستعجلون من الدعاء او تدعون ان لا بعث
من الدعوى فالباء سببية قل ارايتم ان اهلكني الله اماتني ومن معي من المؤمنين
او رحمنا بتاخير الآجال فمن يجير الكافرين من عذاب اليم كانوا يتمنون هلاكه كما قال
الله تعالى نتربص به ريب المنون اى اهلكنا الله كما تمنون انتم او رحمنا بالنصر
عليكم كما نرجو نحن لا يجيركم من عذاب الله او نحن هديناكم ودعاكم الى النجاة
فان اهلك الله هداتكم كما تمنون او رحمهم عكس ما تمنون فمن يجيركم او نحن
مؤمنون وحالنا دايرة بين الاهلاك بالذنب والرحمة بالايمان فما ذا حالكم مع

مع كفركم وعلى الوجوه من ايقاع المظهر موضع المضمر قل هو الرحمن امنا به فيجرنا
من عذابه ولم نكفر مثلكم وعليه توكلنا لا على العدد والعدد مثلكم فستعلمون
من هو في ضلال مبين منا ومنكم من كلام المنصف وقرأ الكسائي بالياء الغيبة
قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا في الارض فمن ياتيكم بماء معين جار او سهل
المأخذ فان لم تعبدوه للحيوة الباقية فاعبدوه للفانية فالكل منه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل
عليه تمت سورة الملك والحمد لمن بيده البقا والهلك والسلام والصلوة على خير الانام واله
وصحبه الى يوم القيام

سورة ن مكية وهي اثنتان وخمسون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم اسم السورة او من حروف الهجا
كما تقدم في نظايره وقيل اسم الحوت الذي عليه الارض المسمى باليهموت وقيل اسم اللوح
الذي كتب فيه القلم ما هو كاين وقيل اسم الدواة وفي الكل بعد اذ الوجه اعرابه على ان ذكر
الحوت مع القلم ما هو كاين وقيل اسم الدواة وفي الكل بعد اذ الوجه اعرابه على ان ذكر الحوت
مع القلم كذكر الضب مع النون فان قلت اذا كان اسم السورة فلا تنكر سكون آخره فليكن
كذلك اذا جعل الدواة او اللوح قلت قد سبق ان الحكاية في هذه الحروف انما يصح اذا كا
اسما للسور لمعانيها الاصلية ايقاظا لمن يتحدى بها واقرب الوجوه ان يكون اسما للدواة
التي كتب منها القلم الكاينات وسكونه لاجراء للوصل مجرى الوقف والقلم هو الذي
خلقه الله اول او جنسه اقسم به لشرفه لانه آلة لكتابة وحيه وحكمه وما يسطرون
ما يكتبه من كتبه من المعارف او الحفظة من الاعمال ويجوز ان يكون ما مصدرية وان
يراد بالقلم اصحابه وهم كتاب وحيه وحملة شرايعه اقسم بهم وبمسطوراتهم او بسطرهم
وكتابتهم ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما
عليك بما انعم من رزانة الراى وحصافة العقل على ان الجار والمجرور حال من المستكن
في مجنون وهو العامل فيه والباء فيه زايدة فلا يمنع العمل فيما قبله وان لك لاجرا
غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ او خاليا عن المنة والمعنى ان
لك عندنا من الزلفى والمكانة زيادة على اجر صبرك على اذاهم ما لا يستحق الاجراء من به
عليك وقيل ممنون من الناس لانه من عطاء ربك وانك لعلى خلق عظيم
وبه استوجبت تلك الرتبة العظمى وعن قتادة رحمه الله قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني
عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران وكذا عن سعيد بن
هشام رحمه الله تعالى اشارت الى قوله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين
وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو ان نعته في التورية محمد عبدي سميته المتوكل ليس
بفظ ولا غليظ ولا يجازي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر وعن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه كان رسول الله اجود الناس صدرا واصدقهم لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة
من رآه بديهة هابه ومن خالطه احبه فستبصر ويبصرون بايكم المفتون اي بايكم الذي
فتن بالجنون والباء زايدة او المفتون مصدر كالمعقول والباء بمعنى في اى فريق
منكم يوجد من يستحق هذا الاسم والخطاب وان كان معه الا ان امته داخلة بتعاوهذا
اوجه الاوجه لاشتماله على التعريض مع سلامته عن استعمال النادر ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي بالمجانين وهو اعلم بالمهتدين العقلا اشارة الى ان الجنون
والعقل بهذا الاعتبار لا بما توهموه فهم في هذا الزعم مجانين ويجوز ان يكون وعيدا او وعدا
اي اعلم بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين كانوا يدعونه الى عبادة الاصنام وفتا
ليدعوه من غوائلهم او يعبد واما يعبده وقتا ودوا لو تدهن تلين لهم فيدهنون
فليلينون لك الفاء للعطف اي ودوا ادهانك فيدهنون بعد ادهانك او السببية

خصافة العقل كانه شبه بالنعل الذي خصف بعضه فوق بعض منه

وبهذا التقرير يسقط نظر القاضي منه

النادر زيادة الباء في الاثبات ومجي المفعول لمصادر منه

ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا لو تدهن فهم يدهنون اذ هاتك فهم الآن
يدهنون طمعا فيه ولا تطع كل حلاف كثير الحلف وفي جعله فاتحة المثالب وامام القبا
يح دلالة على انه شر الخصال وذلك لانه يدل على عدم استشعار عظمته تعالى مهين حقير
هماز عياب من الهمز وهو الكسر مشاء بنميم النميم والنميمة نقل الحديث لايقاع الفتنة
وافساد ذات البين مناع للخير شديد البخل والخير المال او اهله من الخير والايمان
ذكر الممنوع منه دون الممنوع عكس الوجه الاول لان عدم ذكر الممنوع هناك اوقع معتد
ظالم متجاوز الحد اثيم كثير الاثم عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف بعد ذلك
زنيم بعد ما ذكر من المثالب دعي لا نسب له وهذا كما اذا عددت مثالب انسان ثم تقول
وبعد ذلك لا يحب ابا بكر وعمر رضي الله عنهما والزنيم شاة لها زنمة وهي ما يقطع من اذنها
من غير فصل فيتدلى قيل هو الوليد بن المغيرة استلحقه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل
بغت امه فولدته من الزنا وقيل هو الاخنس بن شريق كان من ثقيف وعداده في زهرة وليس
بصواب لانه اسلم بعد وهو في الصحابة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا
قال اساطير الاولين متعلق بقوله ولا تطع اي لا تطع بعد هذه المثالب لكونه ذا بال وحظ
من الدنيا او بما دل عليه ما بعده من معنى التكذيب لا بقال لان ما بعد الشرط لا يعمل في ما قبله
اي كذب باياتنا لان كان مستظهرا بالمال والبنين مغرورا بهما قيل كان له عشرة من البنين وله مال
وافر يقول من آمن بمحمد منعته رفدي وقرأ حمزة وابو بكر بالاستفهام انكار الطاعة له
لكونه ذا مال وكذا ابن عامر الا انه سهل الثانية بزيادة الف بينهما لهشام ولابن ذكوان
بين بين سنسمه على الخرطوم الوجه اشرف الاعضاء واشرف اجزائه الانف والعرب على
ان الشرف يظهر في الانف يقولون فلان به شميم والقوم شم العرانين وفي وصفه صلى الله
عليه وسلم اشم العرنين فالكي على الانف اهانة واذلال يجوز ان يكون حقيقة او كناية
عن الاذلال والتعبير عنه بالخرطوم زيادة تشويه لانه لا يستعمل الا في الفيل والخنزير
وما قيل انه خطم يوم بدر فبقي سمة على خرطومه سهو لان الوليد مات قبل بدر وابعد منه
ما نقل عن النضر بن شميل ان الخرطوم هو الخمر ومعناه سنحده على شربها انا بلوناهم كما
بلونا اصحاب الجنة اي انا اختبرنا اهل مكة بارسال محمد نعمة عليهم فلما كفروا به سلطنا
عليهم القحط كما اختبرنا اصحاب الجنة عن سعيد بن جبير ان هؤلاء كانوا من قرية يقال لها
صروان من قرى صنعاء وكان ابوهم ذا بر واحسان على الفقرا كان يأخذ من غلة بستانه هذه
قوت سنته ويصرف الباقي على الفقرا والمحاويج فقال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا
ضاق علينا الامر ونحن ذوو عيال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين داخلين في الصباح
قبل ان يعلم بذلك الفقرا ولا يستثنون في ايمانهم لم يقولوا ان شاء الله بل بتوا القول
وجزموا به وانما سمي الشرط استثناء لانه يؤدي مؤداه في الاخراج فطاف عليها
على الجنة طائف بلاء من الطوفان من ربك مرسل من عند الله وهم نائمون لا علم لهم
بذلك فاصبحت كالصريم كالمجدود ثمارها من الصرم وهو القطع او كالليل المظلم
محترقا او الليل الابيض المثمر فان الصريم من الاضداد او كالرمل المنصرم او كالتي
اصابها الصرام وهي الدواهي فتنادوا نادى بعضهم بعضا مصبحين ان اغدوا
على حرثكم ان مفسرة واستعمال الغدو بعلى لتضمنه معنى الاقبال او لان الغدو للصرام
استيلاء وهو والاستعلاء من واد واحد ان كنتم صارمين على الوجه الذي عزمتم
عليه فانطلقوا وهم يتخافتون يتكاتمون الحديث ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين
ان مفسرة والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه كقولك لا ارينك
هنا وغدوا على حرد قادرين الحرد المنع يقال حاردت السنة اذا منعت المطر

دلالة على العموم الدال على شدة ... منه

العرنين معظم الانف
رد على الكشاف والقاضي
منه

المطر والابل اذا بخلت بالدر اي غدوا عازمين على المنع حال كونهم قادرين على الخير او غدوا
على محاردة جنتهم ومنع خيرها او قيل الحرد السرعة يقال قطا حراد اي سراع اي ذهبوا على
وجه السرعة لئلا يدركهم المساكين وقيل الحرد القصد اي غدوا قاصدين الصرام قادرين
على ذلك من عند انفسهم حال المقدرة وقيل الحرد اسم بستانهم فلما راوها
على تلك الحالة قالوا انا لضالون طريق جنتنا قالوه قيل فلما تيقنوا الامر قالوا
بل نحن محرومون حرمنا خير جنتنا لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اي خيرهم
رايا الم اقل لكم لولا تسبحون اي تستثنون لتلاقي الاستثناء والتسبيح في التعظيم فاستعمل
مكانه وعن الحسن لولا تصلون فان الصلوة تنهى عن الفحشاء او لولا تذكرون نافقه وتتوبون
كانه نصحهم على خبث نيتهم فلم يطيعوه قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين في القصد الى
حرمان المساكين قالوه بعد خراب البصرة واتباع الحذف على الواقع فاقبل بعضهم على
بعض يتلاومون كل منهم يقول للآخر انت السبب او لان بعضهم رضي به وبعضهم كف
فلم يطيعوه قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين فلذلك اصابنا البلاء عسى ربنا ان يبدلنا
خيرا منها كما هو شانه مع التائبين انا الى ربنا راغبون في العفو ومحو الجرم
راجين الخير والظاهر ان الله تعالى قبل توبتهم لوقوعها في اوانها كذلك العذاب
اي مثل ما بلوناه اهل مكة واصحاب الجنة العذاب الواقع في الدنيا وقد ادمج في التمثيل
باصحاب الجنة ان اهل مكة اولى بالبوار والنكال لان القصد الى حرمان المساكين اذا افضى
بهم الى ذلك فكيف بمن عاند الحق وكذب اشرف الرسل وقطع الرحم التي اوصى الله تعالى
بصلتها ولعذاب الآخرة اكبر من عذاب الدنيا لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل
العلم لعلموا ذلك ولاخذوا حذرهم ان للمتقين عند ربهم في جوار قدسه جنات النعيم
جنات ليس فيها الا النعيم تعريض بجنات الدنيا فان الغالب فيها النغص والنكد وحسن
موقعه بعد ذكر اصحاب الجنة المذكورة وذكر حالها افنجعل المسلمين كالمجرمين
قال مقاتل كانوا يقولون ان لم يكن في الآخرة لحسن حالا من المسلمين فلا اقل من المساواة
قياسا على حظوظ الدنيا ما لكم ما حصل لكم من الخلل كيف تحكمون هذا الحكم
الذي لا يصدر عن ذي مسكة وفي الاستفهام مبالغة في التعجب من سفاهتهم ام لكم كتاب
فيه تدرسون لكم بما فيه علم تام ان لكم فيه لما تخيرون تختارونه و
تشتهونه وكان الظاهر فتح ان لانه مدروس وانما كسر لوجود اللام او هو على الحكاية كقوله
وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح ولا يقدح في هذا تكرار فيه لكونه على منوال
قراءة الكشاف ان في الكشاف لفوائد وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان
علينا يقال لفلان على يمين اذا حلفت له على امر تضمنه بالغة متناهية في التغليظ
جمع اليمين واكده لفرط اعتمادهم الى يوم القيمة غاية للثبوت المقدر في الظرف
اي ثابتة الى ذلك اليوم كالاجل للدين فان اوفينا بالمقسم عليه خرجنا عن عهدتنا
او متعلق على معنى انها مستمرة الى ذلك اليوم لا تنحل منها يمين ولم يبطل حتى يحصل المقسم
عليه ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم
سلهم ايهم بذلك زعيم كافل باثبات ما ذكر ام لهم شركاء في هذه العقيدة فليأتوا
بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم ومعلوم انه لا يوافقهم عاقل فقد الخصم مادة
الشبهة عقلا ونقلا يوم يكشف عن ساق منصوب بفليأتوا او باذكر او بمقدر
اي يكون كيت وكيت الكشف عن الساق والتشمير عنها جرى مجرى المثل في شدة
الامر واستعمله البلغاء حيث لا يتصور ساق قال جرير الا رب سامي الطرف من آل مازن

اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا واصل هذا ان الرجل اذا وقع في امر عظيم شمر عن ساق
ولاينافي هذا ما رواه البخاري عن ابي سعيد انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يكشف ربنا عن ساق فيسجد له كل مومن ومومنة ويبقى من كان في الدنيا
يسجد ريا فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا اذ عند الاشتداد والفزع الاكبر يتجلى للمومنين
بصفة الجمال وهذا انما يكون بعد ذهاب اهل النار ولم يبق الا المومنون وبينهم
المنافقون فارادوا النفاق كما في الدنيا فافتضحوا وهذا معنى قوله ويدعون
الى السجود فلا يستطيعون الان هناك دعاء صحيحا وتكليفا خاشعة
ابصارهم ترهقهم ذلة تغشاهم وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون
من العوايق فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اى كله الى فانا اكفيكه سنستدر
جهم من حيث لا يعلمون انه استدراج بان يفيض عليهم الرزق والعافية فيحسبو
ايثارا لهم وتفضيلا على المومنين فيمادون في الضلال والاستدراج استنزال الشخص
درجة بعد درجة حتى يتورط في الهلاك واملى لهم اى اطيل لهم المدة ليزدادوا اثما
ان كيدى متين قوى وانما سمى احسانه استدراجا وكيدا لانه في صورته ام تسالهم اجرا
متصل بقوله ام لهم شركاء وما في البين اعتراض ترغيبا للسامعين في التدارك قبل فوت
الوقت فهم من مغرم مثقلون فلذلك يعرضون ام عندهم الغيب اللوح
الذي هو خزانة المغيبات فهم يكتبون منه فهم يستغنون به عنك وعما جئت به
فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم الى وقت معلوم ولا تكن كصاحب الحوت
هو يونس بن متى اذ نادى وهو مكظوم في بطن الحوت ان لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين والمعنى لا تكن مكظوما اى مملوا غيظا على عدم ايمان قومك
مثله فالمنهى عنه مشابهته اياه في الكظم ولما كان موهما بنوع انحطاط قال لا تفضلوني
على يونس بن متى اذ كان غضب الله وان لم يكن من عزم الامور لولا ان تداركه نعمة من ربه
رحمة منه او توفيقه اياه للتوبة لنبذ بالعراء وهو مذموم اى امتنع نبذه بالعراء مذموما
لوجود التدارك فالمقصد في جواب لولا هو الحال لا النبذ لوجوده والعراء الفضاء الذى
لا ساتر له فاجتباه ربه بعد الانابة من عداد الانبياء وقيل استنباء وهو خطأ فلحقه
وكذا القول بنزول الاية حين اراد ان يدعو على المومنين الذين انهزموا يوم احد لان السورة من
اوائل ما نزل بمكة وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ذلقه وازلقه بمعنى ازاله
عن مكانه وصفهم بالمبالغة في العداوة كانها سرت من القلب والجوارح الى النظر فصار يعمل
عملها واليه اشار من قال يتعارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزيل مواطئ الاقدام وقيل
العين كانت في بني اسد وكان يتجوع منهم رجل ثلثة ايام فلا يمر به شىء فيقول لم اركاليوم مثله
الا عانه فارادوا فعله برسول الله فوقاه الله بعنايته وعن الحسن ان هذه الاية رقية العين من
خاف من اصابة العين فليقراها وروى الامام احمد بن حنبل عن ابن عباس رضي الله عنهم
لو كان شىء سابق القدر لسبقته العين والاخبار في حقية العين متواترة المعنى ومن شاهد
تاثير المغناطيس في جذب الحديد لم يستبعد تاثير العين وقرا نافع كقوله بفتح الياء وهى
لغة والضم اشهر لما سمعوا الذكر القران الذى هو شرف لهم ويقولون انه
لمجنون ولذلك خالف كلامه اساليب كلام العرب وما هو الا ذكر للعالمين
عظة لكل ذى عقل من الملائكة والثقلين او شرف لمن حفظه وعمل بما فيه كائنا من كان
وهذا ابلغ من قوله وانه لذكر لك ولقومك تمت سورة نون والحمد
لمن اجره غير ممنون والصلوة على خير الخلق الى يوم يبعثون

يبعثون سورة الحاقة مكية وهى اثنتان وخمسون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة من اسماء يوم القيمة اى الساعة الثابتة التى
لا ريب في ثبوتها او التى فيها ثوابت الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازى
وكذا ان فسرت بما يحق فيها الامور وتعرف على الحقيقة ما الحاقة ما حقيقتها الجملة خبر
الاول والاصل ما هى تعظيم وتهويل لها وفي وضع المظهر مقام المضمر زيادة ومبالغة
واكد ذلك بقوله وما ادريك ما الحاقة اى لم تحط علما بكنهها وكل شىء قدرته
في نفسك فهى افظع من ذلك وما الاستفهامية علق عنها الفعل ولما هول امرها بما لا مزيد
عليه اردفه بذكر المكذبين بها وما حل بهم وادخر لهم في الاخرة تحذيرا لاهل مكة كذبت
ثمود وعاد بالقارعة من اسمائها لانها تقرع الناس بالافزاع والاهوال والجبال
بالدك والسماء بالانفطار والارض بالزلزال وهذا تهويل اخر حيث لم يعبر عنها بالضمير
ولا بالمظهر المذكور فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المتجاوزة عن الحد
في القطاعة وهى الصاعقة لقوله فاخذتهم صاعقة العذاب ويجوز ان يكون معها الصيحة
والرجفة كما حاصب مع الخسف في قوم لوط وقيل مصدر كالعاقبة ولا يلايم قوله واما
عاد فاهلكوا بريح لان الاية من قبيل الجمع والتفريق والحدث لا يناسب العين
صرصر شديدة الصوت لها صرصرة في هبوبها او من الصر وهو البرد كانها التى كرر فيها البرد
عاتية على قوم عاد فلم يقدروا على دفعها وعن على بن ابى طالب رضي الله عنه عتت
على خزانها فخرجت بغير حساب سخرها عليهم سلطها سبع ليال وثمانية
ايام استيناف لبيان الكمية بعد الكيف لتكامل الهول حسوما حاسمة كل
خير جمع حاسم كشهود جمع شاهد والحسم ازالة اثر الشىء ومنه الحسم للكى المتصل اجتماع
بعده لكمال النحوسة فترى القوم فيها في مهابها صرعى ملقى على الارض كالاخشاب اليابسة
قيل كانت من صبيحة الاربعاء الى غروب الاربعاء وسميت ايام العجوز لان عجوزا توارت في سرب
فوجدها الريح في اليوم الثامن وقيل ايام العجز وهى اخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر
والامر والمؤتمر والمعلل ومطفى الجمر كانهم اعجاز نخل خاوية اصول نخل متاكلة الاجواف فهل
ترى لهم من باقية بقية او نفس باقية او بقاء وجاء فرعون ومن قبله قبل
فرعون وقرا ابو عمرو والكسائى قبله بكسر القاف اى اتباعه والاول ابلغ واشمل اذ ذكر
فرعون دل على اتباعه والمؤتفكات قرى قوم لوط والاسناد مجاز بالخاطئة
بالخطأ او بالفعلة ذات الخطأ او بالافعال الخاطئة مجاز في الحكم فعصوا رسول ربهم
كل منهم رسولهم فاخذهم اخذة رابية شديدة لعظم جرمهم من ربا الشىء زاد
انا لما طغى الماء على الخزان يوم الطوفان او جاوز الحد حملناكم في الجارية
في السفينة وذكرها باسم الجارية تصوير لاظهار القدرة اذ لم يكن لها مجرى ولا نوتى بل كان
باسم الله مجريها ومرسيها لنجعلها لكم تذكرة تلك الفعلة موعظة وتعيها
اذن واعية من شانها الوعى يقال وعيته اذا حفظته في وعائه والتنكير للدلالة
على قلة الاذن الموصوفة وان واحدة منها اذا وجدت كانت بمثابة السواد الاعظم
وقرا نافع بسكون الذال وعن على رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سالت الله ان يجعل اذنك واعية قال فما نسيت بعد ذلك شيئا وما كان لى ان انسى
فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وهى النفخة الاولى نفخة الفزع ويعقبها نفخة الصعق
وبعدها نفخة القيام وابتداء خراب العالم وحملت الارض والجبال فدكتا دكة
واحدة ضربت احديهما على الاخرى بالقدرة الكاملة فصارتا كثيبا مهيلا
كما تضرب احدى البيضتين على الاخرى فيومئذ وقعت الواقعة قامت القيامة

وانشقت السماء فهي يومئذ واهية سترخيه والملك على ارجائها جنس
الملك على اطرافها جمع رجا مقصور ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فان الحملة
اليوم اربعة فاذا كان ذلك اليوم امدوا باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف لا يعلم عدد
هم الا الله وروى ابو داود في سننه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذن لي
ان احدثكم عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة اذنه الى عاتقه سبعماية عام وان انطق
القرآن بامر ممكن ووافقه الاحاديث فلا وجه للتاويل والعدول عن الظاهر يومئذ
تعرضون العرض انما يكون بعد النفخة الاخيرة والكلام في النفخة الاولى لان اليوم
اريد به الزمان المتسع روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يعرض
الناس يوم القيمة ثلث عرضات عرضتان جدال ومعاذير والثالثة تطير فيها الصحف
لا تخفى منكم خافية سريرة والمراد من العرض اظهار العدل واخزاء الجاحدين على رؤس الاشهاد
وقرا حمزة والكسائي بالياء وحسن لوجود الفصل فاما من اوتي كتابه بيمينه
تفصيل للعرض روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله قال يدني الله
المؤمن يوم القيمة فيقرره بذنوبه حتى اذا راى انه قد هلك يقول له قد سترتها
عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته بيمينه واما الكافر
فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين فيقول
هاؤم اقرؤا كتابيه يقول لكل من راه فرحا وها اسم ها بالف بعده همزة
تصرف تصريف الكاف ومعناه خذ اسم فعل تنازع هاؤم واقرؤا فاعمل الثاني لقربه
على ما اختاره البصريون والا لقيل اقرأه اني ظننت اني ملاق حسابيه ايقنت وانما
عبر عنه بالظن دلالة على ان هواجس النفس وخطراتها مما لا ينفك عنه العلوم النظرية
لا يقدح في الاعتقاد فهو في عيشة راضية ذات رضا كلابن وتامر فان النسبة
كما يكون بالحرف يكون بالصيغ او راض صاحبها على المجاز في الاسناد في جنة عالية
فوق السماء السابع سقفها عرش الرحمن او عالية قصورها واشجارها بدل من عيشة او خبر
بعد خبر قطوفها جمع قطف بالكسر من القطاف وهو تقارب الخطى في سرعة فانها تجتنى
من غير تعب دانية يتناولها القاعد والمضطجع كلوا واشربوا على تقدير القول هنيئا
اكلا وشربا هنيئا او هنيتم هنيئا بما اسلفتم من الاعمال في الايام الخالية
الماضية في الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم
ادر ما حسابيه لما يرى من سوء الحال يا ليتها الموتة الاولى كانت القاضية
القاطعة فلم ابعث بعدها او يا ليتها دامت يرى من الشدة ما بعد مرارة الموت حلاوة
عندها ما اغنى عني ماليه شيئا من الاشياء او اي شيء اغنى على ان ما استفهامية
انكارا هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الاموال والخشم قرا حمزة في الوصل
بدونها في الموضعين وهذا هو الاصل لانها هاء السكت ولا سكت في الوصل ومن
اثبتها اجرى الوصل مجرى الوقف اتباعا للرسم خذوه امر من الله للخزنة فغلوه اجعلوه في
الغل ثم الجحيم صلوه وهي النار العظمى لا غيرها يقال صليته النار ادخلته اياها ثم
في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا المراد منه الكثرة كقوله ان تستغفر لهم سبعين
مرة فاسلكوه اي لا تسلكوه الا في السلسلة الموصوفة ومعنى سلكه فيها ان تلف
عليه مع ذلك الطول المفرط مبالغة في التضييق عليه وثم في الموضعين للتفاوت
بين ما دخله وما تقدمه انه كان لا يؤمن بالله تعليل على طريقة الاستيناف
العظيم اي ذلك العظيم من العذاب لكفره بالعظيم ولا يحض على طعام
المسكين فيه مبالغات ذكر قرين الكفر وترك الحض بدون منع الطعام ليعلم من

من باب الاولى وفيه اشارة الى ان شر الخصال بعد الكفر البخل وقسوة القلب فليس له
اليوم ههنا حميم قريب يحميه وقد فر كل امرئ من اخيه وابيه ولا طعام
الا من غسلين غسالة اهل النار من دم وصديد فعلين من الغسل لا ياكله
الا الخاطئون العامدون للاثم من الخطأ بكسر الخاء ومن الخطا بفتحها ضد العمد الذي
ذكره الفقهاء فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون اي بجميع الكائنات التي هي اثار
الصنع ولا مزيدة او لا اقسم بهذه الاشياء لظهور الامر انه اي القرآن لقول رسول
كريم مبلغ عن الله وما هو بقول شاعر كما تزعمون قليلا ما تؤمنون لفرط عنادكم
ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون القلة في الموضعين بمعنى العدم ولما كان عدم التباس القرآن
بالشعر بينا جعل الفاصلة عدم الايمان عنادا بخلاف الكهانة فانها تتوقف على سبر احوال
القائل من الصدق والصلاح فذكر معها التذكر وقرا ابن كثير وهشام يؤمنون
ويذكرون بالياء الغيبة مسندا الى ضمير الخاطئون ولابن ذكوان وجهان تنزيل من
رب العالمين دفع لتوهم ان يكون كلام الرسول حقيقة لاسناد القول اليه والمراد بالرسول
لرسول محمد لا جبريل عليهما السلام اذ لم ينسبوا اليه شعرا ولا كهانة ويجوز ان يكون جبريل
عليه السلام كانه قيل انه لقول جبريل الرسول الكريم وليس من تلقاء محمد كما تزعمون انه شاعر
وكاهن والاول اوجه ولو تقول علينا بعض الاقاويل اي لو نسب الينا قولا لم نقله من
التقول الى من لم يقله تكلفا ويسمى الاقول المقول اقاويل تحقيرا كالاعاجيب والاضاحيك
كانها جمع افعولة لاخذنا منه باليمين اي بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين كما يفعل
الملوك بمن يكذب عليهم وصور القتل في اشنع صورة وهو ان ياخذ الجلاد بيمين
المصبور ليرى السيف في يده بخلاف ما اذا اخذ بيساره والوتين نياط القلب وفي
ذكره اشارة الى محل الجناية كاليد للسارق فان اللسان ترجمان لا مواخذة عليه فما
منكم من احد عنه حاجزين عن القتل او المقتول احد استعمل جمعا والخطاب للناس كلهم
وانه لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين لما نقوله
من تركيب الرسول وكون القرآن ليس بشعر ولا كهانة وانه اي التكذيب او القرآن
لحسرة على الكافرين انذارا وثواب المؤمنين وانه لحق اليقين اي انه
اليقين حق اليقين وحاصله عين اليقين كقولك عين الشيء نفسه فسبح باسم
ربك العظيم اي نزه بذكر اسمه العظيم الدال على تقدسه عن مكان التقول
عليه وشكرا لما اولاك واوحى اليك تمت والحمد لمن الاؤه جلت والصلوة على
من به الرسالة تمت سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون ايات
بسم الله الرحمن الرحيم سال سائل بعذاب واقع السائل هو النضر بن
الحارث الذي قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال اللهم عليك بقريش ويؤيد الاول قوله انهم يرونه وقرا
نافع وابن عامر سال بالالف اما مبدلة من الهمزة تخفيفا او اجوف واوي كخاف يخاف قال
ابو زيد سمعت من يقولهما يتسايلان فهو سايل بدل لمنا لواو كهمزة كائن على الوجهين
يتعدى الى المفعولين بنفسه وتعديته بالباء لتضمين معنى الاستعجال او من سال السيل
اجوف يائي كباع يبيع والمعنى سال سائل اي جرى واد ذو سيل بعذاب واقع ويؤيده
قراءة ابن عباس رضي الله عنه سال سيل للكافرين صفة عذاب واقع اي
كائن او يتعلق بالفعل اي سال للكافرين او بواقع اي نازل لاجلهم وعن قتادة
سال سائل على من ينزل عذاب الله فعلى هذا قوله للكافرين جواب لذلك السائل
والباء لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع من الله جملة موكدة على قول قتادة

صف لخزى لعذاب على الاول وعلى الوجهين من الله اما متعلق بواقع اى من جهته او بدافع
اى لامنه ولا من غيره ذي المعارج ذى المصاعد جمع معرج او معرج يصعد فيها
الاعمال الصالحة او المؤمنون فى سلوكهم او دارثوابهم تعرج الملائكة والروح اليه
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة بيان وتفصيل لتلك المعارج اظهار لعزة
شانه وملكوته والروح جبريل وافراده لمزيته وقيل خلق آخر موكلون بالملائكة
كالملائكة بنا واليوم يوم القيمة وصف بغاية الطول اما كناية عن شدته او حقيقة
على ما قيل ان فيه خمسين موطنا يقف الخلق فى كل موطن الف سنة ويؤيد الاول
ما رواه الامام احمد بن حنبل عن ابى سعيد انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اطول هذا اليوم قال والذى نفسى بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من
صلوة مكتوبة وقيل من اسفل الارض الى عرش الرحمن مسافة خمسين الف سنة لو قطعها
الانسان وهذا ان صح لا تعلق له بتفسير الآية لان الغرض تهويل يوم القيمة وقرا الكسائى
يعرج بياء الغيبة فاصبر صبرا جميلا لا قلق معه ولا شكوى بعد علمك بوقوع العذاب
على اعدائك انهم يرونه بعيدا عن امكان الوقوع ونراه قريبا منه لكمال
قدرتنا والضمير للعذاب او لليوم فان قلت السائل سواء كان رسول الله او غيره لم
يسأل الا عذاب الدنيا كما نزل بسائر الامم والسياق يدل على وقوع العذاب يوم القيمة
فكيف طابق السؤال قلت هو من قبيل قولك حسبهم جهنم كانه قيل العذاب المستعجل
به ليس بعذاب حقيقة بل العذاب هو المعد لهم وهم ينكرونه ويدعون استحالته
ثم هول شانه بما فصله يوم تكون السماء كالمهل منصوب بقريبا او بيقع مقدر
الدلالة واقع عليه وبدل عن محل فى يوم ان علق بواقع او يوم تكون السماء كالمهل يكون
كيت وكيت والمهل دردى الزيت وعن ابن مسعود رضى الله عنه الفضة المذابة
وتكون الجبال كالعهن كالصوف الملون لاختلاف الوان الجبال بيض وحمر و
غرابيب سود فاذا طارت فى الهواء اختلطت الوانها ولا يسأل حميم حميما كيف
حالك لكل شان يغنيه ويشغله عن غيره يبصرونهم استيناف جواب لم يسأل كانه
لا يراه او حال وجمع الضمير لان المعنى على العموم والاصل يبصرون بهم يقال بصرته
بالشئ اذا اوضحته له وكانه ضمن معنى التعريف او حذفت الصلة او وصل الفعل يود
المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ حال من احد الضميرين او استيناف يدل على ان الامر
اطم من الاشتغال بالسؤال عن حال احد ببنيه الذين هم اعز من الروح وصاحبته
التى يختار ذهاب مهجته دونها عينه واخيه الذى هو شقيقه وفصيلته وعشيرته الذين
فصل منهم التى تؤويه تضمه فى النسب وعند الشدائد ومن فى الارض جميعا كائنا
من كان ثم ينجيه عطف على يفتدى استبعاد لما يتمناه هيهات كلا ردع له عن
ارتكاب ما لا نفع فيه انها لظى الضمير للنار دل عليه ذكر العذاب او مبهم فسره
الخبر وهو لظى او ضمير القصة ولظى علم للنار منقول من اللظى وهى اللهب ويجوز ان
يراد بها نفس اللهب مبالغة كان كلها لهب خالص نزاعة للشوى خبر بعد خبر لان
او خبر لظى ان كان الضمير للقصة ويجوز ان يكون صفة ان اريد باللظى اللهب لان علم الجنس
كالمعرف باللام فى اجرائه مجرى النكرة وان لم يجعل علم الجنس فحذف التنوين لاجراء الوصل مجرى
الوقف وقرا حفص نزاعة بالنصب على الاختصاص كانه قيل تتلظى نزاعة والشوى جمع
شواة جلدة الراس واطراف الانسان وكل ما ليس بمقتل يقال للرامى اذا لم يصب المقتل
اشوى تدعوا من ادبر وتولى مجاز عن جذبها واحضارها من ادبر عن الحق وتولى
عن الطاعة او تدعوهم بلسان المقال يا كافر يا منافق وهذا ابلغ وجمع فاوعى المجل

لبخله وحرصه حفظه فى الوعاء ولم يؤد حق الله منه ان الانسان خلق هلوعا
الهلع شدة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره بقوله اذا
مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا فالجزوع والمنوع وصف كاشف لهلوعا الا
المصلين استثناء منقطع لما وصف من ادبر وتولى بالهلع قال لكن المصلين فى مقابلة اولئك
او متصل اى ان الانسان خلق هلوعا واستمر ذلك عليه ولم يفارقه الا المصلين الموصوفين
بالصفات الآتية فانهم خلعوا ربقة الهلع عن اعناقهم روى الامام احمد عن ابى هريرة رضى الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع الذين هم على
صلوتهم دائمون لا يتركونها فى اوقات الاعذار والضرورات والذين فى اموالهم حق
معلوم مقدار معلوم هو الزكوة لان وجوبه كان بمكة وتقديره نصبا مفصلا بالمدينة
للسائل الذى يسأل والمحروم الذى لا يسأل فيفتشون عليه والذين يصدقون
بيوم الدين آخر اهتماما بالصلوة والزكوة وقيل يصدقونه بالاعمال بالابدان
والاموال ولذلك ذكره بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون
خائفون ان عذاب ربهم غير مأمون اعتراض دل على انه لا ينبغى لاحد ان يأمن
وان كان على قدم راسخ فى الطاعة والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما
ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين دل على ان المباح لا يمدح عليه فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك
هم العادون المتجاوزون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون حافظون
وقرا ابن كثير امانتهم على التوحيد لارادة الجنس والذين هم بشهاداتهم قائمون
احياء للحقوق وهى من الامانة افردها دلالة على زيادة فضلها وقرا حفص
بالجمع مناسبة للمضاف اليه او لاختلاف انواعها والذين هم على صلوتهم
يحافظون على شرائطها واركانها وواجباتها وسننها وادابها وكفاها شرفا حيث
ابتدأها فى عد المحاسن وختم بها اولئك الموصوفون بتلك الصفات فى
جنات مكرمون بانواع الاكرام فما للذين كفروا قبلك حولك
مهطعين مسرعين مادى اعناقهم عن اليمين وعن الشمال عزين
فرقا شتى جمع عزة اصلها عزوة قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ثم حذفت
الياء وعوض عنها التاء كانوا يحدقون حوله كل واحدة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى
ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كانوا يقولون استهزاء نحن اولى بالجنة
من محمد واتباعه كلا ردع لهم عن هذا الاعتقاد انا خلقناهم مما يعلمون
استدل على امكان البعث بخلقهم اولا والقدرة على خلق مثلهم ثانيا واشار الى ان
استحقاق دخول الجنة انما هو بالاعمال الزاكية والا فاصل نشاتهم من ماء مهين بين
بين الالياه يستحيى من ذكره صريحا ولذلك ابهم بقوله يعلمون فلا اقسم برب المشارق
والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم بان نذهبهم ونأتى بقوم آخرين او نوفق لمحمد طائفة
خيرا من اهل مكة وهم الاوس والخزرج وفى المقسم به دلالة ظاهرة على القدرة على تحقيق المقسم
عليه وما نحن بمسبوقين بمغلوبين على ذلك فذرهم يخوضوا فى اباطيلهم
ويلعبوا كالصبيان حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون اضاف اليوم اليهم لمزيد
الاختصاص يوم يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون ثانى مسرعين
اسراعا يشبه الاسراع الذى كانوا يسرعونه الى الحجر الذى كان علما للذبح النسائك وعن
الحسن كانوا يبتدرون عند طلوع الشمس الى اصنامهم على الاخرة وقرا ابن عامر وحفص
نصب بضم النون والصاد جمع نصب كسقف جمع سقف او مفرد الانصاب والباقون
بفتح النون واسكان الصاد وسراعا وكانهم حالان من فاعل يخرجون وكذا خاشعة

ابصارهم ترهقهم ذلة ويجوز ان يكون احوالا متداخلة ذلك اليوم الموصوف
الذي كانوا يوعدون ان لوى احدهم في الدنيا على السنة الرسل تمت سورة المعارج
والحمد لمن لكل هم فارج والصلوة على المختار عدد رمل عالج سورة نوح مكية
وهي ثمان وعشرون ايات بسم الله الرحمن الرحيم
انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر بحذف الجار وايصال الفعل او ان مفسرة
لتضمن الارسال معنى القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم الطوفان
او عذاب يوم القيمة والاول اوجه قال يا قوم اني لكم نذير مبين لاقتران قوله
بالمعجزة ان اعبدوا الله بان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم
ما كان لكم من الذنوب او بعضها وهي التي تقدمت الايمان فان الاسلام يجب
ما قبله ويؤخركم الى اجل مسمى هو آخر الآجال ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر
والتوفيق بينه وبين تأخير الاجل ان القضاء معلق ومبرم فالتأخير بالنظر
الى الاول وعدمه بالنظر الى الثاني اي لو آمنوا عاشوا كذا وان لم تؤمنوا فكذا وهذا
معنى زيادة الصدقة والصلة في العمر وما في علمه تعالى لا يبدل لو كنتم تعلمون جعلهم
جاهلين بذلك لعدم جريهم على موجب العلم قال رب اني دعوت
قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان واسناد
الزيادة الى الدعاء اسناد الى السبب واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي ليؤمنوا
فتغفر لهم وذكر المسبب الذي هو حظهم ليكون ادل على قبح اعراضهم جعلوا
اصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا كلامي المجعول في الآذان رؤس
الانامل واطلاق الاصابع مجاز مبالغ واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا
يروني كراهة منهم لرؤيتي او لئلا اعرفهم فادعوهم الى الايمان والاتيان
بصيغة الطلب للمبالغة كانهم طلبوا من الثياب ان تغشاهم واصروا على
الكفر من اصر الحمار على العانة اذ ينه يطردها للسفاد وكفى بهذا التشبيه
مزجرة واستكبروا عن اتباع الحق استكبارا مفرطا ثم اني دعوتهم جهارا ثم
اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا هذا داب الناصح الشفوق ينصح سرا وان لم ينجع يعلن
نصحه لكي يسمع من لم يعي ثم يبالغ بالجمع بين السر والجهر ونصب جهارا على
المصدر من غير فعله او على الحال فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا تفسير
لدعائه وكانهم كانوا يتعللون بما اسلفوا من الذنوب فوعدهم المغفرة ان
ابوابها يجبها من الايمان يرسل السماء عليكم مدرارا حبس الله عنهم المطر اربعين
سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم باعادة الخصب ان تابوا والسماء المظلة
او السحاب وارسالها ارسال المطر منها دلالة على كثرته او المطر كقوله اذا نزل
بارض قوم والمدرار اسم فاعل كثير الدر كالمضراب يستوي فيه المذكر والمؤنث ويمددكم
باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا جمع لهم في الوعد بين منافع الدارين
روي ان رجلا شكى الى الحسن الجدب فامره بالاستغفار والآخر الفقر فامره به والآخر
قلة ريع ارضه فقال استغفر فقال الربيع بن صبيح شكوا اليك ابوابا وسألوك والجواب
واحد فتلا عليه الآية ولما استسقى عمر في خلافته لم يزد على الاستغفار فقيل له في ذلك
فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر ما لكم لا ترجون لله وقارا
اي ما حصل لكم من الصارف حتى لا تكونوا على حال ترجون من الله تعظيما ولله بيان
كانه قيل لمن التعظيم ايانا فقيل لله ولو اخر لكان صلة الوقار ولا يتوهم ذلك مع
التقديم لان معمول المصدر لا يتقدم عليه في الاكثر والحث على الرجاء كناية عن الحث

عن الحث على الايمان لانتفاء اسبابه او لا تخافون الله عظمة وحلما لان الوقور يعظم
في النفوس والحلم لا يفارقه وتفسيره بالعاقبة كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه مأخوذ
من الوقار بمعنى الثبات لان العاقبة حال استقرار الثواب والعقاب ثم نبههم على النظر
في انفسهم لانها اقرب منظور بقوله وقد خلقكم اطوارا على طريق الحال اي
خلقكم ترابا ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم لحما ثم عظاما ثم خلقا آخر ثم على النظر في الآفاق
على وجه التعجب من تغافلهم بقوله الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا
علم ذلك باخبار القرآن المعجز او بالارصاد والطباق وهو كون بعضها فوق بعض
لا يقتضي المماسة وجعل القمر فيهن نورا اي في السماء الدنيا ونسب الى الكل
لملابسته بينها وجعل الشمس سراجا كالسراج في ازاحة ظلمة الليل كقوله هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نورا والله انبتكم من الارض نباتا انشأكم استعار
الانبات له لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض والاصل انبتكم فنبتم نباتا كقوله
كسرته فانكسر او نصب بانبتكم لان الفعل والانفعال واحد حقيقة والاختلاف بالنسبة
الى القابل والفاعل ثم يعيدكم فيها بعد الموت ويخرجكم اخراجا لا محالة و
لذلك اكده بالمصدر كالاول اشارة الى اتحاد الرتبة وكونهما في قرن والله جعل لكم
الارض بساطا مبسوطة تتقلبون عليها تقلب الرجل على فراشه لتسلكوا منها
سبلا فجاجا طرقا واسعة ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ قال نوح
رب انهم عصوني في الامر بعبادة الله واتقائه بعد ما تلوت عليهم آيات الآفاق والانفس
وصرح باسم نوح لطول الفصل ولم يعطف لانه تفصيل لقوله فلم يزدهم دعائي الا فرارا
واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا اي رؤساءهم المتقدمين بالاموال
والاولاد واشار الى ان ذلك وان كان في الظاهر سببا للتقدم في الحقيقة ليس سببا
الا للبوار وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ولده جمع ولد كاسد واسد ومكروا
عطف على من لم يزده والجمع باعتبار معنى من مكرا كبارا غاية في الكبر بانواع الا
ذى وتسليط السفهاء عليه ابلغ من الكبار مخففا وهو من الكبير ابلغ وقالوا لا تذرن
آلهتكم عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا
افردها بالذكر كانها كانت كبار آلهتهم واشرافها اسماء رجال صالحين فلما هلكوا
وسوس الشيطان الى قومهم ان صوروا صورهم حتى يتبركوا بها ويبقى بذكرهم فلما نشأ
انقرضوا اولئك وسوس الى اولادهم ان آباءكم كانوا يعبدونها فعبدوها من دون الله
روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه ان هذه الاوثان التي كانت في قوم نوح عليه السلام
انتقلت الى العرب اما ود فكانت بدومة الجندل لكلب وقرأ نافع بضم الواو وسواع كانت
لهذيل ويغوث لمراد ثم لبني غطيف بالجرف ويعوق لهمدان ونسر لحمير لآل ذي الكلاع وقد اضلوا
كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله رب انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين
الا ضلالا اللام للعهد وهم اولئك الذين ايس من ايمانهم والرضا بكفر العدو مع استقباحه
قصدا الى زيادة عذابه لا غرو فيه الا ترى الى قول موسى ربنا اطمس على اموالهم واشدد
على قلوبهم وقيل اراد في ترويج مكرهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين في
ضلال وسعر مما خطيئاتهم اي لاجل خطيئاتهم وما مزيدة للتوكيد اغرقوا
بالطوفان وقرأ ابو عمرو خطاياهم وهذا احسن لانه جمع الكثرة والاولى يحتاج الى
التأويل فادخلوا نارا اي تعقب الغرق دخول النار من غير تراخ والمراد
عذاب القبر لانه روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران والتنكير للتعظيم
او للنوع فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا كما كانوا يزعمون دون عذابه

النضر من الآلهة وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ديارا من الالفاظ
المستعملة فى النفى العام يقال ما بالدار ديار اى احد من الدور او من الدار فيعال
قلبت واوه ياء وادغمت الاولى ولو كان فعالا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبا
دك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك بعد ما اوحى الله تعالى اليه انه لن يؤمن
من قومك الا من قد آمن وايضا جربهم الف سنة الا خمسين عاما وكانوا يتواصون
بعدم الايمان ويقولون لذريتهم اياكم وهذا الشيخ ومضى على هذا جيل بعد جيل
والفاجر الكفار للمولود باعتبار المال كقوله من قتل قتيلا رب اغفر لى ولوالدى
كان ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش ولمن دخل بيتى مؤمنا
او مسجدى او سفينتى وللمؤمنين والمؤمنات من مضى منهم ومن هو آت
ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا وبوارا تمت سورة نوح والحمد لمن بيده
الخيرات والفتوح والصلوة على السيد النصوح وآله وصحبه كل مسا وصبوح
سورة الجن مكية وهى ثمان وعشرون آيات بسم الله الرحمن الرحيم
قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن ما بين الثلث الى العشرة والجن لعد الثقلين
بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بعث الى الانس فدعاهم الى الله
منهم من آمن ومنهم من كفر وهؤلاء النفر هم الذين سمعوا القرآن من رسول الله وهو
يصلى الصبح ببطن نخلة كما تقدم فى آخر الاحقاف ولا دلالة فيه على انه لم ير الجن
وليلة الجن رواها ابن مسعود رضى الله وروى جابر ان رسول الله صلى الله عليه و
سلم قال قرات عليهم سورة الرحمن فكانوا احسن مردودا منكم والقول بانها
ارواح مجردة او نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها لا يجوز تفسير كلام الله بها ولم
يذهب اليه احد من اهل الحق مخالف للنصوص فقالوا بعد ما انصرفوا الى قومهم
انا سمعنا قرآنا عجبا فى اسلوبه ومعناه وصفه بالمصدر مبالغة يهد
ى الى الرشد الى الحق فآمنا به بما فيه من التوحيد ولن
نشرك بربنا احدا ولا دلالة على انهم كانوا مشركين بل كانوا يهودا لقولهم انا
سمعنا كتابا انزل من بعد موسى وانه تعالى جد ربنا عظمة من
جد فلان عظم او غناه مستعار من الجد بمعنى البخت والغرض وصفه بالتعالى
عن الصاحبة والولد وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقراء
ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص ان المسبوقة بالواو بفتح الهمزة فى اثنى عشر
موضعا متوالية والباقون بكسرها ووافقهم على الفتح فى انه لما قام عبد الله
ابن كثير وابو عمرو واتفق الكل على فتح وان المساجد لله والوجه فى الفتح العطف على
الهاء فى آمنا به من غير اعادة الجار على المذهب الكوفى او على محل الجار والمجرور او
الايصال بعد الحذف او اضمار الجار والكسر على الاستيناف او العطف على انا سمعنا او
على انه تعالى لان الكل من مقول وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة
الجن على الله شططا قولا ذا شطط وصف بالمصدر مبالغة والشطط مجاوز الحد
وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا نصب على المصدر لان الكذب
نوع من القول ولا دلالة فيه على انهم الى حين سماع القرآن كانوا مشركين وانه
كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل من العرب اذا نزل بارض
نارحة يقول اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فزادوهم رهقا
فزاد الانس الجن تكبرا وعتوا باستعاذتهم بهم او بالعكس لزيادة اغوائهم
الانس بالاستعاذة والرهق غشيان المحارم واطلاق الرجل على ذكر الجن

رد على القاضي

الجن للمشاكلة وانهم ظنوا كما ظننتم القائل الجن بعضهم لبعض والضمير فى انهم للانس
والعكس لا معنى له لان السياق فى حكاية كلام الجن وقيل الآية والتى قبلها من كلام الله جار
مجرى الاعتراض يؤكد ما حدث منهم من تماديهم فى الكفر وقراءة الفتح يؤيد الاول ان لن
يبعث الله احدا ساد مسد مفعولى ظنوا وانا لمسنا السماء اللمس
المس مجاز عن الطلب لان اللامس طالب متعرف والمعنى طلبنا خبر السماء على ما كنا نفعله
قديما فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع كخدم فى خدام شديدا اقوياء
افرده باعتبار اللفظ وشهبا جمع شهاب وهو الشعلة من النار وانا كنا
نقعد منها من السماء مقاعد خالية عن الحراس المتسمع للاستماع فمن
يستمع الآن يجد له شهابا رصدا هو كالحرس اسم جمع اى ذوى شهاب راصدين للرجم
وهم الملائكة ويجوز ان يكون بمعنى الراصد صفة للشهاب كانت الشياطين تسترق السمع
قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فترجم بالشهب لقوله تعالى ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ولما روى ابن عباس رضى الله عنه كنا
جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمى بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون
فى هذا فى الجاهلية قلنا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم وفى لفظ ملئت ومقاعد
اشارة الى ان ذلك قبل البعثة كان قليلا واما الآن فلا مجال وانا لا ندرى
اشر اريد بمن فى الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا امرا ذا رشد وانا
منا الصالحون الابرار المتقون ومنا دون ذلك وهم المقتصدون
كنا طرائق قددا ذوى مذاهب متفرقة جمع قدة كقطع وقطعة وعن ابى معوية
قال سمعت الاعمش يقول قلت لجنى فيكم الاهواء التى فينا قال نعم قلت كيف حال الرافضة
قال هم شرنا وانا ظننا ان لن نعجز الله فى الارض كائنين فى الارض اينما كنا ولن نعجزه
هربا هاربين منها الى السماء او ان طلبنا فى الارض لم نفته وان هربنا منه لم نخ و
الظن بمعنى اليقين لكونه كلام الموقنين وانا لما سمعنا الهدى القرآن كانوا كالى
المعرفة حيث جعلوا القرآن نفس الهدى آمنا به من غير توقف ومن يؤمن بربه
فلا يخاف اى فهو لا يخاف آثره على لا يخف لافادة التقوى والاختصاص كانه قيل
فهو ناج لا محالة ويختص بذلك بخسا ولا رهقا البخس النقص والرهق القرب من
الشئ ومنه الصبى المراهق والمعنى ان المؤمن لا جناية البخس وظلم الناس لا يخاف جزاءها
وكان اصل الكلام ومن لا يبخس احدا ولا يرهق ظلمه فوضع قوله ومن يؤمن موضعه اشارة الى
ان حق المؤمن وشانه ان يكون كذلك او المعنى ان المؤمن لا يخاف نقصا من جزائه ولا ان
ترهقه ذلة وغير المؤمن كل ما فيه عين البخس لا بخس حق وانا منا المسلمون ومنا
القاسطون الجائرون عن طريق الحق فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا او ائتموا رشدا
واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا
على الطريقة عطف على انه استمع من كلام الله الموحى اليه وان مخففة حذف منها
ضمير الشان والضمير للانس او للجن او لهما والطريقة التوحيد والاسلام لا
سقيناهم ماء غدقا لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء لعزة وجوده فى ارض العرب
ولانه اصل سائر الاقوات والثمار والغدق الكثير لنفتنهم فيه لنبتليهم فى ذلك
التوسع ايشكرون ام يكفرون وقيل لو استقاموا على ما كانوا عليه ولم يؤمنوا لو
سعنا عليهم الرزق استدراجا ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته لان
الغرض منها ذكر المعبود يسلكه عذابا صعدا اى نخ عذاب كقوله واختار موسى
قومه او ضمن معنى يدخله والصعد مصدر صعد وصف به مبالغة فى علو على المعذب

لقوله نطلع على الافئدة وقرأ غير الكوفيين بالنون موافقة لاسقيناهم وان المساجد لله
من الموحى اليه ليس من كلام الجني فلا تدعوا مع الله احدا خطاب للجن كانه
قيل قل لمشركي مكة اوحي الي كذا وان اقول للجن كذا وفي ضمن الحكاية اثبات الحكم للمشركين
ايضا ويجوز ان يكون الخطاب للمشركين او عاما للانس والجن وعن سيبويه والخليل
ولان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والوجه فيه ان يكون كلاما مستطردا عقيب
وعيد المعرض وعن الحسن المساجد الارض كلها لقوله عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا و
قيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد فالجمع للتعظيم وقيل اعضاء السجود وهي سبعة الرجلان
والركبتان واليدان والجبهة والانف وهذا اوجه لان فيه تذكيرا بكونه المنعم بها وان
الحكمة في خلقها خدمة المعبود والتعبير بالمساجد لله اشارة الى ما خلقت له وانه لما
قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا اي لما سمع الجن تلاوة رسول الله بنخلة كادوا
ان يدخل بعضهم في بعض من الازدحام عليه حرصا على السماع منه كل شيء الصقة الى
اخر لبد لبدة او قال الجن لقومهم لما قام عبد الله كاد اصحابه ان يكونوا عليه لبدا
من شدة طواعيتهم وعن الحسن كادت العرب يلبد عليه لما قال لا اله الا الله وعن
قتادة كادت الانس والجن يلبد عليه وعلى اطفاء نوره ثم الوجه على قراءة الكسر ان
يكون استينافا ابتداء قصة لبيان حال الرسول مع المشركين كانه قال قل
اوحي الي من حال الجن وايمان بعضهم وكفر آخرين وفي ذلك حث للسامعين
على الايمان ولطف بهم ثم ابتدأ بقوله انه لما قام عبد الله يدعوه ويوحده كاد
الفريقان يكونون عليه لبدا اعنادا وما لاطفاء نوره مع ما تلا عليهم من
الآيات الباهرة والدلائل النيرة والظاهر لما قمت تدعوه فالعدول الى المظهر
وايثار عبد الله على الرسول او النبي لانه واقع في كلامه فيؤديه على ما يقتضيه التواضع
او اشار تعالى الى ان العبادة من العبد لا يستبعد فما لهم ينكرون ذلك
فنقل كلامه تعالى لخفاء لنفسه عن البين اذ لا اعتداد بالاثر بعد العين وقرأ
هشام في وجه لبدا بضم اللام جمع لبدة كقربة وقرب والكسر جمع لبدة اخف
قل انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا فما للانكار وجه على من يعبد ربه وقرأ عاصم
وحمزة قال على منوال قام وعليه رسم الامام وهذا ابلغ في مدحه لقيامه
بالجواب من غير تعلم قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي نفعا او غيا ولا رشدا
عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنين قل اني
لن يجيرني من الله احد جملة معترضة لبيان عجزه وتاكيد نفي الاستطاعة فكيف
يقدر من هذا شأنه على نفع احد او ضره ولن اجد من دونه ملتحدا ملاذا او ملجأ
من اللحد وهو الميل الا بلاغا من الله كائنا منه استثناء متصل اي قل لا املك
شيئا الا بلاغا وان فسر بلا املك ان اقسركم على الغي والرشد كان منقطعا او
من باب ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ورسالاته عطف على بلاغا بتقدير مضاف اي
بلاغ رسالات الله والعدول الى المنزل بتذكر البلاغ مرتين مبالغة لان كونه
بلاغ رسالاته مما يقتضي التشرف له ومن يعص الله ورسوله ولم يطع امرهما بالتوحيد
فان له نار جهنم لا محالة خالدين فيها ابدا جمعه على اعتبار الجمع في من حتى
اذا رأوا ما يوعدون غاية لقوله يكونون عليه لبدا ان فسر بالتلبد على العداوة
والا فلمقدر اي لا يزالون يستضعفون حاله ويستقلون عدده حتى اذا رأوا يوم
بدر او يوم القيمة تبين لهم من المستضعف دل عليه جواب اذا وما قبله لان
السورة فاتحتها تعريض بمشركي مكة وتعيير لهم لقصور نظرهم عن الجن وفرط تمردهم

تمردهم حيث بادهوا بالتكذيب بدل مبادهة الجن بالتصديق فسيعلمون
من اضعف ناصرا واقل عددا هو او هم قل ان ادري اقريب ما توعدون
جواب قولهم متى يكون هذا الوعد ام يجعل له ربي امدا اي هو كائن لا محالة
ولا علم لي بوقته والامد يطلق على القريب والبعيد واريد به الثاني بقرينة المقام
كانه قال لا ادري ايقع في الحال وعن قريب او ضرب له امد بعيد عالم الغيب
فلا يظهر على غيبه احدا اي هو عالم الغيوب كلها ولا يطلع على غيبه المختص به وهو
يتعلق بذاته وصفاته وافعاله الا من ارتضى من رسول ملكي او بشري فانه يطلع
على ما يشاء من ذلك ولا دلالة في هذا على ان غير ذلك المختص لا يطلع عليه غير
رد على القاضي
الرسول ولا يجوز حمله على العموم لاستلزامه ان يكون رسول مطلعا على جميع
المغيبات ولا دلالة في الآية على بطلان الكهانة والتنجيم ولا على ان كرامات الاولياء
يكون تلقيا من الملائكة ولا تخصيص الرسول بالملك على ان قوله فانه يسلك
من بين يديه ومن خلفه رصدا اي ملائكة يحفظونه من الشياطين
ظاهر في ان المراد بالغيب ما هو بطريق الوحي ليعلم ان قد ابلغوا رسالات
علة لقوله يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا اي ليتعلق علمه تعالى بابلاغ الرسل
ما اوحي اليهم صانهم من تخاليط الشياطين او ليعلم الرسول ان قد ابلغ جبريل
والملائكة النازلون واحاط بما لديهم لدى الرسل من الشرايع والاحكام و
احصى كل شيء عددا كل ما دخل في الوجود وفي اي عالم كان ومن هذا شأنه كيف
يخفى عليه خافية وكيف لا يحيط بما لدى الرسل تمت سورة الجان والحمد للمنان
والصلوة على خلاصة الانسان واله وصحبه الى انصرام الزمان سورة المزمل مكية
وهي عشرون آيات بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها المزمل اي المتزمل وهو المتلفف في ثيابه ادغمت التاء في الزاء روى
ابو بكر البزاز عن جابر ان مشركي مكة لما اختلفوا ساعرا وساحرا وكاهنا او مجنونا
تزمل في ثيابه في بيته حزينا فاتاه جبريل وقال يا ايها المزمل امر له بان ينهض الى القيام
في عبادة ربه في اشرف الاوقات وهو الليل الخالي عن الشواغل وفيه من لطيف العتاب
المخروج بالرافة لينشط ويستعد لتلقي ما ياتي من قوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا
وما قيل انه كان متزملا في مرط لعايشة نصفه عليه ونصف آخر على عايشة رضي الله
رد على الكشاف والقاضي
عنها لا وجه له اذ السورة من اوايل القرآن نزولا وعايشة لم تكن موجودة فضلا عن
كونها عنده وكذا القول بانه اول ما اتاه جبريل اتى خديجة وقال زملوني فنبئنا
هو كذلك اذ ناداه جبريل فناداه يا ايها المزمل بل كان هذا بعد فترة الوحي لما
راى جبريل قاعدا على كرسي بين السماء والارض فرجع الى خديجة فنزل يا ايها المدثر
قم الليل الا قليلا نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء منه اي قم اقل
من النصف على البت او انقص منه او زد عليه او انقص النصف او زد على التخيير و
لما كان الاقل هو الاصل كرر كقولك اكرم زيدا واما زيدا واما عمرا فان قلت
اذا كان التخيير بين الاقل من النصف على البت وبين احد الامرين النقصان عن
النصف والزيادة عليه فقد خرج النصف عن الاقسام وقراءة الكوفيين وابن
رد على صاحب الكشف
كثير ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه بنصبه تدل على انه كان
يقوم تارة نصف الليل قلت الضمير في منه وعليه للنصف واذا جاز له الزيادة
على النصف فقد جاز له النصف لانه اذا جاز له الاقل جاز له النصف ليلزم استدراك
ذكر الزيادة او نصفه بدل من قليلا فالتخيير بين امور ثلثة قيام النصف بتمامه

وقيام الناقص منه وقيام الزائد عليه وعلى هذا وصفا النصف بالقلة بالنظر
الى الكل وفيه اشارة الى ان النصف المعمور بالعبادة وذكر الله تعالى جل الليل
والنصف الخالي عنه نزر قليل وان ساواه كما ويجوز ان يكون الضمير في منه وعليه
للاقل من النصف كالثلث والتخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والزائد عليه كالنصف
وعن الاخفش نصفه عطف على الليل بمقدار اى قم الليل الا قليلا او قم نصفه او ثلثه
او ثلثه فالتخيير بين اربعة امور روى مسلم عن عايشة رضي الله عنها ان قيام الليل
كان فرضا باول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله
عنهم حولا حتى انتفخت اقدامهم واصفرت وجوههم فنسخ آخر السورة فصار تطوعا
وعن ابن جبير نسخ بعد عشر سنين وقيل نسخ عن الامة فقط **وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ
تَرْتِيلًا** اقرأه على تمهل وتؤدة لتتمكن من التأمل والتدبر في دقايقه وحكمه فيكون
قيامك في الليل الذي اشرف الاوقات على اكمل الاحوال شبه القراءة المتصلة بالثغر
المرتل وهو المفلج الشبيه بالاقحوان **إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا** اعتراض دل به
على ان قيام الليل من التكاليف الشاقة التي ورد بها القرآن لان الليل محل الراحة
فاحياؤه بالعبادة مضادة للطبع وفيه ايقاظ له على التشمر لتحمله وتوطين النفس
على المكابرة في تبليغه وتحمله روى البخاري عن عايشة رضي الله عنها رايته في
اليوم الشديد البرد ينزل عليه الوحي وان جبينه لينفصد عرقا وقيل ثقيل في
الميزان او على الكفار او على المتأمل لافتقاره الى اتعاب القريحة في استنباط معانيه
او ثقيل تلاوته على الوجه المنزل ولذلك خفف عن هذه الامة بالقراءة على سبعة
احرف او على الراسخين لاشتماله على المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وعلى
الوجه الجملة تعليل للامر بقيام الليل لانه يعد للنفس ما به يعالج ذلك الثقل
إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ قيامه مصدر نشأ قام بالحبشية وقيل ساعاته لانها تحدث
واحدة اثر اخرى وقيل النفس التي تنشأ عن المضجع وترتفع من نشأت السحابة
ارتفعت عن ابن عباس رضي الله عنه اول الليل وعن ابن عمر من العشاء الى الصبح
اى وقت كان وعن علي والحسن رضي الله عنهما بين العشائين وعن عايشة ومجاهد
رضي الله عنهما الصلوة بعد النوم وهو الاصوب لمداومة رسول الله صلى الله
عليه وسلم على القيام بعد النوم ولقوله **هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا** اى موافقة الحواس
مع القلب على التوجه لعدم الشاغل وعن الفراء اشق واكثر علاجا لترك الراحة
وعن الاخفش اثبت قياما وقرأ الكوفيون ونافع وابن كثير وطأ بفتح الواو وسكون
الطاء من طأهم وطأ ثقل عليهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد
وطأتك على مضر والمد لحسن واوفق بقوله **وَأَقْوَمُ قِيلًا** اى اصح قراءة لهدو
الاصوات وعدم الخواطر والالتفات **إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا** فراغا او
متقلبا في معاشك فتوفر بالليل من عبادة ربك مستعار من سبح الفرس وهو
مد اليدين في الجري والطول ترشيح **وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ** دم على ذكره في كل الاوقات
واستغرق في ملاحظة المذكور لتحظى بالزلفى والقرب عنده **وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ
تَبْتِيلًا** وانفصل بالكلية عن الدنيا او عن وجودك لتبقى بوجوده الباقي
ولما كان المطاوع والمطاوع واحدا في الخارج ذكر التبتيل موضع التبتل
مراعاة للفاصلة وقيل لان معنى تبتل بتل نفسك **رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ** مبتدأ وخبر او خبر مبتدأ محذوف ولا اله الا هو خبر آخر وقرأ ابن
عامر وحمزة والكسائي وشعبة رب بالجر بدلا من ربك وعن ابن عباس رضي الله

رضي الله عنه جر باضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو **فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا** متفرع
على التوحيد اى اذا انفرد بالالوهية فاجعل امورك موكولة اليه او اجعله كفيلا بنصرك
فيك وفيما انزل اليك **وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا**
اعرض عنهم وجانب من غير مقاولة ولا مقاتلة فنسخت باية السيف **وَذَرْنِي وَ
الْمُكَذِّبِينَ** فانا كافيك امرهم كلام من يكون واثقا بالوفاء متمكنا منه اقصى التمكن
ولذلك ابرزه في صورة المنع عن الاستكفاء **أُولِي النَّعْمَةِ** التنعم وبالكسر الانعام و
بالضم المسرة يريد المترفين من صناديد قريش المغترين بالحطام المانعين اتباعهم
عن الدخول في الاسلام **وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا** امهلهم الا قليلا او زمانا قليلا **إِنَّ
لَدَيْنَا أَنْكَالًا** جمع نكل القيد الثقيل **وَجَحِيمًا** نارا شديدة الحر والاتقاد **وَطَعَامًا
ذَا غُصَّةٍ** اخذ بالحلق لا يسوغ **وَعَذَابًا أَلِيمًا** نوعا آخر لا يعرف
كنهه الا الله **يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ** تضطرب وتتزلزل منصوب بما في
الدنيا من معنى الفعل **وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا** رملا مجتمعا من غير مقدار
ومقياس من هلت الدقيق اذا ارسلته من غير كيل **إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا
شَاهِدًا عَلَيْكُمْ** الخطاب للمكذبين التفات حسن الموقع **كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ رَسُولًا** اى عصيتموه كما عصاه فرعون ولم يسمه لان الغرض عصيان الرسول
كاينا من كان **فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ** اعاده معرفة لتقدم ذكره ولا يخفى
ان تشبيه عصيانهم بعصيان فرعون ينبئ عن فرط عتوا وزاد لهذا الرسول كونه شاهدا
عليهم ليكون عصيانه ابلغ في الذم واشار به الى انهم لو آمنوا به كان شاهدا
لهم لا عليهم **فَأَخَذْنَاهُ** في الدنيا **أَخْذًا وَبِيلًا** ثقيلا ومنه الوابل
للمطر العظيم القطر اصله الوخامة يقال مرعى وبيل **فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ
يَوْمًا** مفعول به اى هب انكم لا تواخذون في الدنيا اخذة فرعون فكيف
تقون انفسكم هول يوم **يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا** كناية عن شدته اذ عند تفاقم
المصايب يسرع الشيب قال ابو الطيب والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم
او عن طوله وفي ايثار ان مع القطع بوجود الكفر واستمراره منهم اشارة الى ان وجود
الكفر مع هذا الرسول الذي هو النور المبين ينبغي ان يكون على الفرض والتقدير والمعنى
فكيف تتقون الله في ذلك اليوم بعد فوات الوقت ففيه حث على الاقلاع قبل ان
لا ينفع الندم او فكيف يرجى منكم التقوى وانتم جاحدون ذلك اليوم والمجازاة فيه
السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ منشق والتذكير باعتبار السقف **بِهِ** اى بذلك اليوم لشدته
وهوله **كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا** لا محالة الضمير لله او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول
إِنَّ هَٰذِهِ الآيات **تَذْكِرَةٌ** موعظة لاهلها **فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا** موصلا
اليه **إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ** لما نزل اول السورة كان
الرجل يحتاط في تقدير الاوقات ولا يدري متى الثلث والنصف والثلثان فشق
ذلك عليهم فنزلت واستعار الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين
اذا قربت قل الاحياز وقرأ الكوفيون نصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وهو
المختار لدلالته على انهم قاموا بافضل ما وقع فيه التخيير وهو الاجدر بحال من منصبه على
ذاته افضل الصلوة وقرأ هشام وابن كثير باسكان لام ثلثه تخفيفا **وَطَائِفَةٌ مِنَ
الَّذِينَ مَعَكَ** من اصحابك **وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** لا يعلم تقدير
ساعاتهما وضبط مقدارها غيره **عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ** اى تقدير الاوقات لا
ختصاص ذلك به تعالى **فَتَابَ عَلَيْكُمْ** رفع عنكم ما كان تركه معصية **فَاقْرَءُوا**

ما تيسر من القرآن في صلوة الليل اى وقت كان امر ندب علم ان سيكون منكم
مرضى استيناف لبيان حكمة اخرى اقوى من الاولى تقتضي الترخيص ولذلك كرر الحكم
مرتبا عليه وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله الضرب في
الارض لابتغاء فضل الله المسافرة للتجارة وآخرون يقاتلون في سبيل الله اخبارعما
يكون مستقبلا بالاعجاز لان الآية مكية وتسوية بين الضارب في الارض للتجارة و
المجاهد في سبيل الله دلت على ان طلب الرزق اذا قرن بالنية الصالحة لمكان عند الله
كيف وقد قدمه على المجاهدة ولذلك روى عن عبد الله عمر ما خلق الله موتة اموتها
بعد القتل في سبيل الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض
ابتغاء فضل الله فاقرؤا ما تيسر منه واقيموا الصلوة المفروضة فرضت ليلة الاسراء
بمكة بعد خمس من البعثة على الاصح وآتوا الزكوة قدرا من المال كان فرضا بمكة
وتقرر المقادير بالمدينة واقرضوا الله قرضا حسنا انفقوا في سبيله على وجه
الاخلاص يتناول المفروض والمسنون بل ساير اعمال البر بدنية ومالية وما
تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من تأخير الى
حين الموت والوصية لقوله الصدقة ان تصدق وانت صحيح شحيح ترجو الغنى وتخشى
الفقر ولا تمهل ان يبلغ الحلقوم ثم تقول لفلان كذا ولفلان كذا وعن الزجاج خيرا
من متاع الدنيا وبرده اعظم اجرا واستغفروا الله لما فرط منكم لان الاستقامة
متعسرة او متعذرة ان الله غفور للذنوب رحيم يجعل مكانها الحسنات تمت
سورة المزمل والحمد للرحيم المتفضل والصلوة على الكامل المكمل سورة المدثر
مكية وهي ست وخمسون آيات بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر
ما يلي الجلد من الثياب يسمى شعارا وما فوقه دثارا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
الناس دثار والانصار شعار واول هذه السورة اول ما نزل بعد فترة الوحي لما روى
مسلم والبخاري عن جابر انه سمع رسول الله يحدث عن فترة الوحي فبينا انا امشي سمعت
صوتا فرفعت بصري قبل السماء فاذا الملك جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض
فجثثت منه حتى هويت الى الارض فجئت اهلي فقلت زملوني فانزل الله يا ايها المدثر
قم فانذر الى فاهجر ولم يقع ذكر حراء في بعض الروايات فظن انها اول سورة نزلت
وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه ان قريشا لما قالت في رسول الله صلى الله عليه
وسلم شاعر وقال بعضهم ساحر تدثر في ثيابه حزينا فانزل الله يا ايها المدثر ولا تنافي
بينهما لامكان وقوع الامرين معا فاول اقرأ كان نبوة واول هذه كان ارسالا قم
فانذر اى قومك لقوله وانذر عشيرتك الاقربين او افعل الانذار وهذا ابلغ وربك
فكبر صفه بالكبرياء وحده وقيل لما نزل كبر رسول الله وكبرت خديجة وايقنت
انه الوحي اذ الشيطان لا يأمر بالكبر وحمل على تكبير الصلوة بعيد وثيابك
فطهر فقصرها وهذا اول ما امر به من مخالفة قومه فانهم كانوا يجرون الثياب
على الارض خيلاء او طهرها من النجاسة لانه الواجب في الصلوة والاحب في غيرها
او اخلاقك عما يذمه من الرذايل والرجز فاهجر هو العذاب لقوله لئن
كشفت عنا الرجز اريد به ما يؤدي اليه اى دم على ترك الاوثان وبحرانا لا اثم
والفاء لمعنى الشرط كانه قيل ومهما يكن فكذا وقرأ حفص بضم الراء وهما
لغتان والكسر اشهر ولا تمنن تستكثر لا تعط شيئا حال كونك تعده كثيرا
الاخسا متاع الدنيا وان جل وقيل لا تعط مستكثرا اى طامعا ان تعوض اكثر
مما بذلت وهو من خواصه لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته او نهي

اى لا يخرج متاع الدنيا صح

اراد قربه منه و لخصامه صح

او نهي تنزيه ولربك فاصبر لوجهه وانقيا والامره استعمل الصبر في مشاق التبليغ
واذى الكفار فاذا نقر في الناقور نفخ في الصور سمي ناقورا لما روي ان فيه بعدد
كل روح نقرة نبأ مبالغة كالكابوس والفاء للسببية اى اصبر على اذاهم الى زمان
تلقى فيه عاقبة صبرك ويلقون فيه عاقبة ضرهم والعامل في اذا ما دل عليه قوله
فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين ذلك مبتدأ ويوم عسير خبره و
يومئذ ظرف اى فذلك الوقوع وقوع يوم فالزمان ليس مظروف الزمان ويجوز
ان يكون يومئذ مرفوع المحل من ذلك غير يسير فايدته التعريض بحال
المؤمنين وانها تضاد حال الكفرة كما في قوله لا بارد ولا كريم وفي ذلك زيادة
غيظ لهم او عسير حالا ومآلا بخلاف عسر الدنيا فانه يسير التبدل ذرني ومن
خلقت وحيدا اطبقوا على انه وليد بن المغيرة المخزومي وحيدا حال من الفاعل اى ذرني
وحدي معه في الانتقام ففي كفاية او خلقته وحدي لم يشاركني احد في خلقه و
الاحسن جعله حالا من المفعول اى خلقته متفردا عن المال لقوله ولقد جئتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة او لقوله وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا من كل نوع كان
صاحب الضرع والزرع والذرع قيل كان له بستان في الطايف لا ينقطع ثماره
صيفا وشتاء وكان يملك الف الف وبنين شهودا معه المجالس والمحافل
ولهم نهاية ورونقا وشهودا عنه لعدم ترددهم في اسباب المعاش استغنائهم
فهو يتمتع بهم ليلا ونهارا قيل كانوا عشرة وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة ومهدت
له تمهيدا من ساير اسباب الرياسة والجاه العريض ثم يطمع ان ازيد
له كان يقول ان كان محمد صادقا فالجنة لي او يطلب ان ازيد له في الدنيا فوق
ما هو فيه كلا ردع له وعلة بقوله انه كان لآياتنا عنيدا كافرا مكابرا من
غير شبهة وذلك موجب لزوال النعمة فكيف يجعله سبب الزيادة قيل بعد
نزول هذه الآية لم يزل في نقصان حتى ذهب الى سقر قيل اسلم من اولاده خالد
وعمارة والوليد ولم يصح الاسلام خالد اما عمارة قيل يوم بدر او قتله النجاشي
لما ارسله قريش مع عمرو بن العاص بعد بدر لخيانة نسبت اليه والوليد مختلف
فيه سارهقه صعودا اكلفه مشقا عليه طلوع في جبل من النار طوله
سبعون خريفا اذا وضع يده ذابت واذا رفعها عادت وعن ابن عباس
رضي الله عنه هو صخرة في جهنم وقيل هو مثل لما يلقى في الشدة انه فكر
وقدر بدل او بيان لقوله انه كان لآياتنا عنيدا او تعليل لارهاقه صعودا لابعاده في
التفكير وغوصه على نيل ما يقدح به في كلام رب العزة فقتل كيف قدر تعجب من فساد
تقديره كقوله قاتلهم الله انى يؤفكون او ثناء عليه تهكما نحو قاتله الله ما اشجعه او حكاية
ما قالوه لما سمعوا كلمته الحمقاء ثم قتل كيف قدر تعجيبا ابلغ من الاول لانه صدر
من روية بخلاف الاول فانه نشأ عن النظرة الاولى وهي حمقاء وفي هذا الترقي غاية تهكم به
وبين اعتراه بما تفوه به ثم نظر في امر القرآن او في وجوه الناس ثم عبس قطب
وجهه لما لم يجد طعنا شافيا وبسر وكلح من البسور وهو الكلوح من توابع عبس
او من بسر الحاجة طلب الحاجة في غير موضعها حيرة ثم ادبر عن الحق واستكبر عن
اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت بباله
لم يتمالك ان قال ان هذا الا قول البشر من اساطير الاولين لم يدخل العاطف
لانه توكيد للاول او بيان عن ابن عباس رضي الله عنه لما سمع الوليد القرآن قيل
سمع حم السجدة يتلوه رسول الله قال ان له حلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله

القايل الفاعي والحكاية منه

لمخدق وان اعلاه لمثمر وانه ليعلو ولا يعلى فلما سمعوه قالوا لابن اخيه ابي جهل صبا الو
ليد فجاء وجلس اليه ولامه على ما بدا منه فقال فماذا اقول والله ما منكم اعلم بالاشعار
مني اعلم رجزه وقصيده واعلم اشعار الجن ولا يشبه شيئا من ذلك فقال لا يرضى
قومك حتى تقول فيه ففكر وقدر فقال ان هذا الا سحر يؤثر **سأصليه سقر**
بدل من سارهقه صعودا **وما ادريك ما سقر لا تبقي** سالما **ولا تذر** ولا تدعه
بعد احراقه واعدامه او لا تبقي شيئا من الاشياء ولا تذره كهذه النيران بل تهلك
كل رطب ويابس وهذا اوجه والصق بقوله وما ادريك ما سقر المسوق للتهويل
لواحة للبشر مسودة اعالي الجلد كالليل البهيم من لوحته الشمس غيرته وسفعته
وعن الحسن لواحة للبشر شديدة الظهور كقوله لترونها عين اليقين **عليها تسعة**
عشر يلي امرها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا او صفا او نقيبا **وما جعلنا اصحاب**
النار الا ملائكة لانهم خلاف جنس المعذب من الجن والانس فلا تاخذهم رأفة
لعدم رقة الجنسية ولانهم اطوع خلق الله لتنفيذ الامر واشد غضبا له واقواهم
عمرو بن دينار رضي الله عنه ان واحدا منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر
من ربيعة ومضر وروي مرفوعا ان لاحدهم قوة الثقلين يسوق امة الى النار
على عاتقه جبل فاذا القاهم في النار القى الجبل وراهم **وما جعلنا عدتهم الا فتنة**
للذين كفروا لما سمع ابو جهل تسعة عشر قال ثكلتكم امهاتكم العجز كل عشرة منكم
ان يبطش بواحد منهم فقال ابو الاشد كلدة بن اشد بن خلف انا اكفيكم سبعة
عشر فاكفوني انتم اثنين وكان بلغ من قوته انه يقف على جلد البقر ويجذبه عشرة
فيتمزق الجلد تحت رجليه ولا يقدرون على اخراجه قال السهيلي دعا رسول الله
الى المصارعة وقال ان صرعتني امنت بك فصرعه مرارا فلم يؤمن والمعنى ما جعلنا عد
تهم الا العدد المخصوص الذي اقتضى فتنتهم واستهزاءهم **ليستيقن الذين**
اوتوا الكتاب ليوافق الكتابين في هذا العدد على حذف العاطف اي وليستيقن
او عبر عن المؤثر وهو تسعة عشر بالاثر وهو فتنة للذين كفروا اشارة الى ان هذا الاثر
من لوازم ذلك المؤثر **ويزداد الذين آمنوا ايمانا** اذا صدقوا بذلك
واذارا واتسليم اهل الكتاب لهذا العدد **ولا يرتاب الذين اوتوا**
الكتاب والمؤمنون تصريح بما علم ضمنا توكيدا **وليقول الذين**
في قلوبهم نفاق اخبار بالغيب عما يكون لان السورة مكية والنفاق انما نجم
بالمدينة او الشك والارتياب وكان اكثر المشركين كذلك **والكافرون** غير
المنافقين او الشاكين وانما عطف قول المنافقين والكافرين على الاستيقان
مع كون المعطوف عليه غرضا دون المعطوف لان اللام للعلة والعلة لا يلزم ان
يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر **ماذا اراد الله بهذا مثلا**
تمييز او حال استبعدوا العدد الخزنة لفظ المثل من المثل المضروب لكونه غريبا
عندهم بديعا **كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء** الكاف في محل النصب
اي مثل ذلك الاضلال المذكور والهدى يضل الله الكافرين ويهدي المؤمنين
وما يعلم جنود ربك الا هو لفرط الكثرة فليس تخصيص الخزنة الا لحكمة
اقتضت كعدد السموات والارضين وحملة العرش **وما هي الا ذكرى للبشر**
متصل بوصف سقر وقوله وما جعلنا اصحاب النار اي وما هي اعتراض يؤكد
بعضه بعضا زيادة في تهويل جهنم اي وما سقر او وما صفتها او وما الايات
المذكورة فيها الا تذكرة لهم **كلا** ردع لمن ذكرهم اي وان جعلت تذكرة فهم

فهم لا يتذكرون او ردع لمن ينكر ان يكون لاحدى الكبر **والقمر والليل اذ ادبر** تولى
قال الزجاج تقول قريش قبل الشتاء ودبر جاء وذهب ومنه امس الدابر وغيرهم
اقبل وادبر وعن يونس ادبر تولى ودبر انقضى وقرأ نافع وحمزة وحفص اذ بسكون
الذال وادبر بهمزة القطع والرسم لا يختلف لوجود صورة الالف في القرائتين والمختار
اذا اللغة قريش ولقوله **والصبح اذا اسفر** اضاء **انها لاحدى الكبر** جواب القسم
او تعليل لكلا والقسم معترض والضمير لسقر والكبر جمع كبرى والفعل ليس من ابنيته
جمع فعلى بل فعله كزمرة وزمر الا ان الالف الحقت بالتاء كالقواصع في جمع قاصعاء
لالحاق الفها بتاء قاصعة والمعنى ان سقر من احدى البلايا التي لا توجد لها نظير
كقولك هند احدى النساء في العفاف وعلي احد الرجال في العلم **نذيرا للبشر** تمييز
من النسبة اي احد الكبر انذارا او حال عما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة **لمن**
شاء منكم ان يتقدم او يتأخر بدل من للبشر وان يتقدم او يتأخر مفعول شاء او مبتدأ
خبره لمن شاء اي التقدم والتأخر ممكنان لمن شاء كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر **كل نفس بما كسبت رهينة** مصدر كالشتيمة والشريطة ولو كان وصفه
لجرد عن التاء **الا اصحاب اليمين** فانهم فكوا رقابهم بالاعمال الصالحة وقيل هم
الملائكة او الاطفال **في جنات** حال من اصحاب غيرهم اليمين ولتكبير للتعظيم **يتسا**
ءلون عن المجرمين يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم **ما سلككم في سقر**
مع جوابه حكاية لما جرى بين المسؤول عنهم وبين المجرمين فاختصر الكلام لعدم اللبس
والسؤال عن حالهم ما سلككم في سقر مع كونه معلوما لقصد التوبيخ ويحكى في
الكتاب لطفا بالسامعين ومن فسر اصحاب اليمين بالاطفال ابعد بهذا السؤال
لان الاطفال لا يعلمون موجب ذلك **قالوا لم نك من المصلين** الداخلين في عدادهم
ولم نك نطعم المسكين المحتاج اي لم نعظم امر الله ولم نشفق على خلق الله وفيه
دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع **وكنا نخوض مع الخائضين** نشرع
في الباطل مع كل مبطل ونغوي مع كل غاو **وكنا نكذب بيوم الدين**
وبعد ذلك كله كنا نكذب بيوم الجزاء كقوله ثم كان من الذين امنوا **حتى اتانا**
اليقين الموت لقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين **فما تنفعهم شفا**
عة الشافعين لو فرض شفاعتهم اذ لا يشفعون الا لمن ارتضى **فما لهم عن**
التذكرة معرضين حال من المجرور كقولك مالك قائما والتذكرة القرآن او هو ساير
المواعظ **كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة** حمر الوحش مثل في النفار من
ادنى شيء او القسورة الاسد وعن ابن عباس الصائد وابن جبير الرامي فوعلة
من القسر كالحيدرة فيعلة من الحدر وكلاهما ملحق بالفعللة وقرأ ابن كثير وابو عمرو و
الكوفيون مستنفرة بكسر الفاء يقال نفر واستنفر مثل عجب واستعجب **بل يريد كل امرئ**
منهم ان يؤتى صحفا منشرة تنشر وتقرأ وقالوا لن نؤمن حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
كلا بل لا يخافون الآخرة ولذلك يتعنتون ويعاندون ولم يريدوا بقولهم
حتى تنزل علينا كتابا الا عنادا ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم
لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين **كلا** حقا **انه تذكرة** وان اعرضوا
او الاول ردع عن اقتراحهم الايات وهذا عن الاعراض **فمن شاء ذكره** من التذكر
بضم الذال فعل القلب **وما يذكرون الا ان يشاء الله** مشيئتهم لقوله وما
يشاؤن الا ان يشاء الله او ذكرهم وقرأ نافع تذكرون بالخطاب على الالتفات
او قل لهم **هو اهل التقوى واهل المغفرة** حقيق بان يتقى لعلو شانه وجدير

كان المسؤول فالوقت لهم ما سلككم في
سقر فقالوا لم نك من المصلين الخ
منه

بالمغفرة لسعة غفرانه روى الترمذي وابن ماجة والامام احمد عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها قال اى انا اهل ان اتقى ممن اتقانى ولم يجعل مع الها فانا اهل لان اغفر له تمت بحمد الله والصلوة على افضل خلق الله سورة القيمة مكية وهى اربعون ايات بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة لا صلة زاد لتاكيد القسم مثلها فى لئلا يعلم لتاكيد العلم وقيل هذا انما يكون اذا وقعت فى خلال الكلام كقوله فلا وربك واما اذا وقعت فى صدر الكلام كما فى هذه السورة وسورة البلد فهى للنفى والمعنى نفى ان يقسم بيوم القيمة لان الاقسام بالشئ اعظام له ليتوسل به الى تاكيد المقسم عليه وحاصله ان يوم القيمة فى نفسه اعظم من ان يعظم بالقسم ويجوز ان يكون لا ردا لقولهم انما انت مفتر والمعنى اقسم باليوم لا النفس اللوامة وقرا ابن كثير لاقسم على ان اللام جواب القسم ولا اقسم بالنفس اللوامة هى المتقية التى تلوم النفوس المقصرة يوم القيمة على التقصير او نفس السالك التى تلوم نفسها اذا ترقت الى مقام اعلى فهى ابدا فى اللوم او نفس ادم لانها بعد الجناية داومت على اللوم والحمل على الجنس اسد لا لا بقوله صلى الله عليه وسلم ما من نفس برة وفاجرة الا تلوم نفسها يوم القيمة لا يلايم الاعظام بالقسم وقيل النفس المطمئنة لانها تلوم الامارة اى فى حال الاطمينان تلوم نفسها على ما فرط منها وجواب القسم محذوف اى لتبعثن دل عليه قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها قيل نزلت فى عدى بن ربيعة ختن الاخنس بن شريق سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر الساعة فاخبره فقال والله لو عاينت ذلك لم او من بك بلى قادرين على ان نسوى بنانه مع صغر العظام فكيف بكبارها واذا قدرنا على الالطف الابعد عن العادة فعلى الغير اقدر وماله الى عدم التفاوت بين الاعادة والبدء وقيل معنى تسوية بنانه جعلنا كخف البعير دلالة على كمال القدرة والظاهر ان تخصيص البنان بالذكر لانه اعجب شئ فى الانسان ولخصه به من بين الحيوانات ثم فى تصديرا لكلام بالقسم بيوم البعث والمبعوث فيه على تحقق البعث على اسلوب وثنايك انها اغريض ثم ايثار الحسبان وهمزة الانكار مسندا الى الجنس والاتيان بحرف الايجاب وايقاع قادرين حالا بعده من المبالغات فى تحقيق المطلوب وتهجين حال المعرض عن الاستعداد له ما يبهر عجائبه وزاده رونقا وحسنا بقوله بل يريد الانسان ليفجر امامه عطفا على ايحسب ترقى فى الانكار لدلالته على ان ذلك الحسبان لمجرد ارادة الفجور او اضراب عن الانكار عن حاله بما هو ادخل فى اللوم كانه قيل دع الانكار عليه الى يرتدع بالانكار وهو يريد الدوام على الفجور وعلى الوجهين فيه ايما الى انه عالم بوقوع البعث الا انه يتغابى يسأل ايان يوم القيمة سوال تعنت لما تقدم من انكاره فاذا برق البصر تحير فزعا كانه نظر البرق وذهش بصره وقراه نافع برق بفتح الراء اى لمع من البريق وعن الفراء هما لغتان والكسر افصح وخسف القمر بذهاب ضوءه وجمع الشمس والقمر فى الطلوع من المغرب او فى النار يعذب بهما من عبدهما وتذكير الفعل لان احد الجارين ولموافقة خسف ومقارنة القرحين يقول الانسان يومئذ اين المفر اين الفرار وبكسر الفاء اسم مكان كلا زجر عن طلب المفر لا وزر لا ملجاء اصله الجبل لانه يلجاء اليه فى الغارات

فائدة صاحب الكشاف وهو معنى حسن الا ان فيه بعد وكذا دعوى اختصاص الزيادة فى خلال الكلام غير مسلم انتهى

فائدة الكشاف والقاضى

فى الغارات الى ربك خاصة يومئذ المستقر لا ملجاء غيره او الى حكمه ترجع امور العباد او الى مشيته استقرار فريق فى الجنة وفريق فى السعير ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من مال فتصدق وبما خلفه او بما تقدم من الاعمال وما اخر لم يعمل او بما اخر من سنة حسنة او سيئة او باول عمله واخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة واضحة فلا يحتاج معها الى ان ينبأ لانه الذى ينبأ لانه الذى ينبأ بما قدم واخر حين تنطق جوارحه ولو القى معاذيره اى ولو اتى بكل معذرة لا تقبل لان الشاهد من نفسه لا يقبل الجرح وعن مجاهد المعاذير الستور والمعنى ولو القى الستور عليه حين عصيانه لا تغنى عنه شيئا لان عليه من نفسه بصيرة لاخط قوله وما كنتم تستترون ان تشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم والمعاذير اسم جمع كالمناكير لان قياس جمع المعذرة بدون اليا وجمع معذار على تفسير مجاهد لا تحرك به لسانك اى بالقران عند اخذه من جبريل لتعجل به تحفظا مخافة ان يشذ عنك شئ ان علينا جمعه فى صدرك وقرانه وقراءته على لسانك فاذا قراناه قراءة جبريل والاسناد اليه لانه سفيره فاتبع قرانه قراءته اى اقراه بعد ذلك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وعن ابن عباس فاتبع قرانه فاستمع لقراءته ثم ان علينا بيانه قراءته على لسانك كان يستعجل الاخذ من جبريل مخافة ان تفوته شئ فنهى عنه كلا ردع له عما كان عليه واستطراد بين حبى العاجلة المدلول عليه بقوله بل يريد الانسان ليفجر امامه وقوله بل تحبون العاجلة للدلالة على ان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو رحمة وشفاء فكيف بما هو محنة وشقاء وفى يحبون العاجلة تغليب للمخاطب كانه قال وانتم يا بنى ادم عادتكم العجلة فى كل شئ لعجلتكم على ذلك خلق الانسان من عجل فان قلت اذا كانت العجلة جبلة فى الانسان فما معنى الردع فى كلا قلت وان كانت من مقتضى الطبع الا انها قابلة العلاج كساير الملكات الرديه ومن كان فى اعلى منصب الرسالة لا ينبغى له الا استيصال تلك الملكات وقرا ابو عمرو وابن كثير وابن عامر يحبون بالغيب وتذرون الاخرة باليا وهو ابلغ لان فيه التفاتا واخراجا له عن صريح الخطاب بحب العاجلة مع الرمز اللطيف اللايق بشانه صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة بهية عليها اثر السرور الى ربها ناظرة قصدا لا الى غيره كالطالب رؤية الهلال او ان النظر الى غيره تعالى كلا نظر كما تقدم فى ذلك الكتاب والتقديم للاهتمام ورعاية الفاصلة والحمل على الانتظار موت احمر كناية عن الرجا لا يلايم روى الترمذى والامام ابن حنبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكرم الخلق على الله تعالى من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرا الاية ووجوه يومئذ باسرة عابسة شديدة الكلوح تظن ان يفعل بها فاقرة الداهية الشديدة كانها تكسر فقار الظهر وايثار الظن لانها انا فانا تتوقع وترقب اشد مما هى فيه كلا ردع عن حب العاجلة وايثار الدنيا على الاخرة بذكر ما هو اوعظ شئ للانسان وهو الموت واهواله اذا بلغت التراقى الضمير للنفس وان لم تتقدم لان قرينها اظهر من نار على علم الا ترى ان حاتما من بلغاء العرب وهو الذى لا يشق غباره فى قرى الارواح بحكم كما حاز قصب السبق فى مضمار قرى الاشباح نعم سلك هذه الطريقة اماوى ما يغنى الثراء من الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر يخاطب ماوية بنت عفر وكانت ملكة تحت حاتم والتراقى العظام المتداخلة

عن يمين المحتضر وشماله وقيل من راق القايل الاحبار والخلان بعضهم لبعض
من يرقيه منكم لعل ان يكون ببركة الرقية نجاة وهذا انما يقال عند اليأس وعجز الاطبا
وقرأ حفص بسكتة لطيفة على من للدلالة على ان الادغام فيه غير لازم وخلاصا من
ثقل التقارب وظن انه الفراق اى ظن المحتضر انه الفراق الحقيقي والتفت
الساق بالساق من شدة الالم وسقوط القوى مع خوف المآل بعض المشايخ جزع
جزعا شديدا عند الموت قال بعض اصحابه على ما هذا الجزع قال بابا دق سبعين سنة
الان يفتح ولا ادرى ماوراه الى ربك يومئذ المساق لا الى غيره وهو عليم
بذات الصدور وقد علمتم ان حب الدنيا راس كل خطيئة فكيف تؤثرون الحيوة الدنيا
على الآخرة فلا صدق ولا صلى اى الانسان الحاسب ان لن نجمع عظامه لا صدق
بقلبه ولا اتى بالاعمال المصدقة لعقد القلب وعبر عنها بالصلوة لانها رئيسة العبا
دات عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر ذاهبا الى اهله مفتخرا بما فعل من
التكذيب والتولى من غاية جهله يعتقد ان اشنع المثالب ارفع المناقب اولى لك
فاولى اى اولاك ما تكره فاولاك مرة بعد اخرى واللام مثل اللام في ردف
لكم وقيل افعل من الويل بعد القلب ثم اولى لك فاولى ابلغ فابلغ ايحسب
الانسان ان يترك سدى مهملا لاجزاء ولاحساب اى لا يكون ما حسب لانه فيه
بطلان الحكمة الم يك نطفة من منى يمنى قرأ حفص بالتذكير والضمير للمنى
ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره وعدله فجعل منه الزوجين الصنفين
الذكر والانثى اليس ذلك الصانع بقادر على ان يحيى الموتى روى
ابو داود عن موسى بن ابى عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ
ها قال سبحانك بلى تمت والحمد لله على انعامه والصلوة على محمد واله وصحبه

سورة الدهر مدنية وهى احدى وثلاثون ايات بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى على الانسان هل بمعنى قد مع الاستفهام اى اقد كقوله اهل راونا
بسفح القاع ذى الاكم والمعنى على التقرير والتقريب حين من الدهر طايفة
من الزمن الممتد غير المحدود لم يكن شيئا مذكورا شيئا يعتد به ويذكر بل
منقلبا في الاطوار نطفة وعلقة ومضغة والمراد به بنو آدم لقوله تعالى
انا خلقنا الانسان من نطفة فالمعرفة عين الاولى وفي ايثار المظهر
فضل تقرير وقيل الاول آدم والثاني بنوه امشاج جمع مشيج كايتام في يتيم لان
ماء الرجل والمرأة كل منهما مختلف الاجزاء رقة وقواما وخواص وما يصلح مادة جزء منه
لا يصلح لآخر وعن ابى مسعود عروق النطفة وعن قتادة امشاج الوان واطوار وقيل لفظ
جمع ومعناه مفرد كبرمة اعشار وبرد اكياش نبتليه حال مقدرة اى مقدرين ومريدين
ابتلاءه اوناقلين له من حال فالابتلاء مستعار لان في كل طور يظهر ظهورا آخر كظهور
الممتحن وقيل على التقديم والتأخير اى فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وفيه
تكلف لوجود الفاء وخص السمع والبصر لانهما اعظم الحواس وبهما يتلقى الاوامر
ويشاهد المعجزات انا هديناه السبيل بانزال الايات ونصب الادلة اما شاكرا
واما كفورا حال من الهاء اى هديناه في حاليه لئلا يكون للكفور حجة ومقابلة
الشاكر بالكفور اشارة الى غلبة الكفران على الانسان انا اعتدنا للكافرين
سلاسل واغلالا وسعيرا ذكر الوعد والوعيد بعد ذكر الشاكر والكفور وقدم الوعيد
مع تأخر الكفور لان الانذار اهم وليكون فتح الكلام وختمه مع المؤمنين قرأ

قرأ نافع والكسائى وابو بكر وهشام سلاسلا منونا للتناسب اغلالا وحمزة وقنبل
باسكان اللام في الوقف وكذا حفص وابن ذكوان والبزى في وجه لمنعها من الصرف
ان الابرار جمع بر كارباب جمع رب يشربون من كاس هو الزجاج ما دام
فيه الخمر ويطلق على الخمر وهو المراد لقوله كان مزاجها كافورا اى ماء كافور وهو
عين في الجنة وقيل يخلق فيه رايحة الكافور وبرده وقيل يمزج خمرهم بالكافور عينا
بدل من كافورا على الاول وعلى الاخيرين من محل من كاس على تقدير مضاف كانه
قيل يشربون خمرا خمر عين اونصب على الاختصاص يشرب بها عباد الله
المقربون اى يمزجون الخمر بمائها كقوله ومزاجه من تسنيم هذا ان جعل كافورا اسم
عين والا فالباء مزيدة يفجرونها حيث شاؤا من منازلهم تفجيرا كثيرا سهلا بلا
تعب يوفون بالنذر استيناف لما عسى ان يسأل لما ذا كان ذلك الاكرام
ونبه بذكر النذر على انهم يوفون بما اوجب الله اسعى واوفى ويخافون يوما كان شره
مستطيرا منتشرا اقصى ما يمكن من الانتشار من استطار الفجر ويطعمون الطعام
على حبه اى حب الطعام والاحتياج لقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون وقيل على حب الله وفي قوله لوجه الله غنى عن هذا مسكينا ويتيما واسيرا
مدح لهم على اختيار موضع الصدقة فانها كالبذر لا تنبت الا في ارض طيبة ويدخل
في الاسير المسلم والكافر والغريم والمملوك وفي الحديث غريمك اسيرك وكان يؤتى بالاسير الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدفعه الى بعض المسلمين ويقول احسن اليه انما نطعمكم
لوجه الله يقولونه بلسان الحال او بلسان المقال منعا لمن احسنوا اليه عن المكافاة
والثناء لا نريد منكم جزاء ولا شكورا توكيد للاولى انا نخاف من ربنا
يوما عذاب يوم اى انا اردنا بالاطعام وجه الله لانا نخاف جزاء ذلك اليوم
ومن خاف ذلك لازم الاخلاص ولم نرد منكم على الصدقة مكافاة خوفا من
عقاب الله على طلب المكافاة عبوسا قمطريرا شديد العبوس من القطر
والميم مزيدة يقال جمع فلان قطريه اذا اشتد تغيره مغضبا اما مجاز حكمى وصف
بوصف اهله لما في الحديث ان الكافر يعبس حتى يسيل من بين عينيه مثل القطران
او استعارة بالكناية شبه بالاسد العبوس في ضراوته فوقاهم الله شر ذلك
اليوم لما قدموا له من البر ولقاهم نضرة بهجة في وجوههم وسرورا في قلوبهم
وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا لياكلوا الهنى ويلبسوا البهى وما نقلوه عن
علي لا يصح لان السورة مكية متكئين فيها على الارائك على هيأة المترفين
نصب على الحال لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اى لا حر ولا برد لاعتدال الهواء
وعن ثعلب الزمهرير القمر بلغة طي وانشد دليله ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر
والمعنى لا احتياج الى الشمس والقمر لضياء الهواء ودانية عليهم ظلالها عطف على
الجملة الحالية لانها في تاويل المفرد والواو للدلالة على اجتماع الامرين لهم كانه قيل
جامعين في الجنة بين البعد عن الحر ودنو الظلال عليهم ويجوز ان يجعل متكئين
وما بعده صفات لجنة على مذهب من لا يوجب ابراز الضمير في صفة جرت على غير
من هي له لكون متكئين كذلك اوعطف على جنة على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف
مقام ربه جنتان وذللت قطوفها تذليلا اى لا يمتنع على القطاف بل يقطفون
كما شاؤا اعطف على دانية وايثار الفعلية لقصد التجدد لان القطوف بحسب الحاجة اووصف
مثلها او حال من ضميرها ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب اباريق
بلا عرى كانت قواريرا قوارير من فضة القارورة ما يكون من الزجاج استعير

الكرر بكذب و تولى

نقل القاضي والكشاف حكاية مرض
الحسن والحسين ونذر علي والصوم
وذلك كذب محض
لا اصل له

لما كان من فضة بجامع الصفاء والشفيف فجاءت حسنة بديعة وقرأ ابو عمرو وابن
عامر وحمزة وحفص قواريرا الاول غير منون ووقف عليه حمزة بدون الف وهم مع ابن
كثير الثاني ايضا ووقفوا بلا الف سوى هشام قدروها تقديرا صفة قوارير
اى جاءت على مقدار ما صوروها فى انفسهم او قدروها باعمالهم الصالحة او الضمير
للطائفين والمعنى قدروا الشراب الذى فيها على قدر الرأى وهو الذ للشارب ويسقون
فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا لان العرب تستلذ طعمه قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بها واريا مشورا وعن قتادة يمزج لهم تارة بالكافور البارد و
اخرى بالزنجبيل الحار ليعتدل الامر عينا فيها تسمى سلسبيلا بدل من
زنجبيلا وقيل تخلق الله تعالى طعمه فيها وقيل تمزج بالزنجبيل على الوجهين عينا بدل
من كأسا والسلسبيل كالسلسل والسلسال سهل الانحدار اى وان كان فيها طعم الزنجبيل
فليس فيه لذعه ولارادة المبالغة جئ به خماسيا وقيل اصله سل سبيلا سمى به
لانه لا يشرب منها الا من سأل السبيل اليها بالعمل الصالح وفيه تكلف وفوات
المبالغة بالوصف ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا فى الحسن وصفاء اللون والتفرق فى المجالس وانعكاس شعاع بعضهم
الى بعض او كأنهم لؤلؤ نثر من صدفه طريا من تشبيه المفرد واذا رأيت ثم
لم يقدر له مفعول والمعنى اذا كنت ذا بصر هناك رأيت نعيما وملكا كبيرا واسعا
حيث وقع بصرك عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى
اهل الجنة لمن ينظر فى ملكه الفى سنة ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه وروى
البخارى عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
آخر اهل الجنة دخولا له مثل الدنيا عشر مرات عاليهم ثياب سندس خضر
واستبرق عاليهم نصب على الحال اما من المجرور فى عليهم او المنصوب فى
حسبتهم او لقاهم او جزاهم وقرأ نافع وحمزة بسكون اليا على انه مبتدأ مفرد فى
معنى الجمع كدابر القوم وسامرا يهجرون وثياب سندس خبره خضر بالجر صفة سندس
وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص بالرفع صفة ثياب واستبرق بالجر عطف
على سندس ورفعه نافع وابن كثير وعاصم عطفا على ثياب والسندس مارق من الحرير
والاستبرق ما غلظ معرب استبرك عن ابن عباس رضى الله عنه كما ترى الرجل يكون
عليه الثياب يعلوها الافضل ويجوز ان يكون الاستبرق بطانة لقوله بطائنها من
استبرق وحلوا اساور من فضة ولا ينافيه قوله اساور من ذهب
لاحتمال الجمع والمعاقبة وقيل الفضة للابرار والذهب للمقربين
وسقاهم ربهم شرابا طهورا طهر باطنهم عن الغل والحسد كما زين
ظاهرهم بالثياب والحلى وقيل هذا نوع آخر فوق الاول ولذلك
اسنده الى ذاته ووصفه بالطهور فانه يذهب عن خاطرهم سوى
الاستغراق مطالعة جماله وهذا نهاية درجاتهم ولذلك ختم به
حديث السؤال ان هذا كان لكم جزاء على اعمالكم والمشار اليه
الثواب المذكور وكان سعيكم مشكورا مجازى عن الاعتداد به وقاين
هذا القول ابراز الفضل فى صورة الاجر المستحق اخراجا له عن
صورة الممنون به انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا كرر الضمير واكده بان
مع ايثار التنزيل الدال على التفريق الذى هو مقتضى الحكمة ليدل على ان
قوله فاصبر لحكم ربك صادر عن حكمة بالغة وان تأخير نصره لما فيه من

لا اى العمل الشاق العمل الذى لم يبلغه الناس منه

لانها زائدة اذ ليست من حروفها بل من الكلمتين اشتقاقا فاكبر منه

الحكمة الخفية ولا تطع منهم آثما او كفورا اى كل واحد منهما ولذلك
اثرا وليلا يتوهم الجمع وهم وان كانوا كلهم كفرة الا ان منهم من كان يدعوه
الى الاثم ومنهم من يدعوه الى الكفر وقيل الاثم عتبة والكفور الوليد لان
ذلك كان غالبا فى الفسوق وهذا فى الكفر واذكر اسم ربك بكرة
واصيلا طرفى النهار لنال به حلاوة تذهب عنك مرارة الصبر
وخص طرفى النهار لشرفهما وقيل على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل
يتناولهما ومن الليل بعض الليل فاسجد له فانه وقت الاقتراب اليه لدنو
رحمته وخلو الوقت للمناجاة وقيل صلاة المغرب والعشاء ويؤيده وسبحه
ليلا طويلا اى نزهه او صل له تطوعا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون
وراءهم يوما ثقيلا استعار له الثقل من الجملة والمراد شدته نحن خلقناهم و
شددنا اسرهم الاسر الربط الوثيق بالاسار والمراد توصيل عظامهم بعضها
مع بعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا
اى اهلكناهم وانشأناهم نشأة اخرى فالتبديل فى الصفات لان المعاد
هو المبتدأ او بدلنا مكانهم قوما آخرين كقوله ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآ
خرين واذا مع ان ذلك امر فرضى للدلالة على تمام الاقتدار ان هذه تذكرة السورة
او الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا موصلا اليه تقرب بالطاعة اليه
وما تشاؤن الا ان يشاء الله مشيتكم لان المفعول المحذوف هو ما دل عليه
المذكور كقولك لو شئت لقلت زيدا اى لو شئت قتله وفى اثبات المشيتين بطلان
الجبر والاعتزال والله يقول الحق ويهدى السبيل ان الله كان عليما بكنه الاشياء
حكيما لا يشاء الا ما اقتضت الحكمة يدخل من يشاء فى رحمته بالهداية والتوفيق
والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين على شريطة التفسير بما يلايم
المفسر نحو اوعد وكافات سورة الانسان والحمد للواحد المنان والصلوة على
صفوة الانسان وآله وصحبه الى آخر السورة سورة المرسلات مكية وهى خمسون ايات
بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا
اقسم بطوايف من الملائكة ارسلهن لامضاء اوامره حال كونها كعرف الفرس
فى الاجتماع والتتابع فالعاصفات عصفا يعصفن عصف الرياح مبادرة
الى امتثال امره او العرف ضد النكر مفعول له اى المرسلة لانفاذ الانبياء واهلاك
الكفار نعمة لاولئك ونقمة لهؤلاء والناشرات نشرا ينشرن اجنحتهن فى
الجو نازلين بالوحى او ناشرين الشرايع او النفوس الموتى بآفة الجهل فالفارقات
فرقا بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا اوحيا الى الانبيا فان قلت الالقا
مقدم على الفرق فما وجه العطف بالفاء قلت الالقا مقدم على العلم بالفرق
لا عليه وقيل على تقدير الارادة او اقسم برياح ارسلت للعذاب متتابعة عاصفات
وباخرى نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا او نشرن الموت ففرقن
بين المؤمن القائل مطرنا بفضل الله تعالى والكافر القائل بالانوء والقاء الذكر منها لكونها
سببا له اذا شكرت النعمة عذرا مصدر عذر بمعنى الاساءة او نذرا اسم مصدر
هو الانذار او مصدر نذر بمعنى انذر او جمع نذير بمعنى العذرة وجمع نذير وانتصا
بهما على العلية اى عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين واو للتنويع لا الترديد او البدل من
ذكرا ويجوز ان يكون بمعنى العاذر المنذر على الحال وقرأ ابو عمرو وحمزة
والكسائى وحفص نذرا بالتخفيف انما توعدون لواقع لامحالة وهو قيام الساعة

فاذا النجوم طمست محيت واعدمت او اذهب نورها واذا السماء فرجت شقت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت نسفت كالحب والرمل وكانت
كثيبا مهيلا اصله القلع بسرعة واذا الرسل اقتت بلغت وقتها الموعود وهو وقت
الحضور للشهادة على الامم وقرا ابو عمرو بالواو وهو الاصل لانه من الوقت الا ان
الرسم على الهمز لانه وان كان اثقل من الواو الا ان الضم عليه اخف منه على الواو
لاى يوم اجلت الرسل ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وما ادريك
ما يوم الفصل بالغ في تهويله بابهامه اولا ثم بيانه يوم الحكم والقضا ثم هول
شانه بانك لم تحط علما بكنه ذلك ويل يومئذ للمكذبين الويل الهلاك اصله
النصب على المصدر لغير فعله لعدم استعماله والعدول الى الرفع لكونه ابلغ في
الدعا لدلالته على الدوام الم نهلك الاولين من تقدم كفار مكة من الامم
المكذبة ثم نتبعهم الاخرين نحن نتبع اولئك في الهلاك اهل مكة كذلك
نفعل بالمجرمين بكل مجرم في كل عصر ويل يومئذ للمكذبين اى يوم اهلاكهم
فليس فيه تكرير لان الاول لعذاب الاخرة وهذا لعذاب الدنيا مع ان التكرير
للتهويل له موقع حسن الم نخلقكم من ماء مهين هي النطفة القذرة فجعلناه في
قرار مكين هو الرحم تفصيل لكيفية الخلق الى قدر معلوم له تعالى وهو
وقت الولادة فقدرنا على ذلك فنعم القادرون نحن على الاعادة وقرا
نافع والكسائي فقدرنا بالتشديد اى ذلك المولود شقيا او سعيدا الى
غير ذلك من حال النطفة علقة ومضغة وعظاما والقادرون بمعنى مقدرون
من قدرت الشيء اقدره قال الشاعر وقد قدر الرحمن ما هو قادر وهذا
اوفق لقوله من نطفة خلقه فقدره ولان حديث القدرة قد تم في قوله الم
نخلقكم لكون الاستفهام للتقرير ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل الارض كفاتا
اسم لما يكفت اى يجمع كالضمام اسم لما يضم او مصدر نعت به لا جمع كافت
كصيام في صايم لاسناده الى ضمير الارض احياء وامواتا نكرهما لان
احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات ولا ينافيه التفخيم لدلالة
على كثرة لا تحصى وانتصابهما على المفعولية او الحالية من مفعول المحذوف
وجعلنا فيها رواسي شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتعظيم
او التبعيض لكون بعض الجبال في السماء لقوله من جبال فيها واسقيناكم
ماء فراتا عذبا واى عذب ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم
انطلقوا على تقدير القول الى ما كنتم به تكذبون من العذاب
انطلقوا الى ظل من حر الشمس ذي ثلث شعب يحيط بهم
من فوقهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم
لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن من الحر كقوله لا بارد ولا
كريم وهذا الظل هو الدخان الذى هو سرادق النار احاط بهم سرادق
فهما يقفون فيه الى الفراغ من الحساب بدل وقوف المؤمنين في ظل عرش
الله انها ترمي بشرر كالقصر في العظم كانه جمالات صفر جمع جمال
او جمالة جمع جمل شبهت اولا بالقصور ثم بالجمال فان العرب تشبه الابل
بالقصور قال كما طنت بالفدن السياع شبه الشرر حين ينقض من
النار بالقصر في العظم وحين ياخذ في الارتفاع والانشقاق عن اعداد
غير محصورة مع الحركات السريعة في الجهات بالجمال وعن ابن عباس رضى الله عنه

قال القاضي على الصيام جمع صايم
وفيه انا نفدهما كافيا
بالباحكمها وصف
الارض
١٢

عنه كنا نرفع خشب للشتاء طولها ثلثة اذرع او اقل نسميه القصر وعنه الجمالات حبال
السفن يجمع حتى يكون كاوساط الرجال والاول هو الوجه وقد روى عنه ايضا وقرا
حمزة والكسائي وحفص جمالة وجمالات ابلغ واوفق بالمقام ويل يومئذ
للمكذبين بذلك اليوم هذا اى الذى قص عليكم يوم لا ينطقون يوم القيمة
ذو مواطن ينطقون في موطن دون آخر ولا ينطقون بما يحق ان يسمى نطقا لعرايه عن
الفايدة ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن اى لا اذن ولا اعتذار مطلقا
ولو جعل جوابا لدل على ان عدم الاعتذار لعدم الاذن واوهم ان لهم عذرا يعتذرون به
لكن لم يؤذن لهم فيه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين
للحكم بين المحق والمبطل فان كان لكم كيد فكيدون توبيخ لهم على ما كانوا
يكيدون به المؤمنين وتسجيل عليهم بالاستكانة ويل يومئذ للمكذبين ان
المتقين من الشرك لانه في مقابلة المكذبين في ظلال متراكمة وعيون جارية
وفواكه مما يشتهون كثيرة الانواع كلوا واشربوا هنيئا على تقدير القول
بما كنتم تعملون في الدنيا من الصالحات انا كذلك نجزي المحسنين
المخلصين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون تذكير لما
كان يقال لهم في الدنيا وتخيير لهم بايثار الحقير على الخطير ويل يومئذ
للمكذبين به واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون متصل بقوله
للمكذبين كانه قيل ويل يومئذ للذين كذبوا والذين اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون
ويجوز اتصاله بالمجرمين كانه قيل هم احقاء بان يقال لهم كلوا وتمتعوا لكونهم مجرمين
ولكونهم اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين به فباى
حديث بعده يؤمنون اى بعد القران فانه لا حديث يدانيه فضلا ان يساويه وعن
ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا فباى حديث بعده يؤمنون
فليقل امنت بالله وبما انزل تمت المرسلات والحمد لواهب البركات وعلى
المختار افضل الصلوات سورة النبا مكية وهى اربعون ايات
بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون اصله عن ما
فادغمت في الخط وحذف الالف فرقا بينها وبين الخبرية وايذانا بشدة الاتصال و
كثرة الدور وقرا ابن كثير في رواية البزى عمه بهاء السكت في الوقف ليكون جبرانا عن
الذاهب وهو احد حرفي الثقاني كان مشركوا مكة يسال بعضهم بعضا عن امر القيامة
او رسول الله والمؤمنين استهزاء على ان التساؤل بمعنى السوال كالتداعي والترائي
بمعنى الدعوة والروية والمراد تفخيم شان المسئول عنه مجردا عن الاستفهام لوقوعه
في كلام من لا يخفى عليه خافية عن النبا العظيم بيان لشان المفخم او متعلق
بيتساءلون وعم بما فسره الذى هم فيه مختلفون منهم المنكر له ومنهم
الشاك والضمير للفريقين المرفوعين يتساءلون لزيادة الاستعلام والاستعداد
له والكفار استهزاء وعنادا كلا سيعلمون ردع للمتسائلين هزوا و
وعيد ثم كلا سيعلمون كرره مبالغة واتى بثم دلالة على ان الثاني اشد من
الاول وكما فخم شان البعث فخم ما يقع بعده وقيل الاول عند النزع والثاني
في القيمة او الاول للبعث والثاني للجزاء الم نجعل الارض مهادا والجبال
اوتادا وانتم لا تنكرون شيئا من ذلك فانكار البعث لماذا او هل ذلك
الا على منوال هذا او من ابدع هذه الاشياء انما ابدعها لحكمة لا عبثا فلا بد
من البعث والجزاء وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا موتا

من السبت وهو القطع والنوم احد الموتين وجعلنا الليل لباسا ساترا عن
العيون بمكن اخفاما لايراد اظهاره من بيات العدو او الفرار منه الى امور شتى
وجعلنا النهار معاشا وقت معاشكم متقلبون فيه لحوايجكم استدل
بجلقهم ذكرا وانثى واستوى لحوالهم مفرقين ومقربين وبنينا فوقكم سبعا
شدادا محكمة لايوثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا اى الشمس النير
الاعظم من وبحت النار التهبت او اضات وانزلنا من المعصرات من
السحاب التى شارفت ان يعصرها الرياح للمطر من اعصرت الجارية فادنت عصر
الحيض او من الرياح التى حان لها عصر السحاب وعن الحسن وقتادة رضى الله عنهما من
السموات لان الماء تنزل من السما الى السحاب فكان السموات يعصرون اى يمكن
من العصر ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفى الحديث الحج عج وثج اى
رفع الصوت بالتلبية والذكر وكثرة دماء القرابين لنخرج به حبا للانسان
ونباتا للدواب وجنات الفافا ملتفة جمع لف وخفاف او جمع لفيف
كشريف ولفاف لخضر او ملتف بحذف الزوايد وفيه ان هذا الاطراد لان تصغيرا
لترخيم ثابت دون تكسيره ان يوم الفصل كان ميقاتا فى علم الله والميقات
مايوقت به الشئ والمراد به حد الدنيا ونهايتها او حد للخلايق وماينتهون
اليه يوم ينفخ فى الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا
جماعات يوم ندعوا كل اناس بامامهم والحديث المروى ان امته عليه
السلام يحشر عشرة اصناف موضوع مختلف وفتحت السماء فكانت
ابوابا عطف على فتاتون واثار الماضى لكونه محقق الوقوع او
حال اى فتاتون والحال انها قد فتحت والمراد كثرة الطرق والشقوق
كقوله وفجرنا الارض عيونا وقرا الكوفيون مخففا وسيرت الجبال
فى الهواء تمر مر السحاب فكانت سرابا اى كالسراب يحسب ماء ولا ما
لان شان الارض الجبل الثابت والقرار تحسب لنا ثابتة وليس كذلك
ان جهنم كانت مرصادا مكانا يرصد فيه خزنة النار الكفار او
خزان الجنة المؤمنين يحرسونهم اذا مروا عليها للطاغين مابا مرجعا
وماوى لابثين فيها احقابا لايذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا
الاحقاب جمع حقب وهى ثمانون سنة وقيل دهر طويل كقوله او امضى حقبا
والمعنى يلبثون احقابا كثيرة لايذوقون فيها الا الماء الحار وغسالة اهل النار و
صديدهم ثم ينقلون الى نوع آخر من العذاب وان جعل لايذوقون استينافا
فالمراد باحقابا دهور غير متناهية كلما مضى حقب تبعه آخر الا يرى كيف دفع
وهم الانقطاع بقوله فلن نزيدكم الا عذابا وقرا حمزة لبثين مقصورا وهو
اقوى وعليه الرسم وحمزة والكسائى وحفص غساقا مشددا جزاء
وفاقا اى جوزوا جزاء ذا وفاق لاعمالهم او وصف بالمصدر انهم
كانوا لايرجون حسابا وكذبوا باياتنا كذابا يقال كذب تكذيبا وكذابا
قال سيبويه الاصل كذابا والياء عوض عن التضعيف والياء عن الالف
وكل شئ احصيناه كتابا نصب على المصدر اى احصاء او احصينا
بمعنى كتبنا لتلاقى الاحصاء والكتب فى الضبط او على الحال اى مكتوبا
فى اللوح او فى صحف الحفظة فذوقوا اى العذاب التفت اليهم فى
مقام السخط زيادة فى العذاب فلن نزيدكم الا عذابا استثنا من الاعم اى

ذكره الكشاف والقاضى منه

اى شيئا من الاشياء وعن ابى برزة الاسلمى سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن اشد آية فى كتاب الله على الكفار فتلاها ان للمتقين
مفازا مكان فوز هى الجنة كما ان جهنم للطاغين مابا ثم فسره بقوله حدائق
جمع حديقة وهى روضة ذات اشجار وقيل روضة احاط بها حايط
واعنابا افردها لقلة وجودها فى ارض العرب وكواعب جمع كاعب
ناهدة الثدى اترابا لدات وكاسا دهاقا مترعة من ادهقت الحوض فهو
داهق لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا اى لايتاذون من سماع اللغو
وتكذيب بعضهم بعضا وقرا الكسائى كذابا مخففا اما مصدر كاذب
او كذب نحو كتب كتابا كقول الاعشى فصدقتها وكذبته والمرء ينفعه كذابه
اى لايصدر منهم كذب حتى يسمعه السامع جزاء من ربك نصب
على المصدر عطاء بدل من جزاء او مفعول به له او لناصبه المحذوف
حسابا صفة بمعنى كافيا من احسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى
وقيل على حسب اعمالهم رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك
ورفعه نافع وابن كثير وابو عمرو على انه مبتدا خبره الرحمن او
هو بدل خبره لايملكون وقرا الرحمن بالجر ابن عامر وعاصم على
البدل ومن جر الاول ورفع الثانى ابدل الاول وجعل الثانى مبتدا خبره لا
يملكون او خبر محذوف منه خطابا اى من الله والمعنى لايملكون من جهته
شيئا من الخطاب لان المملوك لايملك شيئا على مالكه وهذا لاينافى
الشفاعة بعد الاذن يوم يقوم الروح والملائكة صفا ظرف ليملكون
او لما بعده والروح جبريل وافراده لشرفه وقيل نوع آخر من المخلوقات
وقيل ملك لم يخلق الله بعد العرش اعظم منه لايتكلمون الا من
اذن له الرحمن وقال صوابا اى من تكلم من هولاء الاشراف انما يتكلم بشرط الاذن
وقول الصواب ففيه تقرير وتوكيد لقوله لايملكون منه خطابا ذلك
اليوم الحق الكاين لامحاله فمن شاء اتخذ الى ربه مابا مرجعا ومأوى
بالايمان والعمل الصالح انا انذرناكم عذابا قريبا اذ كل آت قريب ولا
ابتداء من الموت يوم ينظر المرء ماقدمت يداه اى كل امرء ينظر عمله
خيرا كان او شرا لقوله ووجدوا ماعملوا حاضرا وقيل المرء هو الكافر
لقوله انا انذرناكم وضع موضع المضمر وعن قتادة هو المؤمن لقوله
ويقول الكافر والاول هو الوجه لقوله ان يوم الفصل ولقوله فمن
شاء اتخذ الى ربه مابا ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا فى الدنيا
لم اخلق او فى هذا اليوم لما يرى سائر الحيوانات والوحوش تصير ترابا بعد
جريان القصاص بينها تمت والحمد لله على الدوام والصلوة على خير الانام واله وصحبه
الى يوم القيام

سورة النازعات مكية وهى ست واربعون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات
نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات اقسم بالملائكة
الموصوفة بصفات تدل على كمال قدرته ونفاذ امره فالنازعات هم ملك الموت
واعوانه الذين ينزعون ارواح الكفار من اعماق ابدانهم والغرق اسم الاغراق
كالسلام اسم التسليم او مصدر بحذف الزوايد والناشطات الذين ينشطون

ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو اخرجها من البير ونشط الحبل حله برفق و
يسبحون اي يسرعون فيها امر وايه فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين
الى الجنة فيدبرون امر ثوابها وعقابها او النجوم تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها
قطع الفلك بتمامه الى ان تغرب بان تنشط من برج الى اخر من نشط الثور اذا خرج
من بلد الى اخر فيسرع في السير فيسبق بعضها بعضا فيدبر ما نيط بها من الفوايد او خيول الغزاة
تنزع في اعنتها اغراقا لطول اعناقها لانها عراب فتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر فتسبح
في جريها فيسبق بعضها بعضا فيدبر امر الظفر على المجاز او نفوس السالكين تنزع عن
الشهوات راسا وتنشط الى عالم الملكوت فتسبح في بحر المعارف فيسبق بعضها بعضا
بقدر القابليات فتدبر سائر النفوس بالارشاد والتكميل والمقسم عليه محذوف دل
عليه ذكر القيامة بعد اي لتبعثن يوم ترجف الراجفة نصب بذلك المحذوف
والراجفة الواقعة وصفت بما يحدث بحدوثها من رجفة الارض والجبال للمبالغة وهي
النفخة الاولى وانما صح ان يكون وقتها ظرفا للبعث مع انه لا يكون الا بعد الثانية
لاتساع الوقت على ان تتبعها الرادفة وهي النفخة الثانية حال منها فلا بد من
الامتداد الى وجودها وقيل الراجفة الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب
قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب الوجيف والوجيب اخوان ابصار
ها خاشعة خبر قلوب لانها نكرة موصوفة كقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة او خبر بعد خبر لان تنكير التنويع قايم مقام الوصف يقولون ائنا
لمردودون في الحافرة يريدون الحيوة بعد الموت والحالة التي كانوا عليها
في الدنيا انكارا للمعاد والحافرة الطريقة التي حفرها واثر فيها بمشيه والقياس
محفورة فاما على تقدير ذات حفر او على الاسناد مجازا نحو عيشة راضية وعن
ابن السكيت حافرة الشيء اوله واستشهد بما انشده ابن الاعرابي احافرة على
صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار ائذا كنا عظاما نخرة انى يكون ذلك
والنخرة البالية من النخر وهو صوت الريح والعظم اذا بلي تخرق فيه الريح لصيرورته اجوف
وقرا حمزة والكسائي وابو بكر ناخرة بالمد والقصر ابلغ واذا منصوب
بمقدر اي نرد ونبعث قالوا تلك اذا كرة خاسرة اي راجعة ذات
خسران او خاسر صاحبها ان صح ما يقوله محمد قالوه استهزاء فانما هي زجرة
واحدة استبعاد ولا استصعاب بل هي في غاية السهولة على الله لا توقف لها
الا على صيحة واحدة وهي النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة احياء كقوله فاذا هم
قيام ينظرون والساهرة الارض البيضاء المستوية لان السراب يجري فيها من
قولهم عين ساهرة اي جارية او على المجاز لان سالكها لا ينام خوفا وعن
قتادة اسم جهنم ولما كان الكلام من مفتتح السورة الى هنا مسوقا للتهديد بمجيئه
تسلية رسوله عقبه بقصة موسى وفرعون لمرافقتها في هذا الباب هل اتيك حديث
موسى اي اليس قد اتاك حديثه المشتمل على نصره وقهر عدوه ففيه ما يسليك
ثم فصله بقوله اذ ناداه ربه بالواد المقدس الذي قدس لانه مهبط
الوحي طوى عطف بيان او بدل ونونه الكوفيون وابن عامر بتاويل
المكان اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول فقل هل لك الى ان
تزكى اي هل لك رغبة في ان تتطهر من دنس الكفر والطغيان ارشدك
الى طريق الدعوة بالطف طريق وذلك انه عرض عليه ليوامر نفسه ويرى

اراد انه لا يرجع الى ما كان
عليه من النضارة بعد
والضعف
منه

رأيه كما يقول للضيف الا تنزل بنا وهذا نحو قوله فقولا له قولا لينا وقرا نافع وابن
كثير تزكى بتشديد الزاي على ادغام احدى التائين في الزاي وحذفها الاخرون تخفيفا و
اهديك الى ربك الى معرفته فتخشى لان الخشية على قدر المعرفة قال الله تعالى انما
يخشى الله من عباده العلماء وروى الترمذي عن ابي هريرة سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية فاراه
الاية الكبرى اي فذهب اليه فدعاه فابى فاراه المعجزة العظمى من معجزاته وهي
قلب العصا ثعبانا او كل معجزاته لانها كالواحدة في الدلالة فكذب موسى وعصى
ربه ثم ادبر يسعى اي اقبل يسعى في دفع موسى بمكايده من قولهم اقبل
يفعل كذا وعبر عنه بالادبار اشارة الى ان ذلك الاقبال كان ادبارا وعليه
دمارا او ادبر هاربا لما انقلب العصا ثعبانا فحشر فنادى اي حشر السحرة
او جنوده فنادى بنفسه او من امره به على انه اسناد الى السبب فقال انا
ربكم الاعلى اي اعلى من كل رب لما تقدم في الاعراف انه كان امر قومه
باتخاذ الاصنام يتقربون بها اليه فاخذه الله نكال الاخرة والاولى النكال
كالسلام اسم للتنكيل اي نكل الله به في الدنيا بالاغراق وفي الاخرة بالاحراق
وعن ابن عباس رضي الله عنه نكال كلمته الاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري
والاخرى قوله انا ربكم الاعلى ان في ذلك اي فيما حكي عنه وعن اله لعبرة
لمن يخشى لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا الخطاب لمشركي مكة
ام السماء ولا شك ان الثاني اصعب ثم شرع يبين كيفية ايجادها من غير الة
ومعين ليدل به على ان انكار البعث اما عنادا وتعام او تصام بناها خلقها
على صورة القبة المبنية رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا
مقدار خمسمائة عام فسويها فعدلها مستوية الاجزاء مزينة بالكواكب على ما اقتضته
الحكمة واغطش ليلها اظلمه يقال غطش الليل واغطشه الله كظلم واظلمه ويقال
اغطش الليل ايضا كاظلم لازما واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها واضاف
الليل والشمس الى السماء لان الليل ظل السماء في المراى وان كان ظل الارض
حقيقة او لانهما يحصلان بغروب الشمس وطلوعها والارض بعد ذ
لك دحيها بسطها وقد سبق الكلام في سبق خلق الارض في اوايل
البقرة في قوله ثم استوى الى السماء بما لا مزيد عليه اخرج منها ماءها
ومرعيها اي رعيها تفسير للدحو بما لا بد لتاتي السكنى منه من الماكل والمشرب
او حال باضمار قد ودل بالماء والمرعى على كل ما يرتفق به من امر المعاش و
الجبال ارسيها اثبتها كالاوتاد لتستقر الارض متاعا لكم ولانعامكم
لساير الحيوانات ففيه تغليب فاذا جاءت الطامة الكبرى الداهية العظمى
التي تطم على ساير الدواهي من طم الشيء علاه وغلبه فالوصف للتاكيد و
المراد النفخة الثانية او الساعة التي يساق الفريقان الى داري الخلود يوم
يتذكر الانسان ما سعى بدل من اذا جاءت اي يتذكر اعماله مسيئة اذا راى
الكتاب منشورا وانى له الذكرى وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم
لمن يرى لكل راء لا يخفى على احد فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم
هي الماوى اما مع جوابه جواب اذا جاءت اي اذا جاءت الطامة فالطاغي ماواه
الجحيم او جواب اذا محذوف اي كان كيت وكيت والمذكور بعد اما تفصيل له

اول الليل
الادلاج يطلق على سير
واخره واراد الثاني
لان سير اول الليل
منهي
منه

وَاَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ اى بين يديه للحساب وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى
لعلمه بانه بجانب الهدى فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِىَ الْمَاْوٰى هى ماواه لا غير يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ تعنتا اَيَّانَ مُرْسٰيهَا اى اقامتها من ارسيت الشئ
انبته او متى استقرارها كما ان مرسى السفينة استقرارها وانتهادها فِيمَ اَنْتَ
مِنْ ذِكْرٰيهَا اى فى اى شئ انت من ذكرا الساعة لهم فان علمها من امهات
الغيوب لا ينفذ فيه الا علمه تعالى او فيم انكار لسوالهم وانت من ذكريها
ابتداء كلام والمعنى فى اى شئ هم من سوال الساعة انت من علاماتها
فانك بعثت فى نسم الساعة واسمك نبى اخر الزمان فقد دنت الساعة اِلَى
رَبِّكَ مُنْتَهٰيهَا انتهاء علمها اِنَّمَا اَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشٰيهَا انما انت الا منذر
من يخاف هولها ولست مبعوثا لتعليمهم بوقت الساعة وعن ابى عمرو منذر با
لتنوين كَاَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا فى الدنيا او فى القبور اِلَّا عَشِيَّةً اَوْ ضُحٰيهَا
عشية يوم او ضحاه كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى
ولو قطع لاحتمل عشية يوم وضحى آخر فيتوهم الاستمرار فى ذلك الزمان الى مثله
من اليوم الاخر واحتمل ايضا ان يراد بالعشية او الضحى كل اليوم تجوزا

سورة عبس مكية وهى اثنتان واربعون ايات بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلّٰى اَنْ جَاءَهُ الْاَعْمٰى اتفقوا على انها نزلت فى ابن ام مكتوم مؤذن
رسول الله واسمه عمرو بن قيس او عبد الله بن عمرو واسم امه عاتكة بنت عبد الله
المخزومية جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم
الى الله باهتمام فقطع عليه كلامه وكرر عليه يقول يا رسول الله علمنى مما
علمك الله ولم يعلم تشاغله فعبس فى وجهه واعرض عنه والمعنى عبس لان جاءه
واعرض لذلك على تنازع الفعلين وفى الوصف بالاعمى دون اسمه او وصف
آخر توكيد للعتاب فان ذلك يناسب الاقبال والتعطف دون العبوس
والاعراض وايماء الى ان كل ضعيف فى معناه كقوله لا يقضى القاضى وهو غضبان
فكان بعد ذلك يكرمه ويقول مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّهُ يَزَّكّٰى بما يسمعه منك من اوضار الاثام والمراد نفى درايته بما هو
مترقب له والرجاء اما راجع الى الاعمى او الى الرسول واثباته للدلالة على ان
رجاء التزكى كاف فى منع العبوس والاعراض كيف وهو فى نفسه زكى حقيقة وقيل
الضمير للكافر اى وما يدريك ان ما طمعت فيه من تذكيته كاين حتى تهتم به
فالترجى لرسول الله اَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرٰى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقرا
عاصم بالنصب جواب لعل المحمول على التمنى وهذا يؤيد رجوع الضمير الى
الكافر الا ان يحمل فى الوجه الاول على المبالغة اى كان الاعمى جديرا بالاقبال
لضعف وان كان بعيد الحصول تزكيه اَمَّا مَنِ اسْتَغْنٰى فَاَنْتَ لَهُ تَصَدّٰى
تتعرض بالاقبال اليه وَمَا عَلَيْكَ اَلَّا يَزَّكّٰى اى وليس عليك عتب فى
ان لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ هذا وامثاله وان كان عتابا
فى الظاهر لكن فيه كمال مدح له لاهتمامه بشان ما ارسل به وبذل
جهده وَاَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعٰى يسرع الى تعلم شرايع الاسلام وَهُوَ يَخْشٰى
يخاف الله بقلبه فَاَنْتَ عَنْهُ تَلَهّٰى وهو الشاغل من لهى يلهى وقدم
الضمير فى الموضعين للتقوى ويجوز التخصيص على معنى ان التصدى والتلهى انما

انما يكرمه دون غيره لعلو مقامه كَلَّا ردع عن المعاتب عليه والعود الى مثله
اِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ الضمير للقرآن والتانيث باعتبار الخبر ولذا ذكره
ثانيا والمعنى ان القرآن موعظة فمن شاء حفظها فلا حاجة فى الموعظة الى المبالغة وفيه
توكيد لما تقدم فِى صُحُفٍ مكتوبة فيها خبر ثان او خبر محذوف او صفة لتذكرة مُكَرَّمَةٍ
عند الله لانها وعت كلامه مَرْفُوعَةٍ فى السماء او مرفوعة المقدار مُطَهَّرَةٍ
عن ايدى الشياطين بِاَيْدِى سَفَرَةٍ كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ جمع سافر
وهو الكاتب او من السفر وهو الكشف لاظهاره المكتوب ومنه السفر لانه يكشف
عن الاخلاق كِرَامٍ عند الله بَرَرَةٍ اتقياء روى البخارى عن عايشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة قُتِلَ الْاِنْسَانُ
مَا اَكْفَرَهُ القتل اعظم ما يخافه الانسان من الشدايد دعا به على الانسان شى
المرتكب اعظم القبايح والدعاء منه تعالى اظهار لغاية السخط مِنْ اَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُ
تحقير له ولذلك فسره بقوله مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ ولا اقذر منه فَقَدَّرَهُ فسواه مهياء
معدا بالقوى والالات لمصالح التكليف ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ اى طريق خروجه من
بطن امه بان فتح له فم الرحم والهمه بان ينكس فانه فى البطن جالس وجهه الى ظهر
امه فاذا حان وقت خروجه قدم راسه واخر رجليه على صفة الغواص او ذلل له
سبيل الخير ولم يكلفه ما لا طاقة له به وفى هذا اشارة الى ان الدنيا طريق والاقبه
بشريفه له لئلا يلتفى كما بالجيف الاخرة كسبيل المارة وانتصاب السبيل بما يفسره
الظاهر ثُمَّ اَمَاتَهُ فَاَقْبَرَهُ عد الموت من النعم لانه وسيلة الى النعيم فى الجملة
يقال قبرت الرجل اذا دفنته واقبرته اذا امكنته من ان يقبر ثُمَّ اِذَا شَاءَ اَنْشَرَهُ
للجزاء كَلَّا ردع للانسان عما هو عليه لَمَّا يَقْضِ مَا اَمَرَهُ الله به من الايمان
به بعد هذه النعم وعن مجاهد لم يقض احد من لدن آدم الى هذا لا وان ما امره
الله به اذ لم يخل احد من نوع تفريط ووجه ذلك ان الضمير عايد الى مطلق الانسان
المذكور فى ضمن المقيد ولذلك اعاد ذكر الانسان فى قوله فَلْيَنْظُرِ الْاِنْسَانُ
اِلٰى طَعَامِهِ لان المذكور بعده يعم الكل اَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا استيناف لبيان
كيفية ايجاد الطعام وقراءة الكوفيون انا بفتح الالف بدل اشتمال ثُمَّ شَقَقْنَا الْاَرْضَ
شَقًّا بالنبات او الحراث واسنده الى ذاته لانه السبب فَاَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا
جنس الحبوب وَعِنَبًا وَقَضْبًا مصدر قضب قطع سمى به الرطبة وهى المسمى
بالقت لانها تقطع فى عام مرارا وعن الحسن كل علف يقطع وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا
وَحَدَائِقَ غُلْبًا متكاثفة الاوراق والعروق مستعار من وصف الرقاب بغلظ الاوداج
وانتفاخ الاعصاب مع تداخل بعضها فى بعض وَفَاكِهَةً وَاَبًّا هو للدواب
كالفاكهة للانسان وعن ابن عباس رضى الله عنه كل مرعى الدواب اب وروى ابو
عبيد القاسم بن سلام ان الصديق رضى الله عنه سئل عن الاب فقال لا اقول
فى كتاب الله ما لا اعلم وعن انس ان عمر بن الخطاب تلا هذه الاية فلما وصل
الى قوله وابا قال ما الاب ثم حار وقال لعمرك يا عمر ان هذا لهو التكلف و
هذا يدل على انهم كانوا طالبين لمقاصد كلام الله تعالى والعمل بمقتضى ما علموا
ولهم عن طلب اللغات شغل شاغل وقد علموا ان الاية مسوقة للامتنان
على الانسان فهم كانوا ساعين فى القيام بشكر تلك النعم مَتَاعًا لَكُمْ وَلِاَنْعَامِكُمْ
اى المذكورات فَاِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ اى النفخة الثانية صخ يقال صخ لحديث
واصاخ اذا استمع له وصفت النفخة به مجاز لان الناس يصخون عندها

دفع لما استشكله الامام من ان المقدم الانسان الكافر كيف يعود اليه الضمير المراد به كل الافراد منه

يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بحاله او خوفا من مطالبتهم اياه بما قصر فيه من حقوقهم ويوبخ الاول قوله لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وقول الرسل نفسي نفسي وتاخير الاحب للترقي كانه قيل يفر من اخيه من ابويه من صاحبته من بنيه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفر الصبح اضاء لسرور القلوب وقيل من الصلوة بالليل فان من تهجد استنار وجهه وقيل من اثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله ضاحكة بما نالت من الربح و الفوز مستبشرة برحمة الله ورضوانه ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة يعلوها سواد كالدخان ولا ترى اقبح من سواد الوجه اذا علاه الغبار اولئك هم الكفرة الفجرة اى الموصوفون باغبرار الوجوه واسوداده هم الذين ضموا الى الكفر الفجور فالجزاء على وفق العمل تمت سورة عبس والحمد لمن عن كل مكروب نفس والصلوة على رسوله ما الليل عسعس وآله وصحبه ما الصبح تنفس

سورة التكوير مكية وهي تسع وعشرون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت روى الامام ابن حنبل عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان ينظر الى يوم القيمة رأى عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت والتكوير من كورت العمامة اذا لففتها والمراد اذهاب ضوئها او عينها لان الثوب اذا اريد رفعه لف وطوى او من طعنه فكورته اى القاه لما روى ان الشمس والقمر يكوران في جهنم لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم واذا النجوم انكدرت انتثرت لقوله واذا الكواكب انتثرت وقيل اظلمت من كدرت الماء فانكدر وهو تفسير باللازم واذا الجبال سيرت عن وجه الارض تمر مر السحاب واذا العشار عطلت اهملت جمع عشراء وهي الناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر ويبقى هذا الاسم بعد حملها ايضا وكذلك فسر تعطيلها بعدم الحلب وقيل هي السحاب عطلت عن المطر واذا الوحوش حشرت من كل دب كما يحشر الانس والجن واذا البحار سجرت مليت بان يفجر بعضها الى بعض حتى تصير بحرا واحدا او احميت من سجرت التنور عن ابن عباس رضي الله عنه او وقدت فصارت نيرانا وقرأ ابن كثير وابو عمرو سجرت مخففا والتشديد ابلغ واوفق بقوله زدناهم سعيرا واذا النفوس زوجت كل نفس بشكلها في الموقف الانبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل او زوجت باعمالها وقيل نفوس المؤمنين بالحور والكفار بالشياطين واذا الموءدة سئلت باى ذنب قتلت الوأد دفن الحي في القبر والغرض من سؤالها تبكيت الوائد على فعله وليس في الاية دليل على انها في الجنة ولكن دلت الاحاديث على ان اطفال المشركين في الجنة فهي من باب الاولى فان قلت روى سلمة بن يزيد انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امه قد وادت احيا في الجاهلية فقال الوائد والموءدة في النار قلت معارض بما روت خنسا بنت معاوية ان عمها اخبرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الموءدة في الجنة ويحمل قول الموءدة في النار على ان تلك المعينة كانت بالغة بانهم كانوا يدفنون اذا صار قامتها ستة اشبار واذا الصحف نشرت عند الحساب فانها تطوى بعد الموت وقيل هي غير صحف الاعمال بل صحف تطير من تحت العرش فيقع صحيفة المؤمن في يده في الجنة وصحيفة الكافر في يده في النار وقرأ

ابو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي نشرت مشددا للكثرة الصحف او لشدة التطاير واذا السماء كشطت كما يكشط الجلد من المسلوخ واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن ذكوان وحفص بتشديد العين والا بلغية فيه كما في سجرت واذا الجنة ازلفت قربت من المؤمنين كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذه اثنا عشرة خصلة ست منها في الدنيا وست في الاخرة علمت نفس ما احضرت جواب اذا الشمس كورت وما عطف عليه وهو العامل فيها والمعنى علمت كل نفس لقوله يوم تجد كل نفس ما عملت وانما نكر لان الكلام صادر عن مقام الكبرياء اشارة الى ان تكون نفس هذه الاجرام العظام فعله تستقل النفوس الانسانية في جنب قدرته فهي كنفس واحدة فلا اقسم بالخنس هي الكواكب لانها تخنس اى تتاخر في المغيب او تختفي ومنه سمي الشيطان خناسا لانه يتاخر اذا ذكر الله وقيل هي السيارة دون الثوابت وقال الفراء هي الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد الجوار الكنس التي تكنس اى تستتر من كنس الظبي دخل في كناسه وقيل تظهر بالليل بعد الخنس بالنهار والليل اذا عسعس ادبر لقول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل اقبل وهو من الاضداد وكلا المعنيين حسن والصبح اذا تنفس النهار بغشيان الليل يصير كالمكروب فجعل تخلصه منه بانكشاف الليل عنه كتنفس المكروب بعد زوال الكرب وجعل نسيم الصباح لاشتماله على الروح كالتنفس المفرج عن القلب انه اى القران لقول رسول كريم عند الله وهو جبريل وكون القران قوله لملابسة التبليغ ذي قوة اى قوة كقوله شديد القوى عند ذي العرش مكين ذي مكانة وعزة مطاع بين الملأ الاعلى والكروبيين ثم امين اى عند الله موصوف بالامانة على وحي الله وتنفيذ اوامره وما صاحبكم اى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تزعمون وليس الكلام مسوقا للموازنة وفي المفاضلة بين جبريل ورسول الله عليهما السلام حتى يستدل بتلك الاو الفاضلة على افضليته على المرسل اليه بل مسوق لبيان حقية المنزل ولا شك ان وصف الاتي به بتلك الصفات الكوامل يشد من اعضاده ابلغ شدّ الا يرى الى مقام الحث على اتباعه كيف جعله سراجا منيرا ورحمة للعالمين ولقد راه بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو على الغيب اى محمد في اخباره عن المغيبات بضنين بمتهم ولذلك تعدى الى مفعول واحد اى لا يتهم فيما يوحى اليه بنقص او زيادة وقرأ نافع وابن عامر و عاصم وحمزة بالضاد وعليه الرسم اى ليس ببخيل في تبليغ ما اوحى اليه و الاول اوفق بقوله وما صاحبكم بمجنون وقوله افترى على الله كذبا ام به جنة ونظايرها وما هو اى القران بقول شيطان رجيم مطرود تصريح بما علم ضمنا ونفي للكهانة والتنجيم وليقابل به رسول كريم فاين تذهبون تشبيه عدولهم عن الحق واتباعه بالعدول عن الجادة والذهاب عنها الى المهالك من البنيات في المفاوز ان هو الا ذكر موعظة للعالمين من الثقلين لمن شاء منكم ان يستقيم بدل من العالمين لانهم المنتفعون

بالتذكير وما تشاؤون الا ان يشاء الله مشيئتكم حذف لدلالة الفعل عليه رب العالمين مالكهم والمتصرف فيهم فلا يكون شيء الا بارادته و مقتضى مشيئته تمت سورة التكوير والحمد للواحد الخبير والصلوة على البشير النذير واله وصحبه كل صغير وكبير

سورة الانفطار مكية وهي تسع عشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت واذا البحار فجرت بعضها الى بعض بازالة البرزخ فصير بحرا واحدا ثم تنشف الارض فتبقى مستوية لا ترى فيها عوجا ولا امتا واذا القبور بعثرت بعث موتاها والراء للالحاق مبالغة مثله بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت واخرت ما قدمت من الاعمال الصالحة وما ضيعت او ما اخرت من سنة حسنة او سيئة او ما قدمت في اول عمرها وما اخرت في آخره يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي شي جراك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار وللاشارة الى ان الباعث على ذلك انما كان تسويل الشيطان بان ربك كريم يعفو ويغفر وقيل انما ذكر وصف الكريم من كرمه تلقينا له ليقول غرني كرمك وهذا باطل لان الانسان المذكور خاص بالكافر لقوله كلا بل تكذبون او عام له وللمؤمن لقوله ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ولا وجه لتلقين الكافر حجة الذي خلقك فسويك فعدلك الذي اوجدك سويا تام الخلق معتدل الاعضاء فلا يد اطول من اختها ولا عين اوسع من نظيرتها وكذا ماثل بين ساير الاطراف وقرا الكوفيون عدلك مخففا من العدل وهو الميل فكالمشدد الا ما فيه من المبالغة او الصرف اي نحابك عن خلق ساير الحيوانات او الى شبه الابوين او الى الطول والقصر او الذكورة والانوثة في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيته فما زايدة واي للصفة ولما اريد التعميم حذف موصوفها ويجوز تعلقه بعدلك اي عدلك في صورة واي صورة كقولك مررت برجل اي رجل وحذف الموصوف لزيادة التفخيم والتعجب ثم قال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء اي تركيبا بديعا كلا ردع عن الاغترار بكرمه بل تكذبون بالدين اضراب الى ما هو السبب الاصلي في الاغترار وهو تكذيب القرآن والرسل بوقوع الجزاء فان قلت هذا انما يستقيم اذا اريد بالانسان الكافر اما اذا كان عاما فلا قلت اذا كان عاما يكون خطابا للكل بما وجد بينهم وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون جملة حالية اي انكم تكذبون بالجزاء والحال ان شانه امر خطير مع علمه الشامل قد وكل بكم من يحفظ عليكم النقير و القطمير واثنى على الكتبة اشارة الى عظم امر الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم اللام للعهد وهم الذين يكذبون بيوم الدين لقوله هذا الذي كنتم به تكذبون يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لقوله وما هم عنها بمخرجين صريح في سرمدية العذاب ثم فخم شان الجزاء بتفخيم يومه بقوله وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين ابهم امره وخاطب اعلم الخلق بانه لم يحط بكنه ذلك اليوم وكرر ذلك واتى بثم للتراخي رتبة اشارة الى انه مهما ترقى في العلم لم يبلغ ذلك ثم اجمل بقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير الشدة هوله وفخامة امره وقرا ابن كثير وابو عمرو يوم بالرفع خبر مبتدا اي يوم الدين يوم لا تملك او بدل كل منه ومن قرا بالفتح بناه لاضافته الى غير المتمكن كقول علي رضي الله عنه من اي يومي من الموت افر ايوم لم يقدر ام يوم قدر تمت سورة انفطرت والحمد لمن الاؤه تواترت والصلوة على من اياته بهرت واله وصحبه ما غاب النجوم او لمعت

سورة المطففين مكية وست وثلاثون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين التطفيف نقص الكيل والوزن من الطفف وهو القليل لان الذي يسرق من كيل او وزن واحد لا يكون الا قليلا وعن الزجاج ماخوذ من طف الشيء جانبه روى النسائي وابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وروي لما قرا لاية عليهم قال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا سلط عليهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا اخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا لانفسهم ما لهم على الناس ياخذونه كاملا واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اي كالوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل او كيلهم فحذف المضاف وقيل الضمير للفصل راجع الى المطففين وليس كذلك لان الغرض بيان اختلاف حالهم في الاخذ والاعطاء لا بيان المباشرة وعدمها ولا يساعده اثبات الالف بعد الواو كما في نظايره ولم يذكر الاتزان مع الاكتيال اكتفاء به وقيل كانهم كانوا ياخذون الموزون بالمكيال ليتمكنوا من الاستيفاء والسرقة لاحتمال ان يزعزع الكيل ويحتال في الملأ بخلاف الميزان لانه لا يقبل ذلك الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم صدر الكلام بحرف التنبيه ايقاظا وذكر الظن دلالة على ان الظن كاف في الكف عن التطفيف كيف والفاعل قاطع مستيقن ووصف اليوم بالعظم لعظم ما يقع فيه واسم الاشارة للشتم نحو ذلك اللعين وكل هذه التشديدات ليس من حيث التطفيف بل لان الميزان قانون العدل الذي به قامت السموات والارض يوم يقوم الناس لرب العالمين نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين يغيب احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه كلا ردع عن التطفيف ان كتاب الفجار لفي سجين عقب ذكر التطفيف حديث الفجار زيادة تنفير عنه والسجين فعيل من السجن وهو الضيق سمي به الكتاب الجامع لاعمال الشياطين والكفرة لانه سبب للضيق او لانه مطروح في مكان مظلم تحت الارض السابعة فيقدر مضاف اي ان موضع كتاب الفجار ونقل الواحدي باسناده ان السجين بئر مفتوح في جهنم والغرض من وصف كتابهم بالوصف الشنيع تقبيح حالهم وسفالة محلهم وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم معلم يعلم من راه انه لا خير فيه او مسطور بين الكتابة وان كان اسم موضع فالتقدير ما كتاب

سجين او محل كتاب مرقوم حذف منه المضاف ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون
بيوم الدين وصف مؤكدا وذام لان اللام في المكذبين للعهد وما يكذب به الا كل
معتد متجاوز عن الحد حيث يقلد فيما لا يصح فيه وقطع النظر عن الايات والنذر اثيم
كثير الاثم منهمك في الشهوات حيث شغل ذلك عن التفكر اذا تتلى عليه اياتنا قال
اساطير الاولين من فرط جهله وعدم تأمله لا ينفعه شواهد النقل كما لا ينفعه دلائل
العقل كلا ليس الامر كما قالوا من انه اساطير بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
الرين صداء يعتري القلب من تكاثر الذنوب عن الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمى
القلب روى النسائي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اذنب
العبد ذنبا كانت نكتة في قلبه فان هو نزع واستغفر صقل قلبه وان عاد ازداد حتى
يعلو القلب فهو الرين الذي قال الله تعالى بل ران على قلوبهم كلا ردع عن الكسب الراين
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون تمثيل كالهم في الاهانة بحال من
استأذن على ملك فلم يوذن له ثم انهم لصالوا الجحيم لداخلون النار
لا محالة ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون تقريعا لهم وزيادة في العذاب
كلا تكرير للاول ليعقب به وعد الابرار كما عقب به وعيد الفجار او ردع عن التكذيب
ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم علم كتاب الابرار او
موضع يكون فيه الكتاب جمع علي في الاصل من العلو وسمي به لانه سبب العلو والارتفاع
في الجنة او لانه مرفوع الى السماء السابعة يشهده المقربون الكروبيون
يحفظونه من المعارف او ليشهدوا على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم على
الارائك ينظرون على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما شاؤا مد ابصارهم مما يسر
الاعين تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم ورونقه كما ترى وجوه اهل الثروة
والملوك في الدنيا يسقون من رحيق من اسما الخمر مختوم ليلا يبتذله
الايدي ختامه مسك مكان الطينة في اباريق الملوك وهذا غاية الاكرام وقرا
الكسائي وخاتمه بفتح التا وهو ما يختم به كالاول وقيل معنى الاول ان المسك يرى
الى اخره وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون و
مزاجه من تسنيم اسم عين في الاصل مصدر سنمه اذا رفعه الانها ارفع شراب
في الجنة او لانها تجري في الهوا متسنمه فتنصب في اوانيهم عينا يشرب بها
المقربون صرفا لانهم لم يلتفتوا الى غير طاعة الله تعالى ولم يشتغلوا استرهم
بغيره وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم والبا في بها مزيدة او بمعنى
من ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون هم ابو جهل واضرابه كانوا اذاروا
صهيبا وبلالا وعمارا وساير الفقراء يضحكون استهزاء بهم واذا مروا بهم يتغا
مزون يشير بعضهم الى بعض بالعين والحاجب استحقارا واذا انقلبوا الى
اهلهم انقلبوا فكهين مستلذين اشرا وبطرا بما هم فيه من الحطام وبما فيه فقرا
الصحابة رضي الله عنهم من الضنك واللاواء وقرا حفص فكهين مقصورا
والمداولي لوجود ذلك وقت الانقلاب والرسم على القصر واذا راوهم قالوا
ان هؤلاء لضالون طريق الرشاد في اتباع محمد وترك دين الاشياخ
وما ارسلوا عليهم حافظين موكلين بهم حتى يقولوا فيهم بالضلال والرشد
رد منه تعالى عليهم او هو كلام الكفار لهم انا دعوهم الى الايمان وكان
الظاهر وما ارسلوا علينا حافظين الا انه سلك طريقة الغيبة كقولك
قال زيد ليفعلن كذا فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون بدل

الحجال جمع حجلة بفتحتين بيت العروس المزين منه

بدل ما كانوا يضحكون منهم في الدنيا على الارائك ينظرون حال من
يضحكون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون المخاطب هم المؤمنون على الارائك
اذا نظروا الى الكفار في جهنم زيادة في سرورهم وان الله تعالى قد كافاهم والتثويب
الاثابة استعمل في العذاب تهكما والاستفهام للتقرير تمت سورة التطفيف و
الحمد للكريم اللطيف والصلوة على الرسول الشريف واله وصحبه ذوي الفضل المنيف

سورة الانشقاق مكية وهي خمس وعشرون ايات بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت اي بالغمام وتنزل فيه ملايكة العذاب كقوله يوم تشقق
السماء بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة واذنت
لربها واستمعت له من الاذن وهو الاستماع والمعنى اطاعت لما اريد منها من الانشقاق
اطاعت المامور اذا ورد عليه امر من الامر المطاع وحقت وكانت محقوقة جد
يرة بالاطاعة لورود امر القاهر المقتدر الذي لا يتاتى عليه مراد والجواب محذوف
ليذهب المقتدر كل مذهب او اكتفاء بما علم في سورتي التكوير والانفطار وقيل
الجواب ما دل عليه فملاقيه اي اذا وقع ذلك لاقى الانسان كدحه او فملاقيه على ان
يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا اعتراض واذا الارض مدت عن ابن
عباس مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا او من المدد اي زيدت سعة و
بسطة والاول اظهر اذ ايجاد اجزاء اخر مضافا فلم يشهد له خبر ولا اثر والقت
ما فيها من الاموات والكنوز وتخلت غاية الخلو لدلالة التفعل على التكلف
كانها كلفت ان تبلغ في ذلك غاية الجهد واذنت لربها وحقت اي في القاء
ما في بطنها وتخليها ولا تكرار لان الاول في السماء وهذا في الارض يا ايها الانسان
انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه الكدح الجد والجهد في العمل والضمير في ملاقيه
للرب اي لا مفر لك منه او للكدح اي ملاق جزاءه كما في الحديث انما هي اعمالكم
ترد اليكم ثم فصل ذلك بقوله فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب
حسابا يسيرا سهلا من غير مناقشة تشق عليه روى الشيخان وابو داود
والترمذي عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس احد يحا
سب الا عذب قلت اوليس الله يقول فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحا
سب حسابا يسيرا قال ذلك العرض ومن نوقش في الحساب هلك وعنها
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم حاسبني حسابا يسيرا
قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه وينقلب
الى اهله اي عشيرته او الى فريق المؤمنين او الى اهله في الجنة من الحور والولدان
مسرورا فرحا واما من اوتي كتابه وراء ظهره تغل يمناه الى عنقه وتثنى
شماله الى وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا اي يدعو بالويل والهلاك
ويصلى سعيرا وقرا نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي بضم اليا وفتح الصاد
وتشديد اللام من التصلية كقوله وتصلية جحيم معدى الى مفعولين انه كان
في اهله مسرورا سرور بطر بالمال والجاه لا يخطر بباله امر الاخرة انه ظن ان
لن يحور تعليل لذلك السرور بلى ايجاب بعد النفي بلن اي ليحورن لا محالة و
الحور هو الرجوع وفي الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي الرجوع عن الدين
بعد الدخول فيه ان ربه كان به بصيرا فيجازيه على اعماله فلا اقسم
بالشفق وهي الحمرة بعد مغيب الشمس وعن ابي حنيفة هي البياض وروي
اسد بن عمرو انه رجع عن ذلك ماخوذ من الشفقة لرقة والليل وما وسق

وما احاط به الليل من الكائنات من الوسق وهو الجمع والقمر اذا اتسق
انتظم واجتمع نوره اذا كان بدرا لتركبن طبقا عن طبق اى حالا مجاوزا
عن الآخر فى الشدة وهى الموت وما بعده من الاهوال والطبق ما طابق غيره اى وافقه
ومنه اطباق الثرى والطبق الغطاء وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى بفتح الباء
على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعد له بالاسراء اى لتسلكن
اطباق السموات فى المعراج او لكل احد من افراد الانسان نظرا الى لفظ اى لفظ
الانسان فانه مفرد فما لهم لا يؤمنون بالبعث بعد ظهور دلايله واذا قرئ
عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون اكراما له لدلالة اعجازه على انه
كلام الله واستدل به ابو حنيفة رحمه الله على وجوب السجود لان الذم لا يكون
الا على ترك الواجب روى مسلم والبخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه
سجد فيها وقال سجدت خلف ابى القاسم فلا ازال اسجد بها حتى القاه قيل قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد وسجد
معه المؤمنون فصفق المشركون وتضاحكوا فنزلت بل الذين كفروا
يكذبون بالقرآن والدليل انما ينفع المسترشد والله اعلم بما يوعون
بما يضمرونه من الكفر والرذايل او بما يجمعونه فى صحايف اعمالهم فبشرهم
بعذاب اليم تهكم بهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثنا
منقطع او متصل بتقدير الضمير اى منهم لهم اجر غير ممنون مقطوع
او مشوب بالمنة تمت سورة الانشقاق والحمد للواحد الخلاق والصلوة
على الكامل بالاتفاق وآله وصحبه الى يوم التلاق سورة البروج مكية
وهى اثنتان وعشرون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج هى البروج الاثنى عشر المشهورة والاقسام بها لان
سير الشمس فيها وبه ينتظم نظام العالم السفلى او منازل القمر لان تلك البروج
منقسمة الى ثمانية وعشرين منزلا او الكواكب العظام او ابواب السما فان النوازل
يظهر منها واصل التركيب للظهور ومنه تبرج المرأة واليوم الموعود يوم
القيمة وشاهد ومشهود عن ابى هريرة وابى مالك الاشعرى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وكذا عن سعيد
بن المسيب وعن ابن عباس رضى الله عنه الشاهد محمد والمشهود يوم القيمة
وعن سعيد بن جبير الشاهد هو الله والمشهود يوم القيمة قتل اصحاب
الاخدود دليل جواب القسم اى اقسم ان قريشا لملعونون احقاء بان يقال فيهم
قتلوا كما قتل اصحاب الاخدود وقيل المذكور هو الجواب والاول هو الوجه لان
الكلام مسوق لتصبير المؤمنين وتهديد المشركين كما دل عليه آخر السورة و
الاخدود جمع خد وهو الشق وفى الحديث انهار الجنة تجرى فى اخدود والقصة
على ما رواها مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر انه كان فيمن كان
قبلكم ملك كافر له ساحر فلما كبر سال الملك ان يدفع اليه غلاما ليعلمه السحر
فدفع اليه غلاما وكان فى طريق الغلام راهب على دين عيسى فسمع الراهب و
اعجبه كلامه فانقطع من الساحر الى الراهب فكان يضربه الساحر لانقطاعه
فقال له الراهب اذا قال لك الساحر ما حبسك عنى قل حبسنى اهلى واذا سالك
اهلك قل حبسنى الساحر فمر يوما على دابة عظيمة فى الطريق قد حبست الناس
فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من الساحر فاقتل هذه

هذه الدابة فرماها فقتلها فاخبر الراهب فقال انك افضل منى وستبتلى فلا تدل
على فشرع الغلام يبرئ الاكمه والابرص وكان جليس الملك قد عمى فاتى الغلام باموال
وقال اشفنى قال الشافى هو الله فان آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الغلام
فشفاه الله فلما حضر الملك قال من رد عليك البصر قال انا قال لا ربى وربك الله فاخذ
يعذبه حتى دل على الغلام فلما اتى به قال بلغ من سحرك انك تبرئ الاكمه والابرص
قال الشافى هو الله قال اولك رب غيرى قال ربى وربك الله فلم يزل يعذبه حتى
يدل دل على الراهب فقال للراهب ارجع عن دينك فلم يرجع فوضع المنشار على رأسه
فشقه ودفع الغلام الى جماعة فقال اذهبوا به الى ذروة شاهق فالقوه فلما
علوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم فرجفت بهم الجبل فهلكوا عن آخرهم فرجع الغلام
سالما فسأله الملك عن القوم فقال هلكوا فدفعه الى نفر وقال اجعلوه فى قرقور
فاذا توسطتم البحر فالقوه فى البحر فلما توسطوا البحر قال اللهم اكفنيهم فغرقوا ورجع
الغلام الى الملك فقال ما فعل اصحابك قال غرقوا ثم قال للملك انت لا تقدر
على قتلى الا اذا فعلت ما آمرك به اجمع الناس فى صعيد واحد واصلبنى وخذ رأسه
من كنانتى وقل بسم الله رب الغلام فانك اذا فعلت ذلك قدرت على قتلى ففعل
ذلك فقتل الغلام فقال الناس آمنا برب الغلام فامر بافواه السكك فخدت
اخاديد واضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه وكانوا يتعادون
ويتدافعون الى النار رغبة فى الموت على الدين فجاءت امرأة تحمل رضيعا فتقاعست
فناديها الرضيع يا اماه اصبرى فانك على الحق فالقت بنفسها مع الصبى وعن على انهم
حين اختلفوا فى احكام المجوس قال هم اهل كتاب وكانوا متمسكين به فشرب بعض
ملوكهم الخمر فوقع على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت اخته المخرج ان تخطب
وتقول فى الخطبة ايها الناس ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم بعد ذلك تخطب
وتقول ان الله قد حرم ذلك فخطب فلم يقبلوا منه فبسط فيهم السوط فلم يقبلوا
فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبل فامرته بالاخدود وايقاد النار والقاء من
ابى فيها وروى ابن اسحق ان رجلا عالما من علماء النصارى وقع بنجران فدعاهم الى
دين عيسى فآمنوا به فسار اليهم ذو نواس اليهودى من بلاد اليمن فخيرهم بين
النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثنى عشر الفا وقيل سبعين ونجا منهم رجل
فلحق بقيصر وكتب قيصر الى ملك الحبشة بخبر قتال ذى نواس ونصر دين عيسى
فارسل النجاشى جيشا اميرهم ارباط فهزم ذا نواس اليهودى حتى دخل البحر فى
سفينة وغرق فيها واستمر ملك اليمن فى يد الحبشة سبعين سنة حتى استنقذه
سيف بن ذى يزن من ابناء تبع وهو الذى اخبر عبد المطلب بشان رسول الله
وصفاته النار ذات الوقود النار بدل اشتمال وذات الوقود صفة لها بالعظمة
وكثرة الوقود من الحطب والناس قيل كان طول الاخدود اربعين ذراعا فى عرض
اثنى عشر اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اى لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين
حولها وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك
بانه سعى فى احراقهم ولم يقصروا ويشهدون يوم القيمة على انفسهم يوم تشهد عليهم
السنتهم وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد اى ما عابوا
منهم الا افضل المناقب واحسن الخصال وهو الايمان بمن هذه صفاته من كونه غالبا
على كل شئ منعما محمودا على نعمه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد اعاد المظهر للدلالة

القرقور سنبكى وتسمى الفلك ايضا منه

على شمول العلم شان الالوهية ومن لوازمها ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنا
ت ثم لم يتوبوا ليشمل اصحاب الاخدود وغيرهم فلهم عذاب جهنم
لكفرهم ولهم عذاب الحريق نار اخرى عظيمة تتسع بهم كما تتسع الحريق
لفتنتهم وقيل هم اصحاب الاخدود لما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير الذي
يستحقر ملك الدنيا دونه ان بطش ربك لشديد البطش هو الاخذ بالشدة
والعنف فالوصف بالشدة زيادة مبالغة ثم قرر ذلك بقوله انه هو يبدئ
ويعيد ومن هذا شانه يكون بطشه وانتقامه من اعدايه في نهاية الشدة و
قيل يبدئ البطش في الدنيا ويعيده في الاخرة وهذا يلايم ما قيل ان النار
انقلبت على اصحاب الاخدود وهو الغفور للذنوب الودود لمن تاب ذو
العرش خالق العرش او كني به عن الملك المجيد خبر رابع لهو ومجد الله عظمته
وكبرياؤه وقرا حمزة والكسائي بالجر صفة العرش والمراد به عظمة حرمه او
اتساع الملك دلالة على كمال الاقتدار والرفع اولى لكونه غالبا في صفاته تعالى
فعال لما يريد لا يتاتى عليه مراد خبر مبتداء محذوف لدلالته على تحقق
الوصفين البطش بالاعدا والمغفرة والود للاوليا ولو جعل خبر هو المذكور
فاتت ولا يخفى ما في التنكير وزيادة اللام من الفخامة هل اتيك حديث الجنود
فرعون وثمود ابدالهما عن الجنود لان المراد فرعون وملاه وضم ثمود
اليه دون غيرهم لقرب بلادهم ورعاية للفاصلة والمعنى قد احطت علما بتكذ
يبهم وما حاق بهم تسلية له وتهديد لقومه بل الذين كفروا في تكذيب
في الاضراب دلالة على ان حال هؤلاء اعجب من اولئك فانهم سمعوا باخبارهم
وشهدوا اثارهم وهم مستغرقون في التكذيب والله من ورائهم محيط علما
وقدرة لا يفوته احد جملة معترضة بل هو قران مجيد اي ما كذبوا به
قران شريف معجز في الاضراب ترق واشارة الى ان تكذيبه خارج عن ساير انواع
التكذيب في لوح محفوظ عن جهتو الملايكة لا يطلع عليه الا بعض المقربين
فكيف يكون كذبا سورة الطارق مكية وهي سبع عشرة ايات
بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق وما ادر
يك ما الطارق من الطرق وهو القرع والدق اطلق على الاتي بالليل لانه يحتاج
الى دق الباب والمراد به الكوكب لظهوره بالليل النجم الثاقب ابهمه اولا
ثم فسره اظهارا لفخامة شان المقسم به والثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بنوره ان
كل نفس لما عليها حافظ ان هي المخففة واللام الفارقة وما مزيدة اي ان الشان كل
نفس عليها حافظ وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم بمعنى الا على ان
ان نافية والجملة جواب القسم فلينظر الانسان مم خلق اي لما ثبت
ان عليه حافظا فلينظر في نفسه فانها اقرب الاشيا اليه وكيفية تكونها فان
ذلك النظر يوصله الى الحافظ الحقيقي ويعرفه انه لم يخلق سدى خلق من ماء دافق
ذي دفق نسب كلابن وتامر او اسناد مجازي وصف بوصف صاحبه يخرج من بين الصلب
والترايب اي صلب الرجل وترايب المراة موضع القلادة او ما بين ثدييها
كذا عن ابن عباس رضي الله عنه جمع تريبة ولا ينافي قول الاطبا انه يتولد من جميع
اجزا البدن بعد الهضم الرابع فياخذ من كل عضو ما يستعد لان يكون عضوا اخر مثله
لانه يمنع الاختصاص على الاعضاء التي هي اصول في التولد وذلك ان الترايب يشمل

النخاع الخيط الابيض الذي في الفقار منه

يشمل القلب والكبد والكلى والصلب الدماغ لاتصال النخاع بالدماغ وينزل من الدماغ
منعب الى مقدم البدن وهي الترايب على ان كلامهم مبناه على الاوهام والظنون
وكلام الله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انه اي الله تعالى فخم اولا
اولا بترك الفاعل في مم خلق وثانيا بالاضمار لعدم ذهاب الوهم الى الغير على
رجعه لقادر اي على اعادة الانسان وقيل الضمير للماء اي يقدر على رجعه الى
مخرجه يوم تبلى السراير منصوب برجعه الفاصل ليس باجنبي لانه متعلق الجار
اي تكشف وتطهر جمع سريرة وهي ما اخفي من العقايد والاعمال فما له من قوة
ولا ناصر من منعة في نفسه ولا من غيره والسماء ذات الرجع ذات المطر سمي
رجعا تفالا او لان الله يرجعه وقتا وقتا او لان العرب تزعم ان السحاب يحمل من
بحار الارض ثم ترجعه الى الارض والارض ذات الصدع النبات او الشق
بالنبات والعيون انه اي القران او ما اخبرتم به من الاقتدار على الاحيا و
الاول اولى لبناء ذا هذا وغيره لقول فصل حد فاصل بين الحق والباطل
وما هو بالهزل في شيء بل جد كله انهم اي اهل مكة يكيدون كيدا يجتهدون
في نصب المكايد واطفاء نوره يسمونه شعرا او سحرا او كهانة واكيد كيدا بافاضة النعم
عليهم والعاقبة في مقابلة ذلك استدراجا ليزدادوا فمهل الكافرين الى الوقت المضروب
لهم في علمه تعالى امهلهم رويدا امهالا يسيرا كرر مبالغة في التسكين والتصبير وخالف
لانه اوكد من مجرد التكرار تمت سورة الطارق والحمد للخالق والصلوة على
الكامل الصادق واله وصحبه ما لمع شارق سورة الاعلى مكية وهي تسع
عشرة ايات بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك
الخطاب عام او له وامته سبح وكما يجب ان ينزه ذاته عما لا يليق من الاوصاف فكذا
الاسماء الدالة عليه تحمل على معاني الكمال والجلال وتصان عن التاويلات الزايفة
وان لا تذكر الا على وجه التعظيم تادبا باداب الله الا ترى الى قوله ولله الاسماء الحسنى
كيف يرشد الى ذلك الاعلى الاولى جعله صفة للاسم ويجوز ان يكون وصفا للرب
عن عقبة بن عامر لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه و
سلم اجعلوه في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوه في سجودكم الذي
خلق فسوى خلق كل شيء فسواه بان جعل له ما يتاتى كماله به ويتم معاشه
والذي قدر الاشيا اجناسا وانواعا واشخاصا فهدى بنصب الدلايل والالهام
وارسال الرسل وانزال الايات قرا الكسائي قدر مخففا من القدرة والتشديد ابلغ
واوفق بساير الايات والذي اخرج المرعى النبات الذي يرعاه الدواب فجعله
غثاء احوى حطاما اسود بعد خضرته رفيفه والاولى جعل احوى حالا من المرعى اي اخرجه
اسود من شدة الخضرة والفاصل بين الحال وصاحبها ليس اجنبيا وفي تقديمه اشارة الى
سرعة طريان الجفاف كانه قبل ان يتم رفيفه يصير غثاء سنقرئك فلا تنسى كانه
لما امر بتنزيه اسمه خالج قلبه خوف النسيان فبشره تعالى باكمال قوة الحافظة بان لا ينسى
شيئا الا ما شاء الله نسيانه ولا باس عليه في ذلك وفي الحديث انما انا بشر انسى كما
تنسون فاذا نسيت فذكروني او الا ما شاء الله نسيانه برفع تلاوته وحكمه وقيل نفي
النسيان راسا وقيل نهي والالف للفاصلة انه يعلم الجهر وما يخفى وقد علم
خوفك من النسيان ولذلك ازاله عنك او عالم بالاحوال ولذلك تنسى ما فيه
حكمة ومصلحة او يعلم جهرك في القراءة مع جبريل مخافة فوت شيء منه فلذلك
ضمن لك حفظه ونيسرك لليسرى نوفقك للطريقة التي هي ايسر الطرق وهي

كقوله خلق كل شيء فقدره تقديرا وقوله انا كل شيء خلقناه بقدر منه

شريعة التي لا اصر فيها ولا اغلال كما قال عليه السلام جئتكم بالحنيفية السمحا لو كان
ابن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي عطف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى
اعتراض **فذكر** اشتغل بالتذكير بعدما امنك من النسيان **ان نفعت الذكرى**
كان مامورا بالتبليغ والدعوة نفعت الذكرى او لم تنفع فلما دعاهم وبلغ في ذلك
اقصى جهده حتى قال له لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين فاشار الى استبعاد
النفع فيهم كانه قال افعل ما امرت به لتوجر وان كان اهل الطبع او المعنى ذكر المومنين
واعرض عن هولاء فان الذكرى تنفع المومنين يؤيده قوله **سيذكر من يخشى** يخشى
الله فانه يتفكر في الآيات ويتعظ بالمواعظ **ويتجنبها الاشقى** اي الكامل
في الشقاوة وهو الكافر وافعل للزيادة المطلقة لتخول الفاسق في الشقي في قوله
فمنهم شقي وسعيد **الذي يصلى النار الكبرى** نار جهنم في مقابلة النار
الصغرى وهي نار الدنيا او الدرك الاسفل **ثم لا يموت فيها** فيستريح **ولا
يحيى** حيوة طيبة ثم للدلالة على ان كونه لا ميتا ولا حيا افظع من دخول النار
روى مسلم عن ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل النار
الذين لا يريد الله اخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون والذين يريد اخراجهم
يميتهم فيها اماتة ثم يخرجون فيلقون في انهار الجنة **قد افلح من تزكى** تطهر
من اوضار الشرك والمعاصي او تكثر من صفات التقوى او تطهر للصلوة او ادى
الزكوة والرواية عن علي ان المراد زكوة الفطر لا تصح لان السورة مكية ولا عيد
بها ولا فطر والاوجه حمله على التزكي في الاعمال والاخلاص فيها لقوله ومن
تزكى فانما يتزكى لنفسه **وذكر اسم ربه فصلى** ولا دلالة فيه على تكبيرة
الافتتاح ليستدل به على خروجها عن الصلوة وجواز قيام ساير الاذكار
مقام التكبير **بل تؤثرون الحيوة الدنيا** الخطاب عام او خاص باهل
مكة والمضرب عنه قد افلح او ذكر اي تؤثرون الحيوة الدنيا على الفلاح او
الذكر وقرا ابو عمرو بالغيبة باعتبار الاشقى اذ لم يرد به معين والخطاب
اولى لقول ابن مسعود رضي الله عنه عجلت لنا الدنيا فاثرناها ولقراءة ابي بل انتم
تؤثرون الحيوة الدنيا وفيه اشارة الى قلة النفوس الكمل على اسلوب وقليل من
عبادي الشكور **والآخرة خير وابقى** اذ نعم الدنيا لا تشارك نعم الآخرة
الا في الاسم مع سرعة زوالها **ان هذا لفي الصحف الاولى** المشار اليه جميع
ما في السورة او قد افلح من تزكى او خير وابقى والاول اعم واصح لما روى النسائي عن
ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلها **صحف ابرهيم
وموسى** روى عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انزل الله تعالى
مائة واربعة كتب على آدم عشر صحايف وعلى شيث خمسين وعلى ادريس ثلثين وعلى
ابرهيم عشرا والتورية والزبور والانجيل والفرقان تمت سورة الاعلى والحمد لمن له
الاسما الحسنى والصلوة على صاحب المعراج والاسرى وآله وصحبه اولى الفضايل
والنقى **سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آيات بسم الله الرحمن الرحيم**
هل اتيك حديث الغاشية اي القيمة لانها تغشى الناس باهوالها وافزاعها
وجوه يومئذ خاشعة ذليلة **عاملة ناصبة** عملت في الدنيا وتعبت
بلا نفع وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا او عاملة في النار تجر
السلاسل والاغلال ناصبة في الصعود والهبوط في جبال النار ووديانها وقيل
هولاء نساك اليهود والنصارى اصحاب الصوامع كانوا يحسبون انهم يحسنون صنعا

صنعا **تصلى نارا** تدخلها وقرا ابو عمرو وابو بكر بضم التاء على بناء المفعول من
اصليته ادخلته النار وهو ابلغ واوفق بقوله تسقى **حامية** في غاية الحرارة لان النار لا
تكون الا حارة **تسقى من عين آنية** متناهية **ليس لهم طعام الا من ضريع**
جنس من الشوك يرعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحاماه وهو سم قاتل ولا ينافيه
الا من غسلين لاختلاف طبقات الاكل لبعضهم الغسلين ولبعضهم الضريع و
لبعضهم الزقوم او بحسب الاوقات كما كولات الدنيا في كل فصل يوكل ما يلايمه جزا
على ما كانوا فيه من التسلي في اللذات **لا يسمن ولا يغني من جوع** مرفوع المحل
او مجروره على وصف طعام او من ضريع اي مع ما يقاسون منه في التناول لم يترتب
فايدة الاكل لان الغرض منه احد الامرين **وجوه يومئذ ناعمة** ذات بهجة
ورونق كقوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم ولم يعطف الوجوه على الوجوه عطف
احد الضدين على الآخر لان الاتيان بها على وجه الاعتراض استطراد **لسعيها راضية**
لما رات من ثوابها **في جنة عالية** علو المكان او المقدار **لا تسمع فيها** في
المخاطبة او الوجوه **لاغية** كلمة ذات لغو او لغوا او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة
ذكر وحكم **فيها عين جارية** اي عيون كثيرة كقوله علمت نفس وقيل التنكير للتعظيم
فيها سرر مرفوعة سمكا او قدرا **واكواب** اباريق لا عرى لها **موضوعة**
عن حد الكبر اي اوساط معتدلة او موضوعة بين ايديهم لا يحتاجون الى الطلب او
على حافات العيون لانها الذ منظرا كما يتعاطاه اهل الشرب في مجالسهم **ونمارق**
جمع نمرقة بضم النون والراء وكسرهما وهي الوسادة **مصفوفة** بعضها الى بعض
ليجلس حيث اختاره كما يفعله الملوك في قصورهم لئلا يحتاجوا الى النقل **وزرابي**
بسط عراض فاخرة وقيل ما فيه خمل رقيق جمع زربية **مبثوثة** مبسوطة او مفرقة
في المجالس **افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت** عاد الى ما افتتح به السورة من
ذكر القيمة واهوالها ولما كان الكلام مع العرب وجل اموالهم هي الابل ولم يزل
محلتهم مشحونة بتحمل الما والمرعى فكما انتظم خيالهم الابل والمطر النازل من السما
المنبت في الجبال والاراضي الكلا انتظم الذكر على نحو ما انتظمه ذلك الخيال وفي
خلق الابل واعضايها واخلاقها من التحمل على المشاق وسرعة الانقياد مع عظم الجثة
ما يقضي منه العجب حكى بعض الثقات ان قطارا منها انقدت فوجدوها قد اخذ
فارة بحبل خطامها فدخلت به بيتها فتبعتها قال بعض الادبا اردت ان اؤلف كتابا
في شرح خلقها فتصورت ان لو فعلت جاء مجلدا **والى السماء كيف رفعت**
بلا عمد **والى الجبال كيف نصبت** نصبا راسخا لا تميل ولا تتزلزل في تلك
المدد المتطاولة **والى الارض كيف سطحت** حتى صارت مهادا سهل التقلب عليها
فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر مسلط كقوله وما انت عليهم
بجبار روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى ثم قرا انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر
قرا خلف عن حمزة باشمام الصاد زايا ولخلاد وجهان الصاد الخالصة والاشمام وهشام
بالسين وهو الاصل والباقون بالصاد وعليه الرسم **الا من تولى وكفر**
استثنا منقطع اي لكن من اعرض وكفر **فيعذبه الله العذاب الاكبر**
عذاب الحريق في جهنم وقيل متصل فان الجهاد مع الكفار تسلط عليهم وقيل
استثنا من فذكر اي فذكر الا المعرض الكافر وما بينهما اعتراض **ان الينا ايابهم**

رجوعهم **ثم إن علينا حسابهم** لا محالة سبق به الوعد وفيه تسلية له و
تهديد لهم تمت سورة الغاشية والحمد على نعمه الوافرة الوافية والصلوة على من
شفاعته كافية وعلى آله وصحبه صلوة زاكية **سورة الفجر مكية** وهي ثلاثون
آيات **بسم الله الرحمن الرحيم** **والفجر** هو الصبح اقسم به
في قوله والصبح اذا تنفس وعن عكرمة ومحمد بن كعب هو فجر يوم النحر وقيل بتقدير
المضاف اي وصلوة الفجر **وليال عشر** ذي الحجة قال ابن عباس ومجاهد
رضي الله عنهما روى البخاري عن ابن عباس مرفوعا ما من ايام العمل الصالح احب
الى الله فيهن من عشر ذي الحجة قالوا ولا الجهاد يا رسول الله قال ولا الجهاد الا
رجل خرج بماله ونفسه ثم لم يرجع بشيء منهما وانما لم يعرف الليالي العشر لانها
ليال مخصوصة فلو عرفت كانت اللام للعهد فلم يجانس السابقة واللاحقة **والشفع**
والوتر الاشياء كلها او الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين وقد اكثروا
القول في المحتملات ولا طائل تحته وقرا حمزة والكسائي الوتر بكسر الواو وهما
لغتان والفتح اخف ومصدر وترحقه بالكسر لا غير **والليل اذا يسر**
اذا انقضى ومضى كقوله والليل اذ ادبر اثبت ياءه ابن كثير في الحالين
ونافع وابو عمرو في الوصل وحذفها الباقون اكتفاء بالكسر **هل في ذلك قسم**
لذي حجر اي هل في الاشياء المذكورة ما يحق عنده ان يكون مقسما به او هل في
الاقسام بها اقسام له وعلى الوجهين اريد تعظيم المقسم به ويلزم منه توكيد
المقسم عليه والاستفهام للتقرير والحجر العقل لانه يمنع صاحبه عن ارتكاب
ما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لذلك وجواب القسم محذوف اي وليعذبن
دل عليه قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب **الم تر كيف فعل ربك بعاد**
الم تعلم والخطاب عام وكان هذا متواترا عند العرب وعاد هو ابن عوص بن ارم بن سام
بن نوح سميت اولاده عادا كما يقال لبني هاشم هاشم **ارم ذات العماد** ارم
عطف بيان لعاد وذلك ان اولاد ارم سموا عادا الاولى وقيل ارم بلدتهم وعلى
الوجهين منع الصرف للعلمية والتانيث وانما وصفوا بذات العماد لكونهم اهل
خيام يسكنون البادية او لطول قامتهم روي ان الرجل منهم كان اربع مائة
ذراع فشبهت قدودها بالاعمدة والظاهر ان ارم اسم بلدة وذات العماد صفتها
لما تواتر وكثر في الاشعار ذكرها وقصتها ان عادا كان له ابنان شداد وشديد
ملكا الارض وقهرا الملوك ثم مات شديد واشتغل شداد بالملك ملك الدنيا
باسرها بلا منازع فسمع بذكر الجنة وكان عمره اذ ذاك ستمائة سنة فبنى مدينة
عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من اليواقيت والزبرجد
في مدة ثلثمائة سنة وفيها الاشجار والانهار المطردة وكانت بارض عدن
فلما تم بناؤها سار اليها بعسكره ليتمتع بتلك القصور والانهار فلما كان
بينه وبين المدينة مسيرة يوم وليلة صاح بهم ملك صيحة هلكوا عن
اخرهم وحكي ان عبد الله بن قلابة خرج في طلب ابل له فاتفق دخوله فيها فحمل
ما قدر عليه واتى به معاوية واخبر الخبر والله اعلم **التي لم يخلق مثلها**
في البلاد صفة اخرى لارم وهذا ايضا يؤيد انها اسم البلدة اذ لو كان اسم
القبيلة كان المناسب لم يخلق مثلها في العباد **وثمود الذين جابوا الصخر بالواد**
قطعوا الصخور واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل نحتوا
من الجبال الفا وسبعمائة مدينة بالوادي وادي القرى اثبت البزي وقنبل في

في احد وجهيه الياء في الحالين وورش وقنبل في الوجه الاخر في الوصل وحذفها
الاخرون **وفرعون ذي الاوتاد** سمي به لكثرة جنوده اما لان الجنود كالاوتاد
للامير على التشبيه او لكثرة خيامهم او لانه كان يعذب بالاوتاد وهذا اشهر **الذين**
طغوا في البلاد صفة المذكورين من عاد وثمود وفرعون مرفوع او منصوب **فاكثروا**
فيها الفساد تفسير لطغيانهم **فصب عليهم ربك سوط عذاب** الاضافة
بمعنى من اي سوطا منه والمراد تقليل ما اصابهم في جنب عذاب الاخرة ولذلك روي
عن الحسن انه تلاها قال ان عند الله اسواطا كثيرة وقيل ما غلظ منه وذكر السوط
كناية عنه والاول اوفق بسائر الايات واشد تهويلا **ان ربك لبالمرصاد**
مفعال من رصده اذا ترقبه كناية عن عدم الفوت **فاما الانسان** متعلق بقوله
ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله تعالى يرصد العصاة بالعقوبة والانسان لا يهمه
الا العاجلة **اذا ما ابتليه ربه** اختبره بالغنى **فاكرمه ونعمه** بالمال والجاه **فيقول**
ربي اكرمن مفتخرا بذلك مدعيا استحقاقه ولم يتلقه بالشكر **واما**
اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه ضيق عليه وقرا ابن عامر فقدر مشددا والمخفف
اخف واوفق بقوله ومن قدر عليه رزقه **فيقول ربي اهانن** لقصور
نظره الى الحطام ولم يدر ان الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة وان
التعتير قد يؤدي الى كرامة الدارين ولذلك ردهما عن اكثر اصفيائه اثبت نافع
في الاصل والبزي في الحالين يا اكرمني واهانني ولابي عمرو وجهان الحذف والاثبات
وحذفها الباقون اكتفاء بالكسر **كلا** ردع للانسان عن هذا القول ثم اشار الى
انه مرتكب ما هو شر من هذا القول **بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على**
طعام المسكين لا تتفقدون اليتيم بالاحسان ولا تحثون انفسكم ولا غيركم
على طعام المسكين من غاية الشح وقلة الشفقة وقرا الكوفيون بفتح التاء والحاء والالف
بعدها من التفاعل حذف منه احدى التاءين اي لا يحث بعضهم بعضا وهذا ابلغ
لدلالته على انهم لا يفعلون المعروف ولا يامرون به **وتاكلون التراث** الميراث
اصله وراث قلبت الواو تاء كما في تجاه **اكلا لما** ذا لم اي جمع بين
الحلال والحرام لانهم كانوا لا يورثون النساء ويقولون المال لمن يحمي الحريم او
ياكلون ما جمعه المورث من الحلال والحرام لا يميزون بينهما او يسرفون في
انواع المآكل والفواكه كما يفعله الآن الوارث لانه لم يتعب في تحصيله **وتحبون**
المال حبا جما شديدا مع الشره والحرص ومنع الحقوق وقرا ابو عمرو الافعال
الاربعة بالياء غيبة والخطاب ابلغ تقريعا **كلا** ردع لهم وانكار لفعلهم
اذا دكت الارض دكا دكا دكا بعد دك حتى تصير هباء منبثا وعيد لهم
على تلك الافعال التي يتحسرون على تركها حين لا ينفع **وجاء ربك** مثل
حاله في ظهور آثار قدرته وسلطانه وتوجه ارادته الى الانتقام من المجرمين
بحال ملك اعتنى بقهر اعدائه فلم يكتف بالجند والعساكر بل باشر بنفسه **والملك صفا**
صفا اي الملائكة كلهم صفا بعد صف على قدر مراتبهم محدقين بالانس والجن **وجيء**
يومئذ بجهنم روى مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بجهنم لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك
يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما **يتذكر الانسان** ما فرط منه او يتعظ
وانى له الذكرى استبعاد لها من حيث النفع لئلا يتناقض ما تقدمه ومن استدل
به على عدم وجوب قبول التوبة فقد ابعد عن الصواب لان عدم قبولها ليس بناء على عدم

وجوب القبول بل لفوات الوقت بانقطاع التكليف يقول يا ليتني قدمت
لحيوتي هذه وهي حيوة الآخرة او وقت حيوتي في الدنيا كقولك جئت لعشر خلون
من رجب وهذا من تمني المحال وفيه والسابقة دلالة على ان للانسان اختيارا في افعاله فيومئذ
لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الضمير لله اي لا يتولى عذاب الكافر ولا
ولا ايثاق احد غيره تعالى ففيه تهويل نعوذ بالله من غضب الحليم او للانسان اضافة للمصدر
الى المفعول اي لا يعذب الزبانية احدا من خلق الله مثل تعذيب هذا الانسان وقرأ الكسائي
بفتح الذال الخلاف والعذاب بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى الايثاق كالسلام بمعنى التسليم
والعطاء بمعنى الاعطاء والضمير للانسان والمعنى كالوجه الثاني في قراءة الكسر يا ايتها النفس
المطمئنة المؤمنة التي اطمأنت الى ذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب والآمنة
من الخوف والحزن القائلة يا ليتني قدمت لحيوتي تحزنا وتحسرا وهذا اما عند الموت او البعث
او دخول الجنة ارجعي الى ربك راضية بما اوتيت مالا عين رأت مرضية عند الله
فادخلي في عبادي في زمرة عبادي الصالحين وادخلي جنتي دار كرامتي ومقرا
وليائي تمت والحمد لمن نعمه عمت والصلوة على من به الرسل تمت سورة البلد مكية وهي
عشرون ايات بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد
اقسم تعالى بالبلد الحرام الذي هو اشرف الاماكن حرمه يوم خلق السموات والارض
على ان الانسان مخلوق في كبد مستغرق في الشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه
بقوله وانت حل بهذا البلد دلالة على ان من المكابد كون مثلك حلالا اي
مستحل الحرمة في مثل هذه البلدة التي لا يجوز التعرض لنباتها فضلا عن صيدها
وفيه تسكين له واشارة الى ان سوء صنيع المشركين قد بلغ الغاية القصوى فيقع الذم
الآتي لهم في حاق موقعه او وعد بفتح مكة تسلية له بان ما يقاسيه من الاذى والمكابد عاقبة
الظفر وحل البلد الذي لم يحل لاحد قبله ولا لاحد بعده يفعل فيه ما يشاء قتلا ونهبا وفيه
من احلال لقدره ما ترى ونظيره في الاستقبال انك ميت وقولك لمن تعده
انت مكرم ووالد وما ولد وآدم وذريته او ابرهيم ومولد البلد واسما
عيل او محمد وذريته الطاهرة والعدول الى ما للدلالة على الوصفية فيفيد فخامة
كقوله والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان في كبد اي في شدة ومشقة لان
اول احواله ضيق الرحم وآخره الموت وضيق القبر وما بعده من كبد الرجل اذا وجع
كبده ثم اتسع فيه فاطلق على كل مشقة ايحسب ان لن يقدر عليه احد
يظن هذا الصنديد القوي ان لن يقوم القيمة ولا يقدر احد على الانتقام منه ثم
ذكر ما يقول في ذلك اليوم يقول اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشيء
اذا اجتمع يريد ما كان ينفقه رياء وسمعة مما كانوا في الجاهلية ينفقونه مفاخرة والمعنى
على العموم وان نزلت في ابي الاشد بن كلدة فانه كان قويا يبسط الاديم العكاظي تحت
قدميه ويقوم عليه ثم يقول من ازالني فله كذا فينقطع ويبقى ما تحت قدميه وقيل
نزلت في الوليد ايحسب ان لم يره احد حين ينفق ما ينفق رياء وفخرا اي ان الله
كان رقيبا عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن مقاصد
ضميره وشفتين ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وهديناه
النجدين طريقي الخير والشر كقوله انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا والنجد المرتفع
وتفعه نعب اشارة الى غاية الايضاح والبيان وقيل هما الثديان فان العرب يقسم بهما يقولون
وتحديهما فالبطن كالغور وهما نجدان فلا اقتحم العقبة بعد هذه النعم وما ادريك
ما العقبة ابهم على وجه الاعتراض ثم فسر بقوله فك رقبة او اطعام في يوم

ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة العقبة ما صعب
من طرق الجبال كنى به عن صعوبة هذه الاعمال على النفس ولذلك عبر عن الاتيان
بها بالاقتحام الذي هو الدخول في الشيء عنفا من القحمة وهي الشدة والمسغبة والمقربة و
المتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب والقرابة وترب افتقر كانه التصق
بالتراب والمعنى ان الانفاق عند الله هو هذا لا ما افتخر به وذلك المرائي وقدم فك الرقبة
لانه اقرب القربات روى مسلم والبخاري عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من اعتق رقبة مسلمة كانت له فكاكا من النار عضوا بعضو وقرأ نافع وابن
عامر وعاصم وحمزة فك واطعام مصدرين مضافين الى المفعول بالرفع على الخبرية
والباقون بالفعل بدلا من اقتحم ولا مكررة تقديرا اي لا فك ولا اطعم على ان تكرر
ها غير لازم ونحو فلا صدق ولا صلى انما يدل على الوقوع دون اللزوم ثم كان
من الذين آمنوا عطف على اقتحم اي لا اقتحم ولا آمن ولا يلزم كونه خارجا منه بل
لكونه اشرف الاجزاء واساس سائرها خص بالذكر مع ثم دلالة على انافته وتواصوا
بالصبر عن المعاصي وعلى مشاق الطاعات وتواصوا بالمرحمة الشفقة على
خلق الله تعالى اولئك اصحاب الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا
هم اصحاب المشئمة الشؤم او الشمال عليهم نار مؤصدة مطبقة وقرأ ابو عمرو
وحمزة وحفص بالهمز يقال اوصدت الباب واصدته اذا اغلقته والواو افصح
لانفاقهم في الوصيد تمت سورة البلد والحمد لمن وفق وسدد والصلوة على
السيد الاوحد وآله وصحبه الى آخر الابد سورة الشمس مكية وهي خمس
عشرة ايات بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها
اقسم بالشمس وضوئها لان كلا منهما من بدايع صنعه الضحو وقت ارتفاع النهار
والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد قرب نصف النهار والقمر اذا تليها
تلا الشمس في النور والكمال ليلة البدر فانه يظهر سلطانه كوقت الضحى للشمس او
تلا الشمس اخذا من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر واما في النصف الثاني
فلا تلو لانه مفارق او تلا طلوعه طلوعها والنهار اذا جليها اي الشمس على
التقابل كما جعل الليل غاشيا للشمس جعل النهار مجليا لها فانها تظهر غاية الظهور اذا
انبسط النهار وقيل الضمير للظلمة او الليل او الارض والليل اذا يغشيها
يغشى الشمس فيستر ضوءها بظلامه ولما كانت واوات العطف نوائب للواو القسمية
الجارة بنفسها قائمة مقام الفعل سادة مسده بحيث اطرح ذكره راسا بخلاف الباء جاز ان
يكن عوامل عمل الفعل والجار معا كقولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا من غير عطف
على عاملين مختلفين هذا ويرد عليه والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس فانه عطف
على المجرور بالباء والحق ان الظرف ليس متعلقا بفعل القسم لان التقييد بالزمان غير
مراد لا حالا ولا استقبالا بل المعنى وعظمة الليل وقت غشيانه لان الاقسام بالشيء
اعظام له والسماء وما بنيها ما ليست مصدرية لقوله فالهمها بل موصولة وايثارها
على من لارادة الوصف فيفيد فخامة كانه قال والسماء والقادر العظيم الذي بناها و
كذا يقدر ما يناسب في غيرها والقول باضمار العائد اليه تعالى للعلم به يفوت
لتلك الفخامة والارض وما طحيها دحاها وبسطها ونفس وما سويها
هي نفس آدم او التنكير للتكثير اي كل نفس وتسويتها خلقها في احسن تقويم فالهمها
فجورها وتقويها ارشدها الى طريق الخير والشر وتقديم الفجور للدلالة على انه
بقدرته وارادته ايضا ولا ينافي مدخلية قدرة العبد كسبا فان قلت التسوية

خلق الاعضاء وتعديلها اضافة الروح والقوى والهام الفجور والتقوى انما يكون بعد البلوغ وتوجه التكليف والفاء تقتضي التعقيب من غير تراخ قلت التعقيب امر عرفي ولما كان تكامل القوى وقت البلوغ فكان لا تسوية قبله قد افلح من زكيها طهرها من درن الاخلاق الذميمة وانماها بالاعمال السنية جواب القسم حذف منه اللام لطول الفصل وقيل مستطرد لذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف اي ليدمدمن الله على كفار مكة كما دمدم على ثمود وقد خاب من دسيها اخفاها واطفاء نور الفطرة بظلمات المعاصي اصله دسس قلب الثانية ياء كما في املت وتقضى البازي و اسناد التزكية والتدسية الى العبد انما يقتضي القيام به لا الاستقلال ولا الايجاد فلا دليل فيه للقدرية على ان الارجح عود المستتر اليه تعالى والبارز المنصوب الى ما بتاويل النفس لما روى زيد بن ارقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم آت نفسي تقويها وزكها انت خير من زكيها كذبت ثمود بطغويها اسم بمعنى الطغيان ولذلك قلبت ياؤه واوا فرقا بينه وبين الصفة اي كذبت بسبب طغيانها او بعذابها الموعود ذي الطغوى كقوله فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية فالباء صلة اذ انبعث اشقيها اشقى ثمود قدار بن سالف او هو ومن وافقه لان اسم التفضيل اذا اضيف صلح لما فوق الواحد فقال لهم رسول الله ناقة الله نصب على التحذير ولما اضاف الناقة اليه تشريفا ذكر صالحا باسم الرسول واضاف ايضا لانه اولى بالاجلال وسقيها لا تذودوها عنه فكذبوه فيما حذرهم به من نزول العذاب فعقروها فدمدم عليهم ربهم اطبق عليهم العذاب وعمهم به تكرير دمّ الشيء كبسه نحو كبكب في كب وقيل غضب من الدمدمة وهو الكلام المزعج وقيل ارجف الارض بهم بذنبهم بسبب ذنبهم فسويها اي العقوبة بينهم عموما وسوى ثمود بالارض ولا يخاف عقبيها عقبى الدمدمة او التسوية الواو للحال اي فعل ذلك والحال غير خايف من عاقبة فعله كبعض الملوك وقرأ نافع وابن عامر بالفاء والواو ابلغ روى البخاري ومسلم عن عمار بن ياسر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه الا اخبرك باشقى الناس قال بلى قال احمر ثمود عاقر الناقة والذي يضربك على هذا واشار الى قرن راسه حتى تبتل منه هذه يريد لحيته تمت والحمد لمن الآلاء عمت

سورة الليل مكية وهي احدى وعشرون ايات بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى بظلامه كل ما يواريه او النهار او الشمس والنهار اذا تجلى تبين وتكشف بانسلاخ الليل عنه وما خلق الذكر والانثى والقادر الذي خلق الزوجين من كل نوع او ادم وحوا وجوزان يكون ما مصدرية وقرأ ابن مسعود وابو الدرداء رضي الله عنهما والذكر والانثى ان سعيكم لشتى جمع شتيت جواب القسم اي ان مساعيكم مختلفة الاغراض متباينة الجزاء ثم فصل بما على اثره فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى اعطى الطاعة في حقوق الله تعالى واتقى المعصية وصدق بالتوحيد او الجنة فسنيسره لليسرى فسنوفقه للخلة التي تؤدي الى اليسر والراحة واما من بخل بحقوق الله واستغنى بالحطام الفاني وكذب بالحسنى بالنعيم الباقي او التوحيد فسنيسره للعسرى فنخذله ونيسر له على الطريقة التي اختارها او اطلاق التيسير للمشاكلة وما يغني عنه ماله اذا تردى سقط في حفرة القبر او في قعر جهنم او مات من الردى وهو الموت نفي او استفهام انكار

انكار ان علينا للهدى الدلالة والارشاد الى طريق الصواب بشرع الاحكام وبيان الحلال والحرام وعلى الدلالة على اللزوم لانه لازم لعلمه في الازل وان لنا للآخرة والاولى نعطي ما نشاء لمن نشاء او لنا الغنى المطلق لا ينفعنا طاعة ولا يضرنا معصية فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها لا يدخلها الا الاشقى الذي كذب بالحق وتولى واعرض عنه وسيجنبها الاتقى الحصر فيه ادعائي كان غير هذا الاشقى لا يصليها وغير هذا الاتقى لا يجنب لاتفاق الكل على انها نزلت في ابي بكر وامية بن خلف حين اشترى منه بلالا ببردة وعشر اواق وقيل الى جهل وامية والى بكر فالاشقى لم يرد به واحد واما تفسير الصلي باللزوم فلا يدل عليه اللفظ ويلزم منه ان الشقي لا يلزمها وينافيه واما الذين شقوا ففي النار خالدين فيها ولما في واللام للعهد الذي يؤتي ماله في مصارف الخير يتزكى من الزكاء اي يطلب ان يكون عند الله زكيا لا رياء او من الزكوة بدل من يؤتي داخل في حكم الصلة او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى قيل لما اشترى بلالا قالوا ما اشترى بلالا الا ليد له عليه وعن ابن الزبير ان ابا بكر رضي الله عنه كان يشتري الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه لو اشتريت الاقويا الا ابتغاء وجه ربه الاعلى منقطع اي لكن ابتغاء وجه ربه او متصل مفعول له عن محذوف اي لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه ولسوف يرضى بما يقربه عنه وعد جميل وفي ابهامه ما لا يخفى

سورة الضحى مكية وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى اي وقت الضحى وهو حين ارتفاع الشمس وظهور سلطانه وقيل اقسم به لانه وقت غلبة موسى فرعون لقوله وان يحشر الناس ضحى وقيل جميع النهار لقوله تعالى ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا سجى ستر معتد من سجيه او سكن من سجى البحر اي سكن من فيه او سكن ظلامه واستقر قدم الليل تارة باعتبار الاصل فان الليالي غرر الايام والنهار اخرى باعتبار الشرف ما ودعك ربك جواب القسم اي ما تركك ترك المودع وما قلى ما ابغضك من القلى بكسر القاف مقصورا روى البخاري عن جندب البجلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فلم يقم ليلتين او ثلاثا فجاءت امراة فقالت يا محمد اني لارجو ان يكون شيطانك قد تركك فانزل الله تعالى والضحى وللآخرة خير لك من الاولى اي الاوقات المستقبلة خير لك من الايام الماضية فانه يعلو شانك فيها ويظهر دينك على ساير الاديان وترى الناس يدخلون في دين الله افواجا ولسوف يعطيك ربك فترضى في الدارين بحيث لا يبقى لك طلب بعد تلك العطية وانما حذف المفعول الغرض العموم فيشمل مقام الشفاعة وساير المزايا التي تخصه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير لانت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون وجمع مع سوف للدلالة على ان العطا كاين لا محالة وان تاخر لحكمة الم يجدك يتيما فاوى من الوجود بمعنى العلم والاستفهام للتقرير اي قد كنت يتيما اوتيك مات ابوه وهو جنين اتى عليه ستة اشهر فلما ولد كان في حجر امه وحوط عبد المطلب حتى الى ان بلغ عمره ثمان سنين مات عبد المطلب وانه تعطف الله تعالى عليه عمه ابا طالب ووجدك ضالا فهدى قيل اضلته ظئره حليمة عند باب مكة وقيل ضل في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عمه ابي طالب وقيل ضل في طريق الشام اضله ابليس حل راحلته فرده جبرئيل الى الركب او كنت ضالا

عن علم الشرايع والاحكام وما طريقه السمع ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
ووجدك عايلا فاغنى كنت عديم المال فاغناك بمال خديجة رضي الله عنها
او احل لك الغنايم ولم يحلها لاحد قبلك او كنت مبعوثا الى الاحمر والاسود فاغناك
بكنز المعارف وهو القرآن فيخرج امتك من فرايد دره الى آخر الدهر عدد عليه
بعض نعمه السابقة تقريرا لقوله وللآخرة خير لك من الاولى لانه اذا كانت هذه عنايته
معه ولم يكن لابسا خلعة رسالته فكيف به وقد ارسله للناس كافة بشيرا و
نذيرا فاما اليتيم فلا تقهر لا تظلمه في حقه وتعطف عليه واذكر حالك في اليتم
واما السائل فلا تنهر لا تزجر يشمل الفقير والمسترشد في دينه واما بنعمة
ربك فحدث فان اشاعتها شكر لها روى ابو داود عن جابر رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطي عطاء فوجد فليكاف فان لم يجد
فليثن به فمن اثنى فقد شكر ومن كتم فقد كفر ولما من الله عليه بثلث خلال ارشده
وحثه على ثلث في مقابلتها ليكون متخلقا باخلاق الله ويقتدي به في ذلك امته
تمت سورة الضحى والحمد لمن له العطا والصلوة على المجتبى وآله وصحبه الاتقيا
سورة الانشراح مكية وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم
الم نشرح لك صدرك اي شرحناه لان انكار النفي اثبات والمعنى نورنا
صدرك بنور النبوة حتى وسع علم الاولين والآخرين روى البخاري عن
مالك بن صعصعة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر ليلة
اسري به قال فجاء جبريل بطست من ذهب ملئ حكمة وايمانا فشق من
نغرة نحري الى مراق بطني فاخرج قلبي وشقه ثم غسله بماء زمزم فحشاه حكمة
وايمانا او ترفيه الاجمال والتفصيل مبالغة في الايضاح ووضعنا عنك
وزرك ما كان يثقل عليك من عدم العلم بالحكم والاحكام او ما كنت ترى
من ضلال قومك مع عدم الاهتداء الى ما ترشدهم اليه او ما كنت تلقى من
الشدة عند تلقي الوحي خوفا من فوت شيء منه فضمناك حتى سكن روعك الذي
انقض ظهرك من النقيض وهو صوت الرحل من ثقل الحمل مثل حاله به كناية عن
غاية الشدة ورفعنا لك ذكرك في الدارين بانك سيد المرسلين وخاتم
النبيين ونعتك في زبر الاولين واسمك مقرون باسم رب العالمين براءة
من الله ورسوله اطيعوا الله ورسوله ومن يطع الله ورسوله عدد عليه
بعض حالا بل نعمه ثم قال فان مع العسر يسرا كانه قال اذا كنت بهذه الرتبة
عندنا فلا تبال بقول من قصر نظره على حطام الدنيا معيرا لك واصحابك
بضيق ذات اليد فانكم سترون عن قريب يسرا واي يسر ودل على القرب بلفظ مع
الدال على المقارنة والمصاحبة ان مع العسر يسرا استيناف واليسر الثاني
غير الاول على قانون النكرة المعادة وترجيحا للتاسيس على التاكيد بلا خلاف
وحملا لكلام الله تعالى على ابلغ الاحتمالين مع اقتضاء المقام زيادة التسلية
والتنفيس ولما روي مرفوعا انه قال لن يغلب عسر يسرين فان قلت فما يقول
في معنى الحديث من حمل الثاني على التاكيد وجعله مثل قولك ان زيدا قايم
ان زيدا قايم قلت يحمل اليسرين على يسر الدنيا والآخرة فان قلت كان الواجب
تعريفه لانه الاول كالعسر قلت ذلك ليس بواجب بل اكثري عدل عنه للتفخيم
فاذا فرغت فانصب فاذا فرغت من عبادة اتبعها باخرى ليكون شكرك
على وفق النعم واشار بلفظ النصب وهو التعب الى الترقي كما في جانب النعم

النعم بقوله وللآخرة خير لك من الاولى وعن ابن عباس رضي الله عنه اذا فرغت
من الصلوة فاجتهد في الدعاء وذلك لان الصلوة عماد الدين والدعاء مخ العبادة وعن
الحسن اذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وكانه لاحظ قوله رجعنا من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر والى ربك فارغب في مطالبك لا الى غيره لعلمك بتفرده بالنعم
لا يشاركه احد الكل منه وبه واليه فتوكل عليه تمت بحمد الله والصلوة على افضل
خلق الله سورة التين مكية وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم
والتين والزيتون وطور سينين اقسم بجبال الارض المقدسة والاولان سميا
باسم الشجرتين النابتتين بهما والطور هو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى وسينين
وسيناء اسم البقعة التي بها الجبل قال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت
المقدس وقيل اراد الشجرتين لكثرة منافعهما وليس بقوي لان النخل اشرف الاشجار حتى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدحها مثلها مثل المسلم ولعدم الملايمة
بين المعطوف والمعطوف عليه وهذا البلد الامين الحافظ داخله هي مكة شرفها
الله كانه قال والارض المباركة دينا ودنيا والبلد الذي من دخله كان آمنا في الدارين
وفيه نهج الترقي اذ لا مطمح وراء من الدارين لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم تعديل شكلا وصورة لا ترى في الكاينات احسن منه حتى يبلغ منه ستر الملا
حدا يعجز الواصف عن ابرازه نطقا ثم رددناه اسفل سافلين وهو الكافر
في النار ستة مثل احد ويجر شفته على الارض والوجه اسود مظلم وما بين كتفيه ما بين
مكة والمدينة عافانا الله او رددناه في الدنيا بعد ذلك الحسن والجمال اسفل من
سفل تقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد اسوداده وكل سمعه وبصره وتنا
قصت قواه وعقله وانف من كان يحبه الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
استثناء متصل على الاول ظاهر الاتصال منقطع على الثاني اي لكن الذين آمنوا وكانوا
صالحين من الهرم فلهم اجر غير ممنون غير مقطوع بل يجري عليهم ثواب الاعمال
التي كانوا يعملونها وهم اقوياء فما يكذبك بعد بالدين الخطاب للانسان اي
بعد هذه الدلايل المشاهدة اي شيء يجعلك كاذبا بالاعادة فان مكذب الحق
كاذب والباء للسببية او لرسول الله صلى الله عليه وسلم الهابا له او تعريضا
بالمكذبين اي بعد هذا البيان لا يكذب شيء كهؤلاء الذين لا يبالون بآيات الله تعالى
وعلى الاول استفهام توبيخ اليس الله باحكم الحاكمين اي ليس ذلك الموصوف
اقدر من كل قادر فما وجه انكار الاعادة بعد اخباره وآثر الاسم الاعظم دلالة
على ان ذلك من خواص الالوهية تمت سورة التين والحمد لله رب العالمين و
الصلوة على سيد المرسلين وآله وصحبه اجمعين سورة العلق مكية وهي ثمان
عشرة ايات بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك
الجار في محل النصب على الحال اي اقرأ حال كونك مفتتحا قراءتك باسم الله الذي
خلق خلق الانسان اي خلق كل شيء ثم خص الانسان لانه اشرف البرية
والمقصود بالانزال والمراد خلق الانسان او ترفيه الابهام والتفسير وفيه
اشارة الى انه مخلوق للقراءة والدراية من علق جمع باعتبار الافراد اقرأ
تكرير للاول وهو يحرم لانه اول امر ورد بالقراءة ولانكار القراءة بقوله ما
انا بقارئ وقيل الاول لنفسه والثاني للتبليغ او الاول خارج الصلوة والثاني
فيها وربك الاكرم على الاطلاق اذ كرم غيره تكلف منه في جر نفع لغرض الذي
علم بالقلم دليل على اكرميته لان كل عطية دون العلم والمعرفة كنقطة من

المحيط وقل رب زدني علما رمز في ضمن ذلك الى فضل الكتابة لانها آلة التعليم وضا
بطة الحكم وفي المثل العلم صيد والكتابة قيد علم الانسان ما لم يعلم ما لا يمكنه علمه
الا بالتعليم كلا ردع للانسان الذي قابل هذه النعم بالكفر والطغيان ان الانسان
ليطغى ليتجاوز عن حده ان رآه استغنى لان رأى نفسه غنيا
اي علم ولذلك جاز ان يكون الفاعل والمفعول ضميرين لشئ واحد وذلك
من بعض خصايص فعل القلب ان الى ربك الرجعى لخطاب لذلك الانسان
الطاغي التفاتا لكونه ابلغ تحذيرا والرجعى مصدر كالبشرى ارأيت الذي
ينهى عبدا اذا صلى روى الترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه
ان اباجهل قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال والذي يحلف به
لئن رأيته لاطأن عنقه فجاءه وهو يصلي عند المقام فتوجه اليه والمشركون
ينظرون اليه فما رأوه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له ما لك
فقال رأيت بيني وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو دنى مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا ارأيت ان كان
على الهدى او امر بالتقوى ارأيت تكرير للاول والشرط مفعو
ثان حذف منه الجواب لدلالة قوله الم تعلم عليه وحذف المفعول الاول
لظهوره ارأيت ان كذب وتولى مقابل للاول لتقابل الشرطين و
المعنى اخبرني يا من له ادنى تمييز عن حال من ينهى عبدا يصلي ان كان ذلك
الناهي على طريق الرشاد او امر بالتقوى في امره بعبادة الاوثان اخبرني
ان كان مكذبا معرضا الم يعلم بان الله يرى ويشاهده وسوق الكلام على
طريق المنصف والتهكم لان الناهي عن الصلوة ليس على الهدى قطعا
وكذا كونه مكذبا معرضا مجزوم به كلا ردع للناهي لئن لم ينته لنسفعا
بالناصية لناخذن بناصيته ولنجرنه الى النار والسفع القبض على الشئ وجره بعنف
قال عمرو بن معدي كرب قوم اذا يقع الصريخ رأيتهم ما بين ملجم مهره او سافع
ناصية كاذبة خاطئة بدل من الاول وحسن الوصف وكان اوفى بالمقصود
لدلالته على علة السفع واسناد الكذب والخطاء الى الناصية مجاز حكمي و
تخصيصها لانها اشرف الاعضاء فليدع ناديه عن ابن عباس رضي الله
عنه ان اباجهل لما لم ينته بان يقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم توعده
بالكلام فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تهددني يا محمد و
انا اكثر اهل الوادي ناديا اراد عشيرته فسماهم باسم مجلسهم ومجتمعهم
سندع الزبانية عن قريب ليجروه الى النار جمع زابن او زباني او زبنية كعفرية
قال الاخفش العرب لا تكاد تعرف هذا بل يجعله من الجمع الذي لا واحد له مثل
ابابيل واصل الزبن الدفع كلا ردع للناهي ايضا لا تطعه الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اي دم على عصيانه واسجد ودم على الصلوة ولا تبال بالنا
هي واقترب بها فانها المعراج اليه او بالسجود لما روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو
ساجد تمت سورة العلق والحمد لمن خلق والصلوة على من نبع مضمار السعادة
سبق وآله وصحبه ما الليل وسق سورة القدر مدنية وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

انا انزلناه في ليلة القدر
فخم شأن القرآن بان خص انزاله به وبالاضمار العلم الذي لا يذهب الوهم الى

رد على الناهي لا ينقال بتكراره ايضا منه

نقل في الكشاف ان امية بن خلف كان نهى سلمان عن الصلوة وهو خطا لان سلمان لم يراتيه لان امية قتل في بدر وسلمان يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراه من يهودي بالمدينة ولم يرسلمان مكة منه

الى غيره وبزمان نزوله اتفقوا على ان القرآن نزل به جبريل في ليلة القدر
الى بيت العزة في السماء الدنيا مكتبه السفرة ثم نزل منجما في ثلث وعشرين سنة
وسميت ليلة القدر لان الامور المتعلقة بذلك العام واقدارها كتبت من
اللوح فيها وتدفع الى الملائكة وما ادريك ما ليلة القدر لم تبلغ درايتك كنه
فضلها ثم بينه بقوله ليلة القدر خير من الف شهر اي القيام بالعبادة فيها
خير من القيام بالعبادة في الف شهر خالية عنها عن مجاهد ذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم رجلا في بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب
المسلمون فنزلت وروى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له من ذنبه
ما تقدم والاكثر على انها في اوتار العشر الاخير من رمضان ومن علاماتها ان
ليلتها ساكنة لا حر ولا برد ولا يرى فيها كوكب وهي صافية كانها قمراء وتطلع
الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع وروى الترمذي عن حسن بن علي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه راى بني امية على منبره فنزلت وعدوا ايام بني امية
فوجدوها الف شهر واهل الحديث ينكرون تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم
بيان لما فضلت به والروح جبريل وقيل خلق لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة
من كل امر اي تنزل لاجل كل امر وقضاء قدر في تلك السنة وانما تنزل تعظيما
لها وتيسيرا لخيرها وبركتها سلام هي مثل تميمنا اي ما هي الا سلامة اي لا
يقضي فيها الا السلامة والخير وعن مجاهد لا يستطيع الشيطان في تلك الليلة
على عمل السوء وقيل سميت سلاما لكثرة سلام الملائكة على المؤمنين والمؤمنات
حتى مطلع الفجر غاية للسلامة والسلام والمطلع مصدر او زمان وقرأ الكسائي
بكسر اللام والفتح اخف وهو القياس تمت سورة القدر ولله الحمد سورة البينة
مدنية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة حكاية مقال اهل الكتاب
والمشركين كانوا قبل البعث يقولون لا تنفك عما نحن فيه حتى يأتينا النبي الموعود
رسول من الله بدل من البينة يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة الصحف صحايف
المصاحف والكتب القيمة القضايا والاحكام القويمة المسطورة فيها وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة توبيخ لهم والزام بان ما كانوا يعدونه سبب
الوفاق والوئام جعلوه سبب الافتراق والاختلاف ونظيره قوله وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانما افرد اهل الكتاب بعد جمعهم مع
المشركين اولا لانهم اذا تفرقوا مع علمهم فالمشركون اولى بذلك وما امروا الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين استدل به على وجوب النية في العبادات حنفاء
مائلين عن الباطل والعقايد الزايغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك
دين القيمة دين الملة القويمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
في نار جهنم خالدين فيها يوم القيمة او بعد موتهم لان قبورهم حفر النيران والاشتراك
في مطلق الدخول لا في مقدار العذاب والدركات اولئك هم شر البرية
الخليقة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم
جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا طنب في اوصاف الجنة وقيد الجزاء
بانه عنده واكد الخلود بالتابيد اشارة الى سبق رحمته رضي الله عنهم فوق
ذلك الجزاء ورضوان من الله اكبر ورضوا عنه بما منحهم مما لا مزيد عليه

ذلك لمن خشي ربه ذلك المذكور لكل من خشي ربه و قرا نافع وابن ذكوان
البرية بالهمز وهو الاصل من برا خلق قال يونس خالف اهل مكة العرب فهمزوا البرية و
النبيء وكذا عن سيبويه تمت والحمد على نعم عمت سورة الزلزال مدنية وهي ثمان
ايات بسم الله الرحمن الرحيم
اذا زلزلت الارض زلزالها الزلزلة تحريك بعنف ومنه الزلازل للشدايد
واضافته الى الارض للمبالغة اي ما يمكن لها من الزلزال والمراد النفخة الثانية
لقوله واخرجت الارض اثقالها ما في بطنها من الاموات والكنوز روى
مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه تقيء الارض افلاذ كبدها كالاسطوان من
الذهب والفضة فيقول القاتل في هذا قتلت ويقول القاطع في هذا قطعت
ويقول السارق في هذا قطعت ثم يدعونه فلا ياخذون منه شيئا وقال
الانسان ما لها حتى اخرجت هذه الاثقال يقولون تعجبا وقيل القايل الكافر لانه
كان لا يؤمن بالبعث واما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث او انتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث تحدث
اخبارها اي تحدث كل عبد وامة بما عمل على ظهرها رواه الترمذي والنسائي واحمد
وقيل بلسان الحال وهي الاحوال التي احدثها الله تعالى فيها من الزلزلة ولفظ الاموات
والدفاين بان ربك اوحى لها الباء للسببية اي بسبب ايحاء ربك اليها بالتحدث
ويجوز ان يكون بان ربك اوحى لها بدلا من اخبارها يقال اوحى له واليه كذا
وبكذا يومئذ يصدر الناس اشتاتا متفرقين كل شيعة مع امامها كما كانوا في الدنيا
يوم ندعو كل اناس بامامهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي يوما
بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما آخذا بيد كل منهما فقال وهكذا نبعث ان شاء الله
تعالى ليروا اعمالهم ويخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا فمن يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره اي يرى جزاءه تفصيل لقوله اشتاتا
وحسنات الكافر لها مدخل في التخفيف كما ان زيادة سيئاته توجب ضعف
العذاب ولا ينافي حبط عمله لان ذاك معنى آخر تمت السورة والحمد لله على
الايه الموفوة
سورة العاديات مكية وهي احدى عشرة ايات
بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة
العاديات في الكر والفر والضبح صوت انفاسها حين العدو وعن ابي
عبيدة هو السير نصب على المصدر اما من فعله المحذوف او بالعاديات لانه
يلازم العدو او الحال عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انها الابل اذ لم يكن
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سوى فرسين فرس لمقداد وفرس
لابي قتادة ولا اظن صحته لان الخيل آلة الجهاد لقوله من ربط فرسا في
سبيل الله اجرا بوالها وارواثها رواه البخاري وناهيك قول من رباط الخيل
وعدم وجدان الخيل في غزوة بدر لا تمنع الاقسام بها وادل من ذلك قوله
فالموريات قدحا فالمخرجات نارا من الحجارة بصك حوافرها قادحات
فالمغيرات صبحا وقت الصباح كان رسول الله ينزل بقرب العدو حتى يصبح
فان سمع الاذان كف والا اغار وقال انا اذا نزلنا ساحة قوم فساء صباح المنذرين
فاثرن به نقعا بذلك الوقت او المكان غبارا كما ترى في مواقع الحروب
كان مثار النقع فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه وقيل اصوات الذين
اغير عليهم فوسطن به جمعا من جموع الاعداء او اقسم بالنفوس العادية

العادية في طلب الكمال المتاوية على الفرطات الموريه باقدام الافكار من صخور المسالك
انوار المعارف المغيرات على جيش الهوى بالاستغفار في الاسحار فاثرن به غبار الشوق
فوسطن به جمعا من جموع الملأ الاعلى ان الانسان لربه لكنود لكفور جحود
وعن الحسن هو الذي يذكر المصايب وينسى النعم وعن ابي امامة سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عنه قال من ياكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفده وانه
على ذلك لشهيد يدل على كونه كنودا حاله وعن الثوري الضمير لله وانه
لحب الخير لشديد شديد الحب للمال الكثير لو كان له واديان من ذهب
لابتغى ثالثا ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور
من الموتى اي بعث وفي زيادة الرا مبالغة كبحث مع بحثر وحصل ما في الصدور
ابرز ما فيها من السراير والضماير ان ربهم بهم يومئذ لخبير باعمالهم والاخلاص
فيها والترما او لا ثم قال بهم لانهم حال البعث تراب ورفات تمت ولله الحمد
والصلوة على رسوله وآله وصحبه سورة القارعة مكية وهي احدى عشرة ايات
بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة
وما ادراك ما القارعة القرع الضرب بشدة والقارعة من اسماء الساعة لانها تقرع
الناس بالاهوال والافزاع او تقرع اعداء الله بالعذاب او لاصطكاك الاجرام العلوية
والسفلية فيها وقد بالغ في التهويل بابهام امرها مرتين ولفظ القارعة ابلغ من
الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث يوم نصب بما دل عليه القا
رعة شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار ومثله قوله كانهم جراد منتشر و
هذا ابلغ لما في المثل اضعف من فراش واذل واجهل وتكون الجبال كالعهن
المنفوش الصوف الملون المندوف لان الجبال بيض وحمر وغرابيب سود
فاما من ثقلت موازينه ترجحت مقادير حسناته روى البخاري بسنده ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينشر للمؤمن صحايف سيئاته تسعة وتسعون صحيفة
كل منها مد بصره ثم يخرج له بطاقة فيها كلمة لا اله الا الله ويقال احضر وزنك فيقول
ما ذا عسى يفعل هذه البطاقة مع تلك الصحايف فيوضع البطاقة في كفة والصحايف
في اخرى فيطيش صحايف السيئات ولا يوازن اسم الله تعالى شيء فهو في عيشة
راضية مرضية بالاسناد المجازي او ذات رضى واما من خفت موازينه
وهو الكافر الذي ليست معه كلمة الاخلاص او بعض المؤمنين للقطع بدخول بعضهم النار
ثم خروجه فامه هاوية من اسماء النار لانها تهوي بالداخل فيها سبعين
خريفا وسميت اما على التشبيه لان الام مأوى الولد وعن قتادة ام راسه هاوية
لانه يسقط فيها منكوسا ويرده قوله وما ادراك ما هيه نار حامية لانه
شرح للهاوية فان قلت معناه حامية واي حامية كان ساير النيران بالنسبة اليها
ليست حامية روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وروى
الترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى
ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي الآن سوداء مظلمة عافانا
الله منها تمت والحمد لله على الدوام وعلى رسوله افضل الصلوة والسلام
سورة التكاثر مكية وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم
الهاكم التكاثر شغلكم التباري والتباهي بالكثرة عن طاعة الله لهي

البطاقة قطعة صغيرة من الورق
منه

عن الشیٔ غفل عنه **حتی زرتم المقابر** ای الی حین الموت لم ترجعوا عنه وقیل
تفاخر بنو عبد مناف وبنو سهم بکثرة القبیلة فزلت عن قتادة نزلت فی طایفتین من
الانصار تکاثروا حتی عدّوا الاموات **کلا** ردع لهم عن مثله **سوف تعلمون**
خطاکم فی ذلک مالابن آدم وللفخر واوله نطفة مذرة وآخره جیفة قذرة بین
الحجر والتراب **ثم کلا سوف تعلمون** کرّره تاکیدا او الاول عند
الموت او فی القبر والثانی عند النشور وفی ثم دلالة علی ان الثانی ابلغ **کلا
لو تعلمون علم الیقین** تکریر للتنبیه والجواب محذوف ای لو علمتم ما قدامکم
من العقبة الکوؤد کما تستیقنون من سایر الامور لجهدتم غایة الجهد وفی الحدیث
لو علمتم ما اعلم لضحکتم قلیلا ولبکیتم کثیرا **لترون الجحیم** جواب قسم محذوف
ولا یصلح ان یکون جواب لو لکونه محقق الوقوع قرأ ابن عامر والکسائی
لترون الجحیم بضم التاء **ثم لترونها عین الیقین** مشاهدة ولا
علم فوقها **ثم لتسألن یومئذ عن النعیم** الذی کنتم فیه هل شکرتم ام
لا روی البخاری ان رسول الله صلی الله علیه وسلم وابا بکر وعمر رضی الله
عنهما دخلوا احد یقة ابی الهیثم ایام الرطب فذبح شاة واطعمهم من الرطب
والبسر وسقی ماء باردا فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم هذا من النعیم
الذی تسألون عنه یوم القیمة وقیل الخطاب خاص من الهاه النعم و
التکاثر بالاسباب عما یعنیه من الشکر لمولیها تمت والحمد لمن الاوصلت
سورة العصر مکیة وهی ثلاث ایات بسم الله الرحمن الرحیم
والعصر وصلوة العصر فانها افضل الصلوات لانها الصلوة الوسطی
او باللیل والنهار وهو الدهر عظمه لانهم کانوا یسبون الدهر او بوقت العصر
لانه وقت شریف کما اقسم بالضحی او بالعصر الذی انت فیه فانه اشرف
الاعصار بوجودک **ان الانسان لفی خسر** لان رأس ماله عمره وهو شیٔ
لا اعز منه نشتری به النعیم المقیم فاذا ضیعه لا یکون اخسر منه **الا الذین امنوا
وعملوا الصالحات** فانهم ربحوا ما لا عین رأت ولا خطر علی قلب
فی جوار رب العالمین **وتواصوا بالحق** وصی بعضهم بعضا بالدین الثابت ارشادا
لتکمیلا کما کمل فی نفسه **وتواصوا بالصبر** علی اقامة الحق لکثرة المبطلین ت
اعداء الدین او بالصبر عن اتباع الشهوات **سورة الهمزة مکیة وهی تسع ایات
بسم الله الرحمن الرحیم ویل لکل همزة لمزة**
الهمز الکسر واللمز الاشارة بالعین قال ومنهم من یلمزک فی الصدقات والمراد
الطعن فی الاعراض قولا وفعلا صریحا واشارة والبناء یفید الاعتیاد والاستمرار کا
لضحکة واللعنة نزلت فی امیة او فی الولید کان هزأشانهم مع رسول الله وفقراء
الصحابة والحکم عام ولذلک صرح بلفظ الکل **الذی جمع مالا** ای کثیرا او مما
یعذب به یوم القیمة بدل کل او رفع او نصب علی الذم وقرأ ابن عامر وحمزة
والکسائی بالتشدید وهو ابلغ ذمّا **وعدده** احصاه وضبط کما هو شان البخلاء
لیلا ونهارا تربهم فی الحساب او جعله عدة وذخیرة یقال اعددته وعددته
بمعنی روی ان الاخنس قال لو سرما تقول فی الوف لم افدیها من لیم ولا انفقت
علی کریم ولکن لماذا قال بجفوة السلطان ونوایب الزمان قال اذا تدع لمن
لا یحمدک وترد علی من لا یعذرک **یحسب ان ماله اخلده** بجهله وغروره و
اشتغاله عما امامه من قوارع الآخرة او یفعل افعال من یظن انه مخلد من

تشدید الارکان وتشیید البنیان وفیه تعریض بالعمل الصالح بانه المخلد **کلا**
ردع له عن حسبانه **لینبذن فی الحطمة** من اسماء النار لانها تحطم ای تکسر ما یلقی
فیها قابل الکسر الاعراض بکسر الاعضا واستحقاره بالنبأ الدال علی غایة الحقارة **وما
ادریک ما الحطمة** لم تحط بها علما **نار الله الموقدة** التی اوقدها للانتقام
والاضافة فیه کما فی ناقة الله **التی تطلع علی الافئدة** تستولی علیها بالاحراق
بعد احراق الاعضاء والفؤاد الطف الاجزاء یتأذی بادنی شیٔ فکیف بنار جهنم
او تطلع علی الافئدة ای تنظر فیها وتطالعها لانها معادن الذنوب ومصادرها
لیکون العذاب علی قدر ما تولد منها **انها علیهم موصدة** مطبقة والخلاف
القراءة کما فی سورة البلد **فی عمد ممددة** حال من ضمیر موصدة والمعنی یغلق
علیهم ابواب النار وتوثق بالاعمدة توکیدا لیأسهم من الخروج او من المجرور
فی علیهم ای یغلق علیهم الابواب حال کونهم مسلسلین فی العمد کاللصوص فی المقاطر
لانهم سراق الاعراض وقرأ حمزة والکسائی وابو بکر عمد بضمتین والباقون
بالفتح وکلاهما جمع عمود تمت ولله الحمد والصلوة علی رسوله محمد **سورة الفیل
مکیة وهی خمس ایات بسم الله الرحمن الرحیم**
الم تر کیف فعل ربک باصحاب الفیل هم ابرهة الاشرم والی یمن من قبل النجاشی
ملک الحبشة ولیس بالصحمة الذی صلی علیه رسول الله صلی الله علیه وسلم
وقصته انه قتل اریاطا من امراء النجاشی فغضب علیه فتدارک ابرهة ذلک
بان بنی له کنیسة بصنعاء الیمن لم یر مثلها واراد ان یصرف حج العرب الیها وارسل
یخبر بذلک النجاشی فاعجبه ذلک ورضی عنه فشق ذلک علی العرب فاحتال رجل
من کنانة فدخلها لیلا واحدث فیها فاخبروا بذلک ابرهة فاشتد غضبه
وعزم علی تخریب الکعبة الشریفة زادها الله شرفها واصطحب فیلة لیهدم البیت بها
فلما توجه عارضه ذو نفر مع جیش من قومه من بنی قحطان فلم یقدر علیه فاسره
ولما بلغ ارض خثعم قاتله نفیل بن حبیب الخثعمی فاسره ایضا ولم یقتله لیدله علی
الطریق ولما بلغ المغمس وهو موضع بقرب مکة فارسل حناطة الحمیری لیخبرهم بان
الملک لم یأت لحربهم وانما قصده تخریب البیت ویأتیه باشرف البلد فجاء عبد المطلب
فخرج معه الی ابرهة فلما رآه اکرمه وکان عبد المطلب وسیما حسن المنظر فقام له ابرهة
واجلسه علی سریره وسأله عن حاجته فقال ان جیشک قد اغار علی سرح مکة واخذوا الی
ابلا وکانوا اخذوا له مائتی بعیر فقال لترجمانه قل له انی جیٔت فی تخریب بیت هو
شرفک وشرف آبائک فلم تذکره وتطلب الابل فقال عبد المطلب انا رجل مضیاف
ولا اقدر علی قیام الضیافة الا بالابل والبیت له صاحب انت وذاک فرد ابله وذهب
فلما اصبحوا هیأوا الفیلة وکان اکبرها اسمه محمود فقدموه فبرک فضربوه ضربا شدیدا
لم یتحرک فوجهوه نحو الیمن فهرول ثم نحو الشام فهرول ثم نحو مکة فبرک هناک وعبد المطلب
آخذ بحلقة الکعبة وهو یقول لاهم ان المرء یمنع رحله فامنع رحالک لا یغلبن صلیبهم
ومحالهم عدوا محالک ان ترکتهم وکعبتنا فامر ما بدا لک جروا جموع بلادهم و
الفیل کی یسبوا عیالک عمدوا حماک بکیدهم جهلا وما رقبوا جلالک فلم یتم کلامه
الا والطیر اقبلت **الم یجعل کیدهم فی تضلیل** فی تضییع **وارسل علیهم طیرا
ابابیل** جماعات متفرقة کسرا وابل لا واحد له وقیل جمع ابالة وهی الجماعة وقیل
ابول کعجول وقیل ابیل کسدیل کانت فی جثة الخطاطیف **ترمیهم بحجارة من سجیل**
معرب من سنک وکل وقیل من السجل وهو الدلو الکبیر وقیل من الاسجال وهو الارسال

[illegible]

[illegible]

وقيل من السجل فانه كان مكتوبا على كل حجارة اسم من قتل بها فجعلهم كعصف
مأكول كورق زرع اكله الدود او كروث الدواب وانما عدل الى المنزل على نمط اداب
القرآن قيل كان كل طير يحمل احجارا ثلثة يرى بكل واحدة انسانا لا يرده شيء من الحديد
نفرا بوكيسوم وزيره حتى بلغ النجاشي فاخبره فلما اتم حديثه كان فوق راسه طير فرماه
بحجر فقتله واما ابرهة فتساقطت اعضاؤه وتصدع صدره وقلبه وجمع عبد المطلب
واهل الحرم اموالهم وما نقل عن عايشة رضي الله عنها انها قالت رأيت قايدا
لفيل وسايسه مقعدين ظاهر القرآن يخالفه واتفق الثقات ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولد في ذلك العام بعد وقعة الفيل وذلك بيمن مقدمه لله دره من
صارم قبل ما سل يقطع تمت ولله الحمد والمنة والصلوة على كاشف الغمة سورة
قريش مكية وهي اربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم
لايلاف قريش يتعلق باخر الاولى كانه قيل انما جعلهم كعصف مأكول لايلاف
قريش او باعجبوا او بقوله فليعبدوا والفاء جواب شرط اي ان لم يعبدوا الله لنعم الدارين
فليعبدوه لايلافهم ايلافهم رحلة الشتاء الى اليمن والصيف الى الشام نصب
على مفعولية الايلاف يقال الف الشيء والفه بمعنى وقرأ ابن عامر الاول بحذف اليا
جمعا بين اللغتين او هو ايضا مصدر الف روي ان قريشا وهم اولاد النضر بن كنانة
والقرش دابة عظيمة في البحر تلعب بالسفن ولا يدفعها غير النار والتصغير للتعظيم كانوا
سكان الحرم وكان اذا اصابهم مجاعة خرجوا الى البر وضربوا الاخبية متفرقين بهامات
طايفة جوعا فقام هاشم يوما خطيبا وحثهم على الرحلتين فاثروا بعد ذلك وحسن حالهم
ولما اهلك الله اصحاب الفيل آمنوا من تعرض الناس فمن الله عليهم بذلك ولم يمكن
لهم حرما آمنا فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف
تمت والحمد لمن الآء عمت والصلوة على المختار من هاشم سورة الماعون مكية
وهي سبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم ارأيت الذي يكذب بالدين
اي بالجزاء لاعتقاده عدم البعث الاستفهام للتعجب وقرأ الكسائي بحذف الهمزة
الحاقا له بالمضارع ولما كان في التعجب تشويق الى تعرف حال المكذب رتب عليه
قوله فذلك الذي يدع اليتيم اي يدفعه عنيفا هو ابو جهل كان وصيا على
يتيم فجاءه عريانا سأله عن مال نفسه فدفعه وقيل الوليد وقيل ابو سفيان
سأله يتيم وكان نحر جزورا فقرعه بالعصا واسم الاشارة للتحقير وفي الصلة
اشارة الى ان المكذب بالجزاء لا ينفك عن هذه الرذايل ولا يحض على
طعام المسكين غيره فهو بخيل بكلا الواجبين لا يفعل الخير ولا يأمر به فويل
للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون تاركون لها غير مبالين الذين هم
يراؤن باعمالهم ويمنعون الماعون الزكوة فاعول من العون لكونه
معوانا للفقراء والمحاويج وفي الكلام ترق ولذلك زاد لفظ الويل اي
اذا كان دع اليتيم وترك الحض على الاطعام من سمات التكذيب ومعرفاته
فالويل لمن ترك عماد الدين فلا مبالاة والزكوة الذي هو قنطرة الاسلام
وتلبس بالرياء الذي هو الشرك الخفي فاشار الى العقيدة بالتكذيب والى الافعال
بهذه الخصال ولذا كان دليلا على كونه مخاطبا بالفروع فعلى المؤمن بالدين
البعد عنها بمراحل فان قلت عن ابن مسعود ان الماعون محقرات المتاع كالفاس
والنار والملح فما وجه ذلك قلت المراد تجريد المكذب عن الخير رأسا والوصف
بكمال الخسة وعدم المروة تمت والحمد لله على نعم عمت والصلوة على محمد وآله وصحبه

وصحبه سورة الكوثر مكية وهي ثلاث ايات بسم الله الرحمن الرحيم
انا اعطيناك الكوثر فوعل من الكثرة وهو الافراط في الخير من العلم والعمل
وشرف الدارين روى البخاري ومسلم عن انس ان رسول الله قال ليلة اسري بي
اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر وفي رواية
ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ وماؤه احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج
آنيته اكثر من نجوم السماء من شرب منه شربة لا يظمأ بعده ابدا اول من يرد على فقراء المهاجرين
فصل لربك اي اذا خصك الله بذلك فخصه بالصلوة والسجود وانحر له القرابين
والبدن مراغما للمشركين الذين يسجدون للاوثان وينحرون لها وقيل ضع يدك على النحر
في الصلوة وفيه بعد ويؤيد الاول قوله ان صلوتي ونسكي ان شانئك
عايبك ومبغضك هو الابتر الذي لا عقب له مات له ابن عابه بذلك العاص
بن وايل قال محمد ابتر اذا مات انقطع ذكره وقيل القايل ابو لهب وقيل كعب بن
الاشرف والمعنى ان الابتر من انقطع ذكره بموته والنسل يكون سببا للذكر
وانت مرفوع الذكر على المنابر الى آخر الدهر بيد ما اخفى لك من الشرف والمقام
المحمود وشانيك عليه اللعن من كل مؤمن وماويه جهنم مقرونا مع الشيطان
فلينظر من الابتر تمت سورة الكوثر ولله الحمد على الحظ الاوفر والصلوة على
خير البشر سورة الكافرون مكية وهي ست ايات بسم الله الرحمن الرحيم
قل يا ايها الكافرون الخطاب لرهط من قريش وهم الذين بالغوا على
الكفر دعوه الى عبادة الهتهم سنة ويعبد الهه لا اعبد ما تعبدون في المستقبل
لان لا للنفي كما ان ما لنفي الحال ولا انتم عابدون ما اعبد ايضا ولا انا عابد
ما عبدتم في الماضي اذ لم اكن مرسلا فكيف وانا رسول من رب العالمين ولا
انتم عابدون ما اعبد اي ما عبدت وانا مستمر على عبادته ولذلك لم
يقابل الماضي بمثله وقيل انما عدل عنه لانه لم يكن موسوما بعبادة قبل البعثة ولا عبادة
على نمط التكليف واما طوافه وتحنثه كان على مجرى العادة دون التعبد وهذا كلام
باطل بل كان متعبدا قطعا اما بشرع من قبله او اجتهادا كيف وقد صح في
البخاري تعبده بحرا وكان قريش في موسم الحج يقفون بمزدلفة وهو بعرفات فاين انقطاع
العبادة لكم دينكم ولي دين كل منا لا يتجاوز دينه الى ان يموت وليس
فيه نسخ كما ظن ولا منع عن القتال معهم بعد الاذن والله اعلم تمت سورة
الكافرون والحمد لله رب العالمين والصلوة على سيد المرسلين سورة النصر مدنية
وهي ثلاث ايات بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله
والفتح فتح مكة نزلت في حجة الوداع ففهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام
دينه الامر فركب ناقة القصواء في المسجد الحرام وخطب الناس الخطبة المشهورة وودع فيها
وقال ليبلغ الشاهد الغايب فلذلك سميت حجة الوداع وكان بين حجته واجابته داعي
الحق ثلثة اشهر ونيف فان قلت فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة وحجة الوداع سنة
عشر فكيف يصح نزولها في حجة الوداع واذا يدل على الاستقبال قلت قد روي
انها نزلت قبل سنتين وعلى تلك الرواية يحمل اذا ولما كان فتح مكة ام الفتوح
جعله مترقبا باعتبار ما ردفه من الفتوح وان كان متحققا في نفسه يدل عليه
قوله ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا جماعات كثيرة فوجا بعد فوج
كانت العرب والاعراب ينتظرون فتح مكة ويظنون ان من قصد مكة يصيبه
مثل ما اصاب اصحاب الفيل فلما فتحها قهرا وتمكن من رقابهم ثم اعتقهم وسموا

رد على النافع وصاحب التقريب
والكشاف منه

مُسلمة الفتح طلقاء لذلك فبادروا الى الاسلام قبيلة قبيلة **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ** تنزيها
عن خلف الوعد الذى سبق معك بالنصر وفتح مكة بقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله **وَ**
اسْتَغْفِرْهُ لما عسى فرط منك من خلاف الاولى الذى لا يليق بجلالة قدرك او لامتك
لما روت عايشه رضى الله عنها انه عليه السلام كان عندى فى ليلة فلما ظن انى نايمة قام
الى الباب ففتح خفية وذهب فتلففت بخمارى وذهبت وراءه فجاء الى البقيع فوقف ودعا
زمانا طويلا ثم انصرف فاسرعت واسرع ورائى حتى دخلت البيت فدخل فوجدنى الهث فقال
ما لك قلت لا شئ قال لتخبرنى او ليخبرنى العليم الخبير قلت خرجت فظننت انك ذهبت
الى بعض ازواجك فقال لى انت ذاك السواد الذى رأيته قلت بلى قال جاءنى جبرئيل و
نادانى من وراء الباب ولم يدخل لانك وضعت الخمار وقال لى تعالى استغفر لاهل
البقيع فذهبت ثم قال وارأساه فكان ذلك ابتدا مرضه صلوات الله عليه **اِنَّهُ كَانَ**
تَوَّابًا لمن استغفر تمت سورة النصر ونسأل الله النصر على الاعادى بحق افضل العباد
سورة لهب مكية وهى خمس ايات **بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ**
تَبَّتْ يَدَا اَبِى لَهَبٍ التباب الهلاك والمراد جملته لان اليدين للانسان كالجناح
للطاير فمن عدمت يداه فهو والهالك سواء وقيل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحجر بيديه روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صعد الجبل ثم نادى واصباحاه فاجتمعت اليه قريش فقال ارايتكم ان حدثتكم ان
العدو مصبحكم هل انتم مصدقىّ قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال فانى نذير لكم بين يدى
عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك الهذا جمعتنا فنزلت واسمه عبد العزى وانما سمى ابا لهب
لاشراق وجهه وكان احول العين وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا ابن كثير
ابى لهْب بسكون الها **وَتَبَّ** اى كان ذلك وحصل فالاول دعا والثانى اخبار كما فى
قوله جزا الكلاب العاديات وقد فعل **مَا اَغْنٰى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ** استيناف رد
لما كان يقول انا افتدى بمالى ان صدق محمد والمراد من ما كسب الربح او ما حصله من مال
ورثه او ما عمله من اعمال البر او اولاده وفى الحديث ولد العبد من كسبه **سَيَصْلٰى نَارًا**
ذَاتَ لَهَبٍ تصوير للهلاك ولتهابها ام جميل بما يظهر معه عدم اغنا المال والولد و
جمع بين طريقى التاكيد بقوله وتب اولا ماضيا للتحقيق والسين ثانيا لتاكيد الوعد
وَامْرَاَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ اسمها اروى وكنيها ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابى
سفيان كانت مع زوجها فى الكفر شنا وطبقة عدل عن كنيتها لاتصافها بالضد عن ابن
عباس رضى الله عنه كانت تحمل الشوك على ظهرها فتضعه فى طريق رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اخرج للصلوة وقيل مجاز عن المشى بالنميمة وحمل الخطايا وقرا عاصم
حمالةَ بالنصب على الذم والشتم وقد طبق فيه المفصل **فِى جِيْدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**
المسد الليف او شجر باليمن وعن ابى عبيد حبل مفتل من اخلاط حقر شانها بان صورها
بصورة بعض الحطابات اللاتى لا يجد حموله فتجعل الحبل فى العنق الذى هو اشرف
الاعضاء وهى من الثروة وشرف النسب بمكان او هذا حالها فى جهنم صورها الله
لاهل النار بما كانت متصفة به فى الدنيا جعل الغل فى عنقها وعلى ظهرها حزمة من
حطب الزقوم والضريع وكذا كل مجرم يعذب بما يماثل عمله تمت سورة تبت والحمد
على نعم عمت والصلوة على سيد الرسل وموضح السبل **سورة الاخلاص مكية**
وهى اربع ايات **بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ**
قُلْ هُوَ اللّٰهُ اَحَدٌ روى الترمذى والامام احمد ان المشركين سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يصف لهم الاله الذى يدعو الى عبادته فنزلت فضمير

فضمير هو لما سالوه مبتدا والجملة خبر ولا حاجة الى العايد لان الجملة اذا كان احد
جزئيها عين المبتدا كقوله ولباس التقوى ذلك خير لا يحتاج الى رابط وكذا ان جعل
ضمير الشان الله احد نفسه وعلى الاول يجوز ان يكون الله بدلا ولذلك قرئ الله احد بدون
هو واما جعل احد بدلا فلا لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا اذا كان فيه زيادة فايدة
والاسم الاعظم لا يستدم نعاته احد لان شرط البدل ان يكون اوفى بما يسوق الكلام والاحدية
توحد الذات بانتفاء انحاء جهات التركيب عقلا وخارجا والموصوف بها هو الواحد
الحقيقى والواحدية عدم المماثلة فى الصفات وكل منهما يجوز انفكاكه عن الاخر وفى
ذاته تعالى لا زمان ولذلك وصف بالواحد الاحد وقدم وصف الواحدية لانه محل الا
شتباه فى الجملة واما كونه احدى الذات جلى لا يخفى **اَللّٰهُ الصَّمَدُ** الصمد فعل بمعنى المصمود
وهو السيد الذى يقصد فى الحوايج من الصمد وهو المكان المرتفع اخلاه عن العاطف
لانه نتيجة الاولى اذ من كان احدى الذات واحدى الصفات لا يكون الا غنيا مطلقا
او دليلها لان من كان مقصود الكل فى الاحتياج ولا يحتاج الى شئ فهو المتوحد ذاتا
ووصفا **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ** لاقتضائهما التجانس والتماثل وقد دل التوحد على انتفائه
انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولانه ولدا وولد لم يكن غنيا مطلقا **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ**
كُفُوًا اَحَدٌ كفو الشئ ما يماثله ذاتا او وصفا فالتوحد المطلق الغنى عن كل شئ
لا يماثل احد فى شئ والاشتراك فى الشيئية ليس الا فى الاسم ولذا يقيد بكونه شيئا لا
كالاشيا وقرا حمزة كفؤا باسكان الفاء وبالواو وقفا وكذا حفص وقفا ووصلا
بالابدال لاستثقال الهمز بعد الضمتين روى البخارى عن ابى سعيد رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القرآن فى ليلة فشق ذلك عليهم فقال قل هو
الله احد ثلث القرآن وذلك لاشتماله على التوحيد ومباحث المبدا والمعاد ومقاصد
القرآن ثلث عقايد واحكام وقصص وروى مالك واحمد والترمذى والنسائى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال وجبت قيل
يا رسول الله ما وجبت قال وجبت له الجنة وروى الامام احمد عن تميم الدارى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله واحدا احدا صمدا لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا احد عشر مرات كتب له اربعون الف الف حسنة وعن
بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فسمع رجلا يقول اللهم
انى اشهد ان لا اله الا انت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
فقال والذى نفسى بيده لقد ساله باسمه الاعظم الذى اذا سئل به اعطى
واذا دعى به اجاب تمت وفضايلها لا تتم والحمد للواحد الاحد والصلوة على الاوحدى
فى جميع الرسل واله وصحبه اجمعين **سورة الفلق مدنية وهى خمس ايات**
بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ **قُلْ اَعُوْذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**
فلق الشئ شقه قال تعالى فالق الحب والنوى والمراد به الصباح فعل بمعنى المفعول لان
الليل يفلق عنه او لان الله تعالى اخرجه من جيب الليل لقوله فالق الاصباح وفى المثل
فلق الصبح فالق وعن الضحاك هو الخلق كله لانه فلق من ظلمة العدم وعن على بن ابى
طالب رضى الله عنه جب فى جهنم اذا فتح صاح اهل النار من شدة حره واصل الفلق
المطمئن من الارض **مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ** من شر مخلوقاته كلها ذوى العقول وغيرها
يعم شر الدارين فى العالم السفلى والعلوى **وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ اِذَا وَقَبَ** من شر
الليل اذا دخل ظلامه من الغسق وهو الظلام لقوله الى غسق الليل يقال غسقت
العين اذا امتلأت دمعا وخص بالذكر لان انبثاث الشر فيه اكثر والتحرز منه

اشتد روى البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل الظلام اجيفوا
الابواب وكفوا الصبيان حتى يذهب فحمة العشاء لان الشياطين تنتشر بعد المغرب وقيل
هو القمر اذا انخسف لقول عايشة رضى الله عنها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيدى ونظر الى القمر وقال تعوذى من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب والمعنى انه يغسق
الليل بوقوبه فالاسناد مجازى واضافة الشر اليه للملابسة لانه يحدث بسببه والوقوب
الدخول من وقب العين وهو النقرة التى يكون فيها العين **ومن شر النفاثات**
فى العقد من شر النفوس الساحرة التى تعقد الخيوط وتنفث فيها لعمل السحر و
لعل ذلك اكثرى اذ قد يكون بدونه والنفث فوق النفخ يجوز ان يكون معه ريق
والتفل لا يكون الا مع ريق والتعوذ من ذلك العمل والاتصاف به او من الانخداع لتلك
الاباطيل او مما يصيب الله به المسحور فانه صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه
فعل شيئا لم يكن فعله سحره لبيد بن الاعصم اليهودى فان قلت اذا صح انه سحر فكيف كذبهم
الله فى قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا قلت هذه مقالة المشركين بمكة وانما سحر بالمدينة
وعايشة رضى الله عنها عنده وايضا لم يكن قصدهم فى تسميته مسحورا ذلك المعنى بل الجنون
بواسطة السحر **ومن شر حاسد اذا حسد** اذا اظهر حسده بالقول والفعل والحسد
تمنى زوال نعمة الغير وحصولها للحاسد والاغتباط هو تمنى حصول مثله من غير طلب زوال
عنه وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا فى اثنين العلم الذى يعمل به والمال الذى
ينفق فى سبيل الخير وانما عبر عنهما وانما عرف النفاثات دون غاسق وحاسد لوصفهما بالظرف
بعدهما وقيل لان كل النفاثات شر بخلاف الغاسق والحاسد استدلالا بالحديث وليس بناهض
لما اشير اليه من الفرق بين الحسد والاغتباط ولقوله عليه السلام اذا دخل الظلام اجيفوا
الابواب وكفوا الصبيان من غير تفرقة بين غاسق وغاسق وفى دعائه صلى الله عليه و
سلم اعوذ بك من شر كل حاسد بمنك والحمد لله وحده **سورة الناس مدنية**
وهى ست ايات بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس
لسيدهم المتولى امورهم المتصرف فيهم **ملك الناس اله الناس** عطفا
بيان على طريقة الترقى لان الرب قد لا يكون سلطانا وهو اعم من ان يكون الها يستحق
العبادة وتكرير الناس مظهرا لانه اكمل فى البيان **من شر الوسواس** الموسوس
اسم المصدر اطلق على الفاعل مبالغة والوسوسة حديث النفس بالشر اصله صوت
الحلى قال الاعشى تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت روى الترمذى عن ابن مسعود رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للشيطان بابن آدم لمة بوعده بالشر
وتكذيب الحق **الخناس** المنسوب الى الخنوس وهو التاخر لانه كلما سمع ذكر الله تاخر
الذى يوسوس فى صدور الناس روى البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تجاوز الله عن امتى ما وسوست به صدورها
ما لم تتكلم او تعمل به ويجوز فى محل الموصول الحركات الثلث الجر على الصفة والرفع و
النصب على الشتم **من الجنة والناس** بيان للذى يوسوس على ان الشيطان يعم
القبيلين لقوله شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض ويجوز ان يكون من
ابتدائية اى من جهة هذين النوعين فان قلت الوسوسة حديث النفس وذلك مختص
بشيطان الجن فكيف اسند الى الانس قلت المراد بالوسوسة الدلالة على الشر والقاؤه
فى النفس فهى تحدث به سواء كان بطريق ظاهر او خفى ولذلك قيل شيطان الانس اشد
اغواء من شيطان الجن لانه يخنس عند ذكر الله تعالى دون شيطان الانس ولما كان شان
الديانة اهم واولى افرد الاستعاذة له بعد ما كان داخلا فى عموم شر ما خلق روى

روى مسلم عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تر آيات
انزلت الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس
وروى البخارى ومسلم عن عايشة رضى الله عنها كان اذا اوى الى فراشه
كل ليلة كفيه وقرا قل هو الله احد والمعوذتين ونفث فيهما ثم مسح
بهما ما استطاع من جسده هذا وانا اعوذ بهما من شر نفسى وشر
كل ما ذرا وبرا واستغفر الله من خطرات الاوهام وعثرات الاقلام
واسال العفو والمغفرة لى ولوالدى ولمشايخى الكرام ولكافة المسلمين
هذا آخر ما اوردته من تفسير كلام الملك العلام مع انحطاط
رتبتى عن هذا المقام ولكن للمجتهد الاجر وان حرم اصابة المرام
وقصر عن شاو الكرام والحمد لله المفضل المنعم
اولا وآخرا والصلوة على احمد خلقه ترغيما
للشيطان واخرا وعلى اخوانه من المرسلين و
ساير الانبياء والصالحين من آله وصحبه
ومن تبعهم الى يوم الدين فرغ مؤلفه
من تاليفه يوم الخميس الثالث من
رجب الفرد الواقع فى سنة سبع
وستين وثمانمائة وكان
الابتداء به فى اواخر
سنة ستين وثمانمائة فى
المسجد الاقصى تجاه
باب الحطة تفاؤلا
والله خير
مامول
ومسئول
تمت
م م م

وقع
الفراغ عن
تحرير هذه التفسير
الشريف على يد راقم عبد
الصمد حافظ محمد بن
حسين غفر الله لهما ولمن اهمهما حسن
فى اليوم الخامس عشر من شهر محرم الحرام
لسنة ثمان وستين ومائة والف
من الهجرة الشريفة بمدينة
قسطنطنية المحمية
صانها الله تعالى عن الآفات
والبلية والحمد
لله وحده

974

من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الناس براغب
١١٧٥